٤

فيه سورة مريم

الجلد الرابع من تفسير الكبير

للامام فخر الرازي رحمة الله عليه

٢٧

Eiad y.

143/4 III

297.1

تملكه الفقير خليل افندي
مورد ونمه
٢٥٠
٨٢ رجب
١٣٠

تفسير سورة مريم عليها السلام تسعون وثمان آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قوله تعالى كهيعص قبل الخوض في القراءات لا بد من مقدمات
المقدمة الاولى ان حروف المعجم على نوعين ثنائية وثلاثية وقد جرت عادة
العرب ان ينطقوا بالثنائيات المقطوعة مماله فيقولوا با تا ثا فكذلك اشكالها
وان ينطقوا بالثلاثيات التي في وسطها الالف مفتوحة مشبعة فيقولوا دال
ذال صاد ضاد فكذلك اشكالها اما الزاي وحده من بين حروف المعجم
يعتاد فيه الامران فان من اظهر فاه في النطق حتى يصير ثلاثيا لم يمله
ومن لم يظهر فاه في النطق حتى يشبه الثنائي اماله المقدمة الثانية
ينبغي ان يعلم ان اشباع الفتحة في جميع المواضع اصل والامالة فرع عليه ولهذا
يجوز اشباع كل ممال ولا يجوز امالة كل مشبع من المفتوحات المقدمة الثالثة
للقرا في القراءات المخصوصة بهذا الموضع ثلاثة طرق احدها ان يتهيكوا
بالاصل وهو اشباع فتحة الها واليا وثانيها ان يميلوا الها وثالثها ان يجمعوا
بين الاصل والفرع فوقع الاختلاف بين حركتي الها واليا فيفتحوا احدهما ايهما
كان ويكسروا الاخر ولهم في السبب الموجب لهذا الاختلاف قولان الاول ان
الفتحة المشبعة اصل والامالة فرع مشهور كثير الاستعمال فاشبع احدهما
واميل الاخر ليكون جامعا لمراعات الاصل والفرع وهذا احسن من مراعاة احدهما
وهكذا يصنع الاخر القول الثاني ان الثنائية من حروف المعجم اذا كانت
مقطوعة كانت بالامالة واذا كانت موصولة كانت بالاشباع وها ويا
في قوله تعالى كهيعص مقطوعان في اللفظ موصولان في الخط اميل احدهما
واشبع الاخر ليكون كل الجانبين مرعيا جانب القطع اللفظي وجانب الوصل الخطي
اذا عرفت هذا فنقول فيه قراءات احدها وهي القراءة المعروفة فيه فتح الها
واليا جميعا وهي قراءة ابي عمرو عن ايوب وانما كسر الها دون اليا ليكون
فرقا بينه وبين الها للتثنية فانه لا يكسر قط وثالثها فتح الها وكسر اليا وهي قراءة
حمزة والاعمش وطلحة والضحاك عن عاصم وانما كسروا اليا دون الها لان اليا
اخت الكسرة واعطا الكسرة اختها اولى من اعطائها اجنبية مفتوحة المناسبة
ورابعها بامالتهما جميعا وهي قراءة الكسائي والفضل عن ويحيى عن عاصم والوليد بن مسلم
عن ابن عامر والزهري وابن جرير وانما امالوهما للوجهين المذكورين في امالة الها
واليا وخامسها قراءة الحسن وهي ضم الها وفتح اليا وعنه ايضا فتح الها وضم اليا

2

وروى صاحب الكشاف عن الحسن بضمهما فقيل لم يثبت عنده الرواية عن الحسن لانه اورد
ابن جني في كتابه المحتسب ان قراءة الحسن ضم احدهما وفتح الاخر لا على التعيين فقال بعضهم
انما اقدم الحسن على ضم احدهما لا على التعيين لانه يتصور ان عين الفعل في الها واليا
منقلبين عن اليا كالدار والمال وذلك لان هذه الالفات وان كانت مجهولة لانها
لا اشتقاق لها فانها تحمل على ما هو مشابه في اللفظ لها والالف اذا وقع عينا فجهل
والواجب ان يعتقد انه عن الواو لان الغالب في اللغة ذلك فلما تصور الحسن
ان الف الها واليا منقلبين عن الواو جعله في حكم الواو وضم ما قبله لان الواو
اخت الضمة وسادسها هايا باشمامهما شيا من الضم المسئلة الثانية
قرا ابو حفص بفصل الحروف بعضها عن بعض بادنى سكتة مع اظهار نون العين
وباقي القرا يصلون الحروف بعضها ببعض ويخفون التنوين المسئلة الثالثة
القراءة المعروفة صاد ذكر بالادغام وعن عاصم ويعقوب بالاظهار والبحث
الثاني في المذاهب المذكورة في هذه الفواتح قد تقدمت لكن الذي يختص
بهذا الموضع ما روي عن ابن عباس ان قوله كهيعص ثنا من الله تعالى على نفسه
فمن الكاف وصف بانه كاف ومن الها هاد ومن العين عالم ومن الصاد صادق
وعن ابن عباس ايضا انه حمل الكاف على الكريم والكبير ويحكى عنه ايضا انه حمل اليا
على الكريم مرة وعلى الحكيم اخرى وعن الربيع بن انس في اليا انه من مجيب وعن
ابن عباس في العين انه من عزيز ومن عدل وهذه الاقوال ليست قوية
لما بينا انه لا يجوز من الله تعالى ان يودع كتابه ما لا تدل عليه اللغة لا بالحقيقة
ولا بالمجاز لانا ان جوزنا ذلك فتحنا عليه اقوال من يزعم ان لكل ظاهر باطنا
واللغة لا تدل على ما ذكروه فانه ليست دلالة الكاف على الكافي اولى من
دلالته على الكريم او على اسم اخر من اسما الرسول والملايكة او الجنة والنار فيكون
حملها على بعضها دون البعض تحكما لا تدل عليه اللغة اصلا قوله تعالى
ذكر رحمة ربك عبده زكريا فيه مسئلتان المسئلة الاولى
في لفظ ذكر اربع قراءات صفة المصدر او الماضي مخففة او مشددة
والامر اما صيغة المصدر فلا بد فيها من كسر رحمة ربك على الاضافة
ثم فيها ثلاثة اوجه احدها نصب الدال والهمزة من عبده زكريا وهو
المشهور وثانيها رفعها والعين رحمة ربك عبده زكريا اما صيغة الماضي
بالتشديد لا فيها من نصب رحمة واما صيغة الماضي بالتخفيف ففيها
وجهان احدهما رفع البا من ربك والعين رحمة ربك عبده زكريا

١٤٤

وثانيهما برفع عبده زكريا وذلك بتقديم المفعول على الفاعل وهاتان القراتان
للكلبي واما صيغة الامر فلا من نصب رحمة وهي قراة ابن يعمر واعلم ان على تقدير
جعله صيغة المصدر والماضي يكون التقدير هذا المتلو من القران ذكر رحمة ربك
والله اعلم المسئلة الثانية يحتمل ان يكون المراد من قوله رحمك ربك هو
نفس زكريا والتقدير رحمة ربك اعني عبده زكريا ثم في كونه رحمة وجهان
احدهما ان يكون رحمة على امته لانه هداهم الى الايمان والطاعات والاخر
ان يكون رحمة على نبينا عليه السلام وعلى امته لان الله تعالى لما شرح لمحمد صلى
الله عليه وسلم طريقة في الاخلاص والابتهال في جميع الامور الى الله تعالى صار
ذلك لفظا داعيا له ولامته الى تلك الطريقة فكان زكريا رحمة ويحتمل ان يكون
المراد ان هذه السورة فيها ذكر الرحمة التي رحم بها عبده زكريا قوله تعالى
اذ نادى ربه نداء خفيا راعى منة الله في اخفا دعوته لان الجهر
والاخفا عند الله تعالى سيان فكان الاخفا اولى لانه ابعد من الريا
وادخل في الاخلاص وثانيها اخفاوه ليلا يلزم عليه طلب الولد في زمان الشيخوخة
وثالثها امره من مواليه الذين خافهم رابعها خفة صوته لضعفه وهرمه كما جا
في صفة الشيخ بصوته خفات وسمعه نارات فان قيل من شرط النداء الجهر
فكيف جمع بين كونه نداء خفيا والجواب من وجهين احدهما انه اتى باقصى
ما قدر عليه من رفع الصوت الا ان الصوت كان خفيا لنهاية ضعفه بسبب الكبر
وقد كان نداء نظرا الى قصده وخفيا نظرا الى الواقع والثاني انه دعى في الصلوة
لان الله تعالى اجابه في الصلوة لقوله تعالى فنادته الملايكة وهو قايم يصلي
في المحراب ان الله يبشرك بحيى وكون الاجابة في الصلاة تدل على كون الدعا
في الصلاة يوجب كون الدعا فيها خفيا قوله تعالى قال رب اني
وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعايك
رب شقيا واني خفت الموالي من ورايي وكانت امراتي
عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من ال
يعقوب واجعله رب رضيا وفيه مسايل المسئلة الاولى
قرى وهن بالحركات الثلاث المسئلة الثانية ادغام السين في الشين
عن ابي عمرو المسئلة الثالثة واني خفت الموالي بفتح اليا وعن الزهري
باسكان اليا من الموالي وقرا عثمن وزيد بن ثابت وابن عباس وعلي بن الحسين
ومحمد بن علي وسعيد بن جبير خفت بفتح الخا والفا مشددة وكسر التا وهذا على

3

معنيين احدهما ان يكون من وراي بمعنى بعدي والمعنى انهم قلوا وعجزوا
عن اقامة الدين بعده فسال ربه تقويتهم بولد يرزقه الثاني ان
يكون بمعنى قدامي والمعنى انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق من به
تقو واعتضاد المسئلة الرابعة القراة المعروفة من وراي بهمزة مكسورة
مكسورة وبعدها يا ساكنة وعن حميد بن مقسم كذلك بفتح اليا
وقرا ابن كثير وراي كعصاي المسئلة الخامسة يرثني ويرث فيه
وجوه احدها القراة المعروفة بالرفع فهما صفة وثانيها هي قراة ابن عمرو
والكسايي والزهري والاعمش وطلحة بالجزم فيهما جوابا للدعا وثالثها عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عباس وجعفر بن محمد والحسن وقتادة يرثني
جزم وارث بمعنى فاعل ورابعها عن ابن عباس يرثني وارث ال يعقوب
وخامسها عن الجحدري اويرث تصغير وارث على وزن افعل اللغة
الوهن ضعف القوة قال في الكشاف شبه الشيب بشواظ النار في بياضه
وانارته واستنارته في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال
النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اشتد الاشتعال الى مكان
الشعر ومنبته هو الراس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس
اكتفا بعلم المخاطب انه راس زكريا فمن ثم صحت هذه الجملة
اما الدعا فهو طلب الفعل ومقابلة الاجابة كما ان مقابلة الامر
الطاعة واما اصل التركيب ولي فيدل على معنى القرب والدنو
يقال وليته اليه وليا اي دنوت واوليته اياه ادنيته منه
وتباعد بعد وولي ومنه قول الشاعر وعدت عواد دون وليك
شقب وكل مماليك وجلست مما يليه ومنه الولي وهو المطر الذي يلي الوسمي
والولية البرذعة لانها على ظهر الدابة وولي اليتيم وولي
البلد لان من يولي امرا فقد قرب منه وقوله تعالى فول وجهك
شطر المسجد الحرام من قولهم ولاه ركنه اي جعله مما يليه واما ولي عني
اذا ادين فهو من باب تفعل الخصومة للسلب وقولهم فلان اولى
من فلان اي احق افعل التفضيل من الوالي او الولي كالادنى والاقرب
من الداني كالقريب وفيه معنى القرب ايضا لانه من كان احق
بالشي وكان اقرب اليه والمولى اسم لموضع الولي كالمرمى والمبنى
لموضع الرمي والبنا واما العاقر فهي التي لا تلد والعقر في البدن

الجرح ومنه احد العاقر لانه نقص من اصل الخلقة وعقرت الفرس بالسيف
ضرب قوائمه واما الاول فهو خاصة الرجل الذي يتولى امر هم اليه
ثم قد يتولى امرهم اليه للقرابة تارة وللصحة اخرى كال فرعون والمواضعة
في الدين كال النبي واعلم ان زكريا عليه السلام قدم على السوال امورا
ثلاثة احدها كونه ضعيفا والثاني ان الله تعالى ما رد دعاه البتة
والثالث كون المطلوب بالدعا سببا للمنفعة في الدين ثم بعد تقديم
هذه الثلاثة صرح بالسوال اما المقام الاول وهو كونه ضعيفا فاثر
الضعف فاما ان يظهر في الباطن او في الظاهر والضعف الذي
يظهر في الباطن يكون اقوى مما يظهر في الظاهر فلهذا السبب ابتدا
ببيان الضعف الذي في الباطن وهو قوله وهن العظم مني وتقريره ان العظم
اصلب الاعضا التي في البدن وجعلت كذلك لمنفعتين احداهما ان يكون
اساسا وعمدا يعتمد عليها سايرالاعضا اذا كانت كلها موضوعة
على العظام والحامل يجب ان يكون اقوى من المحمول والثانية انه
احتيج اليها في بعض المواضع لان يكون جبة يوقى بها ما سواها من الاعضا
بمنزلة قحف الراس وعظام الصدر وما كان كذلك فيجب ان يكون صلبا
صبورا على ملاقات الافات بعيدا من القبول لها اذا ثبت هذا فنقول
اذا كان العظم اصلب الاعضا التي وصل الاثر الى ضعفها كان ضعف
ما عداها اولى وايضا اذا كان العظم حاملا لسايرالاعضا
كان تطرق الضعف الى الحامل موجبا تطرقه الى المحمول فلهذا السبب
خص العظم بالوهن من بين سايرالاعضا واما الضعف في الظاهر فلكونه
استيلا السبب فثبت ان هذا الكلام يدل على استيلا الضعف
على الباطن والظاهر وذلك يزيد تاكيدا لما فيه من الاتكال على حول
الله وقوته والتبري عن الاسباب الظاهرة المقام الثاني انه ما كان
مردود الدعا البتة وجه التوسل به من وجهين احدهما ان مخاطبا سال
رجلا من الاكابر وقال انا الذي احسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن
متوسل بنا اليينا وقضى حاجته وذلك لانه اذا قبله اولا فلو رده ثانيا
لكان الرد محبطا للانعام الاول والمنعم لا يسعى في احباط انعامه والثاني
وهو مخالفة العادة شاقة على النفس فاذا تعود الانسان منها حاجة
الدعا فلو صار مردودا بعد ذلك لكان ذلك في غاية المشقة ولان الجفا

ما روي مو

ممن يتوقع منه الانعام يكون اشق وكان زكريا عليه السلام قال انك ما رددتني
في اول الامر مع اني ما تعودت لطفك وكنت قوي البدن قوي القلب واعلم
ان العرب تقول سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم ينلها ويعني
بدعايك اي بدعايي اياك فان افعل قد يضاف الى الفاعل تارة والمفعول اخرى
المقام الثالث بيان كون المطلوب منتفعا به في الدين فهو قوله واني خفت
الموالي من ورايي وفيه ابحاث الاول قال ابن عباس والحسن واني خفت
الموالي اي الورثة من بعدي وعن مجاهد العصبة وعن ابي صالح الكلالة وعن الاصم هو
العم وهم الذين يلونه في العقب وعن ابي مسلم المولى يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب
وهو ههنا من يقوم في ميراثه كالولد والمختار ان المراد من الموالي الذين يخلفون بعده
اما في السياسة او في الملك الذي كان له او في القيام بامر الدين وقد كانت العادة
جارية ان كل من كان الى صاحب الشرع اقرب فانه كان متعينا في الجودة والثاني
اختلفوا في خوفه من الموالي فقال بعضهم خافهم على فساد الدين وقال بعضهم بل
خاف ان ينتهي امرهم بعده مونه في مال وغيره مع انه عرف من حالهم قصورهم في
العلم والقدرة على القيام بذلك المنصب وفيه قول ثالث وهو انه يحتمل ان يكون الله تعالى
قد اعلمه انه لم يبق من انبياء بني اسرايل له اب الا واحد فجاز ان يكون ذلك من اجل عمه
اذا لم يكن له ولد فسال الله تعالى ان يهب له ولدا يكون هو ذلك النبي والظاهر
يقتضي ان يكون خايفا منهم في امر يتعلق بمهمات مسئلة الانبيا وان لم يدل على تفصيل
ذلك ولا يمتنع ان يكون زكريا كان اليه مع النبوة السياسة من جهة الملك وما
يتصل بالامامة فخاف بعده على احدهما او عليهما اما قوله تعالى واني خفت
الموالي فهو وان خرج على لفظ الماضي لكنه يفيد انه في المستقبل ايضا كذلك
فقول الرجل قد خفت ان يكون كذا وحسبت ان يكون كذا اي انا اخاف لا يريد
انه قد زال الخوف عنه وهكذا قوله وكانت امراتي عاقرا اي انها عاقر في الحال
وذلك لا يجوز ان يكون ولو وافي العادة ففي الاخبار عنه بلفظ الماضي اعلام بتقادم
العهد وغرض زكريا من هذا الكلام بيان استبعاد حصول الولد فكان ايراده بلفظ
الماضي اقوى والي هذا يرجع الامر في قوله واني خفت الموالي لانه انما قصد به
به الاخبار عن تقادم العهد بالخوف ثم استغنى بدلالة الحال وما يوجب مسئلة
الوارث واظهار الحاجة عن الاخبار بوجود الخوف في الحال وايضا فقد يوضع الماضي
مكان المستقبل وبالعكس قال الله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم انت قلت
للناس اتخذوني وامي الاية واما قوله من ورايي قال ابو عبيدة من ورايي اي من بعدي

وبين يدي وقال اخرون اي بعد موتي وكلاهما محتمل فان قيل كيف خافهم من
بعده وكيف علم انهم يبقون بعده فضلا عن ان يخاف شرهم قلنا ان ذلك قد
يعرف بالامارات والظن كاف في حصول الخوف فربما عرض ببعض الامارات
استمرارهم على عادتهم في الفساد والشر واختلفوا في تفسير قوله فهب لي من
لدنك وليا فالاكثرون على انه طلب ولدا وقال الاخرون بل طلب ما يقوم مقامه
ولدا كان او غيره والاقرب هو الاول لثلاثة اوجه الاول قوله تعالى في سورة ال عمران
حكاية عنه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة والثاني قوله في هذه السورة فهب
لي من لدنك وليا يرثني والثالث قوله في سورة الانبيا وزكريا اذ نادى ربه
رب لا تذرني فردا وهذا يدل على انه سال الولد وانه قد اخبر في سورة
مريم ان له موالي وانه غير منفرد عن الورثة وهذا وان امكن حمله على
وارث يصلح لان يقوم مقامه لكن حمله على الولد اظهر واحتج اصحاب
القول الثاني بانه لما بشر بالولد استعظم ذلك على سبيل التعجب وقال
انى يكون لي ولد غلام ولو كان دعاه لاجل الولد لما استعظم ذلك والجواب
انه عليه السلام سال عما يوهب له وهو وامراته على هيئتهما او يوهب
له بان يحولا شابين يكون لمثلهما ولد وهذا يحكى عن الحسن وقال غيره
ان قول زكريا عليه السلام في الدعا كانت امراتي عاقرا انما هو على معنى مسالته
ولدا من غيرها او منها بان يصلحها الله للولد فكانه عليه السلام قال اني ايست
ان يكون لي منها ولد فهب لي ولدا كيف شيت اما بان تصلحها بان يكون
الولد منها واما ان تهبه لي من غيرها فلما بشر بالغلام سال ربه ايرزق
منها او من غيرها فاخبر بانه يرزق منها واختلفوا في الميراث بالميراث
على اوجه احدها ان المراد بالميراث في الموضعين هو وراثة المال وهذا قول
ابن عباس والحسن والضحاك وثانيها ان المراد به في الموضعين وراثة النبوة
وهو قول ابي صالح وثالثها يرثني المال ويرث من ال يعقوب النبوة
وهو قول السدي ومجاهد والشعبي وروي ايضا عن ابن عباس والضحاك
ورابعها يرثني العلم ويرث من ال يعقوب النبوة وهو مروي عن مجاهد واعلم
ان هذه الروايات اي امور خمسة وهي المال ومنصب الجودة والعلم والنبوة ولفظ الارث
مستعمل في كلها اما في المال فلقوله تعالى واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
واما في العلم فلقوله تعالى ولقد اورثنا اتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرايل
الكتاب وقال عليه السلام العلما ورثة الانبيا وان الانبيا لم يورثوا دينارا

ولا

5

ولا درهما وانما ورثوا العلم قال الله تعالى ولقد اتينا داوود وسليمان علما وقالا
الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين وورث سليمان داوود
فهذا يحتمل وراثة الملك ووراثة النبوة وقد يقال اورثني هذا غما وحزنا
فقد ثبت ان اللفظ محتمل لتلك الوجوه الاربعة واحتج من حمل اللفظ على
وراثة المال بالخبر والمعقول اما الخبر فلقوله عليه السلام رحم الله زكريا وما عليه
من يرثه وظاهره يدل على ان المراد ارث المال واما المعقول فمن وجهين
الاول ان العلم واليسر والنبوة لا تورث بل لا تحصل الا بالاكتساب فوجب حمله
على المال والثاني هو انه قال واجعله رب رضيا ولو كان المراد من الارث
ارث النبوة لكان قد سال جعل النبي مرضيا وهو غير جايز لان النبي لا يكون الا
مرضيا معصوما واما قوله عليه السلام انا لا نورث ما تركناه صدقة
فهذا لا يمنع ان يكون خاصا به واحتج من حمله على العلم والمنصب والنبوة
بما علم من حال الانبيا وان اهتمامهم بالدين وقيل لعله اوتي من الدين
ما كان عظيم النفع في الدين فلهذا كان مقيما به فاما قوله النبوة كيف تورث
قلنا المال انما يقال ورثه الابن بمعنى قام فيه مقامه من ابيه وحصل
له فايده التصرف عنه كما حصل لابيه والا يهلك المال من قبل الله تعالى لا من
قبل الورثة وكذلك اذا كان المعلوم في الابن انه يصير نبيا بعده فيقوم
بامر الدين بعده جاز ان يقال ورثه فاما قوله عليه السلام انا معاشر الانبيا
فهذا وان جاز حمله على الواحد كما في قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر لكنه مجاز
وحقيقة الجمع والعدول عن الحقيقة من غير موجب لا يجوز لا سيما وقد
روي قوله عليه السلام انا معاشر الانبيا لا نورث والاولى ان يحمل ذلك على كل
ما فيه نفع وصلاح في الدين وذلك يتناول العلم والنبوة والسيرة الحسنة والمنصب
والمنافع في الدين والمال الصالح فان كل هذه الامور مما يجوز توفر الدواعي
على بقايها ليكون ذلك النفع دايما مستمرا واعلم ان اكثر المفسرين على ان يعقوب
ههنا ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام لان زوجة زكريا عليه السلام وهي
اخت مريم فهي كانت من ولد سليمان بن داوود من ولد يهودا ابن يعقوب
عليهم السلام واما زكريا عليه السلام فهو كان من ولد هارون اخي موسى
عليهما السلام وهارون وموسى من ولد لاوي بن يعقوب بن اسحق عليهم السلام
وكانت النبوة في سبط يعقوب لانه هو اسرايل عليه السلام وقال بعض المفسرين
ليس المراد من يعقوب ههنا هو ولد اسحق بن ابراهيم عليهم السلام بل يعقوب

ابن ماثان اخو عمران بن ماثان وكان ال يعقوب اخوال يحيى بن زكريا عليهما
السلام وهذا قول الكلبي ومقاتل وقال مقاتل كان بنو ماثان رؤس
بني اسرايل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرث
ولده حبوريه ويرث ماثان ملكه واعلم انهم ذكروا في تفسير الرضي
وجوها احدها ان المراد واجعله رب رضيا من الانبيا وذلك لان كلهم
مرضيون والرضي منهم مفضل في كثير من امورهم فاستجاب الله له
ذلك فوهب له سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين لم يعص ولم يهم
بمعصية وهذا غاية ما يكون المرء رضيا وثانيها المراد بالرضي ان يكون
رضيا في امته لا يلتفي بالتكذيب ولا يواجه بالرد وثالثها المراد بالرضي
ان لا يكون منهما في شئ ولا يوجد فيه مطعن ولا ينسب اليه شئ من
المعاصي ورابعها ان ابراهيم واسمعيل عليهما السلام قالا في الدعا ربنا
واجعلنا مسلمين لك وكانا في ذلك الوقت مسلمين فكان المراد ادمنا
على ذلك والمراد اجعلنا فاضلين من انبيائك المرسلين فكذا ههنا
واختيج اصحابنا في مسئلة خلق الافعال بهذه الاية لانه انما يكون رضيا بفعله
فلما سال الله جعله رضيا دل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فان قيل
المراد منه ان يلطف له بضروب الالطاف فيختار ما يصير مرضيا عنده فنسبت
ذلك الى الله تعالى والجواب من وجهين الاول ان جعله مرضيا لو حملنا على
جعل الالطاف التي عندها يصير المرء باختياره رضيا لكان ذلك مجازا وهو خلاف
الاصل والثاني ان فعل تلك الالطاف واجب على الله تعالى لما يجوز منه الاخلال
به وما كان واجبا لا يجوز طلبه بالدعا والتضرع قوله تعالى ما زكريا
انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا
وفيه مسايل المسئلة الاولى اختلفوا في المنادى بقوله يا زكريا
فالاكثرون على انه هو الله تعالى وذلك لان ما قبل هذه الاية يدل على انه
كان يخاطبه الله تعالى وهو قوله رب اني يكون لي غلام واذا كان ما قبل هذه
الاية وما بعدها خطابا مع الله تعالى وجب ان يكون هذا النداء من الله تعالى
والا لفسد النظم وقيل هو جبريل والملك واحتج عليه من وجهين
الاول قوله تعالى في سورة ال عمران فنادته الملايكة وهو قائم يصلي في
المحراب ان الله يبشرك بيحيى الثاني ان زكريا عليه السلام قال اني يكون
لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال

ربك هو علي هين وهذا لا يجوز ان يكون كلام الله تعالى فوجب ان يكون كلام
الملك والجواب عن الاول انه يحتمل ان يقال حصل النداء ان من الله تعالى
ومن الملايكة وعن الثاني انا نبين ان شا الله تعالى انه قوله قال كذلك
قال ربك هو علي هين يمكن ان يكون كلام الله تعالى المسئلة الثانية
ان دعا لا باذن فما معنى البشارة وان بغير اذن فلما اقدم الجواب هذا
امر يخصه فيجوز ان يسال بغير اذن ويحتمل انه اذن له فيه ولم يعلم وقته
فبشر به المسئلة الثالثة اختلف المفسرون في قوله تعالى لم نجعل له من
قبل سميا على وجهين احدهما وهو قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة
وقتادة انه لم يسم احد قبله بهذا الاسم والثاني ان المراد بالمسمى النظير
كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا ثم اختلفوا في ذلك على وجوه احدها
انه سيد وحصور ولم يعص ولم يهم بمعصية كانه جواب لقوله واجعله
رب رضيا فقيل له انا نبشرك بغلام لم نجعل له شبيها في الدين ومن كان
هكذا فهو في غاية الرضي وهذا الوجه ضعيف لانه يقتضي تفضيله
على الانبيا الذين كانوا قبله كادم ونوح وابراهيم وموسى وذلك باطل
بالاتفاق وثانيها ان كل الناس انما تسميهم اباؤهم وامهاتهم بعد دخولهم
في الوجود واما يحيى فان الله تعالى سماه قبل دخوله في الوجود فكان ذلك
من خواصه فلم يكن له مثل وشبه في هذه الخاصية وثالثها انه ولد
بين شيخ فان وعجوز عاقر واعلم ان الوجه الاول اولى وذلك لان
حمل الشيء على النظير وان كان يفيد المدح والتعظيم ولكنه عدول عن الحقيقة
من غير ضرورة وانه لا يجوز واما قوله تعالى هل تعلم له سميا فهناك
انما عدلنا عن الظاهر لانه قال فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له
سميا ومعلوم ان مجرد كونه تعالى مسمى بذلك الاسم لا يقتضي وجوب عبادته
فلهذه العلة عدلنا عن الظاهر انا ههنا فلا ضرورة في العدول عن الظاهر
فوجب اجراؤه عليه ولان في تفرده بذلك الاسم ضربا من التعظيم لانا نشاهد ان
الملك العظيم اذا كان له لقب مشهور فان حاشيته لا يقنعون به بل يترقون في
تعظيمه فكذا ههنا المسئلة الرابعة في انه عليه السلام لم سمي بيحيى روي التعليل
فيه وجوها احدها عن ابن عباس ان الله تعالى احيى عقر امه وثانيها عن قتادة
ان الله تعالى احيى قلبه بالايمان والطاعة والله تعالى سمى المطيع حيا والعاصي ميتا
فقال او من كان ميتا فاحييناه وقال وكنتم امواتا فاحياكم وقال اذا دعاكم لما يحييكم

وبالجملة احياه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية لما روي عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وقد عصى او هم الا يحيى بن
زكريا فانه لم يعص ولم يهم وروايها عن ابن القاسم بن حبيب انه استشهد
والشهداء احياء لقوله تعالى احياء عند ربهم يرزقون وخامسها ما قاله عمر
ابن عبد العزيز المقدسي اوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام ان يقل لسارة
وكان اسمها كذلك فاني مخرج منكما عبدا لا يهم بمعصية اسمه يحيى قال
هبي من اسمها حرفا فوهب له او حرف من اسمها فصار يحيى وكان اسمها بسارة
فصار اسمها سارة وسادسها ان يحيى اول من آمن بعيسى عليه السلام
فصار قلبه حيا بذلك الايمان وذلك ان ام يحيى كانت حاملا به واستقبلتها
مريم وقد حملت بعيسى فقالت امرأة يحيى يا مريم احامل انت فقالت لها
ذات قولين فقالت اني اري ما في بطني يسجد لما في بطنك ورابعها
ان الدين يحيى به لانه انما سأله لاجل الدين واعلم ان هذه الوجوه
ضعيفة لان اسما الالقاب لا يطلب فيها وجه الاشتقاق ولهذا قال اهل
التحقيق اسما الالقاب قائمة مقام الاشارات فهي لا تفيد في المسمى صفة
البتة قوله تعالى **قال رب اني يكون لي غلام وكانت امرأتي**
عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا فيه مسائل المسئلة الاولى قرأ حمزة
والكسائي عتيا وصليا وجثيا وبكيا بكسر العين والصاد والجيم والباء
وحفص عن عاصم بكيا بالضم والباقي بالكسر وقرأ الباقون جميعا بالضم
ابن مسعود بفتح العين والصاد من عتيا وصليا ابي بن كعب وابن عباس
عسيا بالسين غير المعجمة المسئلة الثانية في الالفاظ وهي ثلاثة الاول
الغلام وهو الانسان الذكر في ابتداء شهوة الجماع ومنه اغلمت اذا اشتدت
شهوته للجماع ثم يستعمل في العلمية فيقال غلام يلعب الثاني العتي
والعتي واحد عتا يعتو عتوا فهو عات وعسى يعسو عسوا وعسيا
فهو عاس والعاسي هو الذي غيره طول الزمان الى حال السن وليال عات
طويل وقيل شديد الظلمة الثالث لم يقل عاقرة لان ما كان على فاعل من
صفات المونث مما لم يكن للذكر فانه لا يدخل فيها الهاء تقول امرأة حائض وعاقر
قال الخليل هذه صفات مذكر وصفت بها المونث كما وصفوا المذكر بالمونث
حين قالوا رجل ربعة وربعة وغلامه المسئلة الثالثة في هذه الاية
سوالان السوال الاول ان زكريا عليه السلام لم يعجب بقوله اني يكون لي غلام

مع انه هو الذي طلب الغلام والثاني هو ان قوله اني يكون لي غلام لم يكن
هذا مذكورا عن امته لانه كان يخفي هذا الامر عن امته فكيف قال علي انه ذكره
عن نفسه وهذا التعجب يدل على كونه شاكا في قدرة الله تعالى على ذلك
وذلك كفر وهو غير جايز على الانبياء عليهم السلام والجواب عن السوال الاول
على قول من قال انما طلب الولد فلا اشكال وانما على قول من قال انه ما طلب الولد فالجواب
اني يكون لي غلام هو البحث عن انه تعالى يجعلهما شابين ثم يرزقهما
الولد او يتركهما شيخين ثم يرزقهما الولد مع الشيخوخة والدليل عليه
قوله تعالى وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين
فاستجاب له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه وما هذا الاصلاح الا
انه تعالى اعاد اليها قوة الولادة وقد تقدم تقرير هذا الكلام وذكر
السدي في الجواب وجها اخر فقال انه لما سمع النداء بالبشارة جاءه
الشيطان فقال ان هذا الصوت ليس من الله تعالى بل هو من الشيطان
ويسخر منك فلما شك زكريا قال اني يكون لي غلام واعلم ان غرض
السدي من هذا ان زكريا عليه السلام لو علم ان المبشر به ذلك هو الله تعالى
لما جاز له ان يقول ذلك فاركب هذا وقال بعض المتكلمين هذا باطل
قطعا اذ لو جوزنا للانبياء عليهم السلام في بعض ما يرد من الله تعالى
انه من الشيطان لجوزنا في سايره ولزالت الثقة عنهم في الوحي
فيما يودونه الينا ويمكن ان يجاب عنه بان هذا الاحتمال
قايم في اول الامر وانما يزول التجوز ولعل المعجز لم يكن حاصلا
في هذه الصورة فيحتمل الشك فيما دون ما عداها والله اعلم والجواب
عن السوال الثاني من وجهين الاول ان قوله انا نبشرك بغلام ليس
ينافي كون ذلك الغلام ولدا له بل يحتمل ان زكريا عليه السلام رأى الاب
ولم يقل هذا الغلام هل هو ولد ام لا بل ذكر اسبابا تقدر حصول الولد
في العادة حتى ان تلك البشارة وان كانت بالولد فالله تعالى يريد الابهام
ويجعل الكلام صريحا فلما ذكر ذلك صح من الله تعالى ان يكون الولد منه فكان
الغرض من كلام زكريا هو هذا الا انه كان شاكا في قدرة الله تعالى عليه
الثاني انه ما ذكر ذلك للشك لكن على وجه التعظيم لقدرته وهذا
كالرجل الذي يرى صاحبه وقد وهب الكثير الخطير فيقول اني يحدث

نفسك باخراج مثل هذا من ملاك تعظيما وتعجبا الثالث ان من شان من يبشر بما ان يولد له وقد السرور عند ما يرد عليه استثبات ذلك الكلام اما لان شدة فرحه به توجب ذهوله من مقتضيات العقل والفكر وهذا كما ان امراة ابراهيم عليه السلام بشرت باسحق فقالت الد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب فازيل تعجبها بقوله اتعجبين من امر الله واما طلبا للاثبات اذ بسماع ذلك الكلام من بعد اخرى واما مبالغة في تاكيد التقسير قوله تعالى قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا فيه مسايل المسئلة الاولى في قوله قال كذلك قال ربك هو علي هين وجوه احدها ان الكاف رفع اي الامر كذلك تصديقا له ثم ابتدا قال ربك وتاليها نصب فقال وذلك اشارة الى مبهم تفسيره وهو علي هين وهو كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولا مقطوع مصبحين وثالثها ان المراد لا تتعجب فانه كذلك قال ربك لا تخلف في قوله ولا غلط ثم قال بعده هو علي هين بدليل اني خلقتك من قبل ولم تك شيا ورابعها اذا قد ذكرنا ان قوله اني يكون لي معناه كيف تعطيني الغلام ابان تجعلني شابين اوبان تتركنا على الشيخوخه ومع ذلك تعطينا الولد فقوله كذلك قال ربك اي يهب الولد لك مع بقائك وبقاء وجدك على الحالة الحاصلة في الحال المسئلة الثانية قرا الحسن هو علي هين وهذا الاخراج الاعلى الوجه الاول اي الامر كما قلت ولكن قال ربك مع ذلك هو علي هين المسئلة الثالثة اطلاق لفظ الهين في حق الله تعالى مجاز لان ذلك انما يصح في حق من يجوز ان يصعب عليه شيء ولكن المراد انه اذا اراد شيا كان المسئلة الرابعة في بيان وجه الاستدلال بقوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا فنقول انه لما خلقه من العدم الصرف والنفي المحض كان قادرا على خلق الذوات والصفات واما الان فخلق الولد من الشيخ والشيخة فلا يحتاج فيه الى تبديل الصفات فاذا اوجده من عدم فكذا يرزقه الولد بان يعيد اليهما والى صاحبته القوة التي عنها يتولد المنا المنا ان اللذان من اجتماعهما يخلق الله تعالى الولد ولذلك قال فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه فهذا وجه الاستدلال المسئلة الخامسة الجمهور على ان قوله كذلك قال ربك يقتضي انا نقابل لذلك مع الاعتراف بان قوله يا زكريا انا نبشرك قول الله تعالى وقوله هو

على هين قول الله تعالى وهذا بعيد لانه اذا كان ما قبل هذا الكلام وما بعده قول الله تعالى فكيف يصح ادراج هذه الالفاظ فيما بين هذين القولين والاولى ان يقال قابل هذا القول ايضا هو الله تعالى كما ان الملك العظيم اذا وعد عبده شيا عظيما فيقول العبد اين يحصل لي هذا فيقول ان سلطانك ضمن بذلك كانه ينبهه بذلك على ان كونه سلطانا مما يوجب عليه الوفا بوعده فكذا ههنا قوله تعالى قال رب اجعل لي اية قال اياتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا وفيه مسايل المسئلة الاولى قال بعضهم طلب الاية لتحقيق البشارة وهو بعيد لان بقول الله تعالى قد تحققت البشارة فلا يكون اظهار الاية اقوى في ذلك من صريح القول وقال اخرون البشارة بالولد وقعت مطلقة فلا يعرف وقتها بمجرد البشارة فطلب الاية ليعرف بها وقت الوقوع وهذا هو الحق المسئلة الثانية اتفقوا على ان تلك الاية هي تعذر الكلام عليه فان مجرد السكوت مع القدرة على الكلام لا يكون معجزا ثم اختلفوا على قولين احدهما انه اشغل لسانه اصلا والثاني انه امتنع عليه الكلام مع القوم على وجه المخاطبة مع انه كان متمكنا من ذكر الله تعالى وقراة التوراة والانجيل وهذا القول عندي اصح لانا عتقال اللسان مطلقا قد يكون لمرض وقد يكون من فعل الله تعالى فلا يعرف كونه اية الا عند ان ذلك الاعتقاد معجزا اذا عرف انه ليس لمرض بل لمحض فعل الله تعالى مع سلامة الالات وهذا مما لا يعرف الا بدليل اخر فيتحقق كونه اية ومعجزة ومما يقوي ذلك فيفتقر تلك الدلالة الى دلالة اخرى اما لو اعتقل لسانه عن الكلام مع القوم مع اقتداره على التكلم بذكر الله تعالى وقراة التوراة والانجيل علم بالضرورة ان ذلك الاعتقاد ليس لعلة ومرض بل هو محض فعل الله تعالى فيتحقق كونه اية ومعجزة ومما يقوي ذلك قوله اياتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا خص ذلك بالكلام مع الناس وهذا يطرق المفهوم بعيد انه كان قادرا على التكلم مع غير الناس المسئلة الثالثة اختلفوا في معنى سويا فقال بعضهم هو صفة الليالي الثلاث وقال اكثر المفسرين هو صفة لزكريا والمعنى اياتك الا تكلم الناس في هذه المدة مع كونك سويا لم تحدث بك مرض قوله تعالى فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا وفيه مسايل المسئلة الاولى

خرج على قومه من المحراب قيل كان له موضع ينفرد فيه للصلاة والعبادة ثم
ينتقل الى قومه فعند ذلك اوحى الله اليهم وقيل كان موضعا يصلي فيه هو وغيره
الا انهم كانوا لا يدخلونه الصلاة الا باذنه وانهم اجتمعوا ينتظرون خروجه للاذان
فخرج اليهم وهو لا يتكلم فاوحى اليهم المسئلة الثانية لا يجوز ان يكون المراد
من قوله فاوحى اليهم الكلام لان الكلام ان كان ممتنعا عليه فاذن المراد غير
الكلام وهو ان يعرفهم ذلك اما بالاشارة او برمز مخصوص او بكتابة
لان كل ذلك يفهم منه المراد فعلموا انه قد كان ما يبشر به فكما حصل لهم
السرور وظهر اكرام الله تعالى له بالاجابة واعلم ان الاشبه بالاية هو الاشارة
بقوله في آل عمران ثلاثة ايام الا رمزا والرمز لا يكون الا كتابة المسئلة الثالثة
اتفق المفسرون على ان اراد به التسبيح بالصلاة وهو جايز في اللغة يقال
سبحة الضحى اي صلاة الضحى وعن عايشة في صلاة الضحى اني لاسبحها اي
لاصليها اذا ثبت هذا فنقول روي عن ابي العالية ان ابكرة صلاة الفجر والعشا
صلاة العصر ويحتمل ان يكون انما يصلون معه في محرابه هاتين الصلاتين فكان
يخرج اليهم فيأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج اليهم كعادته
بغير كلام والله اعلم قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة
واتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا
وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد
ويوم يموت ويوم يبعث حيا واعلم ان الله تعالى وصف يحيى
في هذه الاية بصفات تسع الصفة الاولى ان كونه مخاطبا من الله تعالى
بقوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وها هنا مسايل المسئلة الاولى ان قوله تعالى
يا يحيى خذ الكتاب بقوة يدل على ان الله تعالى بلغ يحيى المبلغ الذي يجوز ان
يخاطبه بذلك فحذف ذكره لدلالة الكلام عليه المسئلة الثانية الكتاب
المذكور يحتمل ان يكون هو التوراة التي هي نعمة الله على بني اسرايل لقوله
تعالى ولقد اتينا بني اسرايل الكتاب والحكم والنبوة ويحتمل كتابا خص به
كما خص الله تعالى الكثير من الانبيا بذلك والاول اولى لان حمل اللام ههنا على
المعهود السابق ولا معهود ههنا الا التوراة المسئلة الثالثة قوله خذ الكتاب
بقوة ليس المراد منه القدرة على الاخذ لان ذلك معلوم لكل احد فيجب حمله على
معنى يفيد المدح وهو تجدد صبر على القيام بامر النبوة وحاصله يرجع
الى حصول ملكة يقتضي سهولة الاقدام على المامور به والاحجام عن المنهي عنه

المسئلة الثانية قوله تعالى واتيناه الحكم صبيا اعلم ان في الحكم اقوال الاول انه
الحكمة ومنه قول الشاعر احكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت وهو العلم للتوراة والفقه
في الدين والثاني وهو قول معمر انه العقل وروي عنه انه قال ما للعب خلقنا
والثالث انه النبوة فان الله تعالى احكم عقله في صباه واوحى اليه وذلك لان
الله تعالى بعث يحيى وعيسى عليهما السلام وهما صبيان لكما بعث موسى ومحمد عليهما السلام
وقد بلغا الاشد والاقرب حمله على النبوة لوجهين الاول ان الله تعالى ذكر في هذه
الاية صفات شرفه ومنقبته ومعلوم ان النبوة اشرف صفات الانسان فذكرها
في معرض المدح اولى من ذكرها فوجب ان تكون نبوته في هذه الاية مذكورة
واللفظ يصلح للدلالة على النبوة لا هذه اللفظة فوجب حمله عليها الثاني
ان الحكم هو ما يصلح به لان يحكم على غيره واغيره على الاطلاق وذلك لا يصح
الا بالنبوة فان قيل كيف يعقل حصول العقل والفطنة والنبوة
حال الصبي قلنا هذا السايل اما ان يمنع خرق العادات او لا يمنع وان
منع منه فقد انسد باب النبوة لان بنا الامر فيه على المعجزات ولا يمنع لها الا
خرق العادات وان لم يمنع منه فقد زال هذا الاستبعاد وانه ليس استبعاد
صيرورة الصبي عاقلا اشد من استبعاد انشقاق القمر وانفلاق البحر
الصفة الثالثة قوله تعالى وحنانا من لدنا واعلم ان الحنان
اصله من الحنين وهو الارتياح بالجزع للفراق كما يقال حنين الناقة
وهو حنينها اذا اشتاقت الى ولدها ذكر الخليل ذلك وفي الحديث
انه عليه السلام كان يصلي الى جذع في المسجد فلما اتخذ له المنبر وتحول
اليه حنت تلك الخشبة حتى سمع حنينها فهذا هو الاصل ثم قيل
تحنن فلان على فلان اذا انعطف عليه ورحمه وقد اختلف الناس في وصف
الله تعالى بالحنان فاجازه بعضهم وجعله بمعنى الرؤف الرحيم
ومنهم من اباه لما يرجع اليه اصل الكلمة قالوا ولم يرد هذا الخبر بهذه
اللفظة في اسمايه تعالى اذا عرفت هذا فنقول الحنان ههنا
فيه وجهان احدهما ان يجعل صفة لله تعالى والثاني ان يجعل صفة
ليحيى عليه السلام اما اذا جعلناه صفة لله فيكون التقدير واتيناه
الحكم حنانا اي رحمة من عندنا ههنا احتمالات الاول ان يكون الحنان
من الله تعالى ليحيى والمعنى واتيناه الحكم صبيا ثم قال تعالى وحنانا
من لدنا اي انما اتيناه الحكم صبيا حنانا عليه اي رحمة عليه وزكوة
اي وتزكية له وتشريفا له الثاني ان يكون الحنان من الله تعالى لزكريا عليه السلام

فكانه تعالى قال انا استجبنا لزكريا دعوته فان اعطيناه ولدا ثم اتيناه
الحكم صبيا وحنانا من لدنا عليه اي على زكريا فعلنا ذلك زكوة اي
تزكية له عن ان يصير مردود الدعا الثالث ان يكون الحنان من الله
تعالى لامة يحيى عليه السلام كانه قال واتيناه الحكم صبيا حنانا
منا على امته ليعظم انتفاعهم بعد اباته وارشاده اما اذا جعلناه
صفة ليحيى عليه السلام ففيه وجوه الاول اتيناه الحكم والحنان على
عبادنا اي والتعطف عليهم وحسن النظر لكافتهم فيما اليه من الحكم عليهم
كما وصف نبيه فقال فبما رحمة من الله لنت لهم وقال حريص عليكم
بالمومنين رووف رحيم ثم اخبر الله تعالى انه اتاه زكوة ومعناه ان تكون
شفقته داعية له الى الاخلال بالواجب لان الزانه والدين ربما اورثا
ترك الواجب الا ترى الى قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله
وقال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ولا تخافون لومة لائم والمعنى
انا جعلناه التعطف على عباد الله مع الطهارة عن الاخلال بالواجبات
ويحتمل اتيناه التعطف على الخلق والطهارة عن المعاصي فلم يعص ولم يهم
بمعصية وفي الاية وجه اخر وهو المنقول عن عطا بن ابي رباح
وحنانا من لدنا قال تعظيما من لدنا والمعنى اتيناه الحكم صبيا تعظيما
اذ جعلناه نبيا وهو صبي ولا تعظيم اكبر من هذا والدليل عليه انه مازوى
انه مر ورقة بن نوفل على بلال وهو يعذب فذ الطق الصوف ظهر بر مضا
البطحا وهو يقول احد احد فقال والذي نفسي بيده لو قتلتموه
لاتخذتموه حنانا اي تعظيما الصفة الرابعة قوله وزكوة وفيه
وجوه احدها ان اتيناه زكاة اي عملا صالحا اي زكيا عن ابن عباس
وقتادة والضحاك وابن جريج وثانيها ازكيناه بحسن الثنا عليه كما
يزكى الشهود للانسان وثالثها صدقة تصدق الله بها على ابويه
عن الكلبي ورابعها بركة ونما وهو الذي قاله عيسى عليه السلام
وجعلني مباركا اينما كنت واعلم ان هذا يدل على ان فعل العبد خلق الله
تعالى لانه تعالى جعل طهارته وزكاته من الله تعالى وحمله على الالطاف
بعيد لانه عدول عن الظاهر الصفة الخامسة قوله وكان تقيا
وقد عرفت معناه وبالجملة فانه يتضمن غاية المدايح لانه هو الذي
ينقي نفسه فيجتنبه ويتقي امره فلا يعمله واولى الناس بهذا الوصف

من لم يعص الله ولا هم بمعصية وكان يحيى عليه السلام كذلك فاذا قيل وما معنى
وكان تقيا وهذا ابتداء تكليف قلنا انما خاطب الله تعالى بذلك الرسول
واخبر عن حاله حيث كان كما اخبر عن نعم الله عليه الصفة السادسة
قوله وبرا بوالديه وذلك لانه لا عبادة بعد تعظيم الله مثل تعظيم
الوالدين وهذا السبب قال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا
الصفة السابعة قوله ولم يكن جبارا عصيا والمراد وصفه بالتواضع
ولين الجانب وذلك من صفات المومنين كقوله واخفض جناحك للمومنين
وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولان راس العبادات
معرفة الانسان نفسه بالذل ومعرفة ربه بالعظمة والكمال ومن عرف
نفسه بالذل كيف يليق به الترفع والتجبر ولذلك كان ابليس لما
تجبر وتمرد صار مبعدا عن رحمة الله وعن الدين وقيل الجبار وهو الذي
لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من العظمة والاعجاب بنفسه عن ان
يلزمه قضا حق لاحد وقال سفيان في قوله جبارا عصيا انه الذي
يقتل عند الغضب والدليل عليه قوله تعالى اتريد ان تقتلني كما
قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وقيل
من عاقب على غضب نفسه من غير حق لقوله تعالى واذا بطشتم
بطشتم جبارين الصفة الثامنة قوله عصيا وهو ابلغ
من العاصي كما ان العليم ابلغ من العالم الصفة التاسعة
قوله وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا
وفيه اقوال قال محمد بن جرير الطبري وسلام عليه اي امان من
الله تعالى يوم ولد من ان يناله الشيطان كما يناله سايربني
ادم ويوم يموت اي وامان عليه من الله تعالى عذاب القبر
ويوم يبعث حيا اي ومن عذاب القيامة وقال ابن
عيينة اوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى
نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما ما شاهد هم
قطا ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم فاكرم الله يحيى عليه السلام
فخصه بالسلامة عليه في هذه المواطن وثالثها قال عبد الله بن نفطويه
وسلام عليه يوم ولد اي اول ما راى الدنيا ويوم يموت اي اول يوم

يرى فيه الجنة والنار وهو يوم القيامة وانما قال حيا تنبيها
على كونه من الشهداء لقوله تعالى احياء عند ربهم يرزقون فروع
الاول هذا السلام يمكن ان يكون من الله تعالى وان يكون من
الملائكة وعلى التقديرين فدلالته تشريفه وفضله لا يخالف
لان الملائكة لا يسلمون الا عن امر الله تعالى الثاني ليحيى مزيته في
هذا السلام على ما لسائر الانبياء عليهم السلام كقوله سلام على
نوح في العالمين سلام على ابراهيم لانه قال يوم ولد وليس ذلك
لسائر الانبياء عليهم السلام الثالث روى ان عيسى عليه السلام
قال ليحيى عليه السلام انت افضل مني لان الله تعالى سلم عليك
وانا سلمت على نفسي وهذا ليس بقوي لان سلام عيسى على نفسه
يجري مجرى سلام الله على يحيى لان عيسى معصوم لا يفعل الا
ما امر الله به الرابع السلام عليه يوم ولد لان وان يكون
تفضلا من الله تعالى لانه لا يتقدم منه ما يكون ذلك جزاء له
واما السلام عليه يوم يموت ويوم يبعث في المحشر فقد يجوز ان يكون
ثوابا كالمدح والتعظيم والله تعالى اعلم القول في فوائد
هذه القصة الفائدة الاولى تعليم آداب الدعاء وفيه وجهان احدهما
قوله نداء خفيا وهو يدل على ان افضل الدعاء ما هذا حاله ويؤكده
قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية ولان رفع الصوت مشعر بالقوة
والجلادة واخفاء الصوت مشعر بالضعف والانكسار وعمدة الدعاء
الانكسار والتبري عن حول النفس وقوتها والاعتماد على فضل الله تعالى
واحسانه وثانيهما انه يستحب ان يذكر في مقدمة الدعاء عجز النفس وضعفها
كما في قوله وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ثم يذكر كثرة نعم الله على
ما في قوله ولم اكن بدعائك رب شقيا وثالثها ان يكون الدعاء لاجل شيء يتعلق
بالدين لا لمحض الدنيا كما قال واني خفت الموالي ورابعها ان يكون الدعاء بلفظ
يا رب على ما في هذا الموضع الفائدة الثانية اظهر درجات زكريا ويحيى
عليهما السلام اما زكريا فامور احدها نهاية تضرعه في نفسه وانقطاعه الى الله
تعالى بالكلية وثانيها اجابة الله تعالى دعاءه وثالثها ان الله تعالى ناداه وبشره
او الملائكة او حصل الامران معا ورابعها اعتقال لسانه بالكلام دون التسبيح
وخامسها انه يجوز للانبياء عليهم السلام طلب الآيات لقوله تعالى رب اجعل لي آية

الفائدة الثالثة كونه تعالى قادرا على خلق الولد وان كان الاوان في نهاية الشيخوخة
ردا على اهل الطبائع المفائدة الرابعة صحة الاستدلال في الدين لقوله تعالى
وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا الفائدة الخامسة ان الحمد ليس بشيء
والآية نص في ذلك فان قيل المراد ليرث شيئا ان قوله هل اتى على
الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قلنا الاحتمال خلاف الاصل
والحصر ان يقول الآية تدل على ان الانسان لم يكن شيئا ونحن نقول به
لان الانسان عبارة عن جواهر مؤلفة قامت بها اعراض مخصوصة والجواهر
المؤلفة الموصوفة بالاعراض المخصوصة غير ثابتة في العدم وانما الثابت
هو اعيان تلك الجواهر مفردة غير مركبة وهي ليست بانسان فظهر ان الآية
لا دلالة لها على المطلوب الفائدة السادسة ان الله تعالى ذكر هذه القصة
في سورة آل عمران وذكرها في هذا الموضع فلنعتبر حالها في الموضعين فنقول
الاول انه تعالى بين في هذه السورة انه دعا ربه وكم بين الوقت وبينه في
آل عمران بقوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى
لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا
زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة والمعنى ان زكريا عليه السلام
لما راى خرق العادة في حق مريم عليها السلام طمع في حق نفسه فدعا الثاني وهو
ان الله تعالى صرح في آل عمران بان المنادي هو الملائكة لقوله تعالى فنادته الملائكة
وهو قائم يصلي في المحراب وفي هذه السورة الاظهر ان المنادي بقوله يا زكريا انا
نبشرك هو الله تعالى وقد بينا انه لا منافاة بين الامرين الثالث انه قال
في آل عمران اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر فذكر اولا كبر
نفسه ثم عذر المرأة وهو في هذه السورة قال اني يكون لي غلام وكانت امرأتي
عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا وجوابه ان الواو لا تقتضي الترتيب الرابع
قال في آل عمران وقد بلغني الكبر وقال ها هنا وقد بلغت من الكبر وجوابه
ان ما بلغك فقد بلغته الخامس قال في آل عمران آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام
الا رمزا وقال ها هنا ثلاث ليال سويا وجوابه دلت الآيتان على ان المراد ثلاثة ايام
بلياليهن والله اعلم القصة الثانية قصة مريم وكيفية ولادة عيسى
عليه السلام اعلم ان الله تعالى انما قدم قصة يحيى على قصة عيسى عليهما السلام لما
خلق الولد من شخصين فانبين اقرب الى مناهج العادات من تخليق الولد من
الاب البتة واحسن الطرق في التعليم والتفهيم الاخذ من الاقرب فالاقرب

مترقيا من الاصعب الى الاصعب قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت
من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا
فتمثل لها بشرا سويا وفيه مسايل المسيلة الاولى اذ بدل من مريم بدل
اشتمال لان الاخبار مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقت
هذا الوقوع لهذه القصة العجيبة فيه المسيلة الثانية النبذ اصله الطرح
والالقا والانتباذ افتعال ومنه فنبذوه وراء ظهورهم وانتبذت
نهجت يقال جلس نبذة من الناس ونبذة بضم النون وفتحها اي
ناحية وهذا اذا جلس قريبا منك حتى لو انبذت اليه شيا وصل اليه ونبذت
الشي رميته ومنه النبذ لانه يطرح في الانا واصله منبوذ وتصرف الى فعيل
ومنه قيل للقيط منبوذ لانه رمي به ومنه النهي عن المنابذة في البيع وهو
ان يقول اذا نبذت اليك هذا او الحصاة فقد وجب البيع اذا عرفت هذا فنقول
قوله تعالى اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا معناه تباعدت وانفردت على سرعة
الى مكان بل ناحية الشرق ثم بين تعالى انها مع ذلك اتخذت من دون اهلها حجابا
وظاهر ذلك انها لم تقتصر على ان انفردت حتى انفردت الى موضع بينها وبينهم
حايل من حايط او غيره ويحتمل انها جعلت بين نفسها وبينهم سترا وهذا
الوجه الثاني اظهر من الاول ثم لا بد في احتجابها من ان يكون الغرض صحيحا
وليس مذكورا واختلف المفسرون فيه على وجوه احدها انها لما رات الحيض
تباعدت عن مكانها المعتاد للعبادة لكي تنتظر الطهر فتغتسل وتعود
فلما طهرت جاها جبريل عليه السلام وثانيها انها طلبت الخلوة لئلا
تشتغل عن العبادة وثالثها قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة
بشي يسترها ورابعها انها كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة
تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي
راسها فانفجر السقف لها فخرجت الى المفازة لتستقي فجلست في المشرقة
وراء الجبل فاتاها الملك وخامسها عطشت فخرجت الى المفازة لتستقي
واعلم ان هذا محتمل وليس في اللفظ ما يدل على ترجيح واحد منها
المسيلة الثالثة المكان الشرقي وهو الذي يلي بيت المقدس او شرقي
دارها وعن ابن عباس اني لاعلم خلق الله لاي شي اتخذت النصارى
الشرق قبلة لقوله تعالى مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة المسيلة

12

الرابعة انها لما جلست في ذلك المكان ارسل الله اليها الروح واختلف المفسرون
في هذا الروح فقال الاكثرون انه جبريل عليه السلام وقال ابو مسلم
انه الروح الذي تصور في بطنها بشرا والاول اظهر لان جبريل عليه
السلام يسمى روحا قال الله تعالى نزل به الروح الامين وسمي روحا
لانه روحاني وقيل خلق خلق من الريح وقيل لانه الذي يحيى به وقيل
انما سماه الله تعالى بروحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك
روحي وقرا ابن حيوة روحا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واحيايه
الروح الذي عند الله هو عدة للمتقين لقوله فاما ان كان من المقربين
فروح وريحان وجنة نعيم او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح
اي مقربنا ذا روحا واذا ثبت ان هذا يسمى روحا فههنا يجب ان يكون
المراد به هو لانه قال انا رسل ربك ليهب لك غلاما زكيا ولا يليق
ذلك الا لجبريل عليه السلام واختلفوا في انه كيف ظهر لها فالاول
انه ظهر لها على صورة امرد حسن الوجه سوي الخلق والثاني انه
ظهر لها على صورة قريب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وكل ملك محتمل
ولا دلالة في اللفظ على التعيين ثم قال وانما تمثل لها في صورة الانسان
لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه فلو ظهر لها في صورة الملايكة لنفرت
عنه ولم تقدر على استماع كلامه ثم ههنا اشكالات احدها وهو انه
لو جاز ان يظهر الملك في صورة انسان معين فحينيذ لا يمكننا القطع
بان هذا الشخص الذي اراه في الحال هو زيد الذي رايته بالامس
لاحتمال ان الملك او الجني تصور في صورته وفتح هذا الباب
يودي الى السفسطة لا يقال هذا انما يجوز في زمان جواز البعثة
واما في زماننا هذا فلا يجوز لانا نقول هذا الفرق انما يعلم
بالدليل فالجاهل بذلك الدليل يجب ان لا يقطع ان هذا الشخص الذي
اراه الان هو الشخص الذي رايته بالامس وثانيها انه جا في الاخبار
ان جبريل عليه السلام شخص عظيم جدا فذلك الشخص العظيم كيف
صار بدنه في مقدار جثة الانسان ابان تساقطت اجزاوه

وتفرقت منه فحينئذ لا يبقى جبريل عليه السلام او بان تداخلت اجزاؤه
وذلك يوجب تداخل الاجزاء وهو محال وانما وهو انا لو جوزنا ان يتمثل
جبريل عليه السلام في صورة الادمي فلم لا يجوز تمثله في صورة جسم
اصغر من الادمي حتى الذباب والبق والبعوض ومعلوم كل مذهب
جر الى ذلك فهو باطل ورابعها ان تجويزه يفتضي الى القدح في خبر
التواتر ولعل الشخص الذي حارب يوم بدر لم يكن جبريل بل كان شخصا
اخر يشبهه وكذا القول في الكل والجواب عن الاول ان ذلك بالتجويز
لازم على الكل لان من عرف بافتقار العالم الى الصانع المختار فقد قطع بكونه
تعالى قادرا على ان يخلق شخصا اخر مثل زيد في خلقته ومثل تخطيطه
واذا جوزنا ذلك فقد لزم الشك في ان زيدا المشاهد الان هو الذي
شاهدناه بالامس ام لا ومن انكر الصانع المختار واسند الحوادث الى اتصالات
الكواكب وتشكلات الفلك لزمه تجويز ان يحدث اتصال غريب في الافلاك
وتقتضي حدوث شخص مثل زيد في كل الامور وحينئذ يعود التجويز المذكور
وعن الثاني انه لا يمتنع ان يكون جبريل عليه السلام له اجزاء اصلية واجزاء
فاضلة والاجزاء الاصلية قليلة جدا فحينئذ يكون متمكنا من التشبه بهذه
الانسان هذا اذا جعلناه روحانيا فاي استبعاد بان يتدرع تارة
بالهيكل العظيم واخرى بالهيكل الصغير وعن الثالث ان اصل التجويز قوي
في العقل وانما عرف فساده بدلايل السمع وهو كجواب عن السؤال الرابع والله اعلم

قوله تعالى **قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا**

وفيه وجوه احدها اراد ت ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتجعل
بالاستعاذة به فانى عايذة به منك وهذا في نهاية الحسن لانها علمت
انه لا تاثير الاستعاذة الا في التقي وهو كقوله وذروا ما بقي من الربا ان
كنتم مومنين اي ان شرط الايمان يوجب هذا الا ان الله تعالى يحسن في حال
دون حال وثانيها ان معناه ما كنت تقيا حيث استحللت النظر
الي وخلوت بي وثالثها انه كان في ذلك الزمان انسان فاجر اسمه تقي
فلما سمع النساء ظنت مريم عليها السلام ان ذلك الشخص المشاهد هو ذلك
التقي والاول هو الوجه قوله تعالى **قال انما انا رسول ربك**

ليهب لك غلاما زكيا وفيه مسايل المسئلة الاولى لما علم جبريل خوفها
قال انما انا رسول ربك ليزول عنها ذلك الخوف ولكن الخوف لا يزول بمجرد
هذا القول بل لابد من دلالة تدل على انه كان جبريل عليه السلام وما
كان من الناس وههنا يحتمل انه قد ظهر معجز فدعرف به جبريل
عليه السلام ويحتمل انها من جهة زكريا عليه السلام عرفت صفة الملك
فلما قال لها انا رسول ربك اظهرها من باطن جسده ما عرفت به
انه ملك فيكون ذلك هو العلم وسال القاضي عبد الجبار في تفسيره
نفسه فقال اذا لم تكن بينة عندكم وكان من قولكم ان الله
تعالى لم يرسل الى خلقه الا رجالا فكيف يصح ذلك واجاب ان
ذلك انما وقع في زمان زكريا عليه السلام وكان رسولا وكل ذلك كان
عالما به وزكريا ما كان عنده علم بهذه الوقايع فكيف يجوز حمله
معجزا له بل الحق ان ذلك اما ان يكون كرامة لها او ارهاصا لعيسى
عليه السلام المسئلة الثانية قرا ابن وثاب بن عامر ليهب الله
لك فاما قوله لاهب لك ففي محاربه وجهان الاول ان الهبة لما حرمت
على يده بان كان هو الذي نفخ في جيبها باذن الله تعالى جعل نفسه كانه
هو الذي وهب لها واضافة الفعل الى ما هو سبب له مستعمل قال
تعالى في الاصنام انهن اضللن كثيرا من الناس الثاني ان جبريل عليه
السلام لما بشرها بذلك قالت تلك البشارة الصادقة جارية
مجرى الهبة فان قال فايل الدليل ان جبريل عليه السلام لا يقدر
على تركيب الاجزاء وخلق الحياة والعقل والنطق فيها والذي يقال فيه
ان جبريل عليه السلام جسم والجسم لا يقدر على هذه الاشياء ولانه لو قدر
على جسم ذلك لقدر عليه كل جسم لان الاجسام متماثلة فهو ضعيف لان
الخصم ان يقول لا نسلم ان كل محدث اما متحيز او قايم به بل ههنا
موجودات قايمة في نفسها لا متحيزة ولا قايمة بالمتحيز ولا يلزم من
كونها كذلك كونها امثالا لذات الله تعالى لان الاشتراك في الصفات
لا يوجب الاشتراك في ماهيات الموصوفات الثبوتية لا يقتضي التماثل
فكيف في الصفات السلبية سلمنا كونه جسما فلم قلت الجسم لا يقدر عليه
قوله الاجسام متماثلة قلنا نعني به انها متماثلة كونها حاصلة في
الاحياز ذاهبة في الجهات او نعني به انها متماثلة في تمام ماهياتها

والاول مسلم لكن لا حصولها في الاحياز صفات لتلك الذوات والاشتراك في الصفات
لا يوجب الاشتراك في ماهيات الموصوفات سلمنا ان الاجسام متماثلة
قلم لا يجوز ان يقال ان الله تعالى خص بعضها بهذه القدرة دون البعض
حتى انه يصح منها ذلك ولا يصح من البشر والجواب الخ ان
المعتمد في دفع هذا الاحتمال اجماع الامة وقد سبق والله اعلم المسئلة
الثالثة الزكي يفيد امورا ثلاثة الاول انه طاهر من الذنوب
والثاني انه ينمو على التركية لانه يقال فيمن لا ذنب له زكي وفي الزرع
النامي زكي والثالث الزاهة والطهارة فيما يجب ان يكون عليه ليصح
ان يبعث نبيا وقال بعض المتكلمين الاولى ان يحمل على الكل وهو ضعيف
لما عرفت في اصول الفقه ان اللفظ الواحد لا يجوز حمله على المعنيين
سواء كان حقيقة فيهما او في احدهما مجازا في الاخر المسئلة الرابعة
سماه زكيا مع انه لم يكن له شيء من الدنيا وانت اذا نظرت في سوقك
فمن لم يملك شيئا فهو يبقى عندك وانما الزكي من يملك المال والله يقول
كان زكيا لان سيرته الفقر وغناه الحكمة والكتاب وانت فانما تسمي
بالزكي من كانت سيرته الجهل وطريقه المال قوله تعالى قال اني
يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك
قال ربك هو علي هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان
امرا مقضيا وفيه مسائل المسئلة الاولى انها انما تعجبت مما
بشرها جبريل عليه السلام لانها عرفت بالعادة ان الولادة لا تكون
الا من رجل والعادات عند اهل المعرفة معتبرة في الامور وان
جوز اختلاف ذلك في القدرة فليس في قولها هذا دلالة على انها لم
تعلم انه تعالى قادر على خلق الولد ابتداء وكيف وقد عرفت انه تعالى
خلق ابا البشر على هذا الحد ولانها كانت منفردة بالعبادة ومن يكون
كذلك لابد وان يعرف قدرة الله تعالى على ذلك المسئلة الثانية
لقائل ان يقول قولها ولم يمسسني بشر يدخل تحته ولم اك بغيا فلم اذا اعاده
ومما يؤكد هذا السؤال انه في سورة آل عمران قالت رب اني يكون لي ولد
ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء فلم يذكر البغاء والجواب
من وجوه احدها انها جعلت المس عبارة عن النكاح الحلال لانه
كناية عنه لقوله من قبل ان تمسوهن والزنا ليس كذلك انما يقال

في هذا ونحوه اشبه ذلك ولا يليق رعاية الكنايات وثانيها انا اعدناها التعظيم حالها كقوله
تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل
وميكال فكذا ههنا انكم يعرف من النساء تزوج فاعظم حالها اذا اتت بولد تكون
زانية فاورد ذكر البغاء بعد دخوله في الكلام الاول لانه اعظم مما في باية المسئلة
الثالثة قال صاحب الكشاف البغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهو فعول عند
المبرد بغوى فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هو فعيل ولو
كان فعيلا كفتيل بغوكما قيل نهوعن المنكر المسئلة الرابعة ان جبريل عليه
السلام اجابها بقوله قال كذلك قال ربك هو علي هين وهو كقوله في آل
عمران قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون لا يمتنع
عليه ما يريد خلقه ولا يحتاج في اسبابه الى الآلات والمراد المسئلة الخامسة
الكناية في قوله هو علي هين وفي قوله ولنجعله اية للناس يحتمل وجهين
الاول ان تكون راجعة الى الخلق اي ان خلقه علي هين ولنجعل خلقه اية
للناس اذ ولد من غير ذكر رحمة يرحم بها عباده باظهار هذه الآيات حتى
تكون دلائل صدقه ابهر فيكون قبول قوله اقرب الثاني ان يرجع الى
الغلام وذلك لانها لما تعجبت من كيفية وقوع ذلك الامر على خلاف العادة
علمت ان الله تعالى جعل ولدها اية على وقوع ذلك الامر الغريب فاما
قوله تعالى ورحمة منا يحتمل ان يكون معطوفا على ولنجعله اي ولنجعله
اية للناس فعلنا ذلك ورحمة منا فعلنا ذلك ويحتمل ان يكون معطوفا
على الاية اي ولنجعله اية ورحمة فعلنا ذلك المسئلة السادسة قوله
وكان امرا مقضيا والمراد منه انه معلوم علم الله تعالى فيمتنع وقوع
خلافه لانه لو لم يقع لانقلب علم الله جهلا وهو محال والمفضي الى المحال
الى المحال محال فخلافه محال فوقوعه واجب ايضا فلان جميع الممكنات
منتهية في سلسلة الحاجة والقدر الى واجب الوجود واذا كان
واجب الوجود فلا فائدة في الحزن والاسف فهذا هو سر قوله
عليه السلام من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب
قوله تعالى فحملته فانتبذت به مكانا قصيا
فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل
هذا وكنت نسيا منسيا فيه مسائل المسئلة الاولى ذكر الله
تعالى امر النفخ في ايات فقال فنفخنا فيه من روحنا اي في عيسى

عليه السلام وكما قال لادم عليه السلام ونفخت فيه من روحي وقال فنفخنا فيهما الان
عيسى عليه السلام كان في بطنها واختلفوا في النافخ فقال بعضهم كان
النفخ من الله تعالى لقوله فنفخنا فيه من روحنا وظاهره يفيد ان النافخ هو
الله تعالى ولانه تعالى قال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من
تراب ومقتضى الشبه حصول المشابهة الا فيما اخرجه الدليل في حق
ادم النافخ هو الله تعالى لقوله ونفخت فيه من روحي فكذا ههنا
وقال اخرون النافخ هو جبريل عليه السلام لان الظاهر من قول جبريل عليه
السلام لاهب لك امرا ان يكون من قبله حتى يحصل الحمل لمريم فلا بد
من اضافة النفخ اليه ثم اختلفوا في كيفية ذلك النفخ على قولين الاول قول
وهب انه نفخ جبريل في جيبها حتى وصل الى الرحم والثاني في درياب
فوصلت الى الفرج والثالث قول السدي اخذ بكمها فنفخ في جيب
درعها فدخلت النفخة صدرها فحملت فجاءتها اختها امراة زكريا
تزورها فالتزمتها فلما التزمتها علمت انها حبلى وذكرت سر حملها
فقالت امراة زكريا اني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك
قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله والرابع ان النفخة كانت في فيها
فوصلت الى بطنها فحملت في الحال اذا عرفت هذا ظهر ان في الكلام
حذفا وهو ان قوله وكان امرا مقضيا فنفخ فيها فحملته المسئلة
الثانية قيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشرين
وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل وليس في القران
ما يدل على شيء من هذه الاحوال المسئلة الثالثة فانتبذت به
اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله تنبت بالدهن اي تنبت والدهن
فيها واختلفوا في الانتباذ على وجوه احدها ما رواه الثعلبي في
العرايس عن وهب قال ان مريم لما حملت بعيسى عليه السلام كان
معها ابن عمها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد
الذي عند جبل صهيون وكان يوسف ومريم يخدمان ذلك المسجد
ولا يعلم اهل زمانهما احدا اشد اجتهادا ولا عبادة منهما واول من
عرف حمل مريم يوسف فتحير في امرها فكلما اراد ان يتهمها
ذكر صلاحها وعبادتها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا اراد
ان يبرئها اي الذي يظهر بها من الحمل فاول ما تكلم ان قال انه وقع

في نفسي من امرك شيء وقد حرصت على كتمانه فغلبني ذلك فرايت ان
الكلام فيه اشفى لصدري فقالت قل قولا جميلا قال اخبريني
يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة من غير غيث
وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله تعالى انبت
الزرع يوم خلقه من غير بذر وهذا البذر انما حصل من الزرع الذي
انبته من غير بذر الم تعلم ان الله انبت الشجرة من غير غيث
وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجرة بعد ما خلق كل واحد منهما
على حدة او يقول على ان الله لا يقدر على ان ينبت الشجرة حتى
يستعان بالماء ولو لا ذلك لم يقدر على انباتها فقال يوسف لا اقول
هذا ولكني اقول ان الله قادر على ما يشاء فيقول له كن فيكون
فقالت له مريم اولم تعلم ان الله خلق ادم وامراته من غير ذكر
ولا انثى فعند ذلك زالت التهمة من قلبه وكان يثوب
عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وضيق
القلب فلما دنى نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك
ليلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف الى ارض مصر على حمار له
فلما خلفت تلك البلاد ادركها النفاس فالجاها الى اصل نخلة
وذلك في زمان برد فاحتضنتها فوضعت عندها وثانيها
انها استحيت من زكريا فذهبت الى مكان بعيد لا يعلم بها زكريا
وثالثها انها كانت مشهورة في بني اسرائيل بالزهد لنذر
امها وتشاح الانبياء في تربيتها وتكفل زكريا بها ولان
الرزق كان يأتيها من عند الله تعالى فلما كانت في نهاية
الشهرة استحيت من هذه الواقعة وذهبت الى مكان
بعيد ورابعها انها خافت لو ولدته فيما بين اظهرهم
واعلم ان هذه الوجوه محتملة وليس في القران ما يدل
على شيء منها المسئلة الرابعة اختلفوا في مدة حملها على
وجوه الاول قول ابن عباس انها كانت تسعة اشهر كما في سائر
النساء دليلنا ان الله تعالى ذكر مدابرها في هذا الموضع فلو كانت
عادتها في مدة حملها بخلاف عادات النساء لكان ذلك اولى بالذكر
الثاني انها كانت ثمانية اشهر ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر

الا عيسى ابن مريم عليهما السلام والثالث وهو قول عطا وابي العالية
والضحاك سبعة اشهر الرابع انها كانت ستة اشهر الخامس ثلاث ساعات
حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة السادس وهو
قول ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة ويمكن الاستدلال
عليه من وجهين الاول قوله فانتبذت به فاجاها المخاض فناداها
من تحتها والفا للتعقيب فدلت هذه الفاات على ان كل واحد من هذه
الاحوال حصل عقيب الاخرى من غير فصل وذلك يوجب كون مدة الحمل
ساعة واحدة لا يقال انتباذها مكانا قصيا كيف يحصل في ساعة
واحدة لانا نقول السدي فسره بانها ذهبت الى اقصى موضع في
جانب محرابها الثاني ان الله تعالى قال في وصفه ان مثل عيسى عند الله
كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فثبت ان عيسى عليه السلام
كما قال الله له كن فيكون فهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل انما تعقل
تلك المدة فيمن في حق من يتولد من النطفة المسيلة الخامسة
قصيا اي بعيدا من اهلها يقال مكان قاص وقصي بمعنى واحد
مثل عاص وعصي ثم اختلفوا فقيل اقصى الدار وقيل وراء الجبل وقيل سافرت
مع ابن عمها يوسف وقد تقدمت الحكاية المسيلة السادسة قال صاحب
الكشاف اجا منقول من جا الا ان استعماله قد يعز بعد النقل الى معنى الالجا
فلا يقول فانك لا تقول جيت المكان واجا نبه زيد كما تقول بلغته وابلغته
والمعنى ان طلقها الجاها الى جذع النخلة ثم يحتمل انها انما ذهبت الى النخلة
عنها انها تمنت الموت المسيلة السابعة قال في الكشاف قرا ابن كثير
في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض
الولد في بطنها المسيلة الثامنة قال في الكشاف كان جذع النخلة يابسا
في الصحرا ليس لها راس ولا ثمر ولا خضرة وكان الوقت شتا
والتعرض اما ان من تعريف الاسما الغالبة كتعريف النجم وابن الصعق
كان تلك الصخرة كان فيها جذع نخلة مشهور عند الناس فاذا قيل
جذع النخلة فهو منه ذلك دون غيره واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع
هذه الشجرة خاصة فان الله تعالى ارشدها الى النخلة ليطعمها منها
الرطب الذي هو اشد الاشيا موافقة للنسا لان النخلة اشد الاشيا
صبرا على البرد ولا تثمر الا عند اللقاح واذا قطعت راسها لم تثمر

فكانه

فكانه تعالى قال كما ان الانثى لا تلد الا مع الذكر فكذا النخلة لا تثمر الا عند اللقاح
ثم اني اظهر الرطب من غير اللقاح ليدل ذلك على جواز ظهور الولد من غير ذكر
المسيلة التاسعة لم قالت يا ليتني مت قبل هذا مع انها كانت تعلم ان
الله تعالى بعث جبريل عليه السلام اليها ووعدها بان يجعلها وولدها
اية للعالمين والجواب من وجوه الاول قال وهب انها امناها كربة الغربة
وما سمعته من الناس بشارة الملايكة بعيسى عليه السلام والثاني ان
عادة الصالحين اذا وقعوا في بلا ان يقولوا ذلك روي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه راى طاير على شجرة فقال طوبى لك يا طاير تقع على شجري
وتاكل من ثمري وددت اني ثمرة ينقرها الطاير وعن عمر رضي الله عنه
انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة لم اكن شيا وعن علي
رضي الله عنه انه قال يوم الجمل يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة
وعن بلال رضي الله عنه انه قال ليت بلال لم تلده امه فثبت ان هذا
الكلام يذكره الصالحون عند اشتداد البلا الثالث لعلها قالت ذلك
لئلا تقع في المعصية وعن التكلم فيها والا فهي راضية بما بشرت به
المسيلة العاشرة قال صاحب الكشاف الشي من حقه ان ينسى ويطرح
فخرقة الطامث ونحوه كالريح اسم ما من شانه ان يذبح وفديناه
بذبح عظيم تمنت لو كانت شيا تافها لا يوبه له من حقه ان ينسى في
العادة وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة نسيا بالفتح قال الفرا
هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر وقرا محمد بن كعب
القرظي نسا بالهمز وهو الحليب المخلوط بالما ينساه اهله لقلته
وقرا الاعمش نسيا بالكسر على الاتباع كالمقبرة والمحبرة قوله تعالى
فناداها من تحتها ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا
وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا
جنيا فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر
احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا
فيه مسايل المسيلة الاولى فناداها من تحتها القراة المشهورة
فناداها من تحتها بالفتح الميم وقرا حمزة والكسائي ونافع وحفص
بكسرها وفي المنادي ثلاثة وجوه الاول انه عيسى عليه السلام
وهو قول الحسن وسعيد بن جبير والثاني انه جبريل عليه السلام

وانه كان كالقايلة للوجه الثالث ان المنادي على القراءة بالفتح هو عيسى عليه السلام
وعلى القراءة بالكسر هو الملك وهو مروي عن ابن عيينة وعاصم والاول اقرب
لوجوه الاول ان قوله فناداها من تحتها بالفتح انما يستعمل اذا كان قد
علم قبل ذلك ان ثمة ما احد والذي علم كونه تحتها حاصلا هو عيسى عليه السلام
فوجب حمل اللفظ عليه واما القراءة بكسر اليم فهي لا تقتضي كون المنادي
جبريل عليه السلام فقد صح قولنا الثاني ان ذلك الموضع موضع السكوت
والنظر الى العورة ولا يليق ذلك بالملايكة عليهم السلام الثالث ان قوله ناداها
فعل ولا بد ان يكون فاعله قد تقدم ذكره وقد تقدم قبله قبل هذه الاية ذكر
جبريل وعيسى عليهما السلام الا ان ذكر عيسى اقرب لقوله فحملته فانتبذت به
والضمير عايد الى المسيح فكان اقرب فحمله عليه اولى الرابع وهو دليل الحسن
ان عيسى عليه السلام لو لم يكن كلمها لما علمت انه ينطق وما كانت تشير
الى عيسى بالكلام فما من قال المنادي عيسى فالمعنى ان الله تعالى انطقه
حين وضعه تطمينا لقلبها وازالة الوحشة عنها حتى تشاهد في اول الامر
ما تشرها به جبريل عليه السلام من علو شان ذلك الولد ومن قال
المنادي جبريل عليه السلام قال انه ارسل اليها فنادى بهذه الكلمات
كما ارسل اليها في اول الامر ليكون مذكورا لها ما تقدم من اصناف البشارات
فاما قوله من تحتها فان حملناه على الولد فلا سوال وان حملناه على الملك فعلى
وجهان الاول ان يكونا معا في مكان مستو ويكون هناك مبدا للنفس
تلك النخلة فكل من هو اقرب منها كان فوق وكل من كان بعيد منها
كان تحت وقرا الكلبي قوله تعالى اذ جاءكم من فوقكم ومن اسفل منكم
بذلك على هذا الوجه قال بعضهم انه ناداها من اقصى الوادي والثاني
ان يكون موضع احدهما اعلى من موضع الاخر فيكون صاحب العلو فوق
صاحب السفل وعلى هذا الوجه قال بعضهم انه ناداها من الوادي
والثالث ان يكون موضع احدهما تحت النخلة وروي عكرمة انها كانت
حين ولدته على تل رابيه وفيه وحيم رابع وهو يحكي عن عكرمة وهو ان
جبريل عليه السلام ناداها من تحت قدميها فهذه التفسيرات الثلاثة
يحتمل ان تكون مرادة وانها ما اراته وليس في اللفظ شيء يدل على
ذلك المسئلة الثانية اتفق المفسرون الا الحسن وعبد الرحمن بن
زيد ان السري هو النهر والجدول يسمى بذلك لان الماء يسري فيه

واما الحسن وابن زيد جعلا السري عيسى والسري هو النبيل الجليل يقال فلان
من سروات قومه اي من اشرافهم وروي ان الحسن رجع عنه وروى عن
قتادة وغيره ان الحسن تلا هذه الاية وبجنبه حميد بن عبد الرحمن الحميري
فدرجعل ربك تحتك سريا فقال ان السري وان كان للنهر فقال له حميد
يا ابا سعيد انما هو الجدول فقال له الحسن من ثم تعجبنا منك
واحتج من حمله على النهر بوجهين الاول انه سبحانه وتعالى
عن السري فقال هو الجدول والثاني قوله فكلي واشربي يدل على انه
نهر حتى ينضاف الماء الى الرطب فتاكل وتشرب واحتج من حمله على
عيسى عليه السلام بوجهين الاول ان النهر لا يكون تحتها بل الى
جانبها ولا يجوز ان يجاب عنه بان المراد انه جعل النهر تحت امرها
يجري بامرها ولقف بامرها كما في قوله تعالى وهذه الانهار تجري من تحتي
لان هذا حمل اللفظ على مجازه وكو حملناه على عيسى لم يحتج الى هذا المجاز
والثاني انه موافق لقوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية والجواب
عنه ما تقدم ان المكان المستوي اذا كان فيه مبدا معين فكل من
كان اقرب منه كان فوقه وكل من كان ابعد منه كان تحت فرعان
الاول اذا حملنا السري على النهر ففيه وجهان الاول ان جبريل عليه
السلام ضرب برجله الارض فخرج ماء عذب الثاني انه كان هناك ماء
جاري والاول اقرب لان قوله قد جعل ربك تحتك سريا يشعر الحدوث
في ذلك الوقت ولان الله تعالى ذكره تعظيما لشانها وذلك لا يثبت
الا على الوجه الذي قلناه الثاني اختلفوا في ان السري هل هو النهر مطلقا
وهذا قول ابي عبيدة والفراء والنهر الصغير على ما هو قول الاخفش
المسئلة الثالثة قال الفقهاء الجذع من النخلة هو الاسفل
وما دون الراس الذي عليه الثمر وقال قطرب كل خشبة في
اصل شجرة فهو جذع واما الباقي في قوله بجذع النخلة فزايدة
والمعنى هزي اليك اي جري جذع قال الفراء تقول العرب هزه
وهزيه وخذ الخطام وخذ بالخطام وزر وجنك ثلاثة وبثلاثة
وبفلانة ودلانه وقال الاخفش يجوز ان يكون على معنى هزي
اليك رطبا بجذع النخلة اي على جذعها اذا عرفت هذا فنقول

وقد تقدم ان الوقت كان شتا والنخلة كانت يابسة واختلفوا في انه هل اثمر الرطب
وهو على حاله او تغير وهل اثمر من الرطب غيره والظاهر يقتضي انه صار
نخلة بقوله جذع النخلة وانه ما اثمر الا رطبا المسئلة الرابعة قال
صاحب الكشاف تساقط فيه تسع قراات بادغام التا وتساقط بطرح التا
الثانية وتساقط وتسقط بنقص التا للنخلة والتا للجذع المسئلة الخامسة
رطبا تمييزا او مفعولا على حسب القراات والجني الماخوذ طريا وعن طلحة
ابن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع والمعنى جمعنا لك في الرطب والسري
فايدتين احداهما الاكل والشرب والثانية سلامة الصدر بكونها معجزتين
فان قال قايل تلك الافعال الخارقة للعادات لمن قلنا قالت المعتزلة
انها كانت معجزة لزكريا عليه السلام وهذا باطل لان زكريا عليه السلام
كان له علم بحالها ومكانها فكيف بتلك المعجزات بل الحق انها كانت كرامة
لمريم عليها السلام المسئلة السادسة قوله فكلي واشربي وقري عينا
بكسر القاف لغة نجد ونقول قدم الاكل على الشرب فان حاجة النفسا
في الرطب اشد من احتياجها الى شرب الما لكثرة ما سال منها من
الدما ثم قال وقري عينا وههنا سوال وهو ان مضرة الخوف اشد
من مضرة الجوع والعطش الدليل عليه امرين احدهما ان الخوف الم
الروح والجوع الم البدن والم الروح اقوى من الم البدن والثاني
ما روي انه اجيعت شاة ثم قدم العلف اليها وعندها ذيب
فبقيت الشاة مدة طويلة لا تنال العلف مع جوعها خوفا من الذيب
ثم كسر رجليها وقدم العلف اليها فتناولت العلف مع الم البدن
فدلت هذه الحكاية على ان الم الروح اشد من الم البدن اذا ثبت هذا
فلم قدم الله تعالى في الاية دفع ضرر الجوع والعطش على دفع ضرر
الخوف والحق ان هذا الخوف كان قليلا لان بشارة جبريل عليه السلام
كانت تقدمت فما كانت تحتاج الى التذكير مرة اخرى المسئلة السابعة
قال صاحب الكشاف ترين بالهمز عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول
وخلات السويق وذلك للمقاربة بين الهمز وحروف اللين
في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك
مثله وقيل صياما لانهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم فعلى هذا كان ذكر الصوم
دالا على الصمت وهذا النوع من النذر كان جايزا في شرعهم وهل يجوز

مثل هذا النذر في شرعنا قال القفال لعله يجوز لان الاحتراز من كلام الادميين
وتجريد الفكر بذكر الله تعالى قربة ولعله لا يجوز لما فيه من التضييق
وتعذيب النفس كنذر القيام في الشمس وروي انه لما دخل ابو بكر
على امراة قد نذرت انها لا تتكلم فقال ابو بكر ان الاسلام هدم هذا فتكلمي
المسئلة الثامنة امرها الله تعالى بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع
من اتهمها في الكلام لمعنيين احدهما ان كلام عيسى عليه السلام اقوى
في ازالة التهمة في كلامها وفيه دلالة على ان تفويض الكلام الى الافضل
اولى والثاني كراهة مجادلة السفها وفيه ان السكوت عن السفيه
واجب من امثال الناس لم يجد ساقها المسئلة التاسعة
اختلفوا هل في انها هل قالت لهم اني نذرت للرحمن صوما فقال
قوم انها ما تكلمت معهم بذلك لانها كانت مامورة بان تاتي بهذا
النذر فلو تكلمت معهم بعد ذلك لوقعت في المناقضة ولكنها سكتت
واشارت براسها وقال اخرون انها ما نذرت في الحال بل صبرت
حتى القوم فذكرت لهم اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا
وهذه الصفة وان كانت عامة الا انها بالقرينة صارت
مخصوصة في حق هذا الكلام قوله تعالى فاتت به قومها
تحمله قالوا يا مريم لقد جيت شيا فريا يا اخت هارون
ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا
فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد
صبيا فيه مسايل المسئلة الاولى اختلفوا في انها كيف اتت
بالولد على اقوال الاول ما روي عن وهب قال انها ذكرت الندا
وما سمعت الندا من كلام الناس اي ما كان من الملايكة من البشارة
بعيسى عليه السلام فلما كلمها جاها مصداق ذلك واحتملته واتت
به الى قومها الثاني ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يوسف
انتهى بمريم الى غار فادخلها فيه اربعين يوما حتى طهرت من النفاس
ثم اتت به قومها تحمله وكلمها عيسى عليه السلام في الطريق فقال
يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه وهذان الوجهان محتملان
وليس في القران ما يدل على التعيين المسئلة الثانية الفري وهو من

ثري الجلد وروى انهم لما راوا معها عيسى عليه السلام قالوا لها لقد جئت شيا
فريا ويحتمل ان يكون المراد لقد جئت شيا عجيبا خارجا عن العادة من دون تعمد
دم ويحتمل ان يكون مرادهم شيا عظيما منكرا فيكون ذلك منهم على وجه الذم
وهذا اظهر لقولهم بعد يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك
بغيا لان هذا الكلام ظاهره التوبيخ واما هارون ففيه اربعة اقوال احدها
انه رجل صالح من بني اسرايل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح والمراد انك كنت
في الزهد كهارون فكيف صرت هكذا وهو قول قتادة وكعب وابن زيد والمغيرة
ابن شعبة ذكران هرون الصالح اتبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمون هرون
تبركا باسمه الثاني انه اخو موسى عليه السلام روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انما عنوا
هرون النبي وكانت من اعقابه ولذا قالوا يا اخت هرون كما يقال يا اخا همدان
اي واحد منهم الثالث انه كان معلنا بالفسق فنسبت اليه وعلى هذا الاخت
بمعنى النسبة لا بمعنى النسب الرابع كان لها اخ يسمى هرون من صلحاء بني اسرايل
فعيرت به وهذا هو الاقرب لوجهين الاول ان الاصل في الكلام الحقيقة وانما
يكون ظاهرا لانه محمول على حقيقته لو كان اخ مسمى بهرون الثاني انها اضيفت اليه
ووصف ابوها بالصلاح فحينئذ يكون التوبيخ لان من كان حال ابيه واخيه
هذا الحال يكون صدور الذنب منه اقبح المسئلة الثالثة القراءة المشهورة
ما كان ابوك امرا سوء وعمر بن يحيى قرا ما كان اباك المسئلة الرابعة انهم لما بالغوا
في توبيخها سكتت واشارت الى عيسى عليه السلام اي هو الذي يكلم اذا طعنتموه
وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا بسخريتها اشد من رميها اور وي انه كان يرضع
فلما سمع ذلك ترك الرضاعة واقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار بسبابته
وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان وقيل ان زكريا
عليه السلام اتاها عند مناظرة اليهود اياها فقال لعيسى انطق بحجتك
ان امرت بها فقال عيسى عند ذلك اني عبد الله فان قيل كيف عرفت مريم
عن حال عيسى انه يتكلم قلنا ان جبريل او عيسى عليهما السلام ناداها من تحتها
ان لا تحزني وامرها عند رؤية الناس بالسكوت فصار ذلك كالتنبيه لها على ان المجيب
هو عيسى عليه السلام ولعلها عرفت ذلك بالوحي اليها على سبيل الكرامة بقي ههنا
بحثان الاول قوله كيف نكلم من كان في المهد صبيا معناه كيف يكلم الناس صبيا في المهد
فكان ههنا بمعنى حصل ووجد وهذا الاولى في تاويل هذا اللفظ وان كان الناس
ذكروا فيه وجوها اخر الثاني اختلفوا في المهد فقيل هو حجرها لما روي انها اخذته عليه

السلام في خرقة فاتت به قومها فلما راوها قالوا لها ما قالوا فاشارت اليه وهو في
حجرها ولم يكن لها منزلة بعد حتى المهد والمعنى كيف نكلم صبيا سيله
ان يتم في المهد قوله تعالى قال اني عبد الله اتاني الكتاب
وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة
والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا
والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا
اعلم انه وصف نفسه بصفات تسع الصفة الاولى قوله اني عبد
الله وفيه فوائد الاولى ان الكلام منه في ذلك الوقت سبب الوهم
الذي ذهب اليه النصارى فلما جرم اول ما تكلم بما يرفع ذلك الوهم
فقال اني عبد الله كان ذلك الكلام موهما من حيث انه صدر عنه في تلك الحالة
ولكن ذلك الوهم يزول فلا يبقى من حيث انه تتصيص على العبودية الفائدة
الثانية لما اقر بالعبودية فان كان صادقا في مقالته فقد حصل الغرض
وان كان كاذبا لم تكن القوة الهية بل كانت قوة سلطانية وعلى كلا التقديرين
يبطل كونها الها الفائدة الثالثة ان الذي شد الحاجة اليه في ذلك الوقت
انما هي نفي تهمة الزنا عن مريم ان عيسى عليه السلام لم ينص على ذلك وانما نص
على اثبات عبودية نفسه كان جعل كالة ازالة التهمة عن الام فلهذا
اول ما تكلم تكلم بهذا الفائدة الرابعة وهو ان الة تكلم بازالة هذه التهمة
عن الله تعالى اولى من ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لا يخص الفاجرة
بولد في هذه الدرجة العالية والمرتبة العظيمة اما الكلم بازالة التهمة
عن الام لا يفيد ازالة التهمة عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك ههنا اولى
مجموع ما في هذا اللفظ من القول واعلم ان مذهب النصارى مختبط جدا
فقد اتفقوا على انه سبحانه وتعالى ليس بجسم ولا متحيز وعند ذلك فانا
نذكر تقسيما حاصرا يبطل مذهبهم على جميع الوجوه فنقول اما ان يعتقدوا
انه سبحانه وتعالى متحيز اولا يعتقدوا كونه متحيزا فان اعتقدوا كونه
متحيزا انطلت امامهم باقامة الدلالة على حدوث الاصنام وحينئذ
يبطل كل ما فرعوا عليه وان اعتقدوا انه ليس بمتحيز يبطل قول بعضهم
ان الكلمة اختلطت بالناسوت اختلاط الماء بالخمر وامتزجت امتزاج
الماء بالخمر لان ذلك لا يتقرر الا في الاجسام فان لم يكن جسما استحال ذلك
ثم نقول للناس قولان في الانسان منهم من يقول انه هو هذه الهيئة او جسم

موجود في داخلها ومنهم من يقول انه جوهر مجرد عن الجسمية والحلول في الاجسام
فنقول هؤلاء النصاري اما ان يعتقدوا ان الله تعالى اوصفة من صفاته
انحدت ببدن المسيح او في نفسه او لا نقول بالاتحاد ولا بالحلول ولكن نقول
ان الله تعالى اعطاه القدرة على خلق الاجسام والحياة والقدرة فكان لهذا
السبب الها اولا نقول شيأ من ذلك ولكن نقول على سبيل التعريف اتخذه
كما اتخذ ابراهيم على سبيل القبول خليلا هذه هي الوجوه المنقولة في هذا الباب
والكل باطل اما القول بالاتحاد فهو باطل قطعا لان الشيئين اذا اتحدا فاما
حال الاتحاد اما ان يكونا موجودين او معدومين او يكون احدهما موجودا
والاخر معدوما فان كانا موجودين فهما اثنان لا واحدا والاتحاد باطل وان عدما
وحصل ثالث فهذا ايضا لا يكون اتحادا بل فعل بعدم ذلك الشيئين وحصول
شيء ثالث فان بقي احدهما وعدم الاخر فالمعدوم يستحيل ان يتحد بالموجود
لانه يستحيل ان يقال المعدوم بعينه هو الموجود فظهر بهذين القرعين القاهرين
ان الاتحاد باطل واما الحلول فلنا فيه مقامان الاول ان التصديق مسبوق
بالتصور فلا بد من البحث على عن ماهية الحلول حتى يمكننا القول بانه هل
يصح عن الله اولا يصح ذكروا للحلول تفسيرات ثلاثة احداها كون الشيء في
غيره ككون ماء الورد في الورد والدهن في السمسم والنار في الفحم واعلم ان هذا
باطل لان هذا انما يصح لو كان الله تعالى جسما وهم وافقوا على انه ليس بجسم
وثانيها حصوله في الشيء على سبيل حصول اللون في الجسم فنقول المعقول
من هذه الهيئة حصول اللون في ذلك الجزء تبعا لحصول محله فيه وهذا
ايضا انما يعقل في حق الاجسام لا في حق الله تعالى ثالثها حصوله في الشيء
على سبيل حصول الاضافيات من الصفات الذوات فنقول هذا ايضا
خطا لان المقصود من هذه الهيئة الاحتياج فلو كان الله تعالى في شيء بهذا
المعنى لكان محتاجا فكان ممكنا مفتقرا الى الغير وذلك محال واذا ثبت
انه لا يمكنهم تفسير هذا الحلول بمعنى مختص يمكن اثباته في حق الله تعالى امتنع
اثباته المقام الثاني احتج الاصحاب على نفي الحلول مطلقا بان قالوا لو حل
لحل اما مع وجوب ان يحل او مع جواز ان يحل والقسمان باطلان فالقول
بالحلول باطل انما قلنا انه لا يجوز ان يحل مع وجوب ان يحل لانه لو كان كذلك لكان
محتاجا الى المحل والمحتاج الى الغير ممكن لذاته والممكن لذاته لا يكون واجبا
لذاته وانما قلنا انه لا يجوز ان يحل مع جواز ان يحل لانه لما كانت ذاته واجبة

الوجود لذاته وحلوله في المحل امر مغاير والموصوف بالوجوب غير ما هو موصوف
بالجواز فلزم ان يكون طوله في المحل لو كان زايدا على ذاته ولكان حلول ذلك
الزايد في المحل زايدا على ذاته ولزم التسلسل وهو محال والثاني ان حلوله في ذلك المحل
لما كان زايدا على ذاته فاذا حل في محل وجب ان يحصل فيه صفة محدثة
وذلك محال لانه لو كان قابلا للحوادث لكانت تلك المقابلية من لوازم
ذاته فكانت حاصلة ازلا وذلك محال لان وجود الحوادث في الازل محال
فحصول قابليتها يجب ان يكون ممتنع الحصول فاذا قبل لم لا يجوز ان يحل
مع وجوب ان يحل قوله لانه يلزم اما حدوث الحال او قدم المحل في
الاول ما وجد المحل فلم يوجد شرط هذا الوجوب فلا جرم لم يجب الحلول
حصل هذا الشرط فلا جرم وجب سلمنا انه يلزم اما
حدوث الحال او قدم المحل فلم لا يجوز قوله لانا دللنا على حدوث الاجسام
قلنا لم لا يجوز ان يكون محله ليس بجسم ولكنه يكون عقلا او نفسا او هيولا
على ما يقوله بعضهم ودليلكم على حدوث الاجسام لا يفيد حدوث هذه
الاشياء قوله ثانيا الوحل مع وجوب ان يحل لكان محتاجا الى المحل قلنا لا نسلم
بل ههنا احتمالان احدهما ان العلة وان امتنع انفكاكها عن الحلول
لكنها لا تكون محتاجة الى المعلول فلم لا يجوز ان يقال ان ذاته غنية عن
ذلك المحل ولكن ذاته توجب حلول نفسها في ذلك المحل فيكون وجوب
حلولها في ذلك المحل من معلولات ذاته فقد ثبت ان العلة وان استحال
انفكاكها عن المعلول لكن ذلك لا يقتضي احتياجها الى المعلول الثاني
ان يقال انه مع ذاته يكون غنيا عن المحل وعن الحلول الان يوجب
لذاته صفة الحلول والمفتقر الى المحل صفة من صفاته الاضافية الى
الغير وذلك لان جميع الصفات الاضافية الحاصلة لاجل كونه اولا واخرا
ومقارنا ومؤثرا ومعلوما ومذكورا فيما لا يتحقق الا عند حصول الغير
وكيف لا والاضافات لا بد من تعلقها بتحقق امرين سلمنا ذلك فلم
لا يجوز ان يحل مع جواز ان يحل قوله يلزم ان يكون حلوله في زايدا عليه
اما كون الحلول حالا في المحل امرا واجب فلا يلزم ان يكون قابلا للحوادث
في الازل قلنا لا شك ان تمكنه من الايجاد ثابت له اما لذاته او لامر ينتهي
الى ذاته وكيف ما كان يلزم صحة كونه مؤثرا في الازل فكل ما ذكرتموه في المؤثر

فنحن نتذكره في القابلية والجواب انا نقرر هذه الدلالة بوجه اخر بحيث يسقط
عنها هذه الاسولة فنقول ذاته اما ان تكون كافية في اقتضاء هذا الحلول
او لا تكون كافية في ذلك فان كان الاول استحال توقف ذلك الاقتضاء على
حصول شرط فيعود ما قلنا انه يلزم اما قدم المحل او حدوث الحال وان
كان الثاني كان كونه مقتضيا لذلك الحلول امرا زايدا على ذاته،
حادثا فيه فنعلي التقديرات كلها يلزم من حلوله في محل حدوث شي فيه
لكن يستحيل ان يكون قابلا للحوادث والا لزم ان يكون في الازل قابلا لها
وهو محال على ما بينا اما المعارضة بالقدرة فغير واردة علينا لانه تعالي
لذاته قادر على الايجاد في الازل فهو في الازل قادر على الايجاد في الازل
فهاهنا ايضا لو كانت ذاته قابلة للحوادث لكانت في الازل قابلة
لها في الذكور هذا تمام القول في هذه الادلة ولنا
في ابطال قول النصاري وجوه احدها انهم وافقونا على ذاته سبحانه
وتعالى لم تحل في ناسوت عيسى بل قالوا الكلمة حلت فيه والمراد من
الكلمة العلم فنقول العلم لما حصل في عيسى عليه السلام ففي تلك
الحالة اما ان يقال انه بقي في ذات الله تعالي او ما بقي فان كان الاول
لزم حصول الصفة الواحدة في محلين وذلك غير معقول ولانه لو جاز
ان يقال العلم الحاصل في ذات عيسى عليه السلام هو العلم الحاصل
في ذات الله تعالى بعينه فلم لا يجوز في حق كل واحد ذلك حتى يكون
العلم الحاصل لذات الله تعالى وان كان الثاني لزم ان يقال ان الله
تعالى لا يكون عالما بعد حلول علمه في عيسى عليه السلام وذلك مما لا يقوله
عاقل وثانيها مناظرة جرت بيني وبين بعض النصاري فقلت له
هل تسلم ان عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول اولا فان انكرت
لزمك ان لا يكون الله تعالى قديما لان دليل وجوده هو العالم فاذا لزم
من عدم الدليل عدم المدلول فنقول انما جوزت اتحاد كلمة الله تعالي
بعيسى عليه السلام او حلولها فكيف عرفت ان كلمة الله تعالى ما حلت في
زيد وعمرو بل كيف عرفت انها ما حلت في هذه الهرة وفي هذا الكلب فقال لي
ان هذا السوال لا يليق بك لانا اذا اثبتنا ذلك الاتحاد والحلول بنا على
ما ظهر على يد عيسى عليه السلام من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص فاذا لم نجد شيا
من ذلك على يد غيره فكيف نثبت الايجاد او الحلول فقلت له اني عرفت بهذا الكلام

انك ما عرفت كلامي الاول لانك سلمت لي ان عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول فاذا كان هذا
الحلول غير ممتنع في الجملة فاكثر ما في الباب ان وجود ما يدل على حصوله في حق
عيسى ولم يوجد ذلك الدليل في حق زيد وعمرو ولكن عدم الدليل لا يدل على
عدم المدلول ولا يلزم من عدم ظهور هذه الحوادث على يد زيد وعمرو
وعلى السنور والكلب عدم ذلك الحلول فثبت انك مهما جوزت القول
بالايجاد والحلول لزمك تجويز حصول ذلك الايجاد وذلك الحلول
في حق كل احد بل في حق كل حيوان ونبات ولا شك ان المذهب الذي سوق
قابله بلا مثل هذا القول الركيك يكون باطلا قطعا ثم قلت له
وكيف دل احيا الموتي وابرا الاكمه والابرص على ما قلت ليس ان انقلاب
العصا ثعبانا ابعد من انقلاب الميت حيا فاذا اظهر ذلك على موسى لم
يدل على العصمة فمن لا يدل هذا على العصمة عيسى اولى وثالثها
ان نقول دلالة احوال عيسى على العبودية اقوى من دلالتها على الربوبية
لانه كان مجتهدا في العبادة والعبادة لا تليق الا بالعبيد وانه كان
في نهاية البعد عن الدنيا والاحتراز عن اهلها حتى قالت النصاري ان
اليهود قتلوه ومن كان في الضعف هكذا فكيف دل احيا الموتي وابرا الاكمه
والابرص على ما قلت ليس ان انقلاب العصا يليق به الربوبية ورابعها
المسيح اما ان يكون قديما او محدثا والقول بقدمه باطل لانا نعلم بالضرورة
انه ولد وكان طفلا ثم صار شابا وكان ياكل ويشرب ويعرض له ما يعرض
لسائر البشر وان محدثا كان مخلوقا ولا معنى للعبودية الا ذلك فان قيل
المسيح بالرصنه ان حلت صفة الاله فيه قلنا انه هب انه كان كذلك لكن
الحال هو صفة الاله والمسيح هو المحل والمحل محدث مخلوق فما هو المحل عند
محدث فكيف يمكن وصفه بالالهية وخامسها ان الولد لا بد وان يكون من
جنس الوالد فان كان لله ولد فلا بد وان يكون من جنسه فاذا اشتركا
في بعض الوجوه فان لم يتميز احدهما عن الاخر بامر ما فكل واحد منهما
هو الاخر وان حصل الامتياز فما به الامتياز غير ما به الاشتراك فيلزم
وقوع التركيب في ذات الله وكل مركب ممكن فالواجب ممكن هذا خلف محال
هذا كله على الايجاد والحلول الاحتمال الثالث وهو ان يقال معنى كونه
الها ان الله سبحانه خص نفسه او ما به بالقدرة على خلق الاجسام والتصرف
في هذا العالم وهذا باطل لما قدروا على قتله لان النصاري حكوا عن الضعف

والعجز وان اليهود قتلوه فلو كان قادرا على خلق الاجسام لما قدروا على قتله
بل كان هو يفنيهم ويخلق لنفسه عسكرا يذبون عنه واما الاحتمال الرابع
وهو انه اتخذ ابنا لنفسه على سبيل التشريف فهذا قد قال به قوم من النصارى
يقال لهم الارميوا سيه وليس فيه كثير خطا الا رما اللفظ فهذا جملة الكلام
على النصارى وبه ثبت صدق ما حكاه الله عنه انه قال اني عبد الله الصفة
الثانية قوله اتاني الكتاب وفيه مسايل المسيلة الاولى اختلف الناس
فيه فالجمهور على انه قال هذا الكلام حال صغره وقال ابو القاسم البلخي انه انما
قال ذلك حين كان كالمراهق الذي يفهم وان كان لم يبلغ حد التكليف واما الاولون
فلهم قولان احدهما انه كان في ذلك الصغر نبيا والثاني روي عن عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال من قوله اتاني الكتاب وجعلني نبيا انه حكم وقضى بان
يبعثني من بعد ولما تكلم بذلك سكت وعاد الى حال الصغر ولما بلغ ثلاثون
سنة بعثه الله نبيا واحتج من نصر هذا القول على فساد الاول بامور احدها
ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز ان يكون ناقص الخلقة بحيث ينفر وهذا الحد
من الصغر منفر بل فوق التنفير اعظم من ان يكون امرة وثانيها انه
لو كان نبيا في الصغر لكان كمال عقله متقدما على ادعايه للنبوة لان النبي
لا بد وان يكون كامل العقل ولكن كمال عقله في ذلك الوقت خارق للعادة
فيكون المعجز متقدما على التحدي فانه غير جايز وثالثها ان لو كان نبيا في ذلك
الوقت لوجب ان يستقل ببيان الاحكام وتعريف الشرايع ولو وقع ذلك لاشتهر
وليقل فحيث لم يحصل ذلك علمنا انه ما كان نبيا في ذلك الوقت اجاب
الاولون عن الكلام الاول بان كون الصبي نقصا ليس لذاته بل لامر يرجع الى
صغر جثته ونقصان فهمه فاذا ازال الله هذه الاشيا لم يحصل النفرة بل
يكون الرغبة الى استماع قوله وهو على هذه الصفة اتم واكمل وعن الكلام الثاني
لم لا يجوز ان يقال انه ارهاص لنبوته او كرامة لمريم عليها السلام وعند
الارهاص والكرامات جايزة وعن الكلام الثالث لم لا يجوز ان يقال مجرد
بعثته اليهم من غير بيان شي من الاحكام جايز وبعد البلوغ اخذ في شرح
الاحكام فثبت بهذا لا امتناع في كونه نبيا في ذلك الوقت وقوله اتاني
الكتاب يدل على كونه نبيا في ذلك الوقت فوجب اجراوه على ظاهره بخلاف
ما قاله عكرمة اما قول ابي القاسم البلخي بعيد وذلك لان الحاجة في كلام
عيسى انما كانت عند وقوع التهمة على مريم المسيلة الثانية اختلفوا

في ان ذلك الكتاب فقال بعضهم هو التوراة لان الالف واللام في الكتاب
ينصرف الى المعهود والكتاب المعهود هو التورية وقال ابو مسلم المراد هو
الانجيل لان الالف واللام ههنا للجنس اي اتاني من هذا الجنس وقال قوم
المراد هو التوراة هو التوراة والانجيل لان الالف واللام للاستغراق المسيلة
الثالثة اختلفوا في انه متى اتاه الكتاب ومتى جعله نبيا لان قوله اتاني الكتاب
وجعلني نبيا يدل على ذلك قد حصل من قبل اما ملاصقا لذلك الكلام او متقدما
عليه بزمان والظاهر انه قبل ان كلمهم اتاه الله الكتاب وجعله نبيا وامره
بالصلاة والزكوة وان يدعوا الى الله والى دينه والى ما خص به من الشريعة
فقبل هذا الوحي نزل عليه وهو في بطن امه وقيل كما انفصل من الام اتاه الله
الكتاب والنبوة وانه تكلم مع امه واخبرها بحاله واخبرها بانه يكلمهم
بما يدل على براحالها فلهذا اشارت اليه بالكلام الصفة الثالثة قوله
وجعلني نبيا قال بعضهم اخبر انه نبي ولكنه ما كان رسولا لانه في ذلك
الوقت ما جا بالشريعة ومعنى كونه نبيا انه رفيع القدر على الدرجة
وهذا ضعيف لان النبي في عرف الشرع هو الذي خصه الله بالرسالة خصوصا
اذا قرن اليه ذلك الشرع وهو قوله واوصاني بالصلوة والزكوة الصفة
الرابعة قوله وجعلني مباركا اينما كنت ولقايل ان يقول كيف جعله مباركا
والناس كانوا قبله على الملة الصحيحة فلما جا صار بعضهم يهودا وبعضهم
نصارى قايلين بالتثليث ولم يبق على الحق الا القليل والجواب ذكروا
في تفسير المبارك وجوها احدها ان البركة في اللغة هي الثبات واصله من بروك
البعير فمعناه جعلني ثابتا على دين الله مستقرا عليه وثانيها ان انما كان مباركا لانه
كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم الى طريق الحق فان ضلوا فمن قبل انفسهم لا من قبله
سلمت ام عيسى عيسى الى الكتاب فقال للمعلم ادفعه اليك على ان لا تضربه فقال
له المعلم اكتب فقال اي شي اكتب قال اكتب ابجد فقال لا اكتب شيا لا ادري
ثم قال ان لم تعلم ما هو فانا اعلمك الالف من الا الله والبا من بهايه والجيم من جمال الله
والدال من ادا الحق الى الله وثالثها البركة والزيادة والعلم فكانه قال جعلني في جميع الاحوال
عاليا مفلحا مفحما لان ما دمت ابقى في الدنيا اكون مستعليا على الغير بالحجة فاذا جا الوقت
المعلوم يكرمني الله تعالى بالرفع الى السما ورابعها مباركا على الناس من حيث يحصل
بسبب دعايه احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص عن قتادة راته امراة وهو يحيي الموتى
ويبري الاكمه والابرص فقالت فقالت طوبى لبطن حملك والذي ارضعت فقال عيسى مجيبا لها

طوبى لمن تلا كتاب الله ويتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا اما قوله اينما كنت
فهو يدل على ان حاله لم يتغير كما قيل انه عاد الى حال الصغر وزال التكليف
الصفة الخامسة قوله واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا فان قيل
كيف امره بالصلاة والزكاة مع انه كان طفلا صغيرا والقلم مرفوع عنه على
ما قال عليه السلام رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحديث جوابه
من وجهين الاول ان قوله واوصاني بالصلاة والزكاة لا يدل على انه تعالى اوصاه
بادائهما في الحال بل لعل المراد انه تعالى اوصاني بهما وبادائهما في الوقت المعين
له وهو وقت البلوغ الثاني لعل الله تعالى كما انفصل عيسى عليه السلام من
امه صيره بالغا عاقلا تام الاعضا والخلقة وتحقيقه قوله تعالى ان مثل عيسى
عند الله كمثل ادم فلما انه تعالى خلق ادم كاملا تاما دفعة فكذا القول في عيسى
عليه السلام وهذا القول الثاني اقرب الى الظاهر لقوله ما دمت حيا فانه
يفيد ان هذا التكليف متوجه عليه في جميع ازمان حياته ولكن لقائل ان يقول
لو كان الامر كذلك لكان القوم حين راوه فقد راوه شخصا كاملا تاما
الخلقة وصدور الكلام عن مثل هذا الشخص لا يكون عجبا فكان ينبغي ان لا يتعجبوا
فلعل الاولى ان يقال انه تعالى جعله مع صغر جثته قوي التركيب كامل
العقل بحيث يمكنه ادا الصلوة والزكوة والاية دالة على ان تكليفه لم يتغير
حين كان في الارض وحين كان رفع الى السما وحين ينزل مرة اخرى الصفة
السادسة قوله وبرا بوالدتي وهذا يدل على قولنا ان فعل العبد مخلوق
لله تعالى لان الاية تدل على ان كونه برا انما حصل بجعل الله وخلقه وحمله على الالطاف
الاول عن الظاهر ثم قوله وبرا بوالدتي اشارة الى تنزيه امه عن الزنا اذ لو كانت
زانية لما كان الرسول المعصوم مامورا بتعظيمها قال صاحب الكشاف جعل
ذاته برا لفرط بره او نصبه في فعلي بمعنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني
بالصلاة وكلفني بها واحد الصفة السابعة قوله ولم يجعلني جبارا شقيا
فهذا ايضا يدل على قولنا لانه لما بين ان الله تعالى جعله برا ولم يجعله جبارا فهذا انما
يحسن لو ان الله تعالى جعل غيره جبارا وغيره برا بامه فان الله تعالى لو فعل ذلك بكل احد
لم يكن لعيسى عليه السلام تخصيص بذلك ومعلوم انه عليه السلام انما
ذكر ذلك في معرض التخصيص وقوله ولم يجعلني جبارا اي ما جعلني متكبرا بل
انا خاضع لامي متواضع لها ولو كنت جبارا كنت عاصيا شقيا روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال قلبي لين وانا صغير في نفسي وعن بعض العلما لا يجد العاق
الا جبارا شقيا وتلى وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ولا يجد مني الملائكة الا
مختارا فخورا وقال وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا

كان حو

الصفة

الصفة الثامنة قوله والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث
حيا وفيه مسايل المسيلة الاولى قال بعضهم لام التعريف في السلام منصرف
الى ما تقدم في قصة يحيى عليه السلام من قوله وسلام عليه اي السلام الموجه
اليه في المواطن الثلاثة موجه الى ايضا قال صاحب الكشاف الصحيح ان يكون
هذا التعريف تعريضا باللعنة على من اتهم مريم بالزنا وتحقيقه ان اللام للاستغراق
فاذا قال والسلام علي فكانه قال وكل السلام علي وعلى اتباعي فلم للاعدا الا
اللعن ونظيره قول موسى عليه السلام والسلام على من اتبع الهدى بمعنى ان العذاب
على من كذب وتولى وكان المقام مقام اللجاج والعناد فيليق به مثل هذا التعريض
المسيلة الثانية روي عن عيسى عليه السلام انه قال ليحيى عليه السلام انت خير مني سلم الله عليك
وسلمت على نفسي واجاب الحسن فقال ان تسليمه سلام عليه المسيلة الثالثة قال
القاضي السلام عبارة عما يحصل به ومعه السلامة في النعم وزوال الافات وكانه
سال ربه وطلب منه ما اخبر الله تعالى انه فعله بيحيى ولا بد في الانبيا من ان يكونوا
مستجابي الدعوة واعظم احوال الانسان احتياجا الى السلامة وهي هذه الاحوال
الثلاثة وهي يوم الولادة ويوم الموت ويوم البعث فجمع الاحوال التي يحتاج فيها
الى السلامة واجتماع السعادة من قبله تعالى ليكون مصونا من الافات والمخافات
في كل الاحوال واعلم ان اليهود والنصارى ينكرون ان عيسى عليه السلام تكلم في
حال الطفولية واحتجوا عليه بان هذا من الوقايع العجيبة التي يتوفر الدواعي على
نقلها فلو وقعت لنقلت بالتواتر ولو كان كذلك لعرفه النصارى لا سيما وهم اشد
الناس بحثا عن احواله واشد الناس علوا فيه حتى زعموا كونه الها ولا شك ان
الكلام في الطفولية من المناقب العظيمة والفضايل التامة قلنا لم تعرفه
النصارى مع شدة الحب وكمال البحث عن احواله علمنا انه لم يوجد ولان اليهود
اظهروا عداوته كما حال ما اظهر ادعا النبوة فلو انه عليه السلام تكلم في زمان
الطفولية وادعا الرسالة لكانت عداوتهم معه اشد ولكان قصدهم قتله
اعظم فحيث لم يحصل شي من ذلك علمنا انه ثم ما تكلم اما المسلمون فقد احتجوا من
جهة العقل على انه تكلم بانه لو تكلم كان كلامه الذي تكلم على براة امه من الزنا لما
تركوا اقامة حد الزنا عليها ففي قولهم لذلك دلالة على انه عليه السلام تكلم
في المهد واجابوا عن الشبهة الاولى بانه ربما كان الحاضرون عند كلامه قليلين
فلذلك لم يشتهر وعن الثاني لعل اليهود ما حضروا هناك وما سمعوا كلامه
فلذلك لم يشتغلوا بقصد قتله قوله تعالى ذلك عيسى بن مريم قول

اي لايبلين بحكمته وكمال المتانه واحتج اصحابنا بالاية على هذا التفسير انه ليس من
ان يفعل كل شيء لانه تعالى صرح بانه ليس له هذا الاتخاذ اي ليس اي ليس له هذا
الاخبار واجاب اصحابنا عنه بان الكذب محال على الله تعالى وقد قال
ما كان لله ان يتخذ من ولد اما قوله تعالى سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له
كن فيكون ففيه مسايل المسيلة الاولى انه تعالى لما قال سبحانه ثم قال عقيبه اذا
قضى امرا فانما يقول له كن فيكون كان ذلك كالحجة على التنزيه عن الولد
وبيان ذلك ان الذي يجعل ولدا لله اما ان يكون قديما ازليا او يكون محدثا فان
كان ازليا فهو محال لانه لو كان واجبا لذاته كان واجب الوجود لكثر واجب
هذا خلف فان كان ممكنا لذاته كان مفتقرا في وجوده الى الواجب لذاته فيكون
الواجب لذاته عينا لذاته ويكون الممكن لذاته محتاجا لذاته فيكون غيرا له
لانه لا معنى للعبودية الا ذلك واما ان كان الذي يجعل ولدا يكون محدثا فيكون
وجوده بعد عدمه بخلق ذلك القديم وايجاده هو المراد من قوله اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون فيكون عبدا لا ولدا فثبت انه يستحيل ان يكون لله
تعالى ولدا المسيلة الثانية احتج الاصحاب بقوله اذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون على قدم كلام الله قالوا الان الاية تدل على انه تعالى اذا اراد احداث
شيء قال له كن فيكون ولو كان قوله محدثا لافتقر حدوثه الى قول اخر ولزم
التسلسل وهو محال فثبت ان قول الله قديم لا محدث واحتج المعتزلة بالاية
على حدوث كلام الله تعالى من وجوه احدها انه تعالى ادخل كلمة اذا وهذه الكلمة
دالة على الاستقبال فوجب ان لا يحصل ذلك القول الا في الاستقبال وثانيها
ان حروف الفا للتعقيب والفا في قوله فانما يقول يدل على تاخر ذلك القول عن
ذلك القضاء والمتاخر عن غيره محدث وثالثها الفا في قوله فيكون يدل على حصول ذلك
الشيء عقيب ذلك القول من غير فصل فيكون قول الله متقدما على حدوث الحادث
بعد ما بلا فصل والتقدم على المحدث بعد ما بلا فصل يكون محدثا فقول الله
محدث واعلم ان الاستدلال الفريقين ضعيف اما استدلال الاصحاب
فلانه يقتضي ان يكون قوله كن قديما وذلك باطل بالاتفاق لان المركب من الحروف
محدث بالاتفاق واما استدلال المعتزلة فلانه يقتضي ان يكون قول الله الذي
هو المتركب من الحروف والاصوات محدثا وذلك لا نزاع فيه انما المدعي قدم شيء
اخر المسيلة الثالثة من الناس من اجرى الاية على ظاهرها فزعم انه تعالى اذا
احدث شيئا قال له كن وهذا ضعيف لانه اما ان يقول له كن قبل حدوثه او حال حدوثه

اي لايبلين

سبحن الذي وفيه سبعون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون فيه مسايل المسيلة الاولى قراء عاصم وابن عامر قول
الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعلى الحسن بضم القاف
وذكر ابو الامام قوله الحق والقول والقال والقول في معنى واحد كالرهف
والرعب والرهف اما ارتفاعه فعلى انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا
محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله او على انه مصدر مؤكد لمضمون
الجملة فالقول هو عبد الله الحق لا الباطل المسيلة الثانية لشبهة ان المراد
بقوله عيسى ابن مريم الاشارة الى ما تقدم وهو قوله اني عبد الله اتاني الكتاب اي
ذلك الموصوف بهذه الصفات هو عيسى بن مريم وفي قوله عيسى بن مريم اشارة
الى انه ولد هذه المراة وابنها لا ابن الله فاما قول الحق ففيه وجوه احدها وهو ان
نقض عيسى هو قول الحق وذلك ان الحق هو اسم الله وقد ثبت ان يقول
عيسى كلمة الله وهو ان تقول عيسى قول الحق وثانيها ان يكون المراد ذلك
عيسى بن مريم قول الحق الا انك اضفت الموصوف الى الصفة فهو كقوله
ان هذا لهو حق اليقين فاية قولك القول الحق تاكيد ما ذكرت اولا من كون عيسى
ابا لمريم وثالثها ان يكون قول الحق خبر المبتدا المحذوف كانه قيل عيسى بن مريم
ووصفنا له وهو قول الحق فكانه تعالى وصف اولا ثم ذكر ان الموصوف عيسى بن مريم
ثم ذكر ان هذا الوصف اجمع هو قول الحق على معنى انه ثابت لا يجوز ان يبطل كما يبطل
ما يقع فيه من المرية ويكون في معنى ان هذا هو الحق اليقين واما امتراؤهم في عيسى
عليه السلام فالمذاهب التي حكيناها من قول اليهود والنصارى وقد تقدم ذكر
ذلك في سورة ال عمران وروي ان عيسى عليه السلام لما رفع احضر اربعة من اكابر
علمائهم فقيل للاول ما تقول في عيسى قال هو الله هبط الى الارض فخلق واحيا
ثم صعد الى السما فتبعه على ذلك خلق وهم اليعقوبية فقيل للثاني ما تقول
قال هو ابن الله فتابعه على ذلك خلق وهم النسطورية وقيل للثالث ما تقول قال هو
ثالث ثلاثة الله واسه الله فتابعه على ذلك ناس وهم الاسرائيلية وقيل للرابع ما تقول
فقال هو عبد الله ورسوله وهو المومن المسلم وقال اما تعلمون ان عيسى كان
يطعم وينام وان الله تعالى لا يجوز ذلك عليه فخصمهم اما قوله ما كان لله ان
يتخذ من ولد لا كقولك ما كان الله ان يكون له ثاني وشريك فيكون المراد ذلك
الا بصح ولا ينبغي بل يستحيل ذلا يكون نفيا على الحقيقة وان كان في صورة النفي
الثاني المراد ما كان لله ان يقول لاحد انه ولدي لان هذا الخبر كذب والكذب
لا يليق بحكمة الله وكماله فقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد كقولنا ما كان لله ان يظلم

فان كان الاول فهو حقا كان ذلك خطاما مع المعدوم وهو عبث وان كان الثاني
فهو حال حدوثه قد وجد بالقدرة والارادة فاي تاثير لقوله كن فيه ومن
الناس من زعم ان المراد من قوله كن هو التخليق والتكوين وذلك لان القدرة
على الشيء غير وتكوين الشيء غير فان الله سبحانه قادر في الازل وانه الان قادر
على عوالم سوى هذا العالم وغير مكون لها فالقادرية غير المكونية والتكوين
ليس هو نفس المكون لانا نقول المكون انما حدث لان الله تعالى كونه واوجده
فلو كان التكوين نفس المكون لكان قولنا المكون انما وجد بتكوين الله تاز لا منزلة
قولنا المكون انما وجد بنفسه وذلك محال فثبت ان التكوين غير المكون
فقوله كن اشارة الى الصفة المسماة بالتكوين وقال اخرون قوله كن عبارة
عن نفاذ قدرة الله ومشيئته في الممكنات فان وقوعها بتلك القدرة والارادة
من غير امتناع واندفاع يجري مجرى العبد المطيع المسخر المنفاذ لاوامر مولاه
فعبر الله تعالى عن ذلك المعنى بهذه العبارة على سبيل الاستعارة قوله
تعالى **وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم**
فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم
عظيم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم
في ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة
وهم لا يومنون انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون
اعلم ان في قوله وان الله ربي وربكم ففيه مسائل المسئلة الاولى قرا
المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه وقرا
الكوفيون وابو عبيدة بالكسر على الابتداء وفي حروف ان الله بالكسر بغير واو
اي بسبب ذلك فاعبدوه فلا بد وان يكون قائل هذا غير الله تعالى وفيه
قولان الاول التقدير فقل يا محمد ان الله ربي وربكم بعد اظهار البراهين الباهرة
في ان عيسى هو عبد الله الثاني قال ابو مسلم الاصفهاني الواو في قوله
وان الله عطف على قوله عيسى اني عبد الله اتاني الكتاب فكانه قال اني
عبد الله والله ربي وربكم فاعبدوه وقال وهب بن منبه عهد اليهم حين
اخبرهم عن بعثه ومولده ان الله ربي وربكم اي كلنا عبيد الله المسئلة
الثالثة قوله وان الله ربي وربكم يدل على ان مدبر الناس ومصلح امورهم
هو الله وهو خلاف قول المنجمين ان مدبر الناس ومصلح امورهم
في السعادة والشقاوة هم الكواكب ويدل ايضا ان الدلالة واحد لان لفظ

الله اسم علم له سبحانه فلما قال ربي وربكم اي لا رب للمخلوقات سوى الله
تعالى وذلك يدل على ان التوحيد اما قوله فقد ثبت في اصول الفقه
ان ترتيب الحكم على الوصف المناسب يشعر بالعلية فههنا لما امر
بالعبادة وقع مرتبا على ذكر وصف الربوبية دل على انما يلزمنا
عبادته سبحانه وذلك يدل على انه تعالى انما يجب عبادته لكونه منعما
على الخلائق باصول النعم وفروعها ولذلك فان ابراهيم عليه السلام
لما منع اباه عن عبادة الاوثان قال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئا يعني انها لما لم تكن منعمة على العباد فلم يجب
عبادتها في هذه الاية ثبت ان الله تعالى لما كان ربا ومربيا للعباد
وجبت عبادته فقد ثبت طردا ان علينا تعلق العبادة بكون
المعبود منعما اما قوله هذا صراط مستقيم يعني القول بالتوحيد
ونفي الولد والصاحبة صراط مستقيم انما سمي هذا القول بالصراط
المستقيم تشبيها بالطريق لانه الموصل الى الجنة اما قوله فاختلف الاحزاب
من بينهم ففي الاحزاب اقوال الاول المراد فرق النصارى على ما بينا
اقسامهم الثاني المراد النصارى واليهود فجعلهم بعضهم وكذا بعضهم
كذابا الثالث المراد الكفار بحيث يدخل فيهم اليهود والنصارى والكفار
الذين كانوا في زمان محمد عليه الصلاة والسلام اذا قلنا المراد بقوله وان
الله ربي وربكم اي قل يا محمد وان الله ربي وربكم وهذا القول اظهر لانه
لا تخصيص فيه وكذا قوله فويل للذين كفروا موكد لهذا الاحتمال واما
قوله من مشهد يوم عظيم فالمشهد اما ان يكون هو المشهود وما يتعلق به
او الشهادة وما يتعلق بها اما الاول فيحتمل ان يكون المراد من المشهد نفس
نفس شهود هم هول الحساب والجزا في يوم القيمة او مكان الشهود فيه
وهو الموقف او وقت الشهود واما الشهادة فيحتمل ان يكون المراد شهادة
الملائكة والانبيا وان يكون شهادة السنتهم وايديهم وارجلهم فالكفر وسوء
الاعمال وان يكون مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى
وامه وانما وصف ذلك المشهد بانه عظيم لانه لا شيء اعظم مما يشاهد ذلك اليوم من
محاسبة ومسئلة ولا شيء من المنافع اعظم مما هنالك من الثواب ولا من المضار
اعظم مما هنالك من العقاب اما قوله اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا ففيه
مسيلتان المسيلة الاولى قالوا التعجب هو استعظام الشيء مع الجهل بسبب

عظمته ثم يجوز لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب او من غير ان يكون
العظمة سبب حصول التعجب قال الفراء قال سفيان قرات عند شريح بل
عجبت ويسخرون فقال ان الله لا يعجب من شيء انما يعجب من لا يعلم قال
فذكرت ذلك لابراهيم النخعي قال ان شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله اعلم
بذلك منه وقد قرن بل عجبت ويسخرون ومعناه انه صدر من الله تعالى فعل
او صدر مثله من الخلق دال على حصول التعجب في قلبهم وبهذا التاويل يضيف
الكر والاستهزاء الى الله تعالى اذا عرفت هذا فنقول للتعجب صيغتان
احداهما افعله والثانية افعل به كقوله تعالى اسمع بهم وابصر والنحويون
ذكروا له تاويلان الاول قالوا اكرم بزيد اصله اكرم زيدا اي صار ذا كرم
كاغدا البعير اي صار ذا غدة الا انه اخرج على لفظ الامر ما معناه الخبر كما اخرج على
لفظ الخبر ما معناه الامر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن والوالدات
يرضعن اولادهن من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن اي يمد له الرحمن وكذا
قوله رحمه خيرا وان كان الدعاء فالباء زايده كما في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
انه امر لكل احد بان يجعل زيدا كثير ما اي بان يامر بصفه بالكرم والباء زايدة كما
في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ولقد سمعت لبعض الادباء فيه تاويلا ثالثا
وهو ان قولك اكرم بزيد يفيد ان زيدا بلغ في الكرم الى حيث كانه في ذاته صار كرما
حتى لو اردت جعل غيره كذلك فهو الذي يلصقك بمقصودك ويحصل لك غرضك كما
ان اذا قلت اكتب بالقلم فمعناه ان القلم هو الذي يلصقك بمقصودك ويحصل
لك غرضك كذا هنا والمسئلة الثانية قوله اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا فيه
ثلاثة اوجه احدها وهو المشهور الاقوى ومعناه اسماعهم وابصارهم والتعجب
على الله تعالى محال على ما تقدم وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير
بان يتعجب بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد فيما يسمعون ويبصرون
مما يسوءهم ويفجع قلوبهم وثانيها قال القاضي ويحتمل ان يكون المراد اسمع هؤلاء
وابصرهم اي عرفهم حال يوم الذي يانونا ليعتبروا ويتزجروا وثالثها قال الجبائي
ويحتمل ويجوز اسمع الناس هؤلاء وابصرهم ليعرفوا امرهم وسوء عاقبتهم
فيتزجروا عن الاتيان بما فعلهم اما قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين
ففيه قولان الاول لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وفي الاخرة يعرفون
الحق الثاني لكن الظالمون اليوم في الاخرة في ضلال الجنة بخلاف
المومنين واما قوله وانذرهم فلا شبهة في امره لمحمد عليه السلام

بان ينذر من في زمانه ويصلح ان يجعل هذا كالدلالة على ان قوله
واختلف الاحزاب اراد اختلاف جميعهم في زمن الرسول عليه السلام
واما الانذار هو التخفيف من العذاب لكي يحذروا من ترك
عبادة الله تعالى فبين واما يوم الحسرة فلا شبهة في انه
يوم القيامة من حيث يكثر التحسر من اهل النار وقيل يتحسر
ايضا من في الجنة اذا لم يكن من السابقين الواصلين الى الدرجة
العالية والاول هو الصحيح كان الحسرة غم وذلك لا يليق باهل الثواب
اما قوله اذ قضي الامر ففيه وجوه احدها اذ قضي الانبياء الدلائل
وشرح امر الثواب والعقاب وثانيها اذ قضي الامر بوقوع الحسرة بعنا
الدنيا وزوال التكليف والاول اقرب لقوله تعالى وهم لا يومنون فكانه
تعالى بين انه اظهر الحجج والبينات وهم في غفلة وهم لا يومنون
وثالثها انه سيل النبي عليه السلام عن قوله وقضي الامر قال حين يجاء
بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظران فيزداد اهل
الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم واعلم ان الموت عرض
فلا يصير جسما حيوانيا بل المراد انه لا موت البتة بعد ذلك اما قوله
وهم في غفلة اي هم في غفلة عن ذلك اليوم وعن كيفية حسرتهما لا يومنون
بذلك اليوم ثم قال بعده انا نحن نرث الارض ومن عليها اي هذه الامور
تزول الى ان لا يملك الضر والنفع الا الله والينا يرجعون اي الى محل
حلمنا وقضايانا فانه تعالى منزه عن المكان حتى يكون الرجوع اليه وهذا
تخويف عظيم وزجر بليغ للعصاة القصة الثالثة قصة ابراهيم
عليه السلام قوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان
صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا
يبصر ولا يغني عنك شيا يا ابت اني قد جاني من العلم
ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا يا ابت لا تعبد
الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت اني
اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان
وليا اعلم ان الغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة
والحشر والمنكرون للتوحيد هم الذين اثبتوا معبودا سوى الله
تعالى وهولاء فريقان منهم من اثبت معبودا غير الله تعالى حيا عاقلا

واما هو هم النصارى ومنهم من اثبت معبودا غير الله جماد ابس بحي ولا
قادر ولا عاقل ولا قاهر وهم عبدة الاوثان والفريقان وان اشتركا في الضلال
الا ان ضلال الفريق الثاني اعظم فلما بين الله تعالى ضلال الفريق الاول تكلم
في ضلال الفريق الثاني وهم عبدة الاوثان فقال واذكر في الكتاب ابراهيم
والواو في قوله واذكر عطف على قوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا كانه لما انتهت
قصة زكريا وعيسى عليهما السلام قال قد ذكرت حال زكريا فاذكر حال
ابراهيم وانما امر بالذكر لانه عليه السلام ما كان هو لا قومه ولا اهل بلدته
مشتغلين بالتعليم والمطالعة الكتب فاذا اخبر عن هذه القصة كما
كانت من غير زيادة ولا نقصان كان ذلك اخبارا عن الغيب ومعجزا قاهرا
دالا على نبوته وانما شرع في قصة ابراهيم عليه السلام لوجوه احدها ان
ابراهيم عليه السلام كان ابا للعرب وكانوا مقرين بعلو شانه وطهارة دينه
على ما قال تعالى ملة ابيكم ابراهيم وقال ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من
سفه نفسه فكانه تعالى قال للعرب ان كنتم من المقلدين لاباءكم على ما هو قولكم
انا وجدنا اباءنا على امة فعليكم ان اشرف اباءكم واجلهم قدرا هو ابراهيم عليه السلام
فقلدوه في ترك عبادة الاوثان وان كنتم من المستدلين فانظروا في هذه
الدلايل التي ذكرها ابراهيم عليه السلام لتعرفوا فساد عبادة الاوثان وبالجملة
فاتبعوا ملة ابراهيم اما تقليدا او استدلالا وثانيها ان كثيرا من الكفار في
زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون كيف نترك دين اباءنا واجدادنا
فذكر الله تعالى قصة ابراهيم عليه السلام وبين انه ترك دين ابيه وابطل قوله
بالدليل ورجح متابعة الدليل على متابعة ابيه ليعرف الكفار ان ترجيح
جانب الاب على جانب الدليل رد على الاب الاشرف الاكبر الذي هو ابراهيم عليه السلام
وثالثها ان كثيرا من الكفار كانوا يتمسكون بالتقليد ويبكرون الاستدلال
على ما قالوا انا وجدنا اباءنا لها عابدين فحكى الله تعالى عن ابراهيم التمسك
بطريقة الاستدلال تنبيها على سقوط الطريقة ثم قال تعالى في وصف
ابراهيم عليه السلام انه كان صديقا نبيا وفي الصديق قولان احدهما انه
مبالغة في كونه صادقا وهو الذي يكون عادته الصدق لان هذا البناء يدل
على ذلك فقال رجل خمير وسكير للمولع بهذه الافعال والثاني انه الذي
يكون كثير التصديق بالحق حتى يصير مشهورا به وذلك لان المصدق
بالشيء لا يوصف بكونه صديقا الا اذا كان صادقا في ذلك التصديق

فيعول

فيعول الامر الى الاول فان قيل اليس قد قال تعالى والذين امنوا بالله
ورسله اولئك هم الصديقون قلنا المومنون بالله ورسوله صادقون
في ذلك التصديق واعلم ان النبي عليه السلام يجب ان يكون صادقا
في كل ما اخبر عنه لان الله تعالى صدقه ومصدق الله صادق والا لزم
الكذب في كلام الله تعالى فيلزم من هذا كون الرسول صادقا فيما يقوله
لان الرسل يشهد الله على الناس على ما قال تعالى فكيف اذا جينا من كل
امة بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا والشهيد انما يقبل قوله لو لم يكن
كاذبا فان قيل فما قولكم في ابراهيم في قوله بل فعله كبيرهم وانى سقيم
قلنا قد سرحنا في تاويل هذه الايات بالدلايل الظاهرة وان شاء ذلك
ليس بكذب ولما ثبت ان كل نبي يجب ان يكون صديقا ولا يجب في كل صديق
ان يكون نبيا ظهر بهذا قرب مرتبة الصديق من مرتبة النبي فلهذا انتقل
من كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا واما النبي فمعناه كونه رفيع القدر عند الله وعند
الناس فاي رفعة اعلى من رفعة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده
وقوله كان صديقا انه صار وقيل بمعناه وجد صديقا نبيا اي كان من اول
وجوده الى انتهايه موصوفا بالصدق والصيانة قال صاحب الكشاف هذه
الجملة وقعت اعتراضا من المبدل منه وبدل اعني ابراهيم واذقال ونظيره كقولك
رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان تتعلق اذ كان او بصديقا نبيا اي
كان جامعا الخصايص الانبيا والصديقين حتى خاطب اباه بتلك المخاطبات اما
قوله يا ابت فالتاء عوض من يا الاضافة ولا يقال يا ابتي ليلا يجمع بين العوض
والمعوض منه وقد يقال يا ابتا تكون الالف بدلا من الياء واعلم انه تعالى حكى
ان ابراهيم عليه السلام مع ابيه عليه السلام من الكلام باربعة انواع من الكلام النوع الاول
قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا وصف الاوثان بصفات ثلاث
كل واحد منها قادحة في الالهية وبيان ذلك من وجوه احدها ان العبادة غاية
التعظيم فلا يستحق الا من له غاية الانعام وهو الاله الذي منه اصول النعم وفروعها
على ما قررناه في تفسير قوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه وقال وكيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا الاية وكما يعلم بالضرورة انه لا يجوز الاشتغال بشكر ما لم يكن
منعما وجب ان لا يجوز الاشتغال بعبادته وثانيها انها اذا لم يسمع ولم يبصر
لا تميز من يطيعها مما يعصيها فاي فايدة في عبادتها وهذا ينبهك على ان
الاله يجب ان يكون عالما بكل المعلومات حتى يكون العبد امنا من وقوع الغلط

للمعبود وثالثها ان الدعا مخ العبادة فالوثن اذا لم يسمع دعا الداعي فاي منفعة
في عبادته واذا كان لا يبصر تقرب من تقرب اليه فاي منفعة في ذلك التقرب
ورابعها ان السامع البصير انصار النافع افضل ممن كان عاريا عن ذلك
والانسان موصوف بكل هذه الصفات فكون افضل واكمل من الوثن وكيف يليق
به افضل عبودية الاخس وخامسها اذا كانت لا تنفع ولا تضر فلا يرجى منها
منفعة ولا يخاف من ضررها فاي فايدة في عبادتها وسادسها اذا كانت
لا تحفظ انفسها عن الاخسار والكسر على ما حكي الله تعالى عن ابراهيم انه كسرها
وجعلها جذاذا فاي الرجا للغير فيها واعلم انه عاب الوثن من ثلاثة اوجه
لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا كانه قال له بل الاهية ليست الا لربي
فانه يسمع ويجيب دعوة الداعي ويبصر اينما معكما اسمع واري ويقضي الحوايج
ام من يجيب دعوة المضطر اذا دعاه واعلم ان قوله هاهنا لم تعبد محمول
على نفس العبادة فاما قوله في المقام الثالث يا ابت لا تعبد الشيطان
المراد نفس العبادة بل الطاعة لانهم كانوا يعبدون الشيطان فوجب حمله
على الطاعة وليس اذا تركنا الظاهر هاهنا لدليل وجب تركه الظاهر
والمقام الاول بغير دليل فان قيل اما ان يقال ان ابا ابراهيم كان يعتقد
في تلك الاوثان انها الهة بمعنى انه قادرة مختارة موجدة للناس والحيوان
او يقال انه ما كان يعتقد ذلك بل كان يعتقد انها تماثيل الكواكب والكواكب
هي الالهة المدبرة لهذا العالم فتعظيم تماثيل الكواكب موجب لتعظيم الكواكب
او كان يعتقد ان هذه الاوثان تماثيل اشخاص معظمة عند الله من البشر فتعظيمها
يقتضي كون اولئك الاشخاص شفعاءهم عند الله او كان يعتقد ان الاوثان
للسمات ركبت بحسب اتصالها لا ان مخصوصة للكواكب قل ما يتفق مثلها
وانها منتفع بها او لغير ذلك قلنا الاعذار المنقولة عن عبدة الاوثان فان كان
ابو ابراهيم من القسم الاول كان في نهاية الجنون لان العلم بان هذه الخشب
المنحوتة في هذه الساعة ليس خالقا للسموات والارض من اجلى العلوم
الضرورية فالشاك فيه يكون فاقدا لاجلى العلوم الضرورية فكان مجنونا والمجنون
لا يجوز ايراد الحجة عليه والمناظرة معه وان كان من القسم الثاني فهذه
الدلايل لا تقدح في شي من ذلك لان ذلك المذهب انما يبطل باقامة الدلايل على
ان الكواكب ليست احيا ولا قادرة على خلق الاجسام وخلق الحياة ومعلوم

ان الدليل المذكور ههنا لا يفيد المطلوب فعلمنا ان هذه الدلايل
عديمة الفايدة على كل التقديرات قلنا لا نزاع انه لا يخفى على العاقل
ان الخشبة المنحوتة لا تصلح لخلق العالم وانما مذهبهم هو الوجه الثاني
واما اورد ابراهيم عليه السلام هذه الدلايل عليهم لانهم كانوا يعتقدون
ان عبادتها تفيد نفعا اما على سبيل الخاصية الحاصلة من الطلسمات
او على سبيل ان الكواكب تنتفع او تضر فبين ابراهيم عليه السلام انه لا منفعة
في طاعتها ولا مضرة في الاعراض عنها فوجب ان لا يحسن عبادتها النوع
الثاني قوله يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك
صراطا سويا ومعناه ظاهر وطعن في التمسك به اهل التعليم واهل التقليد
اما اهل التعليم فقالوا انه امره بالاتباع في الدين وما امره بالتمسك
بدليل العقل فثبت ان الدين لا يستفاد الا من الاتباع واما اهل التقليد
فقد تمسكوا به ايضا من هذا الوجه ومن الناس من طعن فيه فقال انه
امره بالاتباع لتحصيل الهداية فاذن لا تحصل الهداية الا باتباعه
فيقع الدور وانه باطل والجواب عن الاول ان المراد بالهداية بيان
الدليل وشرحه وايضاحه فعند هذا عاد السايل فقال لما انكر انه
لا بد من الدلالة ولكني اقول الوقوف على تلك الدلالة لا يستفاد الا من
له نفس كاملة بعيدة عن النقص والخطا فهي نفس النبي المعصوم او
الامام المعصوم فاذا سلمت انه لا بد من النبي في هذا المقصود فقد
سلمت حصول الغرض اجاب وقال انا ما سلمت انه لا بد
في الوقوف على الدلايل من هداية النبي ولكني اقول هذا الطريق
اسهل وان ابراهيم عليه السلام دعاه الى الاسهل والجواب عن سوال
الدور ان قوله فاتبعني ليس انه امر ايجاب بل امر ارشاد النوع
الثالث قوله يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا
اي لا تطيعه فانه عاص لله فنفر بهذا الوصف عن القبول منه
لانه اعظم الخصال المنفرة واعلم ان ابراهيم عليه السلام لما عاب في
الاخلاق لم يذكر خيانات الشيطان الا كونه عاصيا لله ولم يذكر
بعد انه لا دم عليه السلام كان النظر في عظيم ما ارتكبه من ذلك
العصيان عمدا ذكره وانطبق على ذهنه وايضا فان معصية الله تعالى لا تصدر
الا من ضعف الراي ومن كان كذلك كان حقيقا بان لا يلتفت الى رايه

ولا يجعل لقوله وزن فان قيل ان هذا القول يتوقف على اثبات امور احدها
ان الشيطان عاص لله وثانيها اثبات الصانع وثالثها اثبات
من الاشياء وخامسها ان الاعتقاد الذي كان عليه الانسان مستفاد من
طاعة الشيطان ومن شان الدلالة التي تورد على الخصم ان تكون
مركبة من مقدمات معلومة مسلمة ولعل ابا ابراهيم كان منازعا في
كل هذه المقالات وكيف والحكي عنه انه ما كان يثبت الها سوى نمرود
فكيف نسلم وجود الرحمن واذا لم نسلم وجوده فكيف يمكنه تسليم ان
الشيطان عاص في الرحمن ثم بتقدير تسليم ذلك فكيف نسلم الخصم
بمجرد هذا الكلام ان مذهبه تفيش من الشيطان بل لعله يقلب ذلك
على خصمه فلنا الحجة المعول عليها في ابطال مذهب ازر هذا الذي
ذكرتم اولا من قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا فاما
هذا الكلام فيجري مجرى التخويف والتحذير الذي يحتمله عز النظر في تلك
الدلالة وعلى هذا التقدير يسقط السؤال النوع الرابع قوله
يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا
قال الفراء اخاف اعلم والاكثرون على انه محمول على ظاهره والقول الاول
انما يصح لو كان ابراهيم عليه السلام عالما اباه سيموت على الكفر وذلك لم
يثبت فوجب اجراؤه على ظاهره فانه كان يجوز ان يوفق فيصير من اهل
الثواب ويجوز ان يصر على الكفر فيكون من اهل العقاب ومن كان ذلك
لا كان خايفا لا قاطعا واعلم ان من نظن وصول الضرر الى غيره فانه
لا يسمى خايفا الا اذا كان حيث يلزم من ذلك الضرر تالم فلهذا
يقال انا خايف على ولدي اما قوله فيكون للشيطان وليا فاذكروا
في الولي وجوها احدها انه اذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان
في النار والولاية سبب للمعية فاطلق اسم السبب على المسبب مجازا
وانما لم يجز حمله على الولاية لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين وقال ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم
بعضا وحكي عن الشيطان انه يقول لهم اني كفرت بما اشركتموني من قبل واعلم

ان هذا الاشكال انما يتوجه اذا كان المراد من العذاب عذاب الاخرة
اما اذا كان المراد منه عذاب الدنيا فالاشكال ساقط وثانيها
ان يحمل العذاب على الخذلان اي اني اخاف ان يمسك خذلان الله
فتصير موليا للشيطان وبين الله فرق على ما قال تعالى ومن يتخذ
الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا وثالثها وليا
اي تاليا للشيطان تليه كما يسمى المطر الذي ياتي تاليا تاليا فان قيل
قوله اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا يقتضي ان
تكون ولاية الشيطان اسوء حالا من العذاب فما السبب لذلك
والجواب ان رضوان الله اعظم من الثواب على ما قال ورضوان
من الله اكبر وذلك هو الفوز العظيم فوجب ان تكون ولاية الشيطان
الذي هي في مقابلة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه واعظم
واعلم ان ابراهيم عليه السلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن
لانه نبه اولا على ما يدل على المنع من عبادة الاوثان ثم امر باتباعه
في النظر والاستدلال وترك التقليد ثم نبه على ان طاعة الشيطان
عز جاره في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على
ما لا ينبغي ثم ان عليه السلام اورد هذا الكلام الحسن مقرونا باللطف
والرفق فان قوله في مقدمة كل كلام يا ابت دليل على شدة الحب
والرغبة في صونه عن العقاب وارشاده الى الصواب ثم ختم الكلام
بقوله اني اخاف ان يمسك وذلك يدل على شدة تعلق قلبه بمصالحه
وانما يفعل ذلك لوجوه احدها قضاء لحق الابوة على ما قال وبالوالدين
احسانا والارشاد الى الدين من اعظم انواع الاحسان فاذا انضاف
اليه رعاية الادب والرفق كان ذلك نورا على نور وثانيها ان الهادي
الى الحق لابد وان يكون رفيقا لطيفا يورد الكلام على سبيل العنف
لان ايراده على سبيل العنف يصير كالسبب في اعراض المستمع فيكون
ذلك في الحقيقة سببا في الاغراء وثالثها ما روى ابو هريرة قال عليه السلام
اوحى الله الى ابراهيم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار

فان كانني سبقت لي من حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وارضيه
من حواري قوله تعالى قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم لين لم تنته
لارجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي
حفيا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى الا اكون
بدعاء ربي شقيا اعلم ان ابراهيم عليه السلام لما دعى اباه الى التوحيد
وذكر الدلالة على فساد عبادة الاوثان واردف تلك الدلالة بالوعظ البليغ
واورد كل ذلك مقرونا باللطف والرفق قابله ابوه بجواب ذلك يضاد
ذلك مقابلا حجته بالتقليد فانه لم يذكر في مقابلة حجته الا قوله اراغب
انت عن الهتي قاصرا على ادعاء الهيتها جهلا وتقليدا وقابل وعظه
بالسفاهة حيث هدده بالضرب والشتم وقابل رفقه في قوله يا ابت
وبالعنف حيث لم يقل له يا بني بل قال يا ابراهيم وانما حكى سبحانه تعالى
ذلك لمحمد عليه السلام ليخفف على قلبه ما كان يصل اليه من اذى المشركين
فيعلم ان الجهال هذه كانوا على هذه السيرة المذمومة ثم قوله اراغب
انت عن الهتي يا ابراهيم فان كان ذلك على وجه الاستفهام فهو خذلان
لانه قد عرف بما يكون منه من وعظ وتنبيه على الدلالة ووعيد انه راغب
عن ذلك اشد رغبة فما فايدة هذا القول وان كان ذلك على سبيل التعجب
فاي التعجب في الاعراض عن حجة لا فايدة فيها انما التعجب كله من الاقدام
على عبادتها وان الدليل الذي ذكره ابراهيم عليه السلام كما انه يبطل
جواز عبادتها فهو يفيد التعجب من ان العاقل كيف يرتئي عبادتها وكان
اباه قابل ذلك التعجب الظاهر المبني على الدليل بتعجب فاسد مبني على
دليل وشبهة ولا شك ان هذا التعجب جدير به ان يتعجب منه اما
قوله لين لم تنته لارجمنك واهجرني مليا ففيه مسائل المسئلة
الاولى في الرجم ههنا قولان الاول ان الرجم باللسان وهو الشتم والذم
ومنه قوله والذين يرمون المحصنات اي بالشتم ومنه الرجيم اي المرمي
باللعن قال مجاهد الرجم كله في القرآن بمعنى الشتم والثاني انه
الشتم باليد وعلى هذا التقدير ذكروا وجوها احدها لارجمنك باظهار
امرك للناس ليرجموك فيبقى لوك وثانيها لارجمنك بالحجارة لتتباعد
عني وثالثها عن المزح لاقتلنك بلغة قريش ورابعها قال ابو مسلم
لارجمنك بالحجارة الا انه قد يقال ذلك في معنى الطرد والابعاد وبدك عني

انه اراد الطرد قوله تعالى واهجرني مليا واعلم ان اصل الرجم الرمي بالرجام فحمله عليه
اولى فان قيل فما دل قوله واهجرني على ان المراد به الرجم بالشتيمة
قلنا لا ردال لانه هدده بالرجم ان بقي على قرب منه وامره بان يبعد هربا
من ذلك فهو معنى قوله واهجرني مليا المسئلة الثانية في قوله واهجرني
قولان احدهما ان المراد واهجرني بالقول والثاني واهجرني بالمفارقة من
الدار والبلد وهو بحضرة الرسول والمومنين اي تقاعد عني لئلا اراك
وهذا الثاني اقرب الى الظاهر المسئلة الثالثة في قوله مليا قولان
الاول مليا اي مدة بعيدة ماخوذ من قولهم اتيني على قلان ملاوة من
الدهر اي زمان بعيد والثاني مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان
اخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح يقال فلان ملي بكذا اذا كان
مطيقا له مطلقا مضطلعا به المسئلة الرابعة عطف واهجرني على
معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان
ارجمك تهديد وتقريع ثم ان ابراهيم عليه السلام لما سمع ذلك من ابيه
اجاب بامرين احدهما انه وعده انه يستغفر له وذلك لان اباه
لما امره بالتباعد اظهر الانقياد لذلك الامر وقوله سلام عليك توديع
ومتاركة قوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عدكم لا نبتغي الجاهلين
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة
المنصوح اذا ظهر منه اللجاج وعلى انه يحسن مقابلة الاساءة
بالاحسان ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا
ترى الى انه وعده الاستغفار ثم انه لما ودع بقوله سلام عليك
ضم الى ذلك ما دل به على انه وان بعد عنه فاشفاقه باق
عليه كما كان وهو قوله سأستغفر لك ربي واحتج بهذه الاية
من طعن في عصمة الانبياء وتقريره ان ابراهيم عليه السلام استغفر
لابيه وابوه كان كافرا والاستغفار للكافر غير جايز فثبت
بمجموع هذه المقامات ان ابراهيم عليه السلام فعل ما لا يجوز وانا
ولنا انه استغفر لابيه لقوله تعالى حكاية عن ابراهيم سلام
عليك سأستغفر لك ربي وقوله واغفر لابي انه كان من الضالين
واما ان اباه كان كافرا فذلك بنص القرآن وبالاجماع واما ان الاستغفار
للكافر لا يجوز فلوجهين الاول قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا

للمشركين الثاني قوله في سورة الممتحنة لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك قلنا الاية
تدل على انه لا يجوز لنا التاسي به في ذلك لكن المنع من التاسي به
في ذلك ولا تدل على ان ذلك كان معصية فان كثيرا من الاشياء هي من خواص
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لنا التاسي به مع انها كانت مباحة
منه عليه ورايتها لعل هذا الاستغفار كان من باب ترك الاولى وحسنات
الابرار سيات المقربين اما قوله انه كان بي حفيا اي لطيفا رفيقا
يقال احفى في المسيلة بفلان اذا لطف فيه وبالغ فيه وهو قوله
تعالى ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا اي وان لطفت المسيلة والمراد
انه سبحانه للطفه بي وانعامه علي عودني الاجابة فاذا انا استغفرت
لك حصل المراد فكانه جعله بذلك على يقين انه تائب ان هو
تاب ان يحصل له الغفران الوجه الثاني من الجواب قوله واعتزلكم
وما تدعون من دون الله الاعتزال الذي هو التباعد عنه والمراد
اني افارقكم المكان وافارقكم في طريقتكم ايضا وابعد عنكم وانشاغل
بعبادة ربي الذي ينفع ويضر والذي خلقني وانعم علي فانكم
بعبادة الاصنام سالكون طريقة الهلاك فواجب علي مجانبتكم كما
ومعنى قوله عسى ان لا اكون بعبادة ربي شقيا ارجو ان اكون كذلك
وانما ذكر ذلك على سبيل التواضع كقوله والذي اطمع ان يغفر لي
وقوله شقيا مع ما فيه من التواضع ففيه تعريض بشقاوتهم في دعا
الهتهم على ما قرره اولا في قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئا قوله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من
من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا
ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا اعلم
انه ما خبر على الله احد فان ابراهيم عليه السلام لما اعتزلهم في
دينهم وبلدهم واختار الهجرة الى ربه اي لما حيث امره لم يضره
ذلك دينا ولا دنيا بل نفعه فعوضه اولادا انبياء ولا حالة في الدين
والدنيا اكبر ارفع من ان يجعله الله رسولا الى خلقه ويلزم للخلق
طاعته والانقياد له مع ما يحصل فيه من عظيم المنزلة في الاخرة
فصار جعله تعالى اياهم انبيا من اعظم النعم في الدنيا والاخرة

ثم انه بين انه مع ذلك وهب لهم من رحمته اي وهب لهم من السعة
ما وهب له ويدخل فيه المال والجاه والاتباع والنسل الطاهر
والذرية الطيبة وجعلنا لهم لسان صدق عليا ولسان الصدق
الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق
باليد وهو العطية واستجاب الله دعوته في قوله واجعل لي لسان
صدق في الاخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم
وقال ملة ابيكم ابراهيم وملة ابراهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا
قال بعضهم ان الخليل اعتزل عن الخلق على ما قال واعتزلكم وما تدعون من دون الله
فلما اجره بارك الله في اولاده فقال ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا
ثانيها انه تبرا من ابيه في الله تعالى على ما قال فلما تبين له انه عدو لله تبرا
منه لاجرم سماه الله ابا للمومنين فقال ملة ابيكم ابراهيم وثالثها ان والده
للجبين ليذبحه في الله على ما قال فلما اسلما وتله للجبين لاجرم فداه الله على
ما قال وفديناه بذبح عظيم ورابعها اسلم نفسه فقال اسلمت لرب
العالمين فجعل الله النار بردا وسلاما عليه فقال يا نار كوني وسلاما
وخامسها اشفق على هذه الامة فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
لاجرم اشركه الله في الصلوات كما صليت وباركت على ابراهيم وال ابراهيم
وسادسها وفى حق سارة فقال وابراهيم الذي وفى لاجرم جعل موطن قدميه
مباركا فقال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وسابعها عادى كل الخلق في الله
فقال فانهم عدو لي الا رب العالمين فاتخذ الله خليلا على ما قال واتخذ الله ابراهيم
خليلا ليعلم صحة قولنا انه ما خبر على الله احد القصة الرابعة
قصة موسى عليه السلام قوله تعالى واذكر في الكتاب موسى انه كان
مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور
الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون
نبيا اعلم انه تعالى وصف موسى عليه السلام بامور احدها انه كان
مخلصا فاذا قرئ مخلصا بفتح اللام فهو من الاصطفاء والاجتباء كان الله
تعالى اصطفاه واستخلصه واذا قرئ بالكسر فمعناه اخلص لله تعالى في
التوحيد والعبادة والاخلاص هو القصد بالعبادة الى ان يعد المقصود
بها ومبنى ورد القرآن بقراءتين وكل منهما ثابت مقطوع به فجعل الله تعالى
من صفة موسى كلا الامرين وثانيها كونه رسولا نبيا ولا شك انهما وصفان

مختلفان لكن المعتزلة زعموا كونهما مترادفين فكل رسول نبي وكل نبي رسول وقد
من انكر ذلك وقد بينا الكلام فيه في سورة الحج في قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي وقلنا انهما قوله ونادينا من جانب الطور الايمن ولما ذكر
كونه رسولا نبيا اتبعه بذكر ما صار لذلك وهو قوله ونادينا
من جانب الطور الايمن من اليمين اي من جهة اليمين او من اليمين
صفة للطور او للجانب ورابعها قوله وقربناه نجيا وفي قوله
وقربناه قولان احدهما قرب المكان عن ابي العالية قربه حتى سمع
صريف القلم حيث كتبت التوراة في الالواح والثاني قرب المنزلة
له اي رفعنا قدره وشرفناه بالمناجاة قال القاضي وهذا اقرب
لان استعمال القرب في الله قد صار بالتعارف لا يراد به الا المنزلة
وعلى هذا الوجه فقال في العبادة تقرب وتوسل في الملايكة
عليهم السلام انهم مقربون واما نجيا فقيل فيه انجيناه من
اعدائه وقيل هو من المناجاة في المخاطبة وهذا اولى وخامسها
قوله ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا قال ابن عباس كان هارون
اكبر من موسى عليهما السلام وانما وهب له النبوة لاشخصه واخوته
وذلك اجابة لدعائه في قوله واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد
به ازري واجابه الله تعالى اليه بقوله قد اوتيت سولك يا موسى وقوله
سنشد عضدك باخيك القصة الخامسة قصة اسماعيل عليه
السلام قوله تعالى واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق
الوعد وكان رسولا نبيا وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة وكان
عند ربه مرضيا اعلم انه تعالى وصف اسماعيل باشياء احدها
انه قوله انه كان صادق الوعد ويمكن ان يكون المراد فيما بينه وبين
ربه ان يكون المراد فيما بينه وبين الناس اما الاول وهو ان يكون المراد انه
كان لا يخالف شيئا مما يومر به من طاعة ربه وذلك لان الله تعالى اذا ارسل
الملك الى الانبياء وامرهم بادية الشرع فلا بد من ظهور وعد منهم يقتضي
القيام بذلك ويدل على القيام وسايرما يخصه من العبادة واما
الثاني فانه عليه السلام لما كان اذا وعد الناس بشيء انجز وعده فالله
تعالى وصفه بهذا الخلق الشريف ويروي عن ابن عباس انه وعد
صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وايضا وعد من نفسه الصبر

على الذبح في قوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين ويروى
ان عيسى عليه السلام قال له رجل انتظرني حتى ائتيك فقال عيسى
نعم وانطلق الرجل ونسي الميعاد فجاء لحاجته الى ذلك المكان
وعيسى يصلي للميعاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه واعد
رجلا ونسي ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى قرب غروب الشمس
وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا اي الى وقت ينتظره قال
ان واعدته نهارا فكل النهار وان واعدته ليلا فكل الليل وسئل
ابراهيم بن زيد عن ذلك فقال اذا واعدته في وقت صلاة فانتظره
الى وقت صلاة اخرى وثانيها قوله وكان رسولا نبيا وقد تقدم
تفسيره وثالثها قوله وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة والاقرب في
الاهل ان يكون المراد به من يلزمه ان يودي اليه الشرع فيدخل فيه كل
امته من حيث لزمه في جميعها ما يلزم المرء في اهله خاصة وهذا اذا
حمل الامر على المفروض من الصلوة والزكوة فان حمل على الندب منهما
كان المراد به كما كان يتعاهد بالليل باهله اي من كان في داره
بذلك وكان ينظر لهم له في الدين وقيل على شفقته عليهم في الدنيا
بخلاف ما عليه اكثر الناس وقيل كان يبدا باهله في الامر بالصلاح
والعبادة لنجعلهم قدوة لمن سواهم كما قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
وامر اهلك بالصلاة وقوا انفسكم واهليكم نارا وايضا فهم احق ان
يتصدق عليهم فوجب ان يكونوا بالاحسان اليهم اولى واما الزكاة
فعن ابن عباس انها طاعة الله والاخلاص فكانه تاوله على ما يزكو به
الفاعل عند ربه والظاهر انه اذا قرنت الزكوة الى الصلاة ان يراد بها الصدقة
الواجبة وكان يعرف من خاصة اهله انه يلزمهم الزكاة فيامرهم بذلك
او يامرهم بان ينتزعوا بالصدقات على الفقراء ورابعها قوله
وكان عند ربه مرضيا وهو نهاية في المدح لان المرضي عند الله هو
الفايز في كل طاعته باعلى الدرجات القصة السادسة
قصة ادريس عليه السلام قوله تعالى واذكر في الكتاب ادريس
انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا اعلم ان
ادريس عليه السلام هو جد ابي نوح عليه السلام وهو نوح بن ملك بن
متوسلخ بن اخنوخ قيل سمي ادريس لكثرة دراسته واسمه اخنوخ

ووصفه الله تعالى امورا احدها انه كان صديقا وثانيها انه كان نبيا
وقد تقدم القول فيهما وثالثها قوله ورفعناه مكانا عليا وفيه قولان
احدهما انه من رفعة المنزلة كقوله تعالى لمحمد عليه السلام ورفعنا لك
ذكرك فان الله تعالى شرفه بالنبوة وانزل عليه ثلاثين صحيفة وهو
اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب
فلبسها وكانوا يلبسون الجلود والثاني ان المراد الرفعة في المكان
الى موضع عالي وهذا اولى لان الرفعة المقرونة بالمكان تكون رفعة
في المكان الاتي درجة ثم اختلفوا فقال بعضهم رفعه الله الى السما
والى الجنة وهو حي لا يموت وقال اخرون بل رفع الى السما وقبض روحه
سالك ابن عباس كعبا عن قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا
فقال جاء خليل له من الملايكة فقال حتى تكلم ملك الموت حتى نوخر
في قبض روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه وصعد به الى السما
فلما كان في السما الرابعة فاذا املك الملك الموت يقول بعثت وقيل لي
اقبض روح ادريس فراه ملك الموت وقبض روحه هناك والعلم
ان الله تعالى انما مدحه بان رفعه الى السما لان جرت العادة ان لا يرفع
اليها الا مكان عظيم المنزلة ولذلك قال في حق الملايكة ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته وها هنا اخر القصص قوله تعالى اولئك الذين انعم
الله عليهم من ذرية ادم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرايل وممن
حملنا مع نوح هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا
اعلم ان تعالى اثنى على كل واحد ممن تقدم ذكرهم من الانبيا انما خصه بالثنا
ثم جمعهم اخرا فقال اولئك الذين انعم الله عليهم بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه
واولئك اشارة الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى ادريس ثم جمعهم في كونهم
من ذرية ادم ثم خصهم بانهم من ذرية من حملنا مع نوح والذي يختص بانه من
ذرية ادم دون من حمل مع نوح هو ادريس عليه السلام فقد كان سابقا على
نوح على ما ثبت في الاخبار والذين هم من ذرية من حمل مع نوح هم ابراهيم لانه من ولد
سام بن نوح واسمعيل واسحق ويعقوب من ذرية ابراهيم ثم خص بعضهم بانهم
من ولد اسرايل اي يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى من
قبل الام فرتب الله تعالى احوال الانبيا الذين ذكرهم على هذا الترتيب
منها بذلك على انهم كما فضلوا باعمالهم فلهم منزلة في الفضل بولادتهم من هؤلاء الا

فسار

من النبيين و

نبين انهم ممن هدينا واجتبينا منبها بذلك على انهم اختصوا بهذه
المنازل لهداية الله تعالى لهم ولانه احد ركن الرسالة ثم قال اذا
تتلى عليهم اي على هولاء الانبيا فبين تعالى انهم مع نعم الله تعالى عليهم
قد بلغوا الحد الذي عند تلاوة ايات الله يخرون سجدا وبكيا
خضوعا وخشوعا وحذرا وخوفا والمراد بايات الله تعالى ما خصهم
الله تعالى به من الكتب المنزلة عليهم وقال ابو مسلم المراد بالايات
التي فيها ذكر العذاب المنزل بالكفار وهو بعيد لان سايرالايات
التي فيها ذكر الجنة والنار الى غير ذلك اولى ان يسجد واعندها
يبكوا فيجب حمله على كل اية تتلى مما يتضمن الوعد والوعيد
والترهيب لان كل ذلك اذا ذكر فيه المتذكر صح ان يسجد عنده
ويبكي واختلفوا فقال بعضهم في السجود انه الصلاة وقال
بعضهم المراد سجود التلاوة على حسب ما يريد بانه وقيل
بل المراد به الخضوع والخشوع والظاهر يقتضي سجودا مخصوصا
عند التلاوة ثم يحتمل ان يكون المراد سجود القران ويحتمل انهم عند
الخوف كانوا قد تعبدوا بالسجود فيفعلون ذلك لاجل ذكر
السجود في الاية وقال الزجاج في بكيا جمع باك مثل شاهد
وشهود وقاعد وقعود ثم قال الانسان في حال حدوره لا يكون
بساجد فالمراد خروا مقدرين للسجود ومن قال في بكيا انه
مصدر فقد اخطا لان سجدا وبكيا معطوف ومعطوف عليه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن
صالح المري قال قرات القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام
فقال لي ياصالح هذه القراة فاين البكا وعن ابن عباس اذا قرا
سجدة سبحان فلا تخلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم
فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم القران نزل بحزن فاقروه
بحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اغرورقت عين بما الا حرم
الله على النار حسدها عن ابي هريرة لا يلج النار من بكى من خشية
الله وقال العلما يدعون في سجدة التلاوة بما يليق بايتها فان قراة
تتنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من عبادك الساجدين لوجهك
المسبحين بحمدك واعوذ ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرا

سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرا
هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك
الباكين عند تلاوة آياتك فخلف من بعدهم خلف اضاعوا
الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وامن
وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا اعلم انه
تعالى لما وصف هولاء الانبيا بصفات المدح ترغيبا لنا في التاسي بطريقهم ذكر
بعدهم من هو بالضد منهم فقال فخلف من بعدهم خلف ظاهر الكلام ان المراد من بعد
هولا الانبيا خلف من اولادهم يقال خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف
بفتح اللام وفي عقب الشر خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في
ضمان الشر وفي الحديث في الله خلف من كل هالك وفي الشعر
ذهب الذين يعاش في اكناهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب ثم وصفهم
باضاعة الصلوة واتباع الشهوات فاضافة الصلوة في مقابلة قوله خروا
سجدا واتباع الشهوات في مقابلة قوله بكيا لان بكاهم يدل على خوفهم
واتباع هولا لشهواتهم يدل على عدم الخوف لهم فظاهر قوله اضاعوا
الصلاة تركها لكن تركها قد يكون بان لا تفعل اصلا وقد يكون ان لا تفعل
في وقتها وان كان الاظهر هو الاول واما اتباع الشهوات فقال ابن عباس هم
اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب
واحتج بعضهم بقوله الا من تاب وامن وعمل صالحا على ان تارك الصلوة كافر
واحتج اصحابنا بها في ان الايمان غير العمل لانه قال تعالى وامن
وعمل صالحا فعطف العمل على الايمان والعطوف على المعطوف عليه اجاب
الكعبي عنه انه تعالى فرق بين التوبة والايمان والتوبة من الايمان
فكذلك العمل الصالح يكون الايمان وان فرق بينهما لان التوبة عزم
على الترك والايمان اقرار بالله وهما مغايران فكذلك في هذه الصورة ثم بين
تعالى ان من هذا صفته يلقون غيا وذكروا في الغي وجوها احدها ان كل
شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال فمن يلق خيرا يجد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وثانيها قال الزجاج يلق غيا اي يلق جزا
الغي كقوله يلق اثاما اي مجازات الاثام وثالثها غيا عن طريق الجنة
ورابعها غي عادي في جهنم يعتقد منه اوديتها والوجهان الاولان اقرب
فان كان في موضع يسمى بذلك جاز ولا يخرج من ان يكون المراد ما قدمنا

لانه المنقول في اللغة ثم بين سبحانه ان هذا الوعيد فيمن لم يتب واما من
تاب وامن وعمل صالحا فهم يدخلون الجنة ولا يلحقهم ظلم وههنا
سوالان السوال الاول الاستثنا دل على انه لا بد من التوبة والايمان
والعمل الصالح وليس الامر كذلك لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت
الصلوة او كانت المراة حايضا فانه لا يجب عليه الصلوة والزكوة ايضا
غير واجبة وكذا الصوم فههنا لو مات في ذلك الوقت كان من اهل
النجاة مع انه لم يصدر عنه عمل فلم يجز توقيف الامر على العمل الصالح
والجواب ان هذه الصورة نادرة والمراد منه الغالب السوال
الثاني قوله ولا يظلمون شيا هذا انما يصح لو كان الثواب مستحقا
على العمل لانه لو كان الكل بالتفضل لاستحال حصول الظلم لكن من
مذهبكم انه لا استحقاق للعبد بعمله الا بالوعد الجواب انه لما
استنبه اجري عليه حكمه قوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن
عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي وعد الرحمن عباده
نورث من عبادنا من كان تقيا اعلم انه تعالى لما ذكر في التايب انه
يدخل الجنة وصف الجنة بامور احدها قوله جنات عدن والعدن الاقامة وصفها بالدوام
على خلاف الجنان في الدنيا التي لا تدوم وكذلك فان حالها لا يتغير في مناظرها فليست
كجنان الدنيا التي حالها يختلف في خضرة الورق وظهور النور والثمر وبين انه تعالى وعد الرحمن
عباده لعباده اما قوله بالغيب ففيه وجهان الا احدهما انه تعالى وعدها وهي غايبة عنهم يكونون
عبادا بالغيب اي الذين يعبدونه في السر وهو قول ابي مسلم والوجه الاول اقوى
لانه تعالى بين ان الوعد منه تعالى وان كان بامر غايب فهو كانه مشاهد حاصل
فلذلك قال بعده انه كان وعده ماتيا اما قوله ماتيا فقيل انه مفعول بمعنى فاعل والوجه
ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها وقال الزجاج كل ما وصل اليك فقد وصلت اليه وكلما
اتاك فقد اتيته والمقصود من قوله انه كان وعده ماتيا بيان ان الوعد
منه تعالى وان كان بامر غايب فهو كانه مشاهد حاصل والمراد تقرير ذلك في القلوب
وثانيها قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واللغو من الكلام ما سبيله
ان يلغى ويطرح وهو المنكر من القول ونظيره قوله لا يسمع فيها لاغية وفيه
بينة ظاهرة على وجوب تجنب اللغو حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها
وما احسن قوله واذا مروا بالغيب مروا كراما واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا

واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقوله وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي
الجاهلين اما قوله الا سلاما ففيه بحثان احدهما ان فيه اشكالا وهو ان السلام
ليس من جنس اللغو فكيف استثنى السلام من اللغو والجواب عنه من وجوه
احدها ان معنى السلام هو الدعا بالسلامة واهل الجنة لا حاجة بهم الى هذا الدعا
فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فايدة الاكرام وثانيها
ان يحمل ذلك على الاستثنا المنقطع وثالثها ان يكون هذا من جنس قولهم
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب البحث الثاني ان
يكون يحتمل ذلك السلام يحتمل ان يكون من سلام بعض على البعض او من تسليم
الملايكة او من تسليم الله تعالى على ما قال والملايكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم سلام قولا من رب رحيم وثالثها قوله ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا وفيه سوالان الاول ان المقصود من هذه الايات وصف
الجنة باحوال مستعظمة ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور
المستعظمة والجواب من وجهين الاول قال الحسن اراد تعالى ان يرغب
كل قوم بما احبوه في الدنيا ولذلك ذكر اساور الذهب والفضة ولبس الحرير
الذي كان عادة العجم والارايك التي هي الحجال على المضروبة على الاسرة التي كانت عادة
اشراف اليمن ولا شي كان احب الى العرب من الاكل الغدا والعشا فوعدهم بذلك الثاني
ان المراد دوام الرزق تقول انا عند فلان صباحا ومسا وبكرة وعشيا
يريد الدوام ولا يقصد الوقتين المعلومين السوال الثاني قال تعالى لا يرون
فيها شمسا ولا زمهريرا وقال عليه السلام لا صباح عند ربك ولا مسى
والبكرة والعشي لا يوجدان الا عند وجود الصباح والمسا والجواب انهم
ياكلون على مقدار الغداة والعشي لا ان في الجنة غدوة وعشيا اذ لا ليل فيها ويحتمل
ما قيل انه تعالى جعل لقدر اليوم علامة فيعرفون بها مقادير الغداة والعشي
ويحتمل ان يكون المراد لهم رزقهم متى شاوا كما جرت به العادة في الغداة والعشي
ورابعها قوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وفيه ابحاث
اولها قوله تلك الجنة هذه الاشارة انما صحت لان الجنة غايبة وثانيها ذكروا
في نورث وجوها الاول نورث استعارة اي يبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث
مال المورث الثاني المراد اما ينقل كالمنازل ممن لو اطاع لكانت له الى عبادنا
الذين اتقوا فجعل هذا النقل ارثا قاله الحسن الثالث ان الاتقيا يلقون
ربهم يوم القيامة وقد انقضت اعمالهم وثوابها باقية وهي الجنة فاذا

ادخلهم

ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث من مال المتوفي
وثالثها يعني ممن كان تقيا من تمسك باتقا معاصيه وجعله عادة
واتقا ترك الواجبات قال القاضي في الاية دلالة على ان الجنة يختص
بدخولها من كان متقيا والفاسق المرتكب للكباير لم يوصف بذلك
الجواب الاول الاية تدل على ان المتقي يدخلها وليس فيها دلالة
على ان غير المتقي لا يدخلها وايضا فصاحب الكبيرة متقي عن الكفر
ومن صدق عليه انه متقي من الكفر فقد صدق عليه انه متقي لان
المتقي جزء من مفهوم قولنا المتقي عن الكفر اذا كان صاحب
الكبيرة يصدق عليه انه متقي وجب ان يدخل الجنة فالاية تدل
على ان صاحب الكبيرة يدخل الجنة اولى من ان تدل على انه لا يدخلها
قوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما
خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والارض
وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا اعلم
ان في الاية اشكالا وهو ان قوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من
كان تقيا فههنا كلام الله وقوله وما نتنزل كلام غير الله فكيف جاز عطف
هذا على ما قبله من غير فصل والجواب انه اذا كانت القرينة ظاهرة
لم يفتح كما ان قوله سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون كلام
الله وقوله وان الله ربي وربكم كلام غير الله فاحدهما معطوف على الاخر
واعلم ان ظاهر قوله وما نتنزل الا بامر ربك خطاب جماعة لواحد
وذلك لا يليق الا بالملايكة الذين ينزلون على الرسول ويحتمل في سببه
ما روي ان قريشا بعثت خمسة رهط الى يهود المدينة يسالونهم عن
صفة محمد عليه الصلاة والسلام فهل يجدون في كتابهم فسالوا النصارى
فزعموا انهم لا يعرفونه وقالت اليهود نجده في كتابنا وهذا زمانه وقد
سالنا علما اليمامة عن خصال ثلاثة فلم يعرفوا فسالوه عنهن فاذا
اخبركم بخصلتين منها فاتبعوه فسالوه عن فتية اصحاب الكهف
وعن ذي القرنين وعن الروح فلم يدر كيف يجيب ووعدهم ان
يجيبهم بعد ذلك ولم يقل ان شا الله فاحتبس الوحي عنه اربعين
يوما وقيل خمسة عشر يوما فشق ذلك عليه مشقة شديدة
وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل عليه السلام

ثم قال له النبي عليه السلام ابطأت علي حتى ساءظني واشتقت اليك
قال اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا
حبست احتبست فانزل الله تعالى هذه الاية ولا تقولن لشيء
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وفي سورة والضحى ما ودعك
ربك وما قلى ثم اكد ذلك بقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا
اي هو المدبر لنا في كل الاوقات الماضي والمستقبل وما بينهما او الدنيا
والاخرة وما بينهما او هو الذي يعلم صلاح التدبير مستقبلا
وماضيا وما بينهما والغرض ان امرنا ماكول الى الله تعالى
يتصرف فينا بحسب مشيئته وارادته وحكمته لا اعتراض
لاحد عليه فيه وقال ابو مسلم قوله وما نتنزل الا بامر
ربك يجوز ان يكون قول اهل الجنة والمراد ما ننتزل الجنة
الا بامر الله له ما بين ايدينا اي في الجنة مستقبلا وما خلفنا
من كان في الدنيا وما بينهما اي ما بين الوقتين وما كان ربك
نسيا لشيء خلق فترك عبادته لانه عالم الغيب لا يعزب عنه
مثقال ذرة قال وقوله وما كان ربك نسيا ابتداء كلام منه
تعالى ومخاطبة الرسول عليه السلام اقرب لقوله وما كان
ربك بامر ربك وظاهر الامر بحال التكليف اليق وبانهم انه
خطاب من جماعة لواحد وذلك لا يليق بمخاطبة بعضهم لبعض
في الجنة وبالثها ان ما في سياقه من قوله وما كان ربك نسيا
رب السموات والارض وما بينهما لا يليق الا بحال التكليف
والا بوصف الرسول وكانهم قالوا للرسول وما كان ربك يا محمد
نسيا يجوز عليه السهو حتى يصرف ابطانا للتنزيل عليك الى
مثل ذلك ثم ههنا ابحاث البحث الاول قال صاحب
الكشاف التنزيل على معنيين احدهما النزول على مهل
والثاني معنى النزول على الاطلاق والدليل عليه انه
مطاوع نزل ونزل بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللايق
بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في
الاحايين وقت بعد وقت ليس الا بامر الله البحث الثاني
ذكروا في قوله له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وجوها

احدها

احدها له ما قدامنا وما خلفنا من الجهات وما نحن فيها فلا نتمالك ان
ننتقل من جهة الى جهة ومن مكان الى مكان الا بامره ومشيته
فايي انا ان ننتقل من السما الى الارض الا بامره وثانيها
ما بين ايدينا ما سلف من امر الدنيا وما خلفنا وما يستقبل
من امر الاخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو اربعون سنة
وثالثها ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها
ورابعها ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وخامسها الارض
التي بين ايدينا اذا نزلنا والسما التي ورانا اذا ارتحلنا وما بين
السما والارض وعلى التقديرات فالمقصود ان المحيط
بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة
فكيف يتقدم علمه على فعل الا بامره وحلم البحث الثالث
قوله وما كان ربك نسيا اي وما كان تاركا له كقوله ما ودعك
ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به
ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك اما قوله رب
السموات والارض وما بينهما فالمراد ان من يكون ربا لها
اجمع لا يجوز عليه النسيان اذ لا بد من ان يمسكها حالا بعد حال
والا بطل الامر فيهما وفيمن يتصرف واحتج اصحابنا بهذه الاية
على ان فعل العبد خلق الله تعالى لان فعل العبد حاصل بين السموات
والارض والاية دالة على انه تعالى رب لكل شيء حصل بين السموات والارض
قال صاحب الكشاف رب السموات والارض بدل من ربك ويجوز
ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو رب السموات والارض فاعبده
واصطبر لعبادته فهو امر للرسول بالعبادة والمصابرة على
مشاق التكاليف في الانذار والابلاغ وفيما يخصه من العبادة
فان قيل لم لم يقل واصطبر على عبادته بل قال واصطبر
لعبادته قلنا لان العبادة جعلت بمنزلة القران في قولك
للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شدائده
والمعنى ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت
لها ولا تهن ولا يضيق صدرك من القاء اهل الكتاب اليك
الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين

اما قوله هل تعلم له سميا فالظاهر يدل على ان تعالى جعل عليه
الامر بالعبادة والامر بالمصابرة على انه لا سمي له والاقرب
انه ذكر الاسم واراد هل تعلم له نظيرا فيما يقتضي العبادة
والذي يقتضيها هو كونه منعما باصول النعم وفروعها
وهي خلق الاجسام والحياة والعقل وغيرها فانه لا يقدر
على ذلك احد سواه سبحانه فاذا كان هو سبحانه قد انعم
علينا بغاية الانعام وجب ان نعظمه بغاية التعظيم وهي
العبادة ومن الناس من قال المراد انه سبحانه ليس له
شريك في اسمه وشهادة ذلك من وجهين الاول انهم
وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن حال لفظ الله على كل
شيء سواه سبحانه وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يسمى بالرحمن غيره
والثاني هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل فكونها
غير معتد بها كالا تسمية والقول الاول هو الصواب قوله
تعالى ويقول الانسان ايذا ما مت لسوف اخرج حيا اولا
يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك
لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا
ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم
لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اعلم انه تعالى
لما امر بالعبادة والمصابرة عليها ذكان سائلا سال وقال
هذه العبادات لا منفعة فيها في الدنيا واما في الاخرة فقد انكرها
قوم فلا بد من ذكر الدلالة على القول بالحشر حتى يظهر
ان الاشتغال بالعبادة مفيد فلهذا حكى الله قول منكر الحشر
فقال ويقول الانسان ايذا ما مت لسوف اخرج حيا واعلم
قالوا ذلك على وجه الانكار والاستبعاد وذكروا في الانسان
وجهين احدهما ان يكون المراد الجنس باسره فان قيل
كلهم غير قائلين بذلك فكيف يصح هذا القول قلنا الجواب
من وجهين الاول ان هذه المقالة لما كانت موجودة فيمن هو
من جنسهم صح اسنادها الى جميعهم كما يقال بنو فلان

قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم الثاني ان هذا الاستبعاد
موجود ابتداء في طبع كل احد الا ان بعضهم ترك ذلك
الاستبعاد المبني على محض الطبع بالدلالة القاطعة التي
قامت على صحته الثاني ان المراد بالانسان شخص معين
هو ابو جهل وقيل المراد جنس الكفار القائلين بوجوب البعث
بقوله اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا
القراء كلهم على الا يذكر وبالتشديد الا نافعا وابن عمر وعاصما
فقد خففوا ففي حروف ابني اولا يذكروا ذا قربى اولا يذكي فهو اقرب
الى المراد اذ الغرض التفكر والنظر في انه اذا خلق من قبل لا من شيء
فجايز ان يعاد ثانيا قال بعض العلماء ولو اجتمع كل الخلايق على
ايراد حجة في البحث على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان
الاعادة ثانيا اهون من الايجاد اولا ونظيره قوله تعالى
قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده
وهو اهون عليه واحتج اصحابنا بهذه الاية على ان المعدوم ليس
بشيء وهو ضعيف لان الانسان عبارة عن مجموع جواهر مؤلفة
قامت بها اعراض وهذا المجموع ما كان شيئا ولكن لم قلت
ان كل واحد من تلك الاجزاء ما كان شيئا قبل كونه موجودا فان
قيل كيف امر الله تعالى الانسان بالذكر مع ان الذكر هو العلم
بما قد علمه من قبل ثم تخللها سهو قلنا المراد اولا يتفكر فيعلم
خصوصا اذا قرئ اولا يذكر بالتشديد اما اذا قرئ اولا يذكر
بالتخفيف فالمراد اولا يعلم ذلك من حال نفسه لان كل احد يعلم
انه لم يكن حيا في الدنيا ثم صار حيا ثم ان سبحانه لما قرر المطلوب
بالدليل اردفه بالتهديد من وجوه احدها قوله فوربك لنحشرنهم
والشياطين وفايدة القسم امران احدهما ان العبادة جارية بتاكيد
الخبر باليمين والثاني ان في اقسام الله تعالى باسمه مضافا الى رسول
الله تفخيم الشان رسول الله ورفعا منه كما رفع من شان السما والارض
في قوله فورب السما والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز ان تكون
للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع
قرنايهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل واحد كافر مع شيطان

في سلسلة وثانيها قوله ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا وهذا الاحضار
يكون قبل ادخالهم جهنم ثم انه سبحانه يحضرهم على اذل صورة
لقوله تعالى جثيا لان النازل على ركبته صورته صورة الذليل
او صورة العاجز فان قيل هذا المعنى حاصل للكل فكيف يدل قوله
ونذر الظالمين فيها جثيا قلنا العادة ان الناس في
مواقف مطالبات الملوك يجاثون على ركبهم لما في ذلك من الاستيفاز
والقلق اوطا اولما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام
على ارجلهم واذا كان هذا حاصلا للكل فكيف يدل على مزيد ذل الكفار
قلنا لعل المراد انهم يكونون من وقت الحشر الى الحضور في الموقف
على هذه الحالة وذلك يوجب مزيد الذل في حقهم وثالثها قوله
ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا والمراد بالشيعة والي
فنجعله كفرقة وهذه الطايفة التي ساعدت ان يبعث غاويا من الغواية
قال تعالى الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا والمراد انه تعالى يحشرهم
اولا حول جهنم ثم يميز البعض من البعض فمن كان اشدهم تمردا في كفره
خص بعذاب اعظم لان عذاب المضل وجب ان يكون قويا كعذاب
من يضل تبعا لغيره وليس عذاب من يتمرد ويحرى كعذاب المقلد
وليس عذاب من يورد الشبه في الباطل كعذاب من يقتدي به
مع الغفلة قال تعالى والذين كفروا زدناهم صدودا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب كانوا يفسدون ويجعلون اثقالا لغيرهم واثقالا مع اثقالهم
فبين تعالى انه ينزع من كل فرقة من كان أشد عتوا وتمردا ليعلم ان عذابه
اشد فقايسة التمييز التخصيص لشدة العذاب لا للتخصيص باصل
العذاب فلذلك قال في جميعهم ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا
ولا يقال اولى يوجب اشتراك القوم في العذاب واختلفوا في اعراب ايهم
فعن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد
وسيبويه على انه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هو صلته حتى لو
جيء به لاعرب وقيل ايهم هو اشد قوله تعالى وان منكم الا
واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر
الظالمين فيها جثيا اعلم انه تعالى لما قال من قبل فوربك لنحشرنهم
وقال ثم لنحضرنهم حول جهنم اردفه بقوله تعالى وان منكم الا واردها يعني

جهنم واختلفوا فقال بعضهم المراد من تقدم ذكرهم من الكفار فكنى عنهم
اولا كناية عن الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة قالوا لانه لا يجوز
في المومنين ان يردوا النار ويدل عليه امور احدها قوله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون والمبعد عنها
لا يوصف بانه وارد ها وثانيها قوله تعالى لا يسمعون حسيسها
ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها وثالثها قوله وهم من فزع يومئذ امنون
وقال الاكثرون انه علم في كل مومن وكافر لقوله تعالى وان منكم
فلم يخص وهذا الخطاب مبتدا مخالف للخطاب الاول ويدل
عليه قوله تعالى ثم ننجي من الواردين من اتقى ولا يجوز ان نقول ثم
ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين الا والكل واردون والاخبار المروية
دالة على هذا القول ثم هولا اختلفوا في تفسير الورود فقال بعضهم
الورود الدنو من جهنم وان يصيروا حولها وهو موضع المحاسبة واحتجوا
على ان الورود قد يراد به القرب بقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وارد
ان ذلك الوارد ما دخل الماء وقال تعالى ولما ورد ماء مدين وارد
به القرب ويقال وردت القافلة البلد وان لم تدخل فعلى هذا
معنى الاية ان الانس والجن يحضرون حول جهنم كان على ربك حتما
مقضيا اي واجبا مفروغا منه بحكم الوعد ثم ننجي اي نبعد
منه الذين اتقوا عن جهنم وهو المراد من قوله اولئك عنها مبعدون
ومما يوكد هذا القول ما روي انه عليه السلام قال لا يدخل النار
احد شهد بدرا والحديبية فقالت حفصة اليس الله تعالى
يقول وان منكم الا واردها فقال النبي عليه السلام ثم
ننجي الذين اتقوا ولو كان الورود عبارة عن الدخول لكان
سوال حفصة لازما والقول الثاني ان الورود هو الدخول
ويدل عليه الاية والخبر اما الاية فقوله تعالى انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وقوله
فاوردهم النار وبيس الورد المورود ويدل عليه قوله اولئك
عنها مبعدون والمبعد هو الذي لولا التبعيد لكان قريبا
وهذا انما يحصل لو كانوا في النار ثم ان الله تعالى يبعدهم عنها

ويدل عليه قوله تعالى ونذر الظالمين فيها جثيا وهذا يدل على انهم يتقون في ذلك
الموضع الذي وردوه وانما يتقون في النار فلا بد وان يكونوا قد دخلوا النار
اما الخبر فهو ان عبد الله بن رواحة قال اخبر الله تعالى عن الورود
ولم يخبر عن الصدور فقال عليه السلام يا ابن رواحة اقرا ما بعدها ثم
ننجي الذين اتقوا وذلك يدل على ان ابن رواحة فهم من الورود الدخول والنبي
عليه السلام ما انكر ذلك وعن جابر انه سيل عن هذه الاية فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول ولا يبقى بر ولا فاجر الا
دخلها فتكون على المومنين بردا وسلاما حتى ان للنار ضجيجا من بردها
والقايلون لهذا القول اختلفوا على قولين الاول الذين يقولون المومنون
يدخلون النار من غير خوف وضرر البتة مع الغبطة والسرور وذلك لان الله تعالى
اخبر عنهم انهم لا يحزنهم الفزع الاكبر ولان الاخرة دار الجزا لا دار التكليف وايصال
الغم والحزن انما يجوز في دار التكليف ولانه صحت الرواية عن الرسول عليه السلام
ان الملايكة تبشر في القبر من كان من اهل الثواب بالجنة حتى يرى مكانه في الجنة
ويعلمه وكذلك القول في حال المعاينة فكيف يجوز ان يردوا القيامة وهم شاكون في
امرهم وانما تؤثر هذه الاحوال في اهل النار لانهم يعلمون كونهم من اهل العذاب ثم اختلفوا
في انه كيف يندفع عنهم ضرر النار فقال بعضهم البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع ان
يكون في خلالها ما لا نار فيه فتكون كالمواضع التي يسلك فيها الى دركات جهنم
واذا كان كذلك لم يمتنع ان يدخل الكل في جهنم فالمومنون يكونون في تلك
المواضع الخالية عن النار والكفار يكونون في وسط النار وثانيها ان الله تعالى يخمد
النار فيعبرها المومنون قال ابن عباس يردونها كانها اهالة وعن جابر بن عبد الله
انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض
اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وثالثها ان حرارة
النار ليست بطبعها والاجزا الملاصقة لابدان الكفار يجعلها الله تعالى محرقة
ومودية والاجزا الملاصقة لابدان المومنين يجعلها بردا وسلاما كما في حق ابراهيم
عليه السلام وكما ان الكوز الواحد من الما كان يشربه القبطي كان يصير دما ويشربه
الاسرايلي فيكون ما عذبا واعلم انه لا بد من اخذ هذه الوجوه من الملايكة
الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع العاقبين فان قيل اذا لم يكن على المومنين
عذاب في دخولهم النار فما الفايدة في ذلك الدخول قلنا فيه وجوه احدها
ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منها وثانيها ان فيه مزيدهم على اهل النار

حيث يرون المومنين الذين هم اعداوهم يستخلصون منها وهم يبقون فيها وثالثها
ان فيه مزيد غم على اهل النار حيث علموا تظهر فضيحتهم عند المومنين بل عند
الاوليا وعند من كان يخوفهم من النار فما كانوا يلتفتون اليهم ورابعها ان
المومنين اذا كانوا معهم في النار يكتوهم فزاد ذلك غما للكفار وسرورا للمومنين
وخامسها ان المومنين كانوا يخوفونهم بالحشر والنشر ويقيمون على صحة الدلايل
فاذا دخلوا جهنم معهم اظهروا لهم انهم كانوا صادقين فيما قالوا وان المكذبين كانوا في الحشر
والنشر كانوا كاذبين وسادسها انهم اذا شاهدوا العذاب صار ذلك سببا
لمزيد ابتهاجهم بنعيم الجنة على ما قال ويصدها بتبيين الاشيا واما الذي
تمسكوا به من قوله تعالى اوليك عنها مبعدون وقد بينا انه احدها يدل
على الدخول في جهنم وايضا فالمراد عن عذابها وكذا قوله لا يسمعون
حسيسها فان قيل هل يثبت بالاخبار كيفية دخول النار ثم خروج
المتقين منها الى الجنة قلنا ثبت بالاخبار ان المحاسبة تكون في
الارض او بحيث كانت الارض ويدل عليه قوله يوم تبدل الارض
غير الارض وجهنم قريبة من الارض والجنة في السما ففي موضع المحاسبة
يكون الاجتماع فيدخلون من ذلك الموضع الى جهنم ثم يرفع الله اهل
الجنة وينجيهم ويدع اهل النار فيها اما قوله تعالى كان على ربك
حتما مقضيا فالحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه يسمى المحتوم بالحتم
كقولهم خلق الله وصرت الامير واحتج من اوجب العقاب
ان قوله كان على ربك حتما مقضيا يدل على وجوب ما جا من
جهة الوعد والاخبار لان كلمة على للوجوب والذي ثبت بمجرد
الاخبار لا يسمى واجبا والجواب ان وعد الله تعالى لما
استحال بطرق الخلف اليه جرى مجرى الواجب اما قوله
ثم ننجي الذين اتقوا فقرى ننجي وننجي على ما لم يسم فاعله قال
القاضي الاية دالة على قولنا في الوعيد لان الله تعالى ذكر
ان الكل يردونها ثم بين كيفية من ينجوا وهم المتقون والفاسق
لا يكون متقيا ثم انه تعالى بين ان من عدا المتقين يذرهم
فيها جثيا فثبت ان الفاسق يبقى في النار ابدا قلنا قال
ابن عباس المتقي هو الذي اتقى الشرك بقول لا اله الا الله
واعلم ان هذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنه هو

الذي يشهد الدليل بصحته وذلك لان من آمن بالله وبرسوله صح ان يقال
انه متقي من الشرك ومن صدق عليه انه متقي من الشرك صدق عليه
انه متقي لان المتقي جزء من المتقي عن الشرك ومن صدق عليه المركب
صدق عليه المفرد فثبت ان صاحب الكبيرة متقي واذا ثبت ذلك
وجب ان يخرج من النار لعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا
فصارت هذه الاية التي توهموها دليلا من اقوى الدلايل على فساد
قولهم قال القاضي ونزل الاية ايضا على فساد قول من يقول
ان في المكلفين من لا يكون في الجنة ولا في النار قلنا هذا
ضعيف لان الاية تدل على انه تعالى ينجي الذين اتقوا وليس فيها
ما يدل على انه ينجيهم الى الجنة ثم هب انها تدل على ذلك
ولكن المتقين تدل على ان المتقين في الجنة والظالمين يبقون
في النار يبقى ههنا قسم ثالث يكون خارجا عن القسمين وهو
الذي استوت طاعته ومعصيته وسقط كل واحد منهما بالاخرى
فيبقى لا مطيعا ولا عاصيا فهذا القسم ان يبطل فانما يبطل
بشيء شبهي كهذه الاية فلا تكون هذه الاية دالة على الحصر
الذي ادعاه ومن المعتزلة من تمسك في الوعيد بقوله ونذر
الظالمين فيها جثيا ولفظ الظالمين لفظ جمع دخل عليه حرف التعريف
فيفيد العموم والكلام على التمسك بصيغ العموم قد مر مرارا كثيرة
في هذا الكتاب اما قوله جثيا قال صاحب الكشاف قوله
ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد بالورود الحضور حولها وان
المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد الحساب ويبقى الكفرة في مكانهم
جاثين قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال
الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا
وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورءيا
اعلم ان الله تعالى لما اقام الحجة على مشركي قريش المنكرين للبعث
واتبعه بالوعيد على ما تقدم ذكره حكى عنهم انهم عارضوا حجة
الله بكلام فقالوا لو كنتم انتم على الحق وكنا على الباطل لكان
حالكم في الدنيا احسن واطيب من حالنا لان الحكيم لا يليق به
ان يرفع اولياءه المخلصين في العذاب والذل واعداءه المرضيين

عن خدمته في العز والراحة والاستعلاء والمؤمنين كانوا في ذلك الوقت
في الخوف والقلة دل ان الحق ليس ما عليه المؤمنون هذا حاصل شبههم
في هذا الباب ونظيره قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه ويروى انهم
كانوا يدخلون شعورهم ويدهنون ويطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة
ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم يقال ان
الاول قوله اياتنا بينات يحتمل وجوها احدها انها من ثلاث الى الفاظ مخلصات
المعاني اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او تبيين الرسول
قولا وفعلا وثانيها انها ظاهرات الاعجاز تحدي بها فاقدروا على معارضتها
وثالثها المراد بكونها ايات بينات اي دلايل ظاهرة واضحة لا يتوجه
عليها سوال ولا اعتراض مثل قوله في اثبات صحة الحشر اولا يذكر الانسان
انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا البحث الثاني قرئ ابن كثير مقاما بالضم
وهو موضع الاقامة والمقام والمقام والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد
المكان والندي المجلس يقال ندي ونادي والجمع الانوية ومنه وماتون
في ناديكم المنكر وقال فليدع ناديه ويقال ندوت القوم اندوهم
اذا جمعتهم في مجلس ومنه دار الندوة وكانت مجمع القوم
اجاب الله عن هذه الشبهة بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم
احسن اثاثا ورءيا وتقرير هذا الجواب ان يقال ان من اعظم نعم الله في
الدنيا قد اهلكهم الله وابادهم فلو دل حصول نعم الدنيا للانسان
على كونه حبيبا لله لوجب لحبيب الله ان لا يوصل عما في الدنيا
ووجب عليه ان لا يهلك احدا من المنعمين في دار الدنيا وحيث اهلكهم
دل على فساد المقدمة الاولى وهي ان حبيب الله لا يوصل اليه عما في الدنيا
ووجب عليه من وجد الدنيا كان حبيبا لله تعالى او على فساد المقدمة
الثانية وهي ان حبيب الله لا يوصل اليه عما وعلى كل التقديرين فيفسد ما
ذكروه من الشبهة بقي البحث على تفسير الالفاظ فنقول اهل كل عصر
قرن لمن بعدهم لانهم ينقرضون بعدهم وهم احسن في محل النصب صفة للضمير
المتاع البيت اما رءيا فقرئ على خمسة اوجه لانها اما ان تقرا بالراء التي ليس فيها
نقطة او بالزاي التي فوقها نقطة اما الاول فاما ان تجمع بين الهمزة والياء
او تكتفي بالياء اما من جمع بين الهمزة والياء ففيه وجهان احدهما همزة ساكنة

بعدها يا رياء وهو الري هو النعمة والرفه من قولهم ريان من النعم
بعدها يا رييا من والثالث بالياء الساكنة على حذف الهمزة راب ووجهه
ان يخفف الاصل وهو رييا بحذف همزته واكتفا حركتها على اليا الساكنة
واما بالزاي المنقطة من فوق وزياء اشتقاقه من الزاي وهو الجمع لان
الزاي محاسن مجموعة والمعنى احسن من هولاء قوله تعالى
قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا راوا ما يوعدون
اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف
جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند
ربك ثوابا وخير مردا اعلم ان هذا هو الجواب الثاني من تلك
الشبهة وتقريره ليفرض ان هذا الضال المتنعم في الدنيا قد مد
الله في اجله وامهله مدة مديدة حتى ينضم الى النعم العظيم المهلة
الطويلة فلا بد ان ينتهي الى عذاب في الدنيا وعذاب في الاخرة
فعند ذلك سيعلمون ان نعم الدنيا ما تنفذهم من ذلك العذاب فقوله
فسيعلمون من هو شر مكانا مذكور في مقابلة قولهم خير مقاما واضعف
جندا في مقابلة قولهم واحسن نديا فبين تعالى انهم وان كانوا في الحال
ان منزلتهم افضل من حيث فضلهم الله تعالى بالمقام والندي فسيعلمون
من بعد ان الامر بالضد من ذلك وانهم شر مكانا لامكان شر من النار
والمناقشة في الحساب واضعف جندا فقد كانوا يظنون وهم في الدنيا
ان اجتماعهم ينفع فاذا راوا ان لا ناصر لهم في الاخرة عرفوا عند ذلك انهم كانوا
في الدنيا مبطلين مما ادعوه وبقي البحث عن الالفاظ وهي من وجوه احدها
مد له الرحمن امهله واملى له في الشر فاخرج على لفظ الامر اي انما يوجب ذلك
وانه مفعول لا محالة كالمامور الممتثل لانقطاع مقادير الضلال ويقال له
يوم القيامة اولم تعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ولقوله انما نملي لهم ليزدادوا
اثما وثانيها ان قوله اما العذاب واما الساعة المراد منه يوم القيامة ثم العذاب
الذي يحصل فيه قبل يوم القيامة يمكن ان يكون هو عذاب القبر ويمكن ان يكون
هو العذاب الذي سيكون عند المعاينة لانهم عند ذلك يعلمون ما يستحقون
ويمكن ايضا ان يكون المراد تغير احوالهم في الدنيا من العز الى الذل ومن الغنا
الى الفقر ومن الصحة الى المرض ومن الامن الى الخوف ويمكن ان يكون المراد تسليط المؤمنين
عليهم ويمكن ان يكون المراد ما نالهم يوم بدر وكل هذه الوجوه مذكورة واعلم انه تعالى

بين بعد ذلك انه كما كان يعاسر الكفار بما ذكره يزيد المؤمنين المهتدين هدى
واعلم انا نبين ذلك بحسب العقل فنقول انه لا يبعد ان يكون
بعض انواع الاهتداء مشروطا ببعض من اهتدى والهداية التي هي
الشرط صارت لا تمنع ان تعطى الهداية التي هي المشروط فصح قوله
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى مثاله الايمان هدى والاخلاص
في الايمان زيادة ولا يمكن ان يحصل اخلاص الا بعد تحصيل الايمان
فمن اهتدى بالايمان زاده الله الهداية بالاخلاص هذا اذا اجرينا لفظ
الهداية على ظاهره ومن الناس من حمل زيادة الهدى على الثواب اي
يزيد الله الذين اهتدوا ثوابا على ذلك الاهتداء ومنهم من فسر هذه
الزيادة بالعبادة المرتبة على الايمان قال صاحب الكشاف يزيد
معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة
له الرحمن مدا ويزيد الله اي في اضلالهم بذلك المد ويزيد المهتدين هداية
بتوفيق ثم ان الله تعالى بين انها عليه المهتدون هو الذي ينفع
في العاقبة فقال والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا
وذلك لان ما عليه المهتدون ضرر قليل منتاه بعظيمه نفع عظيم والذي عليه
الضالون نفع قليل يعقبه ضرر عظيم غير متناه وكل احد يعلم بالضرورة
ان الاول اولى وبهذا الطريق تسقط الشبهة التي عولوا عليها واختلفوا
في المراد بالباقيات الصالحات فقال المحققون انها الايمان والاعمال
الصالحات سموها باقية لان نفعها يدوم ولا يبطل ومنهم من قال
المراد بعد العبادات واعمالها ذكر واما هو اعظم ثوابا وبعضهم ذكر
الصلاة وبعضهم ذكر التسبيح روي ابو الدرداء قال جلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم واحد عودا يابسا وازال الورق عنه
ثم قال ان قول لا اله الا الله والله اكبر هكذا تحط الخطايا كما تحط
ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا ابا الدرداء قبل ان يحال بينك وبينهن
هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة فكان ابو الدرداء يقول
لا عمن ذلك ولا كثرن عمله حتى اذا راني الجاهل حسب اني مجنون والقول
الاول اولى لانه تعالى انما وصفها بالباقيات الصالحات من حيث
يدوم ثوابها فلا ينقطع وبعض العبادات وان كان انقص ثوابا
من البعض فهي مشتركة في الدوام فهي باسرها باقية صالحة وذكر

الى اثارها التي هي الهداية ثم بين تعالى انها خير عند ربك ثوابا وخير
مردا ولا يجوز ان يقال هذا خيرا الا والمراد انه خير من غيره فالمراد انه
خير مما ظنه الكافر بقولهم خير مقاما واحسن نديا **قوله تعالى**
افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا ۞ اطلع
الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا ۞ كلا سنكتب ما يقول ونمد
له من العذاب مدا ۞ ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ۞ اعلم
انه تعالى لما ذكر الدلايل اولا على صحة البعث ثم اورد شبهة المتكبرين
واجاب عنها اورد عليهم الان ما ذكروه على سبيل الاستهزا طعنا في القول
بالحشر فقال افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا
قرا حمزة والكسائي ولدا وهي جمع ولد كاسد واسد وبمعنى الولد كالعرب
والعرب وعن يحيى بن يعمر ولدا بالكسر وعن الحسن نزلت في المغيرة
والمشهور انها نزلت في العاص بن وايل قال خباب بن الارت كان
لي عليه دين فاقبضته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله
لا اكفر بمحمد عليه السلام حيا ولا ميتا ولا حين تبعث فقال فاني اذا مت
ابعث قلت نعم فقال فاني اذا بعثت وجئتني فسيكون لي ثم مال وولد
فاعطيك وقيل صاغ خباب له حليا له فاقتضاه ذلك فطلب الاجر
فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك
ثم فاني اوتى مالا وولدا جئتك فاجاب الله تعالى عن كلامه بقوله اطلع الغيب
من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى اليه ويقال من مطلعها كذلك الامر اي غالبا مالكا
له والاختيار في هذه الكلمة ان تقول او قد بلغ عظيم شانه ان ارتقى الى عالم الغيب
الذي يوجد به الواحد القهار والمعنى ان الذي ادعا ان يكون حاصلا له لا يوصل اليه
الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب بشهادتهما
لا يوصل اليه وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو
يرجوا بذلك ما يقول ثم انه سبحانه وتعالى بين ما حاله عند ما ادعاه
فقال كلا وهي كلمة ردع وتنبيه على الخطا اي هو المخطي فيما يقول ويتمناه فان قيل
لم قال سنكتب بسين التسويف وما قاله كتب من غير تاخير قال تعالى ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد قلنا فيه وجهان احدهما سيظهر له ويعلم انا
كتبنا قوله الثاني ان الردع يقوله للجاني سوف انتقم منك وان كان في حال
الانتقام ويكون غرضه من هذا الكلام محض التهديد وكذا ههنا اما قوله تعالى

ونرثه

ونرثه ما يقول ونمد له من العذاب مدا بمعنى ويدل عليه قول علي بن ابي
طالب رضي الله عنه ونمد بالضم اما قوله تعالى ونرثه ما يقول اي يزول ما عنده
من مال وولد فلم يعود للارث الى من خلفه فاذا سلب ذلك في الاخرة بقي
فردا فلا يصح ان ينفرد في الاخرة مال وولد لقد جئتمونا فرادى
قوله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا ۞ كلا
سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ۞ الم تر انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين تؤزهم ازا ۞ فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا ۞ يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا ۞ ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ۞ لا يملكون
الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ۞ اعلم انه سبحانه
وتعالى لما تكلم في مسئلة الحشر تكلم الان في الرد على عباد الاصنام
فحكى عنهم انهم اتخذوا الهة لانفسهم ليكونوا لهم عزا حيث يكونون
لهم شفعا وانصارا ينقذونهم من الهلاك ثم اجاب الله تعالى بقوله
كلا هو ردع لهم وانكار لتعززهم بالالهة وقرا ابن كلا سيكفرون
بعبادتها اي كلهم سيكفرون بعبادة هذه الاوثان وفي مصحف ابي كلا بفتح
الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الراي والاعتقاد قال صاحب
الكشاف ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها
الفهانونا كما في قوله قوارير واختلفوا في ان الضمير في قوله سيكفرون يعود
الى المعبود ثم قال بعضهم اراد بذلك الملايكة لانهم في الاخرة يكفرون بعبادتهم
ويستبرون منهم ويخاصمونهم وهو المراد من قوله اهولاء اياكم كانوا يعبدون
وقال اخرون انه تعالى يحيي الاصنام يوم القيامة حتى يوبخوا عبادهم
ويتبروا منهم فذلك فيكون ذلك اعظم لحسرتهم ومن الناس من قال
الضمير يرجع الى العباد ان هولاء المشركين يوم القيامة ينكرون انهم عبدوا
الاصنام ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين اما
قوله تعالى ويكونون عليهم ضدا فذكر ذلك في مقابلة قولهم عزا
والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون ضدا بما قصدوه
وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لهم لا عزا ويكونون
عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم
وكان العون يسمى ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه
فان قيل لم وجد قلبا وحد توحيد قوله صلى الله عليه وسلم يد على لك سواهم

لاتفاق كلمتهم وانهم شي واحد لفرط انتظامهم وموافقتهم ومعنى ان الالهة عونا
عليهم انهم وقود للنار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها واعلم
انه تعالى لما ذكر حال هولاء الكفار مع الاصنام في الاخرة ذكر بعده حالهم
مع الشياطين في الدنيا وانهم يستولونهم وينقادون لهم فقال تعالى انا
انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا وفيه مسايل المسئلة
الاولى احتج الاصحاب بهذه الايات على ان الله تعالى مريد لجميع الكاينات
فقالوا قول القايل ارسلت فلانا على فلان موضوع في اللغة لافادة انه سلطه
عليه لارادة ان يستولي عليه قال صلى الله عليه وسلم سم الله وارسل كلبك
عليه اذا عرفت هذا فقوله انا ارسلنا الشياطين يفيد انه تعالى سلطهم
عليهم لارادة ان يستولوا عليهم وذلك يفيد المقصود ثم يتاكد هذا بقوله تؤزهم
ازا فان معناه لتؤزهم ازا ويتاكد هذا بقوله واستفزز من استطعت منهم
قال القاضي حقيقة اللفظ توجيه انه تعالى ارسل الشياطين الى الكفار
كما ارسل الانبيا بان حملهم رسالة يودوها اليهم ولا يجوز في تلك الرسالة
الا ما ارسل عليه الشياطين من الاغوا فكان يجب في الكفار ان يكونوا بقبولهم
من الشياطين مطيعين وذلك كفر من قايله ولان التعجب متعلق المجبرة بذلك
لان عندهم ان ضلالهم من قبله تعالى خلق فيهم الكفر فلا تاثير لما يكون من
الشياطين واذا بطل حمل اللفظ على ظاهره فلا بد من التاويل فنحمله على انه تعالى
خلى بين الشياطين وبين الكفار وما منعهم من اغوايهم وهذه التخلية تسمى
ارسالا في سعة اللغة كما اذا لم يمنع الرجل كلبه من دخول بيت جيرانه
يقال ارسل كلبه علينا وان لم يرد اذا الباس وهذه التخلية وان كان فيها
نسبة المحنة عليهم فهم بان لا يقبلوا منهم ويكون ثوابهم على ترك القبول
اعظم والدليل على ذلك قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم وهذا تمام كلامه ونقول انه
لا يمكن حمله على ظاهره فان قوله الشياطين لو ارسلهم الله الى الكفار لكان
الكفار مطيعين له بقبول قول الشياطين قلنا انه تعالى ما ارسل
الشياطين الى الكفار بل ارسلهم عليهم والارسال عليهم هو التسليط
لا ارادة ان يصير مستولي عليهم واين هذا من الارسال اليهم
قوله ضلال الكافرين من قبله تعالى فاني تاثير للشيطان فيه قلنا
لم لا يجوز ان اسماع الشياطين اياه تلك الوسوسة توجب في قلبه الضلال

بشرط

بشرط سلامة فهم السامع لان كلام الشيطان من خلق الله فيكون ذلك
الضلال الحاصل في قلب الكافر منتسبا الى الله والى الشيطان
من هذين الوجهين قوله لم لا يجوز ان يكون المراد بالارسال التخلية
قلنا كما خلى بين الشياطين والكفر فقد خلى بينهم وبين الانبيا
ثم انه تعالى خص الكافر بان ارسل الشياطين عليه فلا بد من فايدة
زايدة ههنا ولان قوله تؤزهم ازا اي تحركهم تحريكا شديدا
فالغرض من ذلك الارسال يوجب ان يكون ذلك الان مراد الله تعالى
ان يحصل المقصود منه فهذا ما في هذا الموضع والله تعالى اعلم
المسئلة الثانية قال ابن عباس رضي الله عنه تؤزهم ازا اي
تزعجهم ازعاجا في المعاصي نزلت في المستهزين بالقران
وهم خمسة رهط قال صاحب الكشاف الهزا والازوا والازيز
والاستفزاز اخوات معناها التهييج وشدة الازعاج اي تعذبهم
على المعاصي وتهيجهم بالوسواس والتهويلات اما قوله تعالى فلا
تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يقال عجلت عليه بكذا اذا
استعجلت به اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا او ينبذوا حتى تستريح
انت والمسلمون من شرارهم وليس بينك وبين ما تطلب من
هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة ونظيره قوله تعالى
ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبسوا
الا ساعة من نار بلاغ عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان اذا قراها
بكا اخر العدد خروج نفسك اخر العدد دخول قبرك اخر
العدد فراق اهلك وعن ابن السماك رحمه الله انه كان عند المامون
فقراها فقال ان كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما
اسرع ما تنفد وذكروا في قوله نعد لهم عدا وجهين اخرين الاول
نعد انفاسهم واعمالهم فنجازيهم على قليلها وكثيرها والثاني نعد
الاوقات اي وقت الاجل المعين لكل احد الذي لا ينظر اليه الزيادة
والنقصان ثم بين سبحانه ما يظهر ذلك اليوم من الفصل بين
المتقين وبين المجرمين في كيفية الحشر فقال يوم نحشر المتقين
الى الرحمن وقد قال صاحب الكشاف نصب يوم بمضمر اي يوم نحشر
ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف واذكر يوم نحشر ويجوز

ان ينتصب بلا يملكون وعن علي رضي الله عنه قال والذي نفسي بيده ان
المتقين اذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها اجنحة
عليها رحال الذهب ثم في الاية مسايل المسيلة الاولى قال
القاضي هذه الاية اخذ ما يدل على ان اهوال يوم القيامة تختص بالمجرمين
لان المتقين من الابتدا يحشرون على هذا النوع من الكرامة لانهم امنون
من الخوف فكيف يجوز ان ما لهم الاهوال المسيلة الثانية المشبهة
احتجوا بالاية قالوا قوله الى الرحمن يفيد ان انتها جزايهم عند الرحمن
واهل التوحيد يقولون الى محل كرامة الرحمن المسيلة الثالثة طعن
الملحدة فيه فقال قوم يوم نحشر المتقين الى الرحمن هذا انما يستقيم
ان لو كان الحشر عند غير الرحمن اما اذا كان الحشر عند الرحمن فهذا الكلام
لا ينتظم اجاب المسلمون بان التقدير الى كرامة الرحمن اما قوله
تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقوله نسوق يدل على انهم
يساقون الى النار اهليته واستخفافا كنتم عطاش تساق للماء
والورود اسم للعطاش لان من يرد الما لا يرده الا للعطش وحقيقة
الورود المسير الى الما يسمى به الواردون اما قوله لا يملكون ان
يشفعوا لغيرهم كما يملكون المومنون وقال بعضهم بل المراد لا يملك
غيرهم ان يشفعوا لهم وهذا الثاني اولى لان حمل الاية على الاول يجري
مجرى ايضاح الواضحات واذا ثبت ذلك دلت الاية على حصول الشفاعة
لاهل الكباير لانه قال عقبه الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وجب دخوله
فيه وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهدا والتقدير ان هولا لا يستحقون
ان يشفع لهم غيرهم الا اذا كان قال اتخذ عند الرحمن التوحيد والنبوة
فوجب ان يكون داخلا تحته ومما يوكد قولنا ما روي ابن مسعود انه
عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ عند
كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال تقول كل صباح
ومسا اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك
باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك
فانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتبعدني من الخير واني لا الوذ
الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفنيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد
فاذا قال ذلك طبع الله قلبه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان

قال

يوم القيامة

يوم القيامة
نادى مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهدا فيدخل الجنة فظهر بهذا
الحديث ان المراد من اتخاذ العهد كلمة الشهادة وظهر وجه دلالة
الاية على الشفاعة لاهل الكباير والقاضي قال الاية دالة على مذهبه
وقد ظهر ان الاية قوية في الدلالة على قولنا قوله تعالى
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ۞ لقد جيتم شيا ادا ۞ تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ۞ ان دعوا
للرحمن ولدا ۞ وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ۞ ان كل من في
السموات والارض الا ات الرحمن عبدا ۞ لقد احصاهم وعدهم
عدا ۞ وكلهم اتيه يوم القيامة فردا ۞ اعلم انه تعالى
لما اورد على عباد الاوثان عاد الى الرد على من اثبت له ولدا
فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت
العرب الملايكة بنات الله والكل داخلون في هذه الاية ومنهم
من خصها بالعرب الذين اثبتوا ان الملايكة بنات الله وقال
لان النصارى تقدم في اول السورة واما الان فانه لما رد
على العرب الذين قالوا بعبادة الاوثان تكلم في افساد قول الذين
قالوا بعبادة الملايكة بكونهم بنات الله اما قوله لقد جيتم شيا
ادا فقرا ادا بالكسر وبالفتح قال ابن خالويه الاد العجب
وقيل المنكر العظيم والاد الشدة واختلفوا في تكاد فقرا
بعضهم بالبا المعجمة وبعضهم بالتا من فوق وقوله يتفطرن
هو من فطره اذا شقه وكون الفعل فيه وقرا ابن مسعود
يتصدعن وقوله وتخر الجبال هدا اي مهدودة او مفعول
له لانها تهدد المعنى انها تساقط اشد ما يكون من تساقط
البعض على البعض فان قيل من اين يوخذ القول باثبات الولد
الولد لله تعالى في انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور
الجبال قلنا فيه وجوه احدها ان الله سبحانه وتعالى يقول
كدت افعل هذه السموات والارض والجبال عند هذه الكلمة
غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة
كما قال تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولين زالتا ان
امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا وثانيها ان يكون استعظاما

الرد على

للكلمة وتهويلا من فضاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده
وثالثها ان السموات والارض والجبال تكاد ان تفعل ذلك لو كانت تعقل من غلط
هذا القول وهذا تاويل ابي مسلم ورابعها ان السموات والارض والجبال كانت سليمة
من كل العيوب فلما تكلم بنو ادم بهذا القول ظهرت العيوب فيها اما قوله ان دعوا
للرحمن ولدا فيه مسايل المسيلة الاولى في اعرابه ثلاثة اوجه ان يكون مجرورا
بدلا من الهاء في منه ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وايضا الفعل اي هذا لان دعوا
ومرفوعا بانه عامل هذا اي هذها دعا الولد للرحمن والحال انه تعالى بين
ان تلك الامور العظيمة من هذا القول المسيلة الثانية انما كرر لفظ الرحمن
مرات تنبيه على انه سبحانه وتعالى هو الرحمن وهذه من قبل ان اصول
الغم وفروعها ليست الا منه المسيلة الثالثة قوله دعوا هو
من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما
الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة لكل ما يدعى له ولدا اي بمعنى
نسب الذي هو مطاوعه ما في قوله صلى الله عليه وسلم من ادعى
الى خير يواليه وقول الشاعر ان بني نهشل لا تدعى لاب اي
لا تنسب اليه ثم قال وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا اي هو محال
اي الولادة المعروفة ولا يقال واما التمني فان الولد لا بد
وان يكون شبيها بالوالد ولا شبيه لله تعالى ولان اتخاذ
الولد لا يكون لاغراض لا تصح في الله تعالى من ضرورة به
واستعانة به وذكر جميل ولكن ذلك لا يليق به قال
ان كل من في السموات والارض والجبال الملايكة والناس الا هو
يات الرحمن اي ياوي اليه ويلتجي الى ربوبيته عبدا
منقادا مطيعا خاشعا راجيا كما يفعل العبد ومنهم من حمله
على يوم القيامة خاصة والاول اولى لانه لا تخصيص فيه
وقوله لقد احصاهم وعدهم عدا اي كلهم تحت تدبيره
وقهره وقدرته فهو سبحانه وتعالى محيط بهم ويعلم
امورهم وتفاصيلها لا يفوته شي من احوالهم وكل واحد
منهم ياتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هولاء المشركين
احد وهم يرا منه قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك

لتبشر

لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم اهلكنا قبلهم من قرن
هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا اعلم
انه تعالى لما رد على اصناف الكفرة وبالغ في شرح احوالهم في الدنيا
والاخرة ختم السورة بذكر احوال المومنين فقال ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ولدا في قوله ودا قولان
الاول وهو قول الجمهور انه تعالى سيحدث لهم في القلوب
مسرة ويزرعها لهم من غير تردد منهم ولا تعرض للاسباب الذي
يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة
او اصطناع معروف او غير ذلك وانما هو اختراع منه وابتدا
تخصيصا للاوليا بهذه الكرامة كما قذف في قلوب اعدايه الرعب
والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين في سيجعل اما لان
السورة مكية وكان المومنون حينيذ ممقوتين بين الكفرة
فوعدهم الله ذلك اذا جا الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيامة
يحببهم الى خلقه بما يعوض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية ان الله تعالى اذا
احب عبدا نادى يا جبريل قد احببت فلانا فاحبوه فينادي
جبريل عليه السلام في السما والارض واذا ابغض فمثل ذلك وعن
كعب مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى تكون ابتدا
من السما من الله تعالى ينزلها على اهل السما ثم على اهل الارض
وتصديق ذلك سيجعل لهم الرحمن ودا القول الثاني وهو
اختيار ابي مسلم سيجعل لهم الرحمن ودا اي يهب لهم ما يحبون
والمراد والود والمحبة سوا يقال اس فلانا محبته وجعل له
وده ومن كلامهم ويود لو كان كذا اي للحبيب فمعناه سيعطيهم الرحمن
ودهم اي محبوبهم في الجنة والقول الاول اولى لان حمل المحبة على
المحبوب مجاز ولانا ذكرنا ان الرسول صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية
وفسرها بذلك فكان اولى قال ابو مسلم القول الثاني اولى لوجوه
احدها كيف يصح القول الاول مع علمنا ان المسلم الشقي يبغضه
الكفار وقد يبغضه كثير من المسلمين ثانيها ان مثل هذه المحبة
قد تحصل للكفار والفساق اكثر فكيف يمكن جعلها انعاما في حق المومنين

وثالثها ان محبته في قلوبهم من فعلهم ان الله تعالى فعله فكان حمل الاية
على اعطا المنافع الاخروية اولى والجواب عن الاول ان المراد بجعله
محبة عند الملايكة والانبيا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه حكى من ربه
سبحانه انه قال اذا ذكرني العبد المومن في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني
في ملاء ذكرته في ملاء اطيب منه واطيب فضل وهذا هو الجواب عن الكلام
الثاني لان الكافر والفاسق ليس كذلك والجواب عن الثالث انه محمول على
الالطاف وخلق داعية لكرامة في قلوبهم فاما قوله تعالى فانما يسرناه بلسانك
لتبشر به المتقين فهو كلام مستانف عظيم لرفع هذه السورة لما فيها
من ذكر التوحيد والنبوة والحشر والرد على فرق المبطلين فبين تعالى
انه يسر ذلك بلسانه ليبشر وينذر ولولا انه تعالى قصصهم الى لغة
العربية لما تيسر ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم فاما ان القران يتضمن
تبشير المتقين وانذار من خرج عنهم فبين لكنه تعالى لما ذكر انه يبشر المتقين
ذكر في مقابلتهم من هو في مخالفة التقوى ابلغ واتبعه بالاكد الذي يتمسك
بالباطل ويجادل فيه ويتبدد وهو في معنى اللد ثم انه تعالى ختم السورة
بموعظة بليغة فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن لانهم اذا تاملوا وعملوا انه
لابد من زوال الدنيا ومال ما فيها الى الموت خافوا ذلك وخافوا ايضا سوء العاقبة
في الاخرة وكانوا الى الحذر من المعاصي اقرب ثم اكد ذلك فقال هل تحس منهم من
احد لان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا لم يحس منهم احدا برؤية وادراك لا يسمع
لهم ركزا وهو الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز
المال مدفون في الارض فدل ذلك على انقراضهم وفنايهم بالكلية والاقرب
في قوله اهلكنا ان المراد به الانقراض بالموت وان كان من المفسرين من حمله
على العذاب العجل في الدنيا والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة طه عليه السلام مائة واربعون اية في الشامي وخمسون في الكوفي وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طه ما انزلنا عليك
القران لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات
والعلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في
الارض وما بينهما وما تحت الثرى طه فيه مسئلتان
المسئلة الاولى قرا ابو عمرو بفتح الطا وكسر الها وقرا اهل المدينة

بين الفتح والكسر وقرا ابن كثير وابن عامر بفتح الطا والها قال الزجاج
ويقرا بفتح الطا وسكون الها وكلها لغات قال الزجاج من فتح الطا
والها فلان ما قبلها الالف مفتوح ومن كسر الطا والها اماله لان الحرف
مقصور والمقصور يغلب عليه الامالة الى الكسر المسئلة الثانية
للمفسرين فيه قولان الاول انه من حروف التهجي والاخر انه كلمة مفيدة
اما على القول الاول فتقدم الكلام فيه في سورة البقرة والذي
زادوه هنا امور احدها قال الثعلبي طا شجرة طوبى والها الهاوية
وكانه اقسم بالجنة والنار وثانيها يحكى عن جعفر الصادق الطا طهارة
اهل البيت والها هدايتهم وثالثها قال سعيد بن جبير هذا الافتتاح
اسمه الطيب الطاهر الهادي ورابعها مطمع الشفاعة للامة وهادية
الخلق الى الملة وخامسها الطا من الطهارة والها من الهداية فكانه
قيل يا طاهرا من الذنوب يا هاديا الى علام الغيوب وسادسها
الطا طول القراة والها هيبتك في قلوب الكفار قال الله تعالى سنلقي
في قلوب الذين كفروا الرعب وسابعها الطا تسعة في الحساب
والها خمسة تكون اربعة عشر معناه يا ايها البدر وقد عرفت فيما تقدم
ان امثال هذه الاقوال لا يجب ان يعتمد عليها القول الثاني قول من قال
انها كلمة مفيدة وعلى هذا القول ذكروا وجهين احدهما معناه يا رجل وهو مروي عن
ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي رضي الله
عنهم ثم قال سعيد بن جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية
وقال عكرمة بلسان الحبشة وقال الكلبي بلغة عك بمعنى يا رجل وانشد
الكلبي لشاعرهم ان السفا طه في خلافتكم لا قدس الله ارواح الملاعين
وقد حكم الناس على هذا القول من وجهين الاول انه صح بمعنى يا رجل
حمل على الكسر لا يجوز ان يثبت هذا المعنى الا في لغة العرب اذ القران
بهذه اللغة نزل فيحتمل ان تكون لغة العرب في هذه اللفظة موافقة
لهذه اللغات التي حكيناها فاما على غير هذا الوجه فلا يصح الثاني
قال صاحب الكشاف ان كان طه في لغة عك بمعنى يا رجل فلعلهم
تصرفوا في هذا فقلبوا التا طا فقالوا يا طا واختصروا في هذا فقالوا
فاقتصروا على ها واعترض بعضهم عليه فقال لو كان كذلك لوجب
ان يكتب اربعة احرف طاها وثانيها انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم

في تهجده على احدى رجليه فامر ان يطا الارض بقدميه معا كان الاصل
طا فقلبت همزته ها كما قالوا هناك في اياك وهرقت في ارقت ويجوز ان
يكون الاصل من وطي على ترك الهمزة فيكون الاصل طايا رجل ثم اثبت الها فيها
للوقف والوجهان ذكرهما الزجاج اما قوله تعالى ما انزلنا عليك القران
لتشقى فيه مسايل المسيلة الاولى قال صاحب الكشاف ان جعلت
طه تعديدا لاسما الحروف فهذا ابتدا كلام وان جعلتها اسما للسورة
احتمل ان يكون قوله ما انزلنا عليك القران لتشقى خبرا عنها وهو في
موضع المضمر لانها قران وان يكون جوابا لها وهي قسم المسيلة الثانية
قرى ما نزل عليك القران لتشقى المسيلة الثالثة ذكروا في سبب
النزول وجوها احدها قال مقاتل ان ابا جهل والوليد بن المغيرة
والنضر بن الحرث ومطعم بن عدي قالوا يا رسول الله انك لتشقى حين تركت دين
ابايك فقال صلى الله عليه وسلم بل بعثت رحمة للعالمين قالوا بل انت تشقى
فانزل الله تعالى هذه الاية ردا عليهم وتعريفا لمحمد صلى الله عليه وسلم بان
الدين الاسلام وهذا القران هو السلم الى كل فوز والسبب في ادراك كل سعادة
وما فيه الكفرة هو الشقاوة نفسها وثانيها انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل
حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه السلام على نفسك فان
لها عليك حقا ما انزلناه لتهلك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة
العظيمة فما بعثت الا بالحنيفية السمحا وروي ايضا انه كان
اذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى لا ينام وقال بعضهم
كان يقوم على رجل واحدة وقال بعضهم كان يسهر طول الليل
واراد بقوله لتشقى ذلك قال القاضي وهذا بعيد لانه عليه
السلام ان فعل شيا من ذلك فلا بد ان يكون فعله بامر الله تعالى
واذا فعله عن امره فهو من باب السعادة فلا يجوز ان يقال له
ما امرناك بذلك وثالثها قال بعضهم يحتمل ان يكون المراد لا تشقى
نفسك ولا تعذبها بالاسف على كفر هولاء وانما نزلنا عليك القران
لتذكر به فمن امن واصلح فلنفسه ومن كفر فلا يحزنك كفره
فما عليك الا البلاغ وهو كقوله تعالى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا
مومنين فلا يحزنك قولهم ورابعها انك لا تلام على كفر قومك
كقوله لست عليهم بمسيطر وما انت عليهم بوكيل ليس عليك كفرهم

اذا

اذا بلغت ولا تواخذ بذنبهم وخامسها ان هذه السورة من اوايل ما نزل بمكة
وفي ذلك الوقت كان النبي صلى الله عليه وسلم مقهورا تحت ذل اعدايه
فكانه سبحانه وتعالى قال لا تظن انك تبقى ابدا على هذه الحالة بل يعلو
امرك ويظهر قدرك وانا ما انزلنا عليك القران مثل هذا القران لتشقى
شقيا فيما بينهم بل تصير معظما مكرما اما قوله تعالى الا تذكرة لمن يخشى
ففيه مسايل المسيلة الاولى في حكمة الا ها هنا قولان احدهما انه
استثنا منقطع بمعنى يكون الثاني التقدير ما انزلنا عليك القران
لتحمل متاعب التبليغ الا لتكون تذكرة كما يقال ما شا فهناك بهذا
الكلام المنادي الا ليعتبر بك غيرك المسيلة الثانية انما خص من يخشى
بالتذكر لانهم المنتفعون بها وان كان عاما في الجمع وهو كقوله هدى للمتقين
وقال سبحانه وتعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيرا وقال لتنذر قوما ما انذر اباوهم وقال وتنذر به قوما لدا
وقال وذكر فان الذكرى تنفع المومنين المسيلة الثالثة وجه
كون القران تذكرة انه عليه الصلاة والسلام كان يعظهم به ويدخل
تحت قوله لمن يخشى الرسول صلى الله عليه وسلم لانه في الخشية وفي التذكرة
بالقران فوق الكل اما قوله تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى
فيه مسايل المسيلة الاولى ذكروا في نصب تنزيلا وجوها احدها انه
منصوب بفعل مضمر وثانيها ان ينصب محل المدح والاختصاص
وثالثها ان ينتصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تعالى تذكرة لمن
يخشى تنزيلا وهو معنى حسن والجواب بين وقرى تنزيل على خبر
مبتدا محذوف المسيلة الثانية فايدة من لفظ المتكلم الى لفظ
الغايب انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع
ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد وتضاعفت
الفخامة من طريقين ويجوز وثانيها يجوز ان يكون انزلنا حكاية
لكلام جبريل عليه السلام والملايكة النازلين معه المسيلة الثالثة
انه تعالى اعظم حاله بان اسنده الى انه تنزيل ممن خلق الارض
وخلق السموات على علوها وانما قال ذلك لان تعظيم الله يظهر
بتعظيم خلقه ونعمه وانما عظم القران ترغيبا في تدبره والتامل
في معانيه وحقايقه وذلك معناه في الشاهد فانه عظم الرسالة

لتعظيم حال المرسل ليكون المرسل اليه اقرب الى الانتقال المسئلة الرابعة
يقال سماء علا وسمو علوت وقابلة وصف السموات بالعلي دلالة
على عظم قدرة من خلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها اما قوله
الرحمن على العرش استوى ففيه مسائل المسئلة الاولى قرئ الرحمن
مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح
والتقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدأ اي من خلق فان
قيل الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن
او رفعته على المدح قلنا اذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير
وان رفعت جاز ان يكون كذلك وان يكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ
المسئلة الثانية الشبهة تعلقت في هذه الاية في ان معبودهم
جالس على العرش وهذا باطل بالعقل والنقل من وجوه احدها انه
سبحانه وتعالى لا عرش ولا مكان واذا خلق الخلق لم يحتج الى مكان
تخفيا عنه وهو بالصفة التي كان عليها الان يزعم زاعم انه لم يزل
على عرشه وثانيها ان الجالس على العرش ان يكون الجزء الحاصل منه
على يمين العرش غير الحاصل منه عن يسار العرش فيكون في نفسه مؤلفا
مركبا وكل ما كان كذلك احتاج الى المؤلف والمركب وذلك محال وثالثها
الجالس على العرش اما ان يكون متمكنا من الانتقال والحركة او لا يمكنه
ذلك فان كان الاول فقد صار محلا للحركة والسكون فيكون محدثا لامحالة
وان كان الثاني كان كالمربوط بالكرسي بل اسوأ حالا منهم فان الرسن
اذا شأ الحركة في رأسه وجسده امكنه ذلك وهو غير متمكن بحيلة من معبودهم
ورابعها ان معبودهم اما ان يحصل في كل مكان او في مكان دون مكان
فان حصل في كل مكان لزمهم ان يحصل في مكان النجاسة والقاذورات
وذلك لا يقوله عاقل وان حصل في مكان دون مكان افتقر الى مخصص
يخصصه بذلك المكان فيكون محتاجا وهو على الله تعالى محال
وخامسها ان قوله ليس كمثله شيء يتناول على المساواة من جميع الوجوه
بدليل صحة الاستثناء فانه يصح ان يقال ليس كمثله شيء الا في الجلوس
والا في المقدار والا في الكونه وصحة الاستثناء تقتضي دخول هذه الامور

تحته ولو كان جالسا لحصل من يماثله في الجلوس فحينئذ تبطل الاية وسادسها
يحمل عرش ربك فوقهم يوم مبذ ثمانية واذا كانوا حاملين العرش والعرش
مكان معبودهم فيلزمهم ان يكونوا حاملين لمعبودهم وحاملهم
وذلك محال غير معقول لان الخالق هو الذي يحفظ المخلوق ولا
يحفظ الخالق ولا يحمله وسابعها انه لو جاز ان يكون المستقر في
المكان الها فكيف يعلم ان الشمس والقمر ليسا بالهة لان طريقنا
في نفي الهية الشمس والقمر انهما موصوفتان بالحركة والسكون
وما كان كذلك كان محدثا ولم يكن الها فاذا انطلق هذا الطريق
استد عليكم باب القدح في الهية الشمس والقمر لانهما موصوفتان
بالحركة والسكون وما كان كذلك كان محدثا وثامنها ان العالم كره
والجهة التي هي فوق بالنسبة اليها هي تحت الى ساكن ذلك الحال
الاخر من الارض وبالعكس فلو كان المعبود مخصوصا بجهة فوق لكان تحت
وان كان فوق لبعض الناس لكنها تحت للاخرين وباتفاق العقلاء يجوز
ان يقال المعبود تحت جميع الاشياء وتاسعها اجمعت الامة على
ان قوله قل هو الله احد من المحكمات لا من المتشابهات فلو كان
مختصا بالجهات لكان الجانب الذي يلي منه على يساره غير الجانب
الذي على يمينه ويكون مركبا منقسما فلا يكون واحدا في الحقيقة
فيبطل قوله قل هو الله احد وعاشرها ان الخليل عليه السلام قال
لا احب الافلين فلو كان المعبود جسما زائلا ابدا غائبا ابدا وكان يندرج تحت
قوله لا احب الافلين ثبت بهذه الدلايل ان الاستقرار على الله تعالى محال
وعند هذا الناس فريقان الاول انا لا نشتغل بالتاويل بل نقطع بان
الله تعالى منزه عن المكان والجهة ونترك تاويل الاية وروي ان شيخ
الغزالي ان بعض اصحاب الغزالي الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه انه
قال ثلاثة من الاخبار لا تؤول قوله عليه السلام الحجر الاسود
يمين الله في الارض وقوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من
اصابع الرحمن وقوله عليه السلام اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن
واعلم ان هذا القول ضعيف من وجهين احدهما انه ان صح
بان الله منزه عن المكان والجهة فقد قطع بانه ليس مراد الله تعالى

ن الاستواء المجلوس وهذا هو التاويل وان لم نقطع بتنزيه الله عن
المكان والجهة بل نفى شاكا ما ان الله فهو جاهل بالله تعالى منزه
عن المكان والجهة اللهم الا ان يقول انا قاطع بانه ليس مراد الله
تعالى ما يشعر به ظاهره بل مراد الله شيء اخر ولكن لا اعبر عن ذلك
المراد حوفا من الخطاء هو قريب وهو ايضا ضعيف لانه تعالى
لما خاطبنا بلسان العرب وجب ان نريد باللفظ الا موضوعه
في لسان العرب واذا كان كذلك لا معنى للاستواء الا الاذلك في اللغة
وهو الاستقرار والاستيلاء وقد تقرر حمله على الاستقرار فوجب حمله
على الاستيلاء والا لزم تعطيل اللفظ وانه غير جايز والثاني وهو
دلالة فاطمة انه لا بد من المصير الى التاويل وهو اذ الدلالة
العقليه لما قامت على امتناع الاستقرار ودل ظاهر لفظ الاستواء
على معنى الاستقرار اما ان يعمل بكل واحد من الدليلين او يترجحا
معا واما ان يرجح النقل على العقل واما ان يرجح العقل ويتاول
النقل والاول باطل والا لزم ان يكون الشيء منزها عن المكان
وحاصل في المكان وهو محال والثاني ايضا محال لانه يلزم منه
رفع النقيضين معا وهو باطل والثالث باطل لان العقل
اصل للنقل وانه ما لم يثبت بالدلايل العقليه وجود الصانع
وعلمه وقدرته وبعثة الرسل لم يثبت النقل والقدح في العقل
لاجل تصحيح النقل يقتضي القدح في العقل والنقل معا فلم يبق
الا ان يقطع بصحة العقل وهذا برهان قاطع بالمقصود
اذا ثبت هذا فنقول قال بعض العلماء المراد من الاستواء
الاستيلاء قال الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق فان قيل هذا التاويل غير جايز لوجوه
ان الاستيلاء حصول الغلبة بعد العجز وذلك في حق الله محال
وثانيها ان يقال فلان استولى علي كذا ان لم يكن المستولي عليه
موجود قبل ذلك وهذا في حق الله محال لان العرش انما حدث خلقه
وتكوينه ورابعها الاستيلاء حاصل بالنسبة الى كل المخلوقات
فلا يبقى لتخصيص العرش بالذكر فايدة والجواب انا اذا
فسرنا الاستيلاء بالاقتدار زالت عنه المطاعن بالكليه وقال صاحب

الكشاف

الكشاف لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك لا يحصل الا مع
الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على الملك وان لم يرد
ملكه ان لم يستقر على السرير البتة وانما عبروا عن حصول الملك بذلك
لانه اصرح واقوى في الدلالة من ان يقال فلان ملك ونحوه قولك
فلان مبسوطة يد فلان مغلولة يعني انه جواد وقيل لا فرق بين
العبارتين الا فيما قال حيي ان من لم يده وجاد بالنوال اولم يكن له يد
واسا وهو جواد قيل فيه يداه مبسوطة لانه لا فرق عندهم بينه
وبين قوله جواد ومنه قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت
ايديهم اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي جواده من غير قصور يد ولا
غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والبخل فتحا هذا الباب ابواب تاويلات الباطنية ايضا فانهم يقولون
المراد من قوله اخلع نعليك الاستغراق في خدمة الله تعالى من
غير قصور تعل وقوله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم المراد منه
تخليص ابراهيم من يد ذلك الظالم من غير ان يكون هناك نار وحطب
البتة وكذا القول في كل ما ورد في كتاب الله تعالى بل الفايلون
انه يجب حمل كل لفظ ورد في كتاب الله على حقيقته الا اذا قامت
دلالة تقليه فاطمة توجب الانصراف عنه قلت من لم يعرف شيئا
لم يخض فيه هذا تمام الكلام في هذه الاية ومن اراد الاستقصاء
في الايات والاخبار المتشابهات فعليه بكتاب تاسيس التقديس
وبالله التوفيق اما قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض
وما بينهما وما تحت الثرى اعلم انه سبحانه لما شرح ملكه بقوله
الرحمن على العرش استوى والملك لا يستقر الا بالقدرة والعلم لا جرم
عقبه بالعلم والقدرة اما القدرة فلهذه الاية والمراد انه سبحانه
مالك لهذه الاقسام الاربعة فهو مالك لما في السموات من ملك ونجم
وغيرهما ومالك لما في الارض من المعادن والنباتات ومالك لما بينهما من الهوا
ومالك لما تحت الثرى فان قيل الثرى هو السطح الاخير من الارض
العالم فلا يكون تحته شيء فكيف يكون الله تعالى مالكا له قلنا الثرى
في اللغة هو التراب الندي فيحتمل ان يكون تحته شيء وهو اما الثرى او الحجر
او الصخرة او البحر او الهوى على اختلاف الروايات فاما العلم وهو قوله تعالى

وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى وفيه قولان احدهما ان قوله
واخفى بين المبالغة وعلى هذا القول يقول انه تعالى قسم الاشيا ثلاثة
اقسام الجهر والسر والاخفا ويحتمل ان يكون المراد في الكل القول
الذي يجهره وقد يسر في النفس وان اظهر البعض وقد لا يسر ولا يظهر
على ما قال بعضهم ويحتمل ان يكون المراد بالسر والاخفا ما ليس بقول
وهذا اظهر فانه تعالى بين انه يعلم السر الذي لا يسمع وما هو اخفى
منه فكيف لا يعلم الجهر والمقصود زجر كل مكلف عن القبايح
ظاهرة كانت او باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت او
باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي ان يحمل السر والاخفا على ما فيه
ثواب او عقاب والسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الامور التي
عزم عليها والاخفا هو الذي يبلغ العزيمة ويحتمل ان يفسر الاخفا
بما عزم عليه او ما وقع في وهمه الذي لم يعزم عليه ويحتمل ما لم يقع
في سره بعد فيكون اخفى من السر ويحتمل ايضا ان سيكون من قبل
الله تعالى من الامور التي لم تظهر وان كان الاقرب ما قدمناه مما يدخل تحت
الزجر والترغيب القول الثاني ان اخفى فعل بمعنى انه يعلم اسرار
الخلق واخفى عنهم ما لم وهو كقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يحيطون به علما فان قيل كيف طابق الخبر الشرط قلنا معناه
ان تجهر بذكر الله تعالى من دعا او غيره فاعلم انه غني عن جهرك
واما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا
وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس
لاسماع الله وانما هو لغرض اخر واعلم ان الله سبحانه واجب لذاته
وعالم بكل المعلومات في كل الاوقات وعالم بكل المعلومات بعلم
واحد وذلك العلم من لوازم ذاته من غير ان يكون موصوفا بالحدق
او المكان والعبد لا يشارك الرب الا في الدس وهو العلم بهذا الدس
بينه وبين عباده ايضا بصفات خمسة دقايق ونصف جزء من
العلم مسلم له والجزء الواحد يحمله عباده ثم هذا الجزء الواحد مشترك
بين الخلايق كلهم من الملايكة الكروبيين والملايكة الروحانية
وحملة العرش وسكان السموات وملايكة الرحمة وملايكة العذاب
وكذا جميع الانبيا الذين اولهم ادم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم

اصل

وكذا جميع

وكذا جميع في علوم الضرورية والكسبية والحرف والصناعات وجميع
الحيوانات في حركاتها والاهتدا الى مصالحها واغذيتها ومضارها
ومنافعها والحاصل لك من ذلك الجزء اقل من الذرة
ثم انك بتلك الذرة عرفت اسرار الهيته وصفاته الواجبة والجايزة
والمستحيلة واذا كنت بهذه الذرة عرفت هذه الاسرار فكيف يكون
علمه بخمسة دقايق ونصف فلا يعلم بذلك العلم اسرار عبوديتك
وهذا تحقيق قوله تعالى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى
بل الحق ان الدسار بتمامه له لان الذي علمته بتعليمه على ما قال انزله
بعلمه وقال الا يعلم من خلق ولهذا امثال وهو الشمس لان ضوءها
يجعل العالم مضيا ولا تنقص البتة ولا ينقص من ضوئها شي
فكذا ها هنا فكيف لا يكون عالما بالسر والاخفا وان تدبيراته
في خلق الاشجار وانواع النباتات وليس له فهم ساير الا الغذا
فلا جرم اصولها مركوزة في الارض ليحصل به الغذا فينادي الغذا
الى الاغصان ومنها الى العروق ومنها الى الاوراق ثم انه تعالى
جعل عروقها كالاظفار التي يمكن جذب الحمام بها مع انه لا بد من مد
الطنب من كل جانب لتبقى الخيمة واقفة كذلك العروق تذهب
من كل جانب لتبقى الشجرة واقفة ولو نظرت الى كل ورقة وما فيها من العروق الدقيقة المنبوتة
فيها لتصل الغذا الى كل جانب من الورقة ولا تمرق سريعا وهي تشد العروق المخلوقة
في بدن الحيوان ليكون هناك الروح والدم فتكون مقدمة للبدن ثم انظر الى الاشجار
فان احسنها في المنظر الدلب والحلا ولا حاصل لهما وافخمها شجر التين والعنب
وانظر الى منفعتها فهذه الاشيا واسبابها تظهر انه لا يعزب عن علمه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض اما قوله تعالى الله لا اله الا هو له
الاسما الحسنى فالكلام فيه على قسمين القسم الاول في التوحيد ونذكرها
ان شا الله تعالى في قوله تفسير قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وانما
نذكره ها هنا لنبين ان الموصوف بالقدرة والعلم على الوجه الذي تقدم
واحد لا شريك له وهو الذي يستحق العبادة دون غيره ولنذكرها هنا
نكتا متعلقة بهذا الباب وهو ابحاث البحث الاول اعلم ان مراتب
التوحيد اربعة احدها الاقرار باللسان والثاني الاعتقاد بالقلب والثالث
تاكيد ذلك الاعتقاد بالحجة والرابع ان يصير العبد مغمورا في بحر التوحيد

لا يدور في خاطره شيء سوى عرفان الاحد الصمد اما الاقرار باللسان فان وجد خاليا عن
الاعتقاد بالقلب فذلك هو المنافق واما الاعتقاد بالقلب اذا وجد خاليا
عن الاقرار باللسان ففيه صور الصورة الاولى ان من نظر وعرف الله تعالى وكما
عرفه مات قبل ان يمضي عليه من الوقت ما يمكنه التلفظ بكلمة الشهادة فقال
قوم انه لا يتم ايمانه والحق انه يتم لانه اتى بما كلف به وعجز عن النطق فلا
يبقى مخاطبا به ورايت في بعض الكتب ان ملك الموت مكتوب على جبهته
لا اله الا الله لكي اذا راه المومن يذكر كلمة الشهادة فيكفيه ذلك التذكر
من الذكر الصورة الثانية من عرف الله ومضى عليه من الوقت ما يمكنه التلفظ
بالكلمة ولكنه قصر فيه قال الشيخ الغزالي يحتمل ان يقال اللسان ترجمان
القلب فلما حصل المقصود في القلب كان امتناعه عن الذكر جاريا مجرى
امتناعه عن الصلوة والزكوة وكيف يكون من اهل النار وقد قال صلى الله عليه وسلم
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وقلب هذا الرجل مملوء
من الايمان وقال اخرون الايمان والكفر امور شرعية ونحن نعلم ان الممتنع
من هذه الكلمة كافر الصورة الثالثة من اقر باللسان واعتقد بالقلب من غير دليل
فهو مقلد والاختلاف في صحة ايمانه مشهور اما المقام وهو اثبات التوحيد
بالدليل والبرهان فقد بينا في تفسير قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا انه يمكن اثبات هذا المطلوب بالدلايل العقلية والسمعية واستقصا
القول هناك المقام الرابع وهو الفنا في بحر التوحيد قال المحققون العرفان
معبد من تعريف ونقص وترك ورفض يمكن في جميع صفات الحق للذات
المويدة بالصدق منه الى الواحد ثم وقوف هذه الكلمات محيطة باقصى غايات
درجات السائر الى الله تعالى البحث الثاني في الاخبار الواردة في التهليل
عن النبي صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعا استغفر
الله ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات وثانيها قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ملكا من الملايكة
قبل ان يخلق السموات والارض وهو يقول اشهد ان لا اله الا الله ما دابها صوته
لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يسمها فاذا اتمها امر اسرافيل ان ينفخ في الصور
وقامت القيمة تعظيما لله وثالثها عن انس قال صلى الله عليه وسلم ما زلت اشفع
الى ربي ويشفعني واتشفع اليه حتى قلت يا رب شفعني فيمن قال لا اله الا الله
قال يا محمد ليست لك ولا لاحد وعزتي وجلالي لا ادع احدا في النار قال لا اله الا الله

ورابعها

ورابعها قال سفين الثوري سالت جعفر بن محمد عن حم عسق فقال الحا
حكمته والميم ملكه والعين عظمته والسين سناوه والقاف قدرته يقول الله
عز وجل بحكمي وملكي وعظمتي وسناي وقدرتي لا اعذب بالنار من قال لا اله
الا الله محمد رسول الله وخامسها عن ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم
من قال في السوق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي
ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير كتب الله له الف الف
حسنة ومحى عنه الف الف سيئة وبنى له بيتا في الجنة البحث الثالث في النكت
ينبغي لاهل لا اله الا الله ان يخلصوا اربعة اشيا حتى يكونوا من اهل لا اله الا الله
التصديق والتعظيم والجلالة والحرمة فمن ليس له التصديق فهو منافق
ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له الجلالة فهو مراي ومن ليس له
الحرمة فهو فاجر وثانيها قال بعضهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة
كشجرة طيبة انه لا اله الا الله اليه يصعد الكلم الطيب لا اله الا الله
وتواصوا بالحق لا اله الا الله قل انما اعظكم بواحدة بلا اله الا الله
وقفوهم انهم مسولون عن قول لا اله الا الله بل جا بالحق وصدق
المرسلون هو لا اله الا الله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
في الحياة الدنيا وفي الاخرة هو لا اله الا الله ويضل الله الظالمين
عن قول لا اله الا الله وثالثها ان موسى بن عمران عليه السلام قال
يا رب علمني شيا اذكرك به قال قل لا اله الا الله قال كل عبادك
يقولون لا اله الا الله وانما اردت شيا تخصني به قال يا موسى لو
ان السموات السبع ومن فوقهن في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت
بهن لا اله الا الله البحث الرابع في اعرابه قالوا كلمة لا ها هنا
دخلت على الماهية واذا انتفت الماهية انتفى كل افراد الماهية
واما الله فهو اسم علم للذات المعينة اذ لو كان اسم معين لكان
مفهومها محتملا للكثرة فلم تكن هذه الكلمة مفيدة للتوحيد
وقالوا لا استحقت كلمة ان لمشابهتها لها من وجهين الاول تناقضهما
فان احدهما لتاكيد النفي ومن عادتهم تشبيه احد الضدين بالاخر
في الحكم اذا ثبت هذا فنقول لما قالوا ان زيدا ذاهب كان يجب
ان يقول الا رجلا ذاهب الا انهم بنوا الا مع ما دخل عليه من
الاسم المنفرد على الفتح اما البنا فلشدة اتصال حرف النفي بما

عليه دخل عليه كانهما صارا اسما واحدا واما الفتح فلانهم قصدوا البنا
على الحركة المستحقة توفيقا بين الدليل الموجب للاعراب والدليل
الموجب للبنا الثالث خبره محذوف والاصل لا اله الا الله في الوجود
ولا حول ولا قوة لنا وهذا يدل على ان الوجود زايد على الماهية الرابع
قال بعضهم تصور الثبوت مقدم على تصور السلب ما لم تضف الى
الثبوت لا يمكن تصوره فكيف قدم ها هنا السلب على الثبوت
وجوابه انه لو كان هذا السلب من موكدات الثبوت لا جرم قدم عليه
القسم الثاني من الكلام في الاية البحث عن اسما الله تعالى وفيه ابحاث
البحث الاول قال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد ايها
الناس انما جعلت لكم نسبا وانتم جعلتم لانفسكم نسبا انا جعلت ان اكرمكم
عند الله اتقاكم وانتم جعلتم اكرمكم اغناكم فاليوم ارفع نسبي واضع
انسابكم اين المتقون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واعلم ان الاشيا
في قسمة العقول على ثلاثة اقسام كامل لا يحتمل النقصان وناقص لا يحتمل
الكمال وثالث يقبل الامرين جميعا تارة في الترقي بحيث يخبر عنه
انه في مقعد صدق عند مليك مقتدر وتارة في السفل بحيث يقال
ثم رددناه اسفل سافلين واذا كان كذلك استحال ان يكون الانسان
كاملا لذاته لكن الانتساب قسمان قسم بمعرض الزوال وقسم لا يكون
بمعرض الزوال اما الذي يكون بمعرض الزوال فلا فايدة فيه ومثاله
الصحة والمال والجمال واما الذي يكون لا بمعرض الزوال فعبوديتك لله
تعالى فانه كما يمتنع زوال صفة الالهية عنه يمتنع زوال صفة العبودية منك
فهذه النسبة لا تقبل الزوال والمنتسب اليه وهو الحق سبحانه لا يقبل الخروج
عن صفة الكمال ثم اذا كنت من بلد او منتسبا الى قبيلة فانك لا تزال
تبالغ في مدح القبيلة والبلد بسبب ذلك الانسان العرضي فلان تشتغل بذكر
جلال الله وبقوة كبريايه بسبب الانتساب الذاتي كان اولى فلهذا قال
ولله الاسما الحسنى البحث الثاني في تفسير اسما الله تعالى واعلم ان اسم
كل شي اما ان يكون واقعا عليه بحسب ذاته او بحسب اجزا ذاته او بحسب
الامور الخارجة عن ذاته اما القسم الاول فقد اختلفوا في انه هل لله اسم
على هذا الوجه وعلى هذه المسئلة مبنية على ان حقيقة الله هل معلومة للبشر
ام لا فمن قال انها غير معلومة للبشر قال ليس لذاته المخصوصة اسم

لان

لعله لما

52

لان المقصود من الاسم ان يشار به الى المسمى فاذا كانت الذات المخصوصة غير
معلومة وامتنعت الاشارة العقلية اليها امتنع وضع الاسم لها وقد تكلمنا
في تحقيق ذلك في تقسيم بسم الله واما الاسم الواقع عليه بسبب اجزا
ذاته فذلك محال لانه ليس لذاته شي من الاجزا لان كل مركب ممكن
وواجب الوجود لا يكون ممكنا فلا يكون مركبا واما الاسم الواقع بحسب
الصفات الخارجة عن ذاته فالصفات اما ان تكون ثبوتية حقيقية
او ثبوتية اضافية مع سلبية او ثبوتية اضافية وسلبية ولما كانت
الاضافيات المركبة غير متناهية وكذا السلوب غير متناهية امكن ان
يكون للباري تعالى اسما متناهية ولا مترادفة غير متناهية فهذا
هو النسبة على الماجد البحث الثالث يقال ان لله تعالى اربعة
الاف اسم الف لا يعلمها الا الله تعالى والملايكة والف لا يعلمها الا الله والملايكة
والانبيا واما الالف الرابعة فان المومنين يعلمونها فثلاثماية في التوراة
وثلاثماية في الانجيل وثلاثماية في الزبور وماية في القران تسعة وتسعون
منها ظاهرة وواحد مكنون فمن احصاها دخل الجنة البحث الرابع
الاسما الواردة في القران منها ما ليس بانفراده ثنا ومدح كقوله جاعل
وفالق وصانع فاذا قيل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا صار مدحا
واما الاسم الذي يكون مدحا ما اذا قرن بغيره صار ابلغ نحو قولنا
حي فاذا قال الحي القيوم والحي الذي لا يموت كان ابلغ وايضا بديع فانك
اذا قلت بديع السموات والارض ازداد المدح ومن هذا النوع ما كان اسم
مدح ولكن ما يجوز افراده كقولنا دليل وكاشف فاذا قيل دليل الحايرين
وكاشف الضر والبلوى جاز ومنه ما يكون اسم مدح مفرد كقولنا
الرحيم الكريم البحث الخامس من الاسما ما يكون مقارنتها احسن كقولك
الاول الاخر المبدي المعيد الظاهر الباطن ومثاله قوله تعالى في حكاية
قول المسيح وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وبقيت الابحاث قد
تقدمت في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم البحث السادس في النكت
راي بشر الحافي كاغدا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فرفعه وطيبه بالمسك
فراى في المنام كانه نودي يا بشر طيبت اسمنا فنحن نطيب اسمك
في الدنيا والاخرة وثانيها قوله تعالى ولله الاسما الحسنى ليس حسن
الاسما لذواتها اصوات الفاظ واصوات وانما حسنها لحسن معانيها

والف لا يعلمها الا الله صح

ثم ليس كل حسن يسمى حسنا الصورة والخلقة فان ذلك محال
على من ليس بجسم بل حسنا يرجع الى معنى الاحسان مثل اسم الستار والغفار
والرحيم انما كانت حسنا لانها دالة على معنى الاحسان وروي ان حكيما ذهب
اليه قبيح وحسن والتمسا الوصية فقال انت حسن ولا يليق لك العمل
القبيح وانت قبيح والقبيح اذا فعل القبيح عظم قبحه فنقول الهنا اسماؤك
حسنة وصفاتك حسنة فلا يظهر لنا من تلك الاسما الحسنة والصفات
الحسنة الا الاحسان ويكفينا قبح افعالنا وسرنا فلا تضم الينا
قبح العقاب ووحشة العذاب وثالثها قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا
الحاجات عند حسان الوجوه الهنا حسن وجوهنا واما حسن الصفات
والاسما فدابك فلا تردنا عن احسانك خايبين خاسرين ورابعها ذكر
ان صيادا كان يصيد السمك وكانت ابنته تطرحها في الما وقالت
انما وقعت في الشبكة بغفلتها الهنا تلك الصبية كانت ترحم
وكانت تلقيها في الما مرة اخرى في البحر ونحن قد اصطادنا وسوسة ابليس
واخرجنا من بحر رحمتك فارحمنا بفضلك وخلصنا منه والقنا في بحر
رحمتك مرة اخرى وخامسها ذكرت من الاسما خمسة في الفاتحة وهو
الله والرب والرحمن والرحيم والملك وذكرت الالهية وهي اشارة
الى القاهرية والعظمة فعلمنا ان الارواح لا تطيق ذلك القهر والعلو
فذكرت بعده اربعة اسما تدل على اللطف للرب وهذا يدل على التربية
والمعتاد ان من يربي احدا فانه لا يهمل امره ثم ذكرت الرحمن الرحيم
وذلك هو النهاية في اللطف والرافة ثم ختمت بالملك والملك لا ينتقم
من الضعيف العاجز ولان عايشة رضي الله عنها قالت لعلي كرم الله تعالى وجهه العظيم
ملكت فاسمح وانت اولى بان تعفو عن هولا الضعفا وسابعها عن
محمد بن كعب القرظي قال قال موسى الهي اي خلقك اكرم عليك قال
الذي لا يزال لسانه رطبا بذكري قال فاي عبادك اعلم قال الذي يلتمس
الى علمه علم غيره قال فاي خلقك اعدل قال الذي يقضي على نفسه
كما يقضي على الناس قال فاي خلقك اعظم جرما قال الذي يتهمني
وهو الذي يسالني ثم لا يرضى بما قسمت له الهنا انا لا نتهمك فانا
نعلم ان كل ما احسنت به فهو فضل وكل ما لا تفعله فهو عدل فلا تواخذنا
بسو اعمالنا وسادسها قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد سيعلم

الجمع

الجمع من اولى بالكرم اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون
فيتخطون رقاب الناس ثم يقال اين الذين كانت لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي مناد اين الذين الحامدون الله
على كل حال ثم يكون البعث والحساب على من بقي الهي فنحن
حمدناك مقدار طاقتنا ومنتهى قدرتنا فاعف عنا بفضلك
ورحمتك ومن اراد الاستقصا والصفات فعليه بكتاب لوامع
البينات في الاسما والصفات وهل اتاك حديث موسى
اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس
او اجد على النار هدى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع
نعليك انك بالواد المقدس طوى اعلم انه تعالى لما عظم حال
القران وحال الرسول بما كلفه اتبع ذلك بما يهوي قلب رسوله صلى الله
عليه وسلم من ذكر حال الانبيا تقوية لقلبه في الابلاغ كقوله وكلا نقص
عليك من انبيا الرسل ما نثبت به فوادك وبدا بموسى عليه السلام
لان المحنة والفتنة الحاصلة له كانت اعظم ليبتلي قلب الرسول
صلى الله عليه وسلم ويصبر على حمل المكاره فقال تعالى وهل اتاك حديث
موسى وها هنا مسايل المسيلة الاولى قوله وهل اتاك يحتمل ان
يكون هذا اول ما اخبر به من امر موسى عليه السلام فقال وهل اتاك
اي لم ياتك الى الان وقد اتاك الان فتنة له وهذا قول الكلبي ويحتمل ان
يكون قد اتاه ذلك من الزمان المتقدم فكانه قال اليس قد اتاك وهذا
قول مقاتل والضحاك عن ابن عباس المسيلة الثانية قوله وهل اتاك
ان كان على لفظ الاستفهام الذي لا يجوز على الله تعالى لكن المقصود منه
تقرير الخبر في قلبه وهذه السورة ابلغ من ذلك كما يقول الرجل لصاحبه
هل بلغك عني كذا فيتطلع السامع الى معرفة ما يومي اليه ولو كان
المقصود هو الاستفهام لكان الجواب يصدر من قبل موسى لا من قبل الله
تعالى المسيلة الثالثة قوله اذ راى نارا اي هل اتاك حديثه اذ راى
نارا قال المفسرون استاذن موسى شعيبا في الرجوع الى والدته فاذن له
فخرج نحو لولد ابن في الطريق في ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة
وقد حار عن الطريق فقدح موسى النار فلم تور المقدحة شيا فبينما هو في رابطة ذلك

اذا ابصر نارا من بعد عن يسار الطريق قال السدي ظن انها نار من نار الرعاة
وقال اخرون انه عليه السلام راها في سجوده وليس في القران ما يدل على ذلك
واختلفوا فقال بعضهم الذي راه لم يكن نارا بل يحليه نار والصحيح انه
راى نارا يكون صادقا في خبره والكذب لا يجوز على الانبيا
قيل النار اربعة اقسام نار تاكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار
تشرب ولا تاكل جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ونار تاكل وتشرب وهي المعدة
ونار لا تاكل ولا تشرب وهي نار موسى وثانيها لها حرقة بلا نور وهي نار
جهنم وثالثها الحرقة والنور وهي نار الدنيا ورابعها لا حرقة ولا نور
وهي نار الاشجار ولما ابصر النار توجه نحوها فقال لاهله امكثوا اني
انست نارا يجوز ان يكون الخطاب للمراة وحدها لكن خرج على ظاهر
لفظ الاهل فان الاهل يقع على الجميع وايضا فقد يخاطب الواحد بلفظ
الجماعة تفخيما اي اقيموا في مكانكم اني انست نارا ابصرت نارا والايناس
من الاخبار البين ومنه انسان العين لانه يتبين به الشي والانس
لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ايضا ما يونس به ولما
وجدت الايناس وكان لهم حقيقة اني بكلمة اني لوطن انفسهم
ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بني الامر
فيهما على الرجا والطمع فقال لعلي ولم يقطع فيقول اني اتيكم لئلا يعد ما
لم يتيقن الوفا به والنكتة فيه ان قوما قالوا كذب ابراهيم للمصلحة
وهو محال لان موسى عليه السلام قبل نبوته احترز فلم يقبل اتيكم ولكن
قال لعلي اتيكم والقبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرها
او اجد على النار هدى ما يهتدي به من دليل وعلامة ومعنى الاستعلا
في النار ان اهل النار يشعلون المكان القريب منها ولان المصطلين
بها اذا احاطوا بها كانوا مشرفين عليها فلما اتاها اي النار قال ابن عباس
رضي الله عنه راى شجرة خضرا من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضا
فوقف معجبا من شدة تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار
تغير خضرتها ولا كثرة ما الشجرة يغير ضوء النار فسمع تسبيح الملائكة
وراى نورا عظيما قال وهب وظن موسى عليه السلام انها نار اوقدت
فاخذ من رقاق الحطب ليقتبس من لهيبها فمالت اليه كانها تاخذه فتاخر

عنها

عنها وها هنا ثم لم يطمع ويطمع فيها ثم لم يكن باسرع من خمودها كانها لم
تكن فاومى موسى ببصره الى فرعها فاذا خضرتها ساطعة في السما واذا
نور بين السما والارض له شعاع تكل عنه الابصار واما الذي يروى
من ان النار فلما راى موسى ذلك وضع يده على عينه نودي يا موسى قال
القاضي الذي يروى من ان الزند ما كان اورى فهذا جايز واما الذي يروى
من ان النار كانت تتاخر عنه فان كانت النبوة تقدمت له فذلك جايز
والا فهو ممتنع الا ان يكون معجزة لغيره من الانبيا وفي قوله وانا اخترتك
فاستمع لما يوحى دلالة على ان في هذه الحالة اوحى الله تعالى اليه وجعله نبيا
وعلى هذا الوجه يبعد ما ذكروه من تاخير النار عنه وبين فساد
ذلك قوله تعالى فلما اتاها نودي ولو كانت متاخرة عنه حالا بعد
حال لما صح ذلك ولما بقي لنا التعقيب فايدة قلنا القاضي لما بنى
الاعتراض على مذهبه في ان الارهاص غير جايز وذلك عندنا باطل فيبطل
قوله واما التمسك بفا التعقيب فقريب لان تخلل الزمان القليل
بين المجي والندا لا يقدح في فا التعقيب المسئلة الرابعة قرا حمزة وابن
كثير اني بالفتح اي نودي باني انا ربك والباقون بالكسر اي نودي
فقيل يا موسى او لان الندا ضرب من القول فعومل معاملته المسئلة
الخامسة قال الاشعري ان الله اسمعه الكلام القديم الذي ليس بحرف
ولا صوت واما المعتزلة فانهم انكروا وجود ذلك الكلام فقالوا انه
سبحانه خلق ذلك الندا من جسم من الاجسام كالشجرة او غيرها والندا
كلام الله تعالى والله تعالى قادر عليه ومتى شا فعل واما اهل السنة
من اهل ما ورا النهر فقد اثبتوا الكلام القديم الا انهم زعموا ان الذي سمعه
موسى صوت خلقه الله تعالى في الشجرة واحتجوا بالاية على المسموع
هو الصوت المحدث قالوا انه تعالى رتب الندا على انه راى النار والمرتب
على المحدث محدث فالندا محدث المسئلة السادسة اختلفوا في ان موسى
عليه السلام كيف عرف ان المنادي هو الله تعالى فقال اصحابنا يجوز ان يخلق الله
له علما ضروريا بذلك ويجوز ان يعرفه بالمعجزات قالت المعتزلة اما العلم
الضروري فغير جايز لانه لو حصل العلم الضروري بكون هذا الندا كلام الله
تعالى لحصل العلم الضروري بوجود الصانع العالم القادر لاستحالة ان
يكون بالصفة معلومة بالضرورة والذات تكون معلومة بالنظر ولو كان

وجود الصانع تعالى معلوما بالضروره لخرج موسى عن كونه مكلفا لان
حصول العلم الضروري ينافي التكليف فعلما انه تعالى عرفه ذلك
بواسطة المعجزة ولا حاجة بنا ان نعرف ان ذلك المعجز ما هو وثانيها
يروى ان موسى عليه السلام لما شاهد النور الساطع من السما الى الشجرة
وسمع تسبيح الملايكة وضع يده على عينيه ونودي يا موسى فقال لبيك
اني اسمع صوتك ولا اراك فاين انت فقال انا معك وامامك وخلفك
محيطا بك واقرب اليك منك ثم ان ابليس اخطر بباله شكا وقال ما يدريك
انك تسمع كلام الله تعالى فقال اني اسمعه من فوقي ومن تحتي ومن خلفي وعن يميني
وعن شمالي كما اسمعه قدامي فقلت انه ليس من كلام المخلوقين ومعنى اطلاعه
هذه الجهات اني اسمعه بجميع اجزائي وابعاضي حتى ان كل جارحة مني صارت
اذنا وثالثها لعله سمع الندا من جماد كالحصا وغيرها فيكون ذلك معجزا
ورابعها انه راى النار في الشجرة الخضرا بحيث ان الخضرة ما كانت تطفي
تلك النار وتلك النار ما كانت تضر تلك الخضرة وهذا لا يقدر عليه احد الا الله
تعالى المسيلة السابعة قالوا ان تكرير الضمير في انني انا ربك كانه كالتوكيد
الدلالة وازالة الشبهة المسيلة الثامنة ذكروا في قوله فاخلع نعليك انك
بالواد المقدس وجوها احدها كانت من جلد حمار ميت فلذلك امر بخلعها
صيانة للوادي المقدس وكذلك قال عقبه انك بالواد المقدس وهذا
قول علي رضي الله عنه ومقاتل والكلبي والضحاك وقتادة والسدي وثانيها
انه امر بخلعهما لينال قدما وبركة الوادي وهذا قول الحسن وسعيد بن جبير
ومجاهد وثالثها ان يحمل ذلك على تعظيم البقعة من ان يطاها الا حافيا فيكون معظما
لها وخاضعا عند سماع كلام ربه والدليل على ذلك انه تعالى قال عقبه انك
بالواد المقدس واما اهل الاشارة فقد ذكروا فيه وجوها احدها ان الفعل في النوم
يعبر بالزوجة فقوله اخلع نعليك اشارة الى انه لا يلتفت بخاطره الى الزوجة
والولد وان لا يبقى مشغول القلب بامرهما وثانيها المراد بخلع النعلين ترك الالتفات
الى الدنيا والاخرة كانه امره ان يصير متفرق القلب بالكلية في معرفة الله وطهارة
بمعنى انك لما وصلت الى بحر المعرفة فلا تلتفت الى المخلوقات وثالثها ان الانسان
حال الاستدلال على وجود الصانع لا يمكنه ان يتوصل اليه الا بمقدمتين
مثل ان يقول العالم المحسوس ممكن او محدث وكل ما كان كذلك فله موثر
ومدبر وصانع فهاتان المقدمتان يشبهان التعليل لان بهما يتوصل العقل الى
المقصود وينتقل من النظر الى الخلق الى معرفة الخالق وجب ان لا يبقى متلفتا
الى تلك المقدمتين لان بقدر الاشتغال بالغير يبقى محروما عن الاستغراق فيه

فكانه

فكانه قيل لا تكن مشتغل الخاطر بتلك المقدمتين فانك وصلت الى الوادي المقدس
الذي هو بحر معرفة الله تعالى المسيلة التاسعة استدلت المعتزلة
بقوله اخلع نعليك على ان كلام الله تعالى ليس بقديم اذ لو كان قديما لكان
الله قايلا قبل وجود موسى اخلع نعليك يا موسى ومعلوم ان ذلك منه
فان الرجل في الدار الخالية اذا قال يا زيد افعل ويا عمرو لا تفعل مع ان زيدا
وعمرا لا يكونان حاضرين جنونا وسفها فكيف يليق ذلك بالاله اجاب
اصحابنا من وجهين الاول ان كلام الله تعالى وان كان قديما الا انه لم يزل لم يكن
امرا ولا نهيا الثاني انه كان امرا يعني انه وجد في الازل شي لما استمر الى ما لا
يزال صار الشخص به مامورا من غير وقوع التفسير في ذلك الشي كما ان القدرة
يقتضي صحة الفعل ثم انها كانت موجودة في الازل من غير هذه الصحة فلما استمرت الى
ما لا يزال حصلت الصحة فكذا هاهنا وهذا الكلام فيه غموض وبحث دقيق
المسيلة العاشرة في الاية دلالة على كراهية الصلاة والطواف في النعل
والصحيح عدم الكراهية وذلك لانا ان عللناه بان النعلين كانا من جلد حمار ميت
فجايز ان يكون محظورا ليس جلد الحمار وان كان مدبوغا كان ذلك فهو منسوخ
بقوله صلى الله عليه وسلم ايما اهاب دبغ فقد طهر وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم
في نعله ثم خلعه في الصلاة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال ما بالكم خلعتم نعالكم
قالوا خلعت فخلعنا قال فان جبريل عليه السلام اخبرني ان فيها قذرا فلم يكن
للنبي صلى الله عليه وسلم الصلاة في النعل وانكر على الخالعين خلعهما واخبرهم بانه انما
خلعها لما فيها من القذر المسيلة الحادية عشر قرى طوى بالضم والكسر منصرفا
وغير منصرف فمن نونه فهو اسم الوادي ومن لم ينونه ترك صرفه لانه معدول
عن طاو فهو مثل عمر المعدول عن عامر ويجوز ان يكون اسما للبقعة المسيلة
الثانية عشر في طوى وجوه الاول انه اسم الوادي وهو قول عكرمة وابن زيد الثاني
معناه مرتين اي نودي موسى نداءين يقال ناديته طوى اي مثنى الثالث طوى
اي طيا قال ابن عباس انه مر بذلك الوادي ليلا فطواه فكان المعنى بالوادي
الذي طويته طيا اي قطعته حتى ارتفعت الى اعلاه ومن ذهب الى هذا قال طوى
مصدر اخرج عن لفظه كانه قال طويت اطوي طوا كما يقال هدا الهدي هدى
وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا
فاعبدني واقم الصلاة لذكري قرى حمزة وانا اخترناك وقرا ابن ابي كعب واني
اخترتك وهاهنا مسايل المسيلة الاولى قوله معناه اخترتك الى الرسالة

والكلام الذي خصصتك به وهذه الاية تدل على ان النبوة لا تحصل بالاستحقاق
لان قوله وانا اخترتك يدل على ان ذلك المنصب العالي انما حصل لان الله
تعالى اختاره ابتدا لانه مستحقه على الله تعالى المسيلة الثانية قوله
فاستمع لما يوحى فيها نهاية المهابة والجلالة كانه قال لقد جاك امر عظيم هايلا
فتاهب له واجعل كل عقلك وخاطرك مصروفا اليه فقوله وانا اخترتك
يفيد نهاية الهيبة والجلالة ونهاية العطف والرحمة وقوله فاستمع يفيد
نهاية الهيبة فيحصل له من الاول نهاية الرجا ومن الثاني نهاية الخوف
المسيلة الثالثة قوله لا اله الا انا فاعبدني يدل على ان علم الاصول
مقدم على علم الفروع لان التوحيد هو علم الاصول والعبادة من علم الفروع
وايضا في الفا في قوله فاعبدني يدل على ان عبادته انما لزمته لالاهية
وهذا هو تحقيق العلما لان لا اله الا هو المستحق للعبادة المسيلة
الرابعة انه سبحانه وتعالى بعد ان امره بالتوحيد اولا ثم بالعبادة ثانيا
امره بالصلاة ثالثا واحتج اصحابنا بان هذه الاية على ان تاخير البيان
عن وقت الحاجة جايز من وجهين الاول انه امر بالعبادة ولم يذكر كيفية
تلك العبادة فثبت انه يجوز ورود المجمل متكا عن البيان الثاني
انه قال اقم الصلاة لذكري ولم يبين كيفية الصلاة قال القاضي لا يمتنع ان
موسى عليه السلام قد عرف الصلاة التي تعبد الله بها شعيبا وغيره
من الانبيا فصار الخطاب متوجها الى ذلك ويحتمل انه تعالى له في الحال
وان كان المنقول في القران لم يذكر الا هذا القول والجواب اما العذر الاول
فانه لا يتوجه في قوله تعالى فاعبدني وايضا فحمل مثل هذا الخطاب على
فايدة جديدة اولى من حمله على امر معلوم لان موسى عليه السلام ما كان
شك في وجوب الصلاة التي جا بها شعيب عليه السلام فلو حملنا قوله واقم
الصلاة لذكري على ذلك لم يحصل من هذا الخطاب العظيم فايدة زايدة اما لو
حملناه على صلاة اخرى لحصلت فايدة زايدة قوله لعل الله يبينه في ذلك
الموضع وان لم يجمل في القران قلنا لا شك ان في القران البيان اكثر
فايدة من المجمل فلو كان مذكورا لكان اولى بالحكاية المسيلة الخامسة في
قوله لذكري وجوه احدها لذكري معناه لتذكرني فان ذكري ان اعبد وتصلي
لي وثانيها لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار عن مجاهد وثالثها
لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها ورابعها لان اذكرك بالمدح والثنا واجعل

كنا عليها لسان صدق عليا وخامسها لذكري خاصة لا يشعر به ذكر غيري
وسادسها ليكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين لي حصل ذكر ربهم على
بال منهم كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وسابعها لاوقات
ذكري وهو مواقيت الصلاة لقوله تعالى ان الصلاة كانت على المومنين
كتابا موقوتا وثامنها اقم الصلاة حين تذكرها الى انك اذا نسيت صلاة
فاقضها اذا ذكرتها روى قتادة عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك
ثم قرا اقم الصلاة لذكري قال الخطابي هذا الحديث يحتمل وجهين احدهما
انه لا يكفرها غيره والاخر انه لا يلزمه في نسيانها غيره
ولا كفارة كما تلزم الكفارة في صوم رمضان من غير عذر ويلزم المحرم اذا
ترك شيا من نسكه فدية من دم او طعام انما يصلي ما ترك فقط فان
قيل حق العبادة ان يقول صلي الصلاة لذكري كما قال صلى الله عليه
وسلم اذا ذكرها قلنا قوله لذكري معناه للذكر الحاصل بخلقي او
بتقدير حذف المضاف اي لذكر صلاتي المسيلة السادسة لو فاتته
صلوات يستحب ان يقضيها على ترتيب الادا فلو ترك الترتيب
في قضايها جاز عند الشافعي رحمه الله ولو دخل عليه وقت فريضة
وتذكر فايتة نظر فان كان في الوقت سعة يستحب ان يبدا
بالفايتة ولو بدا بصلاة الوقت جاز وان ضاق الوقت بحيث لو بدا
بالفايتة فات الوقت وجب ان يبدا بالصلاة الوقتية حتى لا تفوت
ولو تذكر الفايتة بعد ما شرع في صلاة الوقت اتمها ثم قضى الفايتة
ويستحب ان يعيد صلاة الوقت بعدها ولا يجب وقال ابو حنيفة
رحمه الله يجب الترتيب في قضا الفوايت ما لم تزد على صلاة يوم
وليلة حتى لو قال تذكر في حال صلاة الوقت فايتة تركها اليوم تبطل
فرض الوقت فيقضي الفايتة ثم يعيد صلاة الوقت الا انما يكون الوقت
ضمنها فلا تبطل عند ابي حنيفة رحمه الله وحجة الامام ابي حنيفة الاية
والخبر والقياس والاثر اما الاية فقوله اقم الصلاة لذكري لتذكرها
واللام بمعنى عند كقوله لدلوك الشمس اي عند دلوكها فمن الاية اقم
الصلاة المتذكرة عند تذكرها وذلك يقتضي غاية الترتيب واما الخبر
فقوله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها والفا للتعقيب

وايضا روي جابر عن عبد الله قال جا عمر بن الخطاب الي عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الخندق فجعل يسب كفار قريش ويقول
يا رسول الله ما صليت صلاة العصر حتى كادت ان تغرب الشمس قال النبي
صلى الله عليه وسلم وانا والله ما صليتها بعد قال فنزل الي بطحان
فصلى العصر بعدما غابت الشمس ثم صلى المغرب بعدها وهذا الحديث
مذكور في الصحيحين قالت الحنفية والاستدلال به من وجهين
احدهما انه قال صلى الله عليه وسلم صلوا كما رايتموني اصلي فلما صلى الفوايت
على الولا وجب علينا ذلك الثاني ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج
مخرج البيان للمجمل كان حجة وهذا الفعل خرج بيانا لقوله واقيموا الصلاة
ولهذا قلنا ان الفوايت اذا كانت في حد القلة يجب مراعاة الترتيب
واذا وجد الكثرة فيها يسقط الترتيب واما الاثر فما روي ابن عمر رضي
الله عنه من فاتته صلاة فلم يذكرها الا في صلاة الامام فليمض في صلاته
فاذا قضى صلاته مع الامام يصلي ما فاته ثم يعيد التي صلاها مع الامام
وقد روي ذلك مرفوعا الي النبي صلى الله عليه وسلم واما القياس فانهما
صلاتا فرض جمعهما وقت واحد في اليوم والليلة فاشبهتا صلاتي عرفة
والمزدلفة فلما لم يجب اسقاط الترتيب فيهما وجب ان يكون حكم الفوايت
فيما دون اليوم والليلة كذلك حجة الشافعي رحمه الله انه روي في حديث ابي قتادة
انهم لما ناموا عن صلاة الفجر ثم انتبهوا بعد طلوع الشمس امرهم النبي
صلى الله عليه وسلم ان يعودوا رواحلهم ثم صلاها ولو كان وقت التذكر
للصلاة معينا للصلاة لما جاز ذلك فعلمنا ان ذلك الوقت وقت التذكر
الوجوب عليه لكن لا على سبيل التضييق بل على سبيل التوسع اذا ثبت هذا
فنقول ايجاب قضا الفوايت وايجاب ادا فرض الوقت الخاص يجري مجرى
التخيير بين الواجبين فوجب ان يكون التكليف من تقديم ايهما شا ولانه
لو كان الترتيب في الراتب واجبا لما سقط بالنسيان الا ترى انه لو صلى
الظهر والعصر بعرفة يوم غيم ثم تبين انه صلى الظهر قبل الزوال والعصر بعد
الزوال فانه يعيدهما جميعا ولم يسقط الترتيب بالنسيان لما كانت شرطا فيهما
فههنا ايضا لو كان شرطا فيهما لما كان يسقط النسيان **قوله تعالى** ان
الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها
من لا يومن بها واتبع هواه فتردى اعلم انه لما خاطب موسى بقوله فاعبدني

واقم

واقم الصلاة لذكري اتبعه بقوله ان الساعة اتية اكاد اخفيها وما اليق هذا
بتاويل من تاول قوله تعالى لذكرك اي لاذكرك بالانابة والكرامة فقال عقيب
ذلك ان الساعة اتية لانها وقت الانابة ووقت المجازاة ثم قال اكاد اخفيها
وفيها سوالان الاول وهو ان كاد نفية اثبات واثبات نفي بدليل قوله
وما كادوا يفعلون اي يفعلون ذلك فقوله اكاد اخفيها يقتضي انه ما اخفاها
وذلك باطل لوجهين احدهما قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة لانها وقت
الانابة والثاني ان قوله لتجزي كل نفس بما تسعى انما يليق بالاخفا لا بالاظهار
والجواب من وجوه احدها ان كان موضوع للمقاربة من غير بيان النفي
والاثبات فقوله اكاد اخفيها معناه قرب الامر فيه من الاخفا واما انه هل حصل
ذلك الاخفا او ما حصل فهو غير مستفاد من اللفظ بل بقرينة قوله لتجزي كل
نفس بما تسعى فان ذلك انما يليق بالاخفا لا بالاظهار وثانيها ان كاد من الله واجب
معنى قوله اكاد اخفيها اي انا اخفيها عن الخلق كقوله عسى ان يكون قريبا اي هو
قريب قاله الحسن وثالثها قال ابو مسلم اكاد بمعنى اريد وهو كقوله كذلك كدنا
ليوسف ومن امثالهم المتداولة لا افعل ذلك ولا اكاد اي لا اريد ان افعله ورابعها
معناه اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وانما قال ذلك لان الله تعالى ما اخفاها
عن نفسه والمعنى اكاد اخفيها من نفسي فكيف اعلمها لكم قال القاضي هذا بعيد
لان الاخفا انما يصح ممن يصح له الاظهار وذلك يستحيل عليه تعالى وان كل معلوم
له كالاظهار والاسرار فيه مستحيل ويمكن ان يجاب عنه ان ذلك واقع على التقدير
بمعنى لو صح مني اخفاوها عن نفسي لاخفيته مني والاخفا وان كان محالا في نفسه
الا انه لا يمتنع ان يذكر ذلك على هذا التقدير مبالغة في عدم اطلاع الغير عليه
قال قطرب على هذا على عادة العرب في مخاطبة بعضهم بعضا يقولون اذا
بالغوا في كتمان الشي كتمته من نفسي والله تعالى بالغ في اخفا الساعة فذكره على
ما تعرفه العرب في مثله وخامسها اكاد صلة في الكلام والمعنى ان الساعة اتية
اخفيها قال زيد الحنبلي ❊ تريع الي الهيجا شال سلاحه ❊ فما ان يكاد قومه
يتنفس ❊ والمعنى فما ان يتنفس قومه وسادسها قال ابو الفتح الموصلي
اكاد اخفيها اكاد اظهرها وتلخيص هذه اللفظة ازيل فيها اخفاوها لان افعل
قد ياتي بمعنى السلب والنفي كقوله اعجمت الكتاب واستكتبه اي ازلت عجمته
وسابعها قرئ اخفيها بفتح الالف من خفاه اذا اظهره اي قرب اظهارها كقوله
اقتربت الساعة قال فان تدفنوا الدا لاخفيه وان تنقعوا الحديث لا تقعدوا

اي لاتظهر وقال الزجاج وهذه القراءة ابين لان معنى اكاد اظهرها يفيد
قدم انه اخفاها ثم رجع الكلام الى ان الاولى الاخفا لتجزي كل نفس بما تسعى
وهذا الوجه بعيد السؤال الثاني ما الحكمة في اخفا الساعة واخفا
وقت الموت الجواب ان الله تعالى وعد قبول التوبة فلو عرف وقت
الموت اشتغل بالمعصية الى قريب من ذلك الوقت ثم يتوب فيتخلص من
عقاب المعصية فتعريف وقت الموت كالاغراء بفعل المعصية وانه لايجوز
اما قوله تعالى لتجزي كل نفس بما تسعى ففيه مسائل المسئلة الاولى
انه تعالى لما حكم بمجي الساعة وذكر الدليل عليه وهو انه لولا القيامة لما تميز المطيع من
العاصي والمحسن من المسيء وذلك غير جايز وهو الذي عناه الله في قوله ام نجعل
الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار
المسئلة الثانية احتجت المعتزلة بهذه الآية على ان الثواب مستحق على العمل لان
الباء للالصاق فقوله بما تسعى يدل على ان المؤثر في ذلك الجزاء هو ذلك السعي المسئلة
الثالثة احتجوا بها على ان فعل العبد غير مخلوق لله تعالى لان الآية صريحة في
اثبات سعي العبد ولو كان الكل مخلوق الله تعالى لم يكن للعبد سعي البتة اما قوله
تعالى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها فالصد ابلغ وها هنا قد اجتمع
في هذين الضميرين وجهان احدهما قال ابو مسلم لا يصدنك عنها اي عن الصلاة
التي امرتك بها من لا يؤمن بها اي الساعة فالضمير الاول عايد الى الصلاة
والثاني الى الساعة ومثل هذا جايز في اللفظ والعرب تلقي الجزين ثم تزجي
جوابهما جملة ليرد السامع الى كل جزء حقه وثانيهما قال ابن عباس رضي الله عنه
فلا يصدنك عن الساعة اعني عن الايمان بها من لا يؤمن بها والضمير ان عايدان
الى يوم القيامة قال القاضي وهذا اولى لان الضمير يجب عوده عند الضرورة
الى اقرب المذكورات وها هنا الاقرب هو الساعة وما قاله ابو مسلم انما يصار
اليه عند الضرورة ولا ضرورة هنا المسئلة الثانية الخطاب في قوله فلا يصدنك
يحتمل ان يكون مع موسى ويحتمل ان يكون مع سيد الاولين والاخرين محمد صلى
الله عليه وسلم والاقرب انه مع موسى عليه السلام لان الكلام اجمع خطاب له وعلى
كلا الوجهين فلا معنى لقول الزجاج انه ليس بمراد وانما اريد به غيره وذلك
لان النبي صلى الله عليه وسلم لما لم يجز عليه في النبوة ان يصده احد عن
الايمان بالساعة لم يجز ان يخاطب به ويكون المراد هو وغيره ويحتمل ان يكون
المراد بقوله فلا يصدنك عنها النهي له عن الميل اليهم ومعاونتهم المسئلة الثالثة

المقصود نهي موسى عليه السلام عن التكذيب بالبعث ولكن ظاهر اللفظ
يقتضي نهي من لم يؤمن عن صد موسى عليه السلام وفيه وجهان احدهما
ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على
جملة على المسبب والثاني ان صد الكافر سبب عن رداءة الرجل في الدين
فذكر المسبب ليدل على السبب لقولهم لا اشكها هنا المراد نهيه عن
مشاهدته والكذب يحضرته فكأنها هنا كانه قيل لا تكن رخوا بل كن شديدا
صلبا المسئلة الرابعة الآية تدل على ان علم الاصول واجب لان
قوله فلا يصدنك عنها يرجع الى صلابته في الدين وتلك الصلابة ان كان
المراد بها التقليد لم يتميز المبطل فيه عن الحق فلا بد وان يكون المراد
بهذه الصلابة كونه قويا في تقرير الدلايل وازالة الشبهات حتى
لا يتمكن الخصم من ازالته عن الدين بل هو يكون متمكنا من ازالة المبطل
عن بطلانه المسئلة الخامسة قال القاضي فلا يصدنك يدل على
ان العباد هم الذين يصدون ولو كان تعالى هو الخالق لافعالهم
لكان هو الصاد لهم قد دل ذلك على بطلان القول بالجبر والجواب
المعارضة بمسئلة العلم والداعي اما قوله تعالى واتبع هواه فالمعنى
ان منكري البعث انما انكره اتباعا للهوى لا للدليل وهذا من اعظم
الدلايل على فساد التقليد لان المقلد يتبع الهوى لا الحجة ثم قال
فتردى يعني ولا يصدنك عنها فتردى اي ان صددت وقبلت فلبئس الا
الهلاك بالنار واعلم ان المتوغلين في اسرار المعرفة قالوا المقام
مقامان احدهما مقام المحمود والفنا عما سوى الله تعالى والثاني
مقام البقا بالله تعالى والاول مقدم على الثاني لان من اراد ان يكتب
شيا في لوح مكتوب بكتابة اخرى فلا سبيل اليه الا بازالة الكتابة
الاولى ثم بعد ذلك يمكن اثبات الكتابة الثانية والحق سبحانه وتعالى
راعى هذا الترتيب الحسن في هذا الباب لانه قال لموسى اولا اخلع
نعليك وهو اشارة الى تطهير السر لما سوى الله تعالى ثم بعد ذلك
امر بتحصيل ما يجب تحصيله واصول هذا الباب يرجع الى ثلاثة علم
المبدا وعلم الوسط وعلم المعاد فعلم المبدا هو معرفة الله تعالى وهو المراد
بقوله انا الله لا اله الا انا واما علم الوسط فهو علم العبودية ومعناه الامر
الذي يجب ان يشتغل به الانسان وهو احياة الجسمانية وهو المراد بقوله

فاعبدني اشارة الى الاعمال الروحانية واما علم المعاد فقوله ان الساعة
اتية ثم اعلم انه سبحانه وتعالى افتتح هذه التكاليف بمحض التعطف
بقوله اني انا ربك واختمها بمحض القهر بقوله فلا يصدنك عنها
من لا يومن بها واتبع هواه فتردي تنبيها على ان رحمته سبقت
غضبه واشارة الى ان العبد لا بد له من العبودية من الرغبة
والرهبة والرجا والخوف وعند الوقوف على هذه الجملة يعرف ان هذا
الترتيب في نهاية الحسن والجودة وان ذلك لا ياتي الا من العالم بكل
المعلومات قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي
اتوكا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى قال
القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها
ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى اعلم ان قوله وما تلك
بيمينك لفظتان فقوله وما تلك اشارة الى العصا وقوله بيمينك
اشارة الى اليد وفي هذا نكت احدها انه سبحانه وتعالى لما اشار اليهما
جعل كل واحدة منهما معجزة قاهرة وبرهانا قاهرا ونقله من حيز
الجماد الى مقام الكرامة فاذا صار جمادا بالنظر الواحد حيوانا
وصار الخشب الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه سبحانه وتعالى ينظر كل
يوم ثلثمائة وستين مرة الى قلب العبد فاي عجب لو انقلب قلبه
من موت العصيان الى السعادة بالطاعة ونور المعرفة وثانيها ان
بالنظر الاول الواحد صار جمادا ثعبانا وبلغ بحر السحرة فاي عجب صار
القلب ثعبانا فبلغ بحر النفس الامارة بالسوء ثانيها ان العصا
كانت في يمين موسى عليه السلام بسبب بركته انقلبت ثعبانا برهانا
وقلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن من ظلمة المعصية الى نور
العبودية ثم ها هنا سوالات الاول قوله وما تلك بيمينك
سوال والسوال انما يكون لطلب العلم وهو عند الله محال فما الفايدة فيه
الجواب فيه فوايد الاولى ان المراد ان يظهر من النبي الخفي شيا شريفا
وانه ياخذه ويعرضه على الحاضرين ويقول لهم هذا ما هو فيقولون هو
ذلك الشي الفلاني ثم انه بعد اظهاره يصفه
منه كذا وكذا فان الله تعالى لما عرض اولا على موسى عليه السلام اراد
ان يظهر من العصا تلك الايات كانقلابها حية وضربه بها البحر حتى انفلق

وفي الحجر حتى انفجر منه الماء عرض اولا على موسى عليه السلام وكانه قال يا موسى
هل تعرف حقيقة هذا الذي في يدك فانه خشبة لا تضر ولا تنفع ثم انه
قلبه ثعبانا عظيما فيكون بهذا الطريق قد نبه العقول على كمال قدرته
ونهاية حكمته من حيث انه اظهر هذه الايات العظيمة من حيث انه اهون
الاشياء عنده وهذا هو الفايدة من قوله وما تلك بيمينك يا موسى وثانيها
انه سبحانه وتعالى اطلعه على تلك الانوار المتصاعدة من الشجرة الى السما واسمعه
تسبيح الملايكة ثم اسمعه كلام نفسه ثم انه مزج اللطف بالقهر فلطف به اولا
بقوله وانا اخترتك ثم قهره بايراد التكليف الشاق عليه والزامه علم المبدا
او الوسط او المعاد ثم ختم كل ذلك بالتهديد العظيم فتحير موسى ودهش وكاد
لا يعرف اليمين من الشمال فقيل وما تلك بيمينك يا موسى ليعرف موسى عليه السلام
ان يمينه هي التي فيها العصا ولانه لما تكلم اولا معه تكلم بكلام الالهية فتحير موسى
من الدهشة فتكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة والحيرة والذكاء
فيه انه لما غلبت الدهشة على موسى عليه السلام في الحضرة اراد رب العزة
ازالتها فساله عن العصا وهو امر لا يقع الغلط فيه ولذلك اذا مات الانسان
وصل الى حضرة ذي الجلال والدهشة بقلبه الحيا ويمنعه من الكلام فسكوته عن الامر
الذي لا يغلط فيه في الدنيا وهو التوحيد واذا ذكره زالت دهشته والوحشة
وثالثها ان الله تعالى لما عرف موسى كمال الالهية اراد ان يعرفه نقصان البشرية
فسال عن منافع العصا فذكر بعضها فعرفه ان فيها منافع اعظم مما ذكر
تنبيها على ان العقول قاصرة عن معرفة صفات الاشيا الخاصة فلولا التوفيق
والعصمة كيف يمكنهم الوصول الى معرفة اصل الاشيا واعظمها ورابعها فابين هذا
السوال ان يقدر عنده انها حشبة فاذا قلبها ثعبانا لاخافها فيلزم ان موسى
عليه السلام افضل من محمد عليه السلام والجواب انه تعالى كما خاطب موسى
عليه السلام خاطب محمدا عليه السلام في قوله فاوحى الى عبده ما اوحى ان الفرق
بينهما ان الذي ذكره مع موسى افشاه الى الخلق والذي ذكره مع محمد صلى الله
عليه وسلم كان سرا لم يوصل اليه احد من الخلق الثاني ان كان موسى تكلم معه
وهو مع موسى عليه السلام فامة محمد عليه السلام يخاطبون الله تعالى في
كل يوم مرات على ما قال صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه والذي يتكلم مع
امة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بالتسليم والتكريم قوله تعالى سلام قولا من
رب رحيم السوال الثالث ما اعراب قوله وما تلك بيمينك الجواب قال صاحب

الكشاف تلك بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الاشارة
ويجوز ان يكون تلك اسما موصولا وصلته بيمينك قال الزجاج معناه وما
التي بيمينك قال الفرا معناه وما هذه التي في يمينك والحكم انه سبحانه وتعالى
لما سال موسى عليه السلام عن ذلك اجاب موسى باربعة اشيا ثلاثة
على التفصيل وواحدة على الاجمال الاول قوله هي عصاي قال ابن اسحق
هي عصا ومثله يا بشرا وقرا الحسن هي عصاي بسكون اليا والنكت
هنا ثلاثة احدها انه قال هي عصاي فذكر العصا ومتى كان قلبه مشغولا
بالعصا ومنافعها كيف يكون مشغولا في بحر ولكن الصادق
الامين سيد الاولين والاخرين محمد صلى الله عليه وسلم عرض عليه الجنة
والنار فلم يلتفت الى شي ما زاغ البصر وما طغى ولما قيل امدحنا قال
لا احصي ثنا عليك ثم نسي نفسه ونسي نسيانه فقال انت كما اثنيت
على نفسك وثانيها لما قال عصاي قال الله سبحانه وتعالى القها فلما
القاها فاذا هي حية تسعى ليعرف ان كل ما سوى الله فالالتفات اليه
شاغل وهو كالحية المهلكة لك ولهذا قال الخليل عليه السلام لما فانهم
عدو لي الا رب العالمين وفي الحديث يجا يوم القيمة بصاحب المال
الذي لم يود زكاته بذلك المال على صورة ثعبان الخبر بتمامه وثالثها
لما قال موسى عليه السلام هي عصاي ذكر الوجوه الاخر بحسب المكالمة
مع ربه فجعل ذلك كالوسيلة الى تحصيل هذا الغرض الثاني قوله
اتوكا عليها والتوكا والاتكا واحد كالتوقي والاتقا معناه اعتمد عليها
اذا عييت او وقفت على راس القطيع وعند فجعل موسى عليه
السلام نفسه متوكا على العصا وقال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم
اتكى على رحمتي يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين وقال
الله يعصمك من الناس فان قيل اليس قوله ومن اتبعك من المومنين
معطوف على الكاف في قوله حسبك والمعنى الله حسبك ومن اتبعك من المومنين
الثالث قوله واهش بها على غنمي فتاكله قال اهل اللغة هش على غنمه
يهش بضم الها قاله ثعلب وقرا عكرمة اهس بالسين غير المنقوطة والهس زجر
الغنم واعلم ان غنمه رعية قيل المصالح نفسه في قوله اتوكا عليها ثم مصالح رعيته
في قوله واهش بها على غنمي وكذلك في القيمة يقول نفسي نفسي ومحمد صلى الله عليه وسلم

عليه

في المستقبل ونهش الرغيف نهشا بكسر الها

لم

لم يشتغل في الدنيا الا باصلاح امر الامة وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اللهم اهد قومي
فانهم لا يعلمون فلا جرم يوم القيامة يبدا ايضا بامته فيقول امتي امتي الرابع قوله
ولي فيها مارب اخرى اي حوايج ومنافع واحدها مارب بفتح الرا وضمها وحكى ابن
الاعرابي وقطرب بكسر الراي والارب بفتح الرا والارب بكسر الالف وسكون الرا
وانما قال مارب اخرى لان مارب في معنا جماعة فكانه قال جماعة
من الحاجات اخرى ولو جات اخر لكان صوابا كما قال فعدة من ايام اخر وها هنا
نكت احدها انه لما سمع قول الله وما تلك بيمينك عرف ان لله فيه اسرار عظيمة
فذكر ما عرف وعبر عن الباقي التي ما عرفها اجمالا وتفصيلا بقوله ولي فيها مارب
اخرى وثانيها ان موسى عليه الصلاة والسلام احس بانه تعالى انما ساله عن امر العصا
بمنافع عظيمة فقال موسى الهي ما هذه العصا الا كغيرها فكيف لما سالت عنها
عرفت ان لي فيها مارب اخرى ومن جملتها انك كلمتني بسببها فوجب هذا التشريف
العظيم بسببها وثالثها ان موسى عليه السلام اجمل رجا ان يساله ربه عن تلك المارب
فيسمع كلام الله مرة اخرى ويطول امر المكالمة بسبب ذلك وسابعها ان السبب
انطلق لسانه وزال تشوش فكره فاجمل مرة اخرى قال وهب
كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حيناه بالمحجن واذا حاول
كسره اواه بالشعبتين فاذا سار وضعها على عاتقه تعلق بها ادواته
من القوس والكنانة والثياب وغيرها واذا كان في البرية ركزها والقى كسا
عليها فكان ظلا وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول
طول البير وتصير شعبتاها دلوا ويصيران شعلين في الليالي فاذا
ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان
يحمل عليها زاده وماه وكانت تماشيه ويركزها فينبع الما واذا
وكانت تقيه الهوام واعلم ان موسى عليه السلام لما ذكر هذه الجوابات
امره بالقا العصا فقال القها يا موسى وفيه نكت احدها انه عليه السلام لما قال
ولي فيها مارب اخرى اراد الله تعالى ان يعرفه ان فيها مارب لا تفطن بها ولا
تعرفها وانها اعظم من سايرها وازلي فقال القها يا موسى فالقاها فاذا هي
حية تسعى وثانيها كان في رجله شي وهو النعل وفي يده شي وهو العصا فالرجل
الة الهرب واليد الة الطلب فقال اولا اخلع نعليك اشارة الى ترك الهرب ثم قال
القها وهو اشارة الى ترك الطلب كانه سبحانه وتعالى قال انك ما دمت في مقام الهرب والطلب
كنت مشتغلا بنفسك وطالبا تحصل فلا تكن خالصا لمعرفتي فكن تاركا للهرب والطلب

لتكن خالصا لي وثالثها ان موسى عليه السلام مع علو درجته وكمال صفته
لما وصل الى الحضرة ولم يكن معه النعلان والعصا امره بالقائهما حتى امكنه
الوصول الى الحضرة وا مع الف وفر من العاصي فكيف يمكنك الوصول
الى جنابه ورابعها ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان مجردا عن الكل ما زاغ
البصر وما طغى فلا جرم وكل الكل لعمرك اما موسى لما بقي معه تلك العصا لا جرم
امر بالقا العصا واعلم الكعبي تمسك به في ان الاستطاعة قبل الفعل
فقال القدرة على القا العصا اما ان يكون يوجد والعصا في يده او خارجة
من يده فان اتته القدرة وهي في يده فكذلك قولنا ان الله ليس بظلام
للعبيد وان اتته وليست في يده فانما استطاع ان يلقي من يده ما ليس
في يده وذلك محال اما قوله تعالى فالقاها فاذا هي حية تسعى ففيه
اسوكة السوال الاول ما الحكمة في قلب العصا حية في ذلك الوقت الجواب
فيه وجوه احدها انه تعالى قلبها حية لتكون معجزة لموسى عليه السلام
يعرف بها نبوة نفسه وذلك لانه عليه السلام الى هذا الوقت ما سمع الا
الندا وان كان مخالفا للعادات الا انه لم يكن معجزة لاحتمال ان يكون ذلك
من عادات الملايكة او الجن فلا جرم قلب العصا حية ليكون دليلا ظاهرا
والعجب ان موسى عليه السلام قال اتوكا عليها وصدقه الله تعالى فيه فجعلها
متكا له بان جعلها معجزة له وثانيها ان الندا كان اكراما له فقلب العصا
حية مزيدا في الاكرام الكرامة فيكون توالي الخلع والكرامات سببا لزوال
الوحشة عن قلبه وثالثها ان عرضه عليه ليشاهده اولا فاذا شاهده عند
فرعون لا يخافه ورابعها انه كان راعيا فقيرا ثم حبب للمتصف العظيم
فلعله يقع في تعجب من ذلك فقلب العصا حية تنبيها على اني لما قدرت على ذلك
فكيف يستبعد مني نصرة مثلك في اظهار الدين وخامسها انه لما قال عصا
اتوكا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى فقيل له القها
فلما القاها وصارت حية فر موسى منها فكانه قيل له لما ادعيت انها
عصاك وان لك فيها مارب اخرى فلم يفر عنها تنبيها على سر قوله ففروا
الى الله وقوله قل الله ثم ذرهم السوال الثاني قاها هنا حية وفي موضع
اخر الثعبان والجان والجواب اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى
والصغير والكبير واما الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم
من الحيات والجان الدقيق ففيه وجهان احدهما انها كانت وقت انقلابها

حية

حية صغيرة دقيقة ثم تورمت وزاد جرمها حتى صارت ثعبانا فاريد بالجان اول حالها
وبالثعبان سالها والثاني انها كانت في تمحض الثعبان وسرعة حركته الجان والدليل عليه قوله
فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا السوال الثالث كيف كان صفة الحية الجواب كان لها عرف
كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون ذراعا فابتلعت كلما مرت به من الصخر والاشجار
حتى سمع موسى عليه السلام صريح الحجر في فمها وجوفها قوله تعالى قال خذها ولا تخف سنعيدها
سيرتها الاولى فيه سوالات السوال الاول لما نودي يا موسى وخص بتلك الكرامات العظيمة
وعلم انه مبعوث من عند الله تعالى الى الخلق فلماذا خاف والجواب من وجوه احدها ان ذلك الخوف
كان من نفرة الطبع لانه عليه السلام ما شاهد مثل ذلك قط وايضا فهذه الاشيا معلومة
بدلايل العقول وعند الفزع الشديد قد يذهل الانسان عنه قال الشيخ ابو القاسم الانصاري
رحمه الله وذلك الخوف من اقوى الدلايل على صدقه في النبوة لان الساحر يعلم ان الذي اتى به
تمويه فلا يخافه البتة وثانيها قال بعضهم خافها لانه عليه السلام عرف ما لقي ادم عليه السلام منها
وثالثها ان مجرد قوله لا تخف لا يدل على حصول الخوف كقوله تعالى ولا تطع الكافرين لا يدل على وجود تلك
الطاعة لكن قوله فلما راها تهتز كان جان ولى مدبرا يدل عليه ولكن ذلك الخوف انما ظهر ليظهر الفرق
بينه وبين النبي محمد صلى الله عليه وسلم فلما اظهر الرغبة في والقوة عن النار السوال الثاني متى اخذها
بعد انقلابها او قبل ذلك الجواب روي انه ادخل يده بين اسنانها حال ما انقلبت حية والقران
يدل عليه لقوله سنعيدها سيرتها الاولى وذلك يقع في الاستقبال وايضا فهو اقرب الى الكرامة
لانه كما ان انقلاب العصا حية معجزة فكذلك ادخال يده في فمها من غير ضرر معجزة وانقلابها
خشبا معجز اخر فيكون فيه توالي المعجزات فيكون اقوى في الدلالة السوال الثالث كيف اخذها
امع الخوف او بدونه والجواب روي مع الخوف ولكنه بعيد لانه بعد توالي الدلايل يبعد ذلك واذا
علم موسى عليه السلام انه قال عند اخذها سنعيدها سيرتها الاولى كيف يستمر خوفه وقد
علم صدق هذا القول قال بعضهم لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه
ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها السوال الرابع ما معنى قوله سيرتها الاولى الجواب قال
صاحب الكشاف السيرة من المسير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها
فقلبت الى معنى المذهب والطريقة السوال الخامس بما انتصب سيرتها الجواب فيه وجهان احدهما
بنزع حرف الخفض يعني الى سيرتها وثانيها يحتمل ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير
متعلق بسيرتها بمعنى انها كانت اولا عصا فصارت حية فسنجعلها عصا كما كانت فنصب
سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها سنعيد سايرة سيرتها الاولى حيث كنت متوكا عليها ولك
فيها المارب التي عرفتها قوله تعالى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضا من غير سوء اية اخرى لنريك
من اياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى وفيه مسايل المسيلة الاولى يقال لكل ناحيتين جناحان
كجناحي العسكر لطرفيه وجناحا الانسان جانباه والاصل المستعار منه جناحا الطاير لانه يجنحها عند الطيران

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما الى جناحك الى صدرك والاول اولى لانه يدي الانسان يشبهان جناحي الطاير لانه
قال تخرج بيضا ولو كان المراد بالجناح الصدر لقوله تخرج معنى واعلم ان معنى ضم اليد الى الجناح ما قال
في اية اخرى وادخل يدك في جيبك لانه اذا ادخل يده في جيبه كانه ضم يده الى جناحه المسيلة
الثانية السو الرداة والقبح في كل شي فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسواة والبرص اسبغ
ابغض شي الى العرب فكان جديرا بان يكني عنه يروى انه عليه السلام كان شديد الادمة فكان
اذا ادخل يده اليمنى في جيبه فاذا ادخلها تحت ابطه الايسر واخرجها فكانت تبرق مثل
البرق وقيل مثل الشمس من غير صلة البيضا كما تقول ابيضت مرض ثم اذا ردها عادت
الى لونها الاول بالانوار المسيلة الثالثة بيضا واية حالان معا من غير سو من صلة البيضا
كما تقول ابيضت من غير سوء ومن نصب اية وجه اخر وهو ان يكون منصوبا بفعل محذوف
نحو خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة هذا الكلام عليه وقد تعلق هذا المحذوف لنريك اخذ هذه الاية
البيضا بعد قلب العصا لنريك من اياتنا الكبرى فعلمنا ذلك فان قيل الكبرى ولين سلمنا ذلك فهو كما
قدمنا في قوله ما رب اخرى والاسما الحسنى والله اعلم المسيلة الرابعة قال الحسن رحمه الله اليد
اعظم في الاعجاز من العصا لانه تعالى ذكر لنريك من اياتنا الكبرى عقيب ذلك اليد وهذا ضعيف
لانه ليس في اليد الا تغير اللون واما العصا ففيها تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق
الحياة والقدرة والاعضا المختلفة وابتلاع الحجر والشجر ثم عادت عصا بعد ذلك فقد وقع التغير
مرة اخرى في كل هذه الامور فكانت العصا اعظم واما قوله لنريك من اياتنا الكبرى فقد ثبت انه عايد الى
الكلام وانه غير مختص باليد المسيلة الخامسة انه سبحانه وتعالى لما اظهر هذه الايات عقبها بان امره
بالذهاب الى فرعون وبين العلة في ذلك بانه طغى وانما خص فرعون بالذكر مع ان موسى عليه
السلام كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره اولى قال وهب
قال موسى عليه السلام اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فانك بعيني وسمعي وان معك يدي
ونصرتي واني البسك جنة من سلطاني تستكمل بها القوة في امرك بعثتك الى خلق ضعيف من خلقي
نظير نعمتي وامن مكري وقوته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي اقسم بعزتي لولا الحجة والقدر الذي وضعت
بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى
عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس
الا بعلمي في كلام طويل قال فسكت موسى سبعة ايام لا يتكلم ثم جاءه ملك فقال اجب ربك فيما امرك فعندها قال
قوله تعالى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا
من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا
اعلم ان الله تعالى لما امر موسى بالذهاب الى فرعون وكان ذلك تكليفا شاقا لا جرم سال ربه امورا ثمانية ثم ختمها بما يجري
الاشيا المطلوبة الاولى قوله تعالى رب اشرح لي صدري واعلم انه يقال شرحت الكلام اي بينته وشرحت صدره اي وسعته

والاول

ولا ل
تقرب منه لان شرح الكلام لا يحصل الا ببسطه والسبب في هذا السوال ما حكى الله عنه في موضع اخر
ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فسال الله تعالى ان يبدل ذلك الضيق بالسعة وقيل اشرح لي صدري
فافهم عنك ما انزلت علي من الوحي وقيل سمعني لاجترى به على مخاطبة فرعون ثم الكلام يتعلق
بامور احدها فايدة الدعا وشرايطه وثانيها السبب في ان الانسان لا يذكر وقت الدعا من اسما الله
الا الرب وثالثها معنى شرح الصدر ورابعها بماذا يكون شرح الصدر وخامسها كيف كان
شرح الصدر في حق موسى ومحمد عليهما السلام وسادسها صدر موسى هل كان منشرحا فان كان منشرحا
كان طلب شرح الصدر في باب الدين فقد حصل ثم انه سبحانه تلطف له بقوله وانا اخترتك ثم كلمه
على سبيل الملاطفة بقوله وما تلك بيمينك ثم اظهر له المعجزات العظيمة والكرامات الجسيمة ثم
اعطاه منصب الرسالة بعد ان كان فقيرا فكل ما يتعلق بالاعزاز والاكرام فقد حصل ولو ان
ذرة من هذه المناصب لا دون الناس لصار منشرح الصدر وعند حصول تكليم الله يستحيل ان
لا يصير منشرح الصدر والثاني انه لما يصير منشرح الصدر بعد هذه الاشيا لم يجز من الله
تعالى تفويض النبوة اليه فان من كان ضيق الصدر مشوش الخاطر لا يصلح للقضا على ما قال
عليه السلام لا يقضي القاضي وهو غضبان فكيف يصلح للنبوة التي اقل مراتبها القضا فهذه مجموع
الامور التي لا بد من البحث عنها في هذه الاية البحث الاول وهو فايدة الدعا
وشرايطه وقد تقدم في تفسير قوله ربنا ولا تواخذنا ان نسينا او اخطانا الا انا نذكر هاهنا
بعض الفوايد المتعلقة بهذا الموضع فنقول اعلم ان للكمال مراتب ودرجات واعلاها
ان يكون كاملا في ذاته متكملا لغيره اما كونه كاملا في ذاته فكلما كان كذلك كان كماله
من لوازم ذاته وكل ما كان كاملا في الازل لان التكميل عبارة عن جعل الشي كاملا وذلك
لا يتحقق الا عند عدم الكمال فانه لو كان حاصلا في الازل لاستحال التاثير فيه
قال تحصيل الحاصل محال ويكون الكاين ممتنع فلا جرم انه سبحانه وان كان كاملا في الازل
الا انه يصير مكملا فلا يزال فان قيل اذا كان التكميل الازلي محال فعدمه لا يكون نقصانا
كما ان فعلنا انه لا يقدر على تكوين مثل نفسه لا يكون نقصانا لانه غير ممكن الوجود في نفسه
وقولنا انه لا يعلم عددا مفصلا بحركات اهل الجنة لان كل ما له عدد مفصل فهو
مسات وحركات اهل الجنة غير متناهية فلا يكون عدد مفصل فامتنع ذلك التصور
في العلم بل لكونه في نفسه ممتنع الحصول اذا ثبت هذا فنقول انه سبحانه لما قصد
الى التكوين فكان الغرض منه تكميل الناقصين لان الممكنات قابلة للوجود وصفة الوجود صفة
كمال فاقتضت فاقتضت قدرة الله تعالى على التكميل بوضع فايدة الكمال الممكنات
فاجلس على هذه المايدة بعض المعدومات دون البعض لاسباب احدها ان المعدومات
غير متناهية فلو اجلس الكل على مايدة الوجود لدخل ما لا نهاية له في الوجود وثانيها
انه لو وجد الكل لما بقي بعد ذلك قادرا على الايجاد لان ايجاد الموجود محال فكان ذلك
وان كان كمالا للناقص لا انه يقتضي نقصان الكامل في انه ينقلب القادر من القدرة الى

كماله من لوازم ذاته

العجز وذلك انه لو دخل الكل في الوجود لما بقي فيه تميز فلا يتميز القادر عن الموجب
فالقدرة كالايجاب بالطبع نقصان فلهذه الاسباب خرج بعض الممكنات الى الوجود
فان قيل عليه سؤالان احدهما ان الموجودات متناهية والمعلومات غير متناهية ولا
نسبة للمتناهي الى غير المتناهي فكانت الصفاة مباينة الاقل واما الحرمان فانه
عام لا نهاية له وهذا لا يكون جودا والثاني ان البعض الذي خصه بهذه الصفاة
ان كان لاستحقاق حصل فيه دون غيره وذلك الاستحقاق ممن حصل وان كان لا لهذا
الاستحقاق كما ذلك عبثا وهو كما قيل يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما وانه لا يليق بالكرم
الاكرمين والجواب عن الكل ان هذه الشبهات انما تدور في العقول والخيالات
لان الانسان يحاول قياس فعله على فعلنا وذلك باطل فانه لا يقال عما يفعل اذا عرفت
هذا فهذا الوجود الفائض من نور رحمته على جميع الممكنات هو الصفاة العامة والمائدة
الشاملة وهو المراد من قوله رحمتي وسعت كل شئ فان الموجودات انقسمت الى
الجمادات والى الحيوان ولا شك ان الجماد بالنسبة الى الحيوان كالعدم بالنسبة الى الوجود
لان الجماد لا خير عنده من وجوده بالنسبة اليه فوجوده كالعدم وعدمه كالوجود وانما
الحيوان فهو الذي يميز بين الموجود والمعدوم ويفر وباين بالنسبة اليه ولان الجماد
مائدة الحيوان لان الحيوانات تستعمل الجمادات في اغراض انفسها ومصالحها
وهي كالعبد المطيع المسخر والحيوان كالمالك المستولي فكانت الحيوانية افضل
من الجمادية وكما ان احسان الله ورحمته اقتضيا وضع مائدة الوجود لبعض المعلومات
دون البعض كذلك اقتضت مائدة الموجودات الحيوانية والجمادية فلا جرم
حصل بعض الموجودات احياء دون البعض والحيوانية بالنسبة الى الجمادية كالنور
بالنسبة الى العمى والوجود بالنسبة الى العدم عند ذلك صار بعض الموجودات
جمادا مدركا للمنافي والملايم واللذة والالم والجبر والشر فقالت الاحياء عند
ذلك يا رب الارباب انا وان وجدنا خلعة الوجود وخلعة الحيوة وشرفنا بذلك
لكن ازدادت الحاجة لانا حال العدم وحال الجمادية ما كنا نحتاج الى الملايم
والموافق وما كنا نخاف وللمنافي والموذي لما حصل الوجود والحيوة احتجنا الى جلب
الملايم ودفع المنافي فان لم يكن لنا قدرة على الهرب والطلب والدفع والجذب ليقينا
كان من المتعذر على الطريق عرضة للافات وهدفا للسهام البليات فاعطانا من خزاين
رحمتك القدرة والقوة التي بها يمكن من الطلب تارة والهرب اخرى فاقتضت
الرحمة التامة تخصيص بعض المعلومات بالوجود وبعض الموجودات بالقدرة فقال
القادرون عند ذلك الهنا الكريم ان الحيوة والقدرة بلا عقل لا يكون الا لاحد
قسمين اما للجمادين المحدثين بالسلاسل والاغلال واما للبهائم المستعملة في جلب
الاثقال وكل ذلك من صفات النقصان وانت قدرتينا من حضيض النقصان الى

ادرج

اوج الكمال فانعم علينا من العقل الذي هو اشرف محلوقاتك واعز مبدعاتك الذي شرفته
بقولك له اتيت وبك اعاقب حتى يفوز من خزانة رحمتك بالخلعة الكاملة والفضيلة التامة
فاعطاهم العقل ونبت في ارواحهم نور البصيرة وجوز الهداية فتفاوتت الدرجة
فمنهم من اعطاه الخلع الاربعة الوجود والحيوة والقدرة والعقل فالعقل خاتم الكمل والحاتم
يجب ان يكون افضل الا ترى ان رسولنا لما كان خاتم النبيين كان افضل الانبياء والاسماء
لما كان خاتم المخلوقات الجسمانية فانه افضلها فكذلك العقل لما كان خاتم الخلع الفائضة
من حضرة الجلال كان افضل الخلع واكملها ثم نظر العقل في نفسه فراى نفسه كالحقة
المملوة من الجواهر النفيسة بل كانها مملوة من الكواكب الزاهرة وهي العلوم الضرورية
التذهيبة المرلوزة في بداية العقل وصرائح الاذهان وكما ان الكواكب المذكورة في السموات
علامات يهتدي بها في ظلمات البر والبحر فكذا الجواهر المذكورة في سماء العقل كواكب
زاهرة بها يهتدي السايرون في ظلمات عالم الاجسام الى انوار العوالم الروحانية وصحة
السموات نبهاء نظر العقل الى تلك الكواكب الزاهرة والجواهر الباهرة واي رقم الحدوث
على تلك الجواهر وعلى جميع تلك الخلع فاستدل بتلك الاوهام على راقم وتلك النقوش
على ناقش وعند ذلك عرف ان النقائض تحلاف النقش والمعاني تحلاف البناء فتح له
من اجل ساعالم المحدثات كوات الى اصقع الواح عالم العدم وطالع عالم التدبير والازلية
والجلال وكان العقل نظر الى اصقع عالم الازلية من ظلمات عالم الحدوث والامكان فغلبته
دهشة انوار الازلية فعميت عيناه وبقي متحيرا والتجا طبعه الى مفيض الانوار فقال
رب اشرح لي صدري فان المجاز عسيقة والظلمات متكاثفة وفي قطاع الطريق من الاعداء
الداخلة والخارجة وشياطين الانس والانس كثيرة فان لم تشرح لي صدري ولم تكن عونا
لي في كل الامور انقطعت وصارت هذه الخلع سببا لنيل الافات لا للفوز بالدرجات
فهذا هو المراد من قوله رب اشرح لي صدري ثم قال ويسر لي امري وذلك لان
كل ما يصدر من العبد من الافعال والاقوال والحركات والسكنات فالمرجع العبد مريدا
لها استحال ان يكون فاعلا له فهذه الارادة صفة محدثة ولا بد لها من فاعل وفاعلها ان كان
هو العبد انقل الكلام في تحصيل الارادة الى ارادة اخرى ولزم التسلسل بل لا بد من الانتهاء
الى ارادة خلقها مدبر العالم فيكون هو الذي يقدر على تيسير الامور وهو المتمم لجميع الاشياء
وتمام التحقيق او حدوث الصنعة لا بد له من قابل وفاعل فعبر عن استعداد القابل بقوله
رب اشرح لي صدري وعبر عن حصول الفاعل بقوله ويسر لي امري وفيه تنبيه
على انه سبحانه هو الذي قابليته والفاعل فاعليته ولهذا كان السلف يقولون يا مبتدي
بالنعم قبل استحقاقها ومجموع هذا الكلام يدل على ان جميع الحوادث في هذا
العالم واقع بقضائه وقدره وحكمه وقدرته ويمكن ايضا كان موسى عليه السلام قال الهي
لا تشرح صدري ولكن اطلب منك تسهيل الامر وتحصيل الغرض فلهذا قال ويسر لي

امري او يقال انه سبحانه لما اعطاه الخلع الاربع وهي الوجود والحيوة والقدرة والعقل
وكانه قال قال له يا موسى اعطيتك هذه الخلع الاربع فلا بد في مقابلتها من خدمات اربع
لتقابل كل نعمة بخدمة فقال موسى فما تلك الخدمات فقال واقم الصلاة لذكري فان
فيها انواعا اربعة من الخدمة ثم انه تعالى اعطاه الخلعة الخامسة وهي خلع الرسالة قال
رب اشرح لي صدري حتى آتي بخدمة اقابل هذه النعمة فاني لا اعلم باي خدمة اقابل هذه النعمة
فقيل له ان تجتهد واني اداء هذه الرسالة على الوجه فقال موسى يا رب ان هذا لا يتاتى
مني مع عجزي وضعفي وقلة آلتي وقوة خصمي فاشرح لي صدري ويسر لي امري الفصل
الثاني في قوله رب اشرح لي صدري اعلم ان الدعا سبب القرب من الله وانما
استعمل موسى هذا الدعا طلبا للقرب فتفتقر الى بيان امرين الى بيان ان الدعا سبب
القرب ثم الى بيان ان موسى طلب بهذا الدعا القرب اتيان ان الدعا سبب القرب فيدل
عليه وجوه الاول ان الله تعالى ذكر السوال والجواب في كتابه في عدة مواضع منها
اصولية ومنها فروعية اما الاصولية فاولها في البقرة ويسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت
للناس والحج وثانيها في بني اسرايل ويسلونك عن الروح قل الروح من امر ربي
وثالثها ويسلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ورابعها يسلونك عن الساعة
ايان مرساها واما الفروعية فستة منها في البقرة على التوالي اولها يسلونك ما
ذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين وثانيها يسلونك عن الشهر الحرام
قتال فيه قل قتال فيه وثالثها ويسلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ورابعها
ويسلونك ماذا ينفقون قل العفو وخامسها يسلونك عن اليتامى قل اصلاح
لهم خير وسادسها يسلونك عن المحيض قل هو اذى وسابعها يسلونك عن
الانفال قل الانفال لله والرسول وثامنها يسلونك عن ذي القرنين
قل سأتلوا عليكم منه ذكرا وتاسعها ويستنبئونك احق هو قل اي وربي وعاشرها
ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة والحادي عشر واذا سالك عبادي عني فاني قريب
اجيب اذا عرفت هذا فنقول سات هذه الاسولة والاجوبة على صور مختلفة فالاغلب
انه لما ذكر السوال قال لمحمد قل وفي صورة واحدة بصيغة فقل مع فا التعقيب وفي صورة
ثالثة ذكر السوال ولم يذكر الجواب وهو قوله يسلونك عن الساعة ايان مرساها وفي
صورة رابعة ذكر الجواب ولم يذكر فيه لفظ فقل وهو في قوله واذا سالك عبادي عني فاني
قريب ولا بد لهذه الاشيا من فايدة فنقول اما الاجوبة الواردة بلفظ فلا اشكال
فيها لان قوله تعالى كالتوقيع المجدد في ثبوت نبوة محمد عليه السلام وكالتشريف المجدد في
كونه مخاطبا من الله باداء الوحي والتبليغ واما الصورة الثانية وهو فقل ينسفها
فالسبب ان قولهم ويسالونك عن الجبال سوال اما عن قدمها او عن وجوب بقاها وهذه المسيلة
من امهات اصول الدين ولا جرم امر الله تعالى محمدا ان يجيب بلفظ الفا المفيد للتعقيب

كانه

كانه سبحانه قال يا محمد اجب عن هذا السوال في الحال ولا تقصر يدل عليه ان اجزاء
الجبل متشابهة فوجب ان يكون ممكنا في حق كل الجبل وذلك يدل على انه ليس بقديم ولا واجب
الوجود لان القديم لا يجوز عليه التغيير والنسف فان قيل انهم قالوا اخبرنا عن الهك اهو
ذهب او فضة او حديد فقال قل هو الله احد ولم يقل فقل هو الله احد مع ان هذه
المسيلة من المهمات قلنا انه تعالى لم يحك في هذا الموضع سوالهم وحرف الفا من الحروف
العاطفة فيستدعي سبق كلام فلما لم يوجد نزل الفا بخلاف هاهنا وانه تعالى حكى سوالهم
فحسن عطف الجواب عليه بحرف الفا واما الصورة الثالثة وهو انه تعالى لم يذكر
الجواب وذلك يدل على ان من الاسالة ما لا يجاب عنه وفي قوله ويسلونك عن الساعة
ايان مرساها فالحكمة فيه ان معرفة وقت الساعة على اليقين مشتملة على المفاسد التي شرحنا
فيما سبق فلهذا لم يذكر الله تعالى ذلك الجواب وذلك يدل على ان من الاسولة ما لا يجاب عنه
واما الصورة الثالثة وهو انه تعالى لم يذكر الجواب في قوله ويسالونك عن الساعة
ايان مرساها فالحكمة فيه ان معرفة وقت الساعة على اليقين مشتملة على المفاسد التي شرحناها
فيما سبق فلهذا لم يذكر الله تعالى الجواب وذلك يدل على ان من الاسولة ما لا يجاب
عنه واما الصورة الرابعة وهي قوله فاني قريب اجيب ولم يذكر فيه قل ففيه
وجوه احدها ان ذلك يدل على تعظيم حال الدعا وانه من اعظم العبادات فكانه سبحانه
يقول يا عبدي انت انما تحتاج الى الواسطة في غير الدعا اما في مقام الدعا فلا
واسطة بيني وبينك يدل عليه ان كل قضية لم تكن معرفتها من المهمات قال لرسوله
اذكر لهم تلك القضية كقوله واتل عليهم نبا ابني آدم واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا
واذكر في الكتاب ابراهيم واذكر في الكتاب موسى واذكر في الكتاب اسمعيل واذكر في
الكتاب ادريس ونبيهم عن ضيف ابراهيم ثم قال في قصة يوسف نحن نقص عليك احسن
القصص وفي اصحاب الكهف نحن نقص عليك نباهم ولا ذلك الا لما في هاتين القصتين من
من العجايب والغرايب فالحاصل كانه سبحانه قال يا محمد اذا سيلت عن غيري فكن انت المخاطب
واذا سيلت عني فاسكت انت حتى اكون انا القايل وثانيها ان قوله واذا سالك عبادي عني
فاني فهذا يدل على ان العبد له وقوله واني قريب على ان العبد للرب وثالثها
لم يقل فالعبد مني بل قال انا منه قريب وهذا فيه سر نفيس فان العبد ممكن الوجود فهو
من حيث هو هو في مركز العدم وحضيض الفنا فكيف يكون قريبا بل القريب هو الحق سبحانه
فالاله سبحانه بفضله واحسانه جعله موجودا وقربه من نفسه فالقرب منه لا من العبد
فلهذا قال فاني قريب ورابعها ان الداعي ما دام يبقى خاطره مشغولا بغير
الله سبحانه فاذا قضى عن الكل وصار مستغرقا بمعرفة الاحد الحق امتنع ان يبقى في مقام
الفنا عن غير الله مع الالتفات الى غير الله فلا جرم وقعت الواسطة بينه وبين الرب فما قال
افعل اني قريب بل قال فاني قريب فثبت بما يقرر فضل الدعا وانه اعظم القربات

ثم من شان العبد اذا اراد ان يتحف مولاه ان لا يتحفه الا باحسن التحف والهدايا فلا
جرم اول ما اراد موسى ان يتحف الحضرة الالهية بتحف الطاعات والعبادات اتحفها بالدعا
فلا جرم قال رب اشرح لي صدري الوجه الثاني في بيان فضل الدعا قوله عليه
السلام الدعا مخ العبادة ثم اول شي امر الله به موسى العبادة لان قوله اني انا الله اخبار وليس بامر
انما الامر قوله فاعبدني فلما كان اول ما ورد على موسى من الاوامر هو الامر بالعبادة لا
جرم اول ما اتحف موسى عليه السلام حضرة الربوبية من تحف العبادة هو تحفة الدعا
فقال رب اشرح لي صدري الوجه الثالث وهو ان الدعا نوع من انواع العبادة فكما انه
سبحانه امر بالصوم والصلاة فكذلك امر بالدعا ويدل عليه قوله تعالى واذا سالك عبادي
عني فاني قريب وقال ربكم ادعوني استجب لكم وادعوه خوفا وطمعا ادعوا ربكم تضرعا
وخيفة هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن واذكر
ربك في نفسك تضرعا وخيفة وقال عليه السلام الظوا بياذا الجلال والاكرام
فهذه الاية عرفنا ان الدعا عبادة قال بعض الجهال الدعا على خلاف العقل من وجوه
احدها انه علام الغيوب يعلم ما في الانفس وما تخفي الصدور فاي حاجة بنا
الى الدعا وثانيها ان المطلوب ان كان معلوم الوقوع فلا حاجة الى الدعا وان لم
يكن معلوم الوقوع فلا فايدة فيه وثالثها الدعا يشبه الامر والنهي وذلك
من العبد في حق المولى سوء ادب ورابعها المطلوب بالدعا ان كان من المصالح والحكم
فانه لا يهمله وان لم يكن من المصالح فلم يجز طلبه وخامسها قد جا ان معظم مقامات
الصديقين الرضا بقضا الله وقد ندب اليه والدعا ينافي ذلك لانه اشتغال بالالتماس
والطلب وسادسها قال عليه السلام رواية عن الله تعالى من شغله ذكري عن
مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين فدل على ان الاولى ترك الدعا والايات
التي ذكرتموها تقتضي وجوب الدعا وسابعها ان ابراهيم عليه السلام لما ترك الدعا
واكتفى بقوله حسبي من سوالي علمه بحالي حصل له المدح العظيم فدل على ان الاولى
ترك الدعا والجواب عن الاول انه ليس الغرض من الدعا الاعلام بل هو وقوع تضرع
كساير التضرعات وعن الثاني انه يجري مجرى ان يقول الجايع والعطشان ان كان المشبع معلوم
الوقوع فلا حاجة الى الاكل وان كان غير معلوم الوقوع فلا فايدة فيه وعن الثالث
ان الصيغة وان كانت صيغة الامر الا ان صورة التضرع والخشوع تصرفه عن ذلك وعن
الرابع يجوز ان يصير مصلحة بشرط سبق الدعا وعن الخامس انه اذا دعا اظهارا للتضرع
ثم رضي بما قدر الله فذاك اعظم المقامات وهو الجواب عن البواقي واذا ثبت انه من
العبادة ثم انه تعالى وبالصلاة والامر بالصلاة ورد مجملا لا جرم شرع في اجل العبادات
وهو الدعا الوجه الرابع في فضل الدعا انه سبحانه لم يقتصر في بيان فضل الدعا على الامر
به بل بين في اية اخرى انه يغضب اذا لم يسال فقال فلولا اذ جاهم باسنا تضرعوا ولكن قست

قلوبهم

ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان اعمالهم وقال عليه السلام لا يقولن احدكم اللهم اغفر لي
ان شيت ولكن يحرم فيقول اللهم اغفر لي فلهذا السر حرم موسى فقال رب اشرح لي صدري
الوجه الخامس في فضل الدعا قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم وفيه كرامة
عظيمة لامتنا لان بني اسرايل فضلهم الله تفضيلا عظيما فقال في حقهم واني فضلتكم على العالمين
وقال ايضا واتاكم ما لم يوت احدا من العالمين وقال ايضا ثم مع هذه الدرجة
العظيمة قال لموسى ادع لنا ربك يبين لنا ما هي وان الحواريين مع جلالتهم في قولهم
نحن انصار الله سالوا عيسى ان يسال لهم مايدة من السما ثم انه سبحانه رفع هذه الواسطة في
امتنا فقال مخاطبا لهم من غير واسطة ادعوني استجب لكم وقال وسلوا الله من فضله
فلهذا السبب لما حصلت هذه الفضيلة لهذه الامة وكان محمد عليه السلام قد عرفها لا جرم
قال اللهم اجعلني من امة محمد فلما حرم رفع يديه ابتدا فقال رب اشرح لي صدري
واعلم انه تعالى قال واذا سالك عبادي عني فاني قريب ثم انه تعالى جعل العباد على
سبعة اقسام احدها عبد العصمة ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وموسى كان مخصوصا بمزيد
الصفوة اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فلا جرم اراد مزيد الصفوة فقال
رب اشرح لي صدري وثالثها عبد البشارة فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه وكان موسى عليه السلام مخصوصا بذلك وانا اخترتك فاستمع لما يوحى فاراد مزيد البشارة
فقال رب اشرح لي صدري ورابعها عبد الكرامة يا عبادي لا خوف عليكم وموسى
عليه السلام كان مخصوصا بذلك لا تخافا انني معكما اسمع وارى فاراد الزيادة عليها فقال رب
اشرح لي صدري وخامسها عبد المغفرة نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم وكان موسى
عليه السلام مخصوصا بذلك رب اغفر لي فغفر له واراد الزيادة فقال رب اشرح
لي صدري وسادسها عبد الخدمة اعبدوا ربكم وموسى كان مخصوصا بذلك واصطنعتك
لنفسي وطلب الزيادة فقال رب اشرح لي صدري وسابعها عبد القربة واذا سالك
عبادي عني فاني قريب وموسى كان مخصوصا بالقربة وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه
نجيا فاراد كمال القرب فقال رب اشرح لي صدري الفصل الثالث في
قوله رب اشرح لي صدري فيه وجوه احدها انه تعالى لما خاطبه بالاشيا الستة احدها معرفة
التوحيد اني انا الله لا اله الا انا وثانيها العبادة فاعبدني وثالثها معرفة الاخرة ان الساعة
اتية ورابعها افعاله في الدنيا وما تلك بيمينك يا موسى وخامسها عرض المعجزات
الباهرة لنريك من اياتنا الكبرى وسادسها ارساله الى اعظم الناس عتوا وكفرا وكانت هذه
التكاليف الشاقة سببا للقهر فاراد موسى عليه السلام جبر هذا القهر بالمعجزات
فعرف ان كل ما ساله قرب منه فاراد جبر القهر الحاصل من هذه التكاليف بعجز القرب
منه فقال رب اشرح لي صدري او يقول خاف شياطين الانس والجن فدعا ليصل بسبب
الدعا الى مقام القرب فيصير مامونا عن غوايل شياطين الانس والجن وثانيها اراد الذهاب

الى فرعون وقومه فاراد ان يقطع طمع الخلق عن نفسه بالكلية فعرف ان دعاءه قريب له ووصله به
فحينئذ ينقطع الاطماع بالكلية فقال رب اشرح لي صدري وثالثها الوجود كالنور والعدم
كالظلمة وكل ماسوى الحق سبحانه وتعالى عدم كل شيء هالك الا وجهه فالكل كائن في ظلمات العدم واطلال
عالم الاجسام والامكان فقال رب اشرح لي صدري حتى يجلس قلبي في ضوء المعرفة وساده شرح
الصدر والجالس في الضوء يرى من كان جالسا في الظلمة فمن تجلس في ضوء شرح الصدر لا يرى احدا
في الوجود فلهذا عقبه بقوله ويسر لي امري فان العبد في مقام الاستغراق لا يتفرغ لشيء من المهمات
ورابعها رب اشرح لي صدري فان عين العقل ضعيفة فاطلع يا الهي عين التوفيق حتى
اري كل شيء كما هو وهذا في معنى قول محمد عليه السلام ارنا الاشياء كما هي واعلم ان شرح الصدر
مقدمة لتطوع الانوار الالهية في القلب والاستماع مقدم محمد عليه السلام قيل له فقال
رب زدني علما والعلم هو المقصود فلما كان موسى عليه السلام كالمقدمة لمحمد عليه السلام لا جرم
اعطي المقدمة ولما كان محمد عليه السلام كالمقصود لا جرم اعطي المعبود سبحان من حكمته
في كل شيء وساريها الداعي له صنعان احدهما ان يكون عبدا للرب واذا سألك عبادي عني
والثاني ان يكون الرب له وقال ربكم ادعوني اضاف نفسه الينا وما اضافنا الى نفسه والمشتغل
بالمرعا قد صار كاملا من هذين الجانبين فاراد موسى عليه السلام ان يتبع في هذا الباب فقال
رب اشرح لي صدري وسابعها ان موسى عليه السلام شرفه الله بقوله وقربناه نجيا
وكان موسى عليه السلام قال الهي لما قلت وقربناه نجيا صرت قربانك ولكن اريد قربك مني فقال
يا موسى اسمعت قولي واذا سألك عبادي عني فاني قريب فاسعل بالدعا حتى اصير قربانك فعند
ذلك قال رب اشرح لي صدري وثامنها قال موسى عليه السلام رب اشرح لي صدري وقال
لمحمد الم نشرح لك صدرك تواضعا لعالي ما تركه على هذه الحالة قال وسرلها منيرا فانظر
الى التفاوت فان شرح الصدر هو ان يصير الصدر قابلا للنور والسراج المنير هو المعطي
فالتفاوت بين محمد وموسى كالتفاوت بين الاخذ والمعطي ثم يقول الهنا ان ديننا وهو كلمة
لا اله الا الله نور الصور والصور نوره والصلاة نور والفكرة نور والحمة نور فجعل انوارك التي اعطيتنا
في الدنيا اجرنا انوار فضلك واحسانك يوم القيمة الفصل الرابع في قوله رب
اشرح لي صدري سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذف في القلب
فقيل وما امارته فقال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت
قبل النزول ويدل على ان شرح الصدر عبارة عن النور قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه واعلم ان الله تعالى ذكر عشرة اشياء ووصفها بالنور احدها وصف ذاته
بالنور الله نور السموات والارض وثانيها الرسول لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وثالثها
القرآن واتبعوا النور الذي انزل معه ورابعها الايمان يريدون ان يطفئوا نور الله
بافواههم وخامسها الشمس والقمر وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وسادسها
النهار قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء

وسابعها عدل الله واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم
هدي ونور وثامنها سمعنا الانبياء نور على نور وعاشرها المعرفة مثل نوره كمشكاة فيها
ثبت هذا فيقول كان موسى عليه السلام قال الهي رب اشرح لي صدري بنور معرفتك وثانيا
رب اشرح لي صدري بالتحاق باخلاق رسلك وانبيائك وثالثا رب اشرح لي صدري بالتباع
حبك واشتغال امرك ونهيك ورابعا رب اشرح لي صدري بنور الايمان والايقان
بالهيتك وخامسا رب اشرح لي صدري بالانتقال من نور عمسك وقرارك الى انوار جلال
عزتك كما فعله ابراهيم حيث انتقل من الكواكب والقمر والشمس الى حضرة العزة وسادسا رب
اشرح لي صدري من مطالعة انوار قهرك وليل عدلك وسابعا رب اشرح لي صدري
لمعرفة عدلك في ارضك وسمائك وثامنا رب اشرح لي صدري باطلاع على بحار يا نبك
ومعادن بيناتك في ارضك وسمائك وتاسعا رب اشرح لي صدري في ان اكون حاف الانبياء
المقدمين ومعتقدا بما هو في الاعتقاد حكم رب العالمين وعاشرا رب اشرح لي
صدري بان تجعل سراج الاعمال في قلبي كالمشكاة التي فيها المصباح واعلم ان شرح الصدر
عبارة عن انقاد النور في القلب حتى يصير القلب كالسراج وذلك النور كالنور ومعلوم ان من
اراد ان يستوقد سراجا احتاج الى سبعة اشياء زند وحجر وحراق وكبريت وسرجه وفتيله
ودهن فالعبد اذا طلب النور الذي هو شرح الصدر افتقر الى هذه السبعة فاولها
لا بد من المجاهدة والذين جاهدوا فينا وثانيها هجر التفرع اعوا بكم تفرعا وخفية
وثالثها احراق منع الهوى وهي النفس عن الهوى ورابعها كثرة الانابة والتيسر الى ربكم
ملحا وروس تلك الخشبات بكبريت توبوا الى الله وخامسها مسرجة الصبر واستعينوا بالصبر
والصلاة وسادسها فتيلة التذكر والذين تذكروا لا زيدنكم وسابعها الرضى واصبر
لحكم ربك اي ارض بقضاء ربك فاذا اصلحت هذه الادوات فلا تقول عليها بل ينبغي ان تطلب
المقصود الاسنى حضرته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها بالخشوع والخضوع وخشعت
الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا فعند ذلك يرفع يد التضرع ويقول رب اشرح
لي صدري لهذا لك سمع ولقد اوتيت سؤلك يا موسى ثم يقول لهذا النور الروحاني
المسمى بشرح الصدر افضل من الشمس الجسمانية لوجوه لحدها الشمس تحرزها عامة
وشمس المعرفة لا يقوى السموات السبع اليه بصعد الكلم الطيب وثانيها الشمس يغيب
ليلا ويعود نهارا وقال ابراهيم لا احب الآفلين اما شمس المعرفة فلا تغيب ليلا ان
ناشئة الليل هي اشد وطأ والمستغفرين بالاسحار بل اكمل الخلع الروحانية حصل في الليل
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وثالثها الشمس توجد اذا الشمس كورت والمعرفة لا يجي
سلام قولا من رب رحيم ورابعها الشمس اذا زلزلت الارض كسفت اما هاهنا شمس
المعرفة وهي اشهد ان لا اله الا الله سالم يقابل القمر واشهد ان محمدا رسول الله لم يصل نوره الى
عالم الجوارح وخامسها الشمس تسود الوجوه والمعرفة تبيض يوم تبيض وجوه وتسود

وجوه وسادسها الشمس تحرق والمعرفة تنجي من الحرق جزيا مومن فلان نورك اطفا
لهبي وسابعها الشمس تصدع والمعرفة تصعد اليه يصعد الكلم الطيب وثامنها
الشمس منفعتها في الدنيا والمعرفة منفعتها في العقبى والباقيات الصالحات وتاسعها الشمس
في السما زينة لاهل الارض والمعرفة في الارض زينة لاهل السما وعاشرها الشمس فوقاني الصورة
تحتاني المعنى وذلك يدل على الجنة مع التكبر والمعارف الالهية تحتانية الصورة فوقانية
المعنى وذلك يدل على التواضع مع الشرف وحادي عشرها الشمس تعرف احوال
الخلق وبالمعرفة يصل القلب الى الخالق وثاني عشرها الشمس تقع على الولي والعدو
والمعرفة لا تحصل الا للولي فلما كانت المعرفة موصوفة بهذه الصفات النفيسة لا جرم
قال موسى رب اشرح لي صدري واما النكت فاحدها الشمس سراج استوقدها
الله تعالى للفنا كل من عليها فان والمعرفة استوقدها للبقا فالذي خلقها للفنا لو قرب الشيطان
منها احترق شهابا رصدا فالمعرفة التي خلقها للبقا كيف يقرب منها الشيطان رب اشرح لي
صدري وثانيها الشمس استوقدها الله في السما وانها تزيل الظلمة عن بيتك مع بعدها عن بيتك
واوقد شمس المعرفة في قلبك افلا يزيل ظلمة المعصية والكفر عن قلبك مع قربها منك
وثالثها من استوقد سراجا فانه لا يزال يتعهده ويمده والله هو الموقد لسراج المعرفة
ولكن الله حبب اليكم الايمان افلا يمده وهو معنى قوله اشرح لي صدري ورابعها
اذا راى اللص السراج موقدا في البيت لا يقرب منه والله اوقد سراج المعرفة في قلبك فكيف
يقرب الشيطان منه فلهذا قال رب اشرح لي صدري وخامسها المجوس اوقدوا نارا
فلا يريدون اطفاها والملك القدوس اوقد سراج الايمان في قلبك فكيف يرجى اطفاوها
واعلم انه سبحانه اعطى قلب المومن عشر كرامات احدها ومن كان ميتا فاحييناه فلما
رغب موسى في الحياة الروحانية قال رب اشرح لي صدري ثم النكتة انه عليه السلام
قال من احيا ارضا ميتة فهي له فالعبد لما احيا ارضا فهي فالرب لما خلق القلب واحياه
بنور الايمان فكيف يجوز ان يكون لغيره فيه نصيب قل الله ثم ذرهم وكما ان الايمان حياة القلب
والكفر موته اموات غير احيا ولكن لا تشعرون وثانيها الشفا ويشف صدور قوم مومنين
فلما رغب موسى في الشفا قال رب اشرح لي صدري والنكتة انه تعالى لما جعل الشفا
في العسل بقي شفا ابدا فهاهنا لما وضع الشفا في الصدر كيف لا يبقى شفا ابدا وثالثها
الطهارة اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى فلما رغب موسى في تحصيل طهارة التقوى لا جرم
قال رب اشرح لي صدري والنكتة ان الصايغ اذا امتحن الذهب مرة بعد اخرى لا يدخله
في النار فهاهنا لما امتحن الله قلوبهم للتقوى فلما رغب موسى في تحصيل طهارة التقوى لا جرم
قال رب اشرح لي صدري قلب المومن فكيف يدخله النار ثانيا ولكن الله يدخل في النار قلب
الكافر ليميز الله الخبيث من الطيب ورابعها الهداية ومن يومن بالله يهد قلبه فرغب
موسى في طلب زوايد الهداية فقال رب اشرح لي صدري والنكتة ان الرسول يهدي

نفسك

نفسك والقران يهدي روحك والمولى يهدي قلبك فلما كانت هداية النفس من محمد لا جرم تارة
تحصل وتارة لا تحصل انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا وهداية الروح لما كانت
من القران فتارة تحصل واخرى لا تحصل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا اما هداية القلب
فلما كانت من الله فهي لا تزول لان الهادي لا يزول ويهدي من يشا الى صراط مستقيم
وخامسها الكتابة اولئك كتب في قلوبهم الايمان فلما رغب موسى في تلك الكتابة قال
رب اشرح لي صدري وفيه نكت الاولى ان كاغدة ليس فيها خطر اذا كتب فيها القران لم
يجز احراقها فقلب كتب فيه جميع احكام الله وصفاته كيف يليق بالكريم احراقه الثانية
بشر الحافي اكرم كاغدة فيها اسم الله تعالى فنال سعادة الدارين فاكرام قلب فيه معرفة
الله اولى بذلك الثالثة كاغدة ليس له خطر اذا كتب فيه اسم الله عظم قدره حتى انه
لا يجوز للجنب والحايض مسه بل الشافعي رضي الله عنه قال ليس له ان يمس جلد المصحف قال الله
لا يمسه الا المطهرون فالقلب الذي اكرم المخلوقات ولقد كرمنا بني ادم كيف يجوز
للشيطان الجنب ان يمسه وسادسها السكينة هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين فلما رغب
موسى في طلب السكينة قال رب اشرح لي صدري والنكتة ان ابا بكر رضي الله عنه كان مع الرسول
صلى الله عليه وسلم وكان خايفا فلما نزلت السكينة عليه قال لا تحزن فلما نزلت سكينة الايمان
في قلوبنا نرجوا ان يسمعنا خطاب الا تخافوا ولا تحزنوا وايضا لما نزلت السكينة عليه صار من الخلفا
وعبيد الله الذين امنوا نرجوا ان يصيروا خلفا في جنته وسابعها المحبة والزينة ولكن الله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم والنكتة من القى حبة في ارض فانه لا يفسدها ولا يحرقها فهو
سبحانه القى حبة المحبة في قلب ارض القلب فكيف يحرقها وثامنها والف بين قلوبكم والنكتة
ان محمدا عليه السلام الف بين قلوب اصحابه ثم انه ما تركهم في غيبة ولا حضور سلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين فالرحيم كيف يتركهم وتاسعها الطمانينة الا بذكر الله تطمين القلوب وموسى
طلب الطمانينة فقال رب اشرح لي صدري والنكتة ان حاجة العبد لا نهاية له وما ذاك
الا للحق سبحانه فلهذا قال لها ولو اعطي كل ما في العوالم من الاجسام فانه لا يكفيه لان حاجته
غير متناهية والمتناهية لا يصير مقابلا لغير المتناهي بل الذي يكفي في الحاجة الغير المتناهية
الكمال الذي لا نهاية له وما ذاك الا للحق سبحانه فلهذا قال الا بذكر الله تطمين القلوب
ولما عرفت حقيقة شرح الصدر للمومنين فاعرف صفات قلوب الكافرين احدها فلما
اذاعوا ازاغ الله قلوبهم وثانيها فلما انصرفوا صرف الله قلوبهم وثالثها في قلوبهم مرض
ورابعها وجعلنا قلوبهم قاسية وخامسها وجعلنا على قلوبهم اكنة وسادسها ختم
الله على قلوبهم وسابعها ام على قلوب اقفالها وثامنها بل ران على قلوبهم
وتاسعها بل طبع الله على قلوبهم الهنا وسيدنا ومولانا اغلق هذه الابواب التسعة من
خذلانك علينا وافتح تلك الابواب التسعة من احسانك بفضلك ورحمتك الفصل
الخامس في حقيقة شرح الصدر ذكر العلما في وجهين الاول انه لا يبقى القلب التفات

الى الدنيا اما بالرغبة واما بالرهبة اما الرغبة فهو ان يكون معلق القلب بالاهل والولد وتحصيل
محاظهم ودفع المضار عنهم واما الرهبة فهو ان يكون خائفا من الاعداء والمنازعين فاذا
شرح الله صدره صغر كل ما يتعلق بالدنيا في عين همته فيصير كالذباب والبق والبعوض وهو
يدعوه رغبته اليها ولا يبعده رهبته عنها فيصير الكل عنده كالعدم وحينئذ يضمحل القلب الكلية
غير مرضاة الله فان القلب في المثال كشوع من الماء والقوة البشرية كصفقها كالبيوع الصغير
فاذا افرغت ما العين الواحدة على الحداول انكسر وضعف الحمل فاما اذا صبت الكل
في موضع واحد توجب سأل موسى عليه السلام ربه ان يشرح صدره بان يوفقه على محاربة الدنيا
وقمع صفاتها حتى يصير قلبه متفرغا عنها فاذا حصلت النفس توجه الى عالم القدس ومشاهدة
الروحانيات بالكلية الثاني ان موسى عليه السلام لما رشح لذلك المنصب العظيم احتاج
الى تكاليف شاقة تحتاج فيها ضبط الوحي والمواظبة على خدمة الخالق سبحانه ومنها اصلاح العالم
الجزوي وكانه صار مكلفا بتدبير العالمين والالتفات الى احدهما يمنع من الاشتغال
بالاخر الثالث ان المشتغل بالابصار يصير ممنوعا من السماع والمشتغل بالسماع يصير ممنوعا
من الفكر والحال هذه القوة متحاذبة متنازعة وان موسى عليه السلام كان محتاجا الى الكمال
ومن استانس بحال الخلق استوحش دلايل الخلق فسأل موسى ربه ان يشرح صدره بان يفيض
عليه كالا من القوة ليكون قويا على ضبط العالمين فهذا هو المراد من شرح الصدر
وذكر العلماء لهذا المعنى امثلة المثال الاول اعلم ان البدن بالكلية كالمملكة والصدر
كالقلعة والفؤاد كالقصر والقلب كالتخت والروح كالملك والعقل كالوزير والشهوة
كالعامل الكبير الذي يجلب النعم الى البلدة والغضب كالاسفهسلار الذي يشتغل
بالضرب والتاديب ابدا والحواس كالمحاسبين وسائر القوى كالمحترفين والعمله والصناع
ثم ان الشيطان خصم لهذه الولاية ولهذه القلعة ولهذا الملك والشيطان هو الملك
والهوى والحرص والاخلاق الذميمة فاول ما اخرج الروح وزيره وهو العقل وكذا الشيطان
اخرج في مقابلته الهوى فجعل العقل يدعوا الى الله والهوى الى الشيطان ثم ان الروح اخرج
الفطنة اعانة للعقل فاخرج الشيطان في مقابلة الفطنة الشهوة فالفطنة توقف
على معايب الدنيا والشهوة تحرك الى لذات الدنيا ثم ان الروح امد الفطنة بالفكرة
فتقف على الحاضر والغايب عن القلب على ما قال عليه السلام تفكر ساعة خير من
عبادة سنة فاخرج الشيطان في مقابلة الفكر الغفلة ثم اخرج الروح الحلم والثبات
فان العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا والحلم يوقف العقل على قبيح الدنيا فاخرج
الشيطان في مقابلته العجلة والسرعة فلهذا قال عليه السلام ما دخل الرفق شيأ الا زانه
ولا الخرق الا شانه ولهذا خلق السموات والارض في ستة ايام ليتعلم منه الرفق والثبات
فهذه هي المخصومة الواقعة بين الصفين وذلك هو المعركة ثم ان هذا الصدر الذي
هو القلعة خندقا وهو الزهد في الدنيا وعدم الرغبة فيها وظاهر وهو الرغبة في الاخرة

ومحبة الله تعالى فان كان هذا الخندق عظيما والسور قويا عجز عسكر السلطان عن تحريمه
فرجعوا وراءهم وتوكلوا القلعة كما كانت وان كان خندق الزهد غير عميق وسور حب الاخرة غير
قوي قدر الخصم على استفتاح قلعة الصدر فيدخلونها ويتبرون ما جمعوه من الهوى والحب
والكبر والحقد وسوء الظن بالربوبية والعمية والغيبة فيخصر للقلب في القصر ويضيق الامر عليه
فاذا لجا مدد التوفيق ولحرس هذا العسكر عن القلعة انفتح الامر وانشرح الصدر وحرجت
ظلمات الشياطين ودخلت انوار الهداية برب العالمين وذلك هو المراد بقوله رب
اشرح لي صدري المثال الثاني اعلم ان معدن النور هو القلب واشتغال الانسان بالزوجة
والولد والرغبة في مصاحبة الناس والخوف من الاعداء هو الحجاب المانع من وصول نور شمس
القلب الى فضاء الصدر فاذا قوى الله بصيرة العبد حتى طالع عجز الخلق وقلة فائدتهم في الدارين
صغروا في عينه ولا شك انهم من حيث انهم عدم محض على ما قال كل شيء هالك الا وجهه ولا يزال
العبد يتامل فيما سوى الله لان يشاهد انهم عدم محض فعند ذلك يزول الحجاب بين قلبه وبين
انوار جلال الله فاذا زال الحجاب امتلا القلب من النور وذلك هو انشراح الصدر
الفصل السادس في الصدر اعلم انه يجيء لفظ الصدر والمراد منه القلب انشرح الله
صدره للاسلام رب اشرح لي صدري وحصل ما في الصدور يعلم خائنة الاعين وما
تخفي الصدور وقد يجيء والمراد الفضاء الذي لبه الصدر لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور واختلف الناس في ان محل العلم هو القلب او الدماغ وجمهور المتكلمين على
انه القلب وقد شرحنا هذه المسئلة في تفسير قوله نزل به الروح الامين على قلبك
وقال بعضهم المراد باربعة الصدر والقلب والفؤاد واللب فالصدر مقر الاسلام
فمن شرح الله صدره للاسلام والقلب مقر الايمان ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه
في قلوبكم والفؤاد مقر المعرفة ما كذب الفؤاد ما راى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
كان عنه مسئولا واللب مقر المعرفة والتوحيد لما يذكر الا اولوا الالباب واعلم
ان القلب اول ما يعيش الى هذا العالم يعيش خاليا عن النقوش كاللوح الساذج وهو في عالم
البدن كاللوح المحفوظ ثم انه سبحانه كتب فيه بقلم الرحمة والعظمة كل ما يتعلق بعالم
العقل من نقوش الموجودات وصور الماهيات وذلك يكون كالسطر الواحد الى الخر
قيام القيمة فهذا العالم الاصغر فالعقل هو الصور المجردة والحقايق المطهرة ثم ان
القلب يركب سفينة التوفيق ويلقيها في امواج بحار المعقولات وعوالم الروحانيات
فيحصل من مهاب رياح العظمة والبارقة المعادة تارة وجنوب الادبار اخرى فزعا
وصلت سفينة النظر الى مشرق الجلال فتطلع عليه انوار الالهية وتخلص العقل عن ظلمات
الضلالات وربما توغلت السفينة في جنوب الجلالات وتكسر وتغرق فمن ما يكون السفينة
في ملتطم امواج العزة تحتاج حافظ السفينة الى التماس الانوار والهدايات فيقول
هناك رب اشرح لي صدري واعلم ان العقل اذا اخذ في الترقي من سفل الامكان الى

علو الدرجات كثر استعماله مطالعة الماهيات ومقاربة المجردات والمفارقات ومعلوم ان كل ماهية
فهي اما هو وهي له فان كانت هي هو فقد امتلات البصيرة من انوار جلال العزة الالهية فلا
يبقى هناك متسع لمطالعة ساير الانوار فيضمحل كل ما سواه عن بصره وبصيرته وان وقعت
المطالعة لما هو له حصلت هناك حالة عجيبة وهي انه لو وضعت كسرة صافية من البلور فوقع
عليها شعاع الشمس فينعكس ذلك الشعاع الى موضع معين فذلك الموضع الذي ينعكس اليه الشعاعات
محرق لجميع الماهيات الممكنة فالبلور الصافي الموضوع في مقابلة شمس القدس ونور الظلمة مشرق
فاذا وقع للقلب التفات اليها حصلت للقلب نسبة اليها باسرها فينعكس شعاع كبريا الالهية
عن كل واحد منها الى القلب فيحرق القلب ومعلوم انه كلما كان الحرق اكثر كان الاحتراق
اتم فقال رب اشرح لي صدري حتى اقوى على ادراك درجات الممكنات فاصل الى مقام
الاحتراق بانوار الجلال وهذا هو المراد بقوله عليه السلام ارنا الاشيا كما هي فلما شاهد
احتراقها بانوار الجلال قال لا احصي ثنا عليك الفصل السابع في تفسير الالفاظ انما
قال رب اشرح لي صدري ولم يقل رب اشرح صدري ليظهر ان منفعة ذلك الشرح
عايد الى موسى عليه السلام لا الى الله تعالى واما كيفية شرح الصدر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والمفاضلة بينهما وبين شرح موسى عليه السلام فنذكره ان شا الله تعالى في قوله الم
نشرح لك صدرك والله اعلم المطلوب الثاني قوله ويسر لي امري والمراد منه عند اهل
السنة خلقها وعند المعتزلة تحريك الدواعي والبواعث بفعل الالطاف المطلوب الثالث
قوله واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وفيه مسايل المسلة الاولى اعلم ان النطق فضيلة
عظيمة ويدل عليه وجوه احدها قوله تعالى خلق الانسان علم البيان ولم يقل وعلمه
البيان لان لو عطفه عليه لكان مغايرا له اما لو ترك الحرف للعاطف صار قوله علمه
البيان كالتفسير لقوله خلق الانسان كانه انما يكون خالقا للانسان اذا علمه البيان وذلك
يرجع الى الكلام المشهور من ان ماهية الانسان هي الحيوان الناطق وثانيها اتفاق العقلاء
على تعظيم امر اللسان قال لسان الفتى نصف ونصف فواده فلم يبق الا صورة اللحم والدم
ويقال فما الانسان لولا اللسان الا بهيمة مرسلة او صورة ممثلة والمعنى انا لو ازلنا الادراك
الذهني والنطق اللساني لم يبق من الانسان الا القدر الحاصل في البهايم وقالوا المرء باصغريه
قلبه ولسانه وقالوا المرء مخبو تحت لسانه وثالثها ان في مناظرة ادم والملايكة
ما ظهرت الفضيلة الا بالنطق حيث قال يا ادم انبيهم باسمايهم فلما انباهم باسمايهم
قال الم اقل اني اعلم غيب السموات والارض ورابعها ان الانسان جوهر مركب
من الروح والقالب وروحه من عالم الملايكة فهو يستفيد ابدا صور المغيبات من
عالم الملايكة ثم بعد تلك الاستفادة يفيضها عالم الاجسام وواسطة في تلك الاستفادة
هي الفكر الذهني وواسطة في هذه هي النطق اللساني فكما ان تلك الواسطة اعظم
العبادات حتى قيل ان تفكر ساعة خير من عبادة سنة فكذا الواسطة في الافادة

يجب

يجب ان يكون اشرف الاعضا فقوله رب اشرح لي صدري اشارة الى النور الواقع في الروح
وقوله ويسر لي امري اشارة الى تسهيل ذلك التحصيل وعند ذلك يحصل الكمال في تلك الاستفادة
الروحانية فلا يبقى بعد هذا الا المقام الثاني وهو افاضة تلك الكمالات على الغير وذلك لا يكون
الا باللسان فلهذا قال واحلل عقدة من لساني وخامسها وهو ان العلم افضل المخلوقات
على ما ثبت والجود والاعطا افضل الطاعات فاليد لما كانت الة في العطية الجثمانية قيل
اليد العليا خير من اليد السفلى فالعلم الذي هو خير من المال فالة اعطايه وجب ان يكون اشرف
الاعضا ولا شك ان اللسان هو الالة في اعطا المعارف فوجب ان يكون اشرف الاعضا ومن
الناس من مدح الصمت بوجوه احدها قوله عليه السلام الصمت خير وقليل فاعله ويروى
ان الانسان يكفر اعضاوه باللسان ويقول اتق فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت
اعوججنا وثانيها ان الكلام على اربعة اقسام منه ما ضرره خالص او غالب ومنه ما يستوي الضرر
والنفع فيه ومنه ما نفعه راجح ومنه ما هو خالص النفع اما الذي ضرره خالص او غالب
فوجب فوجب الترك والذي يستوي الامران فيه عبث فبقي القسمان الاخران وتخليصهما
عن زيادة الضرر غير معلوم فالاولى ترك الكلام وثالثها ان ما من موجود او معدوم
خالق او مخلوق معلوم او موهوم الا واللسان يتناوله ومعترض له باثبات او نفي
فان كل ما يتناوله الضمير يعبر عنه اللسان بحق او باطل وهذه خاصة لا يوجد في ساير الاعضا
فان المعين لا يصل الى غير الالوان والصور والاذن لا يصل الى غير الاصوات والحروف
واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا ساير الاعضا بخلاف اللسان فانه رحب الميدان
ليس له نهاية ولا حد فله في الخير مجال رحب وله في الخير مجال رحب وانه خفيف المونة
يسهل التحصيل بخلاف ساير المعاصي فانه يحتاج فيها الى مون كثيرة ولا يتيسر تحصيلها الا
في الاكثر فلذلك كان الاولى ترك الكلام ورابعها قالوا الكلام له اربعة الصمت ترك
والسكوت والانصات والاصاخة اما الصمت فهو اعمها فانه يستعمل فيما يقوى على
النطق وفيما لا يقوى عليه ولهذا يقال مال ناطق وصامت اما السكوت فهو
ترك الكلام ممن يقدر على الكلام والانصات سكوت مع استماع ومتى ايقك احدهما عن
الاخر لا يقال له انصات قال تعالى فاستمعوا له وانصتوا والاصاخة استماع الى ما
يصعب ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد واعلم ان الصمت عدم ولا فضيلة
فيه بل النطق في نفسه فضيلة والرذيلة في مجاورته ولولاه لما سال كليم الله في قوله
واحلل عقدة من لساني المسلة الثانية اختلفوا التي كانت في لسان موسى عليه
السلام على قولين الاول كان ذلك التعقد خلقيا فسال الله تعالى ازالته الثاني
السبب فيه انه عليه السلام حال صباه اخذ لحية فرعون ونتفها وهم فرعون بقتله
وقال هذا الذي يزول ملكي على يده قالت اسيه انه صبي لا يعقل وعلامته انه يقرب
منه الثمرة والجمرة فقربا اليه فاخذ الجمرة فجعلها في فيه وهولا اختلفوا فمنهم من قال لم

يحترق اليد ولا اللسان لان اليد آلة اخذ العصا وهي الحجة واللسان آلة الذكر وكيف يحترق
ولان ابراهيم عليه السلام لم يحترق بنار نمرود وموسى عليه السلام لم يحترق حين القي في التنور فكيف
يحترق هناك ومنهم من قال احترق اليد دون اللسان لئلا يحصل حق المواكلة والممالحة
والثالث احترق اللسان دون اليد لان الصولة ظهرت باليد اما اللسان فقد خاطبه
بآية والرابع احترقا معا لئلا تحصل المواكلة ولا المخاطبة المسئلة
الثالثة اختلفوا في انه عليه السلام لم طلب حل تلك العقدة على وجوه احدها لئلا يقع في اداء الوحي
خلل البتة وثانيها لازالة التنفير لان العقدة في اللسان قد يقتضي الاستخفاف بقايلها
وعدم الالتفات اليه وثالثها اظهار المعجز فكما ان جنس لسان ذكريا عليه السلام عن الكلام
كان معجزا فكذا اطلاق لساني موسى عليه السلام معجز في حقه ورابعها طلب
السهولة لان ايراد مثل هذا الكلام على مثل فرعون في جبروته وكبره عسر جدا فاذا
انضم اليه عقد اللسان بلغ العسر الى النهاية فسال ربه ازالة تلك العقدة تخفيفا وتسهيلا
المسئلة الرابعة قال الحسن رحمه الله ان تلك العقدة زالت بالكلية بدليل
قوله تعالى قد اوتيت سولك يا موسى وهو ضعيف لانه عليه السلام لم يقل واحلل عقدة
لساني بل قال واحلل عقدة من لساني فاذا حل عقدة واحدة فقد اتاه الله سوله
والحق انه انحل اكثر العقدة وبقي منها شي لقوله تعالى حكاية عن فرعون ام انا
خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين اي يقارب ان لا يبين وفي ذلك دلالة على انه
كان يبين مع بقا قدر من العقدة في لسانه واجيب عنه من وجهين احدهما المراد بقوله
ولا يكاد يبين اي لا يكاد يبين في بيان وحجة والثاني ان كاد بمعنى قرب فلو كان
المراد هو البيان لكان معناه ان لا يقارب البيان فكان فيه نفي البيان بالكلية وذلك
باطل لانه خاطب فرعون والجمع وكادوا يفهمون فكيف يمكن نفي البيان اصلا بل انما
قالوا ذلك تمويها ليصرفوا الوجوه عنه قال اهل الاشارة انما قال واحلل عقدة من
لساني لان حل العقد كلها نصيب محمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي احسن فلما كان ذلك حقا لليتيم ابي طالب لا جرم ما دار حوله والله
اعلم المطلوب الرابع قوله واجعل لي وزيرا والمطلوب الخامس ان
يكون ذلك الوزير من اهله اي من اقربائه واعلم ان طلب الوزير اما ان يكون لانه
خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك الامر وطلب المعين او لانه راى ان التعاون على
الدين والتظاهر عليه مع مخالصة الود وزوال التهمة مرية عظيمة في امر الدعا الى
الله تعالى ولذلك قال عيسى بن مريم من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله
وقال لمحمد حسبك الله ومن اتبعك من المومنين وقال عليه السلام ان لي في السما وزيرين
وفي الارض وزيرين فاللذان في السما جبريل وميكائيل واللذان في الارض ابو بكر وعمر
وها هنا مسايل المسئلة الاولى الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره

ومونه

ومونه او من الوزر وهو الحمل الذي يختص به لان الملك يعتصم برايه ويفوض اليه اموره او من
الموازرة وهو المعاونة والموازرة ماخوذة من ازر الرجل وهو الموضع الذي يشده الرجل اذا
اشتد لعمل صعب قال الاصمعي كان القياس ازير قلبت الهمزة الى الواو المسئلة
الثانية قال عليه السلام اذا اراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان نوى
خيرا اعانه وان اراد شرا كفه وكان انوشروان يقول لا يستغني اجود السيوف عن الصقل
ولا اكرم الدواب عن الصوت ولا اعلم الملوك عن الوزير المسئلة الثالثة ان الاستعانة
بالوزير انما تحتاج اليها الملوك اما الرسول المكلف بتبليغ الوحي من الله تعالى الى قوم
على التعيين فمن اين ينفعه الوزير وايضا فانه عليه السلام سال ربه ان يجعله شريكا له
في النبوة فقال واشركه في امري كيف يكون وزيرا والجواب عن الاول ان التعاون
على الامر والتظاهر عليه مع مخالصة الود وزوال التهمة مرية عظيمة في تاثير الدعا
الى الله تعالى وكان موسى عليه السلام واثقا باخيه هارون فسال ربه ان يشد به ازره حتى
يحمل عليه ما يمكن من النقل في الابلاغ المطلوب السادس ان يكون الوزير الذي هو من اهله
هو اخوه هارون فانما سال ذلك لوجهين احدهما ان التعاون على الدين منصبة عظيمة
فاراد ان لا يحصل هذه الدرجة الا لاهله او لان كل واحد منهما في غاية المحبة لصاحبه
والموافقة له وقوله هارون في انتصابه وجهان احدهما انه مفعول الجعل على
تقدير اجعل هارون اخي وزيرا لي وعلى البدل من وزيرا واخي نعت لهرون او بدل
واعلم ان هرون عليه السلام كان مخصوصا بامور منها الفصاحة لقوله اخي هارون
هو افصح مني لسانا ومنها انه كان فيه رفق قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي
ومنه انه كان اكبر سنا منه المطلوب السابع قوله اشدد به ازري وفيه
مسايل المسئلة الاولى القراة العامة اشدد واشركه على الدعا وقرا ابن عامر وحده
اشدد واشركه على الجزا والجواب حكاية عن موسى اني انا افعل ذلك وجوز
فيمن قرا على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتدا واشدد به خبره ويوقف
على هارون المسئلة الثانية الازر القوة وازره قواه قال الله تعالى فازره
اي اعانه قال ابو عبيدة ازري اي ظهري وفي كتاب الخليل الازر الظهر المسئلة
الثالثة انه عليه السلام لما طلب من الله تعالى ان يجعل هارون وزيرا له طلب منه تعالى
ان يشد به ازره ويجعله ناصرا له لانه لا اعتماد على القرابة المطلوب
الثامن قوله واشركه في امري والامر ها هنا النبوة وانما قال ذلك لانه
عليه السلام لما طلب من الله تعالى ان يجعل هرون وزيرا له طلب منه تعالى ان يشد به
ازره ويجعله ناصرا له لانه لا اعتماد على القرابة علم انه يشد عضده وهو اكبر منه سنا
وافصح لسانا ثم انه سبحانه حكى عنه ما لاجله دعا بهذا الدعا فقال كي نسبحك
كثيرا ونذكرك كثيرا والتسبيح يحتمل ان يكون باللسان وان يكون بالاعتقاد

على كلي التقديرين فالتسبيح تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله على ما يليق به ه
واما الذكر فهو عبارة عن وصف الله تعالى بصفات الجلال والكبريا ولا شك ان النفي
مقدم على الاثبات اما قوله انك كنت بنا بصيرا ففيه وجوه احدها انك عالم
بانا لا نريد بهذه الطاعات الا وجهك ورضاك ولا نريد بها احدا سواك وثانيها
كنت بنا بصيرا بان الاستعانة بهذه الاشيا لاجل حاجتي في النبوة اليها وثالثها
بانك بصير بوجوه مصالحنا فاعطنا ما هو اصلح لنا وانما قيد الدعا بهذا اجلالا لربه
عن ان يتحكم اليه وتفويضا بالكلية اليه **قوله تعالى** قد اوتيت
سولك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى
ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو
لي وعدو له والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك فتقول
هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن
وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين
في اهل مدين ثم جيت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اعلم ان السوال
هو الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبر بمعنى مخبور واكل بمعنى ماكول واعلم ان
موسى عليه السلام لما سال ربه الامور الثمانية وكان في المعلوم ان قيامه بما كلف لا يتكامل
الا باجابته اليها لا جرم اجابه الله تعالى اليها ليلا يكون اقدر على الابلاغ على الجد الذي
كلف فقال قد اوتيت سولك يا موسى وعد ذلك من النعم العظام عليه لما فيه
من وجوه المصالح ثم قال ولقد مننا عليك مرة اخرى منه بذلك على امور احدها كانه
تعالى قال اني راغب الى مصلحتك قبل سوالك فكيف لا اعطيك مرادك بعد السوال
وثانيها انا لما اعطيناك في الازمنة السالفة كل ما احتجت اليها ورقيناك من حالة نازلة
الى درجة عالية دل هذا على انا نصبناك لمنصب غال ومهم عظيم فكيف نليق بمثل
هذه الرتبة المنع عن المطلوب وهاهنا سوالان السوال الاول لم يذكر
تلك النعم بلفظ المنة مع ان هذه اللفظة موذية والمقام التلطف والجواب
انما ذكر ذلك ليعرف موسى عليه السلام ان هذه النعم وصلت اليه ما كان مستحقا
لشي منها بل انما خصه الله بها لمحض التفضل والاحسان السوال الثاني لم قال
مرة اخرى مع انه تعالى ذكر مننا كثيرة والجواب لم يعن بمرة اخرى
مرة واحدة من المنن لان ذلك قد يقال في القليل والكثير اعلم ان المنن المذكورة
هاهنا ثمانية المنة الاولى قوله اذ اوحينا الى امك ما يوحى الى قوله ياخذه عدو لي
وعدو له اما قوله اذ اوحينا فقد اتفق الاكثرون على ان موسى عليه ما كانت
من الانبيا والرسل فلا يجوز ان يكون المراد من هذا الوحي هو الوحي الواصل الى الانبيا
وكيف لا يكون ذلك والمراة لا تصلح للقضا والامامة وعند الشافعي لا يتمكن من تزويجها

نفسها

نفسها فكيف تصلح للنبوة ويدل عليه قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم
وهذا صريح في الباب وايضا قالوا الوحي جا في القران لا بمعنى النبوة قال
تعالى واوحى ربك الى النحل وقال الله تعالى واذ اوحينا الى الحواريين ثم اختلفوا
في المراد من هذا الوحي على وجوه احدها المراد رويا رايتها ام موسى عليها السلام
وكان تاويلها وضع موسى في التابوت وقذفها في البحر وان الله يرده عليها وثانيها ان
المراد عزيمة جازمة وقعت في قلبها دفعة واحدة وكل من يفكر فيما دفع اليه فظهر له الراي
الذي هو اقرب الى الخلاص يقال لذلك الخاطر انه وحي وثالثها المراد منه الالهام لكنا
متى بحثنا عن الالهام كان معناه خطور راي بالبال وغلبته على القلب فيصير هذا هو
الوجه الثاني وهذه الوجوه الثلاثة يعترض عليها بان الالقا في البحر قريب من الاهلاك
وهو مساوي الخوف الحاصل من القتل المعتاد من فرعون فكيف يجوز الاقدام على احدهما لاجل
الصيانة عن الثاني والجواب لعلها عرفت بالاستقرا صدق رويتها فكان افضا
القا في البحر الى السلامة اغلب على ظنها من وقوع الولد في يد فرعون ورابعها لعله اوحي الى
بعض الانبيا في ذلك الزمان لشعيب عليه السلام او غيره ثم ان ذلك النبي عرفها اما مشافهة
او مراسلة واعترض عليه بان الامر لو كان كذلك لما لحقها من انواع الخوف ما لحقها والجواب
ذلك الخوف كان من لوازم البشرية كما ان موسى عليه السلام كان يخاف فرعون مع ان الله تعالى كان
يامره بالذهاب اليه مرارا وخامسها لعل الانبيا المتقدمين كابراهيم واسحق ويعقوب
عليه السلام اخبروا بذلك وانتهى ذلك الخبر الى تلك المراة وسادسها لعل الله بعث اليها
ملكا على وجه النبوة كما بعث الى مريم في قوله فتمثل لها بشرا سويا اما قوله
يوحى فاوحينا الى امك ما من شانه ان يوحى وانما وجب ذلك الوحي لان الواقعة عظيمة
ولا سبيل الى معرفة المصلحة فيها الا بالوحي فكان الوحي فيها واجبا اما قوله ان اقذفيه
ففيه مسايل المسيلة الاولى ان هي المفسرة لان الوحي بمنزلة القول المسيلة
الثانية القذف مستعمل في معنى الالقا والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم
الرعب المسيلة الثالثة روي انها اتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت
فيه موسى وقيرت راسه وشقوقه ثم القته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير
في دار فرعون فبينا هو جالس على البركة مع امراته آسية اذا بتابوت يجي به الما فلما
راه فرعون امر الغلمان والجواري باخراجه فاخرجوه وفتحوا راسه فاذا بصبي من اصبح الناس
وجها فلما راه فرعون احبه وسياتي تمام القصة في سورة القصص قال مقاتل ان
الذي صنع التابوت حزقيل مومن آل فرعون المسيلة الرابعة اليم هو البحر والمراد
به هاهنا نيل مصر في قول الجميع واليم اسم يقع على البحر وعلى النهر العظيم المسيلة
الخامسة قال الكسائي اليم فاعل بمعنى مفعول سمي بذلك لان الما يسحله اي يقشره
اذا علاه المسيلة السادسة قال صاحب الكشاف الضماير كلها راجعة الى موسى

عليه السلام ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت يودي الى تنافر النظم فان قيل
المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل قلنا الاسم يدل تعالى
المقذوف والملقى هو موسى في خوف التابوت حتى لا يتغير الصغار ولا يحصل التنافر
المسئلة السابعة لما كان تقدير الله ان يجري ما الهم بذلك التابوت الى الساحل
سلك في ذلك سبيل المجاز وحمل الهم كانه ذو فهم امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل
فقيل فليلقه اليم بالساحل اما قوله ياخذه عدو لي وعدو له ففيه
ابحاث الاول قوله ياخذه جواب الامر اذ فيه ياخذه البحث الثاني
في كيفية الاخذ فقولان احدهما ان امراة فرعون كانت تحب ان تسبي الجواري فصرت
بالتابوت فامرت به فاخذ التابوت فيكون المراد من اخذ فرعون التابوت قبوله
واستحاوه اياه الثاني ان البحر الذي فيه التابوت القاه بموضع من الساحل فيه
ثم صير عود ذلك النهر الى بركة فرعون فكما راه اخذه البحث الثالث ياخذه عدو
عدو لي وعدو له فيه اشكال وهو ان موسى عليه السلام لم يكن في ذلك الوقت بحيث يعادي
وجوابه كونه عدوا لله من جهة كفره وعصيانه وظاهر وانه كونه عدوا لموسى عليه
السلام فيحتمل من حيث انه لو ظهر له حاله لقتله ويحتمل من حيث توسل امره اليه من العداوة
المسئلة الثانية قوله والقيت عليك محبة مني وفيه قولان لاحدهما قوة والقيت عليك
محبة مني حاصلة واقعة بخلقي ذلك احبتك امراة فرعون حتى قالت قرة عين لي ولك
لا تقتلوه يروي انه كان على وجهه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من راه
وهو كقوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال القاضي هذا الوجه اقرب لان في حال
صغره لا يكاد يوصف محبة الله على ظاهرها من جهة الدين لان ذلك انما يستعمل في المكلفين
من حيث استحقوا الثواب فالمراد اذن ما ذكرناه من كيفية في الخلقة من حيث يستحلي
ويحيط به وكذلك كانت حاله مع فرعون وامراته وسهل له فيها في التربية امرا
لا مزيد عليه ويمكن ان يقال بالاحتمال الاول ارجح لان الاحتمال الثاني
يحوج الى الاضمار وهو ان يقال والقيت عليك محبة مني واقعة بخلقي وعلى التقدير
الاول لا حاجة الى الاضمار بقي ان يقال ارجال صباه لا يحصل له محبة الله تعالى قلنا
الاسلم فان محبة الله تعالى يرجع معناها الى ايصال النفع الى عباده وهذا المعنى
كان حاصلا في حقه في زمان صباه وعلم الله تعالى ان ذلك يستمر الى اخر عمره فلا جرم
اطلق عليه لفظ المحبة المسئلة الثالثة قوله تعالى ولتصنع على عيني قال
القفال يراي عيني اي على وفق ارادتي ومجاز هذا ان من صنع لانسان شيئا وهو حاضر ينظر
اليه صنعه له كما يجب ولا يمكنه ان يفعل ما يخالف غرضه فكذا هاهنا وفي كيفية المجاز
قولان الاول المراد من العين العلم اي لترى ما على علم مني ولما كان العالم بالشيء يحرسه
عن الافات اطلق لفظ العين على العلم لاشتراكهما من هذا الوجه الثاني المراد من العين

الحراسة

الحراسة وذلك لان الناظر الى الشيء يحرسه عن الافات كما ان الناظر اليه لمحاسبته يزيده فالعين كانها
سبب الحراسة فاطلق اسم السبب على المسبب مجازا وهو كقوله اني معكما اسمع واري وقال عين
الله عليك اذ اذعى له بالحفظ والمحاطة ثم قال اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك
الى امك كي تقر عينها ولا تحزن فصار ذلك كالتفسير لمحاطة الله تعالى نحوها هنا عنان الاول
الواو في قوله ولتصنع فيه ثلاثة اوجه احدها كانه قيل ولتصنع على عيني البتت عليك محبة
مني ثم تكون قوله اذ تمشي متعلقا باول الكلام وهو قوله ولقد منا عليك مرة اخرى
اذ اوحينا واذ تمشي وثانيها يجوز ان يكون قبله ولتصنع متعلقا بما بعده وهو قوله اذ تمشي
وذكرنا هذين الوجهين في قوله ولتكون من المومنين وثالثها يجوز ان يكون الواو مقحمة اي
والقيت عليك محبة مني لتصنع وهذا اضعف الثاني قرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم
على انه امر وقرئ ولتصنع بفتح الياء اي وليكون عملك وتربيتك على عين مني المسئلة الرابعة
قوله اذ تمشي اختك فاعلم ان العامل في اذ تمشي الفعل او لتصنع يروي انه لما قال الخازن من
آل فرعون احد واعلاما وجده في المنزل وكان لا يرتضع من ثدي كل امراة يولي فقالت امراة
تعال قد حرم عليه المراضع غير امه انظروا الى بيع النبا فكانت ذلك اخت موسى جاءت
اليهم متنكرة فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه ثم جاءت بالام فقبل ثديها ورجع الى
امه بالطف الله تعالى له من هذا التدبير اما قوله فرجعناك الى امك اي رددناك
وقال في موضع اخر فرددناه الى امه وهو كقوله تعالى قال رب ارجعون اي ردوني
الى الدنيا اما قوله تعالى كي تقر عينها ولا تحزن فالمراد ان المقصود من رد ذلك حصول
السرور لها وزوال الحزن عنها فان قيل لو قال لي لا تحزن ولتقر عينها كان الكلام مفيدا
لانه لا يلزم من تسبب وصولك اليها ويزول عنها الحزن بسبب وصول ثديها الى باطن
المسئلة الخامسة قوله وقتلت نفسا فنجيناك من الغم والمراد وقتلت بعد ولادتك
نفسا وهو الرجل الذي قتله خطا بان وكزه حيث استغاثه الاسرائيلي عليه وكان قبطيا
فحصل له الغم من وجهين من عقاب الدنيا وهو اقتصاص فرعون على ما حكى الله تعالى عنه
فاصبح في المدينة خائفا يترقب والاخر من عقاب الله حيث قتله الا بامر الله فنجاه الله
تعالى منهما فاما فرعون فحين امره بالهاجرة الى مدين واما من عقاب
الاخرة فلانه سبحانه اعفاه المسئلة السادسة قوله وفتناك فتونا وفيه ابحاث
البحث الاول في قوله فتونا وجهان احدهما انه مصدر كالعلوف والجلوس والمعنى
وفتناك فتونا وعلى ذلك فهو مصدر مؤكد لقوله وفتناك والثاني انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتا التانيث كحجور وبدور في جمع
وبدره اي فتناك ضروبا من الفتن وهاهنا سوال الاول في هذا المقام
كيف يليق هذا اللفظ قوله وفتناك فتونا الجواب فيه من وجهين احدهما
ان الفتنة لشدة المحبة يقال فتن فلان بعوده اذا اشتدت عليه المحنة حتى رجع عن دينه

قال تعالى فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله وقال الم احسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
وقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا
حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله والزلزلة المذكورة في الآية وهي بأساء والضراء
هي الفتنة والفتون ولما كان الشديد في المحنة مما يوجب كثرة الثواب لا جرم عده الله تعالى
من جملة النعم وشاهدها قتال اي خلصناك خلوصا من قولهم فتنت الذهب اذا اردت
تخليصه وسأل سعيد بن جبير ابن عباس عن الفتون فقال دعنا نتغذاها رابن جبير
ثم لما اصبح اخذ ابن عباس يقرأ عليه الآيات الواردة في شأن موسى من ابتداء امره وذكر
قصة فرعون وقتله اولاد بني اسرائيل ثم قصة التابوت في اليم والتقاط آل فرعون اياه
وامتناعه من الارتضاع من الاجانب ثم قصة ان موسى اخذ لحية فرعون ووضعه الجمرة
في فيه ثم قصة قتل القبطي ثم تعريضه الى مدين وصيرورته اجيرا شعيب عليه السلام ثم عوده
الى مصر وانه اخطأ الطريق في الليلة المظلمة واستانسه بالنار من الشجرة وكان عند تمام كل واحد
منها يقول هذا من الفتون يا ابن خير الموالي الثاني هل يصح اطلاق الاسم الفتان عليه
سبحانه استفاما من قوله وفتناك فتونا والجواب لا لانه صفة ذم في العرف واسماء الله تعالى
توقيفية لا سيما فيما يوهم ما لا ينبغي المسئلة السابعة قوله تعالى ثم جئت على قدر يا موسى فاعلم ان التقدير وفتناك فتونا فخرجت خائفا الى اهل مدين
فلبثت سنين فيهم اما مدة اللبث فقال ابو مسلم انها مستروحة في قوله ولما توجه
تلقاء مدين الى قوله فلما قضى موسى الاجل وهي اما عشر واما ثمان على ان تأجرني ثماني
حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وقال وهب لبث موسى عليه السلام عند شعيب ثماني وعشرين
سنة منها عشر سنين مهرا لابنته على انه عليه السلام لبث عنده عشر سنين وليس فيها
ما ينفي الزيادة على العشرة ولعلم ان قوله فلبثت سنين في اهل مدين بعد قوله
وفتناك فتونا كالدلالة على ان لبثه في مدين من الفتون وكذلك كان عليه السلام قاسى تحمل
سبب القتل والغربة مخاوف كثيرة فاحتاج الى آخر نفسه اما قوله تعالى ثم جئت
على قدر يا موسى فلا بد من حذف في الكلام لانه على قدر من الامور وذكروا في ذلك
المحذوف وجوها احدها انه سبق في قضائي وقدري ان اجعلك رسولا في وقت معين
عنده لذلك فاجبا لاعلى ذلك القدر لا قبله ولا بعده نحو قوله انا كل شيء خلقناه
بقدر وثانيها على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة وثالثها
ان القدر هو الموعود فان ثبت انه تقدم على هذا الوعد صح حمله عليه ولا يمتنع ذلك لاحتمال
ان شعيبا عليه السلام او غيره من الانبياء كانوا قد عينوا في ذلك الموعد فان قيل كيف
ذكر الله مجيء موسى عليه السلام في ذلك الوقت من جملة منته عليه قلنا لانه لولا توفيقه
لما نجا من تلك المحنة الثامنة قوله تعالى واصطنعتك لنفسي والاصطناع

اتخاذ

اتخاذ الصنيعة وهو افتعال من الصنع يقال اصطنع فلان فلانا اي اتخذه صنيعة فان
قيل كيف هذا الاصطناع الجواب عنه من وجوه احدها ان هذا مثل
فانه تعالى لما اعطاه منزلة التعزيز والتكريم مثل حاله بحال من راه بعض الملوك لجوامع خصال
فيه لان يكون اقرب الناس منزلة اليه واشدهم فرحا بمنه وثنائها كالت المعتزله
انه سبحانه اذا كلف عباده وجب ان يتلطف لهم ومن جملة الالطاف ما لا يعلم الا سمعا
فلو لم يصطنعه بالرسالة ليقي في عهدة الواجب فصار موسى عليه السلام كالنائب عن ربه
في اداء ما وجب على الله تعالى فصح ان يقول واصطنعتك لنفسي وثالثها قال القفال
قوله واصطنعتك اصله من قولهم اصطنع فلان فلانا اذا احسن اليه حتى يضاف
اليه فيقال هذا صنيع فلان وخرج فلان وقوله لنفسي اي لامرك في اوكرى لا يشغل
الا عما امرتك وهو اقامة حجتي وتبليغ رسالتي وان يكون حركاتك وسكناتك لا لنفسك ولا
لغيرك قوله تعالى اذهبا انت واخوك بآياتي ولا
تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
او يخشى اعلم انه سبحانه وتعالى لما عدد عليه المنن الثامنة في مقابلة الامور الثمانية اتبع
ذلك امرا ونهيا فالمأمور به امران احدهما الامر الاول فقال اذهب انت
واخوك بآياتي واعلم انه تعالى لما قال واصطنعتك لنفسي عقبه بذكر ما له اصطنعه
وهو الابلاغ والاداء ثم ها هنا سأل المسئلة الاولى الباقية هنا معي مع ذلك لانهما
لو ذهبا اليه بدونه لما لزمه الايمان وذلك من اقوى الدلائل على بطلان التقليد
المسئلة الثانية اختلفوا في الآيات المذكورة ها هنا على ثلاثة اقوال احدها انها اليد
والعصا لانهما اللذان جريا ذكرهما في هذا الموضع وفي سائر المواضع التي احتفى الله بها حديث
موسى عليه السلام فانه تعالى لم يذكر فيشيء منها انه عليه السلام ذهب الى فرعون
الا ومعه هذان وثانيها انها عيونها بين الآيتين قال تعالى فذانك برهانان
ان كنت من الصادقين والقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
وقال فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه فاذا قيل لهما كيف يطلق لفظ الجمع
على الاثنين اجابوا بوجوه الاول ان العصا ما كانت آية واحدة بل كانت آيات
فان انقلاب العصا حية آية ثم اتها في اول الامر كانت صغيرة لقوله تعالى تهتز كانها
جان ثم كانت تعظم وهذا آية اخرى ثم ان موسى عليه السلام كان يدخل يده في فمها فاذا
نظر موسى عليه السلام وهذا آية اخرى ثم كانت تصير ثعبانا وهذا آية اخرى ثم ان موسى عليه السلام
كان يدخل يده في فمها فاذا كانت نظر موسى عليه السلام وهذه آية اخرى ثم كانت تنقلب عصا
وهذه آية اخرى وكذلك اليد فان بياضها آية وشعاعها آية ثم زوالهما بعد حصولهما آية
فصح انهما كانتا آيات كثيرة لا آية واحدة الثاني هب ان العصا امر واحد لكن لم لا يجوز
ان انقلابها حية يدل على وجود الله قادر على الكل عالم بالكل حكيم ويدل على نبوة موسى

ويدل على جواز الحشر حيث انقلب الجماد حيوانا فهذه ايات لنبوة ايات بينات مقام ابراهيم
فاذا وصف الشي بان فيه ايات فالسان اولى بذلك الثالث من الناس من قال
اقل الجمع اثنان على ما عرف في اصول الفقه القول الثاني قوله اذهب انت واخوك
باياتي معناه اني اوتدكما باياتي واظهر على ايديكما من الايات ما ينزاح به العالم من
فرعون وقومه فاذهبا فان اتاني معكما كما يقال اذهب فان جندي معك اي امدك بهم متى
احتجت القول الثالث ان الله تعالى اتاه اليد والعصا وحل عقدة لسانه وذلك
ايضا معجز فكانت الايات ثلاثة فهذا شرح الامر اما النهي فهو قوله ولا تنيا في ذكري
الوني الفتور والتقصير وقرئ ولا تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع ثم فيه اقوال احدها
المعنى لا تنسياني بل اتخذ ذكري الة لتحصيل كل المقاصد واعتقد ان امرا من الامور لا يتمشى
الا بذكري والحكمة فيه ان من ذكر جلال الله سبحانه استحقر غيره فلا يخاف احدا ولان من ذكر الله
يقوي روحه بذلك الذكر فلا يضعف في المقصود ولان ذاكر الله لا بد وان يكون ذاكرا
لاحسانه وذاكر احسانه لا يفتر في ادا اوامره وثانيها المراد بالذكر تبليغ الرسالة
فان الذكر يقع على كل العبادات وتبليغ الرسالة من اعظمها وكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر
وثالثها ولا تنيا في ذكري عند فرعون وكيفية الذكر هو ان يذكر لفرعون وقومه ان الله
لا يرضى منهم بالكفر ويذكر لهم امر الثواب والعقاب والترغيب والترهيب
ورابعها ان تذكر الفرعون الا الله ونعماه واحسانه اليه ثم قال بعد ذلك اذهبا الى
فرعون انه طغى وفيه سوالان السوال الاول ما الفايدة في ذلك بعد قوله اذهب
واخوك باياتي قال القفال فيه وجهان احدهما ان قوله اذهب انت واخوك باياتي امر
بالذهاب الى كل الناس من بني اسرايل وقوم فرعون ثم قوله اذهب الى فرعون خطاب
مع موسى وهارون وهذا مشكل لان هرون عليه السلام لم يكن حاضرا هناك وكذا في قوله
قالا ربنا اننا نخاف اجاب القفال عنه من وجوه احدها ان الكلام كان مع موسى عليه
السلام الا انه كان متبوع هرون فجعل الخطاب منه خطابا مع هرون وكلامه كلام هارون على
سبيل التقدير فالخطاب في تلك الحالة وان كان مع موسى عليه السلام وحده الا انه تعالى
اضافه اليهما كما في قوله واذ قتلتم نفسا وقوله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل وحكي ان القايل هو عبد الله بن ابي وحده وثانيها يحتمل ان الله تعالى لما قال
قد اوتيت سولك يا موسى سكت حتى لقي اخاه ثم ان الله تعالى خاطبهما بقوله اذهبا الى فرعون
وثالثها حكي ان في مصحف ابن مسعود وحفصة قال ربنا اننا نخاف اي قال موسى انا واخي نخاف
فرعون اما قوله تعالى فقولا له قولا لينا ففيه سوالان السوال الاول كيف امر الله
باللين مع الجاحد الكافر الجواب من وجهين الاول انه عليه السلام كان قد رباه فرعون
فامره ان يخاطبه بالرفق رعاية لتلك الحقوق وهذا تنبيه على نهاية تعظيم حق الوالدين الثاني
ان من عادة الجبابرة اذا غلظ لهم في الوعظ ان يزدادوا عتوا ونكرا والمقصود من البعثة حصول النفع

انواع

لاحصول

لا حصول زيادة الضرر فلهذا امر الله تعالى بالرفق السوال الثاني ان من عادة
الجبابرة كيف ذلك الكلام اللين الجواب ذكروا وجوها احدها ما حكى الله تعالى بعضه
فقال هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وذكر ايضا في هذه السورة بعض ذلك
فقال فاتياه فقولا انا رسولا ربك الى قوله والسلام على من اتبع الهدى وثانيها ان يعد له
شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان يبقى له المطعم والمشرب والمنكح الى حين
موته وثالثها كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة ورابعها
روي عن عمرو بن دينار قال بلغني ان فرعون عمر اربع مائة وتسع وتسعين فقال له موسى ان
اطعتني عمرت مثل ما عمرت فاذا مت فلك الجنة واعترضوا على هذه الوجوه الثلاثة الاخيرة اما
الاول فقيل لو حصلت له هذه الامور هذه المدة الطويلة لكان ذلك كالالجا الى معرفة
الله ولا يصح مع التكليف واما الثاني فلان خطابه بالكنية امر سهل فلا يجوز
ان يجعل ذلك المقصود من قوله فقولا له قولا لينا بل يجوز ان يكون ذلك من جملة المراد
واما الثالث فالاعتراض عليه كما في الاول اما قوله لعله يتذكر او يخشى
فاعلم انه ليس المراد انه تعالى كان شاكا فان ذلك محال عليه وانما المراد فقولا له قولا
لينا على ان يكونا راجيين لان يتذكر هو او يخشى واعلم ان احوال القلب ثلاثة احدها
الاصرار على الحق وثانيها الاصرار على الباطل وثالثها التوقف في الامرين وان فرعون
كان مصرا على الباطل وهذا القسم اردا الاقسام فقال تعالى فقولا له قولا لينا فلعله
يتذكر فيرجع من انكاره الى الاقرار بالحق وان لم ينتقل من الانكار الى الاقرار لكنه يحصل
في قلبه الخوف فيترك الانكار وان كان لا ينتقل الى الاقرار فان هذا خير من الاصرار الى الانكار
واعلم ان هذا التكليف لا يعلم سره الا الله سبحانه وتعالى لما علم انه لا يومن قط كان ايمانه
مضادا لذلك العلم الذي يمنع ايمانه فيكون سبحانه وتعالى عالما بامتناع ذلك الايمان
وان كان عالما بذلك وكيف امر موسى بذلك الرفق وكيف بالغ في الامر بتلطيف دعوته
الى الله تعالى مع علمه باستحالة حصول ذلك منه ثم ذهب ان المعتزلة ينازعون في
هذا الامتناع من غير ان يذكروا شبهة قادحة في هذا السوال ولكنهم سلموا انه كان عالما
بانه لا يحصل ذلك الايمان وسلموا ان فرعون لا يستفيد ببعثة موسى الا استحقاق العقاب
فالرحيم الكريم كيف يليق به ان يدفع السكين الى من علم قطعا ثم انه يمزق بطن نفسه ثم
يقول ما اردت بدفع السكين اليه وترك الاعتراض عليه والسكوت بالقلب واللسان قبله
ويروى عن كعب انه قال والذي يحلف به كعب انه لمكتوب في التوراة فقولا له قولا لينا
وانه قسا قلبه فلا يومن قوله تعالى قالا ربنا اننا
نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى
فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرايل ولا تعذبهم قد

جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد اوحي الينا
ان العذاب على من كذب وتولى اعلم ان قوله قالا ربنا اننا نخاف فيه
اسولة السوال الاول قوله قالا ربنا يدل على ان المتكلم بذلك موسى وهرون
لم يكن حاضرا هناك فكيف ذلك وجوابه قد تقدم السوال الثاني ان موسى عليه السلام قال
رب اشرح لي صدري فاجابه الله اليه بقوله قد اوتيت سولك يا موسى وهذا يدل على انه
قد انشرح صدره وتيسر له ذلك الامر فكيف قال بعده اننا نخاف فان حصول الخوف يمتنع
مع حصول شرح الصدر والجواب شرح الصدر عبارة عن قوته على ضبط تلك الاوامر
والنواهي وحفظ تلك الشرايع على وجه لا يتطرق اليها السهو والتحريف وذلك شي اخر
غير زوال الخوف السوال الثالث اما علم موسى وهارون عليهما السلام وقد حملهما الرسالة
انه تعالى يومنهما من القتل الذي هو مقطعة من الاذا الجواب قد امنا ذلك وان جوزا
ان ينالهما السو قبل تمام الاذا او بعده وايضا فانهما استظهرا بان سالا ربهما ما يريد في ثبات
قلبهما على دعايه وذلك بان ينضاف الدليل النقلي الى العقلي زيادة في الطمانينة كما
في قوله ولكن ليطمين قلبي السوال الرابع لما تكرر الامر من الله تعالى بالذهاب
فعدم الذهاب والتعليل والخوف هل يدل على المعصية الجواب لو اقتضى الامر
الفور لكان ذلك من اقوى الدلايل على ان الامر لا يقتضي الفور اذا ضممت اليه ما يدل على ان
المعصية غير جايزة على الرسل اما قوله ان يفرط علينا فاعلم ان في الفرط وجوه
احدها فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الوارده وفرس فرط يسبق
الخيل فالمعنى نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة وثانيها انه ماخوذ من افراط غيره
على العجلة فكان موسى وهارون عليهما السلام خافا من ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب
وذلك الحامل اما الشيطان لو ادعاه الربوبية لحبه للرياسة او قومه وهم القبط المفرطون
من الافراط في الاودية قوله او ان يطغى فالمعنى يطغى في التخطي الى ان يقول فيك
ما لا ينبغي لجراته عليك واعلم ان من امر بشي فحاول دفعه لاعذار تذكرها
فلا بد وان يختم كلامه بما هو الاقوى وهذا كما ان الهدهد ختم عذره بقوله
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فكذا هاهنا بدا موسى عليه السلام
بقوله ان يفرط علينا وبنى بقوله او ان يطغى لما ان طغيانه في حق الله تعالى اعظم
من افراطه في حق موسى وهرون اما قوله قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى
فالمعنى لا تخافا مما عرض على قلوبكما من الافراط والطغيان لان ذلك هو المفهوم من الكلام
تبين ذلك انه تعالى لم يومنهما من الرد ولا من التكذيب بالايات ومعارضة السحرة اما
قوله انني معكما فهو عبارة عن الحراسة والحفظ وعلى هذا الوجه يقال الله معك على وجه
الدعا واكد ذلك بقوله اسمع وارى فان من لا يكون مع الغير ناصرا له وحافظا

يجوز

يجوز ان لا يعلم ذلك مما ينالهما وانما يحرسه فيما يعلم فبين الله سبحانه وتعالى انه معهما
بالحفظ والعلم في جميع ما ينالهما وذلك هو النهاية في ازالة الخوف قال القفال قوله
اسمع وارى يحتمل ان يكون مقابلا لقوله يفرط علينا او ان يطغى والمعنى يفرط علينا بان لا
يسمع منا او يقتلنا فقال الله اني معكما اسمع كلامك فاخبره للاستماع منك وارى افعاله
فلا اتركه حتى يفعل بكما ما تكرهانه واعلم ان هذه الاية تدل على كونه تعالى سميعا
بصيرا صفتان زايدتان على العلم لان قوله اني معكما دل على العلم فقوله اسمع
وارى لو دلا على العلم لكان ذلك تكرارا وهو خلاف الاصل ثم انه سبحانه اعاد
ذلك التكليف فقال فاتياه فان قيل انه تعالى امرهما ان يقولا انا رسولا ربك فارسل
معنا بني اسرايل وفيه تغليظ من وجوه احدها ان قوله انا رسولا ربك فيه ابحاث
اهيادة لهما والهرامة لطاعتهما وذلك عظيم على الملك المتبوع والثاني قوله فارسل
معنا بني اسرايل فيه ادخال النقص على ملكه لانه كان محتاجا اليهم فيما يريده من الاعمال من
بنا وغيره والثالث قوله ولا تعذبهم والرابع قوله قد جئناك باية فما الفايدة
في التليين اولا والتغليظ ثانيا قلنا ان الانسان اذا ظهر منه لجاجة فلا بد معه من التغليظ
فان قيل اليس ان الاولى ان يقولا انا رسولا ربك قد جئناك باية فارسل معي بني اسرايل
ولا تعذبهم لان ذكر المعجز يعرف بادعا الرسالة فكان مقدمه اولى من تاخره عنه قلنا
بل هذا اولى لانهم ذكروا مجموع الدعاوي ثم استدلوا على ذلك المجموع بالمعجز اما
قوله قد جئناك باية من ربك ففيه سوال وهو ان الله تعالى اعطاه ايتين هما
العصا واليد ثم قال اذهب انت واخوك باياتي وذلك يدل على ثلاث ايات
وقال هاهنا جئناك باية وهو يدل على انها كانت واحدة فكيف الجمع
اجاب القفال بان معنى الاية الاشارة الى جنس الايات كانه قال قد جئناك
ببيان من عند الله ثم يجوز ان يكون ذلك حجة واحدة وحججا كثيرة اما قوله
والسلام على من اتبع الهدى فقال بعضهم هو من قوله الله لهما كانه قال فقولا له
انا رسولا ربك وقوله والسلام على من اتبع الهدى وقال اخرون بل كلام الله قد
تم عند قوله قد جئناك باية من ربك وقوله بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى
وعد من قبلهما لمن امن وصدق بالسلامة له من عقوبات الدنيا والاخرة والسلام في معنى
السلامة كما قال رضاع ورضاعة والسلام وعلى هاهنا بمعنى واحد كما قال لهم اللعنة
ولهم سو الدار على معنى عليهم وقال تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها وفي موضع اخر
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها اما قوله انا قد اوحي الينا ان العذاب
على من كذب وتولى فاعلم ان هذه الاية من اقوى الدلايل على ان عقاب المومن لا يدوم وذلك
لان الالف واللام في قوله العذاب يفيد الاستغراق ويفيد الماهية وعلى التقديرين
فيقتضي انحصار هذا الجنس اصلا وظاهر هذه الاية يقتضي القطع بانه لا يعاقب

احدا من المومنين ترك العمل به في بعض الاوقات فوجب ان يبقى على اصله في نفي الدوام
ولان العقاب المتناهي اذا حصل بعده السلامة مدة غير متناهية صار ذلك العقاب
كانه لا عقاب فلذلك يحسن مع حصول ذلك ان يقال انه لا عقاب وايضا
فقوله والسلام على من اتبع الهدى وقد فسرنا الكلام بالسلامة فظاهره يقتضي
حصول السلامة لكل من اتبع الهدى والعارف بالله قد اتبع الهدى فوجب ان يكون
صاحب السلامة قوله تعالى قال فمن ربكما يا موسى
قال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى ، قال فما
بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي
ولا ينسى ، الذي جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وانزل
من السما ما فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا انعامكم
ان في ذلك لايات لاولي النهى ، منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومنها نخرجكم تارة اخرى ، اعلم انهما عليهما السلام لما قالا انا رسولا ربك
قال لهما فمن ربكما يا موسى وفيه مسايل المسلة الاولى ان فرعون كان شديد القوة
عظيم القهر ثم ان موسى عليه السلام لما دعاه الى الله تعالى لم يشتغل معه بالبطش والاندا
بل خرج معه عليه السلام لما دعاه الى الله تعالى في المناظرة اما انه لو شرع اولا في الاندا
لنسب الى الجهل والسفاهة فاستنكف من ذلك وشرع اولا في المناظرة وذلك يدل على ان
السفاهة من غير الحجة ما كان يرتضيه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق ذلك
بمن يدعي الاسلام والعلم ثم ان فرعون لما سال موسى عليه السلام عن ذلك قبل موسى ذلك
السوال واشتغل باقامة الدلالة على وجود الصانع وذلك يدل على فساد التقليد ويدل
ايضا على فساد قول التعليمية الذين يقولون يستفيد معرفة الاله من قول الرسول
لان موسى عليه السلام اعترف هاهنا بان معرفة الله يجب ان تكون مقدمة على معرفة
الرسول ويدل على فساد قول الحشوية الذين يقولون يستفيد الدين من الكتاب
والسنة المسلة الثانية يدل الاية على انه يجوز حكاية قول المبطل لانه تعالى حكى
كلام فرعون في انكار الاله وحكى شبهات منكري النبوة وشبهات منكري الحشر الا ان
الحرف انك متى اوردت السوال فاردفه بالجواب لئلا يبقى الشك كما فعله الله تعالى
في هذه المواضع المسلة الثالثة دلت الاية على ان المحق يجب عليه استماع
شبهة المبطل والجواب عنها من غير ايذا والحاش كما فعل موسى عليه السلام بفرعون
هاهنا وكما امر الله رسوله في قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقال
وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله المسلة الرابعة اختلف الناس في
ان فرعون هل كان عارفا بالله تعالى فقيل انه كان عارفا الا انه كان يظهر الانكار تكبرا
وزورا وبهتانا واحتجوا عليه بثلاثة اوجه احدها قوله تعالى لقد علمت ما انزل هولاء

الا

الا رب السموات والارض فمن نصب الثاني علمت كان ذلك خطابا لموسى عليه السلام مع فرعون
فدل على ان فرعون كان عالما بذلك وكذلك حجة تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا وثانيها وهو انه كان عاقلا ولم يجز تكليفه وكل من كان عاقلا علم بالضرورة
انه وجد بعد العدم وكل من كان كذلك افتقر الى مدبر وهذان العلمان الضروريان يستلزمان
العلم بوجود المدبر وثالثها قول موسى عليه السلام هاهنا قال ربنا الذي
اعطى كل شي خلقه ثم هدى وكلمة الذي تقتضي وصف المعرفة بجملة معلومة فلا
بد وان يكون هذه الجملة قد كانت معلومة له ورابعها قوله في سورة القصص في
صفة فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام ولما هرب موسى الى مدين قال له
شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين فمع هذا كيف يعتقد انه اله العالم وسادسها
انه قال وما رب العالمين فقال رب السموات والارض فقال ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون يعني انا اطلب منه الماهية وهو يشرح الوجود فهو لم ينازع موسى في الوجود بل
طلب منه الماهية فدل هذا على اعترافه باصل الوجود ومن الناس من قال انه كان جاهلا
بربه واتفقوا على ان العاقل لا يجوز ان يعتقد في نفسه انه خالق هذه السموات والارضين
والشمس والقمر وانه خالق نفسه لا يعلم بالضرورة عجزه عنها ويعلم بالضرورة
بانها كانت موجودة قبله فيحصل العلم الضروري بانه ليس موجدا لها ولا خالقا لها
واختلفوا في كيفية جهله بالله تعالى فيحتمل انه كان دهريا نافيا للموثر اصلا ويحتمل
انه كان فلسفيا قايلا بالعلة الموجبة ويحتمل انه كان من عبدة الكواكب ويحتمل
انه كان من الحلولية المجسمة واما ادعاوه الربوبية لنفسه فمعنى انه يجب عليهم
طاعته والانقياد له وعدم الاشتغال بطاعة غيره المسلة الخامسة انه سبحانه
حكى عنه في هذه السورة انه قال فمن ربكما يا موسى بمن وهو سوال عن الشخص وقال
في سورة الشعرا وما رب العالمين بما وهو سوال عن الماهية وهما سوالان مختلفان والواقعة
واحدة والاقرب ان يقال سوال من كان مقدما على سوال لانه كان توهم ان الله والرب
فقال فمن ربكما فلما اولى موسى الدلالة على الوجود وعرف انه لا يمكنه ان يعارضه في
هذا الكلام لظهور جلايته عدل الى المقام الثاني وهو طلب الماهية وهو ايضا مما ينبه
على انه كان عالما بالله لانه ترك المنازعة في هذا المقام لعلمه بغاية ظهوره وشرع في المقام
الصعب لان العلم بماهية الله غير حاصلة المسلة السادسة انما قال فمن ربكما ولم
يقل فمن الهكما لانه لقب نفسه ربا له في قولكه الم نربك فينا وليدا فذكر ذلك على سبيل
التعجب كانه قال له انا ربك فلم يدعي ربا اخر وهذا الكلام شبيه بكلام نمرود الا في
اللفظ وكذا هاهنا لما ادعى موسى بربوبية الله تعالى ذكر فرعون هذا الكلام ومراده اني
انا الرب لاني ربيتك ومعلوم الربوبية التي ادعاها موسى عليه السلام لله سبحانه عن هذه الربوبية
في المعنى وانه لا يشاركه فيهما الا في اللفظ المسلة السابعة اعلم ان موسى عليه

السلام استدل على اثبات الصانع باحوال المخلوقات وهو قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه
ثم هدى وفي هذه الدلالة هجي الق ذكرها الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله سبح اسم
ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقال ابراهيم عليه السلام فانهم عدو لي
الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين وان موسى عليه السلام في اكثر الامر تقول
على دلايل ابراهيم المدركة والمحرلة في تلك الاجسام وعلى هذا التقدير يكون الخلق متقدما
على الهداية ولذلك قال فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فالتسوية راجعة الى المحال ونفخ
الروح اشارة الى ايداع القوى ولقد خلقنا الانسان من طين الى ان قال ثم انشانا خلقا اخر
فظهر ان الخلق متقدم على الهداية والشروع في بيان عجايب حكم الله في الخلق والهداية شروع
في بحر لا ساحل له ولنذكر منه امثلة قريبة الى الافهام احدها ان الطبيعي يقول
الثقيل هابط والخفيف صاعد واشد الاشيا ثقلا الارض ثم الماء واشدها خفة النار ثم
الهوا فلذلك وجب ان يكون السماء على العنصريات والارض اسفل ثم سبحانه قلب
هذا الترتيب في خلقة الانسان فجعل اعلى الانسانية العظم والشعر وهما ايبس ما في البدن وهما
بمنزلة الارض ثم جعل تحته الدماغ الذي هو بمنزلة الماء وجعل تحته النفس الذي هو بمنزلة
الهواء وجعل تحته الحرارة الغريزية التي هي في القلب بمنزلة النار فجعل مكان الارض من
البدن الاعلى وجعل مكان النور من البدن الاسفل ليعرف ان ذلك بتدبير القادر الحكيم
الرحيم لا بمقتضا العلة والطبيعة والثانية انك اذا نظرت الى عجايب الحيل في
تركيب البيوت المسدسة وعجايب احوال البق والبعوض في اهتدائها الى مصالح انفسها
اعترفت ان ذلك لا يمكن الا بالهام مدبر وعالم بجميع المعلومات والثالثة انه تعالى
هو الذي انعم على الخلايق بمايه يقوم غوامهم من المطعوم والمشروب والملبوس والمنكوح ثم
هداهم الى كيفية الانتفاع بها وبستخرجون الحديد من الجبال واللآلي من البحار
ويركبون الاودية والزراعات النافعة ويجمعون بين الاشيا المختلفة المستخرجة
شراعا طاهم العقول التي بها توصلوا الى كيفية الانتفاع بها وهذا غير مختص بالانسان بل
عام في الحيوانات فاعطى الانسان انسانة والحمارة حمارة والبعير ناقة ثم هداه لها
لدوم التناسل وهدي الاولاد لثدي الامهات بل هذا غير مختص بالحيوانات بل هو حاصل
في اعضايها فانه خلق اليد على تركيب خاص واودع فيها قوة الاخذ وخلق الرجل على تركيب خاص
واودع فيها قوة المشي وكذا العين والاذن وجميع الاعضاء ثم ربط البعض على البعض
على وجه يحصل من ارتباطها مجموع واحد وهو الانسان ولا ابواه لان فعل ذلك يتعدى قدرة
عليه وعلما بما فيه من المصالح والمفاسد والامران فايان على الانسان لانه بعد كمال عقليه
يعجز عن تعبير شعرة واحدة وبعد الشرح الشديد على كتب التشريح لا يعرف من
منافع الاعضا ومصالحها الا القدر القليل فلا بد وان يكون جايزا فيفتقر الى سبب اخر
والدور والتسلسل محالان فلا بد من الانتهاء في سلسلة الحاجة الى موجد ومدبر اخر

والدور والتسلسل محالان فلا بد من الانتهاء في سلسلة الحاجة فالاله ليس بجسم ولا جسماني ثم
تاثير ذلك الموثر اما ان يكون بالذات او بالاختيار والاول محال لان الموجب ايجاده
مثلا عن مثل وهذه الاجسام متساوية في الجسمية فلم اختص بعضها بالصورة الفلكية وبعضها
بالصورة العنصرية وبعضها بالنباتية وبعضها بالحيوانية ثبت ان الموثر والمدبر قادر
لا يمكنه مثل هذه الافعال العجيبة الا اذا كان عالما فثبت ان هذا المدبر ليس بجسم ولا جسماني
لا بد وان يكون واجب الوجود في ذاته وفي صفاته والا لافتقر الى مدبر اخر ويلزم
التسلسل وهو محال واذا كان واجب الوجود في قادريته وعالميته والواجب لذاته لا
يختص ببعض الممكنات دون البعض وجب ان يكون عالما بكل ما يصح ان يكون معلوما
وقادرا على كل ما يصح ان يكون مقدورا فظهر بهذه الدلالة التي تمسك بها موسى عليه السلام
وبينه على تقريرها استناد العالم الى مدبر ليس بجسم ولا جسماني واجب الوجود في ذاته
وفي صفاته عالم بكل المعلومات قادر على كل المقدورات وذلك هو الله سبحانه وتعالى
المسئلة الثامنة ان فرعون خاطب الاثنين بقوله فمن ربكما وحد الذا الى احدهما
وهو موسى لانه الاصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل ان يكون حمله على اسناد عاد
كلام موسى دون كلام اخيه كما عرف من فصاحة هرون والرقة في لسان موسى ويدل
عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين المسئلة التاسعة
في قوله اعطى كل شيء خلقه وجوه احدها التقديم والتاخير اي اعطى خلقه كل شيء
يحتاجون اليه ويرتفقون به وثانيها ان يكون المراد من الخلق الشكل والصورة
المطابقة للمنفعة وكانه سبحانه قال اعطى كل شيء الشكل الذي يطابق منفعته ومصلحته
وقرئ خلقه صفة للمضاف او للمضاف اليه اي كل شيء خلقه الله لم يخل من عطائه
والعامة اما قوله تعالى قال فما بال القرون الاولى اعلم ان في ارتباط
هذا الكلام بما قبله وجوه احدها ان موسى عليه السلام لما قرر عليه امر المبدا قال
فرعون ان كان اثبات المبدا في هذا الحد من الظهور فما بال القرون الاولى ما استوايه
وتركوه وكان موسى عليه السلام لما استدل بالدلالة القاطعة على اثبات الصانع قدح
فرعون في تلك الدلالة بقوله ان كان الامر في قوة هذه الدلالة على ما
ذكرت وجب على اهل القرون الخالية ان لا يكونوا غافلين عنها معارضة الحجة بالتقليد وثانيها
ان موسى عليه السلام هدده بالعذاب اولا في قوله انا قد اوحي الينا ان العذاب
على من كذب وتولى فقال فرعون فما بال القرون الاولى الخالية فانها لذت
شرائهم ما عذبوا وثالثها وهو الاظهر ان فرعون لما قال فمن ربكما يا موسى فذكر
موسى عليه السلام دليلا ظاهرا وبرهانا باهرا على هذا المطلوب فقال ربنا الذي
اعطى كل شيء خلقه ثم هدى فخاف فرعون انه يريد في تقرير تلك الحجة فيظهر الناس صدقه وضاد
طريق فرعون فاراد ان يصرفه عن ذلك الكلام وان يشغله بالحكايات فقال فما بال

القرون الاولى فلم يلتفت موسى عليه السلام الى ذلك الحديث وقال علمها عند ربي ولا يتعلق
غرضي باحوالهم ولا اشتغل بها ثم عاد الى اتمام الكلام الاول وايراد الدلايل القاهرة على
وحدانيته فقال الذي جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وهذا الوجه
هو المعتمد في صحة هذا النظم ثم ها هنا مسايل المسيلة الاولى اختلفوا في
معنى قوله علمها عند ربي فان العلم الذي يكون عند الرب كيف يكون في الكتاب وتحقيقه
هو ان علم الله صفته وصفة الشي قايمة به فاما ان يكون صفة الشي حاصلة في كتاب
فذاك غير معقول فذكروا فيه وجهين الاول معناه انه سبحانه اثبت تلك الاحكام في
كتاب عنده ليكون ما كتبه فيه يظهر للملايكة فتكون ذلك زيادة لهم في الاستدلال
على انه تعالى عالم بكل المعلومات منزه عن السهو والغفلة ولقايل ان يقول قوله
في كتاب توهم احتياجه في ذلك العلم الى ذلك الكتاب وهذا وان كان غير واجب لا محالة
ولكنه لا اقل من ان توهمه في اول الامر لا سيما للكافر فكيف يحسن ذكره مع معاندة
مثل فرعون في وقت الدعوة الوجه الثاني ان تقرر ذلك بان يقال المعلومات
في علمه سبحانه كما المكتوب في الكتاب فيكون الغرض من هذا الكلام تاكيد القول بان
اسرارها معلومة لله بحيث لا يزول شي منها عن علمه وهذا التفسير يتاكد بقوله بعد
ذلك لا يضل ربي ولا ينسى ما فيه اعلم المسيلة الثانية اختلفوا في قوله لا يضل ربي
ولا ينسى وقال بعضهم معنى اللفظين واحد اي لا يذهب عليه شي ولا يخفى عنه وهذا قول
مجاهد والاكثرون على الفرق بينهما ثم ذكروا وجوها احدها وهو احسن ما قالوه
فيه لا يضل عن الاشيا ومعرفتها وما علمه من ذلك لا ينساه فاللفظ الاول اشارة الى كونه
عالما بكل المعلومات واللفظ الثاني وهو قوله لا ينسى دليل على بقا ذلك العلم ابد الاباد
وهو اشارة الى نفي التغيير وثانيها قال مقاتل لا يخطي ذلك الكتاب ربي ولا ينسى ما فيه
وثالثها قال الحسن لا يخطي وقت البعث ولا ينساه ورابعها قال ابو عمرو اصل الضلال
الغيبوبة والمعنى لا يغيب عن شي ولا يغيب عنه شي وخامسها قال ابن حجر لا يخطي
في التدبير فيعتقد في غير الصواب كونه صوابا واذا عرفه لا ينساه وهذه الوجوه
متقاربة والتحقيق هو الاول المسيلة الثالثة لما ساله عن الاله وقال
فمن ربكما فكان ذلك مما سبيله الاستدلال اجاب بما هو الصواب باوجز عبارة واحسن معنى
ولما ساله عن شان القرون الاولى وكان ذلك مما سبيله الاخبار ولم ياته في ذلك
خبر وكله الى عالم الغيوب واعلم ان موسى عليه السلام لما ذكر الدلالة الاولى
وهي دلالة عامة تناول جميع المخلوقات من الانسان وساير الحيوانات وانواع النبات
والجمادات ذكر بعد ذلك دلالة خاصة وهي ثلاثة اولها قوله تعالى الذي جعل
لكم الارض مهادا وفيه ابحاث البحث الاول قرا اهل الكوفة ها هنا وفي الزخرف
مهدا والباقون قرا ولمهادا فيهما قال ابو عبيد الذي اختاره مهادا وهو اسم المهد

الفعل

الفعل وقال غيره المهد الاسم والمهاد الجمع كالفرش والفراش اجاب ابو عبيد بان
الفراش اسم والفرش فعل وقال القفال هما مصدران لمهد اذا وطا له فراشا مهد
مهدا ومهادا وفرش فرشا وفراشا البحث الثاني قال صاحب الكشاف
الذي جعل مرفوع لانه خبر مبتدا محذوف او لانه صفة للذي او منصوب على المدح وهذا
من مظانه ومجازه واعلم انه يجب الجزم بكونه خبر المبتدا محذوف اذ لو حملناه
على الوجهين النافيين لزم كونه من كلام موسى عليه السلام ولو كان كذلك لفسد
النظم بسبب قوله فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى وثانيها قوله
وسلك لكم فيها سبلا سلك من قوله ما سلككم في سقر فسلكه في قلوب المجرمين اي جعل
لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري وثالثها قوله وانزل لكم
من السما ما والكلام فيه مر في سورة البقرة اما قوله فاخرجنا به ازواجا من نبات
شتى ففيه مسايل المسيلة الاولى في قوله فاخرجنا وجوه احدها ان يكون
هذا من تمام كلام موسى عليه السلام فقوله رب الذي جعل لكم الارض كذا وكذا فاخرجنا
نحن معاشر عباده بذلك الما وبالحراثة ازواجا من نبات شتى وثانيها ان عند
قوله وانزل لكم من السما ما ثم كلام موسى عليه السلام ثم بعد ذلك اخبر الله تعالى عن نفسه
متصلا بالكلام الاول بقوله فاخرجناه يدل على هذا الاحتمال قوله كلوا وارعوا
انعامكم وثالثها قال صاحب الكشاف انتقل فيه من لفظ الغيبة الى المتكلم المطاع
للايذان بانه سبحانه مطاع بنفاذ الاشيا المختلفة لامره ومثله قوله هو الذي
انزل من السما ما فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ام من خلق السموات والارض وانزل لكم
من السما فانبتنا به حدايق واعلم ان قوله فاخرجنا اما ان يكون من كلام موسى او
من كلام الله والاول باطل لان قوله بعد ذلك كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى لا يليق بموسى وايضا فقوله
فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى لا يليق بموسى لان اكثر ما في قدرة موسى صرف المياه الى سقي الاراضي
فاما اخراج النباتات على اختلاف الوانها وطبايعها فليس من موسى عليه السلام فثبت
ان هذا كلام الله ولا يجوز ان يقال كلام الله ابتدا من قوله فاخرجنا به ازواجا لان الفا
متعلق بما قبله فلا يجوز جعل هذا كلام الله وجعل ما قبله كلام موسى فلم يبق الا ان يقال
كلام موسى عليه السلام ثم عند قوله لا يضل ربي ولا ينسى ثم ابتدا كلام الله من قوله
الذي جعل لكم الارض مهدا ويكون التقدير هو الذي جعل جعل لكم مهدا فيكون الذي
خبر مبتدا محذوف ويكون الانتقال من الغيبة الى الخطاب التفاتا المسيلة
الثانية ظاهر هذه الاية يدل على انه سبحانه انما يخرج النبات من الارض بواسطة انزال
الما فيكون للما فيه اثر وهذا بتقدير ثبوته لا يقدح في شي من اصول الاسلام لانه سبحانه
هو الذي اعطاها هذه الخواص والطبايع لكن المتقدمين من المتكلمين ينكرونه ويقولون لا تاثير

اه في شي البتة المسئلة الثالثة قوله ازواجا اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة
مقرونة بعضها ببعض شتى صفة الازواج جمع شت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة
النبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها
شتى مختلفة النفع والطعم والطبع بعضها يصلح الناس وبعضها يصلح البهايم اما قوله
كلوا وارعوا انعامكم فهو حال من الضمير في فاخرجنا المعنى فاخرجنا اصناف النبات
اذ هم في الانتفاع بها متحيرون ياكلوا بعضها ويعلفوا بعضها وقد يضمر قوله كلوا وساير
وجوه المنافع فهو كقوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقوله الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما وقوله كلوا المراباحة ان في ذلك اي فيما ذكرت من هذه النعم لايات ودلالات
لذوي العقول والنهية العقل قال ابو علي الفارسي النهي يجوز ان يكون مصدرا كالهدى
ويجوز ان يكون جمعا اما قوله منها خلقناكم فاعلم انه سبحانه لما ذكر منافع الارض
والسما بين انها غير مطلوبة لذاتها لكونها وسايل الى منافع الاخرة فقال منها خلقناكم
وفيه سوالان السوال الاول ما معنى قوله منها خلقناكم مع انه سبحانه خلقنا من
النطفة على ما بين ذلك في ساير الايات والجواب انه لما خلق اصلنا وهو ادم عليه
السلام من التراب على ما قال تعالى قتل ادم خلقه من تراب لا جرم اطلق ذلك علينا
الثاني ان تولد الانسان انما هو من النطفة ودم الطمث وهما يتولدان من الاغذية والغذا
اما حيواني او نباتي والحيواني ينتهي الى النباتي والنبات انما يحدث من امتزاج الما
والتراب فصح انه تعالى خلقنا منها وذلك لا ينافي كوننا مخلوقين من النطفة والثالث
ذكرنا في قوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام خبر ابن مسعود وهو اتيان ملك الارحام الى ان
يكتب الاجل والرزق والارض التي تدفن فيها وانه ياخذ من تراب تلك البقعة ويبثره
على النطفة ثم يدخلها في الرحم السوال الثاني ظاهر الاية يدل على ان كون الشي مخلوقا
من الشي ازالة صفة الشي الاول عن الذات واحداث صفة الشي الثاني ظاهر
الاية يدل على ان كون الشي مخلوقا من الشي وظاهر قول المتكلمين اياه الجواب
ان كان المراد من خلق الشي من الشي ازالة صفة الشي الاول عن الذات واحداث صفة
الشي الثاني فيه فذلك جايز لا منافاة فيه اما قوله وفيها نعيدكم فلا شبهة
في ان المراد الاعادة الى القبور حتى يكون الارض مكانا مطلوبا لكل من مات الا من
رفعه الله الى السما ومن هذا حاله يحتمل ان يعاد اليها ايضا بعد ذلك واما
قوله ومنها نخرجكم تارة اخرى ففيه وجوه احدها وهو الاقوى ومنها
نخرجكم يوم الحشر والبعث وثانيها منها نخرجكم ترابا وطينا ثم نحييكم بعد
الاخراج وهذا مذكور في بعض الاخبار وثالثها المراد عذاب القبر عن البرا قال
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فذكر عذاب
القبر وما يخاطب المومن والكافر وانه ترد روحه في جسده وترد الى الارض وانه

تعالى

يقول عند اعادتهم الى الارض اني وعدتهم اني منها خلقتهم وفيها اعيدكم ومنها اخرجهم
تارة اخرى واعلم ان الله تعالى عدد في هذه الايات منافع الارض وهي انه تعالى
جعل لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم منها مسالك يترددون فيها كيف اراد
وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلف الدواب وهي اصلهم الذي منه
يفرعوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال عليه السلام تمسحوا بالارض فانها بكم ترة

قوله تعالى ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب
وتولى قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى
فلنا تينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن
ولا انت مكانا سوى اعلم انه تعالى بين انه راى فرعون الايات كلها ثم
انه لم يقبلها واختلفوا في المراد بالايات فقال بعضهم اراد كل الايات ما يتوصل
بالتوحيد وما يتصل بالنبوة اما التوحيد فما ذكر في هذه السورة من قوله
ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى وقوله الذي جعل لكم الارض الى اخره وما
ذكر في سورة الشعرا قال وما رب العالمين قال رب السموات والارض واما النبوة
فهي الايات التسعة المختصة بموسى عليه السلام وهي العصا واليد وفلق البحر والحجر
والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل وعلى هذا التقدير معنى اريناه عرفناه
صحتها واوضحنا له وجه الدلالة منها ومنهم من حمل ذلك على ما يتصل بالنبوة وهي هذه المعجزات
وانما اضاف الايات الى نفسه سبحانه وتعالى مع ان المظهر لها موسى عليه السلام لانه اجراها
على يده كما اضاف نفخ الروح الى نفسه فقال فنفخنا فيها من روحنا مع ان النفخ كان من
جبريل عليه السلام فان قيل له كلها يفيد العموم وان الله تعالى ما اراه جميع الايات
لان من جملة الايات ما اظهرها على الانبيا الذين كانوا قبل موسى عليه السلام والذين كانوا
بعده قلنا لفظ لكل وان كان يدل على العموم ولكن قد يستعمل على الخصوص عند
القرينة كما تقول دخلت السوق فاشتريت كل شي او يقال ان موسى عليه السلام
اراه اياته وعدد عليه ايات غيره من الانبيا فكذب فرعون بالكل او يقال تكذيب
بعض المعجزات يقتضي تكذيب الكل فحكى الله سبحانه وتعالى ذلك على الوجه الذي يلزم
ثم انه سبحانه حكى عنه انه كذب وابى قال القاضي الاباء هو الامتناع
وانه لا يوصف به الا من يتمكن من الفعل والترك ولانه تعالى ذمه بانه كذب
وبانه ابى ولو لم يقدر الا على ما هو عليه لم يصح واعلم ان هذا السوال في سورة
البقرة في قوله تعالى في قصة ابليس ابى واستكبر والجواب مذكور هناك
ثم حكى الله تعالى شبهة فرعون وهي قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى
وتركيب هذه الشبهة عجيبة وذلك انه القى في مسامعهم ما يصيرون به مبغضين له
جدا وهو قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا وذلك لان هذا مما يشق على الانسان

في الغاية ولذلك جعله مساويا للقتل فاقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ثم لما صار في نهاية البعد له اورد التوبة الطاعنة في نبوته عليه السلام وهي ان ما جئتنا به سحر ولا معجز ولما علم ان المعجز اما ان يتبين عن السحر بكون المعجز مما يتعذر معارضته والسحر ما يمكن معارضته قال فلنا تيك بسحر مثله اما قوله وبيننا وبينك موعدا لا نخلفه فاعلم ان الموعد يجوز ان يكون مصدرا ويجوز ان يكون اسما للمكان الوعد كقوله وان حشر لموعدهم اجمعين وان يكون اسما للزمان الوعد لقوله ان موعدهم الصبح والذي في هذه الاية يحتمل المصدر اي اجعل بيننا وبينك وعد الا نخلفه لان الوعد هو الذي يصح وصفه بالخلف اما المكان والزمان فلا يصح وصفهما بذلك ومما يؤكد ذلك ان الحسن قرا يوم الزينة بالنصب وذلك لا يطابق المكان كالزمان وانما انتصب مكانا لانه هو المفعول الثاني اجعل مكان موعدا لا نخلفه مكانا سوى فاعلم انه قرا عاصم وحمزة وابن عامر سوى بضم السين والباقون بكسرها وهما لغتان مثل طوى وطوى وقري ايضا سوا وغير مسون وذكر في معناه وجوها احدها قال ابو علي مكانا يستوي مسافته على القريقين وهو المراد من قول مجاهد وقتادة منصفا بيننا ويستوي فيها قال ابو زيد سوى اي مستويا يحمي العين ما فيه من الارتفاع والانخفاض فسوي على التقدير الاول صفة المسافة وعلى هذا التقدير صفة المكان والمقصود انهم طلبوا موضعا مستويا لا يكون فيه ارتفاع وانخفاض حتى يتباهد كل الحاضرين كل ما يجري وثالثها مكانا سويا حالتنا في الرضا به ورابعها قال الكلبي مكانا سويا هذا المكان الذي نحن فيه الان

قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى اعلم ان في الاية مسايل المسئلة الاولى يحتمل في قوله قال موعدكم ان يكون من قول فرعون فبين الوقت ويحتمل ان يكون من قول موسى عليه السلام قال القاضي والاول اظهر لانه الطالب للاجتماع دون موسى وعندي الامر بالعكس من كلام موسى لوجوه احدها انه جواب لقول فرعون فاجعل بيننا وبينك موعدا وثانيها ان تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ما سيقع فيعينه انما يليق بالمحق الذي يعرف ان المدلة لا بالمبطل الذي يعترف انه ليس معه الا التلبيس وثالثها ان قوله موعدكم خطاب الجمع فلو جعلناه من فرعون الى موسى وهرون لزم اما حمله على التعظيم وذلك لا يليق بحال فرعون معهما او على اقل الجمع اثنان وهو غير جايز اما لو جعلنا من موسى عليه السلام الى فرعون وقومه استقام الكلام المسئلة الثانية يوم الزينة قرا بعضهم بضم الميم والحسن بالنصب قال الزجاج اذا رفع فعلى

خبر المبتدا والمعنى وقت موعدكم يوم الزينة ومن نصب فعلى الظرف ومعناه موعدكم يقع يوم الزينة وقوله وان يحشر الناس ضحى قال قيل اتم قلتم في تفسير قوله اجعل بيننا وبينك موعدا ان التقدير واجعل مكان موعدا لا نخلفه مكانا سويا فهذا كيف يطابقه قوله موعدكم يوم الزينة لان السوال وقع عن المكان فكيف يطابقه الجواب بذكر الزمان قلنا هو يطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانهم لا بد لهم ان يجتمعوا يوم الزينة معين مشهور باجتماع الناس في ذلك اليوم فذكر الزمان عليه والمكان المسئلة الثالثة ذكر المفسرون في يوم الزينة وجوها احدها انه يوم عيد لهم يتزينون فيه مشهور باجتماع الناس في ذلك اليوم وثانيها قال يوم النيروز وثالثها قال سعيد بن جبير يوم سوق لهم ورابعها قال ابن عباس يوم عاشورا وانما قال يحشر لانهم يجتمعون ذلك اليوم بانفسهم من غير حاشر لهم وقري وان يحشر بالياء والتاء ويراد وان يحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكر بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون على كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافرين وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفي الجمع العاصل ليكثر المحدث بذلك الامر العجيب في كل بد ووحضر ويسبح في جميع الوبر والمدر قال القاضي انه عين اليوم بقوله يوم الزينة ثم عين من اليوم وقتا معينا بقوله وان يحشر الناس ضحى اما قوله فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى فاعلم ان التولي قد يكون اعراضا وقد يكون انصرافا والظاهر هاهنا انه بمعنى الانصراف وهو موافقه موسى عليه السلام على الموعد الذي هو مواعده الاجتماع وقال مقاتل فتولى اي اعرض وثبت على اعراضه عن الحق ودخل تحت قوله فجمع كيده السحرة وساير من يجتمع اذ لك ويدخل فيه الاباة وساير ما اوردته السحرة ثم انه اتى الموضع بالسحرة وبالقوم وبالالات قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبال وعصا وقيل كانوا اربعمايه وقيل الف ثم ذلك ثم ذهب لفرعون قبة فجلس فيها ينظر اليهم وكان طول القبة سبعين ذراعا ثم بين تعالى ان موسى عليه السلام قدم على كل شي الوعيد والتحذير مما قالوه واقدموا عليه فقال ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تزعموا بان الذي جيت به ليس بحق وانه سحر فيهلكم معارضتي قال الزجاج يجوز في انتصاب ويلكم ان يكون المعنى الزمكم الله ويلا ان افتروا على الله كذبا ويجوز على النداء كقوله يا ويلتى ءالد وانا عجوز يا ويلتى من بعشنا من مرقدنا وقوله فيسحتكم بعذاب اي يجيد بكم عذابا مهلكا مستاصلا قرا حمزة وعاصم والكسائي برفع الياء من الاسحات والباقون بفتحها من السحت والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم والسحت لغة اهل الحجاز وكانه تعالى قال من افترى على الله كذبا حصل له امران احدهما العذاب الشديد في الاخرة وهو المراد من قوله فيسحتكم بعذاب

والثاني الحسه والحرمان عن المقصود وهو المراد من قوله وقد خاب من افترى ثم
بين سبحانه انه لما قال موسى عليه السلام ذلك اعرضوا عن قوله وساوروا امرهم بينهم
وفي يتنازعوا قولان احدهما تفاصلوا وتشاوروا ليستقروا على شي واحد وقال
مقاتل اختلفوا فيما بينهم ثم قال بعضهم دخل في التنازع فرعون وقومه ومنهم
من يقول بل هم السحرة وحدهم والكلام يحتمل وليس في الظاهر ما يدل على الترجيح ذكروا
في قوله واسروا النجوى وجوها احدها انهم اسروا من فرعون وعلى هذا
التقدير وجوه احدها قال ابن عباس ان غلبنا موسى اتبعناه الثاني قال
قتادة قال قتادة ان كان ساحرا فنغلبه وان كان من السما فله امر الثالث
قال وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر والوجه الثاني
اسروا النجوى من موسى عليه السلام وفرعون ونجواهم هم قولهم ان هذا لساحران يريدان
ان يخرجاكم من ارضكم وهو قول السدي الوجه الثالث انهم اسروا النجوى
من موسى عليه السلام وهرون وفرعون وقومه ايضا وكان نجواهم انه كيف يجب
تدبير امر الحبال والعصي وعلى اي وجه يجب اظهارها ليكون واقع في القلب واظهر
للعيون وهذا قول الضحاك قوله تعالى قالوا ان هذان
لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما
ويذهبا بطريقتكما المثلى فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا
وقد افلح اليوم من استعلى في الاية مسايل المسئلة الاولى القراة المشهورة
ان هذان لساحران ومنهم من ترك هذه القراة وذكر وجوها اخر احدها قرا
ابو عمرو وعيسى ابن عمر ان هذين لساحران قالوا وما هي قراة عثمان وعايشة وابن الزبير
وسعيد بن جبير والحسن واحتج ابو عمرو وعيسى بن عمر على ذلك بما روى هشام بن عروة
عن ابيه عن عايشة انها سالت عن قوله ان هذان لساحران وعن قوله ان الذين
امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى وعن قوله والراسخون في العلم منهم والمقيمين
الصلاة والمؤتون الزكاة فقال يا ابن اخي هذا خطا من الكاتب وروي عن عثمان
انه نظر في المصحف فقال ارى فيه لحنا وستقيمه العرب بالسنتها وثانيها قرا ابن كثير
ان هذان بتخفيف ان وتشديد نون هذان وثالثها قرا حفص عن عاصم ان هذان بتخفيف
النونين ورابعها قرا عبد الله بن مسعود واسروا النجوى ان هذان ساحران بفتح
الف ان وبجزم نونه ساحران بغير لام وخامسها عن الاخفش ان هذان لساحران
ان خفيفة في معنى ثقيلة وهي لغة لقوم يرفعون بها ويدخلون اللام ليفرقوا بينهما
ومن التي تكون في معنى ما وسادسها روي عن كعب ما هذان الا ساحران وروي
ايضا ان هذان الا ساحران وعن الخليل كمثل وعن ابي ايضا ان هذان الا ساحران
فهذه هي القرا والشاذة الواردة في هذه الاية واعلم ان المحققين قالوا هذه القرات

يجوز تصحيحها لانها منقولة بطريق الاحاد والقران يجب ان يكون منقولا بالتواتر اذ لو جوزنا
اثبات زيادة في القران بطريق الاحاد لما امكنا القطع بان هذا الذي هو عندنا كل القران
لانه لما جاز في هذه القرات مع كونها انها من القران ما نقلت من التواتر جاز في غيرها
ذلك فثبت ان تجويز كون هذه القرات من القران بجواز تطرق جواز الزيادة والنقصان
والتغيير الى القران وذلك يخرج القران عن كونه حجة ولما كان ذلك باطلا فكذلك ما
ادى اليه واما الطعن في القراة المشهورة فهو اسوء مما تقدم من وجوه احدها
انه لما كان نقل منقول عن بعض الصحابة وثانيها ان المسلمين اجمعوا على ان ما بين الدفتين
كلام الله وكلام الله لا يجوز ان يكون لحنا وغلطا فثبت فساد ما نقل عن عثمان وعايشة ان
فيه لحنا وغلطا ومثالثها قال ابن الانباري ان الصحابة هم الايمة والقدوة فلو وجدوا في
المصحف لحنا لما فرضوا ذلك الى من بعدهم مع تحذيرهم من الابتداع قال بعضهم اتبعوا ولا
تبتدعوا فقد كفيتم فثبت انه لا بد من تصحيح القراة المشهورة واختلف النحويون
فيه وذكروا وجوها الوجه الاول وهو الاقوى ان هذا في لغة بعض العرب فقال بعضهم
هي بلحارث بن كعب نسبها الى كنانة وقطرب نسبها الى بلحارث بن كعب ومراد بن
خثعم وبعض بني عذرة ونسبها ابن جني الى بعض بني ربيعة ايضا وانشد الفرا
على هذه اللغة فاطرق اطراق الشجاع ولو ترى مساغا لناباه الشجاع لصمما
وانشد غيره يزود منا بين عيناه ضربة وعنه الى هامي التراب عقيم قال
الفرا وحكى بعض بني اسد انه قال هذا خط يد اخي اعرفه وقال قطرب
هولا يقولون رايت رجلان واشتريت ثوبان وقال رجل من بني ضبة جاهلي
اعرف منه الانف والعينانا ومنخري اشبها ظبيانا اخرج قوله ومنخري
على اللغة الفاشية وما وراء ذلك على لغة هولا يقولون رايت رجلان واشتريت ثوبان وقال
اخر طاروا علاهن فتلى علاها واسدد يميني حقت حقواها وقال
اخر كان صريف ناباه اذا ما امرهما ترنم اخطبان قال بعضهم
الاخطبان ذكروا الصردان فهو واحد فبقي الاستدلال بقوله صريف ناباه قال
وانشدني يوسف لبعض بني الحرث فان تحسا بخل ومضيقة مراق دم لن يبرح
الدهر ثاويا وانشدوا ايضا قولهم ان اباها وابا اباها قد بلغا في المجد غايتاها
وقال ابن جني وروينا عن قطرب هنال ان يبكي لسعسعان حب الفواد مايل
اليدان ثم قال الفرا وذلك وان كان قليلا اقيس لان ما قبل التثنية مفتوح
فينبغي ان يكون ما بعده الفا ولو كان يا بعده ينبغي ان ينقلب الفا لانفتاح ما قبلها
وقطرب ذكر انهم يفعلون ذلك فرارا الى الالف التي هي احد حروف المد هذا اقوى الوجوه
في هذه الاية ويمكن ان يقال ايضا الالف في دا من جوهر الكلمة والحرف الذي يكون من
جوهر الكلمة لا يجوز تغييره بسبب التثنية والجمع لان ما بالذات لا يزول بما بالعرض

فهذا الدليل يقتضي ان لا يجوز ان يقال ان هذين فلما جوزناه فلا اقل من ان يجوز معه ان
يقال هذان الوجه الثاني في الجواب ان يقال ان ها هنا بمعنى نعم قال ويقال شيب
قد علا وقد كبرت فقلت انه والهاء في انه ها السكت كما في قوله هلك عني سلطانيه
قال ابو ذويب شاب المفارق فيه ان من البلى شيب العذار مع العذار الواصل
اي نعم ان من البلى فصار كله قال نعم هذان لساحران اعترضوا عليه فقالوا اللام لا يدخل في
الخبر على الاستحسان الا اذا كانت ان داخلة على المبتدا فاما اذا لم يدخل ان على المبتدا
فمحل اللام المبتدا يقال لزيد اعلم من عمرو ولا يقال زيد لاعلم من عمرو اجابوا عن هذا
الاعتراض من وجهين الاول لا نسلم ان اللام لا يحسن دخوله على الخبر الدليل عليه قوله
ام الحسن العجوز سرية يرضى من اللحم بعظم الرقبة وقال الاخر خالي لانت ومن جرير خاله
نيل العلا ويكرم الاخوالا وانشد قطرب الم تكن خلقت الله العلي ان مطايا لمن
حرم المطي فان رويت ان بالكسر لم يبق الاستدلال الا ان قطربا قال سمعناه
مفتوحة الهمزة ايضا فقد ادخلت اللام في خبر امسى قال ابن جني انشدناه ابو علي
مروا عجالا وقالوا كيف صاحبكم قالوا الذي سالوا امسى لمجهودا قال قطرب وسمعنا بعض
العرب يقول اني لرايته لشيخا وزيد والله لواثق بك وقال كثير وما زلت من ليلى
لدن ان عرفتها لكالهايم المغطى بكل ملاد وقال اخر ولكنها من حبها لكميد قال
المعترض هذه الاشعار من السواد وانما جاز ذلك لضرورة الشعر وحصول الضرورة في كلام
الله محال وانما يتقرر هذا الكلام اذا ثبت ان المبتدا اذا لم يدخل عليه ان وجب ادخال اللام عليه
لا على الخبر وتحقيقه ان اللام يفيد تاكيد موصوف فيه المبتدا بالخبر واللام يدل على حاله من حالات
المبتدا وصفة من صفاته فوجب دخولها على المبتدا لان العلة الموجبة لحكم في محل لا بد وان يكون
مختصة بذلك المحل لا يقال هذا يشكل انما اذا دخلت ان على المبتدا بالخبر واللام يدل على حاله
من حالات المبتدا فان ها هنا ادخال اللام على الخبر مع ان ما ذكرتموه حاصل فيه لانا نقول
ذلك لاجل الضرورة وذلك لان كلمة ان للتاكيد فلو قلنا ان لزيدا قايم كنا قد ادخلنا حرف
التاكيد على حرف المبتدا وذلك ممتنع فلما تعذر ادخالها على المبتدا لا جرم ادخلناها على الخبر
لهذه الضرورة واما اذا لم يدخل حرف ان على المبتدا كانت هذه الضرورة زايلة
فوجب ادخال اللام على المبتدا لا يقال اذا جاز ادخال حرف النفي على حرف النفي في قوله
ما ان رايت ولا سمعت به كاليوم طالي اسوجرب والغرض به تاكيد النفي فلم لا يجوز ادخال حرف
التاكيد على حرف التاكيد فلو قلنا ان زيدا قايم فكلمة ان يفيد تاكيد ذلك الحكم
فلو ذكرت موكدا اخر مع كلمة ان صار عبثا اما لما قلت رايت فلانا فهذا للثبوت فاذا
ادخلت عليه حرف النفي افاد حرف النفي معنى النفي فلا يفيد التاكيد لانه مستقبل
بافادة الاصل فكيف يفيد الزيادة فاذا ضممت اليه حرف نفي اخر صار الحرف الثاني
موكدا للاول فلا يكون عبثا فهذا هو الفرق بين البابين فهذا منتهى تقرير

هذا

هذا الاعتراض وهو عندي ضعيف لان الكل اتفقوا على انه اذا اجتمع النقل والقياس فالنقل
اولى لان هذه العلل في نهاية الضعف فكيف ينتفع بها النقل الظاهر الوجه الثاني
في الجواب على ان اللام لا تدخل على الخبر الا اذا دخلت كلمة ان على المبتدا ما ذكره الزجاج فقال
ان وقعت موقع نعم واللام واقعة موقعها والتقدير نعم هذان لساحران فكانت اللام داخلة
على المبتدا لا على الخبر قال وهذا عرضت هذا القول على محمد بن يزيد وعلى اسمعيل بن اسحق
فارتضاه وذكر انه اجود ما سمعناه في هذا الحديث قال ابن جني هذا القول غير
صحيح لوجوه الاول ان المبتدا انما يجوز حذفه لو كان امرا معلوما جليا ولو كان ذلك لكان
في حذفه مع الجهل به ضرب من تكليف علم الغيب للمخاطب واذا كان معروفا فقد استغنى
بمعرفته عن تاكيده باللام لان التاكيد انما يحتاج اليه حيث لم يكن العلم به حاصلا الثاني
ان الحذف من باب الاختصار والتاكيد من باب الاطناب فالجمع بينهما غير جايز ولان ذكر
الموكد وحذف التاكيد احسن في العقول من العكس الثالث امتناع اصحابنا
البصريين من تاكيد الضمير المحذوف العايد على المبتدا نحو قولك زيد ضربت نفسه على ان
يجعل النفس توكيدا للهاء المراده في ضربته لان الحذف لا يكون الا بعد التحقيق والعلم
واذا كان كذلك فقد استغنى عن تاكيده فكذا ها هنا الرابع ان جميع النحويين حملوا قول
الشاعر ام الحسن لعجوز سهيه على ان الشاعر ادخل اللام على الخبر ضرورة ولو
كان ما ذهب اليه الزجاج جايزا لما عدل عنه النحويون ولا حملوا الكلام على الاضطرار اذا
وجدوا له وجها ظاهرا ويمكن الجواب عن الاعتراض قال ابن جني انما حسن حذف المبتدا
لان في اللفظ ما يدل عليه وهو قوله هذان اما لو حذف التاكيد فليس في اللفظ ما يدل عليه
فلا جرم كان حذف المبتدا اولى من حذف التاكيد واما امتناعهم من حذف التاكيد
الضمير في قوله زيد ضربت نفسه فذلك انما كان لان اسناد الفعل الى المظهر اولى
من اسناده الى المضمر فاذا قال زيد ضربت نفسه كان قوله نفسه مفعولا فلا يمكن جعله
تاكيدا للضمير فتاكيد المحذوف فتاكيد المحذوف انما امتنع ها هنا لهذه العلة لان تاكيد المحذوف
مطلقا ممتنع واما قوله النحويون حملوا قول الشاعر ام الحسن لعجوز سهيه على ان الشاعر
ادخل اللام على الخبر ضرورة ولو جاز ما قاله الزجاج لما عدل عنه النحويون فهذا
اعتراض في غاية السقوط لان ذهول المتقدمين لا يقتضي كونه باطلا فما اكثر ما ذهل المتقدم
شي وادركه المتاخر فهذا تمام الكلام في شرح هذا الوجه الوجه الثالث
في الجواب ان كلمة ان ضعيفة في العمل لا تعمل بسبب مشابهة الفعل فوجب كونها ضعيفة في
العمل واذا ضعفت جاز بقا المبتدا على اعرابه الاصلي وهو الرفع المقدمة الاولى انه يشبه
الفعل وهذه المشابهة حاصلة في اللفظ والمعنى اما اللفظ فلانها تركبت من ثلاثة احرف
وانفتح اخرها ولزمت الاسما كالافعال واما المعنى فلانها يفيد حصول معنى في الاسم

في الاسم وهو تاكيد موصوفيته بالخبر كما اذا قلت قام زيد فقولك قام افاد دخول
معنى في الاسم المقدمة الثانية انها لما اشبهت الافعال وجب ان يشبهها في العمل
فذلك ظاهر بنا على الدوران المقدمة الثالثة انها لم تنصب الاسم ورفعت
الخبر فتقريره ان يقال انها لما صارت عاملة فاما ان ترفع المبتدا والخبر معا او
تنصبهما معا او ترفع المبتدا وتنصب الخبر او بالعكس والاول باطل لان المبتدا والخبر
كانا قبل دخول ان عليهما مرفوعين فلو بقيا كما كانا قبل دخولها عليهما لما ظهر له اثر
البتة ولانها اعطيت عمل الفعل والفعل لا يرفع الاثنين فلا معنى للاشتراك والقسم الثاني
ايضا باطل لان هذا ايضا مخالف لعمل الفعل لان الفعل لا ينصب شيئا مع خلوه عما يرفعه
والقسم الثالث ايضا باطل لانه يودي الى التسوية بين الاصل والفرع فان الفعل
يكون عمله في الفاعل اولا بالرفع ثم في المفعول بالنصب فلو جعل الحرف هاهنا كذلك
لحصلت التسوية بين الاصل والفرع ولما بطلت الاقسام الثلاثة تعين القسم الرابع
وهو انها تنصب الاسم وترفع الخبر وهو مما يبنه على ان هذه الحروف دخيلة في العمل لا اصلية
لان تقديم المنصوب على المرفوع في باب العمل عدول عن الاصل وذلك يدل هاهنا على ان
العمل بهذه الحروف ليس بثابت بطريق الاصالة بل بطريق عارض المقدمة الرابعة
لما ثبت ان تاثيرها في نصب الاسم بسبب هذه المشابهة وجب جواز الرفع ايضا وذلك لان
كون الاسم مبتدا يقتضي الرفع ودخول ان على المبتدا لا يزيل عنه وصف كونه مبتدا لانه
يفيد تاكيد ما كان لا زوال ما كان اذا ثبت هذا فنقول وصف كونه مبتدا يقتضي الرفع
وحرف ان يقتضي النصب لكن المقتضي الاول اولى بالاقتضا من وجهين احدهما
ان وصف كونه مبتدا لانه يفيد تاكيد مكان لا زوال ما كان اذا ثبت هذا فنقول وصف
كونه مبتدا يقتضي الرفع وحرف ان يقتضي النصب لكن المقتضي الاول صفة اصلية
للمبتدا ودخول ان عليه صفة عرضية والاصلي راجح على العارض والثاني اقتضا وصف
المبتدا به للرفع اصلي واقتضا حرف ان للنصب صفة عارضية بسبب مشابهتها الفعل
فيكون الاول اولى فثبت بمجموع ما قررنا ان الرفع اولى من النصب فان لم يحصل الاولية فلا
اقل من اصل الجواز ولهذا السبب اذا جيت بخبر ان ثم عطفت على الاسم اسما اخر جاز فيه الرفع
والنصب معا الوجه الرابع في الجواب قال الفرا هذا اصله اذا زيدت الها لان
كلمة ذا كلمة منقوصة فعملت الها ثم عند التثنية زيدت الفا للتثنية فصارت هذا ان
لان عمله في الف التثنية وقال اخرون الالف الباقي اما الف الاصل او الف
التثنية فان كان الباقي الف الاصل لم يجز حذفها لان العامل الخارجي لا يصير دايما
في الكلمة وان كان الباقي الف التثنية فلا شك انهم انابوها مناب الف الاصل وعوض الاصل
اصل لا محالة فهذا الالف اصل ولا يجوز حذفه ويرجع حاصل هذا الى الجواب الاول الوجه الخامس

الوجه الا

في الجواب حكى الزجاج عن قدما النحويين ان هاهنا مضمرا والتقدير انه هذان لساحران
وهذه الها كناية عن الامر والبيان فهذا ما قيل في هذا الموضع فاما من خفف فقرا
ان هذان لساحران فهو حسن فان ما بعد ان الخفيفة رفع واللام بعدها في الخبر لازمة واجبة
وان كانت في ان الثقيلة جايزة ليظهر الفرق بين المؤكدة وان النافية قال الشاعر وان مالك
المرتجى ان يضعضعت رحا الحرب او دارت على خطوب وقال اخر ان الحي الذي انا منهم
لاهل مقامات وشا وحامل ثم من العرب من يعمل ان ناقصة كما يعملها تامة اعتبارا بالكون
فانه يعمل وان نقص في قولك لم يك ليقا معنى التاكيد وان زال الشبه اللفظي بالفعل
لان العبرة للمعنى وهذه اللغة تدل على ان العبرة في باب اعمال ان الشبه المعنوي بالفعل
وهو اثبات التوكيد دون الشبه اللفظي كما ان التعويل في باب كان على المعنى دون
اللفظ لكونه فعلا محضا واما اللغة الظاهرة وهي ترك اعمال ان الخفيفة دال
على ان الشبه اللفظي في ان الثقيلة احد جزئي العلة في حق عملها وعند الخفة زال الشبه
فلم يعمل بخلاف الكون فانه عامل بمعناه لكونه فعلا محضا ولا عبرة للفظ المسيلة
الثانية انه سبحانه وتعالى لما ذكر ما اسروه من النجوى حكى عنهم ما اظهروه
وسمعوه مما يدل على التنفير عن موسى ومتابعة دينه فاحدها قولهم ان هذان لساحران
وهذا طعن منهم في معجزات موسى ثم مبالغة في التنفير عنه لما ان كل طبع سليم يقتضي النفرة
عن السحرة وكراهة روية الساحر من حيث ان الانسان يعلم ان السحر لا بقا له فاذا اعتقدوا
فيه السحر قالوا كيف يتبعه وانه لا بقا له ولا لدينه ولا لمذهبه وثانيها قوله يريدان
ان يخرجاكم من ارضكم وهذا نهاية التنفير لان المفارقة عن المنشا والمولد شديد على القلوب
وهذا هو الذي حكاه الله تعالى عن فرعون في قوله يريد ان يخرجنا من ارضنا بسحرك
يا موسى وكان السحرة تلقفوا هذه الشبهة من فرعون ثم اعادوها وثالثها قوله ويذهبا
بطريقتكم المثلى وهذا ايضا له تاثير شديد في القلب فان العدو اذا جا واستولى
على جميع المناصب والاسبا التي يرغب فيها فذلك يكون في نهاية المشقة على القلب فهم
ذكروا هذه الوجوه للمبالغة في التنفير عن موسى والترغيب في دفعه وابطال امره
وهنا بحثان البحث الاول الطريقة الرجال هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة
قومهم ويقال للواحد ايضا هم طريقتكم المثلى وعلى التقديرين فالمراد انهم كانوا
يخوفون القوم بان موسى وهارون عليهما السلام يريدان ان يذهبا باشراف قومكم
واكابركم وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وانما سموا بني اسرائيل بذلك
لانهم كانوا اكثر القوم يومئذ عددا واموالا ومن المفسرين من فسر الطريقة المثلى بالدين
سموا دينهم بالطريقة المثلى وكل حزب بما لديهم فرحون ومنهم من فسرها بالجاه والمنصب
والرياسة البحث الثاني المثلى مونثة لتانيث الطريقة واختلفوا في انه لم سمي الافضل

بالامثل فقال بعضهم الامثل الاشبه بالحق وقيل الامثل الاوضح والاظهر انه تعالى
لما حكى عنهم انهم قالوا فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا قرا ابو عمرو بوصل الالف وفتح الميم
من الجمع يعني لا يدعوا شيا من كيدكم الا جئتم به دليله قوله فجمع كيده وقرا الباقون
بقطع الالف وكسر الميم وله وجهان قال الفرا الاجماع الاحكام والعزيمة على الشي يقال
اجمعت على الخروج مثل ازمعت والثاني بمعنى الجمع وقد مضى الكلام فيها عند قوله فاجمعوا
كيدكم وشركاكم قال الزجاج ليكن ممركم كلكم للكيد مجمعا عليه لا تختلفوا ثم ائتوا
صفا ذكر ابو عبيدة والزجاج وجهين احدهما ان الصف موضع الجمع والمعنى ائتوا
مصطفين مجتمعين ليكون انظم لامركم واشد لهيبتكم وهذا قول عامة المفسرين وقوله
وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب وكانوا يقرون بذلك نفوسهم
فيما اجتمعوا عليه من اظهار ما يظهرونه من السحر **قوله تعالى** قالوا يا
موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا
حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس في نفسه خيفة
موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا
انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى اعلم انه لما تقدم
ذكر الموعد يوم الزينة وتقدم ايضا قوله ثم ائتوا صفا صار ذلك مغنيا عن قوله
فحضروا الموعد وقالوا اما ان تلقي لدلالة ما تقدم عليه وقوله اما ان تلقي واما ان نكون
اول من القى معناه اما ان تلقي ما معك قبلنا واما ان نلقي ما معنا قبلك وهذا
اولى وفي التخيير مع تقديمه في الذكر حسن ادب منهم وتواضع فلا جرم رزقهم الله
الايمان ببركته ثم موسى عليه السلام قابل ادبهم بادب فقال بل القوا وفيه
سوالان السوال الاول كيف يجوز ان يقول بل القوا فيامرهم بالقا السحر وهو
كفر لانهم اذا قصدوا بذلك تكذيب موسى عليه السلام كان كفرا والجواب من وجوه
احدها لا نسلم ان نفس الالقا كفر ومعصية لانهم اذا القوا وكان غرضهم ان يظهروا الفرق
بين ذلك الالقا وبين معجزة الرسول وهو موسى عليه السلام كان ذلك الالقا ايمانا
ايما الكفر وهو القصد الى تكذيب موسى عليه السلام وهو انما امر بالالقا لذلك لا للقصد
الى التكذيب فزال السوال وثانيها ذلك الامر كان مشروطا والتقدير
القوا ما انتم ملقون ان كنتم محقين كما في قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله ان كنتم
صادقين وثالثها ان ذلك لما تعين وكان طريقا الى كشف الشبهة صار ذلك جايزا
وهذا كالمحق اذا علم ان في قلب واحد شبهة وانه لو لم يطالبه بذكرها وتقريرها
باقصى ما قدر عليه لثبت تلك الشبهة في قلبه ولخرج نسبتها عن الدين فان للمحق ان يطالبه
بتقريرها على اقصى الوجوه ويكون غرضه من ذلك ان يجيب عنها ويزيل اثرها عن قلبه

فطالبته

فطالبته بذكر الشبهة لذلك الغرض يكون جايزا فكذا هاهنا ورابعها ان لا يكون ذلك امرا
بل يكون بمعناه انكم ان اردتم فعله فلا مانع منه حسا لكي ينكشف الحق وخامسها ان موسى عليه
السلام لا شك انه كان كارها لذلك ولا شك انه نهاهم عن ذلك بقوله ويلكم لا تفتروا
على الله كذبا فيسحتكم بعذاب واذا كان الامر كذلك استحال ان يكون قوله امرا لهم بذلك لان
الجمع بين كونه امرا وناهيا بالفعل الواحد محال فعلمنا ان قوله القوا ليس بمحمول على
ظاهره وحينئذ يحول الاشكال السوال الثاني لم قدمهم في الالقا على نفسه مع
ان تقديم استماع الشبهة على استماع الحجة غير جايز فكذا تقديم ايراد الشبهة على ايراد
الحجة وجب ان لا يجوز لاحتمال انه ربما ادرك الشبهة ثم لا يتفرغ لادراك الحجة بعد
فيبقى حينئذ في الكفر والضلال وليس لاحد ان يقول ان ذلك كان بسبب انهم
لما قدموه على انفسهم فهو عليه السلام قابل ذلك بان قدمهم على نفسه لان امثال ذلك انما
يحسن فيما يرجع الى حظ النفس فاما ما يرجع الى الدليل والشبهة فغير جايز والجواب
انه عليه السلام كان قد اظهر المعجزة مرة واحدة فما كان به حاجة الى اظهارها
مرة اخرى والقوم انما جاوا لمعارضته فقال عليه السلام لو اني بدات باظهار المعجزة لكنت
كالسبب في اقدامهم على اظهار السحر وقصد ابطال المعجزة وذلك غير جايز ولكن
افوض الامر اليهم حتى انهم باختيارهم يظهرون ذلك السحر ثم انا اظهر الذي يبطل
سحرهم فيكون على هذا التقدير سببا لازالة الشبهة واما على التقدير الاول
فانه يكون سببا لوقوع الشبهة اما قوله فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم
انها تسعى ففيه مسايل المسيلة الاولى قال ابن عباس القوا حبالهم وعصيهم ميلا
من هذا الجانب وميلا من هذا الجانب فخيل الى موسى عليه السلام ان الارض كلها حيات وانها
تسعى فخاف فلما قيل له والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا فالقى موسى عصاه فاذا هي
اعظم من حبالهم ثم اخذت تزداد عظما حتى ملات الوادي ثم صعدت حتى علقت هربها بطرف
القبة ثم هبطت فاكلت كل ما عملوا والناس ينظرون اليها لا يحسبون الا انه سحر ثم
اقبلت نحو فرعون ليبتلعه فاتحة فاها بما بين ذراعا فصاح بموسى عليه السلام فاخذها
فاذا هي عصا كما كانت ونظرت السحرة فاذا هي لم تدع من حبالهم وعصيهم شيا الا اكلته
فعرفوا انه ليس بسحرة قالوا اين حبالنا وعصينا لو كان سحرا لبقيت فخروا سجدا وقالوا
امنا برب العالمين هارون وموسى المسيلة الثانية في عدد السحرة قال المفسرون
كانوا سبعين الفا مع كل واحد عصا وحبل وقال السدي بضعة وثلاثين الفا
وقال وهب كانوا خمسة عشر الفا وقال ابن جريج كانوا تسع مايه ثلثمايه
من الفرس وثلثمايه من الروم وثلثمايه من الاسكندرية وقال الكلبي كانوا اثنين

وسبعين ساحرا اثنان منهم من السبط وسبعون من بني اسرايل اكرههم فرعون على ذلك واعلم
ان الاختلاف والتفاوت واقع في عدد كثير وظاهر القران لا يدل على شيء منه والاقوال
اذا تعارضت تساقطت والله اعلم فهذا المسئلة الثالثة قال صاحب الكشاف يقال
في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها اذا الكلمة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة
اليها حذفت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة
اذ ابيه لا غير لمعنى قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم اي فاجا موسى وقت تخيل سعي
حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي
المسئلة الرابعة قرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقرئ
وقرئ تخيل بالتاء المنقطة من فوق باسناد الفعل الى الحبال والعصي وقرئ
بالياء المنقطة من تحت باسناد الفعل الى الكيد والسحر قال الفراء اي تخيل اليه سعيها
المسئلة الخامسة في قوله تخيل اليه كناية عن موسى عليه السلام والمعنى انهم يلعبون في
سحرهم المبلغ الذي صار تخيل الى موسى انها تسعى كسعي ما يكون حيا قادرا من الحيات لا انها
كانت حية في الحقيقة وقال انهم حسوها بما اذا وقعت الشمس عليه يضطرب ويتحرك
ولما كثرت ولا تتصل بعضها الى بعض فمن راها كان يظن انها تسعى فاما ما روي عن وهب ابن
انهم سحروا عين موسى عليه السلام حتى تخيل ذلك منه لا يقوله تعالى فلما القوا سحروا
اعين الناس وبقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فهذا غير جايز لان ذلك
الوقت وقت اظهار المعجزة وازالة الشبهة فلو صار بحيث لا يميز الموجود من الخيال الفاسد
لم يتمكن من اظهار المعجزة فحينئذ ينعدم المقصود فان قيل المراد انه شاهد شيئا
لو علمه بانه لا حقيقة لذلك التي تظن بها انها تسعى اما قوله تعالى فاوجس
في نفسه خيفة موسى والايحاس استعمار الخوف اي وجد في نفسه خوفا فان قيل انه
لا مريد في ازالة الخوف على ما تعلله الله تعالى في حق موسى عليه السلام فانه كلمه اولا وعرض
عليه المعجزات الباهرة كالعصا واليد ثم انه تعالى صيرها كما كانت ثم انه اعطاه
الامر اجات البانية وذكره ما اعطاه قبل ذلك من المنن اليمانية ثم قال بعد
ذلك كله انني معكما اسمع واري فمع هذه المقدمات الكبيرة كيف وقع الخوف في قلبه الجواب
عنه من وجوه احدها ان ذلك الخوف انما كان لما طبع الادمي عليه من ضعف القلب وان
كان قد علم موسى انهم لا يصلون اليه والله ناصره هذا قول الحسن وثانيها انه
خاف ان تدخل على الناس شبهة فيما برز وفهم فيظنوا انهم عارضوا موسى عليه السلام ونشبه ذلك
عليهم وهذا التاويل مؤكد بقوله تعالى لا تخف انك انت الاعلى واحد قول معاتل وثالثها
خاف حيث بدا وباخر القاوه ان يتفرق بعض القوم قبل مشاهدة ما يلقيه فمد وما على اعتقاد

وراجعها لعله عليه السلام كان مامورا ان لا يفعل شيا الا بالوحي فلما اخر نزول
الوحي عليه في ذلك الوقت خاف ان لا ينزل عليه الوحي في ذلك الجمع فيبقى في المخالة وخامسها
لعله عليه السلام خاف لوانه ابطل بحرا ولئك الساحرون فلعل مرعون وقاعدا قواما
لخدعون فيما تيهم به يحتاج من احتري الى ابطال سحرهم وهكذا من غير ان
يظهر له منطع وحينئذ لا يتم الامر ولا يحصل المقصود ثم الله تعالى ازال الخوف
بالاجمال اولا وبالتفصيل ثانيا اما الاجمال فقوله قلنا لا تخف انك انت الاعلى
وفيه دلالة على ان خوفه كان لامر يرجع الى ان امر لا يظهر للقوم فامنه الله تعالى
بقوله انك انت الاعلى وفيه انواع من المبالغة احدها ذكر كلمة التاكيد
وهي ان وثانيها تكرير الضمير وثالثها الامر التعريف ورابعها لفظ العلو وهو
الغلبة الظاهرة واما التفصيل فقوله فالق ما في يمينك وفيه سوال
وهو انه لم يقل والق عصاك والجواب يجوز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة
حبالهم وعصيهم والق الامر الحقير الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يلقفها
على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها ويجوز ان يكون تعظيما لها اي لا حقل هذه
الاجرام الكبيرة فان في يمينك شيا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء عندها فالقه
تلقفها باذن الله وتحقيرها اما قوله تلقف فالمعنى تلقف ما صنعوا قراة
العامة تلقف بالجزم والتشديد اي فالقه يلقفها وقرا ابن عامر تلقف بالتشديد
وضم الفاء على معنى الحال اي القها ستلقفه او بالرفع على الاستيناف وروي حفص عن
عاصم سكون اللام مع التخفيف اي باخذ بيها ابتلاعا بسرعة واللقف والتلقف
جميعا يرجعان الى هذا المعنى صنعوا هنا بمعنى اخلقوا وزوروا والعرب
تقول في الكذب هو كلام مصنوع وموضوع ومصوب قوله تلقف اي اذا القى ذلك
وصارت حية تلقف ما صنعوا وفي قوله فالقى السحرة سجدا دلالة على ان جميع ما
القوه تلقفته وذلك لا يكون الا مع عظم حية وشدة قوة وقد حكي عن السحرة انهم
عند التلقف ابقوا بابان ما جاء موسى ليس في مقدور البشر من وجوه احدها
ظهور حركات العصا على وجه لا يكون مثله بالحيل وثانيها زيادة عظمه على وجه
لا يتم بالحيلة وثالثها ظهور الاعضا عليه من العين والفم والمسحورين وغيرها ولا يتم
ذلك بالحيلة ورابعها تلقف جميع ما القوه على كثرته وذلك لا يتم بالحيلة وخامسها
عوده عصا صغيرة كما كانت وفي من ذلك لا يتم بالحيلة نقرير سبحانه ان ما صنعوا كيد ساحر
والمعنى ان الذي معك يا موسى معجزة الهية والذي معهم تمويهات باطلة فكيف تحصل
المعارضة وقرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى ان الموصولة ومن نصب
فعلى انها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر او ذوي سحر اوهم لتوغلهم في سحرهم

كانهم السحر بعينه وبذاته او بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما بين المايه
بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو بقي سوالان السوال الاول لم وجد ساحر ولم يجمع
الجواب لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع تخيل ان
المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس السوال الثاني
لم نكره اولا وعرفه ثانيا الجواب كانه قال هذا الذي اتوا به قسم واحد من اقسام
السحر وجميع اقسام السحر لا فايدة فيه ولا شك ان الكلام على هذا الوجه ابلغ السوال الثالث
قوله ولا يفلح الساحر حيث اتى يدل على ان الساحر لا يحصل له مقصوده بالسحر خيرا
كان او شرا وذلك يقتضي نفي السحر بالكلية الجواب كانه قال هذا الذي اتوا به
قسم واحد من اقسام السحر وجميع اقسام السحر لا فايدة فيه ولا شك ان الكلام على هذا الوجه
ابلغ السوال الثالث قوله ولا يفلح الساحر حيث اتى يدل على ان الساحر لا يحصل
له مقصوده بالسحر خيرا كان او شرا وذلك يقتضي نفي السحر بالكلية الجواب الكلام
في السحر وحقيقته قد تقدم في سورة البقرة فلا وجه للاعادة قوله تعالى
فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون
وموسى قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم
السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم
في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى اعلم ان
قوله فالقي السحرة سجدا دلالة على انه القى ما في يمينه وصار حية وتلقف ما
صنعوا وظهر الامر وخروا عند ذلك سجدا وذلك لانهم كانوا في الطبقة العليا
من علم السحر فلما راوا ما فعله موسى عليه السلام خارجا عن صناعتهم عرفوا انه
ليس من السحر البته ويقال قال رئيسهم كنا نغالب الناس بالسحر وكانت
الالات تبقى علينا لو غلبنا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه فاستدلوا بتغير
احوال الاجسام على الصانع العالم القدير وبظهورها على يد موسى عليه السلام
على كونه رسولا صادقا من عند الله فلا جرم تابوا وامنوا واتوا بما هو النهاية في الخضوع
وهو السجود اما قوله فالقي السحرة سجدا فليس المراد انهم اجبروا على السجود والا
لما كانوا محمودين بل التاويل فيه ما قال الاخفش وهو انهم من سرعة ما سجدوا
كانهم القوا قال صاحب الكشاف ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر
والجحود ثم القوا روسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقاين
روي انهم لم يرفعوا روسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وعن عكرمة
لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة قال
القاضي هذا بعيد لانه تعالى ان راهم عيانا صاروا ملجاين وذلك لا يليق به قولهم

امنا

امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وجوابه لما جاز ابراهيم مع قطعه بكونه مغفورا ان
يقول والذي اطمع ان يغفر لي فلم لا يجوز مثله في حق السحرة اعلم ان هذه القصة تنبه
على اسرار عجيبة من امر الربوبية ونفاذ القضا الالهي وقدره في جملة المحدثات وذلك لان
ظهور تلك الادلة كان بمراى من الكل ومسمع وكان وجه الاستدلال فيها جليا ظاهرا وهو انه
حديث امور فلا بد لها من موثر والعلم بذلك ضروري وذلك الموثر اما الخلق واما غيرهم
والاول بديهي البطلان لان كل عاقل يعلم بالضرورة من نفسه انه لا يقدر على ايجاد
الحيوانات وتعظيم جثتها دفعة واحدة ثم تصغيرها مرة اخرى كما كانت وهذه العلوم
الجلية متى حصلت في العقل افادت القطع بانه لا بد من مدبر لهذا العالم فماذا
تقول الا ترى ان اولئك المنكرين جهلوا صحة هذه المقدمات وهذا في نهاية البعد
لا ياتينا ان كل واحد منهما بحيث لا يمكن ارتياب العقل وان عرفوا صحتها لكنهم اصروا على
الجهل وكرهوا تحصيل العلم والسعادة لانفسهم واحبوا تحصيل الجهل والشقاوة لانفسهم
ما ارى عاقلا يرضى بذلك قط فلم يبق الا ان يقال العقل والدليل لا يكفي بل لا بد
من مدبر لخلق هذه المقدمات في القلوب وخلق الشعور بكيفية ترتيبها وكيفية
استنتاجها للنتيجة حتى انه متى فعل ذلك حصلت النتايج في القلوب وذلك يدل على
ان الكل بقضايه وقدره وانه لا اعتماد على العقول والقلوب في مجاريها وتصرفاتها
ومن طرح التعصب عن قلبه ونظر الى احوال نفسه في مجاري افكاره وانظاره ازداد
وثوقا بما ذكرناه واما قوله امنا برب هرون وموسى فلم ان التعليمية احتجوا
بهذه الاية وقالوا انهم ما امنوا الا بالاله الذي عرفوه من قبل هرون وموسى فدل
ذلك على ان معرفة الله تعالى لا تستفاد الا من الامام وهذا ضعيف بل في قولهم امنا برب هرون
وموسى فايدتان سوى ما ذكروه الفايدة الاولى وهو ان فرعون ادعى الربوبية
في قوله انا ربكم الاعلى والالهية في قوله ما علمت لكم من اله غيري فلو انهم قالوا امنا برب
العالمين او باله العالمين لكان فرعون يقول انهم امنوا بي لا بغيري ولقطع هذا التوهم
اختاروا هذه العبارة والدليل عليه انهم قدموا قدموا ذكر هرون على موسى لان فرعون
كان يدعي ربوبية موسى بناء على انه رباه في قوله الم نربك فيدا وليدا فالقوم
لما احترزوا عن انها مات فرعون لا جرم قال رب هرون وموسى لاجل ذلك ثم ان فرعون
لما شاهد منهم السجود والاقرار خاف ان يصير ذلك سببا لاقتدا ساير الناس بهم في
الايمان بالله وبرسوله ففي الحال القى شبهة اخرى في البين فقال امنتم له قبل ان
اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر وهذا الكلام مشتمل على شبهتين احدهما قوله
امنتم له قبل ان اذن لكم وتقريره ان الاعتماد على الخاطر الاول غير جايز بل بد
فيه من البحث والمناظرة فلم لا تفعلوا شيا من ذلك بل في الحال امنتم به دل ذلك على
ان ايمانكم ليس عن بصيرة بل عن سبب اخر وثانيهما قوله انه لكبيركم الذي

علمكم السحر يعني انتم تلامذته في السحر فاصطلحتم على ان تظهروا العجز من انفسكم ترويجا
لامره وتفخيما لشانه ثم بعد ايراد الشبهة اشتغل بالتهديد تنفيرا لهم عن الايمان وتنفيرا
لغيرهم عن الاقتدا بهم في ذلك فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف قرئ لاقطعن
ولاصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد
من العضوين خالف الاخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال وقوله
من خلاف في محل النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا
فقد اتفقوا بالاختلاف ثم قال ولاصلبنكم في جذوع النخل فشبه تمكن المصلوب
في الجذع بتمكن الشي الموعى في وعايه فلذلك قيل في جذوع النخل والذي يقال في المشهور
ان في بمعنى على فضعيف ثم قال ولتعلمن انا اشد عذابا وابقى اراد انا نفسه لعنه الله
وموسى عليه عليه السلام بدليل قوله ءامنتم له وفيه تصلف باقتداره وقهره
وتمكنه من تعذيب الناس بانواع العذاب واستضعاف لموسى عليه السلام مع الهربه
لان موسى عليه السلام قط لم يكن من التعذيب في شي فان قيل ان فرعون مع قرب عهده
بمشاهدة انقلاب العصا حية بتلك العظمة التي شرحتموها وذكرتم انها قصرت ابتلاع قصر
فرعون وال الامر الى ان استعان بموسى عليه السلام واستغاث به من شر ذلك الثعبان فمع قرب
عهده بذلك وعجزه عن دفعه كيف يعقل ان يهدد السحرة ويبالغ في وعدهم الى هذا
الحد ويستهزا بموسى في قوله انا اشد عذابا وابقى قلنا لم لا يجوز ان يقال
انه كان في اشد الخوف في قلبه الا انه كان يظهر تلك الجلادة والوقاحة تمشية لناموسه
وترويجا لامره ومن استقرا احوال اهل العالم على ان العاجز قد يفعل امثال هذه
الاشيا ومما يدل على صحة ذلك ان كل عاقل يعلم بالضرورة ان عذاب الله اشد من عذاب
البشر ثم انه انكر ذلك وايضا فقد كان عالما بكونه في قوله انه لكبيرهم الذي علمكم
السحر لانه علم ان موسى عليه السلام ما خالطهم البتة وما لقيهم وما كان يعرف من سحرته
ان استاذ كل واحد من هو وكيف حصل ذلك العلم ثم انه مع ذلك كان يقول هذه
الاشيا فثبت ان سبيله في كل ذلك ما ذكرنا قال ابن عباس كانوا في اول الناس سحرة
وفي اخره شهدا قوله تعالى قالوا لن نؤثرك
على ما جانا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض
انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا
خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى انه
من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى
ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات
العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
وذلك جزا من تزكى واعلم انه تعالى لما حكى تهديد فرعون لاوليك

المومنين

المومنين حكى جوابهم عن ذلك بما يدل على حصول اليقين التام والبصيرة الكاملة لهم
في امر الدين فقالوا لن نؤثرك على ما جانا من البينات وذلك يدل على ان فرعون طلب منهم
الرجوع عن الايمان والافعل بهم ما اوعدهم فقالوا لن نؤثرك جوابا لما قاله وهو العلة وهي
ان الذي جاهم ببينات وادلة والذي يذكره فرعون محض الدنيا ومنافع الدنيا ومضارها
لا يعارض منافع الاخرة ومضارها اما قوله والذي فطرنا ففيه وجهان الاول
ان التقدير لن نؤثرك يا فرعون على ما جانا من البينات وعلى الذي فطرنا وعلى عبادته
الثاني يجوز ان يكون جزا على القسم واعلم انهم لما غلبوا انهم متى اصروا على الايمان
فعل فرعون بهم ما اوعدهم به فقال اقض ما انت قاض لا على معنى انهم امروه
بذلك لكن اظهروا ان ذلك الوعيد لا يزيلهم البتة عن ايمانهم وعما عرفوه من الحق علما وعملا
ثم بينوا ما لاجله يسهل عليهم احتمال ذلك فقالوا انما يقضي هذه الحياة الدنيا
وقرئ يقضي هذه الحياة الدنيا وقرئ يقضي هذه الحياة الدنيا ووجهها ان الحيوة في القراة
المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف باجرايه مجرى المفعول به كقولك في
صمت يوم الجمعة صم يوم الجمعة والمعنى ان قضاك وحكمك انما يكون في هذه الحياة الدنيا
وهي كيف كانت فالله يعطينا سعادة الاخرة وهي باقية والعقل يقتضي تحمل الضرر
الفاني المتوصل به الى السعادة الباقية ثم قالوا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا
ولما كان اقرب خطاياهم عهدا ما اظهروه من السحر قالوا وما اكرهتنا عليه من السحر
وذكروا في ذلك الاكراه وجوها احدها ان الملوك في ذلك كانوا ياخذون البعض
من رعيتهم ويكلفونهم بعمل السحر فاذا شاخ بعثوا اليه احداثا ليعلمهم ليكون في كل وقت
من يحسنه فقالوا هذا القول لاجل ذلك اي كنا في العلم اولا والتعليم باينا مكرهين قاله
ابن عباس وثانيها ان روسا السحرة كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والباقي
من بني اسرايل فقالوا لفرعون ارنا موسى نايما ففعل فوجوده بحرسه عصاه فقالوا ما هذا
بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه وثالثها قال الحسن ان السحرة
حشروا من المداين ليعارضوا موسى عليه السلام فاحضروا بالحشر وكانوا مكرهين في الحضور
وربما كانوا مكرهين ايضا في اظهار السحر ورابعها قال عمرو بن عبيد دعوة السلطان
اكراه وهذا ضعيف لان دعوة السلطان اذا لم يكن معها خوف لم يكن اكراها ثم قالوا والله
خير ثوابا لمن اطاعه وابقى عذابا لمن عصاه وهذا جواب لقوله ولتعلمن انا اشد عذابا
وابقى قال الحسن سبحان الله لقوم كفار وهم اشد الكافرين كفرا ثبت في قلوبهم
الايمان طرفة عين فلم يتعاظم عندهم ان قالوا اقض ما انت قاض في ذات الله والله ان
احدهم اليوم ليصحب القران ستين عاما ثم انه ليبيع دينه بثمن غبن ثم ختموا هذا
القران بشرح احوال المجرمين واحوال المومنين في عرصة القيمة فقال في المجرمين انه
من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى وفيه مسايل المسيلة الاولى

في الضمير في قوله انه ضمير الامر والشان يعني ان الامر والشان كذا وكذا المسئلة
الثانية استدلت المعتزلة بهذه الاية على القطع بوعيد اصحاب الكبائر قالوا صاحب
الكبيرة مجرم وكل مجرم فان له جهنم لقوله من يات ربه مجرما وكلمة من في
معرض الشرط يفيد العموم بدليل انه يجوز استثناء كل واحد منها والاستثناء يخرج من
الكلام ما لولاه لدخل اعترض بعض المتكلمين من اصحابنا على هذا الكلام فقال لا نسلم
ان صاحب الكبيرة مجرم والدليل عليه انه تعالى جعل المجرم في مقابلة المومن فانه قال
في هذه الاية ومن ياته مومنا وقال ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون
وايضا قال فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى والمومن صاحب الكبيرة وان عذب
بالنار فلا يكون بهذا الوصف وفي الخبر الصحيح يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة
من الايمان واعلم ان هذه الاعتراضات ضعيفة اما قوله انه تعالى جعل المجرم
في مقابلة المومن فهذا مسلم لكن هذا انما ينفع لو ثبت ان صاحب الكبيرة مومن ومذهب
المعتزلة انه ليس بمومن فهذا المعترض كاسد بنى هذا الاعتراض على مذهب نفسه
وذلك ساقط قوله ثانيا لا يليق بصاحب الكبيرة ان يقال في حقه ان له نار جهنم
لا يموت فيها ولا يحيى قلنا لا نسلم فان عذاب جهنم في غاية الشدة وقال تعالى
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته واما الحديث فقلنا القران متواتر فلا يعارضه
خبر الواحد ويمكن ان يقال ثبت في اصول الفقه انه يجوز تخصيص القران بخبر
الواحد والخصم ان يجيب فيقول ذلك يفيد الظن فيجوز الرجوع اليه في العلميات وهذه
المسئلة ليست من العلميات بل من الاعتقاديات ولا يجوز التمسك به فيها اعترض
انسان اخر فقال اجمعنا على ان هذه الاية مشروطة بنفي التوبة وان لا يكون
عقابه مسقطا بثواب طاعته والقدر المشترك بين الصورتين هو ان لا يوجد ما
يحبط ذلك العقاب لكن عندنا العفو محبط للعقاب وعندنا ان المجرم الذي لا
يثبت في حقه العفو ابدا وان يدخل جهنم واعلم ان هذا الاعتراض ايضا
ضعيف اما شرط التوبة فلانه قال من ياته ربه مجرما والباب
لا يصدق عليه انه اتى ربه حال كونه مجرما واما صاحب الصغيرة فانه
لا يسمى مجرما لان المجرم اسم الذم فلا يجوز اطلاقه على صاحب الصغيرة بل
الاعتراض ان يقال عموم هذا الوعيد يعارض ما خصصتموه من عموم الوعد
وهو قوله ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات قلنا بل لم لا يجوز ان يقال
ثواب الايمان يدفع عقاب المعصية وان قالوا فلو كان ذلك لوجب ان لا يجوز لعنه
واقامة الحد عليه قلنا اما اللعن فغير جايز واما اقامة الحد فقد يكون
على سبيل العقوبة وفي حق التايب وقد يكون على سبيل التنكيل وكل من كان كذلك
وكل من كان كذلك استحال ان يكون مستحقا للمدح والتعظيم واذا المريبق ذلك

الثواب دل ذلك على ان عقاب الكبيرة اولى بازالة ثواب الطاعة المتقدمة من
ان يدفع الكبيرة الطاعة المتقدمة بدفع عقاب الكبيرة الطارية هذا منتهى كلامهم
في مسئلة الوعيد فلنا حاصل الكلام يرجع الى ان النص الدال على اقامة الحد عليه
على سبيل التنكيل صار معارضا للنصوص الدالة على كونه مستحقا للثواب فلم كان ترجيح
احدهما على الاخر اولى من العكس وذلك لان المومن كان يقسم الى السارق وغير السارق
فالسارق يقسم الى المومن وغير المومن فلم يكن لاحدهما مزية على الاخر في العموم والخصوص
واذا تعارضا تساقطا ثم نقول لا نسلم ان كلمة من في افادة العموم قطعية على ما بيناه
ومسئلتنا ظنية فلا يجوز التعويل على ما ذكرتموه وتمام الكلام فيه مذكور في المحصول
المسئلة الثالثة تمسك المجسمة بقوله من ياته ربه مجرما فقالوا الجسم
انما ياتي ربه لو كان الرب في المكان وجوابه انه جعل اسانهم موضع الوعد
ايسانا الى الله مجازا كقوله ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين المسئلة
الرابعة الجسم المحي لابد وان يبقى حيا او يصير ميتا وخلوه على الوصفين محال فمعناه
في الاية انه يكون في جهنم باسوء حال لا يموت منه فيستريح ولا بحياة تنفعه ثم
ذكروا حال المومنين فقالوا ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم
الدرجات العلى واعلم ان قوله قد عمل الصالحات يقتضي ان يكون اتيا بكل
الصالحات وذلك بالاتفاق غير معتبر ولا ممكن فينبغي ان يحمل ذلك على ادا الواجبات
ثم ذكروا ان من اتى بالايمان والاعمال الصالحات كانت له الدرجات العلى ثم
فسرها فقال جنات عدن تجري من تحتها الانهار وفي الاية بشارة عظيمة على حصول العفو
لاصحاب الكبائر لانه تعالى جعل الدرجات العلى من الجنة لمن اتى ربه بالايمان
والاعمال الصالحة فساير الدرجات التي هي غير عالية لا بد وان يكون لغيرهم
وما هم الا العصاة من اهل الايمان اما قوله وذلك جزاء من تزكى فقال ابن
عباس يريد من قال لا اله الا الله واقول لما دلت الاية على ان الدرجات العالية هي
جزاء من تزكى من الذنوب وجب بحكم دليل الخطاب التي يكون عالية ان لا يكون
جزاء من تزكى فهي لغيرهم ممن يموت باوصاف المعاصي وعفا الله بفضله ورحمته
عنهم واعلم ان ليس في القران ان فرعون فعل يا ولئك المومنين ما اوعدهم
به ولكن بين ذلك بالاخبار قوله تعالى ولقد اوحينا
الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف
دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم
واضل فرعون قومه وما هدى اعلم ان في قوله ولقد
اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي دلالة على ان موسى عليه السلام في تلك الحال

كثير متبعوه فاراد الله تعالى تمييزهم من طبقة فرعون فاوحى اليه ان اسري بهم
ليلا والسري سير الليل والاسر امثله فان قيل ما الحكمة في ان سري بهم ليلا
قلنا اوجه احدها ان يكون اجتماعهم استر من العدو فلا يمنعهم عن استكمال مرادهم
في ذلك وثانيها ليكون اقرب الى ان لا يطلبه فرعون ويتبعه وثالثها
ليكون اذا تقارب العسكر لا يرى عسكر موسى عسكر فرعون فلا يهابونهم اما
قوله فاضرب لهم طريقا في البحر ففيه وجهان احدهما اي فاجعل لهم من قوله
ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن والثاني بين لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصا
وهو ان يضرب البحر بالعصا حتى ينفلق فعدي الضرب الى الطريق والحاصل
انه اريد بضرب الطريق جعل الطريق بالضرب ثم بين تعالى ان جميع اسباب الامر
كان حاصلا في ذلك الطريق احدها انه كان يبسا قرئ يابسا ويبسا بفتح الياء
وتسكين الباء فهو تخفيف عن اليبس والمراد انه ما كان فيه وحل ولا بلة فضلا عن
الما وثانيها قوله لا تخاف دركا ولا تخشى اي لا تخاف ان يدركك فرعون فاني
ساحول بينك وبينه قال سيبويه قوله لا تخاف رفعه على وجهين
احدهما على الحال كقولك غير خائف ولا خائن والثاني على الابتدا اي انت
لا تخاف وهذا قول الفرا قال الاخفش والزجاج المعنى لا تخاف فيه كقوله
واتقوا يوما لا تجزي نفس اي لا تجزي فيه نفس وقرا حمزة لا تخف وفيه وجهان
احدهما انه نهي والثاني قال ابو علي انه جعله جواب الشرط على ان يضرب
لا تخف وعلى هذه القراة ذكروا في قوله ولا تخشى ثلاثة اوجه احدها ان يستانف
كانه قيل وانت لا تخشى اي ومن شانك انك امن لا تخشى وثانيها ان لا يكون
الالف هي الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زايدة على الاطلاق
من اجل الفاصلة كقوله واضلوا السبيلا ويظنون بالله الظنونا وثالثها
ان يكون مثل قوله كان لم يرى قبلي اسيرا يمانيا وثالثها قوله ولا تخشى
والمعنى انك لا تخاف ادراك فرعون ولا تخشى الغرق بالما اما قوله فاتبعهم
فرعون بجنود فقال ابو مسلم يزعم رواة اللغة ان اتبعهم واتبعهم واحد وذلك
جايز ويحتمل ان يكون الباء زايدة والمعنى اتبعهم فرعون جنوده كقوله
لا تاخذ بلحيتي ولا براسي وقال الزجاج قرئ فاتبعهم فرعون وجنوده
اي معه الجنود وقرئ بجنوده ومعناه الحق بهم ويجوز ان يكون بمعنى تبعهم
اما قوله فغشيهم فالمعنى علاهم وسترهم ما غشيهم بعظيم الامر اي غشيهم
ما لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم وفاعل غشاهم
اما الله سبحانه او ما غشاهم او فرعون لانه ورط جنوده وتسبب لهلاكهم

اما

اما قوله واضل فرعون قومه فاحتج القاضي به فقال لولا ان الضلال من
الخلق لما جاز ان يقال واضل فرعون بل وجب ان يقال الله اضلهم ولان الله ذمهم
بذلك فكيف يجوز ان يكون خالقا للكفر ولان من ذم غيره بشي لا بد وان لا يكون هو فاعلا
لذلك لانه يستحق الذم وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما
اهديكم الا سبيل الرشاد ولنذكر القصة وما فيها من المباحث قال ابن عباس
لما امر الله موسى عليه السلام ان يقطع بقومه البحر وكان موسى وبنوا اسرايل
استعاروا من قوم فرعون الحلي والدواب لعيد يخرجون اليه فخرج بهم ليلا وهم
ستماية الف ونيف ليس فيهم ابن ستين ولا عشرين وقد كان يوسف عليه السلام
عهد اليهم عند موته ان يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يخرجوا بها فتحير القوم
حتى دلتهم عجوز على موضع العظم فاخذوه وقال موسى عليه السلام للعجوز احتكمي
فقالت اكون معك في الجنة وذكر ابن عباس ان محمدا عليه السلام وابا بكر
هجموا على رجل من العرب وامراة ليس لهما الا عنزا فذبحوها لهم فقال عليه السلام اذا
سمعت برجل قد ظهر بيثرب فاته فلعل الله ان يرزقك منه خيرا فلما سمع بظهور امر
الرسول اتاه مع امراته فقال اتعرفني قال نعم عدتك فقال احتكم فقال
ثمانون صانية فاعطاهن اياه فقال له اما ان عجوز بني اسرايل كانت احكم عقدة
منك وخرج فرعون في طلب موسى وعلى مقدمته الف الف وخمس ماية سوى الحسن
والقلب فلما انتهى موسى الى البحر قال هاهنا امرت ثم قال موسى للبحر انفرق فابى
فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فقال لهم موسى ادخلوا فيها فقالوا كيف
وهي رطبة فدعا ربه فهبت عليها الصبا فجفت فقالوا نخاف الغرق فجعل بينهم كوى
يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا البحر فانفلق فقال لهم موسى ادخلوا فيها
فقالوا كيف واقبل فرعون الى تلك الطرق فقال قومه ان موسى قد سحر البحر
فصار كما يرى وكان على فرس حصان واقبل جبريل عليه السلام على فرس انثى في ثلاثة
وثلاثين من الملايكة فسار جبريل بين يدي فرعون وايضا الحصان الفرس فاقتحم
فرعون على اثرها وصاحت الملايكة في الناس الحقوا الملك حتى اذا دخل اخرهم وكاد اولهم
ان يخرج التقى البحر فغرقوا فسمع بنو اسرايل صفقة البحر فقالوا ما هذا يا موسى فقال
غرق الله فرعون وقومه فرجعوا للنظر اليهم وقالوا يا موسى ادع الله ان يخرجهم لنا حتى ننظر
اليهم فدعا فنفطهم البحر الى الساحل واصابوا من سلاحهم وذكر ابن عباس ان جبريل
عليه السلام قال يا محمد لو رايتني وانا ادس فرعون في الما والطين مخافة ان يتوب
فهذا معنى قوله فغشيهم من اليم ما غشيهم وفي القصة ابحاث البحث الاول
روي في الاخبار ان موسى عليه السلام لما ضرب بعصاه البحر حصل اثنا عشر طريقا يابسا

فيها سلوكه وفي المآ فاما بين الطريق والطريق كالطود العظيم وهو الجبل فاخذ كل سبط
من بني اسرايل في طريق من هذه الطرق ومنهم من قال بل حصل طريق واحد وحجة
القول الاول لخبار من القرآن قوله وضاركل فرق كالطود العظيم وذلك لا يحصل الا
اذا حصل هناك طرق حتى يكون الماء القائم بين الطريقين كالطود العظيم وحجة
القول الثاني ظاهر قوله وضاركل فرق كالطود العظيم وذلك لا يحصل الا
اذا حصل هناك طرق حتى يكون الماء القائم فاضرب لهم طريقا في البحر وذلك يدل على الطريق
الواحد وان امكن حمله على الطرق رجوعا الى الجنس البحث الثاني روي ان بني
اسرايل بعد ان ظهر الله لهم الطريق ابتدأ تهر تعبوا وقالوا نريد ان نرى بعضنا بعضا
وهذا كالبعيد لان القوم لما ابصر وا بعيني فرعون صاروا في نهاية الخوف والخائف
اذا وجد طريق الفرار والخلاص كيف يتفرغ للعب البارد البحث الثالث
ان فرعون كان عاقلا لما كان في نهاية الدهاء فكيف اختار القاء نفسه في الهلكة فانه
كان يعلم من نفسه ان الغلاق البحر ليس باموره فعند هذا ذكروا وجهين احدهما
ان جبريل كان على الرمكة فتبعه فرس فرعون والقائل ان يقول هذا بعيد
لانه بعد ان يكون قول الملك عند ما في امثال هذه المواضع على دخول جميع العسكر
وما ذكروه انما يتم اذا كان الامر كذلك وايضا فلو كان الامر على ما قالوه لكان فرعون
في ذلك الدخول كالمخبر وذلك مما يزيده خوفا ويحمله على الاحتراز في ان لا يدخل وايضا
فاي حاجة لجبريل عليه السلام الى هذه الحيلة وقد كان عليه ان يأخذه مع فرسه
ويرميه الى الماء ابتداء بل الاولى ان يقال انه امر مؤدمة عسكره بالدخول
فدخلوا وما عرفوا فغلب على ظنه السلامة فلما دخل الكل اغرقهم الله تعالى البحث
الاول الذي نقل عن جبريل عليه السلام انه كان يدسه في الماء والطين خوفا من ان
يؤمن فيعيد لان المنع من الايمان لا يليق بالملائكة والانبياء البحث الخامس الذي
روي من ان موسى عليه السلام كلم البحر وقال له افرق لي لاعبر عليك فقال
البحر لا امر على رجل عاص فهو غير ممتنع على اصولنا الان عندنا الدسه ليست بشرط للحيوة
وعند المعتزلة ان ذلك على لسان الحال لا على لسان المقال والله اعلم

قوله تعالى يا بني اسرايل قد انجيناكم من عدوكم ووعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وانى لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى

اعلم انه تعالى لما انعم على قوم موسى بانواع النعم ذكرهم تلك النعم ولائك ان

ازالة الشك المضر يجب ان يكون مقدما على ايصال المنفعة ولائك ان ايصال المنفعة
الدينية اعظم في كونه نعمة من ايصال المنفعة الدنيوية فلهذا بدء تعالى بقوله
انجيناكم من عدوكم وهو اشارة الى ازالة الضرر فان فرعون كان ينزل بهم من انواع الظلم
من قتل واذلال وجراح والعاب في الاعمال ثم ثنى بذكر المنفعة وهي قوله
ووعدناكم جانب الطور الايمن ووجه المنفعة فيه انه انزل في ذلك الوقت عليهم كتابا
فيه بيان دينهم وشرح شرائعهم ثم ثلث بذكر المنفعة الدنيوية وهي قوله وانزلنا
عليكم المن والسلوى فلو امن طيبات ما رزقناكم ثم زجرهم عن العصيان بقوله
ولا تطغوا فيه يحل عليكم غضبي ثم بين ان من عصى ثم تاب كان مقبولا عند الله بقوله
واني لغفار لمن تاب هذا هو المقصود من الاية ثم ها هنا مسايل المسئلة الاولى قرا
حمزة والكسائي قد انجيتكم من عدوكم ووعدتكم الى قوله من طيبات ما رزقناكم
كلها بالتاء الا قوله ونزلنا عليكم المن والسلوى فانها بالنون والباقون كلها بالنون
وقرا نافع وعاصم ووعدناكم وقرا حمزة والكسائي وواعدتكم المسئلة
الثانية قال الكلبي لما جاوز موسى عليه السلام ببني اسرايل البحر قالوا اليس وعدتنا
بان تاتينا من ربنا بكتاب فيه الفرايض والاحكام قال بلى ثم نجل موسى اليه
ليأتيهم بالكتاب ووعدهم ان ياتيهم الى اربعين ليلة من يوم انطلق وانما قال ووعدناكم
لانه انما وعد موسى ان يؤتيه التوراة لاجلهم وقال مقاتل انما قال وعدناكم
لان الخطاب له وللسبعين المختارة المسئلة الثالثة قال المفسرون ليس للجبل
يمين ولا يسار بل المراد ان طور سيناء عن يمين من انطلق من مصر الى الشام وقرئ الايمن
بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب وانتفاع القوم بذلك اما لان الله انزل التوراة
عليهم وفيها شرح دينهم واما لان الله لما كلم موسى على الطور حصل للقوم بذلك شرف
عظيم المسئلة الرابعة قوله كلوا ليس امرا باجاب بل امر اباحة كقوله واذا
حللتم فاصطادوا والمسئلة الخامسة في الطيبات قولان احدهما اللذايذ
لان المن والسلوى من لذايذ الاطعمة والثاني وهو قول الكلبي ومقاتل الحلال
لانه تعالى انزله الله اليهم ولا يسمه يد الادميين ويجوز الجمع بين الوجهين لان بين المعنيين
معنى مشترك وتمام القول في هذه القصة تقدم في سورة البقرة المسئلة
السادسة في قوله ولا تطغوا وجوه احدها قال ابن عباس لا تظلموا اي لا يظلم
بعضكم بعضا فيا خذه من صاحبه وثانيها قال مقاتل والضحاك لا تظلموا فيها انفسكم
بان تجاوزوا حد الاباحة وترفعوا للغد وثالثها قال الكلبي لا تكفروا النعمة
اي لا تستعينوا بنعمتي على معاصي ولا تعرضوا عن الشكر ولا تعدلوا عن الحلال الى الحرام
المسئلة السابعة قرا الاعمش والكسائي فيحل ومن يحلل كلاهما بالضم وروي
الاعمش عن اصحاب عبد الله فيحل بالكسر ومن يحلل بالضم وقراءة العامة بالضم

بالكسر في الكلمتين اما المكسوره ففي معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداوه
ومنه قوله حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول وقوله فقد هدي اي
سقي وقيل فقد وقع في الهاويه يقال هوي يهوي هويا اذا سقط من علو الى سفل
المسلة الثامنه اعلم انه تعالى وصف نفسه بكونه غافرا وغفورا وغفارا
وبان له غفرانا ومغفرة وعبر عنه بلفظ الماضي والمستقبل والامر اما انه وصف
نفسه بكونه غافرا فقوله غافر الذنب واما كونه غفورا وقوله وربك الغفور
ذو الرحمة واما كونه غفارا فقوله واني لغفار لمن تاب واما الغفران
فقوله غفرانك ربنا واما المغفرة فقوله وان ربك لذو مغفرة للناس واما
صيغة الماضي فقوله في حق داود فغفرنا له ذلك واما صيغة المستقبل فقوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا
وقوله في حق محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله واما لفظ الامر فقوله
واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وفي حق نوح فقلت استغفروا ربكم وفي حق
الملايكة ويستغفرون للذين امنوا واعلم ان الانبيا كلهم طلبوا المغفرة اما
ادم فقوله وان لم تغفر لنا واما نوح وان لم تغفر لي وترحمني واما
واما ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي وطلبها لابيه ستاستغفر لك ربي
واما يوسف في اخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم واما موسى ففي
قصة القبطي رب اغفر لي ولاخي واما داود فاستغفر ربه واما سليمن
رب اغفر لي وهب لي ملكا واما عيسى وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
واما محمد عليه السلام واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات واما
الامه فقوله والذين جاهدوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا واعلم ان بسط
الكلام هنا ان نبين اولا حقيقة المغفرة ثم نتكلم في كونه تعالى غافرا وغفورا
وغفارا ثم نتكلم في ان مغفرته عامه ثم نبين ان مغفرته في حق الانبيا
كيف يعقل مع انه لا ذنب لهم ونتفرع على هذه الجمله استدلال اصحابنا في اثبات العفو
وتقريره ان الذنب اما ان يكون صغيرا او كبيرا بعد التوبه او قبل التوبه
والقسمان الاولان يفتح من الله عذابهما ويجب عليه التجاوز عنهما وترك القبيح لا
يسمى غفرانا فتعين ان لا يتحقق الغفران الا في القسم الثالث وهو المطلوب فان قيل
هذا تناقض صريح الايه لانه اثبت الغفران في حق من استجمع امورا اربعة التوبة
والايمان والعمل الصالح والاهتدا قلنا ان من تاب وامن وعمل صالحا واهتدى
ثم اذنب بعد ذلك كان تايبا مومنا واتيا بالعمل الصالح ومهتديا ومع ذلك يكون مذنبا
وحينئذ يستقيم كلامنا وها هنا نكته وهي ان العبد له له اسما ثلاثه الظالم
والمظلوم والظلام الظالم فمنهم ظالم لنفسه والظلوم انه كان ظلوما جهولا والظلام

الذي كثر منه ذلك ولله في مقابلة كل واحد من هذه الاسما فكانه تعالى قال ان كنت ظالما
فانا غافر وان كنت ظلوما فانا غفور وان كنت ظلام فانا غفار واني لغفار لمن تاب
المسلة التاسعه كثر اختلاف المفسرين في قوله ثم اهتدى وسبب ذلك ان من تاب
وامن وعمل صالحا فلا بد وان يكون مهتديا فما معنى قوله ثم اهتدى بعد ذكر هذه الاشيا
والوجوه الملخصه فيه ثلاثة اوجه احدها المراد منه الاستمرار على تلك الطريقه فان المهتدي
في الحال لا يكفيه ذلك للفوز بالنجاة حتى يستمر عليه في المستقبل ويموت عليه وتاكيده قوله
تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي في هذه الاية ليست لتباين
المرتبتين بل لتباين الوقتين وكانه تعالى قال الاتيان بالتوبه والعمل الصالح مما سبق
لكل واحد ولا صعوبة في ذلك انما الصعوبه والرجوليه في المداومه على ذلك والاستمرار
عليه وثانيها المراد من قوله ثم اهتدى اي علم ان ذلك بهدى الله وتوفيقه
وبقي مستعينا بالله في ادامة ذلك من غير تقصير عن ابن عباس رضي الله وثالثها المراد
من الايمان الاعتقاد المبني على الدليل والعمل الصالح اشارة الى اعمال الجوارح بقي بعد ذلك
ما يتعلق بتطهير القلب من الاخلاق الذميمه وهو المسمى بالحقيقه في لسان الصوفيه فهاتان
المرتبتان هما المرادتان بقوله ثم اهتدى المسلة العاشرة منهم من
قال يجب التوبة عن الكفر اولا ثم الاتيان بالايمان ثانيا واحتج عليه بهذه الاية فانه تعالى
قدم التوبة على الايمان واحتج اصحابنا على ان العمل الصالح غير داخل في الايمان بهذه
الاية لانه تعالى عطف العمل الصالح على الايمان والمعطوف مغاير للمعطوف عليه
قوله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى قال
هم اولا على اثري وعجلت اليك ربي لترضى اعلم ان في قوله
وما اعجلك عن قومك يا موسى دلالة على انه تقدم قوله في المصير الى مكان ويجب ان
يكون المراد ما نبه عليه تعالى في قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن في هذه
السورة وفي ساير السور كقوله وواعدنا موسى ثلاثين ليلة يريد للميقات عند الطور
وعلى هذه الاية سوالان السوال الاول قوله وما اعجلك استفهام وهو على الله محال
والجواب انه وان كان في صيغة الاستفهام ولا امتناع فيه السوال الثاني ان
موسى عليه السلام لا يخلوا اما ان يقال انه كان ممنوعا عن ذلك التقدم او لم يكن ممنوعا عنه
فان كان ممنوعا كان ذلك التقدم معصية فيلزم وقوع المعصية من الانبيا وان قلنا
انه ما كان ممنوعا كان ذلك الانكار غير جايز من الله الجواب لعله عليه السلام
ما وجد نصا في ذلك الا انه باجتهاده تقدم فاخطا في ذلك الجواب الاجتهاد فاستوجب
العتاب السوال الثالث قال وعجلت والعجله مذمومه الجواب انها
ممدوحه في الدين قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم السوال الرابع قوله
لترضى يدل على انه عليه السلام انما فعل ذلك لتحصيل الرضا لله تعالى وذلك باطل

من وجهين احدهما انه يلزم تجدد صفة الله تعالى والاخر انه تعالى قبل حصول ذلك الرضا
وجب ان يقال انه ما كان راضيا من موسى عليه السلام لان تحصيل الحاصل محال ولما لم
يكن راضيا من موسى عليه السلام عنه وجب ان يكون ساخطا عليه وذلك لا يليق بحال الانبيا الجواب
المراد دوام الرضى كما ان قوله ثم اهتدى المراد دوام الاهتدا السوال
الخامس قوله وعجلت اليك يدل على انه ذهب للميعاد والا لم يكن ذلك تعجيلا ثم ظن
ان مخالفته امر الله به يحصل رضاه وذلك لا يليق باجهل الناس فضلا عن كليم الله والجواب
ذكرنا ان ذلك كان بالاجتهاد واخطا فيه السوال السادس قوله اليك يقتضي كون
الله في الجهة لان الى لانتها الغاية الجواب توافقنا على ان الله تعالى لم يكن في الجبل فالمراد
الى مكان وعدك السوال السابع ما اعجلك سوال عن سبب العجلة وكان جوابه
اللايق ان يقال طلب زيادة رضاك الشوق الى كلامك واما قوله هم اولا على اثري
فغير منطبق عليه كما ترى والجواب من وجهين الاول ان السوال تضمن شيين احدهما
انكسار نفس العجلة والثاني السوال عن سبب التقدم كان اهم الامرين عند موسى الجواب
عن هذا الثاني فقال لم يوجد مني الا تقدم يسير لا تخل به في العادة وليس بيني وبين القوم
الا تقدم يسير يتقدم مثلها الوفد مقدمهم ثم عقبه بجواب السوال عن العجلة فقال
وعجلت اليك رب لترضى ثم انه عليه السلام لما ورد عليه من هيبة عتاب الله تعالى ذهل
عن الجواب المرتب المنطبق على حدود الكلام واعلم ان قوله وما اعجلك عن قومك دلالة
على انه تعالى امره بحضور الميقات مع قوم مخصوصين واختلفوا في المراد بالقوم فقال
بعضهم هم النقبا السبعون الذين اختارهم ليخرجوا معه الى الطور فتقدمهم موسى سعيا
الى ربه وقال اخرون القوم حملة بني اسرايل وهم الذين خلفهم مع هرون وامره
ان يقيم فيهم خليفة له الى ان يرجع هو مع السبعين فقال هم على اثري بالقرب مني ينتظرونني
وعن ابي عمرو ويعقوب اثري بالكسر وعن عيسى بن عمر اثري بالضم وعنه ايضا
اولا بالقصر والاثر افصح من الاثر فمسموع في فرند السيف وهو بمعنى الاثر غريب
قوله تعالى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك
واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا
قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم
العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم
موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا
ازواجا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري
فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقال هذا الهكم واله
موسى فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا
اعلم انه تعالى لما قال لموسى ما اعجلك عن قومك قال موسى في جوابه وعجلت اليك عرفه

الله

الله تعالى ان ما حذر من القوم بعد ان فارقهم ما كان يبعد ان يحدث لو كان معهم فقال فانا قد
قد فتنا قومك من بعدك وها هنا مسايل المسيلة الاولى قالت المعتزلة لا يجوز ان
يكون المراد ان الله خلق فيهم الكفر لوجهين الاول الدلايل الدالة على انه لا يجوز من الله ان
يفعل ذلك الثاني انه قال واضلهم السامري ولو كان الله خلق الضلال فيهم لما كان لفعل
السامري فيه اثر وكان يبطل قوله واضلهم السامري وايضا فلان موسى عليه السلام
لما طالبهم بذكر سبب تلك الفتنة فقال افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم
غضب من ربكم فاخلفتم موعدي فلو حصل ذلك بخلق الله تعالى لكان لهم ان يقولوا السبب
فيه ان الله خلقه فينا لا ما ذكرت وكان يبطل تقسيم موسى عليه السلام وايضا فقال
افاردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم ولو كان ذلك بخلقه الله تعالى لكان لهم ان يقولوا
السبب فيه ان الله خلقه فينا لا ما ذكرت وكان يبطل تقسيم لاستحال ان يغضب الله عليهم
فيما هو الخالق له ولما بطل ذلك وجب ان يكون لقوله فينا معنى اخر وذلك لان
الفتنة قد تكون بمعنى الامتحان يقال فتنت الذهب بالنار اذا امتحنته بالنار لكي يتميز
الجيد من الردي فها هنا الله تعالى شدد التكليف عليهم وذلك لان السامري لما اخرج
لهم ذلك العجل صاروا مكلفين بان يستدلوا بحدوث جملة العالم والاجسام على ان
له الها ليس بجسم وحينيذ يعرفوا ان العجل لا يصلح للالهية فكان هذا التعبد تشديدا
في التكليف وكان التشديد في التكليف موجودا لان قال تعالى احسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا لنا وهم لا يفتنون هذا تمام كلام المعتزلة قال الاصحاب ليس في ظهور
شي صوت عجل متخذ من الذهب انه اعظم مما في الشمس والقمر فالدليل الذي ينفي كون
الشمس والقمر الها اولى بان ينفي كون ذلك العجل الها فحينيذ لا يكون حدوث ذلك
العجل تشديدا في التكليف فلا يصح حمل الاية عليه فوجب حمله على خلق الضلال فيهم
قولهم اضاف الاضلال الى السامري قلنا اليس ان جميع المسببات البادية يضاف
الى اسبابها في الظاهر وان كان الموجد لها هو الله تعالى فكذا ها هنا وايضا
فقد قرى واضلهم السامري اي واشدهم ضلالا السامري وعلى هذا لا يبقى للمعتزلة الاستدلال
ثم الذي يجسم مادة المسغب التمثيل بفضل الداعي مما سبق المسيلة الثانية
المراد بالقوم ها هنا هم الذين خلفهم مع هرون عليه السلام على ساحل البحر وكانوا ستماية
الف افتتنوا بالعجل غير اثني عشر الف المسيلة الثالثة قال ابن عباس في رواية
سعيد بن جبير كان السامري علجا من اهل ارمان وقع الى مصر وكان من قوم يعبدون
البقر والذي عليه الاكثرون انه كان من عظما بني اسرايل من قبله يقال لها السامرة
قاله الزجاج وقال عطا عن ابن عباس بل كان رجلا من القبط جارا لموسى وقد امن
به المسيلة الرابعة روي في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحبسوها

اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك والتوفيق بين
هذا وبين قوله لموسى عند مقدمه ولقد فتنا قومك من وجهين الاول انه
تعالى اخبر عن الفتنة المترقبة بلفظ الوجود الكائنة على عادته الثاني ان السامري
شرع في تدبير الامر كما غاب موسى عليه السلام وعزم على اضلالهم حال مفارقته موسى
عليه السلام وكان بدو الفتنة موجودا المسئلة الخامسة انما رجع موسى عليه السلام
بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة المسئلة السادسة
ذكروا في الاسف وجوها احدها انه شديد الغضب وعلى هذا التقدير لا يلزم التكرار
لان قوله غضبان يفيد اصل الغضب وقوله اسفا يفيد كماله وثانيها
قال الاكثرون حزينا جزعا يقال اسف ياسف اسفا اذا غضب فهو اسف
واسف ياسف اسفا اذا حزن فهو اسيف وثالثها قال قوم الاسف المغتاظ وفرق
بين الغيظ والغضب لان الله تعالى لا يوصف بالغيظ ويوصف بالغضب من حيث
ان الغضب ارادة الاضرار بالمغضوب عليه والغيظ تغير يلحق المغتاظ وذلك لا يصح الا
على الاجسام كالضحك والبكاء ثم انه تعالى حكى ان موسى عليه السلام عاتبهم بعد رجوعه
اليهم قالت المعتزلة وهذا يدل على انه ليس المراد من قوله فانا قد فتنا انه
تعالى خلق الكفر فيهم والا لما عاتبهم بل يجب ان يعاتب الله قال الاصحاب وقد
فعل ذلك بقوله ان هي الا فتنتك ومجموع تلك المعاتبات امور احدها قوله
قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا وفيه سوالان السوال الاول قوله
الم يعدكم ربكم وهذا الكلام انما يتوجه عليهم لو كانوا معترفين باله اخر سوى العجل
اما لما اعتقدوا ان لا اله سواه على ما اخبر الله عنهم قالوا هذا الهكم واله موسى
كيف يتوجه عليهم هذا الكلام الجواب انهم كانوا معترفين بالاله لكنهم عبدوا
العجل على التاويل الذي نذكره عباد الاصنام السوال الثاني ما المراد بذلك الوعد
الحسن الجواب ذكروا وجوها احدها ان المراد ما وعدهم من انزال التوراة
ليقفوا على الشرايع والاحكام ويحصل لهم بسبب ذلك منقبة فيما بين الناس وهو
الذي ذكره الله تعالى فيما تقدم من قوله ووعدناكم جانب الطور الايمن وثانيها
ان الوعد الحسن هو الوعد الصدق بالثواب على الطاعات وثالثها الوعد
هو العهد وهو قول مجاهد وذلك العهد هو قوله تعالى ولا تطغوا فيه فيحل
عليكم غضبي الى قوله ثم اهتدى والدليل عليه قوله بعد ذلك افطال عليكم
العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم وكانه قال انسيتم ذلك الوعد الذي وعدكم
الله بقوله ولا تطغوا ورابعها الوعد الحسن هاهنا يحتمل ان يكون وعدا حسنا
في منافع الدين وان يكون في منافع الدنيا اما منافع الدين فهو الوعد بانزال الكتاب

الشريف

الشريف الهادي الى الشرايع والاحكام والوعد بحصول الثواب العظيم في الاخرة
واما منافع الدنيا فهو انه تعالى قبل اهلاك فرعون كان قد وعدهم ارضهم ودورهم
وقد فعل كل ذلك ثم قال افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من
ربكم فالمراد افنسيتم ذلك العهد ام تعمدتم المعصية واعلم ان طول العهد
يحتمل امورا احدها افطال عهدكم بنعم الله تعالى من انجائه اياكم من فرعون وغير
ذلك من النعم المعدودة في اول سورة البقرة وهذا كقوله افطال عليكم
الامد فقست قلوبهم وثانيها يروى انهم عرفوا ان الاجل اربعين ليلة فجعلوا كل يوم
بازاء ليلة وردوه الى عشرين قال القاضي هذا ركيك لان ذلك لا يكاد يشتبه
على مميز وثالثها ان موسى عليه السلام وعدهم ثلاثين ليلة فلما اراد الله فيها عشرة
اخرى كان ذلك طول العهد اما قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فهذا لا
يمكن اجراؤه على الظاهر لان احدا لا يريد ذلك ولكن القضية لما كانت توجب ذلك ومريد
السبب مريد للمسبب بالعرض صح هذا الكلام واحتج العلماء بذلك على ان الغضب من صفات
الافعال لا من صفات الذات لان صفة ذات الله لا تترك في شيء من الاجسام اما
قوله فاخلفتم موعدي فهذا يدل على موضع كان منه عليه السلام مع القوم وفيه وجهان
احدهما ان المراد ما وعدوه من اللحاق والمجيء على اثره والثاني ما وعدوه من الاقامة
على دينه الى ان يرجع اليهم من الطور فعند هذا قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا وفي ان
قايل هذا الجواب من هو وجهان الاول انهم الذين لم يعبدوا العجل فكانهم قالوا انا
ما اخلفنا موعدك بملكنا اي بامر كنا نملكه وقد يضيف الرجل فعل قرينه الى
نفسه كقوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر واذ قتلتم نفسا وان كان الفاعل لذلك
اياهم وكانهم قالوا الشبهة قويت على عبدة العجل فلم نقدر على منعهم عنه ولم نقدر ايضا
على مفارقتهم لانا خفنا ان يصير ذلك سببا لوقوع الفرقة وزيادة الفتنة الثاني
انه قول عبدة العجل والمراد ان غيرنا اوقع الشبهة في قلوبنا فاعل السبب فاعل
المسبب فمخلف الوعد هو الذي اوقع الشبهة فانه كان كالمالك لنا فان قيل
كيف رجوع قريب من ستمائة الف انسان من العقلاء المكلفين عن الدين الحق دفعة واحدة
الى عبادة العجل التي يعرف فسادها بالضرورة ثم ان مثل هذا الجمع لما ولوا الدبر
واظهروا الكذب فكيف يعقل برجوعهم دفعة واحدة عن ذلك الدين بسبب رجوع موسى عليه
السلام وحده اليهم قلنا هذا غير ممتنع في حق البله من الناس واعلم ان
في ملكنا ثلاث قرات حمزة والكسائي بضم الميم ونافع وعاصم بفتح الميم وابو عمرو
وابن كثير بالكسر اما الكسر والفتح فيهما واحد وهما لغتان مثل رطل ورطل
واما الضم فهو السلطان ثم ان القوم فسروا ذلك العذر المجمل فقالوا ولكنا
حملنا اوزارا من زينة القوم قرا حمزة والكسائي وابو عمرو وعاصم حملنا مخففة

عن الحمل وقرا ابن كثير ونافع وحفص حملناه مشددة فمن قرا بالتخفيف فمعناه
حملنا مع انفسنا ما كنا استعرناه من القوم ومن قرا بالتشديد ففيه وجوه احدها
ان موسى عليه السلام حملهم ذلك على معنى انه امرهم فيه حكم المغتنم لما انه
امرهم باستعارة الحلي المخرج لها انكانه عليه السلام الزمهم ذلك وثانيها جعلنا
كالضامنين لها الي ان يودنها الي حيث يامرنا الله وثالثها ان الله تعالى حملهم
على ذلك على معنى انه الزمهم فيه حكم المغنم اما الاوزار فهي الاثام ومن
ذلك سمي الاثم وزرا لانها اثقال ثم فيه احتمالات احدها انها لكثرتها كانت
اثقالا وثانيها ان المعاصر كانت محرمة عليهم وكان يجب عليهم حفظها من غير فايدة
فكانت اثقالا وثالثها المراد بالاوزار الاثام والمعنى حملنا اثاما والدليل
ما روي في الخبر ان هرون عليه السلام قال انها نجسة فتطهروا منها وقال
السامري انما احتبس عقوبة بالحلي فيجوز ان يكونوا اراد وا هذا القول وقد يقول
الانسان للشيء يلزمه رده هذا كله اثم ورابعها ان ذلك الحلي كان لقبط يتزينون
به في مجامع تجري فيها الكفر لا جرم وصفت بانها اوزار كما قيل مثله في الات
المعاصي اما قوله فقذفناها فقد ذكروا وجوها في اي شيء قذفوها الاول
قذفوها في حفره كان هرون عليه السلام امرهم بجمع الحلي فيها انتظار العود موسى
عليه السلام والثاني قذفوها في موضع امرهم السامري بذلك في موضع جمع فيه
النار ثم قال وكذلك القى السامري اي نحو السامري مثل فعلنا اما قوله
فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فاختلفوا في انه هل كان ذلك الجسد حيا امرا القول
الاول لانه يجوز اظهار خرق العادة على يد الضال بل السامري صور صورة على شكل
العجل وجعل فيها ما فذ ومخارق بحيث يدخل فيها الرياح فيخرج صوت يشبه صوت
العجل والقول الثاني انه صار حيا له خوار كما يخور العجل واحتجوا بوجوه احدها
قوله فقبضت قبضة من اثر الرسول ولو لم يصر حيا لما بقي هذا الكلام فايدة وثانيها
انه تعالى سماه عجلا والعجل حقيقة في الحيوان وسماه جسدا وهو اما يتناول الحي
وثالثها انه اثبت الخوار واجابوا عن حجة الاولين بان ظهور خارق العادة على يد
مدعي الالهية جايز لانه لا يحصل الالتباس وها هنا كذلك فوجب ان لا يمتنع
وروي عكرمة عن ابن عباس ان هرون عليه السلام مر بالسامري وهو يصنع العجل
فقال اصنع ما ينفع ولا يضر فادعى لي فقال اللهم اعطه ما سالك فلما مضى
هارون قال السامري اللهم اني اسالك ان يخور فخار وعلى هذا التقدير يكون ذلك
معجز النبي عليه السلام اما قوله هذا الهكم واله موسى ففيه اشكال وهو ان
القوم ان كانوا في الجاهلية بحيث اعتقدوا ان ذلك العجل المعمول في تلك الساعة هو
الخالق للسموات والارض فهم مجانين وليسوا بمكلفين والان مثل هذا الجنون على مثل

ذلك الجمع العظيم محال وان لم يعتقدوا ذلك فكيف قالوا هذا الهكم واله موسى وجوابه
لعلهم كانوا من الحلولية فجوز ولطول الاله وحلول صفة من صفات في ذلك الجسم وان
كان ذلك ايضا في غاية البعد لان ظهور الخوار لا يناسب الالهية ولكن لعل القوم كانوا
في نهاية البلادة والخلافة اما قوله ينبني فيه وجوه الاول انه
كلام الله كانه تعالى اخبر عن السامري انه ينبغي الاستدلال على حدوث الاجسام
وان الاله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ثم انه سبحانه بين المعنى الذي يجب الاستدلال
به وهو قوله افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا اي لم
يخطر ببالهم ان من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر لا يكون الها ولا يكون الاله اعلى الخالية والمحلية
الثاني ان هذا قول السامري وصف به موسى عليه السلام والمعنى هذا
الهكم واله موسى ثم نبه موسى ان هذا هو الاله فذهب يطلبه في موضع اخر وهو
قول الاكثرين الثالث ننبي وقتا للموعد في الرجوع اما قوله افلا يرون
ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فهذا استدلال على عدم الهيتها بانها لا تتكلم
ولا تنفع ولا تضر وهذا يدل على ان الاله لا بد وان يكون موصوفا بهذه الصفات وهو
كقوله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك
شيا وان موسى عليه السلام في اكثر الامر لا يعول الا على دلايل ابراهيم عليه السلام
بقي ها هنا ابحاث البحث الاول قال الزجاج الاختيار ان لا يرجع بالرفع بمعنى انه
لا يرجع وهذا كقوله وحسبوا ان لا تكون فتنة نصبوا بمعنى ان لا يكون ويجوز
بالنصب ايضا بان الثاني الاية تدل على وجوب النظر في معرفة الله وقال
في اية اخرى المرير وانه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا وهو قريب في المعنى من قوله في دم
عبدة الاصنام الهم ارجل يمشون بها ولعين المقصود من هذا ان العجل لو كان يكلمهم لكان الها
لان الشيء يجوز ان يكون مشروطا بشروط كثيرة وفوات واحد منها يقتضي فوات المشروط
ولكن حصول الواحد منها لا يقتضي حصول المشروط الثالث قال بعض اليهود
لعلي ساد فتم نبيكم حتى اختلعتم فقال انما اختلفنا عنه لانه وانتم ما حفت اقدامكم
عن شاطئ البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم الهة قوله تعالى
ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم
الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين
حتى يرجع الينا موسى اعلم ان هارون عليه السلام انما قال
ذلك شفقة منه على نفسه وعلى الخلق اما شفقته على نفسه فلانه كان مامورا من
عند الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان مامورا من عند اخيه موسى عليه
السلام بقوله اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلم يشتغل بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر لكان مخالفا لامر الله تعالى ولامر موسى عليه السلام وذلك

لا يجوز او حى الله الى يوشع بن نون انى مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال يا رب هؤلا الاشرار فما بال الاخيار فقال انهم لم يغضبوا لغضبتي
وقال ثابت البناني قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه غير الله تعالى فليس من الله في شي ومن اصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم وعن
الشعبي عن النعمن بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المومنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وقال ابو
الحسين النوري كنت في بعض المواضع زورقا فيها دنان مكتوب عليها لطيف فقلت للملاح ايش هذا فقال ان صوفيا رشوني هذه خمور المعتضد فقلت له
اعطني ذلك المدري فقال لغلامه اعطه حتى يصرايش يعمل فاخذ المدري وصعد الزورق فكسر الدنان والملاح ينظر حتى بقي واحدا فامسك
فجا صاحب السفينة فاخذني وحملني على المعتضد وكان سبقه قبل كلامه فلما وقع
بصره علي قال من انت قلت المحتسب قال من ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الخلافة
قال كم كسرت هذا الدنان وابقيت هذا الدن قلت اني انما كسرتها صحبة في دين
الله فلما وصلت اليها عجبت فامسكت ولو بقيت كما كنت لكسرتها فقال اخرج
ياشيخ فقد وليتك الحسبة فقلت كنت افعله لله تعالى فلا احب ان اكون شرطيا
واما الشفقة على المسلمين فلان الانسان يجب ان يكون رقيق القلب مشفقا
على اباحيته واي شفقة اعظم من ان تري جماعتها تكون على النار فتمنعهم منها
وعن ابي سعيد الخدري عنه عليه السلام يقول الله تعالى اطلبوا النعمة عند
الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم ولا تطلبوها عند القاسية قلوبهم فان فيهم
غضبي وعن عبد الله بن ابي اوفى قال خرجت اريد النبي صلى الله عليه وسلم فاذا
ابو بكر وعمر معه فجا صغير يبكي فقال لعمر ضم الصبي اليك فانه ضالك فاخذه
عمر فاذا المراة تولول كاشفة عن راسها جزعا على ابنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ادرك المراة فناداها فاخذت الولد وجعلت تبكي والصبي في حجرها فنظرت فرات
النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيت فقال عليه السلام عند ذلك اترون هذه رحيمة قالوا
يا رسول الله كلي لهذه رحمة فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لله ارحم بالمومنين من
هذه بولدها ويروي انه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه اصحابه اذ نظر
اذ نظر الى شاب على باب المسجد فقال من اراد ان ينظر رجلا من اهل النار فلينظر
اليه فسمع الشاب ذلك فقال الهي وسيدي هنا رسولك يشهد علي بانى من اهل النار
وانا اعلم انه صادق فاذا كان الامر لذلك فاسالك ان تجعلني فداء امة محمد وتشغل النار بي
بدلهم ولا تشفع النار احدا اخر فهبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد ان الشاب
الذي قد انقذته من النار تصدق بفداك وفداء امتك بنفسه وشفقته على الخلق اما

تبت ذلك فاعلم ان الامر بالمعروف والشفقة على المسلمين واجب شعار هرون عليه السلام
راي القوم منهما فتنين على النار فلم يبال بكثرتهم ولا بقوتهم بل صرح بالحق ودعا الناس
الى متابعة نفسه والمنع من متابعة غيره فلو كانت امة محمد صلى الله عليه وسلم على الخطا
لكان يجب على علي عليه السلام ان يفعل ما فعله هرون عليه السلام وان يصعد على المنبر من غير
بقية وخوف وان يقول فاتبعوني واطيعوا امري فلما لم يفعل ذلك علمنا ان الامة كانوا
على الصواب واعلم ان هرون عليه السلام في هذا الوعظ احسن الوجوه لانه زجرهم
عن الباطل اولا بقوله انما فتنتم به ثم دعاهم الى معرفة الله تعالى ثانيا بقوله وان
ربكم الرحمن ثم دعاهم ثالثا الى معرفة النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم رابعا
الى الشرايع بقوله واطيعوا امري وهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد قبل كل شي من ازالة
الاذى عن الطريق وهو ازالة الشبهات ثم معرفة الله تعالى فانها هي الاصل ثم النبوة
الشريعة فثبت ان هذا الترتيب على احسن الوجوه وانما قال وان ربكم الرحمن فخص
هذا الموضع باسم الرحمن كانه نبههم على انه متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن الرحيم
ومن رحمته ان خلصهم من افات فرعون وشرائعه فقابلوا هذا الترتيب الحسن في الاستدلال
بالتقليد والجمود فقالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى كانهم قالوا لا نقبل
حجتك ولكن نقبل قول موسى وعادة المقلد ليس الا ذاك **قوله تعالى**
قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعني
افعصيت امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي
اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرايل ولم ترقب
قوله اعلم ان الطاعنين في صحة عصمة الانبيا عليهم السلام يتمسكون
بهذه الاية من وجوه احدها ان موسى عليه السلام اما انه امر هارون
بالتباعه او لم يامره به فان امره به فاما ان يكون هارون قد اتبعه او لم
يتبعه فان اتبعه كانت ملامة موسى عليه السلام يتمسكون بهذه الاية من وجه هرون
معصية ودنيا لان ملامة غير المحرم معصية وان لم يتبعه كان هرون تاركا للواجب
فكان فاعلا للمعصية واما ان قلنا ان موسى عليه السلام ما امره بالتباعه
كانت ملامته اياه على ترك الاتباع معصية فثبت ان على جميع التقديرات يلزم اسناد
المعصية اما الى موسى او الى هارون وثانيها قول موسى عليه السلام
افعصيت امري استفهام على سبيل الانكار فوجب ان يكون هارون قد عصاه وان
يكون ذلك العصيان منكرا والا كان موسى عليه السلام كاذبا وهو معصية واذا فعل
هرون ذلك فقد فعل المعصية وثالثها قوله يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا
براسي وهذا معصية لان هرون عليه السلام فعل ما قدر عليه من النصيحة والوعظ
والزجر فان كان موسى عليه السلام قد بحث عن الواقعة وعرف ان هرون فعل ما قدر عليه

فخانه

كان الاخذ براسه ولحيته معصية وان فعل ذلك قبل ان يعرف الحال كان ذلك ايضا
معصية وان لم يكن ذلك الاخذ جايزا كان موسى عليه السلام فاعلا للمعصية فهذه اسولة
لطيفة في هذا الباب والجواب عن الكل انا بينا في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى
فازلهما الشيطان عنها انواعا من الدلايل الجلية في انه لا يجوز صدور المعصية على الانبيا وحاصل
هذه الوجوه تمسك بظواهر قابلة للتاويل ومعارضة ما يبعد عن التاويل
بما يتسارع اليه التاويل غير جايز اذا ثبت هذه المقدمة فاعلم ان لنا في الجواب عن هذه
الاشكالات وجوها احدها انا وان اختلفنا في جواز المعصية على الانبيا لكن اتفقنا
على جواز ترك الاولى عليهم واذا كان كذلك فالفعل الذي يفعله احدهما ويمنعه الاخر
اعني بهما موسى عليه السلام وهرون عليهما السلام لعل كان احدهما اولى والاخر كان
ترك الاولى فلذلك فعله احدهما وتركه الاخر فان قيل هذا التاويل
غير جايز لان كل واحد منهما كان جازما فيما ياتي به فعلا كان او تركا وفعل المندوب
وتركه لا يجزم به قلنا تقييد المطلق بالدليل غير ممتنع فنحن نحمل ذلك الجزم في
الفعل والترك على ان المراد افعل ذلك او اتركه ان كنت تريد الاصلح وقد يترك ذلك
الشرط اذا كان تواطيهما على رعايته معلوما مقررا وثالثها ان موسى
عليه السلام اقبل وهو غضبان على قومه فاخذ براس اخيه وجره اليه كما يفعل الانسان
مثل ذلك عند الغضب فان الغضبان المفكر قد يعض على يديه ويفتل اصابعه
ويقبض على لحيته فاجرى موسى عليه السلام اخاه هرون مجرى نفسه فانه كان اخاه
وشريكه فصنع به ما يصنع الرجل بنفسه في حال الفكر والغضب فاما قوله
لا تاخذ بلحيتي ولا براسي فلا يمتنع ان يكون هرون عليه السلام خاف ان يتوهم بنوا
اسرايل بسوء يظهرهم انه منكر عليه معاتب له ثم اخذ في شرح القصة فقال
اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرايل لانهم كانوا على نهاية سوء الظن بموسى عليه
السلام حتى ان هرون غاب عنهم غيبة فقالوا لموسى عليه السلام انت قتلته فلما وعد الله
موسى عليه السلام ثلثين ليلة واتممناها بعشر وكتب له في الالواح من كل شي ثم رجع فراى
في قومه ما راى فاخذ براس اخيه ليدنيه فتفحص عن قضية الواقعة فخاف هرون عليه
السلام ان يسبق الى قلوبهم ما لا اصل له فقال اشفاقا على موسى عليه السلام لا
تاخذ بلحيتي ولا براسي لئلا يظن القوم ما لا يليق بك ورابعها قال صاحب الكشاف
كان موسى عليه السلام رجلا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شي شديد
الغضب لله تعالى ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله تعالى
من بعد ما راوا الايات العظام ان القى الالواح لما غلب على ذهنه من الدهشة العظيمة
غضب الله تعالى وحميه وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو
المكاشف واعلم ان هذا الجواب ساقط لانه يقال هب انه كان شديد الغضب

ولكن

ولكن مع ذلك الغضب الشديد هل كان يبقى عاقلا مكلفا ام لا فان بقي عاقلا مكلفا فالاسولة
باقية بتمامها اكثر ما في الباب انك ذكرت انه اتى بغضب شديد وذلك من جملة المعاصي
فقد زدت اشكالا اخر فان قلتم انه في ذلك الغضب لم يبق عاقلا مكلفا فهذا مما لا يرتضيه
مسلم البتة وهذه اجوبة من لم يجوز الصغاير واما من جوزها فلا شك في سقوط السوال
والله اعلم اما قوله ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعني ففيه وجهان الاول
ان لا صلة والمراد ما منعك ان تتبعني والثاني ان يكون المراد ما دعاك الى ان لا تتبعني فاقام
منعك مقام دعاك وفي الاتباع قولان احدهما ما منعك من اتباعي بمن اطاعك
واللحوق بي وترك المقام بين اظهرهم وهذا قول ابن عباس في رواية عطا والثاني
ان يتبعني في قضيتي اذا قلت لك اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلم
تركت قتالهم وناديتهم وهذا قول مقاتل ثم قال افعصيت امري ومعناه
ظاهر على ان تارك المامور به عاص والعاصي مستحق العقاب لقوله ومن يعص
الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها فمجموع الايتين يدل على ان الامر للوجوب
فاجاب هرون عليه السلام وقال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي واعلم
انه ليس في القران دلالة على انه فعل ذلك فان النهي عن الشي لا يدل على كون المنهي عنه
فاعلا للمنهي عنه كقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين وقوله لئن اشركت ليحبطن
عملك والثاني فيه انه اخذ براس اخيه يجره اليه وهذا القدر لا يدل على الاستخفاف
به بل قد يفعل ذلك لساير الاغراض على ما بيناه ولقايل ان يقول ان قول موسى
عليه السلام ما منعك الا تتبعني افعصيت امري يدل على انه امره بشي فكيف يحسن في جوابه
ان يقال انما لم امتثل قولك خوفا من ان يقول لم ترقب قولي فهل يجوز مثل هذا
الكلام على العاقل والجواب لعل موسى عليه السلام انما امره بالذهاب اليه بشرط
ان لا يودي ذلك الى فساد في القوم فلما قال موسى ما منعك ان لا تتبعني قال لانك
انما امرتني باتباعك اذا لم يحصل الفساد فلو جيتك مع حصول الفساد ما كنت مراقبا
لقولك قال الامام ابو القسم الانصاري الهداية انفع من الدلالة فان السحرة
كانوا اجابوا الى الايمان وما راوا الا اية واحدة فامنوا وتحملوا العذاب الشديد في
الدنيا ولم يرجعوا عن الايمان واما قوله فانهم راوا انفراق البحر اثني عشر طريقا
انقلاب العصا حية وانه التقم كل ما جمعه السحرة ثم عاد عصا واعتراف السحرة بان ذلك
ليس بسحر وانه امر الهي وراوا الايات التسع مدة ثم راوا انفراق البحر اثني عشر
طريقا وان الله تعالى انجاهم من الغرق واهلك اعداهم مع كثرة عددهم ثم ان هولا مع
ما شاهدوا من هذه الايات كما خرجوا من البحر وراوا قوما يعبدون البقر قالوا اجعل
لنا الها كما لهم الهة ولما سمعوا صوتا من العجل عكفوا على عبادته وذلك يدل على انه لا يحصل
الغرض بالدلايل بل بالهداية قرا حمزة والكسائي يا ابن ام بكسر الميم للاضافة ودلت

كسرة الميم على التا والباقون بالفتح وتقديره يا ابن اماه والله اعلم

قوله تعالى قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت نفسي قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شي علما

اعلم ان موسى عليه السلام لما فرغ من مخاطبة هرون وعرف العذر له في التاخر اقبل على السامري ويجوز ان يكون كان بعيدا ثم حضر السامري بعد ذلك او ذهب اليه موسى ليخاطبه فقال موسى ما خطبك يا سامري والخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيا ما خطبك اي ما طلبك له والغرض منه الانكار عليه وتعظيم صنيعه ثم ذكر السامري عذره في ذلك فقال ابصرت بما لم تبصروا به وفيه مسايل المسيلة الاولى قرى بصرت بما لم يبصروا به بالكسر وقرا حمزة والكسائي بما لم تبصروا بالتا المعجمة من فوق والباقون بالياء اي بما لم يبصروا به بنوا اسرايل المسيلة الثانية في الابصار قولان قال ابو عبيدة علمت بما لم يعلموا به ومنه قولهم رجل بصير اي عالم وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه وقال الزجاج في تقريره ابصرته بمعنى رايته وبصرت به بمعنى صرت به بصيرا عالما وقال اخرون رايت ما لم يروه فقوله بصرت به بمعنى ابصرته واراد انه راى جبريل عليه السلام فاخذ من موضع حافر دابته قبضة من تراب ثم قال فقبضت قبضة من اثر الرسول وفيه مسايل المسيلة الاولى قرا الحسن قبضة بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرى ايضا فقبضت قبضة بضم القاف وهي اسم بالضاد والصاد فالضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع ونظيرهما الخصم والقصم الخا بجميع الفم والقاف بمقدمه قرا ابن مسعود من اثر فرس الرسول المسيلة الثانية عامة المفسرين قالوا المراد بالرسول جبريل عليه السلام واراد تاثره التراب الذي اخذه من موضع حافر دابته ثم اختلفوا انه متى راه فقال الاكثرون انما راه يوم فلق البحر وعن علي عليه السلام ان جبريل عليه السلام ليذهب بموسى عليه السلام الى الطور ابصره السامري كيف اختص برويه جبريل عليه السلام ومعرفته من بين ساير الناس فقال ابن عباس في رواية الكلبي انما عرفه لانه رباه في صغره وحفظه من القتل حين امر فرعون بذبح اولاد بني اسرايل وكانت المراة تلد وتطرح ولدها حيث لا يشعر به ال فرعون فتاخذ الملايكة

الولدان فيروتهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري ممن اخذه جبريل عليه السلام وجعل كفه بفيه وارتضع منه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه فلما راه عرفه قال ابن جريج فعلى هذا قوله بصرت بما لم يبصروا به رايت ما لم يروه ومن فسر الكل بالعلم فهو صحيح ويكون المعنى علمت ان تراب فرس جبريل خاصيته الاحيا قال ابو مسلم الاصفهاني ليس في القران تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون فها هنا وجه اخر وهو ان يكون المراد بالرسول موسى وتاثره سنته ورسمه الذي امر به فقد يقول الرجل فلان يقفوا اثر فلان ويقتص اثره اذا كان يمثل رسمه والتقدير ان موسى عليه لما اقبل على السامري باللوم والمسيلة عن الامر الذي دعاه الى اضلال القوم في باب العجل فقال بصرت بما لم يبصروا به اي عرفت ان الذي انتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضة من اثرك ايها الرسول اي شيا من سنتك ودينك فقذفته اي طرحته فعند ذلك اعلمه موسى عليه السلام بما له من العذاب في الاخرة وانما اورد بلفظ الاخبار عن غايب كما يقول الرجل ارسيه وهو مواجه له ما يقول الامير في كذا وبماذا يامر واما ادعاوه موسى عليه السلام رسولا مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله تعالى عنه قوله يا ايها الذي نزل عليك الذكر انك لمجنون وان لم يومنوا بالانزال واعلم ان هذا القول الذي ذكره ابو مسلم ليس فيه الا مخالفة المفسرين ولكنه اقرب الى التحقيق لوجوه احدها ان جبريل عليه السلام ليس بمشهور باسم الرسول ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى يجعل لام التعريف اشارة اليه واطلاق لفظ الرسول والمراد جبريل عليه السلام تكليف بعلم الغيب وثانيها انه لا بد فيه من التعنيف في بيان السامري كيف اختص من بين جميع الناس برويه جبريل ومعرفته ثم كيف عرف ان التراب حافر فرسه هذا الاثر والذي ذكره من ان جبريل عليه السلام هو الذي رباه فبعيد لان السامري ان عرف ان جبريل حال كمال عقله عرف قطعا ان موسى عليه السلام نبي صادق فكيف يحاول الاضلال واذا كان ما عرفه حال البلوغ فاي منفعة في كون جبريل عليه السلام مربيا له حال الطفولية في حصول تلك المعرفة ورابعها انه اجاز اطلاع بعض الكفرة على ثواب هذا شانه لكان لقايل ان يقول فلعل موسى عليه السلام اطلع على شي اخر يشبه ذلك فلاجله اتى بالمعجزات لاختصاصهم بمعرفة بعض الارويه التي لها خاصية ان يفيد حصول تلك المعجزة وحينيذ ينسد باب المعجزات بالكلية اما قوله وكذلك سولت نفسي والمعنى فعلت ما دعتني اليه نفسي وسولت ماخوذ من السوال والمعنى لم يدعني الى فعله غيري بل اتبعت هواي فيه ثم ان موسى عليه السلام لما سمع من السامري اجابه بان بين حاله في الدنيا وفي الاخرة وبين حال الهه اما حاله في الدنيا فقوله فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس وثانيها ان المراد بقوله فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس وفيه وجوه

احدها اني لا امس ولا امس قالوا واذا مسه احد حم الماس والممسوس وكان اذا راى
احدا ان يمسه صاح خوفا من الحمى وقال لا مساس وثانيها ان المراد بقوله لا مساس المنع
من ان يخالط احدا او يخالطه احد وقال مقاتل ان موسى عليه السلام اخرجه من محلة بني
اسرائيل وقال له اخرج انت واهلك فخرج طريدا الى البراري فاعترض الواحدي
عليه فقال الرجل اذا صار مهجورا فلا يقول هو لا مساس انما يقال له ذلك وهذا الاعتراض
ضعيف لان الرجل اذا بقي طريدا مهجورا فاذا قيل له كيف حالك فله ان يقول لا
مساس اي لا يماسني احد ولا اماس احدا والمعنى ان ذلك يا سامري في المطرودية
بحيث لو اردت تخبر عنك عن حالك لم يقل الا لا مساس وهذا الوجه اقرب
الى نظم الكلام من الاول وثالثها ما ذكره ابو مسلم وهو انه يجوز في جملة ما ذكر من امر
السامري وتعذيب الله اياه انقطاع نسله فلا يكون له ولد يونسه فيخليه الله تعالى
من زينتي الدنيا اللتين ذكرهما الله بقوله المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقرئ
لا مساس بوزن فجار وهو اسم علم المرة الواحدة من المس واما شرح حاله
في الاخرة فهو قوله وان لك موعدا لن تخلفه والموعد بمعنى الوعد اي هذه عقوبتك
في الدنيا ثم لك الوعد بالمصير الى عذاب الاخرة فانت ممن خسر الدنيا والاخرة وذلك
هو الخسران المبين قرا اهل المدينة والكوفة لن تخلفه بفتح اللام اي لن تخلف ذلك الوعد
اي سياتيك به الله ولن يتاخر عليك وقرا ابن كثير وابو عمرو والحسين بكسر اللام اي يجي اليه
ولن يغيب عنه ولن يخلف عنه وفتح اللام اختيار ابو عبيد كانه قال موعدا حقا
لا خلف فيه وعن ابن مسعود لن تخلفه بالنون وكانه عليه السلام حكى قول الله تعالى
بلفظه كما مر بيانه في قوله لاهب لك واما شرح حال الهه وهو قوله
وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا قال المفضل في ظلت انه يقرا بفتح الظا
وكسرها وكذلك فظلتم تفكهون واصله ظللت فحذف اللام الاولى وذلك انما يكون اذا
كانت اللام ساقطة ونقلت حركتها اليها ومن فتحها ترك الظا على حالها وكذلك فظلتم
تفكهون واصله ظللت فحذف اللام الاولى وذلك انما يكون اذا كانت اللام ساقطة
يفعلون في المضاعف يقولون مسسته ومسيسته ثم قال لنحرقنه ثم لننسفنه
في اليم نسفا وفي قوله لنحرقنه وجهان احدهما المراد احراقه بالنار وهذا احد
ما يدل على انه صار لحما ودما لان الذهب لا يمكن احراقه بالنار وقال
السدي امر موسى عليه السلام بذبح العجل فذبح فسال منه الدم ثم احرق
ثم نسف رماده وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه الثاني لنحرقنه اي لنبردنه
بالمبرد يقال حرقه يحرقه اذا برده وهذه القراءة يدل على انه لم ينقلب لحما ولا دما
فان ذلك لا يصح ان يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال انه صار لحما فذبح ثم بردت عظامه
بالمبرد حتى صارت بحيث يمكن نسفها بضم النون وتشديد الرا ومعناه لنحرقنه بالنار

وقرا

وقرا ابو جعفر وابن محيصن لنحرقنه بفتح النون وضم الرا خفيفة يعني لنبردنه
واعلم ان موسى عليه السلام لما فرغ من ابطال ما ذهب اليه السامري اقبل
الى بيان الدين الحق فقال انما الهكم الله اي المستحق للعبادة والتعظيم هو الله الذي
لا اله الا هو وسع كل شي علما قال مقاتل يعلم من يعبده ومن لا يعبده قوله
تعالى كذلك نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك
ما قد سبق وقد اتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه
يحمل يوم القيمة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا يوم
ينفخ في الصور ونحن المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان
لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان
لبثتم الا يوما اعلم انه تعالى لما شرح قصة موسى عليه السلام مع فرعون
اولا ثم مع السامري ثانيا اتبعه بقوله كذلك نقص عليك من ساير اخبار الامم
واحوالهم تكبيرا لشانك وزيادة في معجزاتك ولتكثر الاعتبار والاستبصار للمكلفين
بما في الدين وقد اتيناك من لدنا ذكرا يعني القران كما قال وهو لذكر انه
لك ولقومك اعلم انه تعالى سمى كل كتبه ذكرا فقال فسئلوا اهل الذكر
وكما بين نعمته بذلك بين شدة الوعيد فيمن اعرض عنه ولم يومن به من وجوه
اولها قوله من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا والوزر هي العقوبة الثقيلة
سماها وزرا بسببها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يثقل على الحامل
وينقص ظهره او لانها جزا الوزر وهو الاثم وقرئ نحمل ثم بين تعالى صفة ذلك
الوزر من وجهين احدهما ان يكون مخلدا مويدا والثاني قوله وساء لهم يوم القيمة
حملا اي وما اسوا هذا الوزر حملا اي محمولا وحملا منصوب على التمييز وثانيها
قوله يوم ينفخ في الصور والمراد بيان يوم القيمة هو يوم ينفخ في الصور وفيه
مسايل المسئلة الاولى قرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله قرا ابو عمرو بفتح
النون كقوله ونحشر وقرا الباقون ينفخ على ما لم يسم فاعله ونحشر بالنون لان
النافخ ملك التقم الصور والحاشر هو الله وقرا قوم ينفخ ويحشر بالياء على الغيبة والضمير
لله تعالى او لاسرافيل عليه السلام فاما نحشر المجرمون فلم يقرا به الا الحسن وقرئ
في الصور بفتح الواو جمع صورة المسئلة الثانية في الصور قولان احدهما
قرن ينفخ فيه يدعا به الناس للحشر والثاني انه جمع صورة والنفخ نفخ الروح فيه
ويدل عليه قراءة من قرا بفتح بفتح الواو والاول اولى لقوله تعالى
فاذا نقر في الناقور والله تعالى يعرف الناس امور الاخرة بامثال ما شوهد في
الدنيا من عادة الناس بالنفخ في البوق عند الاسفار وفي العسكر المسئلة
الثالثة المراد من هذا النفخ هو النفخة الثانية قوله تعالى بعد ذلك ونحشر

المجرمين يومئذ زرقا فالكلام الدلالة على ان النفخ في الصور كالسبب لحشرهم فهو نظير
قوله يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا الصفة الثانية ونحشر المجرمين يومئذ
زرقا ففيه مسايل المسئلة الاولى قالت المعتزلة المجرمين يتناول الكفار
والعصاة فيدل على عدم العفو عن العصاة وقال ابن عباس يريد بالمجرمين الذين
اتخذوا مع الله الها اخر وقد تقدم هذا الكلام المسئلة الثانية اختلفوا في
المراد بالزرقة على وجوه احدها قال الضحاك ومقاتل يعني زرق العيون
سود الوجوه وهي زرقة يشوه بها خلقهم والعرب تتشاءم بذلك فان قيل اليس ان
الله تعالى اخبر انهم يحشرون عميا فكيف يكون اعمى وازرق قلنا لعله يكون اعمى في
حال وازرق في حال وثانيها المراد من الزرقة العمى قال الكلبي زرقا
اي عميا قال الزجاج يخرجون نضرا في اول مرة ويعمون في المحشر وسواد العين
اذا ذهب يزرق فان قيل كيف يكون اعمى وقد قال تعالى انما يؤخرهم ليوم
تشخص فيه الابصار وشخوص البصر من الاعمى محال وقال في حقهم اقرا كتابك والاعمى
كيف يقرا وثالثها قال ابو مسلم المراد بهذه الزرقة شخوص ابصارهم والازرق
شاخص فانه لضعف بصره يكون محدقا نحو الشي يريد ان يثبته وهذه حالة
الخايف المتوقع لما يكره وهو قوله انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ورابعها
زرقا عطاشا هكذا رواه ثعلب عن ابن الاعرابي قال لانهم من شدة العطش يتغير
سواد اعينهم حتى تزرق ويدل على هذا التفسير قوله تعالى ونسوق المجرمين
الى جهنم وردا وخامسها حكى ثعلب عن ابن الاعرابي قال طامعين فيما لا ينالونه
الصفة الثانية اختلفوا في ان المراد بقوله ان لبثتم الا عشرا وفيه مسايل
المسئلة الاولى يتخافتون اي يتساورون يقال خفت وخافت مخافتة والتخافت
السرار وهو نظير قوله فلا تسمع الا همسا وانما يتخافتون لانه امتلات صدورهم
من الرعب او لانهم صاروا بسبب الخوف في نهاية الضعف فلا يطيقون الجهار
المسئلة الثانية اختلفوا في ان المراد بقوله ان لبثتم هل اللبث في الدنيا او في
القبر فقال قوم ارادوا به اللبث في الدنيا وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك واحتجوا
عليه بقوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
قيل العادين كان قيل اما ان يقال لهم نسوا قدر لبثهم في الدنيا او ما نسوا ذلك
والاول غير جايز اذ لو جاز ذلك لجاز ان يبقى الانسان خمسين سنة في بلد ثم ينساه والثاني
غير جايز لانه كذب واهل الاخرة لا يكذبون لا سيما وهذا الكذب لا فايدة فيه
قلنا فيه وجوه احدها لعلهم اذا حشروا في اول الامر وعاينوا تلك الاهوال
فلشدة وقعها عليهم ذهلوا عن مقدار عمرهم في الدنيا وما يذكروا الا القليل فقالوا
لبثنا اي عشنا تلك الايام القليلة في الدنيا حتى لا يقع في هذه الاهوال والانسان

عند الهول الشديد وقد يذهل عن اظهر الاشيا وتمام تقريره مذكور في سورة
الانعام في قوله لم يكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وثانيها
انهم عالمون بمقدار عمرهم في الدنيا الا انهم لما قابلوا اعمارهم في الدنيا باعمار الاخرة وجدوها
نهاية القلة فقال بعضهم ما لبثنا في الدنيا الا عشرة ايام وقال اعقلهم بل ما لبثنا
الا يوما واحدا اي قدر لبثنا في الدنيا بالقياس الى قدر لبثنا في الاخرة كعشرة ايام
بل كاليوم الواحد بل كالعدم وانما خص العشرة والواحد بالذكر لان التقليل
في امثال هذه المواضع لا يعبر عنه الا بالعشرة والواحد وثالثها
انهم لما عاينوا الشدايد تذكروا ايام النعمة والسرور وتاسفوا عليها فوصفوها بالقصر
لان ايام السرور قصار ورابعها ان ايام الدنيا قد انقضت وايام الاخرة مستقبلة
والذاهب وان طالت مدته قليلة بالقياس الى الاتي وان قصرت مدته فكيف
والامر بالعكس ولهذه الوجوه رجح الله قول من بالغ في القليل فكيف يقول امثلتهم طريقة
ان لبثتم الا يوما القول الثاني المراد منه اللبث في القبر ويقصده قوله
تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون
وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فاما
من جوز الكذب على اهل القيمة فلا اشكال له في الاية اما من لم يجوزه فقال
ان الله تعالى لما احياهم في القبر وعذبهم ثم اماتهم ثم بعثهم يوم القيمة لم يعرفوا
ان قدر لبثهم في القبر كم كان فخطر ببال بعضهم انهم في تقدير عشرة ايام وببال
اخرين انه يوم واحد فلما وقعوا في العذاب مرة اخرى تمنوا زمان الموت الذي هو زمان
الخلاص واستقلوه لما نالهم من هول العذاب المسئلة الثالثة الاكثرون على
ان قوله الا عشرا عشرة ايام فيكون قول من قال ان لبثتم الا يوما يكون اقل وقال
مقاتل ان لبثتم الا عشر ساعات كقوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او
ضحاها وعلى هذا التقدير يكون اليوم اكثر واعلم ان الله سبحانه وتعالى بين بهذا
عظيم ما نالهم من الحيرة التي دفعوا عندها الى هذا الجنس من التخافت قوله
تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي لا
عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يومئذ لا
تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت
الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما اعلم انه تعالى لما وصف امر
يوم القيمة حكى سوال من لا يؤمن بالحشر فقال ويسالونك عن الجبال وفي تقرير

هذا السوال وجوه احدها ان قوله يتخافتون وصف من الله تعالى لكل المجرمين
بذلك فكانهم قالوا كيف يصح ذلك والجبال حايله ومانعه من هذا التخافت وثانيها
قال الضحاك نزلت في مشركي مكه قالوا يا محمد كيف يكون الجبال يوم القيمة وكان سوالهم
على سبيل الاستهزا وثالثها لعل قوما قالوا يا محمد انك تدعي ان الدنيا ستقضي
فلو صح ما قلته لوجب ان يبتدا اولا بالنقصان ثم ينتهي الى البطلان لكن احوال
العالم باقيه كما كانت في اول الامر فكيف يصح ما قلته من خراب الدنيا وهذه شبهه تمسك
بها جالينوس في ان السموات لا تفنى قال لانها لو فنيت لابتدات بالنقصان اولا
حتى ينتهي نقصانها الى البطلان فلم لا يظهر منها النقصان علمنا ان القول بالبطلان
باطل ثم امر الله تعالى رسوله بالجواب عن هذا السوال وضم الى الجواب امورا
اخر في شرح احوال القيامة واهوالها الصفة الاولى فقل ينسفها ربي نسفا وفيه
مسايل المسيلة الاولى انما قال فقل مع فا التعقيب لان مقصودهم من هذا
السوال الطعن في الحشر والنشر لا جرم امره بالجواب مقرونا بفا التعقيب لان تاخير
البيان في مثل هذه المسيلة الاصوليه غير جايز اما في المسايل الفروعيه فجايز
فكذلك ذكر هناك قل من غير حرف التعقيب المسيلة الثانية الضمير في قوله
فيذرها عايد الى الارض واستغنى عن تقديم ذكرها لما في عادة الناس من الاخبار
عنها بالاضمار كقولهم ما عليها اكرم من فلان وقال تعالى ما على ظهرها من دابة
وانما قال فيذرها قاعا صفصفا ليبين ان ذلك النسف لا يزيل الاستوا لئلا يقدر
انها لما زالت من موضع الى موضع اخر صارت هناك خاليه هذا كله اذا كان المقصود
من سوالهم الاعتراض على كيفية المحاقبة اما لو كان الغرض من السوال ما
ذكرنا من انه لا نقصان فيها في الحال فوجب ان لا ينتهي امرها الى البطلان
كان تقرير الجواب ان بطلان الشي قد يكون بطلانا ذيوليا فها هنا يجب تقدم النقصان
على البطلان وقد يكون بطلانا يقع دفعة وها هنا لا يجب تقدم البطلان
على النقصان فبين تعالى ان الله يفرق تركيب هذا العالم الجسماني دفعة بقدرته
ومشيته فلا حاجة ها هنا الى تقدم النقصان على البطلان المسيلة
الثالثة انه تعالى وصف الارض ذلك الارض بصفات احدها كونها قاعا وهو
المكان المطمين وقيل مستنقع الما وثانيها الصفصف الذي لا نبات فيه
وقال ابو مسلم القاع الارض الملسا المستوية وكذلك الصفصف وثالثها
قوله لا ترى فيها عوجا قال صاحب الكشاف قد فرقوا بين العوج والعوج
العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان فان قيل الارض من الاعيان فكيف
صح فيها المكسور المعين قلنا اختار هذا اللفظ له موقع بديع في وصف الارض
بالاستوا ونفي الاعوجاج وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض تسويتها وبالغت في

التسوية فاذا قابلتها بالمقاييس الهندسيه وجدت فيها انواعا من العوج خارجه
عن الحس البصري فذلك القدر من الاعوجاج لما لطف جيد الحق بالمعاني فقيل فيه
عوج بالكسر واعلم ان هذه الاية تدل على ان الارض تكون ذلك اليوم كرة خفيفة
لان المضلع لا بد وان يتصل بعض سطوحه بالبعض لا على الاستقامة بل على الاعوجاج
وذلك يبطله ظاهر الاية يدل على ان الارض يكون ذلك اليوم كرة خفيفة لان المضلع
لا بد وان يتصل بعض يكون سطوحه بالبعض لا على الاستقامة بل على الاعوجاج وذلك
يبطله ظاهر الاية ورابعها الامت السوا اليسير يقال قد حيله حتى ما فيه امت
ويحصل من هذه الصفات الاربع ان الارض يكون ذلك اليوم ملسا خاليه من الارتفاع
والانخفاض وانواع الانحراف والاعوجاج الصفة الثالثة ليوم القيمة
يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له اي لا يعدل عن احد دعاوه بل يحشر الكل
الثاني انه ملك قايم على صخرة بيت المقدس ينادي ويقول ايتها العظام النخرة
والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى ربك للحساب والجزا فليست
لهم همة الا صوات الداعي فيتبعونه ويقال انه اسرافيل يضع قدمه على الصخرة
فان قيل هذا الدعا يكون قبل الاحيا او بعده قلنا ان كان المقصود بالدعا
اعلامهم وجب ان يكون ذلك بعد الحيوة لان دعا الميت عبث وان لم يكن المقصود
اعلامهم بل مقصود اخر مثل ان يكون لطفا للملايكة ومصلحة لهم فذلك جايز قبل
الاحيا الصفة الرابعة وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وفيه
وجوه احدها خفية الاصوات من شدة الفزع وخفيت فلا تسمع الا همسا
وهو الذكر الخفي قال ابو مسلم وقد علم الانس والجن ان لا مالك لهم
سواه ولا يسمع لهم صوت يريد على الهمس وهو اخفى الصوت ويكاد ان يكون
كلاما لا يفهم الا بتحريك الشفتين لضعفه وحق لمن كان الله محاسبه ان يخشع طرفه
ويضعف صوته ويختلط قوله ويطول غمه وثانيها قال ابن عباس والحسن
وعكرمة وابن يزيد الهمس وطي الاقدام والمعنى انه لا يسمع الا حقق الاقدام
ونقلها الى المحشر الصفة الخامسة قوله يومئذ لا تنفع الشفاعة
الا شفاعة من اذن له الرحمن ورضي له قولا قال صاحب الكشاف من يصلح ان
يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف
اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على المفعول له
واقول الاحتمال الثاني اولى لوجوه احدها ان الاول يحتاج فيه الى الاضمار
وتغيير الاعراب والثاني لا يحتاج فيه الى ذلك وثانيها ان قوله لا تنفع
الشفاعة يراد به من ينتفع بها والاستثنا يرجع اليهم كانه قال لا تنفع الشفاعة
احدا من الخلق الا شخصا مرضيا وثالثها وهو ان من المعلوم بالضرورة ان درجة

الشافع درجة عظيمة فهي لا تحصل الا لمن اذن الله له فيها وكان عند الله مرضيا فلو حملنا
الاية على ذلك صارت جارية مجرى ايضاح الواضحات وكان ذلك اولى اذا ثبت هذا
فنقول المعتزلة قالوا الفاسق غير مرضي عند الله فوجب ان لا يشفع الرسول في حقه
لان هذه الاية دلت على ان المشفوع فيه لا بد وان يكون مرضيا واعلم ان هذه
الاية من اقوى الدلايل على ثبوت الشفاعة في حق الفساق لان قوله ورضي له قولا
يكفي في صدقه ان يكون الله قد ارتضى قولا واحدا من اقواله وهو شهادة ان
لا اله الا الله فوجب ان يكون الشفاعة نافعة له لان الاستثنا من النفي اثبات فان
قيل انه تعالى استثنى عن ذلك النفي بشرطين احدهما حصول الاذن والثاني
ان يكون قد رضي له قولا فهب ان الفاسق قد حصل فيه احد الشرطين وهو انه
تعالى قد رضي له قولا ولكن لم قلتم انه اذن له وهذا اول المسئلة قلنا
هذا القيد وهو انه رضي له قولا كاف في حصول الاستثنا بدليل قوله ولا
يشفعون الا لمن ارتضى فاكتفى هناك بهذا القيد ودلت هذه الاية على انه
لا بد من الاذن فحصل من مجموعهما انه انما رضي له قولا فقد حصل الاذن في
الشفاعة فاذا حصل القيدان حصل الاستثنا وتم المقصود الصفة
السادسة قوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وفيه
مسايل المسئلة الاولى الضمير في قوله بين ايديهم عايد الى الذين
يتبعون الداعي ومن قال ان قوله لمن اذن له الرحمن المراد به الشافع قال
ذلك الضمير عايد اليه والمعنى لا تنفع شفاعة الملايكة والانبيا الا لمن اذن له
الرحمن في ان يشفع له الملايكة وما كان منه بعد خلقهم المسئلة الثانية ذكروا
في قوله ما بين ايديهم وما خلفهم وجوها احدها قال الكلبي ما بين ايديهم
من امر الاخرة وما خلفهم من امر الدنيا وثانيها قال مجاهد ما بين ايديهم
من امر الدنيا والاعمال وما خلفهم من امر الاخرة والثواب والعقاب وثالثها
قال الضحاك يعلم ما مضى وما بقي ومتى تكون القيامة المسئلة الثالثة
ذكروا في قوله ولا يحيطون به علما وجهين الاول انه تعالى بين انه يعلم
ما بين ايدي العباد وما خلفهم ثم قال ولا يحيطون به علما اي العباد لا يحيطون
بذلك علما والثاني انهم لا يحيطون بالله علما والاول اولى لوجهين احدهما
ان الضمير يجب عوده الى اقرب المذكورات والاقرب هاهنا قوله ما بين ايديهم
وما خلفهم والثاني انه تعالى اورد ذلك مورد الزجر ليعلم ان ساير ما يقدمون
عليه وما يستحقون به من المجازاة معلوم لله تعالى الصفة السادسة
قوله تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومعناه
ان ذلك اليوم تعنوا الوجوه اي تذل ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره

ومن لفظ العنو اخذ والعاني وهو الاسير يقال عنا يعنوا عنوا اذا صار اسيرا وذكر
الوجوه واراد المكلفين انفسهم لان قوله وعنت من صفات الوجوه وهو كقوله
وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية وانما خص الوجوه بالذكر لان الخضوع بها
يتبين وفيها يظهر وتفسير الحي القيوم قد تقدم وروى ابو امامة الباهلي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اطلبوا اسم الله الاعظم من هذه السور الثلث
البقرة وال عمران وطه قال الراوي فوجدنا المشترك في السور الثلاث الله لا
اله الا هو الحي القيوم بين تعالى على وجه التحذير ان ذلك اليوم لا يصح الامتناع مما ينزل
بالمرء من المجازاة وان حاله مخالفة لحال الدنيا التي يختار فيها المعاصي ويمتنع من الطاعات
اما قوله وقد خاب من حمل ظلما فالمراد بالخيبة الحرمان اي حرم الثواب
والمراد من اتى بالظلم ولم يتب عنه واستدلت المعتزلة بهذه الاية في المنع
من العفو فقالوا قوله من حمل ظلما يعم كل ظالم وقد حكم الله فيه بالخيبة
والعفو ينافيه والكلام على عمومات الوعيد قد تقدم مرارا واعلم انه
تعالى شرح احوال القيمة ختم الكلام فيها بشرح احوال المومنين فقال ومن يعمل
من الصالحات وهو مومن فلا يخاف ظلما ولا هضما يعني ومن يعمل شيا من الصالحات والمراد
به الفرايض وكان عمله مقرونا بالايمان وهو كقوله ومن ياته مومنا قد
عمل الصالحات وقوله فلا يخاف في موضع جزم لكونه في موضع جواب
الشرط والتقدير لا يخف ونظيره ومن عاد فينتقم الله منه ومن يومن بربه
فلا يخاف بخسا وقرا ابن كثير فلا يخف على النهي وهو حسن لان المعنى فليامن والنهي
عن الخوف امر بالامن والظلم ان يعاقب لا على جريمة او يمنع من الثواب على الطاعة
والهضم هو ان ينقص من ثوابه والهضم النقيصة ومنه هضيم الكشح اي ضامر
البطن ومنه طلعها هضيم اي لزق بعضها ببعض ومنه انهضم طعامي
وقال ابو مسلم الظلم ان المومن في كلي الامرين قوله تعالى
وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد
لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقران
من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما اعلم ان قوله
وكذلك عطف على قوله كذلك نقص ومثل ذلك الانزال وعلى نهجه انزلنا القران
كله ثم وصف القران بامرين احدهما كونه عربيا ليفهمه العرب فيقفوا على اعجازه
ونظمه وخروجه من جنس كلام البشر الثاني قوله وصرفنا فيه من الوعيد اي كررناه
وفصلناه ويدخل تحت الوعيد بيان الفرايض والمحارم لان الوعيد بهما معلق وتقريره
يقتضي بيان الاحكام فلذلك قال لعلهم يتقون والمراد ابقا المحرمات وترك
الواجبات ولفظ لعل تقدم تفسيره في سورة البقرة في قوله والذين من قبلكم

لاجل

اولكم تتقون اما قوله ويحدث لهم ذكرا ففيه وجوه الاول ان يكون المعنى انما
انزلنا القران ان تصيروا متقين محترزين عما لا ينبغي او يحدث القران لكم ذكرا يدعوكم
الى الطاعات وفعل ما ينبغي وعليه سوالات الاول القران كيف يكون محدثا للذكر
والجواب لما حصل الذكر عند قراته اضيف اليه السوال الثاني كيف
اضيف الذكر الى القران وما اضيف التقوى اليه الجواب ان التقوى عبارة عن ان
لا يفعل القبيح وذلك استمرار على العدم الاصلي فلم يجز اسناده الى القران اما
حدوث الذكر فامر حدث بعد ان لم يكن فحسن اضافته الى القران السوال الثالث
كلمة او للمنافاة ولا منافاة بين التقوى وحدوث الذكر بل لا يصح الابقاء الا مع الذكر فما
معنى كلمة او الجواب هذا كقوله جالس الحسن او ابن سيرين اي لا يكن خاليا
منهما فكذا هاهنا الوجه الثاني ان يقال انزلنا القران لتتقوا فان لم
يحصل ذلك فلا اقل من ان يحدث القران لهم ذكرا وشرفا وصيتا حسنا فعلى كل التقديرين
يكون انزاله نفعا ثم انه سبحانه لما عظم امر القران اردفه بان عظم نفسه
فقال تعالى الله الملك الحق تنبيها على ما يلزم خلقه من تعظيمه وانما وصفه
بالحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره اولى به
فلهذا وصف بذلك وتعالى تفاعل من العلو وقد ثبت ان علوه وعظمته وفوقيته
بمعنى واحد وهو اتصافه بنعوت الجلال وانه لا يكيفه ولا يقدره العقول
وهو منزه عن المنافع والمضار وهو تعالى انما انزل القران ليحترزوا عما لا ينبغي او
ليقدموا على ما ينبغي وهو انه تعالى منزه عن التجمل بطاعاتهم والتضرر بمعاصيهم
فالطاعات انما تقع بتوفيقه وتيسيره والمعاصي انما تقع بخذلانه وكل ميسر لما خلق له
اما قوله ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه فيه مسيلتان المسيلة
الاولى في تعليقه بما قبله وجهان الاول قال ابو مسلم ان من قوله ويسالونك
عن الجبال الى هاهنا يتم الكلام وينقطع ثم قوله ولا تعجل بالقران خطاب مستانف
فكانه قال ويسالونك ولا تعجل بالقران الثاني روي انه عليه السلام كان يخاف
من ان يفوته فيقرا مع الملك فامره بان يسكت حال قراة الملك وينقطع ثم
قوله ولا تعجل بالقران وياخذ بعد فراغه في القراة فكانه تعالى لما شرح كيفية
نفع القران للمكلفين وبين انه سبحانه وتعالى عن كل ما لا ينبغي موصوف بالاحسان
والرحمة فمن كان كذلك وجب ان يصون نفسه عن السهو والنسيان في امر الوحي واذا
حصل الامان لك عن السهو والنسيان فلا تعجل في القراة المسيلة الثانية
قوله ولا تعجل بالقران اي بالقراة يحتمل ان يكون ولا تعجل بقراته في نفسك ويحتمل
لا تعجل في تاديته الى غيرك ويحتمل في اعتقاد ظاهره ويحتمل في تعريف الغير ما يقتضيه
ظاهره واما قوله من قبل ان يقضى اليك وحيه فيحتمل ان يكون المراد من

قبل

من قبل ان يقضى اليك بتمامه ويحتمل ان يكون المراد من قبل ان يقضى اليك بتمامه
او بيانه او هما جميعا لانه يجب التوقف في معنى الكلام ما لم يات عليه الفراغ
لما يجوز ان يحصل عقيبه من استثنا او شرط او غيرهما من المخصصات فهذا
هو التحقيق في تفسير الاية ولنذكر اقوال المفسرين احدها ان هذا كقوله
لا تحرك به لسانك لتعجل به فكان عليه السلام لحرصه على اخذ القران من جبريل
عليه السلام تعجل بقراته قبل استتمام جبريل عليه السلام مخافة النسيان فقيل لا
تعجل به الى ان يستتم وحيه فيكون اخذك اياه على تثبت وسكون والله تعالى يزيدك
فهما وعلما هذا قول مقاتل والسدي ورواية عطا عن ابن عباس وثانيها
ولا تعجل بالقران فتقراه على اصحابك قبل ان يوحى اليك بيان معانيه هذا قول مجاهد
وقتادة وثالثها قال الضحاك ان اهل مكة واسقف نجران قالوا يا محمد اخبرنا
عن كذا وكذا قد ضربنا لك اجلا ثلاثة ايام فابطا الوحي عليه وفشا المقالة
ان اليهود قد غلبوا محمدا فانزل الله هذه الاية ولا تعجل بالقران اي بنزوله
من قبل ان يقضى اليك وحيه من اللوح المحفوظ الى اسرافيل ومنه الى جبريل
ومنه اليك وقل رب زدني علما ورابعها عن الحسن ان امراة اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي لطم وجهي فقال بينكما القصاص فنزل
ولا تعجل بالقران فامسك عليه السلام حتى نزل الرجال قوامون على النسا وهذا
بعيد والاعتماد على التفصيل الاول والله اعلم اما قوله وقل رب زدني
علما فالمعنى انه سبحانه امره بالفزع الى الله في زيادة العلم التي بتمام القران او ببيان
ما نزل عليه المسيلة الثالثة الاستعجال الذي نهي عنه ان كان فعله بالوحي
فكيف نهي عنه وان كان ما فعله بالوحي فيكون قد اخطا قلنا بل فعله بالاجتهاد
وكان الاولى تركه فلهذا نهي عنه قوله تعالى ولقد عهدنا
الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما واذ قلنا للملايكة
اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك
ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها
ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى
اعلم ان هذا هو المرة الخامسة من قصة ادم في القران اولها في البقرة ثم في
الاعراف ثم في الحجر ثم في الكهف ثم هاهنا واعلم ان في تعلق هذه الاية
بما قبلها وجوها احدها انه تعالى لما قال كذلك نقص عليك من انبا ما
قد سبق ثم انه عظم امر القران وبالغ فيه ذكر هذه القصة انجازا للوعد في قوله
كذلك نقص عليك من انبا ما قد سبق وثانيها لما قال وصرفنا فيه من الوعيد
لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا اردفه بقصة ادم عليه السلام كانه قال ان طاعة بني

ادم للشيطان وتركهم التحفظ من وساوسه امر قديم فانا عهدنا الى ادم من قبل
هولا الذين صرفنا لهم الوعيد وبالغنا في تنبيهه حيث قلنا له ان هذا عدو
لك ولزوجك ثم انه مع ذلك نسي وترك ذلك العهد فامر البشر في ترك التحفظ
امر قديم وثالثها انه لما قال لمحمد وقل رب زدني علما ذكر بعد قصة
ادم عليه السلام فانه بعد ما عهد اليه وبالغ في تحذيره من العدو نسي فدل ذلك
على ضعف القوة البشرية عن الحفظ فيحتاج حينئذ الى الاستعانة بربه
في ان يوفقه في تحصيل العلم ويجتنبه السهو والنسيان ورابعها ان محمدا
عليه السلام لما قيل له فلا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه دل
على انه كان في الجد في امر الدين بحيث زاد على امر الواجب فلما وصفه بالافراط
وصف ادم بالتفريط في ذلك فانه تساهل في ذلك ولم يتحفظ حتى نسي فوصف
الاول بالتفريط والاخر بالافراط ليعلم ان البشر لا ينفك عن نوع زلة
وخامسها ان محمدا لما قيل له ولا تعجل ضاق قلبه وقال في نفسه لولا
اني اقدمت على ما لا ينبغي للتساهل وترك التحفظ لكان امري احسن من امره
اما قوله ولقد عهدنا الى ادم ولا يتك ان المراد بالعهد امر من امر الله تعالى
او نهي عنه ويقال في اوامر الملوك ووصاياهم اشار الملك اليه وعهد اليه
قال المفسرون عهدنا اليه ان لا ياكل منها من الشجرة ولا يقربها ومن قيل فيه
وجوه احدها من قبل هولا الذين صرفنا لهم الوعيد في القران وثانيها
قال ابن عباس من قبل ان ياكل من الشجرة عهدنا اليه ان لا ياكل منها وثالثها
اي من قبل محمد عليه السلام وهو قول الحسن اما قوله فنسي فقد تكلمنا
فيه على سبيل الاستقصا في سورة البقرة ونعيدها هنا منه شيا قليلا وفي
النسيان قولان احدهما ما هو نقيض الذكر فانما عوتب على ترك التحفظ والمبالغة
في الضبط حتى تولد منه النسيان وكان الحسن رحمه الله يقول والله ما عصى قط
الا بنسيان والثاني ان يراد بالنسيان الترك وانه ترك ما عهد اليه من الاحتراز
عن الشجرة واكل ثمرتها وقرى فنسي اي نساه الشيطان وعلى هذا التقدير يحتمل
ان يقال اقدم على المعصية من غير تاويل وان يقال اقدم عليها مع التاويل
والكلام فيه تقدم في سورة البقرة واما قوله ولم نجد له عزما فيه ابحاث
البحث الاول الوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم فيكون التقدير وما علمنا
له عزما وان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما الثاني العزم
هو التصميم والتصلب ثم قوله ولم نجد له عزما يحتمل ولم نجد له عزما على
المقام فيكون الى المدح اقرب ويحتمل ان يكون المراد ولم نجد له عزما على ترك
المعصية او لم نجد له عزما على الاحتياط في كيفية الاجتهاد اذا قلنا انه عليه

السلام

عليه السلام اخطا بالاجتهاد اما قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس فهذا اشتمل على مسايل احدها ان المامورين كل الملائكة
او بعضهم وثانيها انه معنى السجود وثالثها ان ابليس كان من الملائكة ام لا
وان لم يكن فكيف يصح الاستثنا وباي امر صار مامورا بالسجود ورابعها ان
هذا يدل على ان ادم افضل من محمد عليه السلام وخامسها ان قوله في
صفة ابليس اي كيف يلزم الكفر من ذلك الاباء وانه هل كان كافرا ابدا وانما
كفر بسبب ذلك واعلم ان هذه المسايل مرت على سبيل الاستقصا في سورة
البقرة اما قوله فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من
الجنة فتشقى فيه سوالات الاول ما سبب تلك العداوة الجواب من وجوه
احدها ان ابليس كان حسودا فلما راى اثار نعم الله تعالى في حق ادم حسده فصار
عدوا له وثانيها ان ادم كان شابا عالما لقوله وعلم ادم الاسما كلها وابليس
كان شيخا جاهلا لانه اثبت فضله اصله وذلك جهل والشيخ الجاهل ابدا يكون
عدوا للشاب العالم وثالثها ان ابليس مخلوق من النار وادم مخلوق من الطين
فبين اصليهما عداوة فبقيت تلك العداوة السوال الثاني لم قال فلا
يخرجنكما من الجنة والمخرج لهما هو الله الجواب لما كان ابليس بوسوسته هو الذي
فعل ما ترتب عليه الخروج صح ذلك السوال الثالث لم اسند الى ادم
وحده فعل الشقا دون حوا بعد اشتراكهما في الخروج الجواب من وجهين احدهما
ان في ضمن شقا الرجل وهو قيم اهله وامرهم شقاوهم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم
واختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على المفاضلة الثاني اراد بالشقا
التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المراة وروي اهبط الى ادم ثور احمر
وكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه اما قوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى
وانك لا تظما فيها ولا تضحى فيه مسيلتان المسيلة الاولى وقرى وانك بالفتح
والكسر ووجه الفتح على العطف على ان لا تجوع فان قيل ان ان لا يدخل على ان فلا
يقال ان زيدا منطلق والواو نايبة عن ان وقايمة مقامها فلم ادخلت عليها قلنا
الواو لم توضع لتكون نايبة عن ان انما هي نايبة عن كل عامل فلما لم يكن حرفا موضوعا
للتحقيق خاصة لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع ان وان المسيلة الثانية السبع
والري والكسوة والكن هي الاقطاب التي يدور عليها امر الانسان فذكر الله حصول
هذه الاشيا له في الجنة من غير حاجة الى الكسب والطلب وذكرها بلفظ النفي
لاضدادها التي هي الجوع والعري والظما والضحى اسمعه اسامي اصناف الشقوة
فحذره منها حتى يبالغ في الاحتراز عن السبب الذي يوقعه فيها وهذه الاشيا كلها
تفسير الشقا المذكور في قوله فتشقى قوله تعالى

فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد
وملك لا يبلى ۝ فاكلا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الشجرة وعصى ادم ربه فغوى ۝
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى اعلم انه سبحانه بين انه عظم
ادم عليه السلام بان جعله مسجود الملائكة وبين انه عرفه عداوة ابليس
له ولزوجه وانه بعداوته يغر ويدعوا الى المعصية التي اذا وقعت زالت
تلك النعم باسرها ثم انه مع كل ذلك اتفق منه ومن حوا من الاقدام على الزلة
والبحث ما روي عن ابي امامة لو ان احلام بني ادم الى قيام الساعة
وضعت في كفة ميزان ووضع حلم في الاخرى لرجح حلمه باحلامهم ولكن المكافحة
مع قضا الله ممتنعة وواقعة ادم عجيبة وذلك لان الله تعالى رغبه في دوام
الراحة وانتظام المعيشة بقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا
تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى ورغبه ابليس في دوام الرحمة
بقوله ادلكما على شجرة الخلد وفي انتظام المعيشة بقوله وملك لا يبلى وكان
الشي الذي رغب الله ادم فيه هو الذي رغبه ابليس فيه الا ان الله تعالى اوقف ذلك
على الاحراز عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها ثم ان ادم مع كمال
عقله بان الله مولاه وناصره ومربيه واعلمه بان ابليس عدو له حيث امتنع من
السجود له وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته كيف قبل في الواقعة الواحدة
والمقصود الواحد قول ابليس مع علمه بكمال عداوته له واعرض عن قول الله مع
علمه بانه الناصر والمربي ومن تامل في هذا الباب طال تعجبه وعرف اخر
الامر ان هذه القصة كالنبه على انه لا دافع لقضا الله ولا مانع منه وان الدليل وان
كان في غاية الظهور ونهاية القوة فانه لا يحصل النفع به الا اذا قضى الله ذلك
وقدره واما قوله فوسوس اليه الشيطان فقد تقدم في سورة البقرة
انه كيف وسوس وبماذا وسوس فان قيل كيف عدي وسوس تارة باللام في
قوله فوسوس لها الشيطان واخرى قلنا وسوس له معناه لاجله وقوله
وسوس اليه معناه انهى اليه الوسوسة لقوله حدث واسر اليه ثم بين ان
تلك الوسوسة كانت بتطميعه في امرين احدهما قوله هل ادلك على شجرة الخلد
اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود اي من اكل من هذه الشجرة دام ملكه قال
القاضي ليس في الظاهر ان ادم قبل منه ذلك بل لو جرت هذه الوسوسة حال كونه
ادم عليه السلام نبيا لاستحال ان يكون ادم عليه السلام قبل منه ذلك لانه لا بد
وان يحصل بين حال التكليف وحال المجازاة فترة بالموت او بالقيمة ولو كان نبيا
امتنع ان لا يعلم ذلك قلنا لا نسلم انه لا بد من حصول هذه الفترة بين حال التكليف

وحال

وحال المجازاة ولم لا يجوز ان يقال لا حاجة الى الفترة اصلا وان كان ولا بد فيكفي
حصول الفترة بغشي او نوم خفيف ثم وان كان ولا بد من حصول الفترة بين حال
بالموت فلم قلت النبي لا بد وان يعلم ذلك اليس قوم منكم يقولون ان موسى انما
سال الرؤية لانه ما كان يعرف امتناعها على الله تعالى فاذا جاز ذلك الجهل ثم
اخر الامر فما الدليل على ان ادم كان نبيا في ذلك الوقت فان من مذهبنا ان
واقعة الزلة انما حصلت على رسالته لا بعدها ثم الذي يدل على ان ادم قبل ذلك
كان نبيا في ذلك الوقت قوله عقيب ذكر الوسوسة فاكلا منها وفا الترتيب تشعر
بالعلية كقولهم زنى ماعز فرجم وسها رسول الله فسجد فان هذه الفا تدل على
ان الرجم كالمسبب للزنا والسجود كالمسبب للسهو فكذلك هاهنا فوجب ان يكون الاكل
كالمعلل باستماع قوله هل ادلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى وانما يحصل هذا
المعلل لو قبل ادم عليه السلام ذلك منه فانه لو رد قوله لما اقبل على الاكل بنا
على قوله فثبت ان ادم عليه السلام قبل ذلك من ابليس ثم انه تعالى بين انهما
لما اكلا بدت لهما سواتهما قال ابن عباس عريا من النور الذي كان الله البسهما حتى
بدت فروجهما وانما جمع وقال سواتهما كما قال صغت قلوبكما فان قيل هل
كان ظهور سواتهما على الجزا على معصيتهما قلنا لا شك ان ذلك كالمعلق على ذلك الاكل
لكن يحتمل ان لا يكون عقابا عليه بل انما بدت لمصلحة اخرى اما قوله وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة وفيه ابحاث البحث الاول قال صاحب
الكشاف طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل واخذ وانشا وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر
فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في الامر وكاد لمشارفته
والدنو منه البحث الثاني قرئ يخصفان للتكثير والتكرم من خصف النعل
وهو ان يخرز اي يلزقان الورق بسواتهما للستر وهو ورق التين اما قوله
وعصى ادم ربه فغوى فمن الناس من تمسك بهذا في صدور الكبيرة عن الانبيا
من وجهين احدهما قوله وعصى ادم ولقوله ومن يعص الله ورسوله
يدخله نارا خالدا فيها ولا معنى لصاحب الكبيرة الا من فعل فعلا يعاقب عليه الثاني
ان الضلالة والغواية اسمان مترادفان لان الغي ضد الرشد ومثل هذا الاسم
لا يتناول الا الفاسق المنهمك في فسقه اجاب قوم عن الكلام الاول فقالوا المعصية
مخالفة الامر والامر قد يكون بالواجب والندب يقولون اشرت عليه في امر
ولده بكذا فعصاني وامرته بشرب الدوا فعصاني واذا كان كذلك لم يمتنع اطلاق
اسم العصيان على ادم لكونه تاركا للواجب بل لكونه تاركا للمندوب واجاب
المستدل على هذا الاعتراض بانا بينا ظاهر القران يدل على ان العاصي يستحق
العقاب والعرف يدل على انه اسم ذم فوجب تخصيص اسم العاصي بتارك الواجب

انه لو كان تارك المندوب عاصيا لوجب وصف الانبياء بانهم عصاة في كل حال
لانهم لا ينفكون من ترك المندوب فان قيل وصف تارك المندوب بانه عاص
مجاز والاصل عدمه اما قوله تعالى اثرت عليه في امر ولده فعصاني وامرته
بشرب الدواء فعصاني قلنا لا نعلم ان هذا الاستعمال مروي عن العرب
ولئن سلمنا ذلك فلعلهم انما يطلقون ذلك اذا حرموا على المشير بانه لا بد وان يفعل
ذلك الفعل وانه لا يجوز الاخلال به وحينئذ يكون معنى الايجاب حاصلا
وان لم تكن الوجوب حاصلا وذلك يدل على ان لفظ العصيان لا يجوز اطلاقه الا عند
تحقق الايجاب لكنا اجمعنا على ان الايجاب من الله يقتضي الوجوب فيلزم ان يكون اطلاق
لفظ العصيان على آدم عليه السلام انما كان لكونه تاركا للواجب ومن الناس من سلم
ان الآية تدل على صدور المعصية منه لكنه زعم ان المعصية كانت من الصغائر
لان الكبائر وهذا قول عامة المعتزلة وهو ايضا ضعيف لانا بينا ان اسم العاصي
اسم الذم ولان ظاهر القرآن يدل على انه يستحق العقاب وذلك لا يليق بالصغيرة
واجاب ابو مسلم الاصفهاني بانه عصى في مصالح الدنيا لا فيما يتصل بالتكاليف
ولذا القول في غوى وهذا ايضا بعيد لان مصالح الدنيا يكون مباحة ومن لم
يفعلها لا يوصف بالعصيان الذي هو اسم الذم ولا يقال لها يغرور وا اما
التمسك بقوله تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فالجواب عنه من وجوه احدها انه تاب من تعليم
الحنطة وذلك لانه لما اكل من تلك الشجرة ليصير ملكه دائما وثانيها قال بعضهم
غوى اي بشم من كثرة الاكل يقال صاحب الكشاف وهذا وان صح على لغة من تقلب
الياء المكسورة الفا نحو في فمي وبقي فتاويقاوهم بنو طي تغيير خبيث واعلم
ان الاولى عندي في هذا الباب والاحتشم للشعب ان يقال هذه الواقعة كانت قبل
النبوة وقد شرحنا ذلك في سورة البقرة وها هنا بحث لا بد منه وهو ان ظاهر
القرآن دل على قوله وعصى فغوى لكن ليس لاحد ان يقول ان آدم كان عاصيا
عاويا ويدل على صحة قولنا امور احدها قال الفسوي يقال لرجل قطع يوما
وخاطه ولا يقال خايط وخاط حتى يكون معاودا لذلك الفعل مرة وغلبة ومعلوم
ان هذه الزلة لم تصدر عن آدم عليه السلام الا مرة واحدة فوجب ان لا يجوز اطلاق
هذا الاسم عليه وثانيها ان على تقدير ان تكون هذه الواقعة بعد النبوة
لم يجز ايضا ان يقال ذلك لانه عليه السلام تاب عنها كما ان الرجل المسلم اذا شرب
خمرا او زنا ثم تاب وحسنت توبته لا يقال له بعد ذلك انه شارب خمر
وزاني وكذا هاهنا وثالثها انه يجوز من الله تعالى ما لم يجز من غيره كما يجوز
السيد في ولده وعبده عند معصيته من اطلاق القول ما لا يجوز لغير السيد
اما قوله ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فالمعنى ثم اصطفاه فتاب

عليه اي عاد عليه بالعفو والمغفرة وهداه ارشده حتى رجع الى الندم والاستغفار
وقبل الله منه ذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو جمع بكا الدنيا
الى بكاء داود كان بكاؤه اكثر ولو جمع كل ذلك الى بكاء نوح كان بكاء نوح اكثر
وانما سمي نوحا لنوحه على نفسه ولو جمع كل ذلك لكان بكاء آدم على خطيئته اكثر قال
وهب لما اكثر بكاء آدم امره الله بان يقول لا اله الا انت سبحانك وبحمدك
عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انت خير الغافرين فقالها آدم بشر قال قل
لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك ارحم الراحمين
بشر قال لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي انك انت
التواب الرحيم فقال ابن عباس هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ٥

قوله تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى اعلم ان
في اول هذه الآية سؤالان وهو ان قوله اهبطا اما ان يكون خطابا
مع اثنين او اكثر فان كان خطابا لشخصين فكيف كان يعد فاما يأتينكم مني
هدى وهو خطاب الجمع وان كان خطابا لاكثر من شخصين فكيف قال اهبطا
وذكروا في جوابه وجوها احدها قال ابو مسلم الخطاب لآدم ومعه
ذريته ولابليس ومعه ذريته فلكونهما جنسين صح قوله اهبطا واجل استعمال
كل واحد من الجنسين على الكثرة صح قوله فاما يأتينكم مني هدى وثانيها
قال صاحب الكشاف لما كان آدم وحواء عليهما السلام اصل البشر والسببين الذين
منهما نفر عوا جعلا كانهما البشر في انفسهما هبوطا محاطبتهم بقوله فاما يأتينكم
على لغة الجماعة اما قوله بعضكم لبعض عدو فقال القاضي يكفي في توفيه
هذا الظاهر حقه ان يكون ابليس والشياطين اعداء الناس والناس اعداء الشياطين
فان اضاف الى ذلك عداوة بعض البشر بعضا ليس عنهم دخول في الكلام وفي قوله
فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي دلالة على ان المراد بالذرية او قد اختلفوا
في الهدى فقال بعضهم قال الرسل وبعضهم قال الآيات والادلة وبعضهم قال
القرآن والتحقيق ان الهدى عبارة عن الدلالة فيدخل فيه كل ذلك وفي قوله
فلا يضل ولا يشقى دلالة على ان المراد بالهدى الذي ضمن الله على اتباعه ذلك
الادلة واتباعها لا تكاليف الايمان يدل عليها وبان يعد بها من هذه حاله وقد
ضمن تعالى له ان لا يضل ولا يشقى في الآخرة وثالثها لا يضل ولا يشقى في الآخرة
لانه تعالى يهديه الى الجنة ويمكنه فيها ورابعها لا يضل ولا يشقى في الدنيا

فان قيل المتبع لهدى الله قد يلحقه الشقا في الدنيا قلنا المراد لا يضل في
في الدين ولا يشقى بسبب الدين فان حصل الشقا بسبب آخر فلا باس ولما وعد الله تعالى
من يتبع الهدى اتبعه بالوعيد فمن اعرض فقال ومن اعرض عن ذكري والذكر
يقع على القران وعلى ساير كتب الله تعالى على ما تقدم بيانه ويحتمل ان يراد به
الادلة فان له معيشة ضنكا والضنك اصله الضيق والشدة وهو مصدر
ثم وصف به فيقال منزل ضنك وعيش ضنك فكانه قال معيشة ذات
ضنك واعلم ان هذا الضنك المتوعد به اما ان يكون في الدنيا او في القبر
او في الاخرة او في الدين اما الاول فقال به جميع المفسرين وذلك ان المسلم
لتوكله على الله يعيش في الدنيا عيشا طيبا كما قال فلنحيينه حياة طيبة والكافر
بالله يكون حريصا على الدنيا طالبا للزيادة ابدا فعيشه ضنك وحاله مظلمة
وايضا فمن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال تعالى
وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون
بايات الله وقال فلو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم
من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض وقال واستغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين
وقال ولو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ما غدقا اما الثاني
وهو عذاب القبر فهذا قول عبد الله بن مسعود وابي سعيد الخدري وعبد الله
بن عباس ورفعه ابو هريرة الى النبي صلى الله عليه وسلم انه عذاب القبر للكافر قال
والذي نفسي بيده انه ليسلط عليه في قبره تسعة وتسعون تنينا قال ابن
عباس نزلت هذه الاية في الاسود بن عبد الله المخزومي والمراد ضغطة القبر
يختلف فيها اضلاعه واما الثالث وهو الضيق في الاخرة في جهنم فان
طعامهم فيها الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا
يحيون هذا قول الحسن وقتادة والكلبي واما الرابع وهو الضيق
في احوال الدين فقال ابن عباس المعيشة الضنك هي ان يضيق عليه ابواب
الخير فلا يهتدي لشي منها سيل الشبلي عن قوله عليه السلام اذا رايتم اهل
البلا هم اهل الغفلات عن الله فعقوبتهم ان يردهم الله الى انفسهم واي معيشة اضيق
واشد من ان يرد الانسان الى نفسه وعن عطية العوفي قال المعيشة الضنك هي
معيشة الكافر لانه غير موقن بالثواب والعقاب واما الخامس وهو ان
يكون المراد بالضيق في كل ذلك او اكثر فروي عن علي رضي الله عنه انه قال
عقوبة المعصية ثلاثة ضيق المعيشة والتقتير في اللذة وان لا يتوصل الى قوته الا بمعصية

الله اما قوله ونحشره يوم القيمة اعمى فيه وجوه احدها هذا مثل قوله
ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الرزق بالعمى ثم انه قال
نحشر بصيرا فاذا سيق الى المحشر عمي والكلام فيه وعليه قد تقدم في قوله رزقا وثانيها
قال مجاهد والضحاك ومقاتل يعني اعمى عن الجنة وهو رواية سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال القاضي هذا القول ضعيف لان في القيمة لا بد ان يعلمهم
الله بطلان ما كانوا عليه حتى يتميز لهم الحق من الباطل ومن هذه حاله لا يوصف بذلك
الا مجازا يراد به انه كان من قبل ذلك ولا يليق بهذا قوله وقد كنت بصيرا
ولم يكن كذلك في حال الدنيا اقول مما يوكد هذا الاعتراض انه تعالى علل ذلك
الاعما بما ان تكلف نسي الدلايل في الدنيا فلو كان العمى الحاصل في الاخرة عين ذلك
النسيان لم يكن للمكلف نسيان ذلك كما انه ما كان له في الدنيا نسيان ذلك الضرر
واعلم ان تحقيق الجواب عن هذا الاعتراض ماخوذ من بحث اخر وهو ان الارواح
الحاصلة في المفارقة عن ابدانها على جهالتها تبقى على تلك الجهالة في الاخرة وان
تلك الجهالة تصير هناك سببا لاعظم الالام الروحانية وبين هذه الطريقة وبين
طريقة القاضي البينة على اصول الاعتزال بون شديد وثالثها قال الجبائي
المراد من حشره اعمى انه لا يهتدي يوم القيمة الى طريق ينال منه خيرا فبقي واقفا
متحيرا كالاعمى الذي لا يهتدي الى شي اما قوله تعالى قال رب لم حشرتني
اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ففي
تقرير هذا الجواب وجهان احدهما انه تعالى انما انزل به العمى جزا على تركه اتباع
الهدى والاعراض عنه والثاني وهو ان الارواح البشرية اذا فارقت ابدانها
جاهلة ضالة عن الاتصال بالروحانيات بقيت على تلك الحالة بعد المفارقة وعطلت
الالام الروحانية فلهذا علل الله تعالى حصول العمى في الاخرة بالاعراض عن الدلايل
في الدنيا ومن فسر المعصية الضنك في الدنيا قال انه تعالى بين ان من اعرض عن
ذكره في الدنيا فله المعيشة الضنك في الدنيا والعمى في الاخرة اما قوله
وكذلك نجزي من اسرف ولم يومن بايات ربه فقد اختلفوا فيه وبعضهم
قال اشرك وكفر وبعضهم قال اسرف في ان عصى الله وقد بين تعالى المراد بذلك
بقوله ومن لم يومن بايات ربه لان ذلك كالتفسير لقوله اسرف وبين
ان يجزي من هذه حاله بما تقدم ذكره من المعيشة الضنك والعمى وبين بعد
ذلك ان عذاب الاخرة اشد وابقى اما الاشد فلعظمه واما الابقى فلانه
غير منقطع قوله تعالى افلم يهد لهم كم اهلكنا
قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي
النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى

فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار
لعلك ترضى ه اعلم انه تعالى لما بين ان من اعرض عن ذكره
كيف يحشر يوم القيمة اتبعه بما يعتبر به المكلف من احوال الواقعة في
الدنيا بمن كذب الرسل فقال افلم يهد لهم بالياء المعجمة ما يتبين من تحتها
وفاعله كقوله كم اهلكنا قال القفال جعل كثرة ما اهلك من القرون مبينا
لهم كما قد يجعل مثل ذلك وعظا لهم وزاجرا وقرا عبد الرحمن السلمي اولم
يهد لهم بالتاء قال الزجاج يعني اولم يتبين لهم بيانا يهتدون به لو تدبروا
وتفكروا اما قوله كم اهلكنا فالمراد به المبالغة في اكثار من اهلكه الله
من القرون الماضية واراد بقوله يمشون في مساكنهم ان قريشا يشاهدون
تلك الايات العظيمة الدالة على ما كانوا عليه من النعيم وما حل بهم من
ضروب الهلاك وللمشاهدة في ذلك من الاعتبار ما ليس لغيرها وبين ان في
ذلك لايات لاولي النهى اي لاهل العقول والاقرب ان للنهى مزية على
العقول ولا يقال الا فيمن له عقل ينتهي به عن القبايح كما ان لقولنا اولوا
العزم والحزم مزية فلذلك قال بعضهم هم اهل الورع واهل التقى ثم
بين تعالى الوجه الذي لاجله لا ينزل العذاب معجلا على من كذب بمحمد عليه السلام
فقال ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى وفيه تقديم وتاخير
والتقدير ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان لزاما ولا شبهة في ان الكلمة
من اخبار الله تعالى ملايكته وكتبه في اللوح المحفوظ ان امة محمد وان كذبوا فسيوخرون
لا يفعل بهم ما يفعل بغيرهم من الاستيصال واختلفوا فيما لاجله لم يفعل ذلك
بامة محمد فقال بعضهم لانه علم ان فيهم من يومن وقال اخرون علم
ان في نسلهم من يومن ولو ترك بهم العذاب لعمهم الهلاك وقال اخرون
المصلحة فيه خفية لا يعلمها الا الله وقال اهل السنة له بحكم المالكية ان
يخص من شا بفضله ويعدله من غير علة اذ لو كان فعله لعلة لكانت تلك العلة
ان كانت قديمة لزمت قدم الفعل وان كانت حادثة افتقرت الى علة اخرى
ولزم التسلسل فلهذا قال اهل التحقيق كل شي صنعه ولا علة لصنعه واما
الاجل المسمى ففيه قولان احدهما ولولا اجل مسمى في الدنيا لذلك العذاب
وهو يوم بدر والثاني ولولا اجل مسمى في الاخرة لذلك العذاب وهذا اقرب
ويكون المراد ولولا كلمة سبقت يتضمن تاخير العذاب الى الاخرة كقوله
بل الساعة موعدهم اكان العقاب لازما لهم فيما يقدمون عليه من تكذيب الرسول
واذيته ثم انه تعالى لما اخبر نبيه انه لا يخترم احدا قبل استيفايه اجله امره

بالصبر فان المراد ان يصبر على ما يكرهه من اقوالهم فيحتمل ان يكون ذلك هو قول
بعضهم انه ساحر ومجنون وشاعر الى غير ذلك ويحتمل ان يكون المراد بتكذيبهم له
فيما يدعيه من النبوة ويحتمل ايضا تركهم القبول منه لان كل ذلك مما يغمه ويوذيه
ورغبه الله تعالى في الصبر وبعثه على الادامة في الدعا الى الله وابلاغ ما حمل
من الرسالة وان لا يكون ما يقدمون عليه صارفا له عن ذلك ثم قال الكلبي
ومقاتل هذه الاية منسوخة باية القتال ثم قال وسبح بحمد ربك وهو
نظير قوله واستعينوا بالصبر والصلاة وفيه مسايل المسيلة
الاولى بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك
عليه المسيلة الثانية انما امر عقيب الصبر بالتسبيح لان ذكر الله تعالى يفيد
السلوة والراحة اذ راحة للمومنين دون لقا الله تعالى المسيلة
الثالثة اختلفوا في التسبيح على وجهين فالاكثرون على ان المراد منه الصلاة
وهولا اختلفوا على ثلاثة اوجه احدها ان الاية تدل على الصلوات الخمس
لا ازيد ولا انقص فقال ابن عباس دخلت الصلوات الخمس فيه قبل
الشمس هو صلاة الفجر وقبل غروبها الظهر والعصر لانهما جميعا قبل الغروب ومن
الليل صلاة المغرب والعتمة ويكون قوله واطراف النهار كالتوكيد
للصلاتين الواقعتين في طرفي النهار وهما صلاة الفجر وصلاة المغرب كما اختصت
في قوله والصلاة الوسطى بالتوكيد القول الثاني ان الاية تدل
على الصلوات الخمس وزيادة اما دلالتها على الصلوات الخمس فلان الزمان
اما ان يكون قبل طلوع الشمس او قبل غروبها فالليل والنهار دخلا في هاتين العبارتين
واوقات الصلوات الواجبة دخلت فيهما ففي قوله ومن آناء الليل فسبح واطراف
النهار للنوافل القول الثالث انها تدل على اقل من الخمس فقوله
قبل طلوع الشمس للفجر وقبل غروبها للعصر ومن آناء الليل للمغرب والعتمة
فبقي الظهر خارجا والقول الاول بالاعتبار اولى هذا كله اذا حملنا التسبيح على الصلوة
وقال ابو مسلم لا يبعد حمله على التنزيه والاجلال والمعنى واشغل تنزيه الله تعالى
في هذه الاوقات وهذا القول يكون دايما مظهرا لذلك وداعيا اليه اقرب الى الظاهر
والى ما تقدم ذكره وذلك لانه تعالى اصبره اولا على ما يقولون من تكذيبه من اظهار
الشرك والكفر والذي يليق بذلك ان تامر بتنزيهه تعالى عن قولهم حتى يكون دايما
مظهرا لذلك وداعيا اليه فلذلك قال ما يجمع كل الاوقات المسيلة الرابعة
افضل الذكر ما كان بالليل لان الجمعية فيه اكثر وذلك لسكون الناس وهدو حركاتهم
وتعطيل الحواس عن الاعمال ولذلك سبحانه ان ناشية الليل هي اشد وطا واقوم
قيلا وقال امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما ولان الليل وقت السكون

والراحة فاذا صرت الى العبادة كانت على النفس اشق وللبدن اتعب وكانت
ادخل في استحقاق الاجر والفضل المسئلة الخامسة لقايل ان يقول النهار له
طرفان فكيف قال واطراف النهار بل الاولى ان يقول كما قال واقم الصلاة طرفي
النهار جوابه من الناس من قال اقل الجمع اثنان فسقط السوال ومنهم من قال
انما جمع لانه يلزم في كل نهار ويعود واما قوله تعالى لعلك ترضى ففيه وجوه احدها
ان هذا كما يقوله الملك الكبير يا فلان استقل بالخدمة فلعلك تنتفع به ويكون
المراد اوصلك الى درجة عالية في النعمة وهو اشارة الى قوله واسوف يعطيك ربك
فترضى ففيه وجوه احدها ان هذا وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا وثانيها لعلك ترضى ما ينال من الثواب وثالثها لعلك ترضى بضم
التاء والمعنى لا تختلف لان الله اذا ارضاه فقد رضيه واذا رضيه فقد ارضاه ٥

قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك
خير وابقى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا
نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ٥ وقالوا لولا ياتينا باية من ربه
اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ٥ ولو انا اهلكناهم بعذاب
من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل
ان نذل ونخزى ٥ قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط
السوي ومن اهتدى ٥ اعلم انه تعالى لما صبر رسوله على ما يقولون وامره
بان يعدل الى التسبيح اتبع ذلك بنهيه عن مد عينيه الى ما متع به القوم
فقال ولا تمدن عينيك ٥ وفيه مسايل المسئلة الاولى في قوله
ولا تمدن عينيك فيه وجهان احدهما المراد منه نظر العين وهولا قالوا مد
النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمظنون اليه واعجابا به كما فعل
نظارة قرون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى
واجههم اولوا العلم بويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ومنه ان النظر
غير الممدود معفو عنه وذلك كما اذا نظر الانسان الى الشي مره ثم غض ولما كان
النظر الى الشي مرة الزخارف كالمركوز في الطباع قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل
ما انت معتاد له ولقد شدد القول في وجوب غض البصر عن انية الظلمة
وعدد الفسقة في الناس والمراكب وغير ذلك لانهم اتخذوا هذه الاشيا لعيون النظارة
والناظر اليها محصل لغرضهم وكالمعين لهم على ايجادها القول الثاني قال
ابو مسلم الذي نهى عنه بقوله لا تمدن عينيك ليس هو النظر الى الزخارف
بل هو الاسف اي لا تاسف على ما فاتك مما قالوا من حظ الدنيا المسئلة الثانية

قال

قال ابو رافع نزل ضيف بالرسول صلى الله عليه وسلم فبعثني الى يهودي لبيع او سلف
فقال والله لا افعل ذلك الا برهن فاخبرته بقوله فامرني بان اذهب بدرعه لذلك
فنزل قوله ولا تمدن عينيك وقال عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولا
الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وقال ابو الدردا الدنيا دار من لا دار
له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعن الحسن لولا حمق الناس لخربت الدنيا
وعن عيسى بن مريم عليه السلام لا تتخذوا الدنيا فتتخذكم لها عبيدا وعن عروة بن
الزبير كان اذا راى ما عند السلاطين يتلوا هذه الاية ويقول الصلاة يرحمكم الله
اما قوله الى متعنا به اي الذذنا به والامتاع الالذاذ بما يدرك من المناظر
الحسنة ويسمع من الاصوات الطرية ويشم من الروايح الطيبة وغير ذلك من الملابس
والمناكح ويقال امتعه امتاعا ومتعه تمتعا والتمتيع يقتضي التكثير اما قوله
ازواجا منهم اشكالا واشباها من الكفار وهي من المزاوجة بين الاشيا وهي المشاكلة وذلك
لانهم اشكال في الذهاب عن الصواب وقال ابن عباس اصنافا منهم وقال الكلبي
والزجاج رجالا منهم اما قوله زهرة الحياة الدنيا ففي انتصابه اربعة اوجه
على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا يعني اعطينا وكونه مفعولا ثانيا
وعلى ابداله عن محل الجار والمجرور على تقدير ذوي فان قيل ما معنى الزهرة
فيمن حرك قلنا معنى الزهرة بعينه هو الزينة والبهجة كما جا في الجهرة الجهرة
فرى ارنا الله جهرة وان يكون جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهروا هذه الدنيا
لانهم تهلك وجوههم بخلاف ما عليه الصلحا من سحب الالوان والتقشف في الثياب اما
قوله لنفتنهم فيه فذكروا فيه وجوها احدها ليعذبهم به لقوله ولا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها وثانيها قال ابن عباس اضلالا لهم
وثالثها قال الكلبي ومقاتل تشديدا في التكليف عليهم لان الاعراض عن الدنيا عند
حضورها والاقبال الى الله اشد من ذلك عند عدم حضورها ولذلك فان رجوع
الفقراء الى خدمة الله والتضرع اليه اكثر من تضرع الاغنيا ولان على من اوتي الدنيا
ضروبا من التكليف لولا ذلك لما لزمهم تلك التكاليف ولان القادر على المعاصي
يكون اجتناب المعاصي اشق عليه من العاجز الفقير فمن هذه الجهات يكون الزيادة في
الدنيا تشديدا للتكليف ثم قال لرسوله ورزق ربك خير وابقى والاظهر ان المراد
به ان مطلوبك مما تجده من الثواب خير من مطلوبهم وابقى لانه يدوم ولا
ينقطع وليس كذلك حال ما اوتوه من الدنيا ويحتمل ان يكون المراد ما اوتيته
من يسر الكفاية اذا قرنته بالطاعة خير لك من حيث العاقبة وابقى فذكر
الرزق في الدنيا ووصفه بحسن عاقبته اذا رضي به وصبر عليه ويحتمل ان يكون
المراد ما اعطي من النبوة والدرجات الرفيعة واما قوله وامر اهلك فمنهم

من حمله على اقاربه ومنهم من حمله على كل اهل دينه وهذا اقرب وهو كقوله
وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة وان احتمل ان يكون المراد من نضمه المسكن اذ
التنبيه على الصلاة واقامتها في اوقاتها عمل فيهم دون سائر الامه يعني كما امرتك
بالصلاة فامرت انت قومك بها امتثالا قوله واصطبر عليها فالمراد كما تامرهم
حافظ عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل اتم منه بلسان القول وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية يذهب الى فاطمة وعلي رضي الله عنهما كل صباح
ويقول الصلاة الصلاة وكان يفعل ذلك اشهرا ثم بين تعالى انه انما يامرهم
بذلك لما فيهم فانه سئل عن المنافع بقوله لا نسالك رزقا نحن نرزقك وفيه
وجوه احدها قال ابو مسلم المعنى انه تعالى انما يريد منهم ومنه العباده ولا يريد
منه ان يرزقه كما يريد السياده من العباد الخراج من عبيدهم وهو كقوله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان
يطعمون وثانيها انا نسالك رزقا لنفسك ولا الهلك ففرغ بالك لامر الاخرة
وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وثالثها المعنى لما
امرناك بالصلاة فليس ذلك لانا نريد نفع صلاتك يعبر عن هذا المعنى بقوله
لا نسالك رزقا نحن نرزقك في الدنيا والاخرة في الدنيا بوجوه النعم وفي الاخرة بالثواب
قال عبد الله بن سلام كان النبي عليه السلام اذا نزل باهله ضيق وسده امرهم
بالصلاة وتلا هذه الاية واعلم انه ليس في الاية رخصة في ترك الكسب لانه تعالى
قال في وصف المتقين رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اما قوله
تعالى للتقوى فالمراد والعاقبة للحملة لاهل التقوى يعني تقوى الله ثم انه
سبحانه بعد هذه الوصفه حكى عنهم شبهتهم وكان من تمام توكله واصبر على ما
يقولون وبين قولهم لولا ياتينا باية من ربك او هو اهذا الكلام انه
تكلفهم الايمان من غير اية وقالوا في موضع اخر لولا ياتينا باية كما ارسل الاولون
واجاب الله تعالى عنه بقوله اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى وفيه
وجوه احدها ان ما في القران اذا وافق ما في كتبهم مع ان الرسول لم يشتغل
بالدراسة والعلم وما راى استاذا والة ما فيها من البشارة بمحمد عليه السلام ونبوته وبعثه وثالثها ذكره ابن جرير
والعقاب المعنى اولم ياتهم بينة ما في الصحف الاولى من انبا الامم التي اهلكناهم
لما سالوا الايات فكفروا بها كيف عاجلناهم بالعقوبة فما ذا يومنهم ان يكون حالهم
في سوال الايات كحال اولئك وانما اتاهم هذا البيان في القران فلهذا وصف

القران

القران باية بينة ما في الصحف الاولى واعلم انه انما ذكر الضمير الراجع الى البينة
لانها في معنى البرهان والدليل ثم بين تعالى انه ازاح عنهم كل عذر وعلة في التكليف
فقال ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا والمراد
كانهم ان يقولوا ذلك فيكون عذرا لهم فاما الان فقد ارسلناك وسمعنا كلامك لهم
ما عليهم ولا لهم فلا حجة لهم البتة بل الحجة عليهم ومعنى ما قبله يحتمل من قبل
ارساله ويحتمل من قبل ما اظهره من البينات فان قيل فما معنى ولو اهلكناهم
لقالوا فان الهالك لا يصح ان يقول قلنا المعنى لكان لهم ان يقولوا ذلك يوم
القيمة ولذلك قال من قبل ان نذل ونخزى وذلك لا يليق الا بعذاب الاخرة
روي ان ابا سعيد الخدري قال قال عليه السلام يحتج علي الله يوم القيمة ثلاثة
الهالك في الفترة يقول لم ياتني رسول ولو اتاني لكنت اطوع خلقك وطفلا لو
ارسلت الينا رسولا والمعتوب على عقله لم اجعل لي عقلا انتفع به ويقول الصبي
كنت صغيرا لا ارجع الى عقل فترفع لهم نار ويقال لهم ادخلوها فمن كان في علم
الله انه غير سعيد وسلك عنها من كان في علمه غير شقي وصول اياي عصيتم فيقول
برسولي لو اتاكم والعاصي الذي طغى في الحرى وقال انه لا يحسن العقاب على ما لم تعلم
واعلم ان في هذه الاية مسايل المسئلة الاولى قال الحياني هذه الاية تدل
على وجوب اللطف اذ المراد انه يجب ان يفعل بالمكلفين ما يومنون عنده ولو
لم يفعل لكان لهم ان يقولوا هلا فعلت ذلك بنا ليومن وهل لا ارسلت الينا فنتبع
اياتك ولو كان في المعلوم انهم لا يومنون وان بعث اليهم الرسول لم تكن في ذلك حجة
تصح انه انما يكون حجة لهم اذا كان في المعلوم انهم لو يومنون عنده اذا اطاعوا
المسئلة الثانية قال اللعني قوله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اوضح
دليل على انه تعالى يقبل الاحتجاج من عباده وانه قوله لا يسئل عما يفعل كما
ظنه اهل الجبر انما هو جور فانا نكون عبادا له نتاولية انه لا ينفع منه الا العدل
قال واذا ثبت انه تعالى يقبل الحجة فلو لم يكونوا قادرين على ما امروا به لكان
لهم بنه اعظم حجة المسئلة الثالثة قال اصحابنا الاية تدل على ان الوجوب
لا يتحقق الا بالشرع اذ لو تحقق قبل الشرع لكان العقاب حاصلا قبل مجي
الشرع والاية تنفي تحقق العقاب قبل مجي الشرع ثم الله سبحانه ختم السورة
بضرب من الوعيد فقال كل متربص اي كل منا ومنكم منتظر عاقبة امره وهذا
الانتظار يحتمل ان يكون قبل الموت اما بسبب الامر بالجهاد او بسبب ظهور
الدولة والقوة ويحتمل ان يكون بالموت وان كل واحد من الخصمين ينتظر موت
صاحبه ويحتمل ان يكون بعد الموت وهو ظهور امر الثواب والعقاب فانه سيتميز
في الاخرة المحق من المبطل بما يظهر من المحق من انواع كرامة الله وعلى المبطل من انواع

يس

اهابته سيعلمون عند ذلك من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدي اليه وهو بمعني
الشك والتردد بل علي هذا التهديد والزجر للكفار والله اعلم بالصواب
تمت سورة طه والحمد لله رب العالمين وصلواته علي رسوله الكريم محمد واله اجمعين

سورة الانبيا عليهم السلام مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله
اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون
ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه
وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا
هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون
اعلم ان قوله اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون فيه مسايل
المسيلة الاولي القرب لا يقع الا في المكان والزمان والقرب المكاني هاهنا
ممتنع فتعين القرب الزماني والمعني اقترب للناس وقت حسابهم المسيلة
الثانية لقايل ان يقول كيف وصف الاقتراب وقد عدت دون هذا القول
قريب من ستماية علم الجواب من ثلاثة اوجه احدها انه مقرب البعد
الذي هو انقرض قال الشاعر فلا يزال ما يهواه اقرب من غد ولا يزال ما
يخشاه ابعد من امس وثانيها ان المعاملة اذا كانت موجله الي سنة ثم انقضي
منها شهر فانه يقال اقرب الاجل فعلي هذا الوجه قال العلما فيه دلالة علي قرب
القيمة وعلي هذا الوجه قيل انه عليه السلام ختم به النبوة كل ذلك لاجل ان
الباقي من مدة التكليف اقل من الماضي المسيلة الثالثة انما ذكر الله تعالي هذا
الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون اقرب ليلا في الذنوب والتحرز خوفا
من ذلك المسيلة الرابعة انما لم يعين الوقت لاجل ان كتمانه اصلح كما ان كتمان الموت
اصلح المسيلة الخامسة الفايدة في تضمين يوم القيمة بيوم الحساب ان الحساب
هو الكاشف عن حال المرء والخوف من ذكره اعظم المسيلة السادسة
يجب ان يكون المراد بالناس من له مدخل في الحساب وهم المكلفون دون من لا
مدخل له ثم قال ابن عباس المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم
الجنس علي بعضه للدليل القايم وهو ما يتلوه من صفات المشركين اما قوله وهم في غفلة
معرضون فاعلم انه تعالي وصفهم بامرين الغفلة والاعراض اما الغفلة فالمعني
انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضا عقولهم انه لا
بد من جزا المحسن والمسي ثم اذا نبهوا عن سنة الغفلة ورقدة الجهالة بما يتلي
عليهم من الايات والنذر اعرضوا وسدوا اسماعهم اما قوله ما ياتيهم

من ذكر من ربهم محدث ففيه مسايل المسيلة الاولي قرا ابن ابي عبلة محدث
بالرفع صفة للمحل المسيلة الثانية انما ذكر الله تعالي ذلك بيانا لكونهم
معترضين وذلك لان الله تعالي يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويظهر له الاية والسورة
بعد السورة ليتكرر علي اسماعهم البينة والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم
ذلك الا بغيا واستسخارا المسيلة الثالثة المعتزلة احتجوا علي حدوث
القران بهذه الاية فقالوا القران ذكر والذكر محدث فالقران محدث
بيان ان القران ذكر قوله تعالي في صفة القران ان هو الا ذكر للعالمين وقوله
انه لذكر لك ولقومك وقوله ص والقران ذي الذكر وقوله
انا نحن نزلنا الذكر وقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه بيان ان الذكر محدث
قوله في هذا الموضع ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث ثم قالوا فصار
مجموع هاتين المقدمتين المنصوصتين كالنص في ان القران محدث والجواب
من وجهين الاول ان قوله ان هو الا ذكر للعالمين وقوله وهذا ذكر
مبارك اشارة الي المركب عن الحروف والاصوات وذلك مما لا نزاع فيه بل حدوثه
معلوم بالضرورة انما النزاع في قدم كلام الله بمعني اخر الثالث ان قوله
تعالي ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث لا يدل علي حدوث ما كان ذكرا
بل علي ان ذكرا ما يحدث كما ان قول القايل لا يدخل هذه البلدة رجل فاضل
الا يبغضونه فانه لا يدل علي ان كل رجل يجب ان يكون فاضلا بل علي ان
في الرجال من هو فاضل واذا كان كذلك فالاية لا تدل علي ان البعض الذكر
محدث فيصير نظم الكلام هكذا القران محدث وبعض الذكر محدث وهذا لا ينتج
شيا كما ان قول القايل الانسان حيوان وبعض الحيوان فرس لا ينتج شيا
وظهر ان الذي ظنوه قاطعا لا يفيد ظنا ضعيفا فضلا عن القطع اما
قوله الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ففيه مسايل المسيلة
الاولي ان ذلك ذم الكفار وزجر لغيرهم عن مثله لان الانتفاع بما لا يسمع لا يكون
الا بما يرجع من تدبر وتفكر واذا كانوا عند استماعه لاعبين حصوا علي مجرد الاستماع
التي قد يشارك البهيمة فيه الانسان ثم اكد تعالي ذمهم بقوله لاهية قلوبهم
واللاهية من لهي عنه اذا ذهل وغفل وانما قدم ذكر اللعب علي اللهو كما في قوله
تعالي انما الحياة الدنيا لعب ولهو تنبيها علي ان اشتغالهم باللعب الذي معناه السخرية
والاستهزا معلل باللهو الذي معناه الذهول والغفلة فانما اقدموا علي اللعب
للهوهم وذهولهم عن الحق والله اعلم المسيلة الثانية قال صاحب الكشاف
قولهم وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفان او متداخلتان ومن قرا لاهية

بعد الاية

بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم اما
قوله واسروا النجوى الذين ظلموا ففيه سوالان السوال الاول النجوى
وهي اسم من التناجي لا يكون الا خفية فما معنى قوله اسروا النجوى
معناه وبالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث لا يفطن احد مناجيهم السوال الثاني
لم قال واسروا النجوى الذين ظلموا الجواب ابدل الذين ظلموا من اسروا
اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلوني
البراغيث او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدا خبره اسروا النجوى والمعنى
وهولا اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم
اما قوله هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون ففيه
مسايل المسيلة الاولى قال صاحب الكشاف هذا كله في محل النصب بدلا من
النجوى واسروا هذا الحديث ويحتمل ان يكون التقدير واسروا النجوى وقالوا
هذا الكلام المسيلة الثانية انما اسروا هذا الحديث لوجهين احدهما
انه كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعادة
المشاورين ان يجتهدوا في كتمان سرهم عن اعداهم والثاني يجوز ان يسروا
نجواهم بذال ثم يقولوا لرسول الله والمومنين ان كان ما يدعونه فاخبرونا بما
اسررناه المسيلة الثالثة انهم طعنوا في نبوته بامرين احدهما انه بشر
مثلهم والثاني ان الذي اتى به سحر وكلي الطعنين فاسد اما الاول فلان
النبوة يقف صحتها على المعجزات والدلايل على الصور اذ لو بعث اليهم لما علم كونه
نبيا بصورته وانما كان يعلم بالعلم واذا ظهر ذلك على من هو بشر فيجب ان يكون
نبيا والاولى ان يكون المبعوث الى البشر بشرا لان المرء الى القبول من اشكاله
اقرب وهو به انس واما الثاني وهو ان ما اتى به الرسول عليه السلام
سحر وانهم يرون كونه سحرا فجهل لان كل ما اتى به الرسول من القران وغيره
ظاهر الحال لا تمويه فيه ولا لبس وقد كان عليه السلام يستحد بالقران مدة حالا
بعد حال وهم ارباب الفصاحة والبلاغة وكانوا في نهاية الحرص على ابطال
امره واقوى الامور في ابطال امره معارضة القران ولو قدروا على المعارضة
لامتنع ان لا ياتوا بها لان الفعل عند توفر الداعي وارتفاع الصارف واجب
الوقوع فلما ياتوا بها دلنا ذلك على انه في نفسه معجزة وانهم عرفوا حاله
فكيف جاز ان يقال انه سحر والحال على ما ذكرناه وكل ذلك يدل على انهم
كانوا عالمين بصدقه الا انهم كانوا يموهون على ضعفايهم بمثل هذا القول
قوله تعالى قل ربي يعلم القول في السما

والارض وهو السميع العليم بل قالوا اضغاث احلام بل
افتراه بل هو شاعر فلياتنا باية كما ارسل الاولون ما امنت
قبلهم من قرية اهلكناها افهم يومنون اما قوله قل
ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم فيه مسايل المسيلة
الاولى قرى قال رب حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسيلة
الثانية انه تعالى لما اورد هذا الكلام عقيب ما حكى عنهم وجب ان يكون كالجواب
لما قالوه وكانه قال انكم وان اخفيتم قولكم وطعنكم فان ربي عالم بذلك
وانه من ورا عقوبته فيتوعد بذلك لكي لا يعود الى مثله المسيلة
الثالثة قال صاحب الكشاف فان قلت هل لا قيل يعلم السر لقوله
واسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر وكان في العلم به العلم بالسر
وزيادة وكان اكد في بيان اطلاع نجواهم من ان يقول يعلم السر كما ان قوله
يعلم السر اكد من ان يقول يعلم سرهم فان قلت لم ترك الاكد في سورة الفرقان
في قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض قلت ليس بواجب
ان يجي بالاكد في كل موضع ولكن يجي بالتوكيد مرة وبالاكد اخرى ثم الفرق انه
قدم هاهنا انهم اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع
القول موضع ذلك للمبالغة ثم القصد قصد وصف ذاته بان انزله الذي
يعلم السر في السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب
عنه مثقال ذرة المسيلة الرابعة انما قدم السميع على العليم لانه
لا بد من سماع الكلام اولا ثم من حصول العلم بمعناه اما قوله بل اضغاث
احلام بل هو شاعر فحكى عنهم هذه الاقوال الخمسة وترتيب كلامهم قالوا ندعي
ان كونه بشرا مانع من كونه رسولا لله تعالى سلمنا انه غير مانع ولكن لا نسلم ان
هذا القران معجز ثم اما ان يساعد على ان فصاحة القران خارجة عن مقدور
البشر قلنا لم لا يجوز ان يكون ذلك سحرا وان لم يساعد عليه فان ادعينا كونه
في نهاية الركاكة قلنا انه اضغاث احلام وان ادعينا انه
متوسط بين الركاكة والفصاحة قلنا انه افتراه وان ادعينا انه كلام
فصيح قلنا انه من جنس فصاحة ساير الشعرا وعلى جميع هذه التقديرات
فانه لا يثبت كونه معجزا ولما فرغوا عن تقرير هذه الاحتمالات قالوا
فلياتنا باية كما ارسل الاولون والمراد انهم طلبوا اية جلية لا يتطرق اليها
شي من هذه الاحتمالات ثم انه تعالى بدا بالجوابات عن هذا السوال
الاخير بقوله ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها فهم يومنون والمعنى انهم في

العتو اشد من الذين اقترحوا على انبيائهم الايات وعهدوا انهم يومنون عندها
فلما جاتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا اشد نكثا
قال الحسن رحمه الله انما لم يجابوا لان حكم الله تعالى ان من كذب بعد الاجابة
الى ما اقترحه من الايات فلا بد من ان ينزل به عذاب الله بالاستيصال وقد
مضى حكمه في امة محمد خاصة بخلافه فلذلك لم يجبهم **قوله تعالى**
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم فسيلوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون ، وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا
خالدين ، ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا
المسرفين ، لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا
تعقلون ، اعلم انه تعالى اجاب عن سوالهم الاول وهو قولهم ما هذا
الا بشر مثلكم بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم فبين ان هذه
عادة الله في الرسل من قبل مجي محمد ولم يمنع ذلك من كونهم رسلا للايات
التي ظهرت عليهم فاذا صح ذلك فيهم وقد ظهر على محمد مثل اياتهم فلا يقال
عليه في كونه بشرا واما قوله تعالى فسيلوا اهل الذكر والمعنى انه
تعالى امرهم ان يسالوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله الوحي
اليهم لكانوا بشرا ولم يكونوا ملايكة وانما في كونه بشرا واما قوله تعالى
فسيلوا اهل الذكر واحالهم على اوليك لانهم كانوا يسابقون المشركين في معاداة
الرسول وقال تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا فان قيل اذا لم يوثق باليهود والنصارى فكيف يجوز ان نامرهم بان
يسيلوهم عن الرسل قلنا اذا تواتر خبرهم وبلغ حد الضرورة جاز ذلك
كما قد نعلم بخبر الكفار اذا تواتر مثل ما يعلم بخبر المومنين ومن الناس من قال
المراد باهل الذكر اهل القران وهو بعيد لانهم كانوا طاعنين في القران وفي
الرسول تعلق كثير من الفقها بهذه الاية في ان للعامي ان يرجع الى
فتيا العلما وان للمجتهد ان ياخذ بقول مجتهد اخر فبعيد لان هذه الاية
خطاب مشافهة وهي وارده في هذه الواقعة المخصوصة ومتعلقة باليهود
والنصارى على التعيين ثم بين انه لم يجعل الرسل جسدا لا ياكلون الطعام
وفيه ابحاث الاول قوله لا ياكلون الطعام صفة جسدا والمعنى
وما جعلنا الانبيا ذوي جسد غير طاعمين الثاني وحد الجسد لارادة
الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد الثالث انهم كانوا يقولون
ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل عليك ملك فيكون

معه نذيرا فاجاب الله تعالى عنه بقوله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون
الطعام بل جسدا ياكلون ولا يخلدون في الدنيا بل يموتون كغيرهم ونبه بذلك على
ان الذي صاروا به رسلا غير ذلك وهو ظهور المعجز على ايديهم وبراتهم عن الصفات
القادحة في التبليغ اما قوله تعالى ثم صدقناهم الوعد قال صاحب الكشاف
هو مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد ومن قومه ومنهم صدقوه القتال
ومن نشاهم المومنون قال المفسرون المراد انه تقدم وعده جل جلاله
بانه انما يهلك بعذاب الاستيصال وليس المراد عذاب الاخرة لانه من كذب
الرسل دون نفس الرسل ودون من صدق بهم وجعل الوفا بما وعد صدقا من حيث
يكشف عن الصدق ومعنى واهلكنا المسرفين اي بعذاب الاستيصال وليس المراد
عذاب الاخرة لانه اختار عما مضى وتقدم ثم بين تعالى بقوله لقد انزلنا اليكم كتابا
فيه ذكركم عظم نعمته عليهم بالقران في الدين والدنيا فلذلك قال فيه ذكركم
وفيه ثلاثة اوجه احدها ذكركم وشرفكم وصيتكم كما قال انه
لذكر لك ولقومك وثانيها المراد فيه تذكركم لتحذروا ما لا يحل لكم
وترغبوا فيما يجب ويكون المراد بالذكر الوعد والوعيد كما قال وذكر فان الذكرى
تنفع المومنين وثالثها المراد ذكر دينكم وما يلزم وما لا يلزم لتفوزوا
بالجنة اذا تمسكتم به وكل ذلك محتمل وقوله افلا تعقلون كالبحث على التدبر
للقران لانهم كانوا عقلا ولان الخوف من لوازم العقل ومن لم يتدبر فكانه خرج
عن العقل **قوله تعالى وكم قصمنا من قرية**
كانت ظالمة وانشانا من بعدها قوما اخرين ، فلما
احسوا باسنا اذا هم منها يركضون ، لا تركضوا وارجعوا
الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسالون ، قالوا يا
ويلنا انا كنا ظالمين ، فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم
حصيدا خامدين ، اعلم انه تعالى لما حكى عنهم تلك الاعتراضات
وكانت تلك الاعتراضات ظاهرة السقوط لان شرايط الاعجاز لما تمت في
القران ظهر حينيذ لكل عاقل كونه معجزا وعند ذلك ظهر ان استعانتهم
بايراد ذلك الاعتراض كانت لاجل حب الدنيا وحب الرياسة فيها فبالغ
سبحانه في زجرهم عن ذلك فقال وكم قصمنا من قرية قال صاحب الكشاف
القصم اقطع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاوم الاجزا بخلاف القصم وذكر
القرية وانها ظالمة واراد اهلها توسعا لدلالة العقل على انها لا تكون ظالمة ولا
مكلفة ولدلالة قوله وانشانا من بعدها قوما اخرين وقال فلما
احسوا باسنا وقالوا يا ويلنا كل ذلك لا يليق باهلها توسعا لدلالة العقل الذين كلفوا

بتصديق الرسل فكذبوهم ولولا هذه الدلايل لما جاز منه سبحانه ذكر المجاز لانه
يكون ذلك موهما للكذب واختلفوا في هذا الاهلاك فقال ابن عباس المراد منه
القتل بالسيوف والمراد بالقرية حصور وسحول قريتان باليمن ينسب اليهما
وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حصوريين
بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم وروي لما اخذتهم السيوف ونادى مناد
من السما بالثارات الانبيا ندموا واعترفوا بالخطا قال الحسن المراد عذاب الاستيصال
واعلم ان هذا اقرب لان اضافة ذلك الى الله تعالى اقرب من اضافة قتل
القاتل الى الله تعالى ثم بتقدير ان يحمل ذلك على عذاب القتل فاول ابن عباس
وذكر حصور بانها احدى القرى التي ارادها الله بهذه الاية واما قوله
فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون فالمعنى لما علموا شدة عذابنا وبطشنا علم
حس ومشاهدة ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله
اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من
قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم
على ارجلهم بالراكض الراكضين اما قوله لا تركضوا وارجعوا الى ما
اترفتم فيه قال صاحب الكشاف القول محذوف فان قلت من القايل
قلت يجوز ان يكون بعض الملايكة ومن ثم من المومنين او يكونوا خلقا بان
يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه الملايكة لينفعهم
في دينهم او يلهمهم ذلك اما قوله وارجعوا الى ما اترفتم فيه هو من
العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه اما قوله
لعلكم تسالون تهكم وتوبيخ ثم فيه وجوه احدها اي ارجعوا الى نعيمكم
ومساكنكم لعلكم تسالون عدى عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا
السايل عن علم ومشاهدة وثانيها ارجعوا واجلسوا كما كنت في مجالسكم عند
عبيدكم ومن ينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا الكريم تامرون وماذا ترسمون
كعادة المخدومين وثالثها يسالكم الناس في انديتكم المعاونة في
نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات ويستصوبون بارايكم ورابعها
يسالكم الوافدون عليكم والطامعون فيكم اما لانهم كانوا اسخيا ينفقون
اموالهم ربا الناس وطلب الثنا او كانوا بخلا فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم
وتوبيخا الى توبيخ اما قوله فما زالت تلك دعواهم قال صاحب الكشاف
تلك اشارة الى يا ويلتنا لانها دعوى كما قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى
بمعنى الدعا قال تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فان قلت
لم سميت دعوى قلت لانهم دعوا الويل فقال تعالى يا ويل فهذا وقتك ويلك

مرفوع

مرفوع اسما او خبرا ولذلك دعواهم قال المفسرون لم يزالوا يكرروا هذه الكلمة
فلم ينفعهم ذلك لقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسا اما قوله
حتى جعلناهم حصيدا فالحصيد الزرع المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم
به في استيصالهم كما تقول جعلناهم جعلناهم رمادا اي مثل الرماد فان قيل
كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل حكم الاثنين الاخرين حكم الواحد والمعنى
جعلناهم جامعين لهذين الوصفين والمراد انهم هلكوا بذلك العذاب
حتى لم يبق لهم حس ولا حركة وجفوا كما يجف الحصاد وخمدوا كما تخمد النار
قوله تعالى وما خلقنا السما والارض وما
بينهما لاعبين ۝ لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا
ان كنا فاعلين ۝ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا
هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ۝ اعلم ان في الاية
مسايل المسيلة الاولى في تعليق هذه الاية بما قبلها وجهان الاول
انه تعالى لما بين اهلاك القرية لاجل تكذيبهم اتبعه بما يدل على
انه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوا فقال وما خلقنا السما
والارض وما بينهما لاعبين اي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا
المهاد الموضوع وما بينهما من العجايب والغرايب كما تسوي الجبابرة سقوفهم
وقريتهم للهو واللعب وانما سويناها لفوايد دينية ودنيوية اما
الدينية فليتفكر المتفكرون فيها على ما قال ويتفكرون في خلق السموات
والارض واما الدنيوية فلما يتعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا تحصى
وهذا كقوله وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا ما خلقناهما
الا بالحق والثاني اي الغرض منه تقرير نبوة محمد والرد على من كذبه
لانه ظهر العجز عليه فان كان محمدا كاذبا اظهار المعجز عليه من باب اللعب
وذلك منفي عنه وان كان صادقا فهو المطلوب وحينيذ يفسد كل ما ذكروه
من المطاعن المسيلة الثانية قال القاضي عبد الجبار دلت الاية على ان اللعب
ليس من قبله تعالى اذ لو كان كذلك لكان لاعبا فان اللاعب في اللغة اسم
اسم لفاعل اللعب فنفي الاسم الموضوع للفعل يقتضي نفي الفعل والجواب
يبطل ذلك بمسالة الداعي على ما مر اما قوله لو اردنا ان نتخذ
لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين فاعلم ان قوله لاتخذناه من لدنا
معناه من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المراة وقيل
من لدنا اي من الملايكة وقيل من الناس اراد ولادة عيسى وعزيرا اما

قوله بل نقذف بالحق على الباطل فاعلم ان قوله للاضراب عن اتخاذ
اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحانا ان نتخذ اللهو واللعب
بل من عادتنا وموجب حكمتنا ان نعلي اللعب بالجد ونمحض الباطل بالحق
واشار بذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله فجعله كانه جرم صلب
كالصخرة مثلا قذف به على جرم رجراج فدمغه فاذا
قوله تعالى تلكم الويل يعني من يتمسك بتكذيب الرسول ونسب القران
الى انه سحر واضغاث احلام الى غير ذلك من الاباطيل وهو الذي عناه بقوله
ما يصفون قوله تعالى وله من في السموات
والارض لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وفيه مسايل المسئلة
الاولى في تعليق هذه الاية بما قبلها وجهان الاول انه تعالى لما بقي اللعب
لا يصح الا بنفي الحاجة ونفي الحاجة لا تصح الا بالقدرة التامة لا جرم عقب تلك
الاية بقوله وله من في السموات والارض لدلالة ذلك على كمال الملك
والقدرة الثاني وهو الاقرب انه تعالى لما حكى كلام الطاعنين في الثواب
واجاب عنها وبين ان عرضهم من تلك المطاعن المتمرد وتمرد الانقياد بين
في هذه الاية انه تعالى منزه عن طاعتهم لانه هو الملك لجميع المحدثات والمخلوقات
ولاجل ان الملائكة مع جلالتهم مطيعون له خائفون منه فالبشر مع نهاية الضعف
اولى ان يطيعوه المسئلة الثانية قوله وله من في السموات والارض
معناه ان كل المكلفين في السماء والارض فهم عبيده وهو الخالق لهم المنعم عليهم باصناف
النعم فيجب على الكل طاعته والانقياد لحكمه المسئلة الثالثة دلالة
قوله من عنده لا يستكبرون عن عبادته على ان الملك افضل من البشر من ثلاثة
اوجه قد تقدم بيانها في سورة البقرة المسئلة الرابعة
قوله ومن عنده هم الملائكة بالاجماع لانه تعالى وصفهم بانهم يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وهذا لا يليق بالبشر وهذه العندية عندية
الشرف والرتبة لا عندية المكان والجهة فكانه تعالى قال الملائكة مع كمال
شرفهم ونهاية جلالهم لا يستكبرون عن طاعته فكيف يليق بالبشر الضعيف
التمرد عن طاعته المسئلة الخامسة قال الزجاج لا يحسرون لا يتعبون
قال صاحب الكشاف فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور وكان الابلغ
في وصفهم ان ينفى عنهم ادنى الحسور قلت في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب
غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لذلك العبادات الشاقة بان يستحسروا فيها

يفعلون

يفعلون اما قوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون فالمعنى ان
تسبيحهم متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فتره بفراغ او بشغل اخر
روي عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب اراءيت قول الله سبحانه
يسبحون الليل والنهار لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا اولا تكون
الرسالة مانعة لهم عن التسبيح وايضا قال اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين فكيف يشتغلون باللعن مع استغنائهم بالتسبيح اجاب
كعب الاحبار فقال لهم كالنفس لنا فكما ان استغنانا بالتنفس لا يمنعنا من الكلام
وكذا استغناهم بالتسبيح لا يمنعهم من سائر الاعمال فان قيل هذا
القياس غير صحيح لان الاشتغال بالنفس انما لم يمنع من الكلام لانه لا تنافي التنفس
غير الكلام انما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال
والجواب ليس استبعاد ان خلق الله لهم السنة كثيرة بعضها يسبحون الله وبعضها
يلعنون اعداء الله او تعالى معنى قوله لا يفترون معناه انهم لا يفترون عن العزم
على اداءه في اوقاته اللائقة به كما ان ملانا مر اطب على الجماعات لا يفتر عنها
لا يراد به انه مشتغل بها بل يراد انه مواظب على العزم على اداءها في اوقاتها
قوله تعالى ام اتخذوا الهة من الارض
هم ينشرون لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسال عما يفعل وهم
يسالون ام اتخذوا من دونه الهة قل هاتوا برهانكم
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون
الحق وهم معرضون وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى
اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اعلم ان الكلام اول السورة
الى ههنا كان في النبوات وما يتصل بها من الكلام سوا الا وجوابا واما
هذه الايات فانها في بيان التوحيد ونفي الاضداد والانداد اما قوله
ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون ففيه مسايل المسئلة الاولى
قال صاحب الكشاف ام ههنا هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد اذنت
بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم الهة من الارض
ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات
فان قلت كيف انكر عليهم اتخاذ الهة ينشرون وهم ما كانوا يدعون
ذلك لاصنامهم بل كانوا في نهاية البعد عن هذه الدعوى وانهم كانوا مع اقرارهم

لله بانه خالق السموات والارض منكرين للبعث ويقولون من يحيي العظام
وهي رميم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة قلت انهم
لما استغلوا بعبادتها ولابد للعبادة من فائدة هي الثواب فاقدامهم على عبادتها
يوجب عليهم الاقرار بكونها قادرين على الحشر والنشر والثواب والعقاب
فذكر ذلك على سبيل التهكم يعني اذا كانوا غير قادرين ان يحيوا ويموتوا
ويضروا وينفعوا فاي عقل يجوز لاتخاذهم الهة المسئلة الثانية قوله
من الارض كقوله فلان من مكة او من المدينة يريد مكيا او مدنيا
ومعنى نسبتها الى الارض الابدان بالهتها الاصنام التي تعبد في الارض لان
الالهة على ضربين ارضية وسماوية ويجوز ان يراد الهة من جنس الارض انها
تكون منحوتة من بعض الحجارة او مجبولة من بعض جواهر الارض المسئلة
الثالثة الكلمة في هم معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا الهة ولا
يقدرون على الاشياء الا هم وحدهم المسئلة الرابعة قرأ الحسن ينشرون
وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها اما قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا
الله لفسدتا فيه مسائل المسئلة الاولى قال اهل النحو الا هاهنا بمعنى غير
اي لو كان يتولاهما ويدبر امورهما شيء غير الواحد الذي هو اظهرهما لفسدتا والجوز
ان يكون بمعنى الاستثناء لانا لو حملناه على الاستثناء ثبت ان المراد ما ذكرناه
المسئلة الثانية قال المتكلمون القول بوجود الاثنين يفضي الى المحال
فوجب ان يكون القول بوجود الهين محالا انما قلنا انه يفضي الى المحال
لانا لو فرضنا وجود الهين فلا بد وان يكون كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد
وتسكينه فاما ان يقع المراد وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين او لا يقع واحد
منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الاخر فلا يمتنع
مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا او وجدا معا فذلك
محال او وقع مراد احدهما دون الثاني وذلك محال ايضا لوجهين احدهما
انه لما كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون احدهما اقدر من
الاخر بل لا بد وان يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة استحال ان يصير
مراد احدهما اولى بالوقوع من مراد الثاني والا لزم ترجيح الممكن من غير
مرجح وثانيهما انه اذا وقع مراد احدهما دون الاخر والذي ما وقع مراده
يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الله محال فان قيل انما يلزم الفساد
عند اختلافهما في الارادة ممكن فاذا كان الفساد مبنيا على الاختلاف في الارادة

ممكن

ممكن فاذا كان الفساد مبنيا على الاختلاف في الارادة وهذا الاختلاف ممكن والمبني
على الممكن ممكن وكان الفساد ممكنا وانما يليق حكم الله تعالى بالفساد قلنا
الجواب من وجهين احدهما العلة اخروي الممكن يجري الواقع بناء على الظاهر
من حيث ان الرغبة في تسديد الملكين انما حدث من التعالك والثاني
وهو الاقوى ان لا يبين لزوم الفساد من الوجه الذي ذكرناه بل من وجه
اخر فنقول لو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات
فيفضي الى وقوع مقدور بين مستقلين من وجه واحد وهو محال لاستناد
العقل الى الفاعل لامكانه فاذا كان كل واحد منهما بالايجاد بالفعل لكونه مع
هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل استناده الى هذا لكنه حاصل معهما جميعا
فيلزم استغناؤه عنهما معا واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة
تامة في مسالة التوحيد فنقول القول بوجود الالهين يوجب وقوع الفساد
قطعا او نقول لو قدرنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا على الشيء الواحد
فذلك الواحد مقدور لهما وسراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا
فاما ان يقع المرادان او لا يقع واحد منهما او يقع احدهما دون الثاني والكل محال
فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات وان قلنا لم لا يجوز ان يتفقا
على الشيء الواحد ولا يلزم الفساد لان الفساد انما يلزم لو اراد كل واحد ان يوجده
هو وهذا اخذ لانا فاما اذا اراد كل واحد منهما ان يكون الموجد له احدهما
لا بعينه فهنا لا يلزم وقوع مخلوق بين خالقين فنقول كونه موجدا له اما
ان يكون نفس القدرة والارادة او نفس ذلك الاثر او امرا ثالثا فان كان الاول
لزم الاشتراك في القدرة والارادة والاشتراك في الموجدية وان كان الثاني
فليس وقوع ذلك الاثر بقدرة احدهما وارادته اولى من وقوعه بقدرة الثاني
وارادته والا قدرنا كل واحد منهما وارادته مستقلة بالتاثير
وان كان الثالث وهو ان يكون الموجد به امرا ثالثا ان كان قديما استحال
كونه متعلق الارادة وان كان حادثا فهو نفس الاثر وقد صح هذا القسم هو القسم
الثاني الذي ذكرناه واعلم انك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع
ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل وحدانية
الله تعالى لانه اراد ان يكون احدهما صفا والاخر شابل وجود كل واحد
من الجواهر والاعراض دليل تام على التوحيد من الوجه الذي بيناه وهذه الدلالة
قد ذكرها الله تعالى في مواضع من كتابه واعلم انا ههنا ذكرنا وجها اخرى على
وحدانية الله سبحانه احدها وهو الاقوى ان نقال لو فرضنا موجودين واجبي
الوجود لذاتهما فلا بد وان يشتركا في الوجوب والا لابد ان يمتاز كل واحد منهما

عن الاخر بعينه وما به المشاركة غير ما به الممايزة فيكون كل واحد
منهما مركبا مما به يشارك الاخر ومما به امتاز عنه وكل مركب فهو مفتقر
الى جزئه وجزء غيره فكل مفتقر مركب الى غيره وكل مفتقر الى الغير فهو محدث
فكل ما سوى الله فهو محدث ويمكن جعل هذه الدلالة تفسيرا لهذه الاية لانا
انما ذكرنا على انه يلزم من فرض موجودين واجبين ان لا يكون شي منهما واجبا
واذا لم يوجد الواجب لم يوجد شي من هذه الممكنات وحينئذ يلزم الفساد
فثبت انه يلزم من وجود الهين وقوع الفساد في كل العالم وثانيها
انا لو قدرنا الهين اوجب ان يكون كل واحد منهما مشاركا للاخر في الالهية ولا بد
ان يتميز كل واحد منهما عن الاخر بامر ما والا لما حصل التعدد وما به الممايزة
اما ان يكون صفة كمال او لا يكون فان كان صفة كمال فالخالي عنه يكون
خاليا عن الكمال فيكون ناقصا والناقص لا يكون الها وان لم يكن صفة كمال فالموصوف
به يكون موصوفا بما لا يكون صفة كمال فيكون ناقصا ويمكن ان يقال ما به
الممايزة ان كان معتبرا في تحقق الالهية فالخالي عنه لا يكون الها وان لم يكن معتبرا في
الالهية لم يكن الاتصاف به واجبا فيفتقر الى المخصص فالموصوف به مفتقر
محتاج وثالثها ان يقال لو فرضنا الهين لكان لا بد ان يكونا بحيث يمكن العبد
من التمييز لكن الامتياز في عقولنا لا يحصل الا بالتباين في المكان او في الزمان او في
الوجوب والامكان وكل ذلك على الاله محال فيمتنع حصول الامتياز ورابعها
ان احد الالهين اما ان يكون كافيا في تدبير العالم او لا يكون فان كان كافيا كان
الثاني ضايعا غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافيا
فهو ناقص ايضا ولا يكون الها وخامسها ان العقل يقتضي احتياج المحدث
الى الفاعل ولا امتناع في كون الفاعل الواحد مدبرا لكل العالم فاما ما وراء
ذلك فليس عدد اولى من عدد فيفضي ذلك الى وجود اعداد لا نهاية لها
وذلك محال لان دليل الصانع ليس الا المحدثات وليس في حدوث المحدثات ما
يدل على تعيين احدهما دون الثاني والثاني محال لانه يفضي الى كونه
عاجزا عن تعريف نفسه على التعيين والعاجز لا يكون الها وسادسها ان احد
الالهين اما ان يقدر على ان يستر شيا من افعاله عن الاخر او لا يقدر فان قدر
لزم ان يكون المستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا وثامنها
لو قدرنا الهين لكان مجموع قدرتهما اقوى من قدرة كل واحد منهما وحده فيكون
كل واحد من القدرتين متناهيا والمجموع ضعف المتناهي فيكون الكل متناهيا
وتاسعها العدد ناقص لاحتياجه الى الواحد والذي يوجد من جنسه عدد
ناقص لان العدد ازيد منه والناقص لا يكون الها فالاله واحد لا محالة وعاشرها

انا

انا لو فرضنا معدوما ممكن الوجود ثم قدرنا الهين فان لم يقدر واحد منهما
عن ايجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها وان قدر احدهما
دون الاخر فهذا الاخر لا يكون الها وان قدرا جميعا فاما ان يوجدا
بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى معاونة الاخر فيكون
كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل واحد على ايجاده بالاستقلال فاذا
اوجده احدهما فاما ان يبقى الثاني قادرا عليه وهو محال لان ايجاد الوجود
محال وان لم يبق قادرا فحينئذ يكون الاول قد ازال قدرة الثاني وعجزه
فيكون تحت تصرفه فلا يكون الها فان قيل فالواحد اذا اوجد معدوما
فقد زال قدرته عنه فيلزم العجز قلنا الواحد اذا اوجده فقد نفذت
قدرته فبقاء القدرة لا يكون عجزا اما الشريك فانه ما نفذت
قدرته البتة بل زالت قدرته بسبب قدرة الاول فيكون عاجزا
وحادي عشرها ان تقريره هذه الدلالة الى ان يقول اذا خلق احدهما
فيه حركة امتنع على الثاني خلق السكون فالاول ازال قدرة الثاني وعجزه
فلا يكون الها وهذان الوجهان يفيدان العجز نظرا الى قدرتهما والدلالة
الاولى انما تفيد العجز بالنظر الى ارادتهما وثاني عشرها انهما
لما كانا عالمين بجميع المعلومات كان كل علم واحد منهما متعلقا بتعين معلوم
الاخر فوجب التماثل عليهما والذات القابلة لاحد المثلين قابلة للمثل الاخر
فاختصاص كل واحد منهما بتلك الصفة مع جواز الصفة بصفة الاخر
على البدل يقتضي مخصصا يخصص كل واحد منهما بعلمه وقدرته فيكون كل
واحد عبدا فقيرا ناقصا وثالث عشرها ان الشركة عيب ونقص
في الشاهد والفردانية والتوحيد صفة الملوك ونرى الملوك يكرهون
الشركة في الملك الحقير المختصر اشد الكراهة ونرى انه كلما كان الملك اعظم
كانت النفرة عن الشركة اشد فما ظنك بملك الله وملكوته فلو اراد احدهما
استخلاص الملك لنفسه فان قدر عليه كان المغلوب فقيرا عاجزا فلا يكون الها
وان لم يقدر عليه كان في اشد الغم والكراهية فلا يكون الها ورابع عشرها
انا لو قدرنا الهين لكان اما ان يحتاج كل واحد منهما الى الاخر او لا يحتاج
او يحتاج احدهما الى الاخر والاخر يستغني عنه فان كان الاول كان كل واحد
منهما ناقصا لان المحتاج ناقص وان كان الثاني كان كل واحد منهما مستغنى
عنه والمستغنى عنه ناقص الا ترى ان البلد اذا كان له رئيس والناس يحصلون
مصالح البلد من غير رجوع منهم اليه ومن غير التفات منهم اليه عد ذلك الرئيس
ناقصا لانه هو الذي يستغنى عنه ولا يستغني به وان احتاج احدهما الى الاخر

من غير عكس كان المحتاج ناقصا والمحتاج اليه هو الله واعلم ان هذه الوجوه
طسه اقناعيه والاعتماد على الوجوه المقدمه اما الدلايل السمعيه
فمن وجوه احدها قوله تعالى هو الاول والاخر والاول هو الفرد السابق ولذلك
لو قال اول عبد اشتريه فهو حر فلو اشترى اولا عبدين لم يجب ان شرط الاول
ان يكون فردا وهذا ليس بفرد فلو اشترى بعد ذلك واحدا لم يجب ايضا لان شرط
الفرد ان يكون سابقا وهذا ليس بسابق فلما وصف نفسه بكونه اولا وجب
ان يكون فردا سابقا فوجب ان لا يكون له شريك وثانيها قوله وعنده مفاتح
الغيب لا يعلمها الا هو والنص يقتضي ان لا يكون احد سواه عالما بالغيب وهو على
خلاف النص وثالثها ان الله تعالى صرح بكلمة لا اله الا الله في سبعة وثلاثين
موضعا من كتابه وصرح بالوحدانيه في مواضع نحو قوله والهكم اله واحد
وقل هو الله احد وكل ذلك صريح في الباب ورابعها قوله تعالى كل شيء
هالك الا وجهه حكم بهلاك الكل سواه ومن عدم بعد وجوده لا يكون قديما فلا
يكون الها وخامسها قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله
ولعلا بعضهم على بعض وقوله اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وسادسها
قوله وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله
وقال في اية اخرى قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر
هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته وسابعها
قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله
غير الله ياتيكم به وهذا الحصر يدل على نفي الشريك وثامنها قوله الله خالق
كل شيء فلو وجد الشريك لم يكن خالقا فلم يكن فيه فايده واعلم ان كل مسيلة
لا يتوقف معرفة صدق الرسل عليها فانه يمكن اثباتها بالسمع والوحدانيه لا يتوقف
معرفة صدق الرسل عليها فلا جرم يمكن اثباتها بالدلايل السمعيه واعلم ان من طعن
في دلالة التمانع فسر الاية بان المراد لو كان في السما والارض الهة يقول بالهتها
عبدة الاوثان لزم فساد العالم لانها جمادات لا يقدر على تدبير العالم
فيلزم فساد العالم قالوا وهذا اولى لانه تعالى حكى عنهم قولهم ام لهم الهة من
الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب ان يختص الدليل به
وبالله التوفيق اما قوله فسبحان الله رب العرش عما يصفون ففيه مسيلتان
المسيلة الاولى انه سبحانه لما اقام الدلالة القاطعة على التوحيد قال بعده
فسبحان الله رب العرش عما يصفون اي هو منزه لاجل هذه الادلة عن وصفهم بان
معه الها وهذا تنبيه على ان الاشتغال بالنسخ انما ينتفع به بعد اقامة الدلالة
على كونه تعالى منزها وعلى ان طريقة التقليد طريقة مهجوره والله اعلم

المسيلة الثانيه لقايل ان يقول اي فايدة لقوله فسبحان الله رب العرش عما
يصفون ولو لم يكتف بقوله فسبحان الله عما يصفون جوابه ان هذه المناظرة
انما وقعت مع عبدة الاصنام الا ان الدليل الذي ذكره الله تعالى يعم جميع الخالقين ثم
انه تعالى بعد ذكر الدليل العام نبه على نكته خاصه بعبدة الاصنام وهي انه
كيف يجوز للعاقل ان يجعل الجماد الذي لا يعقل ولا يحس ان يكون شريكا في الالهية لخالق
العرش العظيم وموجد السموات والارضين ومدبر الخلايق من النور والظلم
واللوح والقلم والذات والصفات والجما والنبات وانواع الحيوانات اجمعين
اما قوله تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون فاعلم انه مشتمل على بحثين
احدهما انه تعالى لا يسال عن شيء من افعاله ولا يقال له لم فعلت والثاني ان
الخلايق مسولون عن افعالهم اما البحث الاول ففيه مسيلتان المسيلة الاولى
وجه تعلق هذه الاية بما قبلها ان عمدة من اثبت لله تعالى شريكا ليست الا طلب
اللميه في افعال الله تعالى وذلك لان الثنوية والمجوس وهم الذين اثبتوا لله
تعالى شريك وقالوا راينا في العالم خيرا وشرا ولذة والما وحيوة وموتا وصحة وسقما
وغنى وفقرا وفاعل الخير خير وفاعل الشر شرير ويستحيل ان يكون الفاعل
الواحد خيرا وشريرا معا فلا بد من فاعلين ليكون احدهما فاعلا للخير والاخر
فاعلا للشر ويرجع حاصل هذه الشبهة الى ان مدبر العالم لو كان واحدا فلم
خص هذا بالحيوة والصحة والغنى وخص ذلك بالموت والالم والفقر فيرجع
حاصله الى طلب اللميه في افعال الله فلما كان مدار امر القايلين بالشريك على
طلب اللميه لا جرم انه سبحانه وتعالى بعد ان ذكر الدليل على التوحيد ذكر
ما هو النكته الاصليه في الجواب عن شبهة القايلين بالشريك لان الترتيب الجيد
في المناظرة ان يقع الابتدا بذكر الدليل المثبت للمطلوب ثم يذكر بعده
ما هو الجواب عن شبهة الخصم المسيلة الثانيه في الدلالة على انه سبحانه لا يسال
عما يفعل اما اهل السنة فانهم استدلوا عليه بامور احدها انه لو كان كل شيء معللا
بعلة لكانت علة تلك العلة معللة بعلة اخرى ولزم التسلسل فلا بد في قطع
السلسلة من الانتها الى ما يكون غنيا عن العلة واولى الاشيا بذلك ذات وصفاته
فكما ان ذاته منزهة عن الافتقار الى المؤثر والعلة وصفاته مبراة عن الافتقار
الى المبدع المخصص فكذا فاعليته وجب ان يكون مقدسة عن الاستناد الى الموجب
والمؤثر وثانيها ان فاعليته لو كانت معللة بعلة لكانت تلك العلة
اما ان تكون واجبة او ممكنة فان كانت واجبة لزم من وجوبها وجوب كونه فاعلا
وحينئذ يكون موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وان كانت ممكنة كانت تلك العلة
فعلا لله تعالى ايضا فيفتقر فاعليته لتلك العلة الى علة اخرى ولزم التسلسل

وهو محال وسادسها ان فاعليته الله تعالى للعالم ان كانت قديمة لزم ان يكون فاعليته
للعالم قديمة ولزم قدم العالم وان كانت محدثة افتقرت الى علة اخرى
ولزم التسلسل ورابعها ان من فعل فعلا لغرض فاما ان يكون متمكنا من
تحصيل ذلك الغرض بدون تلك الواسطة او لا يكون متمكنا منه فان كان متمكنا كان
توسط تلك الواسطة عبثا وان لم يكن متمكنا منه كان عاجزا والعجز على الله تعالى
محال اما العجز علينا فغير ممتنع ولذلك كانت افعالنا معللة بالاغراض وذلك
في حق الله محال وخامسها انه لو كان فعله معللا بالاغراض لكان ذلك
الغرض اما ان يكون عايدا الى الله او الى العباد والاول محال لانه منزه عن النفع
والضر واذا بطل ذلك تعين ان الغرض لابد وان يكون عايدا الى العباد الا
حصول اللذات وعدم حصول الالام والله تعالى قادر على تحصيلها ابتداء من غير
شئ من الوسايط واذا كان لذلك استحال ان يفعل شيا لاجل شئ وسادسها
وهو انه لو يفعل فعلا لغرض لكان وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه
اما ان يكون على السوا او لا يكون فان كان على السوا استحال ان يكون غرضا
وان لم يكن على السوا لزم كونه سبحانه ناقصا بذاته كاملا بغيره
وذلك محال وان قلت وجود ذلك الغرض وعدمه وان كان بالنسبة
اليه على السوا اما بالنسبة الى العباد فالوجود اولى من العدم قلت
تحصيل تلك الاولوية للعبد وعدم تحصيلها له اما ان يكون بالنسبة
اليه على السوية او لا على السوية ويعود التقسيم الاول وسابعها وهو
ان الوجود انما هو ملك الله سبحانه وملكه وبئس تصرف في ملك نفسه لا يقال له
لم فعلت ذلك وسئلوا منها وهو ان من قال لغيره لم فعلت ذلك فهذا السوال
انما يحسن حيث يحتمل ان يقدر السايل على منع السوال عنه من فعله وذلك من العبد
وذلك من العبد في حق الله تعالى محال فانه لو فعل اي فعل شا فالعبد كيف
يمنعه عن ذلك بان يهدده بالعقاب والايلام وذلك على الله محال او بان
يتهدده باستحقاق الذم والخروج عن الحكمة والاتصاف بالسفاهة على ما
يقوله المعتزلة وذلك ايضا محال لان استحقاقه للمدح واتصافه بالاتصاف
الحكمة والجلال امور ذاتية وما ثبت للشئ لذاته يستحيل ان يتبدل
لاجل الصفات العرضية الخارجة فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز ان يقال لله في
افعاله لم فعلت وان كل شئ صنعه ولا علة لصنعه واما المعتزلة
فانهم سلموا انه يجوز ان يقال لله لم فعلت هذا الفعل ولكنهم بنوا ذلك على اصل اخر
وهو انه تعالى عالم بقبح القبايح وعالم بكونه غنيا عنها ومن كان كذلك فانه
يستحيل ان يفعل القبيح واذا عرفنا ذلك عرفنا اجمالا ان كل ما يفعله الله تعالى

فهو حكمة وصواب واذا كان كذلك لم يحسن للعبد ان يقول لم فعلت هذا اما
البحث الثاني وهو قوله تعالى وهم يسالون فهذا يدل على كون المكلفين مسولين
عن افعالهم وفيه مسئلتان المسئلة الاولى ان الكلام في هذا السوال اما في الامكان
العقلي او في الوقوع السمعي اما الامكان السمعي وفي الوقوع السمعي اما
الامكان العقلي فالخلاف فيه مع منكري التكليف واحتجوا على توهم بوجوه احدها
قالوا التكليف اما ان يوجد على العبد حال استوا داعيه الى الفعل والترك
او حال رجحان الاول احدهما على الاخر والاول محال لان حال الاستوا
يمتنع الترجيح وحال امتناع الرجحان يكون الترجيح تكليفا بالترجيح تكليفا بالمحال
والثاني محال لان حال الرجحان يكون الراجح واجب الوقوع والمرجوح ممتنع
الوقوع والتكليف ما يكون واجب الوقوع عبث وبايقاع ما هو ممتنع الوقوع
تكليف بما لا يطاق وثانيها قالوا كل ما علم الله وقوعه فهو واجب الوقوع
التكليف به عبثا وكل ما علم الله عدمه كان ممتنع الوقوع فيكون التكليف به
بما لا يطاق وثالثها سوال العبد اما ان يكون لفايدة او لا فايدة
له فان كان لفايدة تلك الفايدة ان عادت الى الله تعالى كان محتاجا وهو محال
وان عادت الى العبد فهو ايضا محال لان سواله لما كان سببا للوجه
العقاب عليه لم يكن هذا انتفاعا عايدا الى العبد بل ضررا عايدا اليه وان لم
يكن في السوال فايدة كان عبثا وهو غير جايز على الحكيم بل كان ضررا وهو
غير جايز على الرحيم والجواب عنها من وجهين الاول ان عرضكم من ايراد
هذه الشبهة الثانية للتكليف ان يلزمونا نفي التكليف وكانكم تكلفونا نفي التكليف
وهو متناقض والثاني ان مدار كلامكم في هذه الشبهات على حرف واحد
وهي ان التكاليف كلها تكليف بما لا يطاق ولا يجوز من الحكيم ان يوجهها على العباد
فبرجع حاصل هذه الشبهات الى انه يقال لله تعالى لم كلفت عبادك الا اذا قد
بينا انه سبحانه لا يسال عما يفعل فظهر بهذا ان قوله لا يسال عما يفعل كالاصل
والقاعدة لقوله وهم يسالون فتامل في هذه الدقايق العجيبة على طرف من امراد
القران واما الوقوع السمعي فلقايل ان يقول ان قوله وهم يسالون وان
كان متاكدا بقوله فوربك لنسالنهم اجمعين وبقوله وقفوهم انهم مسولون
الا انه يناقضه قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان والجواب
ان يوم القيمة يوم طويل وفيه مقامات فيصرف كل واحد من السلب والايجاب
الى مقام دفعا للتناقض المسئلة الثانية قالت المعتزلة هذه الاية تدل على
قولنا من وجوه احدها انه تعالى لو كان هو الخالق للحسن والقبيح لوجب ان يسال

عما يفعل بل كان يذم بما حقه الذم بما يحمد بما حقه الحمد وثانيها انه كان يجب
ان يسال عن الامور اذا كان لا فاعل سواه وثالثها انه كان لا يجوز ان يسالوا عن
عملهم اذ لا عمل لهم ورابعها ان عملهم لا يمكنهم ان يعدلوا عنه من حيث ان اعمالهم
خلقها واوجدها فيهم وخامسها انه تعالى صرح في كثير من المواضع بان
يقبل حجة العباد عليه كقوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل وهذا يقتضي ان تكون لهم عليه الحجة قبل بعثة الرسل فقال
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
من قبل ان نذل ونخزى ونظاير هذه الاية كثير وكلها تدل على ان حجة
العبد متوجهة على الله تعالى وسادسها قال ثمامة اذا وقف العبد
يوم القيمة فيقول الله تعالى ما حملك على معصيتي فيقول على مذهب الجبر
يا رب انك خلقتني كافرا وامرتني بما لا اقدر عليه وحلت بيني وبينه ولا شك
انه على مذهب الجبر يكون صادقا وقال الله هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم فوجب ان ينفعه هذا الكلام فقيل له ومن يدعه يقول هذا ويحتج
قال ثمامة اليس اذا منعه الله الكلام والحجة فقد تقدم انه منعه لئلا ينقطع
في يديه وهذا نهاية الانقطاع الجواب عن هذه الوجوه انها
معارضة بمسئلة الداعي ومسئلة العلم ثم بالوجوه الثمانية التي بينا فيها
انه يستحيل طلبه لمية افعال الله واحكامه اما قوله ام اتخذوا من دونه
الهة قل هاتوا برهانكم واعلم انه سبحانه كرر قوله ام اتخذوا من دونه
الهة استعظاما لكفرهم اي وصفهم الله بان له شريكا قل هاتوا برهانكم على ذلك
من جهة العقل او من جهة النقل فانه سبحانه لما ذكر دليل التوحيد اولا
وقرر الاصل الذي عليه تخرج شبهات القائلين بالسه ثانيا اخذ يطالبهم بذكر
شبهتهم ثالثا اما قولهم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي وفيه مسئلتان
المسئلة الاولى في تفسيره وفيه اقوال احدها هذا ذكر من معي اي
هذا الكتاب المنزل على من تقدمني من الانبيا وهو التوراة والانجيل والزبور
والصحف وليس في شي منه اني اذنت بان يتخذوا الها من دوني بل ليس فيها الا
اني انا الله لا اله الا انا كما قال بعد هذا وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وهذا قول ابن عباس واختيار القفال
والزجاج والثاني وهو قول سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل والسدي
ان قوله وذكر من قبلي صفة القران وانه كما يشتمل على احوال هذه الامة
فكذا يشتمل على احوال الامم الماضية الثالث ما ذكره القفال

وهو

وهو ان المعنى قل لهم هذا الكتاب الذي جيتكم به قد اشتمل على بيان احوال من
مضى من الموافقين والمخالفين فاختاروا لانفسكم كان الغرض منه التهديد
المسئلة الثانية قال صاحب الكشاف قرئ هذا ذكر من معي
وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام
في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى
المفعول كقوله غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون
وقرئ من معي ومن قبلي على من الاضافية وفي هذه القراءة وادخال الجار على
مع غريب والعذر فيه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد فيدخل عليه كما يدخل
على اخوانه وقرئ ذكر معي وذكر قبلي اما قوله بل اكثرهم
لا يعلمون الحق فهم معرضون ففيه مسايل المسئلة الاولى انه سبحانه
لما طالبهم بالدلالة على ما ادعوه وبين انه لا دليل لهم عليه لا من جهة
العقل ولا من جهة السمع ذكر بعدهم ان وقوفهم في هذا المذهب الباطل ليس لاجل
دليل ساقهم اليه بل ذلك لان عندهم ما هو اصل الشر والفساد كله وهو عدم
العلم ثم ترتب على عدم العلم الاعراض عند استماع الحق وطلبه المسئلة
الثانية قال صاحب الكشاف قرئ الحق بالرفع على توسط التوكيد
بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل اما
قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا
فاعبدون فاعلم ان يوحي ونوحي قراتان مشهورتان وهذه الاية مقررة
لما سبقها من ايات التوحيد قوله تعالى وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك
نجزي الظالمين اعلم انه سبحانه وتعالى لما بين بالدلايل
الباهرة كونه منزها عن الشريك والضد والربوبية اردف ذلك ببراءته
عن اتخاذ الولد فقال وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث
قالوا الملايكة بنات الله واضافوا الى ذلك انه تعالى صاهر الجن على ما حكى
الله عنهم فقال وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ثم انه سبحانه وتعالى
نزه نفسه عن ذلك بقوله سبحانه لان الولد لا بد وان يكون شبيها بالوالد
ولو كان لله ولد فاشبهه من بعض الوجوه ولا بد وان يخالفه من وجه اخر

وما به المشاركة غير ما به الممايزة فيقع التركيب في ذات الله تعالى وكل مركب
ممكن فاتخاذه للولد يدل على كونه ممكنا غير واجب وذلك يخرجه عن حد الالهية
ويدخله في حد العبودية ولذلك نزه نفسه عنه اما قوله
بل عباد مكرمون فاعلم انه سبحانه لما نزه نفسه عن الولد اخبر عنهم بانهم
عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون مفضلون على ساير العباد وقرئ
مكرمون واما قوله لا يسبقونه فالمعنى انهم يتبعون قوله
ولا يقولون شيا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله وكما ان قولهم تابع
لقوله فعملهم ايضا كذلك مبني على عمله لا يعملون عملا ما لم يومروا ثم
انه سبحانه ذكر ما يجري مجرى السبب لهذه الطاعة فقال يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم والمعنى انهم لما علموا كونه سبحانه عالما بجميع المعلومات
علموا كونه كونه عالما بظواهرهم وبواطنهم وكان ذلك داعيا لهم الى
نهاية الخضوع وكمال العبودية وذكر المفسرون فيها وجوها احدها
قال ابن عباس يعلم ما قدموا واخروا من اعمالهم وثانيها ما بين ايديهم الاخرة
وما خلفهم الدنيا وما كان بعد خلفهم وحقيقة المعنى انهم يتنقلون
تحت قدرته وفي ملكوته وهو محيط بهم واذا كانت هذه حالتهم فكيف
يستحقون العبادة وكيف يتقدمون بين يدي الله فيشفعون لمن باذن
الله فيه ثم كشف عن هذا المعنى فقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى اي
لمن هو عند الله مرضي وهم من خشيته مشفقون اي من خشيته منهم
فاضيف المصدر الى المفعول مشفقون خايفون لا يامنون مكره
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم راى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس
من خشية الله ونظيره قوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن اما
قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم والمعنى
ان كل من يقل من الملايكة ذلك القول فانا نجازي ذلك القايل بهذا الجزاء
وهذا لا يدل على انهم قالوا ذلك او ما قالوه وهو قريب من قوله لين
اشركت ليحبطن عملك وها هنا مسايل المسيلة الاولى هذه الصفات تدل
على العبودية ونفي الولادة لوجوه احدها انهم لما بلغوا في الطاعة الى حيث
لا يقولون قولا ولا يعملون عملا الا بامره فهذه صفات العبيد لا صفات
الاولاد وثانيها انه سبحانه لما كان عالما باسرار الملايكة وهم لا يعلمون
اسرار الله فوجب ان يكون الاله المستحق للعبادة هو هولا الملايكة وهذه
الدلالة هي نفس ما ذكرها عيسى عليه السلام في قوله يعلم ما في نفسي ولا اعلم

ما

ما في نفسك وثالثها انهم لا يشفعون الا لمن ارتضى ومن يكون الها او ولدا للاله
لا يكون كذلك ورابعها انهم على نهاية الاشفاق والوجل وليس ذلك ليس الا من
صفات العبيد وخامسها انه تعالى يقوله ومن يقل منهم اني اله
من دونه فذلك نجزيه جهنم على ان حالهم حال ساير العبيد المكلفين في الوعد والوعيد
فكيف يصح كونهم الهة المسيلة الثانية احتجت المعتزلة بقوله ولا يشفعون
الا لمن ارتضى على ان الشفاعة في الاخرة لا تكون لاهل الكباير لانه لا يقال في اهل
الكباير ان الله يرتضيهم والجواب قال ابن عباس والضحاك الا لمن
ارتضى اي لمن قال لا اله الا الله واعلم ان هذه الاية من اقوى الدلايل لنا في
اثبات الشفاعة لاهل الكباير وتقريره هو ان من قال لا اله الا الله فقد ارتضاه
الله وجب اندراجه تحت هذه الامة فثبت بالتقرير الذي ذكرناه ان هذه
الاية اقوى الدلايل لنا على ما قرره ابن عباس المسيلة الثالثة هذه الاية
تدل على كون ثلاثة احدها تدل على كون الملايكة مكلفة من حيث قال
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ومن خشيته مشفقون ومن حيث
الوعيد وثانيها يدل ايضا على ان الملايكة معصومة لانه قال وهم بامره
يعملون وثالثها قال القاضي عبد الجبار قوله كذلك نجزي الظالمين يدل
على ان كل ظالم يجزيه الله جهنم كما توعد الملايكة وذلك يوجب القطع على انه
تعالى لا يغفر لاهل الكباير في الاخرة والجواب اقصى ما فيه ان هذا العموم
مشعر بالوعيد وهو معارض بعمومات الوعد والله اعلم قوله
تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا
رتقا ففتقناهما وجعلنا من الما كل شي حي افلا يومنون
وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا
لعلهم يهتدون وجعلنا السما سقفا محفوظا وهم عن اياتها
معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر
كل في فلك يسبحون اعلم انه سبحانه وتعالى شرع الان في
الدلايل الدالة على وجود الصانع وهذه الدلايل ايضا دالة على كونه منزها
عن الشريك لانها دالة على حصول الترتيب العجيب في العالم ووجود الالهين
يقتضي وقوع الفساد فهذه الدلايل تدل من هذه الجهة على التوحيد فيكون كالتوكيد
لما تقدم وفيها ايضا رد على عبدة الاوثان من حيث ان الاله القادر على مثل
هذه المخلوقات الشريفة كيف يجوز في العقل ان يعدل عن عبادته الى عبادة
حجر لا يضر ولا ينفع فهذا وجه تعلق هذه الاية بما قبلها واعلم انه سبحانه

وتعالى ذكرها هنا ستة انواع من الدلايل النوع الاول قوله تعالى او
لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وفيه مسايل
المسيلة الاولى قرا ابن كثير اولم بغير واو والباقون بالواو وادخال
الواو يدل على العطف لهذا القول على امر يقدمه قال صاحب الكشاف
قرى رتقا بفتح التا وكلاهما في معنى المفعول كالخلق اي كانتا مرتوقتين
فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقين لانه مصدر فما بال الرتق
قلت هو على تقدير موصوف اي كانتا شيا رتقا المسيلة الثانية
لقايل ان يقول المراد من الروية في قوله تعالى اولم ير الذين كفروا
اما الروية واما العلم والاول مشكل اما اولا فلان القوم ما راوهما
كذلك البتة واما ثانيا فلقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض
واما العلم فمشكل لان الاجسام قابلة للفتق والرتق في انفسها فالحكم
عليها بالرتق اولا والفتق ثانيا لا سبيل اليه الا بالسمع والمناظرة مع الكفار
المنكرين للرسالة فكيف يجوز مثل هذا الاستدلال والجواب المراد
من الروية العلم وما ذكروه من السوال فدفعه من وجوه احدها انا نثبت
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بساير المعجزات ثم يستدل بقوله ثم يجعلها
دليلا على حصول التظلم في العالم وانتفا الفساد عنه وذلك يوكد الدلالة
المذكورة في التوحيد وثانيها ان يحتمل الرتق والفتق على امكان الرتق والفتق
والعقل يدل عليه لان الاجسام يصح عليها الاجتماع والافتراق فاختصاصهما
بالاجتماع دون الافتراق او بالعكس يستدعي مخصصا وثالثها ان اليهود
والنصارى كانوا عالمين بذلك وانه جا في التوراة ان الله تعالى خلق جوهرة
ثم نظر اليها بعين الهيبة فصارت ما ثم خلق السموات والارض ثم فتق
بينهما وكان بين عبدة الاوثان وبين اليهود نوع صداقة بسبب الاشتراك
في عداوة محمد فاحتج الله تعالى عليهم بهذه الحجة بنا على انهم يقبلون قول
اليهود في ذلك المسيلة الثالثة انما قال كانتا رتقا ولم يكن كن
رتقا لان السموات لفظ الجمع والمراد به الواحد الدال على الجنس قال
الاخفش السموات نوع والارض نوع ومثله ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا ومن ذلك قولهم اصلحنا بين القومين ومرت بنا غنمان اسودان لان
هذا القطيع غنم وذاك غنم المسيلة الرابعة الرتق في اللغة السد يقال
رتقت الشي فارتتق والفتق الفصل بين الشيين الملتزقين قال الزجاج الرتق
مصدر والمعنى كانتا شيا واحدا ملتزقين يفصل الله بينهما ورفع السما الى حيث

هو

كانتا ذواتي رتق قال المفصل انما لم يقل كانتا رتقين كقوله وما
جسدا لان كل واحد جسد كذلك فيما نحن فيه كل واحد رتق المسيلة الخامسة
اختلف المفسرون في المراد من الرتق والفتق على اقوال احدها وهو قول
الحسن وسعيد بن جبير ورواية عكرمة عن ابن عباس ان المعنى كانتا شيا واحدا
ملتزقين يفصل الله بينهما ورفع السما الى حيث هي واقر الارض وهذا القول
يوجب ان خلق الارض مقدم على خلق السما لانه تعالى لما فصل بينهما نزل الارض
حيث هي واصعد الاجزاء السمايية قال كعب خلق الله السموات والارض
ملتصقين ثم خلق ريحا فوسطها ففتقها بها وثانيها وهو قول صالح ومجاهد
والمعنى ان المعنى كانت السما مرتفعة فجعلت سبع سموات وكذلك الارضين
وثالثها وهو قول ابن عباس والحسن واكثر المفسرين ان السموات والارضين
كانتا رتقا بالاستوا والصلابة ففتق الله السما للمطر والارض للنبات والشجر
ونظيره قوله تعالى والسما ذات الرجع والارض ذات الصدع ورجحوا
هذا الوجه على ساير الوجوه بقوله تعالى بعد ذلك وجعلنا من الما كل شي
حي وذلك لا يليق الا وللما تعلق بما تقدم ولا يكون كذلك الا اذا كان المراد
ما ذكرنا فان قيل هذا الوجه مرجوح لان المطر لا ينزل من السموات بل من سما
واحدة وهي سما الدنيا قلنا انما اطلق عليه لفظ الجمع لان كل قطعة منه سما
كما يقال ثوب اخلاق وبرمة اعشار واعلم ان على هذا التاويل يجوز حمل
الروية على الابصار ورابعها قول ابي مسلم الاصفهاني يجوز ان يراد
بالفتق الايجاد والاظهار لقوله فاطر السموات والارض وكقوله
قل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن فاخبر عن الايجاد بلفظ الفتق
وعن الحال قبل الايجاد بلفظ الرتق اقول وتحقيقه ان العدم نفي محض ليس فيه
ذوات متميزة واعيان متباينة بل كانه امر واحد متصل متشابه فاذا وجدت
الحقايق بفتق الوجود والكون يتميز بعضها عن البعض فهذا الطريق حسن جعل
الرتق مجازا عن العدم والفتق عن الوجود وخامسها ان الليل سابق
على النهار لقوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وكانت السموات والارض
مظلمة اولا ففتقهما الله باظهار النهار مبصرا فان قيل فاي التاويل اليق بالظاهر
قلنا الظاهر يقتضي ان السما على ما هي عليه والارض على ما هي عليه كانتا رتقا ولا
يجوز كونهما كذلك الا وهما موجودان والرتق ضد الفتق فاذا كان الفتق هو المفارقة
فالرتق يجب ان يكون هو الملازمة وبهذا الطريق صار الوجه الرابع والخامس
مرجوحا ويصير الوجه الاول اولى الوجوه ويتلوه الوجه الثاني وهو ان كل واحد

منهما كان رتقا ففتقهما بان جعل كل واحد منهما سبعا ويتلوه الثالث
وهو انهما كانا صلبين من غير فطور وفرج ففتقهما لينزل المطر من السما ويظهر
النبات على الارض المسئلة السادسة دلالة هذه الوجوه على اثبات الصانع
وعلى وحدانيته ظاهرة لان احدا لا يقدر على مثل ذلك والاقرب انه سبحانه
وتعالى خلقهما رتقا لما فيه من المصلحة للملائكة ثم لما اسكن الله الارض اهلها جعلها
فتقا لما فيه من منافع العباد النوع الثاني من الدلايل قوله تعالى وجعلنا
من الما كل شي حي افلا يومنون وفيه مسايل المسئلة الاولى قال
صاحب الكشاف قوله وجعلنا لا يخلو اما ان يتعدى الى واحد او اثنين فان
تعدى الى واحد او اثنين فالمعنى خلقنا من الما كل حيوان كقوله والله خلق كل
دابة من ما او كانما خلقناه من الما لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه
كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا
كل شي حي بسبب من الما كل حيوان وقد قال والجان خلقناه من قبل من نار
السموم وجا في الاخبار ان الله تعالى خلق الملائكة من النور وقال تعالى في حق
عيسى عليه السلام واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله
ومنه في حق آدم خلقه من تراب والجواب اللفظ وان كان عاما الا ان
القرينة المخصصة قايمة فان الدليل لا بد وان يكون مشاهدا محسوسا ليكون اقرب
الى المقصود وبهذا الطريق يخرج عنه الملائكة والجن وآدم وقصة عيسى عليه
السلام لان الكفار لم يروا شيا من ذلك المسئلة الثالثة اختلف المفسرون في
المراد من قوله كل شي حي فقال بعضهم المراد الحيوان فقط وقال اخرون بل
يدخل فيه النبات والشجر لانه من الما صار نباتا وصار فيه الرطوبة والخضرة والنور
والثمر وهذا القول اليق بالمعنى المقصود كانه قال ففتقنا السما لانزال المطر
وجعلنا منه كل شي من النبات وغيره حيا حجة القول الاول ان النبات
لا يسمى حيا قلنا لا نسلم والدليل عليه قوله تعالى كيف يحيي الارض بعد
موتها اما قوله افلا يومنون اي افلا يومنون بان يتدبروا هذه الادلة
فيعلموا انها الخالق الذي لا يشبه غيره ويتركوا طريقة الشرك النوع الثالث قوله
تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وفيه مسايل المسئلة الاولى
تميد بهم اي كراهة ان تميد بهم او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا
لعدم الالتباس كما يراد في ذلك في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب المسئلة
الثانية الرواسي هي الجبال والراسي هو الداخل في الارض المسئلة الثالثة
قال ابن عباس ان الارض بسطت على الما وكانت تكفا باهلها كما تكفا السفينة لانها

بسطت

بسطت على الما فارساها الله تعالى بالجبال الثقال النوع الرابع قوله تعالى وجعلنا
فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وفيه مسايل المسئلة الاولى قال صاحب
الكشاف الفج الطريق الواسع فان قلت في الفجاج معنى الوصف فما بالها قدمت
على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة
قلت لم تقدم وهي صفة لكونها جعلت حالا كقوله لعزة موحشة طلل
والفرق من جهة المعنى انه قوله سبلا فجاجا اعلم انه سبحانه وتعالى جعل
فيها طرقا واسعة واما قوله فجاجا سبلا فهو اعلام بانه سبحانه وتعالى حين
خلقها خلقها على تلك الصفة فهذه الاية بيان لما ابهم في الاية الاولى المسئلة
الثانية في قوله فيها قولان احدهما انها عايدة الى الجبال اي وجعلنا في الجبال
الرواسي فجاجا سبلا اي طرقا واسعة في الجبال وهو قول مقاتل والضحاك ورواية
عطا عن ابن عباس عن ابن عمر قال كانت الجبال منضمة فلما اغرق الله قوم نوح فرقها
فجاجا وجعل فيها طرقا والثاني انها عايدة الى الارض اي وجعلنا في الارض فجاجا
وهي المسالك والطرق وهو قول الكلبي المسئلة الثالثة قوله لعلهم يهتدون
معناه لكي يهتدوا لان الشك لا يجوز على الله تعالى المسئلة الرابعة في يهتدون
قولان الاول ليهتدوا الى البلاد والثاني ليهتدوا الى وحدانية الله تعالى
بالاستدلال قالت المعتزلة وهذا التاويل يدل على انه تعالى اراد من جميع
المكلفين الاهتدا والكلام عليه قد تقدم وفيه قول ثالث وهو ان الاهتدا الى
البلاد والاهتدا الى وحدانية الله تعالى يشتركان في مفهوم واحد وهو اصل الاهتدا
فيحمل اللفظ على ذلك المشترك وحينئذ يكون الاية متناولة الامرين ولا يلزم منه
كون اللفظ المشترك مستعملا في مفهوميه النوع الخامس قوله تعالى وجعلنا
السما سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون فيه مسايل المسئلة الاولى سمى السما
سقفا لانه للارض كالسقف للبيت المسئلة الثانية في المحفوظ قولان
احدهما انه محفوظ من السقوط والوقوع اللذين يجري مثلهما على ساير السقوف
كقوله ويمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه وقال ومن اياته ان تقوم السما
والارض بامره وقال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وقال ولا يوده حفظهما
الثاني محفوظا من الشياطين قال تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم
ثم هاهنا قولان احدهما انه محفوظ من السقوط والوقوع الذين يجري مثلهما
على ساير السقوف كقوله ويمسك السما ان تقع بالملائكة من الشياطين والثاني انه
محفوظ بالنجوم من الشياطين والقول الاول اقوى لان حمل الاية عليه يدل مما يزيد
هذه النعمة عظما لانه سبحانه كالمتكفل بحفظه وسقوطه على المكلفين بخلاف القول
الثاني لانه لا يخاف على السما من استراق سمع من الجن المسئلة الثالثة قوله

وهم عن اياتها معرضون معناه عما وضع الله فيها من الادلة والعبر في حركاتها وكيفية
حركاتها وجهات حركاتها ومغاربها واتصال بعضها ببعض وانتفاعها على الحساب
القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة المسألة
الرابعة قوي عن اثباتها على التوحيد والمراد الجنس اى هم منغمسون لما يرد عليهم من
السماء من المنافع الدينوية والاستضاءة بنورها والاهتداء بكواكبها وحسوم الارض بامطارها
وهم عن كونها آية بينة على وجود الخالق ووحدانيته معرضون النوع السادس
قوله وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون وفيه
مسائل المسألة الاولى اعلم انه سبحانه لما قال وهم عن اياتها معرضون
فصل تلك الآيات ههنا لانه تعالى لو خلق السماء ولم يخلق الشمس والقمر لم يظهر
بهما الليل والنهار ولم يظهر بهما من المنافع ما يظهر من دفع شر الحر والبرد لم يكمل لهم
الله على عباده بل انما يكمل ذلك بسبب حركاتها في اوقاتها قال وكل في فلك يسبحون
وتقديره ان يقول وقد ثبت بالارصاد حركات مختلفة فمنها حركة يشملها
بأسرها اخذه من للشرق الى المغرب وهي حركة شمس اليوم ثم قال جمهور الفلاسفة
واصحاب الهيئة وهاهنا حركة اخرى من المغرب الى المشرق قالوا وهي ظاهرة
في السبعة السيارة وحصة في الثانية واستدلوا عليه بانا وجدنا الكواكب السيارة
كلما كان منها اسرع حركة فانه اذا قارن ما هو ابطأ حركة فانه بعد ذلك يتقدمه
نحو المشرق وهذا في القمر ظاهر وانه يظهر بعد الاجتماع بيوم او يومين
من ناحية المغرب على بعد من الشمس ثم يزداد كل ليلة بعدا منها الى ان يقابلها
على قريب من نصف شهر وكل كوكب كان سريعا عند على طريقته في ممر البروج
فيزداد كل ليلة قربا شيئا اذا درك سيره بطريقة المشرقي وسلف ذلك
الكوكب بطريقه المغربي فعرفنا ان لهذه الكواكب السيارة حركة من المغرب الى
المشرق ولذلك وجدنا الكواكب الثابتة حركة بطيئة على توالي البروج فعرفنا
ان لها حركة من المغرب الى المشرق هذا ما قالوه ونحن حالفناهم فيه وقلنا
ان ذلك محال لان الشمس مثلا لو كانت متحركة بسبب الحركة اليومية من المشرق
الى المغرب لزم لون الجرم الواحد متحركا الى جهتين مختلفتين دفعة واحدة
وذلك محال فان قيل لم لا يجوز ان يقال للشمس حركتها الى الجانب الشرقي تقطع
حركتها الى الجانب الغربي وبالعكس ايضا فاذكر وجوها تنتقض بها اذا تحركت الرحا
الى جانب والعلة التي تكون سببا لحركتها الى خلاف ذلك الجانب قلنا اما الاول
فلا يستقيم على اصولكم لان حركات الافلاك مصونة عن الانقطاع عندكم واما الثاني
فهو محال لما ذكرناه فهو برهان قاطع على ابطال قولهم واما الذي احتجوا
به على ان للكواكب حركة من المغرب الى المشرق فهو ضعيف فانه يقال لم لا يجوز

ان يقال ان جميع الكواكب متحركة من المشرق الى المغرب الى ان بعضها ابطأ من
البعض فتخلف بعضها عن البعض بنسب ذلك التخلف يظن انها تتحرك الى خلاف
تلك الجهة مثلا ان الفلك الاعظم ابتدأ من اول اليوم الى اول اليوم الثاني دورة
تامة وفلك الثوابت ابتدأ من اول اليوم الاول الى اول اليوم الثاني دورة
تامة الا مقدار ياسة فيظن ان تلك الثوابت تحركت من الجهة الاخرى مقدار ياسة
ولا يكون كذلك بل ذلك لانه تخلفت مقدار ياسة وعلى هذا التقدير فجميع الجهات
سرفيه واسرعها الحركة اليومية ثم يليها في السرعة فلك الثوابت ثم يليها زحل
وهلم جرا الى ان ينتهي الى فلك القمر وهو ابطأ الافلاك حركة وهذا الذي قلناه معا
يشهد له البرهان المذكور وهو اقرب الى ترتيب الوجود فان على هذا التقدير
يكون نهاية الحركة للفلك المحيط وهو الفلك الاعظم ونهاية السكون للعالم
الذي هو في غاية البعد وهو الارض ثم كل ما كان اقرب الى ذلك المحيط كان اسرع حركة
وما كان منه ابعد كان ابطأ هذا ما يقوله في حركات الافلاك في اطوالها
واما حركاتها في عروضها فظاهره وذلك بسبب اختلاف ميولها الى الشمال
والجنوب واذا ثبت هذا فنقول لو لم تكن للكواكب حركة في الميل لكان الناس مخصوصا
بسعة واحدة وكان سائر الجوانب محرومة عن المنافع الحاصلة منه وكان الذي يقرب
منه متشابه الاحوال فكانت القوة هناك للكيفية واحدة فان كانت حارة اثرت
الرطوبات فاحالت كلها الى الدرب وبالجملة يكون الموضع المحاذي لممر الكواكب
على كيفية وحظ ما انحاذبه على كيفية اخرى وحظ المتوسط بينهما الكيفية اخرى
فيكون في موضع شتاء دائما يكون فيه الهوى والبهجة وفي موضع آخر صيفا دائما
يوجب الاحتراق وفي موضع آخر ربيعا او خريفا دائما لا يتم فيه النضج ولو لم
تكن عودات مسايله وكان الكوكب يتحرك بطيئا كان الميل قليل المنفعة والتأثير
شديد الافراط وكان يعرض غرضا مما لم يكن مسيل ولو كانت الكواكب اسرع
حركة عوهد لما حملت المنافع وما تمت فاما اذا كان هناك ميل يحفظ
الحرارة في جهة لم ينتقل الى جهة اخرى بمقدار الحاجة ويبقى في كل جهة بقدرها
ثم بذلك تأثيره بحيث يبقى مصونا عن طرفي الافراط والتفريط وبالجملة
فالعقول لا تقف الا على اليسير من اسرار المخلوقات سبحان الخالق المدبر
بالحكمة البالغة والقدرة الغير متناهية المسألة الثانية لا يجوز
ان يقول كل في فلك يسبحون الا وبد خل في الكلام مع الشمس والقمر النجوم ليتم معنى الجمع
ومعنى الكل وصارت النجوم وان لم تكن مذكورة اولا كانها مذكورة لعود هذا
الضمير اليها المسألة الثالثة الفلك في كلام العرب كل شيء دائر وجمعه

افلاك واختلف العقلا فيه فقال بعضهم الفلك ليس بجسم وانما هو مدار
هذه النجوم وهو قول الضحاك وقال الاكثرون بل هي اجسام يدور النجوم
عليها وهذا اقرب الى ظاهر القران ثم اختلفوا في كيفيته فقال بعضهم
الفلك موج مكفوف يجري الشمس والقمر والنجوم فيه وقال الكلبي ما مكفوف
يجري فيه الكواكب واحتج بان السباحة لا تكون الا في الما قلنا لا نسلم فانه
يقال في الفرس الذي يمد يديه في الجري سابح وقال جمهور الفلاسفة
واصحاب الهيئة انها اجرام صلبة لا تقبله ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتيام
والنمو والذبول فاما الكلام على الفلاسفة فهو مذكور في الكتب اللايقة
به والحق انه لا سبيل الى معرفة السموات الا بالخبر المسئلة الرابعة
اختلف الناس في حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلاثة فانه اما ان يكون
الفلك ساكنا والكواكب تتحرك فيه كحركة السمك في الما الراكد واما ان يكون
الفلك متحركا والكواكب تتحرك فيه ايضا اما مخالفا لجهة حركته او موافقا لجهته اما
تحركه مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطو او مخالفة واما ان يكون الفلك
متحركا والكواكب ساكنا اما الراي الاول فقالت الفلاسفة انه باطل لانه يوجب خرق
الافلاك وهي محال واما الراي الثاني فحركة الكوكب ان فرضت مخالفة لحركة
الفلك فذاك ايضا يوجب الخرق وان كانت حركتها الى جهة حركة الفلك فان كانت
مخالفة لها في السرعة والبطو لزم الانخراق وان استويا في الجهة والسرعة والبطو
فالخرق ايضا لازم لان الكواكب تتحرك بالعرض بسبب حركة الفلك فيبقى حركته
الذاتية زايدة فيلزم الخرق فلم يبق الا القسم الثالث وهو ان يكون الكوكب
مركوزا في الفلك واقفا فيه والفلك يتحرك فيتحرك الكوكب بسبب حركة الفلك
واعلم ان مدار هذا الكلام على امتناع الخرق على الافلاك وهو باطل بل الحق ان
الاقسام الثلاثة ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات والذي يدل عليه لفظ
القران ان يكون الافلاك واقفة والكواكب تكون جارية فيها كما تسبح السمكة
في الما المسئلة الخامسة قال صاحب الكشاف كل التنوين فيه عوض من
المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون المسئلة السادسة احتج ابو علي
بن سينا على ان الكواكب احيا ناطقة بقوله يسبحون قال والجمع بالواو والنون
لا يكون الا للعقلا وبقوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين والجواب
انما جعل الضمير واو العقلا للوصف بفعلهم وهو السباحة قال صاحب
الكشاف فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس
والقمر رايتهم لي ساجدين والجواب انما جعل الضمير واو لا محل لها للاستثنا

فيها

فيها فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف جمعهم يسبحون في فلك
قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد منهم
قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
افان مت فهم الخالدون كل نفس ذايقة الموت ونبلوكم
بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ۝ واذا راك
الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر
الهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون ۝ اعلم انه
سبحانه وتعالى لما استدل بالاشيا الستة التي شرحناها في الفصل المتقدم وكانت
تلك الاشيا من اصول النعم الدنيوية اتبعه بما نبه به على ان هذه الاشيا جعلها لذلك
لا لتبقى وتدوم او تبقى فيها من خلقت الدنيا له بل خلقها سبحانه للابتلا والامتحان
ولكن يتوصل بها الى الاخرة التي هي دار الخلود فاما قوله تعالى وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد ففيه ثلاثة اوجه احدها قال مقاتل ان ناسا كانوا
يقولون ان محمدا لا يموت فنزلت هذه الاية وثانيها كانوا يقدرون انه
سيموت بموته فنفى الله عنه السماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا
فلا انت ولا هم عرضة للموت فان مت انت ابقى هولا وفي معناه قول القايل فقل
للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا وثالثها يحتمل انه لما اظهر انه
خاتم الانبيا جاز ان يقدر مقدر انه لا يموت اذ لو مات ليغير شرعه فنبه الله
تعالى على ان حاله كحال غيره من الانبيا في الموت اما قوله كل نفس ذايقة
الموت ففيه ابحاث البحث الاول ان هذا العلوم مخصوص لقوله
تعالى يعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك مع ان الموت لا يجوز عليه وكذا الجمادات لها نفوس
وهي لا تموت والعام المخصوص حجة فتبقى معمولا به فيما عدا هذه الاشيا وذلك
يبطل قول الفلاسفة في ان الارواح البشرية والعقول المفارقة والنفوس الفلكية
لا تموت الثاني اللفظ هاهنا لا يمكن اجراوه على ظاهره لان الموت
ليس من جنس المطعوم حتى يذاق بل المذوق ادراك خاص فيجوز جعله مجازا
عن اصل الادراك واما الموت فالمراد منه هاهنا مقدماته من الالام
العظيمة لان الموت قبل دخوله في الوجود ممتنع ادراكه وحال وجوده يصير الشخص
ميتا والميت لا يدرك شيا الثالث الاضافة في ذايقة الموت في تقدير
الانفصال لانه لما يستقبل كقوله غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة اما
قوله تعالى ولنبلونكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ففيه مسايل المسئلة
الاولى الابتلا لا يتحقق الا مع التكليف فالاية دالة على حصول التكليف ويدل

الى انه سبحانه لم يقتصر بالمكلف على امر ونهي وفيما صعبوه بل امتلى بامرين احدهما
ما سماه خيرا وهو نعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور والتمكن من المرادات والثاني
لم سماه شرا وهو المضا والدنيوية من الفقر والالم وساير الجسد النازلة بالمكلفين
فبين تعالى ان العبد مع التكليف يتردد بين هاتين الحالتين لكي يشكر على المنح
ويصبر في المحن فيعظم ثوابه اذا قام بما يلزم المسيلة الثانية انما
سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه
في صورة الاحيا المسيلة الثالثة قال صاحب الكشاف فيه مصدر موكد
لنبلوكم من غير لفظه المسيلة الرابعة احتجت المناسخة بقوله والينا
ترجعون فان الرجوع الى موضع مسوق بالكون فيه والجواب انه مذكور مجازا
المسيلة الخامسة المراد من قوله والينا ترجعون انهم يرجعون
الى حكمه ومحاسبته ومجازاته بين بذلك بطلان قولهم في نفي البعث والمعاد
واستدلت المناسخة بقوله بهذه الاية وقالوا الرجوع الى موضع مسوق
بالكون فيه فقد كنا موجودين قبل دخولنا في هذا العالم واستدلت
المجسمة بانا اجسام فرجوعنا الى الله يقتضي كون الله تعالى جسما والجواب
عنهما قد تقدم في مواضع كثيرة اما قوله تعالى واذا راك الذين كفروا
ان يتخذونك الا هزوا فهو رجوع الى تهجين كفرهم ومعنى ان يتخذونك ما يتخذونك
الا هزوا قال السدي ومقاتل نزلت في ابي جهل مر به النبي صلى الله عليه
وسلم وكان ابو سفيان مع ابي جهل فقال ابو جهل لابي سفيان هذا نبي بني
عبد مناف قال سفيان وما ينكر ان يكون نبيا في بني عبد مناف فسمع رسول الله
قولهما فقال لابي جهل ما ازال تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة
واما انت يا ابا سفيان فانما قلت الذي قلت حمية فنزلت هذه الاية ثم
فسر الله تعالى ذلك بقوله اهذا الذي يذكر الهتكم والذي يكون بخير وبخلافه
فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك
فان كان الذاكر صديقا فهو ثنا وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا
فتى يذكرهم يقال له ابراهيم والمعنى انه يبطل كونها معبودة ويقبح
عبادتها اما قوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون والمعنى انهم
يعيبون عليه ذكر الهتهم التي لا ينفع بالسوء مع انهم يذكرون الرحمن الذي هو المنعم
الخالق المحيي المميت كافرون ولا قول افحش من ذلك فيكون الهزو واللعب والذم عليهم
يعود من حيث لا يشعرون ويحتمل ان يراد بذكر الرحمن القران والمعنى انه يبطل
في اعادتهم ان الاوليا اشارة الى القوم الذين كانوا يفعلون ذلك الفعل والثانية

لاختصاصهم وايضا فان اعادتها تاكيدا وتعظيما لفعلهم قوله تعالى
خلق الانسان من عجل ساريكم اياتي فلا تستعجلون ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا
حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم
ينصرون بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون
ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك
فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون
اما قوله تعالى خلق الانسان من عجل ففيه مسايل المسيلة الاولى
في المراد من الانسان قولان احدهما النوع والثاني شخص معين اما القول
الاول فتقريره انهم كانوا يستعجلون عذاب الله واياته الملجية الى العلم
والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد زجرهم عن ذلك فقدم اولا ذم الانسان
على افراط العجلة ثم نهاهم وزجرهم كانه قال لا يبعد منكم ان تستعجلوا فانكم
مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم فان قيل مقدمة الكلام لا بد وان
مناسبة الكلام وكون الانسان مخلوقا من عجل يناسب كونه معذورا فلم رتب
على هذه المقدمة قوله فلا يستعجلون قلنا لان العايق كلما كان اشد
كانت القدرة على مخالفته اكمل فكانه سبحانه نبه بهذا ان ترك الاستعجال
حالة شريفة مرغوب فيها اما القول الثاني وهو ان المراد شخص معين
فهذا فيه وجهين احدهما ان المراد ادم عليه السلام وهو قول مجاهد وسعيد
بن جبير وعكرمة والسدي ومقاتل والكلبي والضحاك روى ابن جريج وليث عن
ابي مسلم عن مجاهد قال خلق الانسان من عجل وعن السدي لما نفخ فيه من الروح
فدخل في راسه عطس فقالت له الملايكة قل الحمد لله فقال ذلك فقالوا يرحمك ربك
فلما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل الروح في جوفه اشتهى
الطعام فوثب قبل ان يدخل الروح رجليه الى ثمار الجنة فهذا الذي اورث اولاده
العجلة وثانيهما قال ابن عباس في رواية عطا نزلت هذه الاية في النضر
بن الحرث والمراد بالانسان هو واعلم ان القول الاول اولى لان الغرض
ذم القوم وذلك لا يحصل الا اذا حملنا لفظ الانسان على النوع المسيلة الثانية
من المفسرين من اجرى هذه الاية على ظاهرها ومنهم من تاولها اما الاولون
فلهم اقوال احدها قول المحققين وهو قوله خلق الانسان من عجل اي خلق
عجولا وذلك على المبالغة كما قيل للرجل الذكي هو نار تشتعل والعرب قد تسمي المرء
بما يلزمه ما انت الا اكل ونوم وما هذا الا اقبال وادبار قالت الخنسا
تربع ما غفلت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار وهذا الوجه متاكد

بقوله تعالى خلق الانسان عجولا قال المبرد خلق الانسان من عجل اي من شانه العجلة كقوله خلقكم من ضعف اي من شانه ذلك وقال ابو عبيدة العجل الطين بلغة حمير والنشد والعجل تنبت بين الماء والعجل كقوله ويوم يعرض الذين كفروا على النار قال الاخفش من عجل اي من تعجيل من الامر وهو قوله كن وروى عنهما عن عجل اي عن ضعف عن الحسن اما الذين قلبوها فقالوا المعنى خلق العجل من الانسان كقوله ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يعرض النار عليهم والقول الاول الى الصواب والبعد الاقوال عن هذا القلب لانه اذا امكن حمل الكلام على معنى صحيح وهو على ترتيبه فهو اولى من ان يحمل على انه مقلوب وايضا فان قوله خلقت العجلة من الانسان فيه وجوه من المجاز فما الفائدة في بعد النظم الى ما يجري مجراه في المجاز المسئلة الثالثة لقائل ان يقول القوم استعجلوا الوعد على وجه التكذيب ومن هذا حاله لا يكون مستعجلا على وجه الحقيقة قلنا استعجالهم على هذا الوجه ادخل في الذم لانه اذا ذم المرء على استعجال الامر المعلوم فما ان يذم على استعجال ما لا يكون معلوما له كان اولى وايضا فان استعجالهم ما توعدهم به من عقاب الاخرة او هلاك الدنيا يتضمن استعجال الموت وهم عالمون بذلك وكانوا يستعجلون في الحقيقة اما قوله سأريكم اياتي فلا تستعجلون فقد اختلفوا في المراد بالايات على وجوه لعلها انها هي الهلاك المعجل في الدنيا والعذاب في الاخرة ولذلك قال فلا تستعجلون اي انه سيأتي لا محالة وفيه وجه ثان انها هي ادلة التوحيد وصدق الرسول وثالثها انها آيات الفرون الماضية بالشام واليمن والاول اقرب الى النظم اما قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فاعلم ان هذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء بقوله ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فبين تعالى انهم يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم انه سبحانه ذكر في هذه الحزن على قلب نبيه وحبيبه الاول بان بين لصاحب هذا الاستهزاء من العقاب الشديد فقال لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون فقال صاحب الكشاف جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يسألون عنه بقوله متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد يحيط بهم فيه النار من قدام ومن خلفه فلا يقدرون على دفعها من انفسهم ولا يجدون ايضا ناصرا ينصرهم كقوله فمن ينصرنا من بأس الله اذا جاءنا لما كانوا يسألون عنه الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال لكن جهلهم به هو الذي قوّاه عليهم واما من جذف الجواب لان ما تقدم يدل عليه بل هذا ابلغ ومثله لو ترى الذين ظلموا

ولو ترى الذين اذ يتوفى ولو ان قرانا سيرت به الجبال او اما حق الوجه والظهور لان العذاب لها اعظم موقعا وللثرة ما يستعمل كرهما في دفع المكروه عن النفس ثم انه سبحانه ولتعالى لما بين شدة هذا العقاب بين ان وقته غير معلوم لهم بل يأتيهم الساعة بغتة وهم لها غير محتسبين ولا امرها مستعدون لدفعها اي بدفعهم جباري واقفين لا يستطيعون حيلة في ردها ولا عما يأتيهم مصرفا ولا هم ينظرون اي لا يمهلون لتوبة او معذرة واعلم انه تعالى انما لم يعلم المكلفين وقت الموت والقيامة لما فيه من المصلحة لان المرء كلما كان ذاكر اشد حذرا واقرب الى التلافي ثم انه سبحانه ذكر الوجه الثاني في دفع الحزن عن قلب رسوله فقال ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن والمعنى ولقد استهزئ برسل من قبلك يا محمد كما استهزأ بك قومك فحاق اي نزل واحاط بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن اي عقوبة استهزائهم وحاق وحق بمعنى كزال وزل وفي هذا تسلية للنبي عليه السلام والمعنى ولذلك تحيق بهؤلاء وبال استهزائهم

قوله تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ۝ ام لهم الهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون ۝ بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون ۝ اعلم انه تعالى لحرسهم ويحفظهم لما بقوا في السلامة فقال لرسوله قل لهؤلاء الكفار الذين يستهزؤن ويسخرون بك من يكلؤكم بالليل والنهار وهذا القول لمن حصل في قبضته ولا يخلص لنفسه الا الله من يمنعك مني وهل لك محيص عني والكالي الحافظ اما قوله من الرحمن ففيه مسايل المسئلة الاولى في معناه وجوه احدها من يكلؤكم من الرحمن اي من تعذيب الرحمن اياكم ان اراده بكم من عذاب تستحقونه وثانيها من بأس الله في الاخرة وثالثها من القتل والسبي وسائر اباحة الله للكفر فبين سبحانه انه لا حافظ لهم ولا دافع عن هذه الامور لولا ان الله يمنعهم ولولا ذلك لحفظهم ما عاشوا ولما منعوا بالدنيا المسئلة الثانية انما اختص هاهنا اسم الرحمن بالذكر تلقينا للجواب حتى يقول العاقل انت الكالي يا الهنا لكل الخلايق برحمتك كقوله ما عرك بربك الكريم تلقينا للجواب المسئلة الثالثة انما ذكر الليل والنهار لان كل واحد من الوقتين اوقات يختص فيه والمعنى من يحفظكم بالليل اذا نمتم وبالنهار اذا قمتم في معايشكم اما قوله تعالى بل هم عن

ان الله تعالى الكفار ان ساير ما ومعهم به ومن هم النار ساير ما ومعهم به ان الله تعالى الكفار ان الاخرة ان يكفوا

ذكر ربهم معرضون فالمعنى انه تعالى مع انعامه عليهم ليلا ونهارا بالحفظ
والحراسة فهم عن ذكر ربهم الذي هو الدلايل العقلية والنقلية ولطايف
القران معرضون فلا يتاملون في شي منها ليعرفوا انه لا كالي لهم سواه ويتركوا
عبادة الاصنام التي لا حفظ لها في حفظهم وفي الانعام عليهم اما قوله تعالى
ام لهم الهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون ٥
واعلم ان الميم صلة يعني الهم الهة يكلوهم من دوننا والتقدير الهم الهة
من دوننا تمنعهم وثم الكلام ثم وصف الهتهم بالضعف فقال لا يستطيعون نصر
انفسهم هذا الخبر مبتدا محذوف اي فهذه الالهة لا يستطيع حماية انفسها
عن الافات وحماية النفس اولى من حماية الغير واذا لم يقدر على حماية انفسها
فكيف يقدر على حماية غيرها وفي قوله ولا هم منا يصحبون قولان الاول
قال المازني اصحبت اذا منعته فقوله ولا هم منا يصحبون من ذلك بقوله
بل متعنا لا من الصحبة والثاني ان الصحبة هاهنا بمعنى النصرة والمعونة
وكلها سوا في المعنى يقال يصحبك الله وينصرك ويقال للمسافر في صحبة الله وفي
حفظ الله فالمعنى ولا هم منا في نصره ولا اعانة والحاصل ان من لا يكون
قادرا على دفع الايات ولا يكون مصحوبا من الله بالاعانة فكيف يقدر على شي
ثم بين سبحانه بفضله عليهم مع كل ذلك بقوله بل متعنا هولا واباهم
حتى طال عليهم العمر يعني ما حملهم على الاعراض الا الاغترار بطول المهلة
يعني طالت اعمارهم في الغفلة فنسوا عهدنا وجهلوا موقع نعمنا واغتروا بذلك
اما قوله تعالى افلا يرون انا ناتي الارض فالمعنى افلا يرى هولاء
المشركون بالله المستعجلون بالعذاب ان قدرتنا في اتيان الارض من جوانبها
باحد الواجب وتفتح البلاد والقرى ما حول مكة ويزيدها في ملك محمد
ويميت روسا المشركين الممتعين بالدنيا وينقص من الشرك باهلاك اهله
اما كان لهم في ذلك عبرة فيومنوا برسول الله ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع
من امر الله وارادته فيهم ولا يقدرون على مغالبته ثم قال افهم الغالبون ام
نحن وهو استفهام بمعنى التقريع والتقرير والمعنى بل نحن الغالبون وهم
المغلوبون وقد مضى الكلام في هذه الاية في سورة الرعد ثم في تفسير
النقصان وجوه احدها قال ابن عباس ومقاتل والكلبي ننقصها بفتح
البلدان وثانيها قال ابن عباس في رواية اخرى يريد نقصان اهلها وبركتها
وثالثها قال عكرمة بتخريب القرى وموت اهلها ورابعها
بموت العلما وهذه الرواية ان صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا
معدل عنها والا فالاظهر من الاقاويل ما يتعلق بالغلبة ولذلك قال

افهم

افهم الغالبون والذي يليق بذلك ان ينقصها عنهم ويزيدها في بلاد الاسلام
قال القفال هذه الاية نزلت في كفار مكة فكيف يدخل فيها العلما والفقهاء
فبين تعالى ان كل ذلك من العبر التي لو استعملوا عقلهم لاعرضوا عن جهلهم والله اعلم
قوله تعالى قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعا
اذا ما ينذرون ٥ ولين مستهم نفحة من عذاب ربك
ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ٥ ونضع الموازين القسط ليوم القيمة
فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها
وكفى بنا حاسبين ٥ اعلم انه سبحانه لما كرر في القران الادلة وبالغ
فيها في التنبيه عليها على ما تقدم اتبعه بقوله قل انما انذركم بالوحي اي
بالقران الذي هو معنى كلام ربكم فلا تظنوا ان ذلك من قبلي بل الله انذركم به
وامرني بانذاركم فاذا قمت بما الزمني ربي فلم يقع منكم القبول والاجابة
فالوبال عليكم يعود ومثلهم من حيث لم ينتفعوا بما سمعوا من انذاره مع كثرته وتواليه
بالصم الذين لا يسمعون اصلا اذ الغرض بالانذار ليس السماع بل التمسك به على اقدام
على واجب وتحرز عن محرم ومعرفة الحق فاذا لم يحصل هذا الغرض صار كانه
لم يسمع قال صاحب الكشاف قرى ولا يسمع الصم الدعا ولا يسمع بالتا والبا اي
لا يسمع انت ولا يسمع رسول الله ولا يسمع الصم من السمع فان قلت الصم لا يسمعون
دعا البشر كما لا يسمعون دعا النذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام
في الضمير اشارة الى هولا المنذرين كاينة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا
ما ينذرون فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم
اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجراة والجسارة على التصام من ايات
الانذار ثم بين تعالى ان حالهم ستصير الى ان يصيروا بحيث اذا شاهدوا
اليسير مما انذروا به فعنده يسمعون ويعتذرون ويعترفون حيث لا ينتفعون
وهذا هو المراد بقوله ولين مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا
انا كنا ظالمين واصل النفح من الريح اللينة والمعنى ولين اصابهم شي قليل من عذاب
ربك كالرايحة من الشي دون جسمه لينادوا يا بالويل واعترفوا على انفسهم بالظلم
قال صاحب الكشاف في المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح في معنى القلة
والهوان يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحة بعطية وصحة ثم بين سبحانه
ان جميع ما ينزل بهم في الاخرة لا يكون الا عدلا فيهم وان ظلموا انفسهم في الدنيا
فلن يظلموا في الاخرة هذا معنى قوله تعالى فلا تظلم نفس شيا وهاهنا مسايل
المسلة الاولى معنى وضعها احضارها قال الفرا القسط من صفة الموازين
وان كان موحدا وهو كقوله للقوم انتم عدل وقال الزجاج ونضع الموازين

ذوات القسط وقوله ليوم القيمة المسيلة الثانية في وضع الموازين قولان
احدهما قال مجاهد هذا مثل والمراد بالموازين العدل ويروي مثله عن قتادة والضحاك
والمعنى بالوزن القسط بينهم في الاعمال فمن احاطت حسناته بسياته ثقلت
موازينه بمعنى ان حسناته تذهب سياته ومن احاطت حسناته بسياته فقد
خفت موازينه اي ذهبت حسناته حكاه ابن جرير عن ابن عباس الثاني وهو
قول ايمة السلف انه سبحانه يضع الموازين الحقيقة ويزن بها الاعمال عن الحسن وهو
ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل عليه السلام ويروي ان داود عليه
السلام سال ربه ان ان يريه الميزان فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من
يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود اني رضيت عن عبد ملاتها بتمرة ثم
على هذا القول في كيفية وزن الاعمال طريقان احدهما ان يوزن صحايف الاعمال
والثاني يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيات جواهر
سود مظلمة فان قيل اهل القيمة اما ان يكونوا عالمين بكونه سبحانه عادلا غير
ظالم او لا يعلمون ذلك فان علموا ذلك كان مجرد علمه كافيا في معرفة ان الغالب هو
الحسنات او السيات فلا يكون في وضع الميزان فايدة البتة وان لم يعلموا ذلك لم
يجعل الفايدة في وزن الصحايف لاحتمال انه سبحانه جعل احدى الصحيفتين
اثقل او اخف ظلما فثبت ان وضع الميزان على كلي التقديرين خال عن الفايدة
جوابه على قولنا لا يسال عما يفعل وايضا ففيه ظهور رجال الولي من العدو
في مجمع الخلايق فيكون لاحد العلتين في ذلك اعظم السرور والاخر اعظم الغم ويكون
ذلك بمنزلة نشر الصحف وغيره اذا ثبت هذا فنقول الدليل على وجود الموازين
بان الحقيقة ان حمل هذا اللفظ عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة غير
جايز ولا سيما وقد جات الاحاديث اكثر بالاسانيد الصحيحة في هذا الباب
المسيلة الثالثة سال قوم بان هذه الاية كيف يطابقها قوله تعالى ولا نقيم
لهم يوم القيامة وزنا والجواب المراد منه انه لا يكرمهم ولا يعظمهم المسيلة
الرابعة انما جمع الموازين لكثرة من توزن اعمالهم وهو جمع تفخيم ويجوز ان يرجع الى
الذرات اما قوله تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها فالمعنى
انه لا ينقص من احسان محسن ولا يزداد في اساة مسي وفيه مسايل المسيلة
الاولى قرى مثقال حبة على كان التامة كقوله فان كان ذو عسرة وقرا ابن عباس
اتينا بها وهي فاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال
واتاهم بالجزا وقرا حميد اتينا بها من الثواب وفي حرف اتى جينا بها
المسيلة الثانية انث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهب
بعض اصابعه المسيلة الثالثة زعم الجبائي ان من استحق مائة جزء من العقاب

فان

فاتى بطاعة يستحق بها خمسين جزوا من الثواب فهذا الاقل ينحط بالاكثر ويبقى الاكثر
كما كان واعلم ان هذه الاية يبطل قوله ان الله تعالى يمدح بان البر من الطاعة
لا يسقط ولو كان الامر كما قاله الجبائي لسقطت الطاعة من غير فايدة المسيلة
الرابعة قال المعتزلة قوله ولا يظلم نفس شيا دلالة على ان مثل ذلك لو
ابتداه الله تعالى لكان قد ظلم فيدل من هذا الوجه على انه تعالى لا يعذب
من لا يستحق ولا يفعل المضار في الدنيا الا للمنافع والمصالح الجواب الظلم
التصرف في ملك الغير وذلك في حق الله تعالى محال وايضا فلان الظلم سفه خارج
عن الالهية فلو صح منه الظلم لصح خروجه عن الالهية فحينيذ يكون كونه
الها من الجايزات لا من الواجبات وذلك يقدح في الالهية المسيلة الخامسة
الحبة اعظم من الخردلة فكيف قال حبة من خردل قلنا الوجه فيه ان
يفرض ذلك كالدينار ثم يعتبر الحبة من ذلك الدينار والغرض المبالغة في
ان شيا من الاعمال صغيرا كان او كبيرا غير ضايع عند الله اما قوله
وكفى بنا حاسبين فالغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يشتبه
عليه شي وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شي فحقيق بالعاقل ان يكون في اشد الخوف
منه ويروي عن الشبلي انه روي في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال
حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا قوله تعالى ولقد اتينا
ابراهيم موسى وهارون الفرقان وضيا وذكرى
للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة
مشفقون وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له
منكرون واعلم انه سبحانه لما تكلم في الدلايل التوحيد والنبوة
والمعاد شرع في قصص الانبيا تسلية لرسوله فيما يناله من قومه وتقوية
لقلبه على ادا الرسالة والصبر على كل عارض دونها وذكر منها قصصا
القصة الاولى قصة موسى ووجه الاتصال لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقول انما انذركم بالوحي اتبعه بان هذه عادة الله في الانبيا قبله
فقال ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وصار ذكرى للمتقين واختلفوا
في المراد بالفرقان على اقوال احدها انه هو التوراة فكان قربانا اذ كان يفرق
به بين الحق والباطل وكان ضيا اذ كان لغاية وضوحه يتوصل به الى طريق
الهدى وسبل النجاة في معرفة الله تعالى ومعرفة الشرايع وكان ذكرا
اي موعظة او ذاكرا لما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او شرفا
اما الواو في قوله وضيا فروى عكرمة عن ابن عباس انه قرا ضيا
بغير واو وهو حال عن الفرقان واما القراة المشهورة فالمعنى اتيناهما
الفرقان وهو التورية واتيناه ضيا وذكرا للمتقين والمعنى انه في نفسه ضيا

هاهنا

وذكرا واتيناهما بما فيه من الشرايع والمواعظ ضيا وذكرا القول الثاني
ان المراد من الفرقان لبس التوراة ثم فيه وجوه احدها عن ابن عباس الفرقان
هو النصر الذي اوتي موسى كقوله وبما انزلنا على عبده يوم الفرقان يعني يوم
بدر حين فرق بين الحق والباطل وثانيها هو الفرقان الذي فرق به
بين دينه الحق عن الاديان الباطلة عن ابن زيد وثالثها فلق البحر عن الضحاك
ورابعها الخروج عن الشبهات قاله محمد بن كعب واعلم انه تعالى انما خصص
الذكر بالمتقين كما في قوله هدى للمتقين اما قوله تعالى الذين يخشون
ربهم بالغيب فقال صاحب الكشاف محل الذين جر على الوصف او نصب على
المدح او رفع عليه وفي معنى الغيب وجوه احدها يخشون عذاب ربهم وهم
غايبون من الاخرة واحكامها عن نواهيه وايمانهم بالله تعالى استدلالي
فالعباد يعملون لله في الغيب والله لا يغيب عنه شي عن ابن عباس وثانيها
يخشون ربهم وهم غايبون من الاخرة واحكامها وثالثها يخشون
ربهم في الخلوات اذا غابوا عن الناس وهذا هو الاقرب والمعنى ان خشيتهم
من عقاب الله لازم لقلوبهم الا ان ذلك مما يظهرونه في الملا دون الخلا وهم
من عذاب الساعة وساير ما يجري فيها من الحساب والسوال مشفقون فيعدلون
بسبب ذلك الاشفاق عن معصية الله ثم قال وكما انزلت عليهما الفرقان
وكذلك هذا الفرقان المنزل عليك وهو معنى قوله وهذا ذكر مبارك وبركته
كثرة منافعه وغزارة علومه وقوله افانتم له منكرون فالمعنى انه لا انكار
في انزاله وفي عجايب ما فيه فقد اتينا موسى وهارون التوراة ثم هذا
القران معجز لاشتماله على النظم العجيب والبلاغة البديعة واشتماله على الادلة
العقلية والبيان الرايع فمثل هذا الكتاب مع كثرة منافعه كيف يمكنكم
انكاره القصة الثانية قصة ابراهيم عليه السلام قوله تعالى
ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين
اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها
عاكفون ۝ قالوا بل وجدنا اباءنا لها عابدين ۝ قال
لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين ۝ قالوا
اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين ۝ اما قوله ولقد
اتينا ابراهيم رشده ففيه مسايل المسيلة الاولى في الرشد قولان الاول
انه النبوة واحتجوا عليه بقوله وكنا به عالمين قالوا لانه تعالى انما خص
بالنبوة من يعلم من حاله يقوم بحقها ويجتنب ما لا يليق بها ويحترز عما ينفر
قومه من القبول والثاني انه الاهتدا لوجوه الصلاح في الدين والدنيا قال
تعالى فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وفيه قول ثالث وهو ان يدخل

والاهتدا تحت الرشد اذ لا يجوز ان يبعث نبيا الا وقد دله الله على ذاته وصفاته
ودله ايضا على مصالح نفسه ومصالح قومه وكل ذلك من الرشد المسيلة
الثانية احتج اصحابنا في ان الايمان مخلوق لله تعالى بهذه الاية وانه لو كان الرشد
هو التوفيق والثبات فقد فعل الله ذلك بالكفار فيجب ان يكون فلان ابنه فيمن يمر
المال ولا يقال مثله فيمن ضيع والجواب هذا الجواب لا يتم الا اذا جعلنا قوله
جزا من مسمى الرشد وذلك باطل لان المسمى اذا كان مركبا من جزين ولا يكون احدهما
مقدورا للفاعل لم يجز اضافة ذلك المسمى الى ذلك الفاعل وكان لا يجوز
اضافة ذلك المسمى الى ذلك الفاعل وكان لا يجوز اضافة الرشد الى الله
تعالى بالمفعولية لكن المعنى وهو قوله ولقد اتينا ابراهيم رشده
صرح في ان ذلك انما حصل من الله فبطل قوله المسيلة الثالثة
قال صاحب الكشاف رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته
اليه انه شد مثله وانه رشد له وبيان اما قوله من قبل
ففيه وجوه احدها اتينا ابراهيم نبوته او اهتداه من قبل موسى وهارون
عن ابن عباس وابن جرير وثانيها في صغره قبل بلوغه حين فكر
في الرب وظهرت له الكواكب واستدل بها وهذا على قول من حمل الرشد
على الاهتدا والا لزمه ان يحكم بنبوته عليه السلام قبل البلوغ عن مقاتل ۝
وثالثها يعني كان في صلب ادم حين اتخذ الله ميثاق النبيين عن ابن عباس
في رواية الضحاك اما قوله وكنا به عالمين فالمراد انه سبحانه
علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها حتى اهله لان يكون
خليلا له وهذا كقول رجل كبير ابا عالم بفلان فان هذا الكلام في الدلالة
على تعظيمه ادل مما لو شرحت خلال كماله اما قوله تعالى اذ قال
ابراهيم لابيه وقومه فقال صاحب الكشاف اذا ما يتعلق بابينا او
برشده او بمحذوف اي اذكر اوقات رشده هذا الوقت اما قوله
ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ففيه مسايل المسيلة الاولى التمثال
اسم للشي المصنوع مشبها بخلق من خلق الله واصله من مثلت الشي بالشي
اذا شبهته به واسم ذلك الممثل بمثال المسيلة الثانية ان القوم
كانوا عبادا صنام على صور مخصوصة كصورة الانسان او غيره فجعل هذا
السلام هذا القول منه ابتدا كلام لينظر فيما عساهم يوردونه
من شبهة فيبطلها عليهم المسيلة الثالثة قال صاحب الكشاف
لم يبق للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون

العكوف لها او واقفون لها فان قلت فهل قيل عليها عاكفون كقولك يعكفون
على اصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على اما
قوله تعالى قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فاعلم ان القوم لم يجدوا في جوابه
الا طريقة التقليد التي توجب مزيد النكير لانهم اذا كانوا على خطا من امرهم
لم يعصمهم من هذا الخطا ان اباهم ايضا سلكوا هذا الطريق فلا جرم اجابهم ابراهيم
عليه السلام لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين ان الباطل لا يصير
حقا بسبب كثرة المتمسكين به فلما حقق عليه السلام ذلك عليهم ولم يجدوا من
كلامه مخلصا وراوه ثابتا على الانكار قوي القلب فيه وكانوا يستبعدون
ان يجري مثل هذا الانكار عليهم مع كثرتهم وطول العهد بمذهبهم فعند
ذلك قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين موهبين بهذا الكلام انه
يبعد ان تقدم على الانكار عليهم حادا في ذلك فعنده عدل صلى الله عليه
الى بيان التوحيد في قوله تعالى قال بل
ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم
من الشاهدين ۝ وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان
تولوا مدبرين ۝ فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه
يرجعون ۝ قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين ۝
قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم اعلم ان
القوم لما اوهموا انه كالمازح بما خاطبهم به في اصنامهم اظهر عليه السلام ما
يعلمون به انه مجد في اظهار الحق الذي هو التوحيد وذلك بالقول اولا
ثم بالفعل ثانيا اما الطريقة القولية فهي قوله قال بل ربكم
رب السموات والارض فهذه الدلالة تدل على ان الخالق الذي خلقهما
لمنافع العباد هو الذي يحسن ان يعبد لا من يقدر على ذلك يقدر على ان يضر
وينفع في الدار الاخرة بالثواب والعقاب ويرجع حاصل هذه الطريقة
التي ذكرها لابيه في قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا
قال صاحب الكشاف الضمير في فطرهن للسموات والارض او للتماثيل وكونه
للتماثيل ادخل في الاحتجاج عليهم اما قوله تعالى وانا على ذلكم
من الشاهدين ففيه وجهان الوجه الاول ان المقصود فيه المبالغة في التاكيد
والتحقيق كقول الرجل اذا بالغ في مدح الرجل او ذمه اشهد انه كريم او ذميم
الثاني انه عليه السلام بقوله وانا على ذلكم من الشاهدين ادعى انه
قادر على اثباته بالحجة كما لم يقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم يزيدوا على

انكم

انكم وجدتم عليه اباكم واما الطريقة الفعلية فهي قوله وتالله لاكيدن
اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين ثم ان القوم لما يقنعوا بالدلالة القولية عدل
الى ان اراهم عدم الفائدة في عبادتها وفيه مسائل المسئلة الاولى قال
صاحب الكشاف قرا معاذ بن جبل بالله وقرئ تولوا المعنى يتولوا
ويقويها قوله يتولوا عنه مدبرين فان قلت ما الفرق بين الباء والتاء
قلت ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها والتاء فيها زيادة معنى
وهو التعجب كانه يعجب من تسهيل الكيد على يده لان ذلك كان امرا مضبوطا منه
لصعوبته المسئلة الثانية ان قيل لماذا قال لاكيدن اصنامكم والكيد هو
الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به وذلك لا يتاتى في الاصنام جوابه قال
ذلك توسعا لما كان عندهم ان الضرر يجوز عليها وقيل المراد لاكيدنكم في اصنامكم
لانه بذلك الفعل قد انزل بهم الغم المسئلة الثالثة في كيفية اول القصة
وجهان احدهما قال السدي كانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا
لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابراهيم لو خرجت معنا
فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فلما
مضوا وبقي ضعفي الناس نادى وقال تالله لاكيدن اصنامكم واحتج هذا القائل
بقوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم وثانيها قال الكلبي كان ابراهيم
من اهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما
هم ابراهيم بالذي هم به من كسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء وقال
لاصحابه اراني اشتكي غدا فذلك قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني
سقيم واصبح من الغد معصوبا راسه فخرج القوم لعيدهم ولم يتخلف احد
غيره وانتشر ذلك في جماعته فلذلك قال الله تعالى سمعنا فتى يذكرهم واعلم
ان كلي الوجهين ممكن ثم تمام القصة ان ابراهيم عليه السلام لما دخل بيت الاصنام
وجد سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب
وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا
الكبير ثم علق الفاس في عنقه اما قوله تعالى فجعلهم جذاذا الا كبيرا
لهم لعلهم اليه يرجعون ففيه مسائل المسئلة الاولى ان قيل
فلم قال فجعلهم وهذا جمع لا يليق الا بالناس قلنا من حيث اعتقدوا
فيها انها كالناس في انها يعظم ويتقرب اليها ولعله كان فيهم من يظن انها
تضر وتنفع المسئلة الثانية قال صاحب الكشاف جذاذا قطعا من الجذ
وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا
جمع جذة المسئلة الثالثة ان قيل ما معنى الا كبيرا لهم قلنا يحتمل الكبر

في الخلقة ويحتمل في العظم ويحتمل في الامرين اما قوله لعلهم اليه يرجعون
فيحتمل رجوعهم الى ابراهيم عليه السلام ويحتمل رجوعهم الى الكبير اما الاول
فتقريره من وجهين الاول ان المعنى لعلهم يرجعون الى الحق والتوحيد
ويعدلون عن الباطل والثاني انه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما
تسامعوا من انكاره لدينهم وسبه لالهتهم فيكون بما اجاب من قوله بل فعله
كبيرهم هذا فسئلوهم اما اذا قلنا الضمير راجع الى الكبير ففيه وجهان
الاول ان المعنى لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون
ما هولا مكسوره وما لك صحيحا والقاس على عنقك وهذا قول الكلبي وانما قال
ذلك بناء على كثرة جهالاتهم ولعلهم كانوا يعتقدون فيها انه يجيب ويتكلم
والثاني انه عليه السلام قال ذلك مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء
بهم وان قياس حال من يسجد له ويوهله للعبادة ان يوهله لحل المشكلات
المسئلة الرابعة ان قيل اولئك الاقوام اما ان يقال انهم كانوا عقلاء
او ما كانوا عقلاء فان كانوا عقلاء وجب ان يكونوا عالمين بالضرورة ان
تلك الاصنام لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فاي حاجة في اثبات ذلك الى كسرها
اقصى ما في الباب ان يقال القوم كانوا يعظمونها كما يعظم الواحد منا المصحف
والمسجد والمحراب وكسرها لا يقدح في كونها معظمة من هذا الوجه وان قلنا
انهم ما كانوا عقلاء وجب ان لا يحسن المناظرة معهم ولا بعثة الرسول اليهم والجواب
انهم كانوا عقلاء وكانوا عالمين بالضرورة انها جمادات ولكن لعلهم كانوا يعتقدون
فيها انها تماثيل الكواكب وانها طلسمات موضوعة يجب ان كل من عبدها انتفع
بها وكل من استخف بها ناله منها ضرر شديد ثم ان ابراهيم عليه السلام
كسرها مع انه ما ناله منها البتة ضرر فكان فعله ذلك دالا على فساد مذهبهم
من هذا الوجه اما قوله تعالى قالوا من فعل هذا بالهتنا انه
لمن الظالمين اي من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة
اما لجراته على الالهة الحقيقة بالتوقير والاعظام واما لانهم
روا افراطا في كسرها وتماديا في الاستهانة بها اما قوله تعالى
قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ففيه مسايل المسئلة الاولى
وقال الزجاج ارتفع ابراهيم لمعنيين احدهما على معنى انه فاعل يقال
والثاني على النداء على معنى يقال له يا ابراهيم قال صاحب الكشاف والصحيح
انه فاعل يقال لان المراد الاسم دون المسمى المسئلة الثانية
ظاهر الاية يدل على ان القايلين جماعة لا واحد فكانهم كانوا من قبل قد
عرفوا منه وسمعوا ما يقوله في الهتهم فغلب على ظنهم انه الفاعل ولو لم

يكن

يكن الا قوله ما هذه التماثيل قوله تعالى قالوا
فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون ۝ قالوا
انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله
كبيرهم هذا فسئلوهم ان كانوا ينطقون ۝ فرجعوا
الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ۝ ثم نكسوا على
رؤسهم لقد علمت ما هولا ينطقون ۝ قال افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم
اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ۝
اعلم ان القوم لما شاهدوا كسر الاصنام وقيل ان فاعله ابراهيم
قالوا فيما بينهم فاتوا به على اعين الناس قال صاحب الكشاف على اعين الناس
في محل الحال بمعنى مشاهدا اي بمرا منهم ومنظر فان قلت فما معنى الاستعلاء في
على قلت هو وارد على طريق المثل اي ثبت اتيانه في الاعين بثبات
الراكب على المركوب اما قوله لعلهم يشهدون ففيه وجهان احدهما
انهم كرهوا ان ياخذوه بغير بينة فارادوا ان يجيبوا به على اعين الناس لعلهم
يشهدون عليه بما قاله فيكون ذلك حجة عليه بما فعل هذا قول الحسن
والسدي وقتادة وعطا وابن عباس والثاني وهو قول محمد بن اسحق اي يحضرون
فيبصرون ما يصنع به فيكون زاجرا لهم عن الاقدام على مثل فعله وفيه قول
ثالث وهو قول الكلبي ومقاتل ان المراد مجموع الوجهين فيشهدون عليه
بفعله ويشهدون عقابه اما قوله تعالى قالوا انت فعلت هذا فاعلم
ان في الكلام حذفا فان هو فاتوا به وقالوا انت فعلت طلبوا منه الاعتراف بذلك
ليقدموا على ايذايه فظهر منه ما انقلب الامر عليهم حتى تمنوا الخلاص منه
فقال بل فعله كبيرهم هذا وقد علق الفاس على رقبته لكي يورد هذا القول
فيظهر جهلهم في عبادة الاوثان فان قيل قوله بل فعله كبيرهم
كذب الجواب للناس فيه قولان احدهما وهو قول كافة المحققين انه
ليس بكذب وذكروا في الاعتذار عنه وجوها احدها ان قصد ابراهيم
عليه السلام لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد
تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي وهذا كما لو قال صاحبك
وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط انت كتبت هذا وصاحبك
امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت
وانما كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا يفيه عنك واثباته
للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينهما للعاجز منهما استهزاء به

واثبات للقادر عنه وثانيها ان ابراهيم عليه السلام غاظته تلك الاصنام
حين ابصرها مصطفة ومرتبة وكان غيظه من كبيرها اشد لما راى من زيادة
تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو السبب في استهانته بها وحطمه لها والفعل
كما يسند الى مباشره يسند الى الحاصل عليه وثالثها ان يكون حكاية لما
يلزم على مذهبهم كانه قال لهم ما ينكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من
يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه وهذه الوجوه الثلاثة ذكرها
صاحب الكشاف ورابعها انه كناية عن غير مذكور اي فعله من فعله
ثم يبتدي كبيرهم هذا وخامسها انه يجوز ان يكون فيه وقف
عند قوله بل فعله ثم يبتدي ويقول فسلوهم والمعنى بل فعله كبيرهم
وعنى نفسه لان الانسان اكثر من الصنم وسادسها ان يكون في الكلام تقديم
وتاخير كانه قال بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فسلوهم
فيكون اضافة الفعل الى كبيرهم مشروط بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين
امتنع ان يكونوا فاعلين وسابعها قرا محمد بن السميفع فعله كبيرهم
يعني فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم القول الثاني وهو قول طائفة من اهل
وفي خبر اخر ان اهل الموقف اذا سالوا ابراهيم الحكايات ان ذلك كذب
واحتجوا بما روي عن الرسول عليه السلام انه لم يكذب الا ثلاث كذبات كلها
في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي
وفي خبر اخر ان اهل الموقف اذا سالوا ابراهيم الشفاعة قال اني كذبت ثلاث
كذبات ثم قووا قولهم من جهة العقل وقالوا الكذب ليس قبيحا لذاته
فان النبي اذا هرب من ظالم واختفى في دار انسان فجا الظالم وسال عن حاله
فانه يجب الكذب فيه واذا كان كذلك فاي بعد في ان باذن الله تعالى في ذلك
لمصلحة لا يعرفها الا هو واعلم ان هذا القول مرغوب عنه اما
الخبر الذي رووه فلان يضاف الكذب الى راويه اولى من ان يضاف الى الانبيا
والدليل القاطع عليه انه لو جاز ان يكذبوا لمصلحة وباذن الله تعالى فيه فليجز هذا
الاحتمال في كلما اخبروا عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرايع ويطرق التهمة
الى كلها ثم ان ذلك الخبر لو صح فهو محمول على المعاريض على ما قال عليه السلام
ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب واما قوله بل فعله كبيرهم فقد ظهر
الجواب عنه واما قوله لسارة انها اختي فالمراد انها اخته في الدين
واذا امكن حمل الكلام على ظاهره من غير نسبة الكذب الى الانبيا فحينئذ لا يحكم
بنسبة الكذب اليهم الا زنديق اما قوله تعالى فرجعوا الى انفسهم فقالوا
انكم انتم الظالمون ففيه وجوه الاول ان ابراهيم عليه السلام لما نبههم

بما اورده عليه من فتح طريقهم نبهوا فعلموا ان عبادة الاصنام باطلة وانهم على غرور
وجهل في ذلك الثاني قال مقاتل فرجعوا الى انفسهم فلاموها وقالوا انكم انتم
الظالمون لابراهيم حيث يزعمون انه كسرها مع ان الفاس بين يدي الكبير والثالث
المعنى انكم انتم الظالمون لانفسكم حيث سالتموه عن ذلك حتى اخذ يستهزي بكم
في الجواب والاقرب هو الاول اما قوله تعالى ثم نكسوا على روسهم لقد علمت
ما هولا ينطقون فقال صاحب الكشاف نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه
وفيه مسايل المسالة الاولى ذكروا في المعنى وجوها ان المراد استقاموا
حتى رجعوا الى انفسهم واتوا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة واخذوا
في المجادلة بالباطل وان هذه الاصنام مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق الهة
معبودة وثانيها قلبوا على روسهم حقيقة لفرط اطرافهم خجلا وانكسارا
وانخزالا مما نبههم ابراهيم فما اجاروا جوابا الا كان حجة عليهم وثالثها
قال ابن جرير ثم نكسوا على روسهم في الحجة عليهم لابراهيم حين جادلهم
اي قلبوا في الحجة واحتجوا على ابراهيم بما هو الحجة لابراهيم عليهم فقالوا لقد علمت
ما هولا ينطقون فاقروا بهذه الخبرة التي لحقتهم قال والمعنى نكست حجتهم
فاقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم المسالة الثانية قرى نكسوا بالتشديد
ونكسوا على لفظ ما لم يسم فاعله اي نكسوا انفسهم على روسهم قرا به رضوان بن
عبد المعبود اما قوله تعالى قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم
شيا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون قال صاحب
الكشاف اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر وان ابراهيم عليه
السلام اضجره ما راى من نياتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم ووضوح الحق
وزهوق الباطل فتاوف بهم ثم يحتمل انه قال ذلك وقد عرفوا صحته ويحتمل
انه قال لهم ذلك وقد ظهرت الحجة وان لم يعقلوا وهذا هو الاقرب لقوله
افتعبدون ولقوله افلا تعقلون قوله تعالى
قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين ۝ قلنا
يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وارادوا به
كيدا فجعلناهم الاخسرين ۝ ونجيناه ولوطا الى الارض
باركنا فيها للعالمين ۝ اعلم انه تعالى لما بين ما اظهره
ابراهيم من دلايل التوحيد وابطال ما كانوا عليه من عبادة التماثيل
اتبعه بما يدل على جهلهم وانهم قالوا حرقوه وانصروا الهتكم وها هنا
مسايل المسالة الاولى ليس في القران من القايل ذلك والمشهور انه
نمرود بن كنعان بن سحارب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقال مجاهد

سمعت ابن عمر يقول لما القي ابراهيم رجل من الكرد من اعراب فارس وروى
ابن جريج عن وهب عن شعيب الجبائي قال ان الذي قال حرقوه رجل اسمه هيزن
فخسف الله به الارض وهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة المسئلة الثانية اما
كيفية القصة قال مقاتل لما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه في بيت
وبنوا بنيانا كالحظيرة وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم
جمعوا له الحطب الكثير حتى ان المرأة لو مرضت قالت ان عافاني الله لاجمعن حطبا
لاحراق ابراهيم وكانوا يجمعون الحطب اربعين يوما فلما اشتعلت النار اشتدت وصار
الهواء لو مر الطير في اقصى الجو لاحترق ثم اخذوا ابراهيم ووضعوه على راس
البنيان وقيدوه ثم الحذوا منجنيقا ووضعوه مقيدا مغلولا وصاحت
السماء والارض ومن فيهما من الملائكة الا الثقلين صيحة واحدة اي ربنا ليس في
ارضك احد يعبدك غير ابراهيم وانه يحرق فيك فابذن في نصرته فذلك
سبحانه ان استغاث احد امنكم فاعينوه وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا
وليه فخلوا بيني وبينه فلما اراد واالقاءه في النار اتاه خازن الرياح فقال
ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم ورفع راسه الى
السماء فقال اللهم انت الواحد في السماء وانا الواحد في الارض ليس احد في الارض
احد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وتل انه حين القي في النار قال
لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم
وضعوه في المنجنيق ورموا به الى النار فاتاه جبريل وقال يا ابراهيم هل من حاجة
قال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سوالي علمه بحالي فقال
الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وقال السدي انما قال ذلك
جبريل اخبارا قال ابن عباس في رواية مجاهد لو لم يتبع بردها سلاما
لمات ابراهيم من بردها قال ولم يبق يومئذ في الدنيا نار الا طفئت
ثم قال السدي فاخذت الملائكة مضجع ابراهيم واقعدوه في الارض فاذا عين
ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم يحرق النار منه الا وثاقه وقال للهال
بن عمرو اخبرت ان ابراهيم عليه السلام لما القي في النار كان فيها اما اربعين يوما
او خمسين يوما وقال ما كنت ابدا اطيب عيشا مني اذ كنت فيها وقال
ابن اسحق بعث الله ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد الى جنبه ابراهيم
يونسه واتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وقال يا ابراهيم ان ربك يقول
اما علمت ان النار لا تضر احبائي ثم نظر نمرود من صرح له فراه جالسا في
روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه نمرود
يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال فقم فاخرج فقام يمشي

حتى

حتى خرج منها فلما خرج قال له نمرود من الرجل الذي رأيته معك في صورتك
قال ذاك ملك الظل ارسله ربي ليونسني فيها فقال نمرود اني مقرب الى الهك
قربانا للمائة من قدرته وعزته فيما صنع بك واني ذابح له اربعة الاف
بقرة فقال ابراهيم لا يقبل الله منك ما دمت على دينك فقال لا استطيع ترك
ملكي ولكن سوف اذبحها له ثم كف عن ابراهيم ورويت هذه
القصة على وجه اخر وهو انهم بنوا لابراهيم بنيانا والقوه فيه ثم اوقدوا
عليه سبعة ايام ثم نفخوا فاذا هو عين تحترق بعرق عرقا فقال لهم هارون بن
لوط ان النار لا تحرق لانه سحر النار ولكن اجمعوه على شيء واوقدوا تحته فاتوا
الدخان بقتله فجعلوه فوق سرير واوقدوا تحته فطارت شرارة فوقعت في
لحية ابن لوط فاحرقته المسئلة الاولى قال ابو مسلم الاصفهاني في تفسير
قوله قلنا يا نار كوني بردا وسلاما المعنى انه تعالى جعل النار بردا وسلاما لانه كان هناك
كلام لقوله ان يقول له كن فيكون اي يكونه واحتج عليه بان النار جماد والجماد
خطابه والاكثرون على انه وجد ذلك القول ثم هؤلاء لهم قولان احدهما
احدهما وهو قول السدي ان القايل هو جبريل عليه السلام والثاني وهو
قول الاكثرين ان القايل هو الله تعالى وهذا هو الاقرب الاليق بالظاهر
وقوله النار جماد فلا يكون خطابها فايده قلنا لم لا يجوز ان يكون المقصود
من ذلك الامر مصلحة عايدة الى الملائكة المسئلة الثانية اختلفوا في ان النار
كيف بردت على ثلاثة اوجه احدها ان الله تعالى ازال ما فيها من الحر والاحراق
وابقى ما فيها من الاضاءة والاشراق والله على كل شيء قدير وثانيها انه سبحانه
خلق في جسم ابراهيم لطيفة ما بلغه من وصول اذى النار كما يفعل بخزنة جهنم
في الاخرة وكما انه ركب بنية الملائكة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة وبدل
السمندل بحيث لا يضره الملتهب في النار وثالثها انه سبحانه خلق بينه وبين
النار حاجبا حتى منع من وصول النار اليه قال المحققون والاول اولى لان ظاهر
قوله يا نار كوني بردا ان النار صارت باردة حتى سلم ابراهيم من تاثيرها
لان النار بغير كما كانت وان قيل النار اسم للجنس الموصوف بالحرارة
واللطافة فاذا كانت الحرارة جزءا من مسمى النار بادرة فاذن وجب ان يقال
المراد من النار الجسم الذي هو احد اجزاء مسمى النار وذلك مجاز فلم كان مجازكم
اولى من المجاز من الاخرين قلنا المجاز الذي ذكرناه يبقى معه حصول
البرد وفي المجازين الذين ذكرتموهما لا يبقى ذلك فكان مجازنا اولى اما
قوله سلاما على ابراهيم فالمعنى ان المراد افراط اهلاك كالحريل لا بد من الاعتدال
ثم لحصول الاعتدال ثلاثة اوجه احدها ان يقدر الله تعالى بردها

بالمقدر الذي لا يوشر وقد بينا انه تعالى جعل في جسم مزيد حر فسلم
على ذلك البرد في الماهية ويلزم منه عمومه في كل افراد الماهية وقيل
بل اختص ذلك النار لان الغرض انما يتعلق ببرد تلك النار وفي النار مانع
للحالق فلا يجوز برودها والمراد خلاص ابراهيم من النار لا ايصال
الضرر الى سائر الخلق السوال الثاني هل يجوز ما روي من الخبر من انه
سلام الله على ابراهيم الجواب الظاهر انه كما جعل النار بردا جعلها
سلاما عليه حتى خلص والذي قالوه بعيد وفيه بتغيير للكلام المرتب السوال
الثالث انه لا يجوز ما روي من انه لو لم يقل وسلاما لاتى البرد عليه
الجواب ذلك بعيد لان برد النار لم يحصل منها وانما حصل بحكم من الله
تعالى وهو القادر على الحر والبرد فلا يجوز ان يقال كان البرد عظيما لولا قوله
سلاما السوال الرابع انه يجوز ما قيل من انه كان في النار انعم عيشا منه
في سائر احواله الجواب لا يمنع ذلك لما فيه من مزيد النعمة عليه وكالها
ويجوز ان يقال انما كان انعم عيشا هناك لعظم ما ناله من الشرور بخلاصه من
ذلك الايراد العظيم ولعظم سروره بظفره باعدائه وبما ظهر من دين
الله اما قوله تعالى واراد وابه كيدا فجعلناهم الاخسرين اي
اراد وان يكيدوه فما كانوا الا مغلوبين غالبوه بالجدل فلعنه الله المحنة
الممكنة ثم عدلوا الى القوة والجبروت فنصره الله وقواه ثم ان الله سبحانه
وتعالى اتم النعمة عليه بان نجاه ونجا لوطا معه وهو ابن اخته وهو لوط ابن هاران
ابن آزر الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وفي الاخبار ان هذه الواقعة
كانت في حدود بابل فنجاه الله من تلك البقعة الى الارض المباركة ثم
قيل انها مكة وقيل انها ارض الشام لقوله تعالى الى المسجد الاقصى
الذي باركنا حوله والسبب في بركتها اما في الدين فلان اكثر الانبياء بعثوا
منه وانتشرت شرايعهم واثارهم الدينية واما في الدنيا فلان الله تعالى
بارك فيها بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب العيش قيل وما من ماء
عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس قوله تعالى
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين
وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل
الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين
اعلم انه تعالى بعد ذكره لاتمامه على ابراهيم وعلى لوط بان نجاهما الى الارض
المباركة المباركة اتبعه بذكر غيره من النعم وانما جمع بينهما لان
كون لوط معه معا كان بينهما من القرابة والشراكة في النبوة مزيد انعام

ثم انه تعالى بعد ذكر اتمامه على ابراهيم وعلى لوط بان نجاهما الى الارض المباركة
اتبعه بذكر غيره من النعم واجمع بينهما لان في كون لوط النعم التي افاضها على ابراهيم
ثم النعم التي افاضها على لوط اما الاول فمن وجوه احدها قوله ووهبنا
له اسحق ويعقوب نافلة واعلم ان النافلة العطية خاصة وكذلك الفعل ويسمى
الرجل بكثرة العطايا نوفلا ثم المفسرون ها هنا قولان الاول انه ها هنا مصدر
من غير لفظه ولا فرق بين ذلك وبين قوله ووهبنا له هبة اي وهبنا هما له عطية
وفضلا من غير ان يكون جزاء استحقاقا وهذا قول مجاهد وعطاء والثاني وهو قول
ابي بن كعب وابن عباس وقتادة والضحاك ان ابراهيم عليه السلام لما سال
الله ولدا قال رب هب لي من الصالحين فاجاب الله دعاءه ووهب له اسحق واعطاه
يعقوب من غير دعائه فكان ذلك نافلة كالشيء المتطوع به من الاصل فكانه
قال ووهبنا له اسحاق اجابة لدعائه ووهبنا له يعقوب نافلة على ما
سال كالصلاة النافلة التي هي زايدة على الفرض وعلى هذا النافلة يعقوب خاصة والوجه
الاول اقرب لانه تعالى جمع بينهما ثم ذكر قوله نافلة فاذا صلح ان يكون
وصفا لهما فهو اولى للنعمة الثانية اما قوله تعالى وكلا جعلنا صالحين اي وكلا
من ابراهيم واسحق ويعقوب مرسلين هذا قول الضحاك وقال آخرون
عاملين بطاعة الله مجتنبين محارمه والوجه الثاني اقرب لان لفظه
الصلاح يتناول الكل ولانه سبحانه قال بعد هذه الاية واوحينا اليهم
فلو حملنا الصلاح على النبوة لزم التكرار ولحج اصحابنا بهذه الاية على ان
افعال العباد مخلوقة لله تعالى لان قوله جعلناهم صالحين يدل على ان
ذلك الصلاح من قبله اجاب الجبائي بانه لو كان كذلك لما وصفهم بكونهم
صالحين ويكونهم ائمة عابدين ولما مدحهم بذلك ولما اثنى عليهم واذا ثبت
ذلك فلا بد من التاويل وهو من وجهين الاول ان يكون المراد انه سبحانه
اتاهم من لطفه وتوفيقه ما صلحوا به والثاني المراد انه سماهم بذلك
كما يقال في زيد فسق فلانا وكفره وضلله اذا وصفه بذلك وكان مصدقا
عند الناس وكما يقال في الحاكم زكى فلانا وعدله وجرحه اذا حكم بذلك
واعلم ان لهذه الوجوه محتملة اما اعتمادهم على المدح والذم فالعادة
المعهودة ان يعارضه عبادة الداعي والعلم واما الحمل على اللطف فباطل
لان فعل الالطاف عام في المكلفين فلا بد لهذا التخصيص من فايدة وايضا
قوله جعلته صالحا كقولك جعلته متمرا كالمحمل على تحصيل شيء سوى الصلاح
ترك للظاهر واما الحمل على التسمية فهو ايضا مجاز اوصى ما في الباب انه
قد صار اليه عند الضرورة في بعض المواضع وهاهنا لا ضرورة الا ان يرجعوا

مرة اخرى الى فصل المدح والذم فحينئذ يرجع ايضا الى مسالتي الداعي والعلم
النعمة الثالثة قوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا فيه
قولان احدهما جعلناهم ائمة يهدون الى دين الله والخيرات بامرنا واذننا
الثاني قول ابي مسلم ان هذه الامامة هي النبوة والاول اولى لئلا يلزم التكرار
بامرنا باذننا واحتج اصحابنا بهذه الاية على امرين احدهما في خلق الافعال
وجعلناهم ائمة وتقريره ما مضى والثاني على ان الدعوة الى الحق والمنع من الباطل
لا يجوز الا بامر الله تعالى لان الامر لو لم يكن مفيدا لما كان في قوله بامر الله فائدة
النعمة الرابعة قوله واوحينا اليهم فعل الخيرات وهذا يدل على انه
سبحانه خصهم بشرف النبوة وذلك من اعظم النعم قال الزجاج حذف الهاء من
اقامة لان الاضافة عوض منه وقال غيره الاقام مصدر وقال
ابو القاسم الانصاري الصلاة اشرف العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكوة
اشرف العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله
واعلم انه سبحانه وصفهم اولا بالصلاح لانه اول مراتب السيارة الى الله
ثم ترقى فوصفهم بالامامة ثم ترقى فوصفهم بالنبوة والوحي فاذا الصلاح
الذي هو اول العصمة اول مراتب النبوة دل ذلك على ان الانبياء معصومون فان
المحروم عن اول المراتب فاولى ان يكون محروما عن النهاية اولى ثم انه
سبحانه كما بين اصناف نعمه عليهم بين بعد ذلك اشتغالهم بعبوديته
فقال وكانوا لنا عابدين كانه سبحانه لما وفى بعهد الربوبية والاحسان
والانعام فهم ايضا وفوا بعهد العبودية وهو الاشتغال بالعبادة والطاعة
والله اعلم القصة الثالثة قصة لوط عليه السلام قوله
تعالى ولوطا اتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية
التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء
فاسقين ۝ وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين
اعلم انه سبحانه وتعالى بعد بيان ما انعم على ابراهيم اتبعه بذكر
نعمه على لوط كما جمع بينهما من قبل وفيه مسائل المسئلة الاولى في الواو
في قوله ولوطا قولان احدهما وهو قول الزجاج انه عطف على قوله
واوحينا اليهم والثاني وهو قول ابي مسلم انه عطف على قوله اتيناه
ابراهيم رشده ولا بد من ضمير في قوله ولوطا فكانه قال اتينا لوطا فاجر
ذكره المسئلة الثانية في اصناف النعم وهي اربعة احدها الحكم اي
الحكمة وهي التي يجب فعلها او وصل بين الخصوم وقيل هي النبوة وثانيها
العلم وثالثها ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث دون نفس القرية

ولان

ولان الهلاك نزل بهم فنجاه الله من ذلك ثم بين سبحانه بقوله انهم كانوا
قوم سوء فاسقين ما ارادوه من الخبائث وامرهم فيما كانوا يقدمون عليه ظاهر
ورابعها قوله وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين وفي تفسير الرحمة قولان احدهما
انه النبوة اي انه لما كان صالحا للنبوة ادخله في رحمته لكي يقوم بحقها عن
مقاتل والثاني انه الثواب عن ابن عباس والضحاك ويحتمل ان يقال
انه عليه السلام لما اتاه الله الحكمة والعلم وتخلص عن جلساء السوء انفتحت عنه ابواب
المكاشفات وتجلت له الانوار الالهية وهي بحر لا ساحل له وهي الرحمة في الحقيقة
القصة الرابعة قصة نوح عليه السلام قوله تعالى
ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله
من الكرب العظيم ۝ ونصرناه من القوم الذين كذبوا
باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين
اما قوله اذ نادى من قبل ففيه مسائل المسئلة الاولى لا شبهة
في ان المراد من هذا النداء دعاؤه على قومه بالعذاب ويؤكده استجابة الله تعالى
عند ذلك تارة على الاجمال وهو قوله رب اني مغلوب فانتصر وتارة
على التفصيل وهو قوله وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
ويدل عليه ايضا ان الله تعالى اجابه بقوله فاستجبنا له فنجيناه واهله
من الكرب العظيم وهذا الجواب يدل على ان المذكور فيه كان هو المطلوب
في السؤال فدل على ان انداءه ودعاءه كان بان ينجيه مما يلحقه من جهتهم من
ضروب الاذى بالتكذيب والرد عليه وبان ينصره عليهم وبان يهلكهم ولذلك
قال بعده ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا المسئلة الثانية
المحققون على ان ذلك النداء كان بامر الله تعالى لانه لو يؤمن ان يكون الصلاح
ان لا يجاب اليه فيصير ذلك سببا لنقصان حال الانبياء ولان الاقدام
على مثل هذا الطلب لو لم يكن بالامر لكان ذلك مبالغة في الاجتراء وقال
اخرون انه عليه السلام لم يكن ماذونا في ذلك وقال ورد في الاخبار لم
يتحسر احد من خلائق الله كحسرة ادم ونوح حسرة ادم على قبول وسوسة ابليس
وحسرة نوح على دعائه على قومه فاوحى الله تعالى اليه لا تتحسر فان دعوتك وافقت
قدري اما قوله فنجيناه واهله من الكرب العظيم فالمراد
بالاهل هاهنا اهل دينه وفي تفسير الكرب وجوه احدها العذاب النازل
بالكفار وهو الغرق وهو قول اكثر المفسرين وثانيها انه تكذيب قومه اياه
وما لقي منهم من الاذى وثالثها انه مجموع الامرين وهو قول ابن عباس وهو
الاقرب لانه عليه السلام كان قد دعاهم الى الله مدة طويلة وكان ينال

منهم كل مكروه وكان الغم يتزايد بسبب ذلك وعند اعلام الله تعالى اياه
ان يغرقهم وامره باتخاذ الفلك كان ايضا على غمه وخوف من حيث لم يعلم من الذي
يخلص من الغرق ومن الذي يغرق فازال الله عنه الكرب العظيم بان خلصه من
جميع ذلك وخلص من امن به معه اما قوله ونصرناه من القوم فقراة
ابي بن كعب ونصرناه على القوم ثم قال المبرد وتقديره ونصرناه من مكروهه
من القوم وقال الله تعالى فمن ينصرنا من باس الله اي يعصمنا من عذابه
وقال ابو عبيدة من بمعنى على وقال صاحب الكشاف انه نصر الذي
مطاوعه انتصر وسمعت هزليا يدعوا على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم
منتصرين منه اما قوله انهم كانوا قوم سوء فالمعنى انهم كانوا قوم
سوء لاجل درهم عليه وتكذيبهم فاغرقناهم اجمعين بذلك الوجه الذي خلصه
منهم القصة الخامسة قصة داود وسليمان عليهما السلام

قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في
الحرث ان نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين
ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين
وعلمناه صنعة لبوس لكم ليحصنكم من باسكم فهل انتم
شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره
الى الارض باركنا فيها وكنا بكل شي عالمين
ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون
ذلك وكنا لهم حافظين اعلم ان قوله وداود
وسليمان وايوب وزكريا وذا النون كله نسو على ما تقدم من قوله
ولقد اتينا ابراهيم ومن قوله ولوطا اتيناه واعلم ان
المقصود ذكر نعم الله تعالى على داود وسليمن فذكر اولا النعمة المشتركة بينهما
ثم ذكر ما يختص به كل واحد منهما من النعم اما النعمة المشتركة
فهي قصة الحلومة ووجه النعمة فيها ان الله زينها بالعلم والحكم في قوله
وكلا اتينا حكما وعلما ثم هذا تنبيه على ان العلم افضل الكمالات واعظمها
وذلك ان الله تعالى قدم ذكره هاهنا على ساير النعم الجليلة مثل تسخير الجبال
والطير والريح والجن فاذا كان العالم مقدما على امثال هذه الاشيا فما ظنك
بغيرها وفيه مسايل المسيلة الاولى قال ابن السكيت النفش ان
يتنفش الغنم بالليل يرعى بلا راع وهذا قول جمهور المفسرين وعن الحسن

انه

انه يجوز ذلك ليلا ونهارا المسيلة الثانية اكثر المفسرين على ان الحرث
هو الزرع وقال بعضهم هو الكرم والاول اشبه بالعرف المسيلة الثالثة
احتج من قال اقل الجمع اثنان بقوله وكنا لحكمهم شاهدين مع ان المراد
داود وسليمان وجوابه ان الحكم كما يضاف الى الحاكم فقد يضاف الى
المحكوم فاذا اضيف الحاكمان الى المحكومين كان المجموع اكثر من اثنين
وقرى وكنا لحكمهما شاهدين المسيلة الرابعة في كيفية القصة
وجهان احدهما قال اكثر المفسرين دخل على داود عليه السلام رجلان
احدهما صاحب حرث والاخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان غنم
هذا دخلت حرثي وما ابقت منه شيا فقال داود فاذهب فان الغنم لك فخرجا
فمرا على سليمان عليه السلام فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال لو كنت
انا اقضي لقضيت بغير هذا فاخبر بذلك داود عليه السلام فدعاه وقال
كيف تقضي بينهما قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ويكون له منافعها من الدر
والنسل والوبر حتى اذا كان الحرث من العام المستقبل كهيئة يوم اكل دفعت
الغنم الى اهلها وقبض صاحب الحرث حرثه الثاني قال ابن مسعود ومقاتل
ان راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فاكلت
القضبان وافسدت الكرم فذهب صاحب الكرم من الغد الى داود عليه
السلام فقضى له بالغنم لانه لم يكن بين ثمن الغنم وبين الكرم تفاوت فخرجا
ومرا بسليمان عليه السلام فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال غير هذا
ارفق بالفريقين فاخبر داود بذلك فدعا سليمان فقال له بحق النبوة والنبوة
الا اخبرتني بالذي هو ارفق للفريقين فقال تسلم الغنم الى صاحب الكرم
حتى يرتفق بمنافعها ويعمل الراعي في اصلاح الكرم حتى يصير كما كان ثم يرد الغنم
الى صاحبها فقال داود انما القضا ما قضيت وحكم بذلك قال ابن عباس
حكم سليمان بذلك وهو ابن احدى عشرة سنة وهاهنا امور لا بد من البحث
عنها السوال الاول هل في الاية دلالة على انهما عليهما السلام اختلفا في الحكم
ام لا فان ابا بكر الاصم قال انهما لم يختلفا البتة وانه تعالى بين لهما
الحكم لكنه بينه على لسان سليمان عليه السلام الجواب الصواب انهما
اختلفا والدليل عليه اجماع الصحابة والتابعين على ما رويناه وايضا فقد
قال تعالى وكنا لحكمهم شاهدين ثم قال ففهمناها سليمان والفا
للتعقيب فوجب ان يكون ذلك الحكم سابقا على هذا التفهيم فذلك الحكم
السابق اما ان يقال اتفقا فيه او اختلفا فيه فان اتفقا فيه لم يبق

لقوله فهمناها سليمان فاسده وان اختلفا فيه فذلك هو المطلوب
السوال الثاني سلمنا انهما اختلفا في الحكم ولكن كان الحكمان صادرين عن
النص او عن الاجتهاد الجواب الامران جايزان عندنا وزعم الجباي انهما
كانا صادرين عن النص قال وانه يدل على ذلك على ان الاجتهاد غير جايز
منهم وتارة انه جايز منهم في الجملة ولكنه غير جايز من الانبيا بامور
احدها قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقا نفسي ان اتبع الا
ما يوحى الي وقوله وما ينطق عن الهوى وثانيها ان الاجتهاد
طريقه الظن وهو قاصر على ادراك النفس فلا يجوز مصيره الى الظن كالمعاين
للقبلة لا يجوز ان يجتهد وثالثها ان مخالفة الرسول توجب الكفر لقوله
تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ومخالفة المظنون
والمجتهدات لا توجب الكفر ورابعها لو جاز ان يجتهد في الاحكام لكان
لا يقف في شيء منها الا وقف في مسالة الظهار واللعان ونزول الوحي
دل على ان الاجتهاد غير جايز عليه وخامسها ان الاجتهاد
انما يصير المصير اليه عند فقد النص لان فقد النص في حق الرسول
كالممتنع فوجب ان لا يجوز الاجتهاد منه وسادسها لو جاز الاجتهاد
من الرسول لجاز ايضا من جبرئيل عليه السلام وحينيذ لا يحصل الامان
ان هذه الشرايع التي حكمها آت من نصوص الله تعالى او من اجتهاد جبرئيل
عليه السلام والجواب عن الاول ان قوله تعالى قل ما يكون لي ان
ابدله من تلقا نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي لا يدل على قولكم انه وارد في
ابدال آية باية ولانه عقيب قوله وقال الذين لا يرجون لقاءنا ايت
بقران غير هذا او بدله ولا مدخل للاجتهاد في هذا واما قوله وما
ينطق عن الهوى فبعيد لان من يجوز له الاجتهاد يقول ان الذي اجتهد فيه
هو عن وحي على الجملة وان لم يكن كذلك على التفصيل ولان الاية واردة في
الاداء عن الله لا في حكمه الذي قد يكون بالتعليل والجواب عن الثاني ان الله
تعالى اذا دل له على ظنك كون الحكم معللا في الاصل بكذا ثم
غلب على ظنك قيام ذلك المعنى في صورة اخرى فاحكم بذلك فهاهنا
الحكم مقطوع به والظن غير واقع فيه في طريقه والجواب
عن الثالث انا لا نسلم ان مخالفة المجتهدات جايزة مطلقا بل جواز مخالفتها
مشروط بصدورها عن غير المعصوم والدليل عليه انه يجوز للامة ان
يجمعوا اجتهادا ثم يمنع مخالفتهم وحال الرسول اولى والجواب

عن الرابع انه عليه السلام كان ممنوعا عن الاجتهاد في بعض الانواع او كان
مامورا مطلقا الا انه لم يظهر له في تلك الصور وجه الاجتهاد فلا جرم توقف
والجواب عن الخامس لم لا يجوز ان يحبس النص عنه في بعض الصور فحينيذ
يحصل شروط جواز الاجتهاد والجواب عن السادس ان هذا الاحتمال
مدفوع باجماع الامة على خلافه وهذا هو الجواب عن بقية اسولة المنكرين
والذي يدل على جواز الاجتهاد عليهم وجوه احدها انه عليه السلام
اذا غلب على ظنه ان الحكم في الاصل معلل بمعنى ثم علم لو ظن قيام ذلك المعنى
في صورة اخرى تلايد وان يغلب على ظنه ان حكم الله في هذه الحكم المظنون
وعندها اما ان تقدم على الفصل والنزل معا وهو محال او النزل قبل الفصل
وعند هذا اما ان تقدم على الفصل والنزل معا الصورة مثل ما في الاصل
وعند عدمه يقينيه وهي ان مخالفة حكم الله سبب لاستحقاق العقاب
فتولد من هاتين المقدمتين ظن استحقاق العقاب بمخالفة هذا الحكم المظنون
وعندها اما ان تقدم على الفصل والنزل معا وهو محال لاستحالة الجمع
بين النقيضين او تركهما وهو محال لاستحالة الخلو عن النقيضين او ترجح
المرجوح على الراجح وهو باطل ببديهة العقل او ترجيح الراجح على المرجوح
وذلك هو العمل بالقياس وهذه النكتة التي عليها المعول في العمل بالقياس وهي
قائمة ايضا في حق الانبيا عليهم السلام وهذا يوجب عليه جواز الاجتهاد من جبرئيل
عليه السلام وثانيها ان قوله تعالى فاعتبروا امن الكل بالاعتبار فوجب
ادراج الرسول فيه لانه امام المعتبرين وافضلهم وثالثها ان الاستنباط
رفع درجات العلما فوجب ان يكون للرسول فيه مدخل والا كان كل واحد من احاد
المجتهدين افضل منه في هذا الباب فان قيل هذا انما يلزم لو لم يكن
درجة اعلى من الاعتبار والامر كذلك لانه كان يستدرك الاحكام وحيا
على سبيل اليقين وكان ارفع درجة من الاجتهاد الذي ليس مصداره الا الظن
قلنا لا يمتنع ان لا يحد النص في بعض الوقايع فلو لم يتمكن من الاجتهاد
لكان اقل درجة من المجتهد الذي يمكنه تعرف ذلك الحكم من الاجتهاد وايضا
فقد بينا ان الله تعالى لما امره بالاجتهاد كان ذلك سببا للقطع بالحكم ورابعها
قال عليه السلام العلما ورثة الانبيا فوجب ان يثبت للانبيا درجة
الاجتهاد ليرث العلما عنهم ذلك هذا تمام القول في هذه المسئلة
وخامسها انا بالله تعالى لما قال لم ادت طوي النفس فهو غير جايز
وان كان بالاجتهاد فهو المطلوب الماخذ الثاني قال الجباي لو جوزنا
الاجتهاد من الانبيا في هذه المسالة وجب ان لا يجوز ورود النص بعده ابدا الى الدي

وصل الى صاحب الزرع من ضرر الماشية ومن منافعها مجهول المقدار
فكيف يجوز في الاجتهاد جعل احدهما عوضا عن الاخر وثانيها ان
اجتهاد داود كان صوابا لزم ان لا ينقض لان الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد
فان كان خطا وجب ان يبين الله تعالى توبته كساير ما حكاه عن الانبيا
فلما مدحهما بقوله وكلا اتينا حكما وعلما ورابعها كيف يجوز ان يكون
عن اجتهاد مع قوله ففهمناها سليمان والجواب عن الاول ان الجهالة
في القدر لا يمنع من الاجتهاد كالجعالات في حكم المصراة وعن الثاني لعله
لعله كان خطا من باب الصغاير وعن الثالث بينا ان من تمسك بالقياس
فالظن واقع في طريق اثبات الحكم فاما الحكم فمقطوع به وعن الرابع
انه اذا تامل واجتهد واداه اجتهاده الى ما ذكرنا كان الله تعالى فهمه
من حيث بين له طريق ذلك فهذا جملة الكلام في بيان انه لا يمنع ان يكون
اختلاف داود وسليمان عليهما السلام في ذلك الحكم انما كان بسبب الاجتهاد
واما بيانه انه لا يمنع ايضا ان يكون اختلافهما فيه بسبب النص وطريقه
ان يقال ان داود عليه السلام كان مامورا من قبل الله تعالى في هذه
المسئلة فالحكم الذي حكم به ثم انه سبحانه وتعالى نسخ ذلك بالوحي
الى سليمان خاصة وامره ان يعرف داود ذلك فصار ذلك الحكم حكمهما
جميعا فقوله ففهمناها سليمان اي اوحينا اليه فان قيل هذا
باطل لوجهين الاول لما انزل الله تعالى الحكم الاول على داود وجب ان
ينزل نسخه على داود لا على سليمان الثاني ان الله تعالى مدح كل واحد
منهما على الفهم ولو كان ذلك على سبيل النص لم يكن في فهمه كثير مدح
انما المدح الكثير وقوة الخاطر والحذاقة في استنباط السوال الثالث
بينتم انه يجوز ان يكون اختلافهما لاجل النص وان يكون لاجل الاجتهاد فاي
القولين اولى الجواب الجهاد ارجح لوجوه احدها انه روي في الاخبار
الكبيرة ان داود عليه السلام لم يكن قد بت الحكم في ذلك حتى سمع سليمان
يقول ان غير ذلك اولى وفي بعضها ان داود عليه السلام ناشده لكي يورد
ما عنده وكل ذلك لا يليق بالنص لانه لو كان نصا لكان يظهره ولا يكتمه
السوال الرابع هو انه كيف كان طريق الاجتهاد الجواب ان وجه
الاجتهاد فيه ما ذكره ابن عباس من ان داود عليه السلام ناشده لكي يورد ما
عنده وكل ذلك لا يليق بالنص لانه لو كان نصا لكان يظهره ولا يكتمه السوال
الرابع هو انه كيف طريق الاجتهاد الجو قوم قدر الضرر في الكرم فكان مساويا

لقيمة

لقيمة الغنم وكان عنده ان الواجب في ذلك الضرر ان يزال بمثله من النفع
فلا جرم سلم النفع الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى
على النفس يدفعه الولي بذلك او يفديه واما سليمان فان اجتهاده ادى
الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوايد بالزوايد فاما
مقابلة الاصول بالزوايد فغير جايز لانه يقتضي الحيف والفقر ولعل
منافع الغنم في تلك السنة كانت مقاربة لمنافع الكرم فحكم به كما قال الشافعي
رضي الله عنه فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع المغصوب
منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر تراد السوال
الخامس على تقدير ان يثبت قطعا ان تلك المخالفة كانت مبنية على الاجتهاد فهل
يدل هذه القصة على ان المصيب واحد او الكل مصيبون الجواب اما القايلون
بان المصيب واحد ففيهم من استدل بقوله ففهمناها سليمان قال
ولو كان الكل مصيبا لم يكن لتخصيص سليمان عليه السلام بهذا التفهيم
فايدة واما القايلون بالكل مصيبون ففيهم من استدل بقوله
ففهمناها وكلا اتينا حكما وعلما ولو كان المصيب واحدا او مخالفه مخطيا لما صح
ان يقال وكلا اتينا حكما وعلما واعلم ان الاستدلالين ضعيفان اما
الاول فلان الله لم يقل انه فهمه الصواب فيحتمل انه فهمه الناسخ ولم يفهم
ذلك داود لانه لم يبلغه وكل واحد منهما مصيب فيما حكم به على ان اكثر ما في
الامر انها دالة على ان داود وسليمان كانا مصيبين وذلك لا يوجب ان يكون
الامر كذلك في شرعنا واما الثاني فلانه تعالى لم يقل ان كلا اتيناه
حكما وعلما فيما حكم به بل يجوز اتيناه حكما وعلما بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام
على انه لا يلزم كل مجتهد مصيبا في زعمه ان يكون الامر كذلك في شرعنا السوال
السادس لو وقعت هذه الواقعة في شرعنا ما حكمهما الجواب قال الحسن
هذه الاية محكمة والقضاة يقضون بذلك الى يوم القيمة واعلم ان كثيرا
من العلما يزعمون انه منسوخ بالاجماع ثم اختلفوا في حكمه فقال الشافعي رضي
الله عنه ان كان ذلك بالنهار لا ضمان لان صاحب الماشية له ان يسيب ماشيته
بالنهار وحفظ الزرع بالنهار على صاحبه وان كان ليلا يلزمه الضمان لان حفظها
بالليل عليه وقال ابو حنيفة لا ضمان عليه ليلا كان او نهارا اذا لم يكن متعديا
بالارسال لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار واحتج الشافعي
بما روي عن البرا بن عازب انه قال كانت ناقة ضارية فدخلت حايطا فافسدت
فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى ان حفظ الحوايط بالنهار
على اهلها وحفظ الماشية بالليل على اهلها وان على اهل الماشية ما اصابت

ماشيتهم بالليل هذا تمام القول في هذه الاية ثم ان الله تعالى ذكر من النعم
التي خص بها داود عليه السلام امرين الاول قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن والطير وكنا فاعلين وفيه مسايل المسيلة الاولى في
تفسير هذا التسبيح وجهان احدهما ان الجبال كانت تسبح ثم ذكروا وجوها
احدها قال مقاتل اذا ذكر داود ربه ذكرت الجبال والطير ربها معه
وثانيها قال الكلبي اذا سبح داود اجابته الجبال وثالثها
قال سليمان بن حسان كان داود اذا وجد فترة امر الله الجبال فسبحت
فيزداد نشاطا واشتياقا القول الثاني وهو اختيار بعض اصحاب
المعالي انه يحتمل ان يكون تسبيح الجبال والطير بمثابة قوله وان
من شيء الا يسبح بحمده وتخصيص داود بذلك انما كان بسبب انه عليه السلام
كان يعرف ذلك ضرورة فيزداد يقينا وتعظيما والاول اقرب لانه لا ضرورة
في صرف اللفظ عن ظاهره اما المعتزلة قالوا حصل الكلام في الجبل
لحصل اما بفعله او بفعل الله فيه والاول محال لان بنية الجبال لا
تحتمل الحياة والعلم والقدرة وما لا يكون حيا عالما قادرا يستحيل منه الفعل
والثاني ايضا محال لان المتكلم عندهم من كان فاعلا للكلام لا من كان محلا
للكلام فلو كان فاعل ذلك الكلام هو الله تعالى لكان المتكلم هو الله لا الجبل فثبت
انه لا يمكن اجراؤه على ظاهره فعند هذا قالوا معنى قوله سخرنا الجبال
مع داود الجبال مثل قوله يا جبال اوبي معه ومعناه تصرفي معه وسيري
معه ومعنى يسبحن من السبح الذي هو السباحة خرج اللفظية على التكثير ولو افرد
لقيل اسبحي معه اي سيري وهو كقوله ان لك في النهار سبحا طويلا اي
تصرفا ومذهبا اذا ثبت هذا فنقول ان سيرها هو التسبيح لدلالته على قدرة
الله تعالى وعلى ساير ما ينزه عنه واعلم ان مدار هذا القول على ان بنية الجبل
لا تقبل الحيوة وهذا ممنوع وعلى ان المتكلم من فعل الكلام وهو ايضا ممنوع
المسيلة الثانية اما الطير فلا امتناع ان يصدر عنها الكلام
ولكن اجمعت الامة على ان المكلفين اما الانس او الجن او الملايكة فيمتنع فيما
ان يبلغ في العقل الى درجة التكليف بل يكون حالها حال الطفل في ان يومر
وينهى وان لم يكن مكلفا فصار ذلك معجزا من حيث جعلها في الفهم بمنزلة
المراهق وايضا دلالة على قدرة الله وعلى تنزيهه عما لا يجوز فيكون القول
فيه كالقول في الجبال المسيلة الثالثة قال صاحب الكشاف يسبحن
حال بمعنى مسبحات او استيناف كان قايلا قال كيف سخرهن فقال

يسبحن

يسبحن والطير اما معطوف على الجبال او مفعول معه فان قلت
لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها اغرب وادل
على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق اما قوله
وكنا فاعلين فالمعنى انه كنا قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم
وقيل نفعل ذلك بالانبيا الانعام الثاني قوله تعالى وعلمناه صنعة
لبوس لكم ليحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون وفيه مسايل المسيلة
الاولى اللبوس اللباس اليس لكل حالة لبوسها المسيلة الثانية ليحصنكم قرئ
بالياء والتاء والنون وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء
للصنعة او للبوس على تاويل الدرع والياء لله عز وجل او لداود او للبوس قال
قتادة اول من صنع الدرع كان داود وان كان قد كان صناع قبله فهو اول
من سردها واتخذها حلقا وذكر الحسن ان لقمان الحكيم حضره وهو يعمل الدرع فاراد
ان يساله عمل يعمل ثم كف حتى فرغ فقال له الصمت حكم وقليل فاعله قالوا
ان الله تعالى الان له الحديد يعمل منه بغير نار كالطين المسيلة الرابعة
الباين هاهنا الحرب وان وقع على الشر كله والمعنى ليمنعكم ويحرسكم من
باسكم اي من القتل والجرح والسيف والسهم والرمح المسيلة الخامسة
فيه دلالة ان اول من عمل الدرع داود ثم تعلم الناس منه فتوارث الناس عنه
فعمت النعمة بها كل المحاربين من الخلق الى اخر الدهر فيلزمهم شكر الله على النعمة
فقال فهل انتم شاكرون اي اشكروا الله على ما يسر عليكم من هذه الصناعة
واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر النعم التي خص بها داود ذكر النعم التي
خص بها سليمان قال قتادة ورث الله من سليمان من داود ملكه ونبوته
وزاد عليه امرين سخر له الريح والشياطين وفيه مسايل المسيلة الاولى
قوله ولسليمن الريح عاصفة تجري بامره اي جعلناها عاصفة طايعة
منقادة له يعني ان ارادها عاصفة كانت عاصفة وان ارادها لينة كانت
لينة والله تعالى يسخرها في الحالين فان قيل العاصف الشديد الهبوب
وقد وصفها الله تعالى في قوله رخاء حيث اصاب فكيف الجمع والجواب
من وجهين الاول انها كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه
ابعدت في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكانت جامعة بين
الامرين رخاء في نفسها عاصفة في عملها مع طاعتها وهبوبها على حسب ما يريد
ويحكم به وذلك معجزة الثاني انها كانت في وقت عاصفا لاجل هبوبها
على حكم ارادته المسيلة الثانية قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب
فيهما فالرفع على الابتدا والنصب على العطف على الجبال فان قيل

قال في داود وسخرنا مع داود الجبال وقال في حق سليمان وسخرنا لسليمان الريح
فذكر في حق داود بكلمة مع وفي حق سليمان باللام وراعى هذا الترتيب في قوله
يا جبال اوبي معه وقال وسخرنا له الريح تجري بامره فما الفايدة في تخصيص داود
بلفظ مع وسليمان باللام قلنا يحتمل ان الجبل لما اشتغل بالتسبيح حصل
نوع شرف فما اضيف اليه بلام الملك واما الريح فلم يصدر عنه الا ما يجري
مجرى الخدمة فلا جرم اضيف الى سليمان بلام التمليك وهذا فناعي اما
قوله الى الارض التي باركنا فيها اي المضي الى بيت المقدس قال الكلبي كانت
من اصطخر الى الشام يركب عليها سليمان واصحابه اما قوله وكنا بكل
شي عالمين اي لعلمنا بالاشيا صح منا ان ندبر هذا التدبير في رسلنا وفي خلقنا
ان نفعل هذه المعجزات الظاهره الانعام الثاني قوله ومن
الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين وفيه
مسايل المسيلة الاولى انهم يغوصون له في البحر يستخرجون الجواهر
ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبنا المدن والقصور واختراع
الصنايع العجيبه كما قال تعالى يعملون له ما يشا من محاريب وتماثيل ٥
واما الصناعات فكاتخاذ الحمامات والنوره والطواحين والقوارير
والصابون المسيلة الثانيه قوله ومن الشياطين يعني وسخرنا
لسليمان من الشياطين من يغوصون له فيكون في موضع النصب نسقا
على الريح قال الزجاج ويجوز ان يكون في موضع رفع من وجهين الاول
النسق على الريح والمعنى ولسليمن الريح وله من يغوصون من الشياطين ويجوز
ان يكون رفعا على الابتدا ويكون له الخبر المسيلة الثالثه قوله
ومن الشياطين يعني وسخرنا يحتمل ان يكون منهم من يغوص هو الذي يعمل ساير
الاعمال ويحتمل انهم فرقة اخرى ويكون الكل داخلين في لفظة من وان كان
الاول هو الاقرب المسيلة الرابعه ليس في الظاهر الا انه سخرهم لكنه
روي انه تعالى سخر كفارهم دون المومنين وهو الاقرب من وجهين احدهما
اطلاق لفظ الشياطين والثاني قوله وكنا لهم حافظين فان المومن اذا سخر
في امر لا يجب ان يحفظ لئلا يفسد وانما يجب ذلك في الكافر المسيلة
الخامسه في تفسير قوله وكنا لهم حافظين وجوه احدها انه تعالى
وكل بهم جمعا من الملايكة او جمعا من مومني الجن وثانيها سخرهم الله تعالى بان
حبب اليهم طاعته وخوفهم من مخالفته وثالثها قال ابن عباس يريد
وسلطانه مقيم عليهم يامرهم ما يشا فان قيل وعن اي شي كانوا محفوظين
قلنا فيه ثلاثة اوجه احدها انه يقال كان يحفظهم لئلا يذهبوا ويتركوا

عمله

عمله وثانيها قال الكلبي كان يحفظهم من ان يهيجوا احدا في زمانه
وثالثها كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دابهم انهم يعملون
ثم يفسدونه بالليل المسيلة السادسه سال الجبائي نفسه وقال
كيف يتهيا لهم هذه الاعمال واجسامهم رقيقه لا يقدرون على حمل الثقيل وانما
يمكنهم الوسوسه واجاب بان الله سبحانه كثف اجسامهم خاصة
وقواهم وزادهم وعظمهم ليكون ذلك معجزة لسليمان فلما مات سليمان ردهم
الى الخلقة الاولى لانه لو بقاهم على الخلقة الثانيه لصارت شبهة على الناس
ولو ادعى متنبي النبوه وجعله دلالة لكان كمعجزات الرسل فكذلك ردهم
الى خلقتهم الاولى واعلم ان هذا الكلام ساقط من وجوه احدها لم قلت
ان الجن من الاجسام ولم لا يجوز وجود محدث ليس بمتحيز ولا قايم بل المتحيز ويكون
الجن منهم فان قيل لو كان الامر كذلك لكان مثلا للباري تعالى
قلنا هذا ضعيف لان الاشتراك في اللوازم الثبوتيه لا تدل
على الاشتراك في الكرامات فكيف اللوازم السلبيه سلمنا انه جسم لكن لم
يجوز حصول القدرة على هذه الاعمال الشاقه في الجسم اللطيف وكلامه
بنا على ان المبنية شرط وليس في يده الا الاستقرا الضعيف سلمنا انه لا
بد من تكثيف اجسامهم لكن لم قلت انه لا بد من ردها الى الخلقة الاولى
بعد موت سليمان قوله لئلا يفضي الى التلبيس غير لازم لان المتنبي
اذا جعل ذلك معجزة لنفسه فللمدعي ان يقول لم لا يجوز ان يقال ان قوة
اجسامهم كانت معجزة لنبي اخر قبلك ومع قيام هذا الاحتمال لا يتمكن
المتنبي من الاستدلال به واعلم ان اجسام هذا العالم اما كثيفه
او لطيفه اما الكثيف فاكثف الاجسام الحجارة والحديد وقد
جعلها الله معجزة لداود عليه السلام فانطق الحجر ولين الحديد وكل واحد
منهما كما يدل على التوحيد والنبوه يدل على صحة الحشر لانه لما قدر على احيا
الحجارة فاي بعد في احيا العظام الرميمه واذا قدر على ان يجعل في اصبع داود
قوة النار مع كون الاصبع في نهاية اللطافه واي بعد في ان يجعل التراب اليابس
جسما حيوانيا والطف الاشيا في هذا العالم الهوا والنار وقد جعلهما
الله معجزة لسليمان اما الهوا فقوله وسخرنا له الريح واما
النار فلان الشياطين مخلوقون من النار وقد سخرهم الله ثم كان يامرهم بالغوص في
المياه والنار تنطفي بالما وهم ما كان يضرهم ذلك وذلك يدل على قدرته
على اظهار الضد من الضد القصه السادسة قصة ايوب
عليه السلام

قوله تعالى وايوب

إذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله
ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين

اعلم ان في امر ايوب وما ذكر الله من شانه ها هنا وفي غيره من القران من العبر والدلايل في غير لانه مع عظم وفضله انزل به من المرض العظيم ما انزله ما كان غيره له ولغيره ولسائر الناس ممن سمع بذلك وتعريفا لهم ان الدنيا مزرعة الاخرة وان الواجب على المرء ان يعتبر بما نالهم من البلاء فيها ويجتهد في القيام بحق الله تعالى ويصبر على حالتي السراء والضراء وفيه مسايل المسالة الاولى قال وهب بن منبه كان ايوب صلوات الله عليه رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص وكان من ولد عيصو ابن اسحق وكانت امه من ولد لوط وكان الله تعالى قد اصطفاه وجعله نبيا وكان ذلك من الدنيا اعطاه الله حظا وافرا من النعم والدواب والبساتين واعطاه اهلا وولدا من رجال ونساء وكان رحيما بالمساكين يكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف وكان معه ثلاثة نفر آمنوا به وعرفوا فضله قال وهب بن منبه وان جبريل بين يدي الله تعالى مقاما ليس لاحد من الملايكة مثله في القربة والفضيلة وهو الذي يتلقى الكلام اذا ذكر الله عبدا بخير تلقاه جبريل ثم تلقاه ميكايل ثم من حوله من الملايكة المقربين فاذا شاع ذلك فيهم صلوا عليه ثم صلت عليه ملايكة السموات ثم ملايكة الارض وكان ابليس لم يحجب عن شيء من السموات وكان يقف منها حيث اراد ومن هناك وصل الى ادم حتى اخرجه من الجنة ولم يزل على ذلك حتى رفع عيسى عليه السلام فحجب من اربع وكان بعد ذلك يصعد في ثلاث الى زمان نبينا عليه السلام فحجب عند ذلك من جميع السموات الا من استرق السمع قال فسمع ابليس عاود الملايكة بالصلاة على ايوب فادركه الحسد فصعد سريعا حتى وقف من السما موقفا كان يقفه فقال رب انك انعمت على عبدك ايوب فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تجربه بشدة وبلاء وانا لك زعيم لين صرسته لتكفرن بك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض لعنه الله حتى وقع الى الارض وجمع عفاريت الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني سلطت على مال ايوب قال عفريت اعطيت من القوة ما اذا شئت حولت اعصارا من النار واحرقت كل شيء اتي عليه فقال ابليس ذات الابل ورعاها تذهب ولم يشعر الناس حتى تار من تحت الارض اعصارا من نار لا يدنوا منها شيء الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاها حتى اتى على اخرها

فذهب ابليس على شكل بعض الناس او لبك الرعا الى ايوب فوجده قائما يصلي فلما فرغ من صلاته قال يا ايوب هل تدري ما صنع ربك الذي تعبده احرق ابلك ورعاها فقال ايوب انها ماله اعارنيه فهو اولى بها اذا شاء نزعه قال ابليس فان ربك ارسل عليها نارا من السما فاحرقت الابل ورعاها كلها وتركت الناس مبهوتين متعجبين منها فمن قايل يقول كان ايوب ما يعبد شيا وما كان الا في غرور ومن قايل يقول لو كان اله ايوب يقدر على شيء لمنع عن ولده وقايل اخر يقول هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع صديقه فقال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن امي وعريانا اعود في التراب وعريانا احشر الى الله ولو علم الله فيك خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك سرا فاخرجك فرجع ابليس الى اصحابه خاسيا فقال عفريت اخر عندي من القوة ما اذا اشئت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت روحه فقال له ابليس فات الغنم ورعاها فانطلق فصاح بها فماتت ومات رعاوها فخرج ابليس متمثلا بمهرمسان الرعاه الى ايوب فقال له القول الاول وردد عليه ايوب الرد الاول فرجع ابليس صاغرا وقال عفريت اخر عندي من القوة اذا شئت تحولت زحا عاصفة اقلع كل شيء اتي عليه فقال اذهب الى الحرث والنيران فاهلكهم ثم خرج ابليس متمثلا حتى جا ايوب وهو يصلي فقال مثل قوله فرد عليه ايوب على الرد فجعل ابليس يصيب اموال ايوب شيا شيا حتى اتى على جميعها فلما راى ابليس صبره على ذلك وقف الموقف الذي كان يقفه عند الله تعالى فقال الهي هل انت مسلطي على ولده فانها البنية المضلة قال انطلق فقد سلطتك على ولده فاتى اولاد ايوب في قصرهم فلم يزل يزلزل من قواعد القصر حتى قلب القصر ثم جا الى ايوب متمثلا بالمعلم وهو جريح مسدوخ الراس يسيل دمه ودماغه فقال لو راب بنيك انقلبوا منكوسين على رووسهم يسيل دماغهم من انوفهم لقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويرققه حتى رق ايوب وبكى وقبض قبضة من التراب ووضعها على راسه فاغتم ابليس ذلك ثم لم يلبث ايوب ان استغفر واسترجع فصعد ابليس ووقف موقفه فقال الهي انما يهون على ايوب حطم المال والولد لعلمه بانك تعيد المال والولد فهل انت مسلطي على جسده واني لك زعيم لو ابتليته في جسده ليكفرن بك فقال تعالى انطلق فقد سلطتك على جسده وليس لك سلطان على عقله وقلبه ولسانه فانقض عدو الله سريعا فوجد ايوب ساجدا فاتاه من قبل الارض فنفخ في منخره نفخة اشتعل فيها جسده وخرج به من قرنه الى قدمه بالبلاء ووقعت فيه حكة لا يملكها

وكان يحك باظفاره حتى سقطت اظفاره ثم حكها بالمسوح الخشنه ثم
حكها بالفخار والحجاره فلم يزل يحكها حتى تقطع لحمه وتغير ونتن فاخرجه
اهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا ورفضه الناس كلهم غير امراته
رحمه بنت ابراهيم بن يوسف وكانت تصلح اموره ثم ان رهبا طول في الحكاية
الى ان قال ان ايوب عليه السلام اقبل على الله مستعينا به متضرعا اليه قال
يرب لاي شي خلقتني يا ليتني كنت حيضة القتني امي ويا ليتني عرفت الذنب الذي
اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني الم اكن للغريب دارا وللمسكين
قرارا وللتيم وليا وللارمله فيما الهي انا عبد ذليل ان احسنت فالمن لك وان
اسات فيبدل عقوبتي جعلتني للبلا غرضا وللفتنة نصبا وسلطت علي ما
لو سلطت على جبل لضعف من حمله الهي انقطعت اصابعي وتساقطت لهواتي
وتناثر شعري ذهب المال وصرت اسال اللقمة فيطعمني من يمن بها علي قال
الامام ابو القاسم الانصاري وفي جملة هذا الكلام ليتك لو كرهتني لم تخلقني
ثم قال ولو كان صحيحا لاغتنمه ابليس فان قصده ان يحمله على الشكوى وان
يخرجه من جملة الصابرين والله تعالى لم يخبر عنه الا قوله اني مسني الضر وانت
الراحمين ثم قال انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اختلف العلما في السبب
الذي قال لاجله اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين وفي مدة بلائه فالرواية
الاولى روى ابو شهاب عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ايوب بقي البلا ثمانية عشر سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه
كانا يغدوان عليه ويروحان فقال احدهما للاخر ذات يوم والله لقد اذنب
ايوب ذنبا ما اذنبه احد من العالمين فقال له صاحبه وما ذلك قال منذ ثماني
عشر سنة لم يرحمه الله ولم يكشف ما به فلما راح الى ايوب لم يصبر الرجل حتى
ذكر ذلك لايوب فقال ايوب ما ادري ما يقولان غير ان الله يعلم اني كنت
امر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فارجع الى بيتي فاكفر عنهما كراهة
ان يذكر الله الا في حق وفي رواية اخرى ان الرجلين لما راحا وجدا ريحا فقالا
لو كان لايوب عند الله خير ما بلغ الى هذه الحالة قال فما شق على ايوب شي مما
ابتلي به اشد مما سمع منهما وقال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت شبعان وانا
اعلم مكان جايع فصدقني فصدق ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم البس قميصين
قط وانا اعلم مكان عاري فصدقني فصدق وهما يسمعان ثم خر ايوب ساجدا
ثم قال اللهم اني لا ارفع راسي حتى يكشف حالي قال فكشف الله ما به الرواية
الثانية قال الحسن مكث ايوب بعد ما القي على الكناسة سبع سنين واشهرا
ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق غير امراته رحمه وكانت تاتيه بطعام وتحمد الله

مع ايوب

مع ايوب وكان ايوب مواظبا على حمد الله والثنا عليه والصبر على ما ابتلاه فصرخ ابليس
صرخة جزعا من صبر ايوب فاجتمع اليه جنوده من اقطار الارض وقالوا ما حزنك
قال اعياني هذا العبد الذي سالت الله ان يسلطني عليه وعلى ماله وعلى ولده
فلم ادع له مالا ولا ولدا ولم يزدد بذلك الا صبرا وحمد الله ثم سلطت على جسده
وتركته ملقى على كناسة ما يقربه الا امراته وهو مع ذلك لا يفتر عن الذكر
والحمد فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له اين مكرك واين مهلك الذي
اهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في ايوب فاشيروا علي قالوا رايت
ادم حين اخرجته من الجنة من اين اتيته قال من قبل امراته قالوا فشانك فات
ايوب من قبل امراته فانه لا يستطيع ان يعصيها لانه لا يقربه احد غيرها
قال اصبتم فانطلق حتى امراته فتمثل لها في صورة رجل فقال لها اين بعلك
يا امة الله قال هو ذا يحك قروحه ويتردد الدواب في جسده فلما سمعها
طمع ان يكون ذلك كله جزع فوسوس اليها وذكرها ما كان لها من النعم والمال
وذكرها جمال ايوب وشبابه قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم ان قد جزعت
فاتى بنخلة فقال ليذبح هذا الى ايوب ويبرا قال فجات تصرخ يا ايوب
حتى متى يعذبك ربك لا يرحمك اين المال اين الماشية اين الولد اين الصديق اين
اللون الحسن اين جسمك الذي بلي وصار مثل الرماد وتردد فيه الدواب
اذبح هذه النخلة واستريح قال ايوب اتاك عدو الله ونفخ فيك فاجبته
اما تذكرين ما كنا فيه من المال والولد والصحة من اعطانا ذلك قالت الله
قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمذ كم ابتلانا الله بهذا البلا
قالت منذ سبع سنين واشهر قال ويلك والله ما انصفت ربك الا صبرت
في البلا ثمانين سنة كما كنا في الرخا ثمانين سنة والله لين شفاني ربي لاجلدنك مائة
جلدة وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيا من طعامك الذي تاتيني بهما فطردها
فذهبت فلما نظر ايوب في شانه وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق
وقد ذهبت امراته خر ساجدا وقال رب اني مسني الضر وانت
ارحم الراحمين فقال ارفع راسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله
فنبعت عين ما فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت عنه ثم ضرب
برجله مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه دا الا خرج
وقام صحيحا وعاد اليه شبابه وجماله حتى صار احسن ما كان ثم كسي حلة
فلما قام جعل يلتفت فلم ير شيا مما كان له من الاهل والمال الا وقد اضعفه الله
حتى ذكر ان الما الذي اغتسل به تطاير على صدره جرادا من ذهب قال
فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا ايوب الم اغنك قال بلى ولكنها بركتك من

تسبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امراته قالت
هب انه طردني افاتركه يموت جوعا وتاكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت
ما رات من تلك الكناسه ولا تلك الحال واذا الامور قد تغيرت فجعلت
تطوف حيث كانت الكناسه ويبكي ذلك بعين ايوب وهابت صاحب الحلة
ان تاتيه وتسال عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال ما تريدين يا امة
الله فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها
ايوب ما كان منك فبكت وقالت بعلي فقال تعرفينه اذا رايته قالت وهل
يخفى على احد راه فتبسم وقال انا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال
امرتيني ان اذبح سخلة لابليس واني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله
فرد علي ما ترين الرواية الثالثة قال الضحاك ويقال بقي في البلا سبع سنين
وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات وقال وهب بقي في البلاء
ثلاث سنين فلما غلب ايوب عليه السلام ابليس ذهب ابليس الى امراته على هيئة
ليست كهيئة بني ادم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس كمراكب الناس فقال
لها انت صاحبة ايوب قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال فانا اله
الارض وانا صنعت بايوب ما صنعت وذلك انه عبد اله السما وتركني وعصاني
ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه جميع ما لكما من مال وولد فان ذلك
عندي قال وهب وسمعت انه قال لو ان صاحبك اكل طعاما ولم يسم الله
لعوفي مما به من البلا وفي رواية اخرى بل اما لو شيت فاسجدي لي سجدة
واحدة حتى ارد عليك المال والولد واعافي زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته
بما قال لها فقال لها ايوب اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم لين
عافاني الله لتضربنها ماية جلدة وقال عند ذلك مسني الضر يعني من طمع ابليس
في سجودي له وسجود زوجي له ودعا به اياي واياها الى الكفر الرواية
الرابعة قال وهب كانت امراة ايوب تعمل للناس وتاتيه بقوته فلما
طال عليها البلا سيمها الناس فلم يستعملوها فالتمست ذات يوم شيا من الطعام
فلم تجد شيا فجزت قرنا من راسها برغيف فاتته فقال لها اين قرنك فاخبرته
بذلك فحينئذ قال مسني الضر الرواية الخامسة قال اسمعيل السدي
لم يقل ايوب مسني الضر الا لاشيا ثلاثة احدها قول الرجلين له لو كان عملك
الذي كنا نرى لله تعالى لما اصابك والثاني كانت لامراته ثلاث ذوايب
فعمدت الى احدها فقطعتها وباعتها فاعطوها بذلك خبزا ولحما وجات به الى ايوب
فقال لها من اين هذا فقالت كل فانه حلال فلما كان من الغد لم تجد شيا فباعت
الثانية وكذلك في اليوم الثالث وقالت كل فانه حلال فقال لا اكل ما لم تخبريني

فاخبرته

فاخبرته فبلغ ذلك من ايوب ما الله به عليم وقيل انما باعت لان ابليس تمثل
لقومه في صورة بشر وقال ان تركتم ايوب في قريتكم فاني اخاف ان تتعدى اليكم
ماية من العلة فاخرجوه الى باب البلد ثم قال لهم ان امراته تدخل في بيوتكم
وتعمل وتمس زوجها اما تخافون ان تعدي اليكم علته فحينئذ لم يستعملها
احد فباعت ضفيرتها الثالث حين قالت له امراته ما قالت فحينئذ
دعا الرواية السادسة قيل سقطت دودة من فخذه فرفعها وردها
الى موضعها وقال قد جعلني الله طعمة لك فعضته عضة شديدة فقال
مسني الضر فاوحى الله اليه لولا اني جعلت تحت كل شعرة منك صبرا لما صبرت
المسئلة الثانية اعلم ان المعتزلة طعنوا في هذه القصة من وجوه
احدها قال الجبائي ذهب بعض الجهال الى ان ما كان به من المرض كان فعلا
للشيطان سلطه الله عليه لقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب وهذا جهل
اما اولا فلانه لو قدر على احداث الامراض والاسقام وضدهما من العافية
لتهيا له فعل الاجسام ومن هذا حاله يكون الها واما ثانيا فلان الله تعالى اخبر
عنه وعن جنوده بانه قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي فلا تلوموني فالواجب تصديق خبر الله تعالى دون الرجوع الى ما يروى عن
وهب بن منبه واعلم ان الاعتراض ضعيف فلان المذكور في الحكاية
ان الشيطان نفخ في منخره فوقعت الحكة فيه فلم قلتم ان القادر على هذه النفخة
التي تولد مثل هذه الحكة فلا بد وان يكون قادرا على خلق الاجسام وهل هذا الا
محض التحكم واما التمسك بالنص فضعيف لانه انما يقدم على هذا الفعل
متى علم انه لو اقدم عليه لما منعه الله عنه وهذه الحالة لم تحصل الا في حق ايوب
على ما دلت الحكاية عليه من انه استاذن فاذن له فيه واذا كان كذلك
لم يكن بين ذلك النص وبين هذه الحكاية مناقضة وثانيها قالوا ما روي
انه عليه السلام لم يسال الا عند امور مخصوصة فبعيد لان الثابت
في العقل انه يحسن من المرء ان يسال ربه ذلك ويضرع الى الله كما يحسن منه المداومة
واذا جاز ان يسال ربه عند الغم بما يراه من اخوانه واهله جاز ايضا ان يسال
ربه من قبل نفسه فان قيل افلا يجوزون انه تعالى يعيده ان لا يسال
الكشف الا في اخر الامر قلنا يجوز ذلك من حيث يجوز ان يدوم ويجوز ان
ينقطع وثالثها قالوا انتهاء ذلك المرض الى حد التنفير جايز لان الامراض
المنفرة من القبول غير جايزة على الانبياء فهذا جملة ما قيل في هذه الحكاية
المسئلة الثالثة قال صاحب الكشاف قوله تعالى اني مسني الضر
اي ناجاه باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او لتضمين النداء

بان يعلمه ان انزال ذلك به مدة مخصوصة من مصلحته ومصلحة غيره لا محالة يعلم عليه السلام انه لا وجه للمسالة في هذا الامر الخاص فاذا قرب الوقت جاز ان يسال ذلك

معناه والضر بالفتح الضرر في كل شي وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال
المسئلة الرابعة انه عليه السلام الطف في السوال حيث ذكر نفسه بما يوجب
الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فان قيل اليس
الشكوى تقدح في كونه صابرا الجواب قال سفيان بن عيينة من شكى
الى الله فانه لا يعد شاكيا اذا كان في شكواه راضيا بقضا الله ليس من شرط الصبر
استحلا البلاء الم تسمع قول يعقوب انما اشكوا بثي وحزني الى الله اما
قوله وانت ارحم الراحمين فالدليل على انه سبحانه ارحم الراحمين امور
احدها ان كل من رحم غيره فاما ان يرحمه طلبا للثنا في الدنيا او للثواب في
الاخرة او دفعا للرقة الجنسية عن الطبع وحينئذ يكون مطلوب ذلك الراحم
حصة نفسه اما الحق سبحانه وتعالى فانه يرحم عباده من غير وجه
من هذه الوجوه من غير ان يعود اليه من تلك الرحمة زيادة او نقصان من البنا
او من صفات الكمال فكان هو سبحانه ارحم الراحمين وثانيها ان كل من
رحم عبده فلا يكون الا بمعونة رحمة الله لان من اعطى غيره ثوبا او طعاما
او دفع عنه بلا فلولا ان الله سبحانه وتعالى خلق المطعوم والملبوس والادوية
والاغذية والا لما قدر احد على اعطا ذلك الشي ثم بعد وصول تلك العطية
اليه فلولا انه سبحانه جعله سببا للراحة لما حصل النفع بذلك فاذن رحمة
العباد مسبوقة برحمة الله تعالى وملحوقة برحمته بل رحمتهم فيما بين الطرفين
كالقطرة في البحر فوجب ان يكون تعالى ارحم الراحمين وثالثها انه
لولا ان الله سبحانه يخلق في قلب العبد تلك الدواعي والارادات لاستحال
صدور ذلك الفعل عنه فكان الراحم هو الحق سبحانه من حيث انه هو الداعي
انشا تلك الداعية فثبت انه سبحانه وتعالى ارحم الراحمين فان قيل
كيف يكون ارحم الراحمين مع انه سبحانه ملا الدنيا من الافات والاسقام
والامراض والالام وسلط البعض على البعض بالذبح والكسر والايذا وكان
قادرا على ان يعين كل واحد على ايذا الاخر وايلامه والجواب
ان كونه سبحانه ضارا لا ينافي كونه نافعا بل هو الضار النافع
فاضراره ليس لدفع مشقة وانتفاعه ليس لجلب منفعة بل لا يسال عما يفعل
اما قوله فاستجبنا له فانه يدل على انه دعا ربه لكن هذا الدعا قد يكون
واقعا على سبيل التعريض كما يقال ان رايت او اردت او احببت فافعل كذا
ويجوز ان يكون على سبيل التصريح وان كان الاليق بالادب وبالاية هو
الاول ثم انه سبحانه بين انه كشف ما به من ضر وذلك يقتضي اعادته الى ما
كان في بدنه واحواله وبين تعالى انه اتاه اهله ويدخل فيه من ينسب اليه

من

من روحه وولد وغيرهما وفيه قولان احدهما وهو قول ابن مسعود
وابن عباس وقتادة ومقاتل والكلبي وكعب ان الله تعالى احيا له اولاده
باعيانهم والثاني روي ليث قال ارسل مجاهد الى عكرمة وساله
عن الاية قال قيل له ان اهلك لك في الاخرة فان شئت عجلناهم لك في
الدنيا وابتنا لك مثلهم في الدنيا فقال يكون لي في الاخرة واوتى مثلهم في الدنيا
والقول الاول اولى لان قوله واتيناه اهله يدل بظاهره على انه
اعادهم تعالى في الدنيا واعطاهم معهم مثلهم ايضا واما قوله
وذكرى للعابدين ففيه دلالة على انه تعالى فعل ذلك لكي يتفكر فيه فيكون
داعية للعابدين في الصبر والاحتساب وانما خص العابدين بالذكر لانهم يخصون
بالانتفاع بذلك القصة السابعة قوله تعالى
واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين
وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين اعلم انه تعالى
لما ذكر صبر ايوب وانقطاعه اليه اتبعه بذكر هولا فانهم كانوا ايضا من الصابرين
على الشدايد والمحن والعبادة اما اسمعيل عليه السلام فلانه صبر
على الانقياد للذبح وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بنا وصبر
في بنا البيت فلا جرم اكرمه الله واخرج من صلبه خاتم النبيين واما
ادريس فقد تقدمت قصته في سورة مريم ثم قال ابن عمر بعث الى قومه
واعيا لهم فابوا واهلكهم الله ورفع ادريس الى السما السابعة اما ذوا
الكفل ففيه مسايل المسئلة الاولى قال الزجاج الكفل في اللغة
الكسا الذي يجعل على عجز البعير والكفل ايضا النصيب واختلفوا في
انه لم سمي بهذا الاسم على وجوه احدها وهو قول المحققين كان له
ضعف على الانبيا في زمانه وضعف ثوابهم وثانيها قال ابن عباس في رواية
عطا ان نبيا من انبيا بني اسرايل اتاه الله الملك والنبوة ثم اوحى الله اليه
اني اريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني اسرايل فمن يكفل لك انه يصلي
بالليل حتى يصبح ويصوم بالنهار حتى يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب
فادفع ملكك اليه فقام ذلك النبي في بني اسرايل واخبرهم بذلك فقام رجل وقال
وانا اتكفل لك فقال في القوم من هو اكبر منك فاقعد ثم صاح الثانية
والثالثة فقام الرجل وقال انا اتكفل لك بهذا فدفع اليه ملكه ووفى بما
ضمره فحسده ابليس فاتاه ما تريد ان تقيل فقال ان لي غريما قد مطلني حقي وقد
دعوته اليك فابى فارسل معي من ياتيك به فارسل معه وقعد حتى فاتته
القيلولة وعاد الى صلاته وصلى ليلته الى الصباح ثم اتاه من الغد عند

القيلوله فقال ان الرجل الذي استاذنتك عليه هو في موضع كذي فلا
تبرح حتي آتيك به فذهب وبقي هو منتظرا حتي فاتته القيلوله ثم اتاه فقال
له هرب مني فمضي ذو الكفل الي صلاته فصلي حتي اصبح فلما كان عند القيلوله
قال له ان الرجل في موضع كذا فقال اذن اقوم معك اليه فما زال يدور به
حتي فاتته القيلوله فصلي ليلته حتي اصبح فاتاه ابليس وعرفه نفسه فقال
حسدتك علي عصمة الله اياك فاردت ان اخرجك حتي لا تفي بما كفلت به فشكر الله
علي ذلك ومثالها قال مجاهد لما كبر اليسع عليه السلام قال
لو اني استخلفت رجلا علي الناس وقال من يتقبل مني حتي استخلفه بثلث
يصلي بالليل ويصوم بالنهار ويقضي ولا يغضب وذكر علي نحو ما ذكره ابن عباس من
فعل ابليس وتفويته عليه القيلوله ثلاثة ايام وزاد ان ذا الكفل قال
المبواب قد غلب علي النعاس فلا بد عن احد يقرب هذا الباب فقال اما
من قبلي فلم يوت فقام الي الباب فاذا هو مغلق وابليس علي صورة شيخ في
البيت فقال انام والخصوم علي الباب فعرفه فقال انت ابليس قال نعم
اعيتني في كل شي ففعلت هذه الافعال لاغضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل
لانه وفي بما تكفله المسئلة الثانية قال ابو موسي الاشعري
ومجاهد ذو الكفل لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا وقال الحسن والاكثرون
انه من الانبيا وهو الاولي لوجوه احدها ان ذا الكفل يحتمل ان يكون
ان يكون لقبا وان يكون مفيدا والاقرب ان يكون مفيدا لان الاسم اذا امكن حمله
علي ما يفيد فهو اولي من اللقب اذا ثبت هذا فنقول الكفل هو النصيب
والظاهر ان الله تعالي انما سماه بذلك لان عمله وثواب عمله كان ضعف
عمل غيره ولقد كان في زمانه نبيا علي ما روي ومن ليس بنبي لا يكون افضل
من الانبيا وثانيها ان الله تعالي ذا الكفل باسمعيل وادريس والغرض
ذكر الفضلا من عباده ليتباهي بهم وذلك يدل علي نبوته وثالثها
ان السورة ملقبة بسورة الانبيا وكل من ذكره الله تعالي فهو نبي المسئلة
الثالثة قيل ان ذا الكفل زكريا وقيل يوشع وقيل الياس ثم
قالوا خمسة من الانبيا سماهم الله باسمين اسرايل ويعقوب الياس وذو الكفل
عيسي والمسيح يونس وذا النون محمد واحمد اما قوله كل من الصابرين
اي علي القيام بامر الله واحتمال الاذي في نصرة دينه وقوله وادخلناهم في رحمتنا
قال مقاتل الرحمة النبوة وقال اخرون بل يتناول جميع اعمال البر
والخير القصة الثامنة قصة يونس عليه السلام
قوله تعالي وذا النون اذ ذهب مغاضبا

فظن الن نقدر عليه فنادي في الظلمات ان لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين . فاستجبنا له
ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المومنين . اعلم
ان هاهنا مسايل المسئلة الاولي انه لا خلاف في ان ذا النون هو يونس عليه
السلام لان النون هو السمكة وقد ذكرنا ان الاسم اراد ان يكون نعتا
محضا وبين ان يكون مفيدا فحمله علي المفيد اولي خصوصا اذا عملت الفايدة
التي تصلح لها ذلك الوصف المسئلة الثانية اختلفوا في ان وقوعه عليه
السلام في بطن السمكة قبل استعماله باداء رسالة الله تعالي او بعده اما
القول الاول قال ابن عباس كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فعراهم
ملك وسبي منهم تسعة اسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف فاوحي الله تعالي
الي شعيا النبي ان اذهب الي حزقيل الملك وقل له حتي يوجه نبيا قويا اميا
فاني القي في قلوب اوليك ان يرسلوا معه بني اسرايل فقال له الملك فمن يري وكان
في مملكته خمسة من الانبيا فقال يونس بن متي فانه قوي امين فدعاه
الملك وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله باخراجي قال لا قال
فهل سماني قال لا قال فهاهنا انبيا غيري فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي
للملك ولقومه فاتي بحر الروم فوجد قوما هيوا سفينة فركب معهم فلما
لججت السفينة تكفات بهم وكادوا ان يغرقوا فقال الملاحون هاهنا
رجل عاص او عبد ابق لان السفينة لا تفعل هذا من غير ريح الا وفيها رجل
عاص ومن رسمنا اذا ابتلينا بهذا البلا ان نقترع فمن وقعت عليه القرعة
القيناه في البحر ولين نغرق واحد خير من ان نغرق السفينة فاقرعوا ثلاث
مرات فوقعت القرعة فيها كلها علي يونس فقال انا الرجل العاصي والعبد
الابق والقي نفسه في البحر فجا حوت فابتلعه فاوحي الله تعالي الي الحوت
لا توذي منه شعرة فاني جعلت بطنك مخبا له ولم اجعله طعاما لك ثم
لما نجاه الله من بطن الحوت ونبذه بالعرا كالفرخ المنتوف ليس عليه شعر ولا جلد
فانبت الله له شجرة من يقطين يستظل بها وياكل من ثمره حتي اشتد فلما
يبس الشجر حزن فقيل له اتحزن علي شجرة ولا تحزن علي مائة الف او يزيدون
حيث لم تذهب اليهم فتوجه يونس نحوهم حتي دخل ارضهم وهم منه غير بعيد
فاتاهم يونس وقال لملكهم ان الله ارسلني اليك لترسل معي بني اسرايل فقالوا
ما تعرف ما تقول ولو علمنا انك صادق لفعلنا وقد اتيناكم دياركم
وسبيناكم فلو كان كما تقول لمنعكم الله منا فطاف فيهم ثلاثة ايام يدعوهم
الي ذلك فابوا عليه فاوحي الله تعالي اليه قل ان لم يومنوا جاكم العذاب

فابلغهم فابوا فخرج من عندهم فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه
فلم يقدروا عليه ثم ذكروا امرهم وامر يونس للعلما الذين كانوا في انديتهم فقالوا
انظروا واطلبوه فان كان فيها فليس مما ذكر من نزول العذاب شي وان كان
قد خرج فهو كما قال فطلبوه فقيل لهم انه خرجوا العشي فلما ايسوا غلقوا
باب مدينتهم فلم يدخلها بقرهم ولا غنمهم وعزلوا الوالدة عن ولدها
وكذا الصبيان والامهات ثم قاموا ينظرون الصبح فلما انشق الصبح راو
العذاب ينزل من السما فشقوا جيوبهم ووضعت الحوامل ما في بطنها فصاح
الصبيان ونعت الاغنام والبقر فرفع الله العذاب عنهم فبعثوا الى يونس فامنوا
به وبعثوا معه بني اسرايل فعلى هذا القول كان رسالة يونس بعد ما نبذه
ودليل هذا القول في سورة والصافات فنبذناه بالعرا وهو سقيم وانبتنا
عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وفي هذا القول
كان رسالة يونس بعد ما نبذه رواية اخرى وهي ان جبريل عليه السلام
قال ليونس انطلق الى اهل سوى وانذرهم ان العذاب قد حضرهم فقال
يونس التمس دابة فقال الامر اعجل من هذا فغضب وانطلق الى السفينة
وباقي الحكاية كما مرت الى ان التقمه الحوت فانطلق الى سوى وبلغ رسالة
الله اليهم فلما لم يومنوا اوعدهم بالعذاب فلما كشف العذاب عنهم بعد ما توعدهم
خرج منهم مغاضبا ثم ذكروا في سبب الخروج والغضب امورا احدها
انه استحى ان يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف وثانيها انه كان من عادتهم
قتل الكاذب وثالثها انه دخلته الانفة ورابعها حيث لم
ينزل العذاب باوليك واكثر العلما على القول بان قصة الحوت وذهاب يونس
مغاضبا لربه ويقال هذا قول ابن مسعود وابن عباس والشعبي
وسعيد بن جبير ووهب واحبار ابن قتيبة ومحمد بن جرير واذا كان كذلك
فمعلوم ان مغاضبة الله من اعظم الذنوب ثم على ان تقدير ان هذه المغاضبة
لم تكن مع الله تعالى بل كانت مع ذلك الملك ومع القوم فهو ايضا كان محظورا لان
الله تعالى قال واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وذلك يقتضي ان
ذلك الفعل من يونس كان محظورا وثانيها قوله فظن ان لن نقدر عليه
وذلك يقتضي كونه شاكا في قدرة الله تعالى وثالثها قوله اني كنت
من الظالمين والظلم من اسما الذم لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين
ورابعها انه لو لم يصدر منه الذنب فلم عاقبه الله تعالى بان القاه
في البحر في بطن الحوت وخامسها قوله تعالى في اية اخرى فالتقمه الحوت
وهو مليم والمليم ذو الملامة ومن كان كذلك فهو مذنب وسادسها

وهو

وهو قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت فان لم يكن صاحب الحوت
مذنبا لم يجز النهي عن التشبه به وان كان مذنبا فقد حصل الغرض وسابعها
انه قال ولا تكن كصاحب الحوت وقال واصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل فيلزم ان لا يكون يونس من اولي العزم وكان موسى من اولي العزم ثم
قال في حقه لو كان ابن عمران حيا ما وسعه الا اتباعي وقال في يونس لا تفضلوني
على يونس بن متى وهذا خارج عن تفسير الاية والجواب عن الاول انه ليس في
الاية من غاضبه لكنا نقطع على انه لا يجوز على نبي الله ان يغاضب ربه لان ذلك
صفة من يجهل كون الله مالكا للامر والنهي والجاهل بالله لا يكون مومنا فضلا عن ان
يكون نبيا واما ما روي انه خرج مغاضبا لامر يرجع الى الاستعداد ويتاول
الفعل فمما يرتفع حال الانبيا عنه لان الله تعالى اذا امرهم بشي فلا يجوز ان يخالفوه
لقوله تعالى وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم
الخيرة من امرهم وقوله فلا وربك لا يومنون الى قوله ثم لا يجدوا في
انفسهم حرجا مما قضيت فاذا كان الاستعداد مخالفة لم يجز ان يقع ذلك منهم واذا
ثبت انه لا يجوز صرف هذه المغاضبة الى الله تعالى وجب ان يكون المراد انه
خرج مغاضبا لغير الله والغالب انه مغاضب من يغضبه فيما امره به فيحتمل قومه
او الملك او هما جميعا ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم
حلول العقاب عليهم عندما ابوا وفارقهم مغضبا اما قوله مغاضبة
القوم انما كانت محظورة محرمة اما الذهاب فان الله امره بتبليغ تلك الرسالة
اليهم وما امره بان يبقى بينهم ابدا وظاهر الامر لا يقتضي التكرار فلم يكن خروجه
من بينهم معصية واما الغضب فلا نسلم انه معصية وذلك لانه لما لم يكن
منهيا عنه قبل ذلك فظن ان ذلك جايز من حيث انه لم يفعله الا غضبا لله وانفة
لدينه وبغضا للكفر واهله بل كان الاولى له ان يصابر وينتظر الاذن في
المهاجرة عنهم ولهذا قال الله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت كان الله تعالى اراد
بمحمد عليه السلام افضل المنازل واعلاها والجواب عن الشبهة الثانية وهي
التمسك بقوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه اي نضيق عليه وهو كقوله
يبسط الرزق لمن يشا ويقدر اي يضيق من قدر عليه رزقه اي ضيق وقوله
واما اذا ابتلاه فقدر عليه رزقه اي ضيق واعلم ان هذا التاويل
نص الاية حجة لنا وذلك ان يونس عليه السلام ظن انه مخير ان شا اقام وان شا خرج
وان الله تعالى لا يضيق عليه في اختياره وكان في المعلوم ان الصلاح في تاخر خروجه
وهذا من الله تعالى بيان لما يجري مجرى العذر له من حيث انه خرج لا يعمل

المعصية لكن لظنه ان الامر في خروجه موسع يجوز ان يقدم ويؤخر وكان
الصلاح خلاف ذلك وقيل انها ان يكون هذا من باب التمثيل يعني
فكانت حاله مثل حال من ظن ان لن نقدر عليه في خروجه من قومه من غير
انتظار لامر الله تعالى وقيل انها ان تفسير القدر بالقضاء والمعنى
فظن ان لن نقدر عليه بالشدة وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي
ورواية البغوي عن ابن عباس واختيار الفراء والزجاج ولقدر بمعنى قدر
يقال قدر الله التي قدرا وقدره تقديرا فالقدر بمعنى التقدير وقرأ
عمر بن عبد العزيز والزهري فظن ان لن نقدر عليه بضم النون والتشديد
من التقدير وقرأ عبد الله بن عمير وقتادة بالتشديد على المجهول وروي
انه دخل ابن عباس على معوية فقال معوية لقد ضيعني امواج القرآن البارحة
فوقفت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك فقال وما هي قال فظن ان لن
ان لن نفعل لان بين القدرة والفعل مناسبة فلا يبعد جعل احدهما مجازا عن
الاخر وحاصلها انه استفهام بمعنى التوبيخ معناه اظن ان لن نقدر عليه
عن ابن زيد وسادسها ان قول من يقول هذه الواقعة كانت
قبل رسالة يونس كان هذا الظن حاصلا قبل الرسالة فلا يبعد في حق غير الانبيا
والرسل ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم انه يرده بالحجة
والبرهان والجواب عن الثالث وهو التمسك بقوله اني كنت من الظالمين
نعم ان يقول لو حملناه من قبل النبوة فلا كلام ولو حملناه على ما بعدها فهي واجبة
التاويل لانا لو اجريناها على ظاهرها لوجب القول بكون النبي مستحقا للعن
وهذا لا يقوله مسلم واذا وجب التاويل فنقول انه لا شك انه كان تاركا للافضل
مع القدرة على تحصيل الافضل وكان ذلك ظلما والجواب عن الرابع انا
لا نسلم ان ذلك كان عقوبة اذ الانبيا لا يجوز ان يعاقبوا بل المراد به المحنة لكن
كثيرا من المفسرين يذكرون في كل سفر يقول لاجل ذنب انه عقوبة
والجواب عن الخامس ان الآية كانت لترك الافضل والله اعلم
المسئلة الرابعة قال صاحب الكشاف في الظلمات اي في الظلمة الشديدة
المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
لا يبصرون وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات ومنهم من اعتبر انواعا
مختلفة من الظلمات فان كان الفتى في الليل فحصل ظلمة الليل والبحر وبطن
الحوت وان كان في النهار اضيف اليه ظلمة امعاء الحوت او ان حوتا ابتلع الحوت
الذي هو في بطنه او لان الحوت اذا عظم عوصه في البحر فكان ما فوقه من البحر

ظلمة في ظلمة اما قوله من قال ان الحوت الذي ابتلعه غاص في الارض
السابعة فان ثبت ذلك بخبر فلا كلام وان ضل ذلك لكي يقع بكرده في
الظلمات فقد مناه يعني عن ذلك اما قوله تعالى ان لا اله الا انت
فالمعنى بانه لا اله الا انت لو بمعنى اني عن علي عليه السلام ما بين مكروب
يدعو الا استجيب له وعن الحسن ما يجاهد والله الا اقراره على نفسه بالظلم
اما قوله سبحانك فهو تنزيه عن كل النقايص ومنها العجز وهذا
يدل على انه ما كان مراده من قوله ظن ان لن نقدر عليه انه ظن العجز وانما
قال سبحانك لان تقديره سبحانك ان تجعل ذلك جورا او شهوة للاسقام
او عجزا عن خلق هذا الحيوان بل معناه سبحانك الاهية وعقتضى الحكمة اما
قوله اني كنت من الظالمين وانا الان من التائبين النادمين
فالكشف عن المحنة يدل عليه قوله فاستجبنا وفيه وجه اخر وهو انه
عليه السلام وصفه بقوله لا اله الا انت بكمال التوحيد ووصف نفسه
بقوله اني كنت من الظالمين بصفة البشرية والقصور عن ادا حق
العبودية وهذا القدر في السؤال على ما قال النبي وفي النفس حاجات
تسلوي كلام عندها وخطاب ويروي عبد الله بن رافع مولى ام سلمة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما اراد الله حبس يونس اوحى الى الحوت
ان باخذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه وهوى به الى اسفل
البحر فسمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه هذا تسبيح دواب
البحر قال فسبح فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا
بارضك غريبا قال ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر
قالوا العبد الذي كان يصعد له كل يوم عمل صالح وكل ليلة قال نعم
فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه في الساحل كما قال تعالى فنبذناه
بالعراء وهو سقيم وانبت عليه شجرة من يقطين قال انزل الله عليها الدباء
فكان يستظل بورقها وكان يشرب من لبن امها حتى نبت لحمه وعاد كما كان
قال فبينما هو نائم اذ يبست الشجرة فبكى عليها فاوحى الله اليه اتبكي
على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون تابوا فرحمتهم
فاخرجتك من بطن الحوت وكذلك نجي المؤمنين من كربهم اذا
استغاثوا واخبار روي سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
دعوة ذي النون في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ما
دعا بها مسلم قط وهو مكروب الا استجاب الله دعاه قال صاحب
الكشاف قرئ ينجي وننجي ونجي ونجو والنون لا تدغم في الجيم قال صاحب الكشاف
ومن محل بصحته تفعل فعلا وقال نجا النجا المؤمنين فارسل الياء واسنده الى
مصدره ونصب المؤمنين بالنجا ضعيف بارداء التعسف القصة التاسعة
قصة زكريا عليه السلام قوله تعالى وزكريا اذ نادى
ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا
يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا

خاشعين اعلم انه تعالى بين انقطاع زكريا الى ربه تعالى لما مسه
الضر بتفرده واحب من يتولاه ويقويه على امر دينه ودنياه ويكون قايما مقامه
بعد موته فدعا الله دعا مخلص عارف بانه قادر على ذلك وان انتهت الحالة
به وتزوجته من كبر وغيره الى الياس من ذلك بحكم العادة وقال ابن عباس
كان سنه مايه وسن زوجته تسع وتسعون سنه اما قوله وانت خير
الوارثين ففيه وجهان احدهما انه عليه السلام انما ذكره في جملة دعايه
على وجه الثنا على ربه ليكشف عن غمه بان قال الامور الى الله تعالى والثاني
كانه عليه السلام قال ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث
اما قوله فاستجبنا له اي فعلنا ما اراده لاجل سواله وفي ذلك اعظام له
فلذلك يقول العلما ان الاستجابه ثواب ما فيه من الاعظام اما قوله
تعالى ووهبنا له يحيى فهو كالتفسير للاستجابه وفي تفسير قوله واصلحنا له
زوجه ثلاثة اقوال احدها اصلحها للولادة بان ازال عنها المانع للولادة
وهذا اليق بالقصة والثاني انه اصلحها في اخلاقها فقد كانت على طريقة على
من سو الخلق وسلاطة اللسان تؤذيه وجعل ذلك من نعمه عليه والثالث
انه سبحانه جعلها مصلحة في الدين من اكبر اعوانه في كونه داعيا الى الله فكانه
عليه السلام سال ربه المعونة على الدين والدنيا بالولد والاهل جميعا وهذا
كانه اقرب الى الظاهر لانه اذا قيل اصلح الله فلانا فالاظهر فيه ما
يتصل بالدين واعلم ان قوله ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه
يدل على ان الواو لا يفيد الترتيب لان اصلاح الزوج مقدم على هبة
الولد مع ان الله تعالى اخره في اللفظ وبين تعالى مصداق ما ذكرناه فقال
انهم كانوا يسارعون في الخيرات واراد بذلك زكريا وولده واهله فبين انه
اتاهم ما طلبوه وعضد بعضهم ببعض من حيث كانت طريقتهم انهم يسارعون
في الخيرات والمسارعة في طاعة الله من اكبر ما يمدح به المرء لانه يدل على حرص
عظيم على الطاعة اما قوله ويدعوننا رغبا ورهبا فهو كقوله يحذر
الاخرة ويرجون رحمة ربه والمعنى انهم ضموا الى فعل الطاعات والمسارعة
فيها امرين احدهما الفزع الى الله لمكان الرغبة في ثوابه والرهبة
من عقابه والثاني الخشوع وهو المخافة الثابتة في القلب فكان الخاشع
هو الحذر الذي لا ينبسط في الامور خوفا من الاثم القصة العاشرة
قصة مريم عليها السلام قوله تعالى والتي احصنت
فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها اية
للعالمين اعلم ان التقدير واذكر التي احصنت ثم فيه قولان احدهما

انها

انها احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر
ولم ان بغيا والثاني منعت جبريل عليه السلام حيث درعها قبل ان يعرفه
والاول اولى لانه الظاهر من اللفظ اما قوله فنفخنا فيها من روحنا
فلقايل ان يقول نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيايه قال تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي واذا ثبت ذلك كان قوله ونفخنا فيها من روحنا
ظاهر الاشكال ولانه يدل على احيا مريم والجواب من وجوه احدها
معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها كما يقول الزمان نفخت في بيت
فلان اي في المزمار في بيته وثانيها فعلنا النفخ في مريم من وجهه روحنا
وهو جبريل عليه السلام لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها ثم
بين تعالى باخصر الكلام ما خص به مريم وعيسى عليهما السلام من الايات
فقال وجعلناها وابنها اية للعالمين اما مريم فاياتها كثيرة احدها
ظهور الحبل فيها لا من ذكر فصار ذلك اية معجزة خارجة عن العادة وثانيها
ان رزقها كان تاتيها به الملايكة من الجنة وهو قوله تعالى انى لك هذا قالت
هو من عند الله وثالثها ورابعها قال الحسن انها لم يلتقم بدنا قط وتكلمت
ايضا هي في صباها كما تكلم عيسى عليه السلام واما ايات عيسى عليه السلام
فقد تقدم بيانها فبين تعالى انه جعلهما اية للناس يتدبرون فيهما خصايصه
من الايات ويستدلون به على قدرته وحكمه سبحانه وتعالى فان قيل
هلا قيل ايتين كما قيل وجعلنا الليل والنهار ايتين قلنا لان حالهما المجموعة
اية واحدة وهي ولادتها له من غير فحل وهاهنا اخر القصص
قوله تعالى وان هذه امتكم امة واحدة وانا
ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا
راجعون قال صاحب الكشاف الامة الملة وهذه اشارة
الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها يشار اليها
بملة واحدة غير مختلفة وان الهكم اله واحد فاعبدون ونصب الحسن
امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا عنه ورفعهما جميعا خبرين او
نوى الثاني مبتدا اما قوله وتقطعوا امرهم بينهم الاصل
وتقطعتم الا ان الكلام مصروف الى الغيبة على طريق الالتفات كانه
يبغي عليهم ما افسدوه ويفتح عندهم فعلهم ويقولون لهم الا ترون الى عظيم
ما ارتكب هولا والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشي
ويقتسمونه فيصير لهذا نصيب ولذلك نصيب مثلا لاختلافهم فيه
وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى اما قوله كل الينا راجعون فقد توعدهم

بان هولا الفرق المختلفه اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفرقت بنوا اسرايل على احدى وسبعين
فرقه فهلكت سبعون وخلصت فرقه وان امتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقه
فيهلك احدى وسبعين ويخلص فرقه فقالوا يا رسول الله من تلك الفرقه قال
الجماعه الجماعه الجماعه وهذا الخبر يبين ان المراد بقوله وان هذه امتكم الجماعه
المتمسكه المتمكنه بما بينه الله تعالى في هذه السوره من التوحيد والثواب
وان قول الرسول في الناحيه انها الجماعه لغو اذ لا فرقه تمسكت بباطل او بحق
الا وهي جماعه من حيث العدد وطعن بعضهم في صحة هذا الخبر فقال ان كان
المراد بالسبعين والسبعين فرقه اصول الاديان فلن يبلغ الى هذا القدر واراد
الفروع فانها تتجاوز هذا القدر الى اضعاف ذلك وقيل ايضا روي ضد
ذلك وهو انها كلها ناجيه الا فرقه واحده والجواب المراد ستفترق
امتي في حال ما وليس فيه دلاله على ان افتراقها في ساير احوالها لا يجوز ان
يزيد او ينقص قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات
وهو مومن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون ۝ وحرام
على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ۝ حتى اذا
فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب
ينسلون ۝ واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة
ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من
هذا بل كنا ظالمين ۝ اعلم انه سبحانه وتعالى
لما ذكر الامة من قبل وذكر تعريفهم وانهم اجمع راجعون الى امره حيث لا امر
الا له اتبع ذلك قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه
بين ان من جمع بين ان يكون مومنا وبين ان يعمل الصالحات فدخل في
الاول العلم والتصديق بالله ورسوله وفي الثاني فعل الواجبات وترك
المحظورات فلا كفران لسعيه اي لا بطلان لثواب عمله وهو كقوله
تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا ۝
والكفران في حرمان الثواب والشكر مثل اعطايه وقوله ولا كفران
المراد نفي الكفران ليكون في نهاية المبالغه لان نفي الماهية يلزم نفي جميع
افرادها واما قوله وانا له كاتبون المراد فانا لسعيه كاتبون
وقيل معناه حافظون ليجازي عليه وقيل كاتبون لنا في ام الكتاب
وفي الصحف التي تعرض يوم القيمة واراد بذلك ترغيب العباد وما يعمل
بالطاعه اما قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون

فاعلم

فاعلم ان قوله وحرام خبر ولا بد له من مبتدا واما قوله
وانهم لا يرجعون او شي اخر اما الاول فالتقدير عدم رجوعهم حرام اي
ممتنع واذا كان عدم رجوعهم ممتنعا كان رجوعهم واجبا وهذا الرجوع اما
ان يكون المراد منه الرجوع الى الاخرة او الى الدنيا اما الاول فيكون
المعنى ان رجوعهم الى الحياة في الدار الاخرة واجب ويكون الغرض منه ابطال قول
من ينكر البعث وتحقيق ما تقدم انه لا كفران لسعي احد وانه سبحانه سيعطيه
الجزا على ذلك يوم القيمة وهو تاويل ابي مسلم واما الثاني فيكون
المعنى ان رجوعهم الى الدنيا واجب لكن من المعلوم انهم لم يرجعوا الى الدنيا فعند
هذا ذكر المفسرون وجهين الاول ان الحرام قد يجي بمعنى الواجب والدليل
عليه الاية والاستعمال والشعر اما الاية فقوله تعالى قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيا وترك الشرك الواجب وليس بمحرم واما
الشعر فقول الخنسا وان حراما لا ارى الدهر باكيا على شجرة الا
بكيت على صخر يعني وان واجبا واما الاستعمال فلان تسمية احد
الضدين باسم الاخر مجاز مشهور كقوله تعالى وجزا سيئة سيئة مثلها اذا
ثبت هذا فالمعنى انه واجب على اهل كل قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ثم
ذكروا في تفسير الرجوع امرين احدهما انهم لا يرجعون عن الشرك ولا يتوبون
عنه وهو قول مجاهد والحسن وثانيهما لا يرجعون الى الدنيا وهو قول قتادة
ومقاتل الوجه الثاني ان يترك قوله وحرام على ظاهره ويجعل لا في
قوله لا يرجعون صله زايده كما انه صله في قوله ما منعك الا تسجد والمعنى
وحرام على قرية اهلكناها رجوعهم الى الدنيا وهو كقوله لا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون اما اذا جعلناه خبر الشي اخر فالتقدير
وحرام عليهم رجوعهم عن الشرك وترك الايمان وهذا قول طايفة من
المفسرين هذا كله اذا جعلنا قوله وحرام خبرا لقوله لا يرجعون اما
اذا جعلناه خبر الشي اخر فالتقدير وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور
في الاية المتقدمه من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم
لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك هذا على قراة انهم بالكسر والقراة
بالفتح يصح حملها ايضا على هذا اي لانهم لا يرجعون اما قوله تعالى حتى
اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق
فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا ففيه مسايل المسيلة الاولى
ان حتى متعلقة بحرام فاما على تاويل ابي مسلم فالمعنى ان رجوعهم الى الاخرة

الشرك

او يكون المعنى

واجب حتى بلغ وجوبه الى حيث انه اذا فتحت ياجوج وماجوج واقترب الوعد
الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا والمعنى انهم يكونون اول الناس
حضورا في محفل القيمة فحتى متعلقة بحرام وهي غاية له ولكنه غاية من جنس
الشي كقولك دخل الحاج حتى المشاة وحتى هاهنا هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام
المحكي هو هذه الجملة من الشرط والجزا اعني قوله اذا فتحت ياجوج
وماجوج واقترب الوعد الحق فهناك يتحقق شخوص ابصار الذين ظلموا وذلك غير
جايز لان الشرط انما يحصل في اخر ايام الدنيا والجزا انما يحصل يوم القيمة
والشرط والجزا لا بد وان يكونا متقاربين قلنا التفاوت القليل
يجري مجرى المعلوم واما على التاويلات الباقية فالمعنى ان امتناع رجوعهم
لا يزول حتى يوم القيمة المسيلة الثانية حتى اذا فتحت المعنى فتح سد ياجوج
وماجوج فحذف المضاف وادخلت علامة التانيث في فتحت لما حذف
المضاف لان ياجوج وماجوج مونثان بمنزلة القبيلتين وقيل حتى
اذا فتحت جهنم ياجوج المسيلة الثالثة هما قبيلتان من جنس الانس
يقال الناس عشرة اجزا تسعة منها ياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح
السد المسيلة الرابعة قيل السد يفتحه الله ابتدا وقيل
بل اذا جعل الله الارض دكا زالت الصلابة عن اجزا الارض فحينئذ
ينفتح السد واما قوله وهم من كل حدب ينسلون اعتبارا بقوله
فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وقرى بضم السين ونسل وغسل
اسرع ثم فيه قولان قال اكثر المفسرين ان هم كناية عن ياجوج وماجوج وقال
مجاهد انه كناية عن جميع المكلفين اي يخرجون من قبورهم من كل موضع
فيحشرون الى موقف الحساب والاول هو الوجه والا لتفكك النظم ولان
ياجوج وماجوج اذا كثروا على ما روي في الخبر فلا بد من ان ينتشروا فيظهر
اقبالهم على الناس من كل موضع مرتفع اما قوله تعالى واقترب الوعد
الحق فلا شبهة ان الوعد المذكور هو الموعود الذي هو يوم القيمة اما
قوله فاذا هي فاعلم ان ذا هاهنا للمفاجاة او فهي شاخصة كان شديدا
واما لفظة هي فقد ذكر النحويون فيها ثلاثة اوجه احدها
انها تكون كناية عن الابصار والمعنى فاذا ابصار الذين كفروا شاخصة ابصارهم
اي عن الابصار ثم اظهر والثاني ان يكون عمادا ويصح في موضعها
هو فيكون كقوله انه انا الله ومثله فانها لا تعمى الابصار وجاز التانيث
لان الابصار مونثة وجاز التذكير للعماد وهذا قول الفرا وقال

سيبويه

سيبويه الضمير للقصة بمعنى ماذا القصة شاخصة يعني القصة ان
ابصار الذين كفروا تشخص عن ذلك ومعنى الكلام ان القيامة اذا قامت
شخصت ابصار هولا من شدة الاهوال ولا تكاد تطرف من شدة ذلك النور
ومن توقع ما يخافونه ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا يعني في
الدنيا حيث كذبناه وقلنا انه غير كاين بل كنا ظالمين انفسنا بتلك
الغفلة وبتكذيب محمد وبعبادة الاوثان واعلم انه لا بد قبل قوله
يا ويلنا من حذف والتقدير يقولون يا ويلنا قوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم
لها واردون لو كان هولا الهة ما وردوها وكل
فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون
اعلم ان قوله انكم خطاب لمشركي مكة وعبدة الاوثان اما
قوله وما تعبدون من دون الله فروي انه عليه السلام دخل المسجد
وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثماية وستون صنما
فجلس اليهم فعرض له عبد العزى والحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الاية فاقبل
عليه عبد الله بن الزبعرى فراهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره
الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله اما والله لو وجدته
لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى انت قلت ذلك قال نعم قال قد
خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح
وبنو مليح عبدوا الملايكة ثم عند ذلك راوا بيان احدهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سكت فلم يجب فضحك القوم فنزل قوله تعالى ولما
ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا الهتنا خير ام هو ما ضربوه
لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ونزل في عيسى والملايكة ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى هذا قول ابن عباس الرواية الثانية انه عليه السلام اجاب
وقال بل هم عبدوا الشيطان التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الاية يعني عزيرا والملايكة والمسيح واعلم
ان سوال ابن الزبعرى ساقط من وجوه احدها ان قوله انكم خطاب
مشافهة وكان ذلك مع مشركي مكة وهم كانوا يعبدون الاصنام
فقط وثانيها انه لم يقل ومن يعبدون فكلمة ما لا يتناول العقلا
فاما قوله تعالى والسما وما بناها وقوله لا اعبد ما تعبدون
فهو محمول على الشي ونظيره هاهنا ان يقال معنى الاية انكم والشي الذي

يعبدون من دون الله لكن لفظ التي لا يفيد العموم فلا يتوجه سوال ابن
الزبعري وثانيها ان من عبد الملائكة لا يدعي انهم الهة وقال
سبحانه لو كان هؤلاء الهة ما وردوها وراجعها هب انه ثبت
العموم لكنه مخصوص بالدلايل العقلية والسمعية في حق الملايكة والمسيح
وعزير لبراتهم عن الذنوب والمعاصي ووعد الله اياهم بكل كرامة وهذا هو المراد
من قوله سبحانه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وخامسها
الجواب الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو انهم كانوا
يعبدون الشياطين فان قيل الشياطين عقلاء ولفظ ما لا يتناولهم
فكيف قال الرسول ذلك قلنا كانه عليه السلام لم يلتزم بما
يتناول العقلاء سواء كلم ايضا عبر لازم من هذا الوجه فاما قيل انه
عليه السلام سكت عن ايراد ابن الزبعري هذا السوال وهو خطا لانه لا اقل من انه
عليه السلام كان سيد هذه الاجوبة التي ذكرها المفسرون لانه كان اعرف
منهم باللغة وتفسير القران فكيف يجوز ان يظهر هذه الاجوبة لغيره
ولا يظهر شيء منها له فان قيل يجوز ان يسكت عليه السلام انتظارا
للبيان قلنا لما كان البيان حاضرا معه لم يجز عليه السكوت لكي لا
يتوهم عليه الانقطاع من سوالهم ومن الناس من اجاب عن سوال
ابن الزبعري فقال ان الله تعالى يصور لهم في النار ملكا على صورة من يعبدونه
وحينئذ يبقى الاية على ظاهرها والله اعلم واعلم ان هذا ضعيف
من وجهين الاول ان القوم لم يعبدوا تلك الصورة وانما عبدوا شيئا
لم يحصل معهم في النار والثاني وهو ان الملك لا يصير حصب جهنم
في الحقيقة وان صح ان يدخلها فان حشوها جهنم يدخلونها مع انهم ليسوا
حصب جهنم المسالة الثانية الحكمة في انهم قرنوا بالهتهم اثنين
احدهما انهم لا يزالون لتقليدهم في زيادة غم وحسرة لانهم ما
وقعوا في ذلك العذاب لا بسببهم والنظر الى وجه العدو يزيد من
العذاب وثانيها ان القوم قد رأوا انهم يستشفعون بهم في الاخرة
في دفع العذاب فاذا وجدوا الامر على عكس ما قدروا ازدادوا غما
منهم وثالثها ان القاءها في النار يجري مجرى الاستهزاء بعبادها
ورابعها قيل ما كان منها حجرا او حديدا انحي فتكوى بها عبادها
وما كان خشبا يجعل جمرة يعذب بها صاحبها اما قوله تعالى
حصب جهنم فالمراد مقذوفون في نار جهنم فشبههم بالحصا الذي
يرمي به التي فلما رمي به كرمي الحصا جعلهم حصب جهنم لتسببهما

فار

قال صاحب الكشاف الحصب الرمي وقري بسكون الصاد وصفا
بالمصدر وقري خصب جهنم وخصب منقطة متحركا وساكنا اما
قوله انتم لها واردون فلما جاز اللام في لها لتقدمها على الفعل كقوله
انت لزيد ضاربت كقوله تعالى والذين هم لاماناتهم والذين هم لفروجهم
اي انتم فيها داخلون والمعنى انه لا بد وان ترد وها ولا معدل لكم عن
دخولها اما قوله تعالى لو كان هؤلاء الهة ما وردوها فاعلم ان
قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله ما الاصنام التي لدخول لفظة
ما وهذه الكلام بالشياطين التي كقوله هؤلاء الهتنا ما وردوها فهم لبوا
الهة المسالة الثالثة هذه الحجة لما ان يكون ذكرها لنفسه او لغيره فان
ذكرها لنفسه فلا فايدة فيه لانه كان عالما بانها ليست الهة وان ذكرها
لغيره فاما ان يذكرها لمن يصدق بنبوته اولمن لا يصدق فان ذكرها
لمن يصدق بنبوته فلا حاجة الى هذه الحجة لان كل من صدق بنبوته لم يقل
بالهة هذه الاصنام وان ذكرها لمن لم يصدق بنبوته فذلك المكذب لا يعلم ان تلك
الالهة يردون النار وبكذبه في ذلك فكان ذكر هذه الحجة ضايعا كيف ما كان
وايضا فالقايلون بالهتهم لم يعتقدوا كونها مدبرة للعالم والا لكانوا
مجانين بل اعتقدوا فيها كونها تماثيل الكواكب او صور العقلاء وذلك لا
يمنع من دخولها في النار الجواب ثم ان الله سبحانه وصف ذلك العذاب
بامور ثلاثة احدها الخلود فقال وكل فيها خالدون يعني العابدين
والمعبودين وهو تفسير لقوله انكم وما تعبدون من دون الله وثانيها
قوله لهم فيها زفير قال الحسن الزفير هو اللهب اي يرتفعون بسبب
النار حتى اذا ارتفعوا رجعوا الخروج صرخوا عند ذلك من الحديد فهووا الى اسفلها
سبعين خريفا قال الخليل الزفير ان يملا الرجل صدره ثم يتنفس قال
ابو مسلم وتوله لهم عام لكل معذب فيكون لهم زفير من شدة ما نابهم
والضمير في قوله وهم فيها لا يسمعون يرجع الى المعبودين اي لا يسمعون
صراخهم وشكواهم ومعناه انهم لا يغيثونهم وشبهه بسمع الله من حمده اي
اجاب الله دعاءه وثالثها قوله وهم فيها لا يسمعون ففيه وجهان
احدهما انه محمول على الاصنام خاصة على ما حكينا عن ابي مسلم والثاني انه
محمول على الكفار ثم هذا يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان الكفار يحشرون
صما كما يحشرون عميا زيادة في عذابهم وثانيها انهم لا يسمعون اصوات
المعذبين او كلام من يتولى تعذيبهم من الملائكة وثالثها قال ابن مسعود
ان الكفار يجعلون في توابيت من نار والتوابيت في توابيت اخر فلا يرى

لا يسمعون شيا والاول ضعيف لان اهل النار يسمعون كلام اهل الجنة
ولذلك يستغيثون بهم على ما ذكره في سورة الاعراف قوله
تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها
مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم
خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة
هذا يومكم الذي كنتم توعدون اعلم ان من الناس
من زعم ابن الزبعرى لما اورد ذلك السوال على الرسول عليه السلام بقي
ساكتا فانزل الله تعالى هذه الاية جوابا عن سواله لان هذه الاية
كالاستثنا من تلك الاية واما نحن فقد بينا فساد هذا القول
وذكرنا ان سواله لم يكن واردا وانه لا حاجة في دفع سواله الى نزول هذه
الاية واذا ثبت هذا لم يبق ها هنا الا احد امرين الاول ان يقال ان
عادة الله سبحانه متى شرح عقاب الكفار اردفه بشرح ثواب الابرار
فلهذا السبب ذكر هذه الاية عقيب تلك الاية فهي عامة في حق كل المومنين
الثاني ان هذه الاية نزلت في تلك الواقعة لتكون كالتاكيد في دفع
سوال ابن الزبعرى ثم من قال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
وهو الحق اجراها على عمومها فيكون الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام
داخلين فيها لان الاية مختصة بهم ومن قال العبرة بخصوص السبب
خصص قوله ان الذين بهولا فقط اما قوله سبقت لهم منا الحسنى
على وعد العفو ومنكري العفو حملوه على وعد الثواب ثم انه سبحانه شرح
احوال ثوابهم في امور خمسة احدها قوله اولئك عنها مبعدون فقال
اهل العفو اولئك عنها مخرجون واحتجوا عليه بوجهين الاول قوله وان منكم
الا واردها اثبت الورود والورود هو الدخول فدل على ان هذا الابعاد هو
الاخراج الثاني لان ابعاد الشي عن الشي لا يصح الا اذا كانا متقاربين
لانهما لو كانا متباعدين استحال ابعاد احدهما من الاخر لان تحصيل الحاصل
محال واحتج القاضي عبد الجبار على فساد هذا الوجه بامور احدها
قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يقتضي ان الوعد بثوابهم قد تقدم
في الدنيا وليس هذا حال من يخرج من النار لو صح ذلك وثانيها انه تعالى
قال اولئك عنها مبعدون فكيف يدخل في ذلك من وقع فيها وثالثها
قوله تعالى لا يسمعون حسيسها وقوله ولا يحزنهم الفزع الاكبر يمنع
من ذلك والجواب عن الاول لا نسلم ان المراد من قوله ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى هو الوعد بثوابهم قد تقدم ولم لا يجوز ان يكون المراد من الحسنى

قد

قد تقدم الوعد بالعفو سلمنا ان المراد من الحسنى تقدم الوعد بالثواب لكنه لا يليق
بحال من يخرج من النار فان عندنا المخالطة باطلة ويجوز الجمع بين استحقاق الثواب
والعقاب والثاني انا بينا ان قوله اولئك عنها مبعدون لا يمكن اجراوه على ظاهره
الا في حق من كان في النار وعن الثالث ان قوله لا يسمعون حسيسها مخصوص
بما بعد الخروج واما قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر فان لم يدل عليه فلا اقل من ان
لا يدل على ثبوته ولا على عدمه الوجه الثاني في تفسير قوله اولئك عنها
مبعدون ان المراد ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لا يدخلون النار ولا يقربونها
البتة وعلى هذا القول يبطل قول من يقول ان جميع الناس يردون النار ثم
يخرجون الى الجنة لان هذه الاية مانعة منه وحينئذ يجب التوفيق منه
وبين قوله وان منكم الا واردها الصفة الثانية قوله تعالى
لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس وفيه سوالان الاول اي
وجه في ان لا يسمعوا حسيسها من البشارة ولو سمعوه لم يتغير حالهم قلنا
الجواب تاكيد بعدهم عنها لان من لم يدخلها وقرب منها قد يسمع حسيسها السوال
الثاني ليس ان اهل الجنة يرون النار فكيف لا يسمعون حسيس اهل النار قلنا
الجواب اذا حملناه على التاكيد زال هذا السوال الصفة الثالثة
قوله وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون والشهوة طلب النفس للذة يعني نعيمها
مويدا قال العارفون للنفوس شهوة وللقلوب شهوة وللارواح شهوة وقال
الجنيد سبقت العناية في البداية وظهرت الولاية في النهاية الصفة
الرابعة قوله ولا يحزنهم الفزع الاكبر وفيه وجوه احدها انه النفخة
الاخيرة لقوله تعالى يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
وثانيها انه الموت قال اذا استقر اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار بعث
الله جبريل عليه السلام ومعه الموت في صورة كبش املح فيقول لاهل الدارين اتعرفون
هذا فيقولون لا فيقول هذا الموت فيذبحه ثم ينادي يا اهل الجنة خلود لا موت
وكذلك لاهل النار واحتج هذا القايل بان قولهم لا يحزنهم الفزع الاكبر انما ذكره
بعد قوله وهم فيها خالدون فلا بد وان لاحدهما تعلق بالاخر والفزع الاكبر
الذي ينافي الخلود هو الموت وثالثها قال سعيد بن جبير هو اطباق النار على
اهلها فيفزعون لذلك فزعة عظيمة قال القاضي عبد الجبار الاولى في ذلك انه
على مراتب فعذاب الكفار اشد من عذاب الفساق واذا كانت مراتب التعذيب
بالنار متفاوتة فلا يلزم من نفي الفزع الاكبر نفي الفزع من النار الصفة الخامسة
قوله وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون وقال الضحاك
هم الحفظة الذين كتبوا اعمالهم ويقولون مبشرين هذا يومكم الذي كنتم توعدون

قوله تعالى يوم نطوي السما كطي السجل للكتاب كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اعلم ان التقدير لا يحزنهم الفزع الاكبر يوم نطوي السما او تلقيهم الملايكة يوم نطوي السما وقرى نطوي السما على البنا للمفعول والسجل بوزن القتل والسجل بوزن الذكر وروي فيه الكسر وفي السجل مسايل المسيلة الاولى في السجل قولان احدهما انه اسم الطومار الذي يكتب فيه والكتاب اصله المصدر كالبنا ثم يوقع على المكتوب فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكبيرة ويكون معنى طي السجل للكتابة كون السجل ساير الكتابة ومحصلها لان الطي ضد النشر الذي هو لسف فالمعنى السما تطوي طي الطومار الذي يكتب فيه القول الثاني ليس اسما للطومار ثم قال ابن عباس السجل ملك يطوي كتب ابن ادم اذا رفعت اليه وهو مروي عن علي رضي الله عنه وروى ابو الجوزي عن ابن عباس انه اسم كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا بعيد لان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا معروفين وليس فيهم من سمي بهذا وقال الزجاج هو الرجل بلغة الحبش وعلى هذا الوجوه فهو نحو ما يقال لطي زيد الكتاب واللام في الكتاب زايدة كما في قوله ردت لكم واذا قلنا المراد بالسجل الطومار فالمصدر وهو الطي مضاف الى القرا بقطع الكلام عند قوله الكتاب ثم ابتدا فقال كما بدانا ومنهم من قال المفعول والفاعل محذوف والتقدير كطي الطاوي السجل وهذا الاخر قول الاكثرين اما قوله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده ففيه مسايل المسيلة الاولى قال القرا بقطع الكلام عند قوله الكتاب ثم ابتدا فقال كما بدانا ومنهم من قال انه تعالى لما قال وتتلقاهم الملايكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون عقبه بقوله يوم نطوي السما كطي السجل للكتاب فوصف اليوم بذلك ثم وصفه بوصف اخر كما بدانا اول خلق نعيده المسيلة الثانية قال صاحب الكشاف اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول خلق كما بدانا تشبيها للاعادة بالابتدا فان قلت ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك او رجل جاني يريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته اراده يفصلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلايق لان الخلق مصدر لا يجمع المسيلة الثالثة قال صاحب الكشاف اول خلق

اختلفوا

اختلفوا في كيفية الاعادة فمنهم من قال ان الله يفرق اجزا الاجسام ولا يعدمها ثم انه يعيد تركيبها فذاك هو الاعادة ومنهم من قال يعدمها بالكلية ثم انه يوجدها بعينها مرة اخرى وهذه الاية دالة على هذا الوجه لانه سبحانه شبه الاعادة بالابتدا فلما كان الابتدا ليس عبارة عن تركيب الاجزا المفرقة بل عن الوجود بعد العدم وجب ان يكون الحال في الاعادة كذلك واحتج القايلون المذهب الاول بقوله تعالى والسموات مطويات بيمينه فدل هذا على ان السموات حال كونها مطوية تكون موجودة وبقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وهذا يدل على اجزا الارض باقية لكنها جعلت غير الارض اما قوله وعدا علينا ففيه قولان احدهما ان وعدا مصدر موكد لان قوله نعيده عدة للاعادة الثاني ان يكون المراد حقا علينا بسبب الاخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه مع ان وقوع ما علم الله وقوعه واجب ثم انه تعالى حقق ذلك بقوله انا كنا فاعلين اي سيفعل ذلك لا محالة وهو تاكيد لما ذكره من الوعد اما قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر فيه مسايل المسيلة الاولى قرا حمزة بضم الزاي والباقون بفتحها بمعنى المزبور كالحلوب والركوب يقال زبرت الكتاب اي كتبته والزبور بضم الزاي جمع زبر كقشر وقشور ومعنى القراتين واحد لان الزبر هو الكتاب المسيلة الثانية في الزبور والذكر وجوه احدها وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد والكلبي ومقاتل وابن زيد الزبر هي الكتب المنزلة والذكر هو الكتاب الذي هو ام الكتاب في السما لان فيها كتابة كل ما سيكون اعتبارا للملايكة وكتب الانبيا من ذلك الكتاب تنسخ وثانيها الزبور هو القران والذكر هو التوراة وهو قول قتادة والشعبي وثالثها الزبور زبور داود والذكر هو الذي روي انه عليه السلام كان الله ولم يكن معه شي ثم خلق الذكر وعندي فيه وجه رابع وهو ان المراد بالذكر هو العلم اي كتبنا ذلك في الزبور بعد ان كنا عالمين علما لا يجوز السهو والنسيان علينا فان من كتب شيا والزمه ولكن يجوز السهو عليه فانه لا يعتمد عليه واما من لم يجز عليه السهو والخلف واذا الزم شيا كان ذلك الشي واجب الوقوع اما قوله ان الارض يرثها عبادي الصالحون ففيه وجوه احدها الارض ارض الجنة والعباد الصالحون هم المومنون العاملون بطاعة الله فالمعنى ان الله تعالى كتب في كتب الانبيا وفي اللوح المحفوظ انه سيورث الجنة من كان صالحا من عباده وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وابي العالية وهولا اكدوا هذا القول بامور اما اولا فقوله تعالى واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا واما ثانيا فلانها الارض التي يخص بها الصالحون لانها لهم

في الاعادة كالابتدا

خلقت وعبرهم اذا حصل معهم في الجنة بعلى وجه التبع واما ارض الدنيا
فانها للصالح وغير الصالح واما انا لنا فلان هذه الارض مذكوره عقيب الاعاده
وبعد الاعاده الارض التي هنا وصفها لايكون الا الجنة اما اولا فلانه قد
روي في الخبر ان ارض الجنة لانها بيضاء نقيه وثانيها ان المراد من الارض
ارض الدنيا فانه سبحانه وتعالى يورثها المومنين في الدنيا وهو قول الكلبي وابن
عباس في بعض الروايات ودليل هذا القول قوله سبحانه استخلفهم في
الارض وقوله تعالى قوله موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده وثالثها ان المراد من الارض ارض الدنيا
ودليله قوله تعالى واورثنا الارض التي كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها التي باركنا فيها ثم بالاخرة يورثها الله محمد عند نزول عيسى
عليه السلام اما قوله تعالى ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين فقوله هذا
اشارة الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغه والبلاغ
الكفاية وما يبلغ به البغيه وقيل في العابدين انهم العالمون والاولى
انهم الجامعون بين الامرين ان العلم كالبذر والعمل كالقوت والمتجريدون البذر
غير مفيد والقريدون البذر غير كابين واما قوله وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين ففيه مسايل المسئلة الاولى انه عليه السلام كان رحمة في الدنيا
اما في الدين فلانه عليه السلام بعث والناس في جاهليه وضلال واهل
الكتابين كانوا في حيره من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع بواترهم ووقوع
الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا حتى لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب
فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم مدعهم واضطلاع بواترهم
ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا حتى لم يكن لطالب الحق سبيل الى
الفوز والثواب فدعاهم الاحكام وميز الحلال من الحرام ثم انما ينتفع بهذه
الرحمه من كانت همته طلب الحق ولا يركن الى التقليد ولا الى العناد والاستكبار
وكان التوفيق قريبا له قال تعالى هو للذين امنوا هدى وشفا الى قوله
وهو عليهم عمى واما في الدنيا فلانهم يخلصون انسبه من كثير من الذل
والقتال والحرب ونصر وابيركته دينه فان قيل كيف كان رحمة وقد حاربه
بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر ومن اوصاف الله الرحمن الرحيم
ثم هو منتقم من العصاه وقال وانزلنا من السماء ماء مباركا ثم قد يكون سببا
للفساد وثانيها ان كل نبي قبل نبينا اذا كذبه قومه اهلك الله المكذبين
بالخسف والمسخ والغرق وانه تعالى اخر عذاب من كذب رسولنا الى الموت
او الى القيمة وقال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لا يقال انه تعالى

قال

قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقال تعالى ليعذب الله المنافقين
والمنافقات لانا نقول لخصص العام اذا ورد فيه وثانيها انه عليه السلام
كان في نهاية حسن الخلق قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال ابو هريرة
قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع على المشركين قال انما بعثت رحمة
ولم ابعث عذابا وقال في رواية حذيفة انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر
فايما رجل سببته او لعنته فاجعلها اللهم عليه صلاة يوم القيمة وروايتها
قال عبد الرحمن بن زيد الا رحمة العالمين يعني المومنين خاصة قال الامام ابو
القاسم الانصاري والقولان يرجعان الى معنى واحد لما بينا انه كان رحمة للكل لو
تدبروا في ايات الله وايات رسوله فاما من اعرض واستكبر فانما وقع في المحنة
من قبل نفسه كما قال وهو عليهم عمى المسئلة الثانية قالت
المعتزله لو كان تعالى اراد من الكفار الكفر لم يرد منهم القبول من الرسول
بل ما اراد منهم الا الرد عليه وخلق فيهم ذلك ولم خلقهم الا لذلك كما يقول اهل السنة
لوجب ان يكون ارساله نقمة وعذابا عليهم لا رحمة وذلك خلاف هذا النص لا يقال
ان رسالته صلى الله عليه وسلم رحمة للكفار حيث لم يعجل ثوابهم في الدنيا كما عجل
عذاب سايرالامم لانا نقول ان توله رحمة للجميع على احد الحدين وما ذكرتموه
في الكفار فهو حاصل للمومنين ايضا فاذا وجب ان يكون رحمة للكافر من حيث لم
يعجل ثوابهم في الدنيا كما عجل عذاب سايرالامم لانا نقول لم ان كونه رحمة للجميع من
الوجه الذي صار رحمة للمومنين وايضا فان الذي ذكروه من نعم الدنيا
كانت حاصلة للكفار قبل بعثته عليه السلام لحصولها بعده بل كانت نعمهم في الدنيا
قبل بعثته اعظم لان بعد بعثته نزل بهم الغم والخوف منه ثم امر بالجهاد الذي
في الترهم فيه فلا يجوز ان يكون هذا هو المراد والجواب ان يقول لما علم
الله سبحانه وتعالى ان ابا لهب لا يومن البته واخبر ابراهيم عن ابيه لا يومن
كان المره اياه بالايمان امرا بقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وذلك
محال وكان قد امره بالمحال وان كانت البعثه مع هذا القول رحمة فلم
لا يجوز ان يقال البعثه رحمة مع انه خلق الكفر في الكافر ولان قدرة الكافر
لم تحصل الا للكفر فقط فالوبال عليهم لازم وان كانت صالحة للضدين توقف
الترجيح على مرجح من قبل الله تعالى وطما للتسلسل وحينئذ يعود الالزام
ثم يقول لم لا يجوز ان يكون رحمة الكفار بمعنى تاخير عذاب الاستيصال عنهم
قوله اولا لما كان رحمة للجميع على حد واحد وجب ان يكون رحمة الكفار
من الوجه الذي كان رحمة للمومنين قلنا ليس في الاية انه عليه السلام رحمة
للكل باعتبار واحد او باعتبارين مختلفين قد عرفت كون الوجه واحدا فلم

لعله الاتيانه

انا نقول هذا اذا
قلنا ان وجه الرحمة
اما اذا كان المراد من
الا استماع عن الاباء
ما سبق عن علم الله
فلا سودى لك قلت
فحصل

قوله تعالى نعم الدنيا كانت حاصلة للكفار المسئلة الثالثة تمسكوا
بهذه الاية في انه افضل من الملايكة قالوا ان الملايكة من العالمين فوجب حكم
هذه الاية انه عليه السلام رحمة للملايكة فوجب ان يكون افضل منهم والجواب
انه معارض بقوله في حق الملايكة ويستغفرون للذين امنوا وذلك رحمة منهم
في حق المومنين والرسول عليه السلام داخل في المومنين وكذا قوله تعالى
ان الله وملايكته يصلون على النبي والله اعلم **قوله تعالى**
**قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم
مسلمون ، فان تولوا فقل اذنتكم على سوا وان ادري اقريب
ام بعيد ما توعدون ، انه يعلم الجهر من القول ويعلم
ما تكتمون ، وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين
قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما
تصفون ،** اعلم انه سبحانه وتعالى لما اورد على الكفار الحجج في
ان لا اله سواه من الوجوه التي تقدم ذكرها وبين انه ارسل رسوله
رحمة للعالمين اتبع ذلك بما يكون اعذارا وانذارا في مجاهدتهم والاقدام عليهم
فقال قل انما يوحى الي وفيه مسايل المسئلة الاولى قال صاحب
الكشاف انما اقتصر الحكم على شي لو اقتصر الشي على حكم كقولك انما زيد قايم
وانما يقوم زيد وقد اجتمع المقالان في هذه الاية لان انما يوحى الي منع
فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما على حكم
كقولك انما زيد قايم وانما يقوم زيد زيد قايم وفايدة اجتماعهما
الدلالة ان الوحي الى رسول الله عليه السلام مقصور على اثبات وحدانية
الله وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحي الوارد على هذا النبي يوجب ان
يخلصوا التوحيد له وان يجعلوا الانداد ويوجب اثبات التوحيد بالسمع فان
قيل لو دل انما على الحصر لزم ان يقال انه لم يوح الى رسول الله شي سوى
التوحيد ومعلوم ان ذلك فاسد قلنا المقصود منه المبالغة اما
قوله فان تولوا فقد اذنتكم على سوا فقال صاحب الكشاف اذن منقول
من اذن اذا اعلم ولكن كثر استعمالهم في الجري مجرى الانذار ومنه
قوله فاذنوا بحرب من الله ورسوله اذا عرف هذا فالمفسرون ذكروا وجوها
احدها قال ابو مسلم الايذان في السوا الدعا في الحرب مجاهدة كقوله
فانبذ اليهم على سوا وفايدة ذلك انه كان يجوز ان يقدر مقدر من قريش
ان حالهم مخالف لساير الكفار في المجاهدة فعرفهم بذلك انهم كالكفار في ذلك
وثانيها بل المراد فقد اعلمكم ما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره

على

على سوا فلم افرق في الابلاغ والبيان بينكم لاني بعثت معلما والغرض منه ازاحة
العذر لئلا يقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وثالثها على سوا على اعلان
واظهار ورابعها على مهل والمراد اني لا اعاجل بالحرب الذي اذنتكم به
بل امهل واوخر رجا الاسلام منكم اما قوله وان ادري اقريب ام بعيد
ما توعدون ففيه وجهان احدها اقريب ام بعيد ما توعدون من القيمة
ومن عذاب النار ثم قيل نسخه واقترب الوعد الحق فان مثل هذا الخبر
لا يجوز نسخه والثاني ان المراد ان الذي اذنتم به من الحرب لا يدري وهو
قريب ام بعيد لئلا فقدر انه ان يتاخر كانه تعالى امره بان ينذرهم بالجهاد الذي
سيوحى اليه ان ياتيه من بعد ولم يعرفه الوقت فلذلك امره ان يقول انه
لا يعلم قربه ام بعده فبين ذلك ان السورة مكية وكان الامر بالجهاد بعد
الهجرة وثالثها ان ما توعدون به من غلبة المسلمين عليهم كاين لا محالة ولا
بد وان يلحقهم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك
لان الله تعالى لم يطلعني عليه اما قوله تعالى انه يعلم الجهر من القول
ويعلم ما تكتمون فالمقصود منه الامر بالاخلاص وترك النفاق لانه تعالى اذا
كان عالما بالضماير وجب على العاقل ان يبالغ في الاخلاص اما قوله
وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ففيه وجوه احدها لعل تاخير
العذاب اختبارا وامتناع الى حين وثانيها لعل ابهام الوقت
الذي ينزل بكم العذاب فتنة لكم اي بلية واختبار لكم الذي صنعكم وهل
تجدون توبة ورجوعا عن كفركم ام لا وثالثها قال الحسن لعل ما انتم فيه
من الدنيا بلية لكم والفتنة البلوى والاختبار ورابعها لعل التاخير
للجهاد فتنة لكم اذا دمتم على كفركم لان ما يودي الى الضرر العظيم يكون فتنة وانما
قال ما ادري ليجوز ان يومنوا ولكن يتبعهم فتنة بل تنكشف عن نعمة ورحمة
وخامسها ان يكون المراد وان ادري لعل ما تبت واعلمت واوعدت فتنة
لكم وزيادة في عذابهم ان لم يومنوا لان المعروض عن الايمان حالا بعد حال يكون
عذابه اشد واذا منعه الله بالدنيا يكون ذلك كالحجة عليه اما قوله تعالى
قل رب احكم بالحق ففيه مسايل المسئلة الاولى قرى رب احكم على الاكتفا
بالكسرة ورب احكم على الضم وربي احكم على التفصيل وربي احكم من الاحكام
المسئلة الثانية رب احكم بالحق فيه وجوه اي اقض بيني وبين قومي بالحق اي
بالعذاب كانه قال اقض بيني وبين من كذبني بالعذاب قال قتادة امره الله
تعالى ان يقتدي بالانبيا في هذه الدعوة وكانوا يقولون ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق فلا جرم حكم الله تعالى عليهم بالقتل يوم بدر وثانيها افصل بيني

وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان تنصرني عليهم واما قوله وربنا
وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون فيه وجهان احدهما اي من التنزل والكفر
وما تعارضون به دعواي من الاباطيل والتكذيب كانه سبحانه قال قل داعيا
لي رب احكم بالحق وقل متوعدا الكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون
فيه وجهان قرئ بالياء المنقطة من تحت اي قل لاصحابك المومنين وربنا
الرحمن آمالهم ونصر المومنين وخذلهم قال القاضي انما ختم الله هذه السورة
بقوله قل رب احكم لانه عليه السلام بلغ الغاية في البيان لهم وبلغوا النهاية في
اذيته وتكذيبه فصار امره تعالى بذلك تسلية له وتعريفا ان المقصود تعليمهم
فاذا ابوا الا التمادي في كفرهم فعليك بالانقطاع الى ربك ليحكم بينك وبينهم
بالحق اما بتعجيل العقاب بالجهاد او بغيره او بتاخير ذلك فان امرهم وان تاخر
فهو كاين وما هو كاين قريب فيما روي انه عليه السلام كان يقول ذلك في حروبه
وكالدلالة على انه تعالى امره ان يقول هذا القول كالاستجلاب
للامر بمجاهدتهم وبالله التوفيق تم تفسير سورة الانبيا والحمد لله رب العالمين

سورة الحج مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء
عظيم ۝ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما
هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ۝ اعلم انه
امر الناس بالتقوى فدخل فيه ان يتقي كل محرم ويتقي ترك كل واجب وانما
دخل فيه الامران لان المتقي انما يتقي من يخاف من عذاب الله فيدع لاجله المحرم
ويفعل لاجله الواجب ولا يكاد يدخل فيه النوافل لان المكلف لا يخاف تركها
وانما يرجوا بفعلها الثواب واذا قال اتقوا ربكم فالمراد اتقوا عذاب
ربكم اما قوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم فيه مسايل المسيلة الاولى
الزلزلة شدة حركة الشيء قال صاحب الكشاف ولا يخلوا الساعة من ان يكون
على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي تزلزل الاشيا على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة
مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في
الظرف واجرايه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي
الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها المسيلة الثانية
اختلفوا في وقتها فعن علقمة والشعبي ان هذه الزلزلة يكون في الدنيا ويكون
بعدها طلوع الشمس من مغربها وقيل هذه الزلزلة التي يكون معها الساعة

روي

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الصور انه قرن عظيم يوم ينفخ فيه
ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين وان
عند نفخة الفزع يسير الله الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب
يومئذ واجفة وتكون الارض كالسفينة وتضربها الامواج او كالمنديل
المعلق ترجحها الرياح وقال مقاتل ان هذا يكون في اول يوم من ايام الاخرة
واعلم ان اللفظ ليس فيه دلالة على شيء من هذه الاقسام لان هذه الاضافة
تصح وان كانت الزلزلة قبلها وتكون من اماراتها واشراطها وتصح اذا كانت
فيها كقولنا ايات الساعة وامارات الساعة المسيلة الثالثة روي ان هاتين
الايتين نزلتا بالليل والناس يسيرون فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع
الناس حوله وقراهما عليهم فلم ير باكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا
السروج ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا القدر والناس من بين باك او جالس حزين
متفكر فقال عليه السلام اتدرون اي ذلك اليوم قالوا الله ورسوله اعلم
قال ذلك يوم يقول الله تعالى لادم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ولدك
فيقول ادم وما بعث النار يعني من كم كم فيقول الله من كل الف تسع مائة
وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فعند ذلك يشيب الصغير وتضع كل
ذات حمل حملها وترى الناس سكارى فكبر ذلك على المومنين وبكوا وقالوا من
ينجو يا رسول الله فقال عليه السلام ابشروا وسددوا وقاربوا فان معكم خليقتين
ما كانتا في قوم الا كثروا ياجوج وماجوج ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ربع اهل
الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال اني لارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبروا
وحمدوا الله ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ثلثي اهل الجنة وان اهل الجنة مائة
وعشرون صفا ثمانون منها امتي وما المسلمون في الكفار الا كالكلثامة في جنب
البعير او كالشعرة البيضا في الثور الاسود ثم قال يدخل يدخل الجنة من
امتي سبعون الفا بغير حساب فقال عمر سبعون الفا فقال نعم ومع كل
واحد سبعون الفا فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع ان يجعلني فيهم
فقال انت معهم فقام رجل من الانصار وقال مثل قوله فقال سبقك بها
عكاشة فخاض الناس في السبعين الفا فقال بعضهم هم الذين ولدوا على
الاسلام وقال بعضهم هم الذين امنوا وجاهدوا مع رسول الله فاخبروا
رسول الله بما قالوا فقال عليه السلام هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا
يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون المسيلة الرابعة انه سبحانه امر
الناس بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول الصفة
والمعنى ان التقوى تقتضي دفع مثل هذا الضرر العظيم عن النفس ودفع

الضرر عن النفس معلوم الوجوب فيلزم ان يكون التقوى واجبا المسيلة
الخامسة احتجت المعتزلة بقوله تعالى ان زلزلة الساعة شي عظيم
على ان المعدوم شي وذلك انه وصفها بانها شي مع انها معدوم واحتجوا
ايضا بقوله تعالى ان الله على كل شي قدير فالشي الذي قدر الله عليه معدوم
فالمعدوم شي واحتجوا بقوله تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا اطلق
اسم الشي في الحال على ما يصير مفعولا غدا وما يكون مفعولا غدا يكون معدوما
في الحال فالمعدوم شي واحتجوا ايضا والجواب عن الاول ان الزلزلة
عبارة عن الاجسام المتحركة فهي جواهر قامت بها اعراض وتحقق ذلك في المعدوم
محال فالزلزلة المسيلة السادسة وصف الله الزلزلة بالعظم
ولا عظيم اعظم مما عظمه الله اما قوله تعالى يوم ترونها تذهل
كل مرضعة عما ارضعت انه منصوب بتذهل اي يذهل في ذلك اليوم والضمير
في ترونها يحتمل ان يرجع الى الزلزلة وان يرجع الى الساعة لتقدم ذكرهما
والاقرب رجوعه الى الزلزلة لان مشاهدتها هي التي توجب الخوف
الشديد واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر من اهوال ذلك اليوم امورا
احدها قوله يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت اي تذهلها الزلزلة
والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة فان قيل لم قال مرضعة دون
مرضع قلنا المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع
التي من شانها ان ترضع وان لم يباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل
مرضعة لتدل على ان ذلك الهول اذا شوهد وقد القيت المرضع ثديها
نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة وقوله عما ارضعت اي عن ارضاعها
او عن الذي ارضعته وهو الطفل فيكون ما بمعنى من على هذا التاويل
وثانيها قوله وتضع كل ذات حمل حملها والمعنى انها تسقط ولدها
لتمام او لغير تمام من هول ذلك اليوم وهذا يدل على ان هذه الزلزلة انما تكون
قبل البعث قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتلقي
الحوامل ما في بطنها لغير تمام قال القفال يحتمل ان يقال من كانت حاملا او
مرضعة تذهل او تضع حملها من الفزع ويحتمل ان يكون المراد من ذهول
المرضعة ووضع الحمل على جهة المثل كما قد تاول قوله يوما يجعل
الولدان شيبا وثالثها وترى الناس سكارى وفيه مسايل المسيلة
الاولى قوله وترى بالضم من اريتك قائما او رويتك قائما والناس
بالنصب والرفع اما النصب فظاهر واما الرفع فلانه جعل الناس اسم

ترى وانثه على تاويل الجماعة وقرى سكرى وسكرى وهو نظير جوعى وعطشى
في جوعان وعطشان وسكارى نحو كسالى وعجالا وعن الاعمش سكرى وسكرى
بالضم وهو غريب المسيلة الثانية المعنى وتراهم سكارى على التشبيه
وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب
عقولهم وطير تمييزهم وقال ابن عباس والحسن وتراهم سكارى من الخوف وما هم
سكارى من الشراب فان قلت لم قيل يوم ترون ثم قيل وترى
على الافراد قلنا لان الروية اولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رايين
لها وهي معلقة اخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد وان يجعل كل واحد منهم رايا
لسايرهم المسيلة الثالثة ان قيل يقولون سده ذلك اليوم يحصل
لكل احد او لاهل النار خاصة قلنا قال قوم ان الفزع الاكبر
وغيره يختص باهل النار وان اهل الجنة يحشرون وهم امنون وقيل بل يحصل
للكل لانه سبحانه لا اعتراض لاحد عليه في شي من افعاله وليس لاحد عليه حق
قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله
بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه
من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير
وفيه مسايل المسيلة الاولى في كيفية النظم فيه وجهان الاول
اخبر تعالى فيما تقدم عن اهوال القيمة وشدتها ودعى الناس الى تقوى الله ثم
ميز في هذه الاية قوما من الناس الذين ذكروا في الاول واخبر عن مجادلتهم الثاني
انه تعالى بين انه مع هذا التحذير والتشديد بذكر الزلزلة الساعة
وشدايدها وان من الناس من يجادل في الله بغير علم المسيلة الثانية
في قوله ومن الناس وجهان احدهما انهم الذين ينكرون البعث ويدل عليه
قوله اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة الاية وايضا فان قيل
ما هذه الاية في وصف البعث وما بعدها في الدلالة على البعث فوجب ان
يكون المراد من هذه المجادلة هو المجادلة في البعث وثالثها انها
نزلت في النضر بن الحرث كان يكذب بالقران ويزعم انه من اساوير الاولين
ياتيكم به محمد كما كنت احدثكم عن القرون الماضية وهو قول ابن عباس المسيلة
الثالثة هذه الاية تدل بمفهومها على جواز المجادلة الحسنة لان
تخصيص المجادلة مع العلم جايزة فالمجادلة بالباطل هي المراد من قوله ما
ضربوه لك الا جدلا والمجادلة الحقة هي المراد من قوله وجادلهم بالتي
هي احسن المسيلة الرابعة في قوله ويتبع كل شيطان قولان
احدهما يجوز ان يريد شياطين الانس وهم روسا الكافرين الذين يدعون

من دونهم الى الكفر والثاني ان يكون المراد بذلك ابليس وجنوده قال
الزجاج المريد والمارد الذي مرد في الشر يقال صخرة مرداء اي ملساء ويجوز
ان يستعمل في غير الشيطان اذا جاوز حد مثله اما قوله كتب عليه ففيه
وجهان احدهما ان الكتبة عليه مثل اي كانما كتب احد كان من يتولاه عليه
ورقم به لظهور ذلك في حاله في حاله والثاني كتب عليه في الكتاب واعلم
ان هذه الهاء بعد ذكر من يجادل وبعد ذكر الشيطان يحتمل ان يكون راجعا
الى كل واحد منهما فان رجع الى من يجادل فانه يرجع الى لفظه الذي هو يوجد
كانه قال كتب على من يتبع الشيطان كان المعنى ويتبع كل شيطان مريد
قد كتب عليه ان من يقبل منه فهو في ضلال وعلى هذا الوجه ايضا يكون زجرا
عن اتباعه وفي الاية مسايل المسيلة الاولى قال القاضي عبد الجبار
اذا قيل المراد بقوله كتب عليه قضي عليه فلا جايز ان يرد الا الى من يتبع الشيطان
لانه تعالى لا يجوز ان يقضي على الشيطان انه يضل ويجوز ان يقضي على من يقبله
انه بقوله اضله عن الجنة وهداه الى النار قال اصحابنا لما كتب ذلك عليه
فلو لم يقع لانقلب خبر الله الصدق كذبا وذلك محال وملتزم المحال محال وكان
لا وقوعه محالا المسيلة الثانية دلت الاية على ان المجادل في الله وان كان
لا يعرف الحق مذموم معاقب فيدل على ان العارف ليست هذه صورته ٥
المسيلة الثالثة قال القاضي فيه دلالة على ان المجادلة في الله ليست
من خلق الله بارادته والا لما كانت مضافة الى اتباع الشيطان وكان لا يصح القول
بان الشيطان يضله بل كان الله تعالى قد اضله والجواب المعارضة بمسيلة
العلم وبمسيلة الداعي المسيلة الرابعة قرئ انه فانه بالفتح والكسر
فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية
المكتوب كما هو كما كتب عليه هذا السلام كما يقول كتبت ان الله هو الغني الحميد
او على تقديره قل او على ان كتب فيه معنى القول والله اعلم ٥

قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم
في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام
ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا
اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل
العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة
فاذا انزلنا الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج

بهيج ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على
كل شيء قدير ٥ وان الساعة اتية لا ريب فيها
وان الله يبعث من في القبور ٥ القراءة قرا الحسن من البعث
بالتحريك ونظيره الحلب والطرد مخلقة وغير مخلقة بجر التاء والراء ابن ابي
عبلة بنصبهما القراءة المعروفة النون في قوله ونقر بفتح النون وضم
القاف والراء وهو من قر الماء اذا صبه وقرئ في رواية لنبين
وفي قوله ونقر بفتح النون وفي قوله لنخرجكم ابن ابي عبلة بالياء في هذه
الثلاثة اما القراءة بالنون ففيها وجوه احدها القراءة المشهورة وثانيها
روى السيرافي عن داود عن يعقوب ونقر بفتح النون وضم القاف والراء
وهو من قر الماء اذا صبه وفي رواية اخرى عنه كذلك الاية بنصب الراء
وثالثها ونقر ونخرجكم بنصب الراء والجيم اما القراءة بالياء ففيها
وجوه احدها نقر ونخرجكم بفتح القاف والراء وفتح الجيم وثانيها
نقر ونخرجكم بضم القاف والراء وضم الجيم وثالثها بفتح الياء وكسر
القاف وضم الراء ابو حاتم ومنكم من يتوفى بفتح الياء ابن عمرو الاعمش العمر
باسكان الميم القراءة المعروفة ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل
العمر وفي حرف عبد الله ومنكم من يتوفى ومنكم من يكون شيوخا ورابعها
القراءة المعروفة وربت ابو جعفر ربات اي ارتفعت وروى العمري
عنه بتليين الهمزة وقرئ ان الله باعث المعاني اعلم انه سبحانه
وتعالى لما حكى عنهم الجدال بغير علم في اثبات الحشر والنشر وذمهم عليه فهو سبحانه
اورد الدلالة على صحة ذلك من وجهين احدهما الاستدلال بخلقة الحيوان
اولا وهو موافق لما اجمله في قوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة فيقولون
من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فكانه سبحانه اورد الدلالة
على صحة ذلك قال ان كنتم في ريب مما وعدناكم من البعث فتفكروا في
خلقتكم الاولى لتعلموا ان القادر على خلقكم اولا قادر على خلقكم ثانيا ثم انه
سبحانه ذكر من مراتب الخلقة الاولى امورا سبعة المرتبة الاولى قوله
فانا خلقناكم من تراب وفيه وجهان احدهما انا خلقنا اصلكم وهو ادم عليه
عليه السلام من تراب كقوله كمثل ادم خلقه من تراب وقوله منها خلقناكم ٥
والثاني ان خلقة الانسان من المني ودم الطمث وهما انما يتولدان من الاغذية
والاغذية اما حيوان او نبات وغذاء الحيوانات ينتهي الى النبات قطعا
للتسلسل والنبات انما يتولد من الارض والماء فصح قوله انا خلقناكم من
تراب المرتبة الثانية قوله من نطفة والنطفة اسم للماء القليل اي

ما كان وهو هاهنا ما الفحل فكانه سبحانه يقول انا الذي قلبت ذلك التراب
اليابس ما نظيفا مع انهما لا مناسبة بينهما البتة المرتبة الثالثة ثم من
علقة والعلقة قطعة الدم الجامدة فلا شك ان بين الما والدم الجامد مناسبة
شديدة المرتبة الرابعة قوله ثم من مضغة مخلقة وغير
مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشا والمضغة اللحمة الصغيرة قدر
ما يمضغ والمخلقة المسواة الملسا من النقصان والعيب يقال خلق السوال
والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقا اذا كانت ملسا ثم للمفسرين
فيه اقوال احدها ان يكون مضغة فمنها ما خلقه انشا تاما بلا نقص ومنها
ما ليس كذلك وهذا قول قتادة والضحاك فكان الله تعالى يخلق المضغ متقاربة
منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك
التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم
ونقصانهم وثانيها المخلقة وغير المخلقة اي غير المصورة وهو الذي يبقى
لحما من غير تخطيط وشكل واحتجوا بما روي علقمة عن مارزقها ما اجلها
اشقي ام سعيد فقال سبحانه انطلق الى ام الكتاب فاستفتح منه هذه النطفة
فينطلق الملك فينسخها فلا يزال معه حتى ياتي على اخر صفتها وخامسها
قال القفال التخليق ماخوذ من الخلق مما يتابع عليه الاطوار وتوارد عليه
الخلق بعد الخلق فذلك هو الخلق لتتابع الخلق عليه قال فما تم فهو المخلوق
وما لم يتم فهو غير المخلوق لانه لم يتوارد عليه التخليقات والقول الاول
اقرب لانه تعالى قال في اول الاية فانا خلقناكم واشار الى الناس فيجب
ان يحمل مخلقة وغير مخلقة على ما سيصير انسانا وذلك يبعد في السقط لانه
قد يكون سقطا ولم يتكامل فيه الخلقة مخلقة وغير مخلقة لانه بعد ان تم
بعد خلقة البعض ونقص خلقة البعض لا يجب ان يتكامل ذلك بل فيه
ما يقره الله في الرحم وفيه ما لا يقره وان كان قد ظهر فيه خلقة الانسان
فيكون من هذا الوجه قد دخل فيه السقط اما قوله لنبين لكم فيه
وجهان احدهما لنبين لكم ان نقر المضغة الى الخلقة وهو اخبار الفاعل
المختار ولولاه لما صار بعضه مخلقا وبعضه غير مخلق وثانيها التقدير
ان كنتم في ريب من البعث فانا اخبرناكم انا خلقناكم من كذا وكذا لنبين لكم ما
يزيل عنكم ذلك الريب في امر بعثكم فان القادر على هذه الاشيا كيف يكون عاجزا
عن الاعادة اما قوله ونقر في الارحام ما نشا الى اجل مسمى فالمراد
منه من يبلغه الله حد الولادة والاجل المسمى هو الوقت المضروب للولادة
وهو اخر ستة اشهر او تسعة اشهر او سنين او اربع او كما شا وقدر الله تعالى

بان كتب ذلك صار الى اجل مسمى المرتبة الخامسة قوله ثم نخرجكم طفلا
وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد
منكم طفلا كقوله والملايكة بعد ذلك ظهيرا المرتبة السادسة
قوله ثم لتبلغوا اشدكم والاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من
الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كانها شدة في غير شي واحد فثبت
لذلك على لفظ الجمع والمراد والله اعلم ثم يسهل في مرسكم واغذيتكم
امورا ليبلغوا اشدكم فيه بذلك على الاحوال التي بين خروج الطفل من
بطن امه وبين بلوغ الاشد ويكون بين الحالتين ويكون بين الحالتين وسايط
وذكر بعضهم انه ليس بين حال الطفولية وبين ابتدا حال بلوغ الاشد
وسايط حتى جوز ان يبلغ في السن فيكون طفلا كما يكون غلاما ثم يدخل في
الاشد المرتبة السابعة قوله ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى
ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيا والمعنى ان فيكم من يتوفى على قوته
وكماله وفيكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف فيصير كما كان
في اول طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم فان قيل
كيف قال لكي لا يعلم من بعد علم شيا مع انه يعلم بعض الاشيا كالطفل
قلنا المراد انه يزول عقله فيصير كانه لا يعلم شيا ان مثل ذلك قد يذكر
في النفي لاجل المبالغة ومن الناس من قال هذه الحالة لا تحتمل المومنين لقوله
تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم
اجر غير ممنون فهذا تمام الاستدلال بخلقة الحيوانات على صحة البعث
الوجه الثاني الاستدلال بحال خلقة النبات على ذلك وهو قوله
تعالى وترى الارض هامدة وهمودها يبسها وخلوها عن النبات والخضرة
فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت والاهتزاز الحركة على سرور فلا يكاد يقال
اهتز فلان لكنت وكنت الا اذا كان ذلك الامر من المحاسن والمنافع فقوله
اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وانتفخت اما قوله وانبتت من كل زوج
بهيج فهو مجاز لان الارض ينبت فيها والله تعالى هو المنبت لذلك لكنه يضاف
اليها توسعا ومعنى من كل زوج يعني كل نوع من انواع النبات من زرع وغرس
والبهجة حسن الشي ونضارته والبهج بمعنى البهج وقال المبرد هو الشي المشرق
الجميل ثم انه سبحانه لما قرر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب
والنتيجة وذكر امورا خمسة احدها قوله ذلك بان الله هو الحق
والحق هو الموجود الثابت وكانه سبحانه بين ان هذه الوجوه دالة على وجود
الصانع وحاصلها راجع الى ان حدوث الاعراض المتنافية وتواردها

على الاجسام يدل على وجود الصانع وثانيها قوله وانه يحيي الموتى تنبيه
على انه لما لم يستبعد من الاله اعادة هذه الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة
الاموات وثالثها قوله وانه على كل شيء قدير يعني ان الذي يصح منه ايجاد
هذه الاشياء لابد وان يكون واجب الانصاف لذاته بالقدرة ومن كان
كذلك كان قادرا على جميع الممكنات ومن كان كذلك فانه لابد وان يكون
قادرا على الاعادة ورابعها قوله وان الساعة اتية لاريب فيها
وان الله يبعث من في القبور فالمعنى انه سبحانه لما اقام الدلايل على ان
الاعادة في نفسها ممكنة وانه سبحانه قادر على كل الممكنات وجب القطع
بكونه قادرا على الاعادة واذا ثبت الامكان والصادق اخبر عن وقوعه
وجب القطع بوقوعه واعلم ان جملة هذه الدلالة على الوجه النظري
ان يقال الاعادة في نفسها ممكنة والصادق اخبر عن وقوعها فلابد من
القطع بوقوعها اما بيان الامكان فالدليل عليه ان هذه الاجسام
بعد تفرقها قابلة لتلك الصفات التي كانت قائمة بها حال كونها حية قادرة
والباري سبحانه عالم بكل المعلومات قادر على كل الممكنات وذلك يقتضي
القطع بامكان الاعادة انما قلنا ان تلك الاجسام بعد تفرقها قابلة لتلك
الصفات لانها لو لم تكن قابلة لها في وقت لما كانت قابلة لها في شيء من الاوقات
لان الامور الذاتية لا تزول ولو لم تكن قابلة لها في شيء من الاوقات لكنها كانت
حية عاقلة فوجب ان يكون قابلة ابدا لهذه الصفات واما ان
الباري تعالى يمكنه تحصيل ذلك الممكن فلانه سبحانه عالم بكل المعلومات فيكون
عالما بأجزاء كل واحد من المكلفين على التعيين وقادر على كل الممكنات فيكون
قادرا على ايجاد تلك الصفات في تلك الذوات فثبت ان الاعادة في نفسها
ممكنة واذا اخبر الصادق بوقوعها وجب القطع بذلك فهذا هو الكلام في
تقرير هذا الاصل فان قيل فاي منفعة في ذكر مراتب خلقة الحيوانات
وخلقة النبات في هذه الدلالة قلنا انها يدل على انه سبحانه قادر
على كل الممكنات وعالم بكل المعلومات ومتى صح ذلك فقد صح كون الاعادة ممكنة
فان الخصم لا ينكر المعاد الا بناء على انكار احد هذين الاصلين ولذلك قال
سبحانه لمحمد اقام الدلالة على البعث في كتابه ذكر معه كونه عالما وقادرا ٥
كقوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم فقوله يحييها
الذي انشاها بيان القدرة وقوله بكل خلق عليم بيان العلم

قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير

علم ويتبع كل شيطان مريد لا هدى ولا كتاب منير
ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي
ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت
يداك وان الله ليس بظلام للعبيد القراءة ثاني عطفه بكسر العين
ليضل قرئ بضم الياء وفتحها القراءة المعروفة وتذيقه بالنون وقوله
ويتبع كل شيطان مريد وارد في اتباع المقلدين وهذه الاية واردة في المتورعين
المقلدين فان كلي المجادلين جادل بغير علم وان كان احدهما تبعا والاخر متبوعا
ومن ذلك قوله ولا هدى ولا كتاب مبين فان مثل ذلك لا يقال في المقلد
وانما يقال بمن خاصم بناء على شبهة فان قيل كيف يصح في النضر وهذه
في ابي جهل وثالثها ان هذه الاية نزلت ايضا في النضر وهو قول ابن
عباس وفائدة التكرار المبالغة في الذم وايضا فقد ذكر في الاية الاولى
اتباعه الشيطان تقليدا بغير حجة وفي الثانية مجادلته في الدين
واضلاله غيره بغير حجة والوجه الاول اقرب لما تقدم المسئلة
الثانية الاية دالة على ان الجدال مع العلم والهدى والكتاب المنير حسن على
ما مر تقريره المسئلة الثالثة المراد بالعلم الضروري والهدى
الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي والمعنى
انه يجادل من غير معتمد ضروري ولا نظري ولا سمعي وهو كقوله
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم ولا هدى
ولا كتاب منير وقوله اوتي كتاب من قبل هذا اما قوله
ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله فاعلم ان بني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء
لتصعير الخد ولي الجيد وقوله ليضل عن سبيل الله فاما القراءة بضم الياء
فدلالة على ان هذا المجادل فعل الجدال والكبر التكبر الذي شمعه غيره فيضله
عن طريق الحق فجمع بين الضلال والكفر واضلال الغير واما القراءة
بفتح الياء فالمعنى انه لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ثم انه
سبحانه شرح حاله في الدنيا وفي الاخرة اما في الدنيا فيوم بدر روينا
عن ابن عباس انها نزلت في النضر بن الحرث وقيل يوم بدر وان الذين لم يخصوا
هذه الاية بواحد معين قالوا المراد بالخزي في الدنيا ما امر المومنين بدمه ولعنه
ومجاهدته واما الاخرة فقوله ونذيقه يوم القيمة عذاب
الحريق ثم بين تعالى ان هذا الخزي المعجل وذلك العقاب الموجل لاجل ما
قدمت يداه وقالت المعتزلة هذه الاية تدل على مطالب الاول دلت الاية
على انه انما وقع في ذلك العذاب بسبب عمله فلو كان فعله خلقا لله تعالى

لكان حين خلقه الله تعالى استحال منه ان يتصف به فلا يكون ذلك العقاب
بسبب فعله واذا عاقبه عليه كان محض الظلم وذلك على خلاف النص الثاني
ان قوله بعد ذلك وان الله ليس بظلام للعبيد دليل على انه سبحانه انما
لم يكن ظالما وهذا يدل على انه لا يجوز تعذيب الاطفال للقرابات الثالث
انه سبحانه يمدح بانه لا يفعل الظلم فوجب ان يكون قادرا عليه
بخلاف ما يقوله النظام وان يصح ذلك منه خلاف ما يقوله اهل السنة
الرابع وهو انه لا يجوز الاستدلال بهذه الاية على انه تعالى لا يظلم
لان عندهم صحة النبوة موقوفة على نفي الظلم ولو اثبتنا ذلك بالدليل السمعي
لزم الدور والجواب عن الكل المعارضة بالعلم والداعي قوله
تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان
اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب
على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين
يدعوا من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه
ذلك هو الضلال البعيد يدعوا لمن ضره اقرب من
نفعه لبئس المولى ولبئس العشير القراءة قرا جابر
الدنيا والاخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على انه خبر
مبتدا محذوف وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام اعلم انه تعالى لما
بين حال المظهرين للشرك المجادلين فيه على ما ذكرنا عقبه بذكر المنافقين
فقال ومن الناس من يعبد الله على حرف وفي تفسير الحرف وجهان
الاول ما قاله الحسن وهو ان المرء في باب الدين معتمده القلب واللسان
فهما حرفا الدين فاذا وافق احدهما الاخر تكامل في الدين واذا اظهر بلسانه
لبعض الاغراض وفي قلبه النفاق جاز ان يقال فيه على وجه الذم يعبد الله
على حرف الثاني قوله على حرف اي على طرف من الدين لا في وسطه
ولا في قلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة
كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بغنيمة فر واطمان والا فر
وطار على وجهه وهذا هو المراد بقوله فان اصابه خير اطمان به
وان اصابته فتنة انقلب على وجهه لان الثبات في الدين انما يكون لو
كان الغرض منه اصابة الحق وطاعة الله والخوف من عقابه فاما اذا كان
غرضه الخير المعجل فانه يظهر الدين عند السراء ويرجع عنه عند الضراء ولا
يكون الا منافقا مذموما وهذا مثل قوله مذبذبين بين ذلك
وكقوله فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم المسئلة

الثانية

الثانية قال الكلبي الاية نزلت في اعراب كانوا يقدمون على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة مهاجرين من باديتهم وكان احدهم اذا صح جسمه ونتجت
فرسه مهرا حسنا وولدت امراته غلاما وكثر ماله وماشيته رضي به واطمان
اليه وان اصابه وجع وولدت امراته جارية واجهضت رماكه وذهب
ماله وتاخرت عنه الصدقة اتاه الشيطان وقال ما جاءك هذا الشي
الا بسبب هذا الدين فينقلب عن دينه وهذا قول ابن عباس وسعيد
بن جبير والحسن ومجاهد وثانيها وهو قول الضحاك نزلت في المولفة
قلوبهم منهم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس بن مرداس قال بعضهم
لبعض ندخل في دين محمد فان اصبنا خيرا عرفنا انه حق وان كان غير ذلك عرفنا
انه باطل وثالثها قال ابو سعيد الخدري اسلم رجل من اليهود فذهب بصره
وماله وولده فقال يا رسول الله اقلني فاني لم اصب من ديني هذا خيرا
ذهب بصري ومالي وولدي فقال عليه الاسلام لا يقال ان الاسلام ان
الاسلام يسبك كما يسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة ونزلت
هذه الاية وفيها سوالات الاول الفتنة هي الامتحان وهي تطلق على الخير والشر
قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة الجواب مثل هذا كثير
في اللغة لان النعمة بلاء وابتلاء لقوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه
ربه فاكرمه ونعمه لكن انما يطلق اسم البلاء على ما ينقل على الطبع وكذلك الخير
كله فتنة لكن اكثر ما يستعمل فيما يشتد وينقل السوال الثاني اذا كانت
الامة في المنافق فما معنى قوله انقلب على وجهه وهو في الحقيقة لم يسلم حتى
ينقلب ويزيد الجواب المراد انه اظهر بلسانه اخلاف ما كان يظهره
فصار يذم الدين عند الشدة وكان من قبل يمدحه وذلك انقلاب في الحقيقة
السوال الثالث مقابل الخير هو الشر فلما قال فان اصابه خير
اطمان به كان يجب ان يقول وان اصابه شر انقلب على عقبه الجواب
لما كانت الشدة ليست بقبيحة لم يقل تعالى وان اصابه شر بل وصفه بما لا ينفك
عنه القبح اما قوله تعالى خسر الدنيا والاخرة فذلك لانه يخسر في الدنيا
العز والكرامة واصابة الغنيمة واهلية الشهادة والقضاء والامامة ولا يبقى ماله
ودمه مصونا واما في الاخرة فيفوته الثواب الدائم ويحصل له
العقاب الدائم وذلك هو الخسران المبين اما قوله يدعوا من دون الله
ما لا يضره وما لا ينفعه فالاقرب انه المشرك الذي يعبد الاوثان وهذا
كالدلالة على ان الاية لم ترد في اليهودي لانه ليس يدعوا من دون الله

الاسلام ان

الاصنام فالاقرب انها وارده في المشركين الذين انقطعوا الي الرسول علي
وجه النفاق ومن يقول ان ذلك هو الضلال البعيد فاراد به عظم ضلالتهم
وكفرهم ويحتمل ان يعني بذلك بعد ضلالتهم عن الصواب لانه جميعه وان كان
يشترك في انه خطا فبعضه ابعد من الحق من بعض واستعير الضلال البعيد
من ضلال من ابعد في التيه ضالا اما قوله يدعوا لمن ضره اقرب
من نفعه ففيه مسايل المسلة الاولي اختلفوا في تفسيره علي وجهين
احدهما ان المراد روساهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا
حجة هذا القول ان الله تعالي بين في الاية الاولي ان الاوثان لا يضرهم
ولا ينفعهم وهذه الاية تقتضي كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور
في هذه الاية هو الاوثان لزم التناقض والقول الثاني ان المراد الوثن
ثم اجابوا عن التناقض بامور احدها انها لا تضر ولا تنفع بانفسها
ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة المضره اليه كقوله تعالي
رب انهن اضللن كثيرا من الناس فاضاف الاضلال اليهن من حيث كن
سببا للضلال فكذلك هاهنا نفي الضرر عنهم في الاية الاولي مع كونها فاعله
واضاف الضرر اليهم في هذه الاية بمعني ان عبادتها سبب الضرر وثانيها
كانه سبحانه بين في الاية الاولي انها في الحقيقة لا تضر ولا تنفع ثم قال
في الاية الاولي الثانية ولو سلمنا كونها ضارة نافعة لكن ضررها اكثر من
نفعها وثالثها كان الكفار اذا انصفوا علموا انه لا يحصل منها نفع ولا
ضر في الدنيا ثم في الاخرة يشاهدون العذاب العظيم بسبب عبادتها
فكانهم يقولون لها في الاخرة ان ضركم اعظم من نفعكم المسلة الثانية اختلف
النحويون في اعراب قوله لمن ضره اما قوله لبيس المولي ولبيس العشير
فالمولي هو الولي والناصر والعشير الصاحب والمعاشر واعلم ان هذا
الوصف بالروسا اليق لان ذلك لا يكاد يستعمل في الاوثان فبين تعالي انهم
يعدلون عن عبادة الله التي تجمع خير الدنيا والاخرة الي عبادة الاصنام
والي طاعة الروسا ثم ذم الروسا بقوله لبيس المولي والمراد
ذم من انتصر بهم والتجا اليهم قوله تعالي ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن ان لن
ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الي السما ثم
ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك

انزلناه ايات بينات وان الله يهدي من يريد
اعلم انه سبحانه لما بين في الاية الثالثة حال عبادة المنافقين وحال
معبودهم بين في هذه الاية صفة عبادة المومنين وصفة معبودهم فالمنافقون
معبودهم لا ينفع ولا يضر واما المومنون فعبادتهم حقه ومعبودهم
يعطيهم اعظم المنافع وهو الجنة ومن كمال الجنة التي تجمع بين الزرع والشجر ان
تجري تحتها الانهار وبين تعالي انه يفعل ما يريد بهم من انواع الفضل
والاحسان زيادة علي اجورهم كما قال لنوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
واحتج اصحابنا في خلق الافعال بقوله ان الله يفعل ما يريد قالوا جميعا ان
الله تعالي يريد الايمان ولفظة ما للعموم فوجب ان يكون فاعلا للايمان
لقوله ان الله يفعل ما يريد اجاب الكعبي عنه بان الله تعالي يفعل ما
يريد ان يفعله لا ما يريد ان يفعل غيره والجواب ان قوله ما يريد
اعم من قولنا ما يريد من فعل غيره فالتقييد خلاف النص اما قوله من
كان يظن ان لن ينصره الله فالها الي من يرجع فيه وجهان الاول وهو قول
ابن عباس والكلبي ومقاتل والضحاك وقتاده وابن زيد والسدي واجاز
الزجاج والفرا انه يرجع الي محمد عليه السلام وان لم يجز له في هذه الاية ذكر
ففيها ما يدل عليه وهو ذكر الايمان في قوله ان الله يدخل الذين امنوا
والايمان لا يتم الا بالله ورسوله ويجب البحث هاهنا عن امرين احدهما انه من الذي
كان يظن ان الله لا ينصر محمدا والثاني ما معني فليمدد بسبب الي السما
ثم ليقطع اما الاول فذكروا فيه وجوها احدها كان قوم من المسلمين
لشدة غيظهم وحقدهم علي المشركين يستبطون ما وعد الله ورسوله من
النصر فنزلت وثانيها قال مقاتل نزلت في نفر من اسد وغطفان قالوا
نخاف ان الله لا ينصر محمدا فنقطع ما بيننا وبين خلفائنا من اليهود وثالثها
ان حساده واعداه كانوا يتوقعون ان لا ينصره الله وان لا يغلبه علي اعدايه
فمتي شاهدوا ان الله نصره غاظهم ذلك وفيه مباحث البحث الاول
اعلم ان في لفظ السبب قولان احدهما انه الحبل وهولا اختلفوا في السما
فمنهم من قال هو سما البيت ومنهم من قال هو السما في الحقيقة فقالوا المعني من
كان يظن ان لن ينصره الله ثم يغيظه انه لا يظفر بمظلومه فليستقص وسعه
في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما فعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتي مد حبلا
الي سما بيته فاختنق فلينظر انه ان فعل ذلك هل يذهب بصر الله الذي يغيظه
وعلي هذا القول اختلفوا في القطع فقال بعضهم الاختناق قطع لان المختنق يقطع
نفسه بحبس مجاريه ويسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر علي غيره

او على سبيل الاستهزا لانه لم يكذبه بحسوده وانما كاذبته نفسه والمراد ليس
في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وهذا قول الكلبي ومقاتل وقال ابن عباس يشد
الحبل في عنقه وفي سقف البيت ثم ليقطع الحبل حتى يخر ويهلك هذا اذا حملنا السما
على سقف البيت وهذا قول كثير من المفسرين وقال اخرون المراد به نفس السما
وهو اولى من حمله على سما البيت لان ذلك لا يفهم الا معتدا ولان الغرض ليس الامر
ان يفعل ذلك بل الغرض ان يكون ذلك صارفا له عن الغيظ الى طاعة
الله تعالى واذا كان كذلك فكل ما كان المذكور ابعد عن الامكان كان اولى
بان يكون هو المراد ومعلوم ان مد حبل الى سما الدنيا والاختناق به ابعد في
الامكان من يده الى سقف البيت لان ذلك ممكن اما الذين قالوا السبب
ليس هو الحبل وقد ذكروا وجهين الاول كانه قال فليطلب سببا يصل به
الى السما فليقطع نصر الله فلينظر هل مهيا له ان يقطع بذلك نصر الله عن رسوله
فاذا كان ذلك ممتنعا كان ان لا حيلة له في الايات التي اقترحوها القول الثاني
كانه قال فليطلب ان الها في قوله ان لن ينصره الله راجع الى من في اول الاية
لانه المذكور ومن حق الكناية ان يرجع الى مذكور اذا امكن ذلك ومن قال
ذلك حمل النصرة على الرزق قال ابو عبيدة وقف علينا سايل من ابي بكر فقال
من ينصرني نصره الله اي من يعطيني اعطاه الله كانه قال من كان يظن ان لن
يرزقه الله في الدنيا يجعله مرزوقا اما قوله وكذلك انزلناه ايات
بينات فمعناه ومثل ذلك ان لا يزال انزلنا القران كله ايات بينات اما
قوله وان الله يهدي من يريد فقد احتج اصحابنا به فقالوا المراد من الهداية
اما وضع الادلة او خلق المعرفة والاول غير جايز لانه تعالى فعل ذلك في
كل المكلفين ولان قوله يهدي من يريد دليل على ان الهداية غير واجبة عليه
بل هي معلقة بمشيته سبحانه ووضع الادلة عند الخصم واجب فبقي ان المراد
منه خلق المعرفة قال القاضي عبد الجبار في الاعتذار هذا يحتمل وجوها
احدها تكلف من يريد لان من كلف احدا شيا فقد وصفه له وبينه له
وثانيها ان يكون المراد يهدي الى الجنة والانابة من يريد ممن امن وعمل
صالحا وثالثها ان يكون المراد كان الله لطف لمن يريد من علم انه اذا اراده
هدي ثبت على ايمانه كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وهذا
الوجه هو الذي اشار اليه الحسن بقوله ان الله يهدي من قبل لا من لا يقبل
والوجهان الاولان ذكرهما ابو علي والجواب عن الاول ان الله تعالى ذكر ذلك
بعد بيان الادلة والجواب عن الشبهات فلا يجوز حمله على محض التكليف
واما الوجهان الاخيران فمدفوعان لانهما عندك واجبان على الله وقوله

يهدي

يهدي من يريد يقتضي عدم الوجوب والله اعلم قوله
تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيين
والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم
ان الله على كل شهيد الم تر ان الله يسجد له من في السموات
ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر
والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب
ومن يهن الله فما له من منكر ان الله يفعل ما يشا
القراة حق بالضم وقرى حقا اي حق عليه العذاب حقا قرى مكرم
بفتح الرا بمعنى الاكرام اعلم ان الله تعالى لما قال وان الله يهدي من يريد
اتبعه في هذه ببيان من يهديه ومن لا يهديه واعلم ان المسلم لا يخالفه
في المسايل الاصولية الا طبقات ثلاث احدها الطبقة المشاركة في نبوة نبيه
كالخلاف بين المجبرة والقدرية في خلق الافعال البشرية والخلاف بين مثبتي
الصفات والروية ونفاتها وثانيها الذين يخالفونه في النبوة ولكن يشاركونه
في الاعتراف بالفاعل المختار كالخلاف بين المسلمين واليهود والنصارى في نبوة محمد
وعيسى وموسى عليهم السلام وثالثها الذين يخالفونه في الاله وهولاء هم السوفسطايية
المتوقفون في الحقايق او الدهرية الذين لا يعترفون بوجود موثر في العالم
والفلاسفة يثبتون موثرا موجبا لا مختارا واذا كانت الاختلافات الواقعة
في اصول الاديان محصورة في هذه الاقسام الثلاثة ثم لا شك ان اعظم جهات
الخلاف هو من جهة القسم الاخر منها وهذا القسم الاخير باقسامه الثلاثة
لا يوجدون في العالم ظاهرين متظاهرين بعقايدهم ومذاهبهم بل
يكونوا متسترين اما القسم الثالث وهو الاختلاف الحاصل بالانبيا
فتقسيمه ان يقال القايلون بالفاعل المختار اما ان يكونوا معترفين
وجود الانبيا او لا يعترفون بذلك وهم الصابيون واما اتباع المتنبي وهم
المجوس واما المنكرون على الانبيا على الاطلاق فهم عبدة الاصنام وهم
المعروفون بالمشركين ويدخل فيهم البراهمة على اختلاف طبقاتهم فثبت ان
الاديان الحاصلة بسبب الاختلاف في الانبيا هي هذه الستة التي ذكرها
الله في هذه الاية قال قتادة ومقاتل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة
للشيطان وتمام الكلام في هذه الاية قد تقدم في سورة البقرة اما
قوله ان الله يفصل بينهم فيه مسيلتان المسيلة الاولى قال
الزجاج هذا خبر لقوله ان الذين امنوا كما تقول ان اخاك ان الدين عليه لكثير
قال جرير ان الخليفة ان الله سيزيله سربال عزيه يرجى الحوايم

المسئلة الثانية الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال
والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزا واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد
وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم اما قوله ان الله على كل شي شهيد
فالمراد انه يفصل بينهم وهو عالم بما يستحقه كل منهم فلا يجزي في ذلك
الفصل ظلم ولا حيف اما قوله الم تري ان الله يسجد له ففيه
اسولة السوال الاول ما الروية فلما سا قلنا الجواب انه العلم
اي الم تعلم ان الله يسجد له من في السموات وانما عرفت ذلك بخبر الله لا انه راه السوال
الثاني ما السجود فلما بينا قلنا فيه وجوه احدها قال الزجاج
السجود في نحو هذه الاية انها تسجد لله مطيعة وهو كقوله تعالى للسما والارض
ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين ان يقول له كن فيكون وان منها لما يهبط
من خشية الله وان من شي الا يسبح بحمده وسخرنا مع داود الجبال والمعنى ان هذه
الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض التي يحدثها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة
اشبهت الطاعة والانقياد وهو السجود فان قيل هذا التاويل يبطله قوله
تعالى وكثير من الناس فان السجود بالمعنى الذي ذكرته عام في كل الناس فاسناده الى كثير
منهم يكون تخصيصا من غير فايدة والجواب من وجوه احدها ان السجود بالمعنى
الذي ذكرناه وان كان عاما في الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود في الظاهر
فهذا الشخص وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد بظاهره واما المومن فانه
ساجد بذاته وبظاهره فلاجل هذا الغرض حصل التخصيص بالذكر وثانيها
يقطع قوله وكثير من الناس عما قبله ثم فيه ثلاثة اوجه الاول ان
يقول تقدير الاية ولله يسجد من في السموات ويسجد كثير من الناس مبتداه وخبره
محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب
والثالث ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم
بحق عليهم العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليه العذاب وثالثها
ان من يجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه جميعا يقول المراد بالسجود في حق الاحيا
العقلا العباده وفي حق الجمادات الانقياد السوال الثالث قوله ولله
يسجد من في السموات والارض لفظ العموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس
الجواب لو اقتصر على ما تقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون كما ان الملايكة
يسجدون فبين ان كثيرا منهم يسجد طوعا دون كثير منهم فانه يمتنع عن
ذلك وهم الذين حق عليهم العذاب القول الثاني في تفسير السجود ان كل ما
سوى الله تعالى فهو ممكن لذاته لا ترجح وجوده على عدمه الا عند الانتها الى الواجب
لذاته كما قال وان الى ربك المنتهى وكما ان الامكان لازم للممكن حال حدوثه

ونقله

ونقله فافتقاره الى الواجب حاصل حال حدوثه وبقايه وهذا الافتقار
الذاتي اللازم للماهية ادل على الخضوع والتواضع من وضع الجبهة على الارض فان ذلك
علامة وصفة للافتقار وقد يتطرق اليها الصدق والكذب اما نفس
الافتقار الذاتي فانه ممتنع التغير والبدل فجميع الممكنات ساجدة بهذا المعنى لله
اي خاضعة متذللة معترفة بالفاقة اليه والحاجة الى تخليقه وتكوينه وعلى هذا
يا ولوا قوله وان من شي الا يسبح بحمده وهذا قول القفال القول الثالث
ان سجود هذه الاية سجود ظلها كقوله تعالى يتفيوا ظلاله عن اليمين والشمايل
سجدا لله وهم داخرون وهو قول محمد اما قوله تعالى وكثير من الناس وكثير
حق عليه العذاب اي من لا يوجده وروي عنه انه قال وكثير من الناس في الجنة
وهذه الرواية تؤكد ما ذكرنا ان قوله وكثير من الناس مبتدا وخبره محذوف
وقال اخرون الوقف على قوله وكثير من الناس ثم استانف وكثير حق عليه
العذاب بابايه وامتناعه من السجود اما قوله ومن يهن الله فما له من مكرم
فالمعنى ان الذين حق عليهم العذاب ليس لهم احد يقدر على ازالة ذلك الهوان
عنهم فيكون مكرما لهم ثم بين بقوله انه يفعل ما يشا انه الذي يصح منه
الاكرام والهوان يوم القيمة بالثواب والعذاب قوله تعالى
هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت
لهم ثياب من نار يصب من فوق روسهم الحميم يصهر
به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما
ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وقيل
لهم ذوقوا عذاب الحريق ان الله يدخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
يحلون فيها من اساور من ذهب ولولو ولباسهم فيها
حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى
صراط الحميد اعلم انه سبحانه لما بين ان الناس قسمان منهم من
يسجد ومنهم من حق عليه العذاب ذكر هاهنا كيفية اختصاصهم القراه روي
عن الكسائي خصمان بكسر الخا قرى قطعت بالتخفيف كان الله يقدر لهم نيرانا
على قدر جثثهم يشتمل عليهم على قدر جثثهم يشتمل عليهم كما يقطع الثياب الملبوسة قرا
الاعمش كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم ردوا فيها الحسن يصهر بتشديد الها للمبالغة
وقرى ولولوا بالنصب على ويوتون لولوا كقوله وحورا عينا ولولوا بقلب
الهمزة الثانية واوا وفيه مسايل المسئلة الاولى احتج من قال اقل الجمع اثنان
بقوله هذان خصمان اختصموا والجواب الخصم صفة وصف بها الفوج

او الفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمون وقوله هذان
للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا المسئلة
الثانية ذكروا في تفسير الخصمين وجوها احدها المراد طايفة المومنين وطايفة
الكفار وجماعتهم وان كل الكفار يدخلون في ذلك قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان
الستة في ربهم اي في دينه وصفاته وثانيها روي ان اهل الكتاب
قالوا نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المومنون
نحن احق بالله امنا بمحمد وامنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا
ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم وثالثها
روي قيس بن عباد عن ابي ذر الغفاري كان يحلف بالله ان هذه الاية نزلت
في ستة نفر من قريش بارزوا يوم بدر من المومنين حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث
ومن المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وقال علي رضي الله
عنه انا اول من يجثو للخصومة بين يدي الله يوم القيمة ورابعها قال
عكرمة هما الجنة والنار قالت النار خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني
الله لرحمته فقص الله على محمد من خبرهما ذلك والاقرب هو الاول لان المسبب وان كان
خاصا فالواجب حمل الكلام على ظاهره وقوله هذان كالاشارة الى ما تقدم
ذكره وهم اهل الاديان الستة وايضا ذكر صنفين اهل طاعته واهل معصيته ممن
حق عليه العذاب فوجب رجوع ذلك اليهما ممن خص به مشركي العرب او اليهود
من حيث قالوا في دينهم وكتابهم ما حكينا فقد اخطا وهذا هو الذي يدل على ان
قوله ان الله يفصل اراد به الحكم لان ذكر التخاصم يقتضي ان الواقع بعده يكون
حكما فبين تعالى حكمه في الكفار وذكر من احوالهم امورا ثلاثة احدها قوله
قطعت لهم ثياب من نار والمراد بالثياب احاطة النار بهم كقوله لهم من
جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقال سعيد بن جبير من نحاس اذيب بالنار احدا
من فوقهم قوله سرابيلهم من قطران واخرج الكلام بلفظ الماضي كقوله
ونفخ في الصور وجاءت كل نفس لان ما كان من امر الاخرة فهو كالواقع وثانيها
قوله يصب من فوق روسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود الحميم الحار قال
ابن عباس لو سقطت منه قطرة على جبال الدنيا لاذابتها تصهر اي تذاب اي
اذا صب الحميم على روسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب
امعاهم واحشاهم كما تذيب جلودهم وهو من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاهم
وثالثها قوله ولهم مقامع من حديد المقامع السياط وفي الحديث
لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها والاعادة لا تكون
الا بعد الخروج والمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها

ومعنى

ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في
اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب
الحريق والحريق الغليظ من النار العظيم الاهلاك ثم انه سبحانه ذكر ما حكم
في المومنين من اربعة اوجه احدها المسكن وهو قوله تعالى ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وثانيها الحلية وهو
قوله يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا فبين انه يوصلهم في الاخرة الى ما حرمه تعالى
عليهم في الدنيا من هذه الامور وان كان من اجله له ايضا شاركهم فيه لان المحلل للنسا
في الدنيا يسير بالاضافة الى ما سيحل لهم في الاخرة وثالثها الملبوس وهو قوله
ولباسهم فيها حرير ورابعها قوله وهدوا الى الطيب من القول وفيه وجوه
احدها ان شهادة ان لا اله الا الله هو الطيب من القول لقوله مثل كلمة طيبة
كشجرة طيبة وقوله اليه يصعد الكلم الطيب وهو صراط الحميد كقوله
وانك لتهدي الى صراط مستقيم وثانيها قال السدي وهدوا الى الطيب من
القول هو القران وثالثها قال ابن عباس في رواية عطا هو قوله الحمد لله الذي
صدقنا وعده ورابعها انهم اذا صاروا الى الدار الاخرة هدوا الى البشارات
التي تاتيهم من قبل الله بدوام النعم والسرور والسلام وهو معنى قوله والملايكة
يدخلون عليهم من كل مكان سلام عليكم بما صبرتم وعندي فيه وجه خامس
وهو ان العلاقة المدنية جارية مجرى الحجاب للارواح البشرية عن الاتصال
بعالم القدس فاذا فارقت ابدانها انكشف الغطا ولاحت الانوار الالهية
فظهور تلك الانوار هو المراد من قوله وهدوا الى صراط الحميد والتعبير
عنها هو المراد من قوله الى الطيب من القول والله اعلم

قوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سوا
العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم
نذقه من عذاب اليم اعلم انه سبحانه بعد ان
فصل بين الكفار والمومنين ذكر عظيم حرمة البيت وعظم كفر هولا
فقال ان الذين كفروا بما جاء به محمد ويصدون عن سبيل الله وذلك بالمنع من
الهجرة والجهاد لانهم كانوا ياتون ذلك وفيه اشكال وهو انه كيف عطف
المستقبل وهو قوله ويصدون على الماضي وهو قوله كفروا والجواب
عنه من وجهين احدهما انه يقال فلان يحسن الى الفقرا ويعين الضعفا
لا يراد به ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه في جميع ازمنته

واوذاته فكانه قيل ان الذين امنوا من شانهم الصد عن سبيل الله وغيره
قوله والمسجد الحرام والمعنى ويصدونهم ايضا عن المسجد الحرام قال
ابن عباس نزلت هذه الاية في ابي سفيان بن حرب واصحابه حين صدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الحديبية عن المسجد الحرام وعن ان يحجوا
ويعتمروا وينحروا الهدي فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالهم
وكان محرما بعمرة ثم صالحوه على ان يعود في العام القابل اما
قوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادي ففيه مسائل
المسئلة الاولى قال ابو علي الفارسي اي جعلناه للناس منسكا ومتعبدا
وقوله سواء قراءاصم ويعقوب سواء بالنصب بانقاع الجعل عليه لان جعل
يتعدى الى مفعولين المسئلة الثانية العاكف المقيم به الحاضر والبادي
الطاري من البدو وهو النازع اليه من غربته وقال بعضهم يدخل في العاكف
الغريب اذا جاور لزم التعبد وان لم يكن من اهله المسئلة الثالثة اختلفوا
في انهما في اي شيء سيتويان فقال ابن عباس في بعض الروايات انهما سيتويان
في سكنى مكة والنزول بها فليس احدهما احق بالمنزل الذي يكون فيه من
الاخر الا ان يكون احد سبق الى المنزل وهو قول قتادة وسعيد بن جبير
ومن مذهبه هؤلاء ان كراء مكة وبيعها حرام واحتجوا عليه بالاية والخبر
اما الاية ففي هذه قالوا ان ارض مكة لا تملك فانها لو ملكت لم تستو العاكف
فيها والبادي قلما استوفي ثبت ان سبيله سبيل المساجد واما
الخبر فقوله عليه السلام مكة مباح لمن سبق اليه وهذا مذهب ابن عمر
وعمر بن عبد العزيز ومذهب ابي حنيفة واسحق الحنظلي وعلى هذا المراد
بالمسجد الحرام الحرم كله لان اطلاق لفظ المسجد لا يكون في المسجد بل في المنازل
فيجب ان يقال ذكر المسجد واراد مكة القول الثاني المراد جعل الله الناس
في المسجد سواء ليس للمقيم ان يمنع البادي وبالعكس قال عليه السلام يا بني عبد مناف
من ولي منكم من امور الناس شيئا فلا يمنعن احدا طاف بهذا البيت او صلى به ساعة
من ليل او نهار وهذا قول الحسن ومجاهد وقول من اجاز بيع دور مكة وكان
اسحق لا يرخص في كراء بيوت مكة واحتج الشافعي رضي الله عنه بقوله تعالى
الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق واضيفت الديار الى مالكها او الى غير
مالكها قال اسحق فلما علمت ان الحجة قد لزمتني تركت قولي اما الذي
قالوه من حمل لفظ المسجد على ملة بقرينة قوله العاكف فضعيف لان العاكف
قد يراد به الملازم للمسجد المعتكف فيه على الدوام او في الاكثر فلا يلزم ما

ذكروه

ماذكروه ويحتمل ان يراد بالعاكف المجاور للمسجد المتمكن في كل وقت من التعبد فيه
فلا وجه لصرف الكلام مع هذا الاحتمال واما قوله ومن يرد فيه بالحاد الحاد فيه
فاضافة على الاتساع في الظرف كمكر الليل والنهار ومعناه ومن يرد
ان يلحد فيه ظالما المسئلة الثانية الالحاد العدول عن القصد واصله
الحاد الكافر وذكر المفسرون في تفسير الالحاد وجوها احدها انه
الشرك يعني انه من لحا الى حرم الله ليشرك به عدله وهو احدى الروايات
عن ابن عباس وقول عطاء ابن ابي رباح وسعيد بن جبير وقتاده ومقاتل وثانيها
قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سعد حيث استكتبه النبي صلى الله عليه وسلم
فارتد مشركا وفي مقيس بن صبابة وقال مقاتل نزل في عبد الله بن اخطل حيث
قتل الانصاري وهرب الى مكة كافرا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم
الفتح وقالتها فعل ما نهى الله عنه من الصد ورابعها دخول
مكة بغير احرام وارتكاب ما لا يحل للمحرم وخامسها انه الاحتكار عن مجاهد
وسعيد بن جبير وسادسها المنع من عمارته وسابعها عن عطاء
قول الرجل في المبايعة لا والله بلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان
احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل
له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله بلى والله وثامنها
وهو قول المحققين ان الالحاد يظلم في كل المعاصي لان كل ذلك صغائر يكون
هناك اعظم منه في سائر البقاع حتى قال ابن مسعود لو ان رجلا نعذرهم ان يعملوا
فيه سيئة عمدا لكنت اذيقه الله عذابا اليما وقال مجاهد ويضاعف السيات
فيها كما يضاعف الحسنات فان قيل كيف يقال ذلك مع ان قوله نذقه
من عذاب اليم غير لائق بكل المعاصي قلنا لا نسلم فان كل عذاب يكون اليما
الا انه يختلف مراتبه على حسب اختلاف المعصية المسئلة الثالثة الباء في قوله
بالحاد فيه قولان احدهما وهو الاولى واختيار صاحب الكشاف ان قوله
بالحاد يظلم حالان مترادفان ومعمول يرد متروك لدنيا ولكل متناول كانه قال
ومن يرد فيه الحاد او الباء من حروف الزوائد المسئلة الرابعة لما كان الالحاد
بمعنى الميل من امر الى امر بين تعالى ان المراد بهذا الالحاد ما يكون
ميلا الى الظلم فلهذا اقترن الظلم بالالحاد لان لا معصية كثرت او صغرت
الا وهي ظلم ولذلك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم اما قوله نذقه
من عذاب اليم فهو بيان الوعيد وفيه مسايل المسئلة الاولى من قال
الاية نزلت في ابن اخطل قال المراد بالعذاب ان الرسول عليه السلام قتله يوم
الفتح ولا وجه للتخصيص اذا امكن التعميم بحيث يمكن ان يكون المراد العذاب

في الاخرة لانه من اعظم ما يوعدنه المسيلة الثانيه ان هذه الاية تدل على
المريد يستحق العقاب لاجل ارادته للظلم كما يستحقه على عمل جوارحه
المسيلة الثالثة ذكروا قولين في خبر ان المذكور في اول الاية الاول
التقدير ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ومن يرد فيه بالحاد نذقه
من عذاب اليم فهو وعيد راجع الى كلي الجملتين الثاني انه محذوف لدلالة
جوابه الشرط تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذقه
من عذاب اليم فكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك قوله تعالى
واذ بوانا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي
شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع
السجود ۝ واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا
وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا
منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات
على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها
واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا
نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ۝ اعلم ان في قوله
واذ بوانا لابراهيم اي واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا
يرجع اليه للعماره والعباده رفع البيت الى السما ايام الطوفان وكان من ياقوته
حمرا واعلم الله ابراهيم مكانه بريح ارسلها لنست ما حوله فبناه على وصفه
الاول وقيل مر ابراهيم ان ياتي موضع البيت فانطلق وخفي عليه مكانه
فبعث الله سبحانه على قدر البيت الحرام في العرض والطول وفيها راس يتكلم وله
لسان وعينان يا ابراهيم ابن على قدري فاخذ في البنا وذهبت السحابة
وهاهنا سوالات السوال الاول ان ان هي المفسره فكيف يكون النهي
عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتسويه الجواب انه سبحانه لما قال
جعلنا البيت مرجعا لابراهيم مكانه قيل ما معنى كون البيت مرجعا له فاجيب
عنه بان معناه ان يكون بقوله موحدا لرب البيت عن الشريك والنظير
وبقالبه مشتغلا بتنظيف البيت عن الاوثان والاصنام السوال
الثاني ان ابراهيم عليه السلام لما لم يشرك بالله فكيف قال لا تشرك بي
الجواب المعنى لا تجعل في العباده لي شريكا ولا تشرك غرضا اخر
في بنا البيت السوال الثالث ما كان معمورا قبل ذلك فكيف قال وطهر
بيتي الجواب لعل ذلك المكان كان صخرا وكان يامرون اليه الاقدار فامر
ابراهيم ببنا البيت في ذلك المكان ونظيره عن الاقدار او كانت معموره وكانوا

سحابة

وضعوا

وضعوا فيها اصنافا فامره الله بتخريب ذلك البنا ووضع بنا جديد وذلك هو
التطهير عن الاوثان او يقال المراد انك بعد ان تبنيه فطهره عما لا ينبغي من الشرك
وقول الزور اما قوله للطائفين والقائمين فقال ابن عباس للطائفين
بالبيت من غير اهل مكة والقائمين اي المقيمين بها والركع السجود اي المصلون
لان المصلي لا بد وان يكون في صلاته جامعا بين القيام والركوع والسجود اما
قوله تعالى واذن في الناس بالحج ففيه مسايل المسيلة الاولى قرا
ابن محيصن واذن المسيلة الثانيه في المامور قولان احدهما وعليه اكثر
المفسرين انه هو ابراهيم عليه السلام قالوا لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بنا
البيت قال سبحانه اذن في الناس بالحج قال يرب وما يبلغ صوتي قال
عليك الاذان وعلي البلاغ فصعد ابراهيم الصفا وفي روايه ابا قبيس وفي
اخرى على المقام ثم قال ابراهيم كيف اقول قال جبريل عليه السلام
قل لبيك اللهم لبيك فهو اول من لبى وفي روايه اخرى صعد الصفا فقال
يا ايها الناس ان الله كتب عليكم حج البيت العتيق فسمعه ما بين السما والارض فما
بقي شي يسمع صوته الا اقبل يلبي ويقول لبيك اللهم لبيك وفي روايه
اخرى ان الله يدعوكم الى حج بيته الحرام ليثيبكم به الجنه ويجيركم به من
النار فاجابه يومئذ من كان في اصلاب الرجال وارحام النسا وكل من وصل
اليه صوته من حجر او شجر او اكمه او تراب قال مجاهد فما حج انسان ولا يحج احد
حتى تقوم الساعة الا وقد اسمعه الله ذلك النداء فمن اجاب مرة حج مرة ومن اجاب مرتين
او اكثر فذلك المقدار وعن ابن عباس قال لما امر ابراهيم عليه السلام بالاذان تواضعت
له الجبال وخفضت وارتفعت له القرى قال القاضي عبد الجبار يبعد
قولهم انه اجابه الصخر والمدر لان الاعلام لا يكون الا لمن يومر بالحج دون الجماد فاما
ان يسمع اهل الشرق والغرب نداه فلا يمتنع اذا قواه الله تعالى ورفع الموانع
ومثل ذلك لا يجوز في ازمان الانبيا القول الثاني ان المامور بقوله
واذن في الناس هو محمد عليه السلام وهو قول الحسن واختيار اكثر المعتزله واحتجوا
عليه بان ما جا في القران وامكن حمله على ان محمدا هو المخاطب به فهو اولى وتقدم
قوله واذ بوانا لابراهيم لا يوجب ان يكون قوله واذن اليه يرجع اذ
قد بينا ان معنى قوله واذ بوانا اي واذكر يا محمد اذ بوانا فهو في حكم المذكر
فاذا قال تعالى فاذن فاليه يرجع الخطاب وعلى هذا القول ذكروا في تفسير
قوله واذن وجوها احدها امر محمدا ان يعلم الناس الحج وثانيها قال الجبائي
امره الله تعالى ان يعلن التلبيه فيعلم الناس انه حاج فيحجوا معه قال وفي

قال وفي قوله يأتوك دلالة على ان تحج فيقتدى به ومثالها
انه ابتدا فرض الحج من الله تعالى للرسول عليه السلام اما قوله تعالى يأتوك
رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ففيه مسايل المسيلة الاولى الرجال
المشاة واحده رجل كنيام ونايم وقرى رجالا بضم الرا وتخفيف الجيم
ومثله ورجالى لعجالى عن ابن عباس وقوله على كل ضامر اي ركبانا
والضمور الهزال ضمر يضمر ضمورا والمعنى ان الناقة صارت ضامرة
لطول سفرها وانما قال يأتين اي جماعة الابل وهي الصوام لان قوله وعلى
كل ضامر معناه وعلى اي ضامر فجعل الفتى لمعنى كل ولو قال اي على اللفظ صح
وقرى يأتون صفة للرجال والركبان والفج الطريق بين الجبلين ثم يستعمل
في ساير الطرق اتساعا والعميق البعيد قرا ابن مسعود معيق يقال بير بعيدة
العمق والمعمق المسيلة الثانية المعنى واذن ليأتوك رجالا وعلى كل
ضامر اي واذن ليأتوك على هاتين الصفتين او يكون المراد واذن فانهم يأتونك
على هاتين الصفتين المسيلة الثالثة ندا الله بذكر المشاة تشريفا لهم
وروى سعيد بن جبير باسناده عن النبي عليه السلام انه قال الحاج الراكب له
بكل خطوة يخطوها راحلة سبعون حسنة وللماشي سبعماية ماية حسنة من حسنات
الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بماية الف حسنة المسيلة
الرابعة انما قال يأتوك رجالا لانه هو المنادي فمن اتى مكة حاجا فكانه اتى ابراهيم
عليه السلام لانه يجيب نداه اما قوله ليشهدوا منافع لهم وليذكروا اسم الله
في ايام معلومات ففيه مسايل المسيلة الاولى انما ذكر المنافع انه تعالى لما
امر بالحج في قوله واذن في الناس بالحج ذكر حكمة ذلك الامر في قوله ليشهدوا
منافع لهم واختلفوا فيها فبعضهم حمله على منافع الدنيا وهي ان يتجروا في ايام
الحج وبعضهم حملها على الامرين جميعا وهو الاولى المسيلة الثانية انما ذكر
المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا يوجد في غيرها
من العبادات المسيلة الثالثة كنى عن الذبح والنحر بذكر اسم الله
لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان
الغرض الاصلي فيما يقرب به الى الله تعالى ان يذكر اسم الله وان يخالف
المشركين في ذلك فانهم كانوا يذبحون للنصب والاوثان قال مقاتل
اذا ذبحت فقل بسم الله والله اكبر اللهم منك واليك ويستقبل القبلة
وزاد الكلبي قال ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
قال القفال وكان المتقرب بها وبازاقة دمايها متصور بصورة من يفدي

نفسه

نفسه بما يعادلها فكانه يبذل مهجته طالبا لمرضاة الله واعترافا بان
تقصيره كان يستحق مهجته المسيلة الرابعة اكثر العلماء صاروا الى
ان الايام المعلومات عشر ذي الحجة والمعدودات ايام التشريق وهذا قول
مجاهد وعطا وقتادة والحسن ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس واختيار الشافعي
وابي حنيفة رحمهما الله واحتجوا بانها معلومة عند الناس لحرصهم على علمها من
اجل ان وقت الحج في اخرها ثم للمنافع اوقات من العشر معروفة كيوم عرفة
والمشعر الحرام وكذلك للذبايح وقت منها وهو يوم النحر وقال ابن عباس في
رواية عطا انها يوم النحر وثلاثة ايام بعدها وهو اختيار ابي مسلم
قال انها كانت معروفة عند العرب بعدها وهي ايام النحر وهو قول ابي يوسف
ومحمد اما قوله وبهيمة الانعام قال صاحب الكشاف البهيمة مبهمة
في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان
والمعز اما قوله فكلوا منها فمن الناس من قال انه امر وجوب لان اهل الجاهلية
ما كانوا ياكلون منها ترفعا على الفقرا فامر المسلمين بذلك لما فيه من مخالفة الكفار
ومساواة الفقراء واستعمال التواضع وقال الاكثرون انه ليس على الوجوب
وقال العلما لمن اهدى او ضحى فحسن ان ياكل النصف ويتصدق بالنصف
لقوله فكلوا منها واطعموا البايس الفقير ومنهم من قال ياكل الثلث ويدخر
الثلث ويتصدق بالثلث ومذهب الشافعي ان الاكل مستحب والاطعام
واجب فان اطعم جميعا اجزاه وان اكل جميعا لم يجزه هذا فيما كان تطوعا فاما
الواجبات كالنذور والكفارات والجبران للنقصان مثل دم القران ودم
التمتع ودم الاساة ودما العلم والحلق فلا ياكل منها اما قوله واطعموا
البايس الفقير فلا شبهة في انه امر ايجاب والبايس الذي اصابه البوس اي شدة
والفقير الذي اضعفه الاعسار وهو ماخوذ من فقار الظهر قال ابن عباس
البايس الذي ظهر بوسه في ثيابه وفي وجهه والفقير الذي لا يكون كذلك فيكون
ثيابه نقية ووجهه وجه غني اما قوله ليقضوا تفثهم فقال
الزجاج ان اهل اللغة لا يعرفون التفث الا من التفسير وقال المبرد اصل التفث
في كلام العرب كل قاذورة يلحق الانسان فيجب عليه نقضها والمراد هاهنا
قص الشارب والاظفار ونتف الابط والعانة والمراد قضا ازالة التفث قال
القفال قال نفطويه سالت اعرابيا فصيحا ما معنى قوله ثم ليقضوا تفثهم
فقال ما اقرا القران ولكنا نقول للرجل ما انفثك وما ادرنك ثم قال
القفال وهذا اولى من قول الزجاج لان القول قول المثبت لا قول النافي اما

وليوفوا نذورهم فقرئ بتشديد الفاء ثم يحتمل ذلك ما اوجبه الداخل
في الحج من انواع المناسك ويحتمل ان يكون المراد ما اوجبوه بالنذر الذي هو القول
وهذا هو الاقرب فان الرجل اذا حج اوعمر فقد وجب عليه نفسه من الهدي
وغيره ما لولا ايجابه لم يكن الحج يقتضيه فامر الله تعالى بالوفاء بذلك واما
قوله وليطوفوا فالمراد طواف الواجب وهو طواف الافاضة والزيارة
وانما يكون بعد الوقوف ورمي الجمار والحلق ثم هو في يوم النحر او بعده
فيه تفصيل وسمي البيت لوجوه احدها العتيق القديم لانه اول بيت
وضع للناس عن الحسن وثانيها لانه اعتق من الجبابرة وكم من جبار قصد
اليه ليهدمه فمنعه الله وهو قول ابن عباس وابن الزبير عن الرسول عليه السلام
ولما قصده ابرهه فعل به ما فعل فان قيل قد سلط الحجاج عليه قلنا ما
قصد التسليط على البيت وانما خص به عبد الله بن الزبير فاحتال لاخراجه
وثالثها لم يملك قط عن ابن عيينه ورابعها اعتق من الغرق عن
مجاهد وخامسها سمي كريم من عتاق الطير والخيل واعلم ان اللام
في ليقضوا وليوفوا وليطوفوا لام الامر وفي قراءة ابن كثير ونافع والاكثرين
ابي عمرو وبحريكها بالكسر **قوله تعالى** ذلك
ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت
لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان
واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به
ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير
او تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر
الله فانها من تقوى القلوب قال صاحب الكشاف ذلك خبر
مبتدا اي الامر ذلك كما تقدم الكلام جملة من كلامه في بعض المعاني واذا اراد
الخوض في معنى اخر قال هذا وقد كان لذوا الحرمة ما لا يحل
هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى هذه الصفة من مناسك الحج وغيرها يحتمل
ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن
زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام
والمشعر الحرام قال المتكلمون ولا يدخل النوافل في حرمات الله فهو
خير له عند ربه اي التعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم فانه يجب القيام
بمراعاتها وحفظها وقوله عند ربه يدل على الثواب المدخر لانه لا يقال

عند

عند ربه الا فيما حصل من الخيرات وقال الاصم فهو خير من التهاون
بذلك ثم انه تعالى اعاد الى بيان حكم الحج فقال واحلت لكم الانعام فقد كان
يجوز ان يظن ان الاحرام لا يوثر فيها فهي محللة له واستثنى منه ما يتلى في
كتاب الله من المحرمات من النعم وهو المذكور في سورة المائدة وهو قوله
غير محلي الصيد وانتم حرم وقوله حرمت عليكم وقوله ولا تاكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه ثم انه سبحانه وتعالى لما حث على تعظيم حرماته
واحمد من يعظمها امر بالاجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد
الله وصدق القول اعظم الحرمات واجامع الشرك وقول الزور في سلك واحد
لان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة كما انه قال
فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا
تغتروا بما منه لتمادية في القبح والسماجة وما طبتك بشيء من قبله عبادة الاوثان
وسمي الاوثان رجسا للنجاسة لكن لان وجوب تجنبها اولد من وجوب تجنب
الرجس لان عبادتها اعظم من التلوث بالنجاسات قال الاصم انما وصفها بذلك
لان عادتهم في القربان ان يتخذوا سقوط الدماء عليها وهذا بعيد وقيل وصفها
بذلك استحقارا واستحقاقا وهذا اقرب وقوله من الاوثان بيان
بيان للرجس وتمييز له كقوله عندي عشرون من الدراهم لان الرجس اسم
من الابهام يتناول كل نجس فكانه قيل واجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان
ليس ان بعضها ليس كذلك والزور من الزور والازورار وهو
الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه والمعنى ذكروا في الزور
وجوها احدها انه قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه
ذلك من افترائهم وثانيها شهادة الزور عن النبي عليه السلام انه صلى
الصبح فلما سلم قام واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور
الاشراك بالله وتلا هذه الآية وثالثها الكذب والبهتان ورابعها
قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما
ملك وامامه قوله حنفاء لله غير مشركين به فقد تقدم تفسيره ذلك وانه
الاستقامة على قول بعضهم والميل الى الحق على قول البعض والمراد
في هذا الموضع ما قيل من انه الاخلاص وكانه لما تمسكوا بهذه الامور
التي امرت ونهيت على وجه العبادة لله وحده لا على وجه الشرك غير الله به
فلذلك غير مشركين به وهذا يدل على ان الواجب على المكلف ان ينوي

بما يليه العباده والاخلاص فبين تعالى مثلين للكفر لا مزيد عليهما في باب
ان الكافر صار بنفسه غير نافع لها وهو قوله ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء
فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق قال صاحب الكشاف
اذا كان هذا تشبيها مركبا فكانه قيل من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا
ليس وراءه هلاك بان صور حاله بصورة حال من خر من السما فاختطفته
الطير فتفرقت اجزاوه في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك
البعيده وان كان تشبيها مفردا فقد شبه الايمان في علوه بالسما والذي
يزل الايمان واشرك بالله بالساقط من السما والاهوا التي تسورع افكاره بالطير
المختلطه والشيطان الذي يطرحه في وادي الضلاله بالريح التي
عصفت به في بعض المهاوي المتلفه وقري فتخطفه بكسر الخا والطا
وبكسر التا مع كسرها وهي قراة الحسن واصله تختطفه وقري الرياح
ثم انه سبحانه اكد ما تقدم فقال ذلك ومن يعظم شعاير الله واختلفوا
فقال بعضهم يدخل فيه كل عباده وقال بعضهم بل المناسك في الحج وقال
بعضهم بل المراد الهدي خاصه والاصل في الشعاير الاعلام التي تعرف
التي فاذا فعرنا الشعاير بالهدي فتعظيمها على وجهين احدهما ان تختارها
عظام الاجسام حسانا سمانا غاليه الاثمان ويستحب المكاس فيها وهي الهدي والاضحيه والرقبه
وروي ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدي نجيبة طلبت منه بثلثمايه
دينار قال فاستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان يبيعها ويشتري بثمنها
بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
مايه بدنه فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب والوجه الثاني في تعظيم
شعاير الله ان يعتقده ان طاعة الله في التقرب بها واهداوها الى بيته المعظم
امر معظم لابد وان يقام به ولنهازع فيه فانها من تقوي القلوب فان تعظيمها
من افعال ذوي تقوي القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعني
الا بتقديرها لانه لابد من راجع من الجزا الى ما ارتبط به واما ذكرت القلوب
لان المنافق انما تدب ظهر التقوي من نفسه ولكن لما كان قلبه خاليا عنها لاجرم
لا يكون مجدا في ادا الطاعات اما المخلص الذي تكون التقوي متمكنه في قلبه
فانه يبالغ في ادا الطاعات على سبيل الاخلاص فان قال قايل ما الحكمة في ان
الله تعالى بالغ في تعظيم ذبح الحيوانات هذا المبالغه الجواب

قوله تعالى لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت

العتيق ولكل امة جعلنا منسكا هم ليذكروا اسم الله على
ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر
المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم
والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اعلم ان قوله لكم فيها
منافع الى اجل مسمى لا يليق الا بان يحمل الشعاير على الهدي الذي فيه منافع الى
وقت النحر ومن تحمل ذلك على ساير الواجبات يقول لكم فيها اي في التمسك
بها منافع الى اجل ينقطع التكليف عنده والاول قول الجمهور المفسرين ولا
شك انه اقرب وعلى هذا القول فالمنافع مقصوره بالدر والنسل والاوبار
وركوب ظهورها فاما قوله الى اجل مسمى ففيه قولان احدهما ان لكم ان
تنتفعوا بهذه الهدايا الى ان تسموها اضحية وهديا واذا فعلتم ذلك فليس لكم
ان تنتفعوا بها هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعطا وقتاده والضحاك
وقال آخرون لكم فيها اي في البدن منافع بعد تسميتها ان تركبوها ان احتجتم
اليها وتشربوا البانها ان اضطررتم اليها الى حمل سمي يعني الى ان تنحروا
وهذا هو الرواية الثانيه عن ابن عباس واختيار الشافعي وهذا القول
اولى لانه تعالى قال لكم فيها اي في الشعاير ولا سمي شعاير قبل تسميتها
هديا وروي ابو هريرة انه عليه السلام مر برجل يسوق بدنه وهو يجهد
فقال عليه السلام اركبها فقال يا رسول الله انها هدي فقال اركبها ويلك وروي
جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اركبوا الهدي بالمعروف حتى
تجدوا ظهرا ولحتج ابو حنيفة على انه لا يملك منافعها بانه لا يجوز له ان يواجرها
للركوب فلو كان يملك المنافع لملك عقد الاجاره عليها كمنافع سايرالمملوكات وهذا ضعيف
لان ام الولد لا يمكنه بيعها ويمكنه الانتفاع بها فكذا هاهنا اما قوله ثم
محلها الى البيت العتيق فالمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيره في دنياكم ودينكم واعظم
هذه المنافع الى البيت العتيق اي وقت وجوب نحرها انتهاوها الى البيت لقوله
هديا بالغ الكعبة وبالجملة فقوله محلها يعني حيث تحل نحرها واما
البيت العتيق فالمراد الحرم كله والمنحر على هذا القول كله منى ولكنها مرهت
عن الدما الى منا ومنا من منى قال عليه السلام كل فجاج مكة منحر وكل فجاج منا
منحر قال العقال هذا انما يختص بالهدايا التي يبلغ بها الهدي
المنذور به اذا عطب قبل بلوغ مكة فان محله موضعه اما قوله ولكل امة
جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله عليه فالمعنى شرعنا لكل امة من الامم السالفة من عهد
ابراهيم عليه السلام الى من بعده مرنا من القربان وجعل العلة في ذلك ان يذكر

اسمه تقدست اسماوه على النسائك وما كانت العرب يذبحه للصنم يسمي العتر
والعتيرة كالذبح والذبيحة قرا اهل الكوفة الا عاصما منسكا بكسر السين وقرا
الباقون بالفتح وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور بمعنى الموضع اما قوله
فالهكم اله واحد ففي كيفية النظم وجهان احدهما ان الاله واحد وانما اختلفت
التكاليف باختلاف الازمنة والاشخاص لاختلاف المصالح والثاني فالهكم
اله واحد فلا يذكروا على ذبائحكم غير اسم الله فله اسلموا اي اخلصوا له الذكر
خاصة تخبتوا والمراد الانقياد لله في جميع الازمنة والاشخاص لاختلاف المصالح
والثاني فالهكم اله واحد فلا يذكروا على ذبائحكم غير اسم الله فله اسلموا
اي اخلصوا له الذكر خاصة تخبتوا والمراد تكاليفه ومن انقاد لله كان مخبتا
فلذلك قال بعده وبشر المخبتين والمخبت المتواضع الخاشع قال ابو مسلم
وحقيقة المخبت هو المطمئن من الارض وللمفسرين فيه عبارات احدها المخبتين
المتواضعين عن ابن عباس وقتادة وثانيها المجتهدين في العبادة عن
الكلبي وثالثها المخلصين عن مقاتل ورابعها المطمئنين الى ذكر الله والصالحين
عن مجاهد وخامسها الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا عن عمر بن اوس
ثم وصفهم فقال الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فظهر عليهم الخوف من عقاب
الله والخشوع والتواضع لله ثم ذلك الوجل اثران احدهما الصبر على المكاره
وذلك هو المراد بقوله والصابرين على ما اصابهم وعنى به ما يكون من
قبل الله تعالى لانه الذي يجب الصبر عليه كالامراض والمحن والمصائب
واما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل لو امكنه دفع
ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة والثاني الاشتغال بالخدمة واعز
الاشيا عند الانسان نفسه وماله اما الخدمة بالنفس وهي الصلاة
وهو المراد من قوله والمقيمي الصلاة بالنصب على تقدير النون وقرا
ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الاصل **قوله تعالى**
والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا
اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها
واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى
منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر
المخبتين اعلم ان قوله والبدن فيه مسالتان المسالة
الاولى ان البدن جمع بدنة كخشبة وخشب سميت بذلك اذا هديت للحرم لعظم
بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق البقر بالابل

حتى

حتى قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة والبقرة عن ولاية قال فاذا وجبت
جنوبها وهذا يختص بالابل فاذا وجبت جنوبها وهذا يختص بالابل فانها تنحر
قياما دون البقر وقال قوم البدن الابل والبقر التي يتقرب بها الى الله في الحج والعمرة
لانه لما سمي بذلك لعظم البدن والاولى دخولهما فيه اما الشاة فلا يدخل وان
كان يجوز في النسك لانها صغيرة الجسم فلا يسمى بدنة المسالة الثانية قرا
الحسن والبدن بضمتين كعمر في جمع ثمرة وابن ابي اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف
وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه المسالة الثالثة
اذا قال لله بدنة هل يجوز نحرها قال ابو يوسف لا يجوز الا بمكة واتفقوا فيمن نذر
هديا ان عليه ذبحه بمكة ومن قال لله علي جزور له ان يذبحه حيث شا وقال
ابو حنيفة البدنة بمنزلة الجزور فوجب ان لا يجوز نحرها حيث شا بخلاف الهدي فانه
تعالى قال هديا بالغ الكعبة فجعل بلوغ الكعبة من صفة الهدي واحتج ابو يوسف
بقوله والبدن جعلناها لكم من شعائر الله فكان اسم البدنة يفيد كونها قربة فكان
كاسم الهدي اجاب ابو حنيفة بانه ليس كلما كان ذبحه قربة اختص بالحرم فان
الاضحية قربة وهي جائزة في سائر الاماكن اما قوله جعلناها لكم فاعلم
انه سبحانه لما خلق البدن وامر بان يهدى في الحج جاز ان يقول جعلناها لكم من شعائر
الله اما قوله لكم فيها خير فالكلام فيه قد تقدم في قوله لكم فيها منافع واذا
كان قوله لكم فيها خير كالترغيب فالاولى ان يراد به الثواب في الاخرة وما اخلق العاقل
بالحرص على شي شهد الله تعالى ان فيه خيرا وبان فيه منافع اما قوله فاذكروا اسم
الله عليها اي نحرها قال المفسرون وهو ان يقول عند النحر بسم الله والله اكبر ولا اله الا الله
والله اكبر اللهم منك واليك اما قوله صواف فالمعنى قائمات قد صففن ايديهن
وارجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلاث وقرئ صوافي
اي خوالص لذكر الله تعالى لا يشركوا بالله في التسمية على نحرها احد كما يفعله المشركون وعن عمرو
بن عبيد صوافا بالتنوين عوضا من حروف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف
نحو قول العرب اعط القوس باريها ولا يبعد ان يكون الحكمة في اصطفها فيها ظهور
كثرتها للناظرين فيقوى بقوس المحتاجين ويكون التقرب بنحرها عند ذلك اعظم اجرا
واقرب الى ظهور التكبير واعلا اسم الله وشعائر دينه اما قوله فاذا وجبت جنوبها
فاعلم ان وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط على الارض ووجبت
الشمس وجبة غربت والمعنى اذا سقطت على الارض وذلك عند خروج الروح منها فكلوا
منها قد ذكرنا اختلاف العلما في منها اي يجوز اكله منها واطعموا القانع والمعتر القانع له

معنيان احدهما انه السايل يقال قنع يقنع قنوعا اذا سال قال ابو عبيد هو الرجل
يكون مع القوم يطلب فضلهم ويسال معروفهم ونحوه قال الفرا والمعنى الثاني
هو الذي لا يسال من القناعة قيل قنع يقنع قناعة اذا رضي بما قسم له وترك السوال
اما المعتر فقد قيل انه المتعرض بغير سوال وقيل انه المتعرض بالسوال
قال الازهري قال الاعرابي عروت فلانا واعريته واعتريته اذا اتيته يطلب
معروفه ونحوه قال ابو عبيده والاقرب انه القانع هو الراضي بما يدفع اليه من غير
سوال والحاج والمحتج هو الذي يعترض ويطلب ويعتريهم حالا بعد حال فيفعل
ما يدل على انه لا يقنع بما يدفع اليه ابتدا وقرا ابو رجا القنع وهو الراضي لا غير
يقال قنع فهو قنع وقانع اما قوله كذلك سخرها لكم والمعنى انها اجسم واعظم واقوى
من السباع وغيرها مما يمتنع علينا المتمكن منه والله تعالى جعل الابل والبقر بالصفة
التي يمكننا تصريفها على ما تريدون ذلك نعمة عظيمة من الله تعالى في الدين والدنيا
ثم لما بين تعالى هذه النعمة قال بعده لعلكم تشكرون والمراد لكي تشكروا
قالت المعتزله هذا يدل على انه سبحانه اراد من جميعهم ان يشكروا فدل على انه يريد
كل ما امر به ممن اطاع وعصى لا ما يقوله اهل السنة من الله تعالى لم يرد ذلك الا من
المعلوم انه يطيع والكلام عليه مرة غير مرة اما قوله تعالى لن ينال الله
لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم فبين ان الذي يصل الى الله تعالى ويرتفع اليه
من صنع الهدي ففيه مسايل المسئلة الاولى لما كان عادة الجاهلية على ما روي
في الاخبار انهم يلوثون بدمايها ولحومها الوثن وحيطان الكعبة بين تعالى ما هو المقصود
من النحر فقال لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم فبين ان
الذي يصل الى الله ويرتفع اليه من صنع المهدي بقوله في نحره وما شاكله
من فرايضه دون نفس اللحم والدم ومعلوم بان شيا من الاشيا لا يوصف بانه يناله
سبحانه والمراد وصول ذلك الى حيث يكتب لقوله اليه يصعد الكلم الطيب
المسئلة الثانية قالت المعتزله دلت هذه الاية على امور احدها الذي ينتفع به
المهدون الجسم الذي نحره وثانيها انه سبحانه غني عن كل ذلك وانما المراد
ان يجتهد العبد في امتثال امره وثالثها انه لما لم ينتفع بالاجسام التي هي اللحوم والدما
وانتفع بتقواه وجب ان يكون تقواه فعلا له والا كان تقواه بمنزلة اللحوم ورابعها
لما اشترط القول بالتقوى وصاحب الكبيرة غير تقي فوجب ان لا يكون عمله مقبولا
وانه لا ثواب له والجواب اما الاولان فحقان واما الثالث فمعارض
بالداعي والعلم واما الرابع فصاحب الكبيرة وان لم يكن متقيا مطلقا ولكنه يبقى فيما

اتى

يبقى فيما اتى به من الطاعة على سبيل الاخلاص فوجب ان يكون طاعته
مقبوله وعند هذا ينقلب الاية حجة عليهم المسئلة الثالثة كلهم
قرا وينال الله ويناله بالياء الا يعقوب فانه قرا بالتاء في الحرفين فيمن انث فقد رده
الى اللفظ ومن ذكر فللحايل من الاسم والفعل ثم قال كذلك سخرها لكم والمراد
انما سخرها كذلك ليكبروا الله وهو العظيم بما يفعله عند النحر وقبله وبعده على ما
ما هدانا ودلنا عليه وبينه لنا ثم قال بعده على وجه الوعد لمن امتثل امره وبشر
المحسنين والمحسنين هو الذي يفعل الحسن من الافعال ويتمسك به فيصير محسنا الى نفسه
موفرا الثواب عليه قوله تعالى ان الله يدافع
عن الذين امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور اذن
للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير
الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع
وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله
من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض
اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
ولله عاقبة الامور اعلم انه تعالى لما بين ما يلزم في الحج ومناسكه
وما فيه من منافع الدنيا والاخرة وقد ذكر من قبل ان الكفار صدوهم اتبع ذلك بيان
ما يزيل الصدر ويومن به ويمكن من الحج فقال ان الله يدافع عن الذين امنوا
وفيه مسايل المسئلة الاولى قرا ابو جعفر وشيبه ونافع بالالف
ولولا دفع الله وقرا ابن بشر وابو عمرو بغير الف فيهما وقرا حمزة والكسائي وعاصم
ان الله يدافع بالالف ولولا دفع بغير الف فمن قرا يدفع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم
وفي كتاب الخليل دفع الله المكروه عنك دفعا وادفع عنك دفاعا والدفاع احسنهما
المسئلة الثانية ذكر ان الله يدافع عن الذين امنوا ولم يذكر ما يدفعه
حتى يكون افخم واعظم واعم وان كان في الحقيقة انه يدافع ما بين المشركين فلذلك
قال بعده ان الله لا يحب كل خوان كفور فنبه بذلك انه يدفع عن المومنين كيد
من هذا صفته المسئلة الثالثة ان الله يدفع كفار مكة عن الذين امنوا
بمكة هذا حين امر المومنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين اذوهم واستاذنوا النبي
صلى الله عليه وسلم في قتلهم سرا فنهاهم عن ذلك المسئلة الرابعة هذه الاية بشارة
للمومنين باعلايهم على الكفار وكف باسهم عنهم وهو كقوله لن يضروكم الا اذى وقوله

ان النصر رسلنا والذين وقوله انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها
نصر من الله وفتح قريب اما قوله ان الله لا يحب كل خوان كفور فالمعنى
انه سبحانه جعل العلة في انه يدافع عن الذين امنوا انه لا يحب ضدهم وهو الخوان الكفور
اي خوان في امانة الله كفور بنعمته ونظيره قوله ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا
اماناتكم قال مقاتل اقروا بالصانع وعبدوا غيره فاي جناية اعظم من هذا
اما قوله اذن للذين يقاتلون فيه مسايل المسيلة الاولى قرا
اهل المدينة والبصرة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي اذن بنصف الالف يقاتلون
بكسر التا قال الفرا والزجاج يعني اذن الله للذين يحرضون على قتال المشركين
في المستقبل وقرا بفتح التا والتقدير اذن للذين يقاتلون في القتال
المسيلة الثانية في الاية محذوف والتقدير اذن للذين يقاتلون في
القتال فحذف الماذون فيه لدلالة يقاتلون عليه اما قوله بانهم ظلموا
فالمراد انهم اذنوا في القتال بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله كان
مشركوا مكة يوذونهم اذى شديدا وكانوا ياتون رسول الله من بين مضروب
ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال بعد ما نهى عنه
في نيف وسبعين اية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة
فاذن في مقاتلتهم واما قوله وان الله على نصرهم لقدير فذلك وعد من الله تعالى
بنصرتهم كما يقول المرء لغيره ان اطعتني فانا قادر على مجازاتك لا يعني بذلك القدرة بل يريد
انه سيفعل ذلك اما قوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق
فاعلم انه تعالى لما بين انهم اخرجوا من ديارهم والثاني انهم اخرجوهم بسبب انهم
قالوا ربنا الله وكل واحد من الوجهين عظيم في الظلم فان قيل استثنى من غير
الحق قولهم ربنا الله وهو من الحق قلنا تقدير الكلام انهم اخرجوا بغير موجب
سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج
واليسير ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله ثم بين سبحانه بقوله
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت ان عادته جل جلاله ان يحفظ دينه بهذا
الامر قرا نافع لهدمت بالتخفيف وقرا الباقون بالتشديد وها هنا
مسايل المسيلة الاولى ما المراد بهذا الدفاع الذي اضافه الى نفسه الجواب
هو اذنه لاهل دينه مجاهدة الكفار فكانه تعالى قال ولولا دفاع الله اهل الشرك
بالمومنين بحيث ياذن لهم في جهادهم وينصرهم على اعدايهم لاستولى اهل الشرك على اهل
الاديان وعطلوا ما يبنونه من مواضع العبادة وبنا البيوت لها ولهذا المعنى

ذكر الصوامع والبيع والصلوات وان كانت لغير الاسلام وذكر المفسرون وجوها
اخر احدها قال الكلبي يدفع بالنبيين عن المومنين وبالمجاهدين عن القاعدين
عن الجهاد وثانيها روى ابو الجوزا عن ابن عباس قال يدفع بالمحسن عن المسي وبالذي
يتصدق عن الذي لا يتصدق وبالذي يحج عن الذي لا يحج وعن ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله يدفع بالمومن الصالح عن مائة من اهل بيته ومن جيرانه
ثم تلا هذه الاية وثالثها قال الضحاك عن ابن عباس يدفع بدين الاسلام وباهله
عن اهل الذمة ورابعها قال مجاهد يدفع عن الحقوق بالشهود وعن النفوس بالقصاص
المسيلة الثانية لما جمع الله بين مواضع عبادات اليهود والنصارى وبين
مواضع عبادة المسلمين الجواب لاجل ما سالت عنه اختلفوا على وجوه احدها
قال الحسن المراد بهذه المواضع اجمع مواضع المومنين وان اختلفت العبارات
عنها وثانيها قول الزجاج لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شرع
كل نبي المكان الذي يصلى فيه فلولا الدفع لهدم في زمن موسى الكنايس التي كانوا
يصلون فيها في شرعه وفي زمن عيسى الصوامع وفي زمن نبينا المساجد فعلى
هذا انما دفع عنهم حين كانوا على الحق قبل التحريف وقبل النسخ وثالثها
بل المراد لهدمت هذه الصوامع في ايام الرسول لانها على كل حال يجري فيها
ذكر الله تعالى فليست بمنزلة عبادة الاوثان المسيلة الثالثة ما الصوامع
والبيع والصلوات والمساجد الجواب ذكروا وجوها احدها الصوامع
والبيع لليهود والصلوات للصابيين والمساجد للمسلمين عن ابي العالية وثانيها
الصوامع للنصارى التي يبنونها في الصحاري والبيع لهم ايضا وهي التي يبنونها
في البلد والصلوات لليهود عن قتادة وثالثها انها باسرها اسما المساجد عن الحسن
اما الصوامع فلان المسلمين قد يحدثون الصوامع واما البيع فقد
اطلق هذا الاسم على المساجد على سبيل التسمية فاما الصلوات فالمعنى انه
لولا دفع ذلك الدفع لانقطعت الصلاة وخربت المساجد المسيلة
الرابعة الصلوات كيف تهدم خصوصا على تاويل من ياوله على صلاة المسلمين
الجواب قال الكلبي من وجوه احدها المراد بهدم الصلاة ابطالها واهلاك
من يفعلها كقولهم هدم فلان اخبار فلان اذا قابله بالكفر دون السكر وثانيها
بل المراد مكان الصلاة لانه لا يصح هدمها كقوله واسال القرية اي اهلها وثالثها
لما كان الاغلب فيما ذكر ما يصح ان يهدم جاز ان يضم ما لا يصح ان يهدم اليهم كقولهم
تقلد سيفا ورمحا وان كان الرمح لا يتقلد المسيلة الخامسة قوله يذكر فيها

اسم الله كثيرا يختص بالمساجد او عايد الى الكل الجواب قال الكلبي ومقاتل
عايد الى الكل لان الله تذكره في هذه المواضع كثيرا والاقرب انه مختص بالمساجد
لتشريفها بان ذكر الله حصل فيها كثيرا المسئلة السادسة لم قدم الصوامع
والبيع في الذكر على المساجد الجواب لانها اقدم في الوجود وقيل
اخرها كما في قولهم وليتصرن الله من ينصره فقال بعضهم من يتصره بتلقي
الجهاد بالقبول تنصروا دين الله تعالى وقال اخرون بل المراد من يقوم بنصر
دينه وانما قالوا ذلك لان نصره الله على الحقيقة لا يصح وانما المراد من نصره الله دينه
كما يقال في ولاية الله وعداوته مثل ذلك وقوله وليتصرن الله وعد
بالنصر لمن هذه حاله ونصرة الله العبد ان يقويه على اعدائه حتى يكون هو
الظاهر ويكون بارجاح الادلة والبينات ويكون بالاعانة على المعارف
والطاعات وفيه ترغيب في الجهاد من حيث وعدهم النصر ثم بين سبحانه
انه قوي على هذه النصرة التي وعدها المومنين وانه لا يجوز عليه المنع وهو معنى
قوله عزيز لان العزيز هو الذي لا يضام ولا يمنع مما يريده ثم انه سبحانه وصف
الذين اذن لهم في القتال في الآية الاولى فقال الذين ان مكناهم في الارض اقاموا
الصلاة والمراد من هذا التمكين السلطنة ونفاذ القول على الخلق لان المتبادر
الى الفهم من قوله مكناه في الارض ليس الا هذا ولانا لو حملناه على اصل القدرة
لكان كل العباد كذلك وحينئذ يبطل ترتيب الامور الاربعة عليه المذكوره
في معرض المدح لانه ليس كل من كان قادرا على الفعل اتى بهذه الاشياء اذا ثبت
هذا فنقول المراد بذلك هم المهاجرون لان قوله الذين مكناهم صفة
لمن تقدم وهو قوله الذين اخرجوا من ديارهم فنصير معنى الآية ان الله وصف
المهاجرين بانه ان امكنهم في الارض واعطاهم السلطنة فانهم يأتون بالامور
الاربعة وهي اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
لكن قد ثبت ان الله تعالى مكن المهاجرين من الارض واعطاهم السلطنة عليها
فوجب كونهم اتين بهذه الامور الاربعة واذا كانوا اتين بكل معروف وباتين
عن كل منكر وجب ان يكونوا على الحق فمن هذا الوجه دلت هذه الآية على امامة
الاربعة ولا يجوز حمل الآية على علي رضي الله عنه لان الآية دالة على الجمع وقوله
ولله عاقبة الامور دالة على ان الذي تقدم ذكره من سلطنتهم وملكهم كائن لا
محالة ثم ان الامور ترجع الى الله بالعاقبة فانه سبحانه هو الذي لا يزول
ملكه ارضيا وهذا الضيا يوافق ما قلنا **قوله تعالى**

وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب
موسى فاملیت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير
فكاين من قرية اهلكتها وهي ظالمة فهي خاوية على
عروشها وبير معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا في
الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
اعلم انه تعالى لما بين فيما تقدم اخراج الكفار المومنين من ديارهم بغير
حق واذن لهم في مقابلتهم وضمن للرسول النصر وبين ان لله عاقبة الامور ادرفه
بما يجري مجرى التسلية للرسول في الصبر على ما هم عليه من اذيته واذية المومنين بالتكذيب
وغيره فقال وان يكذبوك اي يكذبك قومك فقد كذب قبلهم سائر الامم
انبياهم وذكر الله تعالى تسعة منهم فان قيل لم قال وكذب موسى ولم يقل قوم موسى
والجواب من وجهين الاول ان موسى ما كذبه قوم بني اسرائيل وانما كذبه قومه
وهم القبط الثاني كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب
موسى وضوح اياته وعظم معجزاته فما طنك بغيره فما نزله فاملیت للكافرين
يعني امهلتهم الى الوقت المعلوم عندي ثم اخذتهم بالعقوبة فكيف كان نكير
استفهام تقرير اي فليف انكاري عليهم بالعذاب الذي كان واقعا قطعا المراد منهم
يا لنعمة نعمه وبالكثرة ذلة وبالحياة موتا وبالعمارة خرابا الست اعطيت الانبيا
جميعا ما وعدتهم بالنصر على اعدائهم وبالتمكن لهم في الارض فينبغي ان تكون
عادتك يا محمد الصبر عليهم وانه تعالى انما يمهل لمصلحة فلا بد من الرضا والتسليم
وان شق ذلك على الطباع واعلم ان بدون ذلك يحصل التسلية لمن حاله دون
حال الرسول فكيف بذلك مع منزلته لكنه في كل وقت يصل اليه من جهتهم ما يريد
عما فاجري الله عادته بان نصرهم حالا بعد حال وقد تقدم ذكر هولاء المكذبين
وباي جنس من عذاب الاستيصال هلكوا وهاهنا بحث وهو ان هذه الآية تدل
على انه سبحانه يفعل به وبقومه كل ما فعل بهم وبقومهم الاعذاب الاستيصال
فانه لا يفعله بقوم محمد وان كان قد مكنهم من قتل اعدايهم وسبيهم قال الحسن رحمه
الله السبب في تاخير عذاب الاستيصال عن هذه الامة ان ذلك العذاب مشروط بامرين
احدهما ان لا يكون عند الله حد من الكفر ومن لا يبلغه لا يعذبه والثاني ان الله لا يعذب
قوما حتى يعلم ان احدا منهم لا يومن فاما اذا حصل السبب ان وهو ان يبلغوا ذلك الحد

من الكفر وعلم الله ان احدا منهم لا يومن فحينئذ يامر الانبيا فيدعون على امهم
فيستجيب الله دعاهم فيعذبهم بعذاب الاستيصال وهو المراد من قوله حتى
اذا اسس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا اي من اجابة القوم وقوله لنوح انه لن
يومن من قومك الا من قد امن واذا عذبهم الله فانه ينجي المومنين كقوله فلما
جاهم امرنا اي بالعذاب نجينا هودا واعلم ان الكلام في هذه المسالة
قد تقدم فلا فايدة في الاعادة فان قيل كيف يوصف ما ينزله بالكفار
من الهلاك المعجل بانه نكره قلنا اذا كان رادا لغيره وصار فالة عن
مثل ما اوجب صار ذلك نكيرا اما قوله وكاين من قرية اهلكناها
ففيه مسايل المسيلة الاولى قال بعضهم المراد من قوله وكاين وكم على
وجه التنكير وقيل ايضا معناه ورب قرية والاول اولى لانه اوكد في الزجر
وكانه تعالى لما بين حال قوم من المكذبين وانه عجل هلاكهم اتبعهم بما دل
عليه على ان ذلك اجمالا وان يذكر مفصلا المسيلة الثانية قرا ابن
كثير واهل الكوفة والمدينة اهلكناها بالنون وقرا ابو عمرو ويعقوب
اهلكها وهي اخبار ابي عبيد لقوله في الاية الاولى فامليت للكافرين ثم اخذتهم
المسيلة الثالثة اهلكنا اهلها ودل بقوله وهي ظالمة على ما ذكرنا ويحتمل
ان يكون المراد اهلاك نفس القرية فيدخل تحت هلاكها هلاك من فيها وان كان
الاول اقرب اما قوله وهي خاوية على عروشها ففيه سوالان الاول
ما معنى هذه اللفظة قال صاحب الكشاف كل مرتفع اظلك من سقف بيت
او خيمة او ظلة فهي عرش والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط والخاوي
من خوى المنزل اذا خلا من اهله فان فسرنا الخاوي بالساقط كان المعنى انها ساقطة
على عروشها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق
السقوف وان فسرناه بالخالي كان المعنى انها خالية عن الناس مع بقا عروشها على
معنى ان السقوف سقطت على الارض وصارت في قرار الحيطان قايمة فهي مشرفة
على السقوف الساقطة وبالجملة فالاية دالة على انها بقيت محل الاعتبار السوال
الثاني ما محل هاتين الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية الجواب
الاول في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها
وهي كانت ظالمة وهي الان خاوية واما قوله وبير معطلة وقصر
مشيد ففيه مسايل المسيلة الاولى قرا الحسن معطلة من اعطله بمعنى
عطله ومعنى معطلة انها عامرة فيها الما ومعها الات الاستقا الا انها

عطلت

عطلت لا يستقى منها لهلاك اهلها وفي المشيد قولان احدهما المخصص
بالمدينة يسمى المشيد والثاني انه المرفوع المطلول والمعنى انه تعالى بين
ان القرية مع تكلف انبيايهم لها واعطاهم لها جعلت لاجل كفرهم بهذا الوصف
وكذلك البير التي تكلفوها وصارت بيرهم صارت معطلة بلا شارب ولا وارد والقصر
الذي احكموه بالجص وطولوه صار خاليا ظاهرا بلا سكن وجعل ذلك عبرة لمن اعتبر تعالى
وتدبر وفيه دلالة على ان تفسير بمعنى مع اولى لان التقدير وهي خاوية
مع عروشها ومعلوم انها اذا كانت كذلك كانت ادخل في الاعتبار وهو كقوله
تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين المسيلة الثانية روي ان هذه بير نزل عليها
صالح عليه السلام مع اربعة الاف نفر ممن امن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضر
موت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حفرها مات وثم مدينة تسمى حاضورا
بناها قوم صالح وامروا عليها خليس بن خلاس وجعلوا وزيره سنحارس واقاموا بها
زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان فقتلوه في السوق
فاهلكهم الله وعطل بيرهم وخرب قصورهم قال الامام ابو القاسم الانصاري
وهذا عجيب لاني زرت قبر صالح عليه السلام بالشام ببلدة يقال لها عكة فكيف
يقال انه بحضر موت اما قوله تعالى افلم يسيروا في الارض فيكون لهم
لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فالمقصود منه ذكر ما يتكامل به ذلك
الاعتبار لان الروية الحظ العظيم في الاعتبار ولذلك استماع الاخبار فيه مدخل
ولكن لا يكمل هذان الامران الا بتدبير القلب لان من عاش وسمع ثم لم يتدبر
ولم يعتبر لم ينتفع البتة ومن تفكر بلا روية ولا سماع لم ينتفع فلهذا قال فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب كانه قال الاعمى في ابصارهم فانها يرونها
ولكن العمى في قلوبهم حيث لا ينتفعون بما ابصروه وهاهنا سوالات
الاول قوله افلم يسيروا هل يدل على الامر بالسير الجواب يحتمل انهم ما سافروا
فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا
ويحتمل ان يكونوا قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا
ولم يروا السوال الثاني ما معنى الضمير في قوله فانها لا تعمى الابصار
الجواب هذا الضمير ضمير القصة والشان يجي مذكرا ومونثا وفي قراة ابن مسعود
فانه ويجوز ان يكون ضميرا منها يفسره الابصار السوال الثالث اي فايدة
في ذكر الصدر مع ان كل واحد يعلم ان القلب لا يكون الا في الصدر الجواب
ان المتعارف ان العمى مكان الحدقة فلما اريد اثباته للقلب على خلاف المتعارف

احتيج الى زيادة بيان كما يقول ليس المضا للسيف ولكنه للسايك الذي في فكنك فكانه
قال بقيت المضا عن السيف وابنته للسايك سهوا ولكني تعمدته على اليقين وعندي
فيه وجه اخر ان القلب قد جعل كناية عن الخاطر والتدبر لقوله تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وعند قوم ان محل التفكر هو الدماغ فالله تعالى
بين ان محل ذلك الصدر السوال الرابع هل يدل الاية على ان العقل هو
العلم وعلى ان محل العلم هو القلب الجواب نعم لان المقصود من قوله
قلوب يعقلون بها العلم وقوله يعقلون بها كالدلالة على ان القلب الة
لهذا العقل فوجب جعل القلب محلا للعقل وسمي الجهل بالعمى لان الجاهل لكونه
متحيرا يشبه الاعمى **قوله تعالى ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون ، وكاين من قرية امليت
لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير ، قل يا ايها
الناس انما انا لكم نذير مبين ،** اعلم انه تعالى حكى من عظيم
ما هم عليه من الكفر انهم يستهزون بالعذاب فقال ويستعجلونك بالعذاب
ان استمروا على كفرهم ولان قولهم لوما ياتينا بالملايكة يدل على ان ذلك قوله
فقال تعالى ولن يخلف الله وعده لان الموعد بالعذاب اذا كان في الاخرة دون
الدنيا فاستعجاله يكون كالخلف ثم بين ان العاقل لا ينبغي ان يستعجل عذاب
الاخرة وانه بهذا الوصل لما استعجلوه هذا قول ابي مسلم وهو اولى الوجوه
الوجه الثاني ان المراد طول ايام الاخرة في المحاسبة ويرجع معناه الى
اقرب عذاب الاخرة وقت مما تقدم ذلك لان الايام القصيرة اذا مرت في الشدة
والعذاب ثم ان العذاب الذي يكون به طول ايامها الى هذا الحد
لا ينبغي للعاقل ان يستعجله والوجه الثالث ان اليوم الواحد والف
سنة بالنسبة اليه على السواء لانه القادر الذي لا يعجزه شي فاذا لم يستبعد امهال
قوم ولم يستبعد ايضا الف سنة اما قوله وكاين من قرية امليت
لها وهي ظالمة فالمراد وكم من قرية اخرت اهلاكهم مع استمرارهم على ظلمهم فاعتبروا
بذلك التاخير ثم اخذتهم بان انزلت العذاب بهم ومع ذلك فعذابهم
مدخرا اذا صاروا الى وهو تفسير قوله تعالى والي المصير فان قيل
لم قال فيما قبل فكاين من قرية اهلكتها وهي ظالمة وقال هاهنا وكاين
من قرية امليت لها الاولى بالفا وهذه بالواو قلنا الاولى وقعت

بدلا

بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من
الجملتين المعطوفتين بالواو وهي قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون ، اما قوله قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير
مبين فالمعنى انه تعالى امر رسوله بان قدم لهم التخويف والانذار وان لا
يصده ما يكون منهم من الاستعجال للعذاب على سبيل الهزو عن ادامة التخويف
والانذار وان يقول لهم انما بعثت للانذار فاستهزاكم بذلك لا يعني منه
**قوله تعالى فالذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة ورزق كريم ، والذين سعوا في اياتنا معجزين
اولئك اصحاب الجحيم ،** اعلم انه تعالى لما بين للرسول انه يجب
ان يقول لهم انا نذير مبين اردف ذلك بان امره بوعدهم ووعيدهم لان
الرجل انما يكون منذرا بذكر الوعد للمطيعين والوعيد للعاصين فقال الذين
امنوا وعملوا الصالحات فجمع بين الوصفين وهذا دليل على ان العمل الصالح
خارج عن مسمى الايمان وبه يبطل قول المعتزلة ويدخل في الايمان كل ما
يجب من الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان ويدخل في العمل الصالح اداء
كل واجب وترك كل محظور ثم بين سبحانه ان من جمع بينهما فالله يجمع له بين المغفرة
والرزق الكريم اما المغفرة فاما ان يكون عبارة عن غفران الصغاير
او عن غفران الكباير قبل التوبة او عن غفرانها بعد التوبة والاولان
واجبان عند الخصم واداء الواجب لا يسمى غفرانا فبقي الثالث وهو دلالة
على العفو عن اصحاب الكباير من اهل القبلة واما الرزق الكريم
فهو اشارة الى الثواب وكرمه يحتمل ان يكون للصفات السلبية وهو ان الانسان
هناك يستغني عن المكاسب ويحمل المشاق والذل فيها وارتكاب المآثم والدناة بسببها
وان يكون للصفات الثبوتية وان يكون رزقا كثيرا دايما خالصا عن ثواب
الضرر مقرونا بالتبجيل والتعظيم والاولى جعل الكريم دالا على كل هذه الصفات
فهذا شرح حال المومنين واما شرح حال الكفار فقال والذين سعوا في
اياتنا معجزين فالمراد اجتهدوا في ردها والتكذيب بها حيث سموها سحرا
وشعرا واساطير الاولين ويقال لمن بذل جهده في امر انه سعى فيه توسعا من
حيث انه بلغ في بذل الجهد النهاية كما اذا بلغ الماشي نهاية طاقته فيقال له سعى
وذكر الايات والتكذيب بها مجازا وقال صاحب الكشاف يقال سعيت في امر
فلان اذا اصلحه وافسده اما المعاجز فيقال عاجزته اي طمعت

في اعجازه واختلفوا فان المراد معاجزين لله او للرسول او للمومنين والاقرب هو الثاني
لانهم ان انكروا الله استحال منهم ان يطمعوا في اعجازه وان اثبتوه فبعد انهم يعتقدون
انهم يعجزونه ويغلبونه ويصح منهم ان يظنوا ذلك في الرسول بالحيل
والمكايد اما الذين قالوا المراد معاجزين لله فقد ذكروا وجوها احدها
المراد معاجزين مغلوبين لانهم عن عذابهم وحسابهم من حيث بعث وانشعث
وثانيها انهم يحاولون غيرهم عن التصديق بالله وسطوتهم بسبب الترغيب
والترهيب وثالثها يجرون الله باذخال الشبهة في قلوب الناس والجواب
عن الاول ان من حمد اصل الشيء لا يوصف بانه مغالبا ان يفعل ذلك الشيء
فمن تاول الآية على ذلك فيجب ان يكون مراده انهم ظنوا مغالبة الرسول فيما
كان يقوله من امر الحشر والنشر والجواب عن الثاني والثالث
في الحقيقة يرجع الى الرسول لا الى الله تعالى اما قوله تعالى اولئك
اصحاب الجحيم فالمراد انهم يذوقون منها وشبههم من حيث الدوام
بالصاحب فان قيل انه عليه السلام في هذه الآية بشر المومنين اولا وانذر
الكافرين ثانيا وكان القياس ان يقال قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير بشير و
مبين قلنا الكلام مسوق الى المشركين وانما ايها الناس بدا لهم وهم
الذين قيل فيهم افلم يسيروا او وصفوا بالاستعجال وانما الفي ذكر المومنين
وثوابهم في البين زيادة لغيظهم والمهم

قوله تعالى

وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا
تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله ايآته والله عليم حكيم ليجعل
ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية
قلوبهم وان الله لهاد الذين امنوا الى صراط
مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه
حتى تاتيهم الساعة بغتة او ياتيهم عذاب يوم عقيم
الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا
الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين

اما قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته ففيه مسايل المسالة الاولى من الناس من قال

الرسول

الرسول هو الذي حدث وارسل والنبي الذي لم يرسل ولكنه الهم او راى في النوم
ومن الناس من قال كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا لقوله
تعالى وما ارسلنا في قرية من نبي وقالوا ان الله خاطب محمدا مرة بالنبي
ومرة بالرسول تدل على انه لا تفاوت بين الامرين وعلى هذا القول الاول
التفاوت حاصله وقالوا انه تعالى نص على انه خاتم النبيين وراينا
ان اشتقاق لفظ النبي اما من النبا وهو الخبر او من النبوة وهو النبا اذا ارتفع
والمعنيان لا يحصلان الا بقول الرسالة اما القول الثاني فاعلم ان شيا
من تلك الوجوه لا يبطله بل هذه الآية دالة عليه لانه عطف النبي على الرسول
وذلك يوجب المغايرة وهو من باب عطف العام على الخاص وقال في موضع
اخر وكم ارسلنا من نبي في الاولين وذلك يدل على انه كان نبيا فجعله الله مرسلا
وهو يدل على قولنا وقيل لرسول الله عليه السلام كم المرسلون فقال
ثلثمائة وثلاثة عشر فقيل وكم الانبيا فقال مائة الف واربعة عشرون
الفا الجم الغفير اذا ثبت هذا فنقول دلوا في الفرق بين النبي والرسول
امورا الحدها ان الرسول من الانبيا من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه
والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعوا الى كتاب من قبله
والثاني من كان صاحب المعجزة وصاحب الكتاب ونسخ شرع من قبله
فهو الرسول ومن لم يكن مستجمعا لهذه الخصال فهو النبي غير الرسول وهو لا يلزمهم
ان يجعلوا اسحق ويعقوب وايوب ويونس وهرون وداود وسليمان
رسلا لانهم ما جاوا باكتاب الناسخ والثالث ان من جاء الملك ظاهرا وامر
بدعوة الحق فهو الرسول ومن لم يكن كذلك يلزم راي في النوم كونه رسولا او اجنده
واحد من الرسل بانه رسول الله فهو النبي الذي لا يكون رسولا وهذا هو
الاول المسالة الثانية ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية ان الرسول
عليه السلام لما راى اعراض قومه عنه وشق عليه ما راى من مباعدتهم عما جاهم
به تمنى في نفسه ان ياتيه من الله ما تقارب بينهم وبين قومه وذلك لحرصه
على ايمانهم فجلس ذات يوم في نادٍ من اندية قومه فيه رجال اهله واجتمعوا
لاياتيه من الله شيء يقربه واعنه ويمنى ذلك فانزل الله تعالى سورة النجم
فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة
ترتجى فلما سمعت قريش فرحوا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته

فقرا السورة كلها فسجد المسلمون بسجوده وحسد جميع من المجلس من المشركين
فلم يبق في المجلس مومن ولا كافر الا سجد سوى الوليد بن المغيره وابي
احيحه سعيد بن العاص فانهما اخذا حصبة من البطحا ودفعاها الى جبهتيهما
وسجدا عليهما لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود فتفرقت
قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر فلما امسى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فقال ماذا صنعت تلوت
على الناس ما لم اتك به عن الله وقلت ما لم اقل لك فحزن رسول الله حزنا شديدا
وخاف من الله خوفا عظيما حتى نزل قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول
الاية هذا رواية عامة المفسرين الظاهرين اما اهل السنة فقالوا
هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا بالقران والسنة والمعقول
اما القران فوجوه احدها قوله تعالى ولو تقول علينا بعض
الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه بالوتين وثانيها
قوله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقا نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي وثالثها
قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فلو انه قرا عقيب هذه
الاية قوله تلك تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهر كذب الله تعالى في الحال
وذلك لا يقول به مسلم ورابعها قوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي
اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا وكلمة لولا تفيد انتفاء
الشي غيره فدل على ان ذلك الركون القليل لم يحصل وسادسها قوله
كذلك لنثبت به فوادك وسابعها قوله سنقريك فلا تنسى اما
السنة فهي ما روي عن محمد بن اسحق بن خزيمة انه سيل عن هذه القصة فقال
هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتابا وقال الامام ابو بكر احمد
بن الحسين البيهقي هذه القصة عبرانية من جهة النقل ثم اخذ يتكلم في ان
رواة هذه القصة مطعونون وايضا فقد روى البخاري في صحيحه انه
عليه السلام قرا سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والانس والجن
وليس فيه حديث الغرانيق وروى هذا الحديث من طرق شتى وليس فيها
البتة حديث الغرانيق اما المعقول فمن وجوه احدها ان من جوز
على الرسول تعظيم الاوثان فقد كفر لان من المعلوم بالضرورة ان اعظم يتبعه
كان في نفي الاوثان وثانيها انه عليه السلام ما كان يمكنه في اول الامر
يصلي ويقرا القران عند الكعبة امنا لاذى المشركين له حتى كانوا ربما مدوا ايديهم

اليه

اليه وانما كان يصلي اذا لم يحضروها ليلا او في اوقات خلوة وذلك يبطل قولهم
وثالثها ان معاداتهم للرسول كانت اعظم من ان يعتزوا بهذا القدر من القراة
دون ان يقفوا على حقيقة الامر فكيف اجمعوا على انه عظم الهتهم حتى
انهم خروا سجدا مع انه لم يظهر موافقة لهم ورابعها قوله فينسخ
الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته وذلك لان احكام الايات التي
ينتفي الشبهة معها فاذا اراد تعالى احكام الايات لا يلتبس ما ليس بقران قرانا
فبان يمنع الشيطان من ذلك اولى وخامسها وهو اقوى الوجوه انا لو جوزنا
ذلك ارتفع الامان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الاحكام والشرايع ان يكون
كذلك ويبطل قوله تعالى ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته
والله يعصمك من الناس فانه لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي
وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الاجمال ان هذه القصة موضوعة
اكثر ما في الباب ان جمعا من المفسرين ذكروها لكنهم ما بلغوا حد التواتر وخبر
الواحد لا يعارض الدلايل العقلية والنقلية المتواترة ولنشرع الان في
الفصل فنقول التمني جا في اللغة لامرين احدهما ان المن القلب والثاني
القراة قال الله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني اي الا
قراة لان الامي لا يعلم القران من المصحف وانما يعلمه قراة قال حسان
تمنى كتاب الله اول ليلة واخرها لاقى حمام المقادر قيل انما سميت القراة
امنية لان القاري اذا انتهى الى اية رحمة تمنى حصولها واذا انتهى الى اية
عذاب تمنى ان لا يبتلى بها وقال ابو مسلم التمني هو التقدير وتمنى هو تفعل
من منيت والمنية وفاة الانسان للوقت الذي قدره الله ومن الله لك اي قدر
لك وقال رواة اللغة الامنية القراة واحتجوا ببيت حسان وذلك
راجع الى الاصل الذي ذكرناه فان المثالي مقدر للحروف نذكرها شيا فشيا
فالحاصل من هذا البحث ان الامنية اما القراة واما الخاطر اما اذا فسرناه
بالقراة ففيه قولان الاول انه اراد تعالى بذلك ما يجوز ان يسهو الرسول فيه
ويشتبه على القاري اذا انتهى الى اية رحمة تمنى حصولها واذا انتهى الى
اية دون ما رووه من قوله تلك الغرانيق العلى والثاني المراد منه وقوع
هذه الكلمة لا في قوله ثم اختلف القايلون على وجوه الاول ان النبي عليه
السلام لم يتكلم بقوله تلك الغرانيق العلى والثاني المراد منه وقوع هذه
الكلمة لا في قوله ثم اختلف القايلون ولا الشيطان تكلم به ولا احد تكلم

ولكنه عليه السلام لما قرأ سورة النجم استبه الامر على الكفار فحسبوا بعض الفاظه
مما رووه من قولهم تلك الغرانيق العلى وذلك على حسب ما جرت به العاده
من توهم بعض الكلمات على غير ما يقال وهذا الوجه ذهب اليه جماعة وهو ضعيف
لوجوه احدها ان التوهم في مثل ذلك انما يصح فيما قد جرت به العاده بسماعه
فاما غير المسموع فلا يقع ذلك فيه وثانيها انه لو كان كذلك لم يكن مضافا
الى الشيطان الوجه الثاني قالوا ان ذلك الكلام كلام شيطان الجن وذلك بان
يلفظ كلام من تلقاء نفسه او قعه الله في درج تلك التلاوة في بعض وقفاته ليظن
انه من جنس الكلام المسموع من الرسول قالوا والذي يؤكده انه لا خلاف
ان الجن والشياطين متكلمون فلا يمتنع ان يأتي الشيطان بصوت مثل صوت
الرسول فيتكلم بهذه الكلمات في اثناء كلام الرسول وعند سكوته فاذا سمع
الاخرون تلك الكلمة بصوت مثل صوت الرسول وعند سكوته فاذا سمع الاخرون بتلك الكلمة بصوت
في اثناء كلام الرسول وعند سكوته فاذا سمع الاخرون بتلك الكلمة بصوت
مثل صوت الرسول ومارأوا شخصا احرز ظن الحاضرون انه كلام الرسول فانما
فيفضي الى ارتفاع الوثوق عن كل الشرع فان قيل هذا الاحتمال ثم هذا لا يكون
قادحا في النبوة لما لم يكن فعلا له وهذا ايضا ضعيف لانك اذا جوزت ان يتكلم
الشيطان في اثناء كلام الرسول بما يسبه على كل السامعين كونه كلاما للرسول
بقي هذا الاحتمال في كل ما يتكلم به الرسول فايما فيفضي الى ارتفاع الوثوق
عن كل الشرع فان قيل هذا الاحتمال قايم في الكل ولكنه لو وقع لوجب في
حكمة الله تعالى ان يزيح الحال فيه كما في هذه الواقعة ازاله للبس قلنا لا
يجب على الله ازالة الاحتمالات كما في المتشابهات واذا لم يجب على الله ذلك
يمكن الاحتمال من الكل الوجه الثالث ان يقال المتكلم بذلك بعض شياطين
الانس وهم الكفرة فانه عليه السلام لما انتهى في قراءة هذه السورة الى هذا الموضع
وذكر اسم الهتهم وقد علموا من عادته انه اذا يعيبها فقال بعض من حضر
تلك الغرانيق العلى فاشتبه الامر على القوم لكثرة اللغط وكثرة صياحهم
وطلبهم اخفاء قراءته ولعل ذلك كان في صلاتهم فانهم كانوا يسمعون قراءته
ويلبسون فيها وقيل انه عليه السلام كان اذا تلى القرآن على قريش توقف في
فصول الايات فالقى بعض الحاضرين ذلك الكلام في تلك الوقفات فتوهم القوم
انه قراءة رسول الله ثم اضافه الله تعالى الى الشيطان لانه بوسوسته
حصل اولا ولانه سبحانه جعل ذلك المتكلم في نفسه شيطانا وهذا ايضا

ضعيف

ضعيف لوجهين لاحدهما انه لو كان كذلك لكان يجب على الرسول عليه السلام
ازالة الشبهة ويصرح الحق ويكذب ذلك القايل واظهار ان هذه الكلمة منه
صدرت ولو فعل ذلك لكان ذلك اولى بالنقل فان قيل انما لم يفعل الرسول
عليه السلام لانه كان قد ادى السورة بكمالها الى الامة من دون هذه الزيادة
فلم يكن ذلك موديا الى اللبس كما لم يودهم في الصلاة بعدان وصفنا الى اللبس قلنا
ان القرآن لم يكن مستقرا على حاله في زمن حياته لانه كان يأتيه الايات
فيلحقها بالسور فلم يكن تأدية تلك السور بدون هذه الزيادة سببا لزوال
اللبس وايضا فلو كان كذلك لما استحق العتاب من الله على ما رواه القوم
الوجه الرابع وهو ان المتكلم بهذا هو الرسول عليه السلام ثم هذا
يحتمل ثلاثة اوجه فانه اما ان يكون قال هذه الكلمة سهوا او اختيارا
اما الوجه الاول وهو انه عليه السلام قال هذه الكلمة سهوا فكما يروى
عن قتادة ومقاتل انهما قالا انه عليه السلام كان يصلي عند المقام فنعس
ويجري على لسانه هاتان الكلمتان فلما فرغ من السورة سجد وسجد كل من في
المسجد وفرح المشركون بما سمعوا واتاه جبريل عليه السلام واستقراه
فلما انتهى الى الغرانيق قال لم انك بهذا لم انزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ان نزلت هذه الاية وهذا ضعيف ايضا لوجوه احدها انه لو
جاز هذا السهو لجاز في سائر المواضع وحينئذ نزول الثقة عن الشرع وثانيها
ان الساهي لا يجوز ان يتبع منه هذه الالفاظ المطابقة لوزن السورة وطريقتها
ومعناها فانا نعلم ان واحدا لو انشد قصيدة لما جاز ان يهم حتى يسقط منه بيت
شعر في وزنها ومعناها وطريقتها وثالثها ان هب انه تكلم بذلك سهوا فكيف
لم ينبه عن ذلك حين قراها على جبريل عليه السلام وذلك ظاهر اما الوجه
الثاني وهو انه عليه السلام تكلم بذلك عمدا وهو الذي قاله قوم ان الشيطان احبر
النبي عليه السلام على التكلم به وهذا ايضا فاسد لوجوه احدها ان الشيطان
لو قدر على ذلك في حق النبي عليه السلام لكان اقتداره علينا اكثر فوجب ان يزيل
الشيطان الناس عن الدين ولجاز في اكثر ما يتكلم به الواحد منا اجبار الشيطان وثانيها
ان الشيطان لو قدر على هذا الاجبار لارتفع الامان عن الوحي لعدم هذا
الاحتمال وثالثها انه باطل بدلالة قوله تعالى حاكيا عن الشيطان وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم وقال
تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين
يتولونه وقال الا عبادك منهم المخلصين ولاشك انه عليه السلام كان سيد
المخلصين واما الوجه الثالث وهو انه عليه السلام تكلم بذلك اختيارا

فها هنا وجهان احدهما ان يقول هذه الكلمة باطله والثاني ان يقول
انها ليست كلمة باطلة اما على الوجه الاول فذكروا فيه طريقين الاول قال
ابن عباس في رواية عطا ان شيطانا يقال له الابيض اتاه على صورة جبريل
عليه السلام والقى عليه هذه الكلمة فقراها فلما سمع المشركون ذلك اعجبهم فجاه
جبريل عليه السلام واستعرضه فقرا السوره فلما بلغ الى تلك الكلمة من عند نفسه
ثم رجع عنها وهذان القولان لا يرغب فيهما مسلم البته لان الاول يقتضي
انه عليه السلام ما كان يميز بين الملك المعصوم والشيطان الخبيث والثاني
يقتضي انه كان خائنا في الوحي وكل واحد منهما خروج عن الدين اما
الوجه الثاني وهو ان هذه الكلمة ليست باطله فها هنا ايضا طرق الاول
ان يقال الغرانيق هم الملائكة وقد كان ذلك قرانا منزلا في وصف الملايكة
فلما توهم المشركون انه يريد الهتهم نسخ الله تلاوته الثاني ان يقال
المراد الاستفهام على سبيل الانكار فكانه قال اشفاعتهن يرتجى الثالث
ان يقال ذكر تعالى الاثبات واراد النفي كقوله تعالى يبين الله لكم ان
ان تضلوا اي ان لا تضلوا كما قد يذكر النفي ويريد به الاثبات كقوله
تعالى اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيا والمعنى ان تشركوا وهذان
الوجهان الاخيران يعترض عليهما بانه لو جاز ذلك بنا على هذا التاويل فلم لا
يجوز ان يظهر كلمة الكفر في جملة القران او في الصلاة بنا على هذا التاويل
ولكن الاصل في الدين ان لا يجوز عليهم شي من ذلك لان الله تعالى قد نصبهم
حجة واصطفاهم للرسالة فلا يجوز عليهم ما يطعن في ذلك او ينفر ومثل
ذلك في التنفير اعظم من الامور التي جنبه الله تعالى كنحو الفظاظة والكتابة
وقول الشعر فهذه هي الوجوه المذكوره في قوله تلك الغرانيق العلى وقد
ظهر على القطع كذبها فهذا كله اذا فسرنا التمني بالتلاوة واما اذا
فسرنا بالخاطر وتمني القلب فالمعنى ان النبي عليه السلام متى تمنى بعض ما يتمناه
من الامور وسوس الشيطان اليه بالباطل ودعاه الى ما لا ينبغي ثم اختلفوا في
كيفية تلك الوسوسه على وجوه احدها انه تمنى ما يتقرب به الى المشركين
من ذكر الهتهم بالثنا لانه عليه السلام كان يحب ان يتالفهم وكان يتردد ذلك في
نفسه فعندها لحقه في النعاس تلك الزياده من حيث كانت في نفسه وهذا
ايضا خروج عن الدين وبيانه ما تقدم وثالثها ما قاله مجاهد من انه
عليه السلام كان يتمنى انزال الوحي عليه على شرعه دون تاخر فنسخ الله ذلك بان
عرفه ان انزال ذلك بحسب المصالح في الحوادث والنوازل وغيرها وثالثها
يحتمل انه عليه السلام عند نزول الوحي كان يتفكر في تاويله اذا كان محتملا فتلقى

الشيطان

الشيطان في جملته ما لم يرده فبين تعالى انه ينسخ ذلك بالابطال ويحكم ما اراده
بادلته واياته ورابعها معنى الاية اذا تمنى اذا اراد فعلا تقربا الى الله تعالى
القى الشيطان في خلده ما يخالفه فيرجع الى الله في ذلك وهو كقوله ان الذين اتقوا
اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وكقوله واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ومن الناس من قال لا يجوز حمل الامنه على تمني القلب
لانه لو كان كذلك لم يكن يخطر ببال رسول الله فتنة للكفار وذلك يبطله
قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم
والجواب لا يبعد انه اذا قوي التمني اشتغل الخاطر به فحصل السهو في الافعال
الظاهره بسببه فيصير ذلك فتنة للكفار فهذا اخر القول في هذه المسيله
المسيله الثالثه رجع حاصل البحث الى ان الغرض من هذه الايه بيان ان الرسل
الذين ارسلهم الله وان عصمهم من الخطا مع العلم فلم يعصمهم من جواز السهو ووسوسة
الشيطان بل حالهم في جواز ذلك كحال ساير البشر فالواجب ان لا يتبعوا الا فيما
يفعلونه من علم فذاك هو المحكم وقال ابو مسلم معنى الاية لم يرسل نبيا
الا اذا تمنى كانه قيل وما ارسلنا الى البشر ملكا وما ارسلنا اليهم نبيا الا
منهم وما ارسلنا نبيا خلا عند ملازمة الوحي من وسوسة الشيطان وان يلقي
في خاطره ما يضاد الوحي على حفظه ويعلم صواب ذلك وبطلان ما يكون
من الشيطان قال وفيما تقدم من قوله قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير
مبين تقويه لهذا التاويل كانه تعالى امره بان يقول للكافرين انا لكم نذير
لكم لكني من البشر لا من الملايكة ولم يرسل الله قبلي ملكا وانما ارسل رجالا قد
يوسوس الشيطان اليهم فان قيل هذا انما يصح لو كان السهو لا يجوز على الملايكة
قلنا اذا كانت الملايكة اعظم درجه عند الله من الانبيا لم يلزم من استيلايهم
بالوسوسه على الملايكة واعلم انه سبحانه لما شرح حال هذه الوسوسه اردف
ذلك ببحثين الاول كيفية ازالتها وذلك هو قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان
فالمراد ازالته باثره وهو النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الاحكام اما
قوله ثم يحكم الله اياته واذا حمل التمني على القراة فالمراد به ايات القران والا
فيحتمل احكام الادلة التي لا يجوز فيها الغلط البحث الثاني انه ما اثر تلك
الوسوسه ثم انه سبحانه شرح اثرها في حق الكفار اولا ثم في حق المومنين ثانيا
اما ما في حق الكفار فهو قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة فالمراد به
تشديد التعبد لان عندنا ما يظهر من الرسول الاشتباه في القراة سهوا يلزمهم

البحث عن ذلك ليميزوا السهو عن العمد وليعلموا ان العمد صواب والسهو قد لا يكون
صوابا اما قوله للذين في قلوبهم مرض ففيه سوالات الاول
لم خصهم بذلك الجواب لانهم مع كونهم محتاجين الى ذلك التدبر اما
المومنون فقد تقدم علمهم بذلك فلا يحتاجون الى التدبر السوال الثاني
ما مرض القلب الجواب انه الشك والشبهة وهم المنافقون كما قال
في قلوبهم مرض واما القاسية قلوبهم فهم المشركون المصرون على جهلهم
ظاهرا وباطنا اما قوله وان الظالمين لفي شقاق بعيد يريد ان هولا المنافقين
والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر مع الضمير قضا عليهم بالظلم والشقاق
والمشاقة والمعاداة والمباعاة سوا واما في حق المومنين فهو قولهم وليعلم
الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك وفي الكتابة ثلاثة اوجه احدها انها
عايدة الى نسخ الله ما القاه الشيطان عن الكلبي وثانيها انه الحق اي القران هو الحق
عن مقاتل وثالثها ان يمكن الشيطان من ذلك الالقا هو الحق اما على قولنا
فلانه سبحانه اي شي فعل فقد تصرف في ملكه وملكه وكان حقا واما
على قول المعتزلة فلانه سبحانه حكيم فيكون كل افعاله صوابا فيومنوا به
فتخبت له قلوبهم اي تخشع وتسكن لعلمهم بان المقتضي كاين وكل ميسر لما خلق له
وان الله لهادي الذين امنوا الى ان يتاولوا ما يتشابه في الدين بالتاويلات
الصحيحة ويطلبوا لما اشكل من المجمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة حتى لا يلحقهم حيرة
ولا يعتريهم شبهة وقرى لهاد الذين امنوا بالتنوين ولما بين سبحانه
حال الكافرين اولا ثم حال المومنين ثانيا عاد الى شرح حال الكافرين مرة اخرى
فقال ولا يزال الذين كفروا في مرية منه اي من القران او من الرسول وذلك يدل
على ان الاعصار الى قيام الساعة لا تخلوا ممن هذا وصفه اما قوله حتى تاتيهم
الساعة بغتة اي فجاة من دون ان يشعروا ثم جعلوا الساعة غاية لكفرهم وانهم
يومنون عند اشراط الساعة على وجه الالجا اما اليوم العقيم ففيه قولان
احدهما يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لوجوه اربعة احدها
لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقيم لم يلدن وثانيها ان
المقاتلين يقال لهم ابنا الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز
وثالثها هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشي مطرا ولم تلقح
شجرا ورابعها لانه لا مثل له في عظم امره وذلك لقتال الملايكة فيه
والقول الثاني انه يوم القيمة وانما وصف بالعقيم لوجوه احدها انهم

لا يرون فيه خيرا وثانيها انه لا ليل فيه فيستمر كاستمرار المراة على فقد
الولادة وثالثها ان كل ذات حمل تضع حملها في ذلك اليوم فكيف يحصل الحمل
فيه وهذا القول اولى لانه لا يجوز ان يقول تعالى ولا يزال الذين كفروا
في مرية بعد يوم بدر فان قيل لم ذكر الساعة فلو حملتم اليوم العقيم
على يوم القيمة لزم التكرار قلنا ليس كذلك لان الساعة مقدمات
القيمة واليوم العقيم هو نفس ذلك اليوم وعلى ان الامر لو كان كما قاله
تكرار لان في الاول ذكر الساعة وفي الثاني ذكر عذاب ذلك اليوم ويحتمل ان
يكون المراد بالساعة وقت موت كل واحد وبعذاب يوم القيمة اما
قوله الملك يومئذ لله فمن اقوى ما يدل على ان اليوم العقيم هو هذا اليوم
واراد بذلك انه لا مالك في ذلك اليوم سواه فهو بخلاف ايام الدنيا وذلك زجر
عن معصيته ثم بين كيف يحكم بينهم وانه يصير المومنين الى جنات
النعيم والكافرين الى عذاب مهين وقد تقدم وصف الجنة والنار
فان قيل النون في يومئذ عن جملة ينوب قلنا تقديره الملك
يومئذ منون او يوم يزول مرتبتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية
منه حتى تاتيهم الساعة قوله تعالى والذين هاجروا
في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا
وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه
وان الله لعليم حكيم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب
به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك
بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله
سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه
الباطل وان الله هو العلي الكبير اعلم انه تعالى لما ذكر ان
الملك له يوم القيمة وانه يحكم بينهم ويدخل المومنين الجنات اتبعه بذكر
الوعد الكريم للمهاجرين وافردهم بالذكر تفخيما لشانهم فقال عز من قايل
والذين هاجروا واختلفوا فيمن اريد بذلك فقال بعضهم من هاجر الى المدينة
طالبا لنصرة الرسول وتقربا الى الله تعالى وقال اخرون بل المهاجر من
جاهد وخرج مع الرسول او في سراياه لنصرة الدين ولذلك ذكر القتل بعده ومنهم
من حمله على الامرين واختلفوا في وجه اخر فقال قوم المراد قوم مخصوصون
روى مجاهد انها نزلت في طوايف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة وتبعهم

المشركون فقاتلوهم وظاهر الكلام للعموم ثم انه سبحانه وصف رزقهم
وسكتهم بقوله ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين وفيه
مسايل المسئلة الاولى لاشبهة في ان الرزق الحسن هو نعيم الجنة وقال
اخرون انه العلم والفهم لقول شعيب عليه السلام ورزقني منه رزقا
حسنا فهذا في الدنيا وفي الاخرة الجنة وقال الكلبي رزقا حسنا حلالا وهو
الغنيمة وهذان الوجهان ضعيفان لانه تعالى جعله جزاء على هجرتهم في سبيل
الله بعد القتل والموت وبعدهما لا يكون الا نعيم الاخرة المسئلة الثانية
لابد من شرط اجتناب الكبائر في كل وعد القرآن لان هذا المهاجر لو ارتكب
كبيرة لكان في حكم المصر على قولنا وخرج عن ان يكون اهلا للجنة قطعا
على قول المعتزلة فان قيل فما فضله على سائر المؤمنين في الوعد ان كان
كما قلتم قلنا فضلهم يظهر بما ذكرناه اعظم وقد قال تعالى لا
يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ومعلوم ان من هاجر مع الرسول
وفارق دياره واهله لينصرته وتقوية دينه مع شدة قوة الكفار وظهوره
صولتهم صار فعله كالسبب لقوة الدين وعلى هذا اعظم محل الانصار حتى صار
ذكرهم والثناء عليهم تاليا لذكر المهاجرين لما اووه ونصروه المسئلة
الثالثة اختلفوا في معنى قوله وان الله لهو خير الرازقين مع العلم بان كل الرزق
من عنده على وجوه احدها التفاوت انما كان بسبب انه سبحانه مختص بان
يرزق ما لا يقدر عليه غيره وثانيها ان يكون المراد انه الاصل في الرزق
وغيره انما يرزق بما تقدم من الرزق محمد الله وثالثها ان غيره يفعل بدفع
الرزق من يده الى يد غيره لانه يفعل نفس الرزق ورابعها ان غيره
اذا رزق انما يرزق لانتفاعه اما لاجل ان تخرج عن الواجب واما لاجل
ان يستحق به حمدا وثناء واما لاجل دفع المنة فكانا لو لم نحمد اذا رزق
فقد طلب العوض اما الحق سبحانه فان كماله صفة ذاتية له فلا يستفيد
من شيء كما لا ازليا وكان الرزق الصادر منه لمحض الاحسان وخامسها ان غيره
انما يرزق لما حصل في قلبه ارادة ذلك الفعل وتلك الارادة من الله والرازق
في الحقيقة هو الله وسادسها ان الرزق يوجب منة الرازق ومنة الله اسهل
تحملا من منة الغير وكان هو خير الرازقين وسابعها ان الغير اذا رزق فلولا ان
الله تعالى اعطى ذلك الانسان انواع الحواس واعطاه السلامة والصحة والقدرة
على الانتفاع بذلك الرزق لما امكنه الانتفاع به فرزق العبد لا بد وان يكون

مستوفيا

مستوفيا برزق الله وملحوقا به حتى يحصل الانتفاع به واما رزق الله
فلا حاجة به الى رزق غيره فثبت انه سبحانه خير الرازقين المسئلة الرابعة
قالت المعتزلة الاية تدل على امور ثلاثة احدها ان غير الله قادر وثانيها
غير الله يصح منه ان يرزق وعلمك ولولا كونه قادرا فاعلا لما صح ذلك وثالثها
ان الرزق لا يكون الا حلالا لان قوله خير الرازقين دلالة على كونهم محمودين
والجواب لا نزاع في كون العبد قادرا الا ان عندنا القدرة مع الداعي موثرة
في الفعل بمعنى الاستلزام واما الثالث فبحث لفظي قد سبق الكلام فيه
المسئلة الخامسة قال تعالى ثم قتلوا او ماتوا ليسوي بينهما في الوعد
فظن قوم ان حال المقتول في الجهاد المقتول والميت على فراشه سواء وهذا ان اخذوه
من الظاهر فلا دلالة فيه لان الجمع بينهما في الوعد لا يدل على تفضيل وتسوية
كما ان الجمع بين المؤمنين لا يدل على ذلك وان اخذوه من دليل اخر فهو حق
فانه روي انس ان النبي عليه السلام قال المقتول في سبيل الله والمتوفي
في سبيل الله بغير قتل هما في الخير والاجر سيان ولفظ الشرك مشعر
بالتسوية والا فلا يبقى لتخصيصهما بالذكر فائدة وروي ايضا ان طوائف
من اصحاب رسول الله قالوا يا رسول الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم
الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل
الله هاتين الايتين وهذا يدل على التسوية لانهم لما طلبوا مقدار الاجر
فلولا التسوية لم يكن الجواب مفيدا اما المسكن فهو قوله تعالى
ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم وفيه مسايل المسئلة
الاولى قرئ مدخلا بضم الميم وهو الادخال ومن قرأ بالفتح فالمراد
هو الموضع المسئلة الثانية قيل في المدخل الذي يرضونه انه جنة
من درة بيضاء لا قصم فيها ولا وصم لها سبعون الف مصراع وقال ابو
القسم القشيري هو ان يدخلهم الجنة من غير مكروه تقدم قال ابن عباس انما
قال يرضونه لانهم يرون في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر فيرضونه ولا يبغون عنها حولا ونظيره قوله ومساكن يرضونها
وقوله عيشة راضية وقوله ارجعي الى ربك راضية مرضية ومساكن
طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر المسئلة الثانية ان قيل
وما معنى قوله وان الله لعليم حليم وما تعلقه بما قبل قلنا يحتمل انه
تعلقه بما يستحقونه ليفعله بهم ويزيدهم ويحتمل ان يكون المراد انه

عالم بما يرضونه فيعطيهم ذلك في الجنة واما حليم فالمراد بحلمه
لا يعجل بالعقوبة على المعصية بل يمهل ليقع منه التوبة فيستحق الجنة
اما قوله ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه
الله ان الله لعفو غفور وفيه مسايل المسيلة الاولى قوله ذلك
قد مضى الكلام فيه في هذه السورة قال الزجاج اي الامر ما قضينا عليكم من
انجاز الوعد للمهاجرين الذين قتلوا او ماتوا المسيلة الثانية قوله
من عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه معناه من قاتل من كان يقاتله ثم
ان القاتل بغي عليه بان اضطر الى الهجرة ومفارقة الوطن وابتلي بالقتال
قال مقاتل نزلت في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين بقتال من المحرم
فقال بعضهم لبعض ان اصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فحملوا عليهم فناشدهم
المسلمون ان يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فابوا وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم
وثبت المسلمون لهم فيصبروا عليهم فوقع في انفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام
فانزل الله هذه الاية وعفا عنهم وغفر لهم وها هنا سوالات الاول اي تعلق
لهذه الاية بما قبلها الجواب كانه سبحانه قال مع اكرامي لهم في الاخرة بهذا
الوعد لا ادع نصرتهم في الدنيا على من بغي عليهم السوال الثاني ايرجع ذلك الى المهاجرين
خاصة او اليهم والى المومنين الجواب الاقرب ان يعود الى الفريقين لانه
تقدم ذكرهما وتبين ذلك قوله تعالى لينصرنه الله وبعد القتل والموت لا
يمكن ذلك في الدنيا السوال الثالث ما المراد بالعقوبة المذكورة الجواب
فيه وجهان احدهما المراد ما فعله مشركوا مكة مع المهاجرين من طلب اثارهم
ورد بعضهم الى غير ذلك فقال ان من عاقب هولا الكفار بمثل ما فعل به فينصر
عليهم وهذه النصرة المذكورة تقوي تاويل من تاوله على مجاهدة الكفار لا
على القصاص لان ظاهر النص لا يليق الا بذلك والثاني ان هذه الاية في القصاص
والجراح وهي اية مدنية عن الضحاك السوال الرابع لم سمي ابتدا فعلهم
عقوبة الجواب اطلق اسم العقوبة على الاول للتعلق الذي بينه وبين
الثاني كقوله تعالى وجزا سيئة سيئة مثلها يخادعون الله وهو خادعهم
السوال الخامس اي تعلق لقوله وان الله عفو غفور بما تقدم والجواب
فيه وجوه احدها ان الله ندب المعاقب الى العفو عن الجاني بقوله فمن عفا
واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن
عزم الامور فلما لم يات بهذا المندوب فهو نوع اساة فكانه قال تعالى اني

عفوت

عفوت عن هذه الاساة وغفرتها فانا الذي اذنت لك فيه وثانيها
انه سبحانه وان ضمن لهم النصر على الباغي لكنه عرض مع ذلك بما كان اولى به من
العقوبة ولوح به بذكرها بين الصفين وثالثها انه سبحانه دل بذكر
العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على
ضده السوال السادس اي تعلق لقوله ذلك بان الله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل بما تقدم الجواب من وجهين احدهما ذلك النصر
بانه قادر ومن ايات قدرته الباهرة كونه خالقا لليل والنهار ومتصرفا فيهما فوجب
ان يكون قادرا عالما بما يجري فيهما فوجب ان يكون قادرا عالما بما يجري فيهما واذا
كان كذلك كان قادرا على النصر مصيبا فيه وثالثها المراد انه سبحانه مع ذلك
النصر منعم في الدنيا بما يفعله من تعاقب الليل والنهار وولوج احدهما في الاخر
السوال السابع ما معنى ايلاج الليل في النهار الجواب فيه وجهان احدهما
يحتمل ظله هذا في مكان ضيا بغيبوبة الشمس وضيا ذلك في مكان ظله هذا
بطلوعها كما يضي البيت بالسراج ويظلم بفقده وثانيها انه سبحانه يزيد
في احدهما ما من الاخر من الساعات السوال الثامن اي تعلق لقوله
وان الله لسميع بصير بما تقدم الجواب انه كما يقدر على ما لا يقدر غيره فكذلك
يدرك المسموع والمبصر ولا يجوز المنع عليه ويكون ذلك كالتحذير من الاقدام على
ما لا يجوز من المسموع والمبصر السوال التاسع ما معنى ذلك بان الله هو
الحق واي تعلق له بما تقدم الجواب فيه وجهان احدهما المراد ان ذلك
الوصف الذي تقدم ذكره من القدرة على هذه الامور انما يحصل لاجل ان الله
تعالى هو الحق الذي هو الموجود الواجب لذاته الذي يمتنع عليه التغير والزوال
فلا جرم يفي بالوعد والوعيد وثانيها انما يفعل من عبادته هو الحق وما
يفعل من عبادة غيره هو الباطل كما قال له دعوة الحق في الدنيا والاخرة
السوال العاشر اي تعلق لقوله وان الله هو العلي الكبير بما تقدم
الجواب معنى العلي القاهر المقتدر الذي لا يغلب فكفى ذلك في عبادته زاجرا
عن عبادة غيره فاما الكبير فهو العظيم في قدرته وسلطانه وذلك ايضا
يفيد كمال القدرة المسيلة الثالثة قوله لينصرنه الله اخبار عن الغيب
وانه وجد مخبره كما اخبر فكان من المعجزات المسيلة الرابعة قال الشافعي
من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه وقال ابو حنيفة بل يقتل بالسيف
واحتج الشافعي بهذه الاية فان الله تعالى جوز للمظلوم ان يعاقب بمثل ما عوقب به

ووعده النصر عليه المسئلة الخامسة قرا نافع وابن عامر تدعون بالتاء
وهاهنا وفي لقمان وفي العنكبوت وقرا ابن كثير وابو عمرو كلها بالياء
على الخبر والعرب قد ينصرف من الخطاب الى الاخبار ومن الاخبار الى الخطاب
قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما
فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات
وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد الم تر ان الله سخر لكم
ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السما ان تقع على
الارض الا باذنه ان الله بالناس لروف رحيم وهو الذي
احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور اعلم
انه تعالى لما دل على قدرته بما قيل بما ذكره من ولوج الليل في النهار ونبه
على نعمه بانواع اخر من الدلايل على قدرته ونعمته وهي ستة اولها قوله
اولم تر ان الله انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير
وفيه مسايل المسئلة الاولى ذكروا في قوله الم تر وجوها ثلاثة احدها
ان المراد هو الروية الحقيقية وقالوا ان الما النازل من السما يرى بالعين واخضرار
النبات على الارض مرتين واذا لم يكن حمل الكلام على حقيقته فهو اولى وثانيها
المراد الم تخبر على سبيل الاستفهام وثالثها المراد الم تعلم والقول
الاول ضعيف لان الما وان كان مرئيا الا ان كون الله منزلا له من السماء غير مرئي
واذا ثبت هذا وجب حمله على العلم لان المقصود من تلك الروية هو العلم
لان الروية اذا لم تقترن بها العلم كانت كانها لم تحصل المسئلة الثانية
قرئ مخضرة كمبقلة ومنبعة اي ذات خضرة وها هنا سوالان السوال
الاول لم قال فتصبح الارض ولم يقل فاصبحت الجواب لنكتة فيه وهي
افادة بقا اثر المطر زمانا بعد زمان كما يقول انعم على فلان عام كذا فاروح
واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع السوال
الثاني لم رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام الجواب لو نصب لاعطى عكس ما
هو الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى عكس الاخضرار
كما تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف
لشكره شال لتفريطه وان رفعته فانت مثبت للشكر السوال الثالث
انما ورد تعالى ذلك دلالة على قدرته على الاعادة كما قال ابو مسلم الجواب
يحتمل ذلك ويحتمل انه نبه به على قدرته وواسع نعمته السوال الرابع

فيما تعلق قوله ان الله لطيف خبير بما تقدم الجواب من وجوه احدها
اراد انه رحيم بعباده ولرحمته فعل ذلك حتى عظم انتفاعهم به لان الارض
اذا اصبحت مخضرة والسما امطرت كان ذلك سببا لعيش الحيوان على اختلافها
اجمع ومعنى خبير انه عالم بمقادير مصالحهم فيفعل على قدر ذلك من دون
زيادة ونقصان قال ابن عباس لطيف بارزاق عباده خبير بما في قلوبهم
من القنوط وثالثها قال الكلبي لطيف في افعاله خبير باعمال خلقه ورابعها
قال مقاتل لطيف باستخراج النبت خبير بكيفية خلقه الدلالة
الثانية قوله ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد ان كل
ذلك منقاد له غير ممتنع من التصرف فيه وهو غني عن الاشيا كلها وعن حمد الحامدين
ايضا لانه كامل لذاته والكامل لذاته غني عن كل ما عداه في كل الامور
ولكنه لما خلق الحيوان فلا بد في الحكمة من مطر ونبات فخلق هذه الاشيا رحمة للحيوانات
وانعاما عليهم لا حاجة به الى ذلك واذا كان كذلك كان انعامه خاليا عن غرض
عايد اليه فكان مستحقا للحمد فوجب ان يكون حمدا الدلالة الثالثة
قوله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي ذلك لكم ما فيها فلا اصلب من الحجر
ولا اشد من الحديد ولا اكثر هيبة من النار وقد سخرها لكم وسخر الحيوانات
ايضا حتى ينتفع بها من حيث الاكل والركوب والحمل عليه والانتفاع بالنظر
اليه فلولا تسخيره تعالى الابل والبقر من قوتها حتى يذللها الضعيف من الناس
ويتمكن منهما لما كان ذلك نعمة الدلالة الرابعة قوله والفلك تجري
في البحر بامره والاقرب المراد وسخر لكم الفلك تجري في البحر وكيفية تسخير الفلك
هو من حيث سخر الما والرياح تجريها فلولا صفتها على ما هما عليه لما جرت بل كانت
تغوص او تقف فنبه تعالى بذلك وبان خلق ما يعمل من السفن وبين كيف
تعمل وانما قال بامره لانه سبحانه لما كان هو المجري لها بالرياح بسبب ذلك الى
امره توسعا لان ذلك يفيد تعظيمه باكثر مما يفيد واضاف الى فعله بنا على عادة الملوك
في مثل هذه اللفظة الدلالة الخامسة قوله ويمسك السما ان تقع على الارض
الا باذنه ان الله بالناس لروف رحيم اعلم ان النعم المتقدمة لا تكمل الا بهذه لان
لان السما مسكن الملايكة فوجب ان يكون ثقيلا وما كان كذلك فلا بد من الهوى
لولا مانع يمنع منه وهذه الحجة مبنية على ظواهر الاوهام وقوله وان تقع على
قال الكوفيون كيلا يقع وقال البصريون كراهة ان تقع وهذا بنا على مسئلة
كلامية وهي ان الاردات والكراهات هي يتعلق بالعدم فمن منع من ذلك صار

الي التاويل الاول والمعنى انه تعالى امسكها لكي لا تقع فيبطل النعم التي انعم
بها اما قوله ان الله بالناس لروف رحيم فالمعنى ان المنعم بهذه النعم الجامعة
لمنافع الدين والدنيا قد بلغ الغاية في الاحسان والنعم فهو اذن روف رحيم
الدلالة السادسة قوله وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
ان الانسان لكفور والمعنى ان من سخر له هذه الامور وانعم بها عليه فهو
الذي احياه فنبه بالاحيا الاول على انعامه في الدنيا بكل ما تقدم ونبه بالاماتة
والاحيا الثاني على نعم الله بن علينا وانه سبحانه خلق الدنيا بسائر احوالها
والا لم يكن للنعم على هذا الوجه بين ذلك انه لولا امر الاخرة لم يكن للزراعات
وتكلفها ولا لركوب الحيوان وذبحها الي غير ذلك معنى بل كان يقال بخلقه
ابتدا من غير تكلف للزرع والسقي وانما اجري العادة بذلك ليعتبر به
في باب الدين ولما فصل تعالى هذه النعم فقال ان الانسان لكفور لنعم
الوالد زجرا له عن الكفران وبعثا له على الشكر فلذلك اورد تعالى ذلك في الكفار
وبين انهم دفعوا هذه النعم وكفروا بها وجهلوا خالقها مع وضوح امرها ونظيره
قوله وقليل من عبادي الشكور قال ابن عباس الانسان هنا هو الكافر
ويقال ايضا هو الاسود بن عبد الاسد وابو جهل والعاص وابي بن خلف
والاولى تعميمه في كل المتكبرين والله اعلم **قوله تعالى**
لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع
الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله اعلم
بما يعملون ۝ الله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كنتم فيه
تختلفون ۝ اعلم انه تعالى لما قدم ذكر نعمه وبين انه روف
رحيم بعباده وان كان فيهم من يكفر ولا يشكر لنعمه فذكر نعمه بما كلف فقال
لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه وفيه مسايل المسلة الاولى انما حذف
الواو في قوله ولكل امة لانه لا يعلق هذا الكلام بما قبله فلا جرم حذف
العاطف المسلة الثانية في المنسك اقوال احدها قال ابن عباس
عيدا يذبحون فيه وثانيها قربانا ولفظ النسك مختص بالذبايح عن مجاهد
وثالثها ما لقا بالقوة اما مكانا معينا او زمانا معينا لادا الطاعات
ورابعها المنسك ماخوذ من النسك هو الشريعة والمنهاج وهو قول
ابن عباس في رواية عطا واختيار القفال وهو الاقرب لقوله تعالى ولكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولان المنسك ماخوذ من النسك وهو العبادة

واذا وقع الاسم على كل عبادة فلا وجه للتخصيص فان قيل هلا حملتموه على
الذبح لان المنسك في العرف لا يفهم منه الا الذبح وهلا حملتموه على موضع العبادة
وعلى وقته والجواب عن الاول لا نسلم ان المنسك في العرف مخصوص بالذبح
والدليل عليه ان ساير ما يفعل في العرف لا يفهم منه الا الذبح الحج يوصف
بانها مناسك ولاجله قال عليه السلام خذوا مناسككم عني وعن الثاني ان
قوله هم ناسكوه اليق بالعبادة منه بالوقت والمكان المسلة
الثالثة زعم قوم ان المراد من قوله هم ناسكوه من كان في زمن رسول الله متمسكا
بشرع اليهود والنصارى ولا يمتنع ان يريد كل من يعبد من الامم سوا بقيت
اثارهم او لم تبق لان قولهم ناسكوه كالوصف لهم وان لم يعد الحال اما
قوله فلا ينازعنك في الامر فقرى فلا ينازعنك اي اثبت في دينك ثباتا
لا يطمعون ان يحدثوك ليزيلوك عنه واما ينازعنك ففيه قولان احدهما
وهو قول الزجاج انه نهي عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا يضاربه
والثاني ان المراد ان عليهم اتباعك وترك مخالفتك وقد استقر الان على
شرعك وعلى انه ناسخ لكل ما عداه وكانه تعالى نهى عن كل امة بقيت منها بقية
ان يستمر على تلك العادة والزمها ان يتحول الى اتباع الرسول عليه السلام فلذلك
قال وادع الى ربك لا تخص بالدعا امة دون امة فكلهم امتك فادعهم
الى شريعتك فانك على هدى مستقيم والهدى يحتمل نفس الدين ويحتمل ادلة
الدين وهو اولى كانه قال ادعهم الى هذا الدين فانك من حيث الدلالة على طريقة
واضحة ولهذا قال فان جادلوك والمعنى فان عدلوا عن الطريقة في هذه الدلالة
الى طريقة المراد والتمسك بالعادة واظهرت ما يلزمك فقل الله اعلم بما
يعملون لانه ليس بعد ايضاح الدلالة الا هذا الجنس الذي يجري مجرى الوعيد
والتحذير من حكم يوم القيمة الذي يتردد بين جنة وثواب لمن قبل وبين
نار وعقاب لمن رد وانكر ۝ **قوله تعالى** **الم**
تعلم ان الله يعلم ما في السما والارض ان ذلك في
كتاب ان ذلك على الله يسير ويعبدون من دون
الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم
وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا قل افانبيكم

بشر من ذلك وعدها الذين كفروا وبئس المصير
اعلم انه تعالى لما قال من قبل الله يحكم بينهم يوم القيمة اتبعه بما به
يعلم انه سبحانه علم بما يستحقه كل احد فيقع الحكم بينهم بالعدل لا بالجور فقال
لرسوله الم تعلم ان الله يعلم ما في السما والارض ان ذلك في كتاب وها هنا
مسايل المسيلة الاولى قوله الم تعلم هو لفظ الاستفهام لكن معناه
تقوى قلب الرسول عليه السلام والوعد له والايعاد للكافرين بان كل
فعلهم محفوظ عند الله لا يضل عنه ولا ينسى المسيلة الثانية الخطاب
مع الرسول والمراد ساير العباد لان الرسالة لا تثبت الا بعد العلم بكونه تعالى
عالما بكل المعلومات اذ لو لم يثبت ذلك لجاز ان يشتبه عليه الكاذب
بالصادق فحينيذ لا يكون اظهار المعجز دليلا على الصدق واذا كان كذلك
استحال ان لا يكون الرسول عالما بذلك فثبت ان المراد ان يكون خطابا
مع الغير اما قوله ان ذلك في كتاب فيه قولان احدهما
وهو قول ابي مسلم ان معنى الكتاب الضبط والحفظ والشد يقال
كتبت المراده اكتبها اذا حرزتها فحفظت بذلك ما فيها ومعنى الكتاب
بين الناس حفظ ما يتعاملون به فالمراد من قوله ان ذلك في كتاب
انه محفوظ عنده والثاني وهو قول الجمهور ان كل ما يحدثه الله في السموات
والارض فقد كتبه في اللوح المحفوظ قالوا وهذا اولى لان القول الاول
وان كان صحيحا نظرا الى الاشتقاق لكن الواجب حمل اللفظ على المتعارف
ومعلوم ان الكتاب هو ما يكتب فيه الامور فكان حمله عليه اولى فان قيل
ان ذلك يوهم ان علمه مستفاد من الكتاب وايضا فاي فايدة في ذلك الكتاب
والجواب عن الاول ان كتبه ذلك الاشيا في ذلك الكتاب مع كونها مطابقة
للموجودات من اول الدلايل على انه سبحانه غني في علمه عن ذلك الكتاب وعن
الثاني ان الملايكة ينظرون فيه ثم يرون الحوادث داخلة في الوجود وبه صار
ذلك دليلا لهم زايدا على كونه سبحانه عالما بكل المعلومات اما قوله
ان ذلك على الله يسير فمعناه ان كتبه جملة الحوادث مع انها من الغيب مما
يتعذر على الخلق لكنها بحيث متى ارادها الله كانت فعبر عن ذلك بانه يسير وان
كان هذا الوصف لا يستعمل الا فينا من حيث يسهل ويصعب علينا الامور ويتعالى
الله عن ذلك ثم بين سبحانه ما تقدم الكفار عليه مع عظم نعمه ووضوح دلايله
فقال ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم

فبين

فبين ان عبادتهم لغير الله ليست ماخوذة عن دليل سمعي وهو المراد من قوله
ما لم ينزل به سلطانا ولا عن دليل عقلي وهو المراد من قوله وما ليس لهم
به علم واذا لم يكن كذلك فهو عن تقليد وجهل او شبهة فوجب في كل قول
هذا شانه ان يكون باطلا فمن هذا الوجه يدل على ان الكافر قد يكون
كافرا ويدل ايضا على فساد التقليد اما قوله وما للظالمين
من نصير ففيه وجهان احدهما انهم ليس لهم احد ينتصر لهم من الله كما قد يتفق
النصرة في الدنيا والثاني ما لهم في كفرهم ناصر بالحجة فان الحجة ليست الا للحق
واحتجت المعتزلة بهذه الاية في نفي الساعة والكلام عليه معلوم اما
قوله واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني من تقدم ذكره وهذه الايات في
القران ووصفها بانها بينات لكونها متضمنة للدلايل العقلية وبيان الاحكام فبين
انهم مع جهلهم اذا نبهوا على الادلة وعرضت عليهم المعجزة ظهر في وجوههم المنكر
والمراد دلالة الغيظ والغضب قال صاحب الكشاف المنكر القطيع من التهجم
والسورا والانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرى يعرف على ما لم يسم فاعله
وللمفسرين في المنكر عبارات احدها قال الكلبي تعرف في وجوههم الكراهة للقران
وثانيها قال ابن عباس الهجر والرفع وثالثها قال مقاتل انكروا ان يكون
عند الله اما قوله يكادون يسطون فقال الخليل والفرا والزجاج
السطو شدة البطش والمعنى يهمون بالبطش والوثوب تعظيما لانكار ما خوطبوا
به فحكى تعالى عنهم عظيم تمردهم على الانبيا والمومنين ثم امر رسوله بان يقابلهم
بالوعيد فقال قل افانبيكم بشر من ذلكم النار قال صاحب الكشاف قوله
من ذلكم اي من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم وما اصابكم من الكراهة
والضجر بسبب ما تلي عليكم واما قوله من ذلكم النار ففيه وجهان احدهما
المراد ان الذي ينالكم من النار التي تكادون تقتحمونها بسوء فعالكم ما ينالكم
عند تلاوة هذه الايات من هذا الغضب ومن هذا الغم والثاني ان يكون المراد
بشر من ذلكم ما تهمون به فيمن يحاجكم فان اكثر ما يمكنكم فيه الاهلاك ثم بعده
مصيرهم الجنة والتي يصيرون الى النار الدايمة التي لا فرج لكم عنها واما
النار فقال صاحب الكشاف قرى النار بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
كان قايلا قال ما هو فقيل النار اي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر
على البدل من شر ثم بين سبحانه انه وعدها الذين كفروا اذا ماتوا على كفرهم
وهي بيس المصير قال صاحب الكشاف وعدها الله استيناف كلام ويحتمل ان يكون

النار مثلا ووعدها حقا **قوله تعالى** يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز اعلم انه سبحانه وتعالى لما بين من قبل انهم يعبدون من دون الله ما لا حجة فيه ولا علم ذكر في هذه الآية ما يدل على ابطال قولهم اما قوله ضرب فيه سؤالات الاول الذي جاء به لين يمثل فكيف سماه مثلا الجواب اذا كان ما يورد من الوصف معلوما من قبل جاز ذلك فيه ويكون ذكره بمنزلة اعادة امر قد تقدم اما قوله فاستمعوا له اي تدبروه لان نفس السماع لا ينفع انما ينفع التدبر واعلم ان الذباب لما كان في غاية الصغف احتج الله به على ابطال قولهم من وجهين الاول ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له قرئ تدعون بالياء والتاء وتدعون مبنيا للمفعول ولن اخت لا في النفي للمستقبل الا لن ينفيه نفيا موكدا فكانه سبحانه قال ان هذه الاصنام ان اجتمعت لن تقدر على خلق ذبابة على ضعفها فكيف يجوز بالعاقل جعلها معبودا وقوله ولو اجتمعوا له نصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب حال اجتماعهم فكيف حال انفرادهم والثاني قوله وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه كانه سبحانه قال اترك امر الخلق والايجاد وتكلم فيما هو اسهل منه فان الذباب ان سلب منها شيئا فهي لا تقدر على استخلاص ذلك الشيء من الذباب واعلم ان الدلالة الاولى صالحة لان يتمسك بها في نفي كون المسيح والملائكة الهة اما الثانية فلا فان قيل هذا الاستدلال اما ان يكون لنفي كون الاوثان خالقة لا لهة حية مدبرة او لنفي كونها مستحقة للتعظيم والاول فاسد لان نفي كونها كذلك معلوم بالضرورة فاي فائدة في اقامة الدلالة عليه واما الثاني فهذه الدلالة لا تفيده لانه لا يلزم من نفي كونها حية ان لا يكون معظمة فان حصات التعظيم مختلفة فالقوم كانوا يعتقدون فيها انها طلسمات موضوعة على صورة الكواكب او انها تماثيل الملائكة والانبياء المتقدمين وكانوا يعظمونها على ظن ان تعظيمها يوجب تعظيم الملائكة او لئك المتقدمين الجواب اما كونها طلسمات موضوعة على صور الكواكب بحيث تحصل منها الاضرار والانتفاع فهو يبطل بهذه الدلايل وانها لما يمتنع نفعها في هذا القدر وهو تخليص النفس عن الديانة فلان لا يمتنع غيرها اولى واما انها تماثيل

الملايكة

والانبياء المتقدمين فقد تقرر في العقل ان تعظيم غير الله ينبغي ان يكون اقل من تعظيم الله والقوم كانوا يعظمونها نهاية التعظيم وحينئذ كان يلزم التسوية بينها وبين الخالق سبحانه وتعالى في التعظيم فمن هاهنا صاروا مستوجبين للذم والملام اما قوله ضعف الطالب والمطلوب فيه قولان احدهما المراد منه الصنم والذباب والصنم كالطالب من حيث انه لو طلب ان يخلقه او يستعيد منه ما استلبه لعجز عنه والذباب بمنزلة المطلوب الثاني ان الطالب من عبد الصنم والمطلوب الصنم او عبادها وهذا اقرب لان كون الصنم طالبا ليس له حقيقة بل هو على سبيل التقدير اما هاهنا فعلى سبيل التحقيق لكن المجاز فيه حاصل لان الوثن لا يصح ان يكون ضعيفا لان الضعف لا يجوز الا على من يصح ان يقوى وههنا وجه ثالث وهو ان يكون معنى قوله ضعف لا من حيث القوة لكن لظهور فرق هذا المذهب كما يقال للمرعوف ما اضعفه هذا المذهب وما اضعف هذا الوجه اما قوله وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق تعظيمه حيث جعلوا هذه الاصنام على نهاية حساستها شركاء له في المعبودية وهذه الكلمة مفسرة في سورة الانعام فهو قوي لا يعذر عليه تعالى شيء عزيز لا يقدر احد على مغالبته فاي حاجة الى القول بالتكرير قال الكلبي في هذه الآية وفي نظيرها في سورة الانعام انها نزلت في جماعة من اليهود مالك بن الصيف وكعب بن الاشرف وغيرهما حيث قالوا ان الله سبحانه لما فرغ من خلق السموات والارض اعيا من خلقها فاستلقى واستراح ووضع احدى رجليه على الاخرى فنزلت هذه الآية وما مسنا من لغوب واعلم ان متشابهات هذه الشبهات هو القول بالتشبيه فيجب تنزيه الله عن مشابهة سايرالذات خلافا لما يقوله المشبهة وتنزيه صفاته عن مشابهة سايرالصفات خلافا لما يقوله الكراهية وتنزيه افعاله عن سايرالافعال اعني في العرض والدواعي واستحقاق المدح والذم خلافا لما يقوله المعتزلة قال الامام ابو القاسم الانصاري جبار ابعث عزيز الصفات فلا وهام لا تصوره والافكار لا تقدره والعقول لا تمثله والالسنة لا تدركه والجهات لا تحويه ولا حده صمدي الذات سرمدي الصفات والله اعلم **قوله تعالى** الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور اعلم انه سبحانه لما تدرع بما يتعلق بالالهيات ذكر هاهنا ما يتعلق بالنبوات قال الوليد بن المغيرة انزل عليه الذكر من بيننا فانزل الله هذه الآية

قال مقاتل هاهنا سوالات السوال الاول كلمة من للتبعيض فقوله الله
يصطفي من الملايكة رسلا يقتضي ان يكون الرسل بعضهم لا كلهم وقوله
جاعل الملايكة رسلا يقتضي كونهم كلهم رسلا فوقع التناقض والجواب جاز ان يكون
المذكور هاهنا من كان رسولا الى بني ادم وهم اكابر الملايكة كجبريل وميكايل
واسرافيل وعزرايل والحفظة صلوات الله عليهم واما كل الملايكة
فبعضهم رسل الى البعض فزال الاعتراض السوال الثاني قال في
سورة الزمر لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشا فدل على
ان الله ولده يجب ان يكون مصطفى وهذه الاية دلت على ان بعض الملايكة وبعض الناس
من المصطفين فلزم بمجموع الايتين اثبات الولد الجواب قوله لو اراد
الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشا يدل على ان كل ولد مصطفى ولا يدل
على ان كل مصطفى ولد ولا يلزم من دلالة هذه الاية على وجود مصطفى كونه
ولدا وفي هذه الاية وجه اخر وهو ان المراد تبكيت من عبد غير الله من
الملايكة كان الله ابطل في الاية الاولى قول عبدة الاوثان وفي هذه
الاية قول عبدة الملايكة فبين ان الله اصطفاهم لمكان عبادتهم وكانه
تعالى بين انهم ما قدروا الله حق قدره اذ جعلوا الملايكة معبودين مع الله
ثم بين سبحانه بقوله ان الله سميع بصير انه يسمع ما يقولون ويرى
ما يفعلون ولذلك اتبعه بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم فقال
بعضهم ما تقدم في الدنيا وما تاخر وقال اخرون ما بين ايديهم امر
الاخرة وما خلفهم امر الدنيا ثم اتبعه بقوله والى الله ترجع
الامور اشارة الى القدرة التامة والتفرد بالالهية والحكمة ومجموعهما يتضمن
نهاية الزجر عن الاقدام على المعصية قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم
وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ۝ وجاهدوا في الله حق
جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج
ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم من قبل وفي هذا ليكون
الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهدا على الناس فاقيموا
الصلاة واتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم
المولى ونعم النصير ۝ اعلم انه سبحانه وتعالى لما تكلم
في الالهيات ثم في النبوات اتبع الكلام بالشرايع وهو من اربعة اوجه

اولها

اولها تعيين المامور وثانيها اقسام المامور به وثالثها ذكر ما
يوجب قبول تلك الاوامر ورابعها تاكيد ذلك التكليف اما النوع
الاول وهو تعيين المامور فهو قوله يا ايها الذين امنوا وفيه قولان احدهما
المراد منه كل المكلفين سوا كان مومنا او كان كافرا لان التكليف بهذه الاشيا عام
في كل المكلفين ولا معنى لتخصيص المومنين بذلك والثاني المراد منه المومنون
فقط اما اولا فلان اللفظ صريح فيه واما ثانيا فقوله بعد ذلك
هو اجتباكم وقوله هو سماكم المسلمين وقوله لتكونوا شهدا على الناس كل ذلك لا
يليق الا بالمومنين اقصى ما في الباب ان يقال لما كان ذلك واجبا على الكل فاي
فايدة في تخصيص المومنين لكنا نقول تخصيصهم بالذكر لا يدل على نفي ذلك
عمن عداهم بل قد دلت هذه الاية على كونهم على التخصيص مامورين بهذه
الاشيا ودلت ساير الايات على كون الكل مامورين بها ويمكن ان يقال فايدة التخصيص
انه لما جا الخطاب العام مرة بعد اخرى ثم انه ما قبله الا المومنون
خصهم الله بهذا الخطاب ليكون ذلك كالتحريض لهم على المواظبة على ما قبلوه وكا
لتشريف لهم في ذلك الافراد والتخصيص اما النوع الثاني وهو المامور
به فقد ذكر الله امورا اربعة الاول الصلاة وهو المراد من قوله اركعوا واسجدوا
وذلك لان اشرف اركان الصلاة الركوع والسجود والصلاة هي المختصة بهذين
الركنين فكان ذكرهما جار مجرى ذكر الصلاة وذكر ابن عباس ان الناس
كانوا في اول اسلامهم يركعون ولا يسجدون حتى نزلت هذه الاية الثاني
قوله واعبدوا ربكم في ساير المامورات والمنهيات وثالثها افعلوا
الركوع والسجود وساير الطاعات على وجه العبادة ولانه لا يكفي ان يفعل فانه
ما لم يقصد عبادة الله تعالى لا ينتفع في اثواب الثواب ولذلك عطف هذه
الجملة على الركوع والسجود الرابع قوله وافعلوا الخير قال ابن عباس يريد
صلة الرحم ومكارم الاخلاق والوجه عندي في هذا الترتيب ان الصلاة نوع
من انواع العبادة وفعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن
التعظيم لامر الله والى الاحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل
فيه البر والمعروف والصدقة على الفقرا واحسن القول في الناس وكانه سبحانه
قال كلفتكم ما هو اعم منها وهو العبادة بل كلفتكم ما هو اعم من العبادة وهو
فعل الخير واما قوله لعلكم تفلحون معناه لكي تفلحوا والفلاح
الظفر بنعيم الاخرة وقال الامام ابو القسم الانصاري لعل كلمة الترجي

فان الانسان قلما يخلوا في آدا فرايضه من تقصير وليس هو على يقين من ان
الذي اتى به مقبول عند الله والعواقب ايضا مستوره وكل ميسر لما خلق
له الخامس قوله وجاهدوا في الله حق جهاده قال صاحب الكشاف في الله
اي في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا ومنه حق جهاده
وها هنا سوالات الاول ما وجه هذه الاضافه وكان القياس حق الجهاد
فيه او حق جهادكم كما قال وجاهدوا في الله حق جهاده الجواب الاضافه تكون
بادنى ملابسه فلما كان الجهاد مختصا من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله
صحت اضافته السوال الثاني ما هذا الجهاد الجواب فيه وجوه احدها انه
قال للكفار خاصه ومعنى حق جهاده انه لا يفعل الا عبادة لا رغبة
في الدنيا من حيث الاسم او الغنيمه الثاني ان تجاهدوا اخرا كما تجاهدوا
اولا فقد كان جهادهم في الاول اقوى وكانوا فيه اثبت نحو صنيعهم يوم
بدر روي عن عمر انه قال لعبد الرحمن بن عوف اما علمت انا كنا نقرا
وجاهدوا في الله حق جهاده في اخر الزمان كما جاهدتم في اوله
فقال عبد الرحمن ومتى ذلك يا امير المومنين قال اذا كانت بنوا امية الامرا وبنوا
المغيرة الوزرا واعلم انه يبعد ان يكون هذه الزياده من القران والا
ليقل كما يقل نظايره ولعله ان صح ذلك عن الرسول فانه قاله كالتفسير
للاية وروي عن ابن عباس انه قرا وجاهدوا في الله حق جهاده كما جاهدتم
اول مرة فقال عمر رضي الله عنه من الذي امر بجهاده قال قبيلتان من قريش مخزوم
وعبد شمس والثالث قال ابن عباس في حق جهاده لا تخافوا في الله لومة
لايم والرابع قال الضحاك اعملوا في الله حق عمله الخامس استفرغوا
ما في وسعكم في احياء دين الله واقامة حقوقه بالحرب واليد واللسان وجميع
ما يمكن وردوا انفسكم عن الهوى والميل السادس قال عبد الله بن
المبارك حق جهاده مجاهدة النفس والهوى ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والاولى ان يحمل ذلك
على كل التكاليف وكل ما امر به ونهى عنه والمحافظة عليه جهاد السوال
الثالث هل يصح ما نقل عن مقاتل والكلبي ان هذه الاية منسوخه بقوله
فاتقوا الله ما استطعتم كما ان قوله واتقوا الله حق تقاته منسوخ بذلك
الجواب هذا بعيد لان التكليف مشروط بالقدره كقوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها فكيف يقول الله وجاهدوا في الله على وجه لا يقدرون عليه

وكيف

وكيف وقد كان الجهاد في الاول مضيقا حتى لا يصح ان يفر الواحد من عشره ثم
خففه الله تعالى بقوله الان خفف الله عنكم افيجوز مع ذلك ان يوجبه على
وجه لا يطاق حتى يقال انه منسوخ النوع الثالث بيان ما يوجب هذه الاوامر
وهي ثلاثه الاول قوله هو اجتباكم ومعناه ان التكليف تشريف من الله للعبد فلما
خصكم بهذا التكليف فقد خصكم باعظم التشريفات واختاركم لخدمته والاشتغال
بطاعته فاي رتبة اعلى من هذا واي سعادة فوق هذا ويحصل من اجتبايكم انه خصكم
بالهداية والمعونة والتيسير اما قوله ما جعل عليكم في الدين من حرج فهو
كالجواب عن سوال يذكر وهو ان التكليف وان كان تشريفا واجتبا لكنه شاق
شديد على النفس فاجاب الله عنه بقوله ما جعل عليكم في الدين من حرج مع
انه منعنا من الزنا والسرقه فقال ابن عباس ولكن الاصر الذي كان على بني
اسرايل وضع عنكم وها هنا سوالات الاول ما الحرج في اصل اللغه
الجواب روي عن ابن عباس انه قال لبعض هذيل ما تعدون الحرج
فيكم قال الضيق وعن عايشه سالت رسول الله عن ذلك فقال الضيق
السوال الثاني ما المراد من الحرج في الاية الجواب هو الاتيان بالرخص
فمن لم يستطع ان يصلي قايما فليصل جالسا ومن لم يستطع ذلك فليوم واباح للصايم
الفطر في السفر والقصر فيه وايضا فانه سبحانه لم يبتلي عبده بشي من الذنوب
الا وجعل له مخرجا منه بالتوبة او بالكفارة وعن ابن عمر انه ما جاته رخصه
فرغب عنها كلف يوم القيمة مثل بدر حتى يقضي بين الناس وعن الرسول عليه
السلام اذا اجتمع امران فاحبهما الى الله ايسرهما وعن كعب اعطي هذه الامة ثلثا
لم يعطهن الانبيا جعلهم شهدا على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال
لهم ادعوني استجب لكم السوال الثالث استدلت المعتزله بهذه الاية
في المنع من تكليف ما لا يطاق فقالوا لما خلق الكفر والمعصيه في الكافر والعاصي
ثم نهى عنه كان ذلك من اعظم الحرج وذلك محال بمقتضى تصريح هذا النص
الجواب لما امره بترك الكفر وترك الكفر يقتضي انقلاب علمه فقد
امر المكلف بقلب علم الله جهلا وذلك من اعظم الحرج ولما استوى القدمان
زال السوال الموجب الثاني لقبول التكليف قوله ملة ابيكم ابراهيم
هو سماكم المسلمين من قبل وفي نصب الملة وجهان وهو قول الفرا الوجهين
احدهما بمضمون ما تقدمها كانه قيل ويتبع دينكم توسعه ملة ابيكم ثم
حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه والثاني ان يكون منصوبا على المدح

والتعظيم اي اعني بالدين ملة ابيكم ابراهيم واعلم ان المقصود من ذكره
التنبيه على ان هذه التكاليف والشرايع هي شريعة ابراهيم والعرب كانوا
محبين لابراهيم عليه السلام لانهم من اولاده وكان التنبيه على ذلك كا
لتنبيه لصيرورتهم منقادين لقبول هذا الدين وهاهنا سوالات الاول
لم قال ملة ابيكم ويدخل في المومنين الذين كانوا في ايام الرسول من لم يكن من ولده
الجواب من وجهين احدهما لما كان اكثرهم من ولده كالرسول ورهطه وجميع
العرب جاز ذلك وثانيهما قال الحسن ان الله تعالى جعل حرمة ابراهيم عليه السلام
كحرمة الوالد على الولد ومنه قوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم فجعل
حرمته كحرمة الوالد على الولد وحرمة نسايه كحرمة الوالده على ما قال
وازواجه امهاتهم السوال الثاني هذا يقتضي ان يكون ملة محمد كملة ابراهيم
سوا فيكون الرسول ليس له شرع مخصوص ويوكده قوله تعالى واتبع ملة ابيكم
ابراهيم الجواب هذا الكلام انما وقع مع عبدة الاوثان فكانه تعالى قال
عبادة الله وترك عبادة الاوثان هي ملة ابيكم ابراهيم فاما تفاصيل الشرايع
فلا تعلق لها بهذا الموضع السوال الثالث ما معنى قوله هو سماكم المسلمين
من قبل الجواب فيه قولان احدهما ان الكناية راجعة الى ابراهيم عليه السلام
فان لكل نبي دعوة مستجابة وهو قول ابراهيم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن
ذريتنا امة مسلمة لك فاستجاب الله تعالى له فجعلها امة محمد وروي انه عليه
السلام اخبر بان الله سيبعث محمدا ملته وانه يسمي امته بالمسلمين والثاني
ان الكناية راجعة الى الله تعالى في قوله هو اجتباكم فروي عطا عن ابن عباس انه
قال ان الله سماكم المسلمين من قبل اي في كل الكتب وفي هذا اي في القران وهذا
الوجه اقرب لانه تعالى قال ليكون الرسول عليكم شهيدا وتكونوا شهدا على الناس
فبين انه سماهم بذلك لهذا الغرض وهذا لا يليق الا بالله ويدل عليه ايضا
قراة ابي بن كعب الله سماكم المسلمين من قبل والمعنى انه سبحانه في ساير الكتب
المتقدمة على القران وفي القران ايضا بين فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم
الاكرم لاجل الشهادة المذكورة فلما خصكم الله بهذه الكرامة فاعبدوه ولا تردوا
تكاليفه فهذا هو العلة الثالثة الموجبة لقبول التكاليف واما الكلام في
انه كيف يكون الرسول شهيدا على الناس فقد تقدم في سورة البقرة وبينا انه
احد ما يدل على ان الاجماع حجة النوع الرابع شرح ما يجري مجرى المؤكد
لما مضى فهو قوله واقيموا الصلاة واتوا الزكاة ويجب صرفها الى المفروضات

لانها

لانها هي المعهودة بدلايله العقلية والسمعية والطافه وعصمته قال ابن
عباس سلوا الله العصمة عن كل المحرمات وقال القفال اجعلوا الله عصمة لكم
تجدون هو مولاكم سيدكم والمتصرف فيكم فنعم المولى ونعم النصير
فكانه سبحانه قال انا مولاكم على انا ناصركم واعلم ان المعتزلة احتجوا بهذه
الاية من وجوه احدها ان قوله لتكونوا شهدا على الناس يدل على انه سبحانه
اراد الايمان على الكل لانه عليه السلام لا يجعل شهيدا على عباده الا من كان عبدا
مرضيا فاذا اراد ان يكونوا شهدا على الناس فقد اراد ان يكونوا جميعا صالحين عدولا
وقد علمنا ان منكم فاسق يدل على ذلك على ان الله اراد من الناس كونه عدلا وثانيها
قوله واعتصموا بالله وكيف يمكن الاعتصام به ان الشر لا يوخذ الا منه ثالثها
قوله فنعم المولى ونعم النصير لانه لو كان كما يقوله اهل السنة من انه خلق اكثر الخلق
فيهم الكفر والفساد ثم يعذبهم لما كان نعم المولى بل كان لا يوجد من شر الموالي
الى احد الا هو شر منه وكان يجب ان يوصف نعم الله ببيس المولى وذلك باطل
قال على انه سبحانه ما اراد من جميعهم الا الصلاح فان قيل لم لا يجوز ان يكون
نعم المولى للمومنين خاصة كما انه نعم النصير لهم خاصة فكذا الله مولى الكافرين
والمومنين جميعا فيجب ان يقال انه نعم المولى للمومنين وبيس المولى للكافرين
فان ارتكبوا ذلك فقد ردوا القران والاجماع وصرحوا بشتم الله تعالى وما نهى عنه
ورابعها قوله سماكم المسلمين من قبل يدل على اثبات الاشيا الشرعية
وانها من قبل الله تعالى لانها لو كانت لعلة لما اضيفت الى الله تعالى على
وجه الخصوص والجواب عن الاول قوله كونه تعالى مريدا لكونه شاهدا
يستلزم كونه مريدا لكونه عدلا فنقول ان كانت ارادة الشي مستلزمة
لارادة لوازمه فارادة الايمان من الكافر مستلزمة لارادة جهل الله تعالى
فيلزم كونه تعالى يريد الجهل لنفسه وان لم ذلك واجبا فقد سقط الكلام واما
قوله اعتصموا بالله فيقال هذا ايضا وارد عليكم فانه سبحانه خلق الشهوة في قلبك
الفاسق فاكدها وخلق المشتهي وقربه منه ورفع المانع ثم سلط عليه شياطين
الانس والجن وعلم انه لا محالة يقع في الفجور والضلال وفي الشاهد كل من فعل
ذلك فانه يكون سوء المولى فان صح قياس الغايب على الشاهد فهذا لازم عليك وان
بطل سقط كلامك بالكلية والله اعلم وقد تم تفسير سورة الحج بحمد الله وعونه
وتوفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

تفسير سورة المؤمنين مكية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون اعلم انه سبحانه وتعالى لما علم حصول الفلاح لمن كان مستحقا لصفات سبعة وقبل الخوض في شرح الصفات لابد من بحثين الاول ان قد تقيضة لما فقد ثبت التوقع ولما ولاشك ان المؤمنين كانوا متوقفين بهذه البشارة في الاجتناب بثبوت الفلاح فخوطبوا بما دل على بيان ما توقفوه البحث الثاني بالظفر بالمراد وقبل البقاء في الخير ولا فلح دخل في الفلاح كالبشير دخل في البشارة ويقال افلحه اذا صيره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول ومنه افلحوا على الثاني كلمني الراعيث او على الابهام والتفسير للصفة الاولى قوله الموتهم هم وقد تقدم القول في الايمان في سورة البقرة الصفة الثانية قوله الذين هم في صلاتهم خاشعون واختلفوا في الخشوع فمنهم من جعله من افعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من افعال الجوارح كالسكون والالتفات ومنهم من جمع بين الامرين وبين ان لا يكون ملتفت بالخاطر الى شيء من التعظيم ومما يتعلق بالجوارح ان يكون ساكنا ماطقا ناظرا الى موضع سجوده ومن المتروك ان لا يلتفت لا يمينا ولا شمالا ولكن الخضوع الذي يرى على الانسان ليس الا ما يتعلق بالجوارح فان ما يتعلق بالقلب لا يرى قال الحسن وابن سيرين كان المسلمون يرفعون ابصارهم الى السماء في صلاتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك قطاطا وكان لا يجاوز بصره مصلاه فان قيل قد تقولون ان ذلك واجب في الصلاة قلنا ان عندنا واجب ويدل عليه امور احدها قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وكذا قوله تعالى واقم الصلاة لذكري ورتل القرآن ترتيلا معناه تفهوا على عجايبه ومعانيه وثانيهما قوله تعالى واقم الصلاة لذكري وظاهر الامر الوجوب والغفلة تضاد الذكر وثالثها قوله تعالى ولا تكونوا من الغافلين وظاهره التحريم وقوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون

تعليل النهي السكران وهو مجرد في الغافل المستغرق في الدنيا ورابعها قوله صلى الله عليه وسلم سكن وتواضع وكلة انما للحصر قوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تنهى عن الفحشاء وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم حظه من قيامه التعب والنصب ولما اراد به الا العاقل وقال الصنابحي للمعيد من صلاته الا ما عقل وخامسها ما قال الغزالي رحمه الله المصلي يناجي ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه ان الانسان اذا ادى الزكاة حال الغفلة حصل المقصود منها على بعض الوجوه وهو كسر الحوص واغنا الفقر وكذا الصوم قاهر للقوى الذي هو عدو الله فلا يبعد ان يحصل منه مقصود مع الغفلة وكذا الحج افعاله شاقة وفيه من المجاهدة ما يحصل فيه الابتلاء والامتحان سواء كان القلب حاضرا او لم يكن اما الصلاة فليس فيها الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر فانه مناجاة مع الله تعالى واما ان يكون المقصود منه كونه مناجاة او المقصود مجرى الحروف والاصوات ولا شك في فساد هذا القسم فانه تحريك اللسان معبرا عما في القلب فاي سوال في قوله اهدنا الصراط المستقيم وكان القلب غافلا عنه فاي سوال في قوله بل اقول لو حلف انسان وقال والله لاشكون فلانا واثنين عليه واسئله حاجته ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه وهو حاصل في بياض النهار الا ان المتكلم غافل لكونه مستغرقا بالفكر من الافكار ولم يكن له قصد يوجب الخطاب اليه عند نطقه لم يصر فان في يمينه ولا شك ان المقصود من القرآن والاذكار والحمد والثنا والتضرع والدعاء والمناجاة هو الله تعالى فاذا كان القلب محجوبا بحجاب الغفلة وكان غافلا عن جلال الله وكبريايه ثم ان لسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد ذلك عن القبول واما الركوع والسجود فالمقصود منهما التعظيم ولو جاز ان يكون تعظيما لله مع انه غافل عنه لجاز ان يكون معظما للصنم الموضوع بين يديه وهو غافل عنه وكان اذا لم يحصل التعظيم لم يبق الا مجرد حركة لا تظهر وليس فيها من المشقة ما يصير لاجله عماد الدين وقاصما بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج والزكاة والجهاد وسائر الطاعات الشاقة ويجب القتل بسببه على الخصوص وبالجملة فكل عاقل يقطع

مان مشاهدة الخواص لسوا امرا لها الظاهرة الا انه يضاف اليها مقصود
المناجاة فدلت هذه الاعتبارات على ان الصلاة لابد فيها من الحضور وساذكر ما
ان الفقها مما يتوهم بالسلام غير الجماعة والانفراد هل هو الحضور ام الغيب معها
فاذا اجتمع احتيج الى التقدير في التكبير التي هي الاشيا المقصودة من الصلاة واحتج
المخالف بان اشتراط الحضور والخشوع على خلاف اجماع الفقها فلا يلتفت اليه
والجواب من وجوه الاول ان الحضور عندنا ليس شرط الاجر بل شرط القبول
والمراد من الاجر الايجاب القضا والمراد من القبول هم الثواب والفقها انما يحيدون
عن حكم الاجر الاعن حكم الثواب وعرضنا في هذا المقام هذا ومثاله في الشاهد
من استعار منك ثوبا ثم رده على الوجه الاحسن فقد خرج عن العهدة ومن
رماه اليد على وجه الاستخفاف خرج عن العهدة ولكنه يستحق الذم كذا من
اعظم الله تعالى حال اداية العبادة صار مقيما للفرض مستحقا للثواب
ومن استهان بها صار مقيما للفرض ظاهرا لكنه استحق الذم وثانيا انما
يجمع هذا الاجماع اما المتكلمون فقد اتفقوا على انه لابد من الخضوع والخشوع
واحتجوا عليه بان السجود لله طاعة وللصنم كفر وكل واحد منهما مثل الاخر
في ذاته ولوازمه فلابد من امر لاجله صار السجود في احدى الصورتين وفي
الاخرى معصية قالوا وما ذلك الا القصد والارادة والمراد من القصد
ايقاع تلك الافعال الداعية للامتثال وهذه الداعية لا يمكن حصولها الا عند
الحضور فلهذا اتفقوا على ان لابد من الحضور واما الفقها فذكر الفقيه ابو
الليث رحمه الله في تنبيه الغافلين ان تمام القراة ان يقرا بغير لحن وان يترا بالتفكر
واما الغزالي فانه نقل عن ابي طالب المكي عن بشر الحفي انه قال من لم يخشع
فسدت صلاته وعن الحسن كل صلاة غفل عنها القلب فهي الى العقوبة اسرع
وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله في الصلاة ولا صلاة له وروى
ايضا مسندا وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليصلي الصلاة وما كتب له سدسها
ولا عشرها انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل عنها وقال عبد الواحد بن زيد اجمعت
الامة على انه ليس للعبد من صلاته الا ما غفل عنها فادعى فيها الاجماع اذا ثبت
هذا فنقول ذهب اكثر الفقها باسرهم حكموا بالجواز فان بعض العلما اختار الامامة
في ذلك وقيل له في ذلك فقال اخاف ان تركت الفاتحة ان تحاتني الشافعي
وان قراتها مع الامام يعاتبني ابو حنيفة فاخترت الامامة طلبا للخلاص عن هذا
الاختلاف الصفة الثالثة قوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون في اللغو

في معنى السلام الذي هو
اخر الصلاة اولا يحتاج
الى التقدير م ؟ ؟

اقوال احدها انه يدخل فيه كل ما كان حراما او مكروها او كان مباحا وكما لا يكون
بالمرء اليه ضرورة وحاجة وثانيها انه عبارة عن المعصية في القول والكلام
خاصة وهذا اخص من الثاني ورابعها ان المباح الذي لا حاجة اليه واحتج
لهذا القول بقوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم فكيف يحمل ذلك على المعاصي
التي لا حد فيها من المواخذة واحتج الاولون بان اللغو انما يسمى لغوا لكونه حراما
فوجب ان يكون كل حرام لغوا اثم اللغو يكون كفرا كقوله لا تسمع لهذا
القران والغوا فيه وقد يكون كذبا كقوله لا يسمع فيها لاغية وقوله لا يسمعون
فيها لاغية لغوا ولاتا ثيما ثم انه سبحانه مدحهم بانهم يعرضون عن هذا
اللغو والاعراض عنه بان لا يفعل ولا يرضى به ولا يخالط من يأتيه وعلى
هذا الوجه قال الله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما واعلم انه سبحانه
لما وصفهم بالخشوع في الصلاة اتبعه بالوصف والاعراض عن اللغو
ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدا بنا
التكليف الصفة الرابعة قوله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون
وفي الزكاة قولان احدهما قول ابي مسلم ان فعل الزكاة يقع على كل فعل محمود
مرضي لقوله تعالى قد افلح من تزكى وقوله فلا تزكوا انفسكم ومن حملهم
ما يخرج من حق المال وانما يسمى به لكذا لانه يطهر من الوقوف لقوله تعالى
تطهرهم وتزكيهم بها والثاني وهو قول الاكثرين انه اسم الواجب في الاموال
خاصة وهذا هو الاقرب لان اللغة قد اختصت في الشرع بهذا المعنى
واذا قيل انه لا يقال في الكلام الفصيح انه فعل الزكاة قلنا قال صاحب
الكشاف الزكاة اسم مشترك من عين ومعنا بالعين القدر الذي يخرجه المزكي
من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي في ارادة
الله تعالى بجعل المزكين فاعلين له ولا يشرع فيه غيره كانه ما من مصدر الا
يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل يقال للضارب فاعل الضرب والقاتل
فاعل القتل والمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله يجوز ان يراد بالزكاة العين
ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء فان قيل ان الله تعالى لم يفصل هناك بين
الصلاة والزكاة فلم فصل هيهنا بينهما بقوله والذين هم لفروجهم حافظون والذين هم
عن اللغو معرضون لان ترك اللغو من الصلاة الصفة الخامسة قوله
تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم
غير ملومين وفيه سوالان السوال الاول لم لم يقل الا عن ازواجهم

الجواب قال الفراء وذكر صاحب الكشاف فيه ثلاثة أوجه احدها انه في موضع
الحال اي القائمين على ازواجهم او قوامين عليهم من قولك كان فلان على نائة
ونظره كان زياد على البصرة والباصلة او منه قولهم فلانة تحت فلان ومنه
سميت المرأة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا
حال تزويجهم او تسريهم وثانيها انه متعلق بمحذوف يدل عليه غير ملومين
كانه قيل يلامون على ازواجهم اي يلامون على كل مباشرة الا ما اطلق لهم فانهم
غير ملومين عليه وهو قول الزجاج وثالثها ان نجعله صلة لحافظين
من قولك احفظ علي عنانك في معنى امسك فيضمنه معنى البقي كانه قيل
الا ما فعلت بمعنى ملكت الا فعلك السؤال الثاني هلا قيل من
ملكت الجواب لانه اجتمع في السرية صفتان احدهما الانوثة وهي مظنة
نقصان العقل والاخر كونها تباع وتشترى كسائر السلع فلاجتماع هذين
الوصفين هنا جعلت كانها نوع من العقل السؤال الثالث ما الدليل
هذه الاية على تحريم المتعة على ما يروى عن القاسم بن محمد الجواب انهم
وجدوه انها ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له انما قلنا انها ليست زوجة له
لانها لا تتوارثان بالاجماع ولو كانت له زوجة لحصل التوارث لقوله تعالى
ولكم نصف ما ترك ازواجكم واذا ثبت انها ليست زوجة له وجب ان لا تحل له لقوله
تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم السؤال الرابع ليس الا يحل له
في الزوجة وملك اليمين الاستمتاع في احوال كحال الحيض وحال العدة وفي
الجملة حال تزوجها من الغير وحال عدتها وكذا الغلام داخل في ظاهر
قوله او ما ملكت ايمانكم والجواب من وجهين احدهما مذهب ابي حنيفة
رحمه الله ان الاستثناء من النفي لا يكون اثباتا واحتج عليه بقوله لا صلاة الا بطهور ولا نكاح
الا بولي فان ذلك لا يقتضي حصول الصلاة لمجرد حصول الطهور وحصول النكاح
لمجرد حصول الولي وفائدة الاستثناء صرف الحكم لا صرف المحكوم به فقوله والذين هم
لفروجهم حافظون الا على ازواجهم معناه انه يجب حفظ الزوج على الكل لا في
واحدة من الصورتين فاني ما ذكرت حكم الاباحة النفي او الاثبات الثاني ان
سلمنا ان الاستثناء من النفي اثبات بقاعدته انه عام دخله التخصيص بدليل
دليل فيبقى ما رواه حجة اما قوله اولئك هم العادون يعني الكاملون في
العدوان المتناهون الصفة السادسة قوله تعالى والذين هم
لاماناتهم وعهدهم راعون قرئ ابن كثير لاماناتهم واعلم انه ليس للمؤمن

عليه والمعاهد عليه اماناته وعهده وقوله تعالى ان الله يامركم ان تودوا
الامانات الى اهلها وقال تعالى وتخونوا اماناتكم وانما قرئ العيون لان الخائن
وخاف المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والعهد ما عقده على نفسه فيما
يعرفه الى ربه وينفع ايضا على امر الله كقوله ان الذين قالوا ان الله
عهد الينا والداعي القائم على الشيء يحفظه واصلاحه كداعي ومنه
قوله يقال من راعي هذا الشيء يريد وليه واعلم ان الامانة تتناول
كل ما تركه يكون داخلا في الخيانة وقد قال تعالى لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون في ذلك العبادات التي المرء مؤتمن عليها
وكل العبادات تدخل في ذلك لانها اما ان تخفى اصلا كالصوم وغسل
الجنابة واستيفاء الوضوء وكيفية اثباته بها وقال صلى الله عليه وسلم
اعظم الناس خيانة من لم يتم صلاته وعن ابن عباس آول ما تفقدون
من دينكم الامانة واخر ما يبقى الصلاة ومن جملة ذلك ما يلزمه بفعل
او قول فيلزمه الوفاء به كالودايع والعقد وما يتصل بها ومن ذلك
ان يراعي اماناته فلا يفسدها بغصب وغيره واما العهد فانه يدخل
فيه العقود والايمان والنذور فبين سبحانه ان مراعاة هذه الامور
والقيام بها معتبر في حصول الفلاح الصفة السابعة قوله تعالى
والذين هم على صلواتهم يحافظون وانما اعاد ذكره لان الخشوع والمحافظة
امران متغايران غير متلازمين فاذن الخشوع صفة المصلي في حال
ادائه الصلاة والمحافظة انما تصح حال ما لم يردها بكمالها كالمراد
بالمحافظة بعد شروطها من وقت وطهارة وغيرها والقيام بها وانما مهما حتى يكون ذلك دابه في كل وقت ثم لما ذكر الله تعالى مجموع
هذه الامور قال اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
وههنا سؤالات السؤال الاول لم سمي ما يجدونه من
الثواب والجنة بالميراث مع انه سبحانه حكم بان الجنة حقهم في قوله ان
الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والجواب
من وجوه احدها ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ابين
ما يقال فيه وهو انه لا يكلف الا عد الله في النار ما يستحقه ان عصى
وفي الجنة ما يستحقه ان اطاع وجعل لذلك علامة فاذا امن منهم
البعض ولم يؤمن البعض صار منزلا من لم يؤمن كالمنقول الى المؤمنين

وصار مصيرهم الى النار كافر معنا من حرمان الثواب سمي ذلك
ميراثا لهذا الوجه وقد قال الفقها انه لا فرق بين ما ملكه الميت
وبين ما يقدر فيه الملك في انه يورث عنه كذلك قالوا في الدية
التي انما تجب بالقتل انها تورث مع ان ما نالها على التحقيق
وذلك يشهد لما ذكرنا فان قيل انه تعالى وصف كل الذي
يستحقون ارثا وعلى ما قلتم ان يدخل في الارث ما كان
يستحقه غيرهم لو اطاعه قلنا لا يمتنع انه تعالى جعل ما لهذا
المومن بعينه منزلة لذلك الكافر لو اطاع لانه عند ذلك كان
لابد في المنازل فاذا امن هذا عدل بذلك اليه وثانيها انتقال
الجنة اليهم من غير محاسبة ومعرفة مقادير تثبت انتقال المال الى الوارث
وثالثها ان الجنة كانت مسكن ابينا ادم عليه السلام فاذا انتقلت الى
اولاده كان ذلك تشبيها بالميراث **السوال الثاني** كيف حكم
على المومنين بالصفات السبعة بالفلاح مع انه تعالى ما قسم ذكر العبادات
الواجبة كالصوم والحج والطهارة **والجواب** انه قوله والذين هم لاماناتهم
ياتي على جميع الواجبات من الافعال والتروك كما قدمنا والطهارة داخلة
في جملة المحافظة على الصلوات لكونها من شرايطها **السوال الثالث**
ظاهر قوله اوليك هم الوارثون يدل على ان غيرهم لا يرث الجنة **والجواب**
قوله اوليك هم الوارثون يفيد الحصر لكنه يجب ترك العمل به لانه ثبت ان
الجنة يدخلها الاطفال والمجانين والولدان والحور ويدخلها الفساق من
اهل القبلة بعد العفو لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا **السوال**
الرابع او كل الجنة هو الفردوس **الجواب** الفردوس هو الجنة بلسان
الحبشة وقيل بلسان الروم وروى ابو موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الفردوس مقصورة الرحمن فيها الانهار والاشجار وروى ابن امامة عنه صلى
الله عليه وسلم قال سلوا الله الفردوس فانها سرة الجنة وان اهل الفردوس
يسمعون اطيط العرش **السوال الخامس** هل تدل هذه الاية على ان هذه
الصفات التي هي لها ولاجلها ويكونوا مومنين **الجواب** ادعى القاضي
ان الامر كذلك بنا على مذهبه ان الايمان اسم شرعي موضوع لاداء كل الواجبات
وعنده ان الاية لا تدل على ذلك لان قوله قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم
خاشعون يعني قد افلح الناس الازكيا العدول فان هذا لا يدل على ان الزكا والعدالة

داخلان في مسمى الايمان فكذا هنا **السوال السادس** يروى انه صلى الله عليه وسلم
قال لما خلق الله ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس طوبى بيده ثم قال تكلمي قالت
قد افلح المومنون وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال اذا احسن العبد الوضوء وصلى
الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما
حفظتني وتشفع لصاحبها واذا لم يحافظ عليها قالت ضيعك الله كما ضيعتني
وتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها **الجواب** اما كلام الجنة
فالمراد به انها اعدت للمتقين فصار ذلك كالقول منها وهو قوله تعالى قالتا اتينا
طايعين واما انه تعالى خلق الجنة بيده فالمراد تولي خلقها لا انه وكله الى غيره واما
ان الصلاة تثني على من قام بحقها فهو في الجواز ابعد من كلام الجنة لان الصلاة
حركات وسكنات ولا يصح عليها تصور وتكلم فالمراد منه ضرب المثل كما يقول
القايل المنعم الى احسانك اي ينطق بالشكر **السوال السابع** هل تدل الاية
على ان الفردوس مخلوقة **الجواب** قال القاضي دل قوله تعالى اكلها دايم على
انها غير مخلوقة فوجب ان يكون تاويل هذه الاية كان قال اذا كان يوم القيامة يخلق
الجنة ميراثا للمومنين ام اذا خلقها تقول لست على مثال ما تاولها عليه قوله تعالى
ونادى اصحاب الجنة وهذا ضعيف لانه ليس اضمار وما ذكره في هذه الاية اولى من ان
يضمر في قوله اكلها دايم يوم القيامة واذا تعارض هذا ان الظاهر ان يجوز ان يتمسك في ان
الجنة مخلوقة بقوله تعالى اعدت للمتقين **قوله تعالى** ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة
فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه
خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين اعلم انه سبحانه لما امر بالعبادات في
الاية المتقدمة والاشتغال بالله لا يصح الا بعد معرفة الله لا جرم عقبها بذكر
ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية فذكر من الدلايل انواعا
النوع الاول الاستدلال بتقلب الانسان في ادوار الخلقة
واكدار الفطرة وهي تسعة المرتبة الاولى قوله سبحانه وتعالى ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين والسلالة الخالصة لانها تسل من بين الكدر ورفعناه
ما العلة كالعلامة والغمامة واختلف اهل التفسير في الانسان فقال ابن عباس وعكرمة
وقتادة ومقاتل المراد منه ادم عليه السلام استل من الطين وخلقت ذريته من ماء
ثم خلقنا الكناية راجعة الى الانسان الذي هو من ولد ادم والطين ههنا اسم ادم
عليه السلام والسلالة هي الاجزا الطينية المبثوثة في اعضايه اي لما اجتمعت وحصلت

جنات عدن قال لها تكلمي
فقالت قد افلح المومنون وقال
كعب الاحبار خلق الله صح

في اوعية المني صارت منيا وهذا التفسير مطابق لقوله تعالى وبدا خلق الانسان
من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وفيه اخر وهو ان الانسان انما يولد من
النطفة وهي ايضا تتولد من فضل العظم الرابع وذلك انما يتولد من الاغذية
وهي اما حيوانية او نباتية والحيوانية تنتهي الى النبت والنبات انما يتولد من صفو
الارض والماء الانس في الحقيقة يكون متولدا وادوار الفطرة صارت
وهذا التاويل مطابق للفظ ولا يحتاج فيه الى تكليف المرتبة الثانية
قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ومعنا جعل الانسان نطفة في اصلاب الابا يقذفه
الصلب بالجماع الى رحم المراة فصار الرحم قرارا مكينا لهذه النطفة والمراد بالقرار
موضع القرار وهو المستقر فسماه بالمصدر ثم وصف الرحم بالمكانة التي صفة المستقر
فيها كقولك طريق سائر لانها مكنت بحيث هي واحد رب المرتبة الثالثة قوله ثم
خلقنا النطفة علقة اي حولنا النطفة عن صفاتها الى صفات العلقة وهي الدم الجامد
المرتبة الرابعة قوله ثم فخلقنا العلقة مضغة اي جعلنا ذلك الدم الجامد مضغة
اي قطعة لحم كانها مقدار ما يمضغ كالعرق وما يعترف ويسمى التحويل خلقا لمعاطاته
سبحانه يخلق فيها اجزا زايدة المرتبة الخامسة قوله فخلقنا المضغة عظاما
اي صيرناها كذلك وقرى ابن عامر عظما والمراد منه الجمع كقوله والملك صفا
المرتبة السادسة قوله فكسونا العظام لحما وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله
كالكسوة المرتبة السابعة قوله ثم انشاناه خلقا اخر اي خلقا متباينا للخلق الاول
مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان
اصم وبصيرا وكان اعمى وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل من اعضايه وكل جزء
من اجزايه عجايب فطره وغرايب حكمه لا يحيط وصفها وصف الواصفين وشرح الشارحين
وروى العوفي عن ابن عباس قال هو تصريف الله اياه بعد الولادة في احواله من الطفولة
وما بعدها الى استوا الشباب وخلق الفهم والعقل وما بعده الى ان يموت ودليل هذا
القول انه عقبه بقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون وهذا المعنى مروي ايضا عن مجاهد وعن
عمرو انما قال انشاه كان جعل انشاه واتمام خلقه انشاله قالوا في الاية دلالة
على بطلان قول النظام في ان الانسان هو الروح لا البدن فانه سبحانه بين ان الانسان هو
المركب من الانس هذه الاشيا وفيها دلالة ايضا على بطلان قول الفلاسفة الذين يقولون
ان الانس شي لا ينضم فانه ليس بجسم اما قوله فتبارك الله اي فتعالى الله لان البركة
يجعل معناها الى الامتداد والزيادة كل ما زاد على الشي فقد علاه ويجوز ان يكون المعنى
البركات والخيرات كلها من الله تعالى وهو المستحق للتعظيم والثنا وقوله احسن

الخالقين اي احسن المقدرين بتقدير فترك ذكر التمييز لدلالة الخالقين عليه وههنا
مسايل المسيلة الاولى قالت المعتزلة لولا ان غير الله قد يكون خالقا لما جاز القول
بانه احسن الخالقين كما لو لم يكن في عباده من يحكم ويرحم لم يجز ان يقول فيه احكم الحاكمين
وارحم الراحمين والخلق في اللغة كل فعل وحدث فاعله مقدر الا على سهو وغفلة
والعباد قد يفعلون ذلك على هذا الوجه قال الكعبي هذه الاية وان دلت على ان
العبد خالق الا ان اسم الخالق لا يطلق على العبد الا مع الفعل كما انه يجوز ان يقال
رب الدار ولا يقال رب ولا يقول العبد لسيده هذا ربي ولا يقال له وانما قال الله
تعالى ذلك لانه وصف عيسى عليه السلام بانه يخلق من الطين كهيئة الطير لانا نبحث
عنه من وجهين احدهما ان ظاهر الاية يقتضي انه سبحانه الخالقين الذين هم جمع
بحملهم عيسى على خاصة لا يصح الثاني انه اذا صح وصف عيسى بانه يخلق صح بان
غيره سبحانه يخلق وايضا وصف غيره من المصورين بانه يخلق واجاب
اصحابنا بان هذه الاية معارضة بقوله الله خالق كل شي فوجب حمل هذه الاية
على ان احسن الخالقين في اعتقادكم وظنكم كقوله وهو اهون عليه والجواب الثاني
وهو ان الخالق هو المقدر لان الخلق هو التقدير فالاية تدل على انه سبحانه احسن
المقدرين والتقدير يرجع معناه الى الظن والحسبان وذلك في حق الله تعالى محال
فتكون الاية من المثابة والجواب الثالث ان الاية تقتضي العبد خالقا بمعنى
كونه مقدرا لكن لم قلتم انه خالق بمعنى كونه موجدا المسيلة الثانية الاية
تدل على ان كل ما خلقه الله حسن وحكمة وصواب والا لما جاز وصفه بانه
احسن الخالقين واذا كان كذلك وجب ان لا يكون خالقا للكفر والمعصية
فوجب ان يكون العبد هو الموجد لها والجواب من الناس من حمل الحسن على
الاحكام والاتقان في التركيب والتاليف ثم لو حملناه على ما قالوا انه الحسن من
الله كل الاشيا لانه ليس فوقه امر ونهي حتى يكون ذلك مانعا عن فعل شي المسيلة الثالثة
روى الكلبي عن ابن عباس ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب هذه الايات لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله خلقا اخر عجب من ذلك فقال تبارك الله احسن
الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبها كذا نزلت فشك عبد الله فقال
ان كان محمد صادقا فيما يقول فانه يوحى الي كما يوحى اليه وان كان كاذبا فلا خير
في دينه فهرب الى مكة فقيل انه مات على الكفر وقيل انه اسلم يوم الفتح وروى سعيد
ابن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية قال عمر بن الخطاب فتبارك الله
احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزل يا عمر وكان عمر يقول

ازواجا

وافقني ربي في اربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن ان يبدله
خيرا منكن والرابع قوله فتبارك الله احسن الخالقين قال العارفون هذه الواقعة كانت
سببا لسعادة عمر وسببا لشقاوة عبد الله كما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به
كثيرا فان قيل فعلى كل الروايات فقد تكلم البشر ابتدا بنظم القران
وذلك يقدح في كونه معجزا كما ظنه عبد الله والجواب هذا غير مستبعد اذا كان
قدره القدر الذي لا يظهر الاعجاز فيه فسقطت شبهة عبد الله المرتبة الثامنة
قوله ثم انكم بعد ذلك لميتون قرى ابن عسلة وابن محصن لمايتون والفرق بين
الميت والمايت ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المايت يدل على الحدوث تقول زيد
مايت الان ومايت غدا كقولك يموت ونحوها ضمير وضايق في قوله وضايق به صدرك
المرتبة التاسعة قوله تعالى ثم انكم يوم القيامة تبعثون كانه سبحانه جعل الاماتة
التي هي اعدام الحياة والبعث الذي هو اعادة ما لقيه ويقدمه دليلين على اقتدار
عظيم بعد الانشا والاختراع وههنا سوالات السوال الاول
ما الحكمة في الموت وهل الاوصل نعيم الاخرة وثوابها بنعيم الدنيا فيكون ذلك في الانعام
ابلغ والجواب هذا كالمفسرة في حق المكلفين لانه متى عجل المرء الثواب فيما يحمله
من المشاق في الطاعات فصار اتيانه بالطاعات لاجل تلك المنافع لا لاجل اطاعة الله
ومن ذلك انه لو قيل لمن يصلي ويصوم اذا فعلت ذلك ادخلناك الجنة في الحال
فانه لا ياتي بذلك الفعل الا لطلب الجنة فلا جرم اخره الله تعالى وابعده بالاماتة
وهو الاعادة فيكون العبد عابدا لطاعته لا لطلب الانتفاع السوال الثاني هذه الاية
تدل على نفي عذاب القبر لانه قال ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون
ولم يذكر من الامرين الاحيا في القبر والاماتة الجواب من وجهين الاول انه ليس في ذكر
الخلقتين ايقي الثالثة والثاني ان الغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثة الاحيا والاماتة
والاعادة والذي ترك ذكره فهو من حسن الاعادة النوع الثاني من الدلايل
الاستدلال بخلقه السموات وهو قوله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق
اي سبع سموات وانما قيل لها طرايق لتطارقها يعني بعضها فوق بعض يقال طارق الرجل
نعليه اذا اطبق نعلا على نعل وطارق بين ثوبين اذا لبس ثوبا على ثوب هذا قول الخليل
والزجاج والفرا قال الزجاج هو كقوله سبع سموات طباقا وقال علي بن عيسى سميت بذلك
لانها طرايق الملايكة في العروج والهبوط والطيران وقال اخرون لانها طرايق الكواكب
فيها مسيرها والوجه في انعامه علينا بذلك انه جعلها موضعا لارزاقنا فانزل الما
منها وجعلها مقرا للملايكة ولانها موضع الثواب ولانها مكان ارسال الانبيا ونزول الوحي

اما قوله وما كنا عن الخلق غافلين ففيه وجوه احدها ما كنا غافلين بل كنا للخلق
حافظين من ان تسقط عليهم الطرايق السبع فتهلكهم وقال قول سعيد
ابن عيينة وهو كقوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وثانيها انا
خلقناها فوقهم لتنزل عليهم الارزاق والبركات منها عن الحسن وثالثها انا خلقنا
هذه الاشيا ويدل خلقنا لها على كمال قدرتنا ثم بين كمال العلم بقوله وما كنا عن
الخلق غافلين يعني عن اعمالهم واحوالهم وضمايرهم وذلك يفيد نهاية الزجر
ورابعها وما كنا عن خلق السموات غافلين بل نحن لها حافظين من ان تسقط
عليهم الطرايق لئلا يخرج عن التقدير الذي اردنا كونها عليه كقوله تعالى ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت واعلم ان هذه الايات دالة على كثير من المسايل
احدها انها دالة على وجود الصانع فان انقلاب هذه الاجسام من صفة الى صفة
اخرى تضاد الاولى مع امكان بقايها على تلك الصفة تدل على انه لا بد من معين
وثانيها تدل على فساد القول بالطبيعة فان شيا من تلك الصفات لو
حصلت بالطبيعة لوجب بقاوها وعدم تغيرها ولو قلنا انها تغيرت تلك
الصفات لتغيرت تلك الطبيعة الى خالق وموجد ثالثها تدل على ان المريد
قادر عالم لان العاجز والجاهل لا يصدر عنه هذه الافعال العجيبة ورابعها تدل
على انه عالم بكل المعلومات قادر على كل الممكنات وخامسها تدل على جواز الحشر
والنشر نظرا الى صريح الاية ونظرا الى الفاعل لما كان قادرا على كل الممكنات
وعالما بكل المعلومات وجب ان يكون قادرا على اعادة التركيب الى تلك الاجزا كما كانت
وسادسها ان معرفة الله يجب ان تكون استدلالية والا لكان ذكر هذه الدلايل عبثا
النوع الثالث الاستدلال بنزول الامطار وكيفية تاثيرها في النبات
قوله تعالى وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون
فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون
وشجرة تخرج من طور سينا تنبت بالدهن وصبغ للاكلين اعلم ان الما ونفسه
نعمة وانه مع ذلك سبب لحصول النعم فلا جرم ذكره الله ولا ثم ذكر ما يحصل به من
النعم ثانيا اما قوله وانزلنا من السما ما فقد اختلفوا في السما فالاكثرون من
المفسرين انه تعالى ينزل الما في الحقيقة من السما وهو الظاهر من اللفظ ويؤكده
قوله وفي السما رزقكم وما توعدون وقال بعضهم المراد السحاب وسماه سما لعلوه
والمعنى ان الله تعالى صعد الاجزا الثمانية من قعر الارض ومن البحار الى السما
حتى صارت عذبة ولولا ذلك لم ينتفع بتلك المياه لتطرقها في قعر الارض ولا بما

البحار لملوحته وكان لا حيلة في اجرا مياه البحار على وجه الارض لان البحار
هي الغابة في العمق من قعر الارض واعلم ان هذه الوجوه انما علمها من سكن
الفاعل فاما من اقر به فلا حاجة به الى شي منها اما قوله تعالى بقدر معناه
بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة في الزرع والغرس والشرب
او بمقدار ما علمنا من حاجتهم ومصالحهم واما قوله فاسكناه في الارض
قيل جعلناه ثابتا في الارض قال ابن عباس انزل الله تعالى من الجنة
خمسة انهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات ونيل مصر فيرفعهما عند
خروج ياجوج وماجوج ويرفع ايضا القران اما قوله وانا على ذهاب به
لقادرون اي كما قدرنا على انزاله فكذلك نقدر على ان نرفعه وعلى ان نزيله
قال صاحب الكشاف قوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحد المفصل
والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه اخذ بكمال
اقتدار المذهب بانه لا تغير عليه شي وهو ابلغ في الانقياد من قوله قل
ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين ثم ان الله سبحانه لما نبه على
عظيم نعمته بخلق الماء ذكر بعده النعم الحاصلة من الماء فقال فانشانا لكم
به جنات من نخيل واعناب وانما ذكر النخيل والاعناب لكثرة منافعها فانهما
يقومان مقام الطعام ومقام الادام ومقام الفاكهة الرطبة واليابسة وقوله
ولكم فيها فواكه كثيرة اي في الجنان فكما ان فيها النخيل والاعناب فيها الفواكه الكثيرة
قوله ومنها تاكلون قال صاحب الكشاف يجوز ان يكون هذا من قولهم فلان
ياكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يعملها يعنون انها طعمته وجهته التي
يحصل منها رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم اما قوله
وشجرة فهو عطف على جنات وقريت مرفوعة على الابتدا اي ومما انشاناه لكم
شجرة قال صاحب الكشاف طور سينا وطين سينين لا يخلوا اما ان ينضاف
فيه الطور الى بقعة اسمها سينا وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من
مضاف ومضاف اليه كامرء القيس وبعلبك فمن اضافه بين كسر سينا فقد
منع الصرف وقيل بين مصر وايليه ومنه نودي موسى عليه السلام وقرى الاعمش
سينا على القصر اما قوله فتنبت بالدهن فهو في موضع الحال ما ينبت وفيها
الدهن كما يقال ركب الامير بجنده اي ومعه الجند وقرى تنبت وفيه وجهان
احدهما ان انبت بمعنى نبت قال زهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم
فطيبا لها حتى اذا نبت البقل والثاني ان فعله محذوف اي نبت زيتونا وفيه

الزيت قال المفسرون وانما اضافه الله الى هذا الجبل لان منها تشعب
في البلاد وانتشرت ولان هناك معظمها اما قوله وصبغ للاكلين الصبغ
والصباغ ما يصبغ به اي يصبغ بالخبز وجملة القول انه تعالى نبه على
احسانه بهذه الشجرة لانها تخرج هذه الثمرة التي يكثر بها الانتفاع وهي
طرية ومدخرة وبان تعتصر فيظهر الزيت منها ويعظم وجوه الانتفاع
به

النوع الرابع الاستدلال باحوال الحيوانات

قوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع
كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون اعلم انه سبحانه ذكر انواعا
وان فيها عبرة مجملا ثم اردفه بالتفصيل من اربعة وجوه احدها قوله
نسقيكم مما في بطونها والمراد جميع وجوه الانتفاع ووجوه الاعتبار فيه انها
تجمع في الضروع وتخلص من بين الفرث والدم باذن الله يستحيل الى طهارة
والى لون وطعم موافق الشهوة ويصير في الدنيا فهذه الاية التي يخرج
من بطونها الى ضروعها تجدها شرابا طيبا واذا ذبحتها لم تجد لها اثرا وذلك
يدل على عظيم قدرة الله تعالى قال صاحب الكشاف قرى تسقيكم
بتا مفتوحة اي تسقيكم الانعام وثانيها قوله ولكم فيها منافع اي
تتبعها المنافع الانتفاع باثمانها وما يجري مجرى ذلك وثالثها قوله
ومنها تاكلون يعني كما تنتفعون بها بعد الذبح ايضا بالاكل ورابعها قوله
وعليها وعلى الفلك تحملون لان وجه الانتفاع في الابل الحمولات على البر
بمنزلة الانتفاع في الفلك في البحر فلذلك جعل بين الوجه في انعامه لكي
يشكر على ذلك ويستدل به واعلم انه سبحانه لما بين دلايل التوحيد
اردفها بالقصص كما هو العادة في ساير السور

القصة الاولى وهي قصة نوح عليه السلام

قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا
تتقون قال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل
عليكم ولو شا الله لانزل ملايكة ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين ان هو الا رجل
به جنة فتربصوا به حتى حين نقل قوم ان نوحا كان اسمه يشكر ثم سمي نوحا
لوجوه احدها لكثرة ما ناح على نفسه حين دعى على قوم بالهلاك فاهلكهم
الله بالطوفان فندم على ذلك وثانيها لمراجعة ربه في شان ابنه
وثالثها انه مر بكلب مجذوم فقال له احسابا قبيح فعوتب على ذلك

فقال الله تعالى اعمتني اذ خلقته ام عميت الكلب وهذه الوجوه متكلفة لما
ثبت ان الاصلاح لا يفيد صفة في المسمى اما قوله ان اعبدوا الله فالمعنى
انه سبحانه ارسله بالدعا الى عبادة الله تعالى وحده وان يجوز ان يدعوهم
الى ذلك وقد دعاهم الى معرفته اولان عبادة من لا تكون معلوم غير
جايز وانما تجب بعد المعرفة اما قوله ما لكم من اله غيره فالمراد ان عبادة
غير الله اذ لا اله سواه ومن حق العبادة ان يحسن لمن انعم بالخلق والايجاد
وما بعدهما فاذا لم يصح ذلك الا منه فكيف يعبد ما لا يضر ولا ينفع وقرى
غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ ثم انه لما لم ينفع فيهم هذا الدعا
واستمروا على عبادة غير الله حذرهم بقوله افلا تتقون فان ذلك زجر
ووعيد بايقاع العقوبة ليصرفوا اعمالهم عليه ثم انه سبحانه حكى عنهم شبههم
في انكار نبوة نوح عليه السلام الشبهة الاولى قوله ما هذا الا بشر مثلكم
وهذه الشبهة تحتمل وجهين احدهما قولهم ما هذا الا بشر مثلكم ان يقال لما
كان ماثر الناس في القوة والفهم والعلى والغنى والفقر والصحة والمرض
امتنع كونه رسولا لله لان الرسول لا بد وان يكون معظما عند الله تعالى
وحبيبا له والحبيب لا بد وان يختص من غير الحبيب بمزيد الدرجة والعزة
فلما فقدت هذه الاشيا علمنا انتفا الرسالة والثاني ان يقال هذا الانسان
مبارك لكم في جميع الامور ولكنه احب الى الرياسة والمتبوعية فلم يجد اليها سبيلا
الا بادعا النبوة فصار ذلك شبهة لهم في القدح في نبوته وهذا الاحتمال
متوكد بقوله حكاية عنهم يريد ان يتفضل عليكم اي يريد ان يطلب الفضل عليكم
ويوليكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبريا في الارض الشبهة الثانية قوله
ولو شا الله لانزل ملايكة وشرحه ان الله تعالى لو شا ارسال البشر لوجب
ان يسلك الطريق الذي يكون اقرب ايضا الى المقصود ومعلوم ان بعثة
الملايكة ايضا الى المقصود من بعثة البشر لان الملايكة لعلو شانهم
وشدة سطوتهم وكثرة علومهم فالخلق منقادين ولا يشكون في رسالتهم
فلما لم يفعل ذلك علمنا ان ما ارسل رسولا الشبهة الثالثة قوله ما سمعنا بهذا
في ابايينا الاولين قوله بهذا الاشارة الى نوح عليه السلام او الى ما كلفهم به
من الحث على عبادة الله تعالى اي اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا
الذي يدعي انه بشر وهو رسول وشرح هذه الجملة انهم كانوا اقواما لا يقولون
في شي من هذا لاممهم مذاهبهم الا على التقليد والرجوع الى قول الابا فلما لم يجدوا

في نبوة نوح هذه الطريقة حكموا بفسادها قال القاضي يحتمل ان يريد بذلك كونه
رسولا مبعوثا لانه لا يمتنع فيما تقدم من زمان ابايهم انه كان زمان فترة
ويحتمل ان يريدوا بذلك دعاه الى عبادة الله وحده لان اباهم كانوا على عبادة
الاوثان الشبهة الرابعة قوله ان هو الا رجل به جنة والجنة الجنون
او الجن فان جهال القوم يقولون في الجنون زال عقله بعمل الجن وهذه
الشبهة من داب التزويج على العوام فانه عليه السلام كان يفعل افعالا
على خلاف عادتهم فاولئك الروسا كانوا يقولون للعوام انه مجنون ومن
كان كذلك مجنونا فكيف يجوز ان يكون رسولا الشبهة الخامسة قوله فتربصوا
به حتى حين وهذا يحتمل ان يكون متعلقا بما قبله اي انه مجنون فاصبروا الى زمان
حتى تظهر عاقبة امره بان افاق والا فاقتلوه ويحتمل ان يكون كلاما مستانفا
وهو ان يقولوا لقومهم اصبروا فانه ان كان نبيا حقا ينصره ويقوي امره فنحن
اذا نتبعه وان كان كاذبا فالله يخذله ويبطل امره فحينيذ نستريح منه
فهذه جملة الشبهة التي حكاها الله عنهم واعلم انه سبحانه ما ذكر
الجواب عنهم الركاكتها ووضوح فسادها وذلك لان كل عاقل يعلم ان الرسول
لا يصير رسولا لانه من جنس الملك وانما يصير كذلك بان يمتد من غيره
بالمعجزات سوا كان من جنس الملك او من جنس البشر فعند ظهور المعجزة
عليه وجب ان يكون رسولا بل جعل الرسول من جملة البشر فعند ظهور المعجزات
عليه وجب ان يكون اولى بما مر له في السورة المتقدمة وهو ان الجنسية مظنة
الالفة والموانسة واما قوله يريد ان يتفضل عليكم فان ارادته تظهر لاظهار
فضله حتى يلزمهم الانقياد لطاعته بهذا واجيب في الرسول بان ارادوا انه
يتوقع عليهم على سبيل التجبر والتكبر فالانبيا وان كانوا منزهين عن ذلك
واما قولهم ما سمعنا بهذا استدلال بعدم التقليد لا يدل على وجود الشي بعدمه
واما قولهم فتربصوا فضعيف لانه لو ظهرت الدلالات على نبوته وهي المعجزة وجب
عليهم قبول قوله في الحال ولا يجوز توقيف ذلك لان ظهور دولته لان الدولة لا تدل
على الحقيقة وان لم تظهر المعجزة لم يجز قبول قوله سوا ظهرت الدولة او لم تظهر
ولما كانت هذه الاجوبة في نهاية الظهور لا جرم توكدها تعالى بقوله تعالى
قال رب انصرني بما كذبون فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا
جا امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق
عليه القول ومن امنهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت

أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل
رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين
اما قوله تعالى بما كذبوت ففيه وجوه احدها ان نصرته اهلاكهم فكانه
قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي وثانيها انصرني بانجاز ما وعدتهم
من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم ولما اجاب الله دعاءه قال فاوحينا اليه ان اصنع الفلك
باعيننا اي بحفظنا وكلاءتنا كان معه حفاظا من الله يكلفونه بعيونهم
ليلا ينتقض له ويفسد عليه عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة
وهذه الاية دالة على فساد قول المشبهة في تمسكهم بقوله صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق ادم على صورته لان سبوت من ذلك واختلفوا في انه عليه السلام
كيف صنع الفلك فقيل انه كان نجارا وكان عالما بانجارها له وهذا هو الاظهر
لقوله باعيننا ووحينا اما قوله فاذا جاء امرنا فاعلم ان لفظة الامر
كما هو حقيقة في الامر الطلب للفعل على سبيل الاستدلال وكذا هو
حقيقة في الشان العظيم والدليل عليه انك اذا قلت هذا امر في
الدهر تسرع بين الحرفين المفهومين وذلك يدل على كونه حقيقة
فيهما وتمام تقريره مذكور في كتاب المحصول في الاصول ومن الناس من قال
انما سماه امرا على سبيل التعظيم والتفخيم مثل قوله تعالى فقال لها
وللارض ايتيا طوعا او كرها اما قوله وفار التنور والاكثرون انه
هو التنور المعروف انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء يفور من التنور
فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع التنور اخبرته امراته فركب
وقيل كان تنور ادم وكان من حجارة فصار الى حواء واختلف في مكانه فعن
الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل
السفينة في وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة
وقيل بالهند والقول الثاني ان التنور وجه الارض عن ابن عباس
والثالث انه اشرف موضع في الارض عن قتادة الرابع وفار التنور
اي طلع الفجر عن علي رضي الله عنه وقيل ان فوران التنور كان عند
طلوع الفجر والخامس هو مثل فور الحر حتى الوطب وقال ادركت انا المؤمنين
المحص من الارض الذي بسيل الى الجزيرة والقول الاول هو الصواب لان العدول
عن الحقيقة الى المجاز من غير دليل لا يجوز واعلم ان الله تعالى جعل فوران التنور

بكيفية ج

علامة لنوح عليه السلام حتى تركب عنده السفينة طلبا لنجاته ونجاة
من امن من قومه اما قوله فاسلك فيها اي فادخل فيها يقال
سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه من كل زوجين اثنين اي من كل
زوجين من الحيوان الذي يحضره في الوقت اثنين الذكر والانثى لكي لا ينقطع
نسل ذلك الحيوان وكل واحد منهما زوج كما تقول العامة ان الزوج اثنان
وروي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة
زوجين اي واثنين تاكيد وزيادة بيان اما قوله واهلك الا من سبق
عليه القول اي وادخل اهلك ولفظ على انما تستعمل في المضار قال تعالى
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت واعلم ان هذه الاية تدل على امرين
احدهما انه سبحانه امر بادخال سائر من امن به دون من يتصل به
نسبا او سببا وهذا ضعيف والا لما جاز استثناء قوله الا من سبق عليه
القول والثاني انه قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا يعني كنعان فانه
سبحانه لما اخبره باهلاكهم وجب ان ينهاه بان يسئله في بعضهم
لانه ان اجابه اليه فقد صير خبره الصادق كذبا وان لم يجبه اليه كان
ذلك تحقيرا لشان نوح عليه السلام فلذلك قال انهم مغرقون
قال ابن عباس كان في السفينة ثمانون انسانا نوح وامراته
سوى التي غرقت وثلاث بنين سام وحام ويافث وثلاث نسوة
لهم واثنان وسبعون انسانا فكل الخلايق نسل من كان في السفينة
اما قوله تعالى فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ففيه مسايل
المسيلة الاولى انما قال فقل ولم يقل فقولوا لان نوحا كان نبيا لهم
ولهم فكان مولانا لهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار
كبريا الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي
المسيلة الثانية قال قتادة علمكم الله ان تقولوا عند ركوب
السفينة بسم الله مجراها ومرساها وعند ركوب الدابة سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وعند النزول وقل رب انزلني منزلا
مباركا قال الانصاري وقال لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام وقل
رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق وقال واذا قرات
القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم كانه سبحانه امرهم ان يكلوا عن
ذكره وعن الاستغفار في جميع احوالهم عاقلين المسيلة الثالثة هذا

مبالغة عظيمة في صورتهم حيث اتبع اليمين عن الدعا لهم الامر بالحمل
على هلاكهم والنجاة منهم كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
العالمين وانما جعل تعالى استواهم على السفينة نجاة من الغرق لانه سبحانه
كان عرفهم بذلك انه ينجيه ومن معه فصح ان يقال نجا فا من حيث حصل
امننا بهذا الفعل ووصف قومه بانهم ظالمون لان الكفر ظلم منهم لانفسهم
لقوله ان الشرك لظلم عظيم ثم انه سبحانه بعد ان امره بالحمد على اهلاكهم
امره بان يدعو لنفسه فقال وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير
المنزلين قرئ منزلا بمعنى انزالا وموضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا
يرضونه واختلفوا في المنزل على قولين احدهما ان المراد هو نفس السفينة
فمن بركتها خلاصه مما جرى على قومه من الهلاك والثاني انه ينزله الله بعد خروجه
من السفينة منزلا من الارض مباركا والاول اقرب لانه امر بهذا الدعا في حال
استقراره في السفينة فيجب ان يكون المول ذلك دون غيره ثم بين سبحانه
بقوله وانت خير المنزلين ان الانزال في الامكنة قد يقع من غير الله
كما يقع من الله وانما كان انزاله سبحانه هو خير من انزال غيره لانه يحفظ
من انزاله في ساير احواله ويدفع عنه المكاره بحيث ما يقتضيه الحلم والحكمة
ثم بين سبحانه فيما ذكر من قصة نوح وقومه ايات ودلالات وعبر في
الدعا ان الايمان والزجر عن الكفر بان اظهر ذلك المياه العظيمة ثم
الاذهاب بما لا يقدر عليه الا القادر على كل المقدورات وظهور تلك الواقعة
على قوم نوح عليه السلام يدل على العجز العظيم وافنا الكفار وبقا الارض
لاهل الدين والطاعة من اعظم انواع القهر اما قوله تعالى وان كنا لمبتلين فيما
قيل وان نكون كالمبتلين من بعد وهذا هو الاقرب لكنه كالحقيقة في
الاستقبال واذا حمل على ذلك المثل وجوها احدها ان يكون المكلفين
في المستقبل اي فيجب فيمن كلفناه ان يعتبر بهذا الذي ذكرناه
وثانيها ان يكون المراد المعاقبين لمن سلك في تكذيب الانبيا مثل طريقة
قوم نوح وثالثها ان يكون المراد كما عاقب من كذب بالغرق وغيره
فقد يمتحن من لم يكذب على وجه المصلحة لا على وجه التعذيب
لكي لا يقدر على الغرق يجري على وجه واحد

القصة الثانية قصة هود وصالح عليهما السلام قوله تعالى

ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره افلا تتقون وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقا الاخرة واترفناهم
في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون
ولين اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا
وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل به جنة افترى على الله كذبا
وما نحن له بمومنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن
نادمين فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثا فبعدا للقوم الظالمين
اعلم ان هذه القصة هي قصة هود في قول ابن عباس واكثر المفسرين
واحتجوا عليه بحكاية الله تعالى قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد
قوم نوح ومجي قصة هود عقيب قصة نوح في سورة الاعراف وفي سورة
هود والشعرا وقال بعضهم المراد صالح وثمود لان قومه الذين الذين كذبوه
وهم الذين هلكوا بالصيحة اما الذين كيفية الدعوة فيما تقدم في سوره نوح
وههنا سوالات السوال الاول حق ارسل ان يتعدى بالى
كاخواته التي هي وجه وابعد وبعث فلما عدي بالى وبقي اخرى
لقوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية فارسلنا فيهم
رسولا اي في عاد وفي موضع اخر والى عاد اخاهم هودا والجواب
لم يعد بفي كما عدي بالى ولكن الامة والقرية جعلت موضعا
للارسال وعلى هذا المعنى جا بعث في قوله ولو شينا لبعثنا في كل
قرية نذيرا السوال الثاني هل يصح ما قال بعضهم ان قوله افلا
تتقون غير موصول بالاول وانما قال لهم بعد ان كذبوه وردوا
عليه بعد اقامة الحجة عليهم فعند ذلك قال لهم هود افلا تتقون
هذه الطريقة مخافة العذاب الذي انذركم به والجواب يجب ان
يكون موصولا بالكلام الاول اذ راهم معرضين عن عبادة الله
مشتغلين بعبادة الاوثان فدعاهم الى عبادة الله تعالى وحذرهم
من العذاب بسبب اقبالهم على عبادة الاوثان ثم اعلم ان الله تعالى
حكى صفات القوم ثم حكى كلامهم اما الصفات فثلاثة اولها
الكفر بالخالق ثانيها الكفر بيوم القيامة وهو المراد من قوله وكذبوا
بلقا الاخرة وثالثها الانغماس في حب الدنيا وشهواتها وهو المراد

وانرفناهم في الحياة الدنيا اي نعمناهم فان قيل ذكر الله قوم هود في جوابه
في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال اللاتين قومه انا لنراك في سفاهة
قالوا اما نراك الا بشرا مثلنا وههنا مع الواو فاي فرق بينهما قلنا الذي
يعبر واعلى تقدير سايل قال واما قوم هود فقيل انه كبت وكبت واما الذي
مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله فمعناه انه ما اجتمع في هذه الواقعة
هذا الكلام الحق وهذا الكلام الباطل واما شبهات القوم فشبهان الشبهة الاولى
قوله ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون وقد شرح هذه
الشبهة في القصة الاولى وقوله مما تشربون اي من مشروبكم او حذف منه لدلالة
ما قبله عليه وقوله ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون جعلوا اتباع الرسول
خسرانا ولم يجعلوا عبادة الاصنام خسرانا لكنكم اعطيتموه الطاعة من غير ان
يكون لكم باز ايها نفع وذلك هو الخسران وثانيها انهم طعنوا في صحة الحشر والنشر
ثم طعنوا في نبوته بسبب اتيانه بذلك اما الطعن في صحة الحشر فهو قولهم ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون معادون احياء للمجازاة ثم لم يقتصروا
على هذا القدر حتى قرنوا به الاستبعاد العظيم وهو قولهم هيهات هيهات
لما توعدون ثم اكدوا الشبهة بقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما
نحن ببعوثين ولما فرغوا من الطعن في صحة الحشر بنوا عليه الطعن في نبوته
فقالوا لما اوتي في هذا الباطل فقد افترى على الله كذبا ثم لما قدروا الشبهة الطاعنة
في نبوته قالوا وما نحن له بمومنين لان القوم كالتبع واعلم ان الله تعالى لما اجاب
عن هاتين الشبهتين لظنون فسادهما اما الشبهة الاولى فقد تقدم بيان ضعفها
واما الثانية فلانهم استبعدوا الحشر والنشر وعدم الحشر لوجهين الاول انه سبحانه
لما كان قادرا على كل المهمات عالما بكل المعلومات وجب ان يكون قادرا على الحشر
والنشر والثاني انه لولا الاعادة لكان تسلط القوي على الضعيف في الدنيا ظلما
وهو لا يليق بالحكيم علما قدره سبحانه في قوله ان الساعة آتية اكاد اخفيها وههنا
مسايل المسيلة الاولى من انكر للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثاني
بالظرف ومخرجون خبر عن الاول وفي قراة ابن مسعود ايعدكم انكم اذا متم المسيلة
الثانية ههيهات بالكسر والفتح كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ
الوقف المسيلة الثالثة هي في قوله ان هي الا حياتنا الدنيا ضمير لا يعلم ما يعني
بالايما قبلوه من بيانه واصله ان الحياة الدنيا الا حياتنا ثم وضع هي موضع
الخبر لان الخبر يدل عليه ومنه هي النفس ما حملتها تحمل والمعنى لا حياة الا

الاولى القصة الثالثة

هذه الحياة لان ان النافية دخلت في التي في معنى الحياة الدالة على الجنس
بنفيها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس ولبعلم ان ذلك الرسول
لما يئس من قبول الاكابر والاصاغر فزع الى ربه وقال رب انصرني بما كذبون
وقد تقدم تفسيره فاجابه الله عما سالك وقال عما قليل ليصبحن نادمين
والاقرب ان يكون المراد بان يظهر لهم علامات الهلاك فعند ذلك تحصل
لهم الحياة والندامة على ترك القبول ويكون الوقت وقت ايمان الناس فلا
ينتفعون بالندامة وبين تعالى الهلاك الذي انزل عليهم بقوله فاخذتهم
الصيحة بالحق وذكروا في الصيحة وجوها احدها ان جبريل عليه السلام
صاح بهم وكانت الصيحة عظيمة فماتوا عندها وثانيها الصيحة هي الرجفة
عن ابن عباس وثالثها الصيحة هي نفس العذاب والموت كما يقال قيمن يموت
دعي فاجاب عن الحسن ورابعها انه العذاب المصطلم قال الشاعر

صاح الزمان بال قومك صيحة حدو الشد تها على الاديان

والاول اولى لانه هو الحقيقة واما قوله هو بالحق اذا كان عادلا في قضائه
وقال المفصل بالحق اي بما لا مدفع له كقولك وجات سكرة الموت بالحق
واما قوله فجعلناهم غثاء والغثاء جمع السيل مما يلي ففيه مسلتان المسيلة
الاول قوله وسحقا وبعدا ونحوهما مصادر موضوعة مواضع افعالها
وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها
ومعنى بعدا اي هلكوا يقال بعد بعدا نحو رشد رشدا ورشد المسيلة
الثانية قوله بعدا بمنزلة اللغو الذي هو التبعيد من الخير والله تعالى
ذكر على وجه الاستخفاف والاهانة لهم وقد نزل بهم العذاب والا
قبل ذلك ان الذي ينزل بهم في الاخرة من البعد عن النعيم والثواب اعظم مما حل
بهم ليكون ذلك عبرة لمن بعدهم المسيلة الثالثة ثم انشانا من بعدهم قرونا
اخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون ثم ارسلنا رسلنا تترا كلما جاء امة
رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يومنون
اعلم انه تعالى ينص في العذاب تارة على التفصيل كما تقدم واخرى على سبيل
الاجمال كما ههنا وقيل المراد قصة لوط وشعيب ويوسف وايوب
صلوات الله عليهم اما قوله ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون ثم انشانا
من بعدهم قرونا اخرين فالمعنى انه ما اعلى الذكران من المكلفين انسالهم وبلغهم
حد التكليف حتى قالوا انقام من كان قبلهم في عمارة الدنيا اما قوله ما تسبق

من امة اجلها وما يستاخرون فيحتمل ان يكون الاجل هو اجل حياتها وتكليفها ويحتمل
اجل موتها وهلاكها وان كان الاظهر في الاجل اذا اطلق ان يراد به وقت الموت
ثم بين ان كل امة لها اجل مكتوبة في الحياة والموت لا تتقدم ولا تتاخر عنه بذلك
على انه عالم بالاشياء قبل كونها فلا توجد الا على وفق العالم ونظره قوله ان اجل
اسرافيل اذا جاء لا يوخر وههنا مسايل المسيلة الاولى قال اصحابنا هذه
الاية تدل على ان المقتول ميت باجله اذ لو قتل قبل اجله لكان قد تقدم الاجل
او تاخر وذلك ينافيه هذا النص المسيلة الثانية قال الكعبي المراد
من قوله ما تسبق من امة اجلها اي لا يتقدمون الوقت الذي وقت لعذابهم
ان لم يوسنوا ولا يستاخرون عنه ولا يستاصلهم الا اذا علم منهم انهم لا يزدادون
الا عنادا وانهم لا يكرمون موسى وانهم لا ينفع في بقائهم نفع لغيرهم ولا
ضرر على احد في هلاكهم وهو كقول نوح عليه السلام انك ان تذرهم يضلوا
عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اما قوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترا
فالمعنى انه كما اتبع بعضهم عن بعض ارسل اليهم الرسول على هذا الحد قرئ ابن
كثير تترى منونة والباقون بغير تنوين وهو اختيار اكثر اللغة لانها
فعلى من المواترة وهي المتابعة وفعلى لا ينون كالدعوى والتقوى والياء
بدل من الواو فانه ماخوذ من وهو قال الواحدي قري وهو على القراءتين
مصدر او اسم اقيم مقام الحال لان المعنى متواترة اما قوله كلما جاء امة رسولها
كذبوه فالمراد انهم سلكوا في تكذيب انبيائهم مسلك من تقدم ذكره ممن اهلكه الله
بالغرق والصيحة ولذلك قال فاتبعنا بعضهم بعضا بالاهلاك وجعلناهم احاديث
يمكن ان يكون المراد جمع الحديث ومنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انه
سبحانه بلغ في اهلاكهم مبلغا صاروا معه احاديث فلا يرى منهم عين ولا اثر ولم
يبق فيهم الا الحديث الذي يذكر ويعتبر به ويمكن ايضا ان يكون جمع احدوثة مثل
الاضحوكة والاعجوبة وما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا ثم قال فبعدا للقوم لا يوسنون
على وجه الدعاء للذم والتوبيخ وذلك يدل على انهم كانوا هلكوا عاجلا فهلا كهم بالتعذيب
اجلا على التاييد مزيف وذلك وعيد شديد

القصة الرابعة قصة موسى عليه السلام وقوله اعلم

ثم ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملايه
فاستكبروا وكانوا مجرمين فقالوا انومن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون
فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون اختلفوا في الايات

فقال ابن عباس الايات التسع هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع
والدم والبحر والسنين ونقص الثمرات وقال الحسن قوله باياتنا اي بدينا
واحتج بان المراد من الايات لو كان هو المعجزات والسلطان المبين ايضا
هو المعجز فحينئذ يلزم عطف الشئ على نفسه والاقرب هو الاول لان
لفظ الايات اذا ذكر في الرجل فالمراد منها المعجزات واما الذي احتجوا به
فالجواب عنه من وجوه احدها ان المراد بالسلطان المبين يجوز ان يكون
اشرف معجزاته وهو العصا لانها تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية
وتلقفها ما افكه السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها
وكونها حارسا ومنعة وشجرة مثمرة ودلو وررشا فلاجل استيلاء العصا
بهذه الفضايل افردت بالذكر لقوله وجبريل وميكائيل وثانيها يجوز ان يكون
المراد بالايات نفس تلك المعجزات وبالسلطان المبين كيفية دلالتها على نبوة
موسى عليه السلام وثالثها ان يكون المراد بالسلطان المبين استيلاء موسى
عليه السلام في الاستدلال على وجود الصانع اتيانه النبوة وانه كان لما
يقيم لهم ولا رزقا فاعلم ان الاية تدل على ان معجزات موسى كانت معجزات
هارون ايضا وان النبوة كما انها كانت مشتركة بينهما فكذلك المعجزات ثم انه
سبحانه حكى عن فرعون وقومه صفتهم ثم ذكر شبههم اما صفتهم فامران
احدهما الاستكبار والابية والثاني انهم كانوا قوما عالين اي رفيعي الحال في امور
الدنيا ويحتمل الاقتدار بالقوة واما شبههم وهي قولهم انومن لبشرين مثلنا
وقومهما لنا عابدون قال الكسائي لم كما قال انكم اذا مثلهم ولم يقل
امثالهم وقالوا كنتم خير امة ولم يقل اخيار امة دل ذلك كان الايجاد اجب الى العرب
من الاكثار والشبهة مبنية على امرين احدهما كونهما من البشر وقد تقدم الجواب
عنه والثاني ان قوم موسى وهرون كانوا خدم وعبيد لهم قال ابو عبيدة العرب
تسمي كل من دان له الملك عامر اله ويحتمل ان يقال ان كان يدعي الالهية فادعى
الناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة ثم بين سبحانه لما خطرت هذه
الشبهة ببالهم صرحوا بالتكذيب وهو المراد من قوله فكذبوهما ولما كان ذلك التكذيب
كالعلة لكونهم من المهلكين لاجرم رتب عليه بفا التعقيب فكانوا فيمن حكم عليه
بالغرق فان حصول الغرق لم يكن حاصلا عقيب التكذيب لنا الحاصل عقيب
التكذيب حكي الله تعالى لذلك في الوقت اللايق له اما قوله ولقد اتينا موسى
الكتاب لعلهم يهتدون فقال القاضي معناه انه سبحانه خص موسى بالكتاب الذي

اهلكه

عالين هم

لهم التوراة لا لذلك التكذيب لكن ليهتدوا به فلما اصروا على الكفر مع البيان العظيم
استحقوا ان يهلكوا واعترض صاحب الكشاف عليه فقال لا يجوز ان يرجع الضمير في
لعلهم الى فرعون وملايه لان التوراة انما اوتيت بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون
بدليل قوله ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى والكوفي قال
المعنى الصحيح ولقد اتينا موسى شرايعها ومواعظها فذكر موسى هنا الى موسى
كما يقال هاشم ويقصد والمراد منهم قومهم

القصة الخامسة قصة عيسى عليه السلام قوله تعالى

وجعلنا ابن مريم وامه اية واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين اعلم ان ابن مريم
هو عيسى عليه السلام جعله الله اية بان خلقه من غير ذكر وانطقه في المهد في الصغر
واجرى على يديه ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى وامه مريم فقد جعلها الله اية
لانها حملت من غير ذكر وقال الحسن تكلمت في صغرها كما تكلم عيسى وهو قوله من عند
الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ولم تلقم ثديا قط قال القاضي ان ثبت
ذلك فهو معجزة لزكريا عليه السلام لانها لم تكن بينه قلت القاضي انما قال ذلك
لان عنده الارهاص غير جايز وكرامات الاولياء غير جايزة وعندنا انها جايزان فلا حاجة
الى ما قاله والاقرب ان جعلها اية لنفس الولادة لانه ولد من غير ذكر وولدت من دون ذكر
واشتركا جميعا في هذا الامر العجيب الخارق للعادة والذي يدل على ان هذا التفسير
اولى وجهان احدهما انه تعالى قال وجعلنا ابن مريم وامه اية لان نفس الاعجاز ظهر فيهما
لانه ظهر على ايديهما وهذا اولى بان يحمل على الايات التي ظهرت على يديه نحو احياء الموتى وذلك
لان الولادة فيه وفيها اية ولذلك نطقا في المهد وما عدى ذلك من الايات ظهرت على يده
لا انه اية فيه وفيها اية والثاني انه تعالى قال اية ولم يقل ايتين وحمل هذا اللفظ على الامر
التي لا يتم الا طوعهما وذلك هو امر الولادة لا المعجزات التي كانت لعيسى عليه السلام اما
قوله تعالى واويناهما الى ربوة الربوة والرباوة في رائهما الحركات الثلاث وهي الارض المرتفعة
ثم قال قتادة وابي العالية هي اعلى دمشق وقال مقاتل والضحاك هي غوطة دمشق
والمقر المستقر من الارض مستوية منبسطة وعن احدهما انه مفعول لانه نظم وره
مدرك بالعين من عانه اذا ادركه بعينه وقال الفراء والزجاج ان شئت جعلته فعيلا
من الماعون ويكون اصله من المعين والماعون فاعول منه قال ابو العالية على وجه الارض
المنهل الذي ينتفع ولا يقتاض والماعون ما سهل على معطيه قالوا وسبب الامر
انها فرت بابنها عيسى الى الربوة وبقيت بها اثنتي عشرة سنة وانما ذهب بها ابن عمها يوسف
ثم رجعت الى اصلها بعد ما مات ملكهم وههنا اخر القصص قوله تعالى يا ايها

المراد م

كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة
واحدة وانا ربكم فاعبدون فتقطعوا امرهم بينهم كل حزب بما لديهم فرحون
فذرهم في غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع
لهم في الخيرات بل لا يشعرون اعلم ان ظاهر قوله يا ايها الرسل خطابا
مع كل الرسل وذلك غير ممكن لان الرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة
مختلفة وكيف يمكن توجه هذا الخطاب للنبي فلهذا الاشكال اختلفوا
في تاويله على وجوه احدها ان المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه يودي
هذا المعنى ووصوله ليعتقد السامع ان امرا يودي اليه جميع الرسل
ورضوا حقيق ان يرضى به ويعمل به وثانيها ان المراد نبينا صلى الله
عليه وسلم لانه ذكر ذلك بعد انقضاء اخبار الرسل وانما ذكر على صيغة
الجمع كما يقال لواحد ايها القوم كفوا عنا اذاكم ومثله قوله الذين قال لهم
الناس وهو نعيم بن مسعود كانه سبحانه لما خاطب محمدا صلى الله عليه
وسلم بذلك بين له ان الرسل باسرهم لو كانوا حاضرين مجتمعين لما خوطبوا
الا بذلك يعلم رسولنا ان هذا العمل لبس عليه فقط بل لازم على جميع الانبيا
وثالثها قول محمد بن جرير ان المراد عيسى عليه السلام لان انما ذكر بعد
ما ذكر فكانه المجامع للطعام والشراب ولانه روي في ان عيسى عليه السلام
كان ياكل من غزل امه والقول الاول اقرب لانه اوفق للفظ ولانه روي عن
ام عبد الله اخت شداد بن اوس انها بعثت الى رسول الله بقدح لبن بي شدة
الحر عند فطره وهو صايم فرده الرسول اليها وقال من اين لك هذا فقالت
من شاة لي فقال من اين هذه الشاة فقالت اشتريتها بمالي فاخذه ثم انها
جاءته فقالت يا رسول الله كرهت ردتي فقال صلى الله عليه وسلم امرت الرسل
الا ناكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا اما قوله تعالى من الطيبات ففيه وجهان
الاول انه الحلال فقيل طيبات الرزق حلال وصاف اقوام بالحلال الذي لا بعض
الله فيه والصافي الذي لم الله فيه والقوام الذي يمسك العين
ويحفظ العقل الثاني ان المستطاب المستلذ من المآكل والفواكه فبين
تعالى انه وان تفضل عليهم بالنبوة وبالذي يرجع القيام بحقها فهو
اباح لهم ياكل الطيبات كما اباح لغيرهم واعلم انه سبحانه كما قال للرسل
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات قال للمومنين يا ايها الذين امنوا كلوا
من طيبات ما رزقناكم واعلم ان تقديم قوله كلوا من الطيبات على قوله

واعملوا صالحا كالدلالة على ان العمل الصالح لابد وان يكون مسبوقا باكل الحلال فاما قوله
انى بما تعملون عليم فهو تحذير من مخالفته ما امرهم به واما قوله وان هذه امتكم امة
واحدة وانا ربكم فاتقون فقد ذكرنا تفسيره فى سورة الانبيا وفيه مسئلتان
المسئلة الاولى المعنى انه كما يجب اتفاقهم على اكل الحلال والاعمال الصالحة فكذلك
هم متفقون على الدين الواحد وعلى الانتهاء من معصية الله فان قيل
لم كانت شرايعهم مختلفة فكيف يكون دينهم واحدا قلنا المراد من الدين
ما لا يختلفون فيه من معرفة الله وذاته وصفاته اما الشرايع فلان
الاختلاف فيها يسمى اختلافا فى الدين فكما يقول فى الحايض والطاهر من
النسا ان دينهما واحد وان افترق تكليفهما فكذا ههنا ويدل على ذلك قوله
وانا ربكم فكانه نبه بذلك على ان دين الله فى الجميع واحد بما يتصل
بمعرفة الله واتقا معصيته فلا مدخل للشرايع وان اختلفت فى ذلك
المسئلة الثانية قرئ وان بالكسر على الاستيناف وان بمعنى وان
المخففة من المثقلة وربكم مرفوعة اما قوله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا
فالمعنى ان امم الانبيا عليهم السلام تقطعوا امرهم زبرا وفى قوله
تقطعوا معنى المبالغة فى شدة اختلافهم والمراد بامرهم ما يتصل
بالدين اما قوله زبرا فمعناه زبرا جمع زبر اى كتبا مختلفة يعنى
جعلوا دينهم اديانا قال الكلبى ومقاتل والضحاك يعنى مزقوا كتبهم
والمجوس واليهود والنصارى اما قوله كل حزب بما لديهم فرحون فمعناه
ان كل قوم منهم معتبط بما اتخذه دينا لنفسه معجبا به يروى انه الحق
الراجح وان غيره المبطل الخاسر ولما ذكر الله تعالى وهولا فى دينهم
اتبعه بالوعيد فقال فذرهم فى غمرتهم حتى حين الخطاب لنبينا صلى الله عليه
وسلم يقول فدع هولا الكفار فى غمرتهم والغمرة الما الذى يغمر القامة
فكان ما هم فيه من الجهل والحيرة صار غامرا سامرا عقولهم وعن على رضى الله عنه
فى غمراتهم حتى حين وذكروا فى الحين وجوها احدها احدها الى حين الموت
وثانيها الى حين القيامة وثالثها الى حين العقاب والعادة فى ذلك
فذكر الكلام والمراد به الحالة التى تعرف بها الحسرة والندامة وذلك يحصل
اذا عرفهم الله بطلان ما كانوا عليه وعرفهم سوء منقلبهم ويحصل ايضا
عند المحاسبة فى الاخرة ويحصل عند عذاب القبر والمسايلة فيجب ان يحمل
على كل ذلك ولما كان فى نعم عظيمة فى الدنيا جاز ان تلك النعم كانوا يعدونها

فبين تعالى ان الامر بخلاف ذلك فقال ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع
لهم فى الخيرات قرى نمدهم ونسارع ونسرع والفاعل هو الله تعالى وفى المعنى
وجهان احدهما ان هذا الامداد ليس الا ابتداء طاهم فى المعاصى واستجرارا
الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة فى الخيرات وبل استيناف كقوله
ايحسبون بل اشباه البهايم لا فطنة لهم ولا شعور حتى يتفكروا فى ذلك
هذا استدراج او مسارعة وهذه الاية كقوله ولا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم وروى عن زيد بن ميسرة اوحى الله تعالى الى نبى من الانبيا ايفرح
عبدى ان ابسط له الدنيا وابى ابعد له منى وجزع ان اقبض عنه الدنيا وهى
اقرب له منى ثم تلى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين وعن الحسن لما اتى
عمر رضى الله عنه بشوار كسرى فاخذه ووضعه فى يد سراقة فبلغ منكبه
فقال عمر اللهم انى قد علمت ان نبيك عليه السلام كان يجب ان يصيب مالا
ينفعه فى سبيلك فرويت ذلك عنه نظرا منى ان ابا بكر كان يجب ذلك اللهم
لا يكن ذلك منكرا ملكك ثم تلى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
الوجه الثانى وهو انه سبحانه انما اعطاهم هذه النعمة ليكونوا فارغين البال
متمكنين من الاشتغال بطلب الحق فلما اعرضوا عن الحق والحالة هذه كان
لوازم الحجة عليهم اقوى فلذلك قال الا يشعرون قوله تعالى ان الذين
هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يومنون والذين هم
بربهم لا يشركون والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون اعلم انه سبحانه وتعالى
لما ذم من تقدم ذكره بقوله ايحسبون انما نمدهم به ثم قال الا يشعرون بين بعده
صفات من يسارعون فى الخيرات بل لا يتعرون بذلك وهى اربعة الصفة
الاولى قوله تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون فالاشفاق
يتضمن الخشية مع زيادة رقة وضعف ومنهم من قال جمع بينهما للتاكيد
ومنهم من حمل الخشية على العقاب والحق الذين هم من عذاب ربهم مشفقون
وهو قول الكلبى ومقاتل ومنهم من حمل الاشفاق على اثره وهو الدوام فى الطاعة
والحيا الذين هم من خشية ربهم مشفقون دايمون على خشيته وطاعته
جادون فى طلب مرضاته والتحقيق ان من بلغ فى الطاعة الخشية الى حد
الاشفاق وهو كمال الخشية كان فى نهاية الخوف من سخط الله عاجلا ومن عقابه
اجلا فكان فى نهاية الخوف من الاحتراز عن المعاصى الصفة الثانية قوله تعالى

والذين هم بايات ربهم يومنون اعلم ان ايات الله هي المخلوقات الدالة على وجوده والايمان بها هو التصديق والتصديق بها ان كان بوجودها فذلك معلوم بالضرورة وصاحب هذا التصديق لا يستحق المدح وان كان بكونها ايات وطرايق على وجود الصانع بذلك فيما لا يتوصل اليه ولا بالنظر والفكر وصاحبه لا بد وان يصير عارفا بوجود الصانع وصفاته واذا حصلت المعرفة بالقلب حصل الاقرار باللسان ظاهرا وذلك الايمان **الصفة الثالثة قوله تعالى** والذين هم بربهم لا يشركون ليس المراد منه الايمان بالتوحيد ونفي الشريك عن الله تعالى لان ذلك داخل في قوله والذين هم بايات ربهم يومنون فالمراد انه ينفي الشريك الخفي وهو ان يكون مخلصا في العبادة لا يقدم عليها الا لوجه الله تعالى وطلب رضوانه **الصفة الرابعة قوله تعالى** والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة معناه يعطون ما اعطوه يدخل فيه كل حق يلزم ايتاوه كان ذلك الحق من حق الله تعالى كالزكاة والكفارة وغيرهما او من حقوق الادميين كالودايع والديون واصناف الانصاف والعدل وبين ان ذلك انما يقع اذا فعلوه وقلوبهم وجلة لان من يقدم على العبادة يخاف من ان يقع في تقصير واخلال بنقصان او غيره فانه يكون لاجل ذلك الوجل مجتهدا في ان يوفيها حقها في الاداء وسيلت عايشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق وهو على ذلك يخاف الله فقال صلى الله عليه وسلم لا يا ابنة الصديق ولكن الرجل الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو مع ذلك يخاف الله واعلم ان ترتيب هذه الصفات في نهاية الحسن لان الصفة الاولى دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز عما ينبغي والثانية دلت على تحصيل الايمان بالله تعالى والثالثة دلت على ترك الدنيا في الطاعات والصفة الرابعة دلت على ان المتصف بتلك الصفات الثلاثة يأتي بالطاعات مع الوجل والخوف من التقصير وذلك هو نهاية مقامات الصديقين رزقنا الله الوصول اليها امين فان قيل انقولون ان قوله تعالى قلوبهم وجلة يرجع الى يوتون او يرجع الى ما تقدم من الخصال قلنا الاول اولى ان يرجع الى الكل لان الخطية ليست بذلك اولى من سايرالاعمال اذا المراد ان يودي ذلك على تقصير فيكون من الغاية في توفية حقه واما اذا قرئي والذين يوتون ما اتوا والقول

فيه اظهر والمراد ان شيا اتوه وفعلوه ومن تحرز عن معصية واقدام على الايمان وتحمل فانهم يقدمون عليه مع الوجل فهم انه تعالى مدحهم غلبت ذلك الوجل ونفى علمهم بانهم الى ربهم راجعون للمجازاة والمسايلة ونشر الصحف فينفع الاعمال وان هناك لا تنفع الندامة وليس الا الحكم القاطع مالك الملك فهم انه سبحانه لما ذكر هذه الصفات للمومنين قال بعده اولئك يسارعون في الخيرات وفيه وجهان احدهما ان يراد يراغبون في الخيرات الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها لكي لا تفوت ولو لا يفوتهم دون الاحرام الثاني انهم يستعجلون في الدنيا انواع النفع ووجوه الاكرام كما قال فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والثاني انه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين لانهم اذا سوبع لهم بها فقد سارعوا في قبلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للاية المتقدمة لان فيه ما نفى عن الكفار للمومنين وقرئي يسارعون في الخيرات اما قوله وهم لها سابقون فالمعنى فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها وايا ما كان يسابقون ان ياتوها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر المعنى وهي له كما يقال انت لها وهي لك **قوله تعالى** ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجرون لا تجروا اليوم انكم منا لا تنصرون اعلم انه سبحانه لما ذكر كيفية اعمال المومنين المخلصين ذكر حكمين من احكام اعمال العبادة الاول قوله ولا نكلف نفسا الا وسعها وفي الوسع قولان احدهما انه الطاقة عن الاصم والثاني انه دون الطاقة وهو قول المعتزلة ومقاتل والضحاك والكلبي واحتجوا عليه بان الوسع اسم وسعا لانه يتسع عليه فعله ولا يصعب ولا يضيق بين ان اولئك المومنين المخلصين لم يكلفوا اكثر مما عملوا وقال مقاتل من لم يستطع ان يصلي الا قاعدا فهو وسعه واستدلت المعتزلة به في نفي ما لا يطاق وقد ينطق عليه بالحق وقوله لا يحاد ره صغيرة ولا كبيرة الا احصاها واعلم انه تعالى شبه الكتاب بمن يصدر عنه البيان فان الكتاب لا ينطق لكنه يعرف بما فيه كما يعرف وينطق الناطق اذا كان محقا فان قيل هؤلاء الذين يعرضون عليهم ذلك الكتاب اما ان

يكونوا محلين ذلك على الله او مجوزين ذلك عليه فان حللوه عليه فانهم يصرفونه
في كل ما يقول سوا وجد الكتاب او لم يوجد وان جوزوه عليه لم يبغوا
بذلك الكتاب لتجويزهم انه سبحانه كتب فيه خلاف ما حصل وعلى
التقديرين لا فايدة في ذلك الكتاب قلنا يفعل الله ما يشا
وعلى انه لم يبعد ان يكون ذلك مصلحة للمكلفين من الملايكة واما
قوله وهم لا يظلمون ونظيره قوله ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك
احدا قالت المعتزلة الظلم انما يكون بالزيادة في العقاب او بالنقصان
من الثواب او بان يعذب على ما لم يعمل او بان يكلفهم فتكون الاية
دالة على كون العبد موجدا لفعله والا لكان تعذيبه عليه ظلما
ودلالة على انه سبحانه لا يكلف ما لا يطيق الجواب انه
لما كلف ابا لهب ان يومن والايمان يقتضي تصديق الله في كل ما اخبر به
وكما اخبر ان ابا لهب لا يومن فقد كلفه بان يومن وبان لا يومن فيلزمكم اما
قوله بل قلوبهم في غمرة من هذا ففيه قولان احدهما انه راجع
للكفار وهم الذين يليق بهم قوله بل قلوبهم في غمرة من هذا ولا يليق
ذلك بالمومنين اذ المراد في غمرة من هذا الذي هو وصف المشفقين
ولهم اي لهولا الكفار اعمال من دون ذلك اي اعمال سوى ذلك اي سوى
جهلهم وكفرهم ثم قال بعضهم اراد اعمالهم في الحال وقال بعضهم اراد
المستقبل وهذا اقرب لان قوله هم لها عاملون لان الاستقبال اقرب وانما
قال هم لها عاملون لان مثبتة في علم الله وفي اللوح المحفوظ فوجب ان
يعملوها ليدخلوا بها النار لما سبق لهم من الله الشقاوة القول
الثاني وهو اختيار ابي مسلم ان هذه الايات من صفات المشفقين
كانه قال بعد وصفهم ولا نكلف نفسا الا وسعها ولها فيه ما اتى به
هولاء المشفقين ولدينا كتاب ينطق بالحق اي يحفظ اعمالهم ينطق بالحق
فلا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا هو ايضا وصف لهم بالحسرة كانه قال
وهم مع ذلك الوجل والخوف كالمتحيرين في كون اعمالهم مقبولة او مردودة
ولهم اعمال من دون ذلك اي لهم ايضا من النوافل ووجوه البر سوا ما هم
عليه اما اعمالا قد عملوها في الماضي ويستعملونها في المستقبل ثم
انه سبحانه رجع بقوله حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب الى وصف الكفر واعلم
ان قول ابي مسلم اولى لانه اذا امكن رد السلام الى ما يتصل به كان اولى

من رده

من رده الى ما بعده خصوصا وقد يرغب المرء في فعل الخيرات
لما يذكر ان اعمالهم محفوظة لا يجوز فذلك من الشي وقد يوصف
المرء لشدة ذكره في وصف اخرته فان قلبه في غمرة
ويراد انه قد استولى عليه الذكر في قوله او رده وفي انه
هل اراده كما يجب او قصر فان قيل فما المراد بقوله
من هنا وهو اشارة الى اشفاقهم ووجلهم بين انهما مستوليان
على قلبهم اما قوله تعالى حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب
فقال صاحب الكشاف حتى هذه هي التي يبتدا بها بعد
الكلام والكلام الجملة الشرطية واعلم انه لا شبهة
في ان الضمير في مترفيهم راجع الى من تقدم ذكره من
الكفار لان الصفات لا تليق الا بهم وبين سبحانه وتعالى
ان المعين منهم اذا نزلت بهم الشدة يجازون وفي هذا
العذاب وجهان احدهما انه اراد بالعذاب ما نزل يوم
بدر والثاني انه عذاب الاخرة ثم بين سبحانه وتعالى
ان القوم عند هذا العذاب يجازون اي يرتفع صوتهم
بالاستغاثة فالصحيح لشدة ما هم عليه ويقال لهم على وجه
اللبث لا تجازوا القوم انكم منا لا تنصرون فلا يدفع عنكم
ما يريد انزاله بكم دل بذلك على ان انزاله سينتهون يوم
القيامة الى هذه الدرجة من الحسرة والندامة وهو كالباعث
لهم في الدنيا على ترك الكفر والاقدام على الايمان
والطاعة فانهم لا ينتفعون بذلك قوله
تعالى قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم
تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون
افلم يدبروا القول ام جاهم ما لم يات اباهم
الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون
ام يقولون به جنة بل جاهم بالحق واكثرهم للحق
كارهون ولو اتبع الحق اهواهم لفسدت السموات
والارض ومن فيهن بل اتيناهم بالحق بذكرهم
فهم عن ذكرهم معرضون ام تسالهم خراجا فخراج

ربك خير وهو خير الرازقين اعلم انه سبحانه لما بين فيما قبل انه لا ينصر اولئك الكفار واتبعه بعلمه
ذلك وهو انه متى تليت ايات الله عليهم اتوا بامور ثلاثة احدها انهم كانوا على
اعقابهم ينكصون وهذا مثل يضرب فيمن تباعد عن الحق كل التباعد فهو كقوله وكنتم
على اعقابكم تنكصون اي تنفرون عن ذلك الايات وعن من يتلوها كما يذهب الناكص
على قبيه بالرجوع الى ورايه وثانيها قوله تعالى مستكبرين به والهاء في به الى ماذا
يعود فيه وجوه احدها الى البيت العتيق او الحرام كانوا يقولون لا يظهر علينا احد
لان اهل الحرم والذي شرع هذا الاضمار سهوتهم بالاستكبار بالبيت وان لم يكن معجزة
الا انهم ولاته والقايمون به والثاني المراد مستكبرين بهذا الراجع والتباعد والثالث
ان تعلق الباء بسامرا اي يسمرون لذكر القران والطعن فيه وهذا هو الاقرب لانهم كانوا
يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون فكان عامة سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا
وسب الرسول صلى الله عليه وسلم والسامر نحو الحاضرين في الاطلاق على الجمع وقرى سمرا
وسمارا وتهجرون ويهجر من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش
ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا سوى والهجر بالفتح الهذيان ثم انه
سبحانه لما وصف حالهم وقد مكنوا من التامل من حيث كان مباينا لكلام العرب
في الفصاحة ومبرا من التناقض مع طوله من حيث نبه على ما يلزمهم من معرفة
الصانع ومعرفة الواحد فلم لا يستدبرون ليتركوا الباطل ويرجعوا الى الحق
وثانيها ان يعتقدوا ان مجي الرسول امر على خلاف العادة وهو المراد
من قوله ام جاءهم ما لم يات اباهم الاولين وذلك لانهم عرفوا بالتواتر ان الرسل
كانت تتواتر على الامم وتظهر المعجزات فكانت الامم بين مصدق ناجي ومكذب هالك
بعذاب الاستيصال مما ادعاهم ذلك الى تصديق الرسول وثالثها ان لا يكونوا
عالمين بزيادته وحسن خصاله قبل ادعايه النبوة وهذا المراد من قوله
ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون نبه بذلك سبحانه على انهم عدموا منه قبل
ادعايه الرسالة كونه في نهاية الامانة والصدق وغاية الفرار عن الكذب
والاخلاق الذميمة فكيف كذبوه بعد ان اتفقت كلمتهم على تسميته بالامرين
ورابعها ان يعتقدوا فيه الجنون فيقولوا انما حمله على ادعا الرسالة
جنونه وهو المراد من قوله ام يقولون به جنة وهذا ايضا ظاهر الفساد
لانهم كانوا يعلمون بالضرورة انه من اعقل الناس والمجنون كيف يمكنه ان ياتي
بالدلايل القاطعة والشرايع الكاملة ولقد كان في المسئولة صلى الله عليه وسلم
من سماه بذلك وفيه وجهان احدهما ان ذلك من حيث كان يطمع

في انقيادهم

من سورة المومنون

207

في انقيادهم له وكان ذلك عنده من ابعد الامور فنسبوه
الى الجنون لذلك والثاني انهم قالوا ذلك ايهاما
لعوامهم لكن سعادوا له فاوردوا ذلك الاستحقار له
ثم انه سبحانه بعد ان عد هذه الوجوه ونبه على فسادها
قال بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون
من حيث تمسكوا بالتقليد ومن حيث انهم علموا لو قروا
لمحمد لزالت مناصبهم ولاختلت رياستهم فلذلك كرهوا
فان قيل قوله واكثرهم فيه دليل ان اقلهم لا يكرهون
الحق قلنا كان فيهم من ترك الايمان انفة من توبيخ
قومه وان يقولوا تركوا دين ابايهم لا كراهة الحق
كما يحكى عن ابي طالب ثم بين سبحانه ان الحق لا يتبع
الهوى قيل الواجب على المكلف ان يطرح الهوى ويتبع
الحق وبين سبحانه ان اتباع الهوى يودي في الفساد
العظيم فقال ولو اتبع الحق اهواهم
لفسدت السموات والارض ومن فيهن وفي تفسير وجوه
الاول ان القوم كانوا يرون ان الحق في
اتخاذ الهة مع الله لكن لو صح ذلك لوقع الفساد في السموات
والارض على ما قررناه دليل التمانع في قوله لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا والثاني ان اهواهم في
عبادة الاوثان وتكذيب محمد عليه افضل الصلاة والسلام
وهما منشا المفسدة والحق هو الاسلام ولو اتبع الاسلام
قولهم لعلمهم الله حصول المفاسد عند بقا هذا العالم
وذلك يقتضي تخريب العالم وافناه والثالث ان
اراهم كانت متناقضة فلو اتبع الحق اهواهم لوقع التناقض
ولاختل نظام العالم عن العقال اما قوله بل
اتيناهم بذكرهم فقيل انه القران والادلة وقيل بل شرفهم
وفخرهم بالرسول وكلام القران متقارب لان في مجي
الرسول بيان الادلة وفي مجي الادلة بيان الرسول
فاحدهما مقرون بالاخر وقيل الذكر هو الوعظ والتحذير
وقيل هو الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا
ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرى بذكرهم
ثم بين سبحانه انه عليه افضل الصلاة والسلام لا يطيع فيهم
حتى يكون ذلك سببا للنفرة وقال ام تسالهم
خرجا فخراج ربك خير وقرى خراجا قال ابو عمرو وابن العلا
الخرج ما يترغب به والخراج ما الزمك اداه والوجه ان

الخرج اخص من الخراج كقوله خراج القرية وخرج الكرده زيادة
اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراة من قرا خرجا
فخراج ربك يعني ام تسالهم على هذا تبذلهم قليلا من
عطا الخلق فالكثير من عطا الحق خير فنبه سبحانه على ان
هذه التهمه بعيدة عنه فلا يجوز ان ينفروا عن قبول
قوله لاجلها فبين سبحانه بهذه الايات انهم غير المعذورين
البته وانهم محجوبون من جميع الوجوه قال الجبائي
دل قوله تعالى وهو خير الرازقين على ان احدا من العباد
لا يقدر على مثل نعمه ورزقه ولا يساويه في الافضال على
على عباده ودل ايضا على ان العباد قد يرزق بعضهم
بعضا ولولا ذلك لما جاز ان يقول وهو خير الرازقين

قوله تعالى وانك لتدعوهم الى
صراط مستقيم وان الذين لا يومنون بالاخرة عن
الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
للجوا في طغيانهم يعمهون اعلم انه سبحانه لما بين
طريقة القوم اتبعه ببيان صحة ما جا به الرسول
فقال وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم لان
ما دل الدليل على صحته فهو في باب الاستقامه ابلغ من
الطريق المستقيم وان الذين لا يومنون بالاخرة عن
الصراط لناكبون اي لعادلون عن هذا الطريق لان
طريق الاستقامه واحد وما يخالفه فيكثر واما
قوله تعالى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر ففيه وجوه
احدها المراد ضرر الاخرة وعذابها فبين انهم قد
بلغوا في التمرد والعنا المبلغ الذي سمع منه ازالة العذاب
والرد الى دار الدنيا وانهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
لشدة لجاجهم فيما هم عليه من الكفر اما
قوله تعالى للجوا في طغيانهم يعمهون فالمعنى لتمادوا في
ضلالهم وهم متحيرون **قوله تعالى**
ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما
يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد
اذا هم فيه مبلسون وهو الذي انشا لكم السمع والابصار
والافيدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذراكم في الارض
واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف
الليل والنهار افلا تعقلون اختلفوا في قوله تعالى
ولقد اخذناهم بالعذاب على وجوه احدها

انه لما اسلم ثمامه بن اثالة الحنفي ولحق بالمدينة ومنع
الميرة عن اهل مكه فاخذهم الله بالسنين حتى اكلوا
العلهم جا ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين ثم
قتلت الا بالسيف والانبيا بالجوع والمعنى اخذناهم
بالجوع فما اطاعوا وثانيها وهو الذي نالهم بدر
من القتل والاسر يعني ان ذلك من شدته وما دعاهم
الى الايمان عن الاصم وثالثها المراد من عذب من
الامم المخالفة فما استكانوا اي مشركوا العرب لربهم
عن الحسن ورابعها ان شدة الدنيا اقرب الى المكلف
من شدة الاخرة فاذا لم تؤثر فيهم شدة الدنيا فشدة الاخرة
كذلك وهذا يدل على انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
اما قوله تعالى حتى اذا فتحنا عليهم باب الجوع
الذي هو اشد من القتل والاسر والثاني اذا عذبوا
بنار جهنم فحينئذ يبلسون لقولهم ويوم تقوم الساعة
يومئذ يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون
والابلاس الياس من كل خير وقيل السكون مع التحير
وههنا سوالات السوال الاول ما وزن
استكان الجواب استفعل من السكون اي انتقل
من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال
الى حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت
فتحة عينه السوال الثاني لم جاء استكانوا
بلفظ الماضي ويتضرعون بلفظ المستقبل الجواب
لان المعنى محياهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة
وما من عادة هولا ان يتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب
الشديد وقرئ فتحنا السوال الثالث العطف لا يحسن
الا مع المحاسنة فاي مناسبة بين قوله وهو الذي انشا
لكم السمع والابصار وبين ما قبله الجواب كانه سبحانه
لما بين مبالغة اوليك الكفار في الاعراض عن سماع الادلة
ورؤية العبر والتامل في الحقايق قال للمومنين هو
الذي اعطاكم هذه الاشيا ووفقكم عليها تنبيها على ان من
لم يعمل هذه الاعضا فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما
قال فما اغنى عنهم سمعهم ولا افيدتهم من شي ان
كانوا يجحدون بايات الله تنبيها على حرمان اوليك
الكفار في الاعراض عن سماع الادلة ورؤية العبر والتامل

في الحقايق قال المومنين ووجدان هولا المومنين ليس الا
من الله واعلم انه سبحانه بين عظيم نعمه من وجوه
احدها باعطا السمع والابصار والافيده خص هذه
الثلاثه بالذكر لان الاستدلال موقوف عليها ثم بين
انه يقل منهم الشاكرون قال ابو مسلم ويحتمل
يستظلم فيها ذريه بعضكم من بعض حتى كثرتم كقوله
ذريه من حملنا مع نوح فنقول هو الذي جعلكم في الارض
متناسلين ويحشركم يوم القيمه الى دار لا حاكم فيها
سواه فجعلهم حشرهم الى ذلك الموضع حشرا اليه
لا بمعنى المكان وثانيها قوله وهو الذي يحيي
ويميت اي نعمه الحيوه وان كانت من اعظم النعم فهي
منقطعه وانه سبحانه وان انعم بها فالمقصود منها الانتقال
الى دار الاخره ورابعها قوله وله اختلاف الليل والنهار
ووجه النعمه معلوم ثم انه سبحانه حار من ترك النظر في
هذه الامور فقال افلا تعقلون لان ذلك دلالة
الزجر والتهديد وقرى افلا يعقلون قوله
تعالى بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ايذا متنا
وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون لقد وعدنا نحن
وابا ونا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين
اعلم انه سبحانه لما اوضح القول في دلايل عقبه بذكر المعاد
فقال بل قالوا مثل ما قال الاولون في انكار
البعث مع وضوح الادله ونبه بذلك على انهم لما انكروا
ذلك تقليدا للاولين وذلك يدل على فساد القول
بالتقليد ثم حكى الشبهه عنهم من وجهين احدهما
قوله اذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون وهو مشهور
وثانيهما قوله لقد وعدنا نحن وابا ونا هذا مثل كانهم
قالوا ان هذا الوعد كما وقع منه عليه الصلاة والسلم فقد
وقع قديما من ساير الانبيا ثم لم يوجد مع طول العهد
وظنوا ان الاعاده تكون في دار الدنيا ثم قالوا لما كان
كذلك فهو من اساطير الاولين والاساطير جمع اسطار
جمع سطر اي ما كتبه الاولون مما لا حقيقه له وجمع اسطوره
اوفق قوله تعالى قل لمن الارض
الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله
قل افلا تتذكرون قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم سيقولون الله قل افلا تتقون

قل من بيده ملكوت كل شي وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم
تعلمون سيقولون الله قل افلا تسخرون بل اتيناهم
بالحق وانهم لكاذبون اعلم انه يمكن ان يكون
المقصود من هذه الايات الرد على منكري البعث وان
يكون المقصود الرد على عبده الاوثان وذلك لان القوم
مسدين بالله وقالوا نعبد الاصنام لتقربنا الى الله زلفى
ثم انه سبحانه احتج عليهم بامور ثلاثه احدها قل
لمن الارض ومن فيها ووجه الاستدلال به على نفي عباده
الاوثان من حيث ان عباده الاوثان من خلقكم وخلق
الارض وكل ما فيها من النعمه هي الواجبه دون عباده
ما لا يضر ولا ينفع وقوله افلا تتذكرون معناه الترغيب
في التدبر ليعلموا بطلان ما هم عليه وثانيها قوله
من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ووجه
الاستدلال على الامرين كما تقدم وانما قال افلا تتقون
تنبيها على ان اتقا عذاب الله لا يحصل الا بترك عباده الاوثان
والاعتراف بجواز الاعاده وثالثها قوله تعالى قل
من بيده ملكوت كل شي انه سبحانه لما ذكر الارض اولا والسما
ثانيا عم الحكم ههنا فقال من بيده ملكوت كل شي ويدخل
في الملكوت الملك والملك على سبيل المبالغه وقوله
وهو يجير ولا يجار عليه يقال اجرت فلانا على فلان
اذا اغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشا
ممن يشا ولا يغيث احد منه احدا اما قوله تعالى
فانى تسخرون فالمعنى انهم يخدعون عن توحيده وطاعته
والخادع هو الشيطان والهوا ثم بين تعالى
بقوله بل اتيناهم بالحق انه قد بالغ في الحجاج عليهم
بهذه الايات وغيرها وهم مع ذلك كاذبون وذلك كالوعيد
والتهديد وقرى اتيتهم واتيتهم بالفتح والضم وهنا
سوالات السوال الاول قرى لمن الارض
باللام وقوله من رب السموات ومن بيده ملكوت كل شي
بغير اللام في مصاحف اهل الحرمين والكوفه والشام
وباللام في اهل البصره فما الفرق الجواب لا فرق
في المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد
السوال الثاني كيف قال ان كنتم تعلمون
ثم حكى عنهم سيقولون الله وفيه تناقض الجواب
لا تناقض لان قوله ان كنتم تعلمون لا ينفي علمهم بذلك

وقد يقال مثل ذلك في الحاج على وجه التوكيد والبحث
على اعترافهم بما يورد من ذلك **قوله**
تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله
اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض ۝
سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة ۝
فتعالى عما يشركون قل رب اما تريني ما يوعدون ۝
رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على ان نريك
ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي احسن السيئة
نحن اعلم بما يصفون اعلم انه سبحانه ادعى امرين
احدهما قوله ما اتخذ الله من ولد كالتنبيه على
ان ذلك من قول هؤلاء الكفار فان جميع امتهم كانوا
يقولون الملائكة بنات الله والثاني قوله وما
كان معه من اله وهو قولهم باتخاذ الاصنام اٰلهة
ويحتمل ان يريد به ابطال قول النصارى والثنوية
ثم انه سبحانه ذكر الدليل المعتمد بقوله اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض كما نرون وللغني
لانفراد كل واحد من الاٰلهة بخلقه واستبداده وكراتهم
ملك كل واحد منهم ممتازا عن الاخر ملك الاخر وغلب
بعضهم على بعض كما نرون حال ملوك الدنيا مما لكلهم
متمايزة وهم متغالبون وحين لم نر واثرا لتمايز
في الملك والتغالب فاعلموا انه اله واحد يده ملكوت
كل شيء فان قيل اذ لا بد دخل الا على كلام هو جزاء وجواب
فكيف وقع قوله لذهب جوابا وجزاء ولم يتقدمه شرط
ولا سؤال سائل قلنا الشرط محذوف تقديره
لو كان معه اٰلهة وانما حذفه لدلالة قوله وما كان معه
من اٰلهة عليه ثم انه سبحانه نزه نفسه عن قولهم
بقوله سبحان الله عما يصفون من اثبات الولد
والشريك اما قوله عالم الغيب والشهادة
فقرئ بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدا محذوف ۝
والمعنى انه سبحانه هو المختص بعلم الغيب والشهادة
فخبره وان علم الشهادة لا يعلم الغيب مغيبا
والشهادة الى بعضها لا يكاد يعلم النفع الجامع العلم
بالغيب وذلك كالوعد هم فلذلك قال فتعالى
عما يشركون ثم امره سبحانه بالانقطاع اليه وان
يدعوه بقوله رب اما تريني ما يوعدون رب فلا

تجعلني في القوم الظالمين قال صاحب الكشاف ما والون
موكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما نعدهم
من العذاب في الدنيا فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني
بعذابهم فان قيل كيف يجوز ان يجعل الله ۝
نبيه المخصوم مع الظالمين ثم يطلب ان لا يجعله معهم
قلنا يجوز ان يكون العبد ربه ما علم انه
يفعله وان يستعيذه مما علم انه لا يفعله اظهارا
للعبودية وتواضعا لربه وما احسن قول الحسن
ولكن المؤمن هضيم نفسه وانما ذكر رب مرتين
قبل الشرط ومرة قبل الجزاء اسانفه في التضرع
قوله وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون وفيه
وجهان احدهما انهم كانوا ينكرون الوعد بالعذاب
ويقولون منه فقيل لهم ان الله قادر على انجاز
ما وعد ويحتمل عذابا في الدنيا موخرا عن اياسه
عليه الصلاة والسلام فلذلك قال بعضهم هو
في اول النبي وبعضهم في الكفار الذين قتلوه
بعد الرسول والثاني ان المراد عذاب
الاخرة اما قوله ادفع بالتي هي احسن
السيئة نحن اعلم بما يصفون فالمراد منه ما الاولى به
عليه الصلاة والسلام ان يعامل به الكفار فامره
باحتمال ما يكون منهم من التكذيب وضروب الاذى
وان يدفعه بالكلام الجميل كالتسلم وبيان الادلة
على احسن الوجوه وبين له انه اعلم بحالهم منه عليه
الصلاة والسلم وانه سبحانه لما يقطع بعمه منه فينبغي
ان يكون هو عليه الصلاة والسلم مواظبا على هذه
الطريقة قال صاحب الكشاف قوله ادفع بالتي هي
احسن السيئة ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة
لما فيه من التفصيل والمعنى الصفح عن اساتهم
ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى ادى الصفح
الصفح والاحسان وتلك الطاقة فيه كانت جنسة
مصاعفة بازاء السيئة وقيل هذه الاية منسوخة
باية السيف وقيل محكمة لان المدارة محمودة
عليها ما لم تؤد الى نقصان دين او مروءة **قوله**
تعالى وقل رب اعوذ بك من

همزاته الشياطين واعوذ بك ان يحضرون حتى اذا
جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل
صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن
ورائهم برزخ الى يوم يبعثون اعلم انه سبحانه
وتعالى لما ادب رسوله بقوله ادفع بالتي هي ○
احسن السيئة اتبعه بما به يقوي على ذلك وهو
الاستعاذه بالله من امرين احدهما من همزات
الشياطين والهمزات جمع الهمز وهو الرفع والتحريك
الشديد وهو كالكز والالد ومنه هماز الرابض وهمزاته
هي كيده بالوسوسه ويكون ذلك منه في الرسول
بوجهين احدهما بالوسوسه والاخر بان اعداه
على ايذاه وكذلك القول في المومنين لان الشيطان
يكيدهم بهذين الوجهين ومعلوم ان ليس ينقطع ○
الى الله وسواله ان يبعده من الشيطان فانه يجيب ○
كونه متذكرا متيقظا فيما ياتي مما يدوبما يكون من
هذا الانقطاع الى الله داعيه للتمسك بالطاعه وزاجره
عن المعصيه قال الحسين كان عليه الصلاة والسلام
يقول بعد استفتاح الصلوة لا اله الا الله بلسانا الله اكبر
بلسانا اللهم اني اعوذ بك من همزات الشياطين همزه
ونفثه ونفخه فقيل يا رسول الله فما الهمزه التي
تاخذ ابن ادم قال الجنون قال فما النفثه التي
الذي ياخذ ابن ادم فقيل ما نفثه قال الشعر قيل فما
نفخه قال الكبر وبانها قوله واعوذ بك رب
ان يحضرون وقيه وجهان احدهما ان يحضروا عند
قراءة القران فيمال لكي يلوذ متذكرا فقيل يهوه ○
وقال اخرون بل استعاذ بالله من نفس حضورهم
لانه الداعي الى وسوستهم كما يقول المراعوذ بالله من
فلان روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
استملى اليه بعضهم ارفاجحم فقال اذا ادركك النوم
فقل اعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه
ومن شر عباده ومن همزات الشياطين ان يحضرون
اما قوله حتى اذا جاء احدهم الموت ففيه
مسايل المسئله الاولى قال صاحب الكشاف
حتى متعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا
الوقت والايه فاصله بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد

للاعضاء عنهم مستعيذا بالله على الشيطان لو سئل عن الحكم
المسئله الثانيه اختلفوا في قوله حتى
اذا جاء احدهم الموت فالاكثرون على انه راجع الى الكفار
وقال الضحاك كنت جالسا عند ابن عباس فقال
من لم يشرك ولم يقتل سال الرجعه عند الموت ○
فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب وقال عليه
الصلاة والسلام اذا حضر الانسان الموت جمع كل
شي كان يمنعه من حمقه بين يديه فعند ذلك يقول
رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا وهو
هو الاول لانه سبحانه اذا اعرف المومن منزلته
في الجنه فاذا شاهدها لا يتمنى اكثر منها ولو لا ذلك
لكان اذا وعد ابويه ثوابا عظيما بفعل ما فقد من منزلة
غيره فاما ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ○
فقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي
احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل
قريب وهو اخبار عن حال الحي في الدنيا لا عن
حال التواب فلا يلزم فلا يلزم على ما ذكرناه ○
المسئله الثانيه اختلفوا في وقت مسئله
الرجعه فالاكثرون على انه يسال في حال المعاينه
لانه عندها ينظر الى معرفته تعالى والى انه كان
عاصيا ويصير ملجا الى ان يفعل القبيح بان تعلمه
الله تعالى انه لو اراده لمنع منه ومن هذا حاله
يصير كالممنوع من غير القبيح هذا هو الحق عند ذلك
يسال الرجعه ويقول رب ارجعون لعلي اعمل
صالحا فيما تركت كلا وقال اخرون بل يقول
ذلك عند معاينته النار في الاخره ولعل هذا القائل
انما تاول ظاهر هذه الايه لما اخبر الله تعالى في كتابه
عن اهل النار في الاخره انهم يسالون الرجعه لكن
ذلك مما لا يمنع ان يكونوا عالمين للرجعه في حال
المعاينه والله تعالى يقول حتى اذا جاء احدهم
الموت قال رب ارجعون فعلى قولهم هذا يحال
حضور الموت ولو حال المعاينه فلا وجه لبرك هذا
الظاهر المسئله الرابعه اختلفوا في قوله
ارجعون من المراد به فقال بعضهم الملائكه الذين
يقبضون الروح وهم جماعه فلهذا ذكر بلفظ الجمع

وقال الشاعر ۞ وان سخيت حرمت الناس سوالكم ۞
ومن يقول بالاول يجعل للتعظيم ذاكرا لرب القسم
فكانه عند المعاينه قال يحي الله ارجعون وههنا
سوالات السوال الاول كيف يسالون ۞
الرجعه وقد علموا صحة الدين بالضرورة ومن الدين
ان لا رجعه الجواب انه ان كان كذلك
فلا يمتنع ان يسالوا لان الاستعابه بهذا الجنس من
المسئلة حسن وان علم انه لا يقع فاما ارادته للرجعه
فلا يمتنع ايضا على سبيل ما يفعله المتمني السوال
الثاني في قوله تعالى لعلي اعمل صالحا فيجوز
ان يسال الرجعه مع الشك الجواب ليس
المراد بلعل الشك فانه في هذا الوقت باذل للجهد
في العزم على الطاعه ان اعطي ما سال بل هو مثل
من قصر في حق نفسه وعرف سوء عاقبة ذلك
التقصير فيقول مكنوني من الادراك لعلي ادارك
فيقول هذه الكلمه مع كونه عارفا بانه سيدارك
ويحتمل ايضا ان الامر المستقبل اذا لم يعرفوا وردوا
هذا الكلام الموضوع للترجي والظن دون اليقين
فقد قال تعالى ولو ردوا لعادوا والمالهوا عنه
السوال الثالث ما المراد بقوله فيما
تركت الجواب قال مجاهد فيما حلفت من
المال ليصير عند الرجعه موديا لحق الله تعالى منه
والمفعول من قوله تركت الترك وقال اخرون بل
المراد اعمل صالحا فيما قصرت فيه من حقوق العبادات
البدنيه والماليه والحقوق وهذا اقرب كما لهم من
تمنوا الرجعه ليصلحوا ما افسدوا ويطيعوا في كل
ما عصوا السوال الرابع ما المراد بقوله
كلا الجواب فيه قولان احدهما انه كالجواب
لهم في المنع فما طلبوا كما يقال لطالب الامر المستبعد
ههنات روي انه عليه الصلاة والسلام قال ۞
المومن اذا عاين الملائكه قالوا نرجعك الى دار الدنيا
فيقول الى دار الهموم والاحزان لا بل قدمونا
على الله واما الكفار فيقال له ارجعك فيقول
ارجعون فيقال له اي يرغب الى جمع المال
او غرس الغراس او بنا البنيان او تتق الاهوال فيقول

لعلي اعمل صالحا فيما تركت فيقول الجبار كلا السابع
يحتمل ان يكون على وجه الاخبار بانهم يقولون ذلك
وان هذا الخبر حق فكانه قال حق انها كلمه هو قائلها
وقائلها قبيحه وجهان الاول انها لا تحلها ولا تسلك
عنها لاستيلاء الحسرة عليه والثاني انه لا يحلها وجه
لاجابة الله ولا يسمع منه اما قوله تعالى ۞
ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون والبرزخ هو
الحاجز والمانع كقوله في البحرين بينهما برزخ لا يبغيان
اي هم صائرون الى حاله مانعه من الله تعالى حاجزه
عن الاجتماع وذلك هو الموت وليس المعنى انهم
يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كل لما علم انه
لا يرجعه يوم البعث الا الى الاحزان **قوله تعالى**
فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم
المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين ۞
خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم
النار وهم فيها كالحون الم تكن اياتي تتلى عليكم
فكنتم بها تكذبون اعلم انه سبحانه لما قال وما
ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ذكر احوال
ذلك اليوم فقال فاذا نفخ في الصور وفيه ثلاث
اقوال احدها ان الصور الة اذا نفخ فيها يطير
منه صوت عظيم جعله الله علامة لخراب الدنيا
والاعادة الاموات روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ان شخصا قال يا نبي الله ما الصور قال
من الصور مجموع الصور والمعنى فاذا نفخ في
الصور اي واحد منها وهو قول الحسن وكان يقرا بفتح
الواو وبالفتح والكسر على ان ذلك لغات فيه
قرا الصور بجمع صورة وقالها ان النفخ في الصور
اسمعان والمراد منه البعث والحشر والاولى الاول
للخبر وفي قوله ثم نفخ فيه اخرى دلاله على ان المراد
بالنفخ الروح والاحياء ان ذلك لا يتكرر **اما قوله**
فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن المعلوم
انه سبحانه اذا اعاد هم ثانيه لان المعاد هو الوجه
والوالد فلا يجوز ان يكون المراد نفي النسب في الحقيقه

بل المراد نفي حكمه وذلك من وجوه احدها ان من
حق النسب ان ينفع به العاطف والرحم كما يتفاخر
في الدنيا انسان بآبائه والرحم ان تفعل ذلك
فنفي سبحانه ذلك من حيث ان كل احد من اهل النار
يكون مشغولا بنفسه وذلك يمنعه من الالتفات الى
النسب وهكذا الحال في الدنيا الا ان الرجل متى وقع
في الامر العظيم من الالم مر بنبي ولده ووالده وفي
ثانيها ان من حق النسب ان يحصل به التفاخر
في الدنيا وان يسال بعضهم عن قصة نسب البعض
وفي الآخرة لا يتفرغون لذلك وثالثها ان
يحمل ذلك على الاستعارة عن الخوف الشديد فكل
امرء مشغول بنفسه عن نسبه واخيه وفصيلته
التي تؤويه وس يكفيه سائر الامور قال ابن مسعود
يؤخذ العبد والامة يوم القيمة على رؤس الخلائق
وينادي مناد الا ان هذا فلان فمن له حق عليه
فليات الى حقه فيفرح المرء ان يثبت له حق على
اخيه او ابيه او زوجها فلا انساب يومئذ ولا
يتساءلون عن قتادة حتى ان بعض اهل الانسان
يوم القيمة من ان يكون من يعرفه مخافة ان يطلب
له عليه شيء فلما نزلت يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وعن الشعبي قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول
الله اما يتعارف يوم القيمة اسمع الله يقول فلا
انساب بينهم يومئذ ولا اسبر واح فقال عليه
السلم ثلاثة مواطن عند وزن الصحيفة وعند الموازين وعلى جسر جهنم
اما قوله فمن ثقلت موازينه فاولئك هم
المفلحون لما ذكر القيمة شرح احوال السعداء
والاشقياء قيل المراد بالموازين الاعمال اي الى اعماله
قدر وخطر وهو اتعابه المعنى وس الى اعماله وزن
له ولا قدر لهو الخاسر قال ابن عباس الموازين
جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال الصالحة
التي لها وزن وقدر عند الله وقيل ميزان لها لسان
وكفتان يوزن به الحسنات في احسن
صورة والسيات في اقبح صورة اما قوله
ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم

تشمير

قال ابن عباس عبسوها بان صارت منازلهم للمؤمنين
لكونهم في العذاب اما قوله تلفح وجوههم
النار الكلوح بسر الشفة العليا واسرحا الشفة
السفلى قال عليه السلم وهم فيها كالحون قال
تشويه النار فيتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط
راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته
وقال ابو هريرة تعطى الكافر من النار مسيرة سبع ليال
ضرسه مثل احد وسفاهه عند سرره هم سود
زرق حمر يعوون ومنه كلوح الاسد اي شمرة عن
انيابه ومركاح وبرد كاح اي شديد وقيل الكلوح
تعطب الوجه وسائره وتقلص الرجل بحيث كلوحا وبدت
اما قوله احسوا فيها ولا تكلمون فانه يقال
فانزجروا كما ينزجر الكلاب اذا زجرت يقال حسا
الكلب وحسا بنفسه واما قوله ولا تكلمون
فليس هذا نهيا لانه لا تكليف في الآخرة بل المراد لا تكلمون
في العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل ما آخر كلام
يتكلمون به ثم كلام يعود ذلك الا الشهيق والزفير
والعوا كعوا الكلاب ابو صالح وعن ابن عباس هم
بئس دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا
ابصرنا وسمعنا فارجعنا فيجابون حتى القول مني
فينادون الفا ثانية ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلك
بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون الفا ثالثة
يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون
فينادون الفا رابعة ربنا اخرجنا فيجابون اولم تكونوا
فينادون الفا خامسة اخرجنا نعمل صالحا فيجابون
اولم نعمركم فينادون الفا سادسة رب ارجعون
فيجابون اخسوا فيها ثم بين سبحانه وتعالى
انه فرق بينهم بامر يتصل بالمؤمنين وهو قوله انه
كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر
لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم
سخريا فوصف تعالى ما فعله عذبوا وابعدوا من
الخير وهو ما عملوه بالمؤمنين وفي حرف ابي
انه كان فريق يا فتح بمعنى لانه فزا نافع واهل
المدينة واهل الكوفة غير عاصم بضم السين في
جميع القرآن وقرا الباقون هاهنا وفي ص بكسر

البين قال الخليل وسيبويه هما لغتان يخبر بهما ورى
وقال الكسائي والفراء الكسر بمعنى الاشهر بالفتح
والضم بمعنى التشخير وقال مقاتل ان رؤس قريش
مثل ابي جهل وعتبة وابي بن خلف كانوا يستهزؤن
باصحاب محمد ويضحكون بالفقراء منهم كبلال وخباب
وعمار وصهيب والمعنى اتخذتموهم هزوا حتى انسوكم
بتشاغلكم لهم على تلك الصفة ذكري واكذلك
بقوله وكنتم منهم تضحكون ثم بين سبحانه ما يقتضي
فيهم الاسف والحسرة بان وصف ما جازى به اولئك
الملومين فقال اني جزيتهم اليوم بما صبروا
وانما هم الفائزون فرادى وحمزة والكسائي انهم بالكسر
والباقون بالفتح فالكسر استيناف اي فهم فازوا بما
صبروا والفتح على انه في موضع المفعول الثاني جزيت ويجوز ان
يكون نصبا باضمار الخافض اي جزيتهم الجزاء الوافر
لانهم هم الفائزون **قوله تعالى**
قل كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم فسل العادين قال ان لبثتم
الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك
الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ان في هذه مسايل
المسئلة الاولى قال قل الامر في حصاحف
اهل الكوفة وهو ضمير الله والمامور رسوله
من الملائكة وقيل في حصاحف اهل الحرمين
والبصرة والشام وهو ضمير الملك او بعض
اهل النار المسئلة الثانية الغرض من
هذا السوال التبكيت والتوبيخ فقد كانوا ينكرون
لبثا في الارض اصلا ولا يعدون اللبث الا في دار
الدنيا ويظنون ان بعد الموت يدوم الفناء ولا
اعادة فلما حصلوا في النار وايقنوا الخلود ابدا
فيها مخلدون سالهم كم لبثتم في الارض منتهاهم
على ما ظنوه دائما طويلا فهو يسير بالاضافة الى
ما انكروه فحينئذ يحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدون
في الدنيا من حيث ايقنوا خلافه وليس الغرض
السوال بل الغرض ما ذكرنا فان قيل فكيف يصح

في حق اهل النار الكذب قلنا لعلهم نسوا ذلك لكثرة
ما هم فيه من الاهوال وقد اعترفوا بهذا البيان
حيث قالوا فسل العادين قال ابن عباس انساهم
ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين وقيل رأيتم
بقولهم لبثنا وما اوبعض يوم لتصغيرهم
وتحقيره بالاضافة الى ما هم فيه وعن قوم من دوام
العذاب المسئلة الثالثة وقيل اراد وا
ان لبثهم في الدنيا يوم او بعض يوم من ايام الاخرة
لان يوم الاخرة مقداره خمسين الف سنة المسئلة
الثالثة احلفوا في ان السوال عن اي لبث وقع
فقال بعضهم لبثهم احيا في الدنيا فيكون المراد
انهم امهلوا حتى علموا من العلم والعمل فاجابوا
بان قدر لبثهم كان يسيرا لعلمهم ان الله اعلمهم ان
الدنيا متاع قليل وان الاخرة هي دار القرار وهذا
القائل احتج على قوله انهم كانوا مقرين ان لا حق
سواها ولم يحكم الله في النار وعذبهم واسلموا عن
دلك بوجهين الاول انه لو بقي اقرب وقال اخرون
بل المراد ما لبثتم في حال الموت واحتجوا على قولهم
بامرين الاول ان قوله في الارض يفيد الكون
في القبر ومن كان حيا فالاقرب انه يقال انه على
الارض وهذا ضعيف بقوله ولا تفسدوا في الارض
الثاني قوله تعالى ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة يمينين سجانه
انهم كذبوا في ذلك واخبر عن المومنين فوله لقد
لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث المسئلة
الرابعة احتج من انكر عذاب القبر بهذه الاية
وقال قوله كم لبثتم في الارض يتناول زمان
كونهم احياء فوق الارض وزمان كونهم امواتا في
بطن الارض بلوكانوا معذبين في القبر لعلموا ان
مدة مكثهم في الارض طويلة فما كانوا يقولون لبثنا
يوما او بعض يوم والجواب من وجهين
احدهما ان الجواب لا بد وان يكون مطابقا
السوال وانما سالوا عن موت احيوا بعده الا في
الاخرة وذلك لا يكون الا بعد عذاب القبر والثاني

يحتمل ان يكون سبلوا عن قدر اللبث الذي اجتمعوا فيه
فلا حاجة حينئذ الى ذلك تقدر محذوف فعضهم على البعض ○
فيصح ان يكون بعضهم اجابوا بيوما او بعض يوم عند
انفسهم اما قوله قيل للعادين فقيه
وجوه احدها المراد بهم الحفظة والبهم كانوا
يحصون الاعمال واوقات لجيوه يحصون او وقات
موتهم ومقدم من يقدم ومتاخر من ياخر وهو
معنى قول عكرمة قيل العادين اي الذين يحسبون
وثانيها ان يكون المعنى من يعرف عدد ذلك
فانا قد بينا وثالثها قرئ العادين بالتخفيف
اي الظلمة فانهم يقولون مثل ما قلنا وخامسها
قرئ العادين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرون
قليلا بالاضافة الى ما بقي من دوامهم قوله ان لبثتم الا
قليلا اما انقضت ومضت فظهر ان العرض من هذا
السوال تقريع قلة ايام الدنيا في مقابلة ايام
الاخرة فاما قوله لو انكم كنتم تعلمون
فبين في هذا الوجه لانه اراد انه قليل لو علمتم
انه كذلك والاخر لكنتم ما انكرتم كنتم تعلمون
ذلك ولا تحزنون قوله تعالى ما هو في التوبيخ اعظم
يقول له لفعلتم انما خلقناكم عبثا وانكم
الينا لا ترجعون وفيه مسئلتان المسئلة
الاولى قال صاحب الكشاف عبثا حال عاملين
كقوله لاعبين اي مفعول له اي ما خلقناكم
للعبث المسئلة الثانية انه سبحانه لما
شرع صفات القيامة ختم الكلام فيها باقامة
الدلالة على وجودها وهي انه لو لا يوم القيمة لما
تميز المطيع عن العاصي في الرجوع الى الله والمراد اي حيث
لا مالك ولا حاكم سواه لا ترجعون من مكان
الى مكان لاستحالة ذلك على الله ثم انه سبحانه
نزه نفسه عن العبث بقوله تعالى الله ○
الملك الحق والملك هو المالك للاشياء الذي لا يبيد
ولا ان يزول ملكه ومدبره واما الحق فهو الذي
يحق له الملك لان كل شيء منه وايده او الثابت
الذي لا يزول ولا يزول ملكه وبين انه لا اله
سواه وانما ما عداه اما مصيره الى الفناء وما يفضي

لا يكون الا فانيا ثم قال تعالى انه رب العرش الكريم
قال ابو مسلم والعرش ههنا السموات بما
فيها من العرش الذي يطوف به الملائكة ويجوز
ان يعني به الملك العظيم وقال الاكثرون ○
المراد هو العرش حقيقة وانما وصفه بالكرم
لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة وتنسبه الى
الكرم الا ترى انه كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه
كرماء وقرئ الكريم بالرفع ويجوز ذو العرش
المجيد قوله تعالى ومن يدع ○
مع الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه
عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر
وارحم وانت خير الراحمين اعلم انه سبحانه
لما بين انه هو الملك الحق لا اله الا هو اتبعه بان
من ادعى الها فقد ادعى باطلا فحث لا برهان
لهم فيه وبنبه بذلك على ان كل ما لا برهان فيه
لا يجوز اتباعه وذلك يوجب صحة النظر ○
وفساد التقليد ثم ذكر ان من قال بذلك
فجزاؤه العقاب العظيم بقوله فانما حسابه
عند ربه كان قال ان عقابه بلغ الى حد لا يقدر
احد على حسابه الا الله وقرئ انه لا يفلح بفتح
الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح جعل فاتحة
السورة قد افلح المومنون وخاتمتها لا يفلح ○
الكافرون فسبحان ما بين الفاتحة والخاتمة ○
ثم امر الرسول بان يقول رب اغفر وارحم
ويثني عليه بانه خير الراحمين وقد تقدم بيان
انه سبحانه ارحم الراحمين فان قيل كيف
يتصل هذه الخاتمة بما قبلها قلنا لما شرح احوال الكفار في جهلهم في الدنيا
وعداتهم في الاخرة امر بالانقطاع الى الله
والالتجا الى ذيل غفرانه ورحمته فالاول ما هما العاصمان
عن كل الآفات والمخافات روى ان اول
سورة قد افلح واخرها كنور العرش من عمل
بثلث آيات من اولها او اخرها فقد نجا وافلح وقد تم تفسير هذه السورة ○
والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل

سورة النور ستون واربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها ايات بينات لعلكم تذكرون قرا العامة سورة ٥ بالرفع وقرا الحسن بن ابي العباس بالنصب اما الذين قرءوا بالرفع فالجمهور قالوا لا بد ايا النكرة لا يجوز والتقدير هذه سورة انزلناها او تلوت سورة انزلناها مبتدا موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة مبتدا وقال الاخفش لا يبعد الابتدا بالنكرة فسورة مبتدا وانزلناها خبره ومن نصب فعلى معنى الفعل يعني اتبعوا سورة والتوا سورة وانزلنا سورة وانما سمي السورة سورة لان المنزل قد تقدم فان قيل الانزال يلزم من صعود الى نزول فهذا يدل على انه تعالى في جهة قلنا الجواب ان جبرئيل عليه السلم يحفظ من اللوح ثم ينزل بها على محمد صلى الله عليه وسلم فلهذا جاز ان يقال انزلناها وقرئ انا انزلناها على لفظ انا انزلناها انه تعالى انزل الكتاب الى السما الدنيا دفعة واحدة ثم انزله على لسان جبرئيل وقال ابن عباس انزلناها اي اعطيناها الرسول كما يقول العبد اذا اكلم سيده رفعت اليه حاجتي كذلك يكون من السما الى العبد الانزال قال الله تعالى ٥ اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قوله وفرضناها المشهور قرأة التخفيف وقرا ابن كثير وابو عمرو بالتشديد اما قراءة التخفيف فالفرض هو القطع والتقدير قال الله تعالى فنصف ما فرضنا اي قدرنا ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد اي قدرنا ان السورة لا يمكن فرضها الا وقد دخلت في الوجود وتحصل الحاصل محال فوجب ان يكون المراد فرضنا ما فيها وانما قال ذلك لان اكثر ما في هذه السورة من باب الاحكام والحدود فلذلك خص هذه السورة بهذا الوصف واما قراءة التشديد فقال الفراء انه عنى به المبالغة والتكثير لما ان وجب ان الحدود

واحكام فلا بد من المبالغة في ايجابها لتحصيل الانقياد لقبولها واما التكثير فلوجهين احدهما ان الله تعالى بين فيها احكاما مختلفة والثاني انه سبحانه اوجبها على كل المكلفين الى اخر الدهر واما قوله وانزلنا فيها ايات بينات فقيه وجوه احدها انه سبحانه ذكر في اول السورة انواعا من الاحكام والحدود وفي اخرها دلايل التوحيد فقوله وفرضناها اشارة الى الاحكام التي بينها وقوله فيها ايات بينات اشارة الى ما بين من الدلايل التوحيدية والذي يؤكد هذا التاويل قوله لعلكم تذكرون فان الاحكام والشرايع ماكانت معلومة لهم ليومر وانبذكرها وانهاهم قال ابو مسلم يجوز ان تكون الايات البينات ما ذكر فيها من الحدود والشرايع كقوله رب اجعل لي اية قال اية ايتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا سالك ربه ان يفرض عليه عبادة تلزمه اداؤها قال القاضي ان السورة كما اشتملت على الواجبات فقد اشتملت على كثير من المباحات بان بينها الله تعالى والملائكة سبحانه بيانه مفصلا ووصف الايات بانها بينات اما قوله تعالى لعلكم تذكرون فقرئ بتشديد الذال وتخفيفها ومعنى لعل قد تقدم في سورة البقرة قال القاضي لعل معنى لي وهذا يدل على انه سبحانه اراد من جميعهم ان يتذكروا والجواب انه سبحانه لو اراد ذلك من الكل لما وقع منهم دواعيهم الى المعصية ولو لم يوجد ذلك الوقوع لزم وجود العلم لا المعلوم ويلزم نفي الصانع وان كان كذلك وجب حمل لعل على سائر الوجوه المذكورة في سورة البقرة واعلم انه سبحانه ذكر في هذه السورة احكاما كثيرة الحكم الاول قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مايه جلدة ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر وليشهد عذابهما طايفة من المومنين اعلم ان فعله الزانية والزاني رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى

فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي اجلدوهما ويجوز
ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفا لكون
الالف واللام بمعنى الذي ولضمنه بمعنى الشرط
تقدير الذي زنيت والذي زنى فاجلدوهما كما يقول
من زنى فاجلدوه وقرئ بالنصب على اضمار فعل
يفسره الظاهر وقرئ والزان بلا يا واعلم
ان الكلام في هذه الاية على نوعين احدهما
ما يتعلق بالشرعيات والثاني ما يتعلق بالعقليات
ونحن نأتي على البابين بقدر الطاقة ان شا الله تعالى
النوع الاول الشرعيات فاعلم ان الزنا
حرام وهو من الكباير ويدل على ذلك امور احدها
ان الله تعالى قرنها بالشرك وقتل النفس في قوله
ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال
ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسا سبيلا وثانيها
انه تعالى اوجب المائة بكمالها بخلاف
القذف وشرب الخمر وشرع فيه الرجم ونهى المومنون
عن الرافة وامر بشهود الطايفة للتشهير واوجب
كون تلك الطايفة من المومنين لان الفاسق بين
صلحا قومه اخجل وثالثها ما روي حذيفة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا معشر
الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا
وثلث في الاخرة فاما التي في الدنيا فيذهب البها
ويورث الفقر وينقص العمر اما اللاتي في الاخرة
فسخط الله سبحانه وسو الحساب وعذاب النار
وعن عبد الله قال قلت يا رسول الله اي الذنب
اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك
قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان
ياكل معك قلت ثم اي قال ان تزني بحليلة جارك
فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله
الها ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا يزنون واعلم انه يجب البحث في هذه الاية
عن امور احدها عن ماهية الزنا وثانيها
عن احكام الزنا وثالثها عن الشرايط المعتبرة
في كون الزنا موجبة لتلك الاحكام ورابعها
عن الطريق الذي يعرف به حصول الزنا وخامسها

ان المخاطبين بقوله فاجلدوهم من هم وسادسها
ان الرجم والجلد المامور بهما كيف يكون حالهما
البحث الاول عن ماهية الزنا قال
اصحابنا انه عن ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا
محرما قطعا وفيه مسايل اختلفوا في ان اللواطة
هل يطلق عليها اسم الزنا ام لا فقال القايلون
نعم فاحتج عليه بالنص والمعنى اما النص فما
روى ابو موسى الاشعري انه عليه السلم قال
اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان والمعنى ان اللواطة
مثل الزنا صورة ومعنى اما الصورة فلان الزنا
عبارة عن ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم
قطعا والدبر ايضا فرج لان القبل انما سمي فرجا
لما فيه من الانفراج وهذا المعنى حاصل في الدبر
اكثر ما في الباب ان العرب لا تسمي اللواطة زنا ولكن
هذا لا يقدح في اصل اللغة كما يقال هذا طبيب
وليس بعالم مع ان الطب علم واما المعنى فلان
الزنا قضا الشهوة في محل مشتهى طبعا على وجه
الحرام المحض وهذا موجود في اللواطة لان القبل
والدبر كاد في المعاني التي هي متعلق الشهوة من
الحرارة واللين وضيق المدخل وكذلك فان من
يقول بالطبايع لا يفرق بين المحلين وانما الفرق
هو الشرع في التحريم والتحليل فهذا حجة من
قال اللواطة داخلة تحت اسم الزنا واما الاكثرون
من اصحابنا فقد سلموا ان اللواطة غير داخلة تحت
اسم الزنا واحتجوا بوجوه احدها العرف
المشهور ان هذا لواط وليس بزنا وبالعكس والاصل
عدم التغيير وثانيها لو حلف لا يزني فلاط لم
يحنث وثالثها ان الصحابة اختلفوا في حكم اللواطة
وكانوا عالمين باللغة فلو سمي اللواط زنا لاغناهم
نص الكتاب في حد الزنا عن الاختلاف والاجتهاد
واما الحديث فهو محمول على الاثم بدليل قوله عليه
السلم واذا اتت المراة المراة فهما زانيتان وقال
عليه السلم اليدان تزنيان والعينان تزنيان
واما القياس فبعيد لان الفرج وان كان يسمى
فرجا لما فيه من الانفراج فلا يجب ان يسمى كل ما فيه

انفراج بالفرج والا لكان الفم والعين فرجا ايضا فقد سموا
النجم نجما لظهوره ثم ما سموا كل ظاهر نجما وسموا الجنين جنينا
لاستتاره وما سموا كل مستتر جنينا واعلم ان الشافعي
له في فصل اللواطه قولان اصحهما عليه حد الزنا ان
كان محصنا يرجم وان كان غير محصن يجلد مايه ويغرب
عاما والثاني يقتل الفاعل والمفعول به سوا
كان محصنا او لم يكن لما روي عن ابن عباس قال
من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به
ثم في كيفية قتله اوجه احدها تحز رقبته
كالمرتد وثانيها يرجم بالحجارة وهو قول مالك
واحمد واسحق وثالثها يهدم عليه جدار يروي
ذلك عن ابي بكر رضي الله عنه ورابعها يرمي من
شاهق جبل يروي ذلك عن علي رضي الله عنه وانما
ذكروا هذه الوجوه لانه تعالى عذب قوم لوط بكل
ذلك قال تعالى فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم
حجارة من سجيل وعند ابي حنيفة لا يجلد الواطي بل يعزر
الفاعل المفعول فان كان عاقلا بالغا طايعا فان قلنا
على الفاعل حد الزنا وعلى المفعول جلد مايه وتغريب عام
محصنا او غير محصن وقيل ان كانت امراة محصنة
فعليها الرجم وليس بصحيح لانها لا تصير محصنة بالتمكين
في الدبر فلا يلزمها فلا يلزمها حد المحصنات كما لو كان
المفعول به ذكر حجة الشافعي على وجوب الحد من
وجوه الاول ان اللواط اما ان يساوي الزنا في الماهيه
او يساويها في لوازم هذه الماهيه فاذا كان كذلك وجب
الحد بيان كون قوله عليه السلم اذا اتى الرجل الرجل
فهما زانيان فاللفظ دل على كون اللايط زانيا واللفظ
الدال بالمطابقه دال على كمال بالالتزام على جميع لوازمها
ودلالة المطابقه والالتزام مشتركان في اصل الدلالة
فاللفظ الدال على حصول الزنا دل على حصول جميع
حصول اللوازم ثم بعد هذا ان يتحقق مسمى الزنا في
اللواط دخل تحت قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد
منهما مايه جلدة وان تحقق مسمى الزنا وجب ان يتحقق
لوازم مسمى الزنا لما ثبت ان اللفظ الدال على ماهيه
دال على تحقق جميع تلك اللوازم ترك العمل به في حق
الماهيه فوجب ان يبقى معمولا به في الدلالة على جميع تلك

اللوازم لكن من لوازم الزنا وجوب الحد فوجب ان يتحقق
ذلك في اللواط اكثر ما في الباب انه ترك العمل بذلك في
قوله عليه السلم واذا اتت المراة المراة فهما زانيتان لكن
لا يلزم من ترك العمل هناك تركه ههنا الثاني
ان اللايط يجب قتله فوجب ان يقتل رجما بيان الاول
قوله عليه السلم من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل
منهما والمفعول وبيان الثاني انه لما وجب قتله
وجب ان يكون زانيا والا لما جاز قتله لقوله عليه السلم
لا يحل دم امرئ مسلم الا لاحدى معان ثلاث وههنا لم يوجد
كفر بعد ايمان ولا قتل نفس بغير حق فلو لم يوجد الزنا
بعد الاحصان لوجب ان لا يقتل واذا ثبت انه وجد
الزنا بعد الاحصان وجب الرجم لهذا الحديث الثالث
تقيس اللواط على الزنا والجامع ان الطبع داع اليه لما
فيه من الالتذاذ وهو قبيح فناسب الزاجر والحد يصلح
زاجرا عنه قالوا الفرق من وجهين احدهما انه
وجد في الزنا داعيان وكان وقوعه اكثر فكانت الحاجة
الى الزاجر اتم الثاني ان الزنا يقتضي فساد
الانسان العامها بوطي العجوز السوها واحتج ابو حنيفة
بوجوه احدها اللواط ليس بزنا على ما تقدم فوجب
ان لا يقتل لقوله عليه السلم لا يحل دم امرئ مسلم الا
لاحدى معان ثلاث وثانيها ان اللواط لا يساوي
الزنا في الحاجة الى شرع الناجز ولا في الجنايه فلا يساويه
في الحد بيان عدم المساواة في الحاجة ان اللواطة ان
كان يرغب فيها الفاعل لكن لا يرغب فيها المفعول طبعا
بخلاف الزنا فان الداعي حاصل من الجانبين واما
عدم المساواة في الجنايه فلان الزنا اضاعة النسب
ولا كذلك اللواط اذا ثبت هذا فوجب ان لا يساويه في
العقوبه لان الدليل ينفي شرع الحد لكونه ضررا ترك
العمل به في الزنا فوجب ان يبقى في اللواط على الاصل
وثالثها ان الحد لكونه كالبدل عن المهر فلما لم
يتعلق باللواط المهر فكذلك لا يحد والجواب عن الاول
ان اللواط وان كان لا يرغب فيها المفعول لكن ذاك
سبب لاشتداد رغبة الفاعل لان الانسان حريص
على ما منع وعن الثالث انه لا بد من الجامع المسيلة
الثانيه اجمعت الامة على حرمة اتيان البهيمه وللشافعي

في عقوبته اقوال احدها حد الزنا فرجم المحصن وجلد غير
المحصن والغرب والثاني انه يقتل بحصاة كان او غير
محصن لما روي عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه
فقيل لابن عباس ما شان البهيمة قال ما اراه قال
ذلك الا انه كره ان يوكل لحمها فقد عمل بها ذلك العمل ○
والقول الثالث وهو الاصح وقول ابي حنيفة
ومالك والثوري واحمد ان عليه التعزير لان الحد شرع
للزجر فيما يميل النفس اليه وضعفوا حديث ابن عباس مع
ضعف اسناده وان ثبت فهو معارض بما روي انه ○
عليه السلم نهى عن ذبح الحيوان الا لما كله المسئلة
الثالثة السحق من النسوان واتيان المينة والاستمناء
بالبد لا يشرع فيها الا التعزير البحث الثاني عن
احكام الزنا اعلم انه كان في اول الاسلام عقوبة الزاني
الحبس الى الممات في حق الثيب والاذى بالكلام في حق
البكر قال تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما
فان قيل كيف جعل حد الثيب على الزنا الرجم وحد البكر الجلد
والتغريب فلم فرق بينهما المسلمان
الاولى الجواب انكروا الرجم واحتجوا فيه بوجوه احدها
قوله تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب
فلو وجب الرجم على الرقيق لكان الرجم لا نصف له ○
وثانيها ان الله سبحانه ذكر في القرآن انواع المعاصي
من الكفر والقتل والسرقة ولم ينقض في احكامها كما
انقضى في بيان احكام الزنا الا ترى انه تعالى نهى عن
عن الزنا بقوله ولا يقربوا الزنا ثم يوعد عليه ثانيا بالنار
كما في كل المعاصي ثم ذكر الجلد ثالثا ثم خص الجلد بوجوب
احصان المومنات رابعا ثم خصه بالنهي عن الرافة عليهن
بقوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله خامسا
ثم اوجب على من رمى مسلما بالزنا ما بين حده سادسا
ولم يجعل على من رماه بالفسق والكفر مما اعظم منه
ثم في الشاهد تعالى ساسعا لا تسلوا الصوم ده الد ٣
ثم ذكر ثامنا والمتلمس من رمى زوجته ما وجب اللعان

واستحقاق غضب الله ثم ذكر تاسعا ان الزانية لا ينكحها الا
زان او مشرك ثم ذكر عاشرا ان الزنا مخصوص
بالشهود الاربع مع المسامحة في استقصا احكام الزنا قليلا
وكثير الايجوز ما هو اهمال احكام واعظم اثارها
ومعلوم ان الرجم لو كان مشروعا لكان اعظم ○
الاثار وحيث لم يذكر الله في كتابه دل على انه غير ○
وخامسها قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا
يقتضي وجوب الجلد على كل الزناة وايجاب الرجم
على البعض تخصيص عموم الكتاب بخبر الواحد وهو
غير جايز لان الكتاب قاطع في متنه وخبر الواحد غير
قاطع في متنه والمقطوع راجح على المظنون والحجة
الجمهور تنبني على ان المجتهدين على وجوب رجم المحصن ○
لما ثبت بالتواتر ان الله عليه السلم فعل ذلك وقال
الراوي روى الرجم ابو بكر وعمر وعلي وجابر بن عبد الله
وابو سعيد الخدري وابو هريرة وزيد بن الارقم ○
وزيد بن خالد في آخرين من الصحابة وبعض مولاه ○
الرواة روى خبر رجم ماعز وبعضهم الجهنية ○
وبعضهم الغامدية وقال عمر رضي الله عنه لولا ان
يقال الناس زاد عمر في كتاب الله لاثبته في المصحف
والجواب عما احتجوا اولا انه مخصوص بالجلد
فان قيل فليزم تخصيص القران بخبر الواحد قلنا
بل بالخبر المتواتر لما بينا ان الرجم منقول بالتواتر
وايضا فقد بينا في اصول الفقه ان تخصيص القران
بخبر الواحد جايز والجواب عن الثاني انه لا يبعد
تحديد الاحكام الشرعية بسبب تحدد المصالح فلعل
المصلحة التي تقتضي وجوب الرجم حدث بعد كرور تلك الازمان
والجواب عن الثالث نقل عن علي
انه عليه السلم انه كان يجمع بين الجلد والرجم وهو اختيار
احمد واسحق وداود واحتجوا عليه بوجوه احدها
ان عموم هذه الاية يقتضي وجوب الجلد والخبر المتواتر
يقتضي وجوب الرجم والا تنافاه فوجب الجمع وثانيها
قوله عليه السلم البكر بالبكر جلد مايه وتغريب
عام والثيب جلد مايه بالثيب جلد مايه ورجم بالحجارة ○
وثالثها ما روى البكر الرازي
في احكام القران البكر بالبكر جلد مايه وتغريب عام

والثيب بالثيب جلد مايه ورجم بالحجارة وثالثها روى
ابو بكر الرازي في احكام القران عن ابن جريج عن ابن الزبير
عن جابر ان رجلا زنا بامراة فامر به النبي صلى الله عليه
وسلم فجلد ثم اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
محصنا فرجم فامر به فرجم روي ان عليا سراحه الهمدانية
جلدها ثم رجمها وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة
رسول الله واعلم ان اكثر المجتهدين متفقون على ان
المحصن يرجم ولا يجلد واحتجوا عليه بامور احدها
قصة العسيف فانه عليه السلم قال يا انيس اغد على
امراة هذا فان اعترفت فارجمها ولم يذكر الجلد ولو وجب
الجلد مع الرجم لذكره وثانيها فانه عليه السلم ان
قصة ماعز وردت من جهات مختلفة ولم يذكر في شي
مع الرجم جلد ولو كان الجلد معتبرا لجلده النبي صلى
الله عليه وسلم ولو جلده لنقل كما نقل الرجم اذ ليس
احدهما بالنقل اولى من الاخر وكذا في قصة الغامدية
حتى اقرت بالزنا فرجمها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد ان وضعت ولو جلدها لنقل ذلك وثالثها
ما روى الزهري عن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس
قال عمر قد خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول
قايل لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة
انزلها الله وقرانا الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما
البتة رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بهذه
فاخبر ان الذي فرضه الله هو الرجم ولو كان الجلد واجبا
مع الرجم لذكره اما الجواب عن التمسك بالاية
فهو انها مخصوصة في حق المحصن وتخصيص عموم
القران بالخبر المتواتر غير ممتنع واما قوله عليه السلم
الثيب بالثيب جلد مايه ورجم بالحجارة فلعل ذلك
كان قبل قوله يا انيس اغد على امراة هذا فان اعترفت
فارجمها واما انه عليه السلم جلد امراة ثم رجمها
فلعله عليه السلم ما علم احصانها ورجمها وهو الجواب
عن فعل علي رضي الله عنه فهذا ما يمكن من التكليف في
هذه الاجوبة المسئلة الثانية قال
الشافعي رضي الله عنه يجمع بين الجلد والتغريب في حد
البكر وقال ابو حنيفة رضي الله عنه الجلد فاما التغريب
فمفوض الى راي الامام وقال مالك يجلد الرجل

ويغرب ويجلد حدث المراة ولا تغرب حجة الشافعي حديث
عبادة انه عليه السلم قال خذوا عني قد جعل الله
لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مايه وتغريب عام والثيب
بالثيب جلد مايه ورجم بالحجارة ويدل عليه ايضا
ما روى ابو هريرة وزيد بن خالد ان رجلا جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابني
كان عسيفا على هذا وزنا بامراته فافتديت منه بوليدة
ومايه شاة ثم اخبرني اهل العلم ان على ابني جلد
مايه وتغريب عام وان على امراة هذا الرجم فاقض
بيننا فقال عليه السلم والذي نفسي بيده لاقضين
بينكما بكتاب الله اما الغنم والوليدة فرد عليك بان
ابنك فان عليه جلد مايه وتغريب عام ثم قال
لرجل من اسلم اغد يا انيس على امراة هذا فان اعترفت
فارجمها واحتج ابو حنيفة على نفي التغريب بوجوه
احدها ان اتحاد التغريب يقتضي نسخ الاية ونسخ
القران بخبر الواحد وقدروا النسخ من ثلاثة اوجه
الاول انه سبحانه رتب الجلد على فعل الزنا
بالفا وحرف الفا للجزا الا ان ايمة اللغة قالوا النهي
بغير الله شرط وجزا وفسروا الشرط بالذي دخل
عليه كلمة ان والجزا بالذي دخل عليه حرف الفا للجزا
~~عليه كلمة ان~~ والجزا اسم لما يقع به الكفاية ماخوذ
من قولهم جازيناه اي كافيناه وقال عليه السلم
يجزيك ولا يجزي بعدك احد اي يكفيك ومنه قول
القايل اجزت الابل عن العشب بالما وانما يقع الكفاية
بالحد اذا لم يجب معه شي اخر فايجاب شي اخر
يقتضي نسخ كونه كافيا الثاني ان المذكور في
الاية لما كان هو الجلد فقد كان ذلك هو كمال الحد
فلو جعلنا النفي معتبرا مع الجلد كان الجلد بعض الحد
لا كل الحد فيفضي الى نسخ كونه كل الحد الثالث
ان بتقدير كون الجلد كمال الحد فان يتعلق بذلك
رد الشهادة ولو جعلناه بعض الحد لزال ذلك الحد
فثبت ان ايجاب التغريب يقتضي نسخ الاية وثانيها
قال ابو بكر الرازي لو كان النفي مشروعا مع الجلد
لوجب على النبي صلى الله عليه وسلم عند تلاوة

الاية النفي وان الجلد هو كمال الحد ولو كان كذلك كان اشتهاره مثل
اشتهار الاية فلما لم يكن خبر النفي بهذه المنزلة بل ورد
من طريق الاحاد علم انه غير معتبر وثالثها ما روي
ان تقريره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الامة
اذا زنت فليحدها فان زنت فاجلدها ثم بيعوها ولو
بضفير وفي رواية اخرى فليحدها الحد ولا ترتيب عليها ○
والاستدلال انه لو كان النفي ثابتا لذكره مع الحد ورابعها
انه اما ان يشرع التغريب في حق المراة او لا يشرع لا جايز
ان يكون مشروعا لانه يلزم منه الاضرار بالسيد من غير
جناية صدرت منه وهو غير جايز ولانه قال عليه السلم
بيعها ولو بضفير ولو وجب نفيها لما جاز بيعها لان لا بد
من تسليمها الى المشتري لا ينفي بالنفي الا جايزا ان مشروعا
لقوله تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب
وخامسها ان التغريب لو كان مشروعا في حقها وان
كان مشروعا في حق المراة فاما ان يكون مشروعا في حقها
وحدها او مع ذي محرم والاول غير جايز للنص ○
والمعقول اما النص فقوله عليه السلم لا يحل لامراة ان
ان تسافر من غير ذي محرم واما المعقول فهو ان
الشهوة غالبة في النسا والانزجار بالدين انما يكون في
الخواص من الناس فان الغالب بعدم الزنا من النسا
بوجود الحفاظ من الرجال وجاههن من الاقارب ○
وبالتغريب تخرج المراة من ايدي الحفاظ والرقبا ثم
يقل حياوها لبعدها عن معارفها فينفتح عليها باب
الزنا وربما كانت فقيرة فيشتد فقرها فيصير مجموع ذلك
سببا لفتح باب هذه الفاحشة العظيمة ولا جايز ○
ان يقال انا نغربها مع الزوج والمحرم لان عقوبة غير
الجاني لا تجوز لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى
وسادسها ما روي عن عمر بن الخطاب انه غرب
ربيعة بن امية بن خلف في الخمر الى خيبر فلحق بهرقل
فقال عمر لا اغرب بعدها احدا فلم يستثن الزنا
وروي عن علي عليه السلم انه قال في البكرين اذا زنيا
يجلدان ولا ينفيان وان نفيهما من الفتنة وعن عمر
ان امة له زنت فجلدها ولم ينفها ولو كان النفي معتبرا
في حد الزنا لما خفي ذلك على اكابر الصحابة وسابعها

ما روي ان شيخا وجد على بطن جارية يحيث عنها في حرمه فاتي
به النبي صلى الله عليه وسلم فقال اجلدوه مائة ○
فقيل انه اضعف من ذلك فقال خذوا عثكالا فيه مائة
شمراخ فاضربوه بها وخلوا سبيله ولو كان واجبا
لنفاه فان قيل انما لم ينفه لانه كان ضعيفا عاجزا
عن الحركة قلنا كان ينبغي ان يكتري له دابة من
بيت المال ينفي عليها فان قيل عسى كان يضعف عن
الركوب قلنا من قدر على الزنا كيف لا يقدر على ○
الاستمساك وثامنها ان التغريب نظير القتل ○
لقوله تعالى ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم
فنزلهما منزلة واحدة فاذا لم يشرع القتل في زنا
البكر وجب ان لا يشرع ايضا نظيره وهو التغريب ○
والجواب عن الاول انه ليس في كلام الله الا
اذا حال حرف الفا على الامر بالجلد فاما ان الذي عليه
حرف هذا الحرف فانه يسمى جزا وليس هذا من كلام
الله ولا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بل
هو قول بعض الادبا فلا يكون حجة اما قوله ○
اما لو كان النفي مشروعا لما كان الجلد كل الحد فنقول
لا نزاع في انه زال امري ما لان اثبات كل شي لا اقل
من ان يقتضي زوال عدمه الذي كان الان الزايل
ههنا حكما ليس شرعيا بل المزايد محض البراة ○
الشرعية الاصلية ومثل هذه الازالة لا يمتنع اثباتها
بخبر الواحد وانما قلنا ان الزايل محض العدم الاصلي
وذلك لان ايجاب الجلد مفهوم مشترك بين ايجاب
الجلد مع ايجاب التغريب وبين ايجابه مع نفي التغريب
والقدر المشترك بين القسمين لا اشعار
له بواحد من القسمين فاذا ايجاب الجلد لا اشعار
فيه البتة لا بايجاب التغريب ولا بعدم ايجابه الا
ان نفي التغريب كان معلوما بالعقل نظرا الى البراة
الاصلية فاما كون الجلد وحده مجزيا وكونه وحده
كمال الحد وتعليق رد الشهادة عليه فكل ذلك تابع
لنفي وجوب الزيادة فلما كان النفي معلوما بالعقل
جاز قبول خبر الواحد فيه كما ان الفروض لو كانت
خمسا لتوقف على ادايها الخروج عن عهدة التكليف
وقبول الشهادة فلو زيد فيها شي اخر لتوقف الخروج

عن العهدة وقبول الشهادة على اداء تلك الزيادة مع انه يجوز
اثباته بخبر الواحد والقياس فكذا ههنا اما لو قال
انه تعالى فرض الجلد كمال الحد وعليها وحدها متعلق
رد الشهادة فلا يقبل ههنا في اثبات الزيادة لان
نفي وجوب الزيادة ثبت بدليل شرعي متواتر والجواب
عن الثاني انه لو صح ما ذكره الوجوب في كل ما خصص
انه عامة ان يبلغ في الاشتهار مبلغ تلك الاية
ومعلوم انه ليس كذلك والجواب عن الثالث
ان قوله ثم يبيعوها لا يفيد التعقيب فلعلها تنفي ثم
بعد النفي تباع والجواب عن الرابع معارض بما
روى ابو عيسى في جامعه انه عليه السلم جلد وغرب
وان ابا بكر جلد وغرب والجواب عن الخامس
ان للشافعي في تغريب العبد قولان احدهما لا يغرب
لانه قال عليه السلم اذا زنت امة احدكم
فليجلدها الحد ولم يامر بالتغريب ولان التغريب
للمعمرة ولا معمورة على العبد فيه لانه ينقل من يد الى
يد ولان منافعه للسيد ففي نفيه اضرار بالسيد
والثاني وهو الاصح انه يغرب لقوله تعالى
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ولا
ينظر الى ضرر المولى كما يقتل العبد بسبب الردة
ويجلد العبد في الزنا والقذف وان تضرر المولى فعلى
هذا كم يغرب فيه قولان اصحهما يغرب نصف سنة لان
التغريب للانجاس وذلك مع يرجع الى طبع يستوي فيه
الحر والعبد كمدة الايلا والعنة والجواب عن
السادس ان المراة لا تغرب وحدها بل مع محرم وان
لم يتبرع المحرم بالخروج معها اعطى اجرته من بيت
المال وان لم يكن لها محرم تغرب مع النسا الثقات
كما يجب عليها الخروج معهن الى الحج معهن قوله التغريب
يفتح عليها باب الزنا قلنا لا نسلم لان اكثر الزنا
بالالف والمؤانسة وفراغ القلب واكثر هذه الاشيا تبطل
بالغربة فان الانسان يقع في الوحشة والتعب والنصب
فلا يتفرغ للزنا والجواب عن السابع اي استبعاد
في ان يكون الانسان الذي يعجز عن ركوب الدابة يقدر
على الزنا والجواب عن الثامن انه ينتقض بالتغريب
اذا وقع على سبيل التعزير المسئلة الثالثة

انفقت الايمة على ان قوله سبحانه وتعالى الزانية يفيد
الحكم في كل الزناة لكنهم اختلفوا في كيفية تلك الدلالة
فقال قائلوا لفظ الزاني يفيد العموم والمختار انه
ليس كذلك ويدل عليه وجوه احدها ان الرجل
اذا قال لبست الثوب وشربت الما لا يفيد العموم
وثانيها انه لا يجوز تاكيده بما يوكد به الجمع فلا يقال
جاني الرجل اجمعون وثالثها لا ينعت بنعوت
الجمع فلا يقال جاني الرجل الفقرا وتكلم الفقيه الفضلا
فاما قولهم اهلك الناس الدرهم البيض والدنانير
الصفر فمجاز بدليل انه لا يطرد فان كان الدنانير
الصفر حقيقة وجب ان يكون الدينار الاصفر مجازا
ورابعها ان الزاني جزء من هذا الزاني فايجاب
جلدها الزاني فلو كان ايجاب جلد الزاني ايجاب
جلد كل زان لزم ان يكون ايجابه جلد هذا الزاني موجبا
ايجاب جلد كل زان ولما لم يكن كذلك بطل ما قالوه
فان قيل لم لا يجوز ان يقال اللفظ المطلق
انما يفيد العموم بشرط العرا عن لفظ التعيين او يقال
اللفظ المطلق وان اقتضى العموم الا ان لفظ التعيين
يقتضي الخصوص قلنا اما الاول فباطل لان
العدم لا دخل له في التاثير واما الثاني فلانه يقتضي
التعارض وهو خلاف الاصل وخامسها انه
يقال الانسان هو الضاحك فلو كان المفهوم من قولنا
الانسان هو كل انسان لنزل ذلك منزلة ما يقال كل
انسان هو الضحاك وذلك متناقض لانه يقتضي حصر
الانسانية في كل واحد من الناس ومعنى الحصر هو انه
ثبت فيه لا في غيره فيلزم ان يصدق على كل واحد من
اشخاص الناس انه هو الضحاك لا غير واحتج المخالف
بوجهين الاول انه يجوز الاستثنا منه لقوله تعالى
ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
والاستثنا الخروج من الكلام ما لولاه لدخل عنه الثاني
ان الالف واللام للتعريف وليس ذلك لتعريف الماهية
فان ذلك قد حصل باصل الاسم ولا لتعريف واحد بعض
من اثبت الخصوص فانه ليس بعض المراتب اولى من
بعض فوجب حمله على تعريف الكل والجواب عن
الاول ان ذلك الاستثنا مجاز بدليل انه يصح ان يقال

رايت الانسان الا المومنين وعن الثاني انه يبطل بدخول
الالف واللام على الصيغة الجمع فان جعلتها هناك
للتاكيد فكذا ههنا ومن الناس من قال ان قوله الزانية
وان كان لا يفيد العموم بحسب اللفظ لكنه لكنه يفيد
بحسب القرينة وذلك من وجهين الاول ان
ترتيب الحكم على الوصف المشتق يفيد كون ذلك الوصف
علة لذلك الحكم لا سيما اذا كان الوصف مناسبا وههنا
كذلك على ان الزنا علة لوجوب الجلد فيلزم ان يقال
اسما يحقق الزنا انه يتحقق وجوب الجلد ضرورة لان
العلة لا تنفك عن المعلول الثاني ان المراد من
قوله الزانية والزاني اما ان يكون كل الزناة او البعض
فان كان الثاني صارت الاية محكمة وذلك يمنع من
امكان العمل به لكن العمل به مامور وما لا يتم الواجب
الا به فهو واجب فوجب حمله على العموم حتى يمكن العمل به
البحث الثالث في الشرايط المعتبرة في كون
الزنا موجبة للرجم تارة والجلد اخرى فنقول
اجمعوا على ان كون الزنا موجبة لهذين الحكمين مشروطا
بالعقل والبلوغ بل هما معتبران في كل العقوبات
اما كونها موجبة للرجم فلا بد مع العقل والبلوغ
من امور اخر الشرط الاول الحرية واحتجوا على
ان الرقيق لا يجب عليه الرجم البتة الشرط الثاني
الزوج بنكاح صحيح فلا يحصل الاحصان بالاصابة بملك
اليمين ولو وطي الشبهة ولا بالنكاح الفاسد الشرط
الثالث الدخول ولا بد منه لقوله عليه السلم الثيب
بالثيب وانما يعتبر بالوطي وههنا مسئلتان المسئلة
الاولى هل يشترط ان يكون الاصابة بالنكاح بعد
البلوغ والحرية والعقل فيه وجهان احدهما لا يشترط
حتى لو اصاب عبد امة بنكاح صحيح او في حال الجنون
والصغر ثم كمل حاله فزنا يجب عليه الرجم لانه وطي
يحصل به التحليل للزوج الاول فيحصل به الاحصان
كالوطي في حال الكمال ولان النكاح يجوز ان يكون
قبل الكمال فكذلك الوطي والثاني وهو الاصح وهو
ظاهر النص وهو قول ابي حنيفة يشترط ان يكون
الاصابة بالنكاح بعد البلوغ والحرية والعقل لانه لما
شرط اكمل الاصابات وهو ان يكون بنكاح صحيح شرط

ان تكون تلك الاصابة في حال الكمال المسئلة الثانية
هل يعتبر الكمال في الطرفين او يعتبر في كل واحد منهما كماله
في نفسه دون صاحبه فيه قولان احدهما يعتبر في
الطرفين حتى لو وطي الصبي بالغة حرة فانه لا يحصنها
وهو قول ابي يوسف حجة القول الاول انه وطي
لا يفيد الاحصان لاحد الواطيين فلا يفيد الاخر لو وطي
الامة حجة القول الثاني انه لا يشترط كونهما على
على صفة الاحصان وقت النكاح فكذا عند الدخول
الشرط الرابع الاسلام ليس شرطا في كون الزنا
موجبا للرجم عند الشافعي وابي يوسف وقال ابو
حنيفة شرط احتج الشافعي بامور اولها قوله عليه
السلم اذا قبلوا الجزية فاعلمهم ان لهم ما للمسلمين وعليهم
ما على المسلمين ومن جملة ما على المسلمين كونه بحيث
يجب عليه الرجم عند الاقدام على الزنا فوجب ان
يكون الذمي كذلك لتحصل التسوية ثانيها حديث
مالك عن نافع عن ابن عمر انه عليه السلم قال رجم
يهوديا ويهودية زنيا فاما ان يقال انه عليه السلم حكم
بذلك بشريعته او بشريعة من قبله فان كان الاول
فالاستدلال بين وان كان الثاني فكذلك لانه صار
شرعا له وثانيها ان زنا الكافر مثل المسلم فيجب
عليه ما يجب على المسلم وذلك لان الزنا محرم قبيح
مناسب الزجر وايجاب الرجم يصلح زاجرا له لا ينتفي
الالتفات بالكفر والايمان والكفر وان كان لا يوجب
تغليظ الجناية فلا يوجب تخفيفها واحتج ابو حنيفة
بوجوه احدها التمسك بعموم قوله الزانية
والزاني ترك العمل في حق المسلم بمعنى مفقود في الذمي
ووجه الفرق ان القتل بالاحجار عقوبة عظيمة فلا
تجب الا بجناية عظيمة والجناية تعظم بكثرة النعم في حق
الجاني عقلا وشرعا اما العقل فلان المعصية كفران
النعمة وكلما كانت النعم اكثر واعظم كان كفرانها اقبح
واعظم واما الشرع فلان الله تعالى قال في حق
نساء النبي صلى الله عليه وسلم يا نساء النبي من تاب
منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
وكان الى اخره فلما كانت نعم الله في حقهن اكثر كان
العذاب في حقهن اكثر وقال في حق الرسول

صلى الله عليه وسلم لو كذت تركن اليهم شيا قليلا اذا ٥
لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات وانما عظمت ٥
معصيته لان النعمه في جنبه اعظم وهي نعمه النبوه
بر من المعلوم ان نعم الله في حق المسلم المحصن اكثر منها
في حق الذمي فكانت معصيه المسلم اعظم فوجب
ان تكون عقوبته اشد وبانها قوله عليه السلم
من اشرك بالله فليس بمحصن ان الذمي لم يزن بعد ٥
الاحصان فلا يجب عليه الحد بيان الاول قوله عليه
السلم لا يحل دم امري مسلم الا بي معان ثلاث واذا
كان المسلم كذلك وجب ان يكون الذمي كذلك لقوله
عليه السلم اذا قبلوا عقد الجزيه فما عليهم ان لهم ما للمسلمين
وعليهم ما على المسلمين وبانيها اجمعنا على ان عقد
الاحصان القذف يعتبر فيه الاسلام فكذا الاحصان
الرجم والجامع ما ذكرنا من كمال النعمه والجواب
عن الاول ان الحصن عنه النسب المسلم فلذا النسب
الذمي وما ذكروه من حديث زيادة النعمه على المومن
فنقول نعمه الاسلام حصلت بتسبب العبد فيصير ذلك
كالخدمه الزائده وزياده الخدمه ان لم تكن سببا لتعدد
فلا اقل من ان تكون سببا لزياده العقوبه وعن
الثاني لانسلم ان الذمي مشرك سلمناه لكن
الاحصان قد رادبه الزواج لقوله تعالى والذين
يرمون المحصنات وفي التفسير فاذا احصن يعني
تزوجن فاذا ثبت هذا فنقول الذمي ليس بمحصن
بهذا التفسير فوجب رجمه لقوله ورثنا نجد احصان
رجم الحكم في حق المسلم هذا الوصف فدل على كون
الوصف علة والوصف قايمة في حق الذمي فوجب كونه
مسلزما للحكم وعن الثالث ان حد القذف لدفع
كرامه المقذوف والكافر لا يكون محلا للكرامه ٥
وصيانه العرض خلاف ههنا اما ما يتعلق بالجلد
ففيه مسايل المسئله الاولى اتفقوا على
ان الرقيق لا يرجم واتفقوا على انه يجلد وثبت بنص
الكتاب ان ما على الاماء نصف ما على المحصنات من ٥
العذاب فلا جرم اتفقوا على ان الامه تجلد خمسين ٥
جلده واما العبد فقد اتفق الجمهور على انه يجلد
خمسين جلده الا على اهل الظاهر فانهم قالوا عموم

قوله الزانيه والزاني يقتضي وجوب الماية على العبد والامه
الاانه ورد التنصيف في حق الامه فلو قسنا العبد عليه
كان تخصيصا لعموم الكتاب بالقياس وانه غير جايز
ومنهم من قال الامه اذا تزوجت فعليها خمسون جلده واذا
لم تتزوج فعليها الماية بظاهر قوله فاجلدوا كل واحد
منهما ماية جلده وذكر في قوله فاذا احصن اي زوجن ٥
فعليهن نصف ما على المحصنات المسئله الثانيه
قال الشافعي وابو حنيفه الذمي يجلد وقال مالك
لا يجلد لنا وجوه احدها عموم قوله الزانيه والزاني
وثانيها قوله عليه السلم اذا زنت امة احدكم فليجلدها
وقوله اقيموا الحد وعلى ما ملكت ايمانكم ولم يفرق بين
الذمي والمسلم وبالثها انه عليه السلم رجم
اليهوديين فان كان ذلك الرجم من شرع محمد فقد حصل
المقصود وان كان من شرعهم فلما فعله الرسول
صار من شرعه وهذه المسئله ترجع الى ان الكفار ٥
مخاطبون بفروع الشرايع ام لا والبحث الرابع
فيما يدل على صدور الزنا منه اعلم ان ذلك لا يحصل
الا من احد امرين اما ان يقر او يشهد عليه الشهود اما الوجه الاول
وهو ما اذا اقر فقال الامام محيي السنه رحمه
الله في كتاب التهذيب لا خلاف انه على القاضي ان يشتغل
من القضاء بعلم نفسه مثل ما اذا ادعى رجل على آخر
حقا واقام عليه بينه والقاضي يعلم انه قد ابراه
او ادعى انه قتل اباه وقت كذا فقد اباه وقت كذا
فقد راه القاضي حيا بعد ذلك او ادعى نكاح امراه
وقد سمعه القاضي طلقها لا يجوز ان يقضي به وان ٥
اقام عليه شهودا وهل يجوز للقاضي ان يقضي ٥
بعلم نفسه مثل ان ادعى عليه اقرضه او سمح المدعي عليه اقرضه فيه قولان اصحهما
وبه قال ابو يوسف ومحمد والمزني انه يجوز له
ان يقضي بعلمه لانه لما جاز ان يحكم بشهاده الشهود
وهو من قولهم ظن فلان يجوز لما راه وسمعه ٥
ومومنه على علم اولى قال الشافعي في كتاب
الرساله اقضي بعلمي وبما اوتي من شاهدين وبشاهد
وبشاهد وامراتين وبما اوتي من شاهد ويمين

على

وبشاهد ويمين وهو اقوى من النكول ورد اليمين والقول
الثاني لا يقضي بعلمه وهو قول ابن ابي ليلى لان
انتفا التهمة شرط في القضا ولم يوجد هذا في المال
اما في العقوبات ففيها نظر ان كان العقوبة من حق
العباد كالقصاص وحد القذف هل يحكم فيه بعلم
نفسه ترتيب على المال ان قلنا هناك لا يقضي
فههنا اولى والا فقولان والفرق ان مبنى حقوق الله
على المساهلة والمسامحة ولا فرق على القولين ان يحصل
العلم للقاضي في بلد ولايته او في غيره وقال
ابو حنيفة ان حصل له العلم في بلد ولايته في زمان
ولايته له ان يقضي بعلمه والا فلا فنقول العلم لا يختلف
باختلاف هذه الاحوال فوجب ان لا يختلف الحكم
باختلافها الطريق الثاني الاقرار قال الشافعي
الاقرار بالزنا مرة واحدة يوجب الحد وقال ابو حنيفة
لا بد من الاقرار اربع مرات في اربع مجالس او في
مجلس واحد حجة الشافعي امران الاول
قصة العسيف وانه قال عليه السلم ان اعترفت فارجمها
وذلك دال على ان الاعتراف مرة واحدة كاف الثاني
لما اقر بالزنا وجب الحد عليه لقوله عليه السلم اقض
بالظاهر والاقرار مرة واحدة يوجب الظهور ولا سيما
ههنا وذلك لان الصارف عن الاقرار بالزنا اقوى
لما انه سبب العار في الحال والالم الشديد في المال
والصارف عن الكذب قائم وعند اجتماع الصارفين
يقوى الانصراف فثبت انه انما اقدم على هذا الاقرار لكونه
صادقا واذا ظهر اندرج تحت الحديث وتحت الاية او
بقيته على الاقرار بالقتل والردة واحتج ابو حنيفة
بوجوه احدها قصة ماعز واستدلال به من
وجوه الاول انه عليه السلم اعرض
عنه في المرة الاولى ولو وجب عليه الحد لم يعرض
لان الاعراض عن اقامة حد الله بعد كمال الحجة لا يجوز
الثاني انه قال عليه السلم انك شهدت على
نفسك اربع مرات ولو كان الواحد مثل الاربع في ايجاب
الحد كان هذا القول لغوا الثالث روي عن
ابي بكر الصديق انه قال لماعز بعد ما اقر ثلاثا لو
اقررت الرابعة لرجمك رسول الله والرابع عن

بريدة الاسلمي قال كنا معاشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم نقول لو لم يقر ماعز اربع مرات مما رجمه رسول
الله وثانيها انهم قاسوا الاقرار على الشهادة وكما انه
لا يقبل في الزنا الا اربع شهادات فكذا في الاقرار والجامع
السمعي في كتمان هذه الفاحشة وثالثها ان الزنا لا ينتفي
الا باربع شهادات في اللعان فجاز ان لا يثبت الا بالاقرار
اربع مرات وبه يفارق ساير الحقوق فانها تنتفي بيمين
واحدة فجاز ايضا ان يثبت بالاقرار واحد والجواب
عن الاول انه ليس في الحديث الا انه عليه السلم حكم بالشهادة
الاربع وذلك لا ينافي حكم جواز الحكم بالشهادة الواحدة
وعن الثاني ان الفرق بينهما ان المقذوف لو اقر
بالزنا مرة لسقط الحد عن القاذف حيث لم يثبت به الزنا
الطريق الثالث الشهادة فقد اجمعوا على انه لا بد
من اربع شهادات ويدل عليه قوله تعالى واستشهدوا
عليهن اربعة منكم والكلام فيه سياتي ان شا الله تعالى
في قوله ثم لم ياتوا باربعة شهدا البحث الخامس
في ان المخاطب بقوله تعالى فاجلدوا فاجتمعت الايمة
على ان المخاطب بذلك هو الامام ثم احتجوا بهذا على
وجوب نصب امام قالوا لانه سبحانه امر باقامة الحد
واجمعوا على انه لا يتولى اقامتها الا الامام وما لا يتم
الواجب المطلق الا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب
فكان نصب الامام واجبا وقد مر بيان هذه الدلالة في
قوله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما بقي ههنا
ثلاث مسايل المسيلة الاولى قال الشافعي
للسيد اقامة الحد على مملوكه وهو قول ابن مسعود وابن
عمر وفاطمة وعايشة وعند ابي حنيفة وابي يوسف
ومحمد وزفر لا يملك وقال مالك يحده في الزنا وشرب
الخمر والقذف ولا يقطعه في السرقة وانما يقطعه الامام
وهو قول الليث احتج الشافعي بوجوه احدها
قوله عليه السلم اذا زنت امة احدكم فليحدها الحد
قال ابو بكر الرازي لا دلالة في هذه الاخبار اقيم الحدود
على ما ملكت ايمانكم هو كقوله الزانية والزاني فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة ومعلوم ان المراد رفعه الى
الامام لاقامة الحد فالمخاطبون باقامة الحد هم
الايمة وساير الناس مخاطبون برفع الامر اليهم حتى

يقيموا الحدود وكذلك قوله اقيموا الحدود على ما ملكت ايمانكم
على هذا المعنى واما قوله اذا زنت امة احدكم فليجلدها
فانه ليس كل جلد حدا لان الحد قد يكون على وجه التعزير
فاذا عزرنا فقد وفينا بمقتضى الحديث والجواب
ان قوله امر باقامة الحد فحمل هذا اللفظ على رفع الواقعة
الى الامام عدول عن الظاهر اقصى ما في الباب انه
ترك الظاهر في قوله فاجلدوا لكن لا يلزم من ترك الظاهر
هناك تركه هنا واما قوله فليجلدها المراد هو التعزير فباطل
لان الجلد المذكور عقيب الزنا لا يفهم منه الا الحد وثانيها
ان السلطان لما ملك اقامة الحد عليه فسيده اولى لان
تعلق بالعبد اقوى من تعلق السلطان لان الملك اقوى
من عقد البيعة وولاية السيادة على العبيد فوق
ولاية السلطان على الرعية حتى اذا كان للامة سيد واب
فان ولاية النكاح للسيد دون الاب ثم ان الاب يقدم
على السلطان في ولاية النكاح فان يكون السيد مقدما
على السلطان بدرجات فكان اولى للسيد بملك من
التصرفات في هذا المحل ما لا يملكه الامام فثبت ان المولى
اولى وثالثها اجمعنا على ان السيد يملك التعزير
فكذا الحد لان كل واحد نظير الاخر وان كان احدهما
مقدرا والاخر غير مقدر واحتج ابو بكر الرازي فقال
قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة ولم تفرق هذه الاية بين المحدودين من الاحرار
والعبيد فوجب ان يكون الائمة هم المخاطبون
باقامة الحدود على الاحرار والعبيد دون الموالي وثانيها
وثانيها لو جاز للمولى ان يسمع شهادة الشهود
على عبده بالسرقة ليقطعه فلو رجعوا عن شهادتهم
لوجب ان يتمكن من تضمين الشهود بتعلق بحكم الحاكم
بالشهادة لانه لو لم يحكم بالشهادة لم يضمنوا شيئا
فكان يصير حاكما لنفسه بايجاب الضمان عليهم وذلك
باطل لانه ليس لاحد من الناس ان يحكم لنفسه فعلمنا
ان المولى لا يملك استماع البينة على عبده بذلك ولا
قطعه وثالثها ان المالك ربما لا يستوفي الحد
لكماله لشفقته على ملكه واذا كان متهما فوجب ان يفوض
اليه والجواب عن الاول ان قوله فاجلدوا
ليس بصريح خطابا مع الامام لكن بواسطة انه لما

اقيموا

انعقد الاجماع على ان غير الامام لا يتولاه لانه يحتمل النزاع
والجواب عن الثاني قال محيي السنة في كتاب
التهذيب هل يجوز للمولى قطع يد عبده بسبب السرقة
او قطع الطريق فيه وجهان اصحهما يجوز نص عليه في
رواية البوشنجي لما روي عن ابن عمر انه قطع عبدا
له سرق وكما يجلده في الزنا والشرب والثاني لا بل
ان القطع الى الامام بخلاف الجلد لان المولى يملك جنس
الجلد وهو التعزير ولا يملك جنس القطع ثم قال وكل حد
يفهمه يقيمه المولى على ان ما يقيمه اذا ثبت باعتراف
العبد فان كانت بينة فهل يسمع المولى الشهادة فيه
وجهان احدهما يسمع لانه ملك الاقامة بالاعتراف
فملك بالبينة كالامام والثاني لا يسمع بل ذلك الى
الامام الحاكم والجواب عن الثالث انه منقوض بالتعزير
المسئلة الثانية اذا فقد الامام فليس لاحاد
الناس اقامة هذه الحدود بل الاولى ان يعينوا واحدا من
الصالحين ليقوم به المسئلة الثالثة الخارجي
المتغلب هل له اقامة الحدود من جهة من يلزمنا ان
ان نزيل ولايته ابعد من يفوض ذلك الى رجل من
الصالحين البحث السادس في كيفية اقامة
الحدود اما الجلد فاعلم ان المذكور في الاية في
الاية هو الجلد وهذا قدر مشترك بين الجلد الشديد والجلد
الخفيف والجلد على كل الاعضاء او على بعض الاعضاء فحينئذ
لا يكون لما في الاية اشعار بشيء واحد من هذه القيود
بل مقتضى الاية ان يكون الاتي بالجلد كيف ما كان
خارجا عن العهدة لانه اتى بما امر به فخرج عن العهدة
قال صاحب الكشاف وفي لفظ الجلد اشارة الى
انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم لان الجلد ضرب
يقلده جلده كقولك ظهره وبطنه وراسه الا انا لما
عرفنا ان المقصود منه الزجر والزجر لا يحصل بالجلد
الخفيف لا جرم تكلم العلماء في صفة الجلد على سبيل
القياس ثم ههنا مسائل المسئلة الاولى
المحصن يجلد مع ثيابه لا يجوز ولكن ينبغي بحيث ان
يكون يصل الالم اليه وينزع من ثيابه الحشو والمسعر
وروي ان ابا عبيدة بن الجراح اتي برجل في حد
فذهب الرجل ينزع قميصه وقال ما ينبغي لجسد المذنب

ان يضرب وعليه قميص فقال لا يدعو ينزع قميصه عليه اما
المراة فلا خلاف انه لا يجوز تجريدها بل تربط عليها
ثيابها حتى لا تنكشف ويلي ذلك منها امراة المسئلة
الثانية لا تمد ولا تربط بل تترك حتى يبقى بيديه ويضرب
الرجل قايما والمراة جالسة قال ابو يوسف ضرب
ابن ابي ليلى المراة القاذفة قايمة فخطاه ابو حنيفة
المسئلة الثالثة يضرب بسوط وسط لا جديد
يجرح ولا خلق لا يولم ويضرب ضربا بين ضربين لا شديد
ولا [illegible] واهي روى ابو عثمان النهدي قال اتي عمر
برجل في حد ثم جي بسوط فيه شدة فقال اريد الين
من هذا فاتي بسوط فيه لين فقال اريد الشد من
هذا فاتي بسوط بين السوطين فرضي به المسئلة
الرابعة تفرق السياط على اعضايه ولا يجمعها في موضع
واحد واتفقوا على انه يتقي المهالك كالوجه والبطن
والفرج ويضرب على الراس وهو قول علي كرم الله
وجهه حجة الشافعي قال ابو بكر رضي الله عنه
اضرب على الراس فان الشيطان فيه وعن عمر انه
ضرب على راسه حين سال عن الديارات على وجه
البعث حجة ابي حنيفة اجمعنا على انه لا يضرب على
الوجه فكذا على الراس والجامع الحكم والمعنى اما
الحكم فلان الشين الذي يلحق الراس يتاثر بالضرب
كالذي يلحق الوجه بدليل ان الموضحة والشجاج
حكمها في الراس والوجه واحد وفارقتا ساير البدن
لان الموضحة فيما سوى الراس والوجه انما يجب
حكمه ولا يجب فيها ارش الموضحة الواقعة في الراس والوجه
فوجب استوا الراس والوجه في وجوب صونها عن
الضرب واما المعنى فهو انما منع من الضرب على الوجه
لما فيه من الجناية على البصر وذلك موجود في الراس
لان ضرب الراس يظلم منه البصر وربما حدث منه
اختلاط العقل اجاب اصحابنا بان الفرق بين
الوجه والراس ثابت لان الضربة اذا وقعت على الوجه
تعظم الجبهة فربما انكسر بخلاف عظم القفا فانه
في نهاية الصلابة وايضا فالعين في نهاية اللطافة
فالضرب عليها يورث العمى وايضا فالضرب على الوجه
يكسر الانف لانه من غضروف لطيف ويكسر الاسنان

لانها عظام لطيفة ويقع في الخدين وهما لحمان قريبان
من الدماغ والضربة عليها في نهاية الخطر يسرع وقبول
ذلك بالاثر الى حرمة الدماغ وذلك ما يوجد في
الضرب على الراس المسئلة الخامسة لو فرق
سياط الحد تفريقا لا يحصل به التنكيل مثل ان
يضرب كل يوم سوطا او سوطين لا يجب وان ضرب
كل يوم عشرين فاكثر يجب والاولى ان لا يفرق
المسئلة السادسة ان وجب الحد على
الحبلى لا يقام حتى تضع الحمل روى عمران بن الحصين
ان امراة من جهينة اتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يا نبي الله اصبت
حدا فاقمه علي فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال
لوليها احسن اليها فاذا وضعت فاتني بها ففعل
فامر النبي بها النبي صلى الله عليه وسلم فشدت
عليها ثيابها ثم امر بها فرجمت ثم صلى عليها ولان المقصود
الثابت دون الاتلاف المسئلة السابعة
ان وجب الحد على المريض نظر ان كان يرجى زواله
من صداع او ضعف ولادة يوخر حتى يبرا كما لو اقيم عليه
قطع او قطع لا يقام عليه حد اخر حتى يبرا عن الاول
وان كان مرضا لا يرجى زواله كالسل والزمانة
فلا يوخر ولا يضرب بالسياط لانه يموت وليس المقصود
موته وذلك لا يختلف سوا كان زنا في حال الصحة
ثم مرض او في حال المرض بل يضرب بالكال عليه
مائة شمراخ فيقوم ذلك مقام جلده كما قال تعالى
في قصة ايوب خذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث
وعند ابي حنيفة يضرب بالسياط دليلنا عليه ما روي
ان رجلا مقعدا اصاب امراة فامر النبي صلى الله عليه
وسلم فاخذوا مائة شمراخ فضربوه بها ضربة واحدة
ولان الصلاة اذا كانت تختلف باختلاف حاله فالحد
اولى بذلك المسئلة الثامنة يقال وقت
اعتدال فان كان في حال شدة حر او برد نظر ان كان
الحد رجما يقام عليه كما يقام في المريض لان المقصود
قتله وقيل ان كان رجما يثبت عليه باقراره فيوخر
الى اعتدال الهوا وزوال المرض ان كان مرضا يرجى
زواله لانه ربما رجع عن اقراره في حال الرجم وقد

انار الرجم في جسمه وبعد ان شده الحر والبرد والمرض على
اهلاكه لم يجز الرجم فوجب تاخيره لانه لا يسقط وان كان
احد طرفي الرجم اقامته في شدة الحر والبرد كما لا يقام
في المرض اما الرجم ففيه مسائل المسئلة
الاولى قال الشافعي ومالك يجوز للامام ان يحفر رجمه
وان لا يحفر وقد اليهود لا يلزمهم الحفر وقال
ابو حنيفه ان ثبت الزنا بالبينه وجب على الشهود ان
يبدؤا بالرجم ثم الامام ثم الناس وان ثبت باقرار
بدا الامام ثم الناس لنا ما روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم امر برجم ماعز والغامدية ولم يحفر
لرجمها المسئلة الثانية ان ثبت الزنا باقرار ان
متى رجع برك ووقع في بعض الحدود لم يقع به وقال
ابو حنيفه والثوري واسحق وقال الحسن وابن
ابي ليلى وداود لا يقبل رجوعه ولسان الحجة القول
الاول ان ماعزا لما مسته الحجارة هرب وقال عليه
السلم هلا تركتموه المسئلة الثالثة يحفر للمراة
الى صدرها حتى لا تكشف ويرجى الرأس ولا يحفر للرجل
لما روي ابو سعيد الخدري ان ماعزا اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اني اصبت فاحشة فاقمه علي
فرد صلى الله عليه وسلم مرارا ثم سال قومه فقالوا لا نعلم
بها فامر بان يرجم فانطلقنا به الى بقيع الغرقد فما
رميناه بالحجارة فر يشتد حتى ادركناه بالحرة فرميناه
بالعظام والمدر
والخزف فمات فاشتد واشتددنا خلفه حتى اتى عرضه
الحرة فانتصب لنا فرميناه بجلاميد حتى سكت وجه
الاستدلال انه قال فما وثقناه ولا حفرنا له ولانه
هرب ولو كان في حفرة لما امكنه ذلك المسئلة
الرابعة اذا مات في الحد غسل وكفن وصلي عليه
ودفن في مقابر المسلمين هذا ما اردنا ذكره في بيان
الاحكام الشرعية المتعلقة بهذه الاية واما الماحث
العقلية فاعلم ان من الناس من قال لا شك ان البدن
مركب من اجزاء كثيرة واما ان يقوم بكل جزء حياة
وعلم وقدرة على حدة او يقوم بكل الاجزاء حياة واحدة وعلم
واحد وقدرة واحدة والثاني محال لاستحالة قيام
العرض الواحد بالمحال الكثيرة فتعين الاول واذا
كان كذلك كان كل جزء من اجزاء البدن حيا عالما على حدة

وعالما بعلم على حدة وقادرا على حدة اذا ثبت هذا فنقول الزاني
هو الفرج لا الظهر فليت شعري من الحكيم ان امر بجلد
الظهر ولانه ربما كان الانسان بحال اقامة الحد عليه مما يمنع
الزنا عجيبا فحيا ثم قتل بعد ذلك فليت شعري اي الام
تلك الاجزاء الزائدة مع انها كانت بريئة عن فعل الزنا
فان قلت فعلى هذا قد وقع من واحد فعل الزنا
وهو ان محال بل كل واحد من اجزاء البدن فاعلا على حدة
ودلت محال بل الحياة والعلم والقدرة تعود بالجزء
الواحد ثم يوجب حكم الجميع والعالمية والقادرية
لمجموع الاجزاء فيكون المجموع حيا واحدا عالما واحدا قادرا
واحدا وعلى هذا التقدير فالسؤال والجواب
اما الاول فضعيف وذلك لان العلم اذا قام بجزء
واحد فاما ان يحصل عند مجموع الاجزاء اذا قام بجزء
قيام الصفة الواحدة بالمحال الكثيرة وهو محال او يقوم
بكل جزء عالميه على حدة ويعود المحذور والمذكور وانما
الباقي فقي نهاية البعد لانه اذا كان الفاعل
للفعل هو ذلك المجموع حصل عند ضرب هو الحد واعلم ان
المقصود من احكام وحكمة الشرع رعاية المصالح
ونحن نعلم ان شرع الحد يفيد الزجر وكان المقصود
حاصلا اما قوله تعالى ولا تاخذكم بهما
رافة في دين الله ففيه مسائل المسئلة
الاولى الرافة رحمة وقراءة الحسن سكون الهمزة وفتح
رافة بفتح الهمزة وزاد هو الف على فعالة
المسئلة الثانية يحتمل ان يكون المراد
لا تاخذ كما رافة بان تعطل الحد او تنقص منه المعنى
لا تتطلوا الحدود ولا تركوا اقامتها لشفقة والرحمة
وهذا قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير واختيار
الفراء والزجاج ويحتمل ان لا تاخذ رافة بان تخفف
الجلد وهو قول سعيد بن المسيب وقتادة ويحتمل
كل الامرين والاول اولى لان الذي تقدم ذكره
الامر بنفس الجلد ولم يذكر صفته فيما يحتمله ان
يكون زاجرا اليه ونهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اسوة في ثلاث حد قال لو سرقت فاطمة
بنت محمد لقطعت يدها ونهيه بقوله في دين الله
اذا اوجب امرا صح استعمال الرحمة في خلافه

اما قوله تعالى ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
فهو من الهيج والتهاب الغضب الله تعالى ولذنبه ○
قال الجبائي تقدير الآية ان كنتم مؤمنين فلا تتركوا
اقامة الحدود وهذا يدل على ان اداء الواجبات
من الايمان خلاف ما تقوله الموجبة والجواب
عن الرأفة لا يحصل الا اذا حكم الانسان بطبعه ان ○
الاولى ان لا تقام تلك الحدود وحينئذ يكون منكرا
للدين فيخرج عن الايمان وفي الحديث يؤتى بوال
نقص من حد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقول
انت ارحم به مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد
سوطا فيقول انهى عن معاصيك فيقول الا انت
احكم به مني فيؤمر به الى النار اما قوله ○
وليشهد امر ظاهر للوجوب لكن الفقهاء قالوا يستحب حضور
الجمع والمقصود اعلان اقامة الحد لما فيه من الردع
ولما فيه من دفع التهمة عن من يجلد وقيل اراد بالطائفة
الشهود ويجب حضورهم ليعلم بقاؤهم على الشهادة
المسئلة الثالثة اختلفوا في اقل الطائفة
على اقوال احدها انه رجل واحد وهو قول
النخعي ومجاهد واحتجا بقوله تعالى وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا وثانيها انه اثنان وهو ○
قول عكرمة وعطا فلو نفر من كل فرقة منهم طائفة
وكل ثلاثة فرقة والخارج عن الثلاثة واحد واثنان
والاحتياط يوجب الاخذ بالاكثر وثالثها انه ثلاثة
وهو قول الزبيري وقتادة قالوا الطائفة هي الفرقة
التي يمكن ان تكون حلقة كانها الجماعة طافة حول الشيء
وهذه الصورة اقل ما لا بد في حصولها الثلاثة ورابعها
اربعة بعدد شهود الزنا وهو قول ابن عباس ○
والشافعي وخامسها انه عشرة وهو قول الحسن
البصري لان العشرة هي العدد الكامل المسئلة
الرابعة تسميته عذابا يدل على انه عقوبة ويجوز ان
يسمى عذابا لانه يمنع المعاودة كما سمي نكالا لذلك ○
ونبه تعالى بقوله من المؤمنين على ان الذين يشهدون
يجب ان يكونوا بهذا الوصف لانهم اذا كانوا كذلك
عظم موقع حضورهم وعظم موقع اخبارهم عما
شاهدوه فيخاف المجلود من حضور الشهود فيكون

الاشتغال

ذلك اقوى في الاوجاد الحكم الثاني قوله تعالى
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا
زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قرئ لا ينكح
بالجزم على النهي وقرئ بفتح الحاء ثم ان في الآية
سؤالات السؤال الاول قوله الزاني لا ينكح
الا زانية او مشركة ظاهره خبر ثم انه ليس الامر كما
يشعر به لان الزاني قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية
قد ينكحها المؤمن العفيف الثاني انه قال وحرم
ذلك على المؤمنين وليس كذلك فان المؤمن يحل له
التزويج بالمرأة الزانية والجواب اعلم ان
المفسرين لاجل هذين السؤالين ذكروا وجوها احدها
وهو احسنها ما قاله القفال وهو ان اللفظ وان
كان عاما لكن المراد منه الاعم الاغلب وذلك لان
الفاسق الخبيث الذي من شانه الزنا والفجور لا يرغبه
في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغبه في فاسقة ○
خبيثة مثله او في الخبيثة لا ترغب في نكاح الصلحاء
من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من ○
هو من جنسها من الفسقة والمشركين فهذا على
الاعم الاغلب كما يقال لا يفعل الخير الا الرجل التقي
وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقي فكذا ههنا فاما
قوله وحرم ذلك على المؤمنين والجواب
من وجهين احدهما ان نكاح المؤمن الممدوح
عند الله الزانية ورغبته فيها والخواطر بذلك في سلك
الفسقة المتمسكين بالزنا محرم عليه لما فيه من التشبه
بالفساق وحضور موقع التهمة والنسب لسوء المقالة
فيه والغيبة ومجالسة الخاطئين كم فيها من التعرض
لاقراف الآثام فكيف مزاوجة الزواني والفجار ○
الثاني وهو ان صرف الرغبة بالكلية الى ○
الزواني وترك الرغبة في الصالحات محرم على المؤمنين
لان قوله الزاني لا ينكح الا زانية معناه ان الزاني لا يرغب
الا في الزانية فهذا الحصر محرم على المؤمنين ولا يلزم
من حرمة هذا الحصر حرمة الزواج بالزانية فهذا
هو المعتمد في تفسير الآية الوجه الثاني ان
الالف واللام في قوله الزاني وفي قوله على المؤمنين
وان كان للعموم ظاهرا لكنه ههنا مخصوص بالاقوام

امـا قوله تعالى ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر
فهو من البيح والزجر المحض الله تعالى ولذلك قال
الحجاج تقرير الايه ان كنتم مومنين فلا تركوا
اقامة الحدود وهذا يدل على ان ادا الواجبات الاشتغال
من الايمان خلافا لما تقوله الحشوية والجواب
عن الرابعه لا يحصل الا اذا علم الانسان بطبعه ان
الاولى ان لا يقام تلك الحدود وحينئذ يكون منكرا
للدين فيخرج عن الايمان وفي الحديث يوتى بوال
نقص من حد سوطا فيقول رحمة لعباد ك فيقول
انت ارحم به مني فيومر به الى النار ويوتى بمن زاد
سوطا فيقول الهي عن معاصيك فيقول الا انت
اعلم به مني فيومر به الى النار اجاب قوله
وليس فيه امر ظاهر للوجوب لكن الفقها قالوا اسقاط حضور
الجمع والمقصود اعلان اقامة الحد لما فيه من الردع
ولما فيه من دفع التهمة عن من جلد وقيل اراد باطايفه
الشهود ويجب حضورهم ليعلم بقاوهم على الشهادة
المسـئلة الثالثة اختلفوا في اقل الطايفه
على اقوال احدها انه رجل واحد وهو قول
الضحاك ومجاهد واحتجا بقوله تعالى وان طايفتان
من المومنين اقتتلوا وثانيها انه اثنان وهو
قول عكرمة وعطا فلو تفرق من كل فرقة منهم طايفه
وكل ثلاثه فرقه والخارج عن الثلاثه واحد واثنان
والاحتياط يوجب الاخذ بالاكثر وثالثها انه ثلاثه
وهو قول الزهري وقتاده قالوا الطايفه هي الفرقه
التي يمكن ان تكون حلقه كالجماعه طافه حول الكعبه
وهذه الصور اقل ما لابد فيه حضورها الثلاثه ورابعها
اربعه بعدد شهود الزنا وهو قول ابن عباس
والشافعي وخامسها انه عشر وهو قول الحسن
البصري لان العشر هي العدد الكامل المسـئله
الرابعه تسميته جلدا يدل على انه عقوبه ويجوز ان
يسمى جلدا لانه يمنع المعاوده كما يسمى نكالا لذلك
وبه تعالى بقوله من المومنين على ان الذين يشهدون
يجب ان يكونوا بهذا الوصف لانهم اذا كانوا كذلك
عظم موقع حضورهم وعظم موقع اخبارهم عما
شاهدوه فيخاف المجلود من حضور الشهود فيكف

ذلك اقوى في الايحاء الحكم الثاني قوله تعالى
الزاني لا ينكح الا زانيه او مشركه والزانيه لا ينكحها
زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين فقوله لا ينكح
ما يجزم على النهي وقرئ بفتح الحاء من ينكح الاول قوله الزاني
سوالان السوال الاول الزاني لا ينكح
الا زانيه او مشركه ظاهر خبر ثم انه ليس الامر كما
يتعرى ان الزاني قد ينكح المومنه العفيفه والزانيه
قد ينكحها المومن العفيف الثاني لم قال وحرم
ذلك على المومنين وليس كذلك فان المومن يحل له
التزوج بالمراه الزانيه والجواب اعلم ان
المفسرين لاجل هذين السوالين ذكروا وجوها احدها
وهو احسنها ما قاله الفقال وهو ان اللفظ وان
كان عاما لكن المراد منه الاعم الاغلب وذلك لان
الفاسق الخبيث الذي من سانه الزنا والفجور لا يرغب
في نكاح الصوالح من النساء انما يرغب في فاسقه
خبيثه مثله او في الخبيثه لا يرغب في نكاح الصلحا
من الرجال ويتعفون عنها وانما يرغب فيها من
هو من جنسها من الفسقه والمشركين فهذا
الاغلب الاعم عليه كما يقال لا يفعل الخير الا الرجل التقي
وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقي فلذا اتى هنا بما
قوله وحرم ذلك على المومنين والجواب
من وجهين احدهما ان نكاح المومن
عند السالزانيه ورغبته فيها والخواطر تدل في سلك
الفسقه المتسمين بالزنا محرم عليه لما فيه من الرسيه
بالفساق وحضور موضع التهمه والتسبب لسوء المقالة
فيه والغيبه ومجالسة الخاطئين كل هذه من الغرض
لا دران الامام فكيف مراوجة الزواني والمجارة
الثاني وهو ان صرف الرغبه بالكليه الى
الزواني وترك الرغبه في الصالحات محرم على المومنين
لان قوله الزاني لا ينكح الا زانيه معناه ان الزاني يرغب
الا في الزانيه فهذا الحصر محرم على المومنين ولا يلزم
من حرمة هذا الحصر حرمة الزواج بالزانيه فهذا
هو المعتمد في تفسير الآيه الوجه الثاني ان
الالف واللام في قوله الزاني وفي قوله على المومنين
وان كان للعموم ظاهرا لكنه ههنا مخصوص فلا قوام

الذين نزلت فيهم قال مجاهد وعطا بن ابي رباح وقتاده
قدم المهاجرين المدينه وفيهم فقرا ليس لهم اموال
وعشاير وفي المدينه نسا بغيه يكونن انفسهن وهن
يومئذ احصب اهل المدينه ولكل واحده منهن علامه
على بابها كعلامه البيطار يعرف انها زانيه وكان لا يدخل
عليها الا زاني او مشرك فرغب في كسبهن ناس من فقرا
المسلمين وقالوا نتزوج بهن الى ان يغنينا الله عنهن ٥
فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
هذه الايه فتقدير الايه اوليك الزواني لا ينكحون الا زانيات
وتلك الزانيات لا ينكحها الا اوليك الزواني وحرم
نكاحهن باعيانهن على المومنين الوجه الثالث
في الجواب ان قوله الزاني لا ينكح الا زانيه فان كان ٥
خبرا في الظاهر لكن المراد النهي والمعنى كل من كان
زانيا فلا ينبغي ان ينكح الا زانيه وحرم ذلك على
المومنين فلهذا كان الحكم في ابتدا الاسلام وعلى
هذا الوجه ذكروا قولين احدهما ان ذلك الحكم
باق الى الان حتى يحرم على الزاني والزانيه التزوج
بالعفيفه والعفيف وبالعكس ويقال هذا مذهب
ابي بكر وعمر وعلي بن مسعود وعايشه ثم في هولا من
يسوي بين الابتدا والدوام فنقول كما لا يحل للمومن
ان يتزوج بالزانيه هكذا لا يحل له اذا زنت تحته
ان يقيم عليها ومنهم من يفصل لان في جمله ما يمنع
من التزويج ما لا يمنع من دوام النكاح كالاحرام والعده
والقول الثاني ان هذا الحكم صار منسوخا
واختلفوا في ناسخه فعن الجبائي ان ناسخه هو الاجماع
وعن سعيد بن المسيب انه منسوخ بعموم قوله تعالى
فانكحوا ما طاب لكم من النسا وانكحوا الايامى وقال
المحققون هذان الوجهان ضعيفان اما الاول
فلانه ثبت في اصول الفقه ان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ
به فالاجماع الحاصل عقيب الخلاف لا يكون حجه
والاجماع في هذه المسيله مسوقه بمخالفه ابي بكر وعمر
وعلي فكيف يصح واما قوله فانكحوا ما طاب لكم
فهذا لا يصلح ان يكون ناسخا لانه لا بد من ان يشترط فيه
ان لا يكون هناك مانع من النكاح من سبب او نسب
او غيرهما فلقايل ان يقول لا يدخل فيه تزويج

الزانيه من المومنين كما لا يدخل فيه تزويجها من الاخ وابن الاخ
ونقول ان للزنا تاثيرا في الفرقه ما ليس لغيره الا ترى
انه اذا قذفها بالزنا يتبعها الفرقه على بعض الوجوه فلا
يجب مثل ذلك في ساير ما يجب فيه الحد ولا من حق
الزنا ان يورث العار ويوثر في الفراش ففارق غيره
واحتج هولا الذين يدعون هذا النسخ بان رجلا سال
النبي عليه السلم فقال يا رسول الله ان امراتي ٥
لا ترد لامس فقال له طلقها قال اني احبها وهي جميله
فقال استمتع بها وفي روايه فامسكها اذن وروي
ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامراته في زنا وحرص
ان يجمع بينهما فابى الغلام وعن رجل زنى بامراه فهل
له ان يتزوج بها فاجازه ابن عباس وشبهه بمن
سرق تمر شجره ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه سيل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره
نكاح والحرام لا يحرم الحلال الوجه الرابع
ان يحمل النكاح على الوطي والمعنى ان الزاني لا يطا
حين يزني الا زانيه او مشركه وكذا الزانيه وحرم
ذلك على المومنين اي وحرم الزنا على المومنين وهذا
تاويل ابي مسلم وقال الزجاج هذا التاويل فاسد
من وجهين الاول انه ما ورد النكاح في
كتاب الله الا بمعنى التزويج ولم يرد البته بمعنى الوطي
الثاني ان ذلك يخرج الكلام عن الفايده لانا
لو قلنا المراد ان الزاني لا يطا الا الزانيه فالاشكال
عايد لانا نرى ان الزاني قد يطا العفيفه حين يتزوج
بها ولو قلنا ان المراد ان الزاني لا يطا الا الزانيه
حتى يكون وطيه زنا فهذا الكلام لا فايده فيه وهو اخر
الكلام في هذا المقام السوال الثاني اي
فرق بين قوله الزاني لا ينكح الا زانيه وبين قوله الزانيه
لا ينكحها الا زان الجواب الكلام الاول يدل
على ان الزاني لا يرغب الا في نكاح الزانيه وهذا لا يمنع
من ان يرغب في نكاح الزانيه غير الزاني ولا جرم
بين ذلك بالكلام الثاني السوال الثالث
لما قدمت الزانيه على الزانيه في الايه المتقدمه فههنا
بالعكس الجواب سبقت لعقوبتها على خباثتها
فالماده هي الماده في الزنا واما الثانيه فمسوقه لذكر

النكاح والرجال اصل فيه لانه هو الراغب الطالب للحكم
الثاني القذف **قوله تعالى والذين**
يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء
فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة
ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا
من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم
اعلم ان ظاهر الآية لا يدل على النحو الذي به رموا
المحصنات وذكر الرمي لا يدل على الزنا اذ قد يراد
منه سرقة او شرب خمر وتعريل لا بد من قرينة
دليله على التعيين فقد اتفق العلماء على ان المراد بالرمي
الزنا وفي الآية اقوال يدل عليه احدها تقدم
ذكر الزنا وثانيها انه تعالى ذكر المحصنات وهي
العفايف وذلك يدل على ان المراد بالرمي رمي العفاف
وثالثها قوله ثم لم يأتوا باربعة شهداء
يعني على صحة ما رموه به ومعلوم ان هذا العدد من
الشهود غير مشروط الا في الزنا وراجعا الى الرامي خبر
الاجماع على انه لا يجب الحد بالرمي بغير الزنا وجب
ان يكون المراد بالرمي بالزنا اذا عرفت
هذا فالكلام في هذه الآية يتعلق بالرمي والرامي
البحث الاول في الرمي وفيه مسائل
المسألة الاولى الفاظ القذف تنقسم الى صريح وكناية والتعريض
والصريح ان يقول لزانيه او زنيت او رأيتك تزني
ولو قال لست بزان فهو كناية ويحتمل ان يكون صريحا
لقوله ربي يدلك لان حقيقة الزنا هي الصريح فلا يكون
من سائر البدن الا المعونة والباقي وهو الاصح
انه صريح لان الفعل اما يصدر من جملة البدن والفرج
الفاعل فعل فاما الكتابة فقال ان يقول
يا فاسقه يا فاجر يا خبيثة يا مؤاجر يا ابن الحرام
او امرأتي لا ترد يد لامس فهذا لا يكون قذفا الا ان يريد
وكذلك لو قال لعرفي يا بطي او يا عكس فان اراد به
القذف فهو قذف لانه المقول به والا فلا قال عبت
به الدار واللسان وادعت ام المقول له انه اراد به
القذف فالقول قوله مع يمينه اما التعريض وليس
بقذف وان اراده ذلك **مسئل** قول يا ابن الحلال
انما انا مما ريبت ولست امي بزانية وهذا قول

الشافعي وابي يوسف ومحمد وزفر وابن شبرمة والثوري
والحسن بن صالح وقال مالك يجب الحد فيه وقال
احمد واسحق ان قصد في حال الغضب وجب الحد وان حال الرضا
لنا ان التعريض بالقذف محتمل للقذف ولغيره فوجب
ان لا يجب الحد لان الاصل براءة الذمة فلا يرجع عنه
بالشك وايضا فلقوله صلى الله عليه وسلم ادرأوا
الحدود بالشبهات ولان الحدود شرعت على خلاف
النص الناهي للضرر والاذى الحاصل بالتصريح فوق الحاصل
بالتعريض واحتج المخالفون بما روي الاوزاعي عن
الزهري عن سالم عن ابن عمر قال كان يعرف
الحد في التعريض وروي ايضا ان رجلين استبا في زمن
عمر فقال احدهما لصاحبه ما ابي بزان ولا امي
بزانية فاستشار عمر الناس في ذلك فقال معاذ
مدح اباه وامه وقال اخرون كان لابيه وامه مدح
غير هذا فجلده عمر ثمانين والجواب ان في هذا ان
عمم الناس في حكم التعريض دلالة على انه لم يكن
عندهم توقيف فلعلهم قالوا ذلك اجتهادا
المسألة الثانية في بعض القذف اعلم انه
اما ان يقذف شخصا واحدا مرارا او قذف جماعة
فان قذف واحدا مرارا نظر ان اراد بالكل رميه واحدة
بان قال زنيت بعمرو قاله مرارا لا يجب الا حد
واحدا ولو انشأ الثاني بعد ما حد للاول عزر
للثاني فان قذفه بزنيات مختلفة بان قال زنيت
بزيد ثم قال زنيت بعمرو وهل يتعدد الحد ام لا فيه
قولان الاول يتعدد اعتبارا بالقذف والثاني
حقوق العباد ولا يتداخل فيه الداخل كالديون والثاني
ولو اتضح يتداخل فلا يجب الا حد واحد لانهما
حدان من جنس واحد المسمى واحد فوجب ان
يتداخلا كحدود الزنا ولو قذف بوجه مرارا فالاصح
ان يكفيه حد واحد سواء قلنا يتعدد الحد لو قذف
بعدد اما اذا قذف جماعة فحدود بنظران قذف
كل واحد بكلمة واحدة يجب عليه لكل واحد حد كامل وان
بلفظ واحد فقد مر الشافعي يتعدد الحد وعند
ابي حنيفة لا يجب الا حد واحد واختلفوا واحتج
ابو بكر الرازي على قول ابي حنيفة بالقرآن والسنة

والقياس اما القران فهو قوله تعالى والذين يرمون
المحصنات والمعنى ان كل واحد ممن يرمي المحصنات وجب
عليه الجلد وذلك يقتضي ان قاذف جماعة من المحصنات
لا يجلد اكثر من ثمانين جلدة فمن اوجب على قاذف جماعة
المحصنات اكثر من حد واحد فقد خالف الآية واما
السنة فما روي عكرمة عن ابن عباس بان هلال
ابن امية قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم
على جماعة الاحد واحد او اصرح انه قذفها في امر آله وكرر ذلك
ان حما الى ان نزلت آية اللعان فاقيم اللعان في بين
الزوجات مقام الحد في الاجنبيات واما القياس فهو
ان سائر ما يوجب الحد اذا اوجد منه مرارا لم يتعدد الحد
واحد كمن زنى مرارا او سرق مرارا او شرب مرارا او سرق
مرارا فكذا اهنا والمعنى الجامع دفع مفسدة الضرر والجواب
عن الاول قوله والذين صيغة جمع وقوله والمحصنات
صيغة جمع والجمع اذا اقوبل بالجمع يقابل الفرد بالفرد ويصير
المعنى كل واحد رمى محصنا واحدا اوجب الحد عليه الحد
وعند ذلك يظهر مذهب الشافعي بالاية لان قوله والذين
يرمون المحصنات فاجلدوهم يدل على ترتيب الجلد
على الرمي المحصنات وترتيب الحكم على الوصف لاسيما
اذا كان مناسبا فانه يشعر بالعلية فدلت الاية على
ان رمي المحصنات من حيث انه هذا المعنى
يوجب الجلد ام اثبت هذا فنقول فنقول ان اورد
واحد ضاربا ذلك القذف موجبا الحد ايضا فاذا قذف
الثاني وجب ان يكون القذف الثاني موجبا للحد ايضا
بل هيهنا اوجب القذف الثاني الحد لا يجوز ان يكون هذا
الحد الاول لان ذلك قد وجب القذف الاول وايجاد
الواجب محال فوجب ان يجب بالقذف
الثاني حد ان اوصى ما في الباب لن يورد على الدليل
حد ورد الزنا كلها لكم يقول ترك العمل هنا لدليل
الدليل لان حد الزنا اغلظ من حد القذف وعند ظهور
القارن يسقط الراجح وانما السند فلا دلالة فيها
على هذه المسئلة لا فيها بالنصف ولا بالمقصد واجيب وله في هذه
المسئلة تفصيل سنأتي واما القياس فعارضه بما ذكرنا
حد القذف الاتي بدليل انه لا يجب بقطع الطرف القذف
وحقوق الادمي لا تتداخل بخلاف حد الزنا فانه حق

وجه

الله تعالى هذا كله اذا كان بلفظ حقوق فلو قال انتم زناة او يا لئيم
فقيه قولان اصحهما وهو قوله الجديد يجب لكل واحد حد
كامل لانه من حقوق العباد فلا تتداخل والثاني يدخل على
كل واحد منهم فصار كما لو قذفهم بكلمات في العدم
لا يجب للكل الا حد واحد اعتبارا باللفظ فان اللفظ واحد
والاول اصح لانه اوفق بمفهوم الاية فعلى هذا لو قال
لرجل يا ابن الزانيين يكون قاذفا لابويه بكلمة واحدة فعليه
حدان المسئلة الثالثة فيما يتبع القذف
ينقسم الى محظور ومباح وواجب جملة الكلام انه اذا الم
يكن والد زنى نفسه فلا يجب وقتل مباح او انظر الى زناها
بعينه بزنى او اقرت بنفسها وقع في قلبه صدقها او سمع
ممن يثق بقوله او لم يكن بينه وبينها ان فلانا يزني بفلانة وقد راه الزوج يخرج من بيتها
وراه معها في بيت بيات له القذف لما روي التميمة وجوز
له ان يعسها ويتسور عليها لما روي ان رجلا قال
يا رسول الله ان امرأتي لا ترد يد لامس قال طلقها قال
اني احبها قال فامسكها فاما اذا سمعه ممن لا يوثق
بقوله او اسقاص بين الناس ولكن الزوج لم ير
منها ولا لامس يدخل عليها لما روي انه قال لعله
من لا يكون ثقة فينشر فيدخل عليها وقاص قاصدا ولم يرقد
او لطلب فجور فيأس الرجاء قال تعالى والذين
جاؤا بالافك عصبة منكم اما اذا كان لم يرد
بزوجته فلا نظر فان يقين انه ليس منه فان
لم يكن وطيء الزوج او وطيء لكنه انتفى عنه لاقل من
وقت الوطي او اكثر من اربع سنين يجب عليه نفيه
باللعان لانه ممنوع من استلحاق نسب الغير كما
هو ممنوع من نفي نسبه لما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ايما امرأة ادخلت على قوم
من ليس منهم فليست من الله في شيء ولم يدخلها الله
جنته فلا حرم على المرأة ان تدخل رجلا على قوم من ليس
منهم كان الرجل ايضا كذلك اما ان احتمل ان يكون
منه بان انتهى الى الاكثر من سنة اشهر من وقت
الوطي ولدون اربع سنين نظر ان لم يكن قد
استبرأها بحيضة او استبرأها وانتفى عنه بلعن وقد
مضت سنة اشهر من وقت الاستبراء الاحتمال له القذف والنفي

وان اتهمها بالزنا قال النبي عليه السلم ايما رجل جحد
ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه على روية الاولين
والاخرين وان استبراها وانت به لاكثر من ستة
اشهر من وقت الاستبرا يباح له القذف والنفي
والاولى ان لا يفعل لانها قد ترمى على الحبل وان اتت
امراته بولد لا يشبهه بان كانا ابيضين فاتت به اسود
لا يباح له القذف لما روي ان رجلا جا الى رسول
الله بولد لم يشبهه فقال هل لك من ابل فقال
نعم قال فما لونها قال احمر فقال هل فيها اورق
قال نعم قال فكيف ذلك قال نزعة عرق قال
فلعل هذا نزعة عرق فان اتهمها برجل فاتت بولد
يشبهه هل يباح له نفيه وجهان احدهما لا لان العرق
ينزع والثاني له ذلك لان التهمة قد تاكدت بالشبهة
الباب الثاني عن الزاني وفيه مسايل
المسيلة الاولى اذا قذف الصبي او المجنون
امراة او اجنبيا فلا حد عليهما ولا لعان الا في الحال ولا بعد
البلوغ لقوله عليه السلم رفع القلم عن ثلث ولكن
يعزر للتاديب ان كان لهما تمييز فلو لم يتفق اقامة
التعزير على الصبي حتى بلغ قال القفال يسقط التعزير
لانه كان للزجر عن اساة الادب فقد زجره زاجر
اقوى وهو البلوغ المسيلة الثانية الاخرس
اذا كان اشارة مفهومة او كنية معلومة وقذف بالاشارة
او بالكنية لزمه الحد وكذلك لعانه بالاشارة والكنية
وعند ابي حنيفة لا يصح قذف الاخرس ولا لعانه وقول
الشافعي اقرب الى ظاهر الاية لان من كتب واشار الى
القذف فقد رمى المحصنة والحق العار بها فوجب
اندراجه تحت الظاهر ولانا نقيس قذفه ولعانه
على ساير الاحكام المسيلة الثالثة اختلفوا
فيما اذا قذف العبد حرا قال الشافعي وابو حنيفة
ومالك وابي يوسف ومحمد وزفر وعثمان عليه
اربعون جلدة روى الثوري عن جعفر بن محمد عن
ابيه ان عليا قال يجلد العبد في القذف اربعين
وعن عبد الله بن عامر انه قال ادركت ابا بكر وعمر
وعثمان ومن بعدهم من الخلفا وكلهم يضربون
المملوك في القذف الاربعين وقال الاوزاعي

يجلد ثمانين هو مروي عن ابن مسعود يروى انه جلد عمر
ابن عبد العزيز العبد في العزية ثمانين ومدار هذه
المسيلة على حرف واحد وهو ان هذه الاية صريحة في
ايجاب الثمانين فمن رد هذا الحد الى اربعين فطريقه
انه تعالى قال فاذا احصن فان اتين بفاحشة
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فنص
على ان حد الامة نصف حد الحرة ثم قاسوا العبد على
الامة في نصف حد الزنا ثم قاسوا تنصيف قذف العبد
على تنصيف حد الزنا في قذفه فرجع حاصل الامر الى
تخصيص الكتاب بهذا القياس المسيلة
الرابعة اتفقوا على دخول الكافر تحت عموم قوله
والذين يرمون المحصنات لان الاسم يتناوله فلا
مانع ان اليهودي اذا قذف المسلم يجلد ثمانين البحث
الثالث عن المرمي وهو المحصنة قال ابو مسلم اسم
الاحصان على المتزوجة على الحقيقة وان لم تتزوج
لقوله تعالى في مريم والتي احصنت فرجها وهو
ماخوذ من منع الفرج فاذا تزوجت منعته الا
من زوجها غير المتزوجة ممنوعة كل واحد ويتفرع
عليه مسايل المسيلة الاولى ظاهر الاية
يتناول جميع الطوايف سوا كانت مسلمة او كافرة وسوا
كانت حرة او رقيقة الا ان الفقها قالوا شرط الاحصان
خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من
الزنا وانما اعتبرنا الاسلام لقوله عليه السلم من
اشرك بالله فليس بمحصن وانما اعتبرنا العقل والبلوغ
لقوله عليه السلم رفع القلم عن ثلث وانما اعتبرنا
الحرية لقوله عليه لان العبد ناقص الدرجة فلا
يعظم عليه التعزير وانما اعتبرنا العفة عن
الزنا لان الحد مشروع لتاديب القاذف فاذا كان
المقذوف زانيا فالقاذف بالزنا صادق في القذف
وكذلك اذا كان المقذوف وطي امراة بشبهة او
نكاح فاسد لان فيه شبهة الزنا كما فيه شبهة الحد
وكما ان احدى الشبهتين اسقطت الحد عن الرجل
فكذا الاخرى تسقط عن قاذفه ايضا ثم نقول من
قذف كافرا او مجنونا او صبيا او مملوكا او من قذف
بامراة فلا حد عليه بل يعزر للاذى حتى لو زنى في

عنفوان شبابه مرة ثم تاب وحسنت حاله وشاخ الصلاح لا يحد
قاذفه وكذلك لو زنى كافر او رقيق ثم اسلم وعتق وصلحت
حاله فقذفه قاذف لا حد عليه بخلاف ما لو زنى في حال
صغره او جنونه ثم بلغ او افاق فقذفه قاذف يحد لان
فعل الصبي والمجنون لا يكون زنا ولو قذف محصنا فقبل
ان يحد قاذفه زنى المقذوف سقط الحد عن قاذفه لان
صدر الزنا يورث ريبة في حاله فيما مضى لان الله تعالى كريم
لا يهتك ستر عبده في اول ما يرتكب المعصية فظهوره
يعلم انه كان متصفا به من قبل وروي ان رجلا زنى في
عهد عمر فقال والله ما زنيت الا هذه فقال عمر كذبت
ان الله لا يفضح عبده في اول مرة وقال المزني وابو ثور
الزنا الطاري لا يسقط الحد عن القاذف المسئلة
الثانية قال الحسن البصري قوله والذين يرمون
المحصنات يقع على الرجال والنسا وساير العلما اسوا
ذلك لان لفظ المحصنات جمع المونث فلا يتناول الرجال
بل الاجماع دل على انه لا فرق في هذا الباب بين المحصنين
والمحصنات المسئلة الثالثة رمي غير رمي
غير محصن لا يوجب الحد بل يوجب التعزير الا ان يكون
المقذوف معروف بما قذف به فلا حد هناك ولا تعزير
فهذا مجموع الكلام في تفسير قوله سبحانه والذين
يرمون المحصنات اما قوله سبحانه ثم لم
ياتوا باربعة شهدا فيه بحثان البحث الاول
اعلم ان الله تعالى حكم في القاذف اذا لم يات باربعة
شهدا احكام احدها جلد ثمانين جلدة وثانيها
بطلان الشهادة وثالثها الحكم بتفسيقه الى ان يتوب
واختلف العلما في كيفية ثبوت هذه الاحكام بعد
اتفاقهم على الحد بنفس القذف عند عجزه عن اقامة
البينة على الزنا فقال قايلون قد بطلت الشهادة
ولزمه تهمة الفسقة قبل اقامة الحد عليه وهو قول
الشافعي والليث بن سعد وقال ابو حنيفة ومالك
وابو يوسف ومحمد وزفر شهادته مقبولة ما لم يحد وقال
ابو بكر الرازي وهذا يقتضي من قولهم انه غير موسوم
بسمة الفسق ما لم يحد لانه لو لزمته سمة الفسق لما
جازت شهادته اذا كانت سمة الفسق مبطلة لشهادة
من وسم بها ثم احتج ابو بكر على صحة قول ابي حنيفة

بامور احدها قوله سبحانه والذين يرمون المحصنات ثم لم
ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة ظاهر الامر
يقتضي ترتيب وجوب الجلد على مجموع القذف والعجز عن
اقامة الشهادة فلو علقنا هذا الحكم على القذف وحده
قدح ذلك في كونه معلقا على الامرين وذلك خلاف الاية
وايضا فوجوب الجلد حكم مرتب على مجموع امرين يوجب
ان لا يحصل بمجرد حصول احدهما كما لو قال لامراته
ان دخلت الدار وكلمت فلانا فانت طالق فانت
باحد الامرين دون الاخر وثانيها ان القاذف لا يحكم عليه
بالكذب بمجرد قذفه واذا كان كذلك وجب لا ترد شهادته
بمجرد القذف بيان الاول من ثلاثة اوجه الاول انه
بمجرد قذفه لو وجب كونه كاذبا لوجب ان لا يقبل بعد ذلك
بينة على الزنا اذا وقع الحكم بكذبه والحكم بكذبه في كذبه
قذفه حكم ببطلان شهادة من شهد بصدقه في كون
المقذوف تايبا ولما اجمعوا على قبول بينته ثبت انه لم
يحكم عليه بالكذب بل بمجرد قذفه الثاني ان قاذف
امراته بالزنا لا يحكم بكذبه بنفس قذفه والا لما جاز ايجاب
اللعان بينه وبين امراته ولما امر بان يشهد بالله انه
لصادق فيما رماها به من الزنا مع الحكم بكذبه ولما قال
النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما لاعن بين الزوجين
الله يعلم ان احدكما كاذب فهل فيكما تايب فاخبر ان
احدهما بين عينه هو الكاذب ولم يحكم بكذب القاذف
وفي ذلك دليل على ان نفس القذف لا يوجب كونه كاذبا
الثالث قوله تعالى لولا جاوا عليه باربعة شهدا
فاذا لم ياتوا بالشهدا فاولئك عند الله هم الكاذبون
فلم يحكم بكذبهم بنفس القذف فقط فثبت ان القاذف
غير محكوم عليه بكونه كاذبا بمجرد القذف لانه كان عدلا
ثقة فالصادر عنه غير معارض لما كان فوجب ان يبقى
على عدالته فوجب ان يكون مقبول الشهادة وثالثها
قوله عليه السلم المسلمون بعضهم على بعض الا
محدود في قذف وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
ببقا عدالة القاذف ما لم يحد ورابعها ما روي
عكرمة عن ابن عباس في قصة هلال بن امية لما
قذف امراته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجلد هلال وتبطل شهادته متعلق بوقوع الجلد به

فاذا فقد ذلك يدل على انه بمجرد القذف لا تبطل الشهاده وخامسها ان الشافعي زعم ان الشهود اذا جاءوا متفرقين قبلت شهادتهم فان القذف قد ابطل بها وجب ان لا يقبلها بعد ذلك وان شهد معه ثلاثه لانه قد سقق بعد قذفه ووجب تكذيبه وفي قبول شهادته قبول شهادته اذا جاءوا متفرقين مما يلزمه ان لا يبطل شهادته بنفس وجوب قبول الشافعي وبوان الله تعالى رتب على القذف مع عدم الاتيان بالشهود الاربعه امورا ثلاثه معطوفا بعضها على بعض بحرف الواو وحرف الواو لا يقتضي الترتيب فوجب ان لا يكون رد الشهاده مرتبا على اقامة الحد بل يجب ان تثبت رد الشهاده سواء اقيم الحد عليه او ما اقيم

الوجه الثاني في كيفية الشهاده على الزنا قال الله تعالى واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعه منكم وقال والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعه شهداء وقال سعد بن عباده يا رسول الله ارايت ان وجدت مع امراتي رجلا امهله حتى اتي باربعه شهداء قال نعم فهذه ثلاثه مسايل المسيله الاولى الاقرار بالزنا هل يثبت بشهاده رجلين فيه قولان الاول لا يثبت الا باربعه كفعل الزنا والثاني يثبت بخلاف فعل الزنا لان الفعل يعسر الاطلاع عليه المسيله الثانيه اذا شهد واحد على فعل الزنا يجب ان يذكر والزاني ومن زنى بها لانه قد يراه على حاله ريبه فيظن زنى ويجب ان يشهدوا انه ادخل ذكره في فرجها دخول الميل في المكحله فلو شهد واحد انه رآه يزني لا يثبت لانهم ربما يتسامحون في الفاحش زنا بخلاف ما لو قذف انسانا وقال زنيت يجب الحد ولا يستفسر ولو اقر على نفسه بالزنا هل يشترط ان يفسر فيه وجهان احدهما انه كالشهود والثاني لا يجب كما في القذف المسيله الثالثه قال الشافعي لا فرق بين ان يجيء الشهود متفرقين او مجتمعين وقال ابو حنيفه رحمه الله اذا شهد وا متفرقين لا يثبت وعليهم حد القذف حجه الشافعي من وجوه الاول ان الاتيان باربعه شهداء قدر مشترك بين الاتيان بهم مجتمعين او متفرقين فيكون عملا بالنص فوجب والتفات الدال على مايه بين الاستراك الاستعاره له بمايه الامتيار فالاتي بهم متفرقين يكون عاملا بالنص فوجب ان يخرج من العهده الثاني

حكم كل حكم ثبت بشهاده الشهود اذا جاءوا مجتمعين ثبت اذا جاءوا متفرقين كساير الاحكام بل هذا اولى لانهم اذا جاءوا متفرقين كان ابعد من التهمه ومن ان يتلقف بعضهم من بعض ولذلك قلنا اذا اوقب ريبه للقاضي في شهاده الشهود فرقهم ليظهر على عوره ان كانت في شهادتهم الثاني انه لا يشترط ان يشهد واحد على حاله واحده بل اذا اجتمعوا عند القاضي فكان يقدم واحد بعد واحد ويشهد فانه سمها دتهم فلذا اذا اجتمعوا على باب ثم كان يدخل واحد بعد اخر حجه ابي حنيفه رحمة الله عليه من وجهين الاول ان الشاهد الواحد لما شهد فقد قذفه ولم يات باربعه من الشهداء فوجب عليه الحد لقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعه شهداء فاقتضى ما في الباب ان عبر واعن ذلك القذف بلفظ الشهاده وذلك لا عبره به لانه يودي الى اسقاط حد القذف راسا لان كل قاذف لا يعوزه لفظ الشهاده فجعل ذلك وسيله الى اسقاط عن نفسه ويحصل مقصوده من القذف الثاني ما روي ان المغيره بن شعبه شهد عليه بالزنا عند عمر بن الخطاب اربعه ابو بكره ونافع وقال زياد وكان رابعهم رايت استا بين استين وفخذا رجلا هاعلى عاتقه كاذني حمار ولا ادري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثه ولم يسأل هل معهم شاهد اخر فلو قيل بعد ذلك شهاده غيرهم لتوقف اداء الحدود مما يتوقف فيها ويحتاط المسيله الرابعه لو شهد معه الزنا اقل من اربعه لا يثبت الزنا وهل يجب حد القذف على الشهود فيه قولان لان احدهما لا يجب لانهم جاءوا مجيء الشهود ولو حددنا الشهود لانسد باب الشهاده على الزنا لان كل احد لا يوافقه صاحبه فيلزمه الحد والدليل عليه الوجهان المذكوران في المسيله الثالثه المسيله الخامسه اذا قذف رجل فجاء باربعه فساق فشهد واعلى المقذوف بالزنا قال ابو حنيفه يسقط الحد عن القاذف ولا يجب الحد على الشهود وقال الشافعي في احد قوليه يحدون وجه قول ابي حنيفه قوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعه شهداء وهذا قد اتى باربعه شهداء فلا يلزمه الحد ولان الفاسق من اهل الشهاده وقد وجدت شرايط

الشهادة بالزنا من اجتماعهم عند القاضي الا انه لم يقبل
شهادتهم لاجل التهمة فكما اعتبرنا التهمة في نفي
الحد عن الشهود عليه فكذلك اوجب اعتبارها في
نفي الحد عنهم وجه قول الشافعي انهم غير موصوفين
بالشرائط المعتبرة في قبول الشهادة يخرجوا عن ان
يكونوا شاهدين وبقوا محض القاذفين وههنا
اخر الكلام في تفسير قوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء
اما قوله فاجلدوهم ثمانين جلدة ففيه مسائل
المسئلة الاولى المخاطب بقوله فاجلدوهم هو
الامام كما بيناه في اية الزنا والمالك على مذهب الشافعي
او رجل صالح ينصبه الناس عند فقد الامام المسئلة
الثانية يخص من عموم هذه الاية صور احدها
الوالد يقذف ولده او احد من نوافله لا يجب عليه الحد كما
لا يجب عليه القصاص بقتله الثانية القاذف اذا كان
عبدا فالواجب جلد اربعين وكذلك المكاتب وام الولد
ومن بعضه حر وبعضه رقيق فحدهم حد العبيد
الثالثة من قذف رقيقه عفيفة او من زنت
في قدم الايام ثابت فهي بموجب اللغة محصنة ومع ذلك
لا يجب الحد بقذفها المسئلة الثالثة قالوا
اشد الضرب في الحدود ضرب الزنا ثم ضرب شرب
الخمر ثم ضرب القاذف لان سبب عقوبته محتمل للصدق
والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وزجرا عن
هتكها المسئلة الرابعة قال مالك والشافعي
حد القذف يورث فلو مات المقذوف قبل استيفاء الحد
وقبل العفو ثبت لوارثه حد القذف وكذلك اذا كان
الواجب بقذفه العذر فانه يورث عنه وكذا لو انشا
القذف بعد موت المقذوف ثبت لوارثه طلب الحد وعند
ابي حنيفة حد القذف لا يورث ويسقط بالموت حجة
الشافعي ان حد القذف حق لادمي وجب ان يورث
لقوله عليه السلام ومن ترك حقا فلورثته حجة
ابي حنيفة رضوان الله عليه انه لو كان موروثا لكان
للزوج والزوجة نصيب فيه ولانه حق ليس فيه معنى
المال والوثيقة فلا يورث كالوكالة والمضاربة
والجواب عن الاول ان الاصح عند الشافعي
انه يرثه جميع الورثة كالمال وفيه وجه ثان وهو انه

يرثه كل ورثته الا الزوج والزوجة لان الزوجة تنقطع بالموت
لان المقصود من الحدود دفع المعارض عن النسب
وذلك لا يلحق الزوج والزوجة المسئلة الخامسة
اذا قذف انسان انسانا بين يدي الحاكم وقذف
امراته برجل بعينه والرجل غائب فعلى الحاكم ان يبعث
الى المقذوف واخبره بان فلانا قذفك وثبت لك حد
القذف عليه كما لو ثبت له المال على اخر وهو لا يعلمه يلزمه
اعلامه وعلى هذا المعنى بعث النبي صلى الله عليه وسلم
انسا ليخبرها ان فلانا قذفها بابنه ولم يبعثه لا يتحصن
عن زناها قال الشافعي وليس للامام اذا رمى رجلا
يزني بالزنا ان يبعث اليه يساله عن ذلك لان الله
قال ولا تحسبوا اراد به اذا لم يكن القاذف معينا مثل
ان قال رجل بين يدي الحاكم الناس يقولون ان
فلانا زنى فلا يبعث الحاكم اليه فيساله اما
قوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واختلف الفقهاء
فيه فقال اكثر الصحابة والتابعين اذا تاب قبلت
شهادته وهو قول الشافعي وقال ابو حنيفة
واصحابه والحسن بن صالح لا تقبل شهادة المحدود في
القذف اذا تاب في هذه المسئلة تنبيه الا الذين
تابوا هل يعود الى جميع الاحكام المذكورة او يختص
بالجملة الاخيرة فعند ابي حنيفة الاستثناء المذكور
عقيب الجمل الكثيرة مختص بالجملة الاخيرة وعند
الشافعي يرجع الى الكل وهذه المسئلة قد لخصناها
في اصول الفقه ونذكرها ههنا ما يليق بهذا الموضع
احتج الشافعي على ان شهادته مقبولة بوجوه
احدها قوله عليه السلام التائب من الذنب كمن
لا ذنب له ومن لا ذنب له فهو مقبول الشهادة والتائب
ايضا يجب ان يكون مقبول الشهادة وثانيها ان
الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته
بالاجماع فالقاذف المسلم اذا تاب عن القذف وجب
ان تقبل شهادته لان القذف مع الاسلام اهون حالا
من القذف مع الكفر فان قيل المسلمون لا يعلمون
نسب الكافر لانهم شهدوا بعد اوانهم والطعن
فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر
من الشين والشنا ما يلحقه بقذف المسلم مثله

نشهد على القاذف المسلم زجرا عن الحاق العار والشنا
والعنا فالتائب من الكفر لا يحب عليه الحد فلنا
هذا الفرق ملغى بقوله عليه السلام ان لهم ما للمسلمين
وعليهم ما على المسلمين وبانها اجمعنا على ان
التائب من الكفر والقتل والزنا مقبول الشهادة ه
وذكر التائب عن العذاب لان هو م الكبير لكنه
الكبير من نقض الزنا ورايهما ان ابا حنيفة قال تقبل
شهادته اذا تاب قبل الحد مع ان الحد حق المخلوق
ولا يزول بالتوبة فلان تقبل شهادته بعد اقامة
الحد وقد حسنت حاله وزال اسم الفسق عنه كان
اولى وجامعها ان قوله الا الذين تابوا استثنا
مذكور عقيب جملة فوجب عوده اليها بامرها وبدل
عليه امور احدها اجمعنا على انه لو قال عبدي
حر وامراته طالق ان شا الله فانه يرجع الاستثنا
الى الجميع فكذا فيما نحن فيه فان قيل الفرق ان
قوله ان شا الله يدخل لرفع حكم الكلام حتى لا يثبت
منه شي والاستثنا المذكور لا يجوز دخوله لرفع
حكم الكلام راسا الا ترى انه يجوز ان يقول
انت طالق ان شا الله ولو قال انت طالق الا طلاقا
كان الطلاق واقعا والاستثنا باطلا لاستحالة دخوله
لرفع حكم الكلام بالكلية قلت انه لا يلزم من رجوع قوله
ان شا الله الى جميع ما تقدم رجوع الاستثنا الى جميع
ما تقدم ولنا هذا الفرق في غير محل النقض لان قوله
ان شا الله الى جميع ما تقدم الاستثنا دخوله لرفع حكم الكلام
بالكلية ولا محذور حال رجوع الاستثنا الى جميع ما تقدم
قلنا هذا الفرق في غير محل النقض لان قوله ان شا الله جمعه
الى جميع الجمل على هذا الوجه حتى يقتضي ان يخرج من
كل واحد من الجمل المذكورة بعضه وبانها ان
الواو لجمع المطلق فقوله فاجلدوهم ثمانين جلده ه
ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون
صار الكلام كانه ذكر معا لا تقدم للبعض على البعض فلما
دخل عليه الاستثنا لم يكن رجوع الاستثنا الى بعضها
اولى من رجوعه الى الباقي اذ الكل سيان في بعض تقدم في المعنى البتة فوجب رجوعه الى الكل
ونظيره على قول ابي حنيفة قوله تعالى اذا قمتم الى

لرفع

الصلاة فاغسلوا وجوهكم فان فا التعقيب ما دخلت على
غسل الوجه بل على مجموع هذه الامور فحث ان
الواو لا تفيد الترتيب ولذا كلمة الا ما دخلت على واحد
بعينه لان حرف الواو لا يفيد الترتيب بل دخلت على
الجموع فان قيل الواو تكون للجمع وهو ما ذكرت وقد
تكون للاستئناف وهي في قوله فاولئك هم الفاسقون
لانها انما تكون للجمع فما لا يختلف معناه ويلتطمه جملة
واحده فيصير الكل كالمذكور معا مثل اية الوضوء فان
الكل امر كانه قال فاغسلوا هذه الاعضا فان الكل قد
تضمنه لفظ الامر واما اية القذف فان ابدا وها
امر واخرها خبر فلا يجوز ان يلتطم جملة واحده
فكان الواو للاستئناف فيخص الاستثنا به قلنا
يجوز ان يجعل الخبر الثابت للمجموع عن حرف الشرط كانه
قيل وفي قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم
وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق
الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم
فيقبل قول غير محدودين ولا مردودين ولا مفسقين ه
وبانها ان قوله واولئك هم الفاسقون عقيب
قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا دليل على ان العلة في
عدم قبول تلك الشهادة كونه فاسقا لان ترتيب الحكم
على الوصف مشعر بالعلية لا سيما اذا كان الوصف
مناسبا وكونه فاسقا وذكر الاستثنا على زوال
الفسق فقد زالت العلة فوجب الحكم بزوال الفسق
ورابعها ان مثل الاستثنا موجود في القران كما
قال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الى
قوله الا الذين تابوا ولا خلاف ان هذا الاستثنا راجع
الى ما تقدم من اول الاية وان التوبة حاصلة
ههنا جميعا وكذلك قوله لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
الى قوله فلم تجدوا ماء فتيمموا فصار التيمم انما
وجب عليه الاغتسال كما ان المس وجب عليه الوضو
وعلى هذا الوجه ذكر ابو عبيد في اثبات مذهب
الشافعي واجاب اصحاب ابي حنيفه على ان حكم
الاستثنا يخص بالجملة الاخيرة بوجوه احدها
ان الاستثنا يخص بالجملة من الاستثنا ان المقتضي
لعموم الجمل المتقدمة قايم والمعارض هو الاستثنا

ن

ن

ري

يكفي في تصحيحه تعليقه بجملة واحدة لان بهذا القدر يخرج
الاستثنا عن ان يكون لغوا فوجب تعليقه بالجملة
الواحدة فقط وثالثها ان الاستثنا لو رجع الى
كل الجملة المتقدمة لوجب اذا تاب ان لا يجلد وهذا
باطل بالاجماع فوجب ان يختص الاستثنا بالجملة الاخيرة
والجواب عن الثاني انا بينا ان واو العطف لا تقتضي
الترتيب فلم يكن بعض الجملة متاخرا في التقدير عن
البعض فلم يكن تعليقه بالبعض اولى من تعليقه
بالكل والجواب عن الثالث انه ترك العمل
في حق البعض فلم يترك العمل به في حق الثاني واحتج
اصحاب ابي حنيفة بوجوه من الاخبار احدها
ما روى ابن عباس في قصة هلال ابن امية حين
قذف امراته بشريك بن سحما فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تجلد هلال تبطل شهادته في المسلمين
فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان وقوع
الجلد يبطل شهادته من غير شرط التوبة في قبولها
وثانيها قوله عليه السلم المسلمون عدول
بعضهم على بعض الا المحدود في قذف ولم يشترط فيه
وجود التوبة سنة وثالثها ما روى عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تجوز شهادة المحدود في الاسلام قالت الشافعية
هذا معارض بوجوه احدها قوله عليه السلم
اذا علمت مثل الشمس فاشهد والامر للوجوب فاذا علم
المحدود وجبت عليه الشهادة ولو لم يكن مقبولة
لما وجب لانها تكون عبثا وثانيها قوله عليه السلم
نحن نحكم بالظاهر وههنا قد حصل الظهور لان دينه
وعقله وعفته الحاصلة بالتوبة تفيد ظن كونه صادقا
وثالثها ما روي عن عمر بن الخطاب انه ضرب الذين
شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم ابو بكرة وسيل ابن
معبد ونافع وشقيق ثم قال لهم من اكذب نفسه
قبلت شهادته ومن لا يفعله لم تجز شهادته فاكذب
سيل ونافع انفسهما وتابوا وكان يقبل شهادتهما وابو بكرة
يكذب فكان لا تقبل شهادته وما انكر عليه احد من الصحابة
فيه فهذا تمام الكلام في هذه الاية اما
قوله تعالى واولئك هم الفاسقون فاعلم انه يدل

الامرين الاول ان القذف من جملة الكبائر لان اسم
الفسق لا يقع الا على صاحب الكبيرة والثاني انه اسم
لمن يستحق العقاب لانه لو كان مشتقا من فعله
لكانت التوبة لا تمنع من دوامه كما لا يمنع من وصفه
بانه صارم وبانه راكم الى غير ذلك اما قوله
تعالى الا الذين تابوا اعلم انهم اختلفوا في ان التوبة
عن القذف كيف تكون قال الشافعي رضي الله عنه
التوبة منه اكذابه نفسه واختلف اصحابه في معناه
قال الاصطخري يقول كذبت فلا اعود الى مثله وقال
ابو اسحق لا يقول كذبت لانه ربما يكون صادقا فيكون
قوله كذبت كذبا والكذب معصية والاتيان بالمعصية
لا يكون توبة عن معصية اخرى بل يقول القذف
باطل ندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا اعود اليه
اما قوله واصلحوا فقال اصحابنا انه بعد التوبة
لا بد من مضي مدة عليه في حسن الحال حتى تقبل
شهادته وتعود ولايته ثم قدروا تلك المدة بسنة
حتى تمر عليها الفصول الاربعة التي تتغير فيها الاحوال
والطباع كما يضرب للعنين اجل سنة وقد علق الشرع
احكاما بسنة منها الزكاة والجزية وغيرهما واما
قوله فان الله غفور رحيم والمعنى انه لكونه
غفورا رحيما يقبل التوبة وهذا يدل على ان قبول
التوبة غير واجب عقلا لانه لو كان واجبا فهو انما
يقبله خوفا وقهرا لعلمه بانه لو لم يقبله لصار سفها
والحرج عن حد الالهية اذا لم يكن واجبا فقبله
فهناك تتحقق الرحمة والاحسان الحكم
الرابع بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا
انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه
لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله ان كان من
الكاذبين ويدرا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات
بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله
عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله تواب حكيم اعلم انه تعالى لما
ذكر احكام قذف الاجنبيات عقبه باحكام قذف
الاجنبيات الزوجات ثم هذه الاية مشتملة على ابحاث

سبحانه و

البحث الاول في سبب نزولها وذكروا فيه وجوها
احدها قال ابن عباس لما نزل قوله والذين
يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا قال
عاصم بن عدي الانصاري ان رجلا دخل بنا بيته فراى
رجلا على بطن امراته فان جاء باربعة رجال يشهدون
بذلك فقد قضى الرجل وخرج وان قتله قتل به
فان قال وجدت فلانا مع تلك المراة ضرب وان سكت
سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم
يقال له عويمر وله امراة يقال لها خولة بنت قيس
فاتى عويمر عاصما فقال لقد رايت شريك ابن السحما
على بطن امراتي خولة فاسترجع واتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الجمعة الاخرى فقال يا رسول
الله ما اسرع ما ابتليت بهذا في اهل بيتي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك فقال
اخبرني عويمر ابن عمي بانه راى شريك بن السحما على
بطن امراته خولة وكان عويمر وخولة وشريك كلهم
بنو عم عاصم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم
جميعا وقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك
ولا تقذفها فقال يا رسول الله بالله لقد رايت شريكا
على بطنها واني ما قربتها منذ اربعة اشهر وانها حبلى من
غيري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق
ولا تخبر الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمر رجل
غيور وانه راني وشريكا نطيل النظر ونتحدث فحملته
الغيرة على ما قال فانزل الله هذه الاية فامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى يؤدي الصلاة جامعة فصلى
العصر ثم قال لعويمر قم وقل اشهد بالله ان خولة
لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد
اني رايت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال
في الثالثة قل اشهد بالله انها حبلى من غيري واني لمن
الصادقين ثم قال قل في الرابعة قل اشهد بالله انها
زانية واني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين
ثم قال قل في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه
ان كان من الكاذبين ثم قال اقعد وقال لخولة قومي
فقامت وقال اشهد بالله ما اتانا بزانية وان
زوجي عويمر لمن الكاذبين وقالت في الثانية اشهد

بالله ما راى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين وقالت
في الثالثة اشهد بالله ما انا حبلى الا منه وانه لمن
الكاذبين وقالت في الرابعة اشهد بالله ما راني انه
ما راني على فاحشة قط وانه لمن الكاذبين وقالت
في الخامسة غضب الله على خولة ان كان عويمر من
الصادقين في قوله ففرق نبي الله بينهما وثانيها
قال ابن عباس في رواية الكلبي ان عاصما ذات
يوم رجع الى اهله فوجد شريك بن السحما على
بطن امراته فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتمام الحديث كما تقدم وثالثها روى عكرمة عن
ابن عباس لما نزل والذين يرمون المحصنات
قال سعد بن عبادة وهو سيد الانصار لو وجدت
رجلا على بطنها فاني ان جئت باربعة من الشهدا
يكون قد قضى حاجته وان قلت يا زانية ان في
ظهري ثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا معشر الانصار ما تسمعون ما يقول
سيدكم فقالوا يا رسول الله لا تلمه فانه رجل غيور
ما تزوج امراة قط الا بكرا ولا طلق امراة واحترز
رجل ان يتزوجها فقال سعد يا رسول الله اني
لاعرف انها حق وانها من الله تعالى ولكن عجبت
منه فقال عليه السلم فان الله يابى الا ذلك
فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا
يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال ابن
امية وهو احد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فقال
يا رسول الله اني رايت مع امراتي رجلا رايت
بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله ما جاء به فقال
هلال والله يا رسول الله اني لا ارى الكراهة في وجهك
مما اخبرتك به والله يعلم اني لمن الصادقين وما
قلت الا حقا فقال رسول الله اما البينة واما الحد
فاجتمعت الانصار وقالوا ابتلينا بما قال سعد فبينا
هم كذلك اذ نزل عليهم الوحي اربد وجهه وحده
حمرة فلما سري عنه قال عليه السلم البشرى يا هلال
قد جعل الله لك فرجا قال قد كنت ارجو ذلك من
الله تعالى فقرا عليهم هذه الاية فقال عليه السلم
الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب وامر بالملاعنة

وشهد هلال اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ○
فقال عليه السلم له عند الخامسة اتق الله يا هلال
فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة فقال
والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني رسول الله وشهد
الخامسة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشهدين
فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فلما اخذت
في الخامسة قال لها اتق الله فان الخامسة هي الموجبة
فتفكرت ساعة ثم همت بالاعتراف ثم قال والله لا افضح
قومي وشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان
من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ○
بينهما ثم قال ابصروها ان جاءت به سبح اصهب خمس
الساقين فهو لهلال وان جاءت به جدلج الساقين
اورق جعل فهو لصاحبه فجاءت به اورق جعل جدلج
الساقين فقال عليه السلم لولا الايمان لكان لي
ولها شان قال عكرمة لقد رايته بعد ذلك امير
مصر من الامصار لا يدري من ابوه البحث
الثاني ما يتعلق بالقراءة قرئ ولم تكن بالتاء لان الشهدا
جماعة ولانهم في معنى الانفس ووجه من قرا بالرفع
ان ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر
الذي فشهادة احدهم وهي مبتدا محذوف الخبر تقديره
فواجب شهادتهم اربع شهادات وقرئ وان ○
غضب على تخفيف ان ورفع ما بعدها وروي ان
غضب الله على نقل الغضب وقرئ بنصب الخامسة
على معنى ويشهد الخامسة البحث الثالث
ما يتعلق بالاحكام والنظر فيه يتعلق باطراف الاول
في موجب اللعان وفيه مسايل المسئلة الاولى
اعلم انه اذا رمى الرجل امراته بالزنا يجب عليه الحد ان
كانت محصنة والتعزير ان لم تكن محصنة كما في رمي ○
الاجنبي لا يختلف غير انهما يختلفان في المخلص ففي قذف
الاجنبي لا يسقط الحد عن القاذف الا باقرار المقذوف
او ببينة تقوم على انها زنت وفي قذف الزوجة ○
يسقط عنه الحد باحد هذين الامرين وانما اعتبر ○
الشرع اللعان في هذه الصورة دون الاجنبيات
لوجهين الاول انه لا معيرة عليه في الزنا الاجنبي
والاولى له ستره اما في زوجته فيلحقه العار والنسب

الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه وتوقيفه على البينة كالمعتد
فلا جرم خص الشرع هذه الصورة باللعان الثاني
ان الغالب في المعارف في احوال الرجل مع امراته
ان لا يقصدها بالقذف الا عن حقيقة فاذا رماها ○
فنفس الرمي يشهد بكونه صادقا الا ان شهادته ○
الحال ليست بالكاملة يضم اليها ما يقومها من الايمان
كشهادة المراة لما ضعفت قويت بزيادة العدد والشاهد
الواحد يتقوى باليمين على قول كثير من العلما
المسئلة الثانية قال ابو بكر الرازي ○
كان حد قاذف الاجنبيات والزوجات الجلد ○
والدليل عليه قوله عليه السلم لهلال بن امية حين
قذف امراته بشريك ابن السحما ايتني باربعة ○
يشهدون لك والا تحدن ظهرك فثبت بهذا ان
حد القاذف الزوجة كان كحد الاجنبيات الا انه
نسخ عن الازواج الجلد باللعان فدل هذا على ان
حد القاذف الزوجة الجلد كان الجلد الا انه وان
نسخه باللعان المسئلة الثالثة قال
الشافعي اذا قذف الزوج زوجته فالواجب هو
الحد لكن المخلص باللعان كما ان الواجب بقذف
الاجنبية الحد والمخلص بالشهود فاذا نكل الزوج عن
اللعان لزمه حد القذف فاذا لاعن ونكلت عن
اللعان لزمها حد الزنا وقال ابو حنيفة الناكل
يحبس حتى يلاعن وكذا المراة اذا نكلت حبست
حتى تلاعن حجة الشافعي وجوه احدها
ان الله قال في اول السورة والذين يرمون ○
المحصنات يعني غير الزوجات ثم لم ياتوا باربعة
شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة ثم عطف عليه حكم
الازواج فقال والذين يرمون ازواجهم ولم
يكن لهم شهدا الا انفسهم الاية فكما ان مقتضى
قذف الاجنبيات الاتيان بالشهود والجلد فكذا ○
موجب قذف الزوجات الاتيان باللعان او الحد
وثانيها قوله تعالى ويدرا عنها العذاب
ان تشهد اربع شهادات بالله والالف واللام ○
الداخلان على العذاب لا تفيد العموم لانه لانه لو لم
يجب عليها جميع انواع العذاب فوجب صرفها الى

المعهود السابق والمعهود السابق هو الحد لانه تعالى ذكر في اول
السورة اذا ثبت ان المراد من العذاب هو الحد نعت انها لو لم
تلاعن لحدت وانها باللعان رفعت الحد فان قيل المراد
من العذاب هو الحبس قلنا قد بينا ان الالف واللام
للمعهود المذكور واقرب المذكورات في هذه السورة العذاب
بمعنى الحد وايضا فلو حملنا على الحد لا تصير الاية مجملة اما لو
حملناه على الحبس تصير الاية مجملة لان مقدار الحبس غير معلوم
وثالثها قال الشافعي ومما يدل على بطلان الحبس
في حق المراة انها تقول ان كان الرجل صادقا فخذوني
وان كان كاذبا فخلوني وليس حبس في كتاب الله وسنة
رسوله ولا الاجماع ولا القياس ورابعها ان الزوج
قذفها ولم يات بالمخرج من شهادة غيره او شهادة نفسه
فوجب عليه الحد لقوله تعالى والذين يرمون المحصنات
ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم واذا ثبت ذلك في
حق الرجل ثبت في حق المراة اذ لا قايل بالفرق واحتج الامام
ابو حنيفة بان المراة ما فعلت سوى انها تركت اللعان
وهذا الترك ليس بينة ولا اقرار به فوجب ان لا يجوز
رجمها ولقوله عليه السلام لا يحل دم امرء مسلم الحديث فاذا
لم يجب الرجم اذا كانت محصنة لم يجب الجلد في غير المحصن
لانه لا قايل بالفرق وايضا النكول ليس بصريح الاقرار فلم يجز
اثبات الحد به كاللفظ المحتمل للزنا ولغيره المسئلة
الرابعة قال الجمهور اذا قال يا زانية وجب اللعان وقال
مالك لا تلاعن الا ان يقول رايتك تزني او ينفي حملا لها
او ولدا منها حجة الجمهور ان عموم قوله والذين يرمون
المحصنات يتناول الكل ولانه لا تفاوت في قذفه الاجنبية
من الكل وكذا في قذف الزوجة الطرف الثاني الملاعن
قال الشافعي من صح يمينه صح لعانه فيجري اللعان من
الرقيق والزمنين والمحدودين وكذا اذا كان احدهما رقيقا
لو كان الزوج مسلما والمراة ذمية وقال ابو حنيفة لا يصح في
صورتين احدهما ان تكون الزوجة ممن لا يجب على قاذفها
الحد اجنبيا نحو ان تكون الزوجة مملوكة او ذمية والثاني
ان يكون احدهما من غير اهل بان يكون محدودا في قذف عبد
او كافرا ثم زعم ان الفاسق والاعمى مع انهما ليسا من اهل
الشهادة يصح لعانهما وجه قول الشافعي ان المقصود دفع
العار عن النفس ودفع ولد الزنا وكما يحتاج غير المحدود

اليه فكذلك المحدود الثاني اجمعنا على انه يصح لعان الفاسق
والاعمى وان لم يكونا من اهل الشهادة فكذا القول في غيره
والجامع هو الحاجة الى دفع عار الزنا وجه قول
ابي حنيفة النص والمعنى اما النص فما روى عبد الله بن عمرو
ابن العاص انه عليه السلام قال اربع من النساء ليس بينهن
وبين ازواجهن ملاعنة اليهودية والنصرانية تحت المسلم
والحرة تحت المملوك والمملوكة تحت الحر اما المعنى فنقول
اما الصورة الاولى فلانه كان الواجب على قاذف الزوجة
والاجنبية بقوله والذين يرمون المحصنات ثم نسخ ذلك
عن الازواج واقيم اللعان مقامه فلما كان اللعان مع
الازواج قايما مقام الحد في الاجنبيات لم يجب اللعان
على من لا يجب عليه الحد لو قذفها اجنبي واما في الصورة
الثانية فالوجه ان اللعان شهادة فوجب ان لا يصح الا من
اهل الشهادة انما قلنا ان اللعان شهادة كما قال واستشهدوا
شهيدين من رجالكم الثاني انه عليه السلام حين لاعن
بين الزوجين امرهما باللعان بلفظ الشهادة ولم يقتصر
على لفظ النهي اذا ثبت ان اللعان شهادة وجب ان لا يقبل
من المحدود في القذف لقوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة
ابدا واذا ثبت ذلك في المحدود ثبت في العبد والكافر
اما الاجماع على انهما ليسا من اهل الشهادة او لانه
لا قايل بالفرق اجاب الشافعي ان اللعان ليس شهادة
في الحقيقة بل هو يمين لانه لا يجوز ان يشهد الانسان
لنفسه ولانه لو كان شهادة لكانت المراة تاتي بثماني
شهادات لانها على النصف من الرجل ولانه يصح من
الاعمى والفاسق ولا تجوز شهادتهما فان قيل الفاسق
والفاسقة قد يتوبان قلنا فكذلك العبد قد يعتق
فتجوز شهادته ثم اكد الشافعي ذلك بان العبد اذا اعتق
تقبل شهادته في الحال والفاسق اذا تاب لا تقبل شهادته
في الحال ثم الزم ابا حنيفة ان شهادة اهل الذمة مقبولة
بعضهم على بعض فينبغي ان يجوز اللعان بين الذمي والذمية
وهذا كله كلام الشافعي ثم قال بعد ذلك ويختلف الحدود
بمن وقعت له ومعناه ان الزوج ان لم يلاعن بنصف
حد القذف عليه برقه وان لاعن ولم يلاعن اختلف
حدها باحصانها وعدم احصانها وحريتها ورقتها الطرف

الثالث الاحكام المرتبه على اللعان قال الشافعي يتعلق
باللعان خمسة احكام رد الحد ونفي الولد والفرقه والتحريم
ووجوب الحد عليها وكل ما ثبت بحد بلعانه ولا ينتفي
فيه الى لعانه ولا الى حكم الحاكم فان حكم الحاكم به
كان تنفيذا منه لا ايقاعا للفرقه فلنتكلم في هذه المسئله
المسئله الاولى اختلف الفقهاء في وقوع الفرقه
باللعان على اربعة اقوال فقال عثمان البتي لا ان دي
جلد عنه الزوج ينقص نساوجب ان يطلقها والثاني
قال ابو حنيفه وابو يوسف ومحمد لا تقع الفرقه بتفرقهما من
اللعان حتى يفرق الحاكم بينهما وبالثها قال مالك والليث
وزفر اذا فرغا من اللعان وقعت الفرقه وان لم يفرق
الحاكم بينهما ورابعها قال الشافعي اذا حمل الزوج
الشهاده فقد زال فراش امراته فلا تحل له ابدا لحجه ٥
عثمان البتي وجوه احدها ان اللعان ليس بصريح ٥
ولا كناية عن الفرقه فوجب ان لا تقع الفرقه كسائر الاقوال
التي لا اشعار لها بالفرقه لان اكثر ما فيه ان يكون الزوج
صادقا في قوله وهذا لا يوجب تحريما لانه لو قامت
البينه عليها لم يوجب ذلك تحريما فاذا كان كاذبا والمراه ٥
صادقه فثبت ان لا دلاله على التحريم فيه وبالثها لو لا ما
فيما بينهما لم توجب الفرقه فلما اعتبر الحاكم وبالثها ان
اللعان قايم مقام الشهود في قذف الاجنبيات فكما انه ٥
لا فايده في احضار الشهود هناك لاسقاط الحد فلذا اللعان
لا تاثير له الا اسقاط الحد ورابعها اذا اكذب الزوج ٥
نفسه في قذفه اياها لم يوجب ذلك فرقه فلذا
اذا لا عن لان اللعان قايم مقام رد الحد وردا
بتفريق النبي صلى الله عليه وسلم فكانه في قصة العجلاني
وكان قد طلقها ثلاثا بعد اللعان فلذلك فرق بينهما واما
قوله ابي حنيفه ومن ان الحاكم يفرق بينهما فلا بد من بيان
امرين احدهما انه يجب على الحاكم ان يفرق بينهما
ودليله ما روي سهل بن سعد في قصة العجلاني في قصه ٥
السنه في الملتعنين ان يفرق بينهما والثاني ان
الفرقه لا تحصل الا بحكم الحاكم واحتجوا عليه بوجوه ٥
احدها روي في قصة عويمر انهما لما فرغا قال
كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها بعد ثلاثا فطلقها

ثلاثا قبل ان يامرها والاسند لان بعد اوجوه احدها
انه لو وقعت الفرقه باللعان لبطل قوله كذبت عليها ان
امسكتها لان امساكها عن ممكن وثانيها ما روي في
هذا الخبر انه طلقها ثلاثا فانفذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتنفيذ الطلاق انما يمكن لو لم تقع بنفس اللعان
وثالثها قال سهل بن سعد فصبت السنه ولو كانت
الفرقه واقعه باللعان استحال التفريق بعدها وثامنها
قال ابو بكر الرازي قول الشافعي خلاف الايه لانه لو وقعت
الفرقه باللعان الزوج لما عنت المراه وهي اجنبيه وذلك
خلاف الايه لان الله تعالى انما اوجب اللعان بين الزوجين
وثالثها ان اللعان شهاده لا تثبت حكمه الا عند الحاكم
فوجب الفرقه الا بحكم الحاكم ورابعها ان اللعان
استحق به المراه نفسها كما يستحق المدعي بالبينه فلما لم
يجز ان يستحق مدعاه الا بحكم الحاكم وجب مثله في
استحقاق المراه نفسها وخامسها ان اللعان لاشعار
فيه بالتحريم لان اكثر ما فيه اظهار تكذيب الزوج نفسه
البينه على زناها او هي اقرت بذلك كان كذلك ولو وجب
التحريم فبلعان اللعان واذا لم يوجد فيها دلاله التحريم
وجب ان لا تقع الفرقه فلا يلزم من احد اثبات التفريق اما
بين قبل الزوج او من قبل الحاكم اما قول مالك ونفر
فجمعهما انهما لو تراضيا على البقاء على النكاح لم تحل لهما
فرق بينهما فدل على ان اللعان قد اوجب الفرقه اما
قول الشافعي فله دليلان الاول قوله تعالى
ويدرا عنها العذاب ان تشهد الايه فدل هذا على انه ٥
لا تاثير للعان المراه الا في دفع العذاب عن نفسها وان
كل ما يجب باللعان المراه الا في دفع العذاب عن نفسها
وان كل ما يجب من الاحكام فقد وقع بلعان الزوج ٥
الثاني ان لعان الزوج وحده مستقل بنفي الولد
فوجب ان يكون الاعتبار بقوله في الالحاق والنفي ها
الاثر الى اما في لعانها فلا تحتاج الولد به وحين تنفيه عنه
فبعلم نفي الزوج لا الحاق المراه وهذا اذا كان اكذب
الزوج نفسه تحق به الولد وما دام يبقى مصرا على
اللعان فالولد منتفي عنه اذا ثبت ان لعانه مستقل
بنفي الولد وجب ان يكون مستقلا بنفي الولد لان ٥
الفرقه لو لم تقع لم ينتف الولد لقوله عليه السلم الولد

للفراش فما دام لم ينف الفراش فهو الحق به فلما انتفى الوالد عنه
بمجرد لعانه وجب ان يزول الفراش عنه واما
الاخبار التي تمسك بها ابو حنيفة فالمراد به ان النبي
صلى الله عليه وسلم اخبر عن وقوع الفرقة وحكم بها
وذلك لا ينافي ان يكون المؤثر في الفرقة شيا اخر واما
الاقيسة التي ذكرها فمدارها على ان اللعان
شهادة وليس الامر كذلك بل هو يمين على ما بينا واما
قوله اللعان لا اشعار فيه بوقوع الحرمة قلنا بينته على
نفي الولد مقبولة وهاهنا الولد يتضمن عاقبة النكاح
المسئلة الثانية قال مالك والشافعي وابو
يوسف والثوري والحسن المتلاعنان لا يجتمعان ابدا
وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وقال ابو حنيفة ومحمد
اذا كذب نفسه وحد زال تحريم العقد وحلت له بنكاح
جديد حجة الشافعي امور احدها قوله عليه
السلام للملاعن بعد اللعان لا سبيل لك عليها ولم يقل حتى
تكذب نفسك ولو كان الاكذاب غاية لهذه الحرمة ردها
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذه الغاية كما قال في
المطلقة الثلاث فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح
زوجا غيره وثانيها ما روي عن عمر وعلي وابن
مسعود انهم قالوا لا يجتمع المتلاعنان ابدا وهذا قد روي
ايضا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذه
وثالثها ما روى الزهري عن سهل بن سعد في
قصة العجلاني بصة السنة انهما اذا تلاعنا فرق بينهما
ثم لا يجتمعان حجة قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم
وقوله وانكحوا ما طاب لكم من النساء المسئلة
الثالثة اتفق اهل العلم على ان الولد قد ينفى على الزوج
باللعان عن بعض سداته للزوج ولا ينتفي نسبه
باللعان واحتج بقوله عليه السلام الولد للفراش وهذا
ضعيف لان الاخبار الدالة على النسب تنتفي باللعان
كالمتواتر فلا يعارضه هذا الوجه المسئلة الرابعة
قال الشافعي لو اتى احدهما ببعض كلمات اللعان
لا يتعلق به الحكم وقال ابو حنيفة اكثر كلمات اللعان
تعمل عمل الكل اذا حكم به الحاكم والظاهر قاله الشافعي
لانه يدل على انها لا تدرا العذاب عن نفسها الا بتمام
ما ذكره الشافعي ومن قال بخلاف ذلك فانما يقوله

بدليل منفصل الطرف الرابع في كيفية اللعان والاية
دالة عليها صريحا فالرجل يشهد اربع شهادات بالله بان يقول
اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا ثم
يقول وعليه لعنة الله ان كان من الكاذبين ويتعلق بلعان
الزوج تلك الاحكام الخمسة على قول الشافعي ثم المراة
اذا ارادت اسقاط الزنا عن نفسها عليها ان تلاعن ولا
يتعلق بلعانها الا هذا الحكم الواحد ثم ههنا فروع الاول
اجمعوا على ان اللعان كالشهادة فلا يثبت الا عند الحكم الثاني
قال الشافعي يقام الرجل حتى يشهد والمراة قاعدة ويقام
الرجل المراة حتى تشهد والمراة والرجل قاعد ويامر الاهل
من يضع يده على فيه عند الانتهاء ثم الى اللعنة والغضب
ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا الثالث اللعان
بمكة بين المقام والركن وبالمدينة عند المنبر وببيت المقدس
في مسجده وفي المواضع المعظمة ولعان المشرك في
الكنيسة واما الزمان فيوم الجمعة بعد العصر ولا بد من
حضور جماعة واقلهم اربعة وهذا التغليظ قيل واجب
وقيل مستحب الطرف الخامس في سائر
الفوائد وفيه مسائل المسئلة الاولى احتج
اصحابنا بهذه الاية على بطلان قول الخوارج في ان الزنا والقذف
كفر من وجهين الاول ان الرامي ان صدق فهي
زانية وان كذب فهو قاذف فلا بد على ان وقوع الكفر
من احدهما وذلك يكون ردة فيجب على هذا ان تقع
الفرقة ولا لعان اصلا وان تكون فرقة ردة حتى لا يتعلق
بذلك توارث الثاني ان الكفر اذا ثبت عليها بلعانه
فالواجب ان لا تقتل الا ان تجلد لان عقوبة المرتد مباينة
لعقوبة الزنا المسئلة الثانية الاية دالة على
بطلان قول من يقول ان وقوع الزنا يفسد النكاح
حتى يكون سبيله سبيل من يقر بانها اخته من الرضاعة
او بانها ولو كان كذلك لوجب ان تقع الفرقة بنفس الرمي
من قبل اللعان فقد ثبت بالاجماع فساد ذلك المسئلة
الثالثة قالت المعتزلة دلت الاية على ان القاذف مستحق
للعن الله اذا كان كاذبا وانه قد فسق وكذلك الزاني
والزانية مستحقان غضب الله وعقابه والا لم يحسن
فيهما ان يلعنا انفسهما كما لا يجوز ان يدعى لقدرته
ان يعين الاطفال والمجانين واذا صح ذلك فقد استحق

العقاب والعقاب يكون دايما كالثواب ولا يجتمعان فثوابهما
اذا يحبط فلا يجوز اذا لم يتوبا ان يدخل الجنة لان الامة
مجتمعة على ان من يدخل الجنة من المكلفين فهو مثاب على
طاعته وذلك يدل على خلود الفساق في النار قال
اصحابنا لا نسلم ان كونه معصوما عليه نفسه ينافي كونه
مرضيا عنه بجهة ايمانه ثم لو سلمناه فلا نسلم ان الجنة
لا يدخلها الا مستحق الثواب المسيلة الرابعة انما
خصت الملاعنة بان الخمس غضب الله تغليظا عليها لانها
هي اصل الفجور وتبعه بخلابتها واطماعها وكذلك كانت مقدمة
في اية الجلد واعلم انه سبحانه لما بين الزاني للمحصنات
والازواج ما ذكر وكان في ذلك من الرحمة والنعمة ما لا
خفاية لانه تعالى جعل باللعان للمرء سبيلا الى مراده
ولها سبيلا الى دفع العذاب عن نفسها ولهما السبيل الى
دفع العذاب عن نفسهما ولهما السبيل الى التسوية فلاجل
هذا بين بقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وكانه
عظم نعمه فيما بين من هذه الاحكام وفيما امهل وابقى
ومكنه التوبة ولا شبهة في ان في الكلام حذفا اذ لا من
جواب ان يتركه يدل على انه عظيم ورب مسكوت عنه
ابلغ من منطوقه الحكم الخامس قصة الافك
قوله تعالى ان الذين جاوا بالافك عصبة
منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم
ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب
عظيم الكلام في هذه الاية من وجهين احدهما تفسيره
والثاني سبب نزوله اما التفسير فاعلم ان الله
تعالى ذكر في هذه الاية ثلاثة اشيا الاول انه حكى
الواقعة وهو ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم
والافك ابلغ ما يكون من الكذب والافترا قيل هو البهتان
واجمع المسلمون على ان المراد ما افك به على عايشة
وانما وصف الله ذلك الكذب بكونه افكا لان المعروف
من حال عايشة خلافه لوجوه احدها ان كونها
زوجة الرسول المعصوم يمنع من ذلك لان الانبيا مبعوثون
الى الكفار ليدعوهم الى الله تعالى ويستعطفوهم فيجب
ان لا يكون معهم ما ينفر عنهم وكون الانسان بحيث
تكون زوجته مسافحة من اعظم المنفرات فان قيل
كيف جاز ان تكون امراة الرسول كافرة كامراة نوح وامراة

لوط ولم يجز ان تكون فاجرة وايضا فلو انه لم يجوز لكان الرسول
اعرف الناس بامتناع ولو عرف ذلك لما خاف ولما سال
عايشة عن كيفية الواقعة قلنا الجواب عن الاول ان
الكفر ليس من المنفرات والجواب عن الثاني انه عليه السلم
كثيرا ما يكون يضيق قلبه من اقوال الكفار مع علمه بفساد
ذلك قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
فكان هذا من هذا الباب وثانيها ان المعروف من
عايشة قبل تلك الواقعة انما هو الصون والبعد عن مقدمات
الفجور ومن كان كذلك كان اللايق احسان الظن به وثالثها
ان القاذفين من المنافقين واتباعهم وقد عرف ان كلام
المفتري ضرب من الهذيان فلمجموع هذه كان ذلك القول
معلوم بالفساد قبل نزول الوحي اما العصبة فقد
قيل انها الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة
وهم عبد الله بن ابي راس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان
ابن ثابت وسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم
اما قوله منكم فالمعنى ان الذين اتوا بالكفر في
امر عايشة جماعة منكم ايها المومنون لان عبد الله كان من
جملة من حكم له بالايمان ظاهرا وثانيها انه شرح
حال المقذوف بقوله لا تحسبوه شرا لكم وليس بخطاب
مع القاذفين فان قيل هذا مشكل من وجهين احدهما
انه لم يتقدم ذكرهم والثاني ان المقذوفين هم
عايشة وصفوان فكيف يحمل عليه صيغة الجمع في قوله
ولا تحسبوه شرا لكم والصحيح ان هذا الخطاب ليس مع
القاذفين بل مع من قذفوه فان قيل هذا مشكل لوجهين
احدهما انه لم يتقدم ذكرهم والثاني ان المقذوفين
هم عايشة وصفوان بن معطل فكيف يحمل عليهما صيغة
الجمع في قوله لا تحسبوه شرا لكم والجواب عن الاول
انه تقدم ذكرهم في قوله منكم والثاني ان المراد من
لفظ الجمع كل من تاذى بذلك الكذب ومعلوم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم تاذى بذلك وكذا ابو بكر ومن
يتصل فان قيل فمن اي جهة يصير خيرا لهم مع انه
مضرة في الالفاظ قلنا لوجوه احدها انهم صبروا
على ذلك الغم طلبا لمرضاة الله فاستوجبوا به الثواب
وهذا طريقة المومنين وثانيها انه لولا اظهارهم
الافك كان يجوز ان يبقى لهم الكامن في صدور البعض

وعند الاظهار انكشف كرب القوم وتالهنا انه صار خير الهم
لما فيه من شرفهم وبيان فضلهم من حيث برئت تحاتي عنه
اله كل واحد منها مستقلة براءة عائشة وشهد الله بكذب
القاذفين وتبهم الى الافك واوجب عليهم اللعن والذم
وهذا غاية الشرف والفضل وراجع عاصم بحال تحلق
الكفر بقذفه وردها فان الله لما نص على كونه كاذبا قاطعا
افكا وبانيا في شرحه فكل من شك فيه كان كافرا قاطعا وهذه
درجة عالية ومن الناس من قال قوله تعالى لا تحسبوه
سر الكلم خطاب مع القاذفين وجعله الله خير الهم من
وجوه احدها انهم صار خير الهم من حيث كان هذا
الذكر عقوبة معجلة كالكفان وثانيها صار خير الهم
من حيث تاب بعضهم عنه واعلم ان هذا القول
ضعيف لانه تعالى خاطبهم بالكاف ولما وصف اهل
الافك جعل الخطاب بالهاء فقوله لكل امرئ منهم ما اكتسب
من الاثم ومعلوم ان قدر ما اكتسبوه لا يكون عقوبته
فالمراد اعظم خيرا مما اكتسبوه من العقاب في الاخرة
والمذمة في الدنيا فالمعنى ان قدر العقاب يكون مثل
قدر الخوض اما قوله تعالى والذي تولى كبره منهم له
عذاب عظيم ففيه مسائل المسئلة
الاولى كبره بالضم والكسر المسئلة الثانية قال
الضحاك الذي تولى كبره حسان وسطح مجلد بما عليه السطح
حين انزل الله عذرهما وحد مهما واما من قريش
ويروى ان عائشة ذكرت حسان وقالت ارجو ان لا يخزيه
فقيل لها ليس هو الذي تولى كبره فقالت اذا سمعت بشره
في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم رجوت له الجنة
وقال عليه السلام ان الله يؤيد حسان بروح القدس
في شعره وفي رويه واي عذاب اشد من العمى ولعل الله
جعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره والاقرب في
الرواية ان المراد منه عبد الله بن ابي فانه كان منافقا
يطلب ما يقدح في الرسول صلى الله عليه وسلم
المسئلة الثالثة الضمير في المراد من اضافه الكبر
اليه انه كان مبتدئ بذلك القول فلا جرم حصل له من
العذاب مثل ما حصل لكل من قال ذلك القول
لقوله عليه السلم من سن سنة سيئة فله وزرها
ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وقيل سبب تلك الاضافة

شدة الرغبة في اشاعة تلك الفاحشة وهو قول ابي مسلم
المسئلة الرابعة قال الحبائي قوله تعالى لكل
امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي عقاب ما اكتسب ولو
كان لا يسمى على ذلك عقابا جاز ان يقول ذلك
فيه وقيد ذلك على ان من لم يتب منهم صار الى العذاب
الدائم في الاخرة ان مع استحقاق العقاب لا يجوز الثواب
والجواب ان الكلام في الحايض وذكرنا من غير مرة
فلا حاجة للاعادة اما سبب النزول فقد روى الزهري
عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص
كلهم رووا عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول
الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسايه فايتهن
خرج اسمها خرج معه قال فاقرع بيننا في غزوة
غزاها فيل بني المصطلق فخرج فيها اسمي فخرجت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما نزول اية
الحجاب فحملت في هودج فكنت اسير فيه وكذلك كنا نسير
عليه وسلم وقرب من المدينة نزل منزلا ثم اذن بالرحيل
فقمت حين اذنوا ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت
شاني اقبلت على رحلي فلمست صدري فاذا عقدي من
جزع ظفار قد انقطع فرجعت والتمست وحبسني طلبه
قال الرهط الذين كانوا يرحلون فحملوا هودجي وهم
يحسبون اني فيه كعادتي وانما كنت جارية حديثة فظنوا
اني في الهودج وذهبوا بالبعير فلما ذهبت لم اجد في
المكان احدا فجلست وقلت لعودن في طلبي فنمت وكان
صفوان بن معطل في الجيش يسير الناس فجاء الى
منزلي الاخر فلما راى سوادي عرفني وقال
ما خلفك عن الناس فاخبرته الخبر فنزل عني ركبت
ثم قاد البعير واقتدى الناس حين نزلوا واستراح
الناس في ذكري فينا الناس كذلك اذ دخلت عليهم
فتكلم القوم وخاضوا في حديثي وهلك من هلك وقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولم ار منه عليه
السلم ما عهدته من اللطف الذي كنت اعرف منه ولا
اشعر بعد ما خرجت في بعض الليالي مع ام مسطح لمهم
فعثرت في مرطها فقالت تعس مسطح فانكرت ذلك وقلت
لها بئس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت وما بلغك الخبر فقلت
وما هو فقالت اشهد انك من المومنات العاقلات ثم

اضربني بقول اهل الافك فارتدت مرضا فرجعت الى بيت ابي فدخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ائذن لي ان
ابوي فاذن لي فجئت ابوي فقلت لامي ماذا تحدث الناس
قالت يابنية هوني عليك فوالله لقل ما كانت امراة وضيئة
عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها قالت فبكيت
تلك الليلة ثم اصبحت ابكي ودخل علي ابي وانا ابكي فقال
لامي ما يبكيها فقالت الم تعلمي ما قيل لها فقالت بلى وقد
وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب
واسامة بن زيد واستشارهما في فراقي فقال اسامة
يارسول الله هم اهلك ولا نعلم منهم الا خيرا وامر علي فقال
لن يضيق الله عليك والنساء سواها كثيرة وان تسال الجارية
تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة وسالها
عن امري فقالت بريرة يارسول الله والذي بعثك بالحق
اني ما رايت عليها قط امرا اغمصه عليها غير انها جارية حديثة السن تنام
عن عجين اهلها حتى تاتي الداجن فتاكله فقام النبي
صلى الله عليه وسلم خطيبا على المنبر فقال يامعشر
المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني ايذاه في اهلي
يعني عبد الله بن ابي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد
ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي
الا معي فقام سعد بن معاذ فقال اعذرك منه
يارسول الله ان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان
من اخواننا الخزرج فامرتنا ففعلناه فقام سعد بن عبادة
وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية
فقال لسعد بن معاذ كذبت والله لا تقتل ولا تقدر على قتله
اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال
لعمر الله لنقتلنه وانك منافق تجادل عن المنافقين
فقام الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل يخفضهم
ويسكتهم حتى قالوا فبكيت ليلتي فلم يرقا لي دمع ولا اكتحلت
بنوم ثم بكيت ليلة فلم يرقا لي دمع ولا اكتحلت بنوم
عندي اوظن ان البكاء فالق كبدي فبينما انا جالسة
عندي اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل ولقد
لبث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشيء قالت فتشهد ثم قال اما
بعد يا عائشة فقد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة
فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري
الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه

قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قاض دمعي
فقلت لابي اجب عني رسول الله فقال والله لا ادري ما اقول
فقلت لامي اجيبي عني رسول الله فقالت والله لا ادري ما اقول
فقلت وانا جارية حديثة السن ما اقرا من القرآن كثيرا
اني والله لقد عرفت لكم سمعتم هذا حتى استقر في نفوسكم
وصدقتم به فان قلت لكم اني بريئة لا تصدقوا وان
اعترفت لكم بامر والله يعلم الله اني منه بريئة لتصدقوني والله
لا اجد لي ولكم مثلا الا ما قال ابو يوسف
ولم اذكر اسمه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
قالت ثم تحولت واضطجعت على فراشي وانا اعلم ان الله
بريء ولكن والله ما كنت اظن ان ينزل في شاني وحيا
تتلى ولشاني كان احقر في نفسي من ان يتكلم الله في
بامر يتلى ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله
ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولا
خرج من اهل البيت احد حتى انزل الله على نبيه فاخذ
ما كان ياخذ من عند الوحي انه ليتحدر عنه مثل الجمان
العرق في اليوم الشاتي وسيجيء ثبوت وضعت وساده
فوالله ما فرقت ولا باليت لعلمي بان الله بريء فوالله ما
سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
ظننت ان نفس ابوي سيخرجان فرقا من ان يانتي الله
من الناس ما قال الناس فلما سري عنه وهو يضحك
فكان اول كلمة تكلم بها ان قال ابشري يا عائشة
اما والله لقد براك الله فقلت الحمد لله لا احمدك ولا احمد
احدا من اصحابك قالت امي فوحي اليه فقلت والله لا اقوم
ولا اعمد احدا الا بالله الذي انزل براءتي فانزل الله عز وجل
ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الآيات فقال ابو بكر
الذي ينفق على مسطح لما قال ما قال والله لا انفق عليه
شيئا ابدا بعد ما قال لعائشة ما قال فانزل الله عز وجل
ولا يأتل اولوا الفضل منكم الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر والله اني لاحب
ان يغفر الله لي فرجع الى النفقة التي كان ينفقها عليه وقال
والله لا انزعها منه ابدا قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سال زينب بنت جحش عن امري فقالت يا رسول الله
احمي سمعي وبصري ما علمت الا خيرا قالت وهي التي
كانت تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله
بالورع وطفقت اختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك
قال ابن شهاب فهذا ما انتهى الينا من امر هؤلاء الرهط ثم
قال عروة قالت عائشة والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل
ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف انثى قط
قالت ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله

فكان ينفق على مسطح لقرابته منه وحاجته وقال والله لا
انزعها منه ابدا على ما قال لعائشة ما قال قالت عائشة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال زينب بنت جحش عن امري
فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري ما علمت الا خيرا
قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله
بالورع وطفقت اختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك
قال ابن شهاب فهذا ما انتهى الينا من امر هؤلاء الرهط ثم
قال عروة قالت عائشة والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل
ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف انثى قط
قالت ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله

وهو انواع فالاول قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون ۞
والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين وهذا
من جملة الآداب التي كان يلزمهم بحر الاتيان به لولا امتناعه
هلا وذلك كثير في اللغة اذا كان بمعنى التحضيض كقوله لولا
اخرتني وقوله فلولا كانت قرية آمنت الا قوم يونس وقد يجيء
كذلك كقوله لولا انتم لكنا مؤمنين ولولا فضل الله عليكم
والمراد كان الواجب على المؤمنين اذ سمعوا قول
القاذف ان يكذبوه ويستحسنوا احسان الظن ولا
يسرعوا الى التهمة فيمن عرفوا فيه الطهارة وههنا ۞
سؤالات الاول هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم
بانفسكم خيرا وقلتم فلم عدل عن الخطاب الى الغيبة
وعن الضمير الى الظاهر الجواب ليبالغ في التوبيخ
بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان وقوله على ان
الايمان تأبى ذلك فيه تقتضي ان لا يظن بالمسلمن شرا
دينه يحكم بكون المعصية منبئا عن ضرر وعقلهم يهديه الى
وجب الاحتراز عن الضرر هذا يوجب حصول الظن
باحتراز عن المعصية فاذا وجد هذا المقتضي للاحتراز
ولم يوجد في مقابلته راجح يساويه في القوة وجب
احتمال الظن ويحرم الاقدام على الظن السوء فيه وجهان
الاول ان المراد بقوله بانفسهم بعضهم خيرا ونظيره ۞
قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وقوله اذا دخلتم بيوتا
فسلموا على انفسكم ومعناه لا يلمز بعضكم بعضا ولا يسلم
ان ابا بكر قال لم ار ايوب امتن من مريم ما بال ايوب لما
لو كنت يدا لاصفوان لكنت تظن بجرم لرسول الله صلى
الله عليه وسلم سوأ قال لا قلت ولو كنت يدك عائشة
ما حبت رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك
وقال ابن زيد ذلك معاتبة للمؤمنين كالنفس الواحدة ۞
فيما يجري عليها من الامور فاذا جرى على احدهم مكروه
فاذا جرى على احدهم مكروه فكانه جرى على جميعهم عن
النعمان بن بشير قال عليه السلم مثل المسلمين في
توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا وجع بعضه وجع له
بالسهر والحمى وعن ابي بن زيد قال عليه السلم المؤمنون
كالبنيان يشد بعضه بعضا السؤال الثالث
ما معنى قوله هذا افك مبين وهل لمن يسمع ما لا يعرف

ان يقول ذلك من وجهين الاول الذي يجب ان
يقوله لكنه يخبر بذلك عن قول القاذف الذي ۞
لا يستند الى امارة لا عن حقيقة الشيء الذي لا يعلمه
الثاني ان ذلك واجب في امر عائشة لان كونها
زوجة المعصوم كالدليل القاطع في كون ذلك كذبا
قال ابو بكر الرازي هذا يدل على ان الواجب من كان
ظاهر العدالة يظن به خيرا ويوجب ان يكون عدول ۞
المسلمين وبصرفا هم محمولة على الصحة والجواز ولذلك
قال اصحابنا فيمن وجد امرأة اجنبية فاعتنقها بالزوج
لانه لا يجوز تكذيبهما بل يجب تصديقهما وزعم مالك انه
يحد مما اذا لم يقم بينة على الطلاق النكاح ومن ذلك
ايضا ما قال اصحابنا فيمن باع درهما ودينارا بدرهمين
ودينارين يحالف كل واحد منهما صاحبه ان
الظن بالمؤمن يوجب حمله على ما يجوز وهو المخالفة ۞
بينهما وكذلك اذا باع سيفا محلى عليه مائة درهم بمائتي
درهم انما يجعل المائة بالمائة والفضل بالسيف وهو ۱۲
يدل على قول ابي حنيفة في ان المسلمين عدول ۞
ما لم يظهر منهم ريبة لانا مأمورون بحسن الظن وذلك
يوجب قبول الشهادة توجب الوقوف عنها وقال
تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا النوع الثاني
قوله تعالى لولا جاؤا عليه باربعة شهداء ۞
فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون
وهو امر من باب الزواجر والمعنى هلا اتوا بما ذكروه ۞
باربعة شهداء من الشهود يشهدون على معاينتهم
ما رموها به فاذ لم يأتوا بالشهداء الى حين رموها
اي في حكم الله هم الكاذبون قال قتادة فاولئك عند الله هم الكاذبون
شهد الله انه يجوز ان يكونوا هم صادقين كما يجوز ان يكونوا هم
كاذبين فلم جزم بكونهم كاذبين الجواب من
وجهين الاول ان المراد بذلك الذي رموا عائشة
خاصة وهم كانوا عند الله كاذبين عند الله اذ لم يأتوا بالشهداء
عند الله كاذب سواء جاء بالشهداء اولم يأت فالحكم ان
كل من لم يأت بامر الله الثاني المراد اولئك عند الله
في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب

والقاذف اذا لم يات بالشهود فانه يجب زجره فلما شابه الكاذب
في الزجر لا جرم اطلق عليه انه كاذب فجاز النوع الثالث
قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة
لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم وهذا من باب
الزواجر لولا ههنا لامتناع الشي لوجود غيره يقال
افاض الحديث واندفع وخاض وفي الوجهان المعنى
وجهان الاول ولولا اني قضيت ان الفضل
عليكم في الدنيا بالنعم التي من جملتها الامهال عليكم
وفي الاخرة بالعفو لعاجلتم بالعقاب على ما خضتم فيه
من حديث الافك والثاني لولا فضل الله عليكم
لمسكم العذاب في الدنيا والاخرة معا فيكون فيه تقديم
وتاخير وهذا الفصل هو حكم الله لمن تاب النوع
الرابع قوله اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند
الله عظيم وهذا ايضا من الزواجر قال صاحب الكشاف
اذ ظرف لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض تلقى
القول وتلقاه منه قوله تعالى فتلقى ادم من ربه
كلمات فتاب عليه وقرئ تتلقونه وتلقونه من الولق
وهو الكذب وتلقونه محكية عن عايشة وعن سفيان
سمعت ابي يقرا وتنفقونه وكان ابوها يقرا الحرف
عبد الله بن مسعود واعلم ان الله تعالى وصفهم بارتكاب
ثلاثة اثام وعلق من العذاب العظيم بها احدها
تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل
يقول له ما وراك فيحدثه بحديث الافك اذا حتى اذا
شاع فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه فكانهم سعوا في
اشاعة الفاحشة وذلك من العظايم وثانيها
انهم كانوا يتكلمون بما لا علم لهم به وذلك يدل على انه
لا يجوز الاخبار الا مع العلم فاما الذي لا نعلم صدقه
فالاخبار عنه كالاخبار عما لم يعلم كونه في
ونظيره قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم فان
قيل ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا
بالفم قلنا معناه ان الشي المعلوم يكون علمه في القلب
فيترجم عنه باللسان وهذا الافك لا يكون الا قولا
يجري على السنتكم من غير ان يحصل في القلب علم به
كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وثانيها

انهم كانوا يستصغرون ذلك وهو عظيمة من العظايم ويدل
على امور ثلاثة الاول يدل على ان القذف من
الكباير لقوله وهو عند الله عظيم الثاني نبه بقوله
وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم على ان علم المعصية
لا يختلف بظن فاعله وحسابه بل ربما كان ذلك موكدا
لعظمه من حيث جهل كونه عظيما الثالث الواجب
على المكلف في كل محرم ان يستعظم الاقدام عليه ولا
يامن انه من الكباير وقيل لا صغيرة مع الاصرار ولا
كبيرة مع الاستكبار النوع الخامس قوله تعالى
ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك
هذا بهتان عظيم وهذا من باب الاداب اي هلا اذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا فانما وجب
عليكم الامتناع منه لوجوه احدها ان المقتضي
لكونهم تاركين لهذا الفعل قايم وهو العقل والدين
ولم يوجد ما يعارضه فوجب ان يكون ظن كونهم
تاركين للمعصية اقوى من ظن كونهم فاعلين لها
فلو اخبر عن صدور المعصية لكان قد رجح المرجوح
على الراجح وهو غير جايز وثانيها وهو انه يتضمن
ايذا الرسول وذلك سبب للعن لقوله تعالى ان
الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله وثالثها
انه سبب لايذا عايشة وايذا ابويها ومن اتصل بهم من
غير سبب عرف اقدامهم عليه وذلك حرام ورابعها
انه اقدام على ما يجوز كونه سببا للضرب مع الاستغنا عنه
والعقل يقتضي التباعد عنه لان القاذف بتقدير كونه
صادقا لا يستحق الثواب على صدقه بل يستحق العقاب
لانه اشاع الفاحشة وبتقدير كونه كاذبا فانه يستحق
العقاب ومثل ذلك مما يقتضي صريح العقل الاحتراز عنه
وخامسها انه يضيع الوقت بما لا فايدة فيه قال
عليه السلام تخلقوا باخلاق الله فهذه الوجوه الوجوه توجب
على العاقل انه ان سمع القذف سكت عنه وان يجتهد
في الاحتراز عن الوقوع فان قيل كيف جاز الفصل
بين لولا وبين قلتم بالظرف قلنا الفايدة فيه انه كان
الواجب عليهم ان يحترزوا مما سمعوا التكلم به فلما كان
ذكر الوقت وجب تقديمه كان قلت ما معنى يكون
والكلام بدونه يثبت ولو قيل ما لنا ان نتكلم بها قلت

معناه ينبغي اي ما ينبغي وما يصح القول ما يكون لي ان اقول
اما قوله سبحانه هذا بهتان عظيم ففيه سوالات
الاول كيف يليق سبحانك بهذا الموضع الجواب
من وجوه الاول المراد منه التعجب من عظم الامر
فانما استعمل في معنى التعجب لانه يسبح الله عند رويه
التعجب من صنايعه فاستعمل في كل متعجب منه الثاني
ان المراد تنزيهه من ان تكون زوجة نبيه فاجره الثالث
انه منزه عن ان يرضى بظلم هولا المقربين الرابع
انه منزه عن ان لا يعاقب هولا القذفة الظلمة السوال
الثاني لم اوجب عليهم ان يقولوا هذا بهتان مع
انهم عالمين بكونه كذبا قطعا الجواب من وجهين
الاول انهم كانوا متمسكين عن العلم بكونه بهتانا
لان زوجة الرسول لا يجوز ان تكون فاجرة الثاني
انهم لما جزموا به مع انهم لما كانوا ظانين له بالقلب كان
اخبارهم عن ذلك الجزم كذبا ونظيره قوله تعالى والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون النوع السادس قوله
تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله ان كنتم مومنين ويبين
الله لكم الايات والله عليم حكيم الى مثل هذا الفعل ابدا
وانهم ما داموا احيا مكلفين وقد دخل تحت ذلك من
قال ومن سمع فلم ينكر لان حالهما سوا في ان فعلاهما
لا يجوز وان كان من اقدام اعظم ذنبا فبين ان الغرض
بما عرفهم من هذه الطريقة ان لا يعودوا الى مثل
ما تقدم منهم وههنا مسايل المسيلة الاولى
استدلت المعتزلة بقوله ان كنتم مومنين على ان ترك
القذف من الايمان لان المعلق على الشرط عدم عند عدم
الشرط والجواب هذا معارض بقوله ان الذين
جاوا بالافك عصبة منكم ايها المومنون فدل ذلك
على ان ذلك لا يوجب الخروج عن الايمان واذا ثبت
التعارض حملنا هذه الاية على التهيج في الاتعاظ والانزجار
المسيلة الثانية قالت المعتزلة دلت هذه على
انه تعالى اراد من جميع من وعظه مجانبة مثل ذلك
في المستقبل وان كان فيهم من لا يطيع فمن هذا الوجه
يدل على انه يريد منهم كلهم الطاعة وان عصوا ولان
قوله يعظكم الله ان تعودوا معناه لكي لا يعود لمثله
وذلك دلالة الارادة الجواب قد تقدم

انه ثنا

مرارا المسيلة الثالثة هل يجوز ان يسمي الله واعظا
لقوله تعالى يعظكم الله الاظهر انه لا يجوز كما لا يجوز ان
يسمي معلما لقوله الرحمن علم القران واما قوله
تعالى ويبين الله لكم الايات فالمراد من الايات
ثلاثة تعرف ما ينبغي ان يتمسك به بين انه لكونه عليما حكيما
يوثر بما يوجب ان يبينه ويجب ان يطاع لاجل ذلك لان
من لا يكون عالما لا يجب قبول تكليفه لانه قد يامر
بما لا ينبغي ولان المكلف اذا اطاعه فقد لا يعلم انه اطاعه
فحينئذ لا يبقى للطاعة فايدة فاما اذا كان عليما حكيما فانه
يامره لا يامره الا بما ينبغي ولا يهمل جزا المستحقين فلهذا
ذكر هاتين الصفتين وخصهما بالذكر وههنا سوالات
الاول الحكيم هو الذي لا ياتي بما لا ينبغي وانما
يكون كذلك لو كان عالما بقبح القبيح وعالما بكونه
غنيا منه فيكون العلم داخلا في الحكم فكان ذكر الحكيم
مغنيا عنه فهذا على قول المعتزلة واما على قول
اهل السنة والجماعة فالحكمة هي العلم فقط فذكر العلم
الحكيم يكون تكرارا محضا الجواب يحمل ذلك على
التاكيد السوال الثاني قالت المعتزلة قلت
الاية على انه انما يجب قبول بيان الله تعالى بمجرد كونه
عليما حكيما والحكيم هو الذي لا يفعل القبايح فتدل
الاية على انه لو كان خالقا للقبايح لما جاز الاعتماد على
وعده ووعيده ولقوله له والجواب الحكيم
عندنا هو العليم وانما يجوز الاعتماد على قوله لكونه عالما
بكل المعلومات فان الجاهل لا اعتماد على قوله البتة
السوال الثالث قالت المعتزلة قوله ويبين الله
لكم اي لاجلكم وهذا يدل على ان افعاله معللة بالاغراض
ولان قوله لكم لا يجوز على الظاهر لانه ليس الغرض نفس
ذواتهم بل الغرض حصول انتفاعهم بطاعتهم فدل هذا
على انه لا يريد الايمان من الكل الجواب المراد
انه سبحانه فعل بهم ما لو فعله غيره لكان ذلك غرضا
النوع السابع قوله تعالى ان الذين يحبون
ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في
الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون اعلم
انه سبحانه لما بين ما على الافك وعلى من سمع منه وما
ينبغي ان يتمسك به من اداب الدين اتبعه بقوله ان

الذين يحبون ان تشيع الفاحشه ليعلم ان من احب ذلك ۞
فقد شارك في هذا كما شارك فيه من فعله وليعلم اهل
الافك كما عليهم العقوبه مما اظهروه فكذلك يستحقون
العقاب بما اسروه كما تحقه الساعه الفاحشه وذلك
يدل على وجوب سلامة القلب للمومنين كوجوب
كف الجوارح والقول عما يضر بهم وهاهنا مسايل ۞
المسئله الاولى معنى الاشاعه الانتشار
يقال في هذا الخبر وسمع شايع اذا كان في الجميع ولم
يكن منفصلا وشاع الحديث اذا اظهر في العامه ۞
المسئله الثانيه لاشك ان ظاهر قوله ان
الذين يحبون الخ يفيد العموم وانه يتناول كل من
كان بهذه الصفه ولاشك ان هذه الايه نزلت في ۞
قذفه عايشه الا ان العبره بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب فوجب اجراوها على ظاهرها في العموم ومما يدل
على انه لا يجوز تخصيصها بقذفه عايشه قوله في الذين
امنوا فانه صيغه جمع فلو اراد عايشه وحدها لم يجز
ذلك والذي خصصوه بقذفه عايشه منهم من حمله
على عبد الله بن ابي لانه هو الذي سعى في اشاعه
الفاحشه المسئله الثالثه روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني لا اعرف قوما يضربون
صدورهم ضربا يسمعه اهل النار وهم اطهاذون ۞
الذين يلتمسون عورات المسلمين وهتكون ستورهم
ويشيعون فيهم الفواحش وعنه عليه السلام لا يسلم
عبد مومن عبدا مومنا الا ستره الله يوم القيمه ومن
قال مسلما صفقته قال الله عز وجل يوم القيامه وعنه
عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ۞
والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه وعن عبد الله بن عمر
عنه عليه السلام قال من سره ان يخرج من النار ۞
ويدخل الجنه فيموت وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله ويحب ان ياتي الناس ما يحب ان يوتى اليه
وعن انس قال عليه السلام لا يومن العبد حتى يحب
لاخيه ما يحب لنفسه المسئله الرابعه اختلفوا
في عذاب الدنيا فقال بعضهم هذا الجلد هو واللعن ۞
والعذاب من الله والمومنين ضرب رسول الله ابي
ابي وحسانا ومسطح وقد صفوان بحسان فضربه ضربه

بالسيف وكف بصره وقال الحسن عنايه المنافقين لانهم
قصدوا ان يعصوا الرسول ومن اراد عصيان الرسول
فهو كافر وعذابهم في الدنيا ان يوسلكوا سبيلهم
بمقاتله اولياءهم مع اعدائهم قال ابو مسلم والذين
يحبون هم المنافقون فاوعدهم الله العذاب
في الدنيا على ما هو الرسول بالجاهره لقوله جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم والادب ان المراد هذا
العذاب ما استحقوه بافعالهم وهو الحد واللعن والذم
فاما عذاب الاخره فلاشك انه في القبر عذاب وفي
القيمه عذاب النار اما قوله والله يعلم وانتم ۞
لا تعلمون فهو حسن الموقع في هذا الموضع لان محبه
القلب كامر وهو لا يعلمها الا بامارات اما الله
سبحانه وتعالى فانه لا يخفى عليه ضمايرهذا الذكر هذه
في الزجر لان من احب اشاعه الفاحشه وان بالغ ۞
في اخفاء تلك المحبه فهو يعلم ان الله يعلم ذلك
منه وان علمه سبحانه بذلك الذي اخفاه كعلمه بالذي
اظهره ويعلم قد الجزا عليه المسئله الخامسه
يدل على ان العزم على الذنب العظيم فسق وان اراده
الفسق فسق لانه عطف الوعيد بمحبه اشاعه الفاحشه
المسئله السادسه قال الجباي دلت
الايه على كل قاذف لم يتب من قذفه ولا ثواب له من
حيث استحق هذا العذاب الدايم وذلك يمنع من استحقاق
ضده الذي هو الثواب في هذا الوجه يدل على ما يقول
واعلم ان حاصله يرجع الى مسئله المحابطه وقد تقدم
الكلام عليه المسئله السابعه قالت المعتزله
ان الله يعاقب في دم من احب اشاعه الفاحشه فلو كان
تعالى هو الخالق لافعال العباد لما كان منع الفاحشه
الا هو فكان يجب ان لا يستحق الذم الذي على اشاعه
الفاحشه الا هو لانه هو الذي فعل تلك الاشاعه وغيره
لم يفعل شيا والكلام عليه قد تقدم المسئله
الثامنه قال ابو حنيفه المصاب بالجنون لا يستنطق
لان استنطاقها اشاعه الفاحشه وذلك ممنوع منه
النوع الثامن قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله رووف رحيم ففيه وجوه احدها
ان جوابه محذوف لانه قال لعذبكم واسا صلكم

لكنه رؤف رحيم قال ابن عباس الخطاب لحسان ومسطح وحمنه
ويجوز ان يكون الخطاب عاما والثاني جوابه في
قوله ما زكى منكم من احد والثالث جوابه لكانت
الفاحشة تشيع فتعظم المضرة وهو قوي اي مسلم والاقرب
ان جوابه محذوف فكان قوله من بعد ولولا فضل الله عليكم
ورحمته ما زكى منكم من احد كالمنفصل من الاول
فلابد ان يكون جوابا للاول حصوصا وقع بين
الكلامين كلام اخر والمراد انه لولا انعامه بان يهي وابهل
واملى لهلكوا لكن لرأفته لا يدع ما هو للعبد اصلح وان
حتى سلط نفسه النوع التاسع قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان فانه
يامر بالفحشا والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما
زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشا والله
سميع عليم تزكي خطوات تضم الطاء وسكونها الخطوات
جمع خطوة وهو من حال الرجل يخطو خطوا فاذا اردت
الواحدة قلت خطوة مفتوحة الاول والفتح الاول
وتضم المراد بذلك السيرة والمعنى لا تتبعوا اثاره
الشيطان ولا تسلكوا مسالكه في اشاعة الفاحشة والله
تعالى وان خص بذلك المومنين فهو لاي لكل المكلفين
وهو قوله ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر
بالفحشا ومعلوم ان كل المكلفين ممنوعون من ذلك
وانما قلنا انه تعالى خص المومنين بذلك لانه انما نهى عن عدم
على اتباع خطواته بقوله ومن يتبع خطوات الشيطان
فظاهر ذلك انهم لم يتبعوه ولو كان المراد الكفار لكانوا
من اتبعوه فكانه لما بين ما على اهل الافك من الاثم
والفحشا اذ بالمومنين بان خصهم بالذكر ليبين ولي قوله
لانه لا يكون حالهم كحال اهل الافك والفحشا ما فرط
فيه والمنكر الفاحش القبيح المنفر عنه والرحمة
انما قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ما زكى منكم من احد ابدا الشديد قال مقاتل
ما صلح وقال قسم ظاهر وقيل
من يلحق في الطاعة كمال يقال زكى الزرع فاذا بلغ المومن في
الصلاح في الدين ما يستحق به ثناء كما قيل
زكي الا وجد زاكيا كما لا يقال لمن ترك
مطلقا بل يقال هداه الله فلم يهتد واحتج اصحابنا في

مسئلة المخلوف فيه بقوله ولكن الله يزكي من يشا فقالوا الزكية
كالتسويد والتحميد وكما ان التسويد يحصل السواد فكذلك
التزكية تحصل الزكا في المحل قالت المعتزلة هما اما واحد
اصلها قال التزكية على فعل الالطاف والتي
حمله على الحليم يكون العبد زكيا قال اصحابنا الرجحان
على خلاف الظاهر ثم نقيم الدلالة العقلية ايضا اما
الوجه الاول فيدل على فساده وجهان احدهما
ان فعل اللطف هل يرجح الداعي او لا يرجحه فان لم يرجحه فقوله
البتة لم يكن له بد بحصول ولا يكون لطيفا وان رجحه فنقول
المرجح لا بد وان يكون منتهيا الى حد الوجوب لانه
مع ذلك القدر من الرجحان اما ان يمتنع وقوع الفعل
عنده او يكون ان يجب ما ان امتنع كان ما فعله لا داعيا
وان امكن ان يكون وان لا يكون فكل ممكن لا بد له
من فرض وقوعه عند محال فمعرض نار وافعا واخرب
غير وافع واما ان لا يتوقف وقوع الفعل عن وقت لا وقوع
له اما ان يتوقف على انضمام هذا الشيء او لا يتوقف فان
لم يتوقف كان المرجح مع المجموع الحاصل بعد انضمام هذا
العبد فلا يكون الحاصل الاول مرجحا وان لم يقف
كان اختصاص احدهما بالوقوع والاخر بلا وقوع
ترجيحا للممكن من غير مرجح وهو محال واما ان كان
اللفظ مرجحا كان فاعل اللطف فاعل الملطوف فيه
فكان تعالى فاعلا لفعل العبد وانه تعالى قال ولكن
الله يزكي من يشا على التزكية على الفضل والرحمة وخلق
الالطاف واجبا فلا يكون معللا بالفضل والرحمة
واما الوجه الثاني وهو الحكيم يلوح ذكرا واجبا لو لا
به لكان كذبا والكذب على الله تعالى محال فكيف يجوز
تعليقه بالمشية قلنا ان قوله ولكن الله يزكي من يشا
نص في الباب اما قوله والله سميع عليم تالجواب ان يسمع
اقوالكم فيجازيكم واقوالكم في البراءة وعلم نياتكم فلو لم
من محبة اشاعة الفاحشة او من كراهتها واذا كان
كذلك وجب الاجتزاء عن المعصية قوله تعالى
ولا يأتل او لوا الفضل منكم والسعة ان يقسموا او يحلفوا
القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا
وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم
اعلم انه تعالى لما ادب اهل الافك ومن سمع كلامهم

قوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم

لما قدمنا ذكره فلذلك ادب ابا بكر رضي الله عنه حيث حلف ان
لا ينفق على مسطح وهو ابن خالة ابي بكر وكان يتيما في
حجره فكان ينفق عليه فلما نزلت عليه الاية قال
ابو بكر قوموا لستم مني ولست منكم فقال مسطح نشدتكم
الله والاسلام والقرابة الا تحوجونا الى احد فما كان
لنا في اول الامر من ذنب فقال لمسطح الم تتكلم فقال
قد كان بعض ذلك عجبا من قول حسان فلم يفد عذره
وقال انطلقوا ايها القوم فان الله لم يجعل عذرا ولا
فرجا فخرجوا لا يدرون اين يتوجهون من الارض فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ابي بكر فقال
ان الله قد انزل الي كتابا سماه ان يخرجهم فامر ابو بكر
فرده وقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية فلما
وصل الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم قال
هي يا رب اني احب ان تغفر لي فذهب ابو بكر الى بيته
وارسل الى مسطح واصحابه وقال قبلت ما انزل الله
على الراس والعين وانما فعلت بكم ما فعلت اذا سخط
الله عليكم اما اذا عفا عنكم فمرحبا بكم وجعل له مثل
كان له وههنا مسايل المسيلة الاولى ذكروا
ولا ياتل وجهين الاول وهو المشهور انه من ايتلى
اذا حلف افتعال من الالية والمعنى لا يحلف قال
ابو مسلم هذا ضعيف لوجهين الاول احدهما ان ظاهر
الاية على هذا التاويل يقتضي المنع من الحلف على الاعطا وهم
ارادوا الجمع على ترك الاعطا فهذا المتاول قد اقام النفي
مكان الايجاب وجعل النهي عنه مامورا به وثانيهما
انه قل ما يوجد في الكلام افتعلت من الزمت التزمت ومن
اعطيت ثم قال في تاويل ان اصله ياتلي ذهبت اليا للجزم
لانه نهي وهو من قولك ما الوت فلانا نصحا ولم الو
في امري جهدا اي ما قصرت ولم يال والمراد ولا
تقصروا في ان تحسنوا اليهم ويوجد كثيرا فعلت مكان
افتعلت وانما يوجد مكان فعلت تقول كسبت واكتسبت
وصنعت واصطنعت وهذا التاويل هو الصحيح دون
الاول بان لا يحذف في اليمين كثيرا قال الله تعالى
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا معنى ان لا تبروا
قال امرؤ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا اي لا ابرح
واجابوا عن السوال الاول ان جميع المفسرين

الذين كانوا قبل ابي مسلم فسروا اللفظ باليمين وقول
واحد منهم حجة في اللغة فكيف الكل وبعضه قراه
الحسن ولا سال المسيلة الثانية احتج المفسرون
على ان المراد من قوله الوا الفضل ابو بكر وهذه الاية تدل
على انه رضي الله عنه كان افضل الناس بعض الرسول
لان الفضل المذكور في هذه الاية اما في الدنيا واما
في الدين والاول باطل لانه تعالى ذكره في معرض
المدح له والمدح من الله بالدنيا غير جايز ولانه لو جاز
ذلك لكان قوله والسعة تكرير فتعين ان يكون
المراد منه الفضل في الدين فلو كان غيره مساويا له في
الدرجات في الدين لم يكن هو صاحب الفضل لان
المساوي لا يكون فاضلا فلما اثبت الله له الفضل غير
مقيد بشخص دون شخص وجب ان يكون افضل
الخلق ترك العمل به في حق الرسول عليه السلم فبقي
معمولا في حق الغير فان قيل ممنوع اجماع المفسرين
على اختصاص هذه الاية بابي بكر قلنا كل من طالع
كتب التفسير والاحاديث علم ان اختصاص هذه
الاية بابي بكر بالغ الى حد التواتر فلو جاز منعه جاز
منع كل متواتر فهذه الاية دالة على ان المراد منها فضل
الناس واجمعت الامة على ان الافضل اما ابو بكر او
علي فاذا بينا انه ليس المراد عليا بعينه الاية لابي بكر وانما
قلنا انه ليس المراد عليا لوجهين الاول ما قيل في هذه
الاية وما بعدها يتعلق بانه ابي بكر فيكون حديث علي
في البير سمحا الثاني وصفه تعالى بانه من اولي
السعة وان عليا رضي الله عنه وارضاه لم يكن من
اهل السعة في الدنيا في ذلك الوقت فثبت ان المراد
منه ابو بكر قطعا واعلم ان الله تعالى وصف ابا بكر
في هذه بصفات عجيبة دالة على علو شانه في الدين احدها
انه سبحانه كنى عنه بلفظ الجمع والواحد اذا كنى عنه بلفظ
الجمع دل على علو شانه كقوله انا نحن نزلنا الذكر انا
اعطيناك الكوثر فانظر الى الشخص الذي كنى بصيغة
الجمع ان يكون لعلو شانه وثانيها وصفه بانه صاحب
الفضل على الاطلاق من غير تقييد لذلك الشخص دون
شخص والفضل يدخل فيه الافضال وذلك يدل
على انه رضي الله عنه كما كان فاضلا على الاطلاق وثالثها

ان الافضال افاده ما ينبغي لا لعوض فمتى اعطى ليستفيد عوضا ٥
ماليا او مدحا او ثنا فهو مستفيض والله سبحانه وصفه بذلك
فقال وسيجنبها الاتقى الى قوله الا ابتغا وجه ربه الاعلى
وقال في حق رضي الله عنه انما نطعمكم لوجه الله الى قوله
انا نخاف من ربنا فعلي اعطى للخوف وابو بكر ما اعطى الا لوجه
الله ربه فدرجة ابي بكر اعلى واكمل ورابعها انه قال
اولو الفضل والصفة التي بها ينتفع الامتياز يستحيل ٥
حصولها في الغير والا لما كانت مميزة على ان هذه الصفة حاصلة
فيه لا في غيره البتة امكن حمل وخامسها امكن حمل
الفضل على طاعة الله وخدمته وقوله والسعة على الاختيار
الى المسلم وكانه كان يستجمعها لتعظيم امر الله والشفقة على
خلق الله وهما من اعلى مراتب الصديقين وكل من كان كذلك
كان الله معه لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون ولاجل اتصافه بهاتين الصفتين قال له لا تحزن
ان الله معنا وسادسها انما يكون الانسان موفا ٥
بالسعة لو كان جوادا ولقد قال عليه السلم خير الناس
من ينفع الناس فدل على انه خير الناس من هذه الجهة
ولقد كان رضي الله عنه جوادا ومن جوده كما انه اسلم
بكرة اليوم جاء بعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد ابن
ابي وقاص وعثمان بن مظعون الى رسول الله بعد ان
اسلموا اسلموا على يده وكان جوده في التعليم وارشاد الدين
كما هو مشهور فيحق له ان يوصف بانه من اهل السعة
وايضا فهب ان الناس اختلفوا في انه هل كان اسلامه
قبل اسلام علي او بعده ولكن اتفقوا على ان عليا حين
اسلم لم يشتغل بدعوة الناس الى دين محمد عليه السلم
وان ابا بكر اشتغل بالدعوة ولا شك ان اجل المراتب
في الدين هذه فوجب ان يكون افضل الناس بعد الرسول
ولانه عليه السلم قال من سن سنة حسنة فله اجرها
واجر من عمل بها الى يوم القيمة فوجب ان يكون لابي بكر
اجر كل من يدعوا الى الله فيدل على الافضلية من هذه
ايضا وسابعها ان الظلم في ذوي القربى اشد
قال الشاعر وظلم ذوي القربى اشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام وايضا فالانسان اذا احسن
الى غيره فاذا قابل ذلك الغير بالاساءة كان ذلك اشد
عليه مما اذا صدرت الاساءة من الاجنبي والجهتان

كانتا مجتمعتين في مسطح ثم انه اذا اتى ابا بكر بهذا النوع من
الاذى الذي هو اعظم انواع الاذى ثم انه لم يقطع عنه
بره وان يرجع معه الى ما كان عليه من الاحسان
وذلك من اعظم انواع المجاهدات ولا شك ان هذا
اصعب من مقابلة الكفار لان هذا مجاهدة مع النفس ٥
وذلك مجاهدة مع الكفار ومجاهدة النفس اشق ٥
ولهذا قال عليه السلم رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر وثامنها ان الله تعالى لما امر
ابا بكر بذلك لقبه باولي الفضل واولي البليغة كانه ٥
تعالى يقول انت من ان تقابل اساءته بسي وانت
اوسع قلبا من ان تغتم فلا يليق بفضلك وسعة قلبك
ان تقطع برك عنه بسبب ما صدر عنه من الاساءة
ومعلوم ان هذا الخطاب دال على نهاية العلو في الدين
وتاسعها ان الالف واللام تقبل ان العموم والالف
واللام في الفضل والسعة يدلان على ان كل الفضل
وكل السعة لابي بكر كما يقال فلان هو العالم يعني قد بلغ
في الفضل الى ان صار كانه كل العالم وما عداه كالعلم وهذا
ايضا منقبة عظيمة وعاشرها وليعفوا وليصفحوا
وفيه وجوه منها ان العفو قرينة التقوى وكل من كان
اقوى في العفو كان اقوى في التقوى مثلا زمان
فلهذا السبب اجتمعا فيه اما التقوى فلقوله سبحانه
وتعالى وسيجنبها الاتقى واما العفو فلقوله وليعفوا
وليصفحوا فمن هذا الوجه يدل على ان ابا بكر ثاني اثنين
لرسول الله عليه السلم في جميع الاخلاق حتى في العفو
والصفح وحادي عشرها انه سبحانه قال لمحمد عليه
السلم فاعف عنهم واصفح وقال في حق ابي بكر وليعفوا
وليصفحوا وثاني عشرها الا تحبون ان يغفر
الله لكم فانه سبحانه ذكره بكتابه الجمع على سبيل التعظيم
وايضا فانه سبحانه علق بغفرانه على اقدامه على العفو
والصفح فلما جعل غفرانه الشرط منه وجب ترتيب
الجزا عليه ثم قوله يغفر الله لكم صيغة المستقبل وانه
غير مقيد بشي دون شي فدلت الاية على انه سبحانه قد
غفر له في المستقبل فكان من هذا الوجه ثاني اثنين
لرسول الله في قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر دليلا على صحة امارته رضي الله عنه فان

امارته لو كان على خلاف الحق لما كان معفوا له على الاطلاق
ودليلا على صحة ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم
في ان ابا بكر في الجنة وثالث عشرها انه سبحانه
لما قال الاخبون ان يغفر الله لكم وصف نفسه بكونه ○
غفورا رحيما والغفور مبالغة في الغفران فعظم ابا بكر حين
خاطبه بلفظ الجمع الدال على التعظيم ولهذا قلنا
انه سبحانه لما قال انا اعطيناك الكوثر وجب ان
يكون المعطى عظيما فدلت الاية على ان ابا بكر ثاني اثنين
للرسول في هذه المنقبة ايضا ورابع عشرها انه
سبحانه لما وصفه انه اولو الفضل على سبيل المدح وجب
ان يقال انه كان خاليا عن المعصية لان الممدوح بالى
هذا الحد لا يجوز ان يكون من اهل النار ولو كان
عاصيا لما كان كذلك لقوله ومن يعص الله ورسوله
يدخله نارا واذا ثبت انه كان خاليا عن المعاصي ○
فقوله يغفر الله لكم لا يجوز ان يكون غفرانا
معصيته لان المعصية التي لا يمكن غفرانها واذا ثبت
انه لا يمكن حمل الاية على ذنب وجب حملها على وجه اخر
فكانه سبحانه قال لا يحبون ان يغفر الله لكم لاجل
تعظيمكم هذا الوعد فيه والعصاة فيرجع حاصل هذه الاية
الى انه سبحانه قال لابي بكر ان فعلت هذه العصاة
فانا ايضا افعلها وان ردوا تهم فانا ايضا اردهم ○
فكانه اعطاه مرتبة الشفاعة في الدنيا فهذا
ما احضرنا في هذه الاية والله اعلم فان قيل هذه ○
الاية تقدح في فضيلة ابي بكر من وجه اخر وذلك
لانه تعالى نهاه عن هذا الحلف فدل على صدور المعصية منه
قلنا الجواب عنه من وجوه احدها ان النهي
لا يدل على وقوعه قال الله تعالى لمحمد ولا تطع الكافرين
والمنافقين ولم يدل ذلك على انه عليه السلام اطاعهم
بل دلت الاخبار الظاهرة على صدور هذا الحلف عنه
وهو على هذا التقدير لا يكون الاية دالة على قولنا وثانيها
يجب انه صدر عنه ذلك الحلف بحيث لم يأته بمعصية
وذلك لان الامتناع من التفضل قد يحسن خصوصا
من نسي الى من احسن اليه وفي حق من بلغ في درجته
الى الى الافعال المحرمة لا يعاب فلو لم يكن
لما جاز ان ينهى عنه بقوله ولا يأتل اولوا ما تقدم

المراد ٤

هذا النهي ليس نهي تحريم بل نهي عن ترك الاولى كانه
قال اللايق بفضلك وسعة همتك ان لا تقطع هذا
وكان هذا ارشادا الى الاولى لا منعا عن المحرم
المسئلة الثالثة اجمعوا على ان المحرم
قوله اولوا الفضل مبطل واختلفوا في الذي وقع منه
فقال بعضهم قذف كما فعله عبد الله بن ابي وانه عليه
السلام حد وانه تاب ممن ذنبه قال ابن عباس
كان تاركا للمكرمة وحطهم الله رضوانه واي الامرين كان وهو رتب
المسئلة الرابعة احتجوا بهذه الاية على بطلان
المخاطبة قالوا انه سبحانه وصفه بكونه من المهاجرين
بعد ان اتى بالقذف وهذه صفة مدح فدل على ان
ثواب كونه مهاجرا لم يحبط باقدامه على القذف ○
المسئلة الخامسة اجمعوا على ان مسطح
كان من البدريين وثبت بالرواية الصحيحة انه عليه
السلام قال لعل الله نظر الى اهل بدر فقال افعلوا ○
ما شئتم فقد غفرت لكم فكيف صدرت الكبيرة منه
بعد ان كان بدريا الجواب انه لا يجوز ان يكون
المراد منه افعلوا ما شئتم من المعاصي فيا مرها لانا
نعلم بالضرورة ان التكليف كان باقيا عليهم وبو ○
حملناه على ذنب لا مضى الى زوال التكليف عنهم ○
ولانه لو كان كذلك لما جاز ان يحد مسطح على ما فعل
فوجب حمله على احد امرين احدهما انه تعالى
اطلع على اهل بدر وقد علم توبتهم فقال افعلوا ○
ما شئتم من الطاعات القليل منها والكثير فقد غفرت لكم
واعطيتكم الدرجات العالية في الجنة الثاني
يحتمل ان يكون المراد انهم لو افوا بالطاعة فكانه
تعالى قال قد غفرت لكم تعلى بانكم تموتون على ○
التوبة والايمان وقد كان حالهم واراد العاقبة
المسئلة السادسة العفو والصفح عن الذنب حسن مندوب
اليه وربما وجب ذلك ولم يدل عليه الا هذه الاية
لكفى الاولى الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم ○
فعلق الغفران بالعفو والصفح وعنه عليه السلم
من كبر عن ظلامة اعزه الله يوم القيامة ○
حتى يوم القيامة بنعيم الا من كان له على الله اجر فليقم
فلا يقوم الا اهل العفو ثم يلي فمن عفى واصلح فاجره

على الله وعنه ايضا قال لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل
من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ○
المسئلة السابعة في الاية دلالة على ان
الايمان على الامتناع من الخير غير جايز وانما يجوز اذا
حصلت داعية صارفة عنه المسئلة الثامنة
مذهب جمهور الفقهاء ان من حلف على يمين فراى غيرها
خيرا منها انه ينبغي له ان ياتي بالذي هو خير ثم
يكفر عن يمينه وقال بعضهم انه ياتي بالذي هو خير
وذلك كفارته واحتج ذلك القايل بالاية والخبر
اما الاية فهي ان الله تعالى امر ابا بكر بالحنث ولم
يوجب عليه كفارة واما الخبر فما روي عن النبي عليه
السلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها
فليات الذي هو خير وذلك كفارته اما دليل
الجمهور فامور احدها قوله ولكن يواخذكم بما عقدتم
الايمان فكفارته وقوله ذلك كفارة ايمانكم وذلك
عام في الخير وغيره وثانيها قوله تعالى في ○
شان ايوب حين حلف امراته ان يضربها وخذ بيدك
ضغثا فاضرب به ولا تحنث وقد علمنا ان الحنث كان
خيرا من تركه وكيف وامر الله بذلك ولو كان الحنث
فيها كفارة لما امر بضربها بل كان يحنث بلا كفارة ○
وثالثها قوله عليه السلم من حلف على يمين ○
فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر
عن يمينه الجواب عما ذكرنا اولا فهو انه تعالى
لم يذكر امر الكفارة في قضية ابي بكر لا نفيا ولا اثباتا
لان حكمه كان معلوما في ساير الايات والجواب
عما ذكرناه ثانيا في قوله فليات الذي هو خير وذلك
كفارته فمعناه تكفير الذنب لا الكفارة المذكورة في الباب
ولانه ينهى عن بعض الايمان وامره هناك بالحنث ○
والتوبة واخبر ان ذلك يكفر ذنبه الذي ارتكبه بالحلف
المسئلة التاسعة روى القاسم بن محمد عن
عايشة رضي الله عنها انها قالت فضلت ازواج النبي ○
صلى الله عليه وسلم بعشر خصال تزوج رسول الله
بي بكرا دون غيري وابوي مهاجران وجا جبريل ○
بصورتي وامره ان يتزوج بي وكنت اغتسل معه في
اناء كان وجبريل ينزل عليه الوحي وانا معه في لحاف

وتزوج بي رسول الله في شوال وبنى بي في ذلك الشهر ○
وقبض بين سحري ونحري وانزل الله عذري من السما
ودفن في بيتي وكل ذلك لم يساوي فيه غيري وقال
بعضهم قد برا الله اربعة باربعة برا يوسف وشهد شاهد
من اهلها وبرا موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب
بثوبه وبرا مريم بانطاق ولدها وبرا عايشة بهذه ○
الايات في كتابه المتلو على وجه الدهر وروي انه لما
قرب وفاة عايشة جا ابن عباس يستاذن عليها فقالت
تحتي الان فتبنى على فخره ابن الزبير فقال ما ارجع حتى
يستاذن لي فاذنت له فدخل فقالت عايشة اعوذ ○
بالله من النار فقال ابن عباس يا ام المومنين ما لك
والنار قد اعاذك الله منها وانزل براتك تقرا في ○
المساجد وطيبك فقال الطيبات للطيبين كنت
احب نسا رسول الله وانزل بسببك التيمم وروي
ان عايشة وزينب تفاخرا فقالت زينب انا الذي انزل
تزويجي فقالت عايشة انا الذي انزلت براتي حين
حملني ابن المعطل على الراحلة فقالت زينب لها ما قلت
حين ركبتها قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت
كلمة المومنين **قوله تعالى** ان ○
الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات
لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم يوم
تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما
كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ○
ويعلمون ان الله هو الحق المبين وفيه مسايل
المسئلة الاولى اختلفوا في قوله والذين
يرمون المحصنات هل المراد منه كل من كان بهذه
الصفة او المراد منه المخصوص اما الاصوليون ○
فقالوا الصيغة عامة ولا مانع من اجرايها على ظاهرها
فوجب حمله على العموم فيدخل فيه قذفة عايشة وقذفة
غيرها ومن الناس من خالف فيه وذكر وجوها احدها
ان المراد قذفة عايشة قالت عايشة رميت وانا ○
غافلة وانما بلغني بعد ذلك فبينا رسول الله عندي
اذ اوحي اليه فقال ابشري وقرا ان الذين يرمون ○
المحصنات الغافلات وثانيها ان المراد جملة ○
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لشرفهن خصصن

بان من قذفهن كله فهذا الوعيد لاحق به واحتج هولا بامور
ثلاثه الاول ان قاذف المحصنات تقبل توبته لقوله
في اول السوره والذين يرمون المحصنات الى قوله
واوليك هم الفاسقون الا الذين تابوا واما القاذف
في هذه الايه فانه لا تقبل توبته لانه سبحانه قال لعنوا
في الدنيا والاخره ولم يذكر الاستثنا وايضا فهذا
صفة المنافقين في قوله ملعونين اينما ثقفوا ۝
الثاني ان قاذف ساير المحصنات لا يكفر والقاذف
في هذه الايه كافر لقوله ويوم يحشر اعدا الله الايات
الثلاثه الثالث انه قال ولهم عذاب عظيم
والعذاب العظيم يكون عذاب الكفر فدل على ان
عقاب هذا القاذف عقاب الكفر وعقاب قاذف ۝
ساير المحصنات لا يكون عقاب الكفر الرابع ۝
روي عن ابن عباس انه كان بالبصره يوم عرفه وكان
سيل عن تفسير القران فسيل عن تفسير هذه الايه
فقال من اذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته الا من
خاض في امر عايشه اجاب الاصوليون عنه بان
الوعيد المذكور في هذه الايه لا بد وان يكون مشروطا
بعدم التوبه لان الذنب سوا كان كفرا او فسقا ۝
فاذا حصلت التوبه عنه صار مغفورا فزال السوال
ومن الناس من ذكر فيه قولا اخر وهو ان هذه نزلت
في مشركي مكه حين كان بينهم وبين رسول الله عليه
السلم عهد فكانت المراه اذا خرجت الى المدينه مهاجره
قذفها المشركون من اهل مكه وقالوا انها خرجت ۝
لتفجر فنزل فيهم والقول الاول هو الصحيح ۝
المسيله الثانيه ان الله سبحانه ذكر ممن
يرمي المحصنات الغافلات المومنات ثلاثه اشيا ۝
احدها كونهم ملعونين في الدنيا والاخره وهو وعيد
شديد واحتج الجبائي بان اللعن عام في جميع الفرق
ومن كان ملعونا في الدنيا فهو ملعون في الاخره ۝
والملعون في الاخره لا يكون من اهل الجنه وهو بناء
على المخابطه وقد تقدم القول فيه وثانيها قوله
يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يكسبون ونظير قوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم
علينا قالوا وعندنا التركيب ليست شرطا للحياه فيجوز

ان يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علما وقدرة وكلاما وعند
المعتزله لا يجوز ذلك فلا جرم ذكروا في تاويل هذه الايه
الايه وجهين الاول انه سبحانه يخلق في هذه
الجوارح هذا الكلام وعندهم المتكلم فاعل الكلام فتكون
تلك الشهاده من الله في الحقيقه الا انه سبحانه اضافها
الى الجوارح توسعا الثاني انه سبحانه يبني هذه
الجوارح على خلاف ما هي عليه ويلحقها ان تشهد على ۝
الانسان وتخبر عنه باعماله قال القاضي وهذا اقرب
الى الظاهر لان ذلك يفيد انها تفعل الشهاده وثالثها
قوله يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق فلا شبهه ان
نفس دينهم ليس هو المراد لان دينهم علمهم بل
المراد جزا عملهم والدين معناه الجزا لقوله كما تدين ۝
تدان وقيل الدين هو الحساب لقوله ذلك الدين
القيم ومعنى قوله الحق ان الذين يوفيهم الجزا هو
القدر المستحق لانه الحق وقرى الحق بالنصب صفه
للدين وبالرفع صفه وهو صفه الله واما قوله
ويعلمون ان الله هو الحق المبين فمن الناس من قال
هو سبحانه انما سمي بالحق لان عبادته هو الحق هو ۝
الحق دون عباده غيره والحق فيما يخاطب به هو المبين
من حيث يبين الصحيح بكلامه دون غيره ومنهم
من قال الحق من اسما الله تعالى ومعناه الموجود
لان نقيضه الباطل وهو المعدوم ومعنى المبين
الظهر ومعناه ان بقدرته ظهر وجود الكتاب فمعنى
كونه حقا انه موجود لذاته ومعنا كونه مبينا انه
اعطى وجود غيره **قوله تعالى** ۝
الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات
والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
اولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق
كريم اعلم ان الخبيثات تقع على الكلمات التي
هي القذف الواقع من اهل الافك وتقع ايضا على
الكلام الذي هو كالذم واللعن ويكون المراد لا نفس
الكلمه التي هي من الله تعالى بل المراد به مضمون ۝
الكلمه محتمله فان حملناها على القذف الواقع من
اهل الافك فمعنى الخبيثات من قول اهل
الافك للخبيثين من الرجال وبالعكس والطيبات

من قول منكري الافك للطيبين من الرجال وبالعكس ○
وان حملناها على الكلام الذي هو كالذم واللعن فالمعنى
الذم بعد للخبيثين والخبيثون منهم هم رضون للعن
وكذا القول في الطيبات اولئك اسان الى الطيبين
منهم ون ما يقول الخبيثون من خبيثات الكلام
وان حملناه على الزواني فالمعنى الخبيثات من النساء
للخبيثين من الرجال على معنى قوله الزاني لا ينكح الا
زانية والطيبات من النساء للطيبين من الرجال
والمعنى ان مثل ذلك الرمي الواقع من المنافقين لا يليق
الا بالخبيثات لا بالطيبات والطيبين كالرسول
واز واجه فان قيل فعلى هذا الوجه يلزم ان لا يتزوج
الرجل العفيف بزانية والجواب ما تقدم في
قوله الزاني لا ينكح الا زانية او لئك مبرون يعني ○
الطيبات والطيبين مما يقولهم اصحاب الافك ومبنى
حمل اولئك على هذا الوجه كان لفظه جمعناه في
انه جمع في حقه على ما تبينه وصفوان ومما ○
انان فكيف يعبر عنهما بلفظ الجمع فجوابه من وجهين
الاول ان ذلك الرمي قد يتعلق بالنبي عليه السلم
وبعايشه وصفوان فبرالله كل واحد منهم الثاني
ان المراد كل ازواج الرسول فالله تعالى براهن
من هذا الافك لا يقدح فيهن احد كما افدوا على عايشة
وهذا بين كانه تعالى بين ان الطيبات من النساء
للطيبين من الرجال ولا اطيب ولا اطهر من الرسول
وازواجه لا يجوز ان يكون الا طيبات فهن برآء
تعالى ان لهم مغفرة يعني يراه من الله ورزق كريم
في الآخرة ويحتمل ان يكون ذلك خبرا يتعلق عايشة فعلم
بذلك ان ازواج النبي عليه السلم من الجنة في الجنة
وقد وردت الاخبار بذلك ويحتمل ان يكون شرطا
اجتناب الكبائر والتوبة والاول اولى لانا انما
نحتاج الى الشرط اذا لم يمكن حمل الآية عليه اما اذا
امكن فلا وجه لطلب الشرط وهذا يدل على ان عايشة
تصير الى الجنة بخلاف مذهب الرافضة الذين يكفرونها
بسبب يوم الجمل فان قيل القطع بانهن من اهل الجنة
قلنا ليس ان الرسول اعلمه انهن من اهل الجنة

ولم يكن ذلك اعرآله وكذا العشرة المبشرة بالجنة ○
قلنا هذا تمت قصة الافك والله اعلم انتهى
السادس في الاستيذان قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير
لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا
فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا
فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ليس
عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها
متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
اعلم انه تعالى عدل عما يتصل بالرمي والقذف
وما يتعلق بهما من الحكم الى ما يليق به لان اهل
الافك انما وجدوا السبيل الى فضيحتهم من افة
الخلوة فضارت كالها طريق التهمة فاوجب الله تعالى
ان لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستيذان ○
والسلام لان في الدخول الا على هذا الوجه وقوع التهمة
وفي ذلك من الضرر مما لا خفا فيه فقال يا ايها الذين
امنوا الى اخر وفي الآية سوالات السوال
الاول الاستيناس عباره عن الانس الحاصل من جهة
المجالسة قال تعالى ولا مستانسين لحديث والمعنى
يحصل ذلك بعد الدخول والسلام فكان الاولى تقدم
السلام على الاستيناس فلما جاء العكس والجواب
من وجهين الاول ما يروى عن ابن عباس ○
وسعيد بن جبير انهما بمعنى حتى تستاذنوا فاخطا الكاتب
وفي قراءة ابي حتى تستاذنوا وتسلموا خير لكم من
تحية الجاهلية والدخول هو الدخول بغير اذن وهو
الحال في الكل خاصة دامر عظيم ما ازنكت وفي ○
الحديث من نسبت عينه استيذانه فقد ضيع واعلم
ان هذا القول عن ابن عباس فيه نظر لانه يقتضي
الطعن في القرآن الذي نقل بالتواتر ويقتضي صحة
القرآن الذي لم ينقل بالتواتر وفتح هذين البابين
يطرق الشك الى كل القرآن وانه باطل وبانهما
مما لا يقول به احد من المسلمين الحسن البصري انه قال ان في الكلام
محذوفا وتاخيرا والمعنى حتى تستاذنوا على اهلها وتسلموا
وهذا ايضا ضعيف لان الظاهر وفي قراءة عبد الله حتى

تسلموا وتستأذنوا وهو ايضا خلاف الظاهر وبالجملة
ان يجري الكلام على ظاهره وفي تفسير الاستيناس وجوه
الاول حتى تستأنسوا بالاذن وذلك لانهم
اذا استأذنوا وسلموا انس اهل البيت ولو دخلوا بغير
اذن لاستوحشوا وسمي عليهم الثاني في تفسير
الاستيناس بالاستعلام والاستكشاف استفعال
من انس الشيء اذا ابصره والمعنى حتى تستعلموا الحال
هل يراد دخولكم ومنه قولكم استأنس هل ترى احدا
واستأنست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ○
فان قيل فاذا دخل على الانس ينبغي ان يسلم
السلام كما روي انه عليه السلم كان يقول السلام
عليكم ادخل قلنا المستأذن زعما لا يعلم هل
احد في المنزل فلا معنى لسلامه والحالة هذه والاولى
ان يستعلم بالاستيذان هل هناك حي يأذن له
فاذا اذن دخل وصار مواجها لهم فسلم عليه ○
والثالث ان يكون استئناس الانس وهو ان يعرف هل ثم انسان ولا شك ان
هذا يقدم على السلام وخامسها لو سلمنا ان
الاستيناس يقدم على السلام في اللفظ لا يوجب
تقديمه عليه في الفعل السؤال الثاني ○
ما الحكمة في ايجاب تقديم الاستيذان والجواب
تلك الحكمة هي ما بينه الله عز وجل في قوله ليس عليكم
جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فدل على ان
الذي لاجله حرم الدخول الا على هذا الشرط هو كون
البيوت مسكونة اذ لا امن على ما فيها لهجم غير المستأذن
يهجم على ما لا يحل له النظر اليه من عورة او على ما لا
يحب القوم ان يعرفه من احوالهم وهذا من باب
التنبيه على الاخص بالنص لانه تصرف في ملك الغير فلان
يدل على ان لا يكون راضيا اولى السؤال
الثالث كيف يكون الاستيذان الجواب استأذن
رجل على رسول الله عليه السلم الخ قال عليه السلم
لامراته اسمع روضة قومي الى هذا فانه
لا يحسن ان يستأذن قولي له يقول السلم عليكم
ادخل فسمع مقالته النبي فسلم فدخل وسأل
رسول الله عليه السلم عن اشياء وكان يحب فعل

هل في العلم ما لا تعلمه فقال عليه السلم لقد اتاني
الله خيرا كثيرا وان من العلم ما لا يعلمه الا الله ○
وتلى ان الله عنده علم الساعة الى اخره وكان اهل
الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير
بيته يقول حليتم صباحا وحليتم مساء ثم يدخل ○
فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصد
الله عن ذلك وعن مجاهد حتى تستأنسوا هو
التنحنح وقال عكرمة هو التسبيح والتكبير ونحوه
السؤال الرابع كم عدد الاستيذان ○
الجواب روى ابو هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الاستيذان ثلاث الاولى
يستنصتون الثانية يستصلحون الثالثة يأذنون
او يردون وعن حنذب قال سمعت رسول الله ○
صلى الله عليه وسلم يقول اذا استأذن احدكم
ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع وعن ابي سعيد الخدري
قال كنت جالسا في مجلس من مجالس الانصار فجاء
ابو موسى فزعا فقلنا له ما افزعك قال اخبر عمر
ان آته فاتيته فاستأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي
فرجعت فقال ما منعك ان تأتيني قلت ذهبت
فاستأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي وقد قال عليه ○
السلم اذا استأذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع
فقال ائتني على هذا ببينة او لاعاقبنك فقال
ابو سعيد لا يقوم معك الا اصغر القوم قال فقام
ابو سعيد فشهد له وفي بعض الاخبار ان عمر قال
لابي موسى لا اتهمك ولكن خشيت ان يتقول
الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
قتادة قال الاستيذان ثلاثة الاول يسمع الحي
والثاني ليتهيأ والثالث ان شاء اذن وان شاء
رد واعلم ان هذا من محاسن الاداب لان ○
اول كره ربما منعهم بعض الاشغال من الاذن
وفي الكرة الثانية ربما كان هناك ما يمنع او يقتضي
المنع قال فاذا لم يحب يستدل بعدم الاذن على
ما مر وربما اوجب ذنبا كراهة قوله وكذلك يجب
في الاستيذان ان تكون ثلاثا لا يكون متصلا بل يكون
بين كل واحد والاخرى وقت حافا ما قرع الباب

بعنف والصياح بصاحب الدار فذاك حرام لانه يتضمن
الايذا وكفى قصة بني اسد وما نزل فيها من قوله
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون
السوال الخامس كيف يقف على الباب الباب
الجواب روى ابو سعيد استاذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل فقال عليه السلم
لا تستاذن وانت مستقبل الباب وروي انه كان
عليه السلم كان اذا اتى دار قوم لم يستقبل الباب
من تلقا وجهه ولكن من ركنه الايمن او الايسر
فيقول السلم عليكم وذلك لان الدور لم يكن عليها
يومئذ ستور السوال السادس ان
كلمة حتى للغاية يكون ما بعدها بخلاف ما قبلها فقوله
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا يقتضي
جواز الدخول بعد الاستيذان وان لم يكن من
صاحب البيت اذن الجواب من وجوه احدها
ان الله تعالى جعل الغاية الاستيناس والاستيناس
لا يحصل الا اذا حصل الاذن وثانيها انا لما علمنا
بالنص ان الحكمة في الاستيذان ان لا يدخل الانسان
على غيره بغير اذنه فان ذلك مما يسوءه علمنا ان
هذا المقصود لا يحصل الا بعد حصول الاذن وعلمنا
ان الاستيذان ما لم يتصل به الاذن وجب ان لا يكون
كافيا وثالثها ان قوله فان لم تجدوا فيها احدا
فلا تدخلوها حتى يوذن لكم فحظر الدخول الا بالاذن
فدل على كون الاذن مشروطا باباحة الدخول في
الاية الاولى فان قيل اذا ثبت هذا فنقول انه
لا بد من الاذن فهل يقوم مقامه غيره من الدلالة ام لا
قلنا روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا دعي احدكم فجا مع الرسول فان ذلك له
اذن وهذا الخبر يدل على معنيين احدهما ان الاذن
محذوف من قوله حتى تستانسوا وهو المراد من
قوله والثاني ان الدعا اذن اذا جا مع الرسول
وانه لا يحتاج الى اذن وقال بعضهم ان من جرت
العادة له باباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاذن
السوال السابع ما حكم من اطلع على دار
غيره بغير اذنه الجواب قال الشافعي لو فقا

عينه فهو هدر وتمسك بما روى سهل بن سعد قال
اطلع رجل على حجرة من حجر النبي صلى الله عليه وسلم
ومعه مدرى يحك به راسه فقال لو علمت انك
تنظر الي لطعنت بها في عينك انما الاستيذان قبل
النظر وروى ابو هريرة انه عليه السلم قال من
اطلع في دار قوم بغير اذنهم ففقوا عينه فقد هدرت
عينه قال ابو بكر الرازي هذا الخبر ورد على خلاف
قياس الاصول فانه لا خلاف انه لو دخل داره بغير اذنه
ففقا عينه كان ضامنا وكان عليه القصاص ان
كان عامدا او الارش ان كان مخطيا ومعلوم ان الداخل
قد اطلع وزاد على الاطلاع وظاهر الحديث مخالف
لما حصل عليه الاتفاق وان صح فمعناه من اطلع في
دار قوم ونظر الى حرمهم فمنع فلم يمتنع فذهبت
عينه في حال الممانعة فهو هدر فاما اذا لم يكن
الا النظر ولم يقع فيه ممانعة ولا تهمة ثم جا انسان
ففقا عينه فهذا جاني يلزمه حكم جنايته لظاهر
قوله تعالى العين بالعين الى قوله والجروح قصاص
واعلم ان التمسك بقوله العين بالعين ضعيف
لانا اجمعنا على ان هذا النص مشروط بما اذا لم يكن
مستحقة فانها لو كانت مستحقة لا يلزمه القصاص
قوله ان من اطلع دار انسان ودخل لم يكن عينه هدرا
فكذا اذا نظر قلنا الفرق بين الامرين ظاهر
لانه اذا دخل عليه القوله بدخوله عليهم فاحترزوا
عنه وتستروا فاما اذا نظر فقد لا يكونوا عالمين
بذلك فيطلع منهم على ما لا يجوز الاطلاع عليه فلا يبعد
في حكمة الشرع ان يبالغ هناك في الزجر حتما لباب
هذه المفسدة وبالجملة فقد ورد حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم بهذا العذر فغير جائز السوال
الثامن لما بينتم انه لا بد من الاذن فهل يكفي الاذن كيف
كان او لا بد من اذن مخصوص الجواب ظاهر
الاية يقتضي قبول الاذن مطلقا سوا كان الاذن
صبيا او امراة او عبدا او ذميا ولا يعتبر في هذا
الاذن صفات الشهادة ولذلك قبول اخبار هولا في
في الهدايا ونحوها السوال التاسع هل يعتبر
الاستيذان على المحارم الجواب نعم عن عطا

ابن يسار ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم استاذن
على اختي فقال النبي نعم اتحب ان تراها عريانة ٥
وسال رجل حذيفة استاذن على اختي فقال
ان لم تستاذن عليها رايت ما يسوءك وقال
عطا سالت ابن عباس استاذن على اختي وانا انفق
عليها قال نعم ان الله يقول واذا بلغ الاطفال منكم
الحلم فليستاذنوا ولم يفرق بين من كان اجنبيا او
ذا رحم واعلم ان ترك الاستيذان على المحارم
وان كان غير جايز الا انه ايسر لجواز النظر الى شعرها ٥
وصدرها ونحوه والتحقيق فيه ان المنع من الهجوم
على الغير ان كان لاجل ان ذلك الغير ربما كان
منكشف الاعضا فهذا يدخل فيه الكل الا الزوجات
وملك اليمين وان كان لاجل انه ربما كان مشتغلا
بامر يكره الاطلاع الغير عليه وجب ان يعم في الكل
حتى لا يكون له ان يدخل على الزوجة والامة الا
باذن السوال العاشر اذا عرض امر
في دار من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر فهل
يجب الاستيذان الجواب كل ذلك مستثنى
بالدليل هذا جملة الكلام في الاستيذان واما
السلام فهو من سنة المسلمين التي امروا بها وهو تحية
اهل الجنة ومجلبة للمودة وناف للحقد والضغينة
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لما خلق الله ادم ونفخ فيه الروح عطس فقال
الحمد لله فحمد الله باذن الله تعالى فقال له يرحمك ٥
الله يرحمك ربك ادم اذهب الى هولا الملايكة وملا
منهم جلوس فقل السلم عليكم فلما فعل ذلك رجع
الى ربه قال هذا تحيتك وتحية ذريتك وعن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله
عليه السلم حق المسلم على المسلم ست يسلم عليه
اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه وينصح له بالغيب ويشمته
اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا
مات وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان سركم ان يسل الغل من صدوركم ٥
فافشوا السلام بينكم اما قوله تعالى ذلك
خير لكم فالمعنى فيه ظاهر اذ المراد ان فعل ذلك خير

لكم واولى من الهجوم بغير اذن لعلكم تذكرون اي لكي تذكروا
هذا التاديب فتمسكوا به ثم قال فان لم تجدوا فيها اي
في البيوت احدا فلا تدخلوها فان العلة في الصورتين ٥
واحدة وهي جواز ان يكون هناك احوال ملتزمة ثم قال
وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا وذلك لانه كما يكون الرجل
قد يكرهه صاحب الدار فكذا الوقوف على الباب قد يكرهه
فلا جرم كان الاولى له ان يرجع ازالة للايحاش قوله
هو ازكى لكم اي الرجوع هو اطهر واصلح لكم قال قتادة
اذا لم يوذن له فلا يقعد على الباب فان للناس حاجات
واذا حضر فلم يستاذن وقعد على الباب منتظرا جاز
كان ابن عباس ياتي الانصاري لطلب الحديث فيقعد ٥
على الباب حتى يخرج ولا يستاذن فيخرج الرجل ويقول
يا ابن عم رسول الله لو اخبرتني فيقول هكذا امرنا ان
نطلب العلم واذا وقف فلا ينظر من شق الباب اذا كان
الباب مردودا لما روي ان رجلا اطلع على النبي صلى
الله عليه وسلم من ستر الحجرة وفي يد النبي مدرا فقال
لو علمت ان هذا ينظرني حتى اتيه لطلعت بالمدر في
عينيه وهل جعل الاستيذان الا لاجل البصر قوله
والله بما تعملون عليم اي من الدخول بالاذن وغير الاذن
ولما ذكر الله تعالى حكم الدور المسكونة ذكر بعده
حكم الدور التي هي غير مسكونة فقال ليس عليكم
جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة وذلك لان المانع
من الدخول الا باذن زايل فيها واختلف المفسرون
في المراد من قوله بيوتا غير مسكونة على اقوال احدها
وهو قول محمد بن الحنفية انها الخانات والرباطات ٥
وحوانيت البياعين وروي ان ابا بكر قال يا رسول
الله ان قد انزل عليك في الاستيذان فانا نختلف في تجاراتنا
فلا ندخلها الا باذن فنزلت هذه الاية وثانيها انها الخرابات
والمتاع هو قضا الحاجة فيها من البول والغايط ببر
فيها وانواع البر وثالثها الاسواق ورابعها ٥
الحمامات والاصح انه لا يمنع دخول الجميع تحت الاية فيحمل على
الكل والعلة في ذلك انها اذا كانت كذلك فهو ماذون
بدخولها في جهة العرف فلذلك نقول انها لو كانت غير
مسكونة ولكنها كانت مغصوبة فانه لا يجوز للداخل ان
يدخل فيها ولكن الظاهر من الخانات انها موضوعة لدخول

الداخل واما قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
فهو وعيد للذين يدخلون والد الخرابات والدور الخالية
من اهل الريبة الحكم السابع حكم النظر قوله
تعالى قل للمومنين يغضوا من
ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلكم ازكى لهم ان
الله خبير بما يصنعون وقل للمومنات يغضضن من
ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن او ابائهن او ابا بعولتهن او ابنائهن او
ابنا بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني
اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين
غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذي لم يظهر
على عورات النسا ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين
من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون
لعلكم تفلحون اعلم ان قوله تعالى قل للمومنين انما
خصهم بذلك لان غيرهم لا يلزمه غض البصر عما
لا يحل له ويحفظ الفرج عما لا يحل لكن لان هذه الاحكام
كالفرع للاسلام بها ابتدا والكفار مامورون بما
يصير هذه الاحكام تابعة له وان كان حالهم كحال المومنين
في الاستحباب على تركها لكن المومن يتمكن من هذه
الطاعة من دون مقدمة والكافر لا يتمكن الا بمقدمة
من قبله وذلك لا يمنع من لزوم التكليف له واعلم
انه سبحانه امر الرجال بغض البصر وحفظ الفرج
وامر النسا بمثل ما امر الرجال واراد ان لا يبدين
زينتهن الا لاقوام مخصوصين اما قوله يغضوا
من ابصارهم ففيه مسايل المسيلة الاولى مال
الاكثرون من هنا للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم
والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش ان يكون من
هذه صلة وصلة ونظيره قوله تعالى ما لكم من اله
غيره وما منكم من احد عنه حاجزين واباه سيبويه
فان قيل كيف دخل في غض البصر دون حفظ
الفرج قلنا دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان
المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وكذا
الجواري المستعرضات واما امر الفرج فمضيق وكفاك
فرقا ان ابيح النظر الى ما استثني منه وحضر الجماع
الا ما استثني منه ومنهم من قال يغضوا من ابصارهم

اي ينقصوا من نظرهم فالبصر اذا لم يمكن من عمله فهو مغضوض
وعلى هذا من ليست زايدة ولا هي للتبعيض بل هي صلة
الغض يقال غضضت من فلان اذا انقصت منه
المسيلة الثانية اعلم ان العورات على اربعة
اقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المراة مع المراة
وعورة المراة مع الرجل وعورة الرجل مع المراة اما
الرجل مع الرجل فيجوز له ان ينظر الى جميع بدنه الا
عورته وعورته ما بين السرة والركبة والركبة والسرة
ليست عورة بعورة وعند ابي حنيفة الركبة عورة
وقال مالك الفخذ ليس بعورة والدليل على انها
عورة ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر به
رجل في المسجد وهو كاشف عن فخذه فقال عليه السلم
غط فخذك وقال لعلي رضي الله عنه لا تبرز فخذك
ولا تنظر الى فخذ حي ولا ميت فان كان في النظر الى
وجهه او سائر بدنه شوه او خوف فتنة بان كان امرا
لا يحل النظر اليه ولا يجوز للرجل مضاجعة الرجل
وان كان كل واحد منهما في جانب من الفراش لما
روى ابو سعيد الخدري انه عليه السلم قال لا يفضي
الرجل في فراش واحد ولا تفضي المراة الى المراة في
ثوب واحد وتكره المعانقة وتقبيل الوجه الا لولده
شفقة وتستحب المصافحة لما روى انس قال قال
رجل يا رسول الله الرجل منا يلقى اخاه او صديقه
اينحني له قال لا قال ايلزمه ويقبله قال لا قال
افياخذ بيده ويصافحه قال نعم اما عورة المراة مع
المراة كالرجل مع الرجل فلها النظر الى جميع بدنها الا
ما بين السرة والركبة وعند خوف الفتنة لا يجوز ولا
تجوز المصافحة والمراة الذمية هل يجوز لها النظر الى
بدن المسلمة كالمسلمة مع المسلمة والاصح انه لا يجوز
لانها اجنبية في الدين والله يقول او نسائهن والذمية
ليست من نسائها اما عورة المراة مع الرجل فالمراة اما
تكون اجنبية او ذات رحم محرم او مستمتعة فان
كانت اجنبية فاما ان تكون حرة او امة فان كانت
حرة فجميع بدنها عورة ولا يجوز ان ينظر الى شي منها
الا الوجه والكفين لانها تحتاج الى ابراز الوجه للبيع
والشرا وللاخذ والعطا ونعني بالكف ظهرها

اما

وبطنها الى الكوع وقيل ظهر الكف عورة واعلم انا ذكرنا
انه لا يجوز النظر الى شي من بدنها ويجوز النظر الى
وجهها فاعلم انه على ثلاثة اقسام لانه اما ان
لا يكون فيه غرض ولا فتنة واما ان يكون فيه فتنة
ولا غرض واما ان يكون فيه غرض لا فتنة اما
القسم الاول فاعلم انه لا يجوز النظر الى وجه الاجنبية
لغير غرض فان وقع بصره عليها يغض بصره لقوله تعالى
قل للمومنين وقيل يجوز من واحدة اذا لم يكن محل
فتنة وبه قال ابو حنيفة ولا يجوز ان يكون النظر اليها
وقوله عليه السلم يا علي لا تتبع النظرة فان لك
الاولى وليست لك الاخيرة وعن جابر قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاة فامرني
ان اصرف بصري ولان الغالب ان الاحتراز عن الاول
لا يمكن واما القسم الثاني وهو ان يكون فيه
غرض ولا فتنة فيه فذاك امور احدها ان يريد
نكاح امراة فينظر الى وجهها روى ابو هريرة ان
رجلا اراد ان يتزوج امراة من الانصار فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان اعين الانصار شيا
وقال عليه السلم اذا خطب احدكم المراة فلا جناح
عليه ان ينظر اليها اذا كان انما ينظر اليها للخطبة وقال
المغيرة بن شعبة خطبت امراة فقال عليه السلم نظرت
اليها فقلت لا قال فانظر فانه احرى ان يدوم بينكما كل
ذلك يدل على جواز النظر الى وجهها وكفيها للشهوة
اذا اراد ان يتزوجها ويدل عليه ايضا قوله تعالى
لا يحل لكم النسا من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو
اعجبك حسنهن ولا يعجبه حسنهن الا بعد رويه وجوههن
وثانيها اذا اراد شرى جارية فله ان ينظر الى ما ليس
بعورة منها وثالثها انه عند المبايعة ينظر الى وجهها
متاملا حتى يعرفها عند الحاجة ورابعها ينظر اليها
عند تحمل الشهادة ولا ينظر الى غير الوجه لان المعرفة تحصل
به اما القسم الثالث وهو ان ينظر اليها بشهوة
فذاك محظور قال عليه السلم العينان تزنيان
وعن جابر سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
نظرة الفجاة فامرني ان اصرف بصري وقيل مكتوب
في التوراة النظر يزرع في القلب شهوة شهوة ورب شهوة

اورثت حزنا طويلا واما القول الثاني وهو ان لا يجوز
للاجنبي النظر الى بدن الاجنبية فقد استثنوا عنه
صورا احدها يجوز للطبيب الامين ان ينظر الى
فرج المجنون لانه موضع ضرورة وثانيها يجوز
ان يتعمد النظر الى فرج الزانيين لتحمل الشهادة على الزنا
فكذلك ينظر الى فرجها لتحمل الشهادة على الولادة والى
ثدي المرضعة لتحمل شهادة الرضاع قال ابو سعيد
الاصطخري لا يجوز للرجل ان يقصد النظر في هذه المواضع
لان الزنا مندوب الى سترة وفي الولادة والرضاع
تقبل شهادة النسا فلا حاجة الى نظر الرجال وثالثها
لو وقعت في غرق او حرق فله ان ينظر الى بدنها
ليخلصها اما اذا كانت الاجنبية امة فقال بعضهم
عورتها ما بين السرة والركبة وقال اخرون عورتها ما لا
يبين للمهنة فخرج منه ان عنقها وراسها وساعدها
ونحرها وصدرها ليس بعورة وفي ظهرها وبطنها وما
فوق ساعدها الخلاف المذكور ولا يجوز لمسها ولا لها
بحالة الا الحجامة لان اللمس اقوى من النظر بدليل
الانزال باللمس يفطر الصايم وبالنظر لا يفطره وقال
ابو حنيفة لا يجوز ان يمس من الامة ما يحل النظر اليه
اما اذا كانت المراة ذات رحم محرم بنسب او رضاع
فعورتها معه ما بين السرة والركبة كعورة الرجال
وقال اخرون بل عورتها ما لا يبدو عند المهنة وهو
قول ابي حنيفة اما سائر التفاصيل فسياتي ان شا الله
في تفسير الاية اما اذا كانت المراة مستمتعة كالزوجة
والامة التي يحل له الاستمتاع بها يجوز له ان ينظر
الى جميع بدنها حتى الى فرجها غير انه يكره النظر الى الفرج
وكذا الى فرج نفسه لانه يروى انه يورث الطمس
وقيل لا يجوز النظر الى فرجها ولا فرق بين ان تكون
الامة قنة او مدبرة او ام ولد او مرهونة فان كانت
مجوسية او مرتدة او وثنية او شريكة بينه وبين غيره
او مزوجة او مكاتبة فهي كالاجنبية روى عمرو بن سعيد
عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا زوج احدكم جاريته عبده او اجيره فعورته معها
ما بين السرة والركبة والاول اصح بخلاف المراة
في حق الرجل لان بدن المراة في ذاته عورة بدليل

انه لا تصح صلاتها مكشوفة البدن وبدن الرجل بخلافه
ولا يجوز لها قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير
النظر الى وجهه لما روي عن ام سلمة انها كانت عند رسول
الله وميمونة اذ اقبل ابن مكتوم فقال عليه السلم احتجبا
منه فقال يا رسول الله اليس هو اعمى لا يبصرنا فقال
عليه السلم العميا ورايتما الستما تبصرانه وان كان
محرما لها فعورته ما بين السرة والركبة وان كان
زوجها او سيدها الذي له وطيها فله ان ينظر الى جميع
بدنها غير انه يكره النظر الى الفرج لهو معها ولا يجوز
للرجل ان يجلس عاريا في بيت خال وله ما يستر
عورته لانه روي انه عليه السلم سئل عنه فقال
الله احق ان يستحيا منه وروي انه عليه السلم قال
اياكم والتعري فان معكم من لا يفارقكم الا عند
الغايط او حين يفضي الرجل الى اهله المسئلة
سئل السبكي عن قوله يغضوا من ابصارهم فقال
ابصار الرؤس عن المحرمات وابصار القلوب عما سوى
الله اما قوله تعالى ويحفظوا فروجهم ويحفظن
فروجهن من الزنا الا التي في النور يحفظوا فروجهم
وفروجهن ان لا ينظرن الى احدهما وهذا ضعيف
لانه تخصيص من غير دلالة والذي يقتضيه الظاهر
ان يكون المعنى حفظها عن ساير ما حرم عليها من الوطي
واللمس والنظر فلو نص الله تعالى على النظر لكان في
مفهوم الخطاب ما يوجب حظر الوطي واللمس كما ان
قوله تعالى ولا تقل لهما اف اقتضى حظر ما فوق ذلك
من السب والضرب اما قوله تعالى ذلك ازكى
لهم اي تمسكهم بذلك ازكى واطهر لانه من باب
ما يزكون به ويستحبون الثنا والمدح ويمكن ان
يقال انه تعالى خص في الكتاب المومنين لما اراد
تزكيتهم بذلك ولا يليق ذلك بالكافر اما قوله
تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها فمن
الاحكام التي يختص بها النسا في الاغلب وانما قلنا
في الاغلب لانه محرم على الرجل ان يبدي زينته خلقا
ولباسا الى غير ذلك للنسا الاجنبيات لما فيه من
الفتنة وهنا مسايل المسئلة الاولى
اختلفوا في المراد بزينتهن واعلم ان الزينة اسم يقع

على محاسن الخلق التي خلقها الله وعلى ساير ما يزين به
الانسان من فضل لباس وانكر بعضهم وقوع اسم
الزينة على الخلقة لانه لا يكاد يقال في الخلق انها زينة
وانما يقال ذلك فيما يكتسبه من كحل وخضاب والاقرب
ان الخلقة داخلة في الزينة ويدل على وجهان ان
الكثير من النسا يتعودن في حليهن من ساير ما يعد
زينة فاذا حملناه على الخلقة وفينا العموم حقه ولا يمنع
دخول ما عدى الخلقة فيه الثاني ان قوله
وليضربن بخمورهن على جيوبهن يدل على ان المراد من
الزينة ما يعم الخلقة وغيرها وكانه تعالى منعهن من
اظهار محاسن خلقهن موجبا سترها بالخمار واما
الذين قالوا الزينة عبارة عما سوى الخلقة فقد حصره
في امور ثلاثة احدها الاصابع كالكحل والخضاب
بالوسمة في حاجتها والغمرة في خديها والحنا في كفها وثانيها
الحلي كالخاتم والسوار والدملج والخلخال والقلادة
والاكليل والوشاح والقرط ثالثها الثياب قال
تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد واراد الثياب
المسئلة الثانية اختلفوا في المراد من قوله
الا ما ظهر منها اما الذين حملوا الزينة على الخلقة فقال
القفال معنى الاية الا ما يظهره الانسان في العادة
وذلك من النسا الوجه والكفان وفي الرجل الاطراف
من الوجه واليدين والرجلين فامروا بستر ما يودي
الضرورة الى كشفه واذن الضرورة الى اظهاره اذا
كانت شرايع الاسلام حقة سهلة سمحة ولما كان ظهور
الوجه والكفين ضرورة ولا ضرورة اتفقوا على انهما ليستا
بعورة اما القدم فليس ظهوره بضروري فلا جرم اختلفوا
في انه هل هو في العورة ام لا وفيه وجهان والاصح انه
عورة وفي صوتها وجهان اصحهما انه ليس بعورة لان
نسا النبي عليه السلم كن يروين الاخبار للرجال
واما الذين حملوا الزينة على ما عدى الخلقة
قال لانه تعالى ايضا ذكر الزينة لانه لا خلاف في انه
يحل النظر اليها حال ما لم تكن متصلة باعضا المراة فلما
حرم الله تعالى النظر حال ايصالها ببدن المراة كان
ذلك مبالغة في حرمة النظر الى اعضايها وعلى هذا
القول يحل النظر الى زينة وجهها من الوسمة والغمرة

وزينة يديها من الخطاب والخواتيم وكذا الثياب والسبب
في تجويز النظر اليها ان سترها حرج لان المراه لا بد لها
من اوله الاسا بيدها والحاجه الى كشف وجهها للشهاده
والمحاكمه والنكاح المسئله الثانيه اتفقوا
على تخصيص قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها
بالحرائر دون الاما والمعنى فيه ظاهر وهو ان الامه
مال فلا بد من الاحتياط في بيعها وشرايها وذلك
لا يمكن الا بالنظر اليها على الاستقصا بخلاف الحره اما
قوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن
فالخمر واحده خمار وهي المقانع قال المفسرون ان
نسا الجاهليه كن يستبدلن خمرهن من خلفهن وان
جيوبهن كانت من قدام وكان ينكشف نحورهن وقلايدهن
فامرهن ان يضربن مقانعهن على الجيوب ليغطي بذلك
اعناقهن ونحورهن وما يحيط من زينة الحلي والعقد
وفي لفظ الضرب مبالغه فالبا للالصاق وعن عايشه
ما رايت خيرا من نسا الانصار لما نزلت هذه الايه قامت
كل واحدة منهن الى مرطها فصدعت منه صدعه
فاصبحن على رومهن وقرى جيوبهن بكسر الجيم لاجل
اليا وكذلك بيوتا غير بيوتكم فاما قوله تعالى
ولا يبدين زينتهن فاعلم انه سبحانه لما تكلم في مطلق
الزينه تكلم بعد ذلك في الزينة الخفيه التي نهاهن
عن ابدايها للاجانب وبين ان هذه الزينة الخفيه يجب
اخفايها عن الكل ثم استثنى اثنا عشر صوره احداها
ازواجهن وثانيها اباوهن وان علون من جهه الذكران
كابا الاباء وابا الامهات وثالثها ابا ازواجهن
ورابعها ابناوهن وان سفلوا من الذكران والاناث
كبني البنين وبني البنات وخامسها اخوانهن سوا
كانوا من الاب او الام او منهما وسادسها بني اخوانهن
وسابعها بنو اخواتهن وهولا كلهم محارم وههنا
سوالات السوال الاول ايحل لذي المحرم
الرحم في المملوكه والكافره ما لا يحل في المومنه
الجواب اذا ملك المراه وهي من محارمه فله ان
ينظر منها الى بطنها وظهرها لا على وجه الشهوه السوال
الثاني كيف القول في العم والخال
والجواب القول الظاهر انهما كساير المحارم في جواز

النظر وهو قول الحسن البصري قال لان الايه لم يذكر
فيها الرضاع وهو كالنسب قال في سوره الاحزاب
لا جناح عليهن في ابايهن الايه ولم يذكر فيها البعوله
وقد ذكره هنا وقال الشعبي لم يذكرهما الله ليلا
يصفهما العم عند ابيه والخال كذلك ومعناه ان
ساير القربات يشترك الاب والابن في الحرميه الا العم
والخال وابناهما واذا راها الاب وصفها لابنه وليس
بمحرم وهذا من الدلالات البليغه في وجوب الاحتياط
عليهن في النسب السوال الثالث ما السبب
في اباحة نظر هولا الى زينة المراه الجواب لاجل
الحاجه الى مداخلتهن ومخالطتهن ولعله لعدم توقع
الفتنه ولنا في الطباع من النفره من مجانسه ويحتاج
الى صحبتهم في الاسفار في النزول والركوب وتاسعها
قوله تعالى او نسايهن وفيه قولان احدهما النسا
اللاتي هن على دينهن وهذا قول اكثر السلف قال
ابن عباس ليس للمسلمه ان تتجرد من اهل الذمه ولا
تبدي للكافر الا ما تبدي للاجانب الا ان تكون امة
لها لقوله او ما ملكت ايمانهن وكتب عمر الى ابي عبيده
ان يمنع نسا اهل الكتاب من دخول الحمام مع المومنات
وثانيها المراد بنسايهن جميع النسا وهذا هو المذهب
وقول السلف محمول على الاستحباب والاولى وعاشرها
قوله او ما ملكت ايمانهن وظاهر الكلام يشمل العبيد
والاما واختلفوا فمنهم من اجرى الايه على ظاهرها
وزعم انه لا باس عليهن ان يظهر عبيدهن زينتهن
وهو مروي عن عايشه وام سلمه واحتجوا بظاهر
الايه وهو ظاهر بما روى انس انه عليه السلم اتى
فاطمه بعبد قد وهب لها وعلى فاطمه ثوب اذا قنعت
به راسها لم يبلغ رجلها وان غطت به رجلها لم يبلغ راسها
فلما راى رسول الله ما عليها قال قال انه ليس عليك
باس انما هو ابوك وغلامك وعن مجاهد كن امهات
المومنين لا يحتجبن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم
وعن عايشه انها قالت لذكوان انك اذا وضعتني في
القبر وخرجت فانت حر وروي ان عايشه كانت
تمشط والعبد ينظر اليها وقال ابن مسعود ومجاهد
والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب ان العبد

لا ينظر الى شعر مولاته وهو قول ابي حنيفه واحتجوا عليه ○
بامور احدها قوله عليه السلام لا يحل لامراة تؤمن
بالله واليوم الاخر ان تسافر سفرا فوق ثلاث الا مع
ذي محرم والعبد ليس بذي محرم فلا يجوز ان يسافر
واذا لم يجز لها السفر معه لم يجز له النظر الى شعرها
كالاجنبي وثانيها ان ملك العبد لا يحل ما يحرم
عليه قبل الملك اذ املك النساء للرجال ليس كملك
الرجال للنساء فانهم لم يختلفوا في انه لا يستبيح الملك
للعبد شيا التمتع كما يحله الرجل من امه وان كان العبد
لم يجز له ان يتزوج بمولاته الا ان ذلك التحريم عارض
كمن معه اربع نسوه فانه لا يجوز له ان يتزوج بخامسه
فلما لم تكن هذه الحرمه موجبه كان العبد غير له شايرا
الاجانب اذا ثبت هذا ظهر ان المراد من قوله او ما ملكت
ايمانهن الاماء فان قيل الاماء داخلن في قوله نسايهن
في اضافه في الاجاره قلنا الظاهر انه عنى بنسايهن
او ما ملكت ايمانهن من الحراير والاماء وبيانه
انه سبحانه ذكر اولا احوال الرجال بقوله و
بيدين زينتهن الا لبعولتهن الى اخر ما ذكر فخاف ان
يظن ظان ان الرجال مخصوصون بذلك اذا كانوا
ذوي المحارم او غير ذات المحارم ثم عطف على ذلك
الاماء بقوله او ما ملكت ايمانهن كقوله سبحانه من ○
رجالكم على الاحرار اضافوهم الى نسائهم بقوله او
نسايهن على الحراير ثم عطف عليهن الاماء باي لفظ من
مثل ما اباح في الحراير وحادي عشرها قوله
تعالى او التابعين غير اولي الاربه من الرجال وفيه
مسايل المسيله الاولى قيل هم الذين
يتبعونكم لينالوا من فضل طعامكم ولا حاجه لهم الى
النساء لا لصغر ولا لعله لا يعرفون من عوريات نساء وصوح
صلحا اذا كانوا معهن غضوا ابصارهن ومعلوم ان
الخصي والمجبوب ومن شاكلهما قد لا يكون له اربه
في بعض الجماع ويكون له اربه فيما عداه من التمتع ○
وذلك يمنع من ان يكون هو المراد فيجب ان يحمل
المراد على من المعلوم منه لا اربه له من سايرين ○
الوجوه التمتع اما لفقد الشهوه واما لفقد المعرفه
واما لكليهما فقرء المسكنه فعلى هذه الوجوه الثلاثه

اختلف العلما فقال بعضهم هم الفقرا الذين لهم الفاقه
وقال بعضهم المعتوه والابله والصبي وقال بعضهم
الشيخ وساير من لا شهوه له ولا يمنع دخول الكل في
ذلك روي هشام عن عروه عن زينب بنت ام سلمه
عن ام سلمه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها
وعندها مخنث فاقبل على اخي ام سلمه فقال يا عبد
الله ان فتح الله لكم غدا الطايف دللتك على بنت غيلان
فانها تقبل بارع وتدبر بثمان فقال عليه السلم لا يدخلن
عليكم هذا فاباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول
المخنث عليهن فلما علم انه يعرف احوال النساء اوصاهن
بهلم انه متى اولى الاربه فجبه وفي الخصي والمجبوب
لذلك اوجه احدها انه اسياحه الريبه الباطنه ○
والثاني تحريمها والثالث تحريمها على الخصي دون
المجبوب المسيله الثانيه الاربه فعله من
الارب كالمشيه والجلسه من المشي والجلوس والارب
الحاجه والولوع بالشي والشهوه والاربه الحاجه في النساء
والاربه العقل ومنه اولي الاربه في ابن عامر وابو بكر وعاصم غير النصب على الاستثنا
او الحال يعني او التابعين عاجزين عنهن وقرى بالخفض
على الوصف وباقي عشرها قوله والطفل الذين لم يظهروا
على عورات النساء وفيه مسايل المسيله
الاولى الطفل ايم الواحد للكثير وضع ههنا لوضع الجمع
لتجريد الجنس ونظيره قوله تعالى ثم يخرجكم طفلا ○
المسيله الثانيه الظهور على الشي على وجهين
احدهما العلم به كقوله تعالى الله اعلم ان يظهر وا عليكم
اي يشعروا بكم الثاني الغلبه عليه كقوله تعالى ○
فاصبحوا ظاهرين فعلى الوجه الاول يكون المعنى او
الطفل الذي لم يبصر عورات النساء ولم يقدروا
ما هي لصغر الصغر وعلى الثاني الذين
لم يبلغوا ان يطيقوا اتيان النساء وعلى الثاني
الصبا والزجاج المسيله الثالثه ان الصغير
اذا لم يبلغ لم يصر على عورات النساء فلا عوره للنساء
معه وفي المراهق يلزم بستر منه المراه ما بين سرتها
وركبتها وفي المراهق يلزم ستر ما عداه وجهان الاول
لا يلزم لان القلم غير جار عليه والثاني يلزم كالرجل

لانه يشتهي والمراة تشتهيه واسم الطفل شامل له الى
ان يحلم فاما الشيخ ان يقيت له شهوه وهو كالشاب
وان لم يبق له شهوه فقيه وجهان احدهما ان
الزينه الباطنه معه مباشره والعون معه ما بين السرر
والركبه والثاني ان جميع البدن معه عوره
الزينه الظاهره وههنا مسائل اخر الصور التي استثناها
تعالى قال الحسن هو لا وان اشاروا في جواز رويه
الزينه الباطنه فهو محمول على اقسام ملائمه او لهم الزوج
وله حرمه الجميع لغيره ويحل له ولحرمه الثانيه للاب
والابن والاخ والحدود في الزوج وكل ذي رحم محرم
والرضاع كالنسب يحل لهم ان ينظروا الى الشعر والصدر
والساق والذراع وشبه ذلك والثالثه هي التابعين
غير اولي الاربه ولذا مملوك المراه ولا باس ان يقوم
المراه الثانيه بين يدي مولاي في درع وخمار صفيق
غير ملجبه ولا يحل لهولا ان يرى من شعر او ابشرا
والستر في هذه اكمل افضل ولا يحل للشابه ان تقوم
بين يدي الغريب حتى تلبس الجلباب فهذا ضبط هذه
المراتب اما قوله تعالى ولا يضربن بارجلهن
ليعلم ما يخفين من زينتهن قال ابن عباس وقتاده
كانت المراه تمر بالناس وتضرب برجلها ليسمع قعقعة
خلخالها ومعلوم ان الذي تغلب عليه شهوة النسا
اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعيه له داعيه الى
مشاهدتهن ووجه علل تعالى ذلك بان قال ليعلم
ما يخفين من زينتهن ففيه على ان الذي نهى عنه لاجله
ان يعلم به وفي الايه فوائد العايده الاولى لما نهى
عن اسماع الصوت الدال على وجود الزينه فلان
يدل على المنع من اظهار الزينه اولى الثانيه ان
المراه منهيه عنه الثالثه الصوت بالكلام تحت يسمع
ذلك الاجانب او كان صوتها اقرب الى الفتنه من
صوت خلخالها وكذلك المراد داب الدسالانه
محل فيه الى رفع الصوت والمراه منهيه عنه الثالثه
يدل الايه على حظر النظر الى وجهها بشهوه او كان
ذلك اقرب الى الفتنه اما قوله تعالى
وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون ففيه مسايل
المسيله الاولى في التوبه وجهان احدهما

ان تكاليف الله تعالى في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على
مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير
يقع منه فلذلك وصي المومنين جميعا بالتوبه والاستغفار
والثاني قال ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه
في الجاهليه لعلكم تسعدون في الدنيا والاخره فان
قيل وقد صحت التوبه بالاسلام والاسلام يجب
ما قبله مما عمي هذه التوبه قلنا قال بعض العلما ان
من اذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كل ما ذكره ان يجدد التوبه
لانه يلزمه ان يستمر على ندمه الى ان يلقى ربه المسيله
الثانيه وفي ايه المومنون بضم الهاء وخفضها الهاء لو
كانت مفتوحه لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف
لالتقا الساكنين اتبعه حركه ما قبلها المسيله
الثالثه تفسير لعل تقدم في سوره البقره في قوله
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم
الثامن ما يتعلق بالنكاح قوله تعالى
وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم
وامائكم ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله والله
واسع عليم اعلم انه تعالى لما امر بغض الابصار
وحفظ الفروج بين ان الذي امر به انما هو ليحل
فبين بعد ذلك طريق الحل فقال وانكحوا الايامى
وههنا مسايل المسيله الاولى قال صاحب
الكشاف الايامى والبيامى اصله ايايم وبيايم وقلب
الياء الاولى همزه لان الايم في كلام العرب كل ذكر او انثى تعه
الصحاح يقول زوجوا ايامكم بعضكم من بعض
المسيله الثانيه قوله تعالى وانكحوا امر ظاهر الامر للوجوب على ما عرفناه يدل على ان
الولي يجب عليه تزويج موليته اولا المويه لو قلت
ذلك لقوبت على الولي المكيه من اذا هذا الواجب
فانه غير جايز وانا نطالب بهذه الايه مع الحديث قوله
عليه السلم اذا اجاكم من ترضون دينه وخلقه
فزوجوها الا تفعلوه تكن فتنه في الارض قال ابو بكر الرازي
هذه الايه وان اقتضت الايجاب الا انه اجمع التلف
على انه لم يرد الايجاب ويدل عليه وجوه احدها انه
كان ولي واجبا لورد النقل بفعله من النبي عليه السلم

ومن السلف مستفيضا لنا تبعا لعموم الحاجة اليه فلما وجدنا
عصر النبي عليه السلم وساير الاعصار بعده قد كان
فيهم ايامى من الرجال والنسا فلم ينكروا ذلك ثبت
انه ما اريد الايجاب به وثانيها اجمعنا على ان
الايم الثيب لو ابت التزويج لم يكن لولي اجبارها عليه
وثالثها اتفاق الكل على انه لا يجب على السيد
تزويج امته وعبده وهو معطوف على الايامى فدل
على انه غير واجب في الجميع بل ندب في الجميع ورابعها
ان اسم الايامى ينتظم الرجال والنسا وهو في
الرجال ما اريد به الاوليا دون غيرهم كذلك في
النسا والجواب جميع ما ذكرته تخصيصات وتطرق
الى الاية والعام بعد التخصيص ينفي حجه فوجب ان
التمست المراة الايم من الولي التزويج وجب وحينئذ
ينتظم وجه الكلام المسئلة الثانية قال
الشافعي رضي الله عنه الاية تقتضي جواز تزويج البكر
البالغة بدون رضاها لان الاية والحديث يدلان
على امر الولي بتزويجها ولولا قيام الدلالة على انه لا يزوج
الثيب الكبيرة بغير رضاها لكان جايزا له تزويجها
ايضا لعموم الاية قال ابو بكر الرازي قوله وانكحوا
الايامى لا يختص بالنسا دون الرجال على ما بينا فلما
كان الاسم شامل للرجال والنسا وقد اضمر في
الرجال تزويجهم باذنهم وجب استعمال ذلك الضمير
في النسا وايضا فقد امر عليه السلم باستيمار البكر
بقوله البكر تستامر في نفسها واذنها صماتها فكذلك
وان كان في صورة الخبر فثبت انه لا يجوز تزويجها
الا باذنها الجواب اما الاول فهو تخصيص للنص
فلا يقدح في كونه حجه والفرق ان الايم من الرجال
يتولى امر نفسه فلا يجب على الولي تعهد امره بخلاف
المراة فان احتياجها الى من يصلح امرها في التزويج
اظهر وايضا فلفظ الايامى وان كان يتناول الرجال
والنسا فاذا اطلق لم يتناول الا النسا وانما يتناول
اذا قيد واما الثاني فهو تخصيص الاية بخبر الواحد
خلاف مشهور المسئلة الثالثة قال ابو حنيفة
العم والاخ يتناول تزويج البنت الصغيرة ووجه
الاستدلال بالاية كما تقدم المسئلة الرابعة

الناس في النكاح قسمان منهم من يتوق نفسه الى النكاح
فيستحب له ان ينكح ان وجد اهبة تهيؤ له سوا كان
مقبلا على العبادة او لم يكن ولكن لا يجب ان ينكح
وان لم يجد اهبة يكسر شهوته بالصوم لما روى
عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم
الباه فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج
وان لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجا واما
الذي لا يتوق نفسه الى النكاح فان كان ذلك لعلة
به لكبر او مرض او عجز يكره له ان ينكح لانه يلزم ما لا يمكنه
القيام به وكذلك اذا كان لا يقدر على النفقة فان
لم يكن به عجز وكان قادرا على القيام به وكذلك اذا
كان لا يقدر على النفقة بحقه لم يكره له النكاح لكن
الافضل ان يتخلى بعبادة الله تعالى قال ابو حنيفة
النكاح افضل من التخلي للعبادة الله حجة
الشافعي من وجوه احدها قوله تعالى وسيدا
وحصورا مدح يحيى عليه السلم بكونه حصورا
والحصور الذي لا ياتي النسا مع القدرة ولا يقال هو
الذي لا ياتي النسا مع العجز لان مدح الانسان بما
يكون عيبا غير جايز فاذا ثبت انه مدح في حق يحيى
عليه السلم وجب ان يكون مشروعا في حقنا لقوله
تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ولا
يجوز حمل الهدى على الاصول لان التقليد فيها غير
جايز فوجب حمله على الفروع وثانيها قوله عليه
السلم استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم
الصلاة وقال عليه السلم افضل اعمال امتي قراة
القران وقال ابو حنيفة النكاح افضل ويتمسك
ايضا بما روي عنه عليه السلم احب المباحات الى
الله النكاح ويحمل الاحب على الاصلح في الدنيا لئلا يقع
التناقض بين كونه احب وبين كونه مباحا والمباح
ما يستوي طرفاه في الثواب والعقاب والمندوب
ما يرجح وجوده على عدمه فتكون العبادة افضل
ورابعها ان النكاح افضل ليس بعبادة بدليل
انه يصح من الكافر والعبادة لا تصح منه فوجب ان
تكون العبادة افضل منه لقوله تعالى وما خلقت

الجن والانس الا ليعبدون والاشتغال بالمقصود اولى
وخامسها ان الله تعالى سوى بين التسري
والنكاح ثم التسري مرجوح بالنسبة الى العبادة
ومساوي المرجوح مرجوح فالنكاح مرجوح انما
قلنا انه سوى بين التسري والنكاح لقوله ان خفتم
ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم وذكر كلمة
او للتخيير بين الشيئين امارة التساوي كقول
الطبيب للمريض كل الرمان او التفاح واذا ثبت الاستوا
والتسري مرجوح ومساوي المرجوح مرجوح
وسادسها النافلة اشق فيكون اكثر ثوابا بيان
انها اشق لان قبل الطباع الى النكاح اكثر ولولا
ترغيب الشرع لما فعل احد النوافل واذا ثبت انها
اشق وجب ان يكون اكثر ثوابا لقوله عليه السلم
افضل العبادات احمزها وقوله عليه السلم لعايشة
اجرك على قدر تعبك وسابعها لو كان النكاح
مساوي للنوافل في الثواب مع ان النوافل اشق
منها لما كانت النوافل مشروعة لانه اذا حصل طريقان
الى تحصيل المقصود وكانا في الافضا الى المقصود
سيان وكان احدهما شاقا والاخر سهلا فان العقلا
يستقبحون تحصيل ذلك المقصود بالطريق الثاني
مع المكنة من الطريق السهل ولما كانت النوافل مشروعة
علمنا انها افضل وثامنها لو كان الاشتغال
بالنكاح اولى من النافلة لكان الاشتغال بالحراثة
والزراعة اولى من النافلة بالقياس على النكاح
والجامع كون كل واحد منهما سببا لبقا هذا العالم
وتحصيل نظامه وتاسعها اجمعنا على انه يقدم
واجب العبادة على واجب النكاح فيقدم مندوبها على
مندوبه لايجاد السبب وعاشرها ان النكاح
اشتغال بتحصيل الذات الحسنة الداعية الى الدنيا
والنافلة قطع العلايق الجسمانية واقبال على الله
عز وجل فاين احدهما من الاخر ولذلك قال
عليه السلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا
وقرة عيني في الصلوة رجح الصلاة على النكاح حجة
ابي حنيفة وجوه احدها ان النكاح يتضمن
صون النفس عن الزنا فيكون ذلك دفعا للضرر عن

النفس والنافلة جلب للنفع ودفع الضرر اولى من جلب النفع
الثاني ان النكاح يتضمن العدل والعدل
افضل من العبادة لقوله عليه السلم عدل ساعة خير
من عبادة ستين سنة الثالث النكاح سنة مؤكدة
لقوله عليه السلم من رغب عن سنتي فليس مني وقال
في الصلوة انها خير موضوع فمن شا فليستكثر ومن شا
فليستقل فوجب ان يكون النكاح افضل المسيلة
الخامسة قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم
وان تناول جميع الايامى بحسب الظاهر لكنهم اجمعوا
على انه لا بد فيها من شروط وقد تقدم شرحها في
قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم اما قوله
منكم فقد حمله كثير من المفسرين على ان المراد هو
الاحرار ليفصل الحر والعبد وقال بعضهم بل المراد من
ذلك من يكون تحت ولاية المامور من الولد والاب
ومنهم الاضافة ففيه مسايل المسيلة الاولى
ظاهرة ايضا بتزويج هذين الفريقين اذا كانوا صالحين
وانه لا فرق في هذا الحديث بين تزويج الامة وتزويج
العبد وفي تزويج العبد تعطيل خدمته وذلك ليس
بواجب على السيد وفي تزويج الامة استعارة مهر
وسقوط نفقة وليس ذلك بلازم المولى المسيلة
الثانية انما خص الصالحين بالذكر لوجوه الاول
ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم الثاني
ان الصالحين من الاماء هم الذين مواليهم يشفقون
عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في المودة وكانوا
مظنة للتوصية والاهتمام بهم واما المفسدون منهم
فحالهم على عكس ذلك الثالث ان يكون المراد
الصلاح لامر النكاح حتى يقوم العبد بما يلزم لها وتقوم
الامة بما يلزم للزوج الرابع ان يكون المراد الصلاح
بان لا تكون صغيرة لا تحتاج الى النكاح المسيلة
الثالثة ظاهر الاية يدل على ان العبد لا يتزوج بنفسه
وانما يجوز ان يتولى المولى تزويجه لكن ثبت بالدليل
انه اذا امره بان يتزوج جاز ان يتولى تزويج نفسه
فيكون توليه تاديه بمنزلة ان يتولى ذلك نفس السيد
واما الاما فلا شبهة ان المولى يتولى تزويجهن خصوصا
على قول من لا يجوز النكاح الا بولي اما قوله

تعالى ان يكونوا فقرا يغنيهم الله من فضله فيه مسايل مسايل
المسيلة الاولى الاصح ان هذا ليس وعدا
باغنا من يتزوج بل المعنى لا ينظروا الى فقر من يخطب
اليكم او فقر من تريدون تزويجها ففي فضل الله ما يغنيهم
والمال غاد ورايح وليس في الفقر ما يمنع من الرغبة
في النكاح فهذا معنى صحيح وليس فيه ان الكلام قصد
به وعد الغنى حتى لا يجوز ان يقع فيه خلف روي عن
قدما الصحابة ما يدل على انهم قالوا ذلك وعد وعن
ابي بكر رضي الله عنه قال اطيعوا الله فيما امركم به من
النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنا وعن عمر وابن عباس
مثله قال ابن عباس التمسوا الثروة بالنكاح وشكى
الى رسول الله الحاجة فقال عليه السلم عليك بالباه
وقال طلحة بن مطرف تزوجوا فانه اوسع لكم في رزقكم
واوسع في احلامكم ويزيد الله في مروءتكم فان
قيل فنحن نرى من كان غنيا فيتزوج فيصير فقيرا الجواب
عنه من وجوه احدها ان هذا الوعد مشروط
بالمشية في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من
فضله ان شا والمطلق محمول على المقيد وثانيها
ان اللفظ وان كان عاما الا ان يكون خاصا في بعض
المذكورين دون البعض وهو في الايامى الاحرار الذين
يملكون ويستغنون بما يملكون وثالثها ان يكون
المراد الغنى بالعفاف فيكون الغنى بملك البعض والاستغنا
به عن الوقوع في الزنا المسيلة الثانية من
الناس من استدل بهذه الاية على ان العبد والامة
يملكان شيا لان ذلك راجع الى كل من تقدم فتقتضي
الاية ان العبد قد يكون فقيرا وغنيا فان دل ذلك على
الملك ثبت انهما يملكان ولكن المفسرون تاولوه على
الاحرار خاصة فقالوا هو راجع الى الايامى اما اذا فسرنا
الغنى بالعفاف فالاستدلال به على ذلك ساقط اما
قوله والله سميع عليم فالمعنى انه سبحانه في الافضال
لا ينتهي الى حد ينقطع قدرته على الافضال دونه لانه
قادر على المقدورات التي لا نهاية لها ومع ذلك عالم
بمقادير ما يصلحهم من الافضال والرزق قوله
تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا
يغنيهم الله من فضله اعلم انه سبحانه و

تزويج الاحرار والا ما ذكر حال من يعجز عن ذلك فقال
وليستعفف او ليجتهد في العفة كان المستعفف طالب
طالب من نفسه العفاف واما قوله لا يجدون
نكاحا فالمعنى لا يتمكنون من الوصول اليه يقال لا تجد
الشي اذا لم تتمكن منه قال الله تعالى فمن لم يجد
فصيام شهرين ويقال في احدنا هو غير واجد للما وان
كان موجودا اذا لم يمكنه ان يشتريه ويجوز ان يرد بالنكاح
ما ينكح به بالمال فبين سبحانه ان من لا يتمكن من
ذلك فليطلب التعفف ولينظر ان يغنيه الله من فضله
ثم يصل الى بغيته من النكاح فان قيل اليس ملك
اليمين يقوم مقام نفس النكاح قلنا من لم يجد
المهر والنفقة فبان لا يجد ثمن الجارية اولى الحكم
التاسع في الكتابة قوله تعالى والذين
يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم
ان علمتم فيهم خيرا واتوهم من مال الله الذي اتاكم
اعلم انه سبحانه لما رغب السيد على تزويج الصالحين
من العبيد والاما مع الرق رغبهم في ان يكاتبوهم اذا
طلبوا ذلك ليصيروا احرارا فيتصرفون في انفسهم
كالاحرار فقال والذين يبتغون الكتاب وهنا مسايل
المسيلة الاولى قوله والذين يبتغون مرفوع
على الابتدا او منصوب بفعل مضمر تفسيره فكاتبوهم
كقولك زيد فاضربه ودخلت الفا لتضمن معنى الشرط
المسيلة الثانية الكتاب والكتابة كالعتاب
والعتابة وفي اشتقاق لفظ الكتابة وجوه احدها
ان اصل الكلمة من الكتب وهو الضم والجمع ومنه الكتيبة
سميت بذلك لانها تضم النجوم بعضها الى بعض وتضم
ماله الى ماله وثانيها يحتمل ان يكون اللفظ ماخوذا
من الكتاب ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق
اذا وفيت بمال وكتبت لي على نفسك ان تفي لي بذلك
او كتبت لي كتابا بالوفا بالمال وكتبت على العتق وهذا
من الازهري وثالثها انما سمي بذلك لما يقع فيه
التاجيل بالمال المعقود عليه انه لا يجوز ان يقع على
مال هو في يد العبد حين يكاتب لان ذلك مال
لسيده اكتسبه في حال ما يد السيد غير مقبوضة عن
كسبه فلا يجوز لهذا المعنى ان يقع هذا على العقد

حالا ولكنه يقع موجلا ليكون ممكنا من الاكتساب ثم
من اداب الشريعة ان يكتب على من عليه المال الموجل
كتاب فلهذا المعنى سمي هذا العقد كتابا لما يقع من الاجل
قال تعالى لكل اجل كتاب المسئلة الثالثة
قال يحيى السنة الكتابة ان يقول لمملوكه كاتبتك
على كذا او يسمي مالا معلوما يؤديه في نجمين او اكثر ويبين
عدد النجوم وما يؤدي في كل نجم ويقول اذا اديت
الي ذلك المال فانت حر وينوي ذلك بقلبه ويقول
العبد قبلت وفي هذا الضبط ابحاث الاول
قال الشافعي ان لم يقل او لم ينو بقلبه اذا اديت
ذلك المال فانت حر لم يعتق وقال ابو حنيفة
ومالك وابو يوسف ومحمد وزفر لا حاجة الى ذلك حجة
ابي حنيفة قوله ان قوله تعالى وكاتبوهم خال عن
هذا الشرط فوجب ان تصح الكتابة بدون هذا الشرط
واذا صحت هذه الكتابة وجب ان يعتق بالاداء للاجماع
حجة الشافعي ان الكتابة ليست عقد معاوضة محضة
لان ما في يد العبد هو ملك السيد والانسان لا يمكنه
ان يبيع ملكه بملكه بل قوله كاتبتك كناية في العتق فلا بد
فيه من لفظ التعليق او بينة البحث الثاني
ولا تجوز الكتابة الحالة عند الشافعي وتجوز عند ابي
حنيفة وجه قول الشافعي ان العبد لا يتصور
له ملك يؤديه في الحال واذا عقد حالا توجهت المطالبة
عليه في الحال فاذا عجز عن الاداء لم يحصل مقصود العقد
كما لو اسلم في شيء لا موجود عند المحل لا يصح بخلاف
ما لو اسلم الى معسر فانه يجوز لانه يتصور ان يكون له
ملك في الباطن فالعجز لا يتحقق عن ادائه وجه قول
ابي حنيفة قوله تعالى وكاتبوهم مطلق يتناول
الكتابة في الحالة والموجلة وايضا لما كان مال الكتابة بدلا
عن الرقبة كان بمنزلة اثمان السلع المبيعة فيجوز عاجلا
وايضا اجمعوا على جواز العتق معلقا على حال فوجب
ان تكون الكتابة مثله لانه يدل على العتق في الحالين
الا ان في احدهما العتق على شرط الاداء وفي الاخر معجل
فوجب ان لا يختلف حكمهما البحث الثالث
قال الشافعي لا تجوز الكتابة على اقل من نجمين
فلك عن علي وعثمان وابن عمر روي ان عثمان

على عبده فقال لاضيقن عليك ولاكاتبنك على نجمين ولو كان
اقل من ذلك جاز الكتابة على اقل منه لان التضييق
فيه اشد وانما شرطنا التنجيم لانه عقد ارفاق ومنه
من شبهة الارفاق التنجيم ليتيسر عليهم الاداء وقال
ابو حنيفة تجوز الكتابة على نجم واحد لان ظاهر قوله
كاتبوهم ليس فيه تقييد المسئلة الرابعة
تجوز كتابة المملوك عبدا كان او امة ويشترط عند
الشافعي ان يكون بالغا عاقلا فان كان صبيا او مجنونا
لا تصح كتابته لان الله تعالى قال والذين يبتغون
الكتاب ولا يتصور الابتغاء من الصبي والمجنون وعند
ابي حنيفة تجوز كتابة الصبي ويقبل عنه المولى المسئلة
الخامسة يشترط ان يكون مكلفا فان كان المولى مجنونا
او محجورا عليه بالسفه لا تصح كتابته كما لا يصح بيعه
لان قوله وكاتبوهم خطاب فلا يتناول غير العاقل
وعند ابي حنيفة يصح كتابته باذن المولى المسئلة
السادسة اختلف العلماء في ان قوله وكاتبوهم امر
ايجاب او امر استحباب فقال قائلون هو امر ايجاب
فيجب على الرجل ان يكاتب مملوكه اذا ساله ذلك بقيمته
او اكثر اذا علم فيه خيرا ولو كان دون قيمته لم يلزمه
هذا وقول عمرو بن دينار وعطاء واليه ذهب داود
ابن علي ومحمد بن جرير واحتجوا عليه بالاثر والاية
اما الاية فظاهر قوله وكاتبوهم امر وهو الايجاب
ويدل عليه ايضا سبب نزول الاية فانها نزلت في غلام
لحويطب بن عبد العزى يقال له صبيح سال مولاه ان
يكاتبه فابى عليه فنزلت الاية فكاتبه على مائة دينار
ووهب له منها عشرين دينارا واما الاثر ما روي
ان عمر انس ان يكاتب سيرين ابا محمد بن سيرين فابى
فرفع عليه الدرة وضربه وقال فكاتبوهم ان علمتم
فيهم خيرا وحلف عليه ليكاتبه ولو لم يكن ذلك واجبا لكان
ضربه بالدرة ظلما وما انكر على عمر احد من الصحابة فجرى
ذلك مجرى الاجماع وقال اكثر الفقهاء انه امر
استحباب وهو ظاهر قول ابن عباس والحسن
والشعبي واليه ذهب مالك وابو حنيفة والشافعي
والثوري واحتجوا عليه بقوله عليه السلام لا يحل
مال امرئ مسلم الا بطيب نفسه وانه لا فرق بين ان

يطلب الكتابة او يطلب بيعه ممن يعتقه من الكفار فكما لا يجب
ذلك فكذا الكتابة وهذه طريقة المعارضات اجمع وهذه
سؤالات السؤال الاول كيف يصح ان يبيع
ماله بماله قلنا اذا ورد الشرع به فيجب ان يجوز كما
اذا علق عتقه على مال يكسبه ويؤديه او يؤدي عنه
صار سببا لعتقه السؤال الثاني يستفيد
العبد بعقد الكتابة ما لا يملكه لولا الكتابة قلنا نعم لانه
لو دفع اليه الزكاة لم يحل له ان ياخذه واذا صار مكاتبا
حل له سواء ادى فعتق او عجز فعاد الى الرق واستفيد
ايضا ان الكتابة تبعثه على الجد والاجتهاد في الكسب ولولاها
لم يكن ليفعل ذلك ويستفيد السيد الثواب لانه
اذا باعه فلا ثواب واذا كاتبه ففيه ثواب ويستفيد
ايضا الولاء لانه لو اعتق من قبل غيره لم يكن له ولاء واذا
اعتق بالكتابة فالولاء له فورد الشرع بجواز الكتابة لما
ذكرنا من الفوائد اما قوله تعالى ان علمتم
فيهم خيرا فسنذكر في الخير وجوها احدها ما روي
عن النبي عليه السلام ان علمتم لهم حرفة فلا تدعوهم
كلا على الناس وثانيها قال عطاء الخير المال وتلى
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا اي ترك
مالا قال وبلغني ذلك عن ابن عباس وثالثها
عن ابن سيرين قال اذا صلى وقال النخعي وفا وصدقا
وقال الحسن صلاحا في الدين ورابعها قال الشافعي
ارى الخير الامانة والقوة على الكسب لان مقصود الكتابة
قل ما يحصل الا بهما فانه ينبغي ان يكون كسوبا يحصل
المال امينا يصرفه في نجومه ولا يضيعه واذا فقد الشرطان
او احدهما لا يستحب ان يكاتبه والاقرب انه لا يجوز
حمله على المال لوجهين الاول ان المفهوم من كلام
الناس اذا قالوا فلان فيه خيرا بما يريدون الصلاح
في الدين ولو اراد المال لقال ان علمتم لهم خيرا لانه
انما يقال لفلان مال ولا يقال فيه مال الثاني
ان العبد لا مال له بل المال لسيده والاولى ان يحمل
على ما يعود على كتابته بالتمام وهو الذي ذكره الشافعي
وهو ان يتمكن من الكسب والحفظ لان ذلك مما
على كتابته بالتمام ودخل فيه تفسير النبي صلى
سلم للخير لانه عليه السلام فسره بالكسب

في تفسير الشافعي واما قوله واتوهم من مال الله الذي
اتاكم ففيه مسئلتان المسئلة الاولى اختلفوا
في المخاطب بقوله واتوهم على وجوه احدها انه هو
المولى يحط عنه جزءا من مال الكتابة او يدفع اليه جزءا
ما اخذه منه وهؤلاء اختلفوا في قدره فمنهم من جعل
الخيار اليه وقال يجب ان يحط قدرا يقع فيه الاستغناء
ولكن يختلف بكثرة المال وقلته فعن ابن عباس يحط الثلث
ومنهم من قال يحط ربع المال وروى عطاء بن السائب
عن ابي عبد الرحمن انه كاتب غلاما له فترك ربع ما كاتبه
وقال ان عليا يامر بذلك ويقول هو قول الله عز
وجل واتوهم من مال الله الذي اتاكم فان لم يفعل
فالسبع لما روي ان ابن عمر كاتب عبدا له بخمس وثلاثين
الفا ووضع عنه خمسة الاف ويروى ان عمر كاتب عبدا
فجاءه بنجمه فقال اذهب فاستعن به على اداء مال الكتابة
فقال المكاتب لو تركته الى اخر نجم فقال اني اخاف
ان لا ادرك ذلك ثم قرا هذه الاية وكان ابن عمر يؤخره
الى اخر النجوم مخافة ان يعجز وثانيها المراد
واتوهم سهمهم الذي جعل الله لهم من الصدقات
في قوله وفي الرقاب وعلى هذا الخطاب لغير السادة
وهو قول الحسن والنخعي ورواية عطاء عن ابن
عباس واجمعوا على انه لا يجوز للسيد ان يدفع
صدقته المفروضة الى مكاتب نفسه وثالثها
ان هذا امر من الله للسادة والناس ان يعينوا المكاتب
على كتابته بما يمكنهم وهذا قول الكلبي وعكرمة
والمعاملين والنخعي وقال عليه السلام من اعان
مكاتبا في فك رقبته اظله الله في ظل عرشه ويروى
ان رجلا قال علمني عملا للنبي عليه السلام علمني عملا
يدخلني الجنة قال ان كنت لقصرت الخطبة لقد اعرضت
المسئلة اعتق النسمة وفك الرقبة قال او ليسا واحدا
قال لا عتق النسمة انفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين
في ثمنها وقد قيل فك الرقبة ان يعين في ثمنها وقالوا
كذلك القول وجوه احدها انه امر
[illegible]طا من مال الله واطلق عليه هذه الاضافة فهو
[illegible] سبيله الصدقة وصرفه في وجوه القرب
[illegible] ان قوله من مال الله الذي اتاكم هو

الذي قد صح ملكه للمالك وامر باخراج بعضه ومال الكتابة
ليس بدين صحيح لانه على عبده والمولى لا يثبت له على عبده
دين صحيح وثالثها انه ما اتاه الله هو الذي يحصل
في يده ويمكنه التصرف فيه وما سقط عقيب العقد لم
يحصل له عليه ملك فلا يستحق الصفة بانه من مال
الله الذي اتاه قال قيل هنا وجهان يقدحان في
صحة هذا التاويل احدهما كيف يصح لمولاه اذا كان
غنيا ان ياخذ مال الصدقة الثاني ان قوله واتوهم
معطوف على قوله فكاتبوهم فيجب ان يكون المخاطب في
الموضعين واحد وعلى هذا التاويل يكون المخاطب في
الاية الاولى السادات وفي الثانية سائر المسلمين قلنا
اما الاول فجوابه ان تلك الصدقة تحل لمولاه وكذلك
اذا لم تف الصدقة بجميع النجوم وعجز عن اداء الباقي ٥
كان للمولى ما اخذه لانه لم ياخذ بسبب الصدقة ولكن
بسبب عقد الكتابة كمن اشترى الصدقة من الفقراء و
ورثها منه ومنه قوله عليه السلم في حديث بريرة
هو لها صدقة ولنا هدية والجواب عن الثاني
انه قد يصح الخطاب لقوم يعطف عليه بمثل لفظه خطابا
لغيرهم كقوله تعالى واذا طلقتم النساء والخطاب
للازواج ثم خاطب الاولياء بقوله فلا تعضلوهن ٥
وقوله مبرؤن مما يقولون لا ما لا يكون من المبرئين
فكذا ههنا قال للسادة فكاتبوهم وقال
لغيرهم واتوهم وقال لهم ولغيرهم المسئلة
الثانية قال الشافعي يجب على المولى ايتاء المكاتب
وهو ان يحط عنه جزءا من مال الكتابة او يدفع اليه ٥
جزءا مما اخذ منه وقال مالك وابو حنيفة واصحابه
انه مندوب اليه لكنه غير واجب حجة الشافعي
ظاهر قوله واتوهم من مال الله الذي اتاكم والامر
للوجوب فقيل عليه ان قوله فكاتبوهم وقوله ٥
اتوهم امران وردا في صورة واحدة فلم جعلت
الاول ندبا والثاني ايجابا وايضا فقد ثبت ان قوله
واتوهم ليس حطا مع المولى بل عامة المسلمين ٥
حجة ابي حنيفة من حيث السنة والقياس ٥
اما السنة فما روى عمرو بن الشعيب عن
ابيه عن جده انه عليه السلم السلم قال ايما عبد

كاتب على مائة اوقية واداها الا عشرة اواق فهو عبد ولو
كان الحط واجبا لسقط عنه بقدره وعن عروة عن ٥
عائشة قالت جاءتني بريرة وقالت يا عائشة اني كاتبت
اهلي على تسع اواق في كل عام اوقية فاعينيني ولم تكن
قضيت من كتابتها شيئا فقالت عائشة ارجعي الى اهلك
فان احبوا ان اعطيهم ذلك جميعا ويكون ولاؤك لي
فعلت فابوا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لا يمنعك ذلك منها ابتاعي واعتقي فانما الولاء
لمن اعتق وجه الاستدلال انها ما قضت من كتابتها
شيئا ارادت عائشة ان تؤدي عنها كتابتها بالكلية وذكرته
لرسول الله فنزل رسول الله عليها ولم يقل انها تستحق
ان يحط عنها بعض كتابتها فثبت قولنا واما
القياس فمن وجهين الاول لو كان الايتاء واجبا
لكان وجوبه متعلقا بالعقد فيكون العقد موجبا له
ومسقطا له وذلك محال لتنافي الايجاب والاسقاط
الثاني لو كان العقد موجبا له ومسقطا له الحط ٥
واجبا لما احتاج الى ان يضع عنه بل كان يسقط القدر
المستحق كمن له على انسان دين ثم حصل لذلك
الاخر على الاول مثله فانه يصير قصاصا ولو كان
كذلك لكان قدر الايتاء اما ان يكون معلوما او مجهولا
فان كان معلوما وجب ان يكون الكتابة فيعتق اذا
ادى ثلاثة الاف والكتابة باربعة الاف وذلك باطل
لان اداء جميعها مشروط فلا يعتق باداء بعضها ولانه
عليه السلم قال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم
وان كان مجهولا صارت الكتابة مجهولة لان الباقي بعد
الحط مجهول فيصير بمنزلة من كاتب عبده على الف
درهم الا شيئا وذلك غير جائز الحكم العاشر
الاكراه على الزنا قوله ولا تكرهوا فتياتكم
على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة
الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن
غفور رحيم اعلم انه تعالى لما بين ما يلزم من تزوج
العبد والاماء وكتابتهم اتبع ذلك بالمنع من اكراه ٥
[illegible] الفجور وهنا مسائل المسئلة
[illegible] في سبب نزولها احدها كان لعبد الله
[illegible] جواز سنة معاذة ومسيلة وامية

وعمره واروى وقبله يكرههن على البغا وضربت عليهن ضرايب
فشكت ثنتان منهن الى رسول الله فنزلت الاية ۝
وثانيها ان عبد الله بن ابي اسر رجلا فاراد الاسير
جارية عبد الله وكانت مسلمة فامتنعت الجارية لاسلامها
فاكرهها ابن ابي على ذلك رجا ان تحمل من الاسير فيطلب
فدا ولده فنزلت وثالثها روى ابو صالح عن ابن
عباس جا عبد الله بن ابي الى رسول الله ومعه جارية
من اجمل النسا تسمى معاذة فقال رسول الله هذه ۝
لايتام فلان الا تامرها بالزنا فيصيبوا من منافعها
فقال عليه السلم لا فاعاد الكلام فنزلت الاية قال
جابر بن عبد الله جات جارية لبعض الناس فقالت
ان سيدي يكرهن على البغا فنزلت الاية المسيلة
الثانية الاكراه انما يحصل من حصل التخويف بما ۝
يقتضي تلف النفس وان كان مختصا بالاما الا ان
حال الحراير كذلك المسيلة الثالثة العرب
تقول للمملوك فتا وللمملوكة فتاة قال الله تعالى فلما
جاوزا قال لفتاه وقال تراود فتاها عن نفسه
وقال مما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات وفي
الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي
المسيلة الرابعة البغا الزنا يقال بغت تبغي
بغا فهو بغي المسيلة الخامسة ان المعلق بكلمة
ان على الشي عدم عند عدم ذلك الشي والدليل عليه اتفاق
اهل اللغة على ان كلمة ان للشرط واتفاقهم على ان
الشرط ما ينتفي الحكم عند انتفايه ومجموع هاتين
المقدمتين النقليتين يوجب الحكم بان المعلق بكلمة
ان على الشي عدم عند عدم ذلك الشي واحتج المخالف بهذه
الاية فقال انه سبحانه علق المنع من الاكراه على البغا
على ارادة التحصن بكلمة ان فلو كان الامر كما ذكرتموه
لزم ان ينتفي المنع من الاكراه على الزنا اذا لم يوجد
ارادة التحصن وذلك باطل فانه سوا وجدت
ارادة التحصن او لم يوجد وان المنع من الاكراه على
الزنا حاصل الجواب لا نزاع ان ظاهر الاية يقتضي
جواز الاكراه على الزنا عند عدم ارادة التحصن ولكنه
فسد ذلك لامتناعه في نفسه لانه متى لم يوجد ۝
وذاته ومن الناس من ذكر فيه جوابا اخر وهو ان

غالب الحال ان الاكراه لا يحصل الا عند ارادة التحصن ۝
والكلام الوارد على سبيل الغالب لا مفهوم له كما في اية
الخلع وقوع الخلع في حالة مفهوم الخطاب كما ان الخلع
يجوز في غير حالة الشقاق ولكن لما كان الغالب وقوع
الخلع في حالة الشقاق لا جرم اجرى الكلام على الغالب
لقوله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما
فيما افتدت به ومن هذا القبيل قوله واذا ضربتم
في سبيل الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة
ان خفتم والقصر لا يختص بحال الخوف لكنه اجراه على
سبيل الغالب فكذا ها هنا والجواب الثالث
معناه اذا اردن تحصنا لان القصة التي وردت
الاية فيها كانت كذلك على ما رويناه ان جارية عبد الله
ابن ابي اسلمت وامتنعت عليه طلبا للعفاف فاكرهها
فنزلت الاية موافقة لذلك ونظيره قوله وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا المسيلة السادسة
انه تعالى لما منع من اكراههن على الزنا ففيه ما يدل على
ان لهم اكراههن في النكاح فليس لها ان تمتنع على السيد
اذا زوجها بل له ان يكرهها على ذلك وهذه الدلالة
دليل الخطاب اما قوله ان اردن تحصنا اي
تعففا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا يعني كسبهن واولادهن
اما قوله ومن يكرههن فان الله بعد اكراههن
غفور رحيم واعلم انه ليس في الاية انه تعالى غفور
رحيم للمكره وللمكرهة لا جرم ذكروا فيه وجهين احدهما
فان الله غفور رحيم لهن حكاه الحسن اذا روي هذه
الاية تقول لهن والله لهن لان الاكراه ازال
الاثم والعقوبة لان الاكراه عذر للمكرهة اما المكره فلا
عذر له فيما فعل الثاني المراد فان الله غفور رحيم
بالمكره بشرط التوبة وهذا ضعيف لان على التفسير الاول
لا حاجة الى هذا الاضمار وعلى التفسير الثاني يحتاج
اليه ۝ والله سبحانه وتعالى بتفسير كلامه وبيان احكامه
تم الجزء المبارك من التفسير الكبير
للفخر الرازي رحمه الله تعالى
في اوايل صفر الخير من
شهور سنة ٩٩٤
حفظها الله بخير

بسم الله الرحمن الرحيم وثانيها ان عبد الله بن ابي اسر رجلا فاراد الاسير جارية عبد الله
وكانت مسلمة فامتنعت الجارية لاسلامها واكرهها ابن ابي على ذلك رجا ان تحمل
من الاسير ويطلب فدا ولده فنزلت وثالثها روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما جا ابن ابي الى رسول الله عليه الصلاة والسلام ومعه جارية من اجمل
النسا تسمى معاذة وقال يا رسول الله هذه لايتام فلان افلا تامرها بالزنا فيصيبون
من منافعها فقال عليه الصلاة والسلام لا فاعادت الكلام فنزلت الاية قال
جابر بن عبد الله جات جارية لبعض الناس فقالت ان سيدي يكرهني على البغا
فنزلت الاية المسئلة الثانية الاكراه انما يحصل من حمل التخويف بما يقتضي
تلف النفس فاما ما نالفه من الخوف فلا تصير مكرهة فحال الاكراه على الزنا كحال
الاكراه على كلمة الكفر والنص وان كان مختصا بالاما الا ان حال الحراير كذلك
المسئلة الثالثة العرب تقول للمملوك فتى وللجارية فتاة قال تعالى فلما جاوزا
قال لفتاه وقال تعالى تراود فتاها عن نفسه وقال فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم
المومنات وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقول عبدي وامتي المسئلة
الرابعة البغا الزنا يقال بغت تبغي بغا وهن بغا المسئلة الخامسة الذي نقول
به ان المعلق بكلمة ان على الشي عدم عند عدم ذلك الشي والدليل عليه اتفاق اهل
اللغة ان كلمة ان للشرط واتفاقهم على ان الشرط ما ينبغي الحكم عند انتفايه ومجموع
هاتين المقدمتين الثلثين يوجب الحكم بان المعلق بكلمة ان على الشي عدم عند عدم
ذلك الشي واحتج المخالف بهذه الاية فقال انه سبحانه يمكن المنع من الاكراه على
البغا على ارادة التحصن بكلمة ان فلو كان الامر كما ذكرتموه لزم ان ينفي المنع من
الاكراه على الزنا اذا لم توجد ارادة التحصن وذلك باطل فانه سوا وجدت ارادة
التحصن او لم توجد فان المنع من الاكراه على الزنا حاصل والجواب لا نزاع في ان
ظاهر الاية تقتضي جواز الاكراه على البغا عند عدم ارادة التحصن لكنه قيد
ذلك لامتناعه في نفسه لانه لم يوجد ارادة التحصن في حقها لم يكن كراهة للزنا
حال كونها غير كارهة للزنا يمتنع اكراهها على الزنا فامتنع ذلك لامتناعه في
نفسه في ذاته ومن الناس من ذكر فيه جوابا اخر وهو ان غالب الحال ان الاكراه
لا يحصل الا عند ارادة التحصن والكلام الوارد على سبيل الغالب لا يكون له مفهوم
الخطاب كما ان الخلع يجوز في غير حالة الشقاق ولكن لما كان الغالب وقوع الخلع
في حالة الشقاق لا جرم لم يكن لقوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا
جناح عليهما فيما افتدت به ومن هذا القبيل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم والقصر لا يختص بحال الخوف ولكنه
سبحانه وتعالى اجراه على سبيل الغالب فكذا هاهنا والجواب عن الثالثة معناه
اذا اردن تحصنا لان القصة التي وردت فيها الاية كانت كذلك على ما روينا
ان جارية عبد الله بن ابي اسلمت وامتنعت عنه طلبا للعفاف واكرهها فنزلت الاية

موافقة لذلك نظيره قوله تعالى وان كنتم في ريب المسئلة السادسة انه
سبحانه لما منع من اكراههن على الزنا ففيه ما يدل على ان لهم اكراههن على النكاح
فليس لها ان تمتنع على السيد اذا زوجها بل له ان يكرهها على ذلك وهذه الدلالة
دلالة دليل الخطاب اما قوله ان اردن تحصنا اي تعففا لتبتغوا عرض الحياة
الدنيا يعني كسبهن واولادهن اما قوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور
رحيم فاعلم انه ليس في الاية انه تعالى غفور رحيم للمكره او للمكره لا جرم ذكروا فيه
وجهان احدهما فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم للمكره بشرط التوبة وهذا
ضعيف لان على التفسير الاول لا حاجة الى هذا الاضمار وعلى التفسير الثاني
يحتاج اليه قوله ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة
للمتقين اعلم انه سبحانه كما ذكر في هذه السورة هذه الاحكام وصف القران بصفات
ثلاث احدها قوله ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات اي مفصلات وقرا حمزة والكسائي
وابن عامر مبينات بكسر البا يعني انها تبين للناس كما قال بلسان عربي مبين
من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وفيه وجهان احدهما
انه تعالى يريد بالمثل ما ذكر في التوراة والانجيل من اقامة الحدود فانزل في
القران مثله وهو قول الضحاك وثانيها قوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اي شبها
من حالهم بحالهم في تكذيب الرسل يعني بينا لكم ما احللنا بهم من العقاب لتمردهم على
الله فجعلنا ذلك مثلا لهم لتعلموا انكم اذا شاركتموه في المعصية كنتم مثلهم في
استحقاق العقاب وهو قول مقاتل وثالثها قوله وموعظة للمتقين والمراد به
الوعيد والتحذير من فعل المعاصي ولا شبهة في انه موعظة للكل لكنه خص
المتقين بالذكر للعلة التي ذكرناها في قوله هدى للمتقين وهاهنا اخر الكلام في الاحكام
القول في الالهيات اعلم انه تعالى ضرب مثلين احدهما في بيان ان دلايل الايمان في
غاية الظهور والثاني في بيان اديان الكفرة في نهاية الظلمة والخفا اما المثل الاول
فقوله سبحانه وتعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة
الزجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد
زيتها يضي ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشا ويضرب الله الامثال للناس
والله بكل شي عليم اعلم ان الكلام في هذه الاية مرتب على فصول الفصل الاول في اطلاق اسم النور
على الله سبحانه اعلم ان لفظ النور موضوع في اللغة لهذه الكيفية الفايضة بين الشمس
والقمر والنار على الارض والجدار وغيرهما وهذه الكيفية تستحيل ان يكون الها لوجوه
احدها ان هذه الكيفية ان كان غير الجسم كان الدليل الدال على حدث الجسم دالا على
حدثها وان كانت عرضا فمتى ثبت حدث الجسم لزم حدوث جميع الاعراض القايمة
به لكن هذه المقدمة انما تثبت بعد اقامة الدلالة على ان الحلول على الله محال
وثانيها قلنا النور جسم او امر حال في الجسم فهو منقسم لانه ان كان جسما فلا شك فيه
انه منقسم وان كان حالا فيه فالحال في المنقسم منقسم فعلى التقديرين النور منقسم

وكل منقسم فانه يفتقر في تحققه الى تحقيق اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره وكل
مفتقر في تحققه الى غيره والمفتقر الى الغير فهو ممكن لذاته محدث بضوئه والنور
محدث فلا يكون الها وثالثها ان هذا النور المحسوس لو كان هو الله لوجب ان
لا يزول وهذا النور لامتناع الزوال على الله تعالى ورابعها ان هذا النور المحسوس
يقع لطلوع الشمس والكواكب وهذا على الله محال وخامسها ان هذه الانوار لو كانت
ازلية لكانت اما ان تكون متحركة او ساكنة لا جايز ان تكون متحركة لان الحركة
معناها الانتقال من مكان الى مكان والحركة مسبوقة بالحصول في المكان
الاول والازلي يمتنع ان يكون مسبوقا بالغير فالحركة الازلية محال ولا جايز ان
تكون ساكنة لان السكون لو كان ازليا لكان ممتنع الزوال لكن السكون لا يكون
ممتنع الزوال لانا نراه ينتقل من مكان الى مكان فدل ذلك على حدوث الانوار
وسادسها ان النور اما ان يكون جسما او كيفية بالجسم والاول محال لانا قد نعقل الجسم
جسما مع الذهول مع كونه نيرا ولان الجسم قد يستنير بعد ان كان مظلما فثبت
الثاني لكن الكيفية القايمة بالجسم محتاجة الى الجسم والمحتاج الى الغير لا يكون
الها وبمجموع هذه الدلايل بطل قول المانوية الذين يعتقدون ان الاله سبحانه
هو النور الاعظم واما المجسمة المعترفون بصحة القران يحتج على فساد قولهم بوجوه
الاول بقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولو كان نورا لبطل ذلك لان
الانوار كلها متماثلة الثاني ان قوله تعالى مثل نوره صريح في ان ذاته
ليست بنفس النور مضاف اليه وكذا قوله يهدي الله لنوره من يشاء فان قيل قوله
الله نور السموات والارض يقتضي ظاهره انه في ذاته نور وبينهما تناقض
قلنا نظير هذه الاية قولك زيد كرم وجود ثم تقول معشر الناس شكر به وجوده
وعلى هذا الطريق لا تناقض الثالث قوله سبحانه وجعل الظلمات والنور وذلك
صريح في ان ماهية النور مجعولة لله تعالى فيستحيل ان يكون الاله نورا فثبت
انه لا بد من التاويل والعلما ذكروا فيه وجوها احدها ان النور سبب للظهور
فالهداية لما شاركت النور في هذا المعنى صح اطلاق اسم النور على الهداية وهو
كقوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقوله افمن كان ميتا
فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وقوله ولكن جعلناه نورا نهدي
به من نشاء من عبادنا فقوله الله نور السموات اي ذو نور السموات والنور هو الهداية
ثم الهداية لا تحصل الا لاهل السموات فالحاصل ان المراد الله هادي اهل السموات
والارض بحكمة بالغة وحجة ماهرة وثانيها المراد انه مدبر السموات والارض
على الترتيب الاحسن فانه قد يعبر بالنور عن النظام يقال ما ارى لهذا الامر
نورا اي نظاما ورابعها منور السموات والارض فوصف نفسه بذلك كما يوصف
الرئيس العالم بانه نور البلد فانه اذا كان يدبرهم تدبيرا حسنا فهو لهم كالنور
الذي يهتدي به الى مالك الطرف قال جرير :

وانت لنا نور وغيث وعصمة وهذا اختيار الاصم والزجاج

وثالثها المراد ناظم السموات والارض على الترتيب الاحسن فانه قد يعبر بالنور
عن النظام يقال ما ارى لهذا الامر نورا اي نظاما ورابعها منور السموات والارض
ثم ذكروا في هذا القول ثلاثة اوجه احدها انه نور السما بالملايكة والارض
بالانبيا والثاني نورها بالشمس والقمر والكواكب والثالث انه زين السما بالشمس
والقمر والكواكب وزين الارض بالانبيا والعلما وهو مروي عن ابي بن كعب والحسن وابي
العالية والاقرب هو القول الاول لان قوله في اخر الاية يهدي الله لنوره من يشاء فدل
على ان المراد بالنور الهداية الى العلم والعمل اعلم ان الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى صنف
في هذه الاية الكتاب المسمى بمشكاة الانوار فزعم ان الله نور في الحقيقة بل ليس
النور الا هو وانا انقل محصل ما ذكره مع فوايد كثيرة تقوي كلامه ثم ينظر في
صحته وفساده على سبيل الانصاف فقال اسم النور انما وضع للكيفية الفايضة
من الشمس والقمر والنار على ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال انا رب الارض ووقع نور
الشمس على التراب ونور السراج على الحايط ومعلوم ان هذه الكيفية انما
اختصت بالفضيلة والشرف لان المرئيات تصير شبها ظاهرة متجلية ثم
من المعلوم انه كما يتوقف ادراك هذه المرئيات استنارتها لا تكون ظاهرة
في حق العميان فقد ساوى الروح الباصرة النور الظاهر في كونه ركنا لا بد منه
للظهور ثم رجح عليه في ان الروح الباصرة هي المدركة وبها الادراك واما
النور الخارج فليس بمدرك ولا به الادراك بل عنده الادراك فكان وصف الاظهار
بالنور الباصر حق منه بالنور المبصر فلا جرم اطلقوا اسم النور على نور العين المبصرة
فقالوا في الخفاش نور عينه ضعيف وفي الاعمش انه يضعف بصره وفي الاعمى
انه فقد نور بصره اذا ثبت هذا فنقول ان للانسان بصرا وبصيرة فالبصر
هو العين المدركة للضوء والالوان والبصيرة هي القوة العاقلة وكل واحد
من الادراكين نور الا ان انوار العين محبوب لم يحصل شيء منها في نور العقل والغزالي
رحمه الله ذكر منها سبعة ونحن جعلناها عشرين الاول ان القوة الباصرة
لا تدرك نفسها ولا تدرك ادراكها ولا تدرك الها اما انها لا تدرك نفسها ولا
ادراكها فلان للقوة الباصرة وادراك القوة الباصرة ليس من الامور المبصرة
بالعين لا تدرك العين واما القوة العاقلة فانها تدرك نفسها وتدرك ادراكها
وتدرك الها في الادراك وهي القلب والدماغ فثبت ان نور العقل اكمل من
نور البصر الثاني القوة الباصرة لا تدرك الكليات والقوة العاقلة تدركها
ومدرك الكليات اشرف من مدرك الجزئيات اما ان القوة الباصرة لا تدرك
الكليات ولان القوة الباصرة لو ادركت كل ما في الوجود وهي ما ادركت الكل
لان الكليات عبارة عن كل ما يمكن دخوله في الوجود في الماضي والحاضر
والمستقبل واما ان القوة العاقلة تدرك الكليات فلانا نعرف ان الاشخاص

الانسانية مشتركة في الانسانية ومتمايزة في خصوصياتها وما به المشاركة غير ما به
المتمايزة فالانسانية من حيث انها انسانية امر مغاير لهذه المشخصات فقد عقلنا
الماهية الكلية واما ان ادراك الكليات اشرف فلان ادراك الكليات ممتنع الزوال
وادراك الكليات واجب البقاء لان ادراك الكلي يتضمن ادراك الجزئي الواقعة
تحته لان ما يثبت الماهية يثبت جميع افرادها ولا ينعكس فثبت ان الادراك العقلي
اشرف الثالث الادراك الحسي غير منتج والادراك العقلي منتج فوجب ان يكون
العقلي اشرف اما ان الادراك الحسي غير منتج فلان من احس بشيء لم يكن ذلك
الاحساس سببا لحصول احساس اخر له الحس مرة اخرى لا حس به من اخر ولكن ذلك
لا يكون انتاج الاحساس احساسا اخر واما ان الادراك العقلي منتج فلانا اذا عقلنا
شيئا وذكرناها في عقلنا توسلنا بتركيبها الى ايجاب علوم اخر وهكذا كان سعي حاصلا
بالممكن التوصل به الى حصول سعي اخر لا الى نهاية فثبت ان الادراك العقلي اشرف
اما ان الادراك الحسي لا مسح لها فلان البصر اذا توالى عليه الوان كثيرة عجز عن تمييزها
فادرك لونا لانه حاصل من الاختلاط في الوان والسمع اذا توالى عليه ظلمات
كثيرة التبست عليه تلك الكلمات ولم يحصل التمييز واما ان ادراك العقل ممتنع بها
فلان كل من كان تحصيله للعلوم اكثر كانت قدرته على الحدس اسهل وبالعكس
ذلك يوجب الحكم بان الادراك العقلي اشرف الخامس القوة الحسية اذا ادركت
المحسوسات القوية فقد ذلك الوقت تعجز عن ادراك الضعيفة بل من اجم الصوت
الشديد فني تلك الحالة لا يمكنه ان يسمع الصوت الضعيف والقوة العقلية
لا يشغلها معقول عن معقول السادس القوة الحسية تضعف بعد ضعف الاربعين
وتضعف عن كثرة الافكار التي هي موجبة لاستيلاء النفس على البدن الذي هو موجب
لخراب البدن والقوة العقلية بعد الاربعين وتقوى عند كثرة الافكار
الموجب لخراب البدن فذلك يدل على استغنا القوة العقلية عن هذه الدلالات
واحتياج القوة الحسية اليها السابع القوة الباصرة لا تدرك مع قرب القريب
ولا مع بعد البعيد والقوة العقلية لا يختلف حالها بحسب القرب والبعد فانها
ترقى فوق العرش وتنزل الى ما تحت الثرى بل انا ندرك ذات
الله وصفاته مع كونه مترها عن القرب والبعد والجهة وكانت العقلية اشرف
الثامن القوة الحسية لا تدرك من الاشيا الا ظواهرها فاذا ادركت الانسان
فهي في الحقيقة ما ادركت الانسان لانها ما ادركت الا السطح الظاهر من جسمه
والالوان القايمة بذلك السطح وبالاتفاق ليس الانسان عبارة عن مجرد السطح
واللون فالقوة الباصرة عاجزة عن النفوذ في الباطن اما القوة العاقلة فانها
باطن الاشيا وظاهرها بالنسبة اليها على السوا فتنزل البواطن والظواهر
ويصير فيها وفي احرازها فكانت القوة العاقلة نورا بالنسبة الى البواطن
والظواهر اما القوة الباصرة فهي بالنسبة الى الظواهر نور وبالنسبة الى البواطن

ظلمة فكانت القوة العاقلة اشرف من القوة الباصرة التاسع ادراك القوة
العاقلة هو الله سبحانه وجميع افعاله وادراك القوة الباصرة هو الالوان والاشكال
فوجب ان يكون نسبة شرف القوة الباصرة لنسبة شرف ذات الباري شرف
الالوان والاشكال العاشر القوة العاقلة تدرك جميع الموجودات والمعدومات
والماهيات التي هي معروضات الموجودات ولذلك فانها تحيط بجميع الامور من
بعض الوجوه واما القوة الباصرة فانها لا تدرك الا الاضوا والالوان وما من جنس
عوارض الاجسام والاجسام اخس من الجواهر الروحانية وكل متعلق القوة الباصرة
اخس الموجودات واما متعلق القوة العاقلة فهو جميع الموجودات والمعدومات
فكانت القوة العاقلة اشرف الحادي عشر القوة العاقلة تقوى على ادراك الكثير
والكثير الواحد والقوة الباصرة لا تقوى على ذلك اما ان القوة العاقلة
تقوى على توحيد الكثير فذلك لانها تنظم الجنس الى الفصل فيحدث منهما طبيعة
نوعية واحدة واما انها تقوى على تكثير الواحد لانها تاخذ الانسان وهو
ماهية واحدة فتقسمها الى مفهوماتها والى عوارضها اللازمة وعوارضها العارضة
بقسم مقسوما ثانية الى الجنس والفصل وفصل الفصل وجنس الفصل وفصل الجنس
والى سائر الاجزاء المفهومة التي لا تعد من الاحصاء ولا من الحصول الثاني عشر ان تعمد
التقسيم الى كل واحد من هذه الاقسام حتى ينتهي من تلك المركبات الى البسايط
الحقيقية ثم تعتبر في العوارض اللازمة ان تلك العوارض بغرفة او مركبة
ولازمة بوسايط وبغير وسايط والقوة العاقلة كما انها تعدت في اعماق الماهيات
وتطلعت فيها وميزت كل واحد من اجزايها عن غيرها وابرزت كل واحد منها
في المكان اللايق بها واما القوة الباصرة فلا تطلع على هوايا الماهيات
بل لا يرى الا امرا واحدا ولا تدري ما هو ولا كيف هو وظهر ان القوة العاقلة اشرف
الثاني عشر القوة العاقلة تقوى على ادراك الكائن غير متناهية والقوة الحاسة
لا تقوى على ذلك ويبان الاول وجوه القوة العاقلة يمكنها ان تتوسل
بالمعارف الحاضرة الى التفتاح المجهولات ثم انها تجعل تلك النتايج موردا
في نتايج اخر لا الى نهاية وقد عرفت ان القوة الحساسة لا تقوى على
الاستنتاج الثاني ان القوة العاقلة تقوى على تعقل مراتب الاعداد
والى غير نهاية الثالث ان القوة العاقلة يمكنها ان تعقل نفسها وان تعقل
انها عقلت وكذا القول الى غير النهاية الرابع التسلسل والاضافات بين ماهية
وبين معقولة لا محسوسة والظاهر ان القوة العاقلة اشرف الثالث عشر
الانسان بقوته العاقلة يشارك الله سبحانه في ادراك الحقايق وتقوية الحاسة
يشارك البهايم والنسبة المعتبرة فكانت القوة العاقلة اشرف الرابع عشر
القوة العاقلة غنية في ادراكها العقلي عن وجود المعقول في الخارج والقوة
الحساسة محتاجة الى ادراك الحس الى وجود المحسوس في الخارج والغني اشرف

من المحتاج الخامس عشر هذه الموجودات الخارجية ممكنة لذواتها محتاجة الى
الفاعل والفاعل لا يمكنه الايجاد على سبيل الاتفاق الا بعد تقدم العلم فاذا وجود
هذه الاشيا في الخارج تابع للادراك العقلي واما الاحساس بها فلا شك انه تابع
لوجودنا في الخارج واذن القوة الحساسة تبع لتبع القوة العاقلة السادس
عشر القوة العاقلة غير محتاجة في العقل الى الات بدليل ان الانسان
لو اختلت حواسه الخمس فانه يعقل ان الواحد نصف الاثنين وان الاشيا المساوية
لشي واحد متساوية واما القوة الحساسة فانها محتاجة الى الات كثيرة والغنى
والغنى افضل من المحتاج السابع عشر الادراك البصري لا يحصل الا الشي الذي
في الجهات ثم انه غير منصرف في كل الجهات بل لا يتناول الا المقابل له او ما هو
في حكم المقابل واحترزنا بقولنا حكم المقابل عن امور اربعة الاول العرض فانه ليس
بمقابل لاجل كونه قايما بالجسم الذي هو مقابل الثاني روية الوجه في المراة فان
الشعاع يخرج من العين الى المراة ثم يرتد منها الى الوجه فيصير الوجه هو من هذا
الاعتبار كالمقابل لنفسه الثالث روية الانسان قفاه اذا حصل احدى المراتين
محاذية لوجهه والاخرى لقفاه والرابع روية ما لا يرى مقابل بسبب انعطاف
الشعاع في الرطوبات كما هو مشروح في كتب المناظرة واما القوة العاقلة فانها
مراة عن الجهات فانها تعقل الجهة وليست في الجهة وكذلك تعقل ان الشي اما ان
يكون في الجهة واما ان لا يكون في الجهة واما ان لا يكون وهذا الترديد
لا يصح الا بعد تعقل معنى قولنا ليس في الجهة الثامن عشر القوة الباصرة فانها
تدرك تعجز عن الحجاب واما القوة العاقلة كالامير والحساسة كالخدم والامير
اشرف من الخدم العشرون القوة الباصرة فانها تدرك المتحرك ساكنا وبالعكس
وبالعكس كالجالس في السفينة فانه قد يدرك السفينة المتحركة ساكنة والشط
الساكن متحركا ولولا العقل لما تميز خطا البصر عن صوابه فالعقل حاكم والحس محكوم
فثبت بما ذكرنا ان الادراك العقلي اشرف من الادراك البصري وكل من الادراك
يقتضي قسمين احدهما واجب الحصول عند سلامة الاحوال وهي التعقلات النظرية
والثاني ما يكون مكتسبا وهي التعقلات النظرية اما النظرية ليست هي من لوازم
جوهر جواهر الانسان لانه حال الطفولية لم يكن عالما البتة فهذه الانوار النظرية
حصلت بعد ان لم يكن فلا بد من سبب واما النظريات فمعلوم ان الانسان فطرته
الانسانية قد يعرفها الدمع في الاكثر واذا كان كذلك فلا بد من هاد مرشد
فوق كلام الله تعالى وفوق كلام الانبيا فيكون منزلة ايات القران عند العقل
منزلة نور الشمس عند العين الباصرة اذ به يتم الابصار فيما يجري ان يسمى القران
نورا كما يسمى نور الشمس فنور القران يشبه نور الشمس ونور العقل يشبه نور العين
وبهذا يظهر معنى قوله تعالى امنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا قوله تعالى
قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا واذا ثبت ان بيان الرسول اقوى من

من نور الشمس وجب ان تكون نفسه القدسية الاعظم في النورانية من الشمس
وكما ان الشمس في عالم الاجسام يفيد النور عن غيره ولا يستفيد من غيره
فكذا نفس الشي يفيد النور العقلي لسائر الانفس البشرية ولا يستفيد النور
العقلي من شي من الانفس البشرية فكذلك وصف الله تعالى الشمس بانها سراج
حيث قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ووصف محمدا بانه سراج منير اذا
ثبت هذا فنقول ثبت بالشواهد العقلية والنقلية ان الانوار الحاصلة في
ارواح الملايكة عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى ينزل الملايكة بالروح
من امره على من يشا من عباده وقال نزل به الروح الامين وقال نزله جبريل على
قلبك وقال علمه شديد القوى وقال ان هو الا وحي يوحى لا يكون الا بواسطة الملايكة
واذا جعلنا ارواح الانبيا استنارت من الشمس اعظم استنارة من الشمس فارواح الملايكة
التي هي كالمعادن لانوار قبول الانبيا لا بد وان تكون اعظم من انوار ارواح الانبيا
لان السبب لا بد وان يكون اقوى من المسبب ثم نقول ايضا ثبت ايضا بالشواهد
العقلية والنقلية ان الارواح السماوية مختلفة فبعضها مستفيدة وبعضها
مفيدة قال الله تعالى في وصف جبريل عليه الصلاة والسلام مطاع ثم امين
واذا كان هو مطاع في الملايكة فالمطيعون له لا بد وان يكونوا تحت امره وقال
وما منا الا له مقام معلوم واذا ثبت هذا فالاولى بان يكون نورا من المستفيد
للعلة المذكورة ولمراتب الانوار في عالم الارواح مثال هو ان صور الشمس وصل
الى القمر ثم دخل في كوة بيت وقف على مراة منصوبة على حايط ثم انعكس منها
الى حايط اخر نصبت عليه مراة اخرى ثم انعكس منها الى طست مملو من الما فوضع
على الارض ثم انعكس منه الى سقف البيت فالنور الاعظم في الشمس التي هي المعدن
ثابت في القمر وثالثا ما وصل الى المراة الاولى ورابعا ما وصل الى المراة الثانية
وخامسا ما وصل الى الما وسادسا ما وصل الى السقف وكل ما كان اقرب الى
المنبع الاول فانه اقوى مما هو ابعد منه فكذا الانوار السماوية لما كانت مرايا
لا جرم كان نور المفيد اشد اشراقا من نور المستفيد ثم تلك الانوار لا تزال
تكون مشرقة حتى تنتهي الى النور الاعظم والروح الذي هو منزلة عند الله هو
المراد من قوله يوم يقوم الروح والملايكة صفا ثم نقول لا شك ان هذه الانوار
الحسية سفلية كانت كانوار النيران وعلوية كانوار الشمس والقمر والكواكب وكذا
الانوار العقلية كانت والارواح السفلية التي للانبيا والاوليا او علوية كالارواح
التي هي للملايكة عليهم الصلاة والسلام فانها باسرها ممكنة لذواتها والممكن
لذاته يستحق العدم لذاته من ذاته والوجود من غيره والعدم وهو الظلمة
الحاصلة والوجود هو النور فكل ما سوى الله مظلم لذاته مستنير بانارة الله
تعالى وكذا جميع معارفها بعد وجودها هو حاصل من وجود الله سبحانه وتعالى فالحق
سبحانه هو الذي اظهرها بالوجود بعد ان كانت في ظلمات الجهالة فلا ظهور لشي من

الاشيا الا باظهاره وخاصة النور اعطا الاظهار والتجلي والانكشاف وعند هذا يظهر
ان النور المطلق هو الله سبحانه وتعالى وان اطلاق النور على غيره مجاز اذ كل
ما سواه فانه من حيث هو هو ظلمة محضة لانه من حيث انه عدم محض بل الانوار اذا
نظر اليها من حيث هي هي فهي ظلمات ولانها من حيث هي هي ممكنات والممكن من
حيث هو هو معدوم والمعدوم مظلم النور والنور اذا نظر اليه من حيث هو هو ظلمة اما
اذا القت اليك حيث ان الحق سبحانه افاض عليها نور الوجود بهذا الاعتبار صارت
انوارا فثبت انه سبحانه هو النور وان كان كل ما سواه فليس بنور الا على سبيل المجاز
ثم انه رحمه الله سبحانه وتعالى تكلم بعدها في امرين السوال الاول انه سبحانه لم
اضاف النور الى السموات والارض واجاب وقال قد عرفت ان السموات والارض
مشحونة بالانوار العقلية والحسية اما الحسية فما يشاهد في السموات من الكواكب
والشمس والقمر وما يشاهد في الارض من الاشعة المنبسطة على سطوح الاجسام فلمهرت
به الالوان المختلفة ولولاها لم يكن للالوان ظهور بل وجود اما الانوار العقلية
فالعالم الاعلى مشحون بها وهي جواهر الملايكة والعالم الاسفل مشحون بها وهي
القوة النباتية والحيوانية والانسانية وبالنور الانساني السفلي ظهر نظام العالم
السفلي كما بالنور الملكي ظهر نظام العالم العلوي وهو المعنى بقولنا سنخلفكم في الارض
قال ويجعلكم خلفا الارض فاذا عرفت هذا عرفت ان العالم باسره مشحون بالانوار
الظاهرة والباطنة البصرية والعقلية ثم عرفت ان السفلية فايضة بعضها من
بعض فيضان النور من السراج فان السراج هو الروح النبوي ثم ان الانوار النبوية
القدسية مقتبسة من الانوار العلوية اقتباس السراج من النور وان العلويات
مقتبسة بعضها من بعض وان بينها ترتيبا في المقامات ثم ترتقي جملتها الى نور الانوار
ومعدنها وسنبعها الاول فان ذلك هو الله سبحانه وحده لا شريك له فاذن الكل نوره
فلهذا قال الله نور السموات والارض الثاني فاذا كان الله سبحانه هو النور فلم
احتج في اثباته الى البرهان اجاب فقال ان معنى كونه نور السموات والارض تعرفه
بالنسبة الى النور الظاهري فاذا رايت خضرة الربيع في ضيا النهار فلا شك انك
ترى الاكوان فربما ظننت انك لا ترى الالوان مع الاكوان غيرها فانك تقول لست
ارى مع الخضرة غير الخضرة الا انك عند غروب الشمس تدرك بمعرفة ضرورية بين
اللون حال عن وقوع الضو عليه وحال عدم وقوعه عليه فلا جرم ثبت ان النور معنى
غير الالوان تدرك مع الالوان الا انه كان لشدة اتحاده لا يدرك ولشدة ظهوره
يخفى فقد يكون الظهور سبب الخفا اذا عرفت هذا فاعلم انه كما ظهر كل شي للبصر بالنور
الظاهر فقد يظهر كل شي للبصيرة الباطنة بالله ونوره حاصل مع كل شي لا يفارقه
ولكن بقي هاهنا تفاوت وهو ان النور الظاهر يتصور ان ظهر بغروب الشمس وتحجب
فحينئذ يظهر انه غير اللون اما النور الالهي الذي نور ظهر كل شي لا متصور غيبته
لا بهذه السموات والارض ولا دور عنده من التفرقة ما يحصل العلم الضروري ولكنه

لما تساوت الاشيا كلها على نمط واحد في الشهادة على وجود خالقها اذ كل شي
يسبح بحمده لا بعض الاشيا وفي جميع الاوقات لا في بعض الاوقات ارتفعت
التفرقة وخفي الطريق اذ الطريق الظاهر معرفة الاشيا بالاضداد كما لا ضد له
ولا يعتريه متشابه احوال فلا يبعد ان يخفى ويكون خفاؤه لشدة جلايه فسبحان
من اختفى على الخلق لشدة ظهوره واحتجب باشراق نوره واعلم ان هذا الكلام الذي
رويناه عن الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى كلام مستطاب ولكن يرجع حاصله
الى نقد التحقيق الى ان معنى كونه سبحانه نورا انه خالق للقوى الدراكة وهو
المعنى من قولنا معنى كونه نور السموات والارض لا تفاوت بين ما قاله وبين
الذي نقلناه عن المفسرين في المعنى والله اعلم الفصل الثاني في تفسير قوله
عليه الصلاة والسلام ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفت لاحرقت
سبحات وجهه ما ادرك بصره من خلقه وفي بعض الروايات سبع ماية وفي بعضها
سبعون الفا فقال لما ثبت ان الله سبحانه يتجلى في ذاته لذاته كان الحجاب
بالاضافة الى المحجوب والمحجوب لا بد وان يكون محجوبا اما الحجاب مركب من نور
وظلمة وان الحجاب من نور فقط اما المحجوبات بالظلمة فهم الذين بلغوا بالاشتغال
بالعلايق البدنية الى حيث لم يلتفت خاطرهم الى انه هل يمكن الاستدلال
بوجود هذه المحسوسات على وجود واجب الوجود ام لا وذلك لانك قد
عرفت ان ما سوى الله فهو من حيث هو هو مظلم وانما كان مستنيرا من حيث
استنار النور من حضرة الله فمن اشتغل بالجسمانيات من حيث هي هي وصل
ذلك الاشتغال حايلا له عن الالتفات الى جانب النور كان حجابه محض
الظلمة ولما كان انواع الاشتغال بالعلايق البدنية خارجة عن الحد والحصر
فكذا انواع الحجب الظلمانية خارجة عن الحد والحصر القسم الثاني المحجوبون
بالحجب الممزوجة من النور والظلمة واعلم ان من نظر الى هذه المحسوسات
فاما ان يعتقد فيها انها غنية عن المؤثر او يعتقد انها محتاجة فان اعتقد
انها غنية فهذا حجاب ممزوج من نور وظلمة اما النور فلانه تصور ماهية الاستغنا
عن الغير وذلك من صفات جلال الله وهو من صفات النور واما الظلمة فلانه اعتقد
حصول ذلك الوصف في هذه الاجسام مع ان هذا الوصف لا يليق بهذا الموصوف
وهذا ظلمة فثبت ان هذا حجاب ممزوج من نور وظلمة ثم اصناف هذا القسم
كثيرة بان في الناس من يعتقد ان الممكن غني عن المؤثر منهم من يسلم ذلك لكنه
يقول المؤثر فيها طبايعها او حركاتها او اجتماعها او افتراقها او ينسبها الى
حركات الافلاك او الى محركاتها وكل هولا من هذا القسم القسم الثالث الحجب
النورية المحضة وانه لا سبيل الى معرفة الحق سبحانه الا بواسطة الصفات
الثابتة والاضافة ولا نهاية لهذه الصفات ولا لمراتبها فالعبد لا يزال يكون
مترقيا فيها فان وصل الى درجة وبقي فيها كان استقراره في مشاهدة تلك الدرجة

حجابا له الى التزقي الى ما فوقها ولما كان ما لا نهاية لعدد الدرجات كان العبد ابدا في السير ولا انتقال واما حقيقة المخصوصة فهي محجبة عن الكل فقد اشرنا الى كيفية مراتب الحجب الفصل الثالث في كيفية التمثيل اعلم انه لا بد في التشبيه من امرين المشبه والمشبه به واختلف الناس في انها هنا المشبه ليس مرة ذكروا وجوها احدها وهو قول جمهور المتكلمين ونصر القاضي ان المراد الهدى التي هي الايات والبينات والمعنى ان هداية الله في الظهور والجلاء الى اقصى الغايات في ذلك بمنزلة المشكاة يكون فيها زجاجة صافية ذي الزجاجة مصباح فيقدر بزيت بلغ النهاية في الصفا ان قيل لم شبهه بذلك وقد علمنا ان ضوء الشمس ابلغ من ذلك بكثير قلنا انه سبحانه اراد ان يصف الضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات وهذا المقصود لا يحصل من ضوء الشمس لان ضوءها اذا ظهر ملا العالم من النور الخالص واذا غاب ملا العالم من الظلمة فلا جرم كان ذلك المثال هاهنا اليق واوفق واعلم ان الامور التي اعتبرها الله في هذا المثال مما يوجب كمال الضوء وذلك المصباح اذا لم يكن في المشكاة تفرقت اشعته اما اذا وضع في المشكاة اجتمعت اشعته فكانت اكثر انارة والذي يحقق ذلك ان المصباح اذا كان في بيت صغير فانه يظهر من ضوءه اكثر مما يظهر في البيت الكبير وثانيها ان المصباح اذا كان في زجاجة صافية فان الاشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاجة الى البعض كما ان في الزجاجة من الصفاء والشفافة وبسبب ذلك تزداد الضوء والنور الذي يحقق ذلك ان شعاع الشمس اذا وقع على الزجاجة الصافية تضاعف الضوء الظاهر حتى انه يظهر فيما يقابله ذلك الضوء فاذا انعكست تلك الاشعة من كل واحد من جوانب الزجاجة الى الجانب الاخر كثرت الانوار والاضواء وبلغت النهاية الممكنة وثالثها ان ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتقد به واذا كان ذلك الدهن صافيا خالصا كانت حالته بخلاف حاله اذا كان كدرا وليس في الادهان التي توقد ما يظهر فيه من الصفا مثل الذي يظهر في الزيت فربما بلغ في الصفاء والرقة مبلغ الماء زيادة بياض فيه وشعاع يتردد في اجزائها ورابعها ان هذا الزيت يختلف بحسب اختلاف سطوحه فاذا كانت لا شرقية ولا غربية يعني انها كانت بازاء الشمس في كل حال لانه يكون زيتونة اشد نضجا وكان زيته اكثر صفاء واقرب الى ان يتميز صفوه من كدره لان زيادة الشمس تؤثر في ذلك واذا اجتمعت هذه الامور الاربعة وتعاونت صار ذلك الضوء خالصا كاملا فيحتمل ان يجعل مثلا لهداية الله وثانيها ان المراد هو الرسول لانه المرشد ولانه قال في دينه وسراجا منيرا وهذان القولان داخلان في القول الاول لان من جملة انواع الهداية انزال الكتب وبعثة الرسل قال الله في صفة الكتب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقال في صفة الرسل رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون

للناس على الله حجة بعد الرسل ورابعها ان المراد منه ما في قلب المؤمن من معرفة الله ومعرفة الشرائع ويدل عليه ان الله تعالى وصف الايمان بانه نور من ربه وقال تعالى يخرجهم الناصر من الظلمات الى النور وحاصله ان حمل الهدى على الهدى والدعوة من التمثيل ان ايمان المؤمنين قد بلغ في الصفاء عن الشوائب والاستنارة عن ظلمات الضلالات حيث بلغ السراج المذكور وهو قول ابي بن كعب وابن عباس قال ابي مثل نور المؤمنين وهكذا كان يقرأ وقيل انه كان يقرأ مثل نور من امن به وقال ابن عباس مثل نوره في قلب المؤمن وخامسها ما ذكره الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى ومعرفة بيانها القوى المدركة الانسانية فحسن احدها القوة والحاسة هي التي تتلقى ما تورده الحواس الخمس وكلها اصل الروح الحيواني واوله اذ به يصير الحيوان حيوانا وهو موجود وثانيها القوة الخيالية وهي التي تستثبت ما اورده الحواس وتحفظه خيفة وما عدا لعرضة على القوة العقلية التي فوقه عند الحاجة اليها وثالثها القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية ورابعها القوة الفكرية وهي التي تأخذ المعارف العقلية فتوليها ايضا تستنبط من تاليفها علم المجهول وخامسها القدسية التي يختص بها الانبياء وبعض الاولياء ويتجلى فيها لوامع الغيب واسرار الملكوت وهي الاشارة بقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا واذا عرفت هذه القوى وفي تعلقها الانوار وبها يظهر المصباح والزجاجة والشجرة والكوكبية اما الروح الحساس فاذا نظرت الى خاصيته وجدت انوارا خارجة من ثقب عدة كالعينين والاذنين والمنخرين فاوفق مثال من عالم الاجسام المشكاة واما الثاني وهو الروح الخيالي فتجد له خواص ثلاثة الاول انه من طبيعة العالم السفلي الكثيف لان المتخيل ذو قدر وشكل وحيز ومن شان الحقائق الجسمانية ان تحجب عن الانوار العقلية المحضة التي هي العقول الكلية المجردة والثاني ان هذا الخيال الكثيف اذا رق وصفي وهذب صار مرآة للمعاني العقلية ومورثا لانوارها وغير خال عن اشراق نورها ذلك لان المعبر بمنزلة المصور والخيالية تحاكي المعاني العقلية كما يستدل بالشمس على الملك وبالقمر على الوزير ومن تحكم فروع الناس وانواعهم ان يودن قبل الصبح الثالث ان الخيال في بداية الامر يحتاج الى ان يعتاد هذا الضبط بهذه المعارف العقلية ولا يضطرب فتنع المعين المثالات الخيالية المعارف العقلية وانت لا تجد شيئا في الاجسام يشبه الخيال في هذه الصفات الثالث الزجاجة فانها في الاصل من جوهر كثيف ولكنها صفيت ورقت حتى صارت كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم

سرجا مبينة اما الدرايع الفقية الفكرية فمن جاصيتها انها تاخذ ماهية واحدة
ثم تقسمها الى قسمين كقولنا الموجود اما واجب او ممكن وجعل كل قسم
من اخرى قسمين وهكذا الى ان تكرر التشعب بالتقسيمات العقلية الى ان
تنتهي بالاخرة الى ثمرات لا نهاية لها فهذه هي ثمرات شجرة طوبى
لما لها حتى نهاية الى ثمرات لا نهاية لها فحري ان يكون مثاله من هذا
العالم الشجرة واذا كانت ثمارها مادة لتزايد انوار المعارف وثباتها
فبالحري ان لا تقبل بشجرة المتعرجل والتفاح بل بشجرة الزيتون حاصلة
لان عمرتها هذا الزيت الذي هو مادة المصباح وله من بين سائر الادهان
خاصية بزيادة الاشراق الى اقصى الدرجات واذا كانت الماسة التي يكثر
درها ونسلها والشجرة التي يكثر ثمرها مباركة فالذي لا ينتهي الى حد
محدود اولى ان تسمى شجرة مباركة واذا كانت شعب الاركان العقلية
المحضة مجردة عن لواحق الاجسام فبالحري ان لا يثبت شرقية ولا غربية
واما الخامس وهو القوة الحدسية النبوية فهي في نهاية الشرف والصفاء لان
القوة الفكرية تنقسم الى ما تحتاج اليه ولا بد من وجود هذا القسم قطعا في
التسلسل عما انجر فيان يعتبر من هذا القسم لكماله وصفايه وشدة استعداده
بانه كاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار فهذه المثال موافق لهذا القسم ولما
كانت هذه الامور منبئة بعضها على بعض بالحري الذي هو الاول وهو كالمقدمة
للخيال والخيال كالمقدمة للعقل ومابرى ان يكون المشكاة كالظرف لكنى
حاجة التي هي كالظرف للمصباح ومشارقها ما ذكره الامام ابو علي بن سينا
فانه ترك هذه الامثلة الخمسة التي هي على مراتب ادراكات النفس الانسانية
قابلة للمعارف الكلية وما يجري مجراها والادراكات المجردة ثم انها في اول
الامر تكون خالية عن هذه المعارف فتكون هناك تسمى عقلا هيولانيا
وهي المشكاة وفي المرتبة الثانية يحصل فيها العلوم البديهية التي
يمكن التوصل بتركيبها الى اكتساب العلوم النظرية ثم ان ملكة الانتقال
كانت ضعيفة وهي الشجرة وان كانت قوية نهي الزيت وان كانت شديدة
القوة حد ذاتها الزجاجة التي تكون كالكوكب الدري وان كانت في النهاية
القصوى فهي النفس القدسية التي لكمالها وصفائها التي يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور وفي المرتبة الثانية يكتسب من المعلوم الضرورية
العلوم النظرية الا انها تكون حاضرة بالفعل ولكنها تكون بحيث متى شاء
صاحبها استحضارها قدر عليه وهذا يسمى المصباح عقلا وفي المرتبة الرابعة
ان تكون تلك المعارف الضرورية والنظرية حاضرة بالفعل ويكون صاحبها
كانه ينظر اليها وهذا يسمى عقلا مستفادا وهو نور على نور ان الملايكة وحصول
ما عليه الملايكة نور اخر ثم زعم ان هذه العلوم التي تحصل في الارواح البشرية

انما تحصل من جوهر روحاني يسمى بالعقل وهو مدبر ماخوذ كرم وهو النار وسائر ما
قول بعض الصوفية انه سبحانه وتعالى شبه الصدر بالمشكاة والقلب بالزجاجة
والمعرفة بالمصباح وهذا المصباح انما يوقد من شجرة مباركة وهي الهامات
الملايكة عليهم الصلاة والسلام بقوله تعالى تنزل الملايكة والروح فيها وقوله
نزل به الروح الامين على قلبك وانما نسبة الملايكة بالشجرة المباركة لكثرة
منافعهم وانما وصفهم بانهم لا شرقية ولا غربية وانما وصفهم بقوله يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار لكثرة علومها وشدة اطلاعها على اسرار ملكوت الله
وظهر هاهنا ان المشبه غير المشبه به وثانيها قال مثل نوره اي مثل
الايمان في القلب بقلب محمد كمشكاة فيها مصباح فنظير المشكاة صلب عبد
الله والزجاجة نظير اسماعيل عليه الصلاة والسلام والمصباح نظير جد
محمد عليه الصلاة والسلام والشجرة المباركة النبوة والرسالة وعاشرها ان مثل قوله
الى المومن يرجع وهو قول ابي بن كعب وكان يقراوها مثل نور المومنين وهو قول
سعيد بن جبير والضحاك واعلم ان القول الاول هو المختار لان الله تعالى
ذكر قبل هذه الاية ولقد انزلنا اليكم ايات بينات فاذا كان المراد بقوله
مثل نوره اي مثل هداه وبيانه كان ذلك مطابقا لما قبله ولانا لما فسرنا
قوله الله نور السموات بانه هادي اهل السموات فاذا فسرنا قوله مثل نوره اي
مثل هداه كان مطابقا لما قبله الفصل الرابع في بقية المباحث في هذه الاية
المسئلة الاولى المشكاة الكوة في الجدار غير النافذة هذا القول المشهور
وذكر وافيه وجوها احدها قال ابن عباس وابو موسى الاشعري المشكاة
وهو قول المجاهد والوطبي والثاني قول الزجاج هي هاهنا قصبة القنديل من
الزجاجة التي توضع فيها الفتيلة والثالث قال الضحاك هي الحلقة التي
يعلق بها القنديل والاول هو الاصح المسئلة الثانية زعموا ان المشكاة
هي الكوة بلغة الحبشة قال الزجاج والمشكاة من كلام العرب وتسمى الكوة
وهي الرقيق الصغير المسئلة الثالثة قال بعضهم هذه الاية من المقلوب والتقدير
مثل نوره في مشكاة هو ان المشبه به هو ان يكون مقدما للنور ومتصلا له ولكن
هو المصباح لا المشكاة المسئلة الرابعة المصباح السراج واصله من الضوء
وهو الصبح المسئلة الخامسة قرئ زجاجة بضم الزاي والفتح والكسر واما
دري قرئ من غير همز وهو القراءة المعروفة ومعناه انه يشبه الدر لصفايه
ولمعانه وقال عليه الصلاة والسلام انكم ترون اهل الدرجات العلى كما ترون
الكواكب والثاني كذلك الا انه بادر وا الهمز وهو قراءة حمزة وعاصم تيار وا بدة
ابي بكر فصار بعض اهل العربية الى انه كسر قال سيبويه وهذا اضعف اهل
اللغات وهو ماخوذ من الضوء بتلاء وليس منسوب الى الدر قال ابو علي وجه
هذه القراءة انه ثقيل من الدر لمعنى الدفع وانه صفة وانه في الصفة مثل المريق

في الاسم الثالث ضم الدال وتخفيف الرا واليا من غير مد قال الفرا هو فعيل
من الدر وهو الدفع اي كان ضوءه يدفع بعضه بعضا من لمعانه الرابع بكسر
الدال وتشديد الرا من غير همز ولا مد وهو قراة ابن خليد وعتبة بن حماد
عن نافع اما القراة ففيه وجوه اربعة الاول بفتح الدال وتشديد الرا والمد
والهمز عن الاعمش الثاني بفتح الدال وتشديد الرا من غير مد ولا همز عن الحسن
ومجاهد وقتادة الثالث بفتح الدال وتخفيف الرا مهموز من غير مد
ولا يا عن عاصم الرابع كذلك الا انه غير مهموز ويا خفيفة بدل الهمزة اما قوله
توقد فالقراة المعروفة بانفتاح الاربعة وتشديد القاف بوزن تفعل وعن
الحسن ومجاهد وقتادة كذلك الا انهم يضمون الدال ويشددون القاف وذكر
صاحب الكشاف توقد بفتح الدال التا ثم بنقطتين والواو والقاف وشدها
ورفع الدال وحذف التا لاجتماع حرفين زايدين وهو غريب وعن سعيد بن جبير
بيا مضمومة واسكان الواو وفتح القاف مخففة ورفع الدال وعن نافع وحفص
كذلك الا انه بالتا وعن طلحة يوقد بيا مضمومة وواو ساكنة وكسر القاف
وتخفيفها المسئلة السادسة كانها كوكب دري اي نجم مضي ودراري النجوم
عظامها واتفقوا على ان المراد به كوكب من الكواكب المضيئة كالزهرة والمشتري
والثوابت التي في القطب الاول المسئلة السابعة قوله من شجرة مباركة اي من زيت
شجرة مباركة اي كثيرة البركة والنفع وقيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان
وقد كان فيها سبعون نبيا منهم الخليل عليه الصلاة والسلام وقيل المراد
زيتون الشام لانها هي الارض المباركة فلهذا جعل الله هذه الشجرة مباركة
المسئلة الثامنة اختلفوا في معنى وصف الشجرة بانها لا شرقية ولا غربية
على وجوه احدها قال الحسن انها شجرة الزيت من الجنة اذ لو كانت من شجرة
الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية وهذا ضعيف لانه تعالى انما ضرب المثل
بها شاهدة وهم ما شاهدوا شجر الجنة وثانيها ان المراد شجر الزيتون في الشام
وسط الدنيا فلا يوصف شجرها بانها شرقية وغربية وهذا ايضا ضعيف لان
من قال الارض كرة لم يثبت المشرق والمغرب موضعين بل كان مشرق ومغرب
على حدة ولان المثل مضروب لكل من يعرف الزيت وقد يوجد في غير الشام لوجوه
فيها وثالثها انها شجرة تلتف بها الاشجار فلا تصيبها الشمس في شرق ولا غرب
ومنهم من قال هي شجرة يلتف بها ورقها التفافا شديدا ولا تصل اليها الشمس
سوا كانت الشمس شرقية او غربية ما يورق من اوله الى اخره مثل الزيتون والرمان
وهذا ايضا ضعيف لان الغرض صفا الزيت وذلك لا يحصل الا بكمال نضج الزيتون
وذلك انما يحصل في العادة بوصول اثر الشمس اليه لا بعدم وصولها ورابعها قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما المراد الشجر الذي يبرز على جبل عال او صحرا واسعة
فتطلع عليها الشمس حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير

وقتادة واختيار الفرا والزجاج قالا ومعناه لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها
ولكنها شرقية وغربية وهو كما يقال فلان لا مسافرا ولا مقيما اذا كان يسافر يوم
ويقيم وهذا القول هو المختار لان الشجرة متى كانت كذلك كان زيتها في نهاية
الصفا وحينئذ يكون مقصود التمثيل اكمل واتم وخامسها المشكاة صدر محمد
عليه الصلاة والسلام والمصباح ما في قلب محمد من الدين يوقد من شجرة مباركة
يعني واتبع ملة ابراهيم بالشجرة فقال لا شرقية ولا غربية اي لم يكن يصلي قبل
المشرق ولا قبل المغرب كاليهود والنصارى بل كان يصلي عليه الصلاة والسلام
الى الكعبة المسئلة التاسعة وصف الله زيتها بانه كان يضي ولو لم تمسسه
نار لان الزيت اذا كان خالصا صافيا ثم رئي من بعد يرى كان له شعاعا
واذا مسته النار ازداد ضوا على ضو كذلك قلب المومن يعمل ما يهدي قبل ان
ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد نورا على نور وهدى على هدى قال يحيى بن
سلام قلب المومن يعرف الحق قبل ان تبين له الفراسة وهو المراد من قوله عليه الصلاة
والسلام اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله قال كعب الاحبار المراد من الزيت
نور محمد عليه الصلاة والسلام اي وكاد نوره يتبين قبل ان يتكلم وقال الضحاك
يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي وقال عبد الله بن الزبير لو لم تكن فيه ايات
مبينة كانت به هيبة تنبيك بالخبر المسئلة العاشرة قوله نور على نور المراد
ترادف هذه الانوار واجتماعها قال ابي بن كعب المومن من اربع خصال
ان اعطي شكر وان ابتلي صبر وان قال صدق وان حكم عدل فهو في ساير الناس
رجل الحجى يتقلب في خمس من النور كلامه نور وعلمه نور ومدخله نور ومصيره
الى النور يوم القيامة قال الربيع سالت ابا العالية عن مدخله ومخرجه
قال سره وعلانيته المسئلة الحادية عشر قال الجبائي دلت الاية على ان
من جهل فمن قبله اتى والا فالادلة واضحة فلو نظروا فيها فعرفوا قال اصحابنا
هذه الاية صريح مذهبنا فانه سبحانه بعد ان بين هذه الدلايل بلغت في
الظهور والوضوح الى هذا الحد الذي لم يمكن الزيادة عليه قال تعالى يهدي
الله لنوره من يشا يعني وضوح هذه الدلايل لا يكفي ولا ينفع وما يخلق الله
الايمان ولا يمكن ان يكون المراد من قوله يهدي الله ايضاح الادلة الينا لانا لو
حملنا النور على ايضاح الادلة لم يجوز حمل الهدى عليه ايضا والا لخرج الكلام عن
الفايدة فلم يبق الا حمل الهدى على خلق العلم اجاب ابو مسلم عنه من وجهين
الاول ان قوله يهدي الله لنوره محمول على زيادات الهدى الذي هو كالضد للحد لان
الثاني انه سبحانه يهدي لنوره الذي هو طريق الجنة من يشا وشبه بقوله
تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم وزيف القاضي عبد الجبار
هذين الجوابين اما الاول فلان الكلام المتقدم هو في ذكر الايات المنزلة
فاذا حملناه على الهدى دخل الكل فيه واذا حملناه على الزيادة لم يدخل الا

البعض واذا حمل على طريق الجملة لا يكون داخلا فيه اصلا الا من حيث للبعض لا من
حيث اللفظ ولما زيف هذين الجوابين قال الاولى ان يقال انه تعالى هكذا
بذلك البعض دون البعض وهم الذين بلغهم حد التكليف واعلم ان هذا الجواب
اضعف من الجوابين الاولين لان قوله يهدي الله لنورهم من يشاء لهم منه ان
هذه الايات مع وضوحها لا تكفي وهذا لا يشاء ولا يصح ايضا لما قالوا
المسئلة الثانية عشر قوله تعالى ويضرب الله الامثال للناس فالمراد به
المكلفون من الناس وهو النبي ومن بعثه اليه وانه سبحانه ذكر ذلك في معرض
التعديد ما تتنسد له المعتزلة وقالوا انما يكون ذلك نعمة عقلية لو امكنهم
الانتفاع به ولو كان الكل بخلق الله لما تمكنوا من الانتفاع به وجوابه ما تقدم
ثم بين انه سبحانه بكل شيء عليم وذكر الوعيد لمن لا يعتبر ولا يتفكر فيما شار
ولا يتطرق اولية فيعرض وضوحها وبعدها من انتهاك قوله تعالى في بيوت
اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما
تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله
والله يرزق من يشاء بغير حساب اعلم ان في الاية مسائل المسئلة الاولى
قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع يقتضي بحذوفا يكون ظرفا ويذكر وا
فيها محوها احدها ان التقدير كمشكاة فيها مصباح في بيوت اذن الله وهو
اختيار كثير من المحققين اعترض ابو مسلم بن الحجاج عليه من وجهين
احدهما ان المقصود من ذكر المصباح المثل وكون المصباح في بيوت اذن الله
لا يزيد في هذا المقصود لان ذلك لا يزيد المصباح اضاءة ولا انارة الثاني
ان ما تقدم ذكره فيه يقتضي كونه واحدا كقوله كمشكاة وقوله فيها مصباح وقوله
فيها رجاجة وقوله كانها كوكب دري ولفظ البيوت جمع ولا يصح كون الواحد
في كل البيوت الجواب عن الاول ان المصباح الموضوع في الرجاجة الصافية
اذا كان في المساجد كان اعظم واحج وكان اضوء فكان التمثيل بها اتم والمكان فيد خل
تحته كل مشكاة فيها مصباح في رجاجة تتوقد من الزيت ويكون الغاية
في ذلك ان ضوءها يظهر في هذه الستور بالليل جدا لحاجة الى عبادة الله
لقول رجلا قال الذي يصلح لخدمتي رجل يرجع الى علم وكفاية وقناعة يلزم
بيته لكان وان ذكر بلفظ الواحد فالمراد النوع وكذا ذكره الله سبحانه في الاية
وثانيها التقدير يوقد من شجرة مباركة في بيوت اذن الله وثالثها وهو قول ابي مسلم
انه راجع الى قوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها
ويكون المراد بالذين خلوا الانبياء والموصون والبيوت المساجد وقد احل الله اختيار
الانبياء وذكر اماكنهم فسماها محاريب بقوله اذ تسوروا المحراب كلما دخل عليها
زكريا المحراب فنقول ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات وانزلنا اقاصيص من

الظروف الثلاثة اعني له فيها بالغدو وقال الزجاج رجال مرفوع لانه قال
يسبح له فيها فكانه قيل من يسبح قيل يسبح رجال المسئلة السادسة
اختلفوا في هذا التسبيح فالاكثرون حملوه على نفس الصلاة فمنهم من حمله على
الصلوات الخمس ومنهم من حمله على صلاة الصبح والعصر وقال وكانتا واجبتين
في بدو الحال ثم من حيث قال عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وهذا
الوجه اظهر المسئلة السابعة الاصال جمع اصيل والاصل جمع اصيل وهو العشي
وانما وحد الغدو لانه في الاصل مصدر لا يجمع والاصل اسم جمع قال صاحب الكشاف
قرئ بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصل كاعم واظهر قال ابن عباس
ان صلاة الضحى لفي كتاب الله وقرا هذه الاية وروى ابو هريرة عن النبي عليه الصلاة
والسلام قال ما من احد يغدو ويروح الى المسجد يوثره على ما سواه الا له عند الله
نزل يعيد له في الجنة وفي رواية سهل بن سعد مرفوعا من غدا وراح الى المسجد
ليعلم خيرا او يتعلمه كان كمثل المجاهد في سبيل الله رجع غانما المسئلة الثامنة
في قوله لا تلهيهم تجارة فقال بعضهم نفى كونهم تجارا او باعة اصلا وقال بعضهم
بل اثبتهم تجارة وباعة وبين انهم مع ذلك لا يشغلهم شاغل من ضروب منافع
التجارات وهذا قول الاكثرين قال الحسن اما والله ان كانوا ليتجرون ولكن اذا
جاءت فرايض الله لم يلههم عنها شاغل فقاموا بالصلاة والزكاة وعن سالم نظر
الى قوم من اهل السوق فذكر ابتياعاتهم وانبعاثهم الى الصلاة فقال هم الذين
قال لهم تعالى لا تلهيهم تجارة وعن ابن مسعود مثله واعلم ان هذا القول اولى من
الاول لانه لا يقال ان فلانا لا تلهيه التجارة عن كيت وكيت الا وهو تاجر وان احتمل
الوجه الاول وها هنا سوالات السوال الاول لما قال لا تلهيهم تجارة دخل فيه
البيع فلم اعاد ذكر البيع قلنا الجواب عنه من وجوه احدها الاول ان التجارة جنس
تحت الشرا والبيع الا انه سبحانه خص البيع بالذكر لانه في الانها ادخل لان الربح الحاصل
في البيع بين وباحر والربح الحاصل في الشرى شك ومستقبل الثاني يقتضي
تبديل العوض بالنقد والشرى بالعكس والرغبة في تحصيل النقد الحاصل من العكس
الثالث قال الفرا التجارة لاهل الجلب يقال تجر فلان في كذا اذا جلبه من غير
بلده والبيع ما باعه على يده الجواب الثاني لم خص الرجال بالذكر الجواب لان
النسا ليس من اهل الجماعات المسئلة التاسعة اختلفوا في المراد بذكر الله
فقال قوم المراد الثنا على الله والدعوات وقال اخرون المراد الصلوات فان قيل
ما معنى قوله واقام الصلاة قلنا عنه جوابان احدهما قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما المراد باقام الصلاة اقامتها لمواقيتها والثاني يجوز ان يكون قوله
الصلاة تفسيرا لذكر الله فهم يذكرون الله قبل الصلاة وفي الصلاة المسئلة
العاشرة قد ذكرنا في اول سورة البقرة في قوله تعالى ويقيمون الصلاة
ان اقام الصلاة هو القيام بحقها على شروطها والوجه في حرف الها ما قال الزجاج

يقال اقمت الصلاة اقامة وكان الاصل اقواما ولكن قلبت الواو الفا فاجتمعت
الفان فحذفت احديهما لالتقا الساكنين فبقي اقمت الصلاة اقاما فادخلت الها
عوضا عن المحذوف وقامت الاضافة ها هنا في العوض مقام الها المحذوفة قال
وهذا اجماع من النحويين المسئلة الحادية عشر اختلفوا فمنهم من قال هي
الفرايض ومنهم من ادخل فيه النفل ما حكينا في صلاة الضحى عن ابن عباس والاول
اقرب لانه الى التعريف اقرب وكذلك القول في الزكاة لان المراد من الزكاة طاعة
الاخلاص وكذا في قوله وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة وبقوله ما زكى منكم
من احد ابدا وبقوله يطهرهم ويزكيهم وهذا ضعيف لما تقدم ولانه تعالى علق الزكاة
بالايتا وهذا لا يحتمل الا ما يعطى من حقوق المال المسئلة الثانية عشر انه سبحانه بين
ان هولا الرجال وان قدروا في ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك موصوفون بالرجل
والخوف فقال يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وذلك الخوف انما كان
لعلمهم بانهم ما عبدوا له حق عبادته واختلفوا في المراد بتقلب القلوب والابصار
والقول الاول ان القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الابصار كقوله واذ زاغت
الابصار وبلغت القلوب الحناجر الثاني انه يتغير احوالها فتفقهه القلوب بعد ان
كانت مطبوعة عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت لا تبصر وكانهم انقلبوا من
الشك الى اليقين ومن اليقين الى المعاينة كقوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وقوله لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاك الثاني ان القلوب
تتقلب في ذلك اليوم من طمع في النجاة وحذر من الهلاك والابصار تتقلب من ان ناحية
توخذ من ناحية اليمين او من ناحية الشمال او من ناحية يعطون كتابهم من قبل الايمان
او من قبل الشمايل والمعتزلة لا يرضون بهذا التاويل قالوا ان اهل الثواب
لا خوف لهم البتة في ذلك اليوم واهل العقاب لا يرجون العفو لكنا بينا فساد
هذا المذهب غير مرة الرابع ان القلوب تزول عن اماكنها فتبلغ الحناجر والابصار
والابصار تصير زرقا قال الضحاك يحشر الكافر وبصره حديد وزرق عيناه ثم
يعمى ويتقلب القلب في الجوف من حيث لا يجد مخلصا حتى يقع في الحنجرة فهو كقوله
ان القلوب لدى الحناجر كاظمين الحامين قال الجبائي المراد بتقلب القلوب والابصار
تغيرها بسبب ما ينالها من العذاب فتكون مرتهنة بما انضج من النار ومرتهنة بما
احرق وقال ويجوز ان يريد بها تقلبها على جمر جهنم وهو معنى قوله تعالى ونقلب
افئدتهم وابصارهم كما لم يومنوا به اول مرة المسئلة الثالثة عشر قولهم
ليجزيهم الله اي يفعلون هذه التقربات ليجزيهم الله احسن ما عملوا وفيه وجوه
الاول المراد بالاحسن الحسنات اجمع وهي الطاعات فرضها ونفلها قال مقاتل
انما ذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوي اعمالهم بل يغفرها لهم الثاني
انهم يجزيهم جزا احسن ما عملوا على الواحد عشرا الى سبع ماية ضعف قال القاضي
المراد بذلك ان تكون الطاعات منهم مكفرة لمعاصيهم فانما يجزيهم الله تعالى باحسن

الاعمال وهذا مستقيم على مذهبه في الاحباط والموازنة واما قوله ويزيدهم من فضله
فالمعنى انه تعالى يجزيهم باحسن الاعمال ولا يقتصر على قدر استحقاقهم بل يزيدهم من
فضله على ما ذكره تعالى في سائر الايات من التضعيف فان قيل فهذا يدل على ان
لفعل الطاعة اثرا في استحقاق الثواب لانه تعالى ميز الجزاء عن الفضل وانتم
لا تقولون بذلك فان عندكم العبد لا يستحق على ربه شيا قلنا نحن نثبت
الاستحقاق لكن بالوعد فذاك القدر هو المستحق والزايد عليه هو الفضل ثم قال
والله يرزق من يشا بغير حساب يدربه على كمال قدرته وكمال جوده ونفاذ مشيته
وسعة احسانه فكانه سبحانه لما وصفهم بالجد والاجتهاد في الطاعة ومع ذلك
يكونون في نهاية الخوف فالحق سبحانه يعطيهم الثواب العظيم على طاعاتهم ويزيدهم
الفضل الذي لا حد له في مقابلة خوفهم قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب
بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيا ووجد الله عنده فوفاه
حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب
ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
اعلم انه سبحانه لما بين حال المومن انه في الدنيا يكون متمكنا بالعمل الصالح ثم بين انه
في الاخرة يكون فايزا بالنعيم المقيم والثواب العظيم اتبع ذلك بان بين ان
الكافر يكون في الاخرة اشد الخسران وفي الدنيا في اعظم انواع الظلمات وضرب لكل
منهما مثلا اما المثل الدال على خيبته في الاخرة فهو كقوله والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة قال الازهري السراب ما يتراءى للعين وقت الضحى الاكبر في الفلوات
شبيها بالماء الجاري وليس بالماء ولكن الذي ينظر اليه من بعيد يظنه ماء جاريا فيقال
سرب الماء يسرب سروبا اذا جرى فهو سارب واما الاول فهو ما يتراءى للعين في اول
النهار فيرى الناظر الصغير كبيرا وظاهر كلام الخليل ان الال والسراب واحد واما
البقيعة فقال الفراء هو جمع قاع مثل جار وجيرة والقاع المنبسط المستوي
من الارض وقال صاحب الكشاف البقيعة يعني القاع وقال الزجاج الظمان قد
يخفف همزه وهو الشديد العطش ثم وجه التشبيه ان الذي ياتي به الكافر ان كان
من افعال البر فهو لا يستحق عليه ثوابا مع انه يعتقد ان له ثوابا عليه وان كان من افعال
الاثم يستحق عليه عقابا مع انه يعتقد انه يستحق عليه ثوابا فكيف كان هو يعتقد
ان له ثوابا عند الله فاذا وافى عرصة القيامة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب
العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه فيشبه حاله حال الظمان الذي تشتد
حالته الى ما يحسنه وهذا الخيال في غاية الحسن قال مجاهد السراب لم يجد
السراب شيا عمل الكافر واتيانه اياه زخارف الدنيا فان قيل قوله حتى اذا جاءه
يدل على كونه شيا ثم قال لم يجده شيا فنفى ما اثبت وهو متناقض قلنا الجواب
عنه من ثلاثة اوجه احدها انه لم يجده شيا نافعا كما يقال فلان ما عمل
شيا وان كان قد اجتهد وثانيها حتى اذا جاءه وجد موضع السراب لم يجد السراب

شيا فاكتفى بذكر السراب عن ذكر موضعه وثالثها اثبت الكناية لانه ضباب وهبا
واذا قرب منه دق وانتعش وصار كالهوا اما قوله ووجد الله عنده اي عقاب الله
الذي توعد الكافر عند ذلك فغير ما كان فيه من ظن البقيع العظيم الى نفس الضرر
العظيم او وجد زبانية الله تعالى عنده ياخذونه فيقبلوا به الى جهنم فيسقونه
الحميم والغساق وهما الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان
قد تعبد ولبس المسوح والتمس في الجاهلية ثم كفر في الاسلام اما قوله والله سريع
الحساب فذاك لانه سبحانه عالم بجميع المعلومات فلا يشق عليه الحساب وقال
بعض المتكلمين معنى لا يشغله يحاسبه ولو كان لا يتكلم بالة كما يقوله المشبهة لما
صح ذلك واما المثل الثاني فهو قوله او كظلمات وفي لفظة او هاهنا وجوه اعلم ان
الله تعالى احدها اعلم ان الله تعالى قال ان اعمال الكفار وان كانت قبيحة فهي
الظلمات وثانيها تقدير الكلام ان اعمالهم كسراب بقيعة وذلك في الاخرة
واما كظلمات في بحر وذلك في الدنيا وثالثها الاية الاولى في ذكر اعمالهم
وانهم لا يتحصلون منها على شي والاية الثانية في ذكر عقايدهم وانها تشبه
الظلمات كما قال يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الايمان يدل عليه قوله
تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور واما البحر اللجي فهو ذو اللجة التي هي معظم
الماء الغمر البعيد القعر وفي اللجي لغتان كسر اللام وضمها واما تقرير المثل فهو ان البحر
اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب غموره الماء فاذا ترادف عليه الامواج ازدادت
الظلمة فاذا كان فوق الامواج سحاب بلغت الكلمة النهاية القصوى فالواقع
في هذا البحر يكون في نهاية شدة الظلمة ولما كانت العادة في اليد انها اقرب
ما يراها ومن ابعد ما يظن انه لا يراها فقال الله اذا اخرج يده لم يكد يراها وبين
الله تعالى بهذا بلوغ تلك الظلمة الى اقصى النهايات ثم شبه به الكافر في
اعتقاده وهو ضد المومن في قوله تعالى نور على نور وفي قوله تعالى يسعى نورهم
نورهم بين ايديهم وبايمانهم ولهذا قال ابي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم
كلامه وعمله ومدخله ومخرجه ومصيره الى النار وفي كيفية هذا التشبيه وجوه اخر
احدها انه الله تعالى ذكر ثلاثة انواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة
السحاب كذا الكافر له ظلمات ثلاث ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة عن الحس
وثانيها شبهوا قلبه وبصره وسمعه بهذه الظلمات الثلاث عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما وثالثها ان الكافر لا يدري ويعتقد انه يدري فهذه المراتب الثلاث تشبه
تلك الظلمات ورابعها ان هذه الظلمات متراكمة فكذا الكافر لشدة اصراره على كفره
قد تراكمت عليه الظلمات حتى ان اظهر الدلايل اذا ذكر عنده لا يفهمها وخامسها
قلب مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم اما قوله ظلمات بعضها فوق بعض فروي عن
ابن كثير انه قرا سحاب ظلمات كما قال سحاب رحمة وسحاب عذاب على الاضافة وقرا الباقون

سحابه ظلمات كلاهما بالرفع والتنوين تمام الكلام عند قوله سحاب ثم ابتدا ظلمات
بعضها فوق بعض اما قوله لم يكد يراها فقد قولان احدهما ان كان نفيه اثبات
واثباته نفي فقوله وما كاد يفعلون يفني في اللفظ ولكنه اثبات في المعنى لانهم
فعلوا ذلك وقوله عليه الصلاة والسلام كاد الفقر ان يكون كفرا اثبات في
اللفظ ولكنه نفي في المعنى لانه لم يكفر فكذا قوله لم يكد يراها معناه انه راها والثاني
ان كاد معناه المقاربة فقوله لم يكد معناه لم يقارب الوقوع ومعلوم ان الذي لم
يقارب الوقوع لم يرها البتة وهذا القول هو المختار والاول ضعيف لوجهين الاول
ان ما يكون اقل من هذه الظلمات فانه لا يدري فيه شيء فكيف مع هذه الظلمات
الثالث ان المقصود من هذا التمثيل المبالغة في جهالة الكفار وذلك انما يحصل
اذا لم توجد الرؤية البتة من هذه الظلمات اما قوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من
نور فقال اصحابنا انه سبحانه لما وصف هداية المؤمن بانها في نهاية الجلاء والظهور
عقبه بان قال يهدي الله لنوره من يشاء لما وصف ضلالة الكفار بانها في نهاية
الظلم عقبه بقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والمقصود من ذلك ان يعرف
الانسان ان ظهور الدلائل لا تفيد الايمان وظلمة الطريق لا تمنع منه فان الكل
مربوط بخلق الله وهدايته وتكوينه الدنيا بالالطاف فمن لم يرد اي لا يهديه
فيبقى واعتمل ومن لم يجعل الله له نورا اي مخلصا في الاخرة وفورا من اله من نور
والكلام عليه ترتيبا وتقريرا المعلوم قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في
السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما
يفعلون اعلم انه سبحانه وتعالى لما وصف انوار قلوب المومنين وظلمات قلوب
الجاهلين اتبع ذلك بدليل التوحيد فالنوع الاول ما ذكر في هذه الاية والشبهة
في ان المراد ما علم ان التسبيح لا تتناوله الرؤية وان كان ظاهر اللفظ يفيدها فالمراد
التقدير والبيان فدل الله تعالى على ما يلزمه من تعظيمه بان من في السموات يسبح
له وكذلك من في الارض واعلم انه اما ان يكون المراد من التسبيح دلالة هذه الاشياء
على كونه تعالى بريا عن النقايص موصوفا بنعوت الجلال واما ان يكون المراد منه
انها تنطق بالتسبيح وتتكلم به واما ان يكون المراد منه في حق البعض الدلالة على
التنزيه وفي حق الباقي النطق باللسان والقسم الاول اقرب لان القسم الثاني
متعذر لان من في الارض من لا يكون مكلفا لا يسبح بهذا المعنى والمكلفون منهم
من لا يسبح له البتة بهذا المعنى كالكفار واما القسم الثالث وهو ان يقال ان من
السموات كلهم الملايكة يسبحون باللسان واما الذين في الارض فمنهم من يسبح
باللسان ومنهم من يسبح على سبيل الدلالة فهذا يقتضي استعمال اللفظ الواحد في
الحقيقة والمجاز معا وهو غير جايز فلم يبق الا القسم الاول وذلك لان هذه الاشياء
مشتركة في اكثر احوالها وصفاتها الدالة على تنزيه الله سبحانه وتعالى وعلى هيبة
قدرته الهيبة وتوحيده وعدله فسمي ذلك تنزيها على وجه التوسع فان قيل

التسبيح بهذا المعنى حاصل لجميع المخلوقات فما وجه تخصيصه هاهنا بالعقلاء قلنا
لان خلقة العقلاء اشد دلالة على وجود الصانع سبحانه لان العجايب والغرايب
في خلقتهم اكثر وهي العقل والنطق والفهم اما والطير صافات فلقايل ان يقول
ما وجه اتصال هذا بما قبله والجواب انه سبحانه وتعالى لما ذكر ان اهل
السموات يسبحون واهل الارض يسبحون ذكر ان الذين استقروا في الهوا الذي بين
السما والارض وهو الطير يسبحون ايضا وذلك لان اعظم الاجرام الثقيل القوي
التي بها قوي على الوقوف في جو السما صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض
والبسط من اعظم الدلايل على قدرة الصانع المدبر سبحانه وجعل طير انها سجودا
منها له سبحانه وذلك يوكد ما ذكرنا ان المراد من التسبيح دلالة هذه الاحوال
على التنزيه لا النطق اللساني واما قوله قد علم صلاته وتسبيحه ففيه
ثلاثة اوجه الاول لكل قد علم صلاته وتسبيحه قالوا ويدل عليه قوله سبحانه
وتعالى والله عليم بما يفعلون وهذا اختيار جمهور المتكلمين والثاني ان يعود
الضمير في الصلاة والتسبيح على لفظ كل اي انهم يعلمون ما يجب عليهم من الصلاة
والتسبيح والثالث ان تكون الهاء راجعة على ذكر الله يعني قد علم كل مسبح
ومصل صلاة الله التي كلفه اياها وعلى كلا التقديرين والله عليم حسبما ذكر
ويروى عن زيد بن ثابت قال كنت جالسا عند اي جعفر الباقر فقال اتدري
ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قلت لا قال فانها تقول
ربنا ويسبحانه قوت يوما فاستجد المتكلمون ذلك وقالوا الطير لو كانت
عارفة بالله لكانت كالعقلاء الذين يفهمون كلامنا واشارتنا لانها ليست كذلك
فانا نعلم بالضرورة انها اشد نقصانا من الصبي الذي لا يعرف هذه الامور
فان مع ذلك هو اولى واذا ثبت انها لا تعرف الله تعالى لكونها مسبحة
له بالنطق فثبت انها لا تسبح الا بلسان الحال على ما تقدم تقريره قال بعض
العلما انا نشاهد ان الله سبحانه الهم الطيور وساير الحيوانات اعما لا لطيفة يعجز عنها
اكثر العقلا واذا كان كذلك فلم لا يجوز ان يلهمها معرفته ودعاه وتسبيحه
ببيان انه سبحانه الهمها الاعمال اللطيفة وجوه احدها احوالها في كيفية الاصطياد
فتامل يا معتكبوت كيف ياتي بالحيل اللطيفة في الاصطياد للذباب وبقال
الدب يستلقي في حر النور فاذا رام نملة شبه ذراعيه بقرينة ولا يزال ينهس ما بين
ذراعيه حتى يسمه وانه ليرمي بالحجارة ويأخذ العصا ويضرب الانسان حتى يتوهم
انه مات فيتركه فزعا وديشمه ويتحسس نفسه ويصعد الشجر اخف صعود وهو
وهشم الحوريين بكفيه تعرضا بالولد وهذه بالاخرى تعريضا فتنه فيذروا
قشر ويسعد لمرء ويجلي عن الغار فيها من امور عجيبة وتانيها امر النحل وما لها من الرياسة
وبنا البيوت المهندسة التي لا يمكن من بلغها افاضل المهندسين وثالثها انتقال
الكراكي من ظرف من اطراف العالم الى اطراف الاخر طلبا لما يوافقها من الاهوية ويقال من

خواص التخيل الى كل واحد منها يعرف صوت الفرس الذي قابله وقتاما والكلاب تصاد
بالعسه المعروفة لصاد النهار اذا استقى وشرب من الدو المعروف عانق العهد عمد الى
ذيل الانسان فاكله والتماسيح تفتح افواهها الطير يلتقط عليها كالعتق ويتلطف
ما بين اسنانها وعلى راس تلك الطير كالشوك فاذا تم التمام بالتقام ذلك
الطير تادى من ذلك الشوك ففتح فاه فخرج الطاير والسلحفاة تتناول بعد اكل
لحية نعم لعلما ثم يعود دعوى ذلك وعلى بعض الثقات المحبين للصيد
انه شاهد الجباري يقاتل الافعى وينهزم عنه الى بقله تتناول منها ثم يعود ليقاتل
ذلك دابه وكان ذلك الشيخ قاعدا في كوخ قاعد قبل البقلة وكانت البقلة قريبة
من مسكنه فلما استغل الجباري بالافعى قلع البقلة فعادت الجباري الى صيدها
فتفقدته واخذت تدور حول منبتها دورا فاما ساعه حتى حوت منه فعلم
الشيخ انه كان ياكله من اللسعة وتلك البقلة كانت هي الوري واما ابن عرس
مستعمل في قتال الحية في اكل الذاب فان النملة الذايبة مما تنفر عنها الافعى
والكلاب اذا ادودن بطونها اكلت سبل القمح واذا اللقالق تبعها بعضاد وان
لجراحة بالصعر الجبلي ورايتها القناذ تخس بالسمار والجنوب قتل الهبوب
فقد لله دخل الجحر هاربا وكان بالقسطنطينية رجل قداري يسبه سمر بالرياح
قبل هبوبها ويتبع الناس باثاره وكان السبب فيه تتقد في حاره يفعل الصنع
المذكور فيشتد لهبه ويخطاف ماء جدا في اتخاذ العشر من الطين وقع الحس
فان اعوزه الطين ابتل وتمرغ في التراب ليحمل حباحاه قدرا من الطين فاذا فرخ
بالغ في تعاهد الفرخ وياخذ زرقها بمنقاره ويربيها على العش واذا دنا الصايد
من مكان العش ظهرت القبه وقربت منه مطمعة له لسبها تريد ذهب الى جانب اخر
سوي جانب فراخها وتارة تحتسب قبل ما يقع عليها الارض بل على الشجر بقرب الموضع
الذي يعلم ان فيه دودا والفراش يصعد لها فجوجد اعند الطير ان فان احدث
عن اجنحتها خفقا مسموعا يلزم منه بعضها بعضا فاذا اقامت قامت على
فرد جدا قد اصطبغ الروس الاهالة فانه يتام مكسوف الراس سرع انتباهه
فاذا سمع رساصاح وحال النمل في الذهاب الى حوالته على خط مستقيم تحفظ بعضها
بعضا امر عجيب واعلم ان الاستقصا في هذا الكتاب مذكور في كتاب طبايع
الحيوان والمقصود ان الاكياس من العقلاء يحذرون عن امثال هذه التخييل فاذا
جاز ذلك فلم لا يجوز ان يقال انها سلمة من عند الله سبحانه يعرفنه والشا
عليه وان كانت غير عارفة بسايرالامور التي يعرفها الناس ولله در الشهاب
السهاوي حيث قال اجل جناب الجلال ان يوزن بميزان الاعتزال قوله سبحانه وتعالى
ولله ملك السموات والارض والى الله المصير مفهوم ومجازته تنبيه دلالة على تمام
علم الله تعالى والمعاد قوله ولله ملك السموات والارض تنبيه على ان الكل منه لان
كل ما سواه ممكن ومحدث والممكن والمحدث لا يوجد الا عند الانتهاء الى القدم الواجب

دخل في هذه القضية جميع الاجرام والاعراض وافعال العباد واقوالها وعقايدهم
واما قوله تعالى والى الله المصير فهو عبارة نافعة في معرفة المعاد وسوانه
لابد من مصير الكل اليه وله وجه اخر وهو ان الوجود ابتدا من الاشرف الى الاشرف
نازلا الى الاخس فالاخس ثم ياخذ من الاخس الى الاخس مترقيا الى الاشرف
فالاشرف فاما ان يكون جسما ثم يصير موصوفا بالنباتية ثم الحيوانية ثم
ثم الانسانية ثم الملكية ثم ينتهي الى واجب الوجود لذاته فالاعتبار الاول
هو قوله ولله ملك السموات والارض والثاني هو قوله والى الله المصير
قوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يولف بينه ثم يجعله ركاما فترى
الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه
عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة
لاولي الابصار اعلم ان هذا النوع الثاني من الدلايل دقيق سايل المسئلة
الاولى قوله الم تر يعني الم تر بعين عقلك والمراد التدبر والارتجا السوق
قليلا قليلا ومنه البضاعة المزجاة الى يزجيها كل واحد وان جا الكسر
من الابل الرفها حتى يسير شيئا فشيا ثم يولف بينه قال الفراء يجعل بين اثنين
مضافا الى اثنين فما زاد على ما قال بينه لان السحاب واحد في اللفظ ومعناه
الجمع والواحد سحابة قال الله تعالى وينشئ السحاب الثقال والمعنى هي
الذي يجمع بين قطع السحاب فيجعلها سحابا واحدا ثم يجعله ركاما اي
مجتمعا والركم تراكب شيا فوق شي حتى يجعله مركوما والودق المطر قاله ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما وعن مجاهد القطر وعن ابي مسلم الاصفهاني من
خلاله من فتوقه ومغارقه جمع خلل كجبال في جبل وقرى من خلال المسئلة
الثانية اعلم ان قوله يزجي سحابا يحتمل انه يلتئم شيا بعد شي ويحتمل ان
يعني من سايرالاجسام لاني حالة واحدة تعالى الوجه الاول يكون نشو السحاب
محدثا ثم انه سبحانه يولف بين اجزايه وعلى الثاني يكون المحدث فيه الله
تعالى تلك الصفات التي باعتبارها صارت تلك الاجسام سحابا وفي قوله
ثم يولف بينه دلالة على وجودها بعد ما اذ التالف لا يصح الا بين موجودين
ثم انه سبحانه يجعله ركاما وذلك يتركب بعضها على بعض وهذا مما لا بد منه
لان السحاب انما يحمل الكثير من الماء اذا كان بهذه الصفة وكل ذلك من عجايب
خلقه ودلالة ملكه واقتداره قال اهل الطبايع ان يكون السحاب والمطر
والثلج والبرد والظل والصقيع في اكثر الامر يكون من تكاثف البخار وفي الاقل
من تكاثف الهوا اما الاول فالبخار الصاعد ان كان قليلا وكان في الهوا
قليلا لابخرة المتصاعدة اما ان تبلغ في صعودها الى الطبقة الباردة من الهوا
او لا يبلغ فان بلغت فاما ان يكون الهوا هناك قويا او لا يكون فان لم يكن البرد
هناك قويا تراد ف ذلك البخار بذلك البعد بين البرد واجتمع ومعالمه ما اختار

المجتمع هو السحاب والمتقاطر هو المطر والديمة والوابل انما يكون من امثال هذه
القسوم واما ان كان البرد شديدا فلا يخلو اما ان يصل البرد الى الاجزاء البخارية
قبل اجتماعها والخلاء فيها حياة كبارا او بعد صيرورتها كذلك وان كان على الوجه
الاول نزل ثلجا وان كان على الوجه الثاني نزل بردا واما اذا لم تبلغ الابخرة
الى الطبقة الباردة فهي اما ان تكون كثيرة او تكون قليلة فان كانت
كثيرة فهي قد تنعقد سحابا ماطرا وقد لا تنعقد اما الاول فذاك لاحد اسباب
خمسة احدها اذا منع جريه بالرياح عن تصاعد تلك الابخرة وثانيها ان
ان تكون الرياح صادعة اياها الى الاجتماع بسبب وقوف جبال قدام الريح
وثالثها ان يكون هناك رياح متقادمة متصادمة فيمتنع صعود الابخرة
حينئذ ورابعها ان يعرض للاجزاء المتقدم وقوف لثقله وبسط حركته ثم يلصق
به سائر الاجزاء الكثيرة المدد وخامسها لشدة برد الهواء القريب في الارض
وقد تشاهد البخار يصعد في بعض الجبال صعودا يسيرا حتى كانه سلبه موضعه
على وجهه ويكون الناظر اليها فوق تلك الغمامة والذين يكونون فوقها
يكونون في الشمس اما اذا كانت الابخرة العلية الارتفاع قليلة لطيفة فاذا
ضربها برد الليل وكسفها وعقدها ما محسوسا فنزل نزولا متفرقا لا يحس به الا
عند اجتماع شيء يعتد به فاذا لم يجمد كان طلا وان جمد كان صقيعا ونسبة
الصقيع الى الطل نسبة الثلج الى المطر واما ان يكون السحاب من انقباض الهواء فذلك
عندما يبرد الهواء وينقبض وحينئذ يحصل منه الاقسام المذكورة والجواب انا
لما دللنا على حدوث الاجسام وتوسلنا بذلك الى كونه قادرا مختارا يمكنه
اتحاد الاجسام لم يمكننا القطع بما ذكرتموه لاحتمال انه سبحانه خلق اجزاء السحاب
دفعة لا بالطريق الذي ذكرتموه ايضا فهب ان الامر كما ذكرتم ولكن الاجسام
بالاتفاق ممكنة في ذواتها فلا بد لها من مؤثر انها متماثلة فاختصاص كل
واحد منها بصفته المعينة من الصعود والهبوط واللطافة والكثافة والحرارة
والبرودة لا بد لها من مخصص فاذا كان هو سبحانه وتعالى خالقا لتلك الطبايع
وتلك الطبايع مؤثرة في هذه الاحوال وخالق السبب خالق للمسبب وكل
سبحانه هو الذي يزجي سحابا لانه هو الذي خلق تلك الطبايع المحركة لتلك
الابخرة ومن باطن الارض الى جو الهواء ثم ان تلك الابخرة اذا تزاحمت في صعودها
والتصق بعضها بالبعض فهو سبحانه هو الذي جعلها ركاما فثبت ان على
جميع تلك التقديرات وجه الاستدلال بهذه الاشياء على القدرة والحكمة
ظاهرين اما قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد ففيه مسئلتان
المسئلة الاولى في هذه الاية قولان احدهما ان في السماء جبالا من برد
خلقها الله تعالى لذلك ثم ينزل منها ما يشاء وهذا القول عليه اكثر المفسرين
قال مجاهد والكلبي جبال من برد في السماء والقول الثاني ان السماء هو الغيم المرتفع على رؤس

الناس سمي بذلك لسموه وارتفاعه وانه تعالى انزل من الغيم الذي بما البرد واراد
بقوله من جبال السحاب العظام لانها اذا عظمت شبهت بالجبال كما يقال فلان يملك
مالا من جبال وصفت بذلك توسعا وذهبوا الى ان البرد ما جامد اخلقه الله في
السحاب ثم انزله الى الارض وقال بعضهم انما سمى الله ذلك الغيم جبالا لانه
سبحانه جعلها من البرد كل جسم شديد متحجر فهو من الجبال ومنه قوله
هو الذي خلقكم والجبلة الاولين ومنه قيل انه مجبول على كذا قال المفسرون
والاول اولى لان هذا السماء لهذا الجسم مخصوص فجعله اسما للسحاب بطريقة
الاشتقاق قال كما يصح ان يجعل الله في السحاب ثم ينزله بردا فقد يصح ان
يكون في السماء جبال من برد واذا صح في القدرة كلا الامرين فلا وجه لترك
الظاهر المسئلة الثانية قال ابو علي الفارسي قوله تعالى من السماء من جبال
فيها من برد فمن الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية
للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة للتبيين
لان جنس تلك الجبال جنس البرد ثم قال ومعقول الانزال محذوف للدلالة والتقدير
والتقدير ينزل من السماء من جبال فيها من برد بردا الا انه حذف للدلالة عليه
اما قوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء فالظاهر انه راجع الى البرد ومعلوم من حاله
انه قد يصرف فيما يقع عليه من حيوان ونبات فبين سبحانه انه يصيب به من يشاء
على وفق المصلحة ويصرفه اي يصرف ضرره عمن يشاء بان لا يسقط عليه ومن الناس
من حمل البرد على الحجر وجعل نزوله جاريا مجرى عذاب الاستيصال وذلك بعيد
اما قوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ففيه مسائل المسئلة الاولى قرئ
يكاد سنا برقه على الادغام قرئ برقه جمع برقة وهي المقدار من البرق وبرقه
بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسنا برقه على المد المقصور
بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سني للمرتفع ويذهب بالابصار
على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم عن ابي جعفر المدني المسئلة
الثانية وجه الاستدلال بقوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ان البرق
بالابصار على زيادة الباء الذي يكون صفته ذلك لا بد وان يكون نارا
عظيمة خالصة والنار ضد الماء والبرد وظهوره من البرد يقتضي ظهوره من الضد
وذلك لا يمكن الا بقدرة قادر حكيم المسئلة الثالثة اختلف النحويون
في انك اذا قلت ذهبت بزيد فهل تحب ان يكون ذاهبا معه الى الدار فالمنكرون
احتجوا بهذه الاية اما قوله يقلب الله الليل والنهار فقيل فيه وجوه منها
تعاقبهما وهو مجيء احدهما بعد الاخر وهو كقوله وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة ومنها ولوج احدهما في الاخر ومنها تغير احوالهما في البرد والحر وغيرهما
ولا يمتنع في مثل ذلك ان يريد الله تعالى الكل لانه في الانعام والاعتبار اقوى اما
قوله ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فالمعنى ان فيما تقدم ذكره دلائل لم يرجع الى

بصيرة فمن هذا الوجه يدل على ان الواجب على المرء ان يتدبر ويتفكر في هذه الامور
ويدل عليه ايضا على فساد التقليد قوله تعالى والله خلق كل دابة من ما فمنهم من
يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشا ان الله
على كل شي قدير لقد انزلنا ايات مبينات والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم
هذا هو النوع الثالث من الدلايل على الوحدانية وذلك لما استدل اولا باحوال السما
والارض وثانيها بالاثار العلوية استدل ثالثا باحوال الحيوانات واعلم ان في
هذه الاية سوالات السوال الاول لم قال والله خلق كل دابة من ما مع ان كثيرا
من الحيوانات غير مخلوقة من الما اما الملايكة وهم اعظم الحيوانات عددا فهم
مخلوقين من النور واما الجن فهم مخلوقون من النار وخلق الله ادم من التراب
لقوله خلقه من تراب وخلق عيسى من الريح لقوله ونفخنا فيه من روحنا وايضا
نرى كثيرا من الحيوانات تتولد لا عن النطفة الجواب من وجوه احدها وهو الاحسن
ما قاله القفال وهو ان قوله من ما صفة كل دابة وليس هو من ملة خلق والمعنى ان
كل دابة متولدة من الما فهي مخلوقة لله تعالى وثانيها ان اصل جميع المخلوقات
الما على ما يروى اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ما
ثم من ذلك الما خلق النار والهوا ولما كان المقصود من هذه الاية بيان اصل
الخلقة وكان الاصل الاول هو الما لا جرم ذكره على هذا الوجه وثالثها ان
المراد من الدابة ما يدب على وجه الارض ومسكنهم هناك فيخرج عنه الملايكة
والجن ولما كان الغالب جدا من هذه الحيوانات كونهم مخلوقين من الما اما انها
متولدة من النطفة واما لانها لا تعيش الا بالما لا جرم اطلق لفظ الكل تنزيلا
للغالب منزلة الكل السوال الثاني لم نكر الما في قوله من ما وجا معرفا في قوله
وجعلنا من الما كل شي حي والجواب انما جا هاهنا منكرا لان المعنى انه خلق كل
دابة من نوع من الما يختص بتلك الدابة وانما جا معرفا في قوله وجعلنا من الما
كل شي حي لان المقصود هناك كونهم مخلوقين من هذا الجنس وهاهنا بيان ان
ذلك الجنس ينقسم الى انواع كثيرة السوال الثالث قوله فمنهم ضمير العقلا وكذلك
قوله فلم استعمله في غير العقلا والجواب انه تعالى ذكر ما لا يعقل مع من يعقل ففيهم
الملايكة والجن والانس فغلب اللفظ اللايق بمن يعقل لان جعل الشريف اصلا
والخسيس تبعا اولى من العكس ويقال في الكلام من المسلات لدخل ولغيره السوال
الرابع سمي الزحف على البطن مشيا وبين صحة هذا السوال ان الصبي يوصف بانه
يحبو ولا يقال بانه يمشي وان زحف على حد ما تزحف الحية والجواب هذا على سبيل
الاستعارة كما قالوا في الامر المستقر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له
امره على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين السوال الخامس انه لم يستوف
القسمة لانا نجد ما يمشي على اكثر من اربع مثل العناكب والعقارب والدبيلات بل مثل
الحيوان الذي له اربعة واربعون رجلا الذي يسمى دخان الاذن والجواب القسم الذي

ذكرتم كالنادر وكان ملحقا بالعدم ولان الفلاسفة مقرون بان ما له قوايم
كثيرة فاعتماداته اذا تمشى على اربع جهاته لا غير فكانه يمشي على اربع ولان قوله
تعالى يخلق الله ما يشا كالتنبيه على ساير الاقسام السوال السادس لم جات
الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب والجواب قدم ما هو اعجب وهو الماشي بغير
الة من ارجل او قوايم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع واعلم ان قوله يخلق الله
ما يشا تنبيه على ان الحيوانات كما اختلفت بحسب كيفية المشي فكذا هي مختلفة
بحسب امور اخر ولنذكر هاهنا بعض تلك التقسيمات التقسيم الاول قد تشترك في
اعضا وتتباين في اعضا اما الشركة فمثل اشتراك الانسان والفرس في ان لهما لحما
وعصبا وعظما واما التباين فاما ان تكون في نفس العضو او في صفته اما التباين
في نفس العضو فعلى وجهين احدهما ان لا يكون العضو حاصلا للاخر وان كانت اجزاوه
حاصلة للثاني فالفرس والانسان فان كان الفرس له ذنب والانسان ليس له ذنب
ولكن اجزا الذنب ليست الا العظم والعصب واللحم والجلد والشعر وكل ذلك حاصل
للانسان والثاني ان لا يكون ذلك حاصلا للاخرين لا بذاته ولا باجزايه مثل
ان السلحفاة صدما يحطه لبس الانسان وكذا السمك فلوس والقنفذ شوك وليس
شي منها للانسان واما التباين في صفة العضو فاما ان من باب الكمية او الكيفية
او الوضع او الفعل او الانفعال اما الذي في الكم فاما ان يتعلق بالمقدار مثل ان عين
البوم كبيرة وعين العقاب صغيرة او بالعدد مثل ان لرجل ضرب من العناكب
ولرجل ضرب اخر ثمانية او عشرة والذي في الكيف كاختلافها في الالوان
والاشكال والصلابة واللين والذي في الوضع فمثل اختلاف وضع يدي الفيل فانه
يكون قريبا من الصدر ويدي الفرس فانه عند السرة واما الذي في الفعل فمثل كون
اذن الفيل صالحا للذنب مع كونه الة للسمع وليس كذلك في الانسان وكون انفه الة
القبض دون انف غيره واما الذي في الانفعال فمثل كون الخشاف سريعة السحر
في الضو وعين الخطاف بخلاف ذلك التقسيم الثاني الحيوانات اما ان تكون
مايية بمعنى ان امكنة الاصل هو الما او ارضيا او يكون مايية ثم يصير ارضيا اما الحيوانات
المايية فيعتبر احوالها من وجوه الاول اما ان يكون مكانه او غذاه ونفسه مايية
فله بدل التنفس السمي يشق ما فهو يسيل الما الى باطنه ثم يرده ولا يعيش الا بذلك
والسمك كله كذلك ومنه ما مكانه وغذاه مايين ولكنه يتنفس من الهوا مثل
السلحفاة المايية وفيه ما مكانه وغذاه مايين لا يستنشق مثل اصناف من الصدر
لا تظهر للهوا ولا تستدخل الما الى باطنها الوجه الثاني الحيوانات المايية
بعضها ماوها مياه البحر الوجه الثالث منها لحية ومنها شطية ومنها طيبة ومنها
صخرية الوجه الرابع الحيوان السفلي المايية ما يعتمد في غوصه على راسه وفي
السباحة على اجنحته كالسمك ومنه يعتمد في السباحة على رجليه كالضفدع
ومنه ما يمشي في قعر الما كالسرطان ومنه ما يزحف مثل ضرب من السمك لا جناح له كالدود

واما الحيوانات البرية فيعتبر احوالها ايضا من وجهين الاول منها ما يتنفس من طريق
واحد كالفم والخيشوم ومنه ما لا يتنفس كذلك بل على نحو اخر من مسامه مثل الزنبور
والنحل الثاني ان الحيوانات الارضية منها ما له ماوى معلوم ومنها ما ماواه
كيف اتفق الا ان يلد فيضم للحضانة واللواتي لها ماوى فبعضها ماواه شق
وبعضها ماواه حفر وبعضها ماواه قلة راسه وبعضها ماواه وجه الارض الثالث
الحيوان البري كل طائر منه ذو جناح فانه يمشي برجليه ومن جملة ذلك ما يشبه صور
عليه كالخطاف الكبير الاسود والخشاف واما الذي جناحه جلدا او عشا فقد يكون
عديم الرجل كضرب من الجياد بالحبشة يطير الرابع الطير يختلف فبعضها يتعايش
معا كالكركي وبعضها يوثر التفرق كالعقاب وجميع الجوارح التي تتنازع على
الطعم لاحتياجها الى الاحال لتصيد وتماسها فيه ومنها ما يتعايش زوجا ويكون
معا كالقطا ومنها ما يجتمع تارة ويتفرق اخرى والحيوانات المفردة قد تكون
قريبة وقد تكون برية صرفة وقد تكون بستانية والانسان من بين الحيوان هو
الذي لا يمكنه ان يعيش وحده فان اسباب حياته معيشة تلتئم بالمشاركة المرتبة
والنحل وبعض الغرانيق يشارك الانسان في ذلك لكن النحل والكركي منبع رئيسا
واحدا والنمل له اجتماع ولا رئيس له والخامس الطير منه اكل لحم ومنه لاقط حب
ومنه اكل عشب وقد يكون لبعض الطير طعم معين كالنحل فان غذاه زهري
والعنكبوت فان غذاه الذباب وقد يكون لبعضه متعين الطعم اما القسم الثالث
وهو الحيوان الذي يكون تارة بحريا واخرى بريا فيقال انه حيوان يكون في البحر
ويعيش فيه ثم انه يبرز الى البر ويبقى فيه القسم الثالث الحيوان منه ما هو
انسي بالطبع كالانسان ومنه ما هو انسي بالمولد كالهرة والفرس
ومنه ما هو انسي بالقسر كالفهد ومنه ما لا يانس كالنمر والمستانس بالقسر منه ما يسرع
استيناسه ويبقى مستانسا كالفيل ومنه ما يبطي كالاسد ويشبه ان يكون من
من كل نوع صنف انسي وصنف وحشي حتى من الناس القسم الرابع من الحيوان منه ما هو
مصوت ومنه ما لا صوت له فانه يصير عند الاغتلام ذو حركة شهوة الجماع اشد
تصويتا الا الانسان وايضا بعض الحيوان مسبق بسفد كل وقت كالديك
ومنه ضعيف له وقت معين القسم الخامس بحسب الاختلاف بعض الحيوانات
هادي الطبع قليل الغضب مثل البقرة وبعضه شديد الجهل جاد الغضب كالخنزير
وبعضها حلوم جزوع كالجمل وبعضها ردي الحركات مغتال كالحية وبعضها جري
قوي شهم كبير النفس كريم الطبع كالاسد ومنها قتال وحشي كالذيب وبعضها محتال
مكار ذي الحركات كالثعلب وبعضها غضوب شديد الغضب سفيه الا انه ملق
متودد كالكلب وبعضها شديد الكبر مستانس كالفيل والقرد وبعضها جنود مباه
بجماله كالطاووس وبعضها شديد الحفظ كالجمل والحمار القسم السادس من الحيوانات
ما تناسله بان يلد انثاه حبولها ومنه ما تناسله بان تلد انثاه دودا كالنحل

والعنكبوت فانها تلد دودا وان اعضاه تستكمل بعد وبعضها متناسلة بان تبيض
انثاه بيضا واعلم ان العقول قاصرة بالاحاطة اصول الحيوانات على سبيل الكمال
ووجه الاستدلال بها على الصانع ظاهر لانه لو كان الامر بتركيب الطبايع الاربعة
فذلك بالنسبة الى الكل على السوية فاختصاص كل واحد من هذه الحيوانات
باعضائها وقواها ومقادير ابدانها واعمارها واخلاقها لا بد وان تكون بتدبيرها
مدبر قادر حكيم وتعالى عما يقول الجاحدون واحسن الكلام في هذا الموضع في قوله
يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير لانه هو القادر على الكل والعليم بالكل فهو
المطلع على احوال هذه الحيوانات فاي عقل يقف عليها واي خاطر يصل الى ذرة من
من اسرارها بل هو الذي يخلق ما يشاء كما يشاء ولا يمتنع منه مانع ولا دافع اما قوله
ولقد انزلنا ايات بينات فالاولى حمله على كل اية والمعنى لما كان القران مشتملا
على كل ذلك صح ان يكون هذا المراد اما قوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
فاستدلال اصحابنا كما تقدم واجاب القاضي بانه يهدي من بلغه حد التكليف دون
غيره او يكون المراد من اطاعه واستحق الثواب فيهديه الى الجنة على ما تقدم في نظايره
والله اعلم قوله تعالى ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك
وما اولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان
يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله
عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون اعلم انه سبحانه لما ذكر دلايل التوحيد اتبعه
بذم قوم اعترفوا بالدين بالسنتهم ولكنهم لم يقبلوه بالدين بتقليدهم وفيه مسايل
المسئلة الاولى قال مقاتل نزلت الاية في بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا
في ارض وكان اليهودي يجره الى رسول الله عليه الصلاة والسلام ليحكم بينهما وجعل
المنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وقد قصصت قصتها في سورة
النساء وقال الضحاك نزلت في المغيرة بن شعبة وابل كان بينه وبين علي بن ابي
طالب رضي الله تعالى عنه ارض فيها سما فوقع الى علي منها ما لا يصيبه الماء الا بمشقة
فقال المغيرة بعني ارضك فباعها ابالا وتقابضا فقال للمغيرة اخذت سبخة
لا ينالها الا الماء فقال اقبض ارضك فانما استمريتها ان رضيتها ولم ارضها فلا ينالها
الا الماء فقال علي بل اشتريتها وقبضتها وعرفت حالها لا اقبلها منك ودعاه الى ان
يخاصمه الى رسول الله فقال المغيرة اما محمد فلست اتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني
وانا اخاف ان يحيف علي فنزلت الاية وقال الحسن نزلت هذه الاية في المنافقين الذين
كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر المسئلة الثانية قوله ويقولون امنا الى قوله وما
اولئك بالمؤمنين يدل على ان الايمان لا يكون ما يقول اذ لو كان به لما صح ان نفي كونهم مؤمنين
وقد فعلوا ما هو ايمان في الحقيقة فان قيل انه تعالى حكى عن كلهم انهم يقولون امنا ثم حكى
عن فريق منهم القول فكيف يصح ان يقول في جمعهم وما اولئك بالمؤمنين راجع الى الذين
تولوا لا الى الجملة الاولة وايضا فلو رجع الى الاول لصح ويكون معنى قوله ثم يتولى فريق منهم

ان يرجع هذا الفريق الى الباقين منهم فيظاهر بعضهم لبعض الرجوع عما اظهروه ثم بين
سبحانه انهم اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وهذا ترك
الرضا بحكم الرسول وبقوله تعالى وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين متى عرض الحق
لغيرا وشكوا فيما اذا عرض لا تفسهم عدلوا عن الاعراض بل سارعوا الى الحكم وادعوا
سدل الرضا في ذلك دلالة على انه ليس منهم اتباع الحق وانما يريد النفع المعجل
وذلك ايضا نفاق اما قوله تعالى افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف
الله عليهم ورسوله ففيه سؤالات السؤال الاول ام كلمة استفهام وهو عز جائز
على الله الجواب لاستفهام ومعناه الخبر قال الحبر

الشتم خير من ركب المطايا

السؤال الثاني لم خافوا الحيف الله عليهم فقد ارتابوا في الدين واذا ارتابوا ففي
قلوبهم مرض قال الكلبي لحد ناياد فاية في تقدير الجهات قوله ارتابوا اشارة الى انه
حدث هذا الشك والريب بعد تقرير الاسلام في القلب وقوله يخافون ان يحيف
الله عليهم اشارة الى انهم بلغوا في حب الدنيا الى حيث يتركون الدين بسنة السؤال
الثالث هب ان هذه الثلاثة متغايرة ولكنها متلازمة فكيف دخل عليها كلمة
ام الجواب الاقرب انه تعالى اسهم على كل واحد من هذه الاوصاف وكان في قلوبهم
مرض وهو النفاق وكان بها شك وارتياب وكانوا يخافون الحيف من الرسول
عليه الصلاة والسلام وكل واحد من ذلك كفر ونفاق ثم بين تعالى بقوله بل
اولئك هم الظالمون بطلان ما هم عليه لان الظلم يتناول كل معصية كما قال تعالى
ان الشرك لظلم عظيم اذ المرء لا يخاطر فيه من ان يكون ظالما لنفسه او ظالما للغير
ويمكن ايضا لما ذكر الله تعالى في الاقسام كونهم خائبين من الحيف الظاهر عليهم
ذلك بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف الرسول عليهم لمعرفتهم
وامانته وصيانته وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم
بحيث يعدون ذلك بحيث لا يستطيعونه في مجلس رسول الله فمن ثم يأبون المحاكمة اليه قوله
تعالى انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا
سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك
هم الفائزون واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة
ان الله خبير بما تعملون قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل
وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين اعلم انه
تعالى لما حكى قول المنافقين وما قالوه وما فعلوه وجب ان يتبعه بذكر ما كان يجب ان يفعلوه
ويأتي به ذلك المؤمنون فقال الله تعالى انما كان قول المؤمنين وفيه مسائل
المسئلة الاولى قرئ الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب قوي لان اولى الاسمين
بكونه اسما للكان اوغلبها في التعريف وان يقولوا وعلى لانه لا سبيل عليه للكسر بخلاف
قول المؤمنين المسئلة الثانية انما كان قول المؤمنين معناه كذلك يجب ان يكون

قولهم وطريقتهم فيقولوا اذا دعوا الى حكم كتاب الله ورسوله ان يقولوا سمعنا واطعنا
فيكون مدار امرهم البيعة وانقيادهم له سمعا وطاعة وسعنا واجبنا على قولنا وتبول
المسلمين سمع الله لمن حمده اي قبل واجاب ثم قال ومن يطع الله ورسوله اي فيما
بيناه ويخش الله فيما صدر عنه من الذنوب في وسعه فيما بقي من عمره فاولئك
هم الفائزون وهذه الاية على ايجازها حاوية لكل ما ينبغي المؤمن ان يفعله اما قوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن فقال لهم لا تقسموا طاعة معروفة
في ايمانكم ثم قال لهم بين الله تعالى كراهية المنافقين بحكم رسول الله فقالوا والله
لئن امرتنا ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا
ثم انه تعالى امر رسوله ان ينهاهم عن هذا القسم بقوله قل لا تقسموا ولو كان قسمهم
كما يجب لم يجز النهي عنه لان من حلف على القيام بالبر والواجب لا يجوز النهي عنه
واذا ثبت ذلك ثبت ان قسمهم كان للنفاق وكان بلفظهم ظاهرهم ومن نوى الغدر
لا الوفاء فقسمه يكون قبيحا اما قوله طاعة معروفة هو اما خبر مبتدا محذوف
اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا ايمان كاذبة او مبتدا خبره محذوف اي
طاعة معروفة امثل من قسمكم بما لا يصدقون فيه وقيل معناه دعوا القسم ولا
تعبدوا به وعليكم طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا الله طاعة معروفة
والله خبير بما تعملون وتضمرون ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وانه لا محالة مجازيكم
على نفاقكم اما قوله قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل
وعليكم ما حملتم فاعلم انه تعالى لما فرغ من حكاية الكلام عن الغيبة الى الخطاب عاد الى طريق
الالتفات ومزيد المبالغة في تبكيتهم فان تولوا اي ان تولوا عن طاعة الله وطاعة
رسوله فانما على الرسول ما حمل من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم من الطاعة وان
تطيعوه تهتدوا وأبى تصيبوا الحق فما على الرسول الا البلاغ المبين لمعنى التبليغ والبلاغ
الواضح والمبين الواضح بلا ابهام ولا حاجة وعن نافع انه قرأ فانما عليه ما حمل بفتح الحاء
والتخفيف اي فعليه اثم ما حمل من المعصية قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون
بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون اعلم ان تقدير النظم قبل لها
الرسول واطيعوه ايها المؤمنون فقد وعد الله الذين امنوا منكم ايي جمعوا بين
الايمان والعمل الصالح ان يستخلفهم في الارض فيجعلهم لكل الخلق العالمين والحاكمون
كما استخلف عليها من قبلهم من بني داود وسليمان وغيرهما وانه سيمكن لهم دينهم وتمكينه
ذلك هو بالتمكن والاستيلاء ويبدلهم من بعد خوفهم من العدو امنا فان ينصرهم
عليهم فيقتلونهم ويأسرونهم ليكونن شرهم يعبدونني ايي حتى يعبدوني لست لا يشركون
بي شيئا ولا يخافون فمن كفر اي بعد هذا الوعد واريد فاولئك هم الفاسقون
واعلم ان هذه الاية مشتملة على بيان اكثر المسائل الاصولية الدينية فلنشرع

الى معاقدها **المسئلة الاولى** قوله سبحانه وتعالى وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات يدل على انه تعالى متكلم لان الوعد نوع من انواع الكلام والموصوف
بالنوع موصوف بالجنس ولانه سبحانه ملك مطاع والملك المطاع لا بد وان يكون
بحيث يمكنه وعد اوليايه ووعيد ايه فثبت انه سبحانه متكلم **المسئلة الثانية**
الاية تدل على انه سبحانه يعلم الاشيا قبل وقوعها خلافا لهشام بن الحكم فانه قال
لا يعلمها قبل وقوعها ووجه الاستدلال انه سبحانه اخبر عن وقوع شي في
المستقبل اخبارا عن التفصيل وقد وقع المخبر مطابقا للخبر ومثل هذا الخبر لا يصح
الا مع العلم **المسئلة الثالثة** الاية تدل على انه سبحانه قادر على جميع
الممكنات لانه قال ليستخلفنهم في الارض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وقد فعل كل ذلك وصدور هذه الاشيا لا يصح
الا من القادر على كل المقدورات **المسئلة الرابعة** الاية تدل على انه سبحانه
هو المستحق للعبادة لانه قال يعبدونني وقالت المعتزلة الاية تدل
على ان فعل الله تعلل بالغرض لان المعنى لكي يعبدونني وقال ايضا الاية تدل
دالة على انه سبحانه يريد العبادة من الكل لا من فعل فعلا لغرض فلا بد وان
يكون مريدا لذلك الغرض **المسئلة الخامسة** دلت الاية على انه منزه عن
الشريك لقوله لا يشركون بي شيا وذلك على نفي الاله الثاني وعلى انه لا يجوز عبادة
غير الله سبحانه سوا كان كوكبا كما تقوله الصابية او صنما كما تقوله عبدة الاوثان
المسئلة السادسة دلت الاية على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام انه اخبر
عن الغيب في قوله ليستخلفنهم في الارض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وقد وجد هذا المخبر موافقا لهذا الخبر ومثل هذا
الخبر معجز والمعجز دليل الصدق فدل على صدق محمد عليه الصلاة والسلام **المسئلة
السابعة** دلت الاية على ان العمل الصالح على الايمان والمعطوف خارج عن
المعطوف عليه **المسئلة الثامنة** دلت الاية على امامة الايمة الاربعة وذلك
لانه تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات من الحاضرين في زمن محمد
عليه الصلاة والسلام وهو المراد بقوله منكم بانه يستخلفهم في الارض كما استخلف الذين
من قبلهم وان يمكن لهم دينهم المرضي وان يبدلهم بعد الخوف امنا ومعلوم بان المراد بهذا
الوعد بعد الرسول لان استخلاف غيره لا يكون الا بعده ومعلوم بان بعده لا شي
لانه خاتم الانبيا فاذا المراد بهذا الاستخلاف طريقة الامامة ومعلوم ان بعد
الرسول الاستخلاف الذي هذا وصفه انما كان في ايام ابي بكر وعمر وعثمان لان في ايامهم
كان الفتوح العظيمة وحصل التمكين وظهور الدين والامن ولم يحصل ذلك في ايام علي
رضي الله عنه لانه لم يتفرغ بجهاده لاشتغاله بمحاربة من خالفه من اهل الصلاة
فثبت بهذا دلالة الاية على صحة خلافة هولاء فان الاية متروكة الظاهر لانها
تقتضي حصول الخلافة لكل من امن وعمل صالحا ولم يكن الامر كذلك قلنا عنه

لكن لم لا يجوز ان يكون المراد من قوله ليستخلفنهم هو انه تعالى يمكنهم في الارض
ويمكنهم من التصرف لان المراد منه خلافة الله ومما يدل عليه قوله كما استخلف الذين
من قبلهم واستخلاف من كان قبلهم لم يكن بطريق الامامة فوجب ان يكون الامر
في حقهم ايضا كذلك نزلنا عليه لكن لم لا يجوز ان يكون المراد منه عليا رضي الله
عنه والواحد قد يعبر عنه بلفظ الجمع ولكن هاهنا ما يدل على انه لا يجوز حمله
عليه قوله كما استخلف الذين من قبلهم على خلافة الله لان من مذهبكم انه عليه
الصلاة والسلام لم يستخلف احدا ومروي عن علي رضي الله عنه قال اتركم
كما تركم رسول الله نزلنا عليه لكن لم لا يجوز ان يكون المراد منه عليا رضي الله عنه
والواحد قد يعبر عنه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم لقوله تعالى والذين امنوا
الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وهم راكعون نزلنا عليه والجواب
ان كلمة من للتبعيض فقوله منكم يدل على ان المراد من هذا الخطاب بعضهم والثاني
ان المراد بالمعنى الذي ذكرتموه حاصل لجميع الخلق فالمذكور هاهنا في معرض
البشارة لا بد وان يكون مغايرا له واما قوله تعالى كما استخلف الذين من قبلهم
فالذين كانوا قبلهم قد كانوا خلفا تارة بسبب النبوة والخلافة حاصلة في
الصورتين وعن الثالث انه وان كان من مذهبنا انه عليه الصلاة والسلام لم
يستخلف اريد على وجه التعيين وان قيل استخلف فالمراد على طريقة الوصف وعن
الرابع ان حمل اللفظ على الواحد مجاز وهو خلاف الاصل وعن الخامس انه باطل
لوجهين احدهما قوله تعالى منكم يدل على ان هذا الخطاب كان مع الحاضرين والثاني
انه تعالى وعدهم القوة والشوكة والنفاذ في العالم ولم يوجد ذلك فيهم فثبت
صحة امامة الاربعة وبطل قول الرافضة الطاعنين في ابي بكر وعثمان وعلي وبطلان
قول الخوارج الطاعنين في عثمان وعلي ولنرجع الى التفسير اما قوله ليستخلفنهم ولقايل
ان يقول ان القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم جوابه محذوف تقديره وعد
الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحقيقه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى القسم
كانه اقسم الله ليستخلفنهم اما قوله كما استخلف الذين من قبلهم كما استخلف هرون
ويوشع وداود وسليمان وتقدير النظم ليستخلفنهم استخلافا كاستخلاف من قبلهم
من هولاء الانبيا وقرئ كما استخلف بضم التا وكسر اللام وقرئ بالفتح اما قوله وليمكنن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم فالمعنى انه ليثبت لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام
اما قوله وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا اي بان تكون الغلبة لهم قرا ابن كثير وعاصم
ويعقوب وليبدلنهم من الابدال والباقون بالتشديد وقد ذكرنا الفرق بينهما في قوله
بدلناهم جلودا غيرها اما قوله يعبدونني لا يشركون بي شيا ففيه دلايل على ان
الذين عناهم لا يتغيرون عن عبادة الله تعالى الى الشرك وقال الزجاج يجوز ان
يكون في موضع الحال على معنى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات في حال
عبادتهم واخلاصهم لله ليفعلن بهم كيت وكيت ويجوز ان يكون استينافا على طريق الثنا

عليهم اما قوله تعالى فمن كفر ومن كفر بعد ذلك اي جحد حق هذه النعم فاولئك هم
الفاسقون اي العاصون قوله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا
الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماواهم النار
ولبئس المصير تفسير اقام الصلاة وايتا الزكاة ولفظه لعل ولفظه الرحمة فالكل
قد تقدم مرارا واما قوله لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فالمعنى لا تحسبن
يا محمد الذين كفروا سابقين في الارض فائتين حتى يعجزوني عن ادراكهم وقرئ
ولا يحسبن بالياء المعجمة من تحتها وفيه اوجه احدها ان يكون معجزين في الارض
هما المفعولان والمعنى لا تحسبن الذين كفروا احد معجز الله في الارض حتى يطيعوا هم
في مثل ذلك وثانيها ان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله واطيعوا الله
واطيعوا الرسول والمعنى ولا تحسبن الرسول الذين كفروا معجزين وثانيها ان يكون
الاصل لا تحسبنهم الذين كفروا معجز في حذف الضمير الذي هو المفعول الاول اما قوله
وماواهم النار ولبئس المصير فقال صاحب النظم لا يحتمل ان يكون متصلا بقوله ولا
تحسبن ان ذلك نفي وهذا ايجاب فهو اذن معطوف بالولد على مضمر قبله تقديره
لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض بل هم مقهورون وماواهم النار قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم
ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن
بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون
عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم واذا بلغ
الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله
لكم اياته والله عليم حكيم والقواعد من النسا لا يرجون نكاحا فليس عليهن
جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله
سميع عليم اعلم ان في الايات مسايل المسئلة الاولى قال القاضي قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم وان كان ظاهره الرجال
فالمراد به الرجال والنسا والاولى عندي الحكم ثابت في النسا بقياس جلي وتلك
النسا في باب حفظ العورة اشد حالا من الرجال فهذا الحكم كما ثبت في الرجال فثبوته
في النسا بطريق الاولى كما انا نثبت حرمة الضرب بالقياس الجلي على حرمة التافيف
المسئلة الثانية ظاهر قوله والذين ملكت ايمانكم يدخل فيه البالغون
والصغار وحكي عن ابن عباس ان المراد الصغار واحتجوا بان الكبير من المماليك ليس
له ان ينظر من المالك الا الى ما يجوز للحر ان ينظر اليه قال ابن المسيب لا يغرنكم
قوله تعالى وما ملكت ايمانكم لا ينبغي للعبد ان ينظر الى فرطها وشعرها وشي
من محاسنها وقال اخرون بل البالغ من المماليك له ان ينظر الى شعر مالكته وما شاكله
وظاهر الاختصاص يدل على غيبة المومنين والاطفال من الاحرار باباحة ما حظره
الله من قبل جماعة من المومنين فقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم فانه اباح لهم

الا في الاوقات الثلاثة وجوز دخول من لم يبلغ بغير اذن ودخول الموالي عليهم
بقوله تعالى لا جناح عليكم بعدهن طوافون عليكم اي يطوف بعضكم على بعض مما
هذا الاوقات الثلاثة واكد ذلك بان اوجب على من بلغ الحلم الجري على سبب
من قبلهم من المبلغين في الاستيذان في ساير الاوقات ولحاقهم بمن دخل
تحت قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها
المسئلة الثالثة قوله ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم ان اريد به العبيد
والنساء وان كانوا بالغين فغير ممتنع ان يكون ولا الذين لم يبلغوا الحلم ويجب ان يكون
امرا لنا بامرهم بذلك وتبعثهم عليه كما نامر الصبي اذا عقل الصلاة ان يفعلها لا على
وجه التكليف لهم لكنه تكليف لنا لما فيه من المصلحة لنا ولهم بعد البلوغ ولا
يبعد ان يكون لفظ الامر وان كان في الظاهر متوجها عليهم الا انه يكون
في الحقيقة على الولي بقوله لرجل ليجعل اهلك وولدك وظاهر الامر لهم
وحينئذ الامر له بفعل ما يخافون عنده المسئلة الرابعة قال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما ان رسول الله عليه الصلاة والسلام بعث غلاما من الانصار الى
عمر ليدعوه فوجده نايما في البيت فدفع الباب وسلم فلم يستيقظ فعاد ورد
الباب وقام من خلفه وحركه فلم يستيقظ فقال الغلام اللهم ايقظه ودفع الباب
ثم ناداه استيقظ فجلس ودخل الغلام فانكشف من عمر شي فظن عمر ان الغلام راى
ذلك منه فقال وددت ان الله نهى ابناءنا ونساءنا وخدمنا ان يدخلوا علينا في
هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله فوجده قد نزل عليه يا ايها
الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم فحمد عمر عند ذلك فقال عليه الصلاة
والسلام وما ذلك يا عمر فاخبره عمر بما فعل الغلام فعجب رسول الله من صنيعه
وعرف اسمه ومدحه وقال ان الله يحب الحي الحليم العفيف ويبغض البذي الجري السايل
الملحف فهذه الاية المنزلة بسبب عمر وقال بعضهم نزلت في اسما بنت ابي مرثد قالت
انا لندخل على الرجل والمراة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام
لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله وقالت ان خدمنا وغلماننا
يدخلون علينا في حال نكرهها المسئلة الخامسة قال عمر رضي الله عنه ومجاهد
قوله ليستاذنكم على الذكور دون الاناث لان قوله الذين ملكت ايمانكم صيغة
الذكور لا صيغة الاناث وعن ابن عباس هي في الرجال والنسا يستاذنون على كل
حال بالليل والنهار والصحيح انه يجب اثبات هذا الحكم في النسا لان الانسان كما يكره
اطلاع الذكور على احواله فقد يكره ايضا اطلاع النسا عليها ولكن الحكم يثبت في النسا
بالقياس لا بظاهر اللفظ على ما قدمناه المسئلة السادسة من العلما من قال الامر
في قوله ليستاذنكم على الندب والاستحباب ومنهم من قال على الايجاب وهذا اولى
كما ثبت ان ظاهر الامر للوجوب اما قوله والذين لم يبلغوا الحلم منكم ففيه مسايل
المسئلة الاولى قرا ابن عامر الحلم بالسكون المسئلة الثانية اتفق الفقها

على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم قال ابو
حنيفة لا يكون الغلام بالغا حتى يبلغ ثماني عشرة سنة ويستكملها وفي الجارية
سبع عشرة سنة وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد في الغلام والجارية خمس
عشرة سنة قال ابو بكر الرازي قال تعالى والذين لم يبلغوا الحلم منكم يدل
على بطلان قول من جعل حد البلوغ خمس عشرة سنة اذا لم يحتلم لان الله تعالى لم
يفرق بين من بلغها وبين من قصر عنها بعد ان لا يكون قد بلغ الحلم وروي عن
النبي عليه الصلاة والسلام من جهات كثيرة رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى
يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وعن الصبي حتى يحتلم ولم يفرق بين من بلغ
خمس عشرة سنة وبين من لم يبلغها فان قيل بهذا الكلام يبطل التقدير ايضا
بثماني عشرة سنة اجاب بانا قد علمنا العادة في البلوغ خمس عشرة سنة وكل
ما كان مبنيا على طريق العادات فقد تجوز الزيادة فيه والنقصان منه وقد
وجدنا من بلغ في ثنتي عشرة سنة وقد بينا ان الزيادة على المعتاد جائز كالنقصان
وهي ثلاث سنين وقد حكي عن ابي حنيفة تسع عشرة الغلام وهو محمول على استكمال
ثماني عشرة سنة والدخول في التاسع عشر حجة للشافعي ما روي عن ابن عمر انه عرض
على النبي عليه الصلاة والسلام يوم احد وله اربع عشرة سنة فلم يجزه وعرض عليه يوم
الخندق وله ثماني عشرة سنة فاجازه واعترض ابو بكر الرازي عليه فقال هذا الخبر
مضطرب لان احدا كان في سنة ثلاث والخندق في سنة خمس فكيف يكون بينهما
نسبة ثم مع ذلك فان الاجازة في القتال لا تعلق لها بالبلوغ لانه قد يرد البالغ
لضعفه ويؤذن غير البالغ لقوته ولطاقته لحمل السلاح ويدل على ذلك انه عليه
الصلاة والسلام ما سأله عن الاحتلام والسن البحث الثاني اختلفوا في الانبات هل
يكون بلوغا فابو حنيفة واصحابه ما جعلوه بلوغا والشافعي جعله بلوغا قال
ابو بكر الرازي ظاهر قوله والذين لم يبلغوا الحلم منكم ينبغي ان يكون الانبات بلوغا
اذا لم يحتلم لما نفى كون خمس عشرة سنة بلوغا قوله عليه الصلاة والسلام وعن
الصبي حتى يحتلم حجة الشافعي ما روي عن عطية القرظي ان النبي عليه الصلاة
والسلام امر بقتل من انبت من قريظة واستحيا من لم ينبت قال فنظروا الي فلم اكن
قد انبت فاستبقاني قال ابو بكر الرازي هذا الحديث لا يجوز اثبات الشرع بمثله
لوجوه احدها ان هذا عطية مجهول لا يعرف الا من هذا الخبر لا سيما مع اعتراضه على
الاية والجر في نفي البلوغ الا بالاحتلام وثانيها انه مختلف الالفاظ ففي بعضها
انه يقتل من جرت عليه المواسي وفي بعضها من احضر ازاره ومعلوم انه لا يبلغ هذا
الحال الا وقد تقدم بلوغه ولا يكون قد جرت عليه المواسي الا وهو رجل كبير فحصل
الانبات وجري المواسي عليه كناية عن بلوغه القدر الذي ذكرنا من السن وهي
ثماني عشرة سنة واكثر وثالثها ان الانبات يدل على القوة البدنية فامر بالقتل
لذلك لا للبلوغ قال الشافعي هذه الاحتمالات مردودة بما روي ان عثمان رضي

رضي الله عنه سئل عن غلام فقال حل ازاره وهذا يدل على ان ذلك كان كالامر المتفق
عليه فيما بين الصحابة البحث الثالث روي عن قوم من السلف انهم اعتبروا في البلوغ ان
يبلغ الانسان في قوله خمسة اشبار وروي عن علي رضي الله عنه انه قال اذا بلغ الغلام
خمسة اشبار فقد وقعت عليه الحدود ويقتص منه وعن ابن سيرين عن انس ان ابا
بكر بغلام قد سرق فامر به فشبر فنقص انملة فخلى عنه وهذا المذهب اخذ به الفرزدق
في قوله ما زال مذ عقدت يداه ازاره فسما وهما فادرك خمسة الاشبار
واكثر الفقهاء لا يقولون بهذا المذهب لان الانسان قد يكون دون البلوغ ويكون
طويلا وفوق البلوغ ويكون قصيرا فلا عبرة به المسئلة الثالثة قال ابو بكر الرازي
دلت هذه الاية على ان من قد بلغ وقد عقل يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ترك القبائح
فان الله امرهم بالاستئذان في هذه الاوقات وقال عليه الصلاة والسلام مروهم
بالصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر وعن ابن عمر يعلم الصبي الصلاة اذا عرف
يمينه من شماله وعن زين العابدين انه كان يامر الصبيان ان يصلوا الظهر والعصر
جميعا والمغرب والعشاء جميعا فقيل له يصلون الصلاة لغير وقتها فقال هذا خير
من ان يتناهوا عنها وعن ابن مسعود اذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت له الحسنات
ولا تكتب عليه السيئات ثم قال ابو بكر الرازي انما يؤمر بذلك على وجه التعليم
والانتباه وليمرن عليه فيكون اسهل عليه بعد البلوغ واولى للتعويد وكذلك
يجنب شرب الخمر والحرير وينهى عن سائر المحظورات لانه لم يمنع منه في الصغر لصعب
عليه الامتناع بعد الكبر وقال تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا
قيل في تفسيره ادبوهم وعلموهم والله اعلم المسئلة الرابعة قال الاخفش يقال من
الحلم حلم الرجل بفتح اللام يحلم حلما بضم الحاء ومن الحلم بضم اللام يحلم حلما بكسر الحاء اما قوله
تعالى ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد
صلاة العشاء ثلاث عورات لكم فيه مسائل المسئلة الاولى قوله تعالى ثلاث مرات
يعني ثلاث اوقات لانه تعالى فسرهن بالاوقات فقال من قبل صلاة وانما قال
ثلاث مرات الاوقات لانه اراد مرة في كل وقت من هذه الاوقات لانه يكفيهم ان
يستاذنوا في كل واحد من هذه الاوقات مرة واحدة ثم بين الاوقات فقال من
قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء يعني الغالب
في هذه الاوقات الثلاثة الاوقات الثلاثة ان يكون متجردا عن الثياب مكشوف
العورة المسئلة الثانية قوله ثلاث مرات عورات قراءة اهل الكوفة ثلث بالنصب
على البدل من قوله ثلاث مرات او كانه قال في اوقات ثلاث عورات لكم فلما حذف
المضاف اعرب المضاف اليه باعرابه وقراءة الباقين بالرفع اي هل ثلاث عورات فارتفع
لانه خبر مبتدا محذوف قال القفال وكان المعنى ثلاث انكشافات والمراد وقت
الانكشاف المسئلة الثالثة العورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان ولا يجوز
المحصل المعنى فسمى الله تعالى كل واحدة من تلك الاحوال عورة لان النساء يحل لحفظهم

وسرهم فيها المسئلة الرابعة الاية دلت على ان الواجب اعتبار العلل في الاحكام
اذا امكن لانه تعالى نبه عن العلم في هذه الاوقات الثلاثة من وجهين احدهما
بقوله ثلاث عورات لكم والثاني بالتنبيه على الفرق بين هذه الاوقات الثلاثة
وبين ما عداها فانه ليس ذلك الا لعلة التكشف في هذه الاوقات الثلاثة
وانه لا يومن وقوع التكشف فيها وليس ما عدا هذه الاوقات المسئلة الخامسة
من الناس من قال ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وهذا يدل على ان الاستيذان واجب في كل حال
فصار ذلك منسوخا بهذه الاية في غير هذه الاحوال الثلاثة ومن الناس من قال
كان الاية الاولى اريد بها المكلف لانه خطاب لمن امن وما ذكره الله في هذه الاية
فهو فيمن ليس بمكلف وقيل فيه ان في بعض الاحوال لا يدخل الا باذن وفي بعضها
بغير اذن فلا وجه لحمل ذلك على النسخ لانها تتناوله الاية الاولى من المخاطبين
لم تتناوله الاية الثانية اصلا فان قيل بتقدير ان يكون قوله تعالى الذين ملكت
ايمانكم يدخل فيه من قد بلغ النسخ الزم قلنا لا يجب ذلك ايضا لان قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم لا يدخل الا من يملك البيوت بحق هذه
الاضافة واذا صح ذلك لم يدخل تحته العبيد والاماء فلا يجب النسخ ايضا
على هذا القول فاما ان حمل الكلام على صغار المماليك فالقول فيه ابين والله
اعلم المسئلة السادسة قال ابو عبيد لم يصر احد من العلماء الى ان الامر بالاستيذان
منسوخ وروي عن عطا عن ابن عباس انه قال ثلاث ايات من كتاب الله تركهن
الناس ولا ارى احدا يعمل بهن قال عطا حفظت اثنتين ونسيت واحدة وقرا
هذه الاية وقوله يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وذكر سعيد بن
جبير ان الاية الثالثة قوله واذا حضر القسمة اولوا القربى الاية واما قوله
تعالى ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض ففيه
سوالات السوال الاول في قوله ليس عليكم ولا عليهم جناح انه يقتضي الاباحة
على كل حال الجواب انا قد بينا ان ذلك هو في الصغار خاصة فيباح لهم الدخول
للخدمة فلا اذن في الاوقات الثلاثة ويباح لنا تمكينهم من ذلك والدخول
عليهم ايضا السوال الثاني فهل يقتضي ذلك اباحة كشف العورة اليهم الجواب
لا وانما اباح تعالى ذلك من حيث كانت العادة ان لا تكشف العورة في غير
تلك الاوقات مع ظن دخول الخدم اليها فذلك محرم عليها فان كان الخادم
مما يتناوله التكليف فمحرم عليه الدخول ايضا اذا ظن ان هناك كشف عورة فان
قيل اليس في الناس من جوز للبالغ من المماليك ان ينظر الى شعر مولاته قلنا من
جوز ذلك اخرج الشعر من ان يكون عورة لحق الملك كما يخرج من ان يكون
عورة لحق الرحم اذ العورة تنقسم ففيه ما يكون عورة على كل حال وفيه ما يختلف
حاله بالاضافة فيكون عورة مع الاجنبي غير عورة مع غيره على ما تقدم ذكره

السوال الثالث اتقولون هذه الاية مقصورة على الخدم دون غيرهم الجواب
نعم في قوله ليس عليكم ولا جناح بعدهن طوافون دلالة على ان هذا الحكم مختص
بالصغار دون البالغين على ما تقدم ذكره وقد نص الله تعالى على ذلك من
بعد فقال واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من
قبلهم المراد ان من يحدد فيه البلوغ يجب ان يكون بمنزلة من تقدم بلوغه في وجوب
الاستيذان فهذا معنى قوله كما استاذن الذين من قبلهم وقد يجوز ان يظن
ظان ان من خدم في حال الصغر فاذا بلغ يجوز له ان لا يستاذن ويفارق حاله
حاله حال من لم يخدم ولم يملك فبين الله تعالى انه لما حظر على البالغين الدخول
الا بالاستيذان فكذلك على هولا اذا بلغوا وان تقدمت لهم خدمة
او ثبت فيهم ملك يمين السوال الرابع بالاستيذان هل هو مختص بالمملوك
ومن لم يبلغ الحلم او يتناول الكل من ذي الرحم هل يجب عليه الاستيذان
والجواب اما في الصورة الاولى فنعم اما العموم لا تدخلوا بيوتا حتى تستانسوا
او بالقياس على المملوك ومتى لم يبلغ الحلم بطريق الاولى واما الصورة الثانية
فيجب على الاستيذان العموم الاية السوال الخامس ما محل ليس عليكم جناح
الجواب اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف المعنى
هي ثلاث عورات مخصوصة بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة السوال
السادس ما معنى قوله طوافون عليكم الجواب قال الفرا والزجاج انه كلام
مستانف كقولك في الكلام انما هي خدمك وطوافون عليكم والطوافون الذين
يكثرون الدخول والخروج والتردد واصله من الطواف والمعنى يطوف بعضكم
على بعض بغير اذن السوال السابع ثم ارتفع بعضكم الجواب بالابتدا وخبره
على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه اما قوله
والقواعد من النسا اللاتي لا يرجون نكاحا ففيه مسايل المسئلة الاولى
قال ابن السكيت امراة قاعد اذا قعدت عن الحيض والجمع قواعد واذا
اردت القعود قلت قاعدة وقال المفسرون القواعد من اللواتي قعدن
عن الحيض من الكبر ولا يطمع لهن في الازواج والاولى ان لا يعد قعودهن عن
الحيض لان ذلك يقطع الرغبة فيهن باسره فالمراد قعودهن عن حال الزوج ولا
يكون ذلك الا بلغن في السر بحيث لا يرغب فيهن الرجال المسئلة الثانية
قوله تعالى في النسا يرجون كقوله الا ان يعفون المسئلة الثالثة لا شبهة
انه تعالى لم ياذن في ان يضعن ثيابهن اجمع لما فيه من كشف كل عورة فلذلك
قال المفسرون المراد بالثياب الجلباب والبرد والقناع التي فوق الخمار وروي عن
ابن عباس انه قرا ان يضعن جلابيبهن وعن السدي عن شيخه ان يضعن
خمرهن عن روسهن وعن بعضهم انه قرا ان يضعن من ثيابهن وانما خصهن الله بذلك
لان الهم مرتفعة عنهن وقد بلغن هذا المبلغ لم يحل لهن وضع الثياب ولذلك قال

وان يستعففن خير لهن وانما جعل ذلك افضل من حيث ابعد من الطيه وذلك
لا يقتضي ان عند الله لطف يلزمهن ان لا يصنعن ذلك كما يلزم مثله في السانه
المسئلة الرابعة حقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قوله
سفينة بارج لا غطا عليها والتبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها
كلها لا يغيب عنه شي الا انه اختص بان تنكشف المراة للرجال بابدا زينتها
واظهار محاسنها قوله تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على
المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابايكم او بيوت امهاتكم
او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت
اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح
ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية
من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون
اعلم ان في هذه الاية مسايل المسئلة الاولى اختلفوا في المراد من رفع
الحرج عن الاعمى والاعرج والمريض فقال ابن زيد المراد انه لا حرج عليهم
ولا اثم عليهم في ترك الجهاد وقال الحسن نزلت الاية في ابن ام مكتوم وضع
الله الجهاد عنهم عنه وكان اعمى وهذا القول ضعيف لانه تعالى عطف عليه
قوله ان تاكلوا جميعا او اشتاتا نبه بذلك على انه رفع الحرج في ذلك
وقال الاكثرون المراد منه ان القوم كانوا يحظرون الاكل مع هولا الثلاثة
وفي هذه المنازل وان الله تعالى رفع ذلك الحظر وازاله واختلفوا في انهم
لاي سبب اعتقدوا ذلك الحظر اما في حق الاعمى والاعرج والمريض فذكروا
وجوها احدها انهم كانوا ياكلون مع الاعمى لانه لا يبصر الطعام الجيد فلا
ياخذه ولا مع الاعرج لانه لا يستمكن من الجلوس قبل ان ياكل لقمة نحن
ناكل لقمتين ولا المريض لانه لا يتاتى له ان ياكل كما ياكل الصحيح قال
الفرا فعلى هذا التاويل يكون على بمعنى في يعني ليس لذلك في مواكلة
هولا حرج وثانيها ان العميان والعرجان والمرضى تركوا مواكلة الاصحا
اما الاعمى قال فاني لا ارى شيا فربما اخذ الاجود وترك الاردى واما الاعرج
والمريض فخافا ان يفسدا الطعام على الاصحا لامور لغير المريض ولاجل ان
الاصحا يكون موتهم ولاجل ان المريض ربما كمله الشره على ان يتعلق
نظره وقلبه بنظر الغير فلهذه الاسباب احترزوا عن مواكلة الاصحا فانه
تعالى اطلق لهم ذلك وثالثها روى الزهري عن سعيد بن المسيب وعبد
الله في هذه الاية ان المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمانهم وكانوا يسلمون
اليهم مفاتيح ابوابهم ويقولون قد احللنا لكم ان تاكلوا ما في بيوتنا وكانوا
يخرجون من ذلك وقالوا لا ندخلها وهم غايبون فنزلت هذه الاية رخصة
لهم وهذا قول عايشة فعلى هذا معنى الاية نفي الحرج عن الزمن في الكلام من بيت
الاكل

من يدفع اليهم المفتاح اذا خرج الى الغزو ورابعها نقل عن ابن عباس ومقاتل بن حيان
نزلت هذه الاية في الحرث بن عمرو وذلك انه خرج مع رسول الله غازيا فخلف
مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده محمودا فسال عن حاله فقال خرجت من
ان اكل من طعامك بغير اذنك اما في حق ساير الناس فذكروا وجهين الاول
كان المومنون يذهبون بالضعفا وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم
واولادهم وقرابايهم واصدقايهم فيطعموهم منها فلما نزل قوله تعالى ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة اي بيعا فعند ذلك امتنع الناس
ان ياكل بعضهم من طعام بعض فنزلت هذه الاية قال قتادة كانت الانصار
في انفسها تارة فكانت لا تاكل من هذه البيوت اذا استدلوا قال السدي كان
الرجل يدخل بيت ابنه او بيت اخيه او بيت اخته فتجيه المراة بشي من الطعام
فيخرج انه ليس ثم رب البيت فانزل الله تعالى الرخصة المسئلة الثانية
قال الزجاج الحرج في اللغة الضيق ومعناه في الدين الاثم المسئلة الثالثة
سبحانه اباح الاكل للناس من هذه المواضع فظاهر الاية يدل على ان اباحة
الاكل تتوقف على الاستيذان واختلف العلما فيه فنقل عن قتادة ان الاكل
مباح ولكن لا يحمل وجمهور العلما انكروا ذلك ثم اختلفوا على وجوه الاول كان ذلك
في صدر الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل مال امرء
مسلم الا بطيب من نفسه ومما يدل على هذا النسخ قوله لا تدخلوا بيوت النبي
الا ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وكان في ازواج الرسول من لهن الابا
والاخوة والاخوات وعم بالنهي عن دخول بيوتهن الا بعد الاذن في الدخول
وفي الاكل وقيل انما اذن الله تعالى في هذا لان المسلمين لم يكونوا يمنعون قراباتهم
هولا من ان ياكلوا في بيوتهم حضروا او غابوا فجاز ان يرخص في ذلك قلنا لو كان الامر
كذلك لم يكن لتخصيص هولا الاقارب بالذكر معنى لان غيرهم لهم في ذلك الثاني
قال ابو مسلم الاصفهاني المراد من هولا الاقارب اذا لم يكونوا مومنين وذلك لانه
تعالى نهى من قبل عن مخالطتهم بقوله لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله ثم انه سبحانه اباح في هذه الاية ما حظره هناك
قال ويدل عليه ان هذه السورة امر بالتسليم على اهل البيوت فقال ما لم تستاذنوا
وتسلموا على اهلها في بيت هولا المذكورين لم يامر بذلك بل امر ان تسلموا على انفسكم
والحاصل ان المقصود من هذه الاية اثبات الاباحة في الجملة لا اثبات الاباحة
في جميع الاوقات الثالث انه لما علم بالعادة ان هولا القوم تطيب انفسهم باكل
من يدخل عليهم فالعادة كالاذن في ذلك فيجوز ان يقال خصهم الله بالذكر لان هذه
العادة في الاغلب توجد فيهم ولذلك ضم اليهم الصديق ولما علمنا ان هذه الاباحة
الاباحة انما حصلت في هذه الصورة لاجل حصول الرضا فيها فلا حاجة الى القول
بالنسخ المسئلة الرابعة ان الله تعالى ذكر احد عشر موضعا في هذه الاية اولها

خولهم ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم وفيه سوال وهو ان يقال ما الفايدة في
اباحة اكل الانسان طعامه في بيته وجوابه المراد في بيوت ازواجكم وعيالكم
اضافه اليهم لان بيت المراة كبيت الزوج وهذا قول الفرا وقال ابن قتيبة اراد بيوت
اولادهم نسب بيوت الابنا الى الابا لان الولد كسب والده وماله كماله قال عليه
الصلاة والسلام ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه والدليل
عليه انه سبحانه عدد الاقارب ولم يذكر الاولاد لانه اذا كان سبب الرخصة
هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى وثانيها بيوت الابا وثالثها بيوت الامهات
ورابعها بيوت الاخوان وخامسها بيوت الاخوة وسادسها بيوت الاعمام وسابعها
بيوت العمات وثامنها بيوت الاخوال وتاسعها بيوت الخالات وعاشرها قوله
تعالى او ما ملكتم مفاتحه وقري مفتاحه وفيه وجوه الاول قال ابن عباس
وكيل الرجل والقيم في ضيعته وماشيته لا باس عليه ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب
من لبن ماشيته وتلك المفاتح كونها في يده وحفظه الثاني قال الضحاك يريد الزمنى
الذين كانوا يحرسون للغزاة الثالث بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه قال
المفضل المفاتح واحدها مفتح بفتح الميم وواحد المفاتيح مفتح بكسر الميم الحادي عشر
قوله او صديقكم والمعنى او بيوت اصدقايكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك
الخليط والقطين والعدو ويحكى عن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقايه وقد استلوا
سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون
فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد كبرا الصحابة
الصحابة وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين لان اهل جهنم لما استغاثوا
لم يستغيثوا بالابا والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وحكي
ان اخا الربيع بن خثيم دخل منزله في حال غيبته فانبسط الى جاريته حتى
قدمت اليه ما اكل فلما عاد اخبرته بذلك فاستبشر بذلك وقال ان صدقت
فانت حرة المسئلة الخامسة احتج ابو حنيفة بهذه الاية على ان من سرق
من ذي رحم محرم فانه لاباحة الله لهم بهذه الاية الاكل من بيوتهم ودخولها بغير
اذنهم فلا يكون ماله محرزا منهم فان قيل فيلزم ان لا يقطع من سرق من صديقه
قلنا من اراد سرقة ماله لا يكون صديقا له اما قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا
جميعا او اشتاتا فقال اكثر المفسرين نزلت هذه الاية في بني ليث بن بكر وهم
حي من كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده يمكث يومه فان لم يجد من يواكله لم ياكل
شيا وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاعلم
الله تعالى ان الرجل اذا كان وحده لا حرج عليه هذا قول ابن عباس وقال عكرمة
وابو صالح كانت الانصار اذا نزل واحد منهم ضيف لم ياكل الا وضيفه معه فرخص لهم ان
ياكلوا كيف شاوا مجتمعين ومتفرقين وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا لياكلوا
طعاما عزلوا للاعمى على حدة وكذلك الزمن والمريض فبين الله لهم ان ذلك غير

واجب

واجب وقال اخرون ياكلون فرادى خوفا من ان يحصل عند الجمعية ما ينفر او يوذي
فبين الله انه غير واجب وقوله جميعا نصب على الحال واشتاتا جمع شت وهي جمع
شتيت وشتان ... قاله المفضل وقيل الشت مصدر بمعنى التفرق ثم يوصف
به ويجمع اما قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم فالمعنى انه
تعالى جعل انفس المومنين كالنفس الواحدة على مثال قوله تعالى ولا تقتلوا
انفسكم قال ابن عباس فان لم يكن احد فعلى نفسه ليقل السلام علينا من قبل
ربنا واذا دخل المسجد فليقل السلام على رسول الله وعلينا من ربنا
قتادة وحدثنا ان الملايكة ترد عليهم قال القفال وان كان في البيت اهل الذمة
قال السلام على من اتبع الهدى وقوله تحية نصب على المصدر كانه قال فحيوا
تحية من عند الله اي مما امركم الله به قال ابن عباس من قال السلام عليكم فقوله
مباركة طيبة قال الضحاك فيه معنى البركة تضعيف الثواب وقال الزجاج
اعلم ان الله سبحانه وتعالى بين ان السلام مباركة ثابتة لما فيه من الاجر والثواب
وانه اذا اطاع الله اكثر خيره واجزل اجره كذلك يبين الله لكم الايات اي يفصل
لكم شرايعه لعلكم تعقلون لتفهموا عن الله امره ونهيه روى حميد عن انس قال
خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي في شي فعلته لم فعلته ولا قال لي لشي
كسرته لم كسرته وكنت واقفا على راس الرسول اصب الما على يديه فرفع راسه وقال
الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بهن قلت بابي وامي يا رسول الله بلى فقال
من لقيت من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير
بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الاوابين قوله تعالى انما المومنون الذين
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم
واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين
يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض
شانهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا
دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا
فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم الا ان
لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبيهم
بما عملوا والله بكل شي عليم وفي هذه الاية مسايل المسئلة الاولى قري على
امر جميع ثم ذكروا في قوله على امر جامع وجوها احدها ان الامر الجامع هو الامر الموجب
الاجتماع فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور في خطب
مهم او الامر الذي يعم ضرره او نفعه في قوله واذا كانوا معه على امر جامع انه خطب
جليل لا بد لرسول الله من ارباب التجارب والاراء يستعين بتجاربهم فمفارقة احدهم في
هذه الحالة مما يشق على قلبه وثانيها عن الضحاك في امر جامع الجمعة والاعياد وكل شي
يكون فيه الخطبة وثالثها عن مجاهد في الحرب ونحوه المسئلة الثانية اختلفوا

في سبب نزوله قال الكلبي كان النبي عليه الصلاة والسلام يعرض في خطبه بالمنافقين
ويعيبهم فنظر المنافقين بعضهم الى بعض شيئا وشمالا فاذا الفوا رجلا من احد انفلتوا وخرجوا ليصلوا
واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم الاية وكان بعد نزول هذه
الاية لا يخرج المؤمن لحاجته حتى يستاذن رسول الله وكان المنافقون يخرجون بغير
اذن **المسئلة الثالثة** هذا يدل على ان استيذانهم الرسول عن ايمانهم ولولا ذلك
لجاز ان يكونوا كاملي الايمان وان تركوا الاستيذان ودل ذلك على ان كل فرض
لله تعالى واجتناب محرم من الايمان فالجواب هذا مبنا على ان كلمة انما للحصر وايضا
فالمنافقون انما تركوا الاستيذان لانتفائهم ولا نزاع في انه كفر اما قوله تعالى
ان الذين يستاذنونك الى قوله ان الله غفور رحيم وتنبيه مسايل **المسئلة الاولى**
المعنى ان الذين يستاذنونك تعظيما لك ورعاية للادب اولئك الذين يؤمنون
بالله ورسوله اي يعملون موجب الايمان ومقتضاه كما يقال للمراد عن الخطاب
وذلك لانه استاذن في غزوة تبوك في الرجوع الى اهله فاذن له وقال انظلق فوالله
ما انت بمنافق بان يسمع المنافقين ذلك الكلام فلما سمعوا ذلك قالوا اما قال محمد
اذا استاذنوه اصحابه اذن لهم واذا استاذناه لم يأذن لنا فوالله ما تراه يعدل وقال
ابن عباس ان عمر استاذن رسول الله عليه الصلاة والسلام في العمرة فاذن له ثم قال
يا اخية لا تنسانا من صالح دعائك وفي قوله واستغفر لهم وجهان احدهما ان يستغفر
لهم تنبيها على ان الاولى ان لا يقع الاستيذان منهم وان اذن لان الاستغفار يدخل
في الذنب وانما ذكر عند تقصير من الرخص الثاني يحمل انه تعالى امره بان يستغفر لهم
مقابلة على تسلمهم بادب الله تعالى في الاستيذان **المسئلة الثانية** قال
مجاهد نسخ لم اذنت لهم نسخت هذه الاية وقال قتادة نسخت هذه الاية
بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فقيده وجوه
احدها وهو اختيار المبرد والفراء لا تجعلوا نداءكم ودعاءه لكم كما يكون من بعضكم
لبعض اذ كان امره فرضا لازما والذي يدل على هذا قوله عقيب هذا فليحذر الذين
يخالفون عن امره ونادوه لا ينادي بعضكم بعضا يا محمد يا ابا القاسم ولكن وسوا
اللهم يا نبي الله يا سعيد بن يحبر ونادوه لا ترفعوا اصواتكم في دعائه وهو المراد من
قوله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله عن ابن عباس الحذر ان دعاه ورايحها
احذروا دعاء الرسول عليكم اذا اسخطوه فادعاه موجب ليس كدعاء غيره والوجه الاول
اقرب الى نظم الاية اما قوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فالمعنى يتسللون
قليلا قليلا ونظيره تكاد يدرك وتدخل واللواذ الملاوذة ونقرأ على ان يكون هذا اذا كان
وذاك بهذه اي يتسللون من الجماعة في المخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم
ببعض وارادة الملاوذين وكان بعضهم يلوذ بالرجال اذا استاذن فياذن له فينطلق
الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح ثم اختلفوا على وجوه احدها قال الفراء كان

كان المنافقون يثقل عليهم خطبة النبي عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة
فيلوذون ببعض اصحابه ويخرجون من غير استيذان وثانيها قال مجاهد
يتسللون من الصف في القتال وقال ابن قتيبة هذا كان في حفر الخندق
وثالثها يتسللون عن نبي الله دين كتابه ومن ذكره وقوله قد يعلم
الله معناه التهديد بالمجازاة اما قوله فليحذر الذين يخالفون عن امره
ففيه مسايل **المسئلة الاولى** قال الاخفش عن صلة والمغني يخالفون
امره وقال غيره معناه يعرضون عن امره ويعدلون عن سننه فدخلت عن لتضمن
المخالفة الاعراض **المسئلة الثانية** لما تقدم ذكر الرسول فقد تقدم ذكر
الله لكن المقصد من الرسول اقامة ترجمة الكناية وقال ابو بكر الرازي الاظهر
انها لله تعالى لانه يليه وحكم الكناية رجوعها الى ما يليها دون ما تقدمها **المسئلة**
الثالثة الاية تدل على ان ظاهر الامر للوجوب ووجه الاستدلال به ان يقول
تارك المامور مخالف لذلك الامر ومخالف الامر مستحق العقاب والمعنى للوجوب
الا ذلك اما قلنا ان تارك المامور مخالف لذلك الامر لان موافقة الامر عبارة
عن الاتيان بمقتضاه والمخالفة ضد الموافقة وكانت مخالفة الامر عبارة
عن الاخلال بمقتضاه فثبت ان تارك المامور به مخالف واما قلنا ان مخالف
ذلك الامر يستحق العقاب لقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان
تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم امر مخالف هذا الامر بالحذر عن العقاب انما يكون
قيام المقتضي لنزول العقاب فثبت ان مخالف امر الله او امر رسوله فقد وجد في
حقه ما يقتضي نزول العذاب فان قيل لم لا يسلم ان تارك المامور به مخالف الامر
قوله موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه فمخالفته عبارة عن الاخلال
بمقتضاه قلنا لا نسلم ان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضى الامر
على الوجه الذي يقتضيه الامر لو اقتضاه على سبيل الندب وانت تاتي به على
سبيل الوجوب كان ذلك مخالف والامر الثاني ان موافقة الامر عبارة عن الاعتراف
بكون ذلك الامر حقا واجب القبول فمخالفته تكون عبارة عن انكار كونه حقا
واجب القبول سلمنا ان ما ذكرتم يدل على ان مخالفة الامر عبارة عن ترك مقتضاه
لكنه معارض بوجه اخر فانه لو كان ترك المامور به مخالف الامر لكان ترك المندوب
مخالف لامر الله تعالى وذلك باطل والا لاستحق العقاب على سهو في المقدمة
الثانية سلمنا ان ترك المامور به مخالف الامر فلم قلتم ان مخالف الامر مستحق
العقاب اما قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره قلنا لا نسلم ان هذه
الاية دالة على امر من ان يكون مخالف الامر بالحذر بل يحتمل ان يكون الحذر عن
مخالفة الامر فلم لا يجوز ان يكون كذلك سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز ان المخالف عن
الامر يلزمه الحذر فان قلت لفظة من صلة زايدة فنقول الاصل في الكلام خلافه سيما في
كلام الله ان لا يكون زايدا سلمنا دلالة الاية على ان مخالف امر المامور بالحذر عن العذاب

فلم قلتم انه يجب عليه الحذر عن العذاب اقصى ما في الباب انه ورد الامر به فلم قلتم
الامر للوجوب وهذا اول المسئلة قان قلت هب انه لابد لعلي وجوب الحذر لكن لابد
وان يدل على حسن الحذر وحسن الحذر انما يكون بعد قيام المقتضي لنزول العذاب
قلنا الانسلم ان حسن الحذر شرط القيام المقتضي نزول العذاب بل الحذر يحسن عند
احتمال نزول العذاب وهذا يحسن الاحتياط وعندنا بمجرد الاحتمال قايم لان هذه المسئلة
احتمالية لا قطعية سلمنا دلالة الاية على وجود ما يقتضي لكن لا نبي كل امر يدل في امر واحد
لان قوله عن امره لا يفيد الا امرا واحدا وعندنا ان امرا واحدا يفيد الوجوب فلم قلتم
ان كل امر كذلك سلمنا ان كل امر كذلك ولكن الضمير في قوله عن امره يحتمل عوده الى الله
تعالى وعوده الى الرسول عليه الصلاة والسلام فالاية لا تدل الا على ان الامر للوجوب
في حق احدهما فلم قلتم انه في حق الاخر وكذلك الجواب قوله لم قلتم ان موافقة
الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه قلنا الدليل عليه ان العبد اذا امتثل امر السيد
حسن ان يقال هذا العبد موافق للسيد وجرى على وفق امره ولو لم يمتثل امره لقال
انه ما وافقه بل خالفه وحسن هذا الاطلاق معلوم بالضرورة من اهل اللغة
فثبت ان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه وقوله الموافقة عبارة عن
الاتيان بما يقتضيه الامر على الوجه الذي يقتضيه الامر قلنا للسائل ان موافقة
الامر لا تحصل الا عند الاتيان بمقتضى الامر فقولك لا شك ان مقتضى الامر هو الفصل
لان قوله افصل لابد الا على اقتضا الفصل واذا لم يوجد الفصل لم يوجد مقتضى
الامر ولا يوجد الموافقة فيجب حصول المخالفة لا بد له من الموافقة والمخالفة لفظة
قوله للموافقة عبارة عن اعتقاد كون ذلك الامر حقا واجب القبول قلنا هذا
لا يكون موافقة للامر بل يكون موافقة الدليل الدال على ان ذلك الامر حق فان
موافقة المعنى عبارة عن الاتيان بما يقتضيه تقرير مقتضاه فاذا اول الدليل
على حقيقة التي كان الاعتراف بحقيقته يقتضي مقتضى ذلك الدليل اما الامر
فلما اقتضى دخول الفعل في الوجود كانت موافقته عبارة عما تقرر ذلك الدخول
وادخاله في الوجود تقتضي تقرير دخوله في الوجود فكانت موافقة الامر عبارة
عن فعل مقتضاه قوله لو كان كذلك لكان تارك المندوب مخالفا فوجب
ان يستحق العقاب قلنا هذا الالزام انما يصح ان لو كان المندوب مامورا به وهو
ممنوع قوله لم لا يجوز ان يكون قوله فليحذر امرا بالحذر عن المخالف بالحذر قلنا
لو كان كذلك لصار التقدير فليحذر المتسللون لواذا عن الذين يخالفون امره
وحينئذ يبقى قوله ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ضائعا لان الحذر
ليس فعلا يتعدى الى مفعولين فقوله كلمة عن ليست زايدة فلم ذكرنا احتمال التناقض
فيها في المسئلة الاولى قوله لم قلتم ان قوله فليحذر يدل على وجوب الحذر عن العقاب
قلنا لا ندعي وجوب الحذر ولكن لا شك ان من وجوب الحذر وذلك مشروط بوجود ما
يقتضي وقوع العذاب بوقوع ما يقتضي وجوب العقاب فان قيل لم قلتم ان الاية

تدل على ان كل مخالف للامر مستحق للعقاب قلنا لانه تعالى رتب نزول العقاب
على المخالفة فوجب ان يكون معللا به فيلزم عمومه لعموم العلة قوله هب ان
امر الله او امر رسوله للوجوب فلم قلتم ان الامر كذلك قلنا لما دل بالدليل المسئلة
الرابعة من الناس من قال لفظ الامر مشترك بين الامر القولي وبين البيان
والطريق كما يقال امر فلان مستقيم واذا ثبت ذلك كان قوله تعالى عن امره يتناول
قول الرسول وفعله وطريقته وذلك يقتضي ان كل ما فعله عليه الصلاة والسلام
يكون واجبا علينا وهذه المسئلة مبنية على ان الكناية في قوله عن امره راجعة
الى النبي عليه الصلاة والسلام اما لو كانت راجعة الى الله فالبحث ساقط بالكلية
وتمام تقريره ذكرناه والله اعلم اما قوله تعالى ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب
اليم واما رد الله تعالى على هذا المخالف بين هذين الامرين لان ذلك المخالف
قد يموت من دون عقاب الدنيا وقد يعرض له ذلك في الدنيا فلهذا السبب اورده
الله تعالى على سبيل الترديد ثم قال الفخر الرازي ظهر بما ذكرنا ان قول ابن عباس
الفتنة القتل والزلازل والاسر اولى من قول من قال الفتنة سلطان جائر لما قوله
الا ان لله ما في السموات والارض قد ذكرنا دلالة هذه الاية على قدرته تعالى عليهما
وعلى ما بينهما وعلمه بما يخفيه وما يعلنه وكل ذلك كالزجر عن مخالفة امره قوله قد
يعلم ما انتم عليه واما ان يحمل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين
والنفاق ويرجع تؤكيد العلم الى تؤكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع
كانت للتحقيق ربما توافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في قوله قد نرى تقلب
فربما اقام به بعد الوفود ويؤيد الخطاب في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه
يجوز ان يكون جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه
عاما ويرجعون للمنافقين وقد تقدم في غير موضع ان الرجوع اليه هو الرجوع الى
حيث لا حكم الا هو فلا وجه لاعادته والله اعلم تم تفسير النور بحمد الله وحسن توفيقه

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا اعلم انه سبحانه وتعالى تكلم في هذه
السورة في الترحيد والنبوة واحوال القيامة ثم ختمها بذكر صفات العباد المخلصين
الموقنين ولما كان اثبات الصانع واثبات صفات جلاله يجب ان يكون مقدما على
الكل لا جرم افتتح هذه السورة بذلك فقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده
وفيه مسايل المسئلة الاولى قال الزجاج تبارك تفاعل من البركة وكثرة الخير
وزيادته وفيه مسايل احدها تزايد خيره وتكاثر وهو المراد من قوله وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها والثاني تعالى عن كل شيء وتزايد عنه في ذاته وفي صفاته وفي

افعاله وما المراد من قوله ليس كمثله شيء اما تعاليه عن كل شيء وفي ذاته فيحتمل ان يكون
بوجوب وجوده وقدمه من جواز الفناء والعدم عليه وان يكون المعنى جل بفرد انيته
عن مشابهة شيء من الممكنات واما تعاليه عن كل شيء في صفاته فيحتمل ان يكون
المعنى جل في قدرته وعلمه وان يخرج عنها شيء من المعلومات وان يكون المعنى
جل ان يكون علمه ضروريا او كسبيا او تصورا او تصديقا وفي قدرته يحتاج الى
مادة ومدة ومثال ولما تعالى عن هذه الاحوال في افعاله فجل ان يكون الوجود والبقاء
وصلاح حال الوجود الا من بسببه وقال اخرون اصل الكلمة تدل على البقاء وسمي ماء حوض
بروك البعير من بروك الطير على الماء وسميت البركة بركة لثبوت الماء فيها والمعنى
انه سبحانه باق في ذاته ازلا وابدا ممتنع التغير باق في صفاته ممتنع التبدل
ولما كان سبحانه هو الخالق لوجوه المصالح والمنافع والمعاني لها وجب وصفه سبحانه
بانه تبارك وتعالى **المسئلة الثانية** قال اهل اللغة كلمة الذي موضوعة
للاشارة الى الشيء عند تحلوله بعرفه بسمة معلومة وعند هذا يتوجه الاشكال
وهو ان القوم ما كانوا معترفين بانه سبحانه هو الذي نزل الفرقان فكيف حسن ههنا
لفظ الذي وجوابه انه لما قامت الدلالة على كون القرآن معجزا ظاهرا بحسب الدليل
كونه من عند الله فلقوة الدليل وظهوره اجراه سبحانه مجرى المعلوم **المسئلة**
الثالثة لا نزاع في ان الفرقان هو القرآن ووصف بذلك من حيث انه سبحانه
فرق بين الحق والباطل في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وبين الحلال
والباطل والحرام او لانه فرق في النزول كما قال وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس
على مكث وهذا التأويل اقرب لانه قال نزل الفرقان ولقط نزل يدل على التفريق
واما لفظة انزل فقد ذكر على الجمع ولذلك قال في سورة آل عمران نزل عليك الكتاب
بالحق وانزل التوراة والانجيل واعلم انه سبحانه لما قال اولا تبارك ومعناه
كثرة الخيرات والبركة ثم ذكر عقيبه نزل الفرقان دل على ان القرآن منشأ اعظم
الخيرات اعم البركات لكن القرآن ليس سببا للعلوم والمعارف والحكم فما وجه هذا على
ان العلم اشرف المخلوقات واعظم الاشياء خيرا وبركة **المسئلة الرابعة**
لا نزاع ان المراد من العبد محمد ههنا عليه الصلاة والسلام وعن ابن الزبير
عن عباد الله يوم رسول الله وامته كما قال لقد انزلنا اليكم كتابا تولوا امنا بالله وما انزل
الينا وقوله ليكون للعالمين نذيرا والمراد ليكون هذا العبد نذيرا للعالمين
وقول من قال انه راجع الى الفرقان واضافة الانزال اليه كاضافة الهداية اليه
في قوله ان القرآن يهدي ويعظ بعيد وذلك لان المنذر النذير من صفات الفاعل
للتخويف واذا وصف به القرآن فهو مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اذا امكن هو الواجب
ثم قالوا ان هذه الاية تدل على احكام الاول ان العالم كل ما سوى الله يتناول
جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة لكنا اجمعنا انه عليه الصلاة والسلام
لم يكن رسولا الى الملائكة فوجب ان يبقى كونه رسولا الى الانس والجن جميعا وبطل

بهذا قول من قال انه كان رسولا الى البعض دون البعض الثاني ان لفظ العالمين
يتناول جميع المخلوقات فتدل الاية على انه رسول الى الخلق الى يوم القيامة
فوجب ان يكون خاتم الانبياء والرسل الثالث قالت المعتزلة دلت الاية على
ان الله سبحانه اراد الايمان وفعل الطاعات من الكل لانه بعثه الى الكل ليكون
نذيرا للكل واما يريد كونه نذيرا للكل لو اراد من الكل الاشتغال بالحسن
والاعراض عن القبيح وعارضهم اصحابنا بقوله وقد ذرانا لجهنم الرابع ان يقول
قوله تبارك لما دل على كثرة الخيرات والبركة لا بد وان يكون المذكور عقيبه
ما يكون سببا لكثرة الخيرات والمنافع والانذار يوجب الخوف والخوف تكليف يليق
ذكره بهذه المواضع وجوابه ان هذا الانذار يجري مجرى تاديب الولد كلما كانت
المبالغة في تاديب الولد اكثر كانت الاحسان اليه اكثر كما ان ذاك يودي
في المستقبل الى المنافع العظيمة فكذا ههنا كلما كان الانذار اكثر كان رجوع
المكلف الى الله اكثر فكانت المستحقات الاخروية اتم واكثر وقال كالتنبيه على
ان الله لا التفات الى المنافع العاجلة وذلك لانه سبحانه لما وصف نفسه بانه
الذي يعطي الخيرات الكثيرة لم يذكر الا منافع الدين ولم يذكر البتة شيئا من منافع
الدنيا لتراه وصف نفسه بامر يعم اشياء من صفات الكبرياء وهو قوله الذي له ملك
السموات والارض وهذا كالتنبيه على الدلالة على وجوده سبحانه لانه طريق
الى اثباته الا بواسطة احتياج افعاله اليه فكان تقديم هذه الصفة على سائر
الصفات كالامر الواجب وقوله له ملك السموات والارض اشارة الى احتياج هذه
المخلوقات اليه سبحانه زمان حدوثها وزمان بقائها في ماهياتها ووجوداتها انه
سبحانه هو المتصرف فيها كيف يشاء وبما يشاء قوله ولم يكن له ولد بين سبحانه انه
هو المعبود ابدا ولا يصح ان يكون عيسى معبودا ابدا وان الملائكة فكذلك هذه
الصفة كالمؤكد لقوله تبارك وتعالى الذي له ملك السموات والارض وهذا كالرد
على النصارى وثالثها قوله ولم يكن له شريك في الملك والمراد انه متفرد بالالهية
على التنزيه والعابدين بعبادة النجوم والعاملين بعبادة الاوثان ورابعها
قوله خلق كل شيء فقدره تقديرا وفيه سؤالان السؤال الاول ما هو في قوله وخلق
كل شيء دلالة على انه سبحانه خالق لاعمال العباد الجواب ثم من وجهين الاول ان قوله وخلق
كل شيء فقدره تقديرا يتناول جميع الاشياء فيتناول افعال العباد والثاني وهو انه
تعالى بعد ان نفى الشريك ذكر والتقدير انه لما نفى الشريك كان قابلا لان يقال
لكون معه في الالوهية قال القاضي الاية لا تدل عليه لوجوه احدها انه سبحانه تمدح
بذلك فلا يجوز ان يريد به خلق العباد وثانيها انه سبحانه مدح بانه قدر تقديرا
ولا يجوز ان يريد به الا الحسن والحكمة دون عين تلك بهذه الوجوه انه لا بد من التاويل
ودلالة الاية ظاهرها عليه فكيف ولا دلالة فيها البتة لان الخلق عبارة عن التقدير
فهو لا يتناول الا ما ظهر فيه التقدير وذلك انما يظهر في الاجسام لا في الاعراض عن

والجواب اما قوله واذ تخلق فقوله احسن الخالقين الله خالق كل شي وبقوله هل من خالق
واما قوله لا يجوز التمدح بخلق الفساد قلنا لم لا يجوز ان يقع التمدح به نظرا الى نفاذ
القدرة ولا الى ان صفة الايجاد من العدم والاعدام من الوجود ليست الا له واما
قوله الخلق لا يتناول الا الاجسام فنقول لو كان كذلك لكان قوله كل شي خطا لانه
يقتضي اضافة الخلق الى جميع الاشيا مع انه لا يصح في العقل اضافته اليها السوال
الثاني في الخلق معنى التقدير فقوله وخلق كل شي فقدره تقديرا معناه وقدر
كل شي فقدره تقديرا والجواب احدث كل شي احداثا مراعا فيه التقدير والتسوية
فقدره وهياه لما يصح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المستوي
الذي يراه فقدره للتكليف والمصالح المنوطة في حال الدين والدنيا ولذلك كل
حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة باصل الحكمة والتدبير فقدره
لامر ما ومصلحة ما مطابقا كما قدره له غير متخالف عنه السوال الثالث هل في
قوله فقدره تقديرا دلالة على مذهبكم الجواب نعم وذلك من وجوه احدها
ان التقدير في معناه يرجع الى الظن والحسبان اما في حقه سبحانه فانه
لا معنى له الا العلم به والاخبار عنه وذلك متفق عليه بيننا وبين المعتزلة فلما
علم في الشي الفلاني انه لا يقع فلو وقع ذلك الشي لزم انقلاب علمه جهلا وانقلاب
خبره الصدق كذبا وذلك محال والمعنى الى المحال محال فاذن وقوع ذلك الشي
محال والمحال غير مراد فذلك الشي غير مراد وانه مامور به فثبت ان الامر والارادة
متلازمان فظهر ان السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه
وثانيها ان عند حصول القدرة والداعية الخالصة ان وجب الفعل كان
فعل العبد موجب فعل الله تعالى وحينئذ يبطل قول المعتزلة وان لم يجب
فان استغنى عن المرجح فقد وقع الممكن لا عن مرجح وتجويزه يسد باب اثبات
الصانع وان لم يستغن عن المرجح فالكلام يعود في ذلك المرجح ولا ينقطع الا عند
الانتهاء الى واجب الوجود وثالثها ان فعل العبد لو وقع بقدرته لما وقع الا الذي
اراد تكوينه وايجاده لكن الانسان لا يريد الا العلم والحق ولا يحصل له الا الجهل
والباطل فلو كان الامر بقدرته لما كان كذلك فان قيل ذلك انما كان لانه
اعتقد شبهة اوجبت له ذلك الجهل قلنا ان اعتقد ذلك الشبهة لشبهة
اخرى لزم التسلسل وهو محال فلا بد من الانتهاء الى جهل اول وقع في قلب الانسان
لا بسبب جهل سابق بل الانسان احدثه ابتدا من غير موجب وذلك
محال لان الانسان فطن لا يرضى لنفسه بالجهل فلا يحاول تحصيل الجهل لنفسه بل
لا يحاول الا العلم فوجب ان لا يحصل له الا ما قصده واراده وحيث لم يكن كذلك
علمنا ان الكل بقضاء الباري وقدرته وهو المراد من قوله وخلق كل شي فقدره
تقديرا قوله تعالى واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيا وهم يخلقون ولا يملكون
لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا اعلم انه سبحانه لما وصف

نفسه بصفات الجلال والعزة والعلو اردف ذلك بتزييف عبدة الاوثان وبين
نقصانها من وجوه الاول انها ليست خالقة الاشيا والاله يجب ان يكون قادرا
على الخلق والايجاد وثانيها انها مخلوقة لله والمخلوق محتاج والاله يجب ان
يكون غنيا وثالثها انها لا تملك لانفسها ضرا ولا نفعا ومن كان كذلك فهو لا يملك
موتا ولا حياة ولا نشورا اي لا يقدر على الاحيا والاماتة في زمان التكليف ورابعها
ورابعها في زمان المجازات ومن كان كذلك كيف يسمى الها وكيف تحسن عبادته
مع ان حق من يحق له العبادة ان ينعم بهذه النعم المخصوصة وها هنا سوالات
السوال الاول قوله واتخذوا من دون الله الهة هل يختص بعبدة الاوثان او يدخل
فيه النصارى وعبدة الكواكب وعبدة الملايكة الجواب قال القاضي بعد ان
يدخل فيه النصارى لانهم اتخذوا من دون الله الهة على الجمع فالاقرب ان المراد
به عبادة الاصنام ويجوز ان يدخل فيه من عبد الملايكة لان معبودها كفر
ولقايل ان يقول واتخذوا صيغة جمع وقوله الهة جمع والجمع اذا قوبل بالجمع يقابل
الفرد بالفرد فلم يكن كون معبود النصارى واحدا مانعا من دخوله تحت هذا
اللفظ السوال الثاني احتج بعض اصحابنا بقوله واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون
شيا على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فقال ان الله تعالى عاب هولا الكفار
من حيث عبدوا ما لا يخلق شيا وذلك يدل على ان من خلق يستحق ان يعبد فلو كان
العبد خالقا لكان معبودا الها اجاب الكعبي عنه بانا لا نطلق اسم الخالق الا على
الله تعالى وقال بعض اصحابنا في الخلق له الاحداث لا تعالج وفكر وتعب ولا
يكون ذلك الا لله ثم قال قال تعالى الهم ارجل يمشون بها فيدل ذلك على
من له رجل يستحق ان يعبد فاذا قالوا لا نقل ذلك فكذلك ما ذكرتم وقال
الله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين هكذا كله كلام الكعبي والجواب قوله
لا يطلق اسم الخالق على العبد قلنا بل يجب ذلك لان الخلق في اللغة هو
التقدير والتقدير يرجع الى الظن والحسبان فوجب ان يكون اسم الخالق حقيقة
في العبد مجاز في الله تعالى وكيف يمكنكم مع اطلاق لفظ الخالق
على العبد اما قوله تعالى الهم ارجل يمشون بها فالعيب انما وقع عليهم بالعجز
فلا جرم ان كل من يحقق العجز في حقه من بعض الوجوه لم تحسن عبادته واما قوله
فتبارك الله احسن الخالقين فقد تقدم الكلام عليه واعلم ان هذه الاية لا يقوى
استدلال اصحابنا بها لاحتمال ان العيب انما حصل بمجموع الامرين احدهما
انهم ليسوا بخالقين والثاني انهم مخلوقون والعبد وان كان خالقا الا انه
مخلوق فلم يلزم ان يكون الها معبودا السوال الثالث هل تدل الاية على العيب
الجواب نعم لانه تعالى ذكر النشور ومعناه يجب ان يكون المعبود قادرا على
ايصال الثواب الى المطيعين والعقاب الى العصاة ومن لا يكون كذلك وجب
ان لا يصلح للالهية قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه

واعانه عليه قوم اخرون فقد جاوا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين اكتتبها
فهي تملى عليه بكرة واصيلا قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان
غفورا رحيما وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل
اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقال
الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا
يستطيعون سبيلا اعلم انه سبحانه وتعالى تكلم اولا في التوحيد وثانيها
على عبدة الاوثان وثالثها في هذه الاية في مسئلة النبوة وحكى سبحانه شبههم
في انكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام الشبهة الاولى قولهم ان هذا الا افك
افتراه واعانه عليه قوم اخرون ونظيره قوله تعالى انما يعلمه بشر لسان
واعلم انه يحتمل ان يريدوا انه كذب في نفسه ويحتمل انهم يريدوا انه كذب في اضافته
الى الله تعالى ثم ها هنا بحثان الاول قال ابو مسلم الافترا افتعال من فريه
وقد يقال في تقدير الاديم فريت الاديم فاذا اريد قطع الافساد سمي افريت وافتريت
وخلقت واختلقت ويقال فيمن شتم امرا بما ليس فيه افترى عليه قال الكلبي
ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث الذي قال هذا القول واعانه عليه قوم
اخرون يعني عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار غلام عامر بن الحضرمي وجبر
مولى عامر وهولا الثلاثة كانوا من اهل الكتاب وكانوا يقرون التوراة ويحدثون
احاديث منها فلما اسلموا وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتعهدهم فمن اجل
ذلك قال النضر ما قال واعلم ان الله تعالى اجاب عن هذه الشبهة بقوله فقد
جاوا ظلما وزورا وفيه ابحاث الاول ان هذا القدر انما هو جوابا عن الشبهة
المذكورة لانه قد علم كل عاقل انه عليه الصلاة والسلام تحداهم بالقران
وهو النهاية في الفصاحة وقد بلغوا في الحرص على ابطاله كل غاية حتى
احوجهم ذلك الى ما وصفوه به في هذه الايات فلو امكنهم ان يعارضوه لفعلوا
ولكان ذلك اقرب ان يبلغوا مرادهم فيه مما اورده في هذه الايات وغيرها
ولو استعان محمد عليه الصلاة والسلام في ذلك بغيره لامكنهم ايضا ان يستعينوا
بغيرهم لان محمدا عليه الصلاة والسلام كاوليك المكثرين في معرفة اللغة
في المكنة من الاستعانة فلما لم يفعلوا ذلك والحال هذه علم ان القول قد بلغ
النهاية وانتهى الى حد الاعجاز ولما تقدمت هذه الدلالة مرات وكرات في
القران ظهر بسببها سقوط هذا السوال وظهر ان اعادة السوال بعد تقدم
تلك الدلالة الواضحة لا يكون للتمادي في الجهل والعناد فلذلك اكتفى
الله بذكر الجواب في قوله لقد جاوا ظلما وزورا اي اتوا ظلما وكذبا وهو كقوله
لقد جيتم شيا ادا فانتصب لوقوع المجي عليه وقال الزجاج انتصب لنزع
الخافض اي جاوا بالظلم والزور البحث الثالث انه تعالى وصف كلامهم بانه
زور اما انه ظلم فلانهم نسبوا هذا الفعل القبيح الى من كان مبرا عنه فقد

وضعوا الشي في غير موضعه الشبهة الثانية قوله تعالى وقالوا اساطير الاولين
اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا ففيه ابحاث البحث الاول اساطير الاولين
ما سطره المتقدمون كاحاديث رستم واسفنديار جمع اسطر او اسطورة كاحدوثة
اكتتبها انتسخها محمد من اهل الكتاب وجبر ويسار ومعنى اكتتب ها هنا امر ان
يكتب كما يقال احتجم وافتصد اذا امر بذلك فهي تملى عليه تقرا عليه والمعنى انها
كتبت له وهو امي فهي تلقى عليه من كتابه ليتحفظها لان صورة الالقا على الحافظ
كصورة الفاعل الكاتب اما قوله بكرة وعشيا قال الضحاك ما يملى عليه بكرة
يقراه عليه بكرة البحث الثاني قال الحسن قوله فهي تملى عليه بكرة وعشيا كلام
الله وذكره جوابا عن قولهم كانه تعالى قال ان هذه الاية تملى عليه بالوحي حالا
بعد حال فكيف ينسب الى انه اساطير الاولين واما جمهور المفسرين فقد اتفقوا
على ان ذلك من كلام القوم وارادوا به ان اهل الكتب املوا عليه في هذه
الاوقات هذه الاشيا ولا شك ان هذا القول اقرب لوجوه احدها شدة تعلق
هذا الكلام بما قبله فكانهم قالوا اكتتب الاساطير فهي تملى عليه وثانيها ان
هذا هو المراد بقولهم واعانه عليه قوم اخرون وثالثها انه تعالى اجاب بعد
ذلك عن كلامهم بقوله قل انزله الذي يعلم السر قال صاحب الكشاف قول
الحسن انما يستقيم ان لو فتحت همزة الاستفهام الذي في معنى الانكار وحق
الحسن ان يقف على الاولين واجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله قل انزله
الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما وفيه ابحاث
البحث الاول في بيان هذه الاية كيف يصلح ان يكون جوابا عن تلك الشبهة
وتقريره ما قدمناه انه عليه الصلاة والسلام تحداهم بالمعارضة وظهر عجزهم
عنها وكان عليه الصلاة والسلام اتى بالقران لاستعان باحد وكان من الواجب
عليهم ايضا ان يستعينوا باحد فياتوا بمثل القران فلما عجزوا عنه ثبت انه وحي
الله وكلامه فلهذا قال قل انزله الذي يعلم السر وذلك لان القادر على
تركيب الفاظ القران لا بد وان يكون عالما بكل المعلومات ظاهرها وباطنها
من وجوه احدها ان مثل هذه الفصاحة لا تتاتى الا من العالم بكل المعلومات
وثانيها ان القران يشتمل على الاخبار عن الغيوب وذلك لا يتاتى الا من
العالم بكل المعلومات وثالثها ان القران مبرا عن التناقض وذلك لا يتاتى الا
من العالم بكل المعلومات كما قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا ورابعها انه مشتمل على كثير من الاحكام التي هي مقتضية
لمصالح العالم ونظام العباد وذلك لا يكون الا من العالم بكل المعلومات
وخامسها اشتماله على انواع من العلوم وذلك لا يتاتى الا من العالم بكل
المعلومات فلما دل القران من هذه الوجوه على انه ليس الا كلام العالم بكل
المعلومات لا جرم اكتفى في جواب شبههم بقوله قل انزله الذي يعلم السر البحث

الثاني اختلفوا في المراد بالسر فمنهم من قال المعنى ان العالم بكل سر في
السموات والارض هو الذي يمكنه انزال مثل هذا الكتاب وقال ابو مسلم
المعنى انزله من يعلم السر فلو كذب لانتقم منه كقوله تعالى ولو تقول علينا
بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين وقال اخرون المعنى انه يعلم كل ما خفي في
السموات والارض ومن جملة ما انتم تسرونه من الكيد لرسوله على علمكم بان
ما يقوله باطل وزور وكذلك باطل لوجهين الاول قال ابو مسلم المعنى انما انزله
للانذار فوجب ان يكون غفورا رحيما يمهل ولا يعاجل الشبهة الثالثة وهي في
نهاية الركة وذكروا له خمسة فزعموا انها تخل بارساله احدها قوله وقالوا
ما لهذا الرسول ياكل الطعام وثانيها قوله ويمشي في الاسواق يعني انه لما كان
كذلك من انزل الفضل علينا وهو مثلنا في هذه الامور وثالثها لولا انزل عليه
ملك فيكون معه نذيرا يصدقه ويشهد له ويرد على من خالفه ورابعها قوله
او يلقى اليه كنز من السما مسقه فلا يحتاج الى التردد لطلب المعاش وخامسها قوله
او تكون له جنة ياكل منها قرا حمزة والكسائي ناكل منها بالنون وقرا الباقون
بالياء والمعنى ان لم يكن لك كنز فلا اقل من ان يكون كواحد من الدهاقين
فيكون لك بستان تاكل منه وسادسها ان تتبعون الا رجلا مسحورا وقد
تقدمت هذه القصة في اخر سورة بني اسرائيل فاجاب الله تعالى عن هذه
الشبهة من وجوه احدها قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون
سبيلا وفيه ابحاث البحث الاول ان هذا كيف يصلح ان يكون جوابا عن تلك
الشبهة وبيانه ان الذي يتميز الرسول به عن غيره هو المعجز وهذه الاشيا التي
ذكروها لا تقدح شي منها في المعجز فلا يكون شي منها قادحا في النبوة فكانه تعالى
قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الامثال التي لا فايدة فيها لاجل انهم
لما ضلوا وارادوا القدح لم يجدوا الى القدح فيه سبيلا البتة اذ الطعن عليه
انما يكون بما يقدح في المعجزات التي ادعاها لا بهذا الجنس من القول وفيه
وجه وهو انهم لما ضلوا لم يبق فيه استطاعة قبول الحق وهذا انما يصح على
مذهبنا وتقريره بالعقل ظاهر وذلك لان الانسان انما يكون مستوي
الداعي الى الحق والباطل وان يكون داعيه الى احدهما ارجح من داعيه الى
فان كان الاول فحال الاستوا يمتنع الرجحان فيمتنع الفعل وان كان الثاني
فحال رجحان احد الطرفين يكون حصول الطرف الاخر ممتنعا فثبت ان حال
رجحان الضلال في قلبه استحال منه قبول الحق وما كان محالا لم يكن عليه
قدرة فثبت انهم لما ضلوا ما بقوا مستطيعين للحق قوله تعالى تبارك الذي
ان شا جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل
كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا راتهم من مكان بعيد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا

محلهما المجلد على قدمهما واختير بعد صفح الايات الظريفة

لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اعلم ان هذا هو الجواب الثاني عن
تلك الشبهة بقوله تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك اي من الذي ذكروه
من نعم الدنيا كالكنز والجنة وفسر ذلك الخير بقوله جنات تجري من تحتها الانهار
ويجعل لك قصورا نبه بذلك على انه سبحانه قادر على ان يعطي الرسول كل ما ذكر
فيه لكنه تعالى يدبر عباده بحسب المصالح او على وفق المشية ولا اعتراض لاحد
عليه في شي من افعاله فيفتح على واحد ابواب المعارف والعلوم ويسد عليه باب
الدنيا وفي حق الاخر بالعكس وما ذاك الا لانه فعال لما يريد المسئلة الاولى
قال ابن عباس خيرا من ذلك اي مما عيروك بفقده انهم عيروك بفقد الجنة
الواحدة وهو سبحانه وتعالى قادر على ان يعطيك جنات كثيرة وقال
في رواية عكرمة خيرا من ذلك اي من المشي في الاسواق وابتغا المعاش المسئلة
الثانية قوله ان شا معناه انه سبحانه قادر على ذلك لا انه شاك لان
الشك لا يجوز على الله وقال قوم ان ها هنا بمعنى او اي قد جعلنا لك في الاخرة
جنات وبنينا لك قصورا وانما ادخل ان تنبيها للعباد على انه لا ينال ذلك
الا برحمة الله وانه معلق على محض مشيته وانه ليس لاحد من العباد
حقا على الله تعالى لا في الدنيا ولا في الاخرة المسئلة الثالثة القصور
جماعة القصر وهو المسكن الرفيع ويحتمل ان يكون لكل جنة قصر فيكون سكنا
وصرها ويجوز ان تكون القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان
شا جعل لك جنات في الاخرة وقصورا في الدنيا المسئلة الرابعة
اختلف القرا في قوله يجعل لك فرفع ابن كثير وابن عامر وعاصم اللام وجزمه
الاخرون فمن جزم فلان المعنى ان يشا يجعل لكم ذلك جنات ويجعل لكم قصورا
ومن رفع فعلى الاستثنا والمعنى سيجعل لك قصورا هذا قول الزجاج قال
الواحدي وبين القراتين فرق في المعنى فمن جزم فالمعنى ان شا جعل لك
قصورا في الدنيا ولا يحسن الوقف على الانهار ومن رفع حسن الوقف على الانهار
واستانف جنات الى ويجعل لك قصورا في الاخرة وفي مصحف ابي وابن
مسعود تبارك الذي ان شا يجعل المسئلة الخامسة عن طاوس عن ابن
عباس قال بينما رسول الله جالس وجبريل عليه الصلاة والسلام معه فقال
جبريل هذا ملك قد نزل من السما استاذن ربه في زيارتك فلم يلبث قليلا الا
جا الملك وسلم على رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال ان الله يخيرك بين
ان يعطيك مفاتيح كل شي لم يعط لاحد من قبلك ولم يعط لاحد من بعدك من غير ان
ينقصك مما ادخر لك شيا فقال عليه الصلاة والسلام يجمعها لي جميعا في الاخرة
فنزل تبارك الذي ان شا جعل لك الاية وعن ابن عباس قال عليه الصلاة
والسلام عرض علي جبريل بطحا مكة فقلت بل شبعة وثلاث جوعات وذلك
اكبر لذكري ومسكنتي لربي وفي رواية صفوان بن سليم عن عبد الوهاب قال اشبع

يوما واجوع ثلاثا فاحمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت قال الضحاك
لما عم المشركون رسول الله عليه الصلاة والسلام ناهاقه خزن رسول الله لذلك
فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام مقريا له فقال ان الله تعالى يقريك السلام
ويقول وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام الاية فبينما
جبريل عليه الصلاة والسلام والنبي عليه الصلاة والسلام يتحدثان اذ فتح باب
من ابواب الجنة السماء لم يكن فتح قبل ذلك ثم قال ابشر يا محمد هذا رضوان
خازن الجنة قد اتاك بالرضا من ربك خيرك بين ان تكون نبيا ملكا وبين
ان تكون نبيا عبدا ومعه سفط من نور يتلالا ثم قال هذه مفاتيح خزاين الدنيا
فاقبضها من غير ان ينقصك الله مما اعد لك في الاخرة جناح بعوضة فنظر النبي الى
جبريل عليهما افضل الصلاة والسلام كالمستشير فاومى بيده ان تواضع فقال
عليه الصلاة والسلام نبيا عبدا قال وكان عليه الصلاة والسلام ياكل بعد
ذلك متكيا حتى فارق الدنيا اما قوله تعالى بل كذبوا بالساعة فهذا جواب
ثالث عن تلك الشبهة كانه سبحانه قال ليس ما تعلقوا به شبهة عليه في نفس
الامر وها هنا مسايل المسئلة الاولى قال ابو مسلم واعتدنا اي جعلناها
عتيدا ومعدا لهم والسعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسما
جهنم المسئلة الثانية اجمع اصحابنا على ان الجنة مخلوقة بقوله تعالى اعدت
للمتقين وعلى ان النار التي هي دلت على العقاب مخلوقة بهذه الاية وعلى قوله
واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا وقوله اعتدنا اخبار عن فعل وقع في الماضي
فدلت الاية على ان دار العقاب مخلوقة وقال الجبائي يحتمل واعتدنا النار في
الدنيا وبها يعذب الفساق والكفار في قلوبهم ويحتمل نار الاخرة ويكون معنى واعتدنا
اي سنعدها لهم كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار واعلم ان هذا السوال
في نهاية السقوط لان المراد من السعير اما نار الدنيا واما نار الاخرة فان كان الاول
فاما ان يكون المراد انه تعالى يعذبهم في الدنيا بنار الدنيا او يعذبهم في الاخرة
بنار الدنيا والاول باطل لانه يقال ما عذبهم بالنار في الدنيا والثاني ايضا باطل
لانه لم يقل احد من الامة ان الله تعالى يعذب الكفرة في الاخرة بنيران الدنيا
فثبت ان المراد نار الاخرة فثبت انها معدة وحمل الاية على ان الله سيجعلها
معدة ترك للظاهر من غير دليل وعلى ان الحسن قال السعير اسم من اسما جهنم
فقوله واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا صريح في انه تعالى اعد جهنم المسئلة
الثالثة احتج اصحابنا على ان السعيد من سعد في بطن امه فقالوا ان الذين
اعد الله تعالى لهم السعير واخبر عن ذلك وحكم به ان لو صاروا مومنين من اهل الثواب
انقلب حكم الله بكونهم من اهل السعير كذبا وانقلب علمه جهلا وهذا الانقلاب محال
والمفضي الى المحال محال فصيرورة اوليك مومنين من اهل الثواب محال فثبت ان السعيد
لا ينقلب شقيا والشقي لا ينقلب سعيدا ثم انه سبحانه وصف السعير بصفات احدها

قوله اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وها هنا مسايل المسئلة
الاولى السعير مذكر لكن جاء ها هنا مونثا على معنى النار المسئلة الثانية
مذهب اصحابنا ان الحياة ليست شرطا في الحياة فالنار على ما هي عليه يجوز ان
يخلق الله الحياة والعقل والنطق فيها وعند المعتزلة ذلك غير جايز وهولاء
المعتزلة ليس لهم في الباب حجة الا استقرار العادات ولو صدق ذلك لوجب
التكذيب بانخراق العادات في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وهولاء
قولهم متناقض بل انكار العادات لا يليق الا باصول الفلاسفة فعلى هذا
قال اصحابنا قول الله تعالى في صفة النار اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا
لها تغيظا وزفيرا يجب اجراوه على الظاهر فانه لا امتناع في ان تكون النار
حية راتية مغتاظة على الكفار اما المعتزلة فقد احتاجوا الى التاويل وذكروا
فيه وجوها احدها قوله راتهم ظهرت لهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر وقال
عليه الصلاة والسلام ان المومن والكافر يتراءى نارهما اي لا يقابل لما يجب على
المومن من محاسبة المشرك ويقال دور فلان مناظرة اي مقابلة وثانيها ان
النار لشدة اضطرابها وغليانها صارت كانها ترى الكفار وتطلبهم وتغتاظ
عليهم وثالثها قال الجبائي لما ذكر النار اراد الخزنة الموكلة بتعذيب اهل
النار لان الروية تصح منهم ولا تصح من النار وهو كقوله واسئل القرية اي اراد اهلها
المسئلة الثالثة لقايل ان يقول التغيظ عبارة عن شدة الغيظ وذلك
لا يكون مسموعا فكيف قال الله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا والجواب
عنه من وجوه احدها ان التغيظ اذا لم يسمع فانه قد سمع ما دل عليه من الصوت
وهو كقولك اما رايت غضب الامير على فلان اذا راى ما يدل عليه وكذلك
قوله تعالى في الجنة فكذا ها هنا والمعنى سمعوا لها صوتا مغيظا وهو قول
الزجاج علموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا وهذا قول قطرب كقوله

متقلدا سيفا ورمحا

وثالثها المراد تغيظ الخزنة المسئلة الرابعة قال عبيد بن عمير ان جهنم
لتزفر زفرة لا يبقى احد الا ترعد فرايصه حتى ان ابراهيم عليه الصلاة
والسلام يجثو على ركبتيه فيقول لا املك الا نفسي الصفة الثانية قوله تعالى
واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا اعلم انه سبحانه لما
وصف حال الكفار حين ما يكونون بالبعد من جهنم وصف حالهم عند ما يلقون فيها
نعوذ بالله منه بما لا شي ابلغ منه وها هنا مسايل المسئلة الاولى نقل في
تفسير الضيق امور قال قتادة ذكر لنا عن عبد الله بن عمر قال ان جهنم لتضيق
على الكافر كتضييق الزج على الرمح وسيل عن ذلك فقال والذي نفسي بيده
انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحايط قال الكلبي الاسفلون يدفعهم
اللهب والاعلون يخفضهم الداخلون فيزدحمون في تلك الابواب الضيقة قال

صاحب الكشاف الكرب مع الضيق كمال الروح مع السعة ولذلك وصف الله
تعالى الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الحديث ان الكافر يوم من
القيمة يجاء بكذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع العذاب فالاضافة حيث وقع الى العذاب
المشديد والشديد والله اعلم المسئلة الثالثة قال الواحدي في تفسير قوله
مقرنين في الاصفاد ان اهل النار سهام فيه من العذاب الشديد والضيق
الشديد يكونون مقرنين في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم وقيل يقرن
مع كل كافر شيطانه في سلسلة في ارجلهم الاصفاد ثم انه سبحانه حكى عن اهل
النار انهم حين ما يشاهدون هذا النوع من العذاب الشديد يدعون هنالك ثبورا
والثبور الهلاك ودعاؤه ان يقال له يا ثبور تعال فهذا اوانك وزمانك
روي انس مرفوعا انه ليلقى على جهنم من النار اليبس فيضمها على حاجبه وسعيها
من خلفه وذريته من خلفه ويقولون يا ثبوراه وينادون يا ثبورهم حتى يردوا
النار اما قوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا بل يقال لهم ذلك وان
لم يكن ثم قول وادعوا ثبورا كثيرا الكم وتعتم فيا ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو
كثير فر لو غيرها ولان ذلك العذاب دائم خالص عن الثبور فانهم في كل وقت
من الاوقات التي لا نهاية لها ثبورا او لانهم رما يجدون بسبب ذلك القول
نوعا من الخفة فان المعذب اذا صاح وبكى وجد نفسه نوعا من الخفة فترجون
عن ذلك ويقولون ان هذا الثبور يزداد كل يوم ليزداد حزنهم وغمهم نعوذ
بالله منه قال الكلبي نزلت هذه الاية في ابي جهل والكفار الذين ذكروا تلك
الشبهات قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون
كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا
مسئولا وهاهنا مسائل المسئلة الاولى اعلم انه تعالى لما وصف
حال العقاب المعد للمكذبين بالساعة اتبعه بما يوكد الحسرة والندامة
فقال لرسوله قل اذلك خير ام جنة الخلد وهل يجوز ان يقول العاقل لملك
الحلي ام الصبر فلنا هذا الحسن في معرض التقريع والتوبيخ كما ان العلي السيد
عبده مالا فتمرد وابى واستكبر فيضربه ضربا وجيعا ويقول على التوبيخ اهذا
اطيب ام ذاك المسئلة الثانية احتج اصحابنا بقوله وعد المتقون على ان
الثواب غير واجب على الله لان من قال السلطان وعد فلانا ان يعطيه
كذا فانه يحمل ذلك على التفضل فاما لو كان ذلك لاعطاء واجبا لا يقال
انه وعد به اما المعتزلة فقد احتجوا به ايضا على مذهبهم قالوا الله سبحانه
اثبت ذلك الوعد للموصوفين بصفة التقوى وترتيب الحكم على الوصف
مشعر بالعلية فدل هذا على ان ذلك الوعد شعر انما جعل معللا بصفة التقوى
والتفضل غير مختص بالمتقين فوجب ان يكون المختص بهم واجبا المسئلة الثالثة
قال ابو مسلم جنة الخلد هي التي لا ينقطع نعيمها والخلد والخلود سواء كما تذكر

والشكور قال الله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فان قيل الجنة اسم لدار
الثواب وهي مخلدة فاي فائدة في قوله جنة الخلد قلنا الاضافة قد تكون
للتمييز وقد تكون لبيان صفات الكمال كما يقال الله الخالق البارئ وهاهنا
من هذا الباب اما قوله كانت لهم جزاء ومصيرا فيه مسائل المسئلة الاولى
المعتزلة احتجوا على اثبات الاستحقاق من وجهين الاول ان اسم الجزاء لا يتناول
الا المستحق فاما الموعود بمحض التفضل فانه لا يسمى جزاء والثاني لو كان المراد من
الجزاء الامر الذي يصيرون اليه مجرد الوعد فحينئذ لا يبقى بين قوله جزاء
وبين قوله مصيرا تفاوت فيصير ذلك تكرارا من غير فائدة قال اصحابنا
لا نزاع في كونه جزاء انما النزاع في كونه جزاء ترتب بالوعد بالاستحقاق وليس
في الاية ما يدل على التعيين المسئلة الثانية قالت المعتزلة الاية تدل
على ان الله تعالى لا يعفو عن صاحب الكبيرة من وجهين الاول ان صاحب الكبيرة
يستحق العقاب فوجب ان يكون مستحقا للثواب لان الثواب هو النفع الدائم
الخالص عن شوب الضرر والعقاب هو الدائم الخالص عن شوب النفع وبين هذين محال
وما كان ممتنع الوجود امتنع ان يحصل استحقاقه فاذن متى ثبت استحقاق العقاب
وجب ان يزول استحقاق الثواب فنقول لو عفا الله عن صاحب الكبيرة لكان اما
ان يخرجه من النار ولا يدخله الجنة وذلك باطل بالاجماع لانهم اجمعوا على ان
المخلدين يوم القيامة اما ان يكونوا من اهل الجنة او من اهل النار ولانه تعالى
قال فريق في الجنة وفريق في السعير واما ان يخرجه من النار ويدخله الجنة
وذلك ايضا باطل لان الجنة حق المتقين لقوله تعالى كانت لهم جزاء فجعل الجنة لهم ومختصة
بهم رأسا انها انما كانت لهم لكونها جزاء لهم على اعمالهم وكانت حقا لهم واعطاء حق
الانسان واجب لا يجوز ولما بطلت الاقسام ثبت ان العفو غير جايز اجاب اصحابنا
لم لا يجوز ان يقال المتقون يرضون بدخول اهل العفو الجنة فحينئذ لا يمتنع
دخولهم فيها الوجه الثاني قالوا المتقي في عرف الشرع من اتقى الكفر والكبائر
وانا وان اختلفنا في صاحب الكبيرة هل يسمى مؤمنا ام لا لكنا اتفقنا على انه
لا يسمى متقيا قال في وصف الجنة انها كانت لهم جزاء ومصيرا وهذا الحصر قاطع
انها مصير المتقين لا لغيرهم واذا كان كذلك لا يدخلها صاحب الكبيرة قلنا النقض
ما في الباب ان يقال هذا العموم صريح في الوعيد فحصل باب الوعد المسئلة الثالثة
لقايل ان يقول الجنة مستقر المتقين جزاء ومصيرا لكنها بعد ما صارت كذلك
فلم قال الله تعالى كانت لهم جزاء ومصيرا جوابه من وجهين الاول ان ما وعد الله فهو
في الحقيقة كانه قد كان الثاني انه كان مكتوبا في اللوح المحفوظ قبل ان خلقهم
الله بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم اما قوله لهم فيها ما يشاؤن خالدين
ومر نظير قوله ولكم فيها ما تشتهي الانفس وفي قوله لهم فيها ما يشاؤن جوابه
انه تعالى يزيل ذلك الخاطر عن قلوب اهل الجنة وفيه مسائل المسئلة الاولى

لقايل ان يقول اهل الدرجات النازلة اذا شاهدوا الدرجات العالية
لابد وان يريدوها فاذا لم يعطها مع قدرته فانه يبقى بين الناقص
والكامل تفاوت في الدرجة وان لم يعطها مع ذلك في قوله لهم فيها
ما يشاؤن خالدون وابجنا قالوا اذا كان والده في درجات النيران واشد
العذاب فطلب ان يمنع عن ذلك العذاب وان تفعل الله ذلك قدح في تعذيب
الكافر بخلد وان لم يفعل قدح ذلك في قوله ولكم فيها ما تشتهي الانفس وفي قوله
لهم فيها ما يشاؤن جوابه انه تعالى يزيل ذلك الخاطر عن قلوب اهل الجنة
بل يكون اشتغال كل واحد منهم لما فيه من اللذات شاغلا له عن الالتفات
الى غيره **المسئلة الثانية** لشرط تنعيم بجنة ان لا ينقطع ويكون دايما
اذ لو انقطع لكان مشوبا بالهرب من النار ولذلك قال المتنبي

• اشد الغم عندي في سرور • يقيس عنده صاحبه انتقالا

فلذلك اعتبر الخلود فيه فقال لهم فيها ما يشاؤن خالدين **المسئلة الثالثة**
قوله لهم فيها ما يشاؤن كالتنبيه على ان حصول المرادات باسرها لا يكون الا في
الجنة فاما في غيرها فلا يحصل ذلك بل لابد في الدنيا من ان تكون اكثر احوالها مشوبة
بالمراجات ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من طلب ما لم يخلق اتعب نفسه ولم
يرزق الا ما قسم له وما سوى ذلك فانه يصير سببا لزوال ما رزق من قبل ربك
وعدا مسئولا تفسير سايل **المسئلة الاولى** كلمة على للوجوب قال عليه
الصلاة والسلام من نذر فعليه الوفا بما سمى فقوله كان على ربك وعدا بين
ان ذلك واجب على الله تعالى والواجب هو الذي لو لم يفعل لاستحق تاركه بفعله
الذم او ازالة الذي يكون عدمه مستحقا فان كان الوجوب على التفسير الاول كان
تركه محالا لان تركه لما استلزم استحقاق الذم واستحقاق الله تعالى الذم
مستلزم المحال كان ذلك الترك محالا والمحال غير مقدور فلم يكن الله قادرا
على ان لا يفعل فيلزم ان يكون ملجا الى الفعل فلا يكون قادرا ولا يكون مستحقا
للثنا والمدح هذا تمام السؤال وجوابه ان فعل الشي متقدم على الاختيار عن
فعله وعن العلم بفعله فيكون ذلك الفعل فعلا غاليا سبيل الالجا فكان قادرا
ومستحقا للثنا والمدح **المسئلة الثانية** قوله وعدا يدل على ان الجنة
حصلت بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق وقد تقدم تقرير **المسئلة الثالثة**
قوله مسئولا ذكر فيه وجوها احدها ان الملكين سالوه بقوله ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك وثانيها ان المكلفين سالوه بلسان الحال لانهم
لما تحملوا المشقة الشديدة في طاعة الله تعالى كان ذلك اقايما مقام
السؤال قال المتنبي

• وفي النفس حاجات وفيك فطانة تكون في كلام عندها وخطاب •

وثالثها الملايكة سالوا ذلك بقوله ربنا وادخلهم جنات عدن وراجيها وعدا

مسئولا اي واجبا فقال لا عطينك الفا وعدا مسئولا اي واجبا اي وان لم يسئل
قاله الفراء ورابعها مسئولا اي من حقه ان يكون مسئولا لانه حق قال اهل
بحكم الاستحقاق على قول المعتزلة او بحكم الوعد على قول اهل السنة قوله تعالى
ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءانتم اضللتم عبادي هؤلا
ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء
ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون
فما يستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا اعلم ان قوله تعالى ويوم نحشرهم
راجع الى قوله واتخذوا من دونه الهة ثم ها هنا مسايل **المسئلة الاولى**
نحشرهم فيقول اكثر اهل اللغة والباقون نحشرهم بكسر الشين **المسئلة الثانية**
ظاهر قوله وما يعبدون انها الاصنام وظاهر قوله فيقول ءانتم اضللتم انه من
عبد الاحيا كالملايكة والمسيح وغيرهما لان الاصنام لا تعقل ولا تخاطب فلاجل هذا
اختلفوا فمن الناس من حمله على الاوثان ثم لما قيل لهم الوثن جماد فكيف خاطبه
الله تعالى وكيف قدر على الجواب فعند ذلك ذكروا وجهين احدهما انه يخلق
الحياة فيها فعند ذلك يخاطبهم فيذكرون الجواب وثانيهما ان يكون ذلك
الكلام لا بالقول باللسان بل سبيل لسان الحال كما ذكر بعضهم في تسبيح الموات
وكلام الايدي والارجل وما قيل سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك
فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا اما الاكثرون فزعموا ان الملايكة وعيسى وعزير
عليهم الصلاة والسلام قالوا وبينا كذلك بقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا
ثم نقول للملايكة اهؤلا اياكم كانوا يعبدون فان قيل لو لفظة ما لا تستعمل
في العقلا اجابوا عنه من وجهين احدهما لا نسلم ان كلمة ما لا يعقل لدليل
انهم قالوا من لا يعقل والثاني اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم وقوله تعالى
والسما وما بناها ولا اتم عابدون ما اعبد لا يستقيم الا على احد هذين
الوجهين وكيف كان فالسؤال ساقط **المسئلة الثالثة** حاصل الكلام ان
الله حشر المعبودين ثم تقول لهم ءانتم اوقعتم عبادي في الضلال عن طريق
الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم قالت المعتزلة وفيه كثير من يقول ان الله
يضل عباده في الحقيقة لانه لو كان الامر كذلك لكان الجواب الصحيح ان يقولوا
الهنا انت المحق وسوانا اضللتمونا فلما لم يقولوا ذلك بل نسبوا اضلالهم
الى انفسهم علمنا ان الله لا يضل احدا من عباده فان قيل لانسلم ان احدا من المعبودين
ما تفوهوا بهذا القسم بل ذكروه بان قالوا ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وهذا
تقرير بان ضلالهم انما حصل لاجل ما فعل الله بهم وانه سبحانه منعهم وابا هم نعم الدنيا
قلنا لو كان الامر كذلك لكان يلزم ان يكون الله محرجا في يد اولياء المعبودين

ومعلوم انه ليس الغرض ذلك بل الغرض ان يصير الكافر محجوجا ملزما
هذا تقرير كلام المعتزلة في الاية اجاب اصحابنا بان القدرة على الضلال
ان لم تصلح للالهة فالاضلال من الله وان صلحت له لم يرجح مصدريتها للاضلال
على مصدريتها للاهتداء الا بمرجح من الله وعند ذلك يعود السؤال واما ظاهر
هذه الاية فهو وان كان لهم لكنه معارض بساير الظواهر المطابقة لقولنا
المسئلة الرابعة ظاهر الاية يدل على ان هذا السؤال من الله تعالى ان احتمل
ان يكون ذلك من الملايكة عليهم الصلاة والسلام بامر الله تعالى بقي على
الاية سؤالات السؤال الاول ما فايدة انتم وهم هل لا قيل اضللتم عبادي
هولاء ام هم ضلوا السبيل الجواب ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده
لما توجه هذا العتاب وانما هو عن فاعله فلا بد من ذكره وابدائه حرف
الاستفهام حتى يعلم انه المسؤول عنه السؤال الثاني انه سبحانه كان عالما
في الازل بحال المسؤول عنه فما فايدة هذا السؤال الجواب هذا استفهام على
سبيل التقريع والتوبيخ للمشركين كما قال لعيسى ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله ولان اوليك المعبودين لما بروا انفسهم واجابوا بذلك
الضلال عليهم صار تبرا المتبوعين عنهم اشد في حسرتهم السؤال الثالث ام هم
ضلوا السبيل والقياس ان يقال ضل عن السبيل الجواب الاصل ذاك الا ان
الانسان اذا كان متناهيا في التفريط وقلة الاحتياط يقال ضل السبيل
اما قوله قالوا سبحانك فاعلم انه سبحانه حكى قولهم وجوابهم وفي قوله سبحانك
وجوه احدها انه تعجب منهم وقد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملايكة وانبيا معصومون
فما ابعدهم عن الضلال الذي هو منسوب الى ابليس ومختص به وبحزبه وثانيها
انهم نطقوا بسبحانك ليدل على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك
وكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده وثانيها قصدوا تنزيهه عن الانداد سوا
كان نبيا او وليا او ملكا ورابعها قصدوا تنزيهه ان يكون مقصوده علم او انذار
من كان بريا عن الجرم بل انما سالهم تقريعا للكفار وتوبيخا لهم اما قوله ما كان
ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اوليا ففيه مسايل المسئلة الاولى
القراة المعروفة ان نتخذ بفتح النون وكسر الخا وعن ابي حفص وابن عامر رفع النون
وفتح الخا على ما لم يسم فاعله قال الزجاج اخطا من قرا نتخذ بضم النون لان من
انما تدخل في هذا الباب في الاسما اذا كانت مفعولة اولا ولا تدخل على مفعول
الحال تقول ما اتخذت من احد وليا ولا يجوز ما اتخذ احدا من ولي قال صاحب
الكشاف اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين
كقولك اتخذ فلان وليا قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراة
الاولى من المتعدي الى واحد وهو من اوليا والاصل ان نتخذ اوليا فزيدت
من لتاكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاولى ما بني له الفعل

تمام

والثانية

والثاني من اوليا ومن للتبعيض اي لا يتخذ بعض اوليا ومن اوليا من حيث
انهم اوليا مخصوصون وهم الجن والاصنام المسئلة الثانية ذكروا
في تفسير هذه الاية وجوها الاول وهو الاصح الاقوى ان المعنى لتركنا
لا نرى ان نتخذ من دونك من اوليا وكيف يدعوا غيرنا الى ذلك وثانيها ما كان
ينبغي لنا اما ان يكون امثال الشياطين في قولهم للكفار لما توليهم الكفار قال
الله تعالى فقاتلوا اوليا الشيطان يريد الكفرة والحاصل انه حذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ورابعها قالت الملايكة عليهم افضل
الصلاة والسلام انا وهم عبيدك ولا ينبغي لعبيدك ان يتخذوا من دونك
ربا واما ولا حسا فضلا عن ان يتخذ عبد عبدا اخر الها لنفسه وخامسها ان
على قراة ابي جعفر الاشكال زايل فان قيل هذه القراة غير جايزة لانه لا يدخل
هم في ان يتخذهم غير اوليا قلنا المراد لا يصلح لذلك فكيف ندعوهم الى عبادتنا
وسادسها ان هذا قول الاصنام وانها قالت لا يصح منا ان نكون من العابدين
فكيف يمكننا ادعانا اننا من المعبودين المسئلة الثالثة الاية تدل
على انه لا يجوز الولاية والعداوة الا باذن الله فكل ولاية مبنية على ميل
النفس ونصيب الطبع فذاك على خلاف الشرع اما قوله تعالى ولكن متعتهم
واباهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا ففيه مسايل المسئلة الاولى
معنى الاية انك يا الهنا اكثرت عليهم وعلى ابايهم من النعم وهي توجب الشكر والايمان
لا الاعراض والكفران والمقصود من ذلك بيان انهم ضلوا من عند انفسهم لا باضلالنا
فانه لولا عنادهم الظاهر والا فمع ظهور هذه الحجة لا يمكن الاعراض عن طاعة الله
تعالى وقال اخرون هذا الكلام كالكفر فيما صرح به موسى في قوله عليه الصلاة
والسلام ان هي الا فتنتك وذلك لان المجيب قال الهي انت الذي اعطيته جميع
مطالبه من الدنيا حتى صار كالغريق في بحر الشهوات واستغراقه فيها صار سرا له
عن التوجه الى طاعتك والاشتغال بخدمتك فان هي الا فتنتك المسئلة
الثانية الذكر ذكر الله والايمان به او القران والشرايع وما فيه حسن ذكرهم في
الدنيا والاخرة المسئلة الثالثة قال ابو عبيد رجل بور ورجلان بور ورجال
بور وكذلك الانثى ومعناه هالك وقد يقال رجل باير وقوم بور وهو مثل هاير
وهور وكانوا من الذين حكم الله عليهم في الاخرة بالعذاب والهلاك والذين حكم الله
عليهم بعذاب الاخرة وعلم ذلك واثبته في اللوح المحفوظ واطلع الملايكة عليه
لو صار موضعا لصار الخبر الصدق كذبا ولصار العلم جهلا ولصارت الكتابة
المثبتة في اللوح المحفوظ باطلة ولصار اعتقاد الملايكة جهلا وكل ذلك
محال ومستلزم المحال محال فصدور الايمان منهم محال فدل على ان السعيد لا يمكنه
ان ينقلب شقيا والشقي لا يمكنه ان ينقلب سعيدا ومن وجه اخر وهو انهم ذكروا
ان الله تعالى اتاهم اسباب الضلال وهو اعطا المرادات في الدنيا واستغراق النفس فيها

ودلت الاية على ان ذلك السبب بلغ مبلغا يوجب البوار فان ذكر البوار عقيب
ذلك السبب يدل على ان البوار انما حصل لاجل ذلك السبب فرجع حاصل الكلام
الى انه تعالى فعل بالكافر ما صار معه بحيث لا يمكنه ترك الكفر وحينئذ ظهر ان
السعيد لا ينقلب شقيا والشقي لا ينقلب سعيدا اما قوله تعالى فقد كذبوكم
بما تقولون بالتاء والياء فمعنى من قرا بالتاء فقد كذبوهم بقولكم انهم الهة اي
كذبوكم في قولكم انهم الهة ومن قرا بالياء المنقوطة من تحت فالمعنى انهم كذبوكم
بقولهم سبحانه ومثاله قوله كتبت بالقلم اما قوله فلا يستطيعون صرفا ولا نصرا
فاعلم انه قرئ تستطيعون بالتاء والياء ايضا يعني فما تستطيعون انتم بالكفار
صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه لينصرف اي ليحتال
او فما تستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم او ان يحتالوا لكم اما قوله تعالى ومن يظلم منكم
نذقه عذابا كبيرا ففيه مسايل المسئلة الاولى قرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله
او ضمير مصدر يظلم المسئلة الثانية ان المعتزلة تمسكوا بهذه الاية في القطع
بوعد اهل الكبائر فان ثبت ان كلمة من في معرض الشرط للعموم وثبت ان الكافر ظالم
كقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون
وثبت بهذه الاية ان الفاسق لا يعفى عنه بل يعذب لا محالة والجواب لا نسلم ان كلمة
من في معرض الشرط للعموم والكلام فيه مذكور في اصول الفقه سلمنا انه للعموم ولكن
قطعا وظاهرا ودعوى القطع ممنوعا فانا نرى في العرف العام المشهور استعمال
صيغ العموم مع ان المراد هو الاكثر او لان المراد اقوام معينون والدليل عليه قوله
تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ثم ان
كثيرا من الذين كفروا قد امنوا فلا دافع له الا ان يقال قوله ان الذين كفروا
وان كان يفيد العموم لكن المراد منه الاكثر او الغالب او المراد منه اقوام مخصوصون
وعلى التقديرين ثبت ان استعمال الفاظ العموم في الاغلب عرف ظاهر واذا كان
كذلك كانت دلالة هذه الصيغ على العموم دلالة ظاهرة لا قاطعة وذلك
لا يبقى تجويز العفو سلمنا دلالته قطعا ولكن اجمعنا على ان قوله ومن يظلم
منكم مشروط بان لا يزيل ذلك الظلم بتوبة او بطاعة هي اعظم من ذلك الظلم
رجع حاصل الامر الى ان قوله ومن يظلم منكم مشروط بان لا يوجد ما يزيله
وعند هذا نقول هذا مسلم لك لم قلت بانه لم يوجد ما يزيله فان العفو عندنا
هو احد الامور التي يزيله وذلك هو اول اوليك المسئلة سلمنا دلالته على ما قال
ولكنه معارض باثبات الوعد لقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا فان قيل ايات الوعيد اولى لان السارق
يقطع على سبيل التنكيل ومن لم يكن مستحقا للعقاب لا يجوز قطع يده
على سبيل التنكيل واذا ثبت انه مستحق العقاب ثبت ان استحقاق
الثواب الحفظ لما بينا ان الجمع بين الاستحقاقين محال هنا قلنا لا نسلم ان

السارق يقطع على سبيل التنكيل الا ترى انه لو تاب فانه يقطع لا على سبيل
التنكيل بل على سبيل المحسر فكذا هاهنا بتقدير ان الله عفا عنه لا يقطع
على سبيل المحسر وعلى هذا التقدير لا يقطع على احد من السراق بانه يقطع يده
على سبيل التنكيل نزلت عن هذه المقامات ولكن قوله تعالى ومن يظلم
منكم انه خطاب مع قوم معينين فهب انه لا يعفو عنهم ام قلت انه لا يعفو عن غيرهم
اما قوله وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق ففيه مسايل المسئلة الاولى هذا جواب عن قولهم ما لهذا
الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق بين ان الله تعالى ان هذه عادة
مستمرة من الله في كل رسله فلا وجه لهذا الطعن المسئلة الثانية حق
الكلام ان يقال الا انهم بفتح اللام الا انه متوسط والمكسورة لا تكون الا بالابتدا
فلاجل هذا ذكروا وجوها احدها قال الزجاج الجملة بعد الا صفة موصوف
والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين وانما حذف
لان قوله من المرسلين دليلا عليه ونظيره قوله تعالى وما منا الا له مقام
معلوم على معنى وما منا احد وثانيها قال الفرا انهم صلة الاسم فنزول
النفي عن المرسلين منه الا من وما منا الا له مقام معلوم ولذلك قوله وان منكم
الا واردها اي الا من يردها فعلى قول الزجاج الموصوف محذوف وعلى قول
الفرا الموصوف محذوف وبقية الصلة عند البصريين وثالثها قال ابن
الانباري كثير يابى ان يعد الاستيناف باضمار واو على تقدير الا وانهم ورابعها
قال بعضهم الاصل انهم المسئلة الثالثة قرئ يمشون على البنا للمفعول
اي يمشيهم حوائجهم ولو قرئ يمشون لكان اوجه لولا الرواية اما قوله تعالى
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ففيه مسايل المسئلة الاولى فيه
اقوال احدها ان هذا في رؤسا المشركين وفقرا الصحابة فاذا راى الشريف الوضيع
قد اسلم انف ان يسلم فاقام على كفره لئلا يكون للوضيع السابقة والفضل
عليه ودليله قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه وهذا قول الكلبي والفرا والزجاج
وثانيها ان هذا عام في جميع الناس روى ابو الدردا عن النبي عليه الصلاة
والسلام ويل للعالم من الجاهل وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية
من السلطان وويل للمالك من المملوك وويل للشديد من الضعيف
وويل للضعيف من الشديد بعضهم لبعض فتنة وقرا هذه الاية وثالثها
ان هذا في اصحاب البلا والعافية هذا قوله لم لم يجعله مثله في
الخلق وفي العقل وفي الرزق وفي الاجل وهذا قول ابن عباس والحسن
ورابعها هذا احتجاج عليهم في تخصيص محمد بالرسالة مع مساواته اياهم
في البشرية وصفاتها فابتلي المرسلين بالمرسل اليهم وانواع اذاهم على ما قال
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا

والمرسل اليهم يتأذون ايضا من الرسل بسبب الحسد وضرورية مكلف
بالخدمة فبذل النفس والمال بجدان كان سببا لحمد والاولى حمل الاية على
الكل لان بين الجهتين قدرا مشتركا المسئلة الثانية قال اصحابنا الاية
تدل على انتفاء الالهة لانه تعالى قال لجعلنا بعضكم لبعض فتنة وقال
الجبائي هذا الجعل بمعنى التعريف كما يقال فلان جعل فلانا اعمى وجعله نقيا وعدا
الناويل وضعيف لانه يقال الجعل الى كونه فتنة لا الى الحكم بكونه كذلك بل
العقل يدل على ان المراد غير ما ذكرتم وذلك لان فاعل السبب فاعل المسبب فمن
خلقه الله تعالى على مزاج الصفراوية والحرارة فخلق الغضب فيه ثم خلق
فيه الادراك الذي يطلعه على الشيء المغيب فمن فعل هذا المجموع كان هو الفاعل
للغضب لا محالة وكذا القول في الحسد وسائر الاخلاق والافعال وعند
هذا يظهر انه سبحانه هو الذي جعل البعض فتنة للبعض فثبت ان المراد
بما قاله الجبائي ان المراد من الجعل هو الحكمة ولكن المحرك ان انقلب لزم من
انقلاب حكم الله الصدق الى الكذب وذلك محال فما تفاوت به ذلك الجعل
محال وانقلاب المجعول ايضا محال وعند ذلك يظهر القول بالقضاء والقدر
المسئلة الثالثة الوجه في تعلق هذه الاية بما قبلها ان القوم لما
طعنوا في الرسول عليه الصلاة والسلام بانه ياكل الطعام ومشى في
الاسواق وبانه فقير وكانت هذه الكلمات جارية مجرى الخرافات فانه
لما قامت الدلالة على النبوة ولم يبق لشيء من هذه الاشياء اثر في القدح
فيها وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتأذى منهم من حيث انه كان يشتهيه
ومن حيث انهم كانوا يذكرون الكلام المموه الفاسد وما كانوا يفهمون الجواب
الجيد فلا جرم صبر الله تعالى على تحمل تلك الاذية وبين انه جعل الخلق
بعضهم فتنة لبعض اما قوله تعالى اتصبرون وكان ربك بصيرا ففيه مسائل
المسئلة الاولى قال المعتزلة لو كان المراد من قوله وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة الخبر لما ذكر عقيبه اتصبرون لان امر العاجز غير جايز المسئلة الثانية
المعنى اتصبرون على البلاء فقد علمنا ما وعد الصابرون وكان ربك بصيرا
اي عالما بمن يصبر فمن لا يصبر فيجازي كلا منهم بما يستحقه من ثواب او عقاب
المسئلة الثالثة قوله اتصبرون ليتفهام والمراد منه التقرير وموقعه
بعد الفتنة موقع بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا قوله
تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملايكة او نرى ربنا
لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملايكة لا بشرى
يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا اعلم ان قوله
وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملايكة او نرى ربنا وفي التهمة

الرابعة لمنكري نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وحاصلها لم ينزل الله
الملايكة عليهم الصلاة والسلام حتى يشهدوا ان محمدا محق في دعواه او نرى
ربنا حتى يخبرنا بانا رسله اليها وتقريرنا هذه الشبهة ان من اراد تحصيل
شيء وكان له الى تحصيله طريقان احدهما يفضي اليه قطعا والاخر قد يفضي
وقد لا يفضي فالحكيم يجب عليه في حكمته ان يختار في تحصيل ذلك المقصود الطريق
الاقوى ليفضي الى المقصود فلو اراد الله تصديق محمد لفعل ذلك ولو لم يفعل
ذلك علمنا انه ما اراد تصديقه هذا حاصل الشبهة ثم هاهنا مسايل
المسئلة الاولى قال الفراء قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا معناه
لا يخافون لقاءنا ووضع الرجاء في موضع الخوف تهامية اذا كان معه
جحد ومثله قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون له عظمة
قال القفال لا وجه لذلك الكلام من امكن حمله على حقيقته لم يعدل به الى
المجاز ومعلوم من حال عبادة الاصنام انهم كما لا يخافون العقاب لتكذيبهم
بالمعاد فكيف لا يرجون الثواب لمثل ذلك فقوله وقال الذين لا يرجون
لقاءنا محمول على الحقيقة وهو انهم لا يرجون لقولنا وعدنا على الطاعة
من الثواب والجنة ومعلوم ان من لا يرجو ذلك لا يخاف العقاب ايضا فالخوف
تابع لهذا الرجاء المسئلة الثانية المجسمة تمسكوا بقوله تعالى لقاءنا
على انه جسم قالوا اللقاء هو الوصول يقال هو الجسم لقي ذلك اي وصل اليه
ووصل به فالنفي المطلق امر قد دل الدليل على انه جسم والجواب
على طريقين الاول طريق اصحابنا قال بعض اصحابنا قالوا المراد من اللقاء
هو الرؤية وذلك لان الرائي تصل رؤيته حقيقة الى حقيقة المرئي فسمي
اللقاء حسنا احد انواعه الرؤية والنوع الاخر الاتصال والمماسة فدلت الاية
من هذا الوجه على جواز الرؤية الطريق الثاني وهو كلام المعتزلة قالوا
القاضي تفسير اللقاء برؤية البصر حمل باللغة قال اليزيدي الرجاء لغة اهل
الحجاز فقد يقول القايل ما لي ارجو فلانا وان يراه من بعد اذن اذا احجب عنه وقال
ابو الهيثم يرتفق الامير اذا اذن له ولم يحجب وقد يلقاه في الليلة الظلماء
ولا يراه بل المراد من اللقاء هاهنا هو المصير الى حكمه حيث لا حكم لاحد في يوم
لا ملك نفس لنفس شيئا فانه رؤية البصر واعلم ان هذا الكلام ضعيف لانا
لا نفسر اللقاء برؤية البصر فقط بل نفسره بمعنى مشترك بين رؤية البصر وبين
الاتصال والمماسة وهو الوصول الى الشيء وقد بينا ان الرائي تصل رؤيته
الى المقابل واللفظ الموضوع لمعنى مشترك بين معان كثيرة يطلق على كل واحد
من تلك المعاني فيصح قوله لقاء الخير ويصح قول الاعمى لقيت الامير ويصح
قول البصير لقيته بمعنى رايته وما لقيته بمعنى ما وصلت اليه واذا ثبت
هذا نقول قوله وقال الذين لا يرجون لقاءنا في معرض الذم لهم فوجب ان يكون

رجا اللقا ومسمى اللقا مشترك بين الوصول المكاني وبين الوصول
بالروية وقد تعذر الاول فتعين الثاني وقوله المراد من اللقا الوصول الى حكم الله
فصرف اللفظ عن ظاهره فثبت دلالة الاية على صحة الروية بل على وجوبها
بل على ان انكارها ليس الا من دين الكفار **المسئلة الثالثة** قوله لولا انزل
معناه هلا انزل قال الكلبي ومقاتل نزلت هذه الاية في ابي جهل والوليد
ابن المغيرة واصحابهما الذين كانوا منكرين للنبوة والبعث اما قوله تعالى
لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا فاعلم ان هذا هو الجواب عن تلك
الشبهة وفيه مسايل **المسئلة الاولى** في تقرير كونه جوابا وذلك من
وجوه احدها لان القران لما ظهر كونه معجزا فقد تمت دلالة نبوة محمد
عليه الصلاة والسلام فعند ذلك يكون اقتراح مثل هذه الايات
لا يكون الا محض الاستكبار والتعنت وثانيها ان نزول الملايكة نزول لو
حصل لكان ايضا من جملة المعجزات ولا يدل على الصدق لكونه لخصوص كونه
الملك بل لعموم كونه معجزا فيكون قبول ذلك المعجز ورد المعجز الاخر ترجيحا
لاحد المثلين على الاخر من غير مزية فايدة وترجح وهو محض الاستكبار والتعنت
وثالثها انهم بتقدير ان يروا الرب ويسئلوه عن صدق محمد عليه الصلاة
والسلام وهو سبحانه يقول نعم هو رسولي فذلك لا يزيد في التصديق على
اظهار المعجز على يد محمد عليه الصلاة والسلام لانا بينا ان المعجز يقوم
مقام التصديق بالقول اذ لا فرق وقد ادعى النبوة هي ان يقول اللهم ان كنت
صادقا فاوحي الي هذا السبب فيحسبه الله تعالى وانقاد تمام محرومين ان
يقول له صدق واذا كان التصديق الحاصل بالقول والحاصل بالمعجز بيان في
كونه تصديقا للمدعي كان تعيين احدهما محض الاستكبار والتعنت ورابعها
وهو انا انما نعتقد انه تعالى يفعل بحسب المصالح على ما تقوله المعتزلة او نقول
انه تعالى يفعل بحسب المشية على ما يقوله اصحابنا فان كان الاول لم يجز
لهم ان يعينوا المعجز اذ ربما كان اظهار مصلحة فمن قال ذلك فقد اعتقد
في نفسه انه عالم بكل المعلومات وذلك استكبار الاقتدار او عتو او خروجا
عن حد العبودية الى هام المنازعة والمعارضة وخامسها وهو ان المقصود
من بعثة الرسول الانبيا الاحسان الى الخلق والملك الكبير اذا احسن الى
الخلق الضعفا رحمة عليه فاخذ ذلك الضعيف في اللجاج والنزاع ويقول
لا اريد هذا بل اريد ذلك حسن ان يقال هذا المكدي قد استكبر في
نفسه وعتا عتوا شديدا من حيث لا يعرف قدر نفسه ومنتهى اجرته فكذا
هاهنا وسادسها ان يكون المراد ان الله تعالى قال لو علمت ما ذكروا هذا
السوال لاجل الاستكبار والعتو الشديد لاعطيتهم مقترحهم ولكني
علمت انهم ذكروا هذا الاقتراح لاعطيتهم مقترحهم فما امنوا به فلا جرم لا اعطيهم

ذلك وهذا التاويل شديد القرب من اللفظ وسابعها لعلهم سمعوا من اهل
الكتاب ان الله لا يرى في الدنيا وانه تعالى لا ينزل الملايكة في الدنيا على
عوام الخلق ثم انهم عكسوا ذلك على سبيل التعنت او على سبيل الهزا **المسئلة
الثانية** قالت المعتزلة دلت الاية على انه تعالى لا تجوز رويته لان
رويته لو كانت جايزة لما كان سوالها عتوا واستكبارا قالوا وقوله لقد استكبروا
في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا ليس الا لاجل سوال الروية حتى انهم لو اقتصروا على نزول
الملايكة لما خوطبوا بذلك والدليل عليه ان الله تعالى ذكر امر الروية في اية اخرى
على حدة وذكر الاستعظام وهو قوله انزل الينا الملايكة وهل نرى ربنا فثبت
بهذا ان الاستكبار والعتو في هذه الاية انما حصل لاجل سوال الروية واعلم ان
الكلام قد تقدم على ذلك في سورة البقرة والذي نريده هاهنا انا بينا ان
قوله وقال الذين لا يرجون لقانا فدل على الروية واما الاستكبار والعتو
فلا يمكن ان يدل ذلك على ان الروية مستحيلة لان من طلب شيا محالا لا يقال
انه عتى واستكبر الا ترى انهم لما قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة لم يثبت لهم
طلب هذا المحال عتوا واستكبارا بل قال انكم قوم تجهلون بل العتو والاستكبار
لا سيما اذا طلب الانسان ما لا يليق به بل يليق بمن فوقه ولكنه يطلبه على سبيل
التعنت وبالجملة فقد ذكرنا وجوها كثيرة في تحقيق معنى الاستكبار والعتو
سوا كانت الروية ممتنعة او ممكنة وما يدل عليه ان موسى عليه الصلاة والسلام
لما سال الروية ما وصفه الله بالاستكبار والعتو لانه عليه الصلاة والسلام
طلب الروية شوقا وهولا لما طلبوها احتجاجا وتعنتا لا جرم وصفهم بذلك فثبت
فساد ما قاله المعتزلة **المسئلة الثالثة** انه قال في انفسهم لانهم
اضمروا الاستكبار في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم
ببالغيه وقوله وعتوا اي تجاوزوا الحد في الظلم يقال عتى فلان وقد وصف
العتو بالكبر فبالغ في اطرافه يعني انهم لم يجترئوا على هذا القول العظيم الا
لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو اما قوله يوم يرون الملايكة لا بشرى
يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا فبين الله تعالى ان الذي سالوه
سيوجد ولكنهم يلقون فيه ما يكرهون وهاهنا مسايل **المسئلة الاولى**
ذكروا في انتصاب يوم وجهين الاول ان العامل ما دل عليه لا بشرى اي اليوم
الملايكة يمنعون البشرى ويومئذ التكرير للتاكيد والثاني ان التقدير
اذكر يوم يرون الملايكة والله اعلم **المسئلة الثانية** اختلفوا في ذلك
اليوم فقال ابن عباس يريد عند الموت وقال الباقون يريد يوم القيامة
المسئلة الثالثة اما يقال للكافر لا بشرى لان الكافر وان كان ضالا مضلا
الا انه كان يعتقد في نفسه انه كان يقال يا مهتديا وكان يطمع على ذلك
الثواب العظيم وربما عملوا ما يرجو فيه النفع كنصرة المظلوم وعطية الفقير

وصلة الرحم ولكنه ابطلها بكفره فبين سبحانه انهم في اول الامر يشافهون
بما يدل على نهاية الياس من الجنة وذلك هو النهاية في الايلام وهو المراد من
قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون **المسئلة الرابعة** حق الكلام
ان يقال يوم يرون الملايكة لا بشرى لهم لكنه قال لا بشرى للمجرمين وفيه
وجهان احدهما انه ظاهر في موضع مضمر والثاني انه عام فقد تناولهم العموم
قالت المعتزلة تدل الاية على القطع بوعيد الفساق وعدم العفو لان قوله
لا بشرى يومئذ للمجرمين لانه في سياق النفي فيعم جميع انواع البشرى في جميع
الاوقات بدليل انه من اراد تكذيب هذه القضية قال بل له بشرى في
الوقت الفلاني فلما كان ثبوت البشرى في وقت من الاوقات يذكر لتكذيب
هذه القضية علمنا ان قوله لا بشرى يقتضي نفي جميع انواع البشرى في كل
الاوقات ثم انه سبحانه وتعالى اكد هذا النفي بقوله حجرا محجورا والعفو
من الله من اعظم البشرى والخلاص من النار بعد دخولها من اعظم البشرى
وشفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام لهم من اعظم البشرى فوجب ان
لا يثبت ذلك لاحد من المجرمين والكلام على التمسك بصيغ العموم قد تقدم
غير مرة وقال المفسرون المراد بالمجرمين يومئذ الكفار بدليل قوله انه من يشرك
بالله فقد حرم الله عليه الجنة **المسئلة الخامسة** في تفسير قوله تعالى حجرا
محجورا ذكر سيبويه في باب المصادر عن المنصوبة بافعال متروكة اظهارها
نحن معاذ الله وهدك وعمرك وهذه الكلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء
عدو او هجوم نازلة ونحو ذلك يضعونها موضع الاستعارة قال سيبويه
ويقول الرجل للرجل تفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان
المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه وكان المعنى اسئل الله
ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومحجه فعل او فعل في قراءة الحسن يصرف
فيه لاختصاصه بموضع واحد فان وصل لما ثبت انه من باب المصادر
فما معنى وصفه بمحجور قلنا جاءت هذه الصفة لتاكيد معنى الحجر كما قالوا
ذيل ذايل والذليل الهوان وموت مايت وحرام محرم **المسئلة السادسة**
اختلفوا في الذين يقولون حجرا محجورا من هم على ثلاثة اقوال الاول
انهم هم الكفار وذلك لانهم كانوا يطلبون نزول الملايكة عليهم الصلاة والسلام
ويقترحونه اذا راوهم عند الموت او يوم القيامة لذهلوا للقائهم وفزعوا
منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون فقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه
عند لقاء العدو ونزول الشدة والقول الثاني القايلون هم الملايكة
عليهم الصلاة والسلام ومعناه حراما محرما عليكم الغفران او الجنة
او البشرى اي جعل الله ذلك حراما محرما ثم اختلفوا على هذا القول
فقال بعضهم الكفار اذا خرجوا من قبورهم قالت الحفظة لهم حجرا محجورا

وقال الكلبي الملايكة على ابواب الجنة يبشرون المؤمنين بالجنة ويقولون
للمشركين حجرا محجورا وقال عطية اذا كان يوم القيامة يلقى الله المؤمنين
بالبشرى فاذا راى الكفار ذلك قالوا لهم بشرونا فيقول حجرا محجورا
القول الثالث وهو قول القفال والواحدي ومروي عن الحسن ان الكفار
يوم القيامة اذا شاهدوا يخافون فيتعوذون منه فيقولون حجرا فقالت
الملايكة عليهم الصلاة والسلام محجورا اي تعوذوا من شر هذا اليوم
اما قوله تعالى وقدمنا استدلت المجسمة بقوله وقدمنا وذلك لان القدوم
لا يصح الا على الاجسام وجوابه انه لما قامت الدلالة على امتناع
القدوم عليه لان القدوم حركة والموصوف بالحركة محدث ولذلك قال
الخليل عليه الصلاة والسلام استدل باحوال الكواكب على حدوثها ولما ثبت
ان الله لا يجوز ان يكون محدثا وجب تاويل لفظ القدوم وهو من وجوه احدها
وقدمنا الى ما عملوا اي قصدنا الى اعمالهم فان القادم الى الشيء قاصد له فالقصد
هو المؤثر في القدوم فاطلاق اسم السبب على المسبب مجاز والثاني قدوم
الملايكة الى موضع الحساب في الاخرة لما كانوا بامره يقدمون جاز ان يقول
وقدمنا على سبيل التوسع ونظيره قوله فلما اسفونا وثالثها ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها فلما اباد الله اعمالهم وافسدها بالكلية صار
صارت شبيهة بالموضع الذي يقدم الملك فلا جرم قال وقدمنا اما قوله
الى ما عملوا من عمل معناه الى الاعمال التي اعتقدوها برا وظنوا انها تقربهم
الى الله تعالى والمعنى الى ما عملوا اي عمل كان اما قوله تعالى فجعلناه هبا
منثورا فالمراد ابطلناه وجعلناه بحيث لا يمكن الانتفاع به كالهبا المنثور
الذي لا يمكن القبض عليه ونظيره قوله كسراب بقيعة كرماد اشتدت به
الريح كعصف ماكول قال ابو عبيدة والزجاج الهبا مثل الغبار يدخل من
الكوة مع ضوء الشمس وقال مقاتل انه الغبار الذي يسطع من حوافر الدواب
اما قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا فاعلم انه سبحانه
لما بين حال الكفار في الحساب الكلي والجملة التامة شرح وصف اهل الجنة
تنبيها على ان الحظ كل الحظ في طاعة الله تعالى وهاهنا سوالات السوال
الاول كيف يكون اصحاب الجنة خيرا مستقرا من اهل النار ولا خير في النار
ولا يقال في العسل هو احلى ام الخل والجواب من وجوه الاول ما تقدم في قوله
اذلك خير ام جنة الخلد والثاني يجوز ان يريد انهم في غاية الخير لا ان مستقرهم
خير من النار والثالث التفاضل الذي ذكر بين المنزلين انما يرجع الى الموضع
والموضع من حيث انه موضع لا شر فيه الرابع هذا التفاضل واقع على التقدير
اي لو كان لهم مستقر فيه خير لكان مستقر اهل الجنة خيرا منه السوال
الثاني الاية تدل على ان مستقرهم غير مقيلهم بانهم يقيلون في الفردوس ثم يعودون

الى مستقرهم الثالث ان بعد الفراغ من المحاسبة والذهاب الى الجنة يكون
الوقت وقت القيلولة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيامة
حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وقرا ابن مسعود ثم
ان مقيلهم لا الى الجحيم وقال سعيد بن جبير ان الله تعالى اذا اخذ في فصل
القضا قضى بينهم بقدر ما بين صلاة الغداة الى انتصاف النهار فيقيل
اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وقال مقاتل يخفف الحساب على
اهل الجنة حتى يكون بمقدار نصف يوم من ايام الدنيا يقيلون من يومهم ذلك
في الجنة السوال الثالث كيف تصح القيلولة في الجنة والنار وعندكم اهل
الاخرة لا ينامون فاهل النار ابدا في عذاب يعرفونه واهل الجنة في نعيم
يعرفونه والجواب قال الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ولقوله تعالى
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ولانه اذا لم يكن هناك ايصال شمس ولا نصف
النهار لم يكن هناك قيلولة بل المراد منه بيان ان ذلك الموضع اطيب المواضع
واحسنها كما ان موضع القيلولة يكون اطيب المواضع قوله تعالى ويوم
تشقق السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا الملك يوميذ
الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم
على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني
لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاني وكان الشيطان
للانسان خذولا اعلم ان هذا الكلام على ما استدعوه من انزال الملايكة
فبين سبحانه انه انما ذلك في يوم له صفات الصفة الاولى ان في ذلك
اليوم تشقق السما بالغمام وفيه مسايل المسيلة الاولى قوله
اذا السما انفطرت يدل على التشقق وقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم
الله في ظلل من الغمام يدل على الغمام فقوله ويوم تشقق السما بالغمام جامع
لمعنى تلك الايتين ونظيره قوله تعالى وفتحت السما فكانت ابوابا
وقوله فهي يوميذ واهية المسيلة الثانية قرا ابو عمرو واهل
الكوفة بتخفيف الشين هاهنا وفي سورة ق والباقون بالتشديد
قال ابو عبيد والاختيار التخفيف كما تخفف يسالون ومن شدد فمعناه
تتشقق المسيلة الثالثة قال الفرا المراد من قوله بالغمام اي من الغمام
لان السما لا تتشقق بالغمام بل عن الغمام قال القاضي لا يمتنع ان يجعل
الغمام بحيث يشقق الغمام بالاعتماد عليه وهو كقوله السما منفطر به والله
اعلم المسيلة الرابعة لا بد ان يكون لهذا التشقق تعلقا بنزول
الملايكة فقيل الملايكة في ايام الانبيا كانوا ينزلون من مواضع مخصوصة
والسما على اتصالها ثم في ذلك اليوم تتشقق السما فاذا تشقق خرج من
ان يكون حايلا بين الملايكة وبين الارض فنزلت الملايكة الى الارض المسيلة

المسيلة الخامسة ونزل الملايكة صيغة عموم فثبت انزال الكل ولان
السما مقر الملايكة فاذا تشقق وجب ان ينزلوا الى الارض ثم قال مقاتل
تتشقق سما الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر من سكان سما الدنيا ثم كذلك
تتشقق سما سما ثم ينزل الكروبيون وحملة العرش ثم ينزل الرب تعالى
وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال تتشقق كل سما
وينزل سكانها فيحيطون بالعالم سبع صفوف حول العالم واعلم ان نزول
الرب باطل قطعا لان النزول حركة والموصوف بالحركة محدث
والاله لا يكون محدثا اما نزول الملايكة الى الارض فعليه سوال وذلك
لانه ثبت ان الارض بالقياس الى السما كحلقة ملقاة في ارض فلاة
فكيف بالقياس الى الكرسي والعرش ملايكة هذا المواضع باسرها كيف
تتسع لهم الارض جميعا فلعل الله يزيد في طول الارض وعرضها ويبلغها
مبلغا تسع لكل هولا ومن المفسرين من قال الملايكة يكونون في الغمام ويبقون
فيه والله تعالى يسكن الغمام فوق اهل القيامة ويكون ذلك الغمام مقر
الملايكة قال الحسن والغمام يسير بين السما والارض تعرج الملايكة فيه
بنسخ اعمال بني ادم والمحاسبة تكون في الارض المسيلة السادسة
ومعنى تنزيلا توكيد للنزول ودلالة على انتزاعهم فيه المسيلة
السابعة الالف واللام في الغمام ليس للعام فهو للمعهود والمراد ما ذكرناه
في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملايكة
المسيلة الثامنة قرى وينزل الملايكة ونزلت الملايكة وانزل الملايكة
ونزل الملايكة على حذف النون الذي هو فاعل من نزل قراة اهل مكة
الصفة الثانية لذلك اليوم قوله الملك يوميذ الحق للرحمن قال الزجاج
الحق صفة للملك وتقديره ان الملك يوميذ للرحمن ويجوز الحق بالنصب
ولم يقرا به على اعني ومعنى وصفه بكونه حقا انه لا يزول ولا يتغير فان قيل
مثل هذا الملك قط لم يكن الا للرحمن فما الفايدة في قوله يوميذ قلنا
لان في ذلك اليوم لا مالك سواه لا في الصورة ولا في المعنى فتخضع له الملك
فتخضع له الملوك وتعنو له الوجوه وتذل له الجبابرة بخلاف ساير الايام
واعلم ان هذه الاية دالة على فساد قول المعتزلة في انه يجب على الله الثواب
والعوض وذلك لانه لو وجب لاستحق الذم بتركه فكان خايفا من لا يفعل
فلم يكن مطلقا وايضا فقوله الملك يوميذ الحق للرحمن بعد انه ليس لغيره ملك
وذلك لا يتم على قول المعتزلة لان كل من استحق عليه شيا فانه يكون مالكا
له ولا يكون هو سبحانه مالكا لذلك المستحق ولانه سبحانه اذا استحق على
اخر شيا امكنه ان يعفو عنه اما غيره اذا استحق عليه شيا لا يجوز ابراه عنه
وكانت العبودية هاهنا فلان من كفر بالله الى اخر عمره الله سخطه

ومات فهو سبحانه لو اعطا الف الف سنة انواع الثواب واراد ان لا يعطيه
سخطه واحد صار سفيها وهذا نهاية الصاد والدال فكيف يليق من هذا
قوله الملك يومئذ الحق للرحمن وايضا فكل من فعل فعلا لو لم يفعله كان
مستوجبا للذم كان بذلك الفعل مكتسبا للكمال وبتركه مكتسبا للنقصان
فلم يكن ملكا بل فقيرا منتجعا فثبت ان قوله سبحانه الملك يومئذ الحق
للرحمن غير لائق باصول المعتزلة الصفة الثالثة قوله وكان يوما على
الكافرين عسيرا فالمعنى ظاهر لانه تعالى عالم باحوال الكل قادر على كل
ما يريده واما غيره فالكل في ربقة الفجر ولجام القهر فكان نهاية العسر على
الكافر الصفة الرابعة قوله ويوم يعض الظالم على يديه وفيه مسائل
المسئلة الاولى الالف واللام في الظالم فيه قولان احدهما انه للعموم
والثاني انه للمعهود والقائلون بالمعهود على قولين احدهما قال ابن عباس
يريد عقبة بن ابي معيط بن عقبة بن عبد شمس كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما
يدعو له خيرته من اهل مكة ويكثر مجالسة الرسول عليه الصلاة والسلام
ويعجبه كلامه فصنع طعاما ودعى الرسول فقال ما اكل من طعامك حتى
تاتي بالشهادتين ففعل فاكل رسول الله طعامه وبلغ ذلك امية بن خلف
فقال صبوت يا عقبة وكان خليله فقال انما ذكرت ذلك لياكل من طعامي
فقال لا ارضى ابدا حتى تاتيه فتبزق في وجهه وتطا على عنقه ففعل
فقال عليه الصلاة والسلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك
بالسيف فنزل ويوم يعض الظالم على يديه ندامة يعني عقبة يقول يا ليتني
لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني اي صرفني عن الذكر وهو القران والايمان
بعد اذ جاءني مع محمد عليه الصلاة والسلام واسر عقبة يوم بدر فقتل
صبرا ولم يقتل يومئذ من الاسارى غيره وغير النضر بن الحرث الثاني قالت
الرافضة هذا الظالم هو رجل بعينه وان المسلمين غيروا اسمه وكتموه
وجعلوا فلانا بدلا من اسمه وذكروا فاضلين من اصحاب الرسول عليه افضل
الصلاة والسلام واعلم ان اجرا اللفظ على العموم ليس لنفس اللفظ لانا بينا
في اصول الفقه ان الالف واللام اذا دخلا على الاسم المفرد لا تفيد العموم بل
انما تفيده القرينة من حيث ان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بعلية الوصف
فدل ذلك على ان المؤثر في العموم بل انما تفيد القرينة العض
على اليدين كونه ظالما وحينئذ يعم الحكم لعموم علته وهذا القول اولى
من التخصيص بصورة واحدة لان هذا الذي ذكرناه يقتضي العموم ونزوله
في واقعة خاصة لا ينافي ان يكون المراد هو العموم حتى يدخل فيه تلك
الصورة وغيرها ولان المقصود من الاية زجر الكل عن الظلم وذلك لا يحصل
الا بالعموم اما قول الرافضة فذلك لا يتم الا بالطعن في القران واثبات انه غير

وبدل ولا نزاع في انه كفر المسئلة الثانية استدلت المعتزلة بقوله
ويوم يعض الظالم على يديه بان الظالم يتناول الكافر والفاسق فيدل
على ان الله تعالى لا يعفو عن صاحب الكبيرة والكلام عليه تقدم المسئلة
الثالثة قوله يعض الظالم على يديه قال الضحاك ياكل يديه الى المرفق
ثم تنبت فلا يزال كلما اكلها الا نبتت وقال اهل التحقيق هذه اللفظة
مشعرة بالتحير والغم يقال عض انامله وعض على يديه المسئلة الرابعة
لما بينا ان الظالم غير مخصوص بشخص واحد بل يعم جميع الظلمة فكذا المراد بقوله
فلانا ليس شخصا واحدا بل كل من اطيع في معصية الله واستشهد القفال
بقوله وكان الكافر على ربه ظهيرا ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا يعني به جماعة
الكفار المسئلة الخامسة قرئ يا ويلتى بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي
ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحاري
ومداري المسئلة السادسة قوله عن الذكر اي القران او موعظة الرسول
عليه الصلاة والسلام ويجوز ان يكون نطقه بشهادة الحق وعزمه على
الاسلام والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اصله كما يضل
الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذي
حمله على ان صار خليلا لذلك المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد
الجنس وكل من شطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية
كلام الظالم ويكون كلام الله تعالى قوله تعالى وقال الرسول يا رب ان قومي
اتخذوا هذا القران مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
وكفى بربك هاديا ونصيرا اعلم ان الكفار لما اكثروا من الاعتراضات الفاسدة
ووجوه التعنت ضاق قلب الرسول وشكاهم الى الله تعالى فقال يا رب ان
قومي وهاهنا مسائل المسئلة الاولى اكثر المفسرين على انه قول
واقع من الرسول وقال ابو مسلم بل المراد ان الرسول يقوله في الاخرة وهو كقوله
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والاول اولى
لانه موافق للفظ ولان ما ذكره الله تعالى من قوله وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من المجرمين تسلية للرسول لا يليق الا اذا كان قد وقع ذلك القول منه
المسئلة الثانية ذكروا في المهجور قولين الاول انه من الهجران اي تركوا
الايمان به ولم يقبلوه واعرضوا عن استماعه الثاني انه من الهجر اي مهجورا
فيه ثم حذف الجار ويؤكده قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون
وهجرهم انهم يقولون هو هجر وسحر وكذب وبحر الى هذيان اخر روى انس عن
النبي عليه الصلاة والسلام من تعلم القران وحفظه ولم يتعاهده ولم ينظر
فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني
مهجورا اقض بيني وبينه ثم انه تعالى قال مسليا لرسول عليه الصلاة والسلام

ومؤديا ولذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين بين ان ذلك اسوة لساير
عليهم افضل الصلاة والسلام فليصبر على ما يلقاه من قومه كما صبروا ثم فيه
مسايل **المسيلة الاولى** احتج اصحابنا بهذه الاية على انه تعالى خالق
الخير والشر لان قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
يدل على ان العداوة من جعل الله ولا شك ان تلك العداوة كفر قال الجبائي
المراد من الجعل التبيين فانه تعالى لما بين انهم اعداه جاز ان يقول جعلناهم
اعداه كما اذا بين الرجل ان فلانا لص يقال جعله لصا وكما يقال في الحاكم
عدل فلانا وفسق فلانا وجرحه وقال الكلبي ان الله تعالى امر الانبيا
عليهم الصلاة والسلام بعداوة الكفار وعداوتهم الكفار تقتضي عداوة
الكفار لهم فلذلك جاز ان يقول وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا لانه سبحانه
هو الذي حمله ودعاه الى سبب تلك العداوة وقال ابو مسلم سمك في العداوة
انه البعيد القريب اذ المعاداة المباعدة كما ان النصرة للقريب والمظاهرة
وقد باعد الله بين المومنين والكافرين والجواب عن الاول التبيين لا يسمى
البتة جعلا لان من بين لغيره وجود الصانع وقدمه لا يقال انه جعل
الصانع وجعل قدمه والجواب عن الثاني ان الذي امر الله تعالى هل له تاثير
في وقوع العداوة في قلوبهم وليس لهم فيه تاثير وان كان الاول فقد تم
الكلام لان عداوتهم للرسول عليه الصلاة والسلام كفر فاذا امر الله الرسول
بما له اثر في تلك العداوة فقد امره بما له اثر في وقوع الكفر وان لم يكن له
فيه تاثير البتة كان منقطعا عنه بالكلية فيمتنع اثباته الله وهذا هو
الجواب عن قول ابي مسلم **المسيلة الثانية** لقايل ان يقول ان قول
محمد عليه الصلاة والسلام يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا
في المعنى كقول نوح يا رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاي
الا فرارا وكما ان المقصود من هذا انزال العذاب فكذا هناك فكيف يليق
بمن وصفه الله تعالى بالرحمة في قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين جوابه
ان نوحا لما ذكر ذلك دعا عليهم واما محمد عليه الصلاة والسلام فلما ذكر
هذا ما دعا عليهم بل انتظر فلما قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين ولذلك جعلنا لكل نبي عدوا كان ذلك كالامر بالصبر على ذلك
وترك الدعا عليهم فظهر الفرق **المسيلة الثالثة** جعلنا صيغة
العظما فالعظيم اذا ذكر نفسه في معرض التعظيم وذكر انه يعطي فلا بد
ان تكون تلك العطية عظيمة كقوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني
وانا اعطيناك فكيف تليق بهذه الصيغة ان تكون تلك العطية في العداوة
التي هي منشا الضرر في الدين والدنيا جوابه ان خلق العدو سبب للجهاد
لان فيه زيادة المشقة التي هي موجبة لمزيد الثواب **المسيلة الرابعة**

يجوز ان يكون العدو واحدا وجمعا لقوله فانهم عدو لي وجا في التفسير ان عدو
الرسول عليه الصلاة والسلام ابو جهل اما قوله وكفى بربك هاديا ونصيرا
قال الفرا البا زايدة يعني وكفى ربك هاديا ونصيرا منصوبان على الحال
هاديا الى مصالح الدين والدنيا ونصيرا على الاعدا ونظيره يا ايها النبي
حسبك الله قوله تعالى **وقال الذين كفروا لولا انزل عليه القران جملة
واحدة كذلك لنثبت به فوادك ورتلناه ترتيلا ولا ياتونك بمثل
الا جيناك بالحق واحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم
اولئك شر مكانا واضل سبيلا** اعلم ان هذا هو الشبهة الخامسة
لمنكري نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وان اهل مكة قالوا تزعم انك
رسول عند الله اولا اتينا بالقران جملة كما انزل التورية جملة على موسى والانجيل
على عيسى عليهما افضل الصلاة والسلام والزبور على داود عليه الصلاة والسلام
عن ابن جريج بين اوله واخره اثنين او ثلث وعشرين سنة واجاب الله
تعالى عنه بقوله كذلك لنثبت به فوادك وبيان هذا الجواب من وجوه
احدها انه عليه الصلاة والسلام لم يكن من اهل القراة والكتابة فلو نزل
ذلك عليه جملة واحدة كان لا يضبط ولجاز فيه الغلط والسهو وانما نزلت
التورية جملة لانها كانت مكتوبة فقراها موسى وثانيها ان من كان
الكتاب عنده فربما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ فالله تعالى ما
اعطاه الكتاب دفعة واحدة بل كان ينزله عليه وظيفة ليكون حفظه
له اكمل فيكون ابعد عن المساهلة وقلة التحصيل وثالثها انه لو انزل
الكتاب جملة واحدة فكان يثقل عليهم ذلك فلما نزل منجما مفرقا
لا جرم نزلت التكاليف قليلا قليلا فكان عليهم اسهل ورابعها انه اذا
شاهد جبريل عليه الصلاة والسلام حالا بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته
فكان اقوى على اداء ما حمل وعلى الصبر على عوارض النبوة وعلى احتمال اذية
قومه وعلى الجهاد وخامسها انه لما تم شرط الاعجاز فيه مع كونه منجما
ثبت كونه معجزا فانه لو كان ذلك مقدورا للبشر لوجب ان ياتوا بمثله
منجما مفرقا وسادسها كان القران نزل بحسب اسولتهم والوقايع الواقعة
لهم وكانوا به ادون بصيرة التي بسبب ذلك كان لهم الفصاحة الاخبار عن
الغيوب وسابعها ان القران لما نزل منجما مفرقا وهو عليه الصلاة والسلام
كان يتحداهم من اول الامر فكانه كان يتحداهم بكل واحد من نجوم القران فلما عجزوا
عنه كان عجزهم عن معارضة الكل اولى فبهذا الطريق ثبت في فواده ان القوم
عاجزون عن سبب المعارضة لا محالة وثامنها ان السفارة بين الله وبين
انبيايه وتبليغ كتابه الى الخلق منصب عظيم فيحتمل ان يقال انه تعالى لو انزل
القران على محمد عليه الصلاة والسلام جملة واحدة لبطل المنصب على جبريل

عليه الصلاة والسلام فلما انزله مفرقا منجما بقي ذلك المنصب العالي
عليه فلاجل ذلك جعله الله سبحانه وتعالى مفرقا منجما اما قوله كذلك ففيه
وجهان احدهما انه من تمام كلام المشركين اي جملة واحدة كذلك اي كالتورية
والانجيل وعلى هذا يحتاج الى اضمار في الاية وهو ان يقول انزلناه مفرقا
لنثبت به فوادك الثاني انه كلام الله تعالى ذكره جوابا لهم اي كذلك انزلناه
مفرقا فان قيل ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة الى شي تقدمه والذي
تقدم هو انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا قلنا لان قوله لولا
انزل عليه جملة معناه لم نزل مفرقا فذلك اشارة اليه اما قوله ورتلناه ترتيلا
فمعنى الترتيل في الكلام ان ياتي بعضه على اثر بعض على تؤدة وتمهل واصله
من الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل وهو ضد المراص
ثم انه تعالى لما بين فساد قولهم بالجواب الواضح قال ولا ياتونك بمثل الا
جيناك بالحق بمثل من الجنس الذي تقدم ذكره من الشبهات الا جيناك بالحق
الذي يدفع قولهم كما قال بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو
زاهق وبين ان الذي يعطي ياتي به احسن تفسيرا لاجل ما فيه من المرسه
في البيان والظهور ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع
موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا
وكذا اما قوله تعالى الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ففيه مسايل
المسئلة الاولى عن ابي هريرة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام
يحشر الناس على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف
على الوجوه وعنه عليه الصلاة والسلام ان الذي امشاهم على ارجلهم
قادر على ان يمشيهم على وجوههم المسئلة الثانية الاقرب انه صفة القوم
الذين اوردوا هذه الاسولة على سبيل التعنت وان كان غيرهم من اهل النار
يدخل معهم المسئلة الثالثة حمله بعضهم على انهم يمشون في الاخرة
من وجوههم الى القرار وارجلهم الى فوق روي ذلك عن الرسول عليه الصلاة
والسلام وقال اخرون المراد انهم يجرون ويسحبون وهذا ايضا مروي عن
الرسول عليه الصلاة والسلام وهو اولى وقال الصوفية الذين تعلقت
قلوبهم بما سوى الله فاذا ماتوا بقي ذلك التعلق فعبر عن تلك الحالة بانهم
يحشرون على وجوههم ثم بين تعالى انهم شر مكانا من اهل النار واضل سبيلا
وطريقا والمقصود منه ان لا حد على طريقهم والسوال كما ذكرنا على قوله اصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا وقد تقدم الجواب عنه واعلم انه بعد ما تكلم في
التوحيد ونفي الانداد واثبات النبوة والجواب عن شبهات المنكرين
لهما وفي احوال القيامة شرع في ذكر القصص على السنة المعلومة قوله
تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فقلنا

اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا اعلم انه تعالى
لما قال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اتبعه بذكر جماعة من
الانبيا وعرفه بما نزل بمن كذب من امتهم فقال ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا
معه اخاه هرون وزيرا والمعنى لست يا محمد باول من ارسلناه فكذب
واتيناه الايات فرد بل اتينا موسى التورية وقوينا عضده باخيه هرون
ومع ذلك فقد رد وفيه مسايل المسئلة الاولى كونه وزيرا يمنع من كونه
شريكا له في النبوة فلا وجه لقول من قال فقلنا اذهبا انه خطاب لموسى
وحده بل يجري مجرى قوله اذهبا الى فرعون انه طغى فان قيل ان كونه وزيرا
كالمنافي لكونه شريكا بل يجب ان يقال انه لما صار شريكا خرج عن ان يكون
وزيرا قلنا المنافاة بين الصفتين ان يشركه في النبوة ويكون ظهيرا له
ومعينا المسئلة الثانية قال الزجاج الوزير في اللغة الذي يرجع
اليه ويتحصن والوزير ما يعتصم به ومنه كل الاوزار اي لا ملجا ولا منجا
قال القاضي ولذلك لا يوصف تعالى بان له وزيرا ولا يقال فيه ايضا
بانه وزير لان الالتجا اليه في الراي والمشاورة على هذا الحد لا يصح
المسئلة الثالثة دمرناهم اهلكناهم اهلاكا فان قيل الفا للتعقيب
والاهلاك لم يحصل عقيب ذهاب موسى وهرون اليهم مدة مديدة قلنا
فا التعقيب هاهنا محمول على الحكم لا على الوقوع وقيل انه اراد اختصار القصة
وقد يسرها تسيها لاولها باخرها لانهما المقصود من القصة بطولها على الزام
الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم المسئلة الرابعة
قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا ان حملناه على
تكذيب الايات الالهية فلا اشكال وان حملناه على تكذيب ايات النبوة
فاللفظ وان كان للماضي الا ان المراد منه المستقبل القصة الثانية قوله
تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس
اية واعتدنا للظالمين عذابا اليما اعلم انه تعالى انما قال كذبوا الرسل
اما لانهم كانوا من الكرامية المنكرين لكل الرسل ولانه كان تكذيبهم لواحد
منهم تكذيبا للجميع لان تكذيب الواحد منهم لا يمكن الا بالقدح في المعجز وذلك
يقتضي تكذيب الكل او لان المراد بالرسل وان كان نوحا عليه الصلاة
والسلام وحده ولكنه كما قال فلان يركب الافراس اما قوله اغرقناهم فقال
الكلبي امطر الله عليهم السما واخرج ما الارضين ايضا في ذلك الاربعين
فصارت الارض بحرا واحدا موجا وجعلناهم اي جعلنا اغراقهم او قصتهم
اية للظالمين اي لكل من سلك سبيلهم في تكذيب الرسل عذابا اليما ويحتمل ان
يكون المراد قوم نوح القصة الثالثة قوله تعالى وعادا وثمودا واصحاب
الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا

وها هنا مسايل المسيلة الاولى عطف عادا على هم في جعلناهم او على الظالمين
لان المعنى ووعدنا الظالمين المسيلة الثانية قرى وثمود على تاويل
القبيلة واما على المنصوب فعلى تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر المسيلة
الثالثة قال ابو عبيدة الرس هو البير غير المطوية قال ابو مسلم في البلاد موضع
يقال له الرس فجايز ان يكون ذلك الراوي مسكنا لهم والرس عند العرب الدفن
ويسمى به الحفر يقال رس الميت اذا دفن وغيب في الحفر وفي التفسير انه البير واي
شي كان فقد اخبر الله عن اهله بالهلاك المسيلة الرابعة ذكر المفسرون
في اصحاب الرس وجوها احدها كانوا قوما عبدوا الاصنام اصحاب ابار ومواشي
فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذايه
فبنيا هم حول الرس فخسف الله بهم وبديارهم وثانيها مسلخ اليمامة فقتلوا
نبيهم فهلكوا وهم فتية وثالثها هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا
مبتلين بالعنقا وهي اعظم ما تكون من الطير سميت عنقا وكانت تسكن
جبلهم وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم الى غورها للصيد فدل عليها حنظلة
فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا ورابعها اصحاب
الاخدود والرس هو الاخدود وخامسها الرس بانطاكية يقتلوا فيها
حبيبا النجار وقيل كذبوه ورسوه في بير اي رسوه فيها وسادسها عن
علي رضي الله تعالى عنه انهم كانوا قوما يعبدون شجرة الصنوبر وانما
سموا باصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الارض وسابعها اصحاب الرس
قوم كانت لهم قرى على شاطي نهر يقال له الرس من بلاد المشرق فبعث
الله اليهم نبيا من ولد يهوذا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمانا فشكى الى
الله منهم فحفروا بيرا فرسوه فيها وقالوا نرجوا ان ترضى عنا الهتنا وكانوا
عامة يومهم يسمعون انين نبيهم عليه الصلاة والسلام وهو يقول يا سيدي
يا ربي ضيق مكاني وسد لدا وضعف ركني وقل حيلتي فعجل قبض روحي حتى
مات فارسل الله تعالى عليهم ريحا عاصفة شديدة الحمرة وصارت الارض
من تحتهم حجر كبريت متوقد واظلتهم سحابة سودا فذابت ابدانهم كما يذوب
الرصاص وثامنها روى ابن جرير عن النبي عليه الصلاة والسلام ان الله
بعث نبيا الى اهل قرية فلم يومن به احد من اهلها الا عبد اسود ثم عدوا
على رسول الله عليه الصلاة والسلام فحفروا له بيرا فالقوه فيه ثم اطبقوا
عليه بحجر ضخم وكان ذلك العبد يحتطب فيغدى له طعاما وشرابا
ويرفع الصخرة ويدليه اليه فكان ذلك ما شا الله فاحتطب يوما فلما اراد
ان يحملها وجد نوما فاضطجع فضرب الله على اذنه سبع سنين نايما ثم
انتبه وتمطى وتحول الشقة الاخرى فنام سبع سنين اخر ثم انتبه فاحتمل
حزمته وظن انه نام ساعة من نهار فجا الى القرية فباع حزمته واشترى

طعاما وشرابا وذهب الى الحفرة فلم يجد احدا وكان قومه استخرجوه فامنوا
به وصدقوه وكان ذلك النبي يسالهم عن حال الاسود فيقولون ما ندري
حاله حتى قبض الله ذلك النبي وقبض الاسود فقال عليه الصلاة والسلام
ان ذلك الاسود اول من يدخل الجنة واعلم ان القول ما قال ابو مسلم وهو
ثامن هذه الروايات غير معلوم بالقران ولا يجده قوي الاسناد ولكنهم
كيف كانوا فقد اخبر الله عنهم انهم اهلكوا بسبب كفرهم المسيلة الخامسة
القرن اربعون سنة وقال عليه الصلاة والسلام بل سبعون سنة وقيل
ماية وعشرون المسيلة السادسة قوله بين ذلك المذكور وقد يذكر
الذاكر اشيا مختلفة ثم يسر ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول وذلك
كيت وكيت على ان المحسوب او المعدود اما قوله وكلا ضربنا له الامثال
فالمراد بينا لهم وازحنا عللهم فلما كذبوا تبرناهم تتبيرا ويحتمل وكلا ضربنا له
الامثال بان اجبناهم عما اوردوه من الشبهة في تكذيب الرسل عليهم الصلاة
والسلام كما اورده قومك يا محمد فلما لم ينجع فيهم تبرناهم بحذر تعالى بذلك قوم
محمد عليه الصلاة والسلام في الاستمرار على تكذيبهم لكيلا يترك بهم مثل ما نزل
بالقوم عاجلا واجلا المسيلة السابعة كلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا
له الامثال وهو انذرنا وحذرنا والثاني تبرنا لانه بارع لهم المسيلة الثامنة
التتبير والتفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج
القصة الرابعة قوله تعالى ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء
افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا اعلم انه تعالى اراد بالقرية
سدوم من قرى قوم لوط كانت خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة
والسوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك
القرية التي اهلكت بالحجارة من السما انكم تكونوا في مرار مروركم تنظرون الى
اثار عذاب الله ونكاله بل كانوا قوما كفرة لا يرجون نشورا وذكروا في تفسير
يرجون وجوها احدها هو الذي قاله القاضي وهو الاقوى انه محمول على حقيقة
الرجا لان الانسان لا يتحمل متاعب التكاليف ومشاق النظر والاستدلال الا رجا
ثواب الاخرة فاذا لم يومن بالاخرة لم يرج ثوابا فلا يتحمل تلك المشاق
والمتاعب وثانيها معناه لا يتوقعون نشورا فوضع الرجا موضع التوقع لانه
انما يتوقع العاقبة من يومن وثالثها معناه لا يخافون على اللغة التهامية وهو
ضعيف والاول هو الحق قوله تعالى واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا
الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف
يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ارايت من اتخذ الهه هواه افانت
تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام
بل هم اضل سبيلا اعلم انه سبحانه لما بين مبالغة المشركين في انكار نبوته وايراد

الشبهات في ذلك من بعد ذلك انهم اذا راوا الرسول اتخذوه هزوا فلم يقتصروا
على ترك الايمان به بل زادوا عليه الاستهزاء والاستحقار ويقول بعضهم لبعض
اهذا الذي بعث الله رسولا وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قال
صاحب الكشاف ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة بينهما **المسئلة الثانية** جواب اذ هو ما اضمر من القول يعني واذا
راوك مستهزئين قالوا ابعث الله رسولا وقالوا ان يتخذونك جملة اعترضت
بين اذا وجوابها **المسئلة الثالثة** اتخذ هاهنا في معنى استهزاه والاصل
اتخذه موضع هزه **المسئلة الرابعة** اعلم ان الله تعالى اخبر عن المشركين انهم
متى راوه اتوا بنوعين من الافعال احدهما انهم يستهزؤن به وفسر ذلك الاستهزاء
بقوله هذا الذي بعث الله رسولا وذلك جهل عظيم لان الاستهزاء اما ان يقع
كصورته او بصفته اما الاول فباطل لانه عليه الصلاة والسلام كان احسن
منهم صورة وخلقة وبتقدير انه لم يكن كذلك لكنه عليه الصلاة والسلام
ما كان يدعي التمييز عنهم بالصورة بل بالحجة واما الثاني فباطل لانه عليه
الصلاة والسلام ادعى التمييز عنهم في ظهور المعجز عليه دونهم وانهم ما قدروا
على القدح في حجته ودلالته ففي الحقيقة هم الذين يستحقون ان يهزا بهم
ثم انهم لوقاحتهم قلبوا القصة واستهزؤا بالرسول وذلك يدل على انه ليس
للمبطل في كل الاوقات الا السفاهة والوقاحة وثانيها انهم كانوا يقولون
فيه ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وذلك يدل على امور الاول
انهم سموا ذلك اضلالا وذلك يدل على انهم كانوا مبالغين في تعظيم الهتهم
وفي استعظام صفته عليه الصلاة والسلام في صونه عنهم صونهم عنه وذلك
يدل على انهم كانوا ان هذا هو الحق فمن هذا الوجه يبطل قول اصحاب المعارف
في انه لا يكفر الا من يعرف الدليل لانهم حملوه ثم نسبهم الله الى الكفر والضلال وقولهم
لولا ان صبرنا عليها يدل ايضا على ذلك الثاني يدل على ان هذا القول منهم على
حد الرسول واجتهاده عليه الصلاة والسلام واجتهاده في صونهم عن عبادة
الاوثان ولولا ذلك لما قالوا ان كاد ليضلنا لولا ان صبرنا عليها وهكذا
كان عليه الصلاة والسلام فانه في اول الامر بالغ في ايراد الدلايل والجواب
عن الشبهات وتحمل ما كانوا يفعلونه من انواع السفاهة وسوء الادب والثاني
يدل على اعتراف القوم بانهم لم يعرضوا البتة على دلايل الرسول وما عارضوها
الا لمحض الجمود والتقليد لان قولهم لولا ان صبرنا عليها اشارة الى الجمود والتقليد
ولو ذكروا اعتراضا على دلايل الرسول لكان ذكر ذلك اولى من ذكر تجرد
الجمود والاصرار الذي هو داب الجهال وذلك يدل على ان القوم كانوا مقهورين
تحت حجته عليه الصلاة والسلام وانه ما كان في ايديهم الا مجرد الوقاحة
الرابع الايذاء على ان القوم صاروا في ظهور حجته عليه الصلاة والسلام عليهم كالمجانين

لانهم استهزؤا به اولا ثم وصفوه بانه كان يضلنا عن مذهبنا لولا ان قابلناه
بالجمود والاصرار فهذا الكلام الاخير يدل على ان القوم كانوا يعلمون له قوة
الحجة وكمال العقل والكلام الاول وهو السخرية والاستهزاء لا يليق الا بالجاهل
العاجز فالقوم لما جمعوا بين هذين الكلامين دل ذلك على انهم كانوا كالمتحيرين
في امره فقابلوه بالوقاحة يستهزؤن منه وتارة يصفونه بما لا يليق الا بالعلم
الكامل ثم انه سبحانه لما حكى عنهم هذا الكلام زيف طريقتهم في ذلك من
ثلاثة اوجه اولها قوله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا
لانهم لما وصفوه بالضلال في قولهم كان ليضلنا بين تعالى انه سيظهر لهم من المضل
ومن الضال عند مشاهدة العذاب الذي لا مخلص لهم منه فهو وعيد لهم
شديد على التعامي والاعراض عن النظر والاستدلال وثانيها قوله تعالى
ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا والمعنى انه سبحانه
بين ان بلوغ هولا في جهالتهم واعراضهم عن الدلايل انما كان لاستيلاء
التقليد عليهم وانهم اتخذوا اهواءهم الهة لانفسهم فكلما دعاهم الهوى اليه
انقادوا له سواء منع الدليل منه او لم يمنع ثم هاهنا ابحاث الاول قوله
ارايت يصلح للاعلام والسؤال وهاهنا تعجب من جهل من هذا وصفه وتعميه
الثاني قوله اتخذ الهه هواه معناه اتخذ الهه ما يهواه او الها يهواه وقيل
هو مقلوب ومعناه اتخذ الهه هواه يفيد الحصر اي لم يتخذ لنفسه الها الا
هواه وهذا المعنى لا يحصل الا عند القلب قال ابن عباس الهوى اله يعبد
وقال سعيد بن جبير كان الرجل من المشركين يعبد صنما فاذا راى اثمن منه
رماه واخذ الاخر وعبده الثالث قوله افانت تكون عليه وكيلا اي حافظا
يحفظه عن اتباع هواه اي لست كذلك الرابع نظير هذه الاية قوله لست
عليهم بمسيطر وقوله وما انت عليهم بجبار وقوله لا اكراه في الدين قال
الكلبي نسختها اية وخامسها قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
او يعقلون ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب وذلك يدل على ان هذه
الشدة اشد من التي تقدمها حتى خفت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم
فاقدي الاسماع والعقول لانهم لشدة عنادهم لا يسمعون الكلام واذا سمعوه
لا يتفكرون فيه وكانه ليس لهم سمع ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم
بالانعام في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على التدبر والتفكر واقبالهم
على اللذات الحاضرة الحسية واعراضهم عن طلب السعادات الباقية الكلية
العقلية وهاهنا سؤالات السؤال الاول ام تحسب ان اكثرهم فحكم بذلك على
الاكثر دون الكل الجواب لانه كان فيهم من يعرف الله ويصل الحق الا انه ترك
الاسلام لمجرد الرياسة لا لجهل السؤال الثاني لم جعلوا اضل من الانعام
الجواب لوجوه احدها ان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها

وتميز بين من يحسن اليها ويسيء اليها ويطلب ما ينفعها ويجتنب ما يضرها
وهولا لا ينقادون لربهم ولا يميزون بين احسانه اليهم وبين اساءة الشيطان
اليهم الذي هو عدوه ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يجيزون
العقاب الذي هو اعظم المضار وثانيها ان قلوب الانعام كما انها تكون خالية
عن العلم فهي خالية عن الجهل هو اعتقاد المعتقد على خلاف ما هو عليه مع الصنم
الصنم واما هولا فقلوبهم لما خلت عن العلم فقد اتصفت بالجهل فانهم لا يعلمون
ولا يعلمون انهم لا يعلمون بل يصرون على انهم يعلمون وثالثها ان عدم علم
الانعام لا يضر لاحد ان الانعام لا تعرف شيئا ولكنهم عاجزون عن طلب المراتب
العالية اذا عجز عنه لا يكون في استحقاق الذم كالقادر عليه التارك له بسو
اختياره وخامسها ان البهايم لا تستحق عقابا على عدم العلم كهولا فانهم
يستحقون عليه اعظم العقاب وسادسها ان البهايم تسبح الله على مذهب
بعض الناس على ما قال وان من شي الا يسبح بحمده وقال الم تر ان الله يسجد
له من في السموات الى قوله وقال والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه
واذا كان كذلك كان ضلال الكفار اشد واعظم من ضلال هذه الانعام
السوال الثالث انه سبحانه لما نفى عنهم السمع والعقل فكيف ذمهم على الاعراض
عن الدين وكيف بعث الرسول اليهم فان من شرط التكليف العقل الجواب ليس
المراد انهم لا يعقلون بل انهم لم ينتفعوا بذلك فهو كقولك لرجل اذا لم تفهم
فانت اعمى واصم قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء
لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا
يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار
نشورا وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السما
ما طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا
اعلم انه سبحانه وتعالى لما بين جهل المعرضين عن دلايل الله تعالى وفساد
طريقتهم في ذلك ذكر بعده انواعا من الدلايل الدالة على وجود الصانع
النوع الاول الاستدلال بحال الظل وزيادته ونقصانه وتغيره من حال
الى حال وفيه مسايل المسئلة الاولى قوله الم تر فيه وجهان احدهما
انه من روية العين والثاني انه من روية القلب يعني العلم فان حملناه على
روية العين فالمعنى الم تر الى الظل كيف مده ربك وان كان لفظه على
عادة العرب افصح وان حملناه على العلم وهو اختيار الزجاج فالمعنى الم تعلم
وهذا اولى وذلك لان الظل اذا جعلناه من المبصرات فتاثير قدرة الله
تعالى في تحديده غير مرئي بالاتفاق ولكنه معلوم من حيث ان كل متغير حادث
وكل حادث فله موثر فحمل هذا اللفظ على روية القلب اولى من هذا الوجه
المسئلة الثانية المخاطب بهذا الخطاب ان كان هو الرسول عليه الصلاة والسلام

بحسب ظاهر اللفظ ولكن الخطاب عام في المعنى لان القصد بالاية بان نعم الله
تعالى بالظل وجميع المكلفين مشتركون بحسب تنبيههم لهذه النعمة وتمكنهم
من الاستدلال بها على وجود الصانع المسئلة الثالثة اعلم ان الناس
اكثروا في تاويل هذه الاية والكلام الملخص يرجع الى وجهين الاول ان الظل
هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو ما بين ظهور
الفجر الى طلوع الشمس وكذا الكسار الحاصلة داخل الثقل وافية الجدران
وهذه الحال اطيب الاحوال لان الظلمة الحاصلة يكرهها الطبع وينفر عنها
الحس واما الضوء الخالص وهو الكيفية الفايضة من الشمس فهي تبهر الحس
البصري وتفيد الصحوة القوية وهي موذية فاذن اطيب الاحوال هو الظل
وكذلك وصف الجنة به فقال وظل ممدود واذا ثبت هذا فنقول انه سبحانه
بين انه من النعم العظيمة والمنافع الجليلة ثم ان الناظر الى الجسم الملون
وقت الظل كانه لا يشاهد شيئا سوى الجسم وسوى اللون ويقول الظل
ليس امرا ثالثا ولا يعرفه ولا يعرف به الا انه اذا طلعت عليه الشمس ووقع
ضوها على الجسم زال ذلك الظل ولولا الشمس ووقوع ضوها على الاجرام لما عرف
ان للظل وجودا وماهية لان الاشيا انما تعرف باضدادها فلولا الشمس لما عرف
الظل ولولا الظلمة لما عرف النور وكانه سبحانه وتعالى لما اطلع الشمس على الارض
وزال الظل فحينئذ ظهر للعقول ان الظل كيفية زايدة على الجسم واللون فلهذا
قال سبحانه ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي خلقنا الظل اولا بما فيه من
المنافع واللذات ثم ان هدينا العقول الى معرفة وجوده بان اطلعنا الشمس
وكانت الشمس دليلا على وجود هذه النعمة ثم قبضناه اي ازلنا الظل
لا دفعة بل يسيرا يسيرا فكانه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان
الاظلال لا يكون دفعة بل يسيرا يسيرا ولان قبض الظل احصل دفعة لاختلت
مصالح العالم والمراد بالقبض الازالة والاعدام هذا احد التاويل الثاني
وهو انه سبحانه لما خلق الارض والسما وما خلق الكواكب والشمس والقمر وقع
الظل على الارض ثم انه سبحانه خلق الشمس دليلا عليه وذلك لان تحت
حركات الضوء تحرك الاظلال فانهما متعاقبان متلازمان لا واسطة فبمقدار
ما يزداد احدهما ينقص الاخر وكما ان المهتدي يهتدي بالهادي والدليل
وتلازمه فكذا الاظلال كانها مهتدية وملازمة الضوء فلهذا جعل الشمس
دليلا عليهما واما قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا فاما ان يكون المراد
منه انتهاء الاظلال يسيرا يسيرا الى غاية نقصانها فسمي ازالة الاظلال
قبضا لها او يكون المراد من قبضها يسيرا قبضها عند قيام الساعة وذلك
بقبض اسبابها وهي الاجرام التي تلقي الاظلال وقوله يسيرا فذلك لقوله
ذلك حشر علينا يسير فهذا التاويل الملخص المسئلة الرابعة وجه

الاستدلال به على وجود الصانع المختار ان حصول الظل نفع للاحيا والعقلا واما
حصول الضو الخالص او الظلمة الخالصة فهو ليس من باب المنافع فحصول ذلك
الظل اما ان يكون من الواجبات او الجايزات والاول باطل والا لما تطرق التغيير
اليه لان الواجب لا يتغير فوجب ان يكون من الجايزات فلا بد له في وجوده
بعد العدم وعدمه من صانع قادر مدبر محسن تقديره بالوجه النافع وما
ذاك الا من يقدر على تحريك الاجرام الفلكية وترتيبها على الوصف الاحسن
والترتيب الاكمل وما هو الا الله سبحانه وتعالى فان قيل الظل عبارة عن عدم
الضوء عما من شانه ان يضي فكيف استدل بالامر العدمي على ذاته وكيف عده من
النعم قلنا الظل ليس عدميا محضا بل هو ضو مخلوط بظلمة والتحقيق ان الظل
عبارة عن الضوء الثاني وهو امر وجودي في تحقيقه وبسطه دقيق يرجع فيه
الى كتبنا العقلية النوع الثاني قوله وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم
سباتا وجعل النهار نشورا واعلم انه تعالى شبه الليل من حيث ستر الكل تغطي
بالجلباب الساتر للبدن ونبه لنا على ما لنا فيه من النفع بقوله والنوم سباتا
والسبات هو الراحة وجعل النوم سباتا لانه سبب الراحة قال ابو مسلم السبات
الراحة ومنه يوم السبت لما جرت به العادة من الاستراحة فيه ويقال للعليل
اذا استراح من تعب العلة قال صاحب الكشاف السبات الموت والمسبوت الميت لانه
مقطوع الحياة قال وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل وانما قلنا ان تفسيره
بالموت اولى من تفسيره بالراحة لان النور في مقابلته اياه قال ابو مسلم وجعل
النهار نشورا هو بمعنى الانتشار والحركة كما سمى الله تعالى نوم الانسان وفاة
فقال الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها لذلك وفق بين
القيام من الموت في التسمية بالنشور وهذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق
فيها اظهار النعمة على خلقه لان في الاحتجاب عن نشر الليل كم فيه لكثير من الناس
في فوايد دينية ودنيوية والنوم واليقظة شبههما بالموت والحياة وعن لقمان
انه قال لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتحشر النوع الثالث قوله وهو
الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وقد تقدم تفسيره في سورة الاعراف
ثم فيه مسايل المسيلة الاولى قرى الريح والرياح قال الزجاج في نشرا ستة
اوجه بفتح النون وبضمها وبضم النون والشين وبالياء مونث ونشرا بالتنوين
قال ابو مسلم من قرا بشرا المراد جمع بشير مثل قوله ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات
واما بالنون فهو في معنى والناشرات نشرا وهو الرياح والرحمة الغيث والما
المطر المسيلة الثانية قوله وانزلنا من السما ماء طهورا نص انه تعالى ينزل من السما
لا من السحاب وقول من يقول السحاب سما ضعيف لان ذلك بحسب الاشتقاق
اما بحسب وضع اللغة فالسما اسم لهذا السقف المعلوم فصرفه ترك للظاهر
المسيلة الثالثة اختلفوا في ان الطهور ما هو قال كثير من العلما الطهور

قلوبه وتدوير لاجسامه

ما يتطهر به كالفطور ما يتفطر به والسحور ما يتسحر به وهو مروي ايضا عن ثعلب
وانكر صاحب الكشاف ذلك وقال ليس فعول من التفعيل والطهور على وجهين
في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم
قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضى به وتوقد به النار حجة القول
الاول قوله عليه الصلاة والسلام التراب طهور المسلم ولو لم يجد الماء عشر حجج
ولو كان معنى الطهور الطاهر لكان معناه التراب طاهر المسلم وحينئذ لا ينتظم
الكلام وكذا قوله عليه الصلاة والسلام طهور انا احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان
يغسله سبعا ولو كان الطهور الطاهر لكان معناه طاهر انا احدكم وحينئذ
لا ينتظم الكلام فلانه تعالى قال وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به بين ان
المقصود من الما انما هو المطهر به ولانه تعالى ذكره في معرض الانعام فوجب
حمله على الوصف الاجمل ولا شك ان المطهر اكمل من الطاهر المسيلة الرابعة
اعلم انه تعالى ذكر من منافع الما امرين احدهما ما يتعلق بالنبات والثاني
ما يتعلق بالحيوان اما امر النبات فقوله لنحيي به بلدة ميتا وفيه سوالات
السوال الاول لم قال لنحيي به بلدة ميتا ولم يقل ميتة الجواب لان البلدة في
معنى البلد فسقناه لبلد ميت السوال الثاني ما المراد من حياة البلدة
وموتها الجواب يسمون ما لا عمارة فيه من الارض موتا وسقيها لعمارتها المقتضي
لعمارتها احيا لها السوال الثالث ان جماعة الطبايعيين وكذا الكعبي من المعتزلة
قالوا ان نطع الارض والما وتاثير الشمس فيها يجعل النبات وتمسكوا بقوله تعالى
لنحيي به بلدة ميتا فان الباقي به تقتضي ان للما تاثيرا في ذلك الجواب
الظاهر وان دل عليه لكن المتكلمين يذكره لقيام الدلايل على فساد الطبع واما
الحيوان فقوله سبحانه ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا وفيه سوالات
لم خص الانسان والانعام هاهنا بالذكر دون الطير والوحش مع انتفاع الكل
بالما الجواب ان الطير والوحش يبعد في طلب الما فلا يعوزها الشرب بخلاف
الانعام فانها شبه الادمي وعامة منافعهم متعلقة بها وكان الانعام عليهم
بسقي انعامهم كالانعام عليهم بسقيهم السوال الثاني ما معنى تنكير الانعام
والاناسي ووصفها بالكثرة والجواب معناه ان اكثر الانسان الاناسي مجتمعون
في البلاد القريبة من الاودية والانهار ومنافع المياه فيهم غنية في شرب الما
عن المطر وشربه فهم نازلون في البوادي ولا يجدون المياه للشرب الا عند
نزول المطر وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد به بعض هولا المتباعدين
عن مظان الما ويحتمل في كثير ان يرجع الى قوله ونسقيه لان الحي يحتاج الى الما
حالا بعد حال وهو مخالف للنبات الذي يشبه من الما قدر معين حتى لو زيد
عليه يوم بعد ذلك لكان الى الضرر اقرب والحيوان يحتاج اليه حال بعد حال
ما دام حيا السوال الثالث لم قدم احيا الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي

الكعبي

الجواب لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وحياة انعامهم فقدم ما هو سبب
حياتهم ونعيمهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا لارضهم ومواشيهم
فقد ظفروا ايضا بسقياهم واعلم ان الفقهاء قد استنبطوا احكام المياه من قوله
تعالى وانزلنا من السما ما طهورا ونحن نشير الى معاقد تلك المسايل فنقول
هاهنا نظران احدهما ان الما مطهر والثاني ان غير الما هل هو مطهر ام لا النظر
الاول ان يقول اما ان يعتبر القسم الاول وهو الذي لا يتغير فهو طاهر في ذاته
مطهر لغيره الا الما المستعمل فانه عند الشافعي طاهر وليس بمطهر وقال مالك
لا يغتسل احدكم بالما الدايم وهو جنب وهو نقي كما كان طاهرا مطهرا لما كان المنع
منه ومن جهة القياس ان الصحابة كانوا يتوضون في الاسفار وما كانوا يجمعون
تلك المياه مع علمهم باحتياجهم بعد ذلك الى الما ولو كان الما مطهرا لجمعوه
ليوم الحاجة واحتج مالك بالاية والخبر والقياس اما الاية فمن وجهين فقوله
وانزلنا من السما ما طهورا وقوله وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به فدلت
الاية على حصول وصف المطهر به والاصل في الثابت بقاوه فوجب الحكم بتعاهده
للصفة للما صرفه مستعملا وايضا فقوله طهورا يقتضي جواز التطهر به مرة بعد
اخرى والثاني انه امر بالغسل مطلقا في قوله فاغسلوا واستعمال كل المايعات
غسل لانه لا معنى للغسل الا امرار الما على العضو قال

فيا حسنها اذ يغسل الدمع كحلها

فقد اغتسل بالما المستعمل فقد اتى بالغسل فوجب ان يكون مجزيا له لانه اتى بما
امر فوجب ان يخرج عن العهدة اما السنة فما روي عنه عليه الصلاة والسلام
انه توضا فمسح براسه بفضل ما في يده وعنه عليه الصلاة والسلام انه توضا واخذ
من بلل لحيته فمسح بها راسه وعن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام اغتسل
فراى لمعة من جسده لم يصبها الما فاخذ شعرة عليها بلل فامرها على تلك اللمعة
واما القياس فهو انه ما طهر بقي جسدا طاهرا فاشبه ما اذا القي جسدا او حديدا
وكذا الما المستعمل في الكرة الرابعة او المستعمل في التبرد دون التنظف ولانه لا خلاف
انه اذا وضع الما على اعلى وجهه سقط به فرض ذلك الموضع ثم نزل ذلك الما
بعينه الى بقية الوجه فانه يجزيه مع ان ذلك الما صار مستعملا في اعلى الوجه
المسيلة الثانية الدليل على ان الما المستعمل طاهر قوله وانزلنا من السما
ما طهورا ومن السنة انه عليه الصلاة والسلام اخذ من بلل لحيته ومسح به
راسه وقال خلق الما طهورا لا ينجسه الا ما غير لونه او طعمه او ريحه وقال
الشافعي ولانه توضا ولا شك انه قد اصابه ما تساقط منه ولم ينقل انه غير
ثوبه ولا انه غسله ولا احد من المسلمين فعل ذلك فثبت انهم اجمعوا على انه ليس
بنجس ولانه ما طاهر بقي جسما طاهرا فاشبه ما اذا القي حجارة المسيلة الثالثة
الما المستعمل اما ان يكون مستعملا في اعضا الوضو او في غسل الثياب اما الما

المستعمل في اعضا الوضو فاما ان يكون مستعملا في فرض وعبادة او فيما كان
فرضا ولا يكون عبادة او فيما كان عبادة ولا يكون فرضا او فيما لا يكون فرضا ولا
يكون عبادة اما القسم الاول وهو المستعمل فيما كان فرضا وعبادة فهو غير
مطهر باتفاق اصحاب الشافعي القسم الثاني فهو كالما الذي استعملته الذمية التي
تحت الزوج المسلم لتحل للزوج غسلها والقسم الثالث فهو كالما المستعمل في الكرة
الثانية والثالثة والما المستعمل في تجديد الوضو والما المستعمل في الاغسال
المسنونة فلاصحاب الشافعي في هذين القسمين وجهان واما القسم الرابع فهو
كالما المستعمل في الكرة الرابعة وفي التبرد والتنظف فذاك باتفاق اصحاب
الشافعي غير مستعمل وهو طاهر مطهر اما المستعمل في غسل الثياب فاذا غسل ثوبا
عن نجاسة وطهر بغسلة واحدة يستحب ان يغسله ثلاثا فالمنفصل في الكرة
الثانية والثالثة مطهر على الاصح القسم الخامس الما الذي يتغير بعينه او بغيره
اما الاول فكالمتغير بطول المكث فيجوز الوضو به لانه عليه الصلاة والسلام كان توضا
من بير بضاعة وكان ماوها كانه نقاعة الحنا واما المتغير بسبب غيره فذلك
التغير اما ان لا يكون متصلا به فكما لو وقع بقرب الما جيفة ولان الطهورية ثبتت
بقوله وانزلنا من السما ما طهورا والاصل في الثابت بقاوه واما المتغير بسبب
شي يخالطه فذاك اما ان لا يمكن صون الما عنه او يمكن اما الذي لا يمكن فالمتغير
بالتراب والحماة والاوراق التي تقع فيه والطحلب الذي يتولد منه وهذا ايضا
مطهر لان الطهورية ثبتت بالاية والاحتراز عن ذلك عسر فيكون مرفوعا
لقوله ما جعل عليكم في الدين من حرج وكذا لو جرى الما وفي طريقه معدن
زرنيخ او نورة او كحل او وقع شي منها فيه او يقع من معادنها اما اذا تغير الما
بسبب مخالطة ما يستغني الما عن جنسه نظر ان كان التغير قليلا بحيث
لا يضاف اليه ان وقع فيه زعفران فاصفر قليلا او دقيق فابيض قليلا جاز الوضو
به على الصحيح من المذهب لانه لم يسلب اسم الما فاما ان كان التغير قليلا فان
استحدث اسما جديدا كالمرقة لم يجز الوضو به بالاتفاق وان لم يستحدث
اسما جديدا فعند الشافعي يجوز الوضو به وعند ابي حنيفة يجوز حجة الشافعي
من وجوه احدها انه عليه الصلاة والسلام توضا ثم قال هذا وضو لا يقبل الله
الصلاة الاية فذلك الوضو ان كان واقعا بالما المغير وجب ان لا يجوز الوضو
وبالاتفاق ليس الامر كذلك فثبت انه كان بما غير متغير وهو المطلوب وثانيها
انه اذا اختلط ما الورد ثم توضا به الانسان فيحتمل ان بعض الاعضا قد يغسل
بما الورد دون الما واذا كان كذلك فقد وقع الشك في حصول الوضو وكان
يقين الحدث فاما والشك لا يعارض اليقين فوجب ان يبقى على الحدث بخلاف
٢ واذا كان قليلا لا يظهر اثره فانه صار كالمعدوم اما اذا ظهر اثره
علمنا ان فيه وجها كما ذكرناه وثالثها ان الوضو تعبد لا يعقل معناه فانه لو توضا

بما الورد لا يصح وضوءه ولو توضا بالما الكدر المبيض صح وضوءه وما لا يعقل
معناه وجب الاعتماد فيه على مورد النص وترك القياس حجة ابي حنيفة وجوه
احدها قوله تعالى وانزلنا من السما ما طهورا دلت الاية على ان كون الما
مطهرا والاصل في الثابت بقاؤه فوجب بقا هذه الصفة بعد التغير بالمخالطة
وثانيها قوله فاغسلوا امر مطلق بالغسل وقد اتى به فوجب ان يخرج عن
العهدة وقد بينا تقرير هذا الوجه فيما تقدم وثالثها فان لم تجدوا
ما فتيمموا علق وجدان التيمم بعدم وجدان الما وواجد هذا الما المتغير
واجد الما لان الما المتغير ما مع صفة التغير والموصوف موجود حال وجود
الصفة فوجب ان لا يجوز التيمم ورابعها قوله عليه الصلاة والسلام في البحر
هو الطهور ماؤه الحل ميتته طاهرة يقتضي جواز الوضوء به وان خلط به غيره
لان النبي عليه الصلاة والسلام اطلق ذلك وخامسها انه عليه الصلاة والسلام
اباح الوضوء بسور الهرة وسور الحايض وان خالطها شي من لعابها وسادسها
انه لا خلاف في الوضوء بما المد والسيول مع تغير لونه لمخالطة الطين وما يكون
في الصحاري من الحشيش والنبات ومن اجل المخالطة ذلك له ترى ماه متغيرا
الى السواد واخرى الى الحمرة والصفرة فصار ذلك اصلا في جميع ما خالط الما
اذا لم يغلب عليه فيسلبه اسم الما القسم السادس اذا كان المخالط للما شيا نجسا
من الناس من زعم ان الما لم ينجس ما لم يتغير بالنجاسة سوا كان قليلا او كثيرا
وهو قول الحسن البصري والنخعي ومالك وداود واليه مال الشيخ الغزالي في كتاب
الاحيا وقال ابو بكر الرازي مذهب اصحابنا ان كل ما تيقنا فيه جزء من النجاسة
او غلب في الظن ذلك لم يجز استعماله ولا يختلف على هذا الحد ما البحر وما
البير والغدير والراكد والجاري لان ما البحر لو وقعت فيه نجاسة لم يجز استعمال
الذي فيه النجاسة وكذا الما الجاري واما اعتبار اصحابنا للغدير الذي حرك
اخر طرفه لم يحرك الاخر فانما هو كلام في جهة يغلب الظن في بلوغ النجاسة الواقعة
في احد طرفيه الى الطرف الاخر وليس هو كلاما في ان بعض المياه الذي فيه النجاسة
قد يجوز استعماله وبعضها لا يجوز استعماله وهذا كله كلام ذكر وقوله ومن
الناس من فرق بين القليل والكثير فعن عبد الله بن عمر واذا كان الما اربعين
قلة لم ينجسه شي وعن ابن عباس الحوض لا يغتسل فيه جنب الا ان يكون فيه اربعين
غربا وهو قول محمد بن كعب القرظي وقال مسروق وابن سيرين اذا كان الما راكدا
لم ينجسه شي واذا كان قدر ثلاث قلال وقال الشافعي اذا كان الما قلتين
بقلال هجر لم ينجسه شي الا ما غير لونه او طعمه او ريحه وان كان اقل ينجس واعلم
انه يجوز التمسك لنصرة قول مالك بوجوه احدها قوله وانزلنا من السما ما
طهورا ترك العمل به في الما الذي تغير لونه او طعمه او ريحه لظهور النجاسة
فيه فيبقى فيما عداه على الاصل وثانيها قوله عليه الصلاة والسلام خلق الما

طهورا لا ينجسه شي الا ما غير لونه او طعمه او ريحه وهو نص في الباب وثالثها
ان قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم والمتوضي بهذا الما قد غسل وجهه فيكون
اتيا بما امر به ليخرج عن العهدة ورابعها ان من شان كل مخلطين وكان احدهما
غالبا على الاخر ان يتكيف المغلوب بكيفية فالقطرة من الخل لو وقعت في الما
الكثير بطلت صفة الخلية عنها واتصفت بصفة الما وكون احدهما غالبا على
الاخر انما يعرف بغلبة الخواص والاثار المحسوسة وهو الطعم او اللون او الريح
فلا جرم مهما ظهر طعم النجاسة او لونها او ريحها كانت النجاسة غالبة على
الما وكان الما مستهلكا فيها فلا جرم تغلب حكم النجاسة واذا لم يظهر شي من
ذلك كان الغالب هو الما وكانت النجاسة مستهلكة فيه فتغلب حكم الطهارة
فيه وخامسها ما روي ان عمر توضا من جرة نصرانية مع ان نجاسة النصراني او
النصارى معلومة بظن قريب من العلم وذلك ان عمر لا يقول الا على عدم التغير
وسادسها ان تقدير الما بقدر معلوم لو كان مغيرا كالقلتين عند الشافعي وعشر
عند ابي حنيفة لكان اول موضع مكة والمدينة لا يكثر الما هناك لا الجارية
ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عمر النبي عليه الصلاة والسلام الى اخر عصر الصحابة
رضي الله تعالى عنهم لم ينقل انهم خاضوا في تقدير المياه المقادير المعينة ولا انهم
سالوا عن كيفية حفظ المياه عن النجاسات وكانت اواني مياههم تتعاطاها
الصبيان والاما الذين لا يحترزون عن النجاسات ورابعها اصغا رسول الله
عليه الصلاة والسلام الانا للهرة وبعدم منعهم الهرة من شرب الما من اوانيهم
بعد ان كانوا يرون انها تاكل الفارة ولم يكن في بلادهم حياض تبلغ السنانير
فيها وكانت لا تنزل الى الابار وثانيها ان الشافعي رضي الله تعالى عنه نص على ان
غسلة النجاسات طاهرة اذا لم تتغير نجسة اذا تغيرت واي فرق بين ان
يلاقي الما النجاسة بالورود عليها او لورودها عليه واي معنى لقول القايل
ان قوة الورود تدفع النجاسة مع ان قوة الورود لم تمنع المخالطة وتاسعها
انهم كانوا يستنجون على اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في ان
مذهب الشافعي رضي الله عنه اذا وقع بول في ما جار لم يتغير انه يجوز الوضوء
به وان كان قليلا واي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري الحوالة على
عدم التغير او على قوة الما بحسب الجريان وعاشرها اذا وقع البول في قلتين
ثم فرضنا بكل كوز يوخذ منه فهو طاهر على قول الشافعي ومعلوم ان البول منتشر فيه
وهو قليل واي فرق بينه واذا وقع القليل في ذلك القدر من الما ابتدا وسه
اذا وصل اليه عند اتصال غيره به وحادي عشرها انه لم يزل في الاعصار الخالية
يتوضا فيها المتعسفون ويغمسون الايدي والاواني في تلك الحياض مع علمهم
بان الايدي الطاهرة والنجسة كانت تتوارد عليها ولو كان التقدير بالقلتين
معتبرا لاشتهر ذلك وبلغ الى حد التواتر لان الامر الذي يشتد حاجة الجمهور

الى وجب بلوغ نقله الى حد التواتر ولما لم يكن كذلك علمنا انه غير معتبر
ثاني عشرها انا لو حملنا بنجاسة الماء وان كان في غاية الكثرة مثل ماء الاودية
العظيمة والقدران كالكبار فان ذلك بالاجماع باطل فلا بد من التقدير
بمقدار معين وقد نقلنا عن الناس تقديرات مختلفة فليس بعضها اولى من
بعض فوجب التعارض والتساقط اما تقدير ابي حنيفة بعشر في عشر
انه مجرد التحكم واما تقدير الشافعي بقلتين بناء على قوله عليه الصلاة
والسلام اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا فضعيف ايضا لان الشافعي رحمه
الله لما روى هذا الخبر قال اخبرني رجل فيكون الراوي مجهولا ويكون الحديث
مرسلا وهو عنده ليس بحجة وايضا زعم كثير من المحدثين انه موقوف على ابن
عمر سلمنا ان القلة تكون معلومة لكن في الخبر اضطراب فانه اذا بلغ الماء قلتين
وروي اذا بلغ الماء قلة وروي اذا بلغ الماء اربعين قلة وروي اذا بلغ قلتين
او ثلاثا وروي اذا بلغ كرين سلمنا صحة المتن ولكنه متروك الظاهر لان قوله
لم يحمل خبثا لا يمكن اجراؤه على ظاهره لان الخبث اذا ورد عليه فعليه حمله سلمنا
اجراؤه على ظاهره لكن الخبث على قسمين خبث شرعي وخبث حقيقي والاسم اذا
دار بين المسمى اللغوي والمسمى الحقيقي كان الاسم حقيقة في المسمى
اللغوي مجاز في المسمى الشرعي دفعا للاشتراك والنقل واذا كان كذلك
وجب حمله عليه والمسمى اللغوي الخبث المستقذر بالطبع قال عليه الصلاة
والسلام ما استخبثته العرب فهو حرام اذا ثبت هذا فنقول معنى قوله لم يحمل
خبثا لا يصير مستقذرا طبعا ونحن نقول بموجبه لكن لم قلتم انه لا ينجس شرعا
سلمنا ان المراد من الخبث النجاسة الشرعية لكن قوله لم يحمل خبثا انه ضعف
عن حمله ومعنى الضعف تاثيره به فيكون هذا دليلا على صيرورته نجسا لا على
تعلقه ظاهرا لا يقال الجواب عن هذه الاسولة ان الشافعي وان لم يذكر اسم الراوي
في بعض المواضع فقد ذكره في ساير المواضع فخرج عن كونه مرسلا ولان ساير
المحدثين قد عينوا اسم الراوي قوله انه موقوف على ابن عمر قلنا لا نسلم فان يحيى
ابن مهدي قال انه جيد الاسناد فقيل له ان ابن علية وقفه على ابن عمر فقال
ان كان ابن علية وقفه فحماد بن سلمة رفعه قوله القلة مجهولة قلنا
لا نسلم لان ابن جريج رواه بقلال هجر ثم قال وقد شاهدت قلال هجر فكانت
القلة تسع قربة او قربتين وشي قوله في متنه اضطراب قلنا لا نسلم فانا
وانتم توافقنا على ان ساير المقادير غير معتبرة قوله متروك الظاهر قلنا اذا
حملناه على الخبث الشرعي اندفع ذلك وذلك اولى لان حمل الكلام الشرعي
على الفايدة الشرعية اولى من حمله على المعنى اللغوي لا سيما وفي حمله على المعنى
اللغوي يلزم التعطيل قوله المراد انه يضعف عن حمله قلنا صح في بعض الرواية انه
قال اذا كان الماء قلتين لم ينجس ولانه عليه الصلاة والسلام جعل القلتين شرطا

لهذا الحكم والمعلوم على الشرط عدم عند عدم الشرط وعلى ما ذكروه لا يبقى للقلتين
فايدة لانا نقول لا شك ان هذا الخبر بتقدير الصحة يقتضي تخصيص عموم قوله
تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا وعموم قوله ولكن يريد ليطهركم به وعموم قوله
عليه الصلاة والسلام خلق الماء طهورا لا ينجسه شي وهذا المخصص لا بد وان
يكون بعيدا عن الاجمال والاشتباه وقلال هجر مجهولة وقول ابن جريج القلة
تسع قربتين او قربتين وشي ليس بحجة لان القلة كما انها مجهولة
فكذا القربة مجهولة فانها قد تكون كثيرة وقد تكون كبيرة ولان الروايات
ايضا مختلفة فتارة اذا بلغ الماء قلتين وتارة اربعين قلة وتارة كرين
فاذا اندفعت وتعارضت لم يجز تخصيص عموم الكتاب والسنة الطاهرة
البعيدة عن الاحتمال بمثل هذا الخبر هذا تمام نصرة قول مالك رحمه
الله تعالى واحتج من حكم بنجاسة الماء الذي تقع النجاسة فيه بوجوه اولها
قوله عز وجل ويحرم عليه الخبائث والنجاسات من الخبائث وقال تعالى انما
حرم عليكم الميتة والدم وقال في الخمر رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
ومر على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ان احدهما كان
لا يستبري من البول والاخر كان يمشي بالنميمة فحرم الله تعالى هذه
الاشياء تحريما مطلقا ولم يفرق بين حال انفرادها واختلاطها بالماء فوجب
تحريم استعمال كل ما فيه جزء من النجاسة اكثر ما في الباب ان الدلايل الدالة
على كون الماء مطهرا يقتضي جواز الطهارة به ولكن تلك الدلايل منتجة
والدلايل التي ذكرناها حاصرة والمبيح والحاظر اذا اجتمعا فالغلبة للحاظر
الا ترى ان الجارية بين رجلين لو كان لاحدهما فيها مائة جزء والاخر جزء
واحد ان جهة الحظر منها اولى من جهة الاباحة وانه غير جايز لواحد منهما
وكليهما وكذا هاهنا وثانيها قوله تعالى لا يبولن احدكم في الماء الدايم ولا
يغتسل فيه جنب ذكره على الاطلاق من غير فرق بين القليل والكثير وثالثها
قوله عليه الصلاة والسلام اذا استيقظ احدكم من منامه فلا يغمس فليغسل
يده ثلاثا قبل ان يدخلها الاناء فانه لا يدري اين باتت يده فامر بغسل
اليد احتياطا من نجاسة قد اصابته من موضع الاستنجاء ومعلوم ان مثلها
اذا خلطت بالماء لم تغيره ولو انها تفسده ما كان الامر بالاحتياط منها ورابعها
قوله عليه الصلاة والسلام اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا فيدل بمفهومه
على انه اذا لم يبلغ قلتين وجب ان يحمل الخبث اجاب مالك رحمه الله تعالى
عن الوجه الاول فقال لا نزاع في انه يحرم استعمال النجاسة ولكن الجزء القليل
من النجاسة المايعة اذا وقعت في الماء ولم يظهر فيه لونه ولا طعمه ولا رايحته
فلم قلتم ان النجاسة بقيت ولم لا يجوز ان يقال انها انقلبت عن صفتها وتقرير
ما قدمناه واما قوله عليه الصلاة والسلام لا يبولن احدكم في الماء الدايم فلم قلتم

ان النهي ليس الا لما ذكرتموه بل لعل النهي انما كان لانه ربما يشربه انسان وذلك
مما ينفر طبعه وليس الكلام في نفرة الطبع اما قوله اذا استيقظ من منامه فليغسل
فليغسل يده ثلاثا فقد اجمعنا على ان هذا امر استحباب فالمراد به على كيف
يكون امر ايجاب بتقدير ان يكون امر ايجاب فلم قلتم انه لم يوجد ذلك الايجاب
الا لما ذكرتموه اما قوله عليه الصلاة والسلام الماء لا يبلغ الماء قلتين فقد سبق
الكلام عليه ثم نجد المتروك عن كل ما قلناه نهو منسلك بالمفهوم وبالمنطوق
التي ذكرناها مطرف والمطرف راجح على المفهوم النظر الثاني في ان غير الماء هل يرفع
طهورا م لا فقال الامم والاوزاعي يجوز الوضوء بجميع المايعات وقال ابو حنيفة
يجوز الوضوء بنبيذ التمر في السفر وقال ايضا يجوز ازالة النجاسة به وقال
الشافعي الطهورية مختصة بالماء على الاطلاق ودليله قوله
تعالى فان لم تجدوا ماء فتيمموا اوجب التيمم عند عدم الماء اما في صورة
البحث فلان المحل لو افاد طهارة البحث لكان طهورا لانه لا معنى للطهور الا
المطهر ولو كان طهورا لوجب ان يجوز به طهارة الحدث كقوله عليه الصلاة
والسلام لا يقبل الله صلاة احدكم بلا طهور وكلمة حتى لانتهاء الغاية
فوجب انتهاء عدم القبول عند استعمال الطهور وانتهاء عدم القبول فلو كان المحل
طهورا لحصل فاستحاله قبول الصلاة وحيث لم يحصل علمنا ان الطهورية في
البحث ايضا مختصة بالماء قوله عز وجل ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى
اكثر الناس الا كفورا ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين
وجاهدهم به جهادا كبيرا اعلم انهم اختلفوا في الهاء في قوله ولقد صرفناه
الى اي شئ يرجع وذكروا ثلاثة اوجه احدها وهو الذي عليه الجمهور انه يرجع
الى المطر ثم قال المعنى صرفناه انا اجريناه في الانهار حتى انتفعوا به في الشرب
والزراعة وانواع المعاش وقال الحرالي معناه انه سبحانه نزله في مكان
دون مكان في عام نعم وفي العام الذي يقع بخلاف ما وقع في العام الاول
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما عام بأكثر مطرا من عام ولكني الله يصرفه
في الارض ثم قرأ هذه الاية وروى ابن مسعود عن النبي عليه الصلاة والسلام
انه قال ما عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض ثم قرأ هذه الاية اذا
عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك
الى الفيافي ونواتها وهو قول ابي مسلم ان قوله صرفناه راجع الى المطر والرياح
والسحاب والاظلال وسائر ما ذكره الله تعالى من الادلة وثالثها ولقد
صرفنا هذا القرآن بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي
انزلت على الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر
ليتفكروا ويستدلوا به على الصانع والوجه الاول اقرب المذكورات الى الضمير
المسئلة الثانية قال الجبائي قوله تعالى ليذكروا يدل على انه تعالى يريد

من الكل ان يتذكروا ويشكروا ولو اراد منهم ان يكفروا ويعرضوا لما صرفه ذلك
يبطل قول من قال ان الله يريد الكفر من الكافر قال الاصم قوله فابى اكثر الناس الا
كفورا على قدرتهم على فعل هذا التذكير اذ لو لم يقدروا لعذروا لما جاز ان يقال
ابوا ان يفعلوه كما لا يقال لمن زمن انه ابى ان يسعى وقال الكعبي لقد صرفنا
بيننا ليذكروا حجة قول من زعم ان القرآن دبال على الكافرين وانه لم يرد بانزاله
ان يؤمنوا لان قوله ليذكروا عام في الكل وقوله فابى اكثر الناس يقتضي ان
يكون هذا الاكثر داخلا في ذلك العام لانه لا يجوز ان يقال انزلناه على قوم ليؤمنوا فابى اكثرهم
المسئلة الثالثة اعلم ان الكلام قد تقدم مرارا قوله فابى اكثر الناس الا كفورا المراد كفران النعمة وجحودها من حيث لا يتفكرون فيها
ولا يستدلون بها على وجود الصانع وقدرته واحسانه وقيل المراد من الكفر
ذلك الكفر انما حصل لانهم يقولون انما مطرنا بنوء كذا الا ان مجرد كون النعمة صادرة
من المنعم واحسان مثل هذه النعمة الى الافلاك والكواكب والافلاك فقد كفروا
والتحقيق ان من جعل الكواكب والافلاك مستقلة بافتضاء هذه الاشياء فلا
شك في كفره اما من قال الصانع تعالى جعلها على خواص وصفات تقتضي هذه
الحوادث فلعله لا يبلغ خطاه الى حد الكفر المسئلة الرابعة قالوا دلت
الاية على ان خلاف معلوم الله مقدور لان كلمة لو دلت على انه تعالى ما شاء
ان يبعث في كل قرية نذيرا اخر يكونه قادرا على ذلك قد دل على ان خلاف
معلوم الله مقدور اما قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فالاقوى
ان المراد من ذلك تخطئة النبي عليه الصلاة والسلام وذلك لوجوه احدها
كانه تعالى بين له انه مع القدرة على بعثة نذير ورسول في كل قرية خصه
بالرسالة وفضله بها على الكل ولذلك ابتعد بقوله فلا تطع الكافرين اي
لا عارضهم وثانيها المراد ولو شئنا لخففنا عنك اعباء الرسالة اي كل العالمين
ولبعثنا في كل قرية نذيرا ولكنا قررنا الامر عليك واجللناك وفضلناك
على سائر الرسل فقابل هذا الاجلال بالتشديد في الدين وثالثها ان الاية
تقتضي ان مدح اللطف بالعتب لانها تدل على القدرة ان يبعث في كل قرية
نذيرا مثل محمد وانه لا حاجة بالحصان الالهية الى محمد البتة وقوله ولو لدل على
انه سبحانه ما فعل ذلك فنبه بالنظر الى الاول بحصل التاديب وبالنظر الى الثاني
يحصل الاعتراف اما قوله فلا تطع الكافرين والمراد نهيه عن طاعتهم ودلت هذه
الاية على ان النهي عن الشئ لا يقتضي كون المنهي عنه مشتغلا به واما قوله
تعالى وجاهدهم به جهادا كبيرا فقال بعضهم المراد المقاتلة وقتل بالادلة
وقال اخرون كلاهما والاقرب الاول لان السورة مكية والامر بالقتال ورد
بعد الهجرة بزمان انما قال جهادا كبيرا لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب
على كل نذير مجاهدة قريبه فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده

من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذيرا كافري القري جهادا
كبيرا جامعا لكل مجاهدة قوله تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب
فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا اعلم ان هذا هو
النوع الرابع من دلايل التوحيد مرج البحرين خلطهما وخلاهما يقال مرجت الدابة
اي خليتها ترعى واصل المرج الارسال والخلط ومنه قوله فهم في امر مريج سمي
ارسال الماء من الكثيرين الواسعين البحرين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
مرج البحرين اي ارسلهما في مجاريهما كما ترسل الخيل في المرج وما يلتقيان
وقوله هذا عذب فرات والمقصود من الفرات السريع العذوبة حتى يصير الى
الحلاوة والاجاج نقيضه انه سبحانه بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما
التمازج وهذا من عظم اقتداره برزخا حايلا من قدرته وها هنا سوالات
السوال الاول ما معنى قوله حجرا محجورا الجواب هي الكلمة التي يقولها المتعوذ
وقد فسرناها وهي واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ
من صاحبه ويقول حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه
بالممازجة فاستعار البغي ثم كالتعوذ ها هنا كل واحد منهما في صورة الباغي
على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات السوال الثاني لا وجود
للبحور العذبة فكيف ذكره الله تعالى ها هنا لا يقال هذا مدفوع من وجهين
الاول ان المراد منه الاودية العظام كالنيل وجيحون الثاني لعله جعل في البحر
موضعا يكون عذبا فيه والاخر ملحا لانا نقول اما الاول فضعيف لان موضع
الاستدلال لا بد وان يكون معلوما اما محض التجويز فلا يحسن الاستدلال لانا
نقول المراد من البحر العذب هذه الاودية من الملح الاجاج البحار الكبار وجعل بينهما
برزخا اي حايلا من الارض ووجه الاستدلال ها هنا باق لان عذوبة الماء ان
كانت توجد بسبب طبيعة الارض واما الماء فلا بد من الاستواء وان لم يكن كذلك
فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة تعبر قوله تعالى وهو الذي
خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا اعلم ان هذا هو النوع
الخامس من دلايل التوحيد وفيه بحثان الاول ذكروا في هذا الماء قولين احدهما
ان الماء الذي خلق منه اصول الحيوان وهو الذي عناه بقوله والله خلق كل دابة
من ماء والثاني ان المراد النطفة كقوله خلق من ماء مهين البحث الثاني المعنى انه
تعالى قسم البشر قسمين ذو نسب ذكور ينسب اليهم يقال فلان بن فلان وفلانة
بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه
الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا جعل من النطفة الواحدة نوعين من
البشر الذكر والانثى قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم
وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسئلكم
عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح

بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا اعلم انه تعالى لما شرح دلايل التوحيد
عاد الى تهجين سيرتهم في عبادة الاوثان وفي الاية مسايل المسئلة الاولى
قيل المراد بالكافر ابو جهل لان الاية نزلت فيه والاولى حمله على العموم لان خصوص
السبب لا يقدح في عموم اللفظ ولانه اوفق لظاهر قوله ويعبدون من دون الله المسئلة
الثانية ذكروا في الظهير وجوها احدها الظهير بمعنى المظاهر كالعون والمعاون
وفعيل بمعنى مفاعل نحو عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر على ربه بالعداوة فان قيل كيف
يصح في الكافر ان يكون معونا للشيطان على ربه قلنا انه تعالى ذكر نفسه واراد
رسوله كقوله ان الذين يحادون الله ورسوله وثانيها يجوز ان يريد بالظهير الجماعة
كقوله والملايكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليل وعلى هذا التفسير يكون
المراد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور الله قال الله تعالى واخوانهم
يمدونهم في الغي وثالثها قال ابو مسلم الاصفهاني الظهير من قولهم ظهر فلان
بحاجتي اي نبذها وراء ظهره وهو من قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا ويقال فيمن
يستهين بالشيء نبذه وراء ظهره وقياس العربية ان يقال مظهورا اي مستخف به
متروك وراء الظهر وقيل فيه ظهير بمعنى مظهور ومعناه هين على الله ان يكفر الكافر
وهو ان الله تعالى مستهين بكفره اما قوله وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا فتعلق
ذلك بما تقدم هو ان الكفار يطلبون العون على الله ورسوله والله تعالى بعث رسوله
لنفعهم لانه بعثه ليبشرهم على الطاعة وينذرهم على المعصية فيستحقوا الثواب
ويحترزوا عن العقاب ولا جهل اعظم من استفرغ جهده في ايذاء شخص استفرغ جهده
في اصلاح مهماته دينا ودنيا ولا يسئلهم البتة عن ذلك اجرا اما قوله الا من شاء
فذكروا فيه وجوها متقاربة احدها لا يسئلهم على الدعاء والاداء اجرا الا ان
يشاؤا ان يقربوا بالانفاق في سبيل الله تعالى الجهاد وغيره فيتخذوا به سبيلا
الى رحمة ربهم ونيل ثوابه وثانيها قال القاضي لا اسئلكم اجر النفس واسئلكم
ان تطلبوا الاجر لانفسكم باتخاذ السبيل الى ربكم وثالثها قال صاحب الكشاف
مثال قوله الا من شاء والمراد فعل من شاء واستثنائه عن الاجر قول ذي شفقة
عليك قد سعى لك في تحصيل مال فلا اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان
تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن
صورة بصورة الثواب سماه باسمه فافاد فايدتين احداهما قلع شبهة الطمع
في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب
الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وان حفظك لمالك يجري
مجرى الثواب الذي يوصله الى الله ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم
عند الله الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب الى الله بالصدقة والنفقة
في سبيل الله اما قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت فالمعنى انه سبحانه لما بين
ان الكفار متظاهرون على ايذايه وامره بان لا يطلب منهم اجرا البتة امره بان يتوكل

عليه في دفع جميع المضار وفي جلب جميع المنافع وانما قال على الحي الذي لا يموت فلا يضيع
التوكل عليه البتة اما قوله وسبح بحمده فمنهم من حمله على الصلاة ومنهم من حمله
على التنزيه لله عما لا يليق به في توحيده وعدله وهذا هو الظاهر ثم قال وكفى
به بذنوب عباده خبيرا وهذه كلمة يراد بها المبالغة يقال كفى بالعلم جمالا وكفى
بالادب مالا وهو بمعنى حسبك اي لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير باحوالهم قادر على
مكافاتهم وذلك وعيد شديد كانه قال ان اقدمتم على مخالفة امر وكفاكم علمه
في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة قوله تعالى خلق السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا واذا قيل
لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا اعلم
انه سبحانه لما امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان يتوكل عليه وصف نفسه بامور
اولها انه حي لا يموت وثانيها انه عالم بكل المعلومات وهو معنى قوله وكفى به بذنوب
عباده خبيرا وثالثها انه قادر على كل الممكنات وهو المراد من قوله الذي خلق السموات
والارض فقوله الذي خلق متصل بقوله الحي الذي لا يموت لانه سبحانه لما كان هو خالق
السموات والارض ولكل ما بينهما ثبت انه هو القادر على جميع وجوه المنافع ودفع المضار
وان النعم كلها من جهته فحينئذ لا يجوز التوكل الا عليه وفي الاية سوالات الاول الايام
عبارة عن حركات الشمس في السموات السموات لا ايام فكيف قال خلقها في ستة
ايام الجواب يعني في مدة مقدارها هذه المدة لا يقال الشي الذي يتقدر بمقدار
محدود ويقبل الزيادة والنقصان والتجزية لا يكون عدما محضا بل لا بد وان
يكون موجودا فلزم من وجود مدة قبل وجود العالم وذلك يقتضي قدم الزمان
لانا نقول هذا معارض بنفس الزمان لان المدة المتوهمة المحتملة لعشرة ايام
لا تحتمل خمسة ايام والمدة المتوهمة التي تحتمل خمسة ايام لا تحتمل عشرة ايام فيلزم
ان يكون للمدة مدة اخرى فلما لم يلزم هذا لم يلزم ما قلتموه وعلى هذا نقول لعل
الله سبحانه خلق المدة اولا ثم خلق السموات والارض فيها بمقدار ستة ايام
ومن الناس من قال في ستة ايام الاخرة وكل يوم الف سنة وهو بعيد لان التعريف
لا بد وان يكون بايام معلومة لا بايام مجهولة السوال الثاني لم قدر الخلق
والايجاد بهذا التقدير الجواب اما على قولنا فالمشية والقدرة كافية في
التخصيص قالت المعتزلة بل لا بد من داعي حكمة وهو ان تخصيص خلق العالم بهذا
المقدار يكون اصلح للمكلفين وهذا بعيد لوجهين احدهما ان حصول تلك الحكمة
اما ان يكون واجبا لذاته او جايزا فان كان واجبا لذاته وجب ان لا يتغير
فيكون حاصلا في كل الازمنة فلا يصلح ان يكون سببا للتخصيص بزمان معين
وان كان جايزا فيفتقر حصول الحكمة في ذلك الى مخصص اخر ويلزم التسلسل والثاني
ان التفاوت بان مما لا يصل اليه خاطر المكلف عقله فحصول ذلك التفاوت
لما لم يكن مشعورا به كيف يقدح في حصول المصالح واعلم انه يجب على المكلف سواء كان

على قولنا او على قول المعتزلة ان يقطع الطمع عن امثال هذه الاسولة فانه عز لا ساحل
له من ذلك تقدير الملايكة الذين هم اصحاب النار بتسعة عشر وحملة العرش
بالثمانية والشهور باثني عشر والسموات بسبع وكذا الارض وكذا القول في عدد
الصلوات الصلوات ومقادير النصب في الزكوات وكذا في مقادير الحدود والكفارات
فالاقرار بان كل ما له الله حق هو الدين وترك البحث عن هذه الاشيا هو الواجب
وقد نص الله تعالى على ذلك في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة وما
جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد
الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون وليقول الذين في
قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو
وهو الجواب ايضا في انه لم يخلقها في اول لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد
ابن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو قادر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق
والتثبيت وقيل ثم خلقها يوم الجمعة فجعلها الله عيد المسلمين السوال الثالث
ما معنى قوله ثم استوى على العرش ولانه يجوز ان يحمل على الاستيلا لان الاستيلا
والقدرة في اوصاف الله لم تزل فلا يصح دخول ثم فيه الجواب الاستقرار اغير
لانه يقتضي التغير الذي هو دليل الحدوث ويقتضي الزوال والسفه وكل
ذلك محال على الله بل المراد ثم خلق العرش ورفعه وهو مستول وهو كقوله تعالى
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين فان المراد حتى يجاهد المجاهدون ونحن بهم
عالمون فان قيل فعلى هذا يلزم ان يكون العرش بعد خلق السموات والارض
وليس كذلك كقوله وكان عرشه على الما قلنا كلمة ثم ما دخلت على خلق العرش
بل على رفعه على السموات السوال الرابع كيف اعراب قوله الحي والرحمن خبر مبتدا
محذوف ولذا اجاز الزجاج وغيره ان يكون الوقف على قوله العرش ثم يبتدي
الرحمن اي هو مع الرحمن الذي لا ينبغي السجود والتعظيم الا له ويجوز ان يكون
الرحمن مبتدا وخبره قوله فاسئل به خبيرا الجواب ذكروا فيه وجوها احدها
قال الكلبي معناه فسل خبيرا به فقوله به يعود الى ما ذكرنا من خلق السموات
والارض والاستوا على العرش والبا من صلة الخبر وذلك الخبر هو الله عز
وجل لانه لا دليل في العقل على كيفية خلق السموات والارض فلا يعلمها
احد الا الله وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ذلك الخبير هو جبريل
عليه الصلاة والسلام وانما قدم لرؤس الاي وحسن النظم وثانيها قال
الزجاج قوله به معناه عنه والمعنى فسل عنه خبيرا وهو قول الاخفش
ونظيره قوله سال سايل بعذاب واقع وقال علقمة بن عبدة

فان تسيلوني بالنسا فانني خبير بادوا النسا طبيب

وثانيها قال ابن جرير البا في قوله به صلة والمعنى فسل خبيرا وخبيرا نصب
على الحال وثالثها ان قوله به يجري مجرى القسم كقوله واتقوا الله الذي تسالون

به اما قوله واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فهو خبر عن قوم قالوا
هذا القول ويحتمل انهم جهلوا الله تعالى ويحتمل انهم وان اعترفوا به لكنهم جهلوا
ان هذا الاسم من اسما الله وكثير من المفسرين على هذا القول الاخر قالوا الرحمن
اسم من اسما الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة والعرب ما عرفوه قال مقاتل
ان ابا جهل قال ان الذي يقوله محمد شعر فقال عليه الصلاة والسلام الشعر
غير هذا ان هذا كلام الرحمن فقال ابو جهل بخ بخ والله انه لكلام الرحمن الذي
باليمامة هو يعلمك فقال عليه الصلاة والسلام الرحمن الذي هو اله السما ومن
عنده ياتي الوحي فقال يا ال غالب من بعد ربي يزعم ان الله واحد وهو يقول
الله يعلمني والرحمن يعلمون انهما الهان ثم قال الله يعلم الذي خلق هذه الاشيا
اما الرحمن فهو مسيلمة قال القاضي والاقرب ان انكارهم لله لا الاسم
لان هذه اللفظة عهد وهم كانوا يعلمون انها بعد المبالغة في الانعام ثم ان
قلنا بانهم كانوا منكرين له كان قولهم وما الرحمن سوال طالب عن الحقيقة وهو
يجري مجرى قول فرعون وما ادري رب العالمين وان قلنا انهم كانوا مقرين
بالهيته لكنهم جهلوا كونه تعالى مسمى بهذا الاسم كان قولهم وما الرحمن سوال
عن الاسم اما قوله تعالى انسجد لما تامرنا والمعنى الذي تامرنا بسجوده على
قوله امرتك الخير او لامرك بالتا وقرى باليا قال بعضهم انسجد لان تامرنا يا محمد
او تامر بالمسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو فزادهم نفورا اي زادهم امرنا نفورا وقال
حقه ان يكون باعثا على الفعل والقبول قال الضحاك فسجد رسول الله عليه
الصلاة والسلام وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعثمان بن مظعون وعمرو بن
عبسة ولما راهم المشركون يسجدون تباعدوا الى ناحية المسجد مستهزئين
فهذا هو المراد من قوله وزادهم نفورا اي وزادهم سجودهم نفورا قوله تعالى
تبارك الذي جعل في السما بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
اعلم انه سبحانه وتعالى لما حكى عن الكفار مزيد النفرة عن السجود ذكر ما لو
تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة للرحمن فقال تبارك الذي
جعل في السما بروجا اما تبارك فقد تقدم القول فيه واما البروج فهي
فهو منازل الكواكب السيارات سميت بالبروج الذي هو الظهور العالية
لانها لهذه المنازل كالكواكب واشتقاق البروج من التبرج
لظهوره وفيه قول اخر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان البروج هي
الكواكب العظام والاول اولى لقوله تعالى وجعل فيها اي في البروج
فان قيل لا يجوز ان يكون قوله فيها راجعا الى السما دون البروج قلنا لان
البروج اقرب فيعود الضمير اليها والسراج الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس
سراجا وقرى سرجا وهي الكواكب الكبار منها والشمس وقمرا منيرا وقول الحسن

والاعمش وهي جمع ليلة قمرا كانه قيل وقمرا منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر
واضافه اليها ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب
والعرب واما الخلفة ففيها قولان وهي عبارة عن كون الشي بحيث يخلف احدهما
الاخر فياتي خلفه يقال فلان لفلان خلفه واختلف اذا اختلف كثيرا الى
متبرزه والمعنى جعلناها ذي خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك
وذاك هذا قال ابن عباس جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فما يحتاج ان يعمل
فيه فمن فرط في عمله من احدهما كفاه الاخر قال انس قال رسول الله عليه الصلاة
والسلام لعمر بن الخطاب وقد فاتته قراة القران بالليل يا ابن الخطاب لقد
انزل الله فيك اية وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر ما فاتك
من النوافل بالليل فاقضه في نهارك وما فاتك في نهارك فاقضه في ليلك
القول الثاني وهو قول مجاهد وقتادة والكسائي يقال لكل شي خلفان هما
خلفان فقوله خلفة اي مختلفين هذا اسود وهذا ابيض وهذا طويل وهذا
قصير والقول الاول اقرب اما قوله ان يذكر قراة العامة بالتشديد وقراة
حمزة بالتخفيف وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر الناظر في اختلافهما
فيعلم انه لا بد في انتقالهما من حال الرجل من قائل ومعبر وقوله ان يتذكر راجع
الى كل ما تقدم من النعم بين الله تعالى ان الذين قالوا وما الرحمن لو تفكروا في
هذه النعم وتذكروها ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة
فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين
ومن فاته في الدنيا ورد من العبادة قام به في الاخرة والشكور مصدر شكر
يشكر شكورا قوله عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما
انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما اعلم ان قوله وعباد الرحمن مبتدا خبره في اخر السورة
كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان
يكون خبره الذين يمشون واعلم انه سبحانه وتعالى وصفهم بتسعة انواع من
الصفات الصفة الاولى قوله الذين يمشون على الارض هونا وهذا وصف
سيرتهم بالنهار وقرى يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا
هينا الا ان في وضع المصدر موضع الاسم الصفة مبالغة والهون الرفق واللين
ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله
المومنون هينون لينون والمعنى ان مشيهم يكون في لينة وسكينة ووقار وتواضع
ولا يضربون باقدامهم اشرا وبطرا ولا يتبخترون لاجل الخيلا كما قال ولا تمش في

الارض مرحا وعن زيد بن اسلم التمشت تفسير هونا فلم اجد فرايت في النوم
فقيل لي هم الذين لا يريدون الفساد في الارض وعن ابن زيد لا يتكبرون ولا
يتبخترون ولا يريدون علوا في الارض الصفة الثانية واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما معناه لا نجاهلكم ولا خير بيننا ولا شر اي نسلم منكم
تسلما فاقيم السلام مقام السلم ويحتمل ان يكون مرادهم طلب السلامة والسكون
ويحتمل ان يكون المراد التنبيه على سوء طريقتهم لكي يمنعوا ويحتمل ان يكون
مرادهم العدول عن طريقة المقابلة ويحتمل ان يكون اظهارا للكل للحكم في
مقابلة الجهل قال الاصم قالوا سلاما اي سلام توديع لا تحية كقول ابراهيم
لابيه سلام عليك ثم قال الكلبي وابو العالية نسختها اية القتال ولا حاجة
الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الشرع
والعقل وسبب لسلامة العرض والورع الصفة الثالثة والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما اعلم انه سبحانه لما ذكر سيرتهم في النهار من وجهين
احدهما ترك الايذاء وهو المراد من قوله يمشون على الارض هونا والاخر يحتمل
التاذي وهو المراد من قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وكانه شرح
سيرتهم مع الخلق في النهار فبين بهذه الاية سيرتهم في الليالي عند الاشتغال
بخدمة الخالق وهو كقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال الزجاج كل من
ادركه الليل قيل بات ولم يقم كما يقال بات فلان ملقى ومعنى يبيتون
لربهم ان يكونوا في لياليهم مصلين ثم اختلفوا فقال بعضهم من قرا شيئا من القران
في صلاة قل قدره بات ساجدا وقايما وقيل ركعتان بعد المغرب واربع بعد
العشاء الاخرة والاولى انه وصف لهم باحياء الليل او للكثرة يقال فلان يصلي
ساجدا ويبيت قايما قال الحسن يبيتون لله على اقدامهم ويفرشون له وجوههم
تجري دموعهم على خدودهم خوفا من ربهم الصفة الرابعة قوله والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما يقولون في ركوعهم وسجودهم وقيامهم
هذا القول وقال الحسن خشعوا لله بالنهار وتعبوا في الليل فروا من عذاب جهنم
قوله غراما اي هلاكا وخسرانا ملحا لازما ومنه الغريم لالزامه والحاجة ويقال
فلان مغرم بالنساء اذا كان مولعا بهن وسال ابن عباس نافع بن الازرق عن الغرام
فقال هو الموج عن محمد بن كعب القرظي في غراما اما انه سال الغارم عن
فما ادوها اليه فاغرمهم فادخلهم النار واعلم انه تعالى وصفهم باحياء الليل
ساجدين وقايمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم
خايفون مبتهلون الى الله تعالى في صرف العذاب عنهم كقوله الذين يوتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة اما قوله تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما فقوله ساءت في
حكم سيئت وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه

ساءت مستقرا ومقاما هي مستقرا حال او تمييز فان قيل دلت الاية على انهم
سالوا الله ان يصرف عنا عذاب جهنم لصلتين احدهما اي عذابها كان غراما
وثانيهما ساءت مستقرا فما الفرق بين الوجهين وايضا فما الفرق بين المستقر
والمقام قلنا المتكلمون ذكروا ان عقاب الكافر يجب ان يكون مضرته خالصة
عن شوايب النفع دايمة فقوله ان عذابها كان غراما اشارة الى كون مضرته
خالصة عن شوايب النفع دايمة ولا شك في المغايرة اما الفرق بين المستقر والمقام
فيحتمل ان يكون المستقر للعصاة من اهل الايمان فانهم يستقرون في النار
ولا يقيمون فيها واما الاقامة فللكفار واعلم ان قوله انها ساءت مستقرا
ومقاما يمكن ان يكون من كلام الله ويمكن ان يكون حكاية لقولهم الصفة
الخامسة قوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواما قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بضم التاء وتخفيف القاف وايضا
بضم الياء وفتح القاف وكسر التاء وتشديدها وكلها لغات والقتر والاقتار
والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة
وذكر المفسرون في الاسراف والتقتير وجوها احدها وهو الاقوى انه وصفهم
بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير ومثله من رسول الله عليه الصلاة والسلام
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
وهب بين الكفر فقال العالم ما لنا الذي لا سرف فيه قال ما اسرع عن السرور
انفك من البطر قال فما الطعام الذي لا سرف فيه قال ما سد الجوعة قال له
فما اللباس الذي لا سرف فيه قال ما ستر عورتك ووقاك من البرد وروي
ان رجلا صنع طعاما في املاك فارسل الى الرسول فقال حق فاجيبوا ثم صنع
الثانية فارسل فقال حلو فمن شاء فليجب والا فيقعد ثم صنع الثالثة فقال ربا
ولا خير فيه وثانيها وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الاسراف النفقة
في معصية الله والاقتار منع حق الله قال مجاهد لو انفق رجل مثل ابي قبيس
ذهبا في طاعة الله كان سرفا وقال الحسن لم ينفقوا في طاعتي الله ولم يمسكوا
عما ينبغي وذلك يكون في الامساك عن حق الله وهو اقبح التقتير وقد يكون عما
لا يجب مندوبا مثل الرجل المعني الكثير المال ان اقتر منع الفقراء من اقاربه
وثالثها المراد بالسرف مجاوزة الحد في التنعم والتوسع في الدنيا وان كان
من حلال فان ذلك مكروه لانه يودي الى الخيلاء والاقتار هو التضييق فالاكل
فوق الشبع بحيث يمنع النفس عن العبادة سرف وان اكل بقدر الحاجة فذاك
هو القصد واختار هذه الصفة اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام
كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون الثياب للجمال والزينة
ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون
ما يستر عورتهم ويصونهم من الحر والبرد وها هنا مسايل المسئلة الاولى

القوام قال ثعلب القوام بالفتح العدل والاستقامة وبالكسر ما يدوم عليه
الامر ويستقر قال صاحب الكشاف القوام العدل بين الشيئين لاستقامة
الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السوا من الاستوا وقرئ
قواما بالكسر وهو ما يقام به الشي يقال انت قوامنا يعني ما يقام به الحاجة
لا يفضل عنها ولا ينقص **المسئلة الثانية** المنصوب ان اعني بين ذلك
قواما جايز ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا
وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا موكدة قال الفرا وان شيت جعلت
بين ذلك اسم كان كما تقول كان دون هذا القتار يريد اقل من ذلك
فيكون معنى بين ذلك اي كان الوسط من ذلك قواما اي عدلا وهذا التاويل
ضعيف لان القوام هو الوسط وسطا وهذا لغو الصفة السادسة قوله تعالى
والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا
بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم
القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك
يبدل الله سياتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا
فانه يتوب الى الله متابا اعلم انه سبحانه ذكر بعد ذلك حكم من يفعل هذه
الاشيا من العقاب ثم استثنى من جملتهم التايب وها هنا سوالات السوال
انه تعالى قبل ذكر هذه الصفة عبادة الرحمن عن الامور الخسيسة فكيف يليق
بعد ذلك ان يظهر منهم عن الامور العظيمة مثل الشرك والقتل والزنا ليس انه
انه لو كان في المذهب بالعكس منه كان اولى الجواب ان الموصوف بتلك
الصفات السالفة قد يكون متمسكا بالشرك سابقا ومقدما على قتل المودة
وعلى الزنا فبين تعالى ان المراد لا يصير بتلك الخصال وحدها من عبادة الله
حتى ينضاف الى كونه مجانبا لهذه الكناية واجاب الحسن رحمه الله تعالى
من وجه اخر فقال المقصود من ذلك التنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين
وسيرة الكفار كانه قال وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله الها اخر
وانتم تدعون ولا يقتلون وانتم تقتلون المودة ولا يزنون وانتم تزنون
السوال الثاني ما معنى قوله ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ومعلوم
ان من يحل قتله لا يدخل في النفس المحرمة فكيف يصح هذا الاستثنا الجواب
المقتضي لحرمة القتل قايم ابدا وجواز القتل انما يثبت بالمعارض فقوله
حرم الله اشارة الى المقتضي وقوله الا بالحق اشارة الى المعارض السوال
الثالث باي سبب يحل القتل الجواب بالردة وبالزنا بعد الاحصان وبالقتل
على ما جا في الحديث وقيل بالمحاربة وقيل بالبينة وان لم يكن لما شهد به
حقيقة السوال الرابع منهم من فسر قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا
بالحق بالردة فهل يصح ذلك الجواب لفظ القتل عام فيتناول الكل وعن ابن

مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو
خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم اي قال
ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه السوال الخامس ما الاثام الجواب
وفيه وجوه احدها ان الاثام جزا الاسم بوزن الوبال والنكال وثانيها وهو
قول ابي مسلم ان الاثام والاثم واحد والمراد ها هنا جزا الاسم فاطلق اسم
الشي على جزيه وثالثها قال الحسن الاثام اسم من اسما جهنم وقال مجاهد اثاما
وادي جهنم وقرا ابن مسعود اثاما اي شدايدا يقال ذو اثام لليوم العصيب
اما قوله يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ففيه مسايل
المسئلة الاولى يضاعف بدل من يلق لانها في معنى واحد وقرئ يضعف
ويضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستيناف
او على الحال ولذلك يخلد ويخلد على البنا للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد
والتخليد وقرئ ويخلد بالياء على الالتفات **المسئلة الثانية** سبب
تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك عذب على الشرك
وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وهذا يدل
على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع **المسئلة الثالثة** قال
القاضي بين الله تعالى ان المضاعفة والرية يكون حالها كحال الاصل بقوله
ويخلد فيه اي ويخلد في ذلك التضعيف ثم ان ذلك انما حصل بسبب التفاوت
على المعاصي فوجب ان يكون عقاب هذه المعاصي في حق الكافر دايما واذا كان كذلك
وجب ان يكون في حق المومن كذلك لان حاله فيما يستحق به لا يتغير سواء
فعل مع غيره او منفردا والجواب لم لا يجوز ان يكون الاتيان بالشي مع غيره
اثر في مزيد القبح الا ترى ان الشيين يكون كل واحد منهما في نفسه اثرا حسنا
وان كان الجمع قبيحا وقد يكون كل واحد منهما قبيحا ويكون الجمع بينهما
اقبح فكذا ها هنا **المسئلة الرابعة** قوله ويخلد فيه مهانا اشارة الى
ما ثبت ان العقاب هو المضرة الخالصة المقرونة بالاذلال والاهانة كما
ان الثواب هو المنفعة الخالصة المقرونة بالتعظيم واما قوله تعالى الا من
تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات وكان الله
غفورا رحيما ففيه مسايل **المسئلة الاولى** دلت الاية على ان التوبة
مقبولة والاستثنا يدل على ذلك لانه اثبت انه يضاعف له العذاب ضعفين
فيلقى اجره هذا الاستثنا ان لا يضاعف للتايب العذاب ضعفين وانما
الدال عليه قوله فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات **المسئلة الثانية**
نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال توبة القاتل غير مقبولة
فزعم ان هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا وقالوا
نزلت للتغليظ البته بمدة يسيرة وعن الضحاك ومقاتل ثمان سنين وقد

تقدم الكلام على ذلك في سورة النسا المسئلة الثالثة فان قيل العمل الصالح
يدخل فيه التوبة والايمان وكان ذكرها قبل ذكر العمل الصالح المسئلة الرابعة
اختلفوا في المراد بقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات على وجوه احدها
قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحسن ومجاهد وقتادة ان التبديل
انما يكون في الدنيا يبدل الله تعالى صالح اعمالهم في الشرك بمحاسن الاعمال
في الاسلام ويبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قبل المشركين وبالزنا
عفة واحصانا وكانه تعالى يبشرهم بانه يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة
فيستوجبوا بها الثواب وثانيها قال الزجاج السيئة بعينها لا تصير حسنة
ولكن التاويل ان يجي بالتوبة ويكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط الله عمله
ويثبت عليه السيئات وثالثها قال قوم ان الله يمحو السيئة عن العبد ويثبت
له بدلها الحسنة بحكم هذه الاية وهذا قول سعيد بن المسيب ومكحول يحتجون
بما روى ابو هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال ليتمنين اقوام انهم اكثروا
من السيئات قيل من هم يا رسول الله قال الذين بدل الله سيئاتهم حسنات وعلى
هذا القول التبديل في الاخرة ورابعها قال القفال والقاضي انه تعالى
يبدل الله العقاب بالثواب فذكرهما واراد ما يستحق بهما واذا حمل على ذلك
كانت الاضافة الى الله حقيقة لان الاثابة لا يكون الا من الله اما قوله
تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ففيه سوالات السوال
الاول ما فايدة هذا التكرير الجواب من وجهين الاول ليس بتكرير لان هذا ليس
بتكرير لان الاول لما كان في تلك الخصال بين الله تعالى ان جميع الذنوب
الذنوب بمنزلتها في صحة التوبة منه الثاني ان التوبة الاولى رجوع عن الشرك
والمعاصي والتوبة الثانية رجوع الى الله تعالى للخير او المكافاة كقوله عليه
توكلت واليه ناب اي مرجعي السوال الثاني هل تكون التوبة الا الى الله
فما فايدة قوله فانه يتوب الى الله متابا الجواب من وجوه الاول ما تقدم من
ان التوبة الاولى رجوع عن المعصية والثانية رجوع الى حكم الله تعالى
وثوابه الثاني ان من تاب الى الله فقد اتى بتوبة وانه توبة من صفة الله
مكفرة للذنوب محصلة للثواب العظيم الرابع قوله ومن تاب يرجع الى الماضي
كانه سبحانه وعد بان من اتى بهذه التوبة في الماضي على سبيل الاخلاص
فقد وعده بانه يوفقه للتوبة في المستقبل وهذا من اعظم البشارات الصفة
السابعة قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما
ففيه مسايل المسئلة الاولى الزور يحتمل اقامة الشهادة الباطلة ويكون
المعنى انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقام المضاف اليه
مقامه ويحتمل حضور مواضع الكذب كقوله فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره ويحتمل حضور كل موضع يجري فيه ما لا ينبغي ويدخل فيه عناد المشركين

ومجامع الفساق لان من خالط اهل الشر ونظر الى مجامعهم افعالهم وحضر مجامعهم
فقد شاركهم في تلك المعصية لان الحضور والنظر دليل الرضا به بل هو سبب
لوجود الزيادة فيه لان الذي حملهم على فعله استحسان النظارة ورغبتهم في
النظر اليه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما المراد مجالس الزور اي يقولون
فيها الزور على الله ورسوله وقال محمد بن الحنفية الزور العناد واعلم ان
هذه الوجوه كلها محتملة ولكن استعماله في الكذب اكثر المسئلة الثانية
الاصح ان اللغو كل ما يجب ان يلغى ويترك ومنهم من فسر اللغو بكل ما ليس بطاعة
وهو ضعيف لان المباحات لا تعد لغوا وقوله واذا مروا باللغو اي اهل اللغو
المسئلة الثالثة لا شبهة في قوله مروا كراما معناه انه يكرمون انفسهم
مثل حال اللغو واكرامهم لها لا يكون الا بالاعراض وبالانكار وبترك المعاونة
والمساعدة ويدخل فيه الشرك واللغو في القران وسبكم للرسول والخوض
فيما لا ينبغي واصل الكلمة من قولهم ناقة كريمة اذا كانت تعرض عند الحلب
تكرما كانها لا تبالي بما يحلب منها للغزارة فاستعير ذلك في الصفح عن الذنب
وقال الليث يكرم فلان عما يشينه اذا نزه واكرم نفسه عنها ونظير هذه
الاية قوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن لم المعاصي وقيل اذا سمعوا من
الكفار الشتم والاذى اعرضوا وقيل اذا ذكر النكاح لقوله عنه والله اعلم
الصفة الثامنة قوله تعالى والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها
صما وعميانا قال صاحب الكشاف لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور انما هو اثبات
له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للاسلام لا للقا والمعنى
انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استعمالها واقبلوا على المذكر
بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية لا كالذين يذكرون فيها
فراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها
وهم كالصم والعميان حيث لا يفهمونها ولا يفهمون ما فيها كالمنافقين الصفة
التاسعة قوله والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذريتنا قرة
اعين واجعلنا للمتقين اماما ففيه مسايل المسئلة الاولى قراة
اهل الكوفة ذريتنا والباقون بالالف والذرية يكون واحدا وجمعا
المسئلة الثانية انه لا شبهة ان المراد ان يكونوا قرة اعين لهم في الدين
لا في الامور الدنيوية من المال والجمال ثم ذكروا فيه وجهين احدهما انهم
سالوا ازواجا وذرية في الدنيا يشاركونهم في طاعة الله واحبوا ان يكونوا
لهم في التمسك بطاعة الله فيقوى طمعهم في ان يحصلوا معهم في الجنة فيتكامل
سرورهم في الدنيا بهذا الطمع وفي الاخرة عند حصول الثواب والثاني انهم
سالوا ان يلحق ازواجهم وذريتهم بهم في الجنة ليتكامل سرورهم بهم

المسئلة الثالثة من في قوله من ازواجنا ما هي قلنا يحتمل ان يكون صلة
كانه قيل هب لنا قرة ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وهو نحو
قولهم رايت بك اسدا اي انت اسد وان يكون ابتدائية على معنى هب لنا من
جهنم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان قيل لم نكر قرة وجمع اعين فنكر
وقلل قلنا اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكير
المضاف اليه كانه قيل هب لنا منهم سرورا مفرحا وانما قيل اعين دون عيون
لانه اراد عين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله
تعالى وقليل من عبادي الشكور المسئلة الرابعة قال الزجاج اقر
الله عينك اي صادف فؤادك ما تحته وقال المفضل في قرة العين ثلاثة
اقوال احدها برد دمعتها وهي التي تكون مع الضحك والسرور ودمعة الحزن
حارة والثاني نومها لانها تكون مع ذهاب الحزن راقدة والثالث حصول
الرضا المسئلة الخامسة قوله واجعلنا للمتقين اماما الاقرب انهم سالوا
الله ان يبلغهم في الطاعة المبلغ الذي يشار اليهم ويقتدى بهم قال بعضهم
في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقال
الخليل عليه الصلاة والسلام واجعل لي لسان صدق في الاخرين وقيل
نزلت هذه الايات في العشرة المبشرين بالجنة المسئلة السادسة احتج
اصحابنا بهذه الاية على ان فعل العبد مخلوق لله قالوا لان الامامة في
الدين لا تكون الا بالعلم والعمل فدل على ان العلم والعمل انما يكون بجعل الله
وخلقه قال القاضي المراد من السؤال الالطاف التي اذا كثرت صاروا مختارين
لهذه الاشياء فيصيرون ائمة الجواب ان تلك الالطاف مفعوله لا محالة
فيكون سؤالهم عبثا لها عبثا المسئلة السابعة قال الفراء قال اماما ولم يقل
ائمة كما قال للاثنين انا رسول رب العالمين ويجوز ان يكون المعنى اجعل
كل واحد منا اماما كما قال ثم يخرجكم طفلا وقال الاخفش الامام جمع واحده
ام كصايم وصيام قال القفال وعندي ان الامام لما ذهب به مذهب الاسم
وحده كانه قيل اجعلنا حجة للمتقين وقبلة السه تقال هو لابسه فلان واعلم
انه سبحانه وتعالى لما وعد صفات عبادة المتقين المخلصين بين بعد ذلك
انواع احسانه اليهم وهي مجموعة في امرين المنافع والتعظيم اما المنافع قوله
اولئك يجزون الغرفة بما صبروا والمراد اولئك يجزون الغرفات امنين وقال
لهم غرف من فوقها غرف مبنية والغرفة في اللغة العربية كل بناء عال
مرتفع فهو غرفة والمراد به الدرجات العالية وقال المفسرون الغرفة اسم الجنة
فالمعنى يجزون الجنة وهي جنات كثيرة وقرا بعضهم اولئك يجزون الغرفات
وقوله بما صبروا وفيه بحثان الاول احتج بالاية من ذهب الى ان الجنة بالاستحقاق
فقال الباء في قوله بما صبروا يدل على ذلك ولو كان حصولها بالوعد لما صدق

ذلك البحث الثاني ذكر الصبر ولم يذكر المصبور عنه كل نوع فيدخل صبرهم
على مشاق التفكر والاستدلال في معرفة الله تعالى وعلى مشاق الطاعات
وعلى مشاق ترك الشهوات وعلى مشاق اذى المشركين وعلى مشاق الجهاد
والفقر ورياضة النفس فلا وجه لقول من يقول المراد الصبر على الفقر خاصة لان
هذه الصفات اذا حصلت مع الغنى يستحق من يختص بها الجنة كما يستحقه
الفقير وثانيها التعظيم وهو قوله تعالى ويلقون فيها تحية وسلاما قرئ
يلقون لقوله ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله ويلق اثاما والتحية
الدعاء بالتعمير والسلام الدعاء بالسلامة فيرجع حاصل التحية الى كون نعيم الجنة
باقيا غير منقطع ويرجع السلام الى كون ذلك النعيم خالصا عن شوائب
الضرر ثم هذه التحية والسلام يمكن ان يكون من الله لقوله سلام قولا من
رب رحيم ويمكن ان يكون من الملائكة كقوله والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب سلام عليكم ويمكن ان يكون من بعضهم على بعض بهما قوله خالدين
فيها حسنت مستقرا ومقاما فالمراد انه سبحانه لما وعد بالمنافع اولا وبالتعظيم
وبالعظم ثانيا بين ان من صفتها الدوام وهو المراد من قوله خالدين فيها ومن
صفتها الخلوص ايضا وهو المراد من قوله حسنت مستقرا ومقاما وهو في مقابلة
ساءت مستقرا ومقاما اي ما اسوا ذلك وما احسن هذا اما قوله قل ما يعبؤ
بكم ربي لولا دعاؤكم فاعلم انه سبحانه لما شرح صفات المتقين وشرح حال
ثوابهم امر رسوله ان يقول قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فدل ذلك على انه
تعالى غني عن عبادتهم وانه تعالى انما كلفهم لينتفعوا بطاعتهم وفيه مسائل
المسئلة الاولى قال الخليل يقال ما اعبا بفلان اي ما اصنع به كانه
يستقله ويستحقره وقال ابو عبيدة ما اعبا به اي وجوده وعدمه عندي
سوا وقال الزجاج معناه اي وزن لكم عند ربكم والعب في اللغة الثقل وقال
ابو عمرو بن العلاء ما يبالي بكم ربي المسئلة الثانية في ما قولان احدهما انها
متضمنة بمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه
قيل ما يعبؤ بعبادتكم لولا دعاؤكم والثاني ان تكون ما نافية المسئلة
الثالثة ذكروا في قوله لولا دعاؤكم وجهين احدهما لولا دعاؤكم اياكم الى
الدين والطاعة والدعاء على هذا مصدر مضاف الى المفعول وثانيهما ان
الدعاء مضاف الى الفاعل وعلى هذا التقدير وجوه احدها لولا دعاؤكم
اي ايمانكم وثانيها لولا عبادتكم وثالثها لولا عبادتكم اياه في الشدائد
كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله ورابعها لولا دعاؤكم لولا شكركم له على
احسانه كقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وخامسها ما خلقتكم ولي اليكم
حاجة الا ان تسالوني فاعطيكم وتستغفروني فاغفر لكم اما قوله تعالى فقد
كذبتم فالمعنى اي اذا اعلمتكم ان حكمي اي لا اعبا بعبادي الا لعبادتهم فقد

خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف ترى تكذيبكم وهو عقاب الآخرة ونظيره قول الملك
لمن استعصى عادني في عبادي اي احسن الى من يطيعني فقد عصيتني فسوف
ترى ما احل بك بسبب عصيانك فان قيل الى من يتوجه هذا الخطاب قلنا
الى الناس على الاطلاق ومنهم عابدون ومكذبون فخوطبوا بما وجد في
جنسهم من العبادة والتكليف وقرئ فقد كذب الكافرون فسوف يكون
لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والرجب ان
ترك اسم كان غير مطرف به ما علم انه مما يوعد به لاجل الابهام وتناول ما لا
يحيط به الوصف ثم قيل هذا العذاب في الآخرة وقيل كان يوم بدر وهو قول
مجاهد والله اعلم بالصواب

سورة الشعراء آيات

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك
باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت
اعناقهم لها خاضعين الطاء اشارة الى طرب قلوب العارفين والسين سرور
المحبين والميم مناجات المريدين وهاهنا مسائل المسئلة الاولى قرأ
قتادة باخع نفسك على الاضافة وقرئ فظلت اعناقهم لها خاضعة
المسئلة الثانية البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو الناقة في العقرات
وذلك اقصى حد الذابح وبعد شقاق المسئلة الثالثة قوله طسم تلك
آيات الكتاب المبين معناه آيات هذه السورة تلك آيات الكتاب
وتمام تقريره ما مر في ذلك ولا شبهة في ان المراد بالكتاب هو القرآن
وان المبين وان كان في الحقيقة هو المتكلم فقد يضاف الى الكلام
من حيث يفسر به وعند النظر فيه فان قيل القوم لما كانوا كفارا فكيف يكون
آيات القرآن مبينة لهم ما يلزمهم وانما تبين بذلك الاحكام قلنا الفاظ
القرآن من حيث تعذر عليهم ان يأتوا بمثله يمكن ان يستدل به على فاعل مخالف
لهم كما لا يستدل بسائر ما لا يقدر العباد على مثله فهو دليل التوحيد من
هذا الوجه ودلالة النبوة من حيث الاعجاز ويعلم به بعد ذلك اذا كان
من عند الله فهو دلالة الاحكام اجمع واذا ثبت هذا صارت آيات القرآن
كافية في كل الاصول والفروع اجمع ولما ذكر الله تعالى انه بين الامور قال
بعده لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين منبها بذلك على ان الكتاب
وان بلغ في الغاية البيان كل غاية فغير مدخل لهم في الايمان لما انه سبق
حكم الله بخلافه فلما بالغ في الحزن والاسف على ذلك لانك ان بالغت فيه
كنت بمنزلة من يقتل نفسه ثم لا ينتفع بذلك اصلا فضره وعراه وغرمه
او غمه وحزنه لا ينفع كما ان وجود الكتاب على وضوحه وبيانه لا ينفع ثم بين
تعالى على انه قادر على ان ينزل آية يذلون لها عندها ويخضعون فان قيل
كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق قلنا اصل الكلام فظلوا لها خاضعين

فذكره الاعناق لبيان موضع الخضوع ثم ترك الكلام على اصله ولما وصفت
بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل اعناق
الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما يقال هم الرؤس والصدور
وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس يفوج منهم المسئلة الرابعة
نظير هذه الآية في سورة الكهف قوله تعالى فلعلك باخع نفسك وقوله
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن
محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون
اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وهاهنا مسائل المسئلة
الاولى ان قوله ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث من تمام قوله ان نشأ
ننزل عليهم فنبه الله تعالى انه مع قدرته على ان يجعلهم مؤمنين بالاجبار
رحيم بهم من حيث يأتيهم حالا بعد حال بالقرآن وهو الذكر فذكره عليهم
وهم مع ذلك على حد واحد في الاعراض والتكذيب والاستهزاء ثم عند ذلك
زجر ووعيد لان المراد اذا استمر على كفره فليس يقع فيه الا الزجر الشديد
فلذلك قال فقد كذبوا اي بلغوا النهاية في رد آيات الله فسيأتيهم
انباء ما كانوا به يستهزءون وذلك اما عند نزول العذاب عليهم في الدنيا او
عند المعاينة او في الآخرة وهو كقوله ولتعلمن نبأه بعد حين وقد جرت
العادة فيمن يسيء ان يقال سترى حالك من بعد على وجه الوعيد ثم انه تعالى
بين انه مع انزاله القرآن حالا بعد حال قال اولم يروا الى الارض كم انبتنا
فيها من كل زوج كريم الزوج الصنف والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد
في بابه يقال وجه كريم اذا كان مرضيا في حسنه وجماله وكتاب كريم اذا
كان مرضيا في مواده ومعانيه والنبات الكريم هو المرضي فيما يتعلق به من
المنافع في وصف الزوج بالكريم وجهان احدهما ان النبات على نوعين نافع
وضار فذكر سبحانه كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع
وترك ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات فما من نبت الا وفيه فائدة وان
غفل عنها الغافلون اما قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين فهو كقوله تعالى هدى
للمتقين والمعنى ان في ذلك دلالة لمن تدبر وتفكر وما كان اكثرهم مؤمنين
اي مع ذلك يستمر اكثرهم على كفرهم اما قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم فلما
قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم لانه لو لم يقدمه لكان ربما قيل انه رحمهم لعجزه
عن عقوبتهم فازال هذا الوهم بذكر العزيز وهو الغالب القاهر ومع ذلك فانه
رحيم بعباده فان الرحمة اذا كانت على عن القدرة الكاملة كانت اعظم
وقعا والمراد انهم مع كفرهم وقدرة الله ان يعجل عقابهم لا يترك رحمتهم بما تقدم
ذكره من خلق كل زوج كريم من النبات ثم من اعطى الصحة والعقل والهداية

المسئلة الثانية انه تعالى وصف الكفار بالاعراض اولا وبالتكذيب
ثانيا ثم بلغ في التكذيب والانكار الى حيث يستهزئ به المسئلة الثالثة
فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولم يقل كم انبتنا من كل زوج كريم
قلت قد دل الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان
هذا المحيط متكاثر منوط الكثرة فهذا معنى الجمع ونبه على كمال قدرته
فان قلت فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت
بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لاية وهلا قال ايات
قلت فيه وجهان احدهما ان يكون ذلك مشارا الى مصدر انبتنا فكانه قال
ان في ذلك الانبات لاية اي اية المسئلة الرابعة احتجت المعتزلة على
خلق القران بقوله وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث فقالوا الذكر هو
القران كقوله تعالى وهذا ذكر مبارك وبين في هذه الاية ان الذكر محدث
فقالوا الذكر هو القران فقوله وهذا ذكر مبارك وبين في هذه الاية
ان الذكر محدث فيلزم من هاتين الايتين ان القران محدث وهكذي
الاستدلال بقوله الله نزل احسن الحديث وبقوله فباي حديث بعده فاذا
ثبت انه محدث فله خالق فيكون مخلوقا لا محالة والجواب ان كل ذلك
راجع الى هذه الالفاظ ونحن نسلم حدوثها انما ندعي قدم امر اخر قراءة هذه
الحروف وليس في الاية دلالة على ذلك قوله تعالى واذ نادى ربك موسى
ان ايت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون اختلف اهل السنة في النداء
الذي سمعه موسى من الله تعالى قيل هو كلام قديم او هو ضرب من الاصوات
فقال ابو الحسن الاشعري المسموع هو الكلام القديم وكما ان ذاته تعالى
لا تشبه ساير الاشياء مع ان الدليل دل على انها معلومة ومرئية فكذا
كلام القديم مرة عن الحرف والصوت مع انه مسموع وقال ابو منصور الماتريدي
الذي سمعه موسى كان نداء من جنس الحروف والاصوات وذلك ان الدليل
لما دل انا راينا الحق يدور العرض ولا بد من علة مشتركة بينهما لصحة اللزوم
ولا علة الا الوجود حكمنا بان كل موجود يصح ان يرى اما اذا لم يثبت عندنا
انما يسمع الاصوات والاجسام حتى يحكم بانه لا بد من مشترك بين الجسم والصوت
فلم يلزم صحة كون موجود مسموعا فظهر الفرق اما المعتزلة فقد اتفقوا
على ان ذلك المسموع ما كان الا حروفا واصواتا فعند ذلك قالوا ان
هذا النداء وقع على وجه علم به موسى انه من عند الله فصار معجزا علم به
ان الله مخاطب له فلم يحتج ذلك الى واسطة وكفى في الوقت ان يحمله
الرسالة التي هي ايت القوم الظالمين لان في بدو البعثة يجب ان يامر
بالدعاء الى التوحيد ثم بعد يامر بالاحكام ولا يجوز ان يامر الله تعالى
بذلك الا وقد عرفه انه سيظهر على يده المعجزات اذا طولب بذلك اما قوله

تعالى ان ايت القوم الظالمين فالمعنى انه تعالى يسجل عليهم بالظلم وقد
استحقوا هذا الاسم من وجهين من جهة ظلمهم انفسهم بكفرهم ومن جهة ظلمهم
لبني اسرائيل واما قوله تعالى قوم فرعون فقد عطف قوم فرعون على القوم
القوم الظالمين عطف بيان كان القوم الظالمين عطف بيان لفظان يدلان
على معنى واحد اما قوله الا يتقون فقرئ الا يتقون بكسر النون بمعنى
الا تتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء اكتفاء بالكسرة وقوله كلام
مستانف تعالى ارسله اليهم الانذار والتسجيل عليهم بالظلم معجبا بموسى
عليه الصلاة والسلام في الظلم والعسف ومن امنهم الراقب وقلة خوفهم
ويحتمل ان يكون الا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير معين
اليه وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال ووجه ثالث وهو ان يكون
المعنى الا يا ناس يتقون كقوله الا يسجدوا واما قراءة الا يتقون على الخطاب
فعلى طريقة الالتفات اليهم وصرف وجوههم الانكار والتعنت عليهم كما
يشكو من ركب جناية والجاني فاذا اندفع في الشكاية وحمي عصبية قطع
مخاطبة صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنفه ويقول له الم تتقي تستحي
من الناس فان قلت فما فايدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه
الصلاة والسلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غايبون لا يشعرون
قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجراه لحضرتهم والقاه الى اسماعهم
لانه يبلغهم وينهيه اليهم وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من اية
نزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمومنين تدبرا لها واعتبارا لموارد
قوله تعالى قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق
لساني فارسل الى هارون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون اعلم ان الله
تعالى لما امر رسوله موسى عليه الصلاة والسلام بالذهاب الى قوم
فرعون طلب موسى عليه الصلاة والسلام ان يبعث معه هرون عليه الصلاة
والسلام اليهم ثم ذكر الامور الداعية له الى ذلك الرسول وحاصلها انه لو لم
يكن هرون لاختلت المصلحة المطلوبة من بعثة موسى وذلك من وجهين
الاول ان فرعون ربما كذبه والتكذيب سبب لضيق القلب وضيق القلب
سبب لتغير الكلام على من يكون في لسانه حبسة لان عند ضيق القلب
تنقبض الروح والحرارة الغريزية الى باطن القلب واذا انقبض الى الداخل
وقال في الخارج ازدادت الحبسة في اللسان فالبادي من التكذيب سبب
لضيق القلب وضيق القلب سبب للحبسة فلهذا السبب بدا فرعون بالتكذيب
ثم ثنى بضيق الصدر ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان واما هرون فهو افصح
لسانا مني وليس في حقه هذا المعنى وكان ارساله لايقا الثاني ان لهم عندي
ذنبا فاخاف ان يبادروا الى قتلي وحينئذ لا يحصل المقصود واما هرون فليس

كذلك فيحصل المقصود من البعثة **المسئلة الثانية** قرئ يضيق وينطلق بالرفع
لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب على عطفهما على صلة ان والمعنى اخاف ان
يكذبون واخاف ان يضيق صدري واخاف ان لا ينطلق لساني والفرق ان
الرفع يفيد ثلث علل في طلب ارسال هارون والنصب يفيد علة واحدة
وهي الخوف من هذه الامور الثلاثة فان قلت الخوف مما يحصل التوقع مكروه
سيقع وعدم انطلاق اللسان كان حاصلا وكيف جاز تعليق الخوف به قلت
قد بينا ان التكذيب الذي سيقع يوجب ضيق القلب وضيق القلب يوجب
زيادة الاحتباس فتلك الزيادة ما كانت حاصلة في الحال بل كانت متوقعة
فجاز تعليق الخوف عليها اما قوله تعالى فارسل الى هرون فليس في الظاهر
ذكر من الذي يرسل اليه وفي الخبر ان الله تعالى ارسل موسى اليه قال السدي
ان موسى عليه الصلاة والسلام سار باهله الى مصر والتقى بهرون وهو لا يعرفه
فعرفه فقال انا موسى فتعارفا وامره ان ينطلق معه الى فرعون لاداء الرسالة
فصارت امارت الخوف بها عليهما فذهبا اليه ويحتمل ان يكون المراد ارسل الله
جبريل لان رسول الله تعالى الى الانبياء جبريل عليهم افضل الصلاة والسلام
فلما كان هو متعينا لهذا الامر حذف ذكره لكونه معلوما وايضا فليس
في الظاهر انه يرسل بماذا لكن فحوى الكلام يدل على انه طلبه للمعونة فيما
سال كما يقال اذا نابتك نائبة فارسل الى فلان اي فانه يعينك وليس في
الظاهر انه التماسه كون هرون نبيا معه لكن قوله فقولا انا رسول رب العالمين
يدل عليه واما قوله ولهم علي ذنب فاراد بالذنب قتل القبطي وقد ذكر الله تعالى
هذه القصة مشروحة في سورة القصص واعلم انه ليس في التماس موسى
عليه الصلاة والسلام ان يضم اليه هارون ما يدل على انه من ال
فرعون بل مقصوده ان يقع الذهاب على اقوى الوجوه في الوصول الى المراد
واختلفوا قال بعضهم انه وان كان نبيا فهو غير عالم بانه يبقى حي يؤدي
الرسالة لانه انما امر بذلك بشرط التمكين وهذا قول الكعبي وغيره من
البغداديين لانهم يجوزون دخول الشرط في تكليف الله والذي ذهب اليه
الاكثرون ان ذلك لا يجوز لانه تعالى اذا امر فهو عالم بما يتمكن منه المامور
وباوقات تمكنه فاذا علم انه غير متمكن منه فانه لا يامره به واذا صح ذلك
فالاقرب في الانبياء انهم يعلمون اذا حملهم الله تعالى الرسالة انه تعالى يمكنهم
من ادائها وانهم سيبقون الى ذلك الوقت ومثل ذلك لا يكون اغراء في
الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان جاز ان يكون اغراء في غيرهم
المسئلة الثالثة قول موسى ولهم علي ذنب يدل على صدور الذنب منه وجوابه
لا والمراد لهم علي ذنب في زعمهم قوله تعالى **قال كلا فاذهبا باياتنا انا
معكم مستمعون فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا**

بني اسرائيل اعلم ان موسى عليه الصلاة والسلام طلب امرين الاول ان يدفع
عنه شرهم والثاني ان يرسل معه هرون فاجابه الله تعالى الى الاول بقوله
كلا ومعناه ارتدع يا موسى عما تظنه واجابه الى الثاني بقوله فاذهبا اي اذهب
انت والذي طلبته وهو هرون فان قيل علام عطف قوله فاذهبا قلنا على
الفعل الذي يدل عليه كلا واما قوله انا معكم مستمعون فمن مجاز الكلام يريد انا
لكما على عدوكما كالناصر والظهير لكما اذا حضروا استمع ما يجري بينكما فاظهركما
واعليكما واكسر شوكته عنكما وانما جعلنا الاستماع مجازا لان الاستماع عبارة
عن الاصغاء وذلك على الله تعالى محال واما قوله انا رسول رب العالمين
ففيه سؤال وهو انه هلا ثنى الرسول كما ثنى في قوله انا رسولا ربك جوابه من
وجوه احدها ان الرسول اسم للماهية من بيان ان تلك الماهية للواحد او اكثر
والالف واللام لا يفيدان لا الواحدة ولا الاستغراق بدليل انك تقول الانسان
هو الضحاك ولا تقول كل انسان هو الضحاك ولا تقول ايضا هذا الانسان هو
الضحاك واذا ثبت ان لفظ الرسول لا يفيد الا الماهية وثبت ان الماهية محمولة
على الواحد والاثنين ثبت صحة قوله انا رسول رب العالمين وثانيها ان
الرسول قدر بمعنى ذو قال

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول

فيكون المعنى انا ذو رسالة رب العالمين وثالثها انهما لاتفاقهما على
شريعة واحدة واتحادهما بسبب الاجوبة كانهما رسول واحد والرابع المراد كل
واحد منهما وخامسها ما قاله بعضهم انما قال ذلك لا بلفظ التثنية لكونه
هو الرسول خاصة وقوله انا معكم كما في قوله تعالى انا انزلناه وهو ضعيف
واما قوله ان ارسل معنا بني اسرائيل فالمراد من هذا الارسال التخلية والاطلاق
لقولك الباري يريد حكمه تذهبوا معنا واما قوله تعالى **قال الم نربك فينا
وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت
من الكافرين** اعلم ان في هذا الكلام حذفا وهو انهما اتياه وقالا ما امر
الله به فعند ذلك قال فرعون ما قال روي انهما انطلقا الى باب فرعون
فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان هاهنا انسانا يزعم انه رسول رب
العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى
فعدد عليه نعمه اولا ثم اتياه ثانيا اما النعم فهي قوله الم نربك فينا وليدا يقال
للصبي لقرب عهده من الولادة ولبثت فينا من عمرك وعن ابي عمرو بسكون الميم
سنين قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وكان قتل القبطي وهو ابن ثنتي عشرة
سنة وفر منهم والله اعلم بصحة ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهو
قتله القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل اما الفعلة فانها وكزة
واحدة عدد عليه نعمتين من تربيته وتبليغه فبلغ الرجال ويحد بما جرى على

يدم من قتل احسان وعظم ذلك بقوله وتلك نعمة الخ تلك اما قوله اوانت
من الكافرين ففيه وجوه احدها يجوز ان يكون حالا اي قتلتله وانت لذلك من
الكافرين تعني ونا بيهما وانت اذ ذاك من مكرم المساءة وقد افتري عليه
الكافرين تعني ونا بيهما وانت اذ ذاك من مكرم المساءة وقد افتري عليه
وجعل المرء لانه كان يعاشرهم بالتقية فان الكفر غير جايز على الانبيا عليهم الصلاة
والسلام قبل النبوة وبعدها وانت من الكافرين بل بمعناه وانت عندي كفران
النعم ومن كان هذا حاله لم يستبعد منه مثل هذا ولي نعمة وربايهما وانت من
الكافرين بربوبيتك والهيته او من الذين يكفرون في دينهم فقد كانت لهم الهة
يعبدونهم قوله ويذرك والهتك قوله تعالى قال فعلتها اذا وانا من
الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين
وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرايل اعلم ان فرعون لما ذكر التربية
وذكر القتل وقد كانت تربية له معلومة ظاهرة لم يجحدها ان موسى عليه
الصلاة والسلام ما انكرها ولم يشتغل بالجواب عنها لانه تقرر في العقول
ان الرسول الى الغير اذا كان له معجزة وحجة لم يتغير حاله بان يكون
المرسل اليه انعم عليه او لم يفعل ذلك فقبل قول فرعون لما له صوت البتة ومثل
هذا الكلام الاعراض عنه اولى لكن اجاب عن القتل بما لائق ابلغ منه في الجواب
ومن قوله تعلمها اذا وانا من الضالين والمراد بذلك الذاهبين عن معرفة
ما يول اليه من الفعل لان فعل الوكز على وجه التاديب ومثل ذلك ربما حسن
وانما ادى الى القتل فتبين له انه فعله على وجه لا يجوز معهما ان يؤخذ مع الكافر
وكان النعمة واما قوله ففررت منكم لما خفتكم والمراد اني فعلت ذلك الفعل
وانا ذاهب عن كونه مهلكا وكان مني في حكم السهو فلم استحق التخويف الذي
يوجب الفرار ومنه ذلك ففررت منكم لما خفتكم عند قولكم ان الملاء يأتمرون
بك ليقتلوك وفي تبين بذلك انه لا نعمة له علينا في باب تلك الفعلة بل ان
يكون اساة اقرب من حيث خوفني تخويفا اوجب الفرار لتبين نعمة الله تعالى علينا
بعد الفرار فكانه قال اساتم واحسن الله تعالى الي بان وهب لي حكما وجعلني
من المرسلين واختلفوا في الحكم والاقرب انه غير النبوة لان المعطوف غير المعطوف
عليه والنبوة مفهومة من قوله وجعلني من المرسلين والمراد بالحكم العلم ويدخل
في الحكم العقل والراي والعلم بالدين الذي هو التوحيد وهذا اقرب لانه
لا يجوز ان يبعثه الله تعالى الا مع كماله في العقل والراي والعلم بالتوحيد
وقوله فوهب لي ربي حكما كالمتخصص على ان ذلك الحكم من خلق الله تعالى وقالت
المعتزلة المراد منه الالطاف مقبولة في حق الكل من غير خسف ولا نقصان
فالتخصيص لا بد له من فايدة اما قوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت
بني اسرايل فهو جواب وقوله الم نربك فينا وليدا يقال عبدت الرجل واعبدته
اذا اتخذته عبدا فان قيل كيف يكون ذلك جوابا وهو لا تعلق بين الامرين قلت بيان

التعلق من وجوه انه انما وقع ما وقع في تربيته لانه قصد بعد بني اسرايل وذبح ابنايهم
وكانه عليه الصلاة والسلام قال له كنت مستغنيا عن تربيتك لو لم تكن ممن
دلك الظلم المتقدم علينا وعلى امثالنا واما ان ذلك الانعام المتاخر صار معارضا
بذلك الظلم العظيم على امثالنا واذا تعارضا تساقطا وتبقى ما قاله لي محض
انك استعبدتهم واخذت اموالهم ومنها انفقت علي ولا نعمة لك بالتربية
ورابعها ان المراد الذي تولى تربيتي هم الذين قد استعبدتهم فلا نعمة لك علي ان
التربية كانت من قبل امي وسايرين من قومي ثم لبثت كذا الا انك ما قتلتني فهذا
لا يعد انعاما وخامسها انك كنت تدعي ان بني اسرايل عبيدك ولا نعمة للمولى على
العبد ان يطعمه ويعطيه ما يحتاج اليه واعلم ان في هذه الاية دلالة على ان
كفر الكافر لا يبطل نعمة علي من يحسن اليه ولا يبطل منته لان موسى عليه الصلاة والسلام
انما ابطل ذلك بوجه اخر على ما بينا واختلف العلما فقال بعضهم اذا كان كافرا
لا يستحق الشكر على نعمه على الناس لانه لا يستحق الاهانة بكفره فلو استحق الشكر
والشكر لا يوجد الا مع التعظيم فيلزم كونه مستحقا للاهانة والتعظيم معا
واستحقاق الجمع بين الضدين محال وقال اخرون لا يبطل الشكر بالكفر وانما
يبطل بالكفر المواجب والمذم الذي يستحقه على الايمان والاية تدل على القول
الثاني المسئلة الثانية قال صاحب الكشاف انما جعل الضمير لبني اسرايل
مع افراده بمنها وعبدت لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن
ملايه الموتمرين بقتله بدليل قوله ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان
فمنه وحده وكذلك التعبيد فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان عبدت
ما محلها من الاعراب قلت تلك اشارة الى جملة تشتمل على نعمة ومنة لا يدري ما هي
الا تفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك قوله تعالى وقضينا اليه
ذلك الامر ان دابر هؤلا قال فرعون وما رب العالمين قال رب
السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون
قال ربكم ورب اباييكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت
الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال اولو جيتك بشي مبين قال
فات به ان كنت من الصادقين اعلم ان فرعون لم يقل لموسى عليه الصلاة والسلام
وما رب العالمين بين ذلك ما تقدم من قوله فاتيا فرعون فقولا انا رسول
رب العالمين فلما عند دخولهما عليه لانهما قالا ذلك فعند ذلك قال
فرعون وما رب العالمين فمرها هنا يحتمل الاول ان فرعون يحتمل ان يقال كان
عارفا بالله ولما قال ما قال طلبا للملك والرياسة وقد ذكر الله في كتابه ما يدل
على انه كان عارفا بالله ومن قوله قال لقد علمت ما هؤلا انزل هو الا رب السموات
والارض بصايرا فاذا قرئ بفتح التا من علمت فالمراد ان فرعون علم ذلك وعلك

يدل على انه كان عارفا بالله لكنه كان يشاكل قومه بما يهوى من الهيبة والقراة
الاخرى رفع التاء من علمت فهو يقتضي ان موسى عليه الصلاة والسلام هو الذي
عرف ذلك وايضا فان فرعون ان لم يكن عاقلا لم يجز من الله بعثة الرسول اليه
وان كان عاقلا فهو يعلم بالضرورة انه ما كان موجودا ولا حيا ولا عاقلا
ثم صار كذلك يعلم بالضرورة ان كل ما كان كذلك فلا بد له من موثر فلا بد
له من هذين العلمين العلمين علم ثالث بالافتقار في تركيبه وحياته
وعقله الى موثر موجد ويحتمل ان يقال انه كان على مذهب الدهرية ان الافلاك
واجبة الوجود في ذواتها ومتحركة لذواتها وان حركتها اسباب لحصول
الحوادث في هذا العالم او يقال انه كان من الفلاسفة القايلين بالعلة
الموجبة لا بالفاعل المختار ثم اعتقد انه بمنزلة الاله لاهل اقليمه ويحتمل
ان يقال انه كان على مذهب الحلولية القايلين بان ذات الاله يدرع تحت
جسد انسان معين حتى يكون سبحانه كذلك الجسد بمنزلة روح كل
انسان بالنسبة الى جسده وبهذه التقديرات كان يسمي نفسه الها
البحث الثاني انه قال لموسى عليه الصلاة والسلام وما رب العالمين
واعلم ان السوال ربما طلب له تعريف حقيقة الشي وتعريف حقيقة الشي
اما ان يكون بيقين تلك الحقيقة او بشي من اجزايها او بامر خارج عنها
او بما تركب من الداخل والخارج واما تعريفها بنفسها فمحال لان المعرف
لمعلوم قبل المعرف فلو عرف الشي بعينه لزم ان يكون معلوما وهو محال
واما تعريفها بالامور الداخلة فهاهنا في حق واجب الوجود محال لان التعريف
بالامور الداخلة لا يمكن الا اذا كان المعرف مركبا لان كل مركب فهو محتاج الى
كل واحد من اجزايه وكل واحد من اجزايه فهو غير ممكن لذاته وكل مركب
فهو ممكن فما ليس بممكن يستحيل ان يكون مركبا فواجب الوجود ليس بمركب
فاذا لم يكن مركبا استحال تعريفه باجزايه ولما بطل هذان القسمان ثبت انه
لا يمكن تعريف ماهية واجب الوجود الا بلوازمه واثاره ثم ان اللوازم قد تكون
خفية وقد تكون جلية ولا يجوز تعريف الماهية باللوازم الخفية بل لا بد
من تعريفها باللوازم الجلية واظهار اثار واجب الوجود هذا العالم المحسوس
وهو السموات والارض وما بينهما فثبت انه لا واجب البتة لما قال فرعون وما
رب العالمين الا ما قاله موسى عليه الصلاة والسلام وهو انه رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين باسناد هذه المحسوسات الى موجد
واجب الوجود فاعرفه انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكر لانكم لما سلمتم انتهاء هذه
المحسوسات الى الواجب لذاته وثبت ان الواجب لذاته فرد مطلق وثبت
ان الفرد المطلق لا يمكن تعريفه الا باثاره وثبت ان تلك الاثار لا بد وان
تكون اظهر اثاره وابعدها عن الخفا وما ذاك الا السموات والارض وما بينهما

اعتقد

قال ايقنتم بذلك لزمكم ان تقطعوا بانه لا واجب جواب عن ذلك السوال
الا هذا الجواب ولما ذكر موسى عليه الصلاة والسلام هذا الجواب الحق قال
فرعون لمن حوله الا تستمعون وانما ذكر ذلك على سبيل التعجب من جواب
موسى يعني انا اطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبني بالفاعل
بالفاعلية والموثرية وتمام الاشكال وهو ان تعريف الماهية بلوازمها لا يفيد
الوقوف على نفس تلك الماهية وذلك لانا اذا قلنا في الشي انه الذي يلزمه
اللازم او لخصوصية تلك الماهية التي عوضت لها هذه الملزومية والاول
محال لان كونه امرا يلزمه ذلك الالزام جعلناه كاشفا فلو كان المكشوف هو
هذا القدر لزم كون الشي معرفا لنفسه وهو محال والثاني محال ايضا لان العلم
بانه امر ما يلزمه الالزام الفلاني لا يفيد العلم بخصوصية تلك الماهية الملزومية
لانه لا يمتنع في العقل اشتراك الماهيات المختلفة في لوازم متساوية فثبت
ان التعريف بالوصف الخارجي لا يفيد معرفة نفس الحقيقة فاجاب موسى عليه
افضل الصلاة والسلام بان قال ربكم ورب ابايكم الاولين وكانه عليه الصلاة
والسلام عدل عن التعريف بخالقية السموات والارض الى التعريف بكونه خالقا
لنا ولابائنا وذلك لانه لا يمتنع ان يعتقد احد ان السموات والارضين واجبة
لذواتها فهي غنية عن الخالق والموثر ولا يمكن ان يعتقد العاقل في نفسه
وابايه وفي اجداده كونهم واجبة لذواتهم لما ان المشاهدة دلت على انهم وجدوا
بعد العدم ثم عدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته
وما لم يكن واجبا لذاته استحال وجوده الا بموثر وكان التعريف بهذا الاثر اظهر
فلهذا عدل موسى عليه الصلاة والسلام من الكلام الاول الى الله فقال فرعون
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني المقصود من سوال ما طلب الماهية وخصوصية
الحقيقة والتعريف بهذه الاثار الخارجية لا تفيد البتة تلك الخصوصية فهذا
الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السوال فضلا عن ان يجيب عنه قال موسى
عليه الصلاة والسلام رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فعدل
عن طريق ثالث اوضح من الثاني وذلك لانه اراد بالمشرق طلوع الشمس
وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار والامر ظاهر في ان هذا
التدبير المستمر على الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر وهذا بعينه طريق ابراهيم
عليه الصلاة والسلام مع نمروذ فانه استدل اولا بالاحيا والاماتة وهو الذي
ذكره موسى عليه الصلاة والسلام بقوله ربكم ورب ابايكم الاولين فاجابه نمروذ
بقوله انا احيي واميت فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره موسى عليه الصلاة والسلام هاهنا بقوله رب
المشرق والمغرب وما بينهما فاما قوله ان كنتم تعقلون فكانه عليه الصلاة
والسلام قال ان كنت من العقلا عرفت انه لا جواب عن سوالك الا ما قد قلت

صيته

لانك طلبت مني تعريف حقيقة بنفس حقيقة ولا باجزا حقيقة فلم يبق الا ان اعرف
حقيقة باثار حقيقة وانا قد عرفت حقيقة فقد ثبت ان كل من كان عاقلا
قطع بانه لا جواب عن هذا السوال الا ما ذكرت واعلم انا قد بينا في سورة
الانعام في تفسير قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ان حقيقة الاله سبحانه
من حيث انها هي غير معقولة للبشر واذا كان كذلك استحال من موسى عليه الصلاة
والسلام ان يذكر ما يعرف به تلك الحقيقة الا ان عدم العلم بتلك الخصوصية
لا يقدح في صحة الرسالة فكان حاصل كلام موسى عليه الصلاة والسلام ان اعاد
رسالة رب العالمين يتوقف صحته على اثبات ان للعالمين ربا والها ولا يتوقف
على العلم بخصوصية الرب تعالى وماهية المصنف فكان موسى عليه الصلاة والسلام
يقيم الدلالة على اثبات القدر المحتاج اليه في صحة دعوى الرسالة وفرعون
يطالبه ببيان الماهية وموسى كان يعرض عن سواله لعلمه بانه لا تعلق لذلك
السوال نفيا ولا اثباتا في هذا المطلوب فهذا تمام القول في هذا البحث ثم
ان موسى عليه الصلاة والسلام لما خشن في اخر هذا الكلام بقوله ان كنتم
تعقلون فعند ذلك قال فرعون لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من
المسجونين فانه لما عجز عن الحجاج عدل فعند ذلك ذكر موسى عليه الصلاة
والسلام كلاما مجملا لعلو قلبه به يعدل عن وعيده فقال اولو جئتك بشي مبين
اي هل تستجيز ان تذكر مع اقتداري على ان اتيك بامرين في باب الدلالة على
وجود الاله وعلى اني رسوله فعند ذلك قال فات به ان كنت من الصادقين
النوع الاول الاية تدل على انه تعالى ليس بجسم ولو كان جسما وله صورة لكان
جواب موسى عليه الصلاة والسلام بذكر صفته ولكان كلام فرعون لازما
لعدوله عن الجواب الحق الثاني الواجب على ان من يدعو غيره الى الله تعالى
ان لا يجيب الى السفاهة لان موسى عليه الصلاة والسلام لم يقل انك لمجنون
لم يعدل عن ذكر الدلالة وكذلك لما توعده ان يسجنه الثالث انه يجوز
للمسول ان يعدل في حجته من مثال الى مثال ايضاح للكلام ولا يدل ذلك على
الانقطاع الرابع ان قيل كيف قطع الكلام بما لا تعلق له بالاول وهو قوله اولو جئتك
بشي مبين والمعجز لا يدل على الله كدلالة سائر ما تقدم قلنا بل يدل على
ما اراد ان يظهره من انقلاب العصا حية على قدرة الله وعلى توحيده وعلى
انه صادق في الرسالة فالذي ختم كلامه اقوى من كلام ما تقدم واجمع الخامس
فان قيل كيف قال رب السموات والارض وما بينهما على التثنية والمرجوع
اليه واحد جوابه انه لا ما بين الجنسين فان قيل كيف ذكر السموات
والارض وما بينهما قد استوعب الخلايق كلهم فما معنى ذكرهم وذكر ابايهم
بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب جوابه قد عمم اولا ثم خصص من العام للبيان
انفسهم وابايهم لان اقرب الاشيا من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد من

انتقاله من وقت ميلاده الى وقت وفاته من حالة الى حالة اخرى ثم خصص
المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها على تقدير مستقيم
في فصول السنة من اظهر الدلايل السادس فان قيل لم قال لاجعلنك من المسجونين
ولم يقل لاسجننك لا يفيد الا صيرورته مسجونا اما قوله لاجعلنك
من المسجونين فمعناه اني اجعلك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني
وكان في عادته ان ياخذ من يريد ان يسجنه فيطرحه في بير عميقة
فردا لا يبصر فيها ولا يسمع وكان ذلك اشد من القتل السابع الواو في
قوله اولو جئتك بشي مبين واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه
انفعل ذلك ولو جئتك بشي مبين اي جاءنا بالمعجزة قوله فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضا للناظرين قال
للملا حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون
قالوا ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار
عليم وهاهنا مسايل المسيلة الاولى قرا الاعمش بكل ساحر عليم المسيلة
الثانية اعلم ان قوله اولو جئتك بشي مبين يدل على ان الله تعالى
قبل ان يلقي العصا عرفه بان يصيره ثعبانا ولولا ذلك لما قال ما قال
فلما القى عصاه ظهر وعده به فصار ثعبانا والمراد انه مبين للناظرين
انه ثعبان بحركاته وبساير العلامات روي انها لما انقلبت حية ارتفعت
في السما فقالت لموسى عليه الصلاة والسلام مرني بما شيت ويقول
فرعون اسيلك بالذي ارسلك الا اخذتها فعادت عصا فان قيل كيف
قال ثعبان مبين وفي اية اخرى فاذا هي حية تسعى وفي اية ثالثة
كانها جان والجان مايل الى الصغير والثعبان الى الكبير جوابه اما الحية
فهي اسم الجنس ثم انها اكبرها كانت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها وسرعتها
فصح الكلامان انه شبهها بالشيطان لقوله تعالى والجان خلقناه من قبل
من نار السموم يحتمل انها كانت اولا صغيرة ثم عظمت فصارت ثعبانا
ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما اتى بهذه الاية فقال له فرعون
هل غيرها قال نعم فاراه يده لحم ادخلها جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضا
يضي الوادي من شدة بياضها من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس
فعند هذا اراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر فيها امور ثلاثة
احدها قوله ان هذا لساحر عليم وذلك ان الزمان زمان السحرة وكان
عند كثير منهم ان الساحر قد يجوز ان ينتهي بسحره الى هذا الحد فلهذا روج عليهم
هذا القول وثانيها قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وهذا يجري
مجرى التنفير عنه لئلا يقبلوا قوله والمعنى يريد ان يخرجكم من ارضكم
بما يلقيه بينكم من العداوات فيفرق جمعكم ومعلوم ان مفارقة الوطن

اصعب الامور فيلزمهم حسه بذلك وهذا نهاية ما يفعله المبطل في التنفير
عن الحق وثالثها قوله فماذا تامرون اي ما رايكم فيه وما الذي اعمله
فالذي يظهر من نفسه اني متبع اراكم ومنقاد لقولكم ومثل هذا الكلام
يوجب جذب القلوب وانصرافها عن العدو وعند هذه الكلمات
اتفقوا على جواب واحد وهو قوله ارجئه قرئ ارجيه وارجه بالهمزة
والتخفيف وهما لغتان يقال ارجاته وارجيته اذا اخرته والمعنى اخره ومناظرته
لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه لان الرجل اذا حبس عن حاجته فقد اخرته
روي انه اراد فرعون قتله ولم يكن يصل اليه فقالوا له لا تفعل فانك
ان قتلته ادخلت على الناس في امره شبهة ولكن ارجيه واخاه الى ان
تحشر السحرة ليقاوموه فلا يثبت له عليك حجة ثم اشاروا عليه بانفاذ حاشرين
يجمعون السحرة ولباسهم بانهم اذا كثروا وغلبوا ولسنوا حاله وعارضوا قوله
ان هذا لساحر عليم بقولهم كل سحار عليم فجاوا بكلمة الاحاطة وقصة
المبالغة ليطيبوا قلبه ويسكنوا بعض قلقه قال صاحب الكشاف فان قلت
قوله تعالى قال للملا حوله ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين
نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف
والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قوله تعالى فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان
كانوا هم الغالبين فلما جا السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا
نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين وفيه مسايل المسئلة
الاولى اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت
الذي وقته موسى عليه الصلاة والسلام من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم
الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اي حدد من مكان
وزمان ومنه مواقيت الاحرام المسئلة الثانية اعلم ان القوم لما اشاروا
بتاخير امره وبان يجمع له السحرة ليظهر عند حضورهم فساد قول موسى
عليه الصلاة والسلام رضي فرعون بما قالوه وعمي عما سواه فحب الشي
يعمي ويصم فجمع السحرة ثم اراد ان تقع المناظرة يوم عيد لهم ليكون ذلك
بمحضر الخلق العظيم وكان موسى عليه افضل الصلاة والسلام يطلب ذلك
بمحضر الخلق العظيم وكان هذا ايضا من لطف الله في ظهور امر موسى عليه الصلاة
والسلام اما قوله وقيل للناس هل انتم مجتمعون فالمراد انهم بعثوا على الحضور
ليشاهدوا ما يكون من الجانبين واما قوله تعالى لعلنا نتبع السحرة فالمراد
انا نرجوا ان يكون الغلب لهم فنتبعهم فلما جا السحرة انبذوا لطلب الخير او لهوا ما
المال واما الجاه فبذل ذلك لهم واكده بقوله وانكم اذا لمن المقربين لان نهاية
مطلوبهم منه البذل ورفع المنزلة فبذل لهم كلي الامرين قوله تعالى قال لهم موسى

تحشر

القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن
الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون فالقي السحرة ساجدين
قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون اعلم انهم لما اجتمعوا كان لا بد من ان
يبدا موسى او يبدوا ثم انهم تواضعوا له فقدموه على انفسهم فقالوا اما ان تلقي
واما ان نكون اول من القى فلما تواضعوا تواضع هو ايضا لهم فقدمهم على نفسه
وقال القوا ما انتم ملقون فان قيل كيف جاز لموسى عليه الصلاة والسلام
ان يامر السحرة بالقا الحبال والعصي وذلك سحر وتلبيس وكفر والامر بمثله
لا يجوز الجواب لا شبهة في ان ذلك ليس بالامر لان مراد موسى عليه الصلاة
والسلام كان منهم ان يومنوا ولا يقدمون على ما يجري مجرى المغالبة
اذا ثبت هذا وجب تاويل صيغة الامر وفيه وجوه احدها ان ذلك الامر
كان مشروطا والتقدير القوا ما انتم عليه ملقون ان كنتم محقين
كما في قوله فاتوا بسورة من مثله ان كنتم صادقين وثانيها لما تعين ذلك
طريقا الى كشف الشبهة صار جايزا وثالثها ان هذا ليس بامر بل هو تهديد
اي ان فعلتم ذلك اتينا بما يبطله كقول القايل لين رميتني لافعلن
واصنعن ثم يفوق له السهم فيقول ارم فيكون ذلك منه تهديد ورابعها
ما ذكروا انهم لما تواضعوا له وقدموه على انفسهم هو قدمهم على نفسه رجا
ان يصير ذلك التواضع سببا لقبول الحق ولقد حمل بتركه التواضع ذلك
المطلوب وهذا تنبيه على انه يجب على المسلم في كل الاحوال التواضع لان
مثل موسى عليه الصلاة والسلام لم يترك التواضع مع اوليك السحرة فبان
يفعله الواحد منا اولى اما قوله فالقوا حبالهم وعصيهم فروي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما انهم لما القوا حبالهم وعصيهم وقد كانت الحبال مطلية
بالزيبق والعصي مجوفة مملوة بالزيبق فلما حميت اشتدت حركتها فصارت
كانها حيات تدب من كل جانب من الارض فهاب موسى عليه الصلاة والسلام
ذلك فقيل له الق ما في يمينك فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ثم فتحت
فاها فابتلعت كل رموه من حبالهم وعصيهم ثم اخذ موسى عصاه فاذا هي كما
كانت فلما رات السحرة ذلك قالت لفرعون كنا نساحر الناس فاذا لقيناهم
الحبال والعصي وكذلك ان غلبونا ولكن هذا حق فسجدوا وامنوا برب
العالمين واعلم ان في الاثر اختلافا فمنهم من كثر الحبال والعصي ومنهم من
توسط والله اعلم بعدد ذلك والذي يدل القران عليه انها كثيرة من حيث
حشروا من كل بلد ولان الامر بلغ عند فرعون وقومه في العظم مبلغا يبعد
ان يدخر عنه ما يمكن من جمع السحرة اما قوله وقوله بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
انا لنحن الغالبون فالمراد انهم اظهروا ما يجري مجرى القطع على انهم يغلبون
وكان ذلك كان مما اراد ظهر كان اقوى لامر موسى عليه الصلاة والسلام اما

قوله فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون فالمراد من قوله ما يافكون
ما يقلبونه عن وجهه وحقيقة سحرهم وكيدهم فيحلون حبالهم وعصيهم انها
حيات تسعى سمي تلك الاشيا افكا مبالغة اما قوله فالقى السحرة ساجدين
فالمراد خروا سجدا لانهم كانوا في الطبقة من علم السحرة فلا جرم كانوا عالمين
بمنتهى السحر فلما راوا ذلك ما شاهدوا خارجا عن حد السحر علموا انه ليس بسحر
وما كان ذلك الا بكثرة تحقيقهم في علم السحر ثم انهم عند ذلك لم يتمالكوا
ان يرموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم خروا وطرحوا طارحين فان قيل
فاعل الالقا ما هو كو صرح به جوابه هو انه تعالى بما جعل في قلوبهم من الدواعي
الجازمة الخالية عن المعارضات ولكن ان يقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا
وسقطوا واما قوله رب موسى وهرون فهو عطف بيان لرب العالمين
لان فرعون ما كان يدعي الوهيته فاراد اعزله ومعنى اضافته اليهما
في ذلك المقام انه الذي دعى موسى وهرون اليه قوله عز وجل قال امنتم
له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا
الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المومنين
اعلم انه لما امنوا باجمعهم لم يامن فرعون ان يقول ان هولا السحرة
على ادبهم ونصرتهم لم يومنوا الا عن معرفة بصحة امر موسى عليه الصلاة
والسلام من وجوه اولها قوله امنتم له قبل ان اذن لكم وفيه ايهام الى ان
مسارعتكم الى الايمان به دالة على انكم كنتم مايلين اليه وذلك بطرق التهمة
اليهم فلعلهم قصروا في السحر حبالة وثانيها انه لكبيركم الذي علمكم السحر
وهذا تصريح بما امر اولا وغرضه منه انهم فعلوا ذلك عن مواطاة بينهم
وبين موسى وقصروا في السحر ليظهر امر موسى عليه الصلاة والسلام
وهذه شبهة قوية في تنفير من نقل نظره وثالثها قوله فلسوف تعلمون
وهو وعيد مطلق وتهديد شديد ورابعها قوله لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم اجمعين وهذا هو الوعيد المفصل وقطع اليد والرجل
من خلاف هو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى والصلب معلوم وليس في
الاهلاك اقوى من ذلك وليس ذلك اذا وقع لم يضروا انما عنوا بالاضافة
الى ما عرفوه من الجزا واعلم ان قولهم انا الى ربنا منقلبون فيه نكتة
شريفة وهي انهم قد بلغوا في حب الله انهم ما ارادوا شيا سوى الوصول الى
حضرته وانهم ما امنوا رغبة في ثواب او رهبة من عقاب وانما مقصودهم
محض الوصول الى مرضاته والاستغراق في انوار معرفته وهذا على درجات
الصديقين الجواب الثاني قوله انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا فهو اشارة
منهم الى الكفر والسحر وغيرهما والطمع في هذا الموضع يحتمل اليقين كقول

ابراهيم والذي اطمع ويحتمل الظن لان المرء لا يعلم ما من بعد اما قوله ان
كنا اول المومنين والمراد لان كنا اول المومنين من الجماعة الذين حضروا ذلك
الموقف او يكون المراد من السحرة خاصة او من رعية فرعون او من اهل زمانهم
وقرئ ان كنا بالكسر وهو الشرط الذي يجي به المبدل ونظيره
قوله تعالى واوحينا الى موسى ان اسر
بعبادي انكم متبعون فارسل فرعون في المداين حاشرين ان هولا لشرذمة
قليلون وانهم لنا لغايظون وانا لجميع حذرون فاخرجناهم من جنات
وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرايل فاتبعوهم
مشرقين فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي
ربي سيهدين قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها وسر لما ظهر امر موسى عليه
الصلاة والسلام بما شاهدوه من الاية امر الله تعالى بان يخرج بني
اسرايل لما كان في المعلوم من تدبير الله في موسى عليه افضل الصلاة
والسلام وتخليصه من القوم وتمليكه بلادهم واموالهم ولم يامن وقد جرت تلك
الغلبة الظاهرة ان يقع من فرعون ببني اسرايل ما يودي الى الاستيصال
ولذلك امره الله تعالى ان يسري ببني اسرايل وهم الذين امنوا وكانوا من
قوم موسى عليه الصلاة والسلام ولا شبهة في ان الكلام حذفا وهو انه
اسري بهم كما امره الله تعالى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه
الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم وحللهم ثم خرجوا بتلك الاموال الى جانب
البحر فلما سمع فرعون بذلك ارسل فرعون في المداين حاشرين ثم انه قوى
نفسه ونفس قومه بان وصف قوم موسى بوصف من اوصاف الذم ووصف
قوم نفسه بصفة المدح اما وصف قوم موسى عليه افضل الصلاة والسلام
فالصفة الاولى قوله ان هولا لشرذمة قليلون والشرذمة الطايفة
القليلة ومنها قولهم ثوب شرذم للذي يلوى وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم
الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل ضرب
منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو القلة ويجوز ان يريد بالقلة
الذلة لا قل العدد والمعنى انهم لقلتهم لا نبالي بهم ولا نتوقع غلبتهم وعلوهم
ثم اختلف المفسرون في عدد تلك الشرذمة فقال ابن عباس كانوا ستماية
الف مقاتل لا ثبات فيهم دون عشرين سنة ولا شيخ يوفي على الستين دون
الخمسين وفرعون يقللهم لكثرة ما معه وهذا الوصف قد يستعمل في الكثير
عند الاضافة الى ما هو اكثر منه وروي ان فرعون خرج على حصان ادهم
وفي عسكره على لون فرسه ثمان ماية الف الصفة الثانية قوله وانهم لنا
لغايظون يعني يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا واختلفوا في تلك
الافعال على وجوه احدها على ما تقدم من امر الحلي وغيره وثانيها خروج بني

اسرايل عن عيون فرعون واستقلالهم بانفسهم وثالثها مخالفتهم بهم في الدين
وخروجهم عليهم ورابعها ليس الا انهم لم يتخذوا فرعون الها اما الذي وصف
فرعون به قومه فهو قوله وانا لجميع حذرون وفيه ثلاث قراات حذرون
وحاذرون وحادرون بالدال المعجمة واعلم ان الصفة اذا كانت جارية على
الفعل وهي اسم الفاعل واسم الفعل كالضارب والمضروب افادت الحدوث
واذا لم يكن كذلك وهي المشبهة افادت الثبوت فمن قرا حذرون
ذهب الى انا قوم من عادتنا الحذر واستعمال الحزم ومن قرا حاذرون بالحاء
ذهب الى معنى انا قوم ما عهدنا ان نحذر الا في عصرنا هذا واما من قرا حادرون
بالدال المهملة فكانه ذهب الى نفي الحذر اصلا ان الحادر هو الشاكي فاراد
انا اقويا قوم اقويا اشدا واراد انا مدججون في السلاح والغرض من هذه
المقادير ان لا يتوهم اهل المداين انه مدر من قوم موسى عليه الصلاة والسلام
او خايف منهم اما قوله فاخرجناهم فالمراد انا خلقنا في قلوبهم داعية الخروج
فاسلت الداعية الفعل وكان الفعل مضافا الى الله تعالى لا محالة واما قوله
من جنات وعيون وكنوز قال مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوها في طاعة
الله والمقام الكريم يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية او المعنى انا
اخرجناهم من بساتينهم التي فيها عيون الما وكنوز الذهب والفضة والمواضع
التي كانها يتنعمون فيها لنسلمها الى بني اسرايل اما قوله كذلك فيحتمل
ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا
والجر على انه وصف لمقام اي لمقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم
والرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك اما قوله فاتبعوهم اي
فلحقوهم وقوله فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت
الشمس تشرق اذا طلعت اما قوله تعالى فلما تراءى الجمعان راى بعضهم بعضا
فقال اصحاب موسى انا لمدركون اي ملحقون وقالوا يا موسى اوذينا من
قبل ان تاتينا كانوا يذبحون ابناءنا ومن بعد ما جيتنا يدركوننا اي في هذه
الساعة فيقتلوننا وقرا فلما تراءت انا لمدركون بتشديد الدال وليس
من ادرك الشي اذا تتابع معنى ومنه قوله تعالى بل ادرك علمهم
في الاخرة قال الحسن جهلوا علم الاخرة والمعنى انا لسابقون في الهلاك
على ايديهم حتى لا يبقى منا احد فعند ذلك قال لهم وذلك كالمتبع كما
توهموه ثم قوى نفسهم بامرين احدهما قوله ان معي ربي وهذا دلالة النصرة
والتكفل بالمعونة والثاني قوله سيهدين والهدى هو طريق النجاة والخلاص
واذا دله على طريق نجاته واهلاك اعداه فقد بالغ في النهاية في النصرة
قوله فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق
كالطود العظيم وازلفنا ثم الاخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم

ثم اغرقنا الاخرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم اعلم انه تعالى لما حكى عن موسى عليه الصلاة والسلام قوله
ان معي ربي سيهدين بين تعالى بعده كيف هداه ونجاه واهلك اعداه بذلك
التدبير الجامع لنعم الدين والدنيا فقال فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك
البحر فانفلق ولا شبهة في ان المراد فضرب فانفلق لانه كالمعلوم من الكلام
اولا ولا يجوز ان انفلق من غير ضرب ومع ذلك يامره بالضرب لانه كالعبث
كالعبث ولانه من معجزاته التي ظهرت بالعصا ولان انفلاقه بضربه اعظم
في النعمة عليه واقوى لعلمهم ان ذلك انما حصل لمكان موسى عليه الصلاة
والسلام لما انتهى الى البحر مع بني اسرايل امرهم بخوض البحر فامتنعوا الا
يوشع بن نون فانه ضرب دابته وخاض في البحر حتى عبر ثم رجع اليهم
فابوا ان يخوضوا فقال موسى للبحر تفرق لي فقال ما امرت بذلك ولا يعبر
على المياه فقال يا موسى يا رب قد ابى البحر ان يتفرق فقيل له اضرب بعصاك
البحر فضربه فانفرق فكان كل فرق كالطود العظيم اي كالجبل العظيم وصار
فيه اثنا عشر طريقا فكل سبط منهم طريق فقال كل سبط منهم قتل اصحابنا
فعنده دعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه فجعله قناطر هيئة الطيقان
حتى نظر بعضهم الى بعض على ارض يابسة وعن عطا بن السايب ان جبريل
كان بين بني اسرايل وبين ال فرعون وكان يقول لبني اسرايل ليلحق
اخركم باولكم ويستقبل القبط يقول رويدكم يلحق اخركم وروي ان موسى
عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك يا من قبل كل شي والمكون لكل شي
والكاين بعد كل شي فاما قوله فكان كل فرق كالطود العظيم فالفرق الجسر
المتفرق منه وقرى كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل المتطاول في السما
اي المرتفع وهذا معجز من وجوه احدها ان يفرق ذلك الما معجز وثانيها ان
اجتماع ذلك الما فوق كل طرف منه حتى صار كالجبل من المعجزات ايضا لانه
كان لا يمتنع في الما الذي ازيل بذلك التفرق ان يبدده الله تعالى حتى
يصير كانه هي فلما جمع على الطرفين صار موكدا لهذا الاعجاز وثالثها ان
ثبت كما روي في الخبر انه تعالى ارسل على فرعون وقومه من الرياح
والظلمة من اخبر فاجتنبوا القدر الذي يتكامل عقول بني اسرايل فهو
معجز ثالث ورابعها ان جعل الله تعالى في تلك الجدران المايية كوى
ينظر منها بعضهم الى بعض فهو معجز رابع وخامسها ان هي الله تعالى تلك
المشاكل حتى قرب منها فطمعوا من ان يخلصوا من البحر كما خلص موسى عليه
افضل الصلاة والسلام فهو معجز خامس اما قوله تعالى وازلفنا ثم
الاخرين ففيه بحثان الاول قال ابن عباس وابن جريج وقتادة والسدي
وازلفنا اي وقربنا ثم اي انفلق البحر الاخرين قوم نوح ثم فيه ثلاثة اوجه

احدها قربناهم من بني اسرايل وثانيها قربنا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجوا
منهم احد وثالثها قدمناهم الى البحر ومن الناس من قال ازلفنا اي حبسنا فرعون
وقومه عند طلبهم موسى عليه افضل الصلاة والسلام بان اظلمنا عليهم الدنيا
بسحابة وقفت عليهم فوقفوا حيارى وقرا وازلفنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم
والمعنى اذهبنا بحرهم ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف فاجعل
لبني اسرايل سا وزلفهم فيه البحث الثاني انه تعالى اضاف ذلك الازلاف
الى نفسه مع ان اجتماعهم هناك في طلب موسى كفر اجاب الجبائي عنه من وجهين
الاول انما فعلوا ذلك بامر الله تعالى فلما كان مسيرهم بتدبيره وهولاء
منعوا ذلك اضافه الى نفسه توسعا وهذا لما تعب احدنا في طلب غلام
له فيجوز ان يقول انسى الغلام لما حدث ذلك عند فعله الثاني قيل في
وازلفناهم اي ازلفناهم الى الموت ولاجل انهم في ذلك الوقت قربوا من اجلهم
وانشد وكل يوم مضى او ليلة سلفت فيها النفوس الى الاجال تقترب
واجاب الكعبي عنه من وجهين الاول انه لما حكى عنهم وترك البحر لهم يابسا
وطمعوا في عبورهم جازت الاضافة كالرجل يسفه عليه الرجل صاحبه مرارا
فيحلم عنه هو اذا تمادى في غيه واراد قدرته عليه قال له انا احوجتك الى
هذا وصيرتك اليه على انه لا يريد بذلك انه اراد ما فعل الثاني يحتمل انه ازلفهم
اي جمعهم لغرقهم ولكي لا يصلوا الى موسى عليه الصلاة والسلام وقومه والجواب
عن الاول ان الذي فعله بنوا اسرايل هل له اثر في استجلاب داعية قوم
ال فرعون الى الذهاب خلفهم او ليس له اثر فيه فان كان الاول فقد حصل
المقصود لان لفعل الله تعالى اثر في حصول الداعية المستلزمة لذلك
الازدلاف وان لم يكن له اثر فيه البتة فقد زال التعلق فوجب ان لا يحسن
الاضافة فاما تعب احدنا في طلب غلام له فانما يجوز ان يقول اتعبني هذا
الغلام كما ان فعل ذلك الغلام صار كالموثر في حصول ذلك التعب لانه من فعل
ذلك الفعل فالظاهر انه يصير مقاوما للسيد ومتى علمه صار علمه داعيا
له الى ذلك الطلب وموثرا فيه فصحت الاضافة وبالجملة فعندنا القادر
لا يمكنه الفعل الى الداعي فالداعي موثر في صيرورة القادر موثرا في ذلك ولا جرم
حسنت الاضافة والجواب عن الثاني وهو انه ازلفهم ليغرقهم فهو انه تعالى
ما ازلفهم بل هم بانفسهم ازلفوا ثم حصل الغرق بعده فكيف يجوز اضافة هذا
الازدلاف الى الله اما على قولنا فانه جايز لانه تعالى هو الذي خلق الداعية
ام لا والتقرير كما تقدم والجواب عن الثالث وهو انه تعالى حملهم على ذلك
فنقول ذلك الحلم هل له اثر في استجلاب هذه الداعية ام لا والتقدير كما تقدم
والجواب عن الرابع هو بعينه الجواب عن الثاني اما قوله تعالى وانجينا موسى ومن
معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين فالمعنى انه تعالى جعل البحر يبسا في حق موسى

وقومه حتى خرجوا عنه واغرق فرعون ومن معه لانه لما تكامل دخولهم البحر
انطلق الماء عليهم فغرقوا في ذلك الماء اما قوله ان في ذلك لاية فالمعنى ان
الذي حدث في البحر اية عجيبة من الايات العظام الدالة على قدرته لان احدا
من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمه من حيث وقع ما كان مصلحة في الدين والدنيا
وعلى صدق موسى عليه الصلاة والسلام من حيث كان معجزة له وعلى اعتبار
المعتبرين ابدا فيصير تحديدا من الاقدام على مخالفة امر الله وامر رسوله
ويكون فيه اعتبار لموسى لمحمد عليه الصلاة والسلام فانه قال عقيب ذلك
وما كان اكثرهم مومنين وفي ذلك تسلية بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات
عليه فنبهه الله تعالى بهذا الذكر على ان له اسوة بموسى وغيره فان الذي
ظهر على موسى عليه افضل الصلاة والسلام من هذه المعجزات العظام التي
تبهر العقول لم يمنع من ان اكثرهم كذبوه وكفروا به مع مشاهدتهم لما شاهدوه
في البحر وغيره فكذلك انت يا محمد لا تعجب من تكذيب اكثرهم لك واصبر فعليهم
يصلحوا ويكون في هذا الصبر تاكيد الحجة عليهم واما قوله وان ربك لهو
العزيز الرحيم فتعلقه بما قبله ان القوم على مشاهدة هذه الايات الباهرة
كفروا ثم انه تعالى كان عزيزا قادرا على ان يهلكهم ثم انه تعالى ما اهلكهم
بل اسبغ عليهم اصناف رحمته فدل على كمال رحمته وسعة جوده وفضله القصة
الثانية قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام قوله تعالى واتل عليهم نبا ابراهيم
اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين
قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا
كذلك يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين اعلم ان الله تعالى ذكر في اول السورة شدة
حزن محمد عليه الصلاة والسلام بسبب كفر قومه ثم انه ذكر قصة موسى
عليه الصلاة والسلام ليعرف محمد ان مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى
عليه الصلاة والسلام ثم ذكر عقيبها قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
ليعرف محمد ان حزن ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا السبب كان اشد
من حزنه لان من عظيم المحنة على ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان يراباه
وقومه كانهما في النار وهو لا يتمكن من انقاذهما الا بقدر الدعا والسنة فقال
ما تعبدون وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يعلم انهم عبدوا اصناما
ولكنه سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شي كما يقول
للتاجر ما مالك وانت تعلم ماله الرقيق ثم يقول الرقيق جمال وليس بمال
فاجابوا ابراهيم بقولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين والعكوف الاقامة على
الشي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل واعلم انه كان
يكفيهم في الجواب ان يقولوا نعبد اصناما ولكنهم ضموا اليه زيادة على الجواب

وهي قولهم فنظل لها عاكفين وانما ذكر هذه الزيادة اظهارا لما في نفوسهم
من الابتهاج والافتخار بعبادة الاصنام فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام
منبها على فساد مذهبهم هل يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل
يسمعون دعاكم وقرا قتادة يسمعونكم اي هل يسمعون الجواب عن دعايكم
وهل تقدرون على ذلك وتقرير هذه الحجة التي ذكرها ابراهيم عليه
الصلاة والسلام ان الغالب من حال من يعبد غيره ان يلتجي اليه في المسيلة
ان يعرف مراده الا سمع دعاه ثم يستجيب له في بذله منفعة ودفع مضرة
فقال لهم فاذا كان من تعبدونه لا يسمع دعاوكم حتى يعرف مقصودكم
ولو عرف ذلك لما صح ان يبذل النفع او يدفع الضرر كيف يستحيون ان
تعبدوا ما هذا وصفه فعند هذه الحجة القاهرة لم يجد ابوه وقومه ما
يدفعون به هذه الحجة فعدلوا الى ان قالوا وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون وهذا من اقوى الدلايل على فساد التقليد ووجوب التمسك
بالاستدلال اذ لو قلبنا الامر وقدحنا التقليد وذممنا الاستدلال لكان
ذلك مدحا لطريقة الكفار التي ذمها الله وذما لطريقة ابراهيم عليه
الصلاة والسلام التي مدحها الله تعالى فاجابهم ابراهيم عليه الصلاة
والسلام بقوله افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون اراد به
ان الباطل لا يتغير بان يكون قديما او حديثا ولا بان يكون في فاعلية
كثرة او قلة اما قوله فانهم عدو لي الا رب العالمين ففيه اسيلة السوال
الاول كيف يكون الصنم عدوا مع انه جماد جوابه من وجوه احدها انه تعالى
قال في سورة مريم في صفة الاوثان كلا سيكفرون بعبادتهم فقيل في تفسيره
ان الله يحيي ما عبدوه من الاصنام حتى يمنع منهم التوبيخ لهم والبراة منهم
فعلى هذا الوجه ان الاصنام ستعود اعداء هولاء الكفار في الاخرة فاطلق
ابراهيم عليه الصلاة والسلام لفظ العداوة عليهم على هذا التاويل
وثانيها ان الكفار لما عبدوها وعظموها ورجعوا اليها في طلب النفع ودفع
الضر نزلت منزلة الاحيا العقلا في اعتقاد الكفار ثم انها صارت اسبابا
لانقطاع الانسان عن السعادة ووصوله الى الشقاوة فلما جرت هذه
الاصنام منزلة الاحيا وجرت مجرى الدافع للمنفعة والجالب للمضرة لا جرم
جرت مجرى الاعدا فلا جرم اطلق ابراهيم عليه الصلاة والسلام لفظ العداوة
وثالثها المراد من قوله فانهم عدو لي عداوة من يعبدها وقيل فلم لم يقل ان من
يعبد الاصنام عدو لي ليكون الكلام حقيقة وجوابه لان الذي تقدم
ذكره ما عبدوه دون العابدين السوال الثاني لم قال فانهم عدو لي
ولم يقل فانها عدو لكم جوابه انه عليه الصلاة والسلام صور المسيلة في نفسه
على معنى اني فكرت انا في امري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها

سورة

فانباهم انها نصيحة نصح بها نفسه فاذا تفكروا قالوا ما نصحنا ابراهيم الا
بما نصح به نفسه فيكون ذلك ادعى الى القبول السوال الثالث لم لم يقل
فانهم اعدا الى جواب العدو والصديق جمع وكانوا صديقا في معنى الواحد
والجماعة قال وقوم على ذوي ميرة ابراهم عدوا وكانوا صديقا ومنه
قوله تعالى وهم لكم عدو وتحقيق القول فيه ما تقدم في قوله انا رسولا ربك
السوال الرابع ما هذا الاستثنا جوابه انه استثنا منقطع كانه قال
لكن رب العالمين قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني
ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين اعلم انه تعالى لما حكى عنه انه استثنى رب
العالمين حكى عنه ايضا ما وصفه به مما يستحق العبادة لاجله ثم حكى عنه
ما ساله منه اما الاوصاف فاربعة اولها قوله الذي خلقني فهو يهدين واعلم
ان الخلق والهداية بهما يحصل جميع المنافع لكل من يصح الانتفاع عليه فلكل
في الانسان فنقول انه مخلوق من قال هو من عالم الخلق والجسمانيات
ومن قال هو من عالم الامر والروحانيات على ما اخبر عنه سبحانه فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فالتسوية اشارة الى تعديل المزاج وتركيب الامشاج
ونفخ الروح اشارة الى اللطيفة الربانية التي هي من علل الامور وايضا قال
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ولما تمم مراتب تغيرات الاجسام
قال ثم انشاناه خلقا اخر وذلك اشارة الى الروح الذي هو من عالم الملايكة
ولا شك ان الهداية لا تحصل من الروح فقد ظهر بهذه الايات ان الخلق
مقدم على الهداية واما الحقيقة بحسب المباحث الحقيقية فاعلم ان بدن
الانسان انما يتولد عند امتزاج المني بدم الطمث وهما انما يتولدان من
الاغذية المتولدة من تركيب العناصر الاربعة وتفاعلها فاذا امتزج
المني بالدم ولا يزال فيهما من الحار والبارد والرطب واليابس متفاعلة
وما في كل واحد منها من القوى كاسر سورة كيفية الاخرى فحينئذ يحصل
من تفاعلها كيفية متوسطة تسخن بالقياس الى البارد وتبرد بالقياس
الى الحار وكذا القول في الرطب واليابس وحينئذ يحصل استعداد للقبول
قوى تدبره لذلك المركب بعضها قوى باسه وهي التي تجذب الغذا ثم تمسكها
ثم تهضمها ثم ترفع الفضلة الموذية ثم تقيم تلك الاجزا بدل ما تحلل
منها ثم تزيد في جوهر الاعضا طولا وعرضا ثم تفضل عن تلك المواد فضلة
يمكن ان يتولد منها مثل ذلك الشخص ومنها قوى حيوانية بعضها مدركة
على الحواس الخمسة والخيال والحفظ والذكر وبعضها فاعلة امره كالشهوة
والغضب او مباشرة كالقوى المركوزة في العضلات ومنها قوى انسانية
وهي اما مدركة او عالمة والقوة المدركة هي القوة القوية على ادراك خالق

الاشيا الروحانية والجسمانية والعلوية والسفلية ثم انك اذا نسبت
عن كل واحد من مركبات هذا العالم الجسماني ومفرداتها وجدت لها اشيا
تلايمها وتكمل حالها واشيا تنافرها وتفسد حالها ووجدت فيها قوى
جذابة للملايم دفاعة للمنافي فقد ظهر ان صلاح الحال في هذه الاشيا
لا تتم الا بالخلق والهداية اما الخلق فليصير موجودا بعد ان كان معدوما
واما الهداية فبتلك القوى الجذابة للنافع الدفاعة للمضار فثبت
ان قوله الذي خلقني فهو يهدين كلمة حاوية لجميع المنافع في الدنيا
والدين ثم هاهنا دقيقة وهي انه قال خلقني فذكره بلفظ الماضي وقال
فهو يهدين ذكره بلفظ المستقبل والسبب في ذلك ان خلق الذات لا يتجدد
في الدنيا بل لما وقع نفي الابد المعلوم اما هدايته تعالى فهي مما تكرر كل
حين واوان سوا كان ذلك هداية في المنافع الدنياوية وذلك بان
يحكم الحواس بتميز المنافع عن المضار او في المنافع الدينية وذلك بان
يحكم العقل بتميز الحق عن الباطل والخير عن الشر فبين بذلك انه سبحانه
هو الذي خلقه بساير ما تكامل خلقه في الماضي دفعة واحدة وانه
يهديه الى مصالح الدين والدنيا بغروب الهدايات في كل لحظة وثانيها
قوله والذي هو يطعمني ويسقين وقد دخل فيه كل ما يستقل بمنافع
الرزق وذلك لانه سبحانه اذا اطلق له الطعام وملكه فلم يكن منه ما يتمكن
بمنعه من اكله والاغتذا به نحو الشهوة والقوة والتمييز لم تكمل هذه النعمة
وذكر الطعام والشراب ونبه بذكرهما على ما عداه وثالثها قوله واذا
مرضت فهو يشفين وفيه سوال وهو انه لم قال مرضت ولم يقل مرضني جوابه
من وجوه الاول ان كثيرا من اصحاب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه
ومشاربه وغير ذلك ومن ذلك قالت الحكما لاكثر الموتى ما سبب اجالكم
قالوا التخم الثاني ان المرض انما يحدث باستيلا بعض الاخلاط على بعض
وذلك الاستيلا انما يحصل بسبب ما يليها من التنافر الطبعي اما الصحة فهي
انما تحصل عند بقا الاخلاط على اعتدالها انما تحصل تمام تقهرها على
الاجتماع والاعتدال بعد ان كانت بطباعها مساقة الى التفرق والنزاع
فلهذا السبب اضاف الشفا اليه سبحانه وتعالى واضاف المرض اليه وثالثها
ان الشفا محبوب ومن اصول النعم والمرض مكروه وليس من النعم وكان مقصود
ابراهيم عليه الصلاة والسلام تعديد النعم ولما لم يكن المرض لم يضفه
الى الله تعالى فان نقصه بالاماتة فجوابه ان الموت ليس بضرر لان شرط كونه
ضررا وقوع الاحساس به وحال حصول الموت لا يقع الاحساس به وانما الضرر
في مقدماته وذلك هو عين المرض وايضا فانك قد عرفت ان الارواح اذا
حكمت في العلوم والاخلاق كان بقاوها في هذه الاجساد عين الضرر وخلاصها

عنها عين السعادة بخلاف المرض ورابعها قوله والذي يميتني ثم يحيين والمراد منه
الاماتة في الدنيا والتخلص عن افاتها وعقوبتها والمراد من الاحيا المجازاة
وخامسها قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فهو اشارة الى
ما هو مطلوب كل عاقل من الخلاص عن العذاب والفوز بالثواب واعلم ان
ابراهيم عليه الصلاة والسلام جمع في هذه الالفاظ جميع نعم الله تعالى
من اول الخلق الى اخر الابد في الدار الاخرة ثم هاهنا اسولة السوال الاول
لم قال والذي اطمع والطمع عبارة عن الرجا وانه عليه الصلاة والسلام
كان قاطعا بذلك جوابه ان هذا الكلام لا يستقيم الا على مذهبنا حيث قلنا
لا يجب على الله لاحد شي فانه يحسن منه كل شي ولا اعتراض لاحد عليه في فعله
واجاب الجبائي عنه من وجهين الاول ان قوله والذي اطمع ان يغفر لي اراد به
ساير المومنين لانهم الذين يطمعون ولا يقطعون به والثاني المراد من الطمع
اليقين وهو مروي عن الحسن واجاب صاحب الكشاف بانه انما ذكره على هذا
الوجه تعليما لامته كيفية الدعا واعلم ان هذه الوجوه ضعيفة اما الاول
فان الله تعالى حكى عنه الثنا اولا والثنا والدعا ثانيا ومن اول المدح الى
اخر الدعا كلام ابراهيم عليه الصلاة والسلام فجعل الشي الواحد وهو قوله
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين كلام غيره مما يبطل تعلم الكلام
ويفسده واما الثاني وهو ان الطمع هو اليقين فهذا هو على خلاف اللغة واما
الثالث وهو ان الغرض منه تعليم الامة فباطل ايضا لان حاصله يرجع الى
انه كذب على نفسه لغرض تعليم الامة وهو باطل قطعا السوال الثاني لم
اسند الى نفسه الخطية مع ان الانبيا منزهون عن الخطايا وفي جوابه
وجوه ثلاثة احدها انه محمول على كذب ابراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله
فعله كبيرهم وقوله سارة انها اختي وهو ضعيف لان نسبة الكذب اليه
غير جايز وثانيها انه ذكره على سبيل التواضع وهضم النفس وهذا ضعيف
لانه ان كان صادقا في هذا الموضع فقد لزم الاشكال وان كان كاذبا
فيه فانه حاصل الجواب الى الحاق المعصية به لاجل تنزيهه عن المعصية
وثالثها وهو الصحيح ان يحمل ذلك على ترك الاولى وقد يسمى ذلك خطا
فان من ملك جوهرة امكنه ان يبيعها بالف دينار فباعها بدينار قيل انه
اخطا وترك الاولى على الانبيا جايز السوال الثالث لم علق مغفرة
الخطية بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا جوابه لان اثرها يظهر يوم الدين
وهو الان خفي لا يعلم السوال الرابع ما فايدة لي في قوله يغفر لي خطيئتي جوابه
من وجوه احدها ان الاب اذا عفى عن ولده والسيد عن عبده والزوج عن
زوجته فذاك في اكثر الامر انما يكون طلبا للثواب وبريا عن العقاب
او طلبا لحسن الثنا والمحمدة او دفعا للالم الحاصل من الرقة الجنسية واذا كان

كذلك لم يكن المقصود من ذلك العفو رعاية جانب العفو بل رعاية جانب نفسه
اما لتحصيل ما ينبغي او لدفع ما لا ينبغي اما الله سبحانه فانه كامل لذاته
مستحيل ان يحدث له صفات كمال لم يكن او يزول عنه نقصان كان واذا كان
كذلك لم يكن عفوه الا رعاية لجانب المعفو عنه وقوله والذي اطمع ان يغفر
لي خطيئتي يعني هو الذي اذا غفر كان غفرانه لي ولاجلي لاجل امر عايد اليه
البتة وثانيها كانه قال خلقتني لا لي فانك حين خلقتني ما كنت موجودا
واذا لم اكن موجودا استحال تحصيل شي ثم مع هذا فانت خلقتني اما لو عفوت
كان ذلك العفو لاجلي فلما خلقتني اولا مع اني ما كنت محتاجا الى ذلك الخلق
ولان يغفر لي ويعفو عني حال ما اكون في اشد الحاجة الى العفو والمغفرة كان
اولى وثالثها ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان لاستغراقه في بحر المعرفة
شديد الفرار عن الالتفات الى الوسايط وكذلك لما قال له جبريل الكن
حاجة قال اما اليك فلا فهاهنا قال اطمع ان يغفر لي خطيئتي اي بمجرد عبوديتي
لك واحتياجي اليك تغفر لي خطيئتي يوم الدين لا ان يغفرها لي بواسطة شفاعة
شافع قوله تعالى رب هب لي حكما والحقني بالصالحين واجعل لي لسان
صدق في الاخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من
الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله
بقلب سليم اعلم ان الله تعالى لما حكى عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثناه
على الله سبحانه ذكر بعد ذلك دعاه ومسيلته وذلك ان تقديم الثنا على
الدعا من المهمات وتحقيق الكلام فيه ان هذه الارواح البشرية من
جنس الملايكة عليهم الصلاة والسلام فكلما كان اشتغالها بمعرفة الله
ومحبته والانجذاب الى عالم الارواح اشد كانت مشاكلتها للملايكة
اتم واقوى وكانت اقوى على التصرف في اجسام هذا العالم وكلما كان
اشتغالها بلذات هذا العالم واستغراقها في ظلمات هذه الجسمانيات
اشد كانت مشاكلتها للبهايم اشد فكانت اكثر عجزا وضعفا واقل تاثيرا
في هذا العالم فمن اراد ان يشتغل بالدعا يجب ان يقدم عليه ثنا الله
وذكر عظمته وكبريايه حتى انه بسبب الذكر يصير مستغرقا في معرفة الله
ومحبته ويصير قريب المشاكلة من الملايكة فيحصل له بسبب تلك المشاكلة
قوة الاهية سماوية يصير مبدا لحدوث ذلك الشي الذي هو المطلوب بالدعا
فهذا هو الكشف عن ماهية الدعا وظهر ان يقدم الثنا على الدعا من الواجبات
وظهر به تحقيق قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى من شغله
ذكري عن مسيلتي اعطيه افضل ما اعطي السايلين فان قال قايل فلم
لم يقتصر ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الثنا لا سيما وروي عنه انه قال
حسبي من سوالي علمه بحالي والجواب انه عليه الصلاة والسلام انما ذكر ذلك حين

مشتغلا بدعوة الخلق الى الحق الا ترى انه قال فانهم عدو لي الا رب العالمين لان
الشارع لا بد له من تعليم الشرع واما حسبي فانما ذكره حاكيا عن نفسه ولم يكن
غرضه تعليم الشرع لا جرم اقتصر على قوله حسبي من سوالي علمه بحالي البحث الثاني
في الامور التي طلبها في الدعا وهو المطلوب الاول قوله رب هب لي حكما والحقني
بالصالحين ولقد اجابه الله حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين وفيه مطالب
احدها انه لا يجوز تفسير الحكم بالنبوة لان النبوة كانت حاصلة فلو طلب
النبوة المطلوبة اما عين النبوة الحاصلة او غيرها والاول محال لان تحصيل
الحاصل محال والثاني محال لانه يمتنع ان يكون الشخص الواحد نبيا مرتين بل
المراد من الحكم ما هو كمال القوة النظرية وذلك بادراك الحق ومن قوله والحقني
بالصالحين كمال القوة العملية وذلك بان يكون عاملا بالخير فان كمال الانسان
ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل وانما قدم قوله هب لي حكما على قوله والحقني
بالصالحين كما ان القوة النظرية مقدمة على القوة العملية الشرف وبالذات ايضا
فانه يمكنه ان يعلم الحق وان لم يعمل بالخير وعكسه غير ممكن ولان العلم صفة
الروح والعمل صفة البدن وكما ان الروح اشرف من البدن كان العلم افضل
من الصلاح انما فسرنا معرفة الاشيا بالحكم وذلك لان الانسان لا يعرف
حقايق الاشيا الا اذا استحضر في ذهنه صور الماهيات ثم نسب بعضها
الى بعض بالنفي او بالاثبات وتلك النسبة هي الحكم ثم ان كانت النسب
الذهنية مطابقة للنسب الخارجية كانت النسبة الذهنية ممتنعة
التغير وكانت مستحكمة قوية فمثل هذا الادراك يسمى حكمة وحكما وهو المراد
من قوله عليه الصلاة والسلام ارنا الاشيا كما هي واما الصلاح فهو كون
القوة العاملة متوسطة بين مرتبتي الافراط والتفريط وذلك لان
الافراط في احد الجانبين تفريط في الجانب الاخر وبالعكس فالصلاح لا يحصل
الا باعتدال ولما كان الاعتدال الحقيقي شيا واحدا لا يقبل القسمة البتة
والافكار البشرية في هذا العالم قاصرة عن ادراك امثال هذه الاشيا
لا جرم لا ينفك البشر عن الخروج الى ذلك الحد وان قل الا ان خروج المقربين
عنه يكون في القلة بحيث لا يحس الا به وخروج العصاة عنه يكون متفاحشا
جدا فقد ظهر من هذا تحقيق ما قيل حسنات الابرار سيات المقربين وظهر
احتياج ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى ان يقول والحقني بالصالحين المطلب
الثاني لما ثبت ان المراد من الحكم العلم ثبت انه طلب من الله ان يعطيه العلم
بالله وبصفاته وهذا يدل على ان معرفة الله تعالى لا تحصل في قلب العبد
الا بمعرفة الله تعالى وقوله والحقني بالصالحين يدل على ان كون العبد صالحا
الا بخلق الله تعالى وحمل هذه الاشيا على الالطاف لان عند الخصم كل ما قدره
الله تعالى من الالطاف فقد فعله فلو حرصا الدعا عليه لكان ذلك طلبا لتحصيل

الحاصل وهو فاسد المطلوب الثالث ان الحكم المطلوب في الدعا اما ان يكون هو
العلم بالله او بغيره والثاني باطل لان الانسان حال كونه مستحضرا للعلم
بالشي لا يمكنه ان يكون مستحضرا للعلم بشي اخر فلو كان المطلوب في الدعا العلم
بغير الله شاغل عن الاستغراق فاذن المطلوب بهذا الدعا هو العلم بالله ثم
ذلك العلم اما ان يقول ان يكون هو العلم بالله الذي هو شرط صحة الايمان
او غيره والاول باطل لانه لما اوجب ان يكون حاصلا لكل المؤمنين فكيف
لا يكون حاصلا عند ابراهيم عليه الصلاة والسلام واذا كان حاصلا عنده
امتنع طلب تحصيله فثبت ان المطلوب بهذا الدعا درجات في معرفة الله تعالى
ازيد من هذا العلم بوجوده وبانه ليس بمتحيز ولا حال في المتحيز وبانه عالم
قادر حي وما ذاك الا الوقوف على صفات الجلال والوقوف على حقيقة
الذات او ظهور نور تلك المعرفة في القلب ثم ها هنا احوال لا يعبر عنها المقال
ولا يشرحها الخيال ومن اراد ان يصل اليها فليكن من الواصلين الى العين دون
السامعين للاثر المطلوب الرابع قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين
وفيه ثلاث تاويلات التاويل الاول انه عليه الصلاة والسلام ابتدا
بطلب ما هو الكمال الذاتي للانسان في الدنيا والاخرة وهو طلب الحكم الذي هو
العلم ثم طلب بعده كمالات الدنيا وبعد ذلك طلب كمالات الاخرة واما كمالات
الدنيا فبعضها داخلية وبعضها خارجية اما الداخلية فهي الخلق الظاهر
والخلق الباطن والخلق الظاهر اشد جسمانية والخلق الباطن اشد روحانية
فترك ابراهيم عليه الصلاة والسلام الامر الجسماني وهو الخلق الظاهر وطلب الامر
الروحاني وهو الخلق الباطن وهو المراد بقوله والحقني بالصالحين اما الخارجية
فهي المال والجاه والمال اشد جسمانية والجاه اشد روحانية فترك ابراهيم عليه
عليه الصلاة والسلام الامر الجسماني وهو المال وطلب الامر الروحاني
وهو الجاه والذكر الجميل الباقي على وجه الدهر والمراد بقوله واجعل لي لسان
صدق في الاخرين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقد اعطاه الله ذلك
لقوله وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابراهيم فان قيل واي غرض له بان
يثني عليه ويمدح جوابه من وجهين الاول وهو على لسان الحكمة ان الارواح
البشرية انها مؤثرة في الجملة الا ان بعضها قد يكون ضعيفا فيعجز عن التاثير
فاذا اجتمعت طايفة منها فربما قوي مجموعها على ما عجزه الاحاد عنه وهو المعنى
مشاهدة في المؤثرات الجسمانية اذا ثبت هذا فالانسان الواحد اذا كان
يثني عليه الجمع العظيم ويمدحونه فربما صار انصراف هممهم عند الاجتماع اليه شيا
لحصول زيادة كمال له الثاني وهو على لسان الكمال ان من صار ممدوحا فيما بين
الناس بسبب ما عنده من الفضايل فانه يصير ذلك المدح وتلك الشهرة داعية
للمدح الى انكشاف مثل تلك الفضايل التاويل الثاني انه سال ربه ان يجعل من

ذريته في اخر الزمان من يكون داعيا الى الله وهو محمد عليه السلام فالمراد من قوله واجعل
لي لسان صدق في الاخرين هو بعثة محمد عليه السلام والثالث قال بعضهم المراد اتفاق
اهل الاديان على حبه ثم انه تعالى اعطاه ذلك لانك لا ترى اهل دين الا ويتولون ابراهيم
عليه السلام وقدح بعضهم فيه لان لا تقوا الرغبة فيه في مدح الكافر وجوابه
انه ليس المقصود مدح الكافر من حيث انه كافر بل المقصود ان يكون ممدوح كل انسان
ومحبوب كل قلب المطلوب الثالث قوله واجعلني من ورثة جنة النعيم واعلم انه لما طلب
سعادة الدنيا طلب بعدها سعادة الاخرة وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث لانه الذي
يغتنم في الدنيا فشبه غنيمة الاخرة بغنيمة الدنيا المطلوب الرابع قوله واغفر لابي
انه كان من الضالين واعلم انه لما فرغ من طلب السعادات الدنيوية والاخروية
لنفسه طلبها لاشد الناس التصاقا به وهو ابوه فقال واغفر لابي ثم فيه وجهان
الاول ان المغفرة مشروطة بالاسلام وطلب المشروط متضمن لطلب الشرط وقوله
واغفر لابي يرجع حاصله الى انه دعا لابيه بالاسلام الثاني ان اباه وعده الاسلام
كما قال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فدعا له بهذا
الشرط ولا يمتنع الدعا للكافر على هذا الشرط فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه وهذا
ضعيف لان الدعا بهذا الشرط جايز للكافر فلو كان دعاوه مشروطا لما منعه الله
تعالى عنه الثالث ان اباه قال له انه على دينه باطنا وعلى دين نمرود ظاهرا تقية
وخوفا فدعا له لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرا منه ولذلك
قال في دعايه انه كان من الضالين فلولا اعتقاده فيه انه في الحال ليس بضال لما قال
ذلك المطلوب الخامس قوله ولا تخزني يوم يبعثون قال صاحب الكشاف الاخزا من
الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهي الحيا وها هنا ابحاث البحث الاول ان قوله
ولا تخزني يدل على انه لا يجب على الله شي على ما بيناه في قوله والذي اطمع ان
يغفر لي خطيئتي والثاني ان لقايل ان يقول لم قال اولا واجعلني من ورثة جنة
النعيم ومتى حصلت الجنة امتنع حصول الخزي فكيف قال بعده ولا تخزني
يوم يبعثون وايضا فقد قال تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين فما كان
نصيب الكفار فقط فكيف يخافه المعصوم جوابه كما ان حسنات الابرار سيئات المقربين
فكذا درجات الابرار دركات المقربين وخزي كل امرئ بما يليق به والثالث قال
صاحب الكشاف في يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين اما قوله
الا من اتى الله بقلب سليم فاعلم انه تعالى اكرمه بهذا الوصف حيث قال وان
من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ثم في هذا الاستثنا وجوه احدها
انه اذا قيل لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنونه سلامة قلبه تريد
نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك فكذا في هذه
الاية وثانيها ان يحمل الكلام على المعنى ويجعل المال والبنون في معنى الغنى كانه
قال لا يوم لا ينفع غنا الا غنا من اتى الله بقلب سليم اي غنى الرجل في دينه

قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه وثالثها ان يجعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال
ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله بحيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم
الى الدين ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين اما السليم
ففيه ثلاثة اوجه الاول وهو الاصح ان المراد منه سلامة القلب عن الجهل والا
خلاق الرذيلة وذلك لانه كما ان صحة البدن وسلامته عبارة عن حصول
ما ينبغي من المزاج والتركيب والاتصال ومرضه عبارة عن زوال احد تلك الامور
التي تنبغي له فكذا سلامة القلب عبارة عن حصول ما ينبغي له وهو العلم والخلق
الفاضل ومرضه عبارة عن زوال احدهما فقوله الا من اتى الله بقلب سليم اي
يكون خاليا عن العقايد الفاسدة والميل الى الشهوات الدنيوية ولذاتها
فان قيل فظاهر هذه الاية يقتضي ان من سلم قلبه يكون ناجيا وانه لا حاجة
الى سلامة اللسان واليد فجوابه ان القلب مؤثر واللسان والجوارح تبع فلو
كان القلب سليما لكانا سليمين لا محالة وحيث لم يسلما ثبت عدم سلامة
القلب التاويل الثاني ان السليم من خشية الله التاويل الثالث
ان السليم هو الذي سلم وسلم واسلم وسالم واستسلم قوله تعالى
وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من
دون الله هل ينصركم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود
ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم
برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو
ان لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم اعلم ان ابراهيم عليه السلام ذكر في وصف
هذا اليوم امورا احدها قوله وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم
للغاوين والمعنى ان الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها
ويعرفون انهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء
للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى في صفة
اهل الثواب وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال في صفة اهل العقاب
فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وانما يفعل الله تعالى ذلك ليكون
سرورا معجلا للمؤمنين وغما عظيما للكافرين وثانيها قوله وقيل لهم اينما كنتم
تعبدون من دون الله الى قوله وجنود ابليس والمعنى اين الهتكم هل ينفعونكم
بنصرهم لكم او ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم والهتهم وقود النار وهو
قوله فكبكبوا فيها هم والغاوون اي الالهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت
لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في
المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها وجنود
ابليس متبعوه من عصاة الانس والجن وثالثها قوله قالوا وهم فيها يختصمون

تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين واعلم ان ظاهر ذلك ان
من عبد خاصم المعبود وحاصله بهذا الكلام فليس حال يخلد حال الاصنام من و
جهين اما ان يخلقها الله تعالى في الاخرة جمادا فيعذب الله بها اهل النار فحينئذ
لا يصح ان تخاطب ويجب حمل قولهم اذ نسويكم برب العالمين على انه ليس بخطاب
لهم او يقال انه تعالى يحييها في النار وذلك ايضا غير جايز لانه لا ذنب لها
بان عبدها غيرها والاقرب انهم ذكروا ذلك لما راوا صورها على وجه
الاعتراف بالخطا العظيم وعلى وجه الندامة لا على سبيل المخاطبة والذي يحمل
على انه خطاب في الحقيقة قولهم وما اضلنا الا المجرمون وارادوا بذلك
من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وهو كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا
وكبرانا فاضلونا السبيلا فاما قولهم فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعا
من الملائكة والنبيين ولا صديق كما نراهم اصدقا لانه لا يتصادق في الاخرة
الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم التعادي والبغضا والتباغض قال تعالى
الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم من الذين كنا نعدهم شفعا واصدقا لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم
شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقا من شياطين الانس او ارادوا انهم وقعوا
في مهلكة علموا ان الاصدقا والشفعا لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا
بنفعهم يعني ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع فحكمه حكم المعدوم والحميم من
الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة
وهو الصديق الخاص وانما جمع الشفعا ووحد الصديق لكثرة الشفعا في العا
وقلة الصديق فان الرجل الممتحن بارهاق ظالم قد تنهض جماعة وافرة من اهل
بلده لشفاعته رحمة له واما الصديق وهو الصادق في ودادك فاعز من بيض
الانوق ويجوز ان يريد بالصديق الجمع ثم حكى تعالى عنهم قولهم فلو ان لنا كرة
فنكون من المؤمنين ثم انهم تمنوا الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في
معنى التمني فكانه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التاني
في التقدير ويجوز ان تكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت
قال الجبائي ان قولهم فنكون من المؤمنين ليس بخبر عن ايمانهم لكنه خبر عن عزمهم
لانه لو كان خبرا عن ايمانهم لوجب ان يكون صدقا لان الكذب لا يقع من اهل
الاخرة وقد اخبر الله تعالى بخلاف ذلك في قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وقد تقدم في سورة الانعام بيان فساد هذا الكلام ثم بين سبحانه ان فيما
ذكره من قصة ابراهيم عليه السلام دلالة لمن يريد ان يستدل بذلك ثم
قال وما كان اكثرهم مؤمنين والاكثر من المفسرين حملوه على قوم ابراهيم بين تعالى
ان كل هذه الدلايل فاكثر قومه لا يؤمنوا به فيكون هذا تسلية للرسول
صلى الله عليه وسلم فيما يجده من تكذيب قومه فاما قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم

فمعناه انه قادر على تعجيل الانتقام لكنه رحيم يلاحمال لكي ان يرجعوا

القصة الثالثة قصة نوح عليه السلام

قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمى بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اعلم انه تعالى لما اقتص على محمد عليه السلام خبر موسى وابراهيم عليهما السلام تسلية فيما يلقاه من قومه اقتص عليه ايضا نبأ نوح عليه السلام فقد كان نبأه اعظم من نبأ غيره لانه كان يدعوهم الى نيف الاحتين عاما ومع ذلك كذبه قومه فقال تعالى كذبت قوم نوح واما قال كذبت لان القوم مرتبة وتصغيرها قويعة واما حكى عنهم انهم كذبوا المرسلين لوجهين احدهما انهم وان كذبوا نوحا عليه السلام لكن تكذيبه فى المعنى يتضمن تكذيب غيره لان طريقة معرفة الرسل لا تختلف من حيث المعنى حكى عنهم انهم كذبوا المرسلين وثانيهما ان قوم نوح كذبوا جميع المرسلين اما الائمة فلان الزنادقة واما من المسلمة واما قوله اخوهم فلانه كان منهم من قول العرب يا اخا بنى تميم يريدون يا واحدا منهم ثم انه سبحانه وتعالى حكى عن نوح عليه السلام انه اولا خوفهم وثانيا نبههم انه وصف نفسه اما التخويف فهو قوله الا تتقون واعلم ان القوم انما قبلوا تلك الاديان للتخييل والعمل اذا خوفن خاف وما لم يحصل الخوف فى قلبه لا يشتغل بالاستدلال فلهذا السبب قدم على جميع ما يأتى قوله الا تتقون اما وصفه نفسه فذلك يأمر بامرين احدهما قوله انى لكم رسول امين وذلك لانه كان فيهم مشهورا بالامانة فحكم عليه السلام فى قريش كانه قال كنت امينا من قبل وكيف تتهمونى اليوم وثانيهما قوله وما اسئلكم عليه من اجر اى على ما اتانى به من ادعاء الرسالة لئلا يظن به انه يدعوهم للرغبة فان قيل ولم اكد الامر بالتقوى فجوابه لانه فى الاول قال الا تتقون مخالفتى وانا رسول الله وفى الثانى الا تتقون مخالفتى وانا المستحق منكم اجلالا وتوقيرا بحسب معنى مختلف ولا تكرار فيه وقد يقول الرجل لغيره الا تتقى الله يا عمرو وقد رأيتك صغيرا الا تتقى الله فى صغرك وقد علمتك كبيرا وانما قدم الامر بالتقوى الله على الامر بطاعته لان الامر بالتقوى الله علة لطاعته وتقدم العلة على المعلول ثم ان نوحا عليه السلام لما قال لهم

ذلك اجابوه بقولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون قال صاحب الكشاف قرئ واتباعك الارذلون جمع تابع كشاهد واشهاد وجمع تبع كبطل وابطال او كالعلو والخلو وحقيقا ان تقتصر بعدها فتذل وانتفاء وتذجم الارذال على الفتحة وعلى التكبير فى قولهم ارذلتا والرذالة والبذالة الخسة وانما استرذلوهم لانضمام شبههم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الخسيسة كالحياكة والحجامة واعلم ان هذه الشبهة فى نهاية الركاكة لان نوحا عليه السلام بعث الى الخلق كافة فلا يختلف الحال فيه ذلك بسبب الغنى والفقر وشرف المكاسب ودناءتها فاجابهم نوح عليه السلام بالجواب الحق وهو قوله وما علمى بما كانوا يعملون وهذا الكلام يدل على انهم لم يستدلوا على ذلك الامر بوجه من وجوه النظر والتبصرة وانما انتهوا بالهوى والطمع كما حكى الله تعالى عنهم فى قوله الذين هم اراذلنا بادى الراى ثم قالوا ان حسابهم الا على ربى معناه لا تعتبر الا الظاهر من امرهم دون ما يخفى وما قال ان حسابهم الا على ربى وكانوا لا يصدقون بذلك اردفه بقوله لو تشعرون ثم قال وما انا بطارد المؤمنين وذلك كالدلالة على ان القوم سألوه ابعادهم لكى يتبعوه اولكونهم اقرب الى ذلك فبين ان الذى يمنعه عن طردهم وقد امره به ربه ان ذلك غرضه مما حمل من الرسالة بمنع من ذلك بقوله انا انا الا نذير مبين والمراد انى احترز من تكذيبى ولم يقبل منى فمن قبل فهو القريب ومن كذب فهو البعيد ثم انه عليه السلام لما تمم هذا الجواب لربكى منهم الا التهديد فقالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين والمعنى انكم حتوقوه ان يقتل بالحجارة فعند ذلك حصل اليأس لنوح عليه السلام من فلاحهم فقال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا والبين الفرق سمى به اجتناب الله تعالى بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد ان ادعوك علنا لما اذونى واما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبونى فى وحيك ورسالتك فافتح بينى وبينهم اى فاحكم بينى وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق والمراد من هذا الحكم انزال العقوبة عليهم لانه قال بعد ونجنى ومن معى من المؤمنين ولولا ان المراد انزال العقوبة لم يكن لذكر النجاة بعدها معنى وقد تقدم القول فى قصته مشروحا فى سورة الاعراف وسورة هود ثم قال تعالى فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون قال صاحب الكشاف الفلك السفينة وجمعه فلك قال تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد يوزن قفل والجمع يوزن اسد والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجلا فذل ذلك على ان الذين نجوا معه كان فيهم كثرة وان الفلك امتلأ بهم وبما صحبهم وبين تعالى انه بعد ان نجاهم اغرق الباقين وان اغراقه لهم كان كالمتأخر عن نجاتهم

القصة الرابعة قصة هود عليه السلام

قوله تعالى كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون
بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين
فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين
وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا اوعظت
ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه
فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
اعلم ان فاتحة هذه القصة وفاتحة قصة نوح عليه السلام كلا واحدة فلا
فايدة في اعادة التفسير ثم ان الله تعالى ذكر الامور التي تكلم فيها هود عليه
السلام وهي ثلاثة اولها اتبنون بكل ريع اية تعبثون قرئ بكل ريع بالكسر والفتح
وهو المكان المرتفع ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها والاية العلم ثم فيه وجوه
احدها عن ابن عباس انهم كانوا يبنون بكل ريع علما يعبثون فيه بمن يمر في الطريق
من ال هود عليه السلام والثاني انهم كانوا يبنون في الاماكن المرتفعة ليعرف
بذلك غناهم تفاخرا منهم فنهوا عنه ونسبوا الى العبث والثالث كانوا ممن
يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فكان ذلك
عبثا منهم لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم والرابع بنوا بكل ريع بروج الحمام
وثانيها قوله وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون والمصانع ماخذ الماء وقيل
القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون وترجون الخلود في الدنيا
او تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف اني كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا
ومشددا واعلم ان الاول انما صار مذموما لدلالته اما على السرف او على الخيلا
والثاني انما صار مذموما لدلالته على الامل الطويل والغفلة عن ان الدنيا
دار مقر وثالثها قوله تعالى واذا بطشتم بطشتم جبارين انهم مع ذلك
السرف والحرص فان معاملتهم مع غيرهم معاملة الجبارين وقد بينا في غير هذا
الموضع ان هذا الوصف في العباد ذم وان كان في وصف الله تعالى مدح
فكان من تقدم على الغير لا على طريق الحق ولكن على طريق الاستعلاء يوصف
بان بطشه بطش جبار وحاصل الامر في هذه الامور الثلاثة ان اتخاذ الابنية
العالية يدل على حب العلو واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء والجبارية
تدل على حب التفرد في العلو فيرجع الحاصل الى انهم احبوا العلو وبقاء العلو
والتفرد بالعلو وهذه صفات الالهية وهي ممتنعة الحصول للعبد فدل
ذلك على ان حب الدنيا قد استولى عليهم بحيث استغرقوا فيه وخرجوا
عن حد العبودية وحاموا حول ادعاء الربوبية وكل ذلك تنبيه على ان حب
الدنيا راس كل خطيئة وعنوان كل كفر ومعصية ثم لما ذكر هود عليه السلام
هذه الاشياء الثلاثة قال اتقوا الله واطيعون زيادة في دعائهم الى الاخرة

وزجرا لهم عن حب الدنيا والاشتغال بالسرف والحرص والتجبر ثم وصل بهذا الوعظ
ما يوكد القول وهو التنبيه على نعم الله تعالى عليهم بالاجمال اولا ثم بالتفصيل ثانيا فا
يقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين امدكم بما تعلمون ثم فصلها من بعد بقوله امدكم
بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فبلغ في دعائهم
بالوعظ والتخويف والترغيب والبيان النهاية فكان جوابهم سواء علينا اوعظت
ام لم تكن من الواعظين اظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما اورده
فان قيل لو قال اوعظت ام لم تعظ كان احصر والمعنى واحد فجوابه ليس
المعنى بواحد لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم
تكن اصلا من اهله ومباشرته فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك
ام لم تعظ ثم احتجوا على قلة اكتراثهم بكلامه بقولهم ان هذا الا خلق الاولين
فمن قرا خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اخلاق الاولين وعرضهم
كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلق خلق القرون الخالية
نحيى كحياتهم ونموت كمماتهم ولا بعث ولا حساب ومن قرا خلق بضمتين او
بواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم
كانوا يدينونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت
الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب
الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه ثم قالوا وما نحن بمعذبين
اظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكار المعاد فعند هذا بين
الله تعالى انه اهلكهم وقد سبق شرح كيفية الهلاك في ساير السور

القصة الخامسة قصة صالح عليه السلام

قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين اتتركون فيما ههنا امنين في جنات وعيون وزروع ونخل
طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون
قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت
من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها
بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم
العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم اعلم ان صالحا عليه السلام خاطب قومه بامور احدها قوله اتتركون
فيما ههنا امنين اي تظنون انكم تتركون في دياركم امنين وتطمعون في ذ
لك وان لا دار للمجازات وقوله فيما ههنا في الذي استقر في هذا المكان

من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل قال
قيل لم قال والنحل بعد قوله وجنات والجنة تتناول النحل جوابه من وجهين
الاول ان تخصيص النحل بالذكر بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على
فضلها على سائر الاشجار والثاني ان يراد بالجنات غير هاته الشجرات
اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليه النخل والطلع هو الذي يطلع من النخلة
كنصل السيف في جوفه شماريخ والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وقيل
الهضيم الذي النضيج كانه قال والنخل قد ارطيب ثمره وبانيها قوله تعالى وتتخذون
من الجبال بيوتا فرهين قرا الحسن وتتخذون بفتح الخا وقري فرهين وفارهين
والفراهة الكيس والنشاط فقوله فرهين اي حاذقين بنحاتين واعلم ان ظاهر
هذه الاية يدل على ان الغالب على قوم هود بناء البيوت الجبالية وهي طلب
الاستعلاء والتفاخر والتعزز والتجبر والغالب على قوم صالح بناء البيوت الحجرية
وهي طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة الخصيبة وبانيها قوله تعالى
ولا تطيعوا امر المسرفين وهذه اشارة الجامعة بجميع الاكتفاء من الدنيا بقدر
الكفاية ولا يجوز التوسع في طلبها والاستكثار من لذاتها وشهواتها فان
قيل ما فايدة قوله ولا يصلحون فجوابه فايدته ان فسادهم فساد
خالص ليس معه شيء من الصلاح بخلاف بعض المعتبرين مخلوطا ببعض الصلاح
ثم ان القوم اجابوا من وجهين احدهما قوله انما انت من المسحرين وفيه وجوه
احدها السحر هو الذي يسحر كثيرا حتى غلب على عقله وبانيها من المسحرين
اي ممن له سحر وكل بانية تاكل فهي سحرة والسحر اعلا البطن وعن البراء المسحر
من لحوف اراد انك تاكل الطعام والشراب وبالثها عن المورخ المسحر
المخلوق بلقة يجيله وبانيها قولهم ما انت الا بشر مثلنا فاتنا بايه ان كنت
من الصادقين وهذا يحتمل امرين الاول انك بشر مثلنا فكيف تكون نبيا
وهذا ممتنع لما كانوا يذكرون في الانبياء انهم لو كانوا صادقين لكانوا
من جنس الملايكة الثاني ان يكون مرادهم انك بشر مثلنا فلا يليق
بنبوتك ما لا يليق فقال صالح عليه السلام هذه ناقة لها شرب ولكم
روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقيا فقعد
صالح يتفكر فقال جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة
ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم وحصل لها سقب مثلها في العظم
ثم ان صالح عليه السلام بامرين الاول قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم
قال الثعالبي اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله وشربهم في اليوم الذي لا تشرب
هي والثاني قوله ولا تمسوها بسوء اي بضرب او بعقر او نحوهما فياخذكم
عذاب يوم عظيم عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم بما يليق من وصف
العذاب كان الوقت اذا عظم لسببه كان موقعه في العظم اشد ثم ان الله

تعالى حكى عنهم انهم عقروها وروي ان " الجاها التي تشرب ترماها ايهم تسقط
ثم ضربها قدار فقال فقال لم اعقرها وقد تركوا جوابه من وجهين الا
ولا انهم لم يكن ندمهم ندم التائبين لكن ندمهم ندم الخايفين من العقاب العاجل
الثاني ان الندم ان كان ندم التائبين كان ذلك في غير وقت التوبة بل
عند معاينة العذاب وقال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيات الاية
واللام في العذاب اشارة الى عذاب عظيم

القصة السادسة قصة لوط عليه السلام

قوله تعالى كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسيلكم عليه من اجران
اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين وتذرون
ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون قالوا لين لم تنته يا لوط
لتكونن من المخرجين قال اني لعملكم من القالين رب نجني واهلي مما يعملون
فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين وامطرنا
عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم اما قوله من العالمين يحتمل عوده الى الاثنين
ايما تم من جملة العالمين صرتم مخصوصين بهذه الصفة وهي اتيان الذكران
ويحتمل عوده الى ما تاتي اي انتم اخر تم الذكران من العالمين لا الاناث
لانهم واما قوله من ازواجكم فيصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون تبعيضا
ويراد بما خلق لهم من اصناف كانوا يفعلون مثل ذلك بنسايهم والعا
المعتدي ومعناه انتركون اي انفعلون هذه المعصية على عظمها
بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذلك واعلم ان قوم احقا
بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه الفاحشة فقالوا له عليه
السلام لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين اي لتكونن من جملة من اخر
جناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوا الاحوال فقال لوط
عليه السلام اني لعملكم من القالين القلا البغض الشديد بكاته بغض قلبي
الفواد والكبد وقوله من القالين ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال كما تقول
فلان

MFR
349

فلم يقصد الا معنى واحدا وهو كونه مسحرا ثم قرره بكونه بشرا مثلهم الثاني قولهم
وان نظنك لمن الكاذبين ومعناه ظاهر ثم ان شعيبا كان يتوعدهم بالعذاب
ان استمروا على التكذيب فقالوا فاسقط علينا كسفا من السما قرئ كسفا با
لسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة وهي القطعة والسما السحاب او المظلة وهم انما
طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه وظنوا انه اذا لم يقع ظهر كذبه فعنده قال
شعيب ربي اعلم بما تعملون فلم يدع عليهم بل فوض الامر فيه الى الله تعالى فلما
استمروا على التكذيب انزل الله تعالى عليهم العذاب على نحو ما اقترحوا من
عذاب الظلة ان ارادوا بالسما السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف
بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الرمد فاخذ
بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ما فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة

وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا
بعث الى اثنين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل
واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة وهاهنا اخر الكلام في هذه القصص السبع
التي ذكر الله تعالى في هذه السورة لمحمد عليه السلام فيما ناله من الغم الشديد
بقي هاهنا سوالان الاول لم لا يجوز ان يقال ان العذاب النازل بعاد وثمود
وقوم لوط وغيرهم ما كان بسبب كفرهم وعنادهم بل كان ذلك بسبب قرانات
الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه اهل النجوم واذا قام هذا الاحتمال
لم يحصل الاعتبار بهذه القصص لان الاعتبار انما يحصل ان لو علمنا ان نزول
هذا العذاب كان بسبب كفرهم وعنادهم الثاني ان الله تعالى قد ينزل العذاب
محنة للمكلفين وابتلاء لهم على ما قال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ولانه تعالى قد ابتلى المومنين بالبلاء العظيم في مواضع كثيرة واذا كان ذلك
كذلك لم يدل نزول العذاب البلاء بهم على كونهم مبطلين والجواب
ان الله تعالى انزل هذه القصص على محمد صلى الله عليه وسلم تسلية له وازالة
للحزن عن قلبه فلما اخبر تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم انه هو الذي انزل
العذاب عليهم وانما انزله عليهم جزاء لكفرهم علم محمد عليه السلام ان الامر كذلك
فحينئذ يحصل به التسلي والفرح له صلى الله عليه وسلم واحتج بعض الناس
على القدح في علم الاحكام بان قال المؤثر في هذه الاشياء اما الكواكب او البروج
او كون الكوكب في البرج المعين والاول باطل والا لحصلت هذه الاثار اثر
حصول الكوكب والثاني ايضا باطل والا لدام الاثر بدوام البرج والثالث
ايضا باطل لان الفلك على قولهم بسيط لا مركب فيكون طبع كل برج مساويا
لطبع البرج الاخر في تمام الماهية فيكون حال الكوكب وهو في برج كماله
وهو في برج اخر فيلزم ان يدوم ذلك الاثر بدوام الكوكب وللقوم ان
يقولوا لم لا يجوز ان يكون صدور الامر عن الكوكب المعين موقوفا على كونه
مسامتا مسامتة مخصوصة لكوكب اخر فاذا فقدت تلك الماهية فقد
شرط التاثير فلا يحصل التاثير ولهم ان يقولوا هذه الدلالة انما تدل على
انها ليست مؤثرة بحسب ذواتها وطبايعها ولكنها لا تدل على انها ليست
مؤثرة بحسب جري العادة فاذا اجرى الله عادته بحصول تاثيرات
مخصوصة عقيب اتصالات الكواكب وقراناتها وادوارها لم يلزم من
حصول هذه الاشياء القطع بان الله تعالى انما خلقها لاجل زجر الكفار بل
لعله تعالى خلقها تكريرا لتلك العادات القول فيما ذكره الله تعالى من
احوال محمد عليه السلام قوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين نزل به
الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه
لفي زبر الاولين اعلم انه تعالى لما ختم ما قصه من خبر الانبياء ذكر بعد ذلك

ما يدل على نبوته وهو من وجهين الاول قوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين وذلك
لانه لفصاحته معجز فيكون ذلك من رب العالمين او بالاخبار عن القصص الماضية
من غير تعلم البتة فلا يكون ذلك الا بوحي من الله تعالى وقوله بعده وانه
لفي زبر الاولين كانه يؤكد هذا الاحتمال وذلك لانه لما ذكر هذه القصص
السبع على ما هي موجودة في زبر الاولين من غير تفاوت اصلا مع انه لم
يشتغل بتعلم ولا استفادة دل ذلك على انه ليس الا من عند الله تعالى فهذا
هو المقصود من الاية اما قوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين والمراد بالتنزيل
ثم قد كان يجوز في القران وهذه القصص ان تكون تنزيلا من الله تعالى
الى محمد عليه الصلاة والسلام بلا واسطة فقال نزل به الروح الامين واليا
في قوله نزل به الروح الامين ونزل به الروح الامين على القراءتين للتعدية
ومعنى نزل به الروح الامين جعل الله تعالى الروح نازلا به على قلبك
اي فهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى
والروح الامين جبريل عليه السلام وسماه روحا من حيث خلق من الروح
وقيل لانه نجاة الخلق في باب الدين فهو كالروح الذي تثبت معه الحياة
وقيل لانه روح كله لا كالناس الذين في ابدانهم روح وسماه امينا لانه مؤتمن
على ما يؤديه الى الانبياء عليهم السلام وعلى غيرهم واما قوله تعالى على قلبك
ففيه قولان احدهما انه انما قال على قلبك وان كان انما انزله عليه ليؤكد
به ان ذلك المنزل محفوظ للرسول متمكن في قلبه لا يجوز عليه التغيير
فيوثق بالانزال الواقع منه الذي بين الله تعالى انه هو المقصود ولذلك
قال لتكون من المنذرين الثاني ان القلب هو المخاطب في الحقيقة لانه هو
موضع التمييز والاخبار واما سائر الاعضاء فمسخرة له والدليل عليه القران
والحديث والمعقول اما القران فايات احدها قوله تعالى في سورة البقرة
فانه نزله على قلبك وقال هاهنا نزل به الروح الامين على قلبك وقال
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وثانيها انه ذكر ان
استحقاق الجزاء ليس الا على ما في القلب من المباغي فقال لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقال تعالى لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى في القلب لانه قال تعالى
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقال تعالى وحصل ما في الصدور
وثالثها قوله حكاية عن اهل النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير
ومعلوم ان العقل في القلب والسمع منفذ اليه وقال ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسؤولا ومعلوم ان السمع والبصر لا يستفاد منهما الا ما
يؤديان اليه وكان السؤال عنهما في الحقيقة سؤالا عن القلب وقال تعالى
يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ولم تخن الاعين الا ما تضمر القلوب

عند التحديق بها ورابعها قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون
خص هذه الثلاثة بالالزام للحجة فيها واستدعا الشكر عليها وقد قلنا لا طايل
في السمع والابصار الا بما يؤديان الى القلوب ليكون القلب هو القاضي والمتحكم
عليه وقال تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة
فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء فجعل هذه الثلاثة تمام ما الزمهم
من حجته والمقصود من ذلك هو الفؤاد القاضي فيما يؤدي اليه السمع والبصر
وخامسها قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فجعل العذاب
لازما على هذه الثلاثة وقال لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها ولهم اذان لا يسمعون بها وجه الدلالة انه قصد الى نفي العلم عنهم راسا فلو
ثبت العلم في عين القلب لشانه في القلب لم يتم الغرض فهذه الايات وما شاكلها
ناطقة باجمعها بان القلب هو المقصود بالزام الحجة وقد بينا ان ما قرن
بذكره من ذكر السمع والبصر فذلك لانهما التان للقلب في تادية
صور المحسوسات والمسموعات واما الحديث فما روى النعمان بن بشير قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الا ان في جسد بني ادم مضغة اذا
صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب واما
المعقول فمن وجوه احدها ان القلب اذا غشي عليه فلو قطع ساير الاعضا لم يحصل
الشعور به واذا افاق القلب فانه يشعر بجميع ما نزل بالاعضا من الافات
فدل ذلك على ان ساير الاعضا تبع للقلب ولذلك اذا فرح القلب او حزن
فانه يتغير حال الاعضا عند ذلك وكذا القول في ساير الاعراض النفسانية
وثانيها ان القلب منبع المشيات الباعثة على الافعال الحادثة من ساير الا
عضا واذا كانت المشيات مبادي الافعال ومنبعها هو القلب كان الامين
المطلق هو القلب وثالثها ان معدن الفعل هو القلب وهو كذلك واذا كان
كذلك كان الامين المطلق هو القلب اما المقدمة الاولى ففيها النزاع فان
طايفة من القدما ذهبوا الى ان معدن الفعل هو الدماغ والذي يدل على قولنا
وجوه الاول ان قوله تعالى اولم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها
وقوله لهم قلوب لا يفقهون بها وقوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي
عقل اطلق اسم القلب عليه لما انه معدنه الثاني ان الله تعالى اضاف
اضداد العلم الى القلب فقال في قلوبهم مرض وقال ختم الله على قلوبهم وقالوا
قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة
تنبيهم بما في قلوبهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم كلا بل ران على قلوبهم
وقوله افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها وقال فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فدلت هذه الايات على ان موضع
الجهل والغفلة هو القلب فوجب ان يكون موضع العقل والفهم ايضا هو القلب

الثالث وهو انا جربنا انفسنا فوجدنا علومنا حاصلة من ناحية القلب ولذلك فان
الواحد منا اذا امعن في الفكر واكثر منه احس من قلبه ضعفا وضجرا حتى كانه يتالم
من ذلك وكل ذلك يدل على ان موضع العقل هو القلب لان التكليف مشروط بالعقل
والفهم الرابع وهو ان القلب اول الاعضا تكونا واخرها موتا وقد ثبت ذلك
بالتشريح ولانه متمكن في الصدر الذي هو وسط الجسد ومن شان الملوك
المحتاجين الى الخدم ان يكونوا في وسط المملكة لتكتنفهم الحواس من الجوانب فيكونوا
ابعد من الافات واحتج من قال العقل في الدماغ بوجوه احدها ان الحواس
التي هي الالات للادراك نافذة الى الدماغ دون القلب وثانيها ان الاعصاب
التي هي الالات في الحركات الاختيارية نافذة من الدماغ دون القلب وثالثها
ان الافة اذا حلت في الدماغ اختل العقل ورابعها ان في العرف كل من اريد
وصفه بقلة العقل قيل انه خفيف الدماغ خفيف الراس وخامسها ان العقل
اشرف فيكون مكانه اشرف والاعلى هو الاشرف وذلك هو الدماغ فوجب ان
يكون محل العقل الدماغ والجواب عن الاول لم لا يجوز ان يقال الحواس تؤدي
اثارها الى الدماغ ثم ان الدماغ يؤدي تلك الاثار الى القلب فالدماغ الة
قريبة الى القلب والحواس الة بعيدة والحس يخدم الدماغ ثم ان الدماغ
يخدم القلب وتحقيقه انا ندرك من انفسنا انا اذا عقلنا ان الامر الفلاني
يجب فعله او يجب تركه فان الاعضا تتحرك عند ذلك وتخرج التعلقات
من جانب القلب لا من جانب الدماغ وعن الثاني انه لا يبعد ان يتادى الاثر
من القلب الى الدماغ ثم الدماغ يحرك الاعضا بواسطة الاعصاب النابتة منه
وعن الثالث نقول لا يبعد ان تكون سلامة الدماغ شرطا لوصول تاثير القلب
الى ساير الاعضا وعن الرابع ان ذلك العرف انما كان لان القلب انما يعتدل
مزاجه بما يستمده من الدماغ من برودته فاذا لحق الدماغ خروج عن الاعتدال
خرج القلب عن الاعتدال ايضا اما لازدياد حرارته عن القدر الواجب او
لنقصان حرارته عن ذلك القدر فحينئذ يختل العقل وعن الخامس انه لو صح ما قالوه
لوجب ان يكون موضع العقل هو القحف ولما بطل ذلك ثبت فساد قولهم فرع
اعلم ان المعاني التي بينا كونها مختصة بالقلوب قد تضاف الى الصدر تارة والى
الفؤاد اخرى اما الصدر فقوله تعالى وحصل ما في الصدور وقوله وليبتلي
الله ما في صدوركم وقوله انه عليم بذات الصدور وقوله ان تخفوا ما في
صدوركم او تبدوه اما الفؤاد فقوله وتقلب افئدتهم وابصارهم فمن الناس
من فرق بين القلب والفؤاد فقال القلب هو العلقة السودا في جوف الفؤاد
دون تكيفها من اللحم والشحم ومجموع ذلك هو الفؤاد ومنهم من قال القلب والفؤاد
لفظان مترادفان وكيف ما كان فيجب ان تعلم ان من جملة العضو المسمى قلبا
وفؤادا موضعا هو الموضع في الحقيقة للعقل والاختيار وان معظم جرم هذا العضو

مستحرز ذلك الموضع كما ان سائر الاعضاء مستحرزة لذلك فان العضو قد تتزايد احزاؤه من غير
ازدياد المعاني المستوية اليه اعني الغفلة والفرح والحزن وقد تنقص من غير نقصان
في تلك المعاني فيشبه ان يكون اسم القلب اسما للاحرا التي تحل فيها هذه المعاني
بالحقيقة واسم الفؤاد يكون اسما لمجموع العضو فهذا ما في الكلام في هذا الباب والله اعلم
واما قوله تعالى لتكون من المنذرين فيه وجهان الاول ان الرفع اما بالكمال واجب
من علم وعمل والمنع من كل قبيح لان في الوجهين جميعا يدخل الخوف من العقاب واما
قوله بلسان عربي مبين قالوا اما ان تتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من
الذين انذروا بهذا اللسان وهم جملة هود وصالح وشعيب واسماعيل ومحمد
عليهم السلام واما ان تتعلق بنزل فيكون المعنى نزله بالسان العربي لتنذر
به لانه لو نزله بالسان الاعجمي لقالوا لما لم نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار
به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانه ولسان قومه تزيل
له على قلبك لانك تسمع اجراس حروف ولا تفهم معانيها واما قوله تعالى وانه
لفي زبر الاولين فيحتمل هذه الاخبار خاصة ويحتمل ان يكون المراد صفة القرآن
ويحتمل صفة محمد عليه السلام ويحتمل ان يكون المراد وجود التحريف لمن ذكر
هذه الاشياء باسرها قد تقدم قوله سبحانه وتعالى ولم يكن لهم اية ان يعلمه علما
بني اسرايل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به يومنون كذلك
سلكناه في قلوب المجرمين لا يومنون به حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم بغتة
وهم لا يشعرون اعلم ان قوله تعالى ولم يكن لهم اية ان يعلمه علما بني اسرايل
المراد منه ذكر الحجة الثانية على نبوة محمد عليه السلام وصدقه وتقريره
ان جماعة من علما بني اسرايل اسلموا وتقرا على مواضع في التوراة والانجيل يذكر
فيها الرسول بصفته وتعته وقد كان مشركوا قريش يذهبون الى اليهود ويتعلمون
منهم هذا الخبر وهذا يدله لانه ظاهرة على نبوته لان تطابق الكتب الالهية
على يقته وصفته يدل قطعا على نبوته واعلم انه قرئ يكن بالتذكير وابنه
بالتنبيه على انها خبره وان يعلمه مرالاسم وقرئ تكن بالتانيث وجعلت ابنة
اسما وان يعلمه خبرا ولبسنة كالا ولي لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا ويجوز
مع تنبيه الاية تانيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا واما قوله
تعالى ولو نزلناه على بعض الاعجمين فاعلم انه تعالى لما بين بالدليلين المذ
كورين نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وصدق لهجته بين بعد ذلك ان
هولا الكفار لا تنفعهم الدلايل ولا البراهين فقال تعالى ولو نزلناه على
بعض الاعجمين يعني انزلنا هذا القران على رجل عربي بلسان عربي مبين
فسمعوا به وفهموه وعلموا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانتهم
الى ذلك بلغاتهم كتب الله السالفة به لم يوسروا وجحدوه وتمردوا شحرا
نادة وسحرا اخر فلو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية لكفروا

به ايضا ولتحملوا بجحودهم عذرا ثم قال كذلك سلكناه في قلوب المجرمين اي مثل هذا السلك
سلكناه في قلوبهم وهكذا اسكناه وقدرناه فيها فكيف ما نقل بهم تلا سبيل الى ان
يتغيروا عما هم عليه من الجحود والانكار وهذا ايضا يفيد تسلية الرسول عليه الصلاة
لانه اذا عرف رسول الله اصرارهم على الكفر وانه حيرعا لقضا الازلي بذلك حصل
اليأس وفي المثل اليأس احد الراحتين المسئلة الرابعة قوله تعالى كذلك
سلكناه في قلوب المجرمين يدل على ان الكل بقضاء الله وقدره قال صاحب الكشاف
اراد به انه صار ذلك التكذيب بقضاء الله متمكنا في قلوبهم اشد التمكن فصار
ذلك كالشيء الجبلي والجواب انه اما ان يكون قد فعل الله تعالى فيهم ما يقتضي
رجحان التكذيب على التصديق او ما فعل ذلك بهم فان كان الاول فقد دللنا
في سورة الانعام على ان الترجيح لا يحصل مالم ينته الى حد الوجوب وحينئذ يحصل
المقصود وان لم يفعل فيهم ما يقتضي الترجيح البتة امتنع قوله كذلك سلكناه
كما ان طيران الطاير لما لم يكن له تعلق بكفرهم امتنع اسناد الكفر الى ذلك الطيران
المسئلة الخامسة قال قلت ما موقع لا يومنون به من قوله سلكناه في قلوب
المجرمين قلت موقعه عند موقع المرتفع والمبين لانه مسوق لبيانه مكذبا
مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب
به حتى يعاينوا الوعيد قوله سبحانه وتعالى فيقولوا هل نحن منظرون افبعذابنا
يستعجلون افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم
ما كانوا يمتعون وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين
اعلم انه تعالى لما بين انهم لا يومنون به حتى يروا العذاب الاليم واتيانهم العذاب
بغتة اتبعه بما يكون سببا عند ذلك على وجه الحسرة قال فيقولوا هل نحن منظرون
كما يستغيث اليه المرء عند تعذر الخلاص لانهم يعلمون في الاخرة ان لا ملجا لهم
لكنهم يذكرون ذلك استرواحا فاما قوله تعالى افبعذابنا يستعجلون فالمراد
انه تعالى بين انهم كانوا في الدنيا يستعجلون العذاب مع ان حالهم عند نزول العذاب
طلب النظرة ليعرف تفاوت الطريقين فيعتبر به فبين تعالى ان استعجال العذاب
على وجه التكذيب انما نفع منهم لينتفعوا في الدنيا الا ان ذلك جهل وذلك لان
مدة التمتع في الدنيا متناهية قليلة ومدة العذاب الذي يحصل بعد ذلك
غير متناهية وليس في العقل ترجيح لذات متناهية قليلة على الام غير متنا
هية وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف فقال له عظني فلم يزده
على تلاوة هذه الاية فقال له ميمون لقد وعظت فابلغت وقرئ يمتعون
بالتخفيف ثم بين انه لم يهلك قرية الا وهناك تذكير يقيم عليهم الحجة
اما قوله تعالى ذكرى فقال صاحب الكشاف ذكرى مصدرية بمعنى تذكرة
اما لانا نقول ذكرى متقاربان فكانه قيل يذكرون تذكرة واما لانها
حال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة واما لانها مفعول

له عاب بعيني هم يتذكرون لاحل الوعظة والتذكرة او مترتبة عليها حذرت بيتا لمحذوف
بعيني هذه ذكري والجملة اعترضية او صفة بمعنى مستذكرون ذوا ذكري او جعلوا
ذكري لاسماعهم في التذكرة ووجه اخر وهو ان تكون ذكري متعلقة باهلكنا ما
مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين
اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين
فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول فان قلت عزلت
الواو عن الجملة بعدها ولم تعزلها في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها
كتاب معلوم قلت الاصل عزلها لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت
فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف قوله تعالى وما تنزلت به الشياطين وما
ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها اخر فتكون
من المعذبين اعلم انه تعالى لما احتج على صدق محمد عليه الصلاة والسلام
بكون القرآن تنزيل رب العالمين وانما يعرف ذلك لو تنوعه في الفصاحة في النهاية
الفضوي ولانه يشتمل على قصص المتقدمين من غير تفاوت مع انه عليه السلام
لم يشتغل بالتعلم والاستفادة فكان الكفار يقولون لم لا يجوز ان يكون هذا
من تلقي الجن والشياطين كسائر ما ينتزل على الكهنة فاجاب الله تعالى عنه
بانه لا يتهيا للشياطين لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل
السماء ولقائل ان يقول العلم بكون الشياطين ممنوعين عن ذلك لا يحصل الا بواسطة
خبر النبي الصادق فاذا توقفنا كون محمد عليه السلام صادقا بفصاحة القرآن
واخباره عن الغيب معجزا الا اذا ثبت كون الشياطين ممنوعين عن ذلك لزم
الدور وهو باطل وجوابه لانسلم ان العلم بكون الشياطين ممنوعين عن
ذلك لاستناده الى الرسول وذلك لانا نعلم بالضرورة ان الاهتمام بشان
الصدق اقوى من الاهتمام بامر العدو ونعلم بالضرورة ان محمدا عليه السلام
كان يلعن الشياطين ويامر الناس بلعنهم فلو كان هذا الغيب انما حصل
من اتئ الشياطين لكان الكفار والا بان يحصل لهم مثل هذا العلم وكان يجب ان
يكون اقتدار الكفار على مثله اوفى فلما لم يكن كذلك علمنا ان الشياطين
ممنوعون عن ذلك وانهم معزولون عن معرفة الغيوب ثم انه تعالى لما ذكر هذا
الجواب اتبعه الخطاب الرسول فقال فلا تدع مع الله الها اخر وذلك
في الحقيقة خطاب لغيره لان من شان الحكيم اذا اراد ان يوكد خطاب الغير ان
يوجهه الى الرؤساء في الظاهر وان كان المقصود بذلك هم الاتباع ولانه تعالى
اراد ان يتبعه ما يليق بتلك الغلظة انذره بالمخاطبة قوله تعالى
وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
فان عصوك فقل اني بري مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك
حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم اعلم انه سبحانه

وتعالى لما بالغ في تنبيه رسوله اولا ثم اقام الحجة على نبوته ثانيا ثم اورد سؤال المنكرين
واجاب عنه ثالثا شرع بعد ذلك فيما يتعلق بشان التبليغ والرسالة وهاهنا امور
ثلاثة الاول قوله تعالى وانذر عشيرتك وذلك لانه تعالى لما ارسل الرسول فتوعده
ان يعاجل الله لها اخرهم امره بدعوة الاقرب فالاقرب وذلك لانه اذا اشتد
على نفسه اولا ثم بالاقرب فالاقرب ثانيا الحريص لاحرفيه طمع البتة فكان
قوله اتقع وكلامه اتجح وروي انه عليه الصلاة والسلام لما نزلت هذه الاية
صعد الصفا فنادا الاقرب فالاقرب وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني
عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة النبي انا لا املك لكم من الله شيئا سلوني
من مالي ما شئتم وروي انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا على
رجل شاة وقف من لبن وكان الرجل منهم ياكل الجزعة ويشرب العس فاكلوا وشربوا
ثم قال يا بني عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم
قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد الثاني قوله تعالى واخفض جناحك
واعلم ان الطير اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان
يرتفع للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع
ولين الجانب فان قيل المتبعون للرسول هم المؤمنون لا بالكسر قال تعالى
لتجعله من المؤمنين فجوابه لانسلم ان المتبعين للرسول هم المؤمنون فان كثيرا
منهم كانوا يتبعونه لقرابته والسبب لا للدين قال ما قوله فان عصوك فقل اني
بري مما تعملون لمعناه ظاهر قال الجبائي هذا يدل على انه عليه الصلاة والسلام
كان بريا من معاصيهم وذلك يوجب ان الله تعالى يبري من علم كالرسول فالا
كان مخالفا لله كما لو برئ من علم الله عليه لكان كذلك واذا كان الله تعالى
من علمهم تكيف فيكون فاعلا ومريدا له والجواب انه تعالى برئ من معاصي
بعض انه ما امرها بل ينهى عنها فاما بعضهم فانه لا يريدها فلا تسلم والدليل عليه
انه علم بوقوعها وعلم ان ما علم وقوعه فهو واجب الوقوع والا لانقلب علمه جهلا
والمفضي الى المحال محال وعلم ان ما هو واجب الوقوع فانه لا يراد عدمه وقوعه فثبت
ما قلناه الثالث قوله تعالى وتوكل والتوكل عبارة عن تفويض الرجل امره
الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءه
بعزته وينصر اولياءه عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو كالسبب له
لتلك الرحمة وهو قيامه وتقلبه في الساجدين وفيه وجوه احدها المراد ما
كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تضعيف اعوال المتهجدين
ليطلع على سرائرهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة
ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه على ما يوجد منهم من الطاعات فوجدها
كبيوت الزنابير لما سمع فيها من دندنتهم بذكر الله تعالى والمراد بالساجدين
المصلون وتقلبه قيامه وتصرفه فيما بينهم وثانيها وتراك حين تقوم للصلاة

بالناس جماعة وتغليبه في الساجدين نصرته فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقنوته اذا
كان اماما لهم وقالتهما انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية
امور الدين ورابعها المراد تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله اتموا الركوع والسجود
فوالله اني لاراكم من خلفي ثم قالا نية هو السميع العليم اي السميع لما تقوله اي العليم
بما تنويه وتعلمه وهذا يدل على ان كونه سميعا امر متغاير لعلمه بالمسموعات والا لكان
لفظ العليم مفيدا افادته واعلم انه قزبي وتقليك واعلم ان الرافضة ذهبوا الى
ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا موحدين ومتمسكوا في ذلك بهذه الاية وبالخبر
اما هذه الاية فقالوا قوله وتقلبك في الساجدين يحتمل الوجوه التي ذكرتم ويحتمل
ان يكون المراد ان الله تعالى نقل روحه من ساجد الى ساجد مما تقول نحن واذا
احتمل كل هذه الوجوه وجب حمل الاية على الكل ضرورة انه لا منافاة ولا رجحان
واما الخبر فقوله عليه الصلاة والسلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام
الطاهرات وكل من كان كذلك هو نجس لقوله تعالى انما المشركون نجس قالوا قان
تمسكتم بهذا فسد هذا المذهب بقوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه ازر قلنا
الجواب عنه ان لفظ الاب قد يطلق على العم كما قال ابنا يعقوب له نعبد الهك واله
ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق فسموا اسماعيل بالله مع انه كان عما له وقال
عليه السلام رد واعلي ابي يعني العباس ويحتمل ايضا ان يكون متخذا الاصنام اربابا
فان هذا قد يقال له اب قال تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وعيسى
فجعل عيسى من ذرية ابراهيم مع ان ابراهيم كان جد ابن قبل الام واعلم انا نتمسك
بقوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه ازر وما ذكروه صرف اللفظ عن ظاهره
واما حمل قوله وتقلبك في الساجدين على جميع الوجوه فغير جايز لما بينا ان
حمل المشترك على كل معانيه ممتنع واما الحديث فهو خبر واحد فلا يعارض
القران قوله تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون
اعلم ان الله تعالى اعاد الشبهة المتوزمة واجاب عنها من وجهين
الاول قوله تنزل على كل افاك اثيم وذلك هو الذي قررناه فيما تقدم ان الكفار
يدعون ان ملائكة الشياطين ومحمد عليه السلام يدعوا اليه لعن الشياطين والبراءة
منهم وهذا يقتضي ان لا يكون الشيطان الا لمن يدعوا اليه لا لمن يدعوا الى اللعن
عليه والبراءة منه والثاني قوله تعالى يلقون السمع واكثرهم كاذبون
والمراد انهم كانوا يقيسون حال النبي صلى الله عليه وسلم على حال الكهنة فكما انه
قبل ظهور الاسر على ما ذكرتم فكما ان الغالب على سائر الكهنة الكذب
فيجب ان يكون حال الرسول كذلك ايضا فلما ظهر في اخبار الرسول صلى
الله عليه وسلم عن المغيبات الا الصدق علمنا ان حاله تخالف حال الكهنة
ثم ان المفسرين ذكروا في الاية وجوها احدها انهم الشياطين روي انهم كانوا
قبل ان حجبوا بالرجم يسترقون الى السماء فيختطفون بعض ما يجاورون به مما

اطلعوا عليه من الغيب ثم يرجعون به الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يرجعون به اليهم
لانهم يسمعون ثم لا يسمعون وثانيها يلقون الى اوليائهم السمع اي المسموع من الملايكة
وثالثها الافاكون يلقون السمع اليه الشياطين ينبيلقون وحيهم اليهم ورابعها يلقون
المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يعتبرون على الشياطين مالم
يوحوا اليهم فان قلت يلقون ما حله قلت يجوز ان يكون في محل النصب على
الحالية اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان
لا يكون له محل بيان مبتدا كان قايلا قال لم ينزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت
وكيت فان قيل كيف قالوا اكثرهم كاذبون بعد ما قضى عليهم ان كل واحد منهم
افاك قلت الافاكون هم الذين يكثرون الكذب لا انهم الذين لا ينطقون الا
بالكذب فاراد ان مثل الافاكون قلما يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم
مفتري عليه والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم
يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من
بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اعلم ان الكفار لما قالوا لم لا يجوز ان يقال ان الشياطين
تنزل بالقران على محمد كما انهم ينزلون بالكهانة على الكهنة وبالشعر على الشعرا
قرانه سبحانه وتعالى فرق بين محمد عليه السلام وبين الكهنة فذكرها هنا
ما يدل على الفرق بينه عليه السلام وبين الشعرا وذلك ان الشعرا ينتهم الغاوون
وان ابي الضالون تر بين تلك الغواية بامرين الاول انهم في كل واد يهيمون والمراد
منه الطرق المختلفة كقوله انا في واد وانت في واد وذلك لان من يذم يخوض
في الشيء بعد ان دنسوه وبالعكس وتذم بعظمونه بعد ان استحقروه وبالعكس وقد
يدل على انهم لا يطلبون بشعرهم الحق والصدق بخلاف محمد عليه الصلاة والسلام
فانه من اول امره الى اخره بقي على طريق واحد وهو الدعوة الى الله تعالى والترغيب
في الاخرة والاعراض عن الدنيا الثاني انهم يقولون ما لا يفعلون وذلك ايضا من
علامات الغواية فانهم يرغبون في الخير ويرغبون عنه ويتقربون عن البخل
ويحرصون عليه ويفرحون في الثناء بما في شيء صدر عن الملائم واحد من اسلافهم
ثم انهم لا يزالون كذلك الا القراء ضرورة ذلك يدل على الغواية فاما
محمد عليه الصلاة والسلام فانه بدا بنفسه حيث قال لعشيرته اتقوا الله انا غير مغن
فتكون من المحتبين ثم الاقرب فالاقرب حيث قال وانذر عشيرتك الاقربين
وكل ذلك على خلاف طريقة الشعرا فقد ظهر بهذا الذي بيناه ان حال محمد صلى
الله عليه وسلم ما كان يشبه حال الشعرا ثم ان الله تعالى لما وصف الشعرا
بهذه الاوصاف الذميمة بين انا لهذا الفرق استثنا منهم الموصوفين بامور اربعة
احدها الايمان وهو قوله تعالى الا الذين امنوا وثانيها العمل الصالح وهو قوله
وعملوا الصالحات وثالثها ان يكون شعرهم في التوحيد والنبوة ودعوة الخلق
الى الحق وهو قوله تعالى وذكروا الله كثيرا ورابعها ان لا يذكروا هجو احد

ايي تتقلبك

الاعلى بل الانتصار من يجوم وهو قوله وانتصروا من بعدما ظلموا قال تعالى لا يحب
الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ثم الشرط فيه نزل الاعتداء قوله تعالى فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقيل المراد بهذا الاستثنا
عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير لانهم
كانوا يجيبون قريشا بالهجاء وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح
القدس معك فاما قوله وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فالذي عندي
فيه والله اعلم انه تعالى لما ذكر في هذه السورة ما يزيل الحزن عن قلب محمد
من الدلايل العقلية ومن اخبار الانبيا المتقدمين ثم ذكر الدلايل على نبوته
ثم ذكر سوال المشركين وتشبيههم محمد عليه الصلاة والسلام تارة بالكاهن
وتارة بالشاعر ثم انه تعالى بين الفرق الا بينه وبين الكاهن ثم بين الفرق
بينه وبين الشاعر ثبانيا ختم السورة بهذا التهديد العظيم يعني ان الذين
ظلموا بالقسم واعرضوا عن تدبر هذه الايات والتامل في هذه البينات
فانهم سيعلمون بعد ذلك اي منقلب ينقلبون وقال الجمهور المراد منه الزجر
عن الطريقة التي وصف بها مرلا الشعرا والاول اقرب الى نظم السورة بين اولها
الى اخرها والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب وصلى الله على سيدنا محمد

تفسير سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك ايات
القران وكتاب مبين هدى وبشرى للمومنين الذين يقيمون الصلاة ويوتون
الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون اعلم ان قوله تلك اشارة الى ايات
السورة والكتاب للبيين من الوحي المحفوظ والمراد انه تنخط فيه كل ما هو
كاين والملايكة الناظرون فيه يشاهدون الكاينات وانما نكر الكتاب المبين ليصير
مبهما بالتنكير فيكون اعظم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر
وقرا ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وايات كتاب مبين فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق بين هذا وبين
قوله الر تلك ايات الكتاب وقران مبين قلت لا فرق لان واو العطف
لا تقتضي الترتيب اما قوله هدى وبشرى للمومنين هو في محل النصب او الرفع
فالنصب على الحال اي هاديته ومبشرة معاد العامل فيهما ما في تلك من معنى
الاشارة والرفع على ان لا تكون اوجد على هي هدى وبشرى او على البدل من الايات
او على ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت انها ايات وانها هادي وبشرى واختلفوا
في وجه تخصيص الهدا بالمومنين على وجهين الاول المراد بهديهم الى الجنة وبشرى
لهم قوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان ويهديهم اليه صراطا مستقيما

فلهذا خص الموصوفين الثاني المراد بالهدى الدلالة التي ذكروا في تخصيصه بالمومنين
وجوها احدها انما خصه بالمومنين لانه ذكر بعد الهدى البشرى والبشرى انما تكون
للمومنين وثانيها ان وجه الاختصاص انما تمسكوا به لخصه بالذكر كقوله تعالى
انما انت منذر من يخشاها وثالثها المراد من كونها هدى للمومنين انتفاء زيادة
في هداهم قال تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى واما قوله تعالى الذين
يقيمون الصلاة فالاقرب انه الصلوات الخمس لان التعريف يدل لان واللام
يقتضي ذلك واقامة الصلاة ان يوتى بها بشرايطها وكذا القول في الزكاة الا بد
فان يكونوا مستبقين بالاخرة فما الوجه في ذكره مرة اخرى جوابه
من وجهين الاول انه يكون في جملة صلة الموصول ثم قوله وهم بالاخرة
ان كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به لما عرفت ان الحق
اقسام كثيرة لكن الذي يستفاد منه طريق النجاة معرفة المبدا ومعرفة
المعاد واما الخير الذي يعمل به فاقسام كثيرة واشرفها قسمان الطاعة يا
لنفس والطاعة بالمال فقوله للمومنين اشارة منه الى المبدا معرفة المبدا
وقوله وهم بالاخرة هم يوقنون اشارة الى العلم بالمعاد ويقيمون الصلاة ويوتون
الزكاة اشارة الى علم العبادة كانه تعالى جعل معرفة المبدا طرفا اولا ومعرفة
المعاد طرفا اخيرا وجعل الطاعة بالنفس وبالمال متوسطا بينهما الثاني ان
المومنين الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة منهم من هو جازم بالحشر
والنشر ومنهم من يكون شاكا فيه الا انه ياتي بهذه الطاعات للاحتياط
فيقول ان كنت مصيبا فيها فقد فزت بالسعادة وان كنت مخطيا فيها لم
تفتني الا حيران قليلة في هذه المدة اليسيرة فمن اتى بالصلاة والزكاة
على هذا الوجه لم يكن في الحقيقة معتقدا بالقران اما من كان جازما بالا
لاخرة كان معتقدا بانه فلهذا السبب ذكر هذا القيد الثالث قوله وهم
بالاخرة هم يوقنون جملة اعتراضية كانه قال ومرلا الذين يوتون ويعملون
الصالحات من اقامة الصلاة وايتا الزكاة هم الموقنون بالاخرة وهذا هو
الاقرب ويدل عليه انه عند جملة ابتدا بتاكيد وكرر فيها المبتدا الذي هو هم
حتى صار معناها وما يوقنون بالاخرة حق الايقان الا مرلا الجامعون بين
الايمان والعمل الصالح لان حروف العادة تحملهم على تحمل المشاق قوله
تعالى ان الذين لا يومنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون اولئك
الذين لهم سوء العذاب وهم في الاخرة هم الاخسرون اعلم انه تعالى لما
بالمومنين من البشارة عقبه بما على الكفار من سوء العذاب فقال ان الذين
لا يومنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم واختلف الناس في انه كيف استقام ان زين
اعمالهم الى الله مع انه اسند الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم
قالت اصحابنا فتدبروا الاية على ظاهرها وذلك لان الانسان لا يفعل

فانها هي الواجبة و
في حقها انما تواه تعالى
يوتون فيه سوا
الذين يقيمون الصلا

البتة الا اذا دعى الداعي الى ايجاد العقول من الداعي هو العلم او الاعتقاد او الظن بكون
الفعل مشتملا على مصلحة فهذا الداعي لا بد وان يكون من فعل الله تعالى لوجهين
الاول انه لو كان من فعل العبد لافتقر الى داع اخر ولزم التسلسل وهو محال الثاني
وهو ان العلم اما ان يكون ضروريا او كسبيا فان كان ضروريا فلا بد فيه من
تصورين والتصور يمتنع ان يكون مكتسبا لان المكتسب ان كان شاعرا به فهو
متصور له وتحصيل الحاصل محال وان لم يكن شاعرا به كان غافلا عنه والغافل
عن الشيء يمتنع ان يكون طالبا له فان قلت هو متصور من وجه دون
وجه قلت فالمتصور به ما هو عين المتصور به فيعود التقسيم المتقدم في
كل واحد من هذين الوجهين واذا ثبت ان المتصور غير مكتسب البتة والعلم
الضروري هو الذي يكون حصوله عند احد من تصوري الله كافيا في حصول التصور
فالتصورات غير كسبية وهي مستلزمة للتصديقات فاذا لم يحصل التصور
لم يحصل التصديق لامحالة وحيث لم يحصل لم يحصل لهذه التصديقات
البديهية ليس بالكسب فان تلك التصديقات البديهية ان كانت مستلزمة
للتصديقات النظرية كسبه لان لازم الضروري ضروري وان لم تكن مستلزمة
لها لم تكن تلك الاشياء التي فرضناها علوما نظرية كذلك بل هي اعتقادية
تقليدية لانه لا معنى للاعتقاد للمقلد الا اعتقاد فيجيء يجعله اولى من غيره ان يكون
له موجب فثبت بهذا ان العلوم باسرها ضرورية وثبت ان مبادي الافعال
هي العلوم فافعال العباد باسرها ضرورية والانسان مضطر في صورة مختار
فثبت ان الله تعالى هو الذي زين لكل عامل عمله والمراد من التزيين ان يخلق
في قلب العالم ما فيه من المنافع واللذات والابتهاج في قلبه العالم بما فيه من الخطار
والافات فتثبت بهذه الدلايل القاطعة العقلية وجوب اجراء هذه
الاية على ظاهرها اما المعتزلة فانهم ذكروا في تاويلها وجوها احدها ان
المراد بيناهم امر الدين وما يلتحم ان يتمسكوا به وزيناه اي بيناه لهم وحاولوا
حسنه وما لهم فيه من الثواب لان التزيين من الله تعالى للعمل ليس الا وصفه
بانه حسن واجب وجميد العاقبة وهذا المراد من قوله حبب اليكم الايمان
وزينه في قلوبكم ومعنى لهم يجعلون يدل على ذلك اذ المراد انهم يعملون
ليجيدوا ما زينا من اعمالهم وثانيها ان الله تعالى لما سلمهم بطول العمر وسعة الرزق
وحملوا انعام الله تعالى عليهم لذلك ذريعة الى اتباع شهواتهم وعدم الانقياد لما
يلزمهم من التكاليف فكانه تعالى زين لهذا اعمالهم واليه اشارة الملايكة عليهم
السلام في قولهم ولكن متعتهم وابائهم حتى نسوا الذكر ان اهماله الشيطان وتخليته
حتى يزين لهم ملابسه ظاهرة للتزيين فاسند اليه والجواب عن الاول ان
قوله تعالى اعمالهم صيغة عموم فوجب ان يكون الله تعالى قد زين لهم كل اعمالهم
حسنا كان العمل او قبيحا ومعنى التزيين قد قدمناه وعن الثاني ان الله تعالى

لما سلمهم بطول العمر وسعة الرزق فهل هذه الامور اثر في ترجيح فاعلية المعصية
على تركها او ليس لها فيه اثر فان كان الاول وقد دللنا على ان الترجيح من غير مرجح
بد وان ينتهي بالاخرة الى الاستلزام وحينئذ يحصل الغرض وان لم يكن فيه اثر صارت
هذه الاشياء بالنسبة الى اعمالهم كصرير الباب ونعيق الغراب بالنسبة الى اعمالهم وذلك
يمنع من استناد فعلهم اليها وهذا بعينه هو الجواب عن التاويل الذي ذكروه
اما قوله تعالى فهم يعمهون فالعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق
اما قوله اولئك الذين لهم سوء العذاب ففيه وجهان الاول انه للعذاب الاسر
يوم بدر والثاني المراد مطلق العذاب سواء كان في الدنيا او في الاخرة والمراد
بالسوء شدته وعظمه اما قوله ثم الاخسرون ففيه وجهان الاول لا شيء اعظم من
ان يخسر المرء نفسه بان تسلب عنه الصحة في الدنيا والسلامة في الاخرة اي
العذاب العظيم الثابت المرتب حضر واستازمهم به الجنة لو اطاعوا فانه لا مكلف
الا وعين له منزلته في الجنة لو اطاع فاذا عصى عدل به الى غيره فيكون قد حضر
ذلك المنزل قوله تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال
موسى لاهله اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس لعلكم
تصطلون فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله
رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم اما قوله وانك لتلقى القرآن
من لدن حكيم عليم فمعناه لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم وهذا يعين
مجيء ما تكرر بين وهذه الاية سياط وتهديد عما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص
واذ منصوب بمضمر وما ذكره كانه قال اذكر يا محمد حتى اتاك علمه
وعلمه فضلة موسى ويجوز ان ينتصب بعليم فان قيل الحكمة اما ان تكون
نفس العلم واما ان يكون العلم داخلا فيها فما فيه ذكر الحكمة ثم ذكر العلم فجوابه
الحكمة هي العلم بالامور العلمية فقط والعلم اعم منه لان العلم قد يكون عمليا وقد
يكون نظريا والعلوم النظرية اشرف من العلوم العملية فذكر الحكمة المشتملة على
العلوم العملية ثم ذكر العليم وهو المبالغ في كمال العلم وكمال العلم حصل من جهات
ثلاث وحدتها وعمومه تعلقها بكل المعلومات وتباينها متصورة عن كل التغيرات
وما حصلت هذه الكمالات الثلاث الا في علمه سبحانه وتعالى واعلم ان الله تعالى
ذكر في هذه السورة قصصا القصة الاولى قصة موسى عليه السلام
اما قوله تعالى اذ قال موسى لاهله فقيل انه لم يكن بعد موسى عليه السلام غير
امراته ابنة شعيب وقد كنا الله تعالى عنها بالاهل فتتبع ذلك ورود الخطاب
على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا واما قوله تعالى اني انست نارا فالمعنى انهما
كانا يسيران ليلا وقد اشتبه الطريق عليهما والوقت وقت برد وفي مثل هذا
الحال تتوق النفس عشاهدة نار بعد ما يرجى فيها من زوال الحيرة في امر الطريق
ومن الانتفاع بالنار والاصطلاء فلذلك بشرها فقال اني انست نارا وقد اختلفوا

فقال بعضهم المراد البصرة ورأيت وقال اخرون بل المراد صارقة ورهبة فاستت
به والاول اقرب لانهم لا يغيرون بين قول القابل انسة بيصري ورأيت بيصري
اما قوله سآتيكم منها بخبر والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله تعرفي
الكلام حذف ومعناه لعلي اصير انا قريبا فتوجه اليها وقال سآتيكم منها بخبر يعرف
به الطريق واما قوله او آتيكم بشهاب قبس والشهاب السعلة والقبس النار
المقتبسة واضاف الشهاب الى القبس لانه لا يكون قبسا وغير قبس وكن قد ابا لتو بين
حال القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس ثم ها هنا اسئلة السؤال الاول
سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كلاهما مترادفين لان احدهما ترج والاخر
تيقن جوابه قد يقول الراجح اذا قوي رجاءه سافعل كذا وسيكون كذا مع
تجويزه للجهة السؤال الثاني كيف جاء بين التسويف جوابه عدة لاهله انه
يأتيهم وان ابطأ وكانت المسافة بعيدة السؤال الثالث لماذا ادخل واو بين
الامرين وهلا جمع بينهما لحاجته اليهما معا جوابه بنا الرجل على انه ان لم يظفر
بهذين المقصودين ظفر باحدهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار فقد هاد
الله تعالى انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده واما قوله لعلكم تصطلون
فالمعنى كي تصطلون وذلك يدل على حاجتهم الى الاصطلاء ولا يكون كذلك
الا في الجار ثم ردا على قوله تعالى نودي ان بورك من في النار ومن حولها فقيل في
البحث الاول ان هذه المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له
بورك البحث الثاني اختلفوا في من في النار على وجوه احدها ان يوزك بمعنى
تبارك والنار بمعنى النور والمعنى تبارك من في النور وذلك هو الله سبحانه
وتعالى ومن حولها يعني الملائكة وهو مروي عن ابن عباس وان كنا نقطع بان
هذه الرواية موضوعة مختلقة وثانيها من في النار هو نور الله ومن حولها
الملائكة وهو مروي عن قتادة والزجاج وثالثها انا الله تعالى ناداه بكلام سمعه
من الشجرة في البقعة المباركة فكانت الشجرة محلا للكلام والله هو المتكلم لهما بان
فعله فيه دون الشجرة ثم ان تلك الشجرة كانت في النار ومن حولها ملائكة
فلذلك قال يورك من في النار ومن حولها وهو قول الجبائي ورابعها من في النار
هو موسى عليه السلام لقربه منها ومن حولها الملائكة وهذا اقرب لانا لقربه
من الشبهة قلنا انه نبيه وخامسها قول صاحب الكشاف يورك من في النار
في مكان النار ومن حول مكانها هي البقعة التي حصلت فيها وهي المباركة هي
المذكورة في قوله تعالى من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة
ويدل عليه قراءة ابي بمن بارك الارض ومن حولها وعنه ايضا بورك النار
البحث الثالث السبب الذي لاجله بورك البقعة وبورك من فيها وحواليها
حدوث هذا الامر العظيم فيها وهو تكليم الله موسى وجعله رسولا واظهار المعجزات
عليه ولهذا جعل الله ارض الشام موسومة بالبركات في قوله وتجيناه ولوطا

الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وصفت ان تكون كذلك فهي مهبط الانبياء عليهم
السلام ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء واموانا البحث الرابع انه سبحانه جعل هذا
القول مقدمة لمناجاة موسى عليه السلام وقوله بورك من في النار ومن حولها يدل
على انه قد قضى امر عظيم تنتشر البركة منه في ارض الشام كلها وقوله وسبحان الله
رب العالمين فيه قاعدتان احداهما انه سبحانه وتعالى نزه نفسه عما لا يليق به في
ذاته وحكمه ليكون ذلك مقدمة في صحة رسالة موسى عليه السلام والثانية
ان يكون ذلك ايذانا بان ذلك الامر من مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على
ان الكائنين من جلائل الامور وعظيم الوقايع اما قوله انه انا الله العزيز الحكيم فقد
صاحب الكشاف الهما يجوز ان تكون ضمير الفصل والشان انا الله مبتدا وخبره
والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني ان
مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد
ان يظهره على يديه من المعجزات يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام
كقلب العصا حية القاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير قال قيل هذا النداء
يجوز ان يكون من جملة ما غير الله فكيف علم موسى انه من الله تعالى جوابه
لاهل السنة بيد طريقان الاول انه سمع الكلام المتردد عن سائر جهات الحروف
والاصوات فعلم بالضرورة انه من صفة الله تعالى الثاني قوله اني انا ربك
الذي كلم موسى عليه السلام سمع الصوت من الشجرة فنقول انما عرف ذلك من الله
لامور احدها ان النداء اذا حصل في النار والشجرة فنقول انما عرف ان ذلك
من قبل الله تعالى لان احدا منا لا يقدر عليه وهذا ضعيف لاحتمال ان يقال
الشيطان دخل في النار والشجرة ثم نادى والثاني يجوز ان يكون قد
بلغ في العظم مبلغا لا يكون الا معجزا وهذا ايضا ضعيف لانا لا نعرف مقادير
قوى الملائكة والشياطين فلا قدرة الا يجوز صدوره منهم وثالثها انه قد
اقترن به معجز دل على ذلك فقيل ان النار كانت مشتعلة في شجرة خضراء
لم تحترق فصار ذلك كالمعجز وهذا ايضا ضعيف والاصح قوله سبحانه وتعالى والق
عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني
لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وادخل
يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع ايات الى فرعون وقومه انهم
كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم اياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
اعلم ان اكثر ما في هذه الايات قد تقدم شرحه فلنذكر ما بقي من حواشي هذا
الموضع فنقول على ما عطف قوله والق عصاك جوابه على يورك لان المعنى
نودي ان يورك من في النار والق عصاك فلما اقتصر على نودي اما قوله كانها
جان فالجان الحية الصغيرة سميت جانا لانها تستتر عن الناس وقد الحسن

جان على لغة من يهرب من التقاء الساكنين فتقول شانه ودابه اما قوله ولم يعقب معنا
ولم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما خاف لظنه ان ذلك الامر اريد
به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون وقال بعضهم المراد اني اذا امرتهم
باظهار معجز فينبغي ان لا يخافوا فيما يتعلق باظهار ذلك والا فالمرسل قد يخاف
لا محالة اما قوله تعالى الا من ظلم معناه لكن من ظلم وهو محمول على ما يصدر من الانبيا
من ترك الافضل والصغيرة ويحتمل ان يكون المقصود منه التعريض بما يوجد من
موسى عليه السلام وهو من التعريضات اللطيفة قال الحسن كان والله موسى ممن
ظلم بقتل القبطي ثم بدل فانه عليه السلام قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي
وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه اما قوله ثم بدل حسنا بعد سوء فالمراد حسن
التوبة وسوء الذنب وعن ابي عمرو في روايته حسنا اما قوله في تسع ايات
فهو كلام مستانف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع
ايات الى فرعون ولقائل ان يقول كانت الايات احد عشرة ثنتان منها في العصا
واليد والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم واما قوله فلما جاءتهم اياتنا مبصرة
فقد حصل الابصار لنا وهو في الحقيقة طيابها وكانوا بسبب منها ينظرهم
ويذكرهم فيها ان جعلت كانها لظهورها تبصر فتهتدي وقرا الحسن وقتادة
مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة اي مكانا يكثر منها التبصر اما قوله واستيقنتها
قالوا وفيها واو الحال وقد بعدها مضمر وفائدة ذكر الانفس انهم جحدوها بالسنتهم
واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان ابلغ من الايقان اما قوله تعالى
ظلما وعلوا فاي ظلم افحش من ظلم من استيقن انها ايات بينات من عند الله ثم كابر
بتسميتها سحرا بينا والعلو الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله
فاستكبروا وكانوا قوما عالين وقرئ عليا عليا بالضم والكسر كما قرئ عينا
القصة الثانية قصة داود وسليمان عليهما السلام
قوله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا
على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا
منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان
جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا اتوا على واد النمل
قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون
فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي
وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
اما قوله علما فالمراد طائفة من العلم او علما شيئا عزيزا فان قلت
اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر فجوابه ان الشكر
باللسان انما يحسن موقعه اذا كان مسبوقا بعمل القلب وهو العزم على فعل الطاعة

وترك المعصية وبعمل الجوارح وهو الاشتغال بالطاعات فاذا كان الشكر باللسان
يجب كونه مسبوقا بهما فلا جرم صار كانه قال اتيناهما علما فعملا به قلبا وقالا
باللسان الحمد لله الذي فعل كذا وكذا واما قوله الحمد لله الذي فضلنا على كثير من
عباده المؤمنين ففيه ابحاث احدها ان الكثير المفضل عليه هو مؤمن لم يؤت علما او
من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وثانيها في الاية
دلالة على علو مرتبة العلم لانهما اوتيا من الملك ما لم يؤت احد غيرهما فلم يكن
شكرهما على الملك كشكرهما على العلم وثالثها انهما لم يفضلوا انفسهما على الكل
وذلك يدل على حسن التواضع والرابع ان الظاهر يقتضي ان تلك الفضيلة ليست
الا ذلك العلم ثم العلم بالله وبصفاته اشرف من غيره فوجب ان يكون هذا الشكر
ليس الا على هذا العلم ثم ان هذا العلم حاصل لجميع المؤمنين فيستحيل ان يكون سببا
لفضيلتهما على المؤمنين فاذا ما هو الفضيلة هو العلم ان يصير العلم بالله وبصفاته
جليا بحيث يصير المرء مستغرقا بحيث لا يخطر بباله شيء من الشبهات فلا يغفل عنه
القلب في حين من الاحيان ولا ساعة من الساعات اما قوله تعالى وورث
سليمان داود فقد اختلفوا فيه فقال الحسن المال لان النبوة عطية مبتداة
ولا تورث وقال غيره بل النبوة وقال اخرون بل الملك والسياسة ولو تامل الحسن
لعلم ان المال اذا ورثه الولد فهو ايضا عطية مبتداة من الله تعالى ولذلك
يرث الولد اذا كان مؤمنا ولا يرث اذا كان كافرا وقاتلا لكن الله جعل سبب
الارث فيمن يرث على شرائط وليس كذلك النبوة لان الموت لا يكون سببا لنبوة
الولد فمن هذا الوجه يفترقان وذلك لا يمنع من ان يوصف بانه ورث النبوة
لما قام به عند موته كما يرث الولد المال اذا قام به عند موته ومما يبين ما قلناه
انه تعالى لو فصل فقال وورث سليمان داود ماله لم يكن لقوله وقال يا ايها
الناس علمنا منطق الطير معنى واذا قلنا ورث نفسه من النبوة والملك حسن
ذلك لان تعلم منطق الطير يكون داخلا في جملة ما ورثه وكذلك قوله واوتينا
من كل شيء لانه يجمع ذلك وارث المال لا يجمعه وقوله تعالى ان هذا لهو الفضل المبين
لا يليق ايضا الا بما ذكرنا دون المال الذي قد يحصل للكامل والناقص وما ذكره الله
تعالى من جنود سليمان بعده لا يليق الا بما ذكرنا فبطل بما ذكرنا قول من زعم
انه لم يرث الا المال فاما اذا قيل ورث المال والملك معا فهذا لا يبطل بالوجوه
الذي ذكرناها بل بظاهر قوله نحن معاشر الانبياء لا نورث فاما قوله تعالى
يا ايها الناس فالمقصود منه تشهير نعمة الله والتنويه بها ودعاء الناس الى
التصديق بذكر المعجزة التي هي منطق الطير قال صاحب الكشاف المنطق كل ما يصوت
به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق
وما اصلح فيه الا مفردات الكلم قالت العرب نطقت الحمامة فالذي علم سليمان
عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من مقاصده واغراضه واما

قوله تعالى واوتينا من كل شيء فالمراد كثرة ما اوتي وذلك لان الكل والبعض الكثير
مشتركان في صفة الكثرة والمشاركة سبب لجواز الاستعارة فلا جرم يطلق لفظ
الكل على الكثير مثل قوله واوتيت من كل شيء واما قوله ان هذا لهو الفضل المبين فهو
تقرير لقوله الحمد لله الذي فضلنا والمقصود منه الشكر والمحمدة كما قال عليه
السلام انا سيد ولد ادم ولا فخر فان قيل كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام
المتكبرين جوابه من وجهين الاول ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون
يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا وقد يتعلق بتعظيم الملك مصالح
فيصير ذلك التعظيم واجبا واما قوله وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس فالحشر
هو الاحضار والجمع من الاماكن المختلفة والمعنى انه جعل الله تعالى كل هذه الاصناف
جنوده ولا يكون الا بان يتصرف على مراده ولا يكون كذلك الا مع العقل الذي
يصح معه التكليف او يكون بمنزلة المراهق وقد قارب التكليف فلذلك قلنا
ان الله جعل الطير في ايامه مما له عقل وليس كذلك حال الطيور في ايامنا وان كان فيها
ما قد الهمه الله تعالى الدقائق التي خصت بالحاجة اليها وخصها الله بها لمنافع
العباد كالنحل وغيره واما قوله فهم يوزعون معناه يحبسون وهذا لا يكون
الا اذا كان في كل قبيل منها وازع ويكون له تسلط على من يرده ويكفه ويصرفه
فالظاهر يشهد بهذا القدر والذي جاء في الخبر من انهم كانوا يمنعون من يتقدم
ليكون مسيره مع جنوده على ترتيب فغير ممتنع اما قوله تعالى حتى اذا اتوا
على واد النمل قالت نملة فقيل هو واد بالشام كثير النمل وان قيل لم عدي
اتوا بعلى جوابه من وجهين الاول ان اتيانهم كان من فرق فاتى بحرف
الاستعلاء والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ اخره من قولهم اتى على الشيء
اذا بلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند مقطع الوادي وقرئ نملة يا ايها
النمل بضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه
الاستعمال تخفيف عنه اما قوله تعالى قالت نملة فالمعنى انها تكلمت بذلك
وهذا غير مستبعد فان الله تعالى قادر على ان يخلق فيها العقل والنطق
وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان
ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان
اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من
اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال نمل
وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما
بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي اما قوله تعالى ادخلوا
مساكنكم فاعلم ان النملة لما قاربت حد العقل لا جرم ذكرت بما يذكر به العقلاء
فلذلك قالت ادخلوا مساكنكم فان قلت ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا
للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والمعنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على

طريقة لا ارينك هاهنا وفي هذه الاية تنبيه على امور احدها ان السائر في الطريق لا يلزمه
التحرز وانما يلزم من في الطريق التحرز وثانيها ان النملة قالت وهم لا يشعرون كانها
عرفت ان النبي معصوم فلا يقع منه قتل هذه الحيوانات الا على سبيل السهو وهذا
تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الانبياء وثالثها ما رايت في بعض الكتب ان تلك
النملة انما امرت غيرها بالدخول لانها خافت على قومها انهم اذا راوا سليمان
في جلالته فربما وقعت في كفران نعمة الله تعالى وهذا هو المراد بقوله لا يحطمنكم
فامرها بالدخول في مساكنها لئلا ترى تلك النعم فلا تقع في كفران نعم الله وهذا تنبيه
على ان مجالسة ارباب الدنيا محذورة ورابعها قرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف
النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الطاء وكسرها اما قوله فتبسم ضاحكا من قولها فيعني
تبسم سارعا في الضحك يعني انه قد جاوز حد التبسم الى الضحك وانما ضحك لامرين
احدهما اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وعلى شهرة حاله
وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون الثاني سروره بما اتاه
الله مما لم يؤت احدا من سمعه كلام النملة واحاطته بمعناه اما قوله اوزعني
فقال صاحب الكشاف حقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه
عن ان ينفلت عني حتى اكون شاكرا لك ابدا وهذا يدل على مذهبنا فان عند
المعتزلة كلما امكن تعلمه من الالطاف فقد صارت مفعولة وطلب تحصيل الحاصل
عبث واما قوله وعلى والدي وذلك لانه عد نعم الله وشكره انزلهما منزلة
نفسه ومعنى قوله وان اعمل صالحا واوزعني ان اعمل صالحا ترضاه فطلب
الاعانة في الشكر وفي العمل الصالح ثم قال وادخلني برحمتك في عبادك الصا
لحين فكما طلب في الدنيا الاعانة على الخيرات طلب ان يجعل في الاخرة من
الصالحين وقوله برحمتك يدل على ان دخول الجنة برحمته وفضله لا باستحقاق
من جانب العبد واعلم ان سليمان عليه السلام طلب ما يكون وسيلة الى ثواب
الاخرة اولا ثم طلب ثواب الاخرة ثانيا فاما وسيلة الثواب فهي امران احدهما
شكر النعم السالفة والثاني الاشتغال بسائر انواع الخدمة اما الاشتغال
بشكر النعم السالفة فهي قوله رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي
ولما كان الانعام على الاباء انعاما على الابناء لان انتساب الابن الى اب
شريف نعمة من الله تعالى على الابن لا جرم اشتغل بشكر نعم الله تعالى
على الاباء بقوله وعلى والدي واما الاشتغال بسائر انواع الخدمة فقوله
وان اعمل صالحا ترضاه واما طلب ثواب الاخرة فقوله وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين فان قيل درجات الانبياء اعظم من درجات الاولياء
والصالحين فما السبب في ان الانبياء يطلبون جعلهم من الصالحين فقال
ابراهيم عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال سليمان وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين فجوابه الصالح الكامل هو الذي لا يعصي

الزيادة التي بطابقها وصف المجال اما قوله اني وجدت امراة تملكهم فالمراة بلقيس
بنت شراحيل وكان ابوها ملك اليمن وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس ٥
والصمير في تملكهم راجع الى سبا فان اريد بهم القرى فالامر ظاهر وان اريد
المدينة فعناه تملك اهلها واما قوله واوتيت من كل شيء فتيه سؤال ونحوانه كيف
قالوا واوتيت من كل شيء مع قول سليمان اوتينا من كل شيء فكان الهدهد سوا بينهما
جوابه ان قول سليمان رجع الى النبوة والحكمة ثم الى الملك واسباب
الدنيا واما قول الهدهد فانما يتعلق بالدنيا واما قوله تعالى ولها عرش
عظيم ففيه سؤال ونحوانه كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من
ملك سليمان وايضا فكيف سوا بين عرش بلقيس وعرش الله في توصيف العظيم والجواب
عن الاول يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش
ويجوز ان لا يكون لسليمان مع جلالته مثله كما قد يتفق لبعض الامراء الذي لا يكون
مثله لسلطان وعن الثاني ان وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالنسبة الى عروش
ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق
من السموات والارض واعلم ان ها هنا اجتين النحت الاول ان الملحدة طعنت
في هذه القصة من وجوه احدها ان هذه الآيات اشتملت على النمل والهدهد
تكلما بكلام لا يفيد وذلك الكلام الذي لا يعقل وذلك يجري السفسطة قالوا
لو جوزنا ذلك فيما اتى في القصة التي يشاهدها في زماننا هذا ان نكون اعلم
بالهندسة من اقليدس وفي الحرز من سيبويه وكذا القول في القلة والصبيان
وجوزنا ان يكون فيهم الانبياء والتكاليف والمعجزات ومعلوم ان من جوز كان
الى الجنون اقرب وثانيها ان سليمان عليه السلام كان بالشام فكيف طار
الهدهد في تلك اللحظة اللطيفة من الشام الى اليمن ثم رجع اليه وثالثها
كيف خفي على سليمان عليه السلام حال تلك المملكة مع ما يقال ان الجن ٥
والانس كانوا في طاعة سليمان عليه السلام وانه عليه السلام ملك الدنيا
بالكلية وكان تحت رايته بلقيس على ما يقال اثنا عشر الف قيل تحت كل واحد
منهم مائة الف ومع انه يقال انه لم يكن بين سليمان وبين بلدة بلقيس حال
طيران الهدهد الا مسيرة ثلاثة ايام ورابعها اين حصل للهدهد تعرفه
الله سبحانه وتعالى ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس وما فائدته
للشيطان وتزيينه والجواب عن الاول ان ذلك الاحتمال قايم في اول العقل
وانما وقع ذلك بالاجماع وعن الثاني ان الايمان بالغيب انما هو لافتقار العالم الى القادر
المختار ويزيل هذه الشكوك النحت الثاني قالت المعتزلة قوله يسجدون
للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم يدل على ان فعل العبد من جهته
لانه تعالى اضاف ذلك الى الشيطان بعد ما اضافته اليهم وبانه اورده مورد الذم
ولانه بين انهم لا يهتدون والجواب من وجوه احدها ان هذا قول الهدهد

الله ولا يهم بمعصية وهذه درجة عالية فقوله سبحانه وتعالى وتفقد الطير فقال مالي
لا اري الهدهد ام كان من الغايبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليا
بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجيتك من سبا
بنبا يقين اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم
عن السبيل فهم لا يهتدون اعلم ان سليمان عليه السلام لما تفقد الطير
اوهم ذلك انه انما تفقده لاجل انه يحتاج به ذلك الطير واختلف فيما لاجله تفقده
على وجوه احدها قول وهب انه اخل بالنوبة التي كان يتوها فلذلك تفقده
وثانيها انه تفقده لان هدهدا كان ملازما اليه وكان يعرف الفضل بين قربه
وبعيده فلحاجة سليمان الى ذلك طلبه وتفقده وثالثها انه كان يظله من
الشمس فلما فقد ذلك تفقده اما قوله مالي لا اري الهدهد ام كان من الغايبين
فام هي المنقطعة نظرا لامكان الهدهد ثم ببصره فقال تعالى لا اراه غايبا وهو يعاينه
لابراء وهو حاضر لسانر نستره او غير ذلك ثم لاح له انه غايب فاضرب عن
ذلك واخذ يقول لعله من غايب كانه سيل عن صحة ما لاح له فقد غايب ومثله قولهم
انه لابل ام شاة اما قوله تعالى لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليا تيني
بسلطان مبين فقد الاحوز ان يقوله الا فمن هو حلف او فمن قارب العقل
فيصلح لان يرد به فراختلفوا في قوله لاعذبنه فقال ابن عباس انه نتف
الريش الا القليل في الشمس وقيل ان يطلي بالقطران ويشمس وقيل ان يلقا
للنمل تاكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل
لانه سنة صحبة الاصداد وعن بعضهم امتيق السجون تعاشرة الاضداد
وقيل لانه حرمته اقرانه اما قوله لاذبحنه اي لاعذبنه بقتله بضم الكاف
وضمها فيه بعيد غير ان يعيد كقوله عن قريب ووصفه بقصر
المدة للدلالة على شراهة حوت ابن سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له
اما قوله احطت بما لم تحط به فيه تنبيه لسليمان عليه السلام على ان في
ان خلق الله من احاط علما بما لم يحط به ليكون ذلك لطفا له في ترك الاعجاب
والاحاطة بالشيء علما ان يعلم من جميع جهاته اما قوله وجيتك من سبا بنبا
يقين فاعلم ان سبا تقرى بالصرف ومنعه وتقرى سبا بسكون الباء وعن
ابن كثير في رواية سبا لا لف كقولهم تمرة هو ابو بني سبا وهو سبا بن يشجب بن
يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او للاب
الاكبر صرف وسميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعا مسيرة ثلاث والنبا
الخبر الذي له شان وقوله من سبا بنبا من محاسن الكلام التي تتعلق بالفظ ومن
شرط حسنه صحة المعنى ولقد جاء هنا زايدا على الصحة فحسن لفظا ومعنى الا ترى
انه لو وضع مكان بنبا خبر لكان المعنى صحيحا ولكن لفظ النبا ولما فيه من

فلا يكون حجة الثاني انه متروك الظاهر فانه قال فصدهم عن السبيل وعندكم الشيطان
ما صد الكافر عن السبيل اذ لو كان مصدودا ممنوعا لرفع عنه التكليف فلم يبق
ها هنا الا التمسك بفصل المدح والذم والجواب عنه قد تقدم مرارا فلا فايدة
في الاعادة قوله تعالى الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبا في السموات
والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال
سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول
عنهم فانظر ماذا يرجعون في الاية مسايل المسيلة الاولى في قوله تعالى الا
يسجدوا قرات احداها قراة من قرا بالتحقيق الا للتنبيه وباحرف النداء
ومناداه محذوف كما حذفه من قال الا يا سلمى يا دار مي على البلا وثانيها
بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز
ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا وثالثها وهي قراة
عبد الله وقراة الاعمش هلا بقلب الهمزة ها وعن عبد الله هلا يسجدون بمعنى
الا يسجدون على الخطاب ورابعها قراة ابي الا يسجدون لله الذي يخرج الخبا
من السما والارض ويعلم سركم وما تعلنون المسيلة الثانية قال اهل
التحقيق قوله الا يسجدوا يجب ان يكون بمعنى الامر لانه لو كان بمعنى المنع من
السجدة لم يكن لوصفه تعالى بما يوجب ان يكون السجود له وهو كونه قادرا
على اخراج الخبا عالما بالاسرار معنى المسيلة الثالثة الاية دلت على وصف
الله تعالى بالقدرة والعلم اما القدرة فقوله يخرج الخبا في السموات والارض
وسمي المخبو بالمصدر وهو يتناول جميع انواع الارزاق والاموال واخراجه من
السموات بالغيث ومن الارض بالنبات واما العلم فقوله ويعلم ما تخفون وما
تعلنون واعلم ان المقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس بتحرير
الدلالة هكذا الاله يجب ان يكون قادرا على اخراج الخبا وعالما بالخفيات
والشمس ليست كذلك فهي لا تكون الها واذا لم تكن الها لم يجز السجود لها اما انه
سبحانه وتعالى يجب ان يكون قادرا عالما على الوجه المذكور فلانه واجب الوجود فلانه
لذاته فلا تختص قادريته وعالميته ببعض المقدورات والمعلومات دون البعض
فاما ان الشمس ليست كذلك فلانها جسم متناه وكل ما كان متناهيا في الذات
كان متناهيا في الصفات واذا كان كذلك فحينئذ لا يعلم كونها قادرة على اخراج
الخبا وعالمة بالخبيات واذا لم يعلم من حالها ذلك لم يعلم كونها قادرة على جلب
المنافع ودفع المضار فرجع حاصل الدلالة الى ما ذكره ابراهيم عليه السلام
في قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وفي قوله لله الذي يخرج الخبا
في السموات والارض وجه اخر وهو ان هذا اشارة الى ما استدل به ابراهيم عليه
السلام في قوله ربي الذي يحيي ويميت وفي قوله ان الله ياتي بالشمس من المشرق
وذلك لانه سبحانه هو الذي يخرج الشمس من المشرق بعد افولها في المغرب

فهذا اخراج الخبا في السموات وهو المراد من قول ابراهيم عليه السلام لا احب الافلين ومن قوله
ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب ومن قول موسى عليه السلام رب المشرق
والمغرب وحاصله يرجع الى ان افول الشمس وطلوعها يدلان على كونها تحت تدبير
مدبر قاهر فكانت العبادة لقاهرها والمتصرف فيها اولا واما اخراج الخبا من الارض
فهو يتناول اخراج النطفة من الصلب والترايب وتكوين الجنين منه فان قيل
ان ابراهيم وموسى عليهما السلام قدما دلالة الانفس على دلالة الافاق فان
ابراهيم قال ربي الذي يحيي ويميت ثم قال ان الله ياتي بالشمس من المشرق وموسى عليه
السلام قال ربكم ورب ابايكم الاولين ثم قال رب المشرق والمغرب فلم كان الامر ها هنا
بالعكس فقدم خبا السموات على خبا الارض فجوابه ان ابراهيم وموسى عليهما
السلام ناظرا مع من ادعى الهية البشر فلا جرم ابتدا بابطال الهية البشر ثم انتقلا
الى ابطال الهية السموات وها هنا المناظرة مع من ادعى الهية الشمس لقوله وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله فلا جرم ابتدا بذكر السموات ثم بالارض
اما قوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم فالمراد منه انه سبحانه وتعالى لما بين
افتقار السموات والارض وما بينهما الى المدبر ذكر بعد ذلك ان ما هو اعظم
الاجسام فهو مخلوقه ومربوبه وذلك يدل على انه سبحانه وتعالى هو المنتهى
في القدرة والربوبية الى ما لا مزيد عليه المسيلة الرابعة قيل من احطت
الى العظيم كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة المسيلة الخامسة الحق ان سجدة
التلاوة واجبة في القراتين جميعا وهو قول الشافعي رضي الله عنه وابو
حنيفة رضي الله عنه لانهما اجمعا على ان سجدات القران اربع عشرة وهذه
واحدة منها او لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن
تركها واحدى القراتين امر بالسجود والاخرى ذم للترك فثبت ان الذي ذكره
الزجاج من وجوب السجود مع التخفيف دون التشديد غير ملتفت اليه
المسيلة السادسة يقال هل يعرف الواقف بين القراتين جوابه نعم اذا
خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدا الا يسجدوا وان شا وقف على الا يا
ثم ابتدا اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم اما قوله قال سننظر
فمن النظر الذي هو التامل واراد صدقت ام كذبت الا ان ام كنت من الكاذبين
ابلغ لانه اذا كان معروفا بالكذب كان متهما بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به
وانما قال فالقه اليهم على لفظ الجمع لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس
فقال والقه الى الذين هذا دينهم اما قوله ثم تول عنهم اي تنح عنهم الى مكان
قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه يسمع منك ويرجعون من قوله تعالى
يرجع بعضهم الى بعض القول ويقال دخل عليها من كوة والقى الكتاب اليها
وتوارى في الكوة قوله تعالى قالت يا ايها الملا اني القي كتاب كريم انه
من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين قالت

يا ايها الملا افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون قالوا نحن اولوا قوة
واولوا بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تامرين اعلم ان قوله تعالى قالت
يا ايها الملا ابي القي الي كتاب كريم نفى عن ان يقال ان الهدهد القى اليها الكتاب
فهو محذوف كانه ثابت روي انها كانت رقدت وغلقت الابواب ووضعت
المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على حجرها وهي مستلقية وقيل
نفرها فانتبهت فزعة اما قوله كتاب كريم ففيه ثلاثة اوجه احدها حسن مضمونه
وما فيه وثانيها وصفه بالكريم لانه من عند ملك كريم وثالثها ان الكتاب كان
مختوما وقال عليه السلام كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلام يكتب الى العجم
فقيل له انهم لا يقبلون كتابا الا عليه خاتم فاتخذ لنفسه خاتما اما قوله تعالى انه
من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ففيه احالات البحث الاول انه استيناف
وتبيين لما القي اليها كانها لما قالت القي الي كتاب كريم قيل لها فمن هو وما هو
فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وقرا عبد الله وابن مسعود انه من سليمان وانه
بسم الله الرحمن الرحيم عطفا على اني وقرئ انه من سليمان وانه بالفتح وفيه
وجهان احدهما انه بدل من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمان وثانيهما انه
يجوز ان يريد بانه من سليمان وانه بسم الله كانها عدلت كرمه بكونه من سليمان
ويقدر بسم الله وقرا ابي ان من سليمان ان بسم الله على ان المفتوحة وان في ان
لا تعلوا على غرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرا ابن عباس بالعين
معجمة من الغلو ومجاوزة الحد البحث الثاني يقال لم قدم سليمان اسمه على
قوله بسم الله الرحمن الرحيم حوابه حاشاه من ذلك بل ابتدا بوبسم الله الرحمن
الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم حكت ما في الكتاب
والله تعالى يحكي ذلك فالتقديم واقع في الحكاية البحث الثالث الانبياء عليهم
السلام لا يطيلون ولكن ينصون على المقصود وهذا الكتاب يشتمل على تمام
المقصود وذلك لان المطلوب من الخلق اما العلم او العمل فالعلم مقدم على
العمل فقوله بسم الله الرحمن الرحيم مشتمل على اثبات الصانع سبحانه واثبات كونه
عالما قادرا حيا سميعا حكيما رحيما واما قوله الا تعلوا علي فهو نهي عن الانقياد
لطاعة النفس والهوى والتكبر واما قوله وائتوني مسلمين فالمراد من المسلم اما المنقاد
او المومن فثبت ان هذا الكتاب على وجازته يجري كل ما لا بد منه في الدين والدنيا
فان قيل النهي عن الاستعلاء والامر بالانقياد قبل اقامة الدلالة على كونه رسولا
خلاف الدليل على الاكثرين بالتقليد جوابه معاذ الله ان يكون هناك تقليد
وذلك لان رسول سليمان عليه السلام الى بلقيس كان الهدهد ورسالة الهدهد
معجزة المعجز يدل على وجود الصانع وعلى صفاته ويدل على صدق المدعي فلما كانت
تلك الرسالة دلالة تامة على التوحيد والنبوة لا جرم لم يذكر في الكتاب دليلا
آخر اما قوله يا ايها الملا افتوني في امري فالفتوى هي الجواب في الحادثة اشتقت

على طريق الاستعارة من الفتى في السن يا ايها الفتى في الامر الفتيا وتصدرت بالانقطاع
عليهم واستطلاع ارايهم تطييب لقلوبهم ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون اي لا اثبت
امرا الا بحضوركم اما قوله تعالى قالوا نحن اولوا قوة فالمراد قوة الاجساد وقوة
الالات والمراد من البأس الشدة والبلاء في الحرب وحاصل الجواب ان التزم ذكروا
امرين احدهما اظهار القوة الذاتية والعرضية ليظهر انها ان اراد تمنع للدفع
والحرب وجدتم بحيث تريد والاخر قولهم والامر اليك فانظري ماذا تامرين
وفي ذلك اظهار الطاعة لها ان اردت السلم ولا يمكن ذكر جواب احسن من هذا
قوله تعالى قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة
اهلها اذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون
فلما جاء سليمان قال اتمدونني بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم
تفرحون ارجع اليهم فلنا تينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة
وهم صاغرون اعلم انها لما عرضت الواقعة على الكبراء قالوا نحن اولو قوة
اظهرت رايها ومشورة الملوك اذا دخلوا قرية بالقهر افسدوها اي اخربوها
واذلوا عزة اهلها فذكرت لهم عاقبة الحرب واما قوله وكذلك يفعلون فقد
اختلفوا هل هو من كلامها او من كلام الله تعالى فالتصويب لها والاقرب انه من كلامها
وانها ذكرته تاكيدا لما وصفته من حال الملوك فاما الكلام في صفة الهدية
فالناس اكثروا فيها لكن لا ذكر لها في الكتاب وقولها فناظرة بم يرجع المرسلون
دلالة على انها لم تثق بالقبول وحوشت الرد واردت بذلك ان تكشف لها
غرض سليمان وما وصلت الهدايا الى سليمان عليه السلام ذكر امرين الاول
قوله اتمدونني بمال فاظهر بهذا الكلام قلة الاكتراث بذلك المال اما قوله
بل انتم بهديتكم تفرحون ففيه ثلاثة اوجه احدها ان الهدية اسم للمهدي
كما ان العطية اسم للمعطا فيضاف الى المهدي والمهدي له والمضاف
اليه ها هنا هو المهدي اليه فالمعنى ان الله تعالى اتاني الدين الذي هو اشرف
الفضوا واتاني من الدنيا ما لا مزيد عليه فكيف يستنال مثلي بمثل هذه الهدية
بل انتم تفرحون بان يهدي اليكم لكن حالتي بخلاف حالكم وثانيها بل انتم بهديتكم
هذه التي اهديتموها تفرحون من حيث انكم قدرتم على اهدائها واتاتها
كانه قال ايلي انتم في حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها الثاني قوله تعالى
ارجع اليهم فقيل ارجع خطاب للرسول وقيل للهدهد محمدا كتابا اخر لا قبل الاطاقة
وهي قبيلة لقبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم وقد ابن
مسعود لا قبل لهم بهم والصغير فيها للسبا والذل اي يذهب عنهم ما لهم من العز
عندهم من العز والملك والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد ولا يقتصر فيهم
على ان يرحلوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا قوله تعالى قال يا ايها
الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال عفريت من الجن انا

اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين قال الذي عنده علم من الكتاب
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل
ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي
غني كريم اعلم ان قوله تعالى قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها دلالة
على انها عزمت على اللحوق بسليمان ودلالة على ان امر ذلك العرش كان مشهورا
فاحب ان يحصل عنده قبل حضورها واختلفوا في غرض سليمان من احضار ذلك
العرش على وجوه احدها ان المراد ان يكون المراد ان ذلك دلالة لبلقيس
على قدرة الله تعالى وعلى نبوة سليمان عليه السلام حتى تنضم هذه الدلالة
الى ساير الدلايل التي سلفت وثانيها اراد ان يوتى بذلك العرش فيغير وينكر
ويعرض عليها حتى ينظر انها هل تعرفه او تنكره والمقصود اختبار عقلها وقوله
تعالى نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي كالدلالة على ذلك وثالثها قال قتادة
اراد ان ياخذه قبل اسلامها لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ مالها ورابعها
ان العرش سرير المملكة فاراد ان يعرف مقدار مملكتها قبل وصولها اليه اما
قوله قال عفريت من الجن فالعفريت من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه
ومن الشياطين الخبيث المارد اما قوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك فالمعنى
من مجلسك ولا بد فيه من عادة معلومة فصح ان يوقت فقيل المراد مجلس الحكم
بين الناس وقيل الوقت الذي يخطب فيه الناس وقيل الى انتصاف النهار واما
قوله اي على حمله امين اي به كما هو لا ازيل منه شيا اما قوله تعالى قال
الذي عنده علم من الكتاب ففيه بحثان الاول اختلفوا في ذلك الشخص على
قولين قيل كان من الملايكة وقيل كان من الانس فمن قال بالاول اختلفوا
هل هو جبريل وقيل هو ملك ايد الله به سليمان ومن قال بالثاني اختلفوا
على وجوه احدها قول ابن لهيعة انه الخضر عليه السلام وثانيها وهو
المشهور وقول ابن عباس اصف بن برخيا وزير سليمان وكان صديقا يعلم الاسم
الاعظم وثالثها قول قتادة رجل من الانس كان يعلم اسم الله الاعظم ورابعها
قول ابن زيد كان رجلا صالحا في جزيرة البحر خرج ذلك اليوم ينظر الى سليمان
وخامسها بل هو سليمان نفسه والمخاطب هو العفريت الذي كلمه واراد سليمان
عليه السلام اظهار معجزه فتحداهم اولا ثم بين للعفريت انه يتاتى له من سرعة
الاتيان بالعرش ما لا يتهيا للعفريت وهذا القول اقرب لوجوه الاول ان
لفظة الذي موضوعة في اللغة للاشارة الى شخص معين عند محاولة تعريفها
لقصة معلومة والشخص المعروف بان عنده علم من الكتاب هو سليمان عليه
السلام فوجب انصرافه اليه اقصى ما في الباب ان يقال كان اصف كذلك
ايضا لكنا نقول ان سليمان عليه السلام كان اعرف بالكتاب منه لانه هو
النبي فكان صرف هذا اللفظ الى سليمان اولى الثاني ان احضار العرش

اذا دعا به اجيب

في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت لاصف دون سليمان لاقتضى ذلك
تفضيل اصف على سليمان وانه غير جايز الثالث ان سليمان عليه السلام لو افتقر
في ذلك الى اصف لاقتضى ذلك قصور سليمان عليه السلام في اعين الخلق الرابع ان
سليمان عليه السلام قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر وظاهره يقتضي
ان يكون ذلك المعجز قد اظهره الله تعالى بدعا سليمان البحث الثاني اختلفوا
في الكتاب فقيل اللوح المحفوظ والذي عنده علم منه جبريل عليه السلام وقيل
كتاب سليمان او كتاب بعض الانبيا ومعلوم في الجملة ان ذلك مدح وان لهذا الوصف
تاثيرا في نقل ذلك العرش فلذلك قالوا انه الاسم الاعظم وان عنده وقعت الاجابة
من الله تعالى في اسرع الاوقات اما قوله تعالى انا اتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك ففيه بحثان الاول اتيك في الموضعين يجوز ان يكون فعلا واسم فاعل الثاني
اختلفوا في قوله قبل ان يرتد اليك طرفك على وجهين الاول انه اراد المبالغة
في السرعة كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وهذا قول مجاهد الثاني
ان نجريه على الظاهر فالطرف تحريك الاجفان عند النظر فاذا فتحت الجفن فقد
يتوهم ان نور العين امتد الى المرئي واذا غمضت الجفن فقد يتوهم ان ذلك النور
ارتد الى العين فهذا هو المراد من ارتداد الطرف وها هنا سوال وهو انه كيف
يجوز والمسافة بعيدة ان ينتقل العرش في هذا القدر من الزمان وهذا يقتضي
اما القول بالطفرة او حصول الجسم الواحد دفعة واحدة في مكانين جوابه
ان المهندسين قالوا كثرة الشمس مثل كرة الارض مائة واربعة وستين مرة ثم
ان زمن طلوعها زمان قصير فاذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص على زمان
القدر الذي بين الشام واليمن كانت اللمحة كثيرا فلما ثبت عقلا امكان وجود
هذه الحركة السريعة وثبت انه تعالى قادر على كل الممكنات زال السوال
ثم انه عليه السلام لما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر
ام اكفر وتفسير الابتلا قد مر غير مرة ثم انه عليه السلام بين ان نفع الشكر
عايد الى الشاكر لا الى الله تعالى اما انه عايد الى الشاكر فلوجوه احدها انه
يخرجه عن عهدة ما وجب عليه من الشكر وثانيها انه يستمد به المزيد على ما قال
لين شكرتم لازيدنكم وثالثها ان المشتغل بالشكر مشتغل بالمنعم عن النعم والمعرض
عن الشكر مشتغل باللذات الحسية وفرق ما بينهما كفرق ما بين المنعم والنعمة في
الشرف ثم قال ومن كفر فان ربي غني كريم غني عن شكره لا يضره ذلك الكفران
كريم لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر قوله تعالى قال نكروا
لها عرشها ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل
اهكذا عرشك قالت كانه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها
ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين اعلم ان قوله
تعالى نكروا معناه اجعلوه منكرا متغيرا عن شكله كما يتنكر الرجل للناس ليلا

يعرفوه وذلك لانه لو ترك على ما كان لعرفته لا محالة وكان لا يدل معرفتها به على ثبات
عقلها واذا غير دلت معرفتها او توقفها فيه على فضل عقل ولا يمتنع صحة ما قيل ان
سليمان عليه السلام القى اليه ان فيها نقصان عقل لكي لا يتزوجها ولا تخطى عنده
على وجه الحسد فاراد بما ذكرنا اختبار عقلها اما قوله تنظر فقرئ بالجزم على
الجواب وبالرفع على الاستيناف واختلفوا في اتهتدي على وجهين احدهما اتعرف
انه عرشها ام لا كما قدمنا الثاني اتعرف به نبوة سليمان ام لا ولذلك قال ام
تكون من الذين لا يهتدون وذلك كالذم ولا يليق الا بطريقة الرسالة فكانه
عليه السلام احب ان تنظر فتعرف به نبوته من حيث صار منتقلا من المكان البعيد الى
هناك وذلك يدل على كمال قدرة الله تعالى وعلى صدق سليمان عليه السلام
ويعرف بذلك فضل عقلها لاغراض كانت له فعند ذلك سالها اما قوله اهكذا
عرشك فاعلم ان اهكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه والاسم
اسم الاشارة ولم يقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا
فقالت كانه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من كمال عقلها حيث توقفت في محل
التوقف اما قوله تعالى واوتينا العلم من قبلها ففيه سؤالات السؤال الاول
وهو ان هذا كلام من وايضا فعلى اي شيء عطف هذا الكلام وعنه جوابان الاول
انه كلام سليمان وقومه وذلك لان بلقيس لما سئلت عن عرشها ثم انها اجابت
بقولها كانه هو فالظاهر ان سليمان وقومه قالوا انها قد اصابت في جوابها
وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام ثم عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن
العلم بالله وقدرته قبل علمها ويكون غرضهم من ذلك شكر الله تعالى في ان خصهم
بمزيد التقدم في الاسلام الثاني انه من كلام بلقيس موصولا بقولها كانه هو
والمعنى واوتينا العلم بالله وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة او قبل هذه
الحالة ثم ان قولها وصدها ما كانت تعبد الى اخر الاية يكون من كلام رب العزة
اما قوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله ففيه وجهان الاول وصدها
عبادتها لغير الله عن الايمان الثاني وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد
بتعدي حذف الجار وايصال الفعل وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صد
او بمعنى لانها واحتجت المعتزلة بهذه الاية فقالوا لو كان الله تعالى خلق الكفر
فيها لم يكن الصاد لها كفرها المتقدم ولا كونها من جملة الكفار وقيل كان الصاد
لها عن الايمان تجدد خلق الله الكفر فيها والجواب اما على التاويل الثاني
فلا شك في سقوط الاستدلال واما على الاول فجوابنا ان كونها من جملة الكفار
صار سببا لحصول الداعية المستلزمة للكفر وحينئذ يبقى ظاهر الاية موافقا
لقولها قوله سبحانه وتعالى قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة وكشفت
عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت
مع سليمان لله رب العالمين اعلم انه تعالى لما حكى اقامتها على الكفر مع

كلما تقدم من الدلايل ذكر ان سليمان اظهر من الامر ما صار داعيا لها الى الاسلام وهو
قوله تعالى قيل لها ادخلي الصرح والصرح القصر لقوله تعالى يا هامان ابن لي صرحا
وقيل صحن الدار وقرا ابن كثير ساقيها بالهمزة ووجهه انه سمع سوء وفاقا جرى عليه
الواحد والممرد الملس وروي ان سليمان امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر
من زجاج ابيض كالماء بياضا ثم ارسل تحته الماء والقى فيه السمك ووضع سريره في صدره
فجلس عليه وعكف عليه الانس والجن والطير وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره
وتحققا لنبوته وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها
كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد منها ولد تجتمع اليه له فطنة الجن والانس
فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد فقالوا ان في عقلها نقصانا وهي شعراء
الساقين ورجلها كحوافر حمار فاختبر سليمان عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح
ليتعرف ساقها ومعلوم من حال الزجاج الصافي انه يكون كالماء فلما ابصرت ذلك
ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها لتخوضه فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما وهذا
على طريقة من يقول تزوجها وقال اخرون كان المقصود من الصرح تهويل المجلس وتعظيمه
وحصل كشف الساق على سبيل التبع فلما قيل لها هو صرح ممرد من قوارير سترت
وعجبت من ذلك واستدلت به على التوحيد والنبوة فقالت اني ظلمت فيما تقدم
من الكفر ثم قالت واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقيل حسبت ان سليمان
يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان واختلفوا هل تزوجها
ام لا وانه تزوجها في هذا الحال او من قبل ان كشفت عن ساقيها والاظهر في كلام
الناس انه تزوجها وليس لذلك ذكر في الكتاب ولا خبر مقطوع به ويروى عن
ابن عباس انها لما اسلمت قال لها اختاري من قومك من يتزوجك فقالت مثلي لا ينكح
الرجال مع سلطاني فقال النكاح من الاسلام فقالت ان كان كذلك فزوجني ذا تبع
ملك همدان فزوجها اياه ثم ردها الى اليمن ولم يزل بها ملكا القصة
الثالثة قصة صالح عليه السلام قوله تعالى ولقد ارسلنا الى
ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم
تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا
اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون وكان في المدينة
تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه
واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ومكروا مكرا
ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم
اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا
الذين امنوا وكانوا يتقون قرئ ان اعبدوا الله بالضم على اتباع النون
الباء اما قوله فاذا هم فريقان ففيه قولان احدهما فريق مؤمن وفريق كافر
الثاني ان المراد قوم صالح قبل ان يؤمن منهم احد اما قوله يختصمون فالمعنى ان

الفريق الذين امنوا انما امنوا لانهم نظروا في حجته فعرفوا صحتها واذا كان كذلك فلا
بد وان يكونوا خصما لمن لم يقبلها واذا كان هذا الاختصام في باب الدين دل ذلك
على ان الجدال في باب حق وفيه ابطال التقليد اما قوله يا قوم لم تستعجلون بالسيئة
قبل الحسنة ففيه بحثان الاول ان في تفسير استعجال السيئة قبل الحسنة وجهان
احدهما ان الذين كذبوا صالحا عليه السلام لما لم ينفعهم الحجاج توعدهم صالح بالعذاب
فقالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين على وجه الاستهزاء فعندها قال
صالح لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة والمراد ان الله تعالى قد مكنكم من التوصل
الى رحمة الله وثوابه فلماذا تعدلون عنه الى استعجال عذابه وثانيهما انهم كانوا
يقولون بجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ
واستغفرنا فحينئذ يقبل الله توبتنا ويدفع العذاب عنا فخاطبهم صالح على حسب
اعتقادهم وقال هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب فان استعجال الخير اولى
من استعجال العذاب البحث الثاني ان المراد بالسيئة العقاب وبالحسنة الثواب
فاما وصف العقاب بانه سيئة فهو مجاز وسبب هذا التجوز اما لان العقاب من
لوازمه واما لانه يشبهه في كونه مكروها واما وصف الرحمة بانها حسنة فمنهم من قال
انه حقيقة ومنهم من قال انه مجاز والاول اقرب ثم ان صالحا عليه السلام لما قرر
هذا الكلام الحق اجابوه بكلام فاسد وهو قولهم اطيرنا بك اي تشاءمنا بك لان
الذي يصيبنا من شدة قحط فهو شومك وشوم من معك قال صاحب الكشاف
كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر ساقحا تيمن وان مر بارحا تشاءم
فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا للخير والشر وهو قدر الله
وقسمته فاجاب صالح عليه السلام بقوله طائركم عند الله اي السبب الذي
يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدره ان شاء رزقكم وان شاء
احرمكم وقيل ان المراد ان جزاء الطيرة منكم عند الله الذي منه العقاب والثواب
والاقرب هو الوجه الاول لان القوم اشاروا الى الامر الحاصل فيجب في جوابه
ان يكون فيه لا في غيره ثم بين ان هذا جهل منهم بقوله بل انتم قوم تفتنون
فيحتمل ان غيرهم دعاهم الى هذا القول ويحتمل ان يكون المراد ان الشيطان
يفتنكم بوسوسته ثم انه سبحانه وتعالى قال وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون
في الارض والاقرب ان يكون المراد تسعة جمع اذ الظاهر من الرهط الجماعة
لا الواحد ثم يحتمل انهم كانوا قبائل ويحتمل انهم دخلوا تحت العدد لاختلاف
صفتهم واحوالهم لا لاختلاف النسب فبين تعالى انهم يفسدون في الارض ولا
يخرجون ذلك الفساد بشيء من الصلاح فلهذا قال يفسدون في الارض ولا
يصلحون ثم بين تعالى ان من جملة ذلك ما هموا به في صالح عليه السلام اما
قوله تقاسموا بالله فيحتمل ان يكون خبرا وامرا في محل الحال باضمار قد اي
قالوا متقاسمين والبيات مباغتة العدو ليلا اما قوله تعالى ثم لنقولن

لوليه ما شهدنا مهلك اهله يعني لو اتهمنا قوم حلفنا لهم انا لم نحضر وقرئ مهلك بفتح
الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان
ثم انه تعالى قال ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فقد اختلفوا في مكر الله
على وجوه احدها ان مكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون تشبيه بمكر الماكر على سبيل
الاستعارة روي انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح
انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب
وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله قتلناهم فبعث الله صخرة فطبقت
الصخرة عليهم فم الشعب فهلكوا وهلك الباقون بالصيحة وثانيها جاؤوا بالليل
شاهرين سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة ما درى صالح فدفعوهم بالحجارة يرون
الحجارة ولا يرون راميا وثالثها ان الله تعالى اخبر صالحا بمكرهم فتحرز عنهم فذاك
مكر الله تعالى في حقهم اما قوله انا دمرناهم استئناف ومن قرا بالفتح رفعه بدلا من
العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على الحال او على معنى
لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار اما قوله خاوية فهو حال
عمل فيها ما دل عليه تلك وقرا عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدا
المحذوف والله اعلم

القصة الرابعة قصة لوط عليه السلام

قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون
ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون فما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه
واهله الا امراته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا
فساء مطر المنذرين قال صاحب الكشاف واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة
ولقد ارسلنا عليه واذ يدل على الاول ظرف على الثاني اما قوله اتاتون
الفاحشة فهو على وجه الانكار وان كان بلفظ الاستفهام وربما كان التوبيخ
بمثل هذا اللفظ ابلغ اما قوله تعالى وانتم تبصرون ففيه وجوها احدها انهم
كانوا لا يتحاشون من اظهار ذلك على وجه الخلاعة ولا يتكاتمون وذلك احد
ما لاجله عظم ذلك الفعل وثانيها ان المراد بصر القلب ان تعلمون انها فاحشة
لم تسبقوا اليها وان الله تعالى لم يخلق الذكر لذلك فهي مضادة لله في حكمه
وثالثها تبصرون اثار العصاة قبلكم وما ينزل بهم فان قلت فسرت تبصرون
بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علما جهلا قلت اراد تفعلون
فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل
السفاهة والبجالة التي كانوا عليها ثم انه تعالى بين جهلهم بان حكى عنهم انهم
اجابوا عن هذا الكلام بما لا يصلح ان يكون جوابا له فقال فما كان جواب قومه
الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فجعلوا الذي لاجله
يخرجون انهم يتطهرون من هذا الصنع الفاحش وهذا بان يوجب تبقيتهم

وتنظيمهم الى ان كمل من العشرين قال تعالى لواذا دليل على وجه الهزء ثم بين تعالى
انه نجاه واهله الا امرأته واهلك الباقين وقد تقدم كل ذلك مشروحا والحمد
لله وهاهنا احرز القصص القول في خطاب الله تعالى لنبيه محمد عليه السلام
قوله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خيرا ما
يشركون في هذه الآية قولان الاول انه متعلق بما قبله من القصص،
والمعنى الحمد لله على هلاك هم وسلام على عباده الذين اصطفى بالنار اسلم ونجاهم
والثاني انه مبتدأ وانه تعالى لما ذكر احوال الانبياء عليهم السلام وكان تحمد
عليه الصلاة والسلام كالمخالف لمن قبله في امر العقاب لان عذاب الاستيصال
مرتفع عن امته امره الله تعالى ان يشكر ربه على ما خصه بهذه النعم وبان يسلم
على الانبياء الذين صبروا على مشاق الرسالة فاما قوله تعالى خير اما يشركون
فهو تبكيت للمشركين وتهكم بحالهم وذلك لانهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة
الله تعالى ولا يترتب على شيء منها الا لذيادة خير ومنفعة فقيل لهم هذا
الكلام تنبيها لهم على غباوة حالهم وجهلهم وتقريعا لتشركون بالتاء وابيا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال بل الله خير وابقى واجل
واكرم ثم اعلم انه سبحانه وتعالى تكلم بعد ذلك على عدة فصول الفصل
الاول في الرد على عبدة الاوثان ومدار هذا الفصل على انه سبحانه وتعالى
هو الخالق لاصول النعم وتروعها فكيف تحسن عبادة ما لا منفعة فيه البتة
ثم انه سبحانه وتعالى ذكر انواعا النوع الاول ما يتعلق بالسموات قوله
تعالى امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به
حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اله مع الله بل هم قوم يعدلون
في لا بد من مسائل المسئلة الاولى قال صاحب الكشاف الفرق بين ام وام
في اما تشركون وان خلق ان الاولى متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه منقطعة
بمعنى بل والهمزة لان السكتان عليه حايطين الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات
بهجة لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال للسادهيت والبهجة الحسن
لان حسن الناظر يبتهج به الله مع الله اعبره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ
الهع الله بمعنى اتدعون او اتشركون المسئلة الثانية انه تعالى بين ان
الذي اختص بان خلق السموات والارض وجعل السماء كالما والارض كالمكان
للنبات وذكر اعظم النعم وهو الحدائق ذات البهجة ونبه تعالى على ان هذا
الانبات في الحدائق لا يقدر عليه الا الله تعالى لان احدا لو قدر عليه
لما احتاج الى الغرس والمصابرة على ظهور الثمرة فاذا كان تعالى هو المختص بهذا
الانعام وجب ان يخص بالعبادة ثم قال بل هم قوم يعدلون وقد اختلفوا فيه
فقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر وقيل يعدلون بالله سواه ونظير هذه الآية
في اول سورة الانعام المسئلة الثالثة تقيل ما حكمة الالتفات في قوله فانبتنا

جوابه ان الاشعة للعاقل في ان خالق السموات والارض ومنزل الماء من السماء لا الله تعالى
وربما عرضت الشبهة في ان منبت الشجرة هو الانسان فان الانسان يقول انا الذي انبتها
البذر في الارض الحرة واسقيها الماء وبسببي تنميتها فاعلم انك انت المسبب فاذا
انا انبتت الشجرة فلما كان هذا الاحتمال قائما لا جرم ازال الله تعالى هذا الاحتمال
فرجع من لفظ الغيبة الى قوله فانبتنا وقال ما كان لكم ان تنبتوا شجرها الا
الانسان فقد يأتي بالبذر والسقي والكرب والتشمس ثم لا يأتي على وفق مراده
والذي ينفع على وفق مراده فانه يكون جاهلا بطبعه وبمقداره وكيفيته فكيف
يكون فاعلا لها فلهذه النكتة حسن الالتفات هاهنا النوع الثاني ما يتعلق
بالارض قوله تعالى ام من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل
لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا اله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون قال
صاحب الكشاف ام من خلق وما بعده بدل من ام من خلق فكان حكمها حكمه والغرض
انه تعالى ذكر من منافع الارض امورا اربعة المنفعة الاولى كونها قرارا وذلك
لوجوه الاول انه دحاها وسواها للاستقرار الثاني انه تعالى جعلها متوسطة
في الصلابة والرخاوة فليست في الصلابة مثل الحجر الذي يتألم الانسان بالاضطجاع
عليه وليست في الرخاوة كالماء الذي يغرق فيه الثالث انه تعالى جعلها كثيفة
غير ايستقر عليها الثور ولو كانت لطيفة لما استقر عليها الثور ولو لم يستقر
عليها الثور لما صار من شدة بردها بحيث تموت الحيوان الرابع انه سبحانه جعل
الشمس بسبب ميل مدارها عن مدار منطقة الكل بحيث تتغير تارة وتعتدل اخرى
من سمت الراس ولولا ذلك لما اختلفت الفصول ولما حصلت المنافع الخامس
انه سبحانه وتعالى جعلها ساكنة فانها لو كانت متحركة لكانت اما متحركة على
الاستقامة او على الاستدارة وعلى التقديرين لا يحصل الانتفاع بالسكنى على الارض
السادس انه سبحانه وتعالى جعلها كفاتا للاحياء والاموات وانه يطرح عليها
كل قبيح ويخرج منها كل مليح المنفعة الثانية للارض قوله وجعل خلالها انهارا
فاعلم ان اقسام الحياة المتشعبة عن الارض اربعة الاول مياه العيون السيالة
وهي تنبعث من اجزاء كثيرة المادة قوية الاندفاع تجر الارض بقوة ثم لا تزال
ينشع جزء منها جزءا الثاني هي العيون الراكدة وهي تحدث من اجزاء بلغت قوتها
ان اندفعت الى وجه الارض ولم تبلغ في قوتها وكثرة مادتها ان يطرد ذلك فيها
سابقها الثالث المياه الغنية والامطار وهي متولدة عن ابخرة تاوصية الغرة عن
ان تنشق الارض فاذا ازيل عنق وجهها ثقل التراب وصادف جيدة تندر الابخرة
ستقد انتدفع اليه بادنى حركة الرابع مياه الابار وهي بعينه كمياه الامطار الا
انه لم يحصل له ميل الى موضع بسبب الى ويبقه الا ان شهية الفتي الى الامطار كشهية
العيون السايكة الى العيون الراكدة فوق ظاهر انه لولا صلابة الارض عما اجتمعت
تلك الابخرة في باطنها ولولا اجتماعها في باطنها لما حدثت هذه العيون في ظاهرها

خ

المنعقدة الثالثة للارض قوله تعالى وجعل لها رواسي والمراد بها الجبال فنقول اكثر
العيون والسحب والمعدنيات انما يكون في الجبال او فيما يقرب من الجبال اما العيون
فلان الارض اذا كانت رخوة عشت الابخرة عنها فلا يجتمع منها قدر يعتد به فاذا
هذه الابخرة لا تجتمع الا في الارض الصلبة والجبال اصلب الارض فلا جرم كانت اقوى
على حبس هذا البخار حتى يجتمع ما يصلح ان يكون مادة للعيون وينبغي ان يكون
مستقر الجبال صلدا ما ويكون الجبل في خفة الابخرة مثال الانبيق الصلب المعد
للتقطير لا يدع شيئا من البخار يتحلل وتنبس الارض الرخوة كالقرعة والعيون
كالاديات والبحار كالقوابل ولذلك ان اكثر العيون انما ينفجر من الاطراف الجبال
وانقطعها في السراري وذلك لان الماء لا يكون الا اذا كانت الارض صلبة واما ان
اكثر السحب يكون في الجبال فلوجوه ثلاثة احدها ان في باطن الجبال من البرادات
ما لا يكون في باطن الارضين الرخوة وثانيها الجبال بسبب ارتفاعها امر دفلا
جرم تبقى على ظاهرها من الابخرة ومن الثلوج ما لا يبقى على ظاهر سائر الارضين
وثالثها ان الابخرة الصاعدة تكون محبوسة بالجبال فلا تتفرق ولا تتحلل واذا
ثبت ذلك ظهر ان اسباب كثرة السحب في الجبال اكثر لان المادة فيها ظاهرا
وباطنا اكثر والاحتقان اشد والسبب المحلل وهو الحر اقل فلذلك كانت
السحب في الجبال اكثر واما المعدنيات المحتاجة الى ابخرة تكون اختلاطها
بالارضية اكثر والى تقادم مدة طويلة يتم النضج فيها فلا شيء لها في هذا المعنى
كالجبال المتفقة الرابعة للارض قوله وجعل بين البحرين حاجزا فالمقصود
منه ان لا يفسد العذب الاختلاط وايضا فلكي ينتفع بكل واحد من الحاجز وايضا للوجهين
في قوله بحران بحر الايمان والحكمة وبحر الطغيان والشهوة وبين قوله جعل
بينهما حاجزا لكي لا يفسد احدهما بالاخر وقال بعض الحكماء في قوله مرج البحرين
يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان قال عند عدم البغي يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
عند عدم البغي في القلب يخرج الدين والايمان باستكمالهما فان قيل ولم
جعل القسم الحاصل من الاولى ملوحة لاجن وانتشر فيفسد اهونه في الارض
واحدث الوبا العام واعلم ان اختصاص البحر بجانب من الارض دون جانب
امر غير واجب بل الحق ان البحر يتنقل في مدة لا تضبطها التواريخ المنقولة من قعرت
الى قعرت لان استمداد البحر في الاكثر من الانهار والانهار تشتمل في الاكثر من العيون
واما مياه السماء فانها تحدث تارة في فصل دون فصل ثم لا العيون ولا مياه السماء
يجب ان تتشابه احوالها في بقاع واحدة بأعيانها تتشابها مستمرا فان كثيرا من
العيون تغور وكثيرا ما تنحفظ السماء فلا بد حينئذ من تغير الاودية والانهار بتغير من
بسبب ذلك تنقلب البحار واذا احدثت العيون او احرثت الانهار
تحصلت البحار من ذلك الجانب ثم انه سبحانه وتعالى لما ثبت انه هو المختص بالقدرة
على خلق الارض التي فيها هذه المنافع الجليلة وجب ان يكون هو المختص بالالهية

وانبه بقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون على عظيم جهلهم بالذهاب عن هذا التذكر
النوع الثالث ما يتعلق باحتياج الخلق اليه سبحانه وتعالى وهو قوله ان يجيب
المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض الدليل على انه تعالى
اعلم انه سبحانه وتعالى نبه في هذه الاية على امرين احدهما قوله تعالى ان يجيب المضطر
اذا دعاه قال صاحب الكشاف الضرورة الحاجة المحوجة الى الالتجاء والاضطرار
انتقال من ضاقه يقال اضطره ليكذا والفاعل والمفعول مضطران واعلم ان المضطر والذي
احوجه مرض وفقر او نازلة من نوازل الدهر الى التضرع الى الله تعالى وعن السدي
الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر فان قيل لم عم المضطرين
بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعوه فلا يجاب فجوابه قد بينا في
اصول الفقه ان المفرد المعرف لا يفيد العموم وانما يفيد الماهية فقط والحكم
المثبت للماهية يكفي في صدقه تبوته في فرد واحد من افراد الماهية وايضا
فانه تعالى وعد بالاستجابة ولم يذكر انه يستجيب في الحال وتمام القول في شرائط
الدعاء والاجابة مذكور في قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم واما قوله
تعالى ويكشف السوء فهو كالتفسير للاستجابة فانه لا يقدر احد على كشف ما وقع
فيه من فقر او مرض او محنة وضيق الا القادر الذي لا يعجزه شيء والمقصود
الذي لا ينازع وثانيها قوله ويجعلكم خلفاء الارض فالمراد تنوارثهم سكناها وامر
والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ يذكرون
بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة اي تتذكرون تذكرا قليلا
والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي النوع الرابع ما يتعلق ايضا باحتياج
الخلق ولكنه خاص به وهو خاص قوله تعالى امن يهديكم في ظلمات البر والبحر
ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته الله مع الله تعالى الله عما يشركون
ثم انه تعالى نبه في هذه الاية على امرين الاول قوله امن يهديكم والمراد يهديكم
بالنجوم في الشتاء والعلامات في الارض اذا حجب عليكم الطريق سائرين في البر والبحر
الثاني قوله تعالى ومن يرسل الرياح فانه سبحانه وتعالى هو الذي يحرك الرياح
فتثير السحاب ثم يسوقه الى حيث يشاء فان قيل لا نسلم انه تعالى هو الذي
يحرك الرياح فان الفلاسفة قالت الرياح انما تتولد من الدخان وليس الدخان
كله من الجسم الاسود المرتفع مما احترق بالنار بل كل جسم ارضي يرتفع بتصعد الحرارة
سواء كانت الحرارة حرارة النار او حرارة الشمس فهو دخان قالوا وتولد الريح من
الابخرة على وجهين احدهما اكثري والاخر نادر قلبي اما الاكثري فهو انه اذا صعدت
ابخرة كثيرة الى فوق فقد وصولها الى الطبقة الباردة اما ان ينكسر حرها
بسبب ذلك البرد او لا ينكسر فان انكسر فلا محالة ينثقل وينزل فيحصل من نزولها
تموج الهواء فتحدث الريح وان لم ينكسر حرها بسبب ذلك البرد فلا بد وان ينتهي
الى ان يصل الى كرة النار المتحركة بحركة الفلك وحينئذ لا يمكن من الصعود

بسبب حركة النار فترجع تلك الادخنة وتصير ريحا لا يقال لو كان اندفاع هذه الادخنة
حركة الهوا العالي لما كانت حركتها الى اسفل بل الى جهة حركة الهوا العالي لانا نقول الجواب
من وجهين الاول انه ربما اوجبت هيئة صعود تلك الادخنة وهيئة لحوق المادة
بها ان تتحرك الى خلاف جهة المتحرك لمانع كالسهم يصيب جهتها متحركا فيقطعه تارة
الى جهته اذا كان الحابس كما يقدر على حركة صرف المتحرك عن جهته يقدر ايضا
على صرفه الى جهة حركة نفسه وتارة الى خلاف تلك الجهة اذا كان المفارق
يقدر على الحبس ولا يقدر على الصرف الثاني انه ربما كان صعود بعض الادخنة
من تحت مانعا للادخنة النازلة من فوق ان يستقل ذلك فلاجل هذا السبب
يتحرك الى سائر الجوانب واعلم ان لاهل الاسلام هاهنا مقامين الاول ان نقيم
الدلالة على فساد هذه العلة وبيان ذلك من وجهين الاول ان الاجزاء الدخانية
ارضية فهي اثقل من الاجزاء البخارية المائية ثم ان البخار لما برد نزل على الخط
المستقيم مطرا فالدخان لما برد فلما ذا لم يعد على الخط المستقيم بل ذهب يمنة و
يسرة الثاني ان حركة تلك الاجزاء الى اسفل طبيعية وحركتها يمنة ويسرة
عرضية والطبيعية اقوى من العرضية وان لم تكن اقوى فلا اقل من المساواة
ثم ان الريح عند حركتها يمنة ويسرة ربما تقوى على قلع الاشجار وربما رمى الجدار
بل الجبال فتلك الاجزاء الدخانية عندما تحركت حركتها الى الطبيعة التي لها
وهي الحركة الى اسفل وجب ان تهدم السقف ولكنا نرى الغبار والكثير ينزل
من الهوا ويسقط على السقف فلا نحس تنزيله فضلا عن ان يهدمه فثبت
فساد ما ذكروه المقام الثاني هب ان الامر كما ذكروه ولكن الاسباب الفا
علية والقابلية لها مخلوقة لله تعالى فانه لولا الشمس وتاثيرها في تصعيد
الابخرة والادخنة الى طبقات الهوى والا لما حدثت هذه الامور ومعلوم
ان من وضع اسبابا متادية الى منافع عجيبة وحكمة بالغة فذلك الواضع هو
الذي فعل تلك المنافع فعلى جميع الاحوال لا بد من شهادة هذه الامور على
مدبر حكيم واجب لذاته قطعا لسلسلة الحاجات **النوع الخامس** ما يتعلق بالحشر
والنشر قوله تعالى امن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السما والارض
االه مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين اعلم انه تعالى لما عدد
نعم الدنيا اتبع ذلك بنعم الاخرة بقوله امن يبدؤ الخلق ثم يعيده لان نعم
الاخرة لا تتم الا باعادة بعد الابتدا والابلاغ الى حد التكليف فقد تضمن
الكلام كل هذه النعم ومعلوم انها لا تتم الا بالارزاق ولذلك قال ومن يرزقكم
من السما والارض ثم قال االه مع الله منكرا لما هم عليه ثم بين بقوله قل هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين ان لا برهان لهم فاذا هم مبطلون فاذا يدل على انه
لا بد في الدعوى من البرهان وعلى فساد التقليد فان قيل كيف قيل لهم
امن يبدؤ الخلق ثم يعيده وهم منكرون للاعادة فجوابه كانوا معترفين

بالابتدا ودلالة الابتدا على الاعادة دلالة ظاهرة قوية فلما كان الكلام مقرونا
بالدلالة الظاهرة صار كانه لم يبق لهم عذر في الانكار وهاهنا اخر الدلايل
المذكورة في كمال قدرة الله تعالى قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون بل ادرك علمهم في الاخرة بل هم
في شك منها بل هم منها عمون اعلم انه تعالى كما بين انه مختص بالقدرة فكذلك
بين انه المختص بعلم الغيب واذا ثبت ذلك ثبت انه هو الاله المعبود لان الاله
هو الذي يصح منه مجازاة من يستحق الثواب على وجه لا يلتبس باهل العقاب
فان قيل الاستثنا حكمه اخراج ما لولاه لوجب او ما لولاه لصح دخوله
تحت المستثنى منه ودلت الاية هاهنا على استثنا الله سبحانه عمن في السموات
والارض وذلك يوجب كونه سبحانه وتعالى في المكان فالجواب هذه الاية
متروكة الظاهر لان من قال انه تعالى في المكان زعم انه في السموات ومن قال
انه ليس في مكان فقد نزهه عن كل الامكنة فثبت بالاجماع انه تعالى ليس في السموات
والارض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها
لا يقال ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم
بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير جايز لانا نقول كونهم في السموات والارض كما
انه حاصل حقيقة وهو حصول ذواتهم في تلك الاحياز فذلك حاصل مجازا وهو
كونهم عالمين بتلك الامكنة فاذا ذواتهم في تلك الاحياز فاذا حملت هذه القضية
على المعنى المجازي بمعنى دخول الرب سبحانه والعبيد فيه فيصح الاستثنا
وقوله وما يشعرون صفة لاهل السموات والارض يعني ان يكون لهم علم بالغيب
وذكر في جملة الغيب متى البعث لقوله ايان يبعثون وايان بمعنى متى وهي كلمة
مركبة من اي والان وهو الوقت وقرئ ايان بكسر الهمزة اما قوله تعالى بل
ادرك علمهم في الاخرة فاعلم ان كلام صاحب الكشاف فيه مرتب على ثلاثة
ابحاث الاول فيه ثنتا عشرة قراءة بل ادرك بل اداراك بل ادرك بل تدارك
بل اادرك بهمزتين بل أأدرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف والثقل بل
ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام بلى ادرك
ام تدارك ام ادرك البحث الثاني ادارك اصله تدارك فادغمت التا في الدال
وادرك افتعل البحث الثالث معنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادارك تتابع
واستحكم ثم فيه وجوه احدها ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة
كائنة لا ريب فيها قد حصل لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك
قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في الارض لانهم لما كانوا في
جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم
فان قيل الاية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم
بشيء منه فان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون فكيف ناسب

هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة
فالجواب كانه سبحانه قال كيف يعلمون الغيب مع انهم شكوا في ثبوت الاخرة
التي دلت الدلايل الظاهرة الباهرة عليها فمن غفل عن هذا الشي الظاهر كيف يعلم الغيب
الذي هو اخفى الاشيا الوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم تهكم بهم كما تقول لاجهل
الناس ما اعلمك على سبيل الهزو وذلك حيث غفلوا عن اثبات ما الطريق اليه واضح
ظاهر الوجه الثالث ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمر لان
تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك
بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك اما وجه قراة من قرا بل ادرك على الاستفهام
فهو استفهام على وجه الانكار لادرك علمهم وكذلك من قرا ام ادرك وام تدارك
لانها ام التي بمعنى بل والهمزة واما من قرا بلى ادرك وبلى ادرك فلانه جا ببلى
بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك
علمهم في الاخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال
شعورهم بوقت الاخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما
يكون واما من قرا بل ادرك على الاستفهام فمعناه بل يشعرون متى يبعثون ثم
انكر عليهم بكونها واذا انكر عليهم بكونها لم يحصل لهم شعور بوقت كونها فان قلت
هذه الاضرابات الثلاثة ما معناها قلت هي بيان درجاتهم وصفهم اولا
بانهم لا يشعرون بوقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كاينة ثم انهم يخبطون
في شك ومرية ثم بهاهم اسوا حالا وهو العمى وفيه نكتة وهو انه تعالى جعل الاخرة
سيرا عماهم فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزا هو الذي جعلهم
كالبهايم قوله تعالى وقال الذين كفروا ايذا كنا ترابا وابا وتنا اينا لمخرجون
لقد وعدنا هذا نحن وابا وتنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق
مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون
ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس
ولكن اكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
وما من غايبة في السما والارض الا في كتاب مبين اعلم انه سبحانه وتعالى
لما تكلم في حال المبدا تكلم بعده في حال المعاد وذلك لان الشك في المعاد لا ينشا الا من
الشك في كمال القدرة او في كمال العلم فاذا ثبت كونه تعالى قادرا على كل الممكنات
وعالما بكل المعلومات ثبت انه تعالى يمكنه تمييز اجزا بدن كل واحد من المكلفين
عن اجزا بدن غيره وثبت انه قادر على ان يعيد التركيب والحياة اليها فاذا
ثبت امكان ذلك ثبت صحة القول بالحشر فلما بين سبحانه وتعالى هذين الاصلين
فيما قبل هذه الاية لا جرم تكلم بعده في هذه المسئلة فحكى عنهم انهم تعجبوا من اخراجهم
احيا وقد صاروا ترابا وطعنوا فيه من وجهين الاول قولهم لقد وعدنا هذا نحن

وابا وتنا اي هذا الكلام كما قيل لنا فقد قيل لمن قبلنا ولم يظهر له اثر فهو اذا من اساطير
الاولين يريدون ما لا يصح من الاخبار فان قيل ذكرها هنا لقد وعدنا هذا نحن وابا وتنا
وفي اية اخرى لقد وعدنا نحن وابا وتنا هذا فما الفرق قلنا التقديم دليل على
ان المقدم هو المقصود الاصلي وان الكلام سيق لاجله ثم انه سبحانه لما كان قد بين
الدلالة على هذين الاصلين ومن الظاهر ان كل من احاط بهما فقد عرف صحة الحشر
والنشر ثبت انهم اعرضوا عنها ولم يتاملوا فيها وكان سبب ذلك الاعراض حب الدنيا
وحب الرياسة والجاه وعدم الانقياد للغير لا جرم اقتصر على بيان ان الدنيا فانية
زايلة فقال قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين وفيه سوالان
الاول لم لم يقل كيف كانت عاقبة المجرمين جوابه لان تانيثها غير حقيقي ولان
المعنى كيف كان اخر امرهم السوال الثاني لم لم يقل عاقبة الكافرين جوابه
الغرض ان يحصل التخويف لكل العصاة ثم انه تعالى صبر رسوله صلى الله عليه وسلم
على ما يناله من هولا الكفار فقال ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون
فجمع بين ازالة الغم عنه بكفرهم وبين ازالة الخوف من جانبهم وصار ذلك كالتكفل
بنصرته عليهم ولا تكن في ضيق اي في حرج صلب يقال ضاق الشي ضيقا ضيقا
بالفتح والكسر والضيق تخفيف الضيق ويجوز ان يراد في امر مضيق من مكرهم
الوجه الثاني للكفار قولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين دل على انهم ذكروا
ذلك على سبيل السخرية فاجاب الله تعالى بقوله عسى ان يكون ردف لكم بعض
الذي تستعجلون وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد كالبا في قوله
ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدا باللام معناه دنى لكم وازف لكم
ومعناه تبعكم ولحقكم وقرا الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر
افصح وها هنا بحثان البحث الاول ان عسى ولعل في وعد الملوك ووعيدهم
يدل على صدق الامر وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام
لو ترقبهم بان عدوهم لا يفوتهم فعلى ذلك وعد الله ووعيده الثاني انه قد
ثبت بالدلايل العقلية ان عذاب الحجاب اشد من عذاب النار ولذلك قال
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم فقدم الحجاب على الجحيم ثم
انهم كانوا محجوبين في الحال فكان سبب العذاب بكماله حاصلا الا ان الاشتغال
بالدنيا ولذاتها كالعايق عن ادراك ذلك الالم كما ان العضو الخدر اذا مسته
النار فان سبب الالم حاصل في الحال لكنه لا يحصل الشعور بذلك الالم لقيام
العايق فاذا زال العايق عظم البلا فكذا ها هنا اذا زال البدن عظم عذاب
الحجاب فقوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون يعني المقتضي
او المؤثر فيه حاصل وتمامه انما يحصل بعد الموت ثم انه سبحانه وتعالى بين
السبب في ترك تعجيل العذاب فقال وان ربك لذو فضل على الناس والفضل

الافضال ومعناه انه مفضل عليهم بتاخير العقوبة والكرم لايقترن هذه النعمة ولا ينكرونها وهذه الاية تبطل قول من قال ان لا نعمة لله على الكفار ثم بين انه سبحانه وتعالى مطلع على ما في قلوبهم فقال وان ربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهاهنا بحث عقلي وهو انه قدم ما تكنه صدورهم على ما يعلنون وفي افعال الجوارح والعلم بالعلة علة للعلم بالمعلول فتقدم السبب في ذلك التقديم قلنا لكنه تعالى لما كان عالما بالسر والخفيات واخفى فبين انه تعالى يعلم ما يخفون وما يعلنون من معاداة الرسول ومكايدهم اما قوله تعالى وما من غائبة فقال صاحب الكشاف سمي الذي يغيب وخفي غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العاقبة والعافية تظيرها والنطيحة والذبيحة في انهما اسما غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر عن الراوية السوء كانه تعالى قال وما من شيء يتصف بالغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملايكة قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمومنين ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يومن بايانا فهم مسلمون اعلم انه سبحانه وتعالى لما تم الكلام على في اثبات المبدا والمعاد وذكر بعد ذلك ما يتعلق بالنبوة ولما كانت المعجزة الكبرى في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن لاجرم بين الله تعالى ان كونه معجزا من وجوه احدها ان الاخبار عن الامور المذكورة في القرآن موافقة لما كانت مذكورة في التوراة والانجيل مع العلم بانه عليه السلام كان اميا وانه لم يخالط احدا من العلماء ولم يتتلمذ قط بالاستفادة والتعلم فان الا يكون ذلك الا من الله تعالى واختلفوا فانا بعضهم اراد به ما اختلفوا فيه ونبا يئوا وقال بعضهم بل اراد به اخبار الانبيا والاول اقرب وثانيها قوله وانه لهدى ورحمة للمومنين وذلك ان بعض الناس قال انا لما تامنا في القرآن فوجدنا فيه من الدلايل العقلية على التوحيد والحشر والنبوة وشرح صفات الله وبيان نعوت جلاله ما لم يجده في شيء من الكتب ووجدنا فيه من الشرايع مطابقة للعقول موافقة لها ووجدناه سليما عن التناقض والتهافت فكان هديا ورحمة من هذه الجهات ووجدنا الفريق البشرية قاصرة عن جمع كتاب على هذا الوصف فعلمنا انه ليس الا من عند الله فكان القرآن معجزا من هذه الجهة وثالثها انه هدى ورحمة للمومنين لما وقع في الفصاحة الى حيث عجزوا عن معارضته وذلك معجز ثم انه تعالى لما بين كونه

معجزا دل على الرسالة ذكر بعده امرين الاول قوله تعالى ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم والمراد ان القرآن وان كان يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون لكن لا تكن انت في شك منهم فان ربك هو الذي يقضي بينهم اي بين المصيب والمخطي بينهم وذلك كالزجر للكفار فذلك قال وهو العزيز العليم ايها القادر الذي لا يمنع العليم بما يحكم فلا يكون الا الحق فان قيل القضا والحكم شيء واحد فقوله يقضي بحكمه كقوله يقضي بقضايه ويحكم بحكمه قالوا معنى قوله بحكمه اي بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل او ان بحكمته ويدل عليه قراءة من قرا بحكمه جمع حكمة الثاني انه تعالى امره بعد ظهور معجزة رسالته بان يتوكل على الله ولا يلتفت الى اعداء الله ويسعى في تمشية مهمات الرسالة بقلبه قوي فقال فتوكل على الله ثم علل ذلك بامرين احدهما قوله انك على الحق المبين وفيه بيان ان الحق حقيق بنصرة الله وانه لا يخذل وثانيهما قوله انك لا تسمع الموتى وانما حسن جعله سببا للامر بالتوكل وذلك لان الانسان ما دام يطمع في احد شيا فانه لا يقوى قلبه على اظهار مخالفته فالله سبحانه وتعالى قطع طمع محمد عليه السلام بان بين انهم كالموتى وكالصم وكالعمي فلا يفهمون ولا يسمعون ولا يبصرون ولا يكفون عن الضلال الا بمشية الله تعالى وهذا سبب لقوة قلبه عليه السلام على اظهار الدين كما بينا في قوله انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وقوله ولا تسال عن اصحاب الجحيم قال صاحب الكشاف قرئ ولا تسال على النفي والنهي والمعنى على النفي ان تسال عن احوالهم لعلمك بانهم لا يومنون والمعنى على النهي ان تسال عن احوالهم لانك لا تقدر على ان تغير من امرهم شيا وقوله انك لا تسمع الموتى بين ان الكافر بمنزلة الميت في عدم الانتفاع بما يسمع وقوله ولا الصم الدعاء بين ان الكافر بمنزلة الاصم في عدم الانتفاع بما يسمع وقوله ولا تهدي العمي عن ضلالتهم بين ان الكافر بمنزلة الاعمى في عدم الانتفاع بما يبصر وقوله ان تسمع الا من يومن بايانا فهم مسلمون بين ان المنتفع بالسماع والابصار هو المومن بالله واليوم الاخر وهذا يدل على ان الكافر بمنزلة الميت والاصم والاعمى في عدم الانتفاع بما يسمع ويبصر وقوله ان تسمع الا من يومن بايانا اي يصدقون بها فهم مسلمون اي مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن يعني سالما خالصا لله قوله تعالى واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بايانا لا يوقنون ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بايانا فهم يوزعون حتى اذا جاوا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اما ذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يومنون

اعلم ان الله تعالى بين بالدلايل الظاهرة الباهرة كمال القدرة وكمال العلم ثم ترتج عليهما القول بامكان الحشر ثم بين الوجه في كون القرآن معجزا ثم ترتج عليه نبوة محمد عليه السلام ثم نتكلم الان في مقدمات قيام القيامة واما احوال الله تعالى الكلام في هذا الباب عن اثبات النبوة فلما ان هذه الاشيا لا يمكن معرفتها الا بقول النبي الصادق وهذا هو النهاية في وجود الترتيب والعلم الله تعالى ذكر تارة ما يكون علامة لقيام القيامة وتارة لا سور التي تقع عند قيام القيامة فذكر اولا من علامات القيامة دابة الارض والناس تكلموا فيها من وجوه احدها في مختار رحيمها وفي الحديث ان طولها ستون ذراعا وروي ايضا ان راسها يبلغ

السحاب وروي عن ابي هريرة ما بين قرنيها فرسخ للراكب وثانيها في كيفية خلقتها
فروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور
وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب
كبش وخف بعير وثالثها في كيفية خروجها عن علي عليه السلام انها تخرج في
ثلاثة ايام والناس ينظرون ولا يخرج الا ثلثها وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد
ثلاثة ايام ورابعها موضع خروجها سيل النبي صلى الله عليه وسلم من اين تخرج
الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله المسجد الحرام وقيل تخرج من الصفا
فتكلمهم بالعربية وخامسها في عدد خروجها فروي انها تخرج ثلاث مرات وتخرج
باقصى اليمن ثم تنكمن ثم تخرج بالبادية ثم تنكمن دهرا طويلا ثم يبينا الناس في اعظم
المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن والمقام حذا
دار بني مخزوم وعن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون واعلم انه
لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الامور فان صح الخبر عن الرسول قبل والا لم
يلتفت اليه اما قوله تعالى واذا وقع القول عليهم فالمراد من القول متعلقه وهو
ما وعدوا من قيام الساعة ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور
اشراطها اما دابة الارض فقد عرفتها اما قوله تكلمهم فمن الكلم وهو الجرح روي
ان الدابة تخرج من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن فيما بين
عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضا فتفشو تلك النكتة في وجهه يضيء لها
وجهه وتنكت الكافر في انفه فتفشو النكتة حتى يسود بها وجهه واعلم انه
يجوز ان تكلمهم من الكلام ايضا على معنى التكثير يقال فلان يكلم اي يجرح وقرا ابي
تنبيهم وقرا ابن مسعود تكلمهم بان الناس والقراءة بان المكسورة حكاية لقول الدابة
اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اي تقول الدابة ذلك او هي حكاية لقوله
تعالى عند ذلك فان قيل فاذا كانت حكاية عن قول الدابة فكيف يقول
باياتنا جوابه ان قولها حكاية لقول الله تعالى وعلى معنى بايات ونبا
او لاختصاصها بالله واثرتها عنده اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول بعض
خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرا بالفتح فعلى
حذف الجار اي تكلمهم بان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون فاما قوله ويوم نحشر
من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فاعلم ان هذا من الامور الواقعة بعد
القيامة والفرق بين من الاولى والثانية ان الاولى للتبعيض والثانية للتبيين
كقوله من الاوثان اما قوله تعالى فهم يوزعون فمعناه يحبس اولهم عن اخرهم حتى يجتمعوا
فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود
سليمان بذلك وقوله تعالى ممن يكذب باياتنا فهذا وان احتمل معجزات الرسل
كما قاله بعضهم فالمراد كل الايات فيدخل فيه ساير الكفار الذين كذبوا بايات
الله اجمع او في شيء منها اما قوله تعالى ولم تحيطوا بها علما قالوا وللحال كانه قال

اكذبتم بها بادي الراي من غير فكر ولا نظر يودي الى احاطة العلم بكنهها اما قوله تعالى اما
ذا كنتم تعملون فالمراد لما لم تشتغلوا بذلك العمل المهم فاي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك
كانه قال كل عمل سواه فكانه ليس بعمل ثم قال ووقع القول عليهم يريد ان العذاب الموعود
يغشاهم بسبب تكذيبهم بايات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم
لا ينطقون ثم انه سبحانه وتعالى بعد ان خوفهم باحوال القيامة ذكر كلاما يصلح
ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة في الارشاد الى
الايمان والمنع من الكفر فقال اولم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار
مبصرا اما وجه دلالته على التوحيد فلما ظهر في العقول ان التقليب من النور الى
الظلمة ومن الظلمة الى النور لا يحصل الا بقدرة قاهرة غالبة واما وجه دلالته
على الحشر فلانه لما ثبتت قدرته تعالى في هذه الصورة على القلب من النور الى الظلمة
وبالعكس فاي امتناع في ثبوت قدرته على القلب من الحياة الى الموت مرة ومن الموت
الى الحياة اخرى واما وجه دلالته على النبوة فانه تعالى يقلب الليل والنهار
لمنافع المكلفين وفي بعثة الرسل والانبياء الى الخلق منفعة عظيمة فما المانع من
بعثهم الى الخلق لاجل تحصيل تلك المنافع فقد ثبت ان هذه النكتة الواحدة كافية
في اقامة الدلالة على تصحيح الاصول الثلاثة التي منها منشا كفرهم واستحقاقهم
ثم في الاية سؤالان الاول ما السبب في ان جعل الابصار للنهار وهو لاهله جوابه
تنبيها على كمال هذه الصفة فيه الثاني لما قال جعل لكم الليل لتسكنوا فيه فلم لم
يقل والنهار لتبصروا فيه جوابه لان السكون في الليل هو المقصود من الليل
اما الابصار في النهار فليس هو المقصود بل هو وسيلة الى جلب المنافع الدينية
والدنيوية واما قوله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يخص المؤمنين بالذكر
وان كانت ايات الكل من حيث اختصوا بالقبول والانتفاع على ما تقدم في نظايره
قوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء
الله وكل اتوه داخرين هذا هو العلامة الثانية ليوم القيامة اما قوله ينفخ
في الصور ففيه وجوه احدها انه شيء شبيه بالقرن وان اسرافيل عليه السلام
ينفخ فيه باذن الله تعالى فاذا سمع الناس ذلك الصوت وهو في الشدة بحيث
لا تحتمله طبايعهم يفزعون عنده ويصعقون ويموتون وهو قوله تعالى فاذا نقر
في الناقور وهذا قول الاكثرين وثانيها يجوز ان يكون تمثيلا لدعا الموتى
فان خروجهم من قبورهم كخروج الجيش عند سماع الالة وثالثها ان الصور جمع الصور
وجعل النفخ فيها نفخ الروح والاول اقرب لدلالة الظاهر عليه ولا مانع يمنع منه
اما قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض فاعلم انه انما قال ففزع ولم يقل
فيفزع للاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وانه كاين لا محالة لان الفعل الماضي يدل
على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى واما قوله
الا من شاء الله فالمراد الا من ثبت الله قلبه من الملايكة قالوا هم جبريل وميكاييل

واسرافيل وملك الموت وقيل الشهدا وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن
جابر منهم موسى لانه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن
في الارض الا من شا الله وليس فيه خبر مقطوع به والكتاب انما يدل على الجملة اما قوله تعالى
وكل اتوه داخرين فقرئ اتوه واتاه وداخرين فالجمع على المعنى والجمع التوحيد على
اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم للموقف بعد النفخة
الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم اليه قوله تعالى وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شي انه خبير
بما يفعلون هذا هو العلامة الثالثة لقيام القيامة وهو مثل قوله تعالى ويوم
تسير الجبال والوجه في حسبانهم انها جامدة فلان الاجسام الكبار اذا تحركت
حركة سريعة على نهج واحد في الكيفية والسمت نظر الناظر اليها انها واقفة
مع انها تمر مر السحاب مرا حثيثا اما قوله تعالى صنع الله فهو من المصادر المؤكدة
كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ
والمعنى انه لما قدم ذكر هذه الامور التي لا يقدر عليها سواه جعل ذلك الصنع
من جملة الاشيا التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب قال القاضي عبد الجبار
وفيه دلالة على ان القبايح ليست من خلقه والا وجب وصفها بانها متقنة
لكن الاجماع مانع منه والجواب ان الاتقان لا يحصل الا في المركبات فيمتنع
وصف الاعراض بها قوله تعالى من جا بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ
امنون ومن جا بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون
اعلم انه سبحانه لما تكلم في علامات القيامة شرح بعد ذلك احوال المكلفين بعد
قيام القيامة والمكلف اما ان يكون مطيعا او عاصيا اما المطيع فهو الذي جا
بالحسنة وله امران احدهما ان اسما خير منها وذلك هو الثواب فان قيل
الحسنة التي جا العبد بها يدخل فيها معرفة الله تعالى والاخلاص في الطاعات
والثواب انما هو في الاكل والشرب فكيف يجوز ان يقال الاكل والشرب خير من معرفة
الله تعالى فجوابه من وجوه احدها ان ثواب المعرفة النظرية الحاصلة في الدنيا
هي المعرفة الضرورية الحاصلة في الاخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم سبحانه
وتعالى وقد دلت الدلايل على ان اشرف السعادات هي هذه اللذة ولو لم
تحمل الاية على ذلك لزم ان يكون الاكل والشرب خيرا من معرفة الله تعالى
وانه باطل وثانيها ان الثواب خير من العمل من حيث ان الثواب دايم والعمل
منقض ولان العمل فعل للعبد والثواب فعل الله وثالثها فله خير منها اي
له خير خاص من جهتها وهو الجنة السوال الثاني الحسنة لفظة مفردة معرفة
وقد ثبت انها لا تفيد العموم بل يكفي في تحققها حصول فرد من افرادها واذا كان
كذلك فلنحملها على اكمل الحسنات شانا واعلاها درجة وهو الايمان فلهذا
قال ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة وهذا يوجب القطع بان لا يعاقب اهل الايمان

جوابه تلك الخير هو ان لا يكون عقابه مخلدا الامر الثاني المطيع وهو انه امن من كل
فزع لا كما قال بعضهم ان اهوال القيامة تعم المومن والكافر فان قيل اليس انه قال
في اول الاية ففزع من في السموات ومن في الارض وكيف نفي الفزع هنا فجوابه
ان الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجا من رعب
وهيبة وان كان المحسن يامن من وصول ذلك الضرر اليه كما يدخل الرجل على الملك
بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واما الثاني فالخوف
من العذاب اما من قرا من فزع بالتنوين فهو يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف
العذاب واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب عند مشاهدة الاهوال فلا ينفك
عنه احد وفي الاخبار ما يدل عليه او من فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف
وهو خوف النار امن يعدي بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله فهذا شرح
حال المطيعين اما شرح حال العصاة فهو قوله تعالى ومن جا بالسيئة قيل السيئة
الاشراك وقوله تعالى فكبت وجوههم في النار اعلم انه يعبر عن الجملة بالوجه والراس
والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار كقوله فكبكبوا ويجوز ان يكون ذكر الوجوه
ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين اما قوله تعالى هل تجزون الا ما كنتم
تعملون فيجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول
قوله تعالى انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شي
وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القران فمن اهتدى فانما يهتدي
لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها
وما ربك بغافل عما تعملون اعلم انه سبحانه وتعالى لما بين المبدا والمعاد والنبوة
ومقدمات القيامة وصفة اهل القيامة من اهل الثواب والعقاب وذلك كمال
ما يتعلق ببيان اصول الدين ختم الكلام بهذه الخاتمة اللطيفة فقال قل يا محمد
انما امرت باشيا الاول اني امرت بان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له
شريكا وان الله لما قدم دلايل التوحيد فكانه امر محمدا صلى الله عليه وسلم
بان يقول لهم هذه الدلايل التي ذكرتها ان لم تفد لكم القول بالتوحيد فقد افادت
لي ذلك فسوا قبلتم هذه الدعوة او اعرضتم عنها فاني مصر غير مرتاب فيها
ثم انه وصف الله تعالى بامرين احدهما انه رب هذه البلدة والمراد مكة وانما
اختصها من بين ساير البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه
واكرمها عليه واشار اليها اشارة تعظيم لها دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه
اما قوله الذي حرمها فقرئ التي حرمها وانما وصفها بالتحريم لوجوه احدها
انه حرم فيها اشيا على من يحج وثانيها ان اللاجي اليها امن وثالثها ان لا ينتهك
حرمتها الا ظالم ولا يقصد صيدها شجرها ولا ينفر صيدها وانما ذكر ذلك
لان العرب كانوا معترفين بان مكة محرمة وعلموا ان تلك الفضيلة
ليست من الاصنام بل من الله فكانه قال لما علمت وعلمتم انه سبحانه

هو المتولي لهذه النعم وجب علي ان اخصه بالعبادة وثانيها وصف الله تعالى بقوله وله كل
شيء وهذا اشارة الى ما تقدم من الدلايل المذكورة في هذه السورة على التوحيد من كونه
خالقا لجميع النعم فاجعل هاهنا تلك المفصلات وهذا كمن اراد صفة بعض الملوك بالقوة
فبعد تلك التفاصيل ثم بعد التطويل يقول ان كل العالم له وكل الناس في طاعته
الثاني امر بان يكون من المسلمين الثالث امر بان يتلو القران عليهم ولقد قام بكل
ذلك صلوات الله عليه وسلامه اتم قيام فمن اهتدى في هذه المسايل الثلاثة
المتقدمة وهي التوحيد والحشر والنبوة فانما يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدايه
راجعة اليه ومن ضل فلا علي وما انا الا رسول منذر ثم انه سبحانه ختم هذه الخاتمة
بخاتمة في نهاية الحسن وهي قوله وقل الحمد لله على ما اعطاني من نعمة العلم والحكمة
والنبوة او على ما وفقني من القيام باداء الرسالة والانذار سيريكم اياته القاهرة
فتعرفونها لكن لا ينفعهم الايمان وما ربك بغافل عما تعملون لانه من ورا جزاء
العاملين والله اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اولي الالباب

سورة القصص مكية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم
يومنون ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طايفة منهم
يذبح ابناهم ويستحيي نساهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري
فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون اعلم ان قوله تعالى
طسم كساير الفواتح وقد تقدم القول فيها وتلك اشارة الى ايات السورة
والكتاب المبين هو اما اللوح واما الكتاب الذي وعد الله انزاله على محمد مبين
ان ايات هذه السورة هي ايات ذلك الكتاب ووصفه بانه مبين لانه بين فيه
الحلال والحرام او لانه بين بفصاحته انه من كلام الله تعالى دون كلام العباد
او لانه بين صدق نبوة محمد عليه السلام او لانه بين خبر الاولين والاخرين
او لانه بين كيفية التخلص عن شبهات اهل الضلال اما قوله تعالى نتلوا عليك
اي على لسان جبريل عليه السلام لانه عليه السلام كان يتلوا على محمد حتى يحفظه
وقوله من نبا موسى وفرعون فهو مفعول نتلوا اي نتلوا عليك بعض خبرهما
بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن وقوله تعالى لقوم يومنون فيه وجهان
احدهما انه تعالى قد اراد بذلك من لا يومن ايضا لكنه خص المومنين بالذكر
لانهم قبلوا وانتفعوا فهو كقوله هدى للمتقين والثاني يحتمل انه تعالى علم ان
ان الصلاح في تلاوته هو ايمانهم وتكون ارادته لمن لا يومن كالتبع قوله ان
فرعون علا في الارض قيل فرعون بضم الفا وكسرها والكسر احسن والارض

الفسطاط وعلا استكبر وتجبر وتعظم وبغى والمراد به قوة الملك والغلبة في الارض يعني
ارض مملكته ثم فصل الله تعالى بعض ذلك بقوله وجعل اهلها شيعا اي فرقا يسيعونه
على ما يريدونه ويطيعونه لا يملك احد منهم مخالفته او يشيع بعضهم بعضا في استخدامه
او فرقا مختلفة قد اغرا بينهم العداوة ليكونوا له اطوع او المراد ما فسره بقوله
يستضعف طايفة منهم اي يستخدمهم ويذبح ابناهم ويستحيي نساهم فهذا هو المراد بالشيع
قوله طا يستضعف طايفة منهم فتلك الطايفة بنو اسرايل وفي سبب ذبح الابنا وجوه
احدها ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرايل في ليلة كذا يذهب ملكه على يديه
فولد تلك الليلة اثني عشر غلاما فقتلهم وعند اكثر المفسرين بقي هذا العذاب
في بني اسرايل سنين كثيرة قال وهب قتل القبط في طلب موسى تسعين الفا من
بني اسرايل قال بعضهم في هذا دليل على حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن
لم يدفع القتل الكاين وان كذب فما وجه القتل وهذا السوال قد يذكر في
تزييف علم الاحكام من علم النجوم ونظيره ما يقوله نفاة التكليف ان كان زيد
في علم الله تعالى وفي قضايه من السعدا فلا حاجة الى الطاعة وان كان من الاشقيا
فلا فايدة في الطاعة وايضا فهذا السوال لو صح لبطل علم التعبير ومنفعته وايضا
فجواب المنجم ان النجوم دلت على انه يولد ولد لو لم يقتل لصار كذا وكذا وعلى
هذا التقدير لا يكون السعي في قتله عبثا واعلم ان هذا الوجه ضعيف لان
اسناد مثل هذا الخبر الى الكاهن اعتراف بانه قد يخبر عن الغيب على سبيل التفصيل
ولو جوزناه لبطلت دلالة الاخبار عن الغيب على صدق الرسل وهو باجماع
المسلمين باطل وثانيها وهو قول السدي ان فرعون راى في منامه ان نارا اقبلت
من بيت المقدس واشتملت على مصر فاحرقت القبط دون بني اسرايل فسال عن
روياه فقال يخرج من هذا البلد الذي جا بنو اسرايل منه رجل على يديه يكون هلاك
مصر فامر بقتل الذكور وثالثها ان الانبيا الذين كانوا قبل موسى عليهم السلام
بشروا بمجيه وفرعون كان قد سمع ذلك فلهذا كان يذبح ابنا بني اسرايل وهذا
الوجه هو الاولى بالقبول قال صاحب الكشاف يستضعف حال من الضمير في وجعل
او صفة لشيعا او كلام مستانف ويذبح بدل من يستضعف وقوله انه كان
من المفسدين يدل على ان ذلك القتل ما حصل منه الا الفساد وانه لا اثر له
في دفع قضا الله تعالى اما قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض فهو جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة
تلك في وقوعها تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصا له واللفظ في قوله
ونريد للاستقبال ولكن اريد به حكاية حال ماضية ويجوز ان يكون حالا
من يستضعف اي استضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم فان قيل
كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيا كان
ولم يتوقف الى وقت اخر قلنا لما كانت منة الله بتخليصهم من فرعون

قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم اما قوله ونجعلهم ائمة
اي مقدمين في الدين والدنيا وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله
وجعلكم ملوكا ونجعلهم الوارثين اي نملك فرعون وارضه وما في يده اما قوله تعالى
ونمكن لهم في الارض فاعلم انه يقال مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه فوطاه ومهده
ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض وهي ارض مصر والشام اي ينفذ امرهم
ويطلق ايديهم وقوله ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
فقرئ ويرى فرعون وهامان اي يرون منهم ما كانوا خائفين منه من ذهاب
ملكهم وهلاكهم على يد مولود بني اسرائيل **قوله تعالى** واوحينا الى ام
موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا
رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امراة فرعون قرة عين
لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون اعلم انه
تعالى لما قال ونريد ان نمن ابتدا بذكر اوايل نعمه في هذا الباب بقوله واوحينا
الى ام موسى والكلام في هذا الوحي ذكرناه في سورة طه في قوله ولقد مننا
عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى وقوله ان ارضعيه كالدلالة على انها
ارضعته وليس في القران حد ذلك فاذا خفت عليه ان ينظره جيرانك ويسمعون
صوته عند البكا فالقيه في اليم قال ابن جريج ان بعد اربعة اشهر صاح فالقي في اليم
والمراد باليم هاهنا النيل ولا تخافي ولا تحزني والخوف غم يحصل بسبب مكروه
يتوقع حصوله في المستقبل والحزن غم يلحقه بسبب مكروه حصل له في الماضي
فكانه قيل ولا تخافي من هلاكه ولا تحزني بسبب فراقه فانا رادوه اليك لتكون
انت المرضعة له وجاعلوه من المرسلين الى اهل مصر والشام وقصة الالقا في اليم
قد تقدمت في سورة طه قال ابن عباس ان ام موسى عليه السلام لما تقارب
ولادها كانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بالحبالى مصافية لام موسى
فلما احست بالطلق ارسلت اليها وقالت قد نزل بي ما نزل وينفعني اليوم حبك
اياي فجلست القابلة فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عيني موسى
فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها فقالت لها يا هذه ما جئتك الا
لقتل مولودك ولكن وجدت لابنك حبا شديدا فاحفظي ابنك فاني اراه
عدونا فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجا الى بابها ليدخل
على ام موسى فقالت اخته يا ماه هذا الحرس فلفته في خرقة ووضعته في تنور
مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع فدخلوا فاذا التنور مسجور وراوا ام
موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لين فقالوا لم دخلت القابلة عليك
فقالت انها حبيبة لي دخلت للزيارة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها
فقالت لاخت موسى اين الصبي قالت لا ادري سمعت بكاه في التنور فانطلقت

اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فاخذته ثم ان ام موسى لما رات فرعون
الح في طلب الولدان خافت على ولدها فقذف الله تعالى في قلبها ان تتخذ له تابوتا ثم تقذف
التابوت في النيل فذهبت الى نجار من اهل مصر فاشترت منه تابوتا فقال لها ما تصنعين
به فقالت ابن لي اخشى عليه كيد فرعون اخباه فيه وما عرفت انه يفشي ذلك
الخبر فلما انصرفت ذهب النجار ليخبر به الذباحين فلما جاءهم امسك الله لسانه وجعل
يشير بيده فضربوه وطردوه فلما عاد الى موضعه رد الله عليه نطقه فذهب مرة اخرى
ليخبرهم به فضربوه فاخذ الله بصره ولسانه وطردوه فجعل الله ان رد الله عليه بصره
ولسانه فانه لا يدل عليه فعرف الله منه الصدق فرد عليه بصره ولسانه فانطلقت
ام موسى فالقته في النيل فكانت لفرعون بنت لم يكن له ولد غيرها وكان لها كل يوم ثلاث
حاجات ترفعها الى الله تعالى وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور الاطبا
والسحرة في امرها فقالوا ايها الملك لا تبرا هذه الا من قبل البحر يوجد فيه شبه الا
نس فيوخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرا من ذلك وذلك في يوم كذا في شهر كذا
حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم قعد فرعون في مجلس له على شفير النيل ومعه
اسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على الشاطي اذ اقبل
النيل بتابوت تضربه الامواج وتعلق بشجرة فقال فرعون ايتوني به فابتدروه
بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه
وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت اسية فرات نورا في جوف التابوت لم تره
غيرها فعالجته وفتحته فاذا هي بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه فالقى
الله تعالى محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها
فبرات وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو
الذي يحذر منه ري في البحر فرقا فامر فرعون بقتله فاستوهبته امراة فرعون
وابنته فترك قتله اما قوله فالتقطه ال فرعون فالالتقاط اصابة الشي
من غير طلب والمراد بال فرعون جواريه اما قوله ليكون لهم عدوا وحزنا فالمشهور
ان هذه اللام يراد بها العاقبة قالوا والا بعض **قوله تعالى** وقالت امراة فرعون
قرة عين لي ولك لا تقتلوه وبعض قوله والقيت عليك محبة مني ونظير هذه اللام
ذرانا لجهنم وقال الشاعر لدوا للموت وابنوا للخراب واعلم ان التحقيق ما ذكره صا
حب الكشاف وهو ان هذه اللام هي لام كي التي معناها للتعليل على سبيل المجاز وذلك
لان مقصود الشي وغرضه ما يوول اليه امره واستعملوا هذه اللام ما يوول اليه
الشي على سبيل التشبيه كاطلاق لفظ الاسد على الشجاع والحمار على البليد وقرا حمزة
والكسائي وحزنا بضم الحا وسكون الزاي والباقون بالفتح وهما لغتان مثل السقم
والسقم اما قوله كانوا خاطئين ففيه وجهان الاول قال الحسن معنى كانوا خاطئين
ليس من الخطية بل المعنى وهم لا يشعرون انه الذي يذهب بملكهم واما جمهور المفسرين
فقالوا معناه كانوا خاطئين فيما كانوا عليه من الكفر والظلم فعاقبهم الله بان

بزبح عدوهم ومن بموسى هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطبين بالتخفيف اي خاطبين الصراء
لا للقطا وبين تقاربها التقطه ليكون قرة عين لها وله جميعا قال ابن اسحاق ات
الله تعالى التي محبته في قلبها لانه كان في وجهه ملاحة كل من راه احبه ولا تهاجين
فتحت التابوت ورائته رات النور يقص اصبعه ولان ابنة فرعون لما لطمت برصها
برئيته من البرص وقيل سلمان لها ولد قاحشية قال ابن عباس عاشت قرة عين لي
ولك قال فرعون يكون لك واما لي فلا حاجة لي فيه فقال عليه السلام والذي
يحلف به لو قال فرعون ان يكون لي قرة عين كما قالت لهداه الله كما هداها
قال صاحب الكشاف قرة عين خبر مبتدا محذوف ولا يقفوا ان يجعل مبتدا ولا
تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى وقرأة ابن مسعود دليل على انه خبر قرى
لا تقتلوه قرة عين لي ولك وتقديم لا تقتلوه ثم قالت المرأة عسى ان ينفعنا
فنصيب منه خيرا او نتخذه ولدا لانه اهل للتبني اما قوله وهم لا يشعرون فاكثر
المفسرين على انه ابتداء كلام من الله تعالى اي لا يشعرون ان هلاكهم بسببه وعلى
يده وفي قول مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل قال ابن عباس يريد لا يشعرون
ان الماء ليصير احمر موسي وقال اخرون هذا اتمام كلام المرأة اي لا يشعر بنو اسرائيل
واهل مصر انا التقطناه وهذا اقول الكلبي قوله تعالى واصبح فؤاد ام
موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين
وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ذكروا في قوله
فؤاد ام موسى فارغا وجوها احدها قال الحسن من كل هم الا هم به موسى وثانيها
قال ابو مسلم فراغ الفؤاد من الخوف والاشتغال لقوله تعالى وافيد تبهم هوا وثالثها
قال صاحب الكشاف فارغا صفر من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد
فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف وروايتهما قال الحسن ومحمد بن اسحاق
فارغا من الوحي الذي اوحينا اليها ان نلقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك
فجاءها الشيطان فقال لها كيف هنا ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجر فتولهت
اهلاكه ولما اتاها خبر موسى انه وقع في يد فرعون عظم عليها فاشتاها عظم البلاء
كما كان من عهد الله اليها وعاسمها قال ابو عبيدة فارغا من الحزن لعلمها بانه لا يقتل
اعتمادا على كفل الله مصلحته قال ابن قتيبة وهذا في العجايب كيف يكون فؤادها
فارغا من الحزن والله تعالى يقول لولا ان ربطنا على قلبها والله تعالى هل يربط
الا على قلب الجازع المحزون ويمكن ان يجاب عنه بانه لا يمتنع انها اشتد غمها
بوعد الله جازعت عنده اظهار اسره وابتغت انها وان اظهرت فانه يسلم لاجل
ذلك الوعد الا انه كان في المعلوم ان الاظهار يصير فربط الله على قلبها وتحمل
قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها بالرحمة فاستوزال
عن قلبها الاحزن فعلى هذا الوجه يصح ان يقال ان قلبها سلم من الحزن على
موسى اصلا وفيه وجه ثالث وهو انها لما سمعت ان امرأة فرعون عطفت عليه

وتبنته ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لو تمثله نفسها فرحا ما سمعت لولا ان
سكنا قلبها من شدة الفرح والاتباج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا تبني
فرعون وتقطعه قرى قرغا اي خاليا من قولهم عمر تبالله من صفر الانا وقرغ العنا وقر
من قولهم دماوهم بينهم قرغ اي هدر يعني يطل قتلهما من شدة ما وقر على قلبها اما قوله
ان كادت لتبدي به فاعلم ان على قولين من شد الفراغ من الحزن فقد ذكرنا تفسيره
قوله ان كادت لتبدي به واما على قولين من شد الفراغ بحصول الخوف فقد ذكروا وجوها
احدها قال ابن عباس ان كادت لتخبر ان الذي وجد تموه ابنها وقال في رواية عكرمة
كادت تقول وا ابناه من شدة وجدها به وقد حين رات الموج يرفع ويضع وقال
الكلبي قد دل حين سمعت الناس يقولون ان ابن فرعون وقال السدي لما اخذت
من تابوتها كادت تقول يا ابتي فعصمها الله ثم قال لولا ان ربطنا على قلبها بالهام
الصبر كما ربط على النبي لتفعلت لتبقر وبطين لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد
الله وهو قوله انا رادوه اليك اما قوله وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره وانظري
اين وقع والى من صار وكانت اخته لابيه واسمها مريم فبصرت به قال ابن عباس
ابصرته وقال المبرد ابصرته وبصرت به بمعنى وقوله عن جنب اي عن بعد وقرب
عن جانب وعن جنب والجنب الجانب اي نظرت اليه من بعيد وهي متخافية وهم لا يشعرون
بحالها وعرضها قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم
على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا
تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون اعلم ان قوله سبحانه
وتعالى وحرمنا عليه المراضع يقتضي تحريما سبق قبله فاذ المراد بالتحريم والنهي
فلا بد من فعل سواه وذلك الفعل يحتمل انه تعالى منع حاضنة الى البن احدث فيه
نفار الطبع عن لبن سائر النساء فلم يقبل ثديا غير ثدي امه لانه لم يقدر على الطعم
ما يتغير عنه طبعه او منع في لبن امه لذة تلهمه تعودها لاجرم كان لا يكره لبن غيرها
وعن الضحاك كانت امه قد از ضعفته ثلاثة اشهر حتى عرف ريحها والمراضع جمع
مرضع وهي المراة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني التذي او الرضاع
وقوله من قبل اي من قبل ان رددناه الى امه ومن قبل مجيء اخت موسى ومن قبل ولادة
امه حكما وقضينا بانا فعند ذلك قالت اخته هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه اي
يتممون رضاعه والقيام بمصالحه وهم له ناصحون لا يمتنعون مما ينفعه من تربيته
وعذابه ولا يخونونكم فيه والنصح اخلاص العمل من شايب الفساد قال السدي لما
لما قالت وهم له ناصحون دلت بظاهرها على ان اهل البيت يعرفونه وقالوا
لها هاما ان قد عرفت هذا الغلام فربتنا على اهله فقالت ما اعرفه ولكني قلت
هم الملك ناصحون اي ليزوج اشغل قلبه وكان اروي في هذا الباب ان فرعون
كان بمنزلة ابيه في شرعة محمد صلوا على موسى عليه السلام لاعلى ما قال من زعم انها كانت تحضنه
بنان فقطعته قال تعالى فرددناه الى امه بهذا الضرب من اللطف كي تقر عينها

ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق اي فيما كان وعدها من ان يرده اليها ولقد كانت عالمة بذلك لكن لبس الخبر كالمعاينة فتحققت وجود الموعود ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيه وجوه اربعة احدها ولكن اكثر الناس في ذلك العهد وبعده لا يعلمون لاعراضهم عن التفكر في ايات الله وثانيها قال الضحاك وقتادة اي اهل مصر لا يعلمون ان الله وعدها رده اليها وثالثها هذا اعتراض عاد الى ما جرى سمعت بخبر موسى فجزعت واصبح فؤادها فارغا ورابعها ان يكون المعنى انا انما رددناه اليها لتعلم ان وعد الله حق فالمقصود الاصلي من ذلك الرد هذا الغرض الديني ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان هذا هو الغرض الاصلي وما سواه من قرة العين وذهاب الحزن تبع قال الضحاك لما قيل لها ما قيل لها هامان انك لامة قالت لا قال فما باله قتل تريك من بني السنور قالت ايها الملك اني امرأة طيبة اريح حلوة الدين ما تشم ريحي صبيا لا افتل علي ثديي فالتقطت فلم يبق احد من الفرعون الا اهدى اليها واخصها بالذهب والجواهر قوله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين اعلم ان قوله بلغ اشده واستوى فيه قولان احدهما انه بمعنى واحد ومعناه استكمال القوة واعتدال المزاج والبنية والثاني وهو الاصح انهما معنيان متغايران ثم اختلفوا على وجوه احدها وهو الاقرب ان الاشد عبارة عن كمال القوة الجسمانية البدنية واستوى عبارة عن كمال القوة العقلية وثانيها الاشد عبارة عن كمال القوى والاستواء عبارة عن كمال الخلقة وثالثها الاشد عبارة عن البلوغ والاستواء عبارة عن كمال الخلقة ورابعها قال ابن عباس الاشد ما بين الثمانية عشر سنة الى الثلاثين ثم من الثلاثين الى الاربعين بقي سواء من غير زيادة ولا نقصان ومن الاربعين باخذ في النقصان وهذا الذي قاله ابن عباس حق لان الانسان يكون في اول العمر الى العشرين ومن العشرين الى الثلاثين ليكون بالتزايد قليلا والقوة قوية جدا ثم من الثلاثين الى الاربعين يقف قليلا لا يزداد ولا ينتقص ومن الاربعين الى الستين باخذ في الانتقاص الخفي ومن الستين الى آخر العمر في الانتقاص البين الظاهر وروي انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة والحكمة فيه ظاهرة لان الانسان يكون الى راس الاربعين قواه الجسمانية من الشهوة والغضب والحس قوية مستكملة فيكون الانسان منجذبا اليها فاذا اتى الى الاربعين اخذت القوى الجسمانية في الانتقاص والقوة العقلية في الازدياد فهناك يكون الرجل اكمل ما يكون فلهذا السر

اختار الله هذا السن ليوحي للمسيلة الثانية اختلفوا في واحد لاشد ما قوله اتيناه حكما وعلما فقيه وجهان الاول انها النبوة وما يعرف بها من العلوم والاخلاق وعلى هذا التقدير ليس في الاية دليل على ان هذه النبوة كانت قبل قتل القبطي وبعده لان الواو لا توجب الترتيب لا تفيد الترتيب الثاني اتيناه الحكمة والعلم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وهذا القول اولى لوجوه احدها ان النبوة اعلى الدرجات البشرية فلا بد وان تكون مسبوقة بالكمال في العلم والسيرة الرضية التي هي اخلاق الكبراء والحكماء وثانيها قوله وكذلك نجزي المحسنين يدل على انه انما اعطاه الحكم والعلم مجازاة على احسانه والنبوة لا تكون جزاء على العمل وثالثها ان المراد بالحكم والعلم لو كان هو النبوة لوجب حصول النبوة لكل من كان من المحسنين لقوله وكذلك نجزي المحسنين لان قوله وكذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من الحكمة والعلم ثم بين تعالى انعامه عليه في تربية سبل القبطي وبيد مسايل المسئلة الاولى اختلفوا في المدينة فالجمهور على انها هي المدينة التي كان يسكنها فرعون وبين علي فرسخين من مصر وقال الضحاك هي عين شمس المسئلة الثانية اختلفوا في معنى قوله على حين غفلة من اهلها فالوجه الاول ان موسى عليه السلام لما بلغ اشده واستوى اتاه الله الحكم والعلم في دينه ودين ابائه علم ان فرعون وقومه على الباطل فتكلم بالحق وعاب دينهم واشتهر بذلك فهموا بقتله فخافوه وخافهم وكان له من بني اسرائيل شيعة تتبدل به ويسمعون منه ويلتجئ في الخوف بحيث ما كان يدخل مدينة فرعون الا خائفا فدخلها يوما على حين غفلة من اهلها ثم الاكثرون على انه عليه السلام دخلها نصف النهار ومن قائلون وعن ابن عباس بين المغرب والعشاء الاول وقيل لا تضاف الغفلة اصلا الى غفلة اهلها فاذا دخل المرء مستتر لاجل الخوف لا تضاف الغفلة الى القوم القول الثاني قال السعدي ان موسى عليه السلام حين كبر كان يركب مراكب فرعون ويلبس ثيابا يلبس وبدعا موسى بن فرعون وركب يوما في اثره فادركه المقيل في موضع فدخلها نصف النهار وقد خلت الطرق فهو قوله على حين غفلة القول الثالث قال ابن زيد لم يرد بذلك ان المراد من قوله على حين غفلة من اهلها حصول الغفلة في تلك الساعة بل المراد الغفلة عن ذكر موسى واخره قال لما كبر موسى حتى كان ضخيرا ضرب راس فرعون بالعصا ونتف لحيته فاراد فرعون قتله فجيء بجمرة فاخذها وطرحها في فيه فجعلها عقدة لسانه فقال فرعون لا اقتله ولكن اخرجوه عن الدار والبلد فاخرج ولم يدخل عليهم حتى كبروا القوم ستروا ذكره ودخل على حين غفلة ولا مطمع في ترجيح بعض الروايات على البعض لانه ليس في القرآن ما يدل على شيء منها المسئلة الثالثة قال تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه قال الزجاج هذا وهذا وهما غايبان على جهة الحكاية اي وجد فيها رجلين يقتتلان اذا نظر الناظر اليهما قال هذا من شيعته

وهذا من عدوه ثم اختلفوا فقال مقاتل الرجلان كانا كافرين الا ان احدهما من بني
اسرائيل والاخر من القبط واحتج عليه بان موسى قال له في اليوم الثاني انك لغوي
مبين والمشهور ان الذي من شيعته كان مسلما لانه لا يقال فيمن يخالف الرجل في دينه
وطريقه انه من شيعته وقيل ان القبطي الذي سخر الاسرائيلي كان طباخا لفرعون
يسخره بحمل الحطب الى مطبخه وقيل الرجلان المقتتلان احدهما السامري وهو
الذي من شيعته والاخر طباخ فرعون والله اعلم بكيفية الحال فاستغاثه الذي
من شيعته على الذي من عدوه وكان عليه السلام شديد البطش وقال بعض المفسرين
فوكزه بعصاه فقتله قال المفضل هذا غلط لا يقال وكزه بالعصا فقضى عليه
اي اماته وقتله اي ساله ان يخلصه منه واستنصره عليه فوكزه موسى الوكز
الدفع باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرا ابن مسعود فلكزه موسى وقال بعضهم
الوكز في الصدر واللكز في الظهر وكان عليه السلام شديد البطش وقال بعض المفسرين
فوكزه بعصاه فقتله قال المفضل هذا غلط لا يقال وكزه بالعصا فقضى عليه اي
اماته وقتله المسئلة الرابعة احتج بهذه الاية من طعن في عصمة الانبياء من وجوه
احدها ان ذلك القبطي اما ان يقال انه كان يستحق القتل او لم يكن كذلك فان
كان الاول فلم قال هذا من عمل الشيطان ولم قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي
فغفر له ولم قال فعلتها اذا وانا من الظالمين وان كان الثاني ان ذلك القبطي
لم يستحق القتل كان قتله معصية وذنبا وثانيها ان قوله وهذا من عدوه
يدل على انه كان كافرا حربيا فكان دمه مباحا فلم استغفر منه والاستغفار
عن القتل المباح غير جائز لانه يوهم في المباح كونه حراما وثالثها ان الوكز لا
يوجب القتل ظاهرا فكان ذلك القتل خطا فلم استغفر منه الجواب
عن الاول لم لا يجوز ان يقال انه كان بكفره مباح الدم اما قوله هذا من عمل
الشيطان ففيه وجوه احدها لعل الله تعالى وان اباح قتل الكفار الا انه
قال الاولى تاخير قتلهم الى زمان اخر فلما قتل فقد ترك المندوب فهو قوله هذا
من عمل الشيطان وثانيها ان قوله هذا اشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه
فقوله هذا من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله تعالى مستحقا
للقتل وثالثها ان يكون قوله هذا اشارة الى المقتول يعني انه من جند الشيطان
وحزبه يقال فلان من عمل الشيطان اي من احزابه اما قوله تعالى رب اني
ظلمت نفسي فاغفر لي فعلى نهج قول ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا والمراد
احد وجهين اما على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام
بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب قط او من حيث حرم نفسه الثواب بترك المندوب
اما قوله فاغفر لي اي فاغفر لي ترك هذا المندوب وفيه وجه اخر وهو ان يكون
المراد رب اني ظلمت نفسي حيث قتلت هذا الملعون فان فرعون لو عرف ذلك
لقتلني به فاغفر لي واستر علي ولا توصل خبره الى فرعون فغفر له اي ستره

عن الوصول الى فرعون ويدل على هذا التاويل انه عقبه قال رب بما انعمت علي فلن
اكون ظهيرا للمجرمين ولو كانت اغاثة المؤمن ههنا سببا للمعصية لما قال ذلك
واما قوله فعلتها اذا وانا من الضالين فلم يقل اني صرت بذلك ضالا ولكن فرعون
لما ادعى انه كان كافرا في حال القتل نفى عن نفسه كونه كافرا في ذلك الوقت
واعترف بانه كان ضالا اي متحيرا لا يدري ما يجب عليه ان يفعله وما يريد به
في ذلك اما قوله انه كان كافرا حربيا فلم استغفر عن قتله قلنا كون الكافر
مباح الدم امر يختلف باختلاف الشرائع فلعل قتلهم كان حراما في ذلك الوقت
وان كان مباحا والاولى تركه على ما قررناه قوله ذلك القتل كان خطا قلنا
لا نسلم فلعل الرجل كان ضعيفا وكان موسى عليه السلام في نهاية الشدة فوكزه
كان قاتلا قطعا ثم انا سلمنا ذلك ولكن لعله عليه السلام كان يمكنه ان يخلص
الاسرائيلي من يده بدون الوكز الذي كان الاولى تركه فلهذا اقدم على الاستغفار
على انا وان سلمنا دلالة هذه الاية على صدور المعصية لكنا بينا انه لا دليل
البتة على انه كان رسولا في ذلك الوقت فيكون ذلك صادرا عنه قبل النبوة وذ
لك لا نزاع فيه المسئلة الخامسة قالت المعتزلة الاية تدل على بطلان قول
من نسب المعاصي الى الله تعالى لانه عليه السلام قال هذا من عمل الشيطان
فنسب المعصية الى الشيطان فلو كانت بخلق الله سبحانه وتعالى لكانت من الله لا
من الشيطان وهو كقول يوسف من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
وقال صاحب موسى وما انسانيه الا الشيطان وقوله تعالى لا يفتننكم الشيطان
كما اخرج ابويكم من الجنة اما قوله رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين
ففيه وجوه احدها يدل على انه قال انك لما انعمت علي بهذا الانعام فانني
لا اكون معاونا لاحد من المجرمين بل اكون معاونا للمسلمين وهذا يدل على ان ما
اقدم عليه من اغاثة الاسرائيلي على القبطي كان طاعة لا معصية اذ لو كانت
معصية لتنزل الكلام منزلة ما اذا قال انك لما انعمت علي بتوبتي من تلك المعصية
فاني اكون مواظبا على مثل تلك المعصية قال القفال كانه اقسم بما انعم عليه
ان لا يظاهر مجرما والباء للقسم اي بنعمتك علي وثانيها قال الكسائي
والفراء انه خبر ومعناه الدعاء كانه قال فلا تجعلني ظهيرا قال الفراء وفي حرف
عبد الله فلا تجعلني ظهيرا واعلم ان في الاية دلالة على انه لا يجوز معاونة الظلمة
والفسقة وقال ابن عباس لم يستثن ولم يقل فلن اكون ان شاء الله فابتلي
في اليوم الثاني وهذا ضعيف لانه في اليوم الثاني ترك الاعانة وانما خاف
منه ذلك العدو فقال ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض لا انه وقع فيه
قوله تعالى فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالا
مس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين فلما اراد ان يبطش بالذي هو عدو
لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون

جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين وجا رجل من اقصى المدينة يسعى
قال يا موسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها
خايفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين اعلم ان عند موت ذلك الرجل من
الوكزة اصبح موسى من عند ذلك اليوم خايفا ان يظهر انه القاتل فيطلب وخرج
على استتار فاذا الذي استنصره وهو الاسرايلي يستصرخه يطلب نصرته
بصياح وصراخ قال له موسى انك لغوي مبين قال اهل اللغة الغوي يجوز ان يكون
فعيلا بمعنى مفعل اي انك لمغوي اي وقعت بالامس فيما وقعت بسببك ويجوز
ان يكون بمعنى الغاوي واحتج به من قدح في عصمة الانبيا فقال كيف يجوز
لموسى عليه السلام ان يقول لرجل من شيعته يستصرخه انك لغوي مبين
والجواب من وجهين الاول ان قوم موسى عليه السلام كانوا غلاظا جفاة الا ترى
الى قولهم بعد مشاهدتهم الايات اجعل لنا الها كما لهم الهة فالمراد بالغوي المبين
ذلك الثاني انه عليه السلام انما سماه غويا لان من تكثر فيه المخاصمة على
وجه يتعذر عليه دفع خصمه عما يرومه من ضرره يكون على خلاف طريقة
الرشد واختلفوا في قوله يا موسى اتريد ان تقتلني هو من كلام الاسرايلي او
القبطي فقال بعضهم لما خاطب موسى الاسرايلي بانه غوي وراه على غضب ظن
انه لما هم بالبطش انه يريده فقال هذا القول وزعموا انه لم يعرف قتله بالامس
الا هو وصار ذلك سببا لظهور القتل ومزيد الخوف وقال اخرون بل هو القبطي
وكان قد عرف القصة من الاسرايلي والظاهر هذا الوجه لانه قد قال
فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى فهذا القول اذا منه
لا من غيره وايضا فقوله ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض لا يليق
الا بان يكون قولا للكافر واعلم ان الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب
والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المعظم الذي
لا يتواضع لامر الله ولما وقعت هذه الواقعة انتشر الحديث في المدينة
وانتهى الى فرعون وهموا بقتله اما قوله وجا رجل من اقصى المدينة يسعى
قال صاحب الكشاف يسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه
لانه تخصص بقوله من اقصى المدينة والايتمار التشاور يقال يقال الرجلان
يأتمران لان كل واحد منهما يامر صاحبه بشي او يشير عليه بامر والمعنى
يتشاورون بسببك واكثر المفسرين على ان هذا الرجل مومن من ال فرعون
فعلى وجه الاشفاق اسرع اليه ليخوفه بان الملا يأتمرون ليقتلوك اما قوله
فخرج منها خايفا يترقب اي خايفا على نفسه من ال فرعون ينتظر هل يلحقه
طلب فيوخذ ثم التجا الى الله تعالى لعلمه بانه لا ملجا سواه فقال رب نجني
من القوم الظالمين وهذا يدل على ان قتله لذلك القبطي لم يكن ذنبا والا لكان
هو الظالم لهم وما كانوا ظالمين له بسبب طلبهم اياه ليقتلوه قصاصا قوله

قوله تعالى ولما توجه تلقا مدين قال عسى ربي ان يهديني سوا السبيل
ولما ورد ما مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين
تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعا وابونا شيخ كبير
فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير فجاته احداهما
تمشي على استحيا قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاه وقص
عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا ابت
استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي
هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق
عليك ستجدني ان شا الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين
قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل اعلم ان الناس اختلفوا
في قوله ولما توجه تلقا مدين فقال بعضهم انه خرج وما قصد مدين ولكنه سلم
نفسه الى الله واخذ يمشي من غير معرفة فاوصله الله الى مدين وهذا قول ابن
عباس وقال اخرون انه لما خرج قصد مدين لانه وقع في نفسه ان بينه وبينهم
قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم وهو كان من بني اسرايل لكن لم يكن له
علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله ومن الناس من قال جا جبريل عليه السلام
وعلمه الطريق وذكر ابن جرير عن السدي لما اخذ موسى عليه السلام في المسير
جاه ملك على فرس فسجد له موسى عليه السلام من الفرح فقال لا تفعل واتبعني
فاتبعه نحو مدين واحتج من قال انه خرج وما قصد مدين بامرين احدهما قوله
ولما توجه تلقا مدين ولو كان قاصدا للذهاب الى مدين لقال ولما توجه الى
مدين فلما لم يقل ذلك بل قال توجه تلقا مدين علمنا انه لم يتوجه الا الى ذلك
الجانب من غير ان يعلم ان ذلك الجانب الى اين ينتهي والثاني قوله عسى ربي ان يهديني
سوا السبيل وهذا كلام شاك لا عالم والاقرب ان يقال انه قصد الذهاب الى
مدين وما كان عالما بالطريق ثم انه سال الناس عن كيفية الطريق لانه يبعد من
موسى عليه السلام في عقله وذكايه ان لا يسال ثم قال ابن اسحاق خرج من مصر
الى مدين بغير زاد ولا ظهر وبينهما مسيرة ثمانية ايام ولم يكن له طعام الا ورق
الشجر اما قوله عسى ربي ان يهديني سوا السبيل فهو نظير قول جده ابراهيم عليه
السلام اني ذاهب الى ربي سيهدين وموسى عليه السلام كلما يذكر كلاما في الاستدلال
والجواب في الدعا والتضرع لما ذكر ابراهيم عليه السلام وهذا الخلق الصدق
للسلف الصالح صلوات الله عليه وعلى جميع انبيايه الطاهرين المطهرين ولما
ورد ما مدين وهو الما الذي يسقون منه وكابيرا فيما روي وورود مجيه والوصول
اليه وجد عليه اي فوق شفيره ومستقاه امة جماعة كثيرة العدد من الناس من
اناس مختلفين ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امراتين تذودان والذود
الدفع والطرد فقوله تذودان اي تحبسان ثم فيه قولان الاول تحبسان اغنامهما

واختلفوا في علة ذلك الحبس على وجوه احدها قال الزجاج لان على الماء من هو اقوى
منهما وثانيها لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وثالثها لئلا يختلطا بالرجال القول
الثاني كانتا تذودان الناس عن غنمهما القول الثالث كانتا تذودان عن وجوههما
نظر الناس لتسترهما القول الرابع قال الفراء تحبسانها عن ان تتفرق وتتبدد فقال
ما خطبكما اي ما شانكما وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الزياد فسمي المخطوب
خطبا كما يسمى المشون شانا في قولك ما شانك قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء
وابونا شيخ كبير وذلك يدل على ضعفهما عن السقي من وجوه احدها ان العادة
في السقي للرجال والنساء يضعفن عن ذلك وثانيها ما ظهر من ذودهما للما
شية على طريق التاخير وثالثها قولهما حتى يصدر الرعاء ورابعها انتظارهما
لما يبقى القوم من الماء وخامسها قولهما وابونا شيخ كبير ودلالة ذلك على انه
لو كان قويا حضر ولو حضر لم يتاخر السقي فعند ذلك سقى لهما قبل صدور
الرعاء وعادتا الى ابيهما قبل الوقت المعتاد وقرا ابو عمرو وابن عامر وعاصم
بفتح الياء وضم الدال وقرا الباقون بضم الياء وكسر الدال فالمعنى في القراءة
الاولى حتى ينصرفوا عن الماء ويرجعوا عن سقيهم وصدر ضد ورد ومن قرا
بضم الياء فالمعنى حتى يصدر القوم مواشيهم اما قوله فسقى لهما اي سقى غنمهما
لاجلهما وفي كيفية السقي اقوال احدها انه عليه السلام سال القوم فسمحوا
وثانيها قال قوم عمد الى بير على راسها صخرة لا يقلها الا عشرة وقيل اربعون
وقيل مائة فنحاها بنفسه واستقى الماء من تلك البير وثالثها ان القوم لما
زاحمهم موسى عليه السلام تعمدوا القاء ذلك الحجر على راس البير فهو عليه
السلام رمى ذلك الحجر وسقى لهما وليس بيان ذلك في القران والله اعلم
بالصحيح منه لكن المراة وصفت موسى عليه السلام بالقوة فدل ذلك على انها
شاهدت منه ما يدل على فضل قوة وقال تعالى ثم تولى الى الظل وفيه دلالة
على انه سقاهما في شمس وحر وفيه دلالة على كمال قوة موسى عليه السلام قال
الكلبي اتى موسى اهل الماء فسالهم دلوا فقالوا ان شئت انت الدلو فاسق لهما
قال نعم وكان يجتمع على الدلو اربعون رجلا حتى يخرجوه من البير فاخرج موسى
الدلو فاستقى به وحده وصب في الحوض ودعا بالبركة ثم قرب غنمهما فشربت
حتى رويت ثم سرحها مع غنمهما فان قيل كيف ساغ لنبي الله الذي هو
شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلنا ليس في القران
ما يدل على ان اباهما كان شعيبا عليه السلام والناس مختلفون فيه فقال
ابن عباس ان اباهما هو يروق بن اخي شعيب وشعيب مات بعد ما عمي وهو
اختيار ابي عبيد وقال الحسن انه رجل مسلم قبل الدين عن شعيب على انا وان
سلمنا انه كان شعيبا عليه السلام ولكن لا مفسدة فيه لان الدين لا يأباه
واما المروة فان الناس فيه مختلفون واحوال اهل البادية غير احوال اهل

الحضر لا سيما اذا كانت الحالة حالة ضرورة اما قوله تعالى قال رب اني لما انزلت الي
من خير فقير فالمعنى اني لاي شيء انزلت الي قليل او كثير غث او سمين فقير وانما
عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب واعلم ان هذا الكلام يدل على ان
الحاجة اما الى الطعام او الى غيره الا ان المفسرين حملوه على الطعام قال ابن عباس
يريد طعاما ياكله وقال الضحاك مكث سبعة ايام لم يذق فيها طعاما الا بقل
الارض وروي ان موسى لما قال ذلك رفع صوته لتسمع المراتان ذلك فان
قيل انه عليه السلام لما بقي معه من القوة ما قدر بها على حمل ذلك الدلو العظيم
وكيف يليق بهمته العالية ان يطلب الطعام اليس انه عليه السلام قال لا تحل
الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي قلنا اما رفع الصوت بذلك لاستماع
المراتين تطلب الطعام فذلك لا يليق بموسى عليه السلام البتة فلا تقبل تلك
الرواية ولكن لعله عليه السلام قال ذلك في نفسه مع ربه تعالى وفي الاية
وجه اخر كانه قال رب اني بسبب ما انزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا
لانه كان عند فرعون في ملك وثروة فقال ذلك رضا بهذا البدل وفرحا به
وشكرا له وهذا التاويل اليق بحال موسى عليه السلام اما قوله فجاءته احدا
هما تمشي على استحيا فقوله على استحيا في موضع الحال اي قال عمر
ابن الخطاب لقد استترت بكم قميصها وقيل ماشية على بعد مائلة عن الرجال
وقال عبد العزيز بن ابي حازم على اجلال له ومنهم من يقف على قوله تمشي
ثم يبتدي فيقول على استحيا قالت ان ابي يدعوك يعني انها على الاستحيا
قالت هذا القول لان الكريم اذا دعا غيره الى الضيافة يستحي لا سيما المراة
وفي ذلك دلالة على ان شعيبا عليه السلام لم يكن له معين سواهما روي انهما
لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس قال ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا رحمنا فسقى
لنا فقال لاحديهما اي بنتيه اذهبي فادعيه لي اما الاختلاف في ان ذلك
الشيخ كان شعيبا او غيره فقد تقدم والاكثرون على انه شعيب وقال محمد
بن اسحاق في العسل اسم الكبرى صفورا والصغرى ليا وقال غيره صفرا وصفيرا
وقال الضحاك صافورا والتي جاءت الى موسى عليه السلام هي الكبرى على قول
الاكثرين وقال الكلبي هي الصغرى وليس في القران شيء يدل على هذه التفاصيل
اما قوله قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا ففيه اشكالات
احدها كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول امراة وان يمشي معها وهي
اجنبية فان ذلك يورث التهمة العظيمة وقال عليه السلام اتقوا مواضع
التهم وثانيها انه سقى اغنامهما تقربا الى الله تعالى فكيف يليق به اخذ الاجرة
عليه فان ذلك غير جائز وثالثها انه عرف فقرهن وفقر ابيهن وعجزهن
وانه عليه السلام كان في نهاية القوة بحيث كان يمكنه الكسب الكثير باقل
سعي فكيف يليق بمروة مثله طلب الاجرة على ذلك القدر من الشيخ الفقير

والمراة المعتبرة ورايهما كيف يليق بشعيب النبي عليه السلام ان يبعث ابنته الشابة
الى رجل شاب قبل العلم بكون ذلك الرجل عفيفا او فاسقا الجواب عن الاول ان نقول
اما العلم بقول امراة فكما يحصل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار
وما كانت الاجنبية عن ابيها واما المستمع المراة فلا باس مع الاحتياط والتورع هـ
والجواب عن الثاني ان المراة وان قالت ذلك لعلمها موسى عليه السلام ما ذهب
اليه طلبا للاجرة بل ليتبرك برويته ذلك الشيخ وروي انها لما قالت ليجزيك
كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا
ولا ناخذ على المعروف اجرا فما حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل
من ينزل بنا وايضا فليس عند كل الخروج بلغ الى حيث ما كان بطيئ فحاله فقيل
ذلك على سبيل الاضطرار وهو الجواب عن الثالث فان الضرورات تبيح هـ
المحظورات والجواب عن الرابع لعله عليه السلام كان قد علم بالوحي طهارتها
وبراءتها فكان يعتمد عليها اما قوله فلما جاءه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقام يمشي والجارية امامه فعبثت الريح فكشفت عنها فقال موسى عليه السلام
ابنى عنصر ابراهيم وكوني خلفي حتى لا تزفت الريح ثيابك فاما لا بجل فلما دخل
على شعيب قال الطعام موضوع فقال شعيب تناول يا فتى فقال موسى عليه
السلام اعوذ بالله قال شعيب ولم قال لانا من بيت لا نبيع ديننا بملئ
الارض ذهبا قال شعيب ولكن هذا بيتي وعادة ابائي اطعام الضيف فجلس موسى
فاكل واما كره اهل الطعام خشية ان يكون ذلك اجرة على عمله ولم يكره جميع
الحضور حين قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا والفرق ان اخذ الاجرة على الصدقة
لا يجوز اما الاستيجار ابتداء فغير مكروه اما قوله تعالى وقص عليه القصص قد
كمل في علل سبي به المقصوص قال الضحاك لما دخل عليه قال له من انت يا عبد الله
قال انا موسى بن عمران بن يصهر بن لاوي بن يعقوب وذكر له جميع
امره من لدن ولادته وامر القوابل والمراضع والقذف في اليم وقتل القبطي هـ
وانهم يطلبونه ليقتلوه فقال عليه السلام لا تخف نجوت من القوم الظالمين هـ
اي لا سلطان له بارضنا ولسنا في مملكته وليس في الاية دلالة على انه قال
ذلك عن الوحي او على ما نقتضيه العادة فان نقل المفسرون قالوا ان
فرعون يوم ركب خلف موسى ركب في الف الف وستمائة الف فالملك الذي
هذا شانه كيف يعقل ان لا يكون في مملكته قرية على بعد ثمانية ايام من داره
مملكته قلنا هذا وان كان نادرا الا انه ليس بمحال اما قوله قالت
احداهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين ففيه مسائل
المسئلة الاولى وصفته بالقوة لما شاهدت من كيفية السقي وبالامانة
لما حكينا من غضه بصره حال ذودهما الماشية وحال سقيه لها وحال مشيه
بين يديها الى ابيها المسئلة الثانية انما جعل خير من استاجرت اسما والقوي

الامين خبرا مع ان الكل هو الذي لان العناية هي سبب التقديم المسئلة الثالثة القوة
والامانة لا يكتفيان في حصول المقصود ما لم ينضم اليهما الفطنة والكياسة فلم
اهملا اكتفى بذكر الكياسة ويمكن ان يقال انها داخلة في الامانة عن ابن مسعود افرس
الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف وابو بكر وعمر اما قوله اني اريد
ان انكحك احدى ابنتي هاتين فلا شبهة في ان هذا الخطاب كان على التردد
لكنه عند التزوج عين ولا شبهة في ان العقد وقع على اقل الاجلين وكانت
الزيادة كالتبرع والفقهاء استدلوا به على ان العمل قد يكون معلوما كالمدة وعلى
ان الحاق الزيادة بالثمن والثمن جايز وكم من شرع من قبلنا فلا يلزمنا ويدل
على انه كان جايزا في ملة الشريعة نكاح المراة بغير بدل استحقه المراة وعلى
ان عقد النكاح لا تشترط الشروط التي لا يوجبها العقد ثم قال علي انه تاجرني
ثماني حجج فرقه اوني اجرته كذا تاجرني سنين اجرته اذا كنت له اجيرا او ثماني حجج
ظرفه اوني اجرته كذا اذا انبنيته اياه ومنه اجركم ورحكم الله وثماني حجج منصوب
به ومعناه رعيته ثماني حجج ثم قال وما اريد ان اشق عليك وفيه وجهان الاول
ولا اريد ان اشق عليك بالزام الاجلين فان قبل ما حقيقة قولهم
شققت عليه وشق عليه الامر قلنا حقيقته ان الامر اذا فاطمك فكانه
شق عليك ظنك بانك تعزل ثمارة اطيقه وثمارة لا اطيقه الثاني لا اريد ان اشق
عليك في الرعي ولكني اساهلك فيه واسامحك فيقدر الامكان ولا اكلفك الاجتهاد
الشديد وكيفية الرعي وهكذا الانبياء عليهم الصلاة والسلام احذين بالاسمح
في معاملات الناس ومنه الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم خير يشتري
لا يداري ولا يشاري ولا يماري ثم قال سبحانه وتعالى ستجدني ان شاء الله من
الصالحين وفيه وجهان الاول لم يرد بالصلاح حسن المعاملة ولكن الجانب
والثاني يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة وانما قال ان
شاء الله للانكال على توفيقه ومعونته قال قبل فالعقد كيف ينعقد
مع هذا الشرط قلنا لو قال انكحتك ابنتي ان شاء الله لا نطلق قلنا
هذا مما يختلف بالشرايع اما قوله تعالى ذلك بيني وبينك فاعلم ان ذلك
مبتدا وبيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهد عليه شعيب موسى عليه السلام
الذي قال ته وعاهدتني عليه قابر بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لانا عما
شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال ايما الاجلين قضيت اطولهما
الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثماني فلا عدوان اي لا يبتدئ علي
في طلب الزيادة اراد بذلك تقرير امر التخيير يعني ان شاء هذا وان شاء هذا
ويكون اختيار الاجل الزايد موكولا الى رايه من غير ان يكون لاحدهما عليه
اجبار ثم قال والله على ما نقول وكيل والوكيل هو الذي وكل اليه الامر وانما
استعمل الوكيل في معنى الشاهد عندي بعلى هذا السبب قوله تعالى

فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني انست
نارا لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي من شاطي
الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين
وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل
ولا تخف انك من الامنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سوء واضمم
اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم
كانوا قوما فاسقين اعلم انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تزوج
صغراهما وقضى اوفاهما اي قضى اوفى الاجلين وقال مجاهد قضى اتم الاجلين
عشر سنين ومكث بعد ذلك عنده عشر سنين وقوله تعالى فلما قضى موسى
الاجل وسار باهله انس من جانب الطور نارا يدل على ان ذلك الايناس حاصل
عقيب مجموع الامرين ولا يدل على انه حصل عقيب احدهما وهو قضى الاجل فبطل
ما قاله القاضي من ان ذلك يدل على انه لم يزد عليه وقوله تعالى سار باهله
ليس فيه دلالة على انه خرج منفردا معها وقوله امكثوا فيه دلالة على الجمع
اما قوله اني انست نارا فقد مر تفسيره في سورة طه وسورة النمل اما قوله
اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون ففيه ابحاث البحث الاول
قال صاحب الكشاف الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ
كانت في راسه نارا ولم تكن قال الزجاج الجذوة القطعة الغليظة من الحطب
الثاني قد حكيناه في سورة طه انه اظلم عليه الليل في الصحرا وهبت ريح شديدة
فرقت ماشيته وضل الطريق واصابهم مطر فوجدوا برا شديدا فعنده ابصر
نارا فسار اليها يطلب من يدله على الطريق وهو قوله اتيكم منها بخبر او جذوة من
او اتيكم من هذه النار في حطب لعلكم تصطلون وفي قوله تعالى اتيكم منها بخبر دلالة
على انه ضل وفي قوله لعلكم تصطلون دلالة على البرد اما قوله تعالى فلما اتاها
نودي من شاطي الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني
انا الله رب العالمين فاعلم ان شاطي الوادي جانبه وجا النداء عن يمين موسى
من شاطي الوادي من قبل الشجرة وقوله من الشجرة بدل من شاطي الوادي بدل اشتمال
لان الشجرة كانت نابتة على الشاطي كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وانما
وصف البقعة بكونها مباركة لانه حصل فيها ابتدا الرسالة وتكليم الله اياه
وها هنا مسايل المسيلة الاولى احتجت المعتزلة على انه متكلم بكلام يخلقه في جسم
بقوله من الشجرة فان هذا صريح في ان موسى عليه السلام سمع النداء من الشجرة
والمتكلم بذلك النداء هو الله تعالى وهو سبحانه منزه عن ان يكون في جسم فثبت
انه تعالى انما يتكلم بكلام يخلق الكلام في جسم اجاب القايلون بقدم الكلام فقالوا
لنا مذهبان الاول قول ابي المنصور الماتريدي وايمة ما وراء النهر وهو ان
الكلام القديم القايم بذات الله غير مسموع انما المسموع هو الحرف والصوت وذلك

كان مخلوقا في الشجرة ومسموعا فيها وعلى هذا التقدير زال السوال الثاني قول ابي
الحسن الاشعري رضي الله عنه وهو ان الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت يمكن ان يكون
مسموعا كما ان الذات التي ليست بجسم ولا عرض يمكن ان تكون مرئية فعلى هذا القول
لا يبعد انه سمع الحرف والصوت وسمع الكلام القديم من الله تعالى لا من الشجرة فلا
منافاة بين الامرين واحتج اهل السنة بان محل قوله اني انا الله رب العالمين
لو كان هو في الشجرة لكان قد قالت الشجرة اني انا الله والمعتزلة اجابوا عنه بان
هذا انما يلزم لو كان المتكلم بالكلام هو محل الكلام لا فاعله وهذا اول المسيلة
اجاب اهل السنة بان الذراع المسموم قال لا تاكل فاني مسموم ففاعل ذلك
الكلام هو الله تعالى فان كان المتكلم هو فاعل الكلام لزم ان يكون الله قد قال
الله لا تاكل مني فاني مسموم وهذا باطل وان كان المتكلم هو محل الكلام لزم ان تكون
الشجرة قد قالت انا الله وكل ذلك باطل المسيلة الثانية يحتمل ان يقال انه تعالى
خلق فيه علما ضروريا بان ذلك الكلام كلام الله والمعتزلة لا يرضون بذلك
قالوا لانه لو علم بالضرورة ان ذلك الكلام كلام الله لوجب ان يعلم بالضرورة
وجود الله لانه يستحيل ان تكون الصفة معلومة بالضرورة والذات معلومة
بالنظر ولو علم موسى الله تعالى بالضرورة لزال التكليف ويحتمل ان يقال انه
تعالى لما اسمعه الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت عرف ان مثل ذلك الكلام من
الشجرة كظهور التسبيح من الحصا في انه يعلم ان مثل ذلك لا يكون الا من الله تعالى
ويحتمل ان يكون المعجز هو انه راى النار في الشجرة الرطبة فعلم انه لا يقدر على
الجمع بين النار وبين خضرة الشجرة الا الله تعالى ويحتمل ان يصح ما يروى ان
ابليس لما قال له كيف عرفت ان نداء الله تعالى فقال لاني اسمعه بجميع اجزائي
فلما وجد حسن السمع من جميع الاجزا علم ان ذلك مما لا يقدر عليه احد سوى
الله تعالى وهذا انما يصح على مذهبنا حيث قلنا البنية ليست شرطا
المسيلة الثالثة قال في سورة النمل نودي ان بورك من في النار ومن حولها
وقال ها هنا نودي اني انا الله رب العالمين وقال في طه اني انا ربك ولا
منافاة بين هذه الاشيا فهو تعالى ذكر الكل الا انه حكى في كل سورة بعض ما
اشتمل عليه ذلك النداء المسيلة الرابعة قال الحسن ان موسى نودي نداء
الوحي لا نداء الكلام والدليل عليه قوله فاستمع لما يوحى وقال الجمهور ان الله
تعالى كلمه من غير واسطة والدليل عليه قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما
وساير الايات واما الذي تمسك به الحسن فضعيف لان قوله فاستمع لما
يوحى لم يكن بالوحي لانه لو كان ذلك ايضا بالوحي لانتهى اخر الامر الى كلام
يسمعه المكلف لا بالوحي والا لزم التسلسل بل المراد من قوله فاستمع لما يوحى
وصيته بان يتشدد في الامور التي تصل اليه في المستقبل بالوحي اما قوله
تعالى وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى

من الشجرة

اقبل ولا تخف انك من الامنين فقد تقدم تفسير كل ذلك وقوله جان صريح في انه تعالى
شبهها بالجان من حيث الاهتزاز والحركة لا من حيث المقدار وقد تقدم الكلام في خوفه
ومعنى لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال وهب انها لم تدع
شجرة ولا صخرة الا ابتلعتها حتى سمع موسى صرير اسنانها وسمع قعقعة الصخر في جوفها
فحينئذ ولى واختلفوا في العصا على وجوه احدها قالوا ان شعيبا كانت عنده
عصي الانبياء فقال لموسى عليه السلام بالليل ادخل ذلك البيت وخذ عصا من تلك
العصي فاخذ عصا هبط بها ادم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت
الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فابصر بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي
سبع مرات فعلم ان له شانا ويروى ايضا ان شعيبا عليه السلام امر ابنته
ان تاتي بعصي لاجل موسى فدخلت البيت فاخذت العصا واتته بها فلما راها
الشيخ قال ائته بغيرها فالقاها فارادت ان تاخذ غيرها فلم يقع في يدها
غيرها فلما راى الشيخ ذلك رضي به ثم هم بعد ذلك فخرج يطلب موسى فطالقته
قال اعطني العصا قال موسى هي عصاي فابى ان يعطيه فاختصما ثم توافقا
على ان يجعلا بينهما اول رجل يلقاهما فاتاهما ملك يمشي فقضى فقال ضعوها
على الارض فمن حملها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطق فاخذها موسى عليه السلام
بسهولة فتركها الشيخ فرعى له عشر سنين وثانيها روى ابو صالح عن ابن عباس
قال كان في دار شرون بن اخي شعيب بيت لا يدخلها الا شرون وابنته التي
زوجها من موسى عليه الصلاة والسلام وانها كانت تكنسه وتنظفه وكان في
ذلك البيت ثلاث عشرة عصى وكان لشرون احد عشر ولدا من الذكور فلما ادرك
منهم ولد امره بدخول البيت واخرج عصا من تلك العصي فرجع موسى ذات يوم
الى منزله فلم يجد اهله واحتاج الى عصي لرعيه فدخل ذلك البيت واخذ عصا
من تلك العصي وخرج بها فلما علمت المراة ذلك انطلقت الى ابيها واخبرته بذلك
فسر بذلك شرون وقال لها ان زوجك هذا ابني وان له مع هذه العصا لشانا
وثالثها في بعض الاخبار ان موسى عليه الصلاة والسلام لما عقد العقد مع
شعيب عليه الصلاة والسلام واصبح من الغد واراد الرعي قال له شعيب
اذهب بهذه الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تاخذ على
يمينك وان كان الكلا بها اكثر فان بها تنينا عظيما واخشى عليك وعلى الاغنام
فذهب موسى عليه السلام بالاغنام فلما بلغ مفرق الطريق اخذت الاغنام ذات
اليمين فاجتهد موسى ان يردها فلم يقدر فسار على اثرها فراى عشبا كثيرا ثم ان موسى
عليه الصلاة والسلام نام والاغنام ترعى فاذا بالتنين جا فقامت عصا موسى
وقاتلته حتى قتلته وعادت الى جنب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى
راى العصا دامية والتنين مقتولا فارتاح لذلك وعلم ان لله سبحانه وتعالى
في تلك العصا قدرة واية وعاد الى شعيب وكان ضريرا فمس الاغنام فاذا هي

احسن حالا مما كانت فساله عن ذلك فاخبره موسى بالقصة ففرح بذلك وعلم ان لموسى
وعصاه شانا فاراد ان يجازي موسى على حسن رعيه اكراما وصلة لابنته فقال
اني وهبت لك من السخال التي تضعها اغنامي في هذه السنة كل ابلق وبلقا فاوحى
الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان اضرب بعصاك الماء الذي تسقي الغنم
ففعل ثم سقى الاغنام فما اخطات واحدة منها الا وضعت حملها بين ابلق وبلقا
فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وامراته فوفا له بشرطه
ورابعها قال بعضهم تلك العصا هي عصا ادم عليه السلام وان جبريل عليه السلام
اخذ تلك العصا بعد موت ادم فكانت معه حتى لقي موسى ليلا وخامسها قال الحسن
ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا اي اخذها من عرض الشجر يقال اعترض
ولا تختر وعن الكلبي الشجرة التي نودي منها شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولا مطمع
في ترجيح بعض هذه الوجوه على بعض لانه ليس في القران ما يدل عليها والاخبار
متعارضة والله اعلم بها اما قوله تعالى اسلك يدك في جيبك تخرج بيضا من غير
سوء فاعلم ان الله تعالى قد عبر عن هذا المعنى بثلاث عبارات احداها هذه
وثانيها في طه واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضا من غير سوء وثالثها قوله في النمل
وادخل يدك في جيبك تخرج بيضا قال العزيزي في غريب القران ادخل يدك
في جيبك ادخلها فيه اما قوله واضمم اليك جناحك من الرهب فاحسن الناس كلاما
فيه صاحب الكشاف قال فيه معنيان احدهما ان موسى عليه الصلاة والسلام
لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فالقاها بيده كما يفعل الخايف من الشي
فقيل له ان القاك بيدك فيه غضاضة عند الاعدا فاذا القيتها فكما تنقلب
حية فادخل يدك تحت عضدك مكان القاك بها ثم اخرجها بيضا ليحصل الامران
اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي
الانسان بمنزلة جناحي الطاير فاذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم
جناحه اليه الثاني ان المراد بضم جناحه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند
انقلاب العصا حية حتى لا يضرب ولا يرهب استفادة من فعل الطاير لانه اذا
خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه نشران ومعنى قوله من
الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك الرهب عند روية الحية فاضمم اليك
جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف
بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك لان الغرض
في احدهما خروج اليد بيضا وفي الثاني اخفا الرهب فان قيل قد جعل
الجناح وهو في اليد في احد الموضعين مضموما وفي الاخر مضموما اليه وذلك قوله
واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلت
المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى والمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحد
من يمنى اليدين ويسراهما جناح هذا كله كلام صاحب الكشاف وهو في نهاية

الحسن اما قوله تعالى فذانك برهانان من ربك فقرئ مخففا ومشددا فالمخفف
مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان على صدقه في النبوة
وصحة ما دعاهم اليه من التوحيد فظاهر الكلام يقتضي انه تعالى امره بذلك قبل
لقاء فرعون حتى عرفهما الذي يظهره عنده من المعجزات لانه تعالى حكى بعد ذلك عن
موسى انه قال اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون قال القاضي واذا كان
كذلك فيجب ان يكون في حال ظهور البرهانين هناك من نبأه الى رسالته بين اهله
او غيرهم اذ المعجزات انما تظهر على الرسل في حال الارسال لا قبله وانما تظهر لكي يستدل
بها غيرهم على الرسالة وهذا ضعيف لانه ثبت انه لا بد في اظهار المعجزات من حكمة
اما الحكمة الا ان يستدل بها الغير على صدق المدعي فلا نسلم ولعل هناك انواعا
من الحكمة والمقاصد سوى ذلك لا نعلمها وهذه الايات متطابقة على انه لم يكن
هناك مع موسى احد قوله تعالى قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون
واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردا يصدقني اني اخاف ان يكذبون
قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما
ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى
وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده
ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون اعلم انه تعالى قال
فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه يقتضي ذلك ان يذهب موسى
بهذين البرهانين الى فرعون وقومه فعند ذلك طلب من الله ما يقوي قلبه
ويزيل خوفه فقال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هارون
هو افصح مني لسانا لانه كان في لسانه حبسة اما في اصل الخلقة واما لاجل
انه وضع الجمرة في فيه عندما نتف لحية فرعون فارسله معي ردا يصدقني
وفيه ابحاث البحث الاول الردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما ان
الدفء اسم لما يدفأ به قال ردأت الحائط اردؤه اذا دعمته بخشب او غيره
لئلا يسقط البحث الثاني قرا نافع ردا بغير همز والباقون بالهمز وقرا عاصم
وحمزة يصدقني برفع القاف ويروى ذلك عن ابي عمرو والباقون بجزم القاف
وهو المشهور عن ابي عمرو ومن رفع فالتقدير ردا مصدقا لي ومن جزم كان
على معنى الجزاء يعني ان ارسلته صدقني ونظيره قوله تعالى فهب لي من لدنك
وليا يرثني بجزم الثاني يرثني وروى السدي عن بعض شيوخه ردا كيما
يصدقني البحث الثالث الجمهور على ان المصدق هارون وقال مقاتل المعنى
كي يصدقني فرعون والمعنى ارسل معي اخي يصدقني على اظهار الحجة والبيان فعند
اجتماع البرهانين ربما حصل المقصود من تصديق فرعون البحث الرابع ليس الغرض
بتصديق هارون ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان يلخص
بلسانه الفصيح وجوه الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل به الكفار فهذا

هو المفيد للتصديق المفيد الا ترى الى قوله واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي وفضل
الفصاحة انما يظهر فيما ذكرناه لا في مجرد قوله صدقت البحث الخامس قال الجبائي
انما سال موسى عليه السلام ان يرسل هارون بامره والا كان لا يدري هل يصلح
هارون للبعثة ام لا فلم يكن   لا يأتي الا لائقا ولا يكون حكمة ويحتمل ايضا ان
يقال انه ساله لا مطلقا بل مشروطا على معنى ان اقتضت الحكمة ذلك كما يقوله الداعي
في دعائه البحث السادس قال السدي نبيان وايتان اقوى من نبي واحد واية واحدة
قال القاضي والذي قاله من جهة العادة اقوى فاما من حيث الدلالة فلا فرق بين معجز
ومعجزين لان المبعوث اليه ان نظر في ايهما كان علم وان لم ينظر فالحال واحدة هذا
ان كانت طريقة الدلالة في المعجزتين واحدة اما اذا اختلفت وامكن في احداهما
من الشبهة ما لا يمكن في الاخرى فغير ممتنع ان يختلفا ويصح عند ذلك ان يقال
انهما بمجموعهما اقوى من احدهما على ما قاله السدي لكن لا يتاتى في موسى وهارون
لان معجزتهما كانت واحدة لا انهما متغايرة اما قوله سنشد عضدك باخيك فاعلم
ان العضد قوام اليد وبشدتها تشتد يقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي
ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك باخيك سنقويك به فاما ان
يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى لشدة اليد على مزاولة
الامور واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كانه يد
مشتدة بعضد شديدة اما قوله ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما فالمقصود
ان الله تعالى امنه مما كان يحذر فان قيل بين تعالى ان السلطان هو الايات
فكيف لا يصلون اليهما لاجل الايات اوليس فرعون قد وصل الى صلب السحرة وان كانت
هذه الايات ظاهرة قلنا ان الاية التي هي قلب العصا حية كما انها معجزة
فهي ايضا تمنع من وصول ضرر فرعون الى موسى وهارون لانهم اذا علموا انه متى
القاها صارت حية عظيمة وان اراد ارسالها عليهم اهلكتهم زجرهم ذلك عن
الاقدام عليهما فصارت مانعة من الوصول اليهما بالقتل وغيره وصارت اية ومعجزة
فجمعت بين الامرين فاما صلب السحرة ففيه خلاف فمنهم من قال ما صلبوا وليس
في القران ما يدل عليه وان سلمنا ذلك ولكنه قال فلا يصلون اليكما فالمقصود
انهم لا يقدرون على ايصال الضرر اليهما وايصال الضرر الى غيرهما لا يقدح فيه ثم
قال انتما ومن اتبعكما الغالبون والمراد اما الغلبة بالحجة والبرهان في الحال
او الغلبة في الدولة والمملكة في ثاني الحال والاول اقرب الى اللفظ اما قوله
تعالى فلما جاءهم موسى باياتنا بينات فقد بينا في سورة طه انه كيف اطلق
لفظ الايات وهو جمع على العصا واليد قالوا ما هذا الا سحر مفترى واختلفوا
في مفترى فقال بعضهم المراد انه كان سحرا فاعله يوهم خلاف ما هو المفترى
وقال الجبائي المراد منه انه منسوب الى الله تعالى يوهم من فعله فكانهم قالوا
هو كذب من هذا الوجه ثم ضموا اليه ما يدل على جهلهم وهو قولهم ما سمعنا بهذا

في آبائنا الأولين أي ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد
سمعوا مثله ويريدون أنهم لم يسمعوا بمثله في قطاعته أو ما كان الكهنة يخبرون
بظهور موسى ومجيئه بما جاء به واعلم أن هذه الشبهة ساقطة لأن حاصلها يرجع إلى
التقليد ولأن حال الأولين لا يخلو من وجهين إما أن لم يورد عليهم مثل هذه الحجة
فحينئذ الفرق ظاهر أو أورد عليهم فدفعوه فحينئذ لا يجوز جهلهم وخطأهم حجة فعند
ذلك قال موسى وقد عرف منهم العناد ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له
عاقبة الدار فإن من أظهر الحجة ولم يجد من الخصم اعتراضا عليها إنما وجه منه العناد
صح أن يقول ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده والحجة منا جميعا ومن هو على الباطل وتضم
إليه طريق الوعيد والتخويف وهو قوله ومن تكون له عاقبة الدار من ثواب على تمسكه
بالحق أو من عقاب وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله تعالى أولئك
لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله تعالى وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار
الدنيا وعاقبتها وعقباها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى
عند الموت فإن قيل العاقبة المحمودة والمذمومة كلاهما يصح أن يسمى عاقبة الدار
لأن الدنيا قد تكون خاتمتها بخير في حق البعض وبشر في حق البعض الآخر فلم اختصت
خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلنا قد وضع الله تعالى الدنيا
مجازا إلى الآخرة وأمر عباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة
الصدق فمن عمل فيها خلاف ما وضعها الله تعالى له فقد حرف إذن عاقبتها الأصلية
الأصلية فهي عاقبة الخير أما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف الكفار
ثم إنه تعالى أكد ذلك بقوله إنه لا يفلح الظالمون إذ المراد أنهم لا يظفرون بالفوز
والنجاة والمنافع بل يحصلون على ضد ذلك وهذا نهاية في زجرهم عن العناد الذي
ظهر منهم قوله تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري
فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه
من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون
فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم
أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة
ويوم القيامة هم من المقبوحين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون
الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون اعلم أن فرعون كانت عادته
متى ظهرت حجة موسى عليه السلام أن يتعلق في دفع تلك الحجة بشبهة يروجها على
أغمار قومه وذكر هاهنا شبهتين الأولى قوله تعالى ما علمت لكم من إله غيري وهذا
في الحقيقة يشتمل على كلامين أحدهما نفي إله غيره والثاني إثبات إلهيته لنفسه
فأما الأول فقد كان اعتمادا على أنه لا دليل عليه فلم يجز إثباته أما أنه لا دليل
عليه فلأن هذه الكواكب والأفلاك كائنة في اختلاف أحوال هذا العالم السفلي
فلا حاجة إلى إثبات صانع وأما ما لا دليل عليه لم يجز إثباته فالأمر فيه ظاهر

واعلم أن المقدمة الأولى كاذبة فإنا لا نسلم أنه لا دليل على وجود الصانع وذلك لأنا عرفنا
بالدليل حدوث الأجسام وعرفنا حدوث الأفلاك والكواكب وعرفنا بالضرورة أن
المحدث لا بد له من محدث فحينئذ نعرف بالدليل أن لهذا العالم صانع والعجب أن جماعة
اعتمدوا في نفي كثير من الأشياء على أن قالوا فيها لا دليل عليه فالواجب نفيه وإنما قلنا
لا دليل عليه لأنا بحثنا وسبرنا فلم نجد عليه دليلا فيرجع حاصل كلامهم بعد التحقيق إلى
أنا لا نعرف عليه دليلا فوجب نفيه وأن فرعون لم يقطع بالنفي بل قال لا دليل عليه فلا
أثبته بل أظنه كاذبا في دعواه ففرعون على نهاية جهله أحسن حالا من هذا المستدل أما
الثاني وهو إثباته إلهية نفسه فاعلم أنه ليس المراد منه أنه كان يدعي كونه خالقا
للسموات والأرض والجبال والبحار وخالقا لذوات الناس وصفاتهم فإن العلم بامتناع
ذلك من أوائل العقول فالشك فيه يقتضي زوال العقل بل الإله هو المعبود فالرجل كان
ينفي الصانع ويقول لا تكليف على الناس إلا أن يطيعوا ملكهم وينقادوا لأمره فهذا
هو المراد من ادعائه الإلهية لا ما ظنه الجمهور من ادعائه كونه خالقا للسموات والأرض
لا سيما وقد دللنا في سورة طه في تفسير قوله فمن ربكما يا موسى على أنه كان عارفا بالله
وأنه كان يقول ذلك ترويجا على الأغمار من الناس الشبهة الثانية قوله تعالى فأوقد
لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين
وهاهنا أبحاث الأول تعلقت المشبهة بهذه الآية في أن الله تعالى في السموات قالوا
لولا أن موسى عليه السلام دعا إلى ذلك لما قال هذا القول والجواب أن موسى عليه
السلام دل فرعون بقوله رب السموات والأرض ولم يقل هو الذي في السماء دون الأرض
فأوهم فرعون أنه يقول إن إله في السماء وذلك أيضا من خبث فرعون ومكره فعاله
الثاني اختلفوا في أن فرعون هل بنى هذا الصرح فقال قوم إنه بناه قالوا إنه لما
أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألفا من البنائين سوى الأتباع
والأجراء وأمر بطبخ الآجر والحصى ونجر الخشب وضرب المسامير فشدوه حتى بلغ ما لم يبلغ
بنيان أحد من الخلق فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضرب
بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل
ووقعت قطعة في البحر ووقعت قطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا وقد هلك
ويروى في هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه ورمى بنشابة نحو السماء فأراد الله
أن يفتنهم فردت إليه وهي ملطخة بالدم فقال قد قتلت إله موسى فعند ذلك بعث
الله عز وجل جبريل عليه السلام لهدمه ومن الناس من قال لم يبن ذلك الصرح
لأنه يبعد من العقلاء أن يظنوا أنهم يصعدون الصرح يقربون من السماء مع علمهم بأن
من أعلى الجبال الشامخة يرى السماء كما كان يراها حين كان على قرار الأرض ومن شك
في ذلك خرج عن حد العقلاء وهكذا القول فيما يقال من رمي السهم إلى السماء فرجوعه
ملطخا بالدم فإن كل من كان كاملا في العقل يعلم أنه لا يمكن إيصال السهم إلى السماء وأن
من حاول ذلك كان من المجانين ولا يليق بالعقل والدين حمل القصة التي حكاها الله

في القرآن على محل يعلم فساده بالضرورة فيصير ذلك يشرعا قرآنيا لمن أحب الطعن في القرآن
والاقرب انه اوهم الينا ولم يبن وكان هذا من تتمة قوله ما عاينتم لكم من آله غير بي سنا
لاسيل اليه البتة بالدليل وان حركات الكواكب كائنة في تغيير هذا العالم ولا سبيل
بالحس فان الاحساس به لا يمكن الا بعد صعود السماء وذلك مما لا سبيل اليه ثم قال ذلك
لهامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ به اسباب السموات وانما قال ذلك على سبيل التهكم فيجموع
هذه الايتان فرعون لا دليل على الصانع ثم رتب النتيجة عليه فقال واني لاظنه
من الكاذبين فهذا تاويل اولى مما عداه الثالث انما قال ذلك يا هامان على الظن
ولم يقل اطلع لي الاجر والمثوبة لانه اولى من عمل الاجير فوبخه الصنعة وكان
هذه العبارة التي بها صلحة القرآن واشد كلام الجبيرة واسرها ما وتر وزيره
بالاقياد على الظن مناد بي باسمه بينا في وسط الكلام ودليل التعظيم والتحبر
والطلوع والاطلاع المتصور فيما لطلع الجبل واطلع يعجب واحد اما قوله واستكبر
هو وجنوده في الارض بغير الحق فاعلم ان الاستكبار بالحق انما هو لله تعالى وهو المتكبر
في الحقيقة اي المتبالغ في كبرياء الشان قال عليه السلام فمن حاكني عن ربه الكبرياء
ردايه والعظمة ازاريه فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل متكبر سواه
فاستكباره بغير الحق المسئلة الثانية قال الجبائي الآية تدل على انه تعالى اعطاه
الملك والا كان ذلك بحق وهكذا كل متغلب لا كما ادعى ملوك بني امية عن
تعليم ان ملكهم من الله تعالى فان الله عز وجل قد بين في كل غاصب بحكم الله انه
اخذ ذلك بغير حق واعلم ان هذا ضعيف لان وصول ذلك الملك اليه اما ان يكون
منه او من ابيه او لانه ولاه الله فان كان منه فلم يقدر عليه بمجرده وربما كان
العاجز اقوى واعقل بكثير من المتولي للامر وان كان من قبل الله فقد صح الغرض
وان كان من سائر الناس فما اجتمعت دواعي الناس على بصرة احدهما وحدة لان الا
حزان هذا اظهر من ان يرتاب فيه العاقل اما قوله تعالى فطفوا اعلم ابينا لا يرجع
فهذا يدل على انهم كانوا عارفين بالله تعالى الا انهم كانوا يتكرون البعث فلا جل
ذلك تمردوا وطغوا اما قوله تعالى فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فهو من
الكلام الفخم الذي دل به على عظمة شانه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم
واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثر الكثير والجم الغفير بحصيات اخذهن اخذ في كفه
نظر عمن في البحر وحوذلك قوله تعالى والفتيا بنهار واسي شاء سبحانه وحملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وليس القصد فيها الا تصور ان كل مقدور
وان عظم فهو حقير بالقياس الى قدرته اما قوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار
فقد تقدم في هذه الاصحاب في قوله تعالى حكاية عن الخبر والشر قال الجبائي المراد بقوله
وجعلناهم ائمة بينا ذلك من حالهم وسميناهم به وعنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا وبقول اهل اللغة في تفسير قسمته وبخله جعله

فاستقاوبخيلا لانه خلقهم اناثا لانها لا تحلق لهم كانوا اطفالا وقال الكعبي انما قال
جعلناهم ائمة من حيث خلى بينهم وبين ما فعلوه ولم يعاجلهم بالعقوبة من حيث كفروا ولم
يمنعهم بالقسر وذلك كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم فان الرجل يسئل ما يثقل عليه وان امكنه فاذا بخل به قيل للسائل جعلت فلانا بخيلا
وقد مجلته وقال ابو مسلم يعني الامامة المتقدم فلما عجل الله لهم العذاب صاروا مستقدمين
لمن وراءهم من الكافرين واعلم ان الكلام قد تقدم في سورة مريم في قوله ارسلنا الشياطين
على الكافرين وتعديد دعوامم الى النار دعوامم الى موجباتها من الكفر والمعاصي فان احدا
لا يدعوا الى النار انما يدعوا اليها فعلم الله تعالى في هذا الباب لانهم بلغوا في هذا الباب
الى اقصى النهايات ومن كان كذلك استحق ان يكون اماما يقتدى به في ذلك ضم بين
تعالى ان ذلك العقاب سينزل بهم على وجه لا يمكن التخلص منه فهو معنى قوله ويوم القيامة
لا ينصرون او يكون معناه ويوم القيامة لا ينصرون كما تنصر الائمة الدعاة الى الجنة
اما قوله تعالى واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين وتعناه لعنة
الله لهم وامره تعالى بذلك انهم يوم القيامة من المقبوحين اي من المبعدين
الملعونين والقبح الابعاد وقال الليث قبحه الله اي نحاه عن كل خير وقال ابن عباس من
المشوهين بسواد الوجه وزرقة العين وعلى الجملة قالوا لون عملوا القبح على القبح الذي
وهو الطرد والابعاد من رحمة الله وقد جاء الباقون فحملوه على القبح في الصورة وقيل فيه انه
تعالى يقبح صورهم ويقبح عليهم علمهم ويجمع بين القبحين تعذيبا لهم تعالى ان التوراة
المشتملة على هذه القصص قال ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون
الاولى بصائر الكتاب من التوراة ووصفه تعالى بانه بصائر للناس من حيث انه يصير
بمنزلة البصر في باب الدين وهدى من حيث يستدل به ومن حيث ان المتمسك به يفوز
بطلبته من الثواب ووصفه بانه رحمة لانه من تمام الله تعالى على من تعبده به وروي
ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اهلك الله قرنا من القرون
بعذاب من السماء ولا من الارض منذ انزل التوراة غير اهل القرية التي مسخها قردة
اما قوله لعلهم يتذكرون فالمراد لكي يتذكروا قال القاضي وهذا يدل على ان اراده الله
التذكر من كل مكلف سواء اختار ذلك او لم يختره فقد ابطل مذهب المجبرة الذين
يقولون ما اراد التذكر الا من يتذكر فما من لا يتذكر فقد كره ذلك ومن الفوائد
دافع لهذا القول قلنا البس انكم حالتم قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس
فلم لا يجوز حمله هاهنا على العاقبة فان عاقبة الكل حصول هذا التذكر له وقد ذكرنا
في الاخرة **قوله تعالى** وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت
من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين
تتلوا عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة
من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا ان تصيبهم
مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون

من الموصوف اعلم ان في الاية سؤالات السؤال الاول الجانب موصوف والغربي صفة فكيف اضاف الموصوف الى الصفة الجواب هذه مسئلة خلافية بين النحويين فعند البصريين لا تجوز اضافة الصفة الموصوف الى الصفة الا بشرط حاصل ستذكره وعند الكوفيين يجوز ذلك مطلقا فحجة البصريين ان اضافة الموصوف الى الصفة تستقيم اضافة الشيء الى نفسه وهذا غير جايز وذلك ايضا غير جايز بيان الملازمة انك اذا قلت جايني زيد الظريف فلفظ الظريف يراد به شيء يستقيم في نفسه محمول بحسب هذا اللفظ حصلت له الظرافة فاذا اضفت علما معرفا ان ذلك الشيء الذي حصلت الظرافة له هو زيدا تاثبت هذا فلو اضفت زيدا الى الظريف كنت قد اضفت زيدا الى زيد وهو اضافة الشيء الى نفسه لا تجوز فاضافة الموصوف الى صفته يجب ان لا يجوز لانه جاء على خلاف هذه القاعدة القاطعون قوله في هذه الاية وما كنت بجانب الغربي وقوله وثوى في اهل مدين القصة وقوله حق اليقين والدار الاخرة وبقية الصلاة الاولى ومسجد الجامع ونقلة الخمافقالوا التاويل في جانب المكان الغربي وفي الملة القصة وحق الشيء اليقين والدار الساعة الاخرة وصلاة الساعة الاولى ومسجد المكان الجامع ونقلة الخبة الخمافقالوا في هذه المواضع المضاف اليه ليس هو الصفة بل الموصوف الا انه حذف الموصوف واقيم الصفة مقامه فههنا يبطران كان ذلك الصفة كالمتعين لذلك الموصوف حسن ذلك والا فلا لانا نرى انه ليس لك ان تقول عندي عبد عاقل يعني عندي درهم جيد ويجوز مررت بالفقيه على يعني مررت بالرجل الفقيه لان الفقيه يعلم انه لا يكون الا من الناس والجيد قد يكون درهما وقد يكون غيره واذا كان كذلك حسن قوله جانب الغربي لان الشيء الموصوف بالغربي الذي يضاف اليه الجانب لا يكون الا مكانا او ما يشبهه فلا جرم حسنت هذه الاضافة وكذا القول في البواقي السؤال الثاني ما معنى قوله اذ قضينا الى موسى الامر الجواب الجانب الغربي هو المكان الواقع في شرقي الغربي وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور وكيف كان فالله له في الالواح والامر المقضي الى موسى عليه السلام الوحي الذي اوحي اليه والخطاب لرسول الله يقول وما كنت حاضرا المكان الذي اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين الذين اوحي اليهم او على الوحي اليه وهم تلقوه من الذين اختارهم للميقات السؤال الثالث ما قالوا في الجانب الغربي ثبت ان لا بد من شاهد لان الشاهد لا بد وان يكون حاضرا فما الفايدة في اعادة قوله وما كنت من الشاهدين الجواب قال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شاهدت تلك الوقايع فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهد ولا يرى السؤال الرابع كيف يتصل قوله ولكنا انشانا قرونا بهذا الكلام وعلى اي وجه يكون استدراكا له الجواب معنى الاية ولكنا انشانا بعد عهد موسى الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول عليهم العمر والقرن الذي انت فيه العمر فانت درست العلوم فوجب الرسالة اليهم فارسلناك وعرفناك احوال الانبيا

واحوال الرسل عليه السلام والحاصل كانه قال وما كنت شاهد الموسى وما جرى عليه ولكنا اوحينا اليك فتذكر سبب الوحي الذي مر اطالة الفترة وذلك هو على السبب فاذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراك لكن بعده واعلم ان هذا تنبيه على المعجزة كانه قال ان اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة ولا تعلم من اهله دلالة ظاهرة على نبوتك كما قال تعالى اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ما قوله تعالى وما كنت ثاويا في اهل مدين فاعلم انه تعالى لما بين قصة موسى عليه السلام في الطور اتبعها بقصة اخرى وهي قصة شعيب عليه السلام وقومه وهم اهل مدين فالمعنى ما كنت مقيما بين اهل مدين في ما قوله تتلو عليهم اياتنا فتبين وجه الدلالة فان قيل فما قال تتلو عليهم اياتنا فقيد وجعلها حالا وقال ههنا ثاويا بغير واو فلم لم تقل ههنا وانت ثاوي قلنا لان الواو تدل على ان الجملة التي دخلت عليها حال وقعت بعد جملة اخرى كقولك جاءني زيد وهو راكب فمجيء زيد وقع اولا ثم وقع بعده ركوبه وههنا لم يقع ثواؤه بعد تلاوته عليهم بل كان ثواؤه قبل تلاوته عليهم فلا جرم لم يدخل الواو فان قيل فلم قال ثاويا بعد قوله تتلو عليهم اياتنا ولم يقل تثوي قلنا لان الثواء قد مضى فلا يمكن ان يكون حالا عن الفعل المستقبل فلا بد من تاويله بالماضي فلهذا قال ثاويا ولم يقل تثوي فان قيل فما الفايدة في قوله ولكنا كنا مرسلين قلنا الفايدة فيه ان الله تعالى ما ارسلك الى اهل مكة وانزلنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها انت ولا قومك فان قيل فما الفايدة في قوله ولكنا ارسلناك الى اهل مكة وانزلنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها انت ولا قومك فان قيل فما الفايدة في قوله ولكنا كنا مرسلين قلنا الفايدة فيه ان ارسالنا لك الى اهل مكة لم يكن لاجل انهم كانوا اشرف من غيرهم ولكن كان غيرهم ولكنا كنا مرسلين في كل زمان رسولا فارسلنا الى مدين شعيبا وارسلناك الى العرب لتكون خاتم الانبيا اما قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا بربك ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون فاعلم ان هذا هو الاصل الثاني من الاصلين اللذين ذكرهما في قصة موسى عليه السلام وهو قصة الطور وقد ذكرنا ان الاصل الاول هو قصة موسى ليلة المناجاة وتكليمه وتكليمه ولكن رحمة من ربك اي اعلمناك رحمة وقد اعيبي بن عمر بالرفع اي هي رحمة وذكر المفسرون في قوله اذ نادينا وجوها احدها اذ نادينا اي بقولنا لموسى ارجني وسمعت كلامي الذي هو قوله انني انا الله لا اله الا انا وثانيها قال عيسى اذ نادينا امته في اصلاب ابايهم يا امة محمد اجبتكم قبل ان تدعوني واعطيتكم قبل ان تسئلوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني قالوا وانما قال ذلك حين اختار موسى سبعين رجلا لميقاته ربه وثالثها قال وهب عما ذكر الله لموسى فضل امة محمد قال يا رب ارايتهم قال انك لن تذركهم وان تثبت اسمعت ربهم قال لبيك يا رب فقال سبحانه وتعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابايهم واسمعه الله تعالى اصواتهم ثم قال اجبتكم قبل ان تدعوني الحديث كما ذكره عن ابن عباس وروايها روي سمرا بن سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال كتب الله كتابا قبل ان يخلق الخلق بالفي عام فوضعه عند العرش ثم نادى يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي واعطيتكم قبل ان تسئلوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني فمن لقيني منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ادخلته الجنة اما قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك والانذار هو التخويف بالعقاب على المعصية واعلم انه تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام قال لرسوله وما كنت بجانب الغربي وما كنت ثاويا في اهل مدين وما كنت بجانب الطور فجمع بين كل ذلك لان هذه الثلاثة هي الاحوال العظيمة التي انتقلت لموسى عليه الصلاة والسلام اذ المراد بقوله ان قضينا الى موسى الامر انزال التوراة عليه وبقوله اذ نادينا وسط امره ومولده المناجاة والمراد بقوله وما كنت ثاويا اول امره والمراد بقوله اذ نادينا وسط امره ومولده المناجاة وعلى هذا بين الله عليه السلام لم يكن في هذه الاحوال حاضرا بين تعالى منه جملة وعرفه هذه الاحوال الرحمة لهذا المعنى ثم قال تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك واختلفوا فيهم قال بعضهم لم يبعث اليهم نذير وقال بعضهم جماعة

الانبياء كانت قائمة عليهم ولكنه ما بعث اليهم من يجدد تلك الحجة عليهم وقال بعضهم لا يبعد وقوع الفترة في التكاليف فيبعثه الله الى تقرير التكاليف واذا لم تكن الفترة امتنع قوله تعالى ولولا ان تصيبهم مصيبة الاية قلت صدقت لكشاف لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف وقد الثانية تختص بالفعل والتقدير في قوله فيقولون للعطف وفي قوله فنتبع جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر يامر على المعنى والباعث على والمختص من واحد واحد المعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا مخيفين علينا بذلك ما ارسلنا اليهم يعني انا ارسلنا الرسول ازالة لهذا العذر وهو كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ان يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع ايا تك ونعلم انه تعالى لم يقل لولا ان يقولوا هذا العذر لما ارسلنا ولا قال لولا ان تصيبهم مصيبة فيقولوا هذا العذر لما ارسلنا وانما قال ذلك لنكتة وهي انهم لو لم يجابوا لتوا ملا وتذرعوا بطلان دينهم لما قالوا ذلك بل انما يقولون ذلك اذا نالهم العذاب فترك ذلك على انهم لم يذكروا هذا العذر تاسفا على تركهم بل لانهم ما طاقوا العذاب ربنه تنبيه على استحكام كفرهم وترشوحه فيهم كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وفي الاية مسائل المسئلة الاولى احتج الجبائي به على ان الله تعالى يجب عليه رعاية الاصلح قال لو لم يجب ذلك لم يكن لهم ان يقولوا هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع اذ من الجائز ان لا يبعث اليهم واذ كانوا لا يختارون الايمان الا عند قول من خالف في وجوب اللطف كما ان من الجائز اذا كان في المعلوم لو خلق له لم يكن ان لا يفعل تلك المسئلة الثانية احتج الكعبي به على ان الله تعالى يجعل حجة العباد ولبس الامر كما يقوله اهل السنة من انه تعالى لا يجعل الحجة فظهر بهذا انه ليس المراد من قوله لا يسئل عما يفعل ما يظنه اهل السنة فاذا ثبت انه يجعل الحجة وجب ان لا يكون فعل العبد بخلق الله تعالى والا لكان الكافر اعظم حجة على الله منه المسئلة الثالثة قال القاضي فيه ابطال القول بالجبر من جهات احدها ان عمم وابا انهم موقوف على ان يخلق الله فيهم ذلك سواء ارسل الرسول ام لا وثانيها انه اذا خلق القدرة على ذلك فيهم سواء ارسل الرسول ام لا والثالث اذا اراد ذلك وجب سواء ارسل الرسول اليهم ام لا فاي فايدة في قولهم هذا لو كانت افعالهم خلقا لله تعالى بقال القاضي هب انك ناقشت في الخلق والارادة ولكنك وافقت في العلم فاذا علم الكفر منهم فهل يجب ام لا فان لم يجب امكن ان لا يوجد الكفر مع حصول العلم بالكفر وذلك يجمع بين الضدين وان وجب لزمك ما الزمتنا عليه واعلم ان الكلام وان كان قريبا حسنا الا انه اذا توجه عليه النقض الذي لا محيص عنه تكليف بما لا يرضى العاقل بان يقول به عليه قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم

صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهوائهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين اعلم انه تعالى لما حكى عنهم انهم عند وقوف مصيبة قالوا هلا ارسلت الينا رسولا نتبع آياتك ونكون من المؤمنين حكى ايضا انه بعد الارسال الى الملائكة قالوا هلا اوتي مثل ما اوتي موسى فهم لا تنبل البعثة بنية تعلقوا بشبهة وبعد البعثة تعلقوا باخرى فظهر انه لا مقصود لهم سوى الدفع والعناد اما قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى يعني من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن سائر المعجزات كقلب العصا حية واليد البيضاء وفلق البحر وتظليل الغمام وانفجار الحجر بالماء والمن والسلوى ومن اتاه كلمه وكتب له في الالواح وغيرها من الايات فجاوا بالاقتراحات على البعثة والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك واعلم ان الذي اقترحوه غير لازم لانه لا يجب في معجزات الانبياء ان تكون واحدة ولا فيما ينزل اليهم من الكتب ان تكون على وجه واحد اذ الصلاح قد يكون في ايتاء الكل مجموعا كما لليهود وفرقا كما للقرآن ثم انه تعالى اجاب عن هذه الشبهة بقوله اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل واختلفوا في ان الضمير من قوله اولم يكفروا الى من يعود وذكروا فيه وجوها احدها ان اليهود امروا قريشا ان يسالوا محمدا مثل ما اوتي موسى عليه الصلاة والسلام تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني اولم يكفروا اباءهم مولاء اليهود الذين استمروا على هذا السؤال موسى عليه الصلاة والسلام مع تلك الايات الباهرة وثانيها ان الذين اوردوا هذا الاقتراح كفار مكة والذين كفروا بموسى هم الذين كانوا في زمان موسى لا انه تعالى جعلهم كالشيء الواحد لانهم في الكفر والتعنت كالشيء الواحد وثالثها قال الكلبي ان نفرا من مكة بعثوا رهطا الى يهود المدينة ليسئلهم عن محمد وشانه فقالوا انا نجده في التوراة ونعته وصفاته فلما رجع الرهط اليهم واخبروهم بقول اليهود قالوا انه كان ساحرا فقال تعالى في حقهم اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل وهذا قال الحسن قد كان للعرب اصل في ايام موسى عليه الصلاة والسلام وفي ايام ابي جهل فقالوا في موسى وهارون ساحران وقالوا في محمد ساحر فهذا قول الحسن وقتادة واولى هذا الوجوه عندي ان كفار قريش ومكة كانوا سالوا من يجمع التوراة من اليهود ان تاتيهم بمعجزات موسى عليه السلام قال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى بل بما اوتي جميع الانبياء من قبل فعلمنا انه لا غرض لهم في هذا الاقتراح الا التعنت

ثم انه تعالى حكى كيفية كفرهم بما اوتي موسى من وجهين الاول قولهم ساحران تظاهرا
قرا ابن كثير وابو عمرو واهل المدينة ساحران بالالف وقرا اهل الكوفة بغير
الالف وذكروا في تفسير الساحرين وجوها احدها المراد هارون وموسى عليهما السلام
تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وساحران بمعنى ذوا سحر وجعلوهما
ساحرين مبالغة في وصفهما بالسحر وكثير من المفسرين فسروا قوله سحران بان المراد
هو القران والتوراة واختار ابو عبيدة القراءة بالالف لان الظاهرة بالناس وافعالهم
اشبه منها بالكتب وجوابه انا بينا ان قوله سحران يمكن حمله على الرجلين وبتقدير
ان يكون المراد الكتابين لكن لما كان كل واحد من الكتابين يقوي الاخر لم يبعد
ان يقال على سبيل المجاز تعاونا كما يقال تظاهرت الاخبار وهذه التاويلات انما
تصح اذا حملنا قوله اولم يكفروا بما اوتي موسى اما على كفار مكة او على الكفار
الذين كانوا في زمان موسى ولا شك ان ذلك اليق بمساق الاية الثاني قولهم انا بكل
كافرون اي بما انزل على محمد وموسى وسائر الانبياء ومعلوم ان هذا الكلام لا يليق
الا بالمشركين لا باليهود وذلك مبالغة في انهم مع كثرة ايات موسى عليه السلام
كذبوه فما الذي يمنع من مثله في محمد صلى الله عليه وسلم وان ظهرت حجته ولما اجاب
الله تعالى عن شبهتهم ذكر الحجة الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فقال
قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان
بمثله قال الزجاج اتبعه بالجزم على الشرط ومن قرا اتبعه على الرفع فالتقدير
انا اتبعه ثم قال فان لم يستجيبوا لك قال ابن عباس يريد فان لم يؤمنوا بما جئت
به من الحجج وقال مقاتل فان لم يمكنهم ان ياتوا بكتاب افضل منهما وهذا اشبه بالاية
فان قيل الاستجابة تقتضي دعاء فاين الدعاء هاهنا قلنا قوله فاتوا بكتاب
امر والامر دعاء الى الفعل ثم قال فاعلم انما يتبعون اهواءهم يعني قد صاروا ملزمين
ولم يبق لهم شيء الا اتباع الهوى ثم زيف طريقتهم بقوله ومن اضل ممن اتبع هواه بغير
هدى وهذا من اعظم الدلائل على فساد التقليد وانه لا بد من الحجة والاستدلال
ان الله لا يهدي القوم الظالمين وهذا عام يتناول الكافر لقوله ان الشرك لظلم
عظيم واحتج الاصحاب به في ان هداية الله تعالى خاصة بالمؤمنين وقالت
المعتزلة الالطاف منها ما يحسن فعلها مطلقا ومنها ما لا يحسن الا بعد الايمان
والدليل عليه قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى فقوله ان الله لا يهدي
القوم الظالمين محمول على القسم الثاني ولا يجوز حمله على القسم الاول لانه تعالى
لما بين في الاية المتقدمة ان عدم بعثة الرسل جار مجرى العذر لهم فبان يكون
عدم الهداية عذابا لهم اولى ولما بين تعالى نبوة محمد بهذه الدلالة قال ولقد وصلنا
لهم القول وتوصيل القول هو اتيان بيان بعد بيان وهو من وصل البعض بالبعض
وهذا القول الموصل يحتمل ان يكون المراد منه انا انزلنا القران منجما مفرقا يتصل
بعضه ببعض ليكون ذلك اقرب الى التذكير والتنبيه فانهم في كل يوم يطلعون

على حكمة اخرى وفائدة زائدة فيكونون عند ذلك اقرب الى التذكير وعلى هذا التقدير
يكون هذا جوابا لقولهم هلا اوتي محمد الكتاب دفعة واحدة كما اوتي موسى كتابه كذلك
ويحتمل ان يكون المراد وصلنا اخبار الانبياء بعضها ببعض واخبار الكفار في كيفية
هلاكهم بكثير من المواضع للاتعاظ والانزجار ويحتمل ان يكون المراد بينا الدلالة
على كون هذا القران معجزة مرة بعد اخرى لعلهم يتذكرون ثم انه تعالى لما اقام
الدلالة اكد ذلك بان قال الذين اتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل القران اسلموا
بمحمد فمن لا يعرف الكتب اولى بذلك واختلفوا في المراد بقوله الذين اتيناهم الكتاب
وذكروا وجوها احدها قال قتادة انها نزلت في اناس من اهل الكتاب كانوا على
شريعة حقة يتمسكون بها فلما بعث الله محمدا امنوا من في جملتهم سلمان وعبد الله بن
سلام وثانيها قال مقاتل نزلت في اربعين رجلا من اهل الانجيل هم اصحاب السفينة
جاؤا من الحبشة مع جعفر وثالثها قال رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم
وقد عرفت ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من حصل في حقه تلك
الصفة كان داخلا في الاية ثم حكى عنهم ما يدل على تاكيد ايمانهم وهو قولهم امنا
به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فقوله انه الحق من ربنا يدل على التعليل
يعني ان كونه حقا من عند الله يوجب الايمان به وقوله ان كنا من قبله مسلمين
بان لقوله امنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان
ايمانهم به متقادم وذلك بما وجدوه في كتب الانبياء المتقدمين من البشارة بمقدمه
ثم انه تعالى لما مدحهم بهذا المدح العظيم قال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بايمانهم
بمحمد قبل بعثته وبعد بعثته وهذا هو الاقرب لانه تعالى لما بين انهم امنوا بعد
البعثة وبين ايضا انهم كانوا مؤمنين قبل البعثة ثم اثبت الاجر مرتين وجب ان
ينصرف الى ذلك وثانيها يؤتون الاجر مرتين مرة بايمانهم بالانبياء الذين كانوا
قبل محمد ومرة اخرى بايمانهم بمحمد وثالثها قال مقاتل هؤلاء لما امنوا بمحمد عليه
الصلاة والسلام شتمهم المشركون فصفحوا عنهم فلهم اجران اجر على الصفح واجر
على الايمان يروى انهم لما اسلموا لعنهم ابو جهل فسكتوا عنه قال السدي اليهود
عابوا عبد الله بن سلام وشتموه وهو يقول سلام عليكم ويدرؤن بالحسنة السيئة
والمعنى بالطاعة المعصية المتقدمة ويحتمل ان يكون دفعوا بالعفو او الصفح الاذى
ويحتمل ان يكون المراد من الحسنة امتناعهم من المعاصي لان نفس الامتناع حسنة
ويدفع به ما لولاه لكان سيئة ويحتمل التوبة والانابة والاستقرار عليها ثم قال
ومما رزقناهم ينفقون واعلم انه تعالى مدحهم اولا بالايمان ثم بالطاعة البدنية
في قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة ثم بالطاعة المالية في قوله ومما رزقناهم
ينفقون قال القاضي دل هذا المدح على ان الحرام لا يكون رزقا جوابه ان
كلمة من للتبعيض فدل على انهم استحقوا المدح باتفاق ما كان رزقا وعلى هذا
التقدير يسقط استدلاله ثم لما بين كيفية اشتغالهم بالطاعة والافعال الحسنة

خ بلا بل

بين كيفية اعراضهم عن الجهال فقال واذا سمعوا اللغو واللغو ما حقه ان يلغى ويترك
من العبث وغيره وكانوا يسمعون ذلك فلا يخوضون فيه بل يعرضون عنه اعراضا
جميلا فلذلك قال تعالى وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم وما احسن ما قال
الحسن رضي الله عنه في ان هذه الكلمة تحية بين المؤمنين وعلامة الاحتمال من الجا
هلين ونظير هذه الاية قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم اكد تعالى ذلك حاكيا عنهم لا نبتغي
الجاهلين والمراد لا نجازيهم بالباطل على باطلهم قال قوم نسخ ذلك بالامر بالقتال
وهو بعيد لان ترك المسافهة مندوب وان كان القتال واجبا **قوله تعالى**
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع
الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا
من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون اعلم ان في قوله انك لا تهدي من احببت ولكن
الله يهدي من يشاء مسايل المسيلة الاولى هذه الاية لا دلالة في ظاهرها على كفر ابي
طالب ثم قال الزجاج اجمع المسلمون على انها نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب
قال عند موته يا معشر بني عبد مناف اطيعوا محمدا واتبعوه وصدقوه تفلحوا وترشدوا
فقال عليه السلام يا عم تامرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن
اخي قال عليه السلام اريد منك كلمة واحدة فانك في اخر يوم من ايام الدنيا
ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق
ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة
ومسبة بعدي لقلتها ولا قررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك
ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف
المسيلة الثانية انه تعالى قال في هذه الاية انك لا تهدي من احببت وقال
في اية اخرى وانك لتهدي الى صراط مستقيم ولا تنافي بينهما فان الذي اثبته واضافه
اليه الدعوة والبيان والذي نفى عنه هداية التوفيق وشرح الصدر وهو نور
يقذف في القلب فيحيا به القلب كما قال سبحانه وتعالى او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا المسيلة الثالثة احتج الاصحاب بهذه الاية في مسيلة الهدى
والضلال فقالوا قوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء يقتضي
ان تكون الهداية في الموضعين بمعنى واحد لانه لو كان المراد من الهداية في قوله
انك لا تهدي من احببت شيئا وفي قوله ولكن الله يهدي من يشاء شيئا اخر لاختل
النظم ثم اما ان يكون المراد من الهداية بيان الدلالة والدعوة الى الجنة او
تعريف طريق الجنة او خلق المعرفة على سبيل الالجا او خلق المعرفة في القلوب
لا على سبيل الالجا لا جايز ان يكون المراد سبيل بيان الادلة لانه عليه السلام
يهدي الكل بهذا المعنى فهي غير الهداية التي نفاها الله عن عمومها وكذا القول في الهداية
بمعنى الدعوة الى الجنة واما الهداية بمعنى تعريف طريق الجنة فهي ايضا غير

مرادة من الاية لانه تعالى علق هذه الهداية على المشية وتعريف طريق الجنة غير متعلق على
المشية لانه واجب على الله والواجب لا يكون معلقا على المشية فمن وجب عليه اداء عشرة
دنانير لا يقول اعطني عشرة دنانير ان شئت واما الهداية بمعنى الالجا والقسر فغير جايز
لان ذلك عندهم قبيح من الله تعالى وفي حق المكلف وفعل القبيح مستلزم للجهل او للحاجة
وهما محالان على الله ومستلزم المحال محال فذلك محال والمحال لا يجوز تعليقه على المشية
ولما بطلت الاقسام لم يبق الا ان المراد انه تعالى يخص البعض بخلق الهداية والمعرفة
ويمنع البعض منها ولا يسئل عما يفعل وبنى اوردت الكلام على هذا الوجه سقط كل ما
اورده القاضي عذرا عن ذلك اما قوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين فالمعنى انه المختص
بعلم الغيب فيعلم من يهتدي بعد ومن لا يهتدي ثم انه سبحانه وتعالى بعد ان ذكر شبههم
فاجاب عنها بالاجوبة الواضحة وبين ان وضوح الدلايل لا يكفي ما لم تنضم اليه هداية
الله حكى عنهم شبهة اخرى متعلقة باحوال الدنيا وهي قولهم ان نتبع الهدى معك
نتخطف من ارضنا قال المبرد الخطف الانتزاع بسرعة روي ان الحرث بن عامر بن نوفل بن
عبد مناف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقوله حق ولكنا
يمنعنا من ذلك تخطفنا من ارضنا اي يجتمعون على محاربتنا ويخرجوننا من ارضنا فا
جاب الله تعالى من وجوه الاول قوله تعالى اولم نمكن لهم حرما امنا اي اعطيناهم مسكنا
لا خوف عليهم فيه اما لان العرب كانوا يحترمون الحرم وما كانوا متعرضين اليه لسكانه
فانه يروى ان العرب خارج الحرم كانوا يشتغلون بالنهب والغارة وما كانوا يتعرضون
البتة لسكان الحرم او لقوله تعالى ومن دخله كان امنا اما قوله تعالى يجبى اليه ثمرات
كل شيء فهو تعالى كما بين كون ذلك الموضع خاليا عن المخاوف والافات بين كثرة النعم فيه
فمعنى يجبى يجمع من قولهم جبيت الماء في الحوض اذا جمعته قرا اهل المدينة تجبى بالتاء واهل
الكوفة وابو عمرو بالياء وذلك ان تانيث الثمرات تانيث جمع وليس بتانيث حقيقي
فيجوز تانيثه على اللفظ وتذكيره على المعنى ومعنى كل الكثرة كقوله تعالى واوتيت
من كل شيء وحاصل الجواب انه تعالى لما جعل الحرم امنا وكثر فيه الرزق حال كونهم
معرضين عن عبادة الله تعالى مقبلين على عبادة الاوثان فلو امنوا لكان نفا
هذه الحالة قال القاضي ولو ان الرسول قال لهم ان الذي ذكرتم من التخطف
لو كان حقا لم يكن عذرا لكم في ان لا تؤمنوا وقد ظهرت الحجة لانقطعوا ولو قال لهم
ان تخطفهم لكم بالقتل وغيره وقد امنتم كالشهادة لكم فهو نفع عايد عليكم لانقطعوا
ايضا ولو قال لهم ما قدر مضرة التخطف في جنب العقاب الدايم الذي اخوفكم منه
ان بقيتم على كفركم لانقطعوا لكنه تعالى احتج بما هو اقوى من حيث بين كونهم وانهم
لا يتخطفون من حيث عرفوا من حال البقعة بالعادة ان ذلك لا يجري وان امنوا
ومثل ذلك اذا امكن بيانه للخصم فهو اولى من سائر ما ذكرنا ولذلك قدمه الله
تعالى والاية دالة على صحة الحجاج التي يتوصل بها الى ازالة الشبهة للمبطلين
نفى هاهنا بحثان الاول قال صاحب الكشاف في انتصاب رزقا ان جعلته مصدرا

جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء
واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصيصها
بالاضافة كما ينتصب على النكرة المخصصة بالصفة الثاني احتج الاصحاب بقوله
رزقا من لدنا ان فعل العبد خلق لله تعالى وبيانه ان تلك الارزاق انما كانت
تصل اليهم لان الناس كانوا يحملونها اليهم فلو لم يكن فعل العبد خلقا لله تعالى
لما صحت تلك الاضافة فان قيل سبب تلك الاضافة انه تعالى هو الذي
القى تلك الدواعي في قلوب من ذهب بتلك الارزاق اليهم قلنا تلك
الدعاوي ان اقتضت الرجحان فقد بينا في غير موضع انه متى حصل الرجحان
فقد حصل الوجوب وحينئذ يحصل المقصود وان لم يحصل الرجحان انقطعت الاضافة
بالكلية واعلم انه تعالى انما بين ان تلك الارزاق ما وصلت اليهم الا من الله تعالى
لانهم جل انهم متى علموا ذلك صاروا بحيث لا يخافون احدا سوى الله تعالى ولا يرجون
احدا غير الله فيبقى نظرهم منقطعا عن الخلق متعلقا بالخالق وذلك يوجب كمال
الايمان والاعراض بالكلية عن غير الله والاقبال بالكلية الى طاعة الله
قوله تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من
بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها
رسولا يتلوا عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اعلم
ان هذا هو الجواب الثاني عن تلك الشبهة وذلك لانه تعالى لما بين لاهل مكة ما
خصوا به من النعم اتبعه بما انزله الله تعالى بالامم الماضية الذين كانوا في نعم الدنيا
فلما كذبوا الرسل ازال الله تعالى عنهم تلك النعم والمقصود ان الكفار لما قالوا انا
لا نؤمن خوفا من زوال نعمة الدنيا فالله تعالى بين لهم ان الاصرار على عدم قبول
الايمان هو الذي يزيل هذه النعم لا اقدام على الايمان قال صاحب الكشاف البطر
سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه وانتصب معيشتها اما بحذف الجار
وايصال الفعل اليه كقوله تعالى واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسها
كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها
كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت واما قوله فتلك مسا
كنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا ففي هذا الاستثناء وجوه احدها قال ابن عباس لم
يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة وثانيها يحتمل ان تسوم معاصي
المهلكين بقي اثره في دارهم وكل من سكنها من اعقابهم لم يبن فيها الا قليلا وكنا نحن
الوارثين لها بعد هلاك اهلها واذا لم يبق للشيء مالك معين قيل انه ميراث
الله تعالى لانه الباقي بعد فناء خلقه ثم انه سبحانه وتعالى لما ذكر انه اهلك
تلك القرى بسبب بطر اهلها فكان سائلا اورد السؤال من وجهين الاول لما
ذا ما اهلك الله الكفار قبل محمد مع انهم كانوا مستغرقين في الكفر والعناد الثاني
ولماذا ما اهلكهم بعد مبعث محمد عليه السلام مع تمادي القوم في الكفر بالله

والتكذيب بمحمد عليه الصلاة والسلام فاجاب عن السؤال الاول بقوله وما كان ربك مهلك
القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم اياتنا وحاصل الجواب انه تعالى قدم بيان
ان عدم البعثة يجري مجرى العذر للقوم وجب ان لا يجوز اهلاكهم الا بعد البعثة ثم
ذكر المفسرون وجهين احدهما وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا اي
يبعث في القرية التي هي امها واصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام
الحجة وقطع المعذرة والثاني وما كان ربك مهلك القرى التي في الارض حتى يبعث
في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد عليه الصلاة والسلام خاتم الانبياء ومعنى
يتلوا عليهم اياتنا انه يؤدي ويبلغ واجاب عن السؤال الثاني بقوله وما كنا مهلكي
القرى الا واهلها ظالمون انفسهم بالشرك واهل مكة ليسوا كذلك فان بعضهم
قد امن وبعضهم علم الله منهم انهم سيؤمنون وبعض اخرون علم الله انهم وان لم يؤمنوا
لكنه يخرج من نسلهم من يكون مؤمنا والله اعلم بالصواب قوله تعالى وما
اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون
افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم
القيامة من المحضرين اعلم ان هذا هو الجواب الثالث عن تلك الشبهة لان حاصل
شبههم انهم قالوا تركنا الدين لئلا تفوتنا الدنيا فبين تعالى ان ذلك خطأ عظيم
وثانيها انها خالصة لان ما عند الله خير وابقى اما انه خير فلوجهين احدهما المنا
فع هناك اعظم وثانيها انها خالصة عن الشوائب ومنافع الدنيا مشوبة بالمضار
بل المضار فيها اكثر واما انها ابقى فلانها دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا منقطعة
واذا قوبل المتناهي بغير المتناهي كان عدما فكيف وتضييق كل واحد منها بالقياس الى
منافع الدنيا كلها كالذرة بالقياس الى البحر فظهر من هذا ان منافع الدنيا لا نسبة لها
الى منافع الاخرة البتة فكان من الجهل العظيم ترك منافع الاخرة لا تشبهها منافع
الدنيا ولما نبه سبحانه وتعالى على ذلك قال افلا تعقلون يعني ان من لا يرجح منافع الاخرة
على منافع الدنيا فانه يكون خارجا عن حد العقل ورحم الله الشافعي حيث قال
من اوصى بثلثه لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله قال
لان اعقل الناس من اعطى القليل واخذ الكثير وما هم الا المشتغلون بطاعة الله
تعالى فكانه اخذه رحمه الله من هذه الاية ثم انه تعالى اكد هذا الترجيح من
وجه اخر وهو انا لو قدرنا ان نعم الدنيا كانت تنتهي الى الانقطاع والفناء وما كانت
تتصل بالعذاب الدائم فكان صريح العقل يقتضي ترجيح نعم الاخرة على نعم الدنيا
فكذا اذا اتصلت نعم الدنيا بعذاب الاخرة واي عقل يرتاب في ان نعم الاخرة راجحة
عليها وهذا هو المراد بقوله تعالى افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه فهو يكون
كمن اعطاه الله قدرا قليلا من متاع الدنيا ثم يكون يوم القيامة من المحضرين للعذاب
والمقصود انهم لما قالوا تركنا الدين للدنيا قال تعالى لهم لو لم يحصل عقيب دنياكم
مضرة العقاب لكان العقل يقتضي ترجيح متاع الاخرة على متاع الدنيا فكيف

وهذه الدنيا يحصل بعدها العقاب الدايم واورد هذا الكلام على لفظ الاستفهام ليكون
ابلغ في الاعتراف بالترجيح وتخصيص لفظ المحضرين بالذين احضروا للعذاب امر عرف
من القران قال تعالى لكنت من المحضرين وانهم لمحضرون وفي اللفظ اشعار به لان الاحضار
يشعر بالتكليف والالزام وذلك لا يليق بمجالس اللذة وانما يليق بمجالس الضرر
والمكاره **قوله تعالى** ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون قال
الذين حق عليهم القول ربنا هولا الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرانا اليك ما كانوا
ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا
يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانبا يومئذ فهم
لا يتساءلون اعلم انه سبحانه وتعالى ذكر في هذه الاية انه يسال الكفار يوم
القيامة عن ثلاثة اشيا احدها قوله ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم
تزعمون لما ثبت ان الكفار يوم القيامة قد عرفوا بطلان ما كانوا عليه وعرفوا صحة
التوحيد والنبوة فيقول لهم اين ما كنتم تعبدونه وتجعلونه شريكا في العبادة وتزعمون
انها تشفع اين هو ينصركم ويخلصكم من هذا الذي نزل بكم ثم بين الله تعالى
ما يقوله من حق عليه القول والمراد من القول هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين ومعنى حق عليه القول حق عليه مقتضى القول واختلفوا في ان الذي حق
عليه هذا القول من هو فقال بعضهم الروسا الدعاة الى الضلالة وقال بعضهم الشياطين
قوله ربنا هولا الذين اغوينا هولا مبتدا والذين اغوينا صفة والراجع الى الموصول
محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة لمصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا
مثل ما غوينا والمراد كما ان غينا باختيارنا فكذا غيهم باختيارهم يعني ان اغوانا
لهم ما الجاهم الى الغواية بل كانوا مختارين في الاقدام على تلك العقايد والاعمال
وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم
وقال تعالى لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وقوله
تعالى الا من اتبعك من الغاوين يدل على ان ذلك الاتباع لهم من قبل انفسهم لا من قبل
الجا الشيطان الى ذلك ثم قالوا تبرانا اليك منهم ومن عقايدهم واعمالهم ما كانوا
ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون اهواهم والحاصل انهم يتبراون منهم كما قال تعالى
اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وايضا فلا يمتنع في قوله تعالى اين شركاي
ان يريد به هولا الروسا والشياطين فانهم لما اطاعوهم فقد صيروهم لمكان
الطاعة بمنزلة الشريك لله تعالى واذا حمل الكلام على هذا الوجه كان جوابهم ان
يقولوا الهنا ما عبدونا انما عبدوا اهواهم الفاسدة وثانيها قوله تعالى وقيل
ادعوا شركاكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم والاقرب ان هذا على سبيل التقدير لانهم يعلمون
انه لا فايدة في دعايه لهم فالمراد انهم لو دعوهم لم توجد منهم اجابة في الفطرة وان
العذاب ثابت وكل ذلك على وجه التوبيخ وفي ذكره ردع وزجر في دار الدنيا فاما

قوله تعالى لو انهم كانوا يهتدون وكثير من المفسرين زعموا ان جواب لو محذوف وذكروا فيه
وجوها احدها قال الضحاك ومقاتل يعني التابع والمتبوع يرون العذاب ولو انهم كانوا يهتدون
في الدنيا لما ابصروه في الاخرة وثانيها لو انهم كانوا مهتدين في الدنيا لعلموا ان العذاب
حق وثالثها يودون حين يرون العذاب لو كانوا في الدنيا يهتدون ورابعها لو كانوا
يهتدون لوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب وخامسها قد ان لهم ان يهتدوا
لو انهم كانوا يهتدون اذا راوا العذاب ويوكد ذلك قوله لا يومنون به حتى يروا
العذاب الاليم وعندي ان الجواب غير محذوف وفي تقريره وجوه احدها ان الله تعالى
اذا خاطبهم بقوله ادعوا شركاكم فهاهنا يشتد الخوف عليهم ويلحقهم شي كشهيق الدواب
ويصيرون بحيث لا يبصرون شيا فقال تعالى وراوا العذاب لو كانوا يبصرون شيا
اما لما صاروا من شدة الخوف بحيث لا يبصرون شيا لا جرم ما راوا العذاب وثانيها انه
تعالى لما ذكر عن الشركا وهي الاصنام انهم لا يجيبون الى دعايهم قال في حقهم وراوا
العذاب لو انهم كانوا يهتدون اي هذه الاصنام كانوا يشاهدون العذاب اي لو كانوا
من الاحيا المهتدين ولكنها ليست كذلك لا جرم ما راوا العذاب فان قيل
وراوا العذاب ضمير لا يليق الا بالعقلا فكيف يصح عوده الى الاصنام قلنا
هذا كقوله فدعوهم فلم يستجيبوا وانما ورد ذلك على حسب اعتقاد القوم فكذا
ههنا وثالثها ان يكون المراد من الروية روية القلب اي والكفار علموا حقيقة
هذا العذاب في الدنيا لو كانوا يهتدون وهذه الوجوه عندي خير من الوجوه
المبنية على ان جواب لو محذوف فان ذلك يقتضي تفكيك نظم الاية الامر
الثالث من الامور التي يسال الله الكفار عنها قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا
اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانبا يومئذ فهم لا يتساءلون اي فصارت كالعمى عليهم
جميعا لا يهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا كما يتسال الناس في المشكلات
لانهم يتساوون جميعا في عمى الانبا عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت واذا كانت
الانبيا لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السوال ويفوضون
الامر فيه الى علم الله تعالى وذلك قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بهولا الضلال قال القاضي هذه
الاية تدل على بطلان قول الجبر لان فعلهم لو كان خلقا من الله تعالى ويجب وقوعه
بالقدرة والارادة لما عميت عليهم الانبا ولقالوا انما اتينا في تكذيب الرسل
من جهة خلقك فينا تكذيبهم والقدرة الموجبة لذلك وكانت حجتهم على الله
تعالى ظاهرة وكذلك القول فيما تقدم لان الشيطان كان له ان يقول انما غويت
بخلقك في الغواية وانما قبل من دعوته لمثل ذلك فتكون الحجة لهم في ذلك قوية
والعذر ظاهر الجواب ان القاضي لا يترك اية من الايات المشتملة على المدح والذم
والثواب والعقاب الا ويعيد استدلاله بها كما ان وجه الاستدلال في الكل
هذا الحرف فكذا وجه جوابنا حرف واحد وهو ان علم الله تعالى بعدم الايمان

مع وجود الايمان متنافيان لذاتيهما فمع العلم بعدم الايمان اذا امرنا بادخال الايمان
الوجود فقد امرنا بالجمع بين الضدين والذي اعتمد عليه القاضي في دفع هذا الحرف
في كتبه الكلامية هو انه خطا قول من يقول انه يمكن وخطا قول من يقول انه لا يمكن
بل الواجب السكوت فلو اورد الكافر هذا السؤال على ربه لما كان لربه عنه جواب
الا السكوت فيكون حجة الكافر قوية وعذره ظاهر فثبت ان الاشكال مشترك

قوله تعالى فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وربك
يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم
واليه ترجعون اعلم انه تعالى لما بين حال المقدمين من الكفار وما يجري عليهم
من التوبيخ اتبعه بذكر من يتوب منهم في الدنيا ترغيبا في التوبة وزجرا عن الثبات
على الكفر فقال فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وفي عسى
وجوه احدها انه من الكرام تحقيق والله اكرم الاكرمين وثانيها انه يراد ترجي التائب
وتطمعه بما به قال فليطمع الفلاح وثالثها عسى ان يكونوا كذلك اذا داموا على
التوبة والايمان لجواز ان لا يدوموا واعلم ان القوم كانوا يذكرون شبهة اخرى
ويقولون لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعنون الوليد بن
المغيرة وابا مسعود الثقفي فاجاب الله تعالى عنه بقوله وربك يخلق ما يشاء
ويختار والمراد انه المالك المطلق وهو منزه عن النفع والضر فله ان يخص من
شاء بما شاء لا اعتراض عليه البتة وعلى طريقة المعتزلة لما ثبت انه حكيم مطلق
علم ان كل ما يفعله كان حكمة وصوابا فليس لاحد ان يعترض عليه وقوله ما كان
لهم الخيرة فالخيرة اسم من الاختيار يقام مقام المصدر والخيرة اسم للخيار يقال محمد
خيرة الله في خلقه اذا عرفت هذا فنقول في الاية وجهان الاول وهو الاحسن
ان يكون تمام الوقف على قوله ويختار ويكون المعنى وربك يخلق ما يشاء وربك يختار
ليس لهم الخيرة اذ ليس لهم ان يختاروا على الله ان يفعل والثاني ان يكون ما بمعنى الذي
فيكون الوقف عند قولك وربك يخلق ما يشاء ثم يقول ويختار ما كان لهم الخيرة اي
ويختار الذي لهم فيه الخيرة قال ابو القاسم الانصاري وهذا متعلق المعتزلة
في ايجاب الصلاح والاصلح عليه واي صلاح في تكليف من علم الله انه لا يؤمن ولو لم
يكلفه لاستحق الجنة والنعيم من فضل الله تعالى فان قيل لما كلف مستحق استوجب
على الله ما هو الافضل لان المستحق افضل من المتفضل به قلنا اذا قطعنا انه
لا يحصل ذلك الافضل فتوريطه في العقاب الابدي لا يكون رعاية للمصلحة
ثم قولهم المستحق خير من المتفضل به جهل لان ذلك التفاوت انما يحصل في حق
من المتفضل به يستنكف من تفضله اما الذي بما حصل الذات والصفات
الا بخلقه وبفضله واحسانه فكيف يستنكف عن تفضله ثم قال سبحان الله وتعالى
عما يشركون والمقصود ان يعلم ان الخلق والاختيار والاعزاز والاذلال مفوض

اليه وليس لاحد فيه شركة ومنازعة ثم اكد ذلك بانه يعلم ما تكن صدورهم من عداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير غيره في النبوة ولما
بين علمه بما هم عليه من الغل والحسد والسفاهة قال وهو الله لا اله الا هو وفيه تنبيه
على كونه قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات منزه عن النقائص والافات
يجازي المحسنين على طاعتهم ويعاقب العصاة على عصيانهم وفيه نهاية الزجر
والردع للعصاة ونهاية تقوية القلب للمطيعين ويحتمل ايضا انه لما بين فساد طريقة
المشركين من قوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائي ختم الكلام في ذلك باظهار هذا
التوحيد وبيان ان الحمد والثناء لا يليق الا به اما قوله له الحمد في الاولى والاخرة فهو
ظاهر على قولنا لان الثواب غير واجب عليه بل هو سبحانه يعطيه فضلا واحسانا
فله الحمد في الاولى والاخرة ويؤكد ذلك قول اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين اما
المعتزلة فعندهم الثواب مستحق فلا يستحق الحمد بفعله من اهل الجنة ولا اهل
النار فلا نعم عليهم حتى يستحق الحمد منهم وقال القاضي انه تعالى يستحق الحمد والشكر
من اهل النار وايضا فيما فعله بهم من الدنيا من التمكين واليسر والالطاف وساير النعم
لانهم باتيانهم بما يخرج ما انعم الله عليهم من ان يوجب الشكر وهذا فيه نظر لان
اهل الاخرة مضطرون الى معرفة الحق فاذا علموا بالضرورة ان التوبة من التائب
يجب على الله تعالى قبولها وعلموا بالضرورة ان الاشتغال بالشكر الواجب عليهم يوجب
على الله تعالى الثواب وهم قادرون على ذلك وعالمون بان ذلك مما يخلصهم عن العذاب
ويدخلهم في استحقاق الثواب افترى ان الانسان مع العلم بذلك والقدرة عليه
يترك هذه التوبة كلا بل لا بد وان يتوبوا وان يشتغلوا بالشكر ومتى فعلوا ذلك
فقد بطل العقاب واما قوله وله الحكم فهو اما في الدنيا او في الاخرة فاما في الدنيا
فحكم كل واحد سواه انما نفذ بحكمه فلولا حكمه لما نفذ على العبد حكم سيده ولا على
الزوجة حكم زوجها ولا على الابن حكم ابيه ولا على الرعية حكم سلطانهم ولا على الامة
حكم الرسول فهو الحاكم في الحقيقة واما في الاخرة فلا شك انه الحاكم لان الذي
يتولى الحكم بين العباد فينتصف للمظلومين من الظالمين واما قوله واليه ترجعون
فالمعنى والى محل حكمه وقضائه ترجعون فان كلمة الى لانتهاء الغاية وهو تعالى
منزه عن المكان والجهة **قوله تعالى** قل ارايتم ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون قل
ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم
بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون اعلم انه تعالى لما بين من قبل بقوله
وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون وصل
عقيب ذلك بعض ما يجب ان يحمد عليه فيما لا يقدر عليه سواه فقال قل ارايتم

ان حفر الله عليكم الليل سرمدا فيه عجالان الوجه في كون الليل والنهار رحمة ان يتعاقبا
على الزمان لان المرء في الدنيا وفي حال التكليف قد وقع الجان ببعث لتحصيل
ما يحتاج اليه ولا يتم له ذلك لولا الراحة والسكون بالليل فلا بد منها واما الحال هذه
فاما في الجنة فلا تعب ولا نصب ولا حاجة بهم الى النوم فلذلك وبدوام لهم الضياء والله
فبين تعالى ان القادر على ذلك ليس الا الله سبحانه وتعالى وانما قال افلا تسمعون
افلا تبصرون لان الغرض من ذلك الانتفاع بما يتسمعون وما يبصرون من جهة
التدبر فلهذا الحرى بمن تقرر انتزلوا منزلة من لا يسمع ولا يبصر قال الكلبي وقوله تعالى
افلا تسمعون سفاهة افلا تطيعون من يفعل ذلك وقوله افلا تبصرون ذلك ما انتم
عليه من الخطأ والضلال قال صاحب الكشاف السرمد الدائم المتصل من السرد
ومنه المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد فان قيل
هلا قيل بنهار تبصرون فيه كما قيل لليل تسكنون قلنا ذكر الضياء والمراد
الشمس لان المنافع التي تتعلق بها كثيرة ليس التفرد في المعاش لواحد والظلام
ليس كذلك لانه انما قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه
البصر من ذكر سار وصفة توابيده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غير المبصر
من منافع الظلام ما لا تنصوا انت من السكون ونحوه ومن رحمة زاوج بين الليل
والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله
في الاخر وهو النهار ولارادة الشكر على النعمتين معا واعلم انه وان كان السكون
في النهار ممكنا والابتغاء من فضل الله بالليل ممكنا الا ان الاليق بكل واحد
منهما ما ذكره الله تعالى فلهذا خصه به **قوله تعالى** ويوم ينادي يهم فيقول
اين شركائي الذين كنتم تزعمون وتزعمون كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم
فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون **اعلم** انه سبحانه وتعالى
لما هجن طريقة المشركين اولا ثم ذكر التوحيد والدلالة ثانيا على تهجين طريقتهم
مرة اخرى وشرح حالهم في الاخرة فقال ويوم ينادي يهم اي في القيامة فيقول
اين شركائي الذين كنتم تزعمون والمعنى اين الذين ادعيتم الهة غيري لتخلصكم وابن
قولكم انها تقربنا الى الله زلفى وقد علموا ان لا اله الا الله فتكون ذلك زايدا
على قولهم اذا حوظهر هذا القول اما قوله وتزعمون كل امة شهيدا فالمراد
بينا واحدا ليشهد عليهم ثم قال بعضهم هم الانبياء يشهدون بانهم بلغوا القوم
الدلايل وبالغوا في ايضاحها كل غاية ليعلموا ان التقصير منهم فيكون ذلك زايدا
في غمهم وقال اخرون بل هم الشهداء الذين يشهدون على الناس يوم القيامة
في جملتهم الانبياء وهو الاقرب لانه تعالى يجمع كل امة وكل جماعة بان ينزع منهم الشهيد
فتزدحل فيه الاحوال التي لم يوجد فيها البتة في ازمنة الفترات والازمنة البتة
حصلت بعد محمد صلى الله عليه وسلم فعلموا حينئذ ان الحق لله ورسله وضل عنهم
وغاب عنهم غيبة البتة الضايع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب **قوله**

393

تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه
لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ
فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك
ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما اوتيته على علم عندي
اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا
يسئل عن ذنوبهم المجرمون **اعلم** ان نقل القرائن يدل على ان قارون كان من قوم موسى
وذلك وظاهر ذلك يدل على انه كان قد امن به ولا يبعد ايضا حمله على القرابة
قال الكلبي انه كان ابن عم موسى عليه السلام لانه كان قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي
وقال محمد بن اسحاق كان عم موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث وقارون بن يصهر بن
قاهث وعن ابن عباس انه كان ابن خالته ثم قيل كان يسمى المنور لحسن صورته وكان
اقرا بني اسرايل للتوراة الا انه نافق كما نافق السامري لما قوله تعالى فبغى عليهم
فغيه وجوه احدها انه بغى بسبب ماله وبغيه انه استخف بالفقراء ولم يرع لهم حق
الايمان ولا اعظمهم مع كثرة اموله والثاني انه من الظلم قيل بلكله فترعون على بني
اسرايل فظلمهم الثالث قال الفراء بغى عليهم اي طلب التفضل عليهم واما يكون ذلك
بيده الرابع قال الضحاك طغا عليهم واستطال عليهم فلم يوافقهم في امر الخامس قال
ابن عباس تجبر وتكبر عليهم وسخط عليهم السادس قال سفيان بن عيينة عليهم
الله ترا وعليهم في الثياب شرا وهذا يعود الى التكبر السابع قال الكلبي بغيه عليهم
انه حسد هارون على الحبورة ويروى ان موسى عليه السلام لما قطع البحر اغرق
الله فرعون حصل الحبورة لهارون فحصلت له النبوة والحبورة وكان له القربان
والمذبح وكان لموسى الرسالة فوجد قارون من ذلك في نفسه فقال يا موسى الله
الرسالة ولهارون الحبورة ولست بي شيء لا اصبر لك على هذا فقال موسى والله ما صنعت ذلك لهارون بل جعله الله تعالى له فقال والله لا اصدقك حتى تاتيني باية اعرف بها ان جعل ذلك لهارون من الله فقام موسى وقام بنو اسرايل
ان يجيء كل واحد منهم بعصاه فجاوا بها والقاها موسى عليه السلام في قبة له وكان
ذلك باذن الله تعالى ودعا موسى ربه ان يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم
فاصبحت عصا هارون تهتز لها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون
الا ترى ما صنع الله لهارون فقال والله ما هذا بامر عجب مما تصنع من السحر فاعتزل
قارون ومعه ناس كثير وولي هارون الحبورة والمذبح والقربان فكانت بنو اسرايل
ياتون بهدايا هم الى هارون فيضعها الى المذبح وتنزل نار من السماء فتاكلها فاعتزل
قارون باتباعه وكان كثير المال والتبع من بني اسرايل فكان يا بني موسى وهارون
بحاسده وروى ابو امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان من المتبعين
المختارة الذين سمعوا كلام الله تعالى اما قوله وآتيناه من الكنوز فما ان مفاتحه
لتنوء بالعصبة اولي القوة ففيه احتمالان الاول قال الكلبي يقيم العشرة الاقوياء

الدرام

ان الله لا يحب الحرام بكيف اضاف الله تعالى قارون الى نفسه بقوله وآتيناه وأجاب بانه لا حجة في كونه كان حراما وبجوز ان من تقدمه من الملوك جمعوا وكثروا فظفر قارون بتلك وكان هذا الظفر بطريق التملك او وصل اليه بالارث من جهات تقرب بالتكسب من جهة المضاربات وغيرها وكان الكل مختملا البحث الثاني في المفاتح جمع مفتح بكسر الميم وفي مرة يفتح به وقيل هي الخزائن واحدها مفتح بفتح الميم وقيل انه الحمل اذا اثقله حتى احالها والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها فالعشرة عصبة بدليل قوله تعالى في اخوة يوسف وهن عصبة وكانوا عشرة لان يوسف واخاه لم يكونوا معهم اذ عرفت هذا فلنعد الى الالفاظ فنقول قالوا ان احدها ان المراد بالمفاتح وهي التي يفتح بها الباب قالوا وكانت مفاتيحه من جلود الابل وكل مفتاح مثل الاصبع وكخر انه مفتاح وكان اذا ركب قارون حملت المفاتيح على ستين بغلا ومن الناس من طعن في هذا القول من وجهين الاول ان مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا القدر البالغ ولو انا قدرنا مملوءة من الذهب والجواهر لكان لها اعداد قليلة من المفاتح فما يحاجة الجم الكثير هذه المفاتح الثاني ان لكنوز بها لا سوا للذخرة في الارض فلا يجوز ان تكون لها مناسبة بالجواب عن الاول لعل ان كان من جنس العروض لا من جنس النقد جاز ان يبلغ في الكثرة الى هذا الحد وايضا فهذا الذهب يقال ان تلك المفاتيح هي كانت كبيرة وكان كل واحد منها مصنوعا لشيء واحد كانت تثقل على العصبة ضبطها وعن الثاني بسبب كثرتها وعلى هذا الوجه تزول الاستبعاد وعن الثالث بان ظاهر الكنز وان كان في جهة العرف ما قالوا فقد يقع على المال المجموع وفي المواضع التي حملناها على الاعلاف القول الثاني ومن اختيار ابن عباس والحسن ان تحمل المفاتيح على نفس المال وهذا البعد عن الشبهة البعد قال ابن عباس كانت خزائنه اربعة آلاف فيحمل كل واحد عشرة آلاف القول الثالث ومن اختيار ابي مسلم ان المراد من المفاتح العلم والاحاطة كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب والمراد انيناه من الكنوز ما ان حفظها والاطلاع عليها لينقل على العصبة اولي القوة والصرامة الى هذه الكنوز لكثرتها واختلافها فاضافها لتعب حفظها والقيام على حفظها ان يحفظوها ثم بين تعالى انه كان في قومه من وعظه بامور احدها قوله تعالى لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين والمراد ان يلحقه من البطر والمستلذ بالدنيا ما يلهيه عن امر الاخرة اصلا فان العاقل يعلم انه لا بد من الدنيا الا بمن رضي بها واطمان اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح بها وما احسن ما قال المتنبي

"اشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا"

وقال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وقال ابن عباس كان فرحه ذلك شركا لانه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى وثانيها قوله وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة والظاهر انه كان مقرا بالاخرة والمراد ان يصرف المال الذي يأتيه به الى الجنة ويتخذ طريقا لنوافع وثالثها قوله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا

وفيه وجوه احدها لعله كان مستغرقا لهم في طلب الدنيا فلا جرم ذكر ما كان يفرغ للتنعم واللذة فنهاه هذا الواعظ عن ذلك وثانيها لما امره الواعظ بصرف المال الى الاخرة بين له بعد الكلام انه لا باس بالتمتع بالوجوه المباحة وثالثها المراد منه الانفاق في طاعة الله فان ذلك هو نصيب المؤمن من الدنيا دون الذي يأكل ويشرب قال عليه الصلاة والسلام فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار ورابعها قوله تعالى وأحسن كما احسن الله اليك لما امره بالاحسان بالمال امره بالاحسان مطلقا ويدخل فيه الامانة بالمال والديانة وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وحسن الذكر وانما قال كما احسن الله اليك تنبيها على قوله لئن شكرتم لازيدنكم وخامسها قوله ولا تبغ الفساد في الارض والمراد ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان هذا القايل يوشع موسى عليه الصلاة والسلام وقال اخرون بل يوشع قومه وكيف كان فقد رجع في هذا الوعظ ما لو قبل لكان لم يكن عليه مزيد ولكنه ابى ان يقبل بل زاد عليه بكفر النعمة فقال انما اوتيته على علم عندي وفيه وجوه احدها انا لقناده والكليم كان قارون ابن عم موسى وابن خالة هارون بفضل علمه استغنى في ذلك وثانيها قال سعيد بن المسيب والضحاك كان يوسف انزل عليه علم الكيمياء من السما فعلم قارون ثلث العلم ويوشع ثلثه وكالب ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما اليه علمه وكان يأخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس فيجعله ذهبا وثالثها انما آتاه علمه بوجوه المكاسب والتجارات ورابعها ان يكون قوله انما اوتيته على علم اي الله اعطاني ذلك لسبق كوني عالما بي ورباخواني فلو لم يكن ذلك تفضلا لما فعل وقوله عندي اي عندي ان الامر كذلك اي من مذهبي واعتقادي ذلك ثم اجاب الله عن كلامه بقوله اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا وفيه وجهان احدهما ان يكون هذا بيانا لعلمه بان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واعنى لانه قرأه في التواريخ واخبر به موسى وسمعه من حفاظ التوراة كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يفتخر بكثرة ماله وقوته الثاني يجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال انما اوتيته على علم عندي فتعلق بالعلم وتعظم به قيل اعنده علم مثل ذلك العلم الذي ادعاه ولاي نفسه به شتزجته لعل ثمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يفتخر به نفسه تضارع الهالكين اما قوله واكثر جمعا اي للمال او اكثر جمعا من الجماعة وعددا وحاصل الجواب ان اعتراره بماله وقوته وجموعه من الخطا العظيم وانه تعالى اذا اراد اهلاكه لم ينفعه ذلك ولما بزيد عليه اضعافا اما قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون فالمراد انه تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة به الى ان يسالهم عن ذنوبهم ذنوبهم هي وكميتها لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة الى السوال فان قيل كيف يجمع بينه وبين قوله فوربك لنسالنهم اجمعين قلنا يجوز ذلك على وقتين على ما قررناه وذكر ابو مسلم وجها اخر فقال السوال قد يكون للتقرير والتبكيت

وقد يكون للاستعقاب واليق الوجوه بهذه الاية الاستعقاب لقوله ثم لا يؤذن للذين
كفروا ولا هم يستعتبون هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قوله تعالى
فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي
قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن
وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من
فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين اما قوله تعالى فخرج على
قومه في زينته فيدل على انه خرج باظهر زينته واكملها وليس في القران الا هذا
القدر الا ان الناس ذكروا وجوها مختلفة في كيفية تلك الزينة قال مقاتل
خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف فارس على خيول
وعليها الثياب الارجوانية ومعه ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلل والثياب
الحمر والبغال الشهب وقال بعضهم بل خرج في تسعين الفا هكذا وقال اخرون
بل على ثلاثمائة والاولى ترك هذه التقديرات لانها متعارضة ثم ان الناس لما
راوه على ذلك قال من كان منهم يرغب في الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
من هذه الامور والاموال والراغبون يحتمل ان يكونوا من الكفار وان يكونوا من
المسلمين الذين يحبون الدنيا واما العلماء واهل الدين فقالوا للذين تمنوا مكانه
ويلكم ثواب الله خير من هذه النعم العاجلة على الضد في هذه الصفات الثلاث
قال صاحب الكشاف ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الردع والزجر
والحث على ترك ما يضر اما قوله ولا يلقاها الا الصابرون فقال المفسرون لا يوافق
الها والضمير في يلقاها الى ما يعود فيه وجهان احدهما الى ما دل عليه قوله امن
وعمل صالحا يعني هذه الاعمال لا يؤتوها الا الصابرون والثاني قال الزجاج يعني
ولا يلقى هذه الكلمة وهي قولهم ثواب الله خير الا الصابرون على اداء الطاعات
والاحتراز عن المحرمات وعلى الرضا بقضاء الله في كل ما قسم من المنافع والمضار
اما قوله فخسفنا به وبداره الارض ففيه وجهان احدهما انه لما اشر وبطر وعتا
خسف الله به وبداره الارض جزاء على عتوه وبطره والفاء تدل على ذلك لان الفاء
يشعر بالعلية وثانيهما قيل ان قارون كان يؤذي نبي الله موسى عليه السلام
كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه على كل الف
دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم لحسبه واستكثره وشحت به نفسه
فقال لبني اسرائيل ان موسى يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت سيدنا وكبيرنا
فمر بما شئت قال تتوسل الى فلانة البغي حتى تنسبه الى نفسها فترفضه بنو اسرائيل
فجعل لها طستا من ذهب مملوة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل
من سرق قطعناه ومن زنا وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون
وان كنت انت قال وان كنت انا قال وان بني اسرائيل يقولون انك فجرت بفلانة
فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل التوراة ان تصدق فتداركها

الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي
فقال يا رؤوف ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه ان مر الارض بما شئت
فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون
فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين فقال
يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه
يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله وبالرحم فما التفت اليهم لشدة الغضب
ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى الله تعالى الى موسى ما اقظك استغاثوا بك
مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو دعوني مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت
بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا
الله تعالى حتى خسف بداره واحواله ثم ان قارون يخسف به كل يوم مائة قامة قال
القاضي اذا هلك بالخسف فسواء نزل على ظاهر الارض الى الارض السابعة او دون
ذلك وان كان لا يمتنع ما روي على وجه المبالغة في الزجر واما قولهم انه تعالى لو قال
لو استغاث بي لاغثته فان صح فان حمل على استغاثته مقرونة بالتوبة فاما وهو ثابت
على ما هو عليه مع انه تعالى هو الذي حكم بذلك الخسف لان موسى ما فعله الا عن امره فيعبده
وقولهم انه يتجلجل في الارض فيعبد لانه لا بد له من نهاية وكذا القول فيما ذكر من عدد القامات
والذي عندي في امثال هذه الحكاية وانها قليلة الفائدة لانها من باب اخبار الاحاد
ولا تفيد اليقين وليست المسئلة مسئلة علمية حتى يكتفى فيها بالظن ثم انها في اكثر الامور
متعارضة مضطربة فالاولى طرحها والاكتفاء بما دل عليه نص القران وتفويض ما يرد
التفاصيل الى عالم الغيب اما قوله وما كان من المنتصرين فالمراد من الممتنعين من عذاب
الله تعالى نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع قوله تعالى واصبح
الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون تلك الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
اعلم ان الذين شاهدوا قارون في زينته لما شاهدوا ما نزل به من الخسف صار ذلك
زاجرا لهم عن حب الدنيا ومخالفة موسى وداعيا الى الرضا بقضاء الله وقسمته والى اظهار
الطاعة والانقياد لانبياء الله ورسله اما قوله ويكان الله فاعلم ان كلمة وي كلمة
مفصولة عن كان وهي كلمة مستعملة عند التنبيه للخطا واظهار الندم فلما قالوا يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون ثم شاهدوا الخسف تنبهوا لخاتمه فقالوا وي ثم قالوا كانه يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامة عليه ويضيق على من يشاء
لا لهوان من يضيق عليه بل لحكمه وقضائه ابتلاء وفتنة قال سيبويه سالت الخليل عن هذا
الحرف فقال ان وي منفصلة من كان وان القوم تنبهوا وقالوا متندمين على ما سلف
منهم وي وذكر الفراء وجهين احدهما ان المعنى ويلك بحذف اللام وانما جاز هذا الحذف
لكثرتها في الكلام وجعل ان مفتوحة بفعل مضمر كانه قال ويلك اعلم ان الله وهذا قول

فطرب حكاية عن يونس الثاني وي منفصلة من كان وهو للتعجب يقول الرجل لغيره وي
اما ترى ما بين يديك فقال الله وي ثم استأنف كان الله يبسط الرزق حتى يشاء وانما
ذكر هذا تعجبا لخلقه قال الواحدي وهذا وجه مستقيم غير ان العرب لم تكتبها
منفصلة ولو كان ما قالوا لكتبوها منفصلة واجاب الاولون بان خط المصحف لا يقاس
عليه ثم قالوا لولا ان من الله علينا لخسف بنا وبكانه لا يفلح الكافرون وهذا تاكيد لما قبله
اما قوله تلك الدار الاخرة فتعظيم لها وتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك
وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلب اليهما
وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك
نعل صاحبه فيدخل تحتها قال صاحب الكشاف ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون لقوله
ان فرعون علا في الارض والفساد لقارون لقوله ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من
لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الاخرة ولا يتدبر لقوله والعاقبة
للمتقين كما تدبره علي بن ابي طالب عليه السلام **قوله تعالى** من جاء
بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا
يعملون ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى
ومن هو في ضلال مبين وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك
فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك
وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شيء
هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون اعلم انه تعالى لما بين ان الدار الاخرة
ليست لمن يريد علوا في الارض او فسادا بل هي للمتقين بين بعد ذلك ما يحصل
لهم فقال من جاء بالحسنة فله خير منها وفيه وجوه احدها من جاء بالحسنة حصل له من
تلك الكلمة خير وثانيها حصل له شيء هو افضل من تلك الحسنة ومعناه انهم يزدادون
على ثوابهم وقد مر تفسيره في اخر النمل اما قوله ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا
السيئات الا ما كانوا يعملون فظاهره ان لا يزدادوا على ما يستحقونه واذا صح
ذلك في السيئات دل على ان المراد في الحسنات بما هو خير منها ما ذكرناه من مزيد
الفضل على الثواب قال صاحب الكشاف تقدير الاية ومن جاء بالسيئة فلا يجزون
الا ما كانوا يعملون لكنه اعيد ذلك لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل
تهجين لحالهم وزيادة تنغيص السيئة في قلوب السامعين وهذا من فضله العظيم
انه لا يجزى بالسيئة الا مثلها ويجزى الحسنة بعشر امثالها وها هنا سؤالان السؤال
الاول قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها كرر ذلك الاحسان
واكتفى في ذكر الاساءة بمرة واحدة وفي هذه الاية كرر ذكر الاساءة واكتفى في ذكر
الاحسان بمرة واحدة فما السبب الجواب لان هذا المقام مقام ترغيب في الدار
الاخرة فكانت المبالغة في الزجر عن المعصية لائقة بهذا الباب لان المبالغة في الزجر
عن المعصية مبالغة في الدعوة الى الاخرة واما الاية الاخرى فهي في شرح حالهم

فكانت المبالغة في ذكر محاسنهم اولا السؤال الثاني كيف قال لا تجازى السيئة الا
بمثلها مع ان المتكلم بكلمة الكفر اذا مات في الحال عذب ابد الاباد الجواب انه
كان على عزم انه لو عاش ابدا لقال ذلك فقوبل بمقتضى عزمه قال الجبائي وهذا يدل
على بطلان مذهب من يجوز على الله تعالى ان يعذب الاطفال عذابا دائما بغير جرم قلنا
الاية لا تدل على انه فعل فاما انه لا يجوز ان يفعله فليس في الاية ما يدل عليه ثم انه
سبحانه وتعالى لما شرح لرسوله امر القيامة واستقصى في ذلك شرح له ما يتصل
باحواله فقال ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد قال ابو علي الذي فرض
عليك احكامه وفرائضه لرادك بعد الموت الى معاد فذكر المعاد لتعظيمه كانه قال
الى معاد واي معاد ليس لغيرك من البشر مثله وقيل المراد به مكة ووجهه ان يراد رده
اليها يوم الفتح ووجهه ان تنكيره انه كان في ذلك اليوم معاد له شان عظيم لاستيلاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها واظهار عز الاسلام واذلال
حزب الكفر والسورة مكية فكان الله تعالى وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها
انه يهاجر منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقال مقاتل انه عليه السلام خرج من
الغار وسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع الى الطريق ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة
وعرف الطريق الى مكة واشتاق اليها وذكر مولده ومولد ابيه فنزل له جبريل وقال
له تشتاق الى بلدك ومولدك فقال عليه السلام نعم فقال جبريل ان الله تعالى يقول
ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد يعني الى مكة ظاهرا عليهم وهذا اقرب
لان ظاهر المعاد انه كان فيه وفارقه وحصل العود وذلك لا يليق الا بمكة وان كان
سائر الوجوه محتملا لكن ذلك اقرب قال اهل التحقيق وهذا احد ما يدل على نبوته لانه
اخبر عن الغيب ووقع كما اخبر فيكون معجزا ثم قال قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو
في ضلال مبين ووجه تعلقه بما قبله ان الله تعالى لما وعد رسوله الرد الى معاد قال
قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في المعاد
والاعزاز بالاعادة الى مكة ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العذاب
في معادهم ثم قال سبحانه لرسوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة
من ربك ففي كلمة الا وجهان احدهما انها للاستثناء ثم قال صاحب الكشاف هذا كلام
مجمل على المعنى كانه قيل وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويمكن ايضا اجراؤه
على ظاهره اي وما كنت ترجوا الا ان يرحمك الله رحمة فينعم عليه بذلك ترجوا الا على
هذا الوجه والثاني ان الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك
ونظيره قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك خصصك
بها ثم انه كلفه بامور احدها انه كلفه بان لا يكون مظاهرا للكفار فقال فلا
تكونن ظهيرا للكافرين وثانيها ان قال ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت
اليك الميل الى الشر قال الضحاك وذلك حين دعوه الى دين ابائه ليزوجوه ويقاسموه
شطر اموالهم اي لا تلتفت الى هؤلاء ولا تركن الى اقوالهم فيصدوك عن اتباع ايات الله

وثالثها قوله وادع الى ربك اى الى دين ربك واراد التشديد في دعاء الكفار والمشركين فلذلك قال ولا تكونن من المشركين لان من رضي بطريقتهم او مال اليهم كان منهم ورابعها قوله ولا تنع مع الله الها اخر وهذا وان كان واجبا يحيل العقل لانه تعالى خاطبه بهذا خصوصا لاجل التعظيم فان قيل الرسول كان معلوما منه انه لا يفعل شيئا من ذلك البتة فما فايدة هذا التهديد قلنا المراد الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون للنبي لانه تعتمد غيره ولا تتخذ غيره وكيلا في شورك فان من وثق بتدبير الله فكانه اخر تكل طريقه في التوحيد ثم بين انه لا اله الا هو لقوله رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فلا يجوز اتخاذ الهسواه ثم قال كل شيء هالك الا وجهه وفيه مسايل المسئلة الاولى اختلفوا في قوله كل شيء هالك فمن الناس من فسر الهلاك بالعدم والمعنى ان الله تعالى يعدم كل شيء سواه وتمسك من فسر الهلاك باخراجه عن كونه منتفعا به اما بالاماتة او بتفريق الاجزاء وان كانت اجزاءه باقية قالوا يقال هلك الثوب وهلك المتاع ولا يريدون به فنا اجزايه بل خروجه عن كونه منتفعا به وتمسك من قال بجواز كونه هالكا كونه قابلا للهلاك في ذاته قالوا كل ما عداه ممكن لذاته وكل ما كان ممكن الوجود لكن قابلا للعدم فكان قابلا للهلاك فاطلق عليه اسم الهالك نظرا الى هذا الوجه واعلم ان هذه المتكلمين لما اردوا اقامة الدلالة على ان كل شيء سوى الله يقبل العدم والهلاك قالوا تثبت ان العالم محدث وكل ما كان محدثا فانه حقيقته قابلة للعدم والوجود وكل ما كان كذلك وجب ان يبقى على هذه الحالة ادا لامكان من لوازم الماهية ولازم الماهية لا يزول قط الا انا ما نظرنا في هذه الدلالة ما وجدناها وانبه هذا الغرض لانهم انما اقاموا الدلالة على حدوث الاجسام والاعراض فلو نظروا على اقامة الدلالة على ان ما سوى الله اما مختص او قايم بالمتحيز لتم غرضهم الا ان الخصم يثبت موجودات لا متحيزة ولا قايمة بالمتحيز قالدليل الذي يبين حدوث المتحيز والقايم بالمتحيز لا يبين حدوث كل ما سوى الله تعالى الا بعد قيام الدلالة على نفي ذلك القسم ولهم في نفي هذا القسم ثلاث طرق احدها قولهم لا دليل عليه

وهذه طريقة ركيكة بينا سقوطها في الكتب الكلامية والثاني قولهم لو وجد موجود هكذا لكان مشاركا لله تعالى في نفي المكان والزمان والامكان ولو كان كذلك لصار مثلا لله تعالى وهو ضعيف لاحتمال ان يقال انهما وان اشتركا في هذا القسم الا انه يتميز كل واحد منهما عن الاخر بماهيته وحقيقته واذا هو كان كذلك ظهر ان دليلهم العقلي لا يفي باثبات ان كل شيء هالك الا وجهه والذي يعتمد عليه في هذا الباب ان نقول ثبت ان صانع العالم واجب الوجود لذاته فجاز ان يوجد موجود اخر واجب الوجود والا شتراك في الوجوب لا يقتضي اشتراك كل واحد منهما عن الاخر بخصوصيته وما به المشاركة غير ما به المباينة فيكون كل واحد منهما مركبا مما به المشاركة وما به المباينة وكل مركب ممكن فمفتقر الى خيره ثم الجزءان ان كانا واجبين كما تا شتركا بين في الوجوب فتباينا فانحاز فيلزم تركيب كل واحد منهما ايضا

ه

ويلزم التسلسل وهو محال وان لم يكونا واجبين فالمركب منهما المفتقر اليهما اولى ان لا يكون واجبا فثبت ان واجب الوجود واحد وان ما عداه من ممكن وكل ممكن فلا بد له من مرجح وانتهاء الى المرجح اما حال عدمه او حال وجوده فان كان الاول ثبت انه محدث وان كان الثاني فاما ان ينتهي الى المرجح اما حال حدوثه او حال بقايه والثاني باطل لانه يلزم ايجاد الموجود وهو محال فثبت ان الافتقار لا يحصل الا حال الحدوث فثبت ان كل ما سوى الله محدث سواء كان متحيزا او قايما بالمتحيز او لا متحيزا ولا قايما بالمتحيز فان نفضت هذه الدلالة بذات الله وبصفاته فاعلم ان هناك فرقا قويا واذا ثبت حدوث كل ما سواه وثبت ان كل ما كان محدثا قابلا للعدم ثبت بهذا البرهان الباهر ان كل شيء هالك الا وجهه بمعنى كونه قابلا للهلاك والعدم ثم الذين فسروا الآية بهذا قالوا هذا ولي وذلك لانه سبحانه وتعالى حكم بكونها هالكة في الحال ما فسلناه بها لكنه في الحال وعلى ما قلتموه يعلى انهما ستهلك لا انها هالكة في الحال فكان قولنا اولى وايضا فالممكن اذا اخذ من حيث هو هو لم يكن مستحقا للوجود ولا للعدم من ذاته فهذه الاستحقاقية مستحقة له من ذاته واما الوجود فوارد عليه من خارج فالوجود له كالثوب المستعار وهو من حيث هو هو كالانسان الفقير الذي استعار ثوبا من رجل غني فان الفقير لا يخرج بسبب ذلك عن كونه فقيرا لان ذلك الممكن عارية عن الوجوب من حيث انها هي هي وانما الوجود حصل لها بالعارية فثبتنا انها هالكة ابدا من حيث هي هي لما الذي حصلوه علينا انها ستعدم فقد احتجوا فان قالوا الهلاك في اللغة معنيان احدهما خروج الشيء عن حد الانتفاع والثاني الفناء والعدم لا يجوز حمل اللفظ على الاول لان هلاكها عبارة عن خروجها عن حد الانتفاع محال لانها وان تفرقت اجزاؤها فانها تبقى منتفعا بها لان النفع المطلوب كونها بحيث يمكن ان يبتنى عليها على وجود الصانع القديم وهذه المنفعة باقية سواء بقيت متفرقة او مجتمعة وسواء بقيت موجودة او صارت معدومة واذا تعذر حمل الهلاك على التفرق قالوا الهلاك التبرخ وجه عن المنفعة التي يكون الشيء مطلوبا لاجلها فانا نمنع الانتفاء بها عند الهلاك لان الصفة المطلوبة منه حياته وعقله واذا تمزقت الثوب قبل هلاكه لان المقصود منه صلاحيته للبس فانا تفرقت اجزاء العالم وخربت السموات والكواكب والجبال والبحار من صفاتها التي لاجلها كانت منتفعة بها انتفاعا عاما قلا يجوز صحة اطلاق اسم الهالك عليها فما صحة الاستدلال بها على الصانع تعالى فهذه المنفعة البينة مختصة بالشمس من حيث هي شمس والقمر من حيث هو قمر فلم يلزم من بقائها ان لا يطلق عليها اسم الهالك ثم احتجوا على بقاء اجزاء العالم بقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وهذا صريح بان تلك الاجزاء باقية الا انها صارت متصفة بصفة اخرى فهذا ما في هذا الموضع والله اعلم المسئلة الثانية احتج اهل التوحيد بهذه الاية على ان الله تعالى شيء قالوا لانه استثنى من قوله كل شيء والاستثناء يخرج ما لولاه لوجب او يصلح دخوله تحت اللفظ فوجب كونه تعالى شيئا وبوكده ما ذكرناه في سورة الانعام

ومعنى قوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله واجتمع جميع على انه تعالى ليس بشيء تعتد به ليس كمثله والكاف بمعناه المثل فتقدير الاية ليس كمثل شيء ومثل مثل الله ما الذي يوجب ان لا يكون الله شيئا جوابه ان الكاف صلة زايدة المسئلة الثالثة استدلت المجسمة بهذه الاية على انه تعالى جسم بوجهين الاول قالوا الاية صريحة في اثبات الوجه وذلك يقتضي الجسمية والثاني قوله واليه ترجعون وكلمة الى لانتهاء الغاية وذلك لا يعقل الا في الاجسام والجواب لو صح هذا الكلام للزم اثبات يد وجنب وعين وقدم وساق وانه لا يبقى الا الوجه وقد التزم ذلك بعض المشبهة من الراقصة ومريتان بن سمعان وذلك لا يقوله عاقل ثم من الناس من قال الوجه هو الوجود والحقيقة يقال وجه هذا الامر كذا اي حقيقته ومنهم من قال الوجه صلة والمراد كل شيء هالك الا هو واما اضافة اليك فالمعنى والي كرضي حكمه وقضايه ترجعون المسئلة الرابعة استدلت المعتزلة على ان الجنة والنار غير مخلوقتين لانه تعالى اثبت الفناء للكل فلو كانتا مخلوقتين لفنيتا هذا ينافض قوله تعالى اكلها دايم والجواب هذا معارض بقوله تعالى في صفة الجنة اعدت للمتقين وفي صفة النار وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين ثم انا نحمل قوله كل شيء هالك على الاكثر كقوله واوتيت من كل شيء ونحمل قوله اكلها دايم على ان زمان فنايهما لما كان قليلا بالنسبة الى زمان بقايهما لاجرم الحق لفظ الدوام عليه المسئلة الخامسة كل شيء هالك يدل على ان الذات ذات يا لعقل لان الحكم بالهلاك على الشيء يدل على ان الشيء في كونه شيئا قابل للهلاك فوجب ان يكون العدم شيئا والله تعالى اعلم

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ام حسب الذين يعملون السيات ان يسبقونا ساء ما يحكمون في تفسير هذه الاية وبايثاقي بها مسايل المسئلة الاولى في تعلق هذه السورة بما قبلها وجوه الاول قال الله تعالى لما قبل هذه السورة ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد وكان المراد منه ان يرده الى مكة ظاهرا عاليا على الكفار قاهرا لهم بالكلية وكان فيه احتمال شاق اثقل صعب على البعض ذلك قال الله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يؤمرون بالجهاد الثاني هو انه تعالى لما قال في اواخر السورة المتقدمة ادع الى سبيل ربك وكان في الدعاء الى الجهاد وان لم يكن الكافر يجرد الدعاء شتم لما بعض ذلك فقال احسب الناس ان يتركوا لهوانه تعالى لما قال في اواخر السورة المتقدمة كل شيء هالك الا وجهه ذكر بعده ما يبطل قول المنكرين للحشر فقال له الحكم واليه ترجعون يعني حتى كل شيء هالك ثم يمتنع رجوع الى الله اذا تبين هذا فاعلم ان منكري الحشر يقولون لا فايدة في التكليف فانه شاق في الحال ولا فايدة لها في المال اذ المال لا مرجع بعد الهلاك

والذوال فكلا فايدة فيها فاما بين الله تعالى انهم اليه يرجعون بين ان الامر ليس كما حسبوه بل حسن التكليف لترتيب الثواب والعقاب والكفر فقال احسب الناس ان يتركوا امنا خلية من غير عمل يرجعون به الى ربهم المسئلة الثانية في خرمة افتتاح هذه السورة بحرف الم كما مر في البقرة ولنقدم عليه كلاما كليا في افتتاح السور بالحروف فنقول الحكيم اذا خاطب من يكون محل العقلة او يكون مشغول البال يشغل من الاشغال ينبغي على الكلام المقصود شيئا غيره ليلتفت المخاطب بسببه اليه ويقبل بقلبه عليه ثم شرع في المقصود اذا ثبت هذا فنقول ذلك المقدم على المقصود قد يكون كلاما له معنى مفهوم كقولك للقايل اسمع واعجل يا لك الي وكني وقد يكون شيئا من غير تعيين الكلام المفهوم كقولك القايل اذ زيد قيام زيد والا زيد وذلك المقدم على المقصود صوتا غير مفهوم كما يصفق خلف انسان ليلتفت اليه وقد يكون ذلك المفهم غير الصوت بغير المفهم كما يصفق بيديه ليلتفت الانسان اليه ليكلمه فالمتكلم يريد ان يلقي الى السامع عليه ثم ان توقع العقلة كما كان اقرب والمقصود وكان اهم كان المقدم على المقصود اكثر ولهذا نرى ان في القريب بالهمزة فنقول ازيد والبعيد بيا فنقول يا زيد والغافل ينبه بالاعلى الايات بيا ذا ثبت هذا فنقول النبي صلى الله عليه وسلم وان كان يقظان الجنان لكنه انسان يشغله شان عن شان فكان من الحكيم ان يقدم على الكلام المقصود حرفا غير منتهان ثم ان تلك الحروف اذا لم تكن بحيث يفهم معناها يكون اتم في افادة المقصود الذي هو التنبيه من تقدم الحروف التي لها معنى لان تقديم الحروف اذا كان لاقبال السامع على المتكلم لسماع ما بعد ذلك فاذا كان ذلك المقدم كلاما منظوما او قولا مفهوما فاذا سمعه السامع ربما ظن انه كل المقصود ولا كلام له بعد ذلك فينقطع الالتفات عنه اما اذا سمع منه صوتا بلا معنى يقبل عليه ولا يقطع نظره عنه لعلمه بسبق عنه لجزمه بانه ان ما سمعه ليس هو المقصود فاذا تقدم الحروف التي لا معنى لها في الوضع على الكلام المقصود فيه حكمة بالغة قال قايل لم اختص بعض السور بهذه الحروف نقول عقل البشر قاصر عن ادراك الاشياء بجزمه على تفاصيلها عاجز والله اعلم بجميع الاشياء لكن نذكر ما يوفقنا الله تعالى له فنقول كل سورة في اوايلها حروف التهجي قال اوايلها ذكر الكتاب او التنزيل او القران كقوله تعالى الر تلك ايات الكتاب المبين حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان طس تلك ايات القران وكهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا طه ما انزلنا عليك القران لتشقى الم غلبت الروم والحكمة في افتتاح السور التي فيها القران او التنزيل او الكتاب بالحروف هي ان القران عظيم والانزال له ثقيل والكتاب له صعب كما ان تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فكل سورة في اوايلها ذكر القران او الكتاب والتنزيل فقد علمنا بتنبيه يوجب ثبوت المخاطب لاشتماله لا يقال كل سورة قران واستماعه استماع القران سواء كان فيها ذكر القران لفظا او لم يكن فان الواجب

ان يكون في اوايل كل سورة تنبيه وايضا فقد ورد تسمية بعضها ذكر الانزال والكتاب
ولم يذكر تسميتها حروف كقوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وقوله سورة
انزلناها وقوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان وقوله انا انزلناه في ليلة
القدر لانا نقول جوابا عن الاول لا ريب في ان كل سورة من القرآن لكن السورة
التي يبتدأ ذكر القرآن والكتاب مع انها من القرآن تنبيه على كل القرآن فان قوله
طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى مع انها بعض القرآن يتبادر ذكر جميع القرآن
فيصير مثاله مثال الكتاب يرد من ملك على مملوكه فيه شغل ما وكتاب احتر يرد
منه عليه فيه انا كتبنا اليك كتابا فيه او امر فافا مثلها لا شك ان عجب الكتاب
الاخر اكثر من عجل الاول وعنا لثاني ان قوله الحمد لله وتبارك الذي تنبيهات
مقصودة وتسبيح الله لا يغفل عنه العبد فلا يخرج الى تنبيه بخلاف الاوامر والنواهي
واما ذكر الكتاب فيها فلبيان عظمة من له التسبيح وسورة انزلناها فتنبيها لها
بعض ما لقرآن فيها وذكر انزالها وفي السور التي ذكرنا ها ذكر جميع القرآن فهو
اعظم في النفس واما قوله انا انزلناه نتقول هذا ليس ورودا على مشغول القلب
بشيء غيره بدليل انه ذكر الكتاب فيها وهي ترجع الى ما يدركون بحاسة وتعلوه قوله
انا انزلناه المهاراجعة الى معلوم عندا لنبي صلى الله عليه وسلم وكان تنبيها له
ولغيره واعلم ان التنبيه قد حصل في القرآن بغير الحروف التي لا يفهم معناها
كما في قوله يا ايها الناس اتقوا ربكم وقوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وياايها
النبي لم تحرم لانها اشياء جليلة عظيمة فان تقوى الله حق تقاته امر عظيم فقدم
عليها النداء الذي يكون للعبد العاقل عنها واما هذه السور فتتحت بالحروف
وليس فيها الا بتدا يا لكتاب والقرآن وذلك لان القرآن تعلمه وعباده عما
فيه من التكاليف والمعاني وهذه السورة فيها جميع التكاليف جملة قال احسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا امنا يعني لا يتركون بمجرد ذلك بل يؤمرون بانواع من التكاليف
فوجد المعنى الذي في السورة التي ذكر فيها القرآن المشتمل على الاوامر والنواهي
فان قيل مثل هذا الكلام وقع في سورة التوبة
وموقوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا
عليتم حروف التهجي فتقول الجواب عنه في غاية الظهور وهو ان هذا ابتداء الكلام
وهذا وقع الاستفهام بها لهمزة فقال احسب الناس وذلك وسط كلام بدليل وقوع
الاستفهام بام والتنبيه يكون في اول الكلام لا في اثنايه واما الوعد فلبت لدوقا
فسيعلي ان شاء الله تعالى وهذا تمام الكلام في الحروف المسئلة الثالثة في اعراب
الم وقد ذكرنا تمام ذلك في سورة البقرة مع الوجوه المنقولة في تفسيره وتريد
بكلامنا على ما ذكرنا في ان الحروف لا اعراب لها لانها جارية مجرى الاصوات المنبهة
المسئلة الرابعة في سبب نزول هذه الاية اقوال الاول انها نزلت في عمار بن ياسر
وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة

الثاني انها نزلت في اقوام بمكة هاجروا فتبعهم الكفار فاستشهد بعضهم وخلص الباقون
الثالث انها نزلت في مهجع بن عبد الله قتل يوم بدر المسئلة الخامسة في تفسير
قوله احسب الناس ان يتركوا بعيني اظنوا انهم يتركوا بمجرد قولهم امنا وهم لا يفتنون
يبتلون بالفرائض البدنية والمالية واختلف ائمة الفتوى في قوله ان يقولوا فقال
بعضهم يتركوا بان يقولوا وقال بعضهم ان يتركوا يقولون امنا وتقتضيها هر
هذا انهم يعبرون عن قولهم امنا بما يفهم من قولنا قال فظن انك تنزل تختر بزيدا
احب ان تمنع من ذلك وهذا بعيد فان الله لا يمنع احدا من ان يقول امنت ولكن
مراد هذا المعترض انهم لا يتركون يقولون امنا من غير ابتلاء يتمتعون من هذا
المجموع باجماع الفرائض المسئلة السادسة في الفوايد المستفادة وهي ان المقصود
الاقصى من الخلق العبادة والمقصود الاعلى في العبادة حصول محبة الله كما ورد
في الخبر لا يزال العبد يتقرب الي بالعبادة حتى احبه ومن كان يفيد اشد
افتقارا من محبة الله فهو اعظم درجة عند الله لكن القلب ترجمان اللسان والدال
مصدق فان الاعضاء وهذه المصدقات فمن كان قادرا على الاستان امتحن
بالله ادعى محبة الله تعالى في الجنان فلا بد من شهود يصدقان فاذا استعمل الانكار في الايمان
بما عليه ببيان الايمان حصل له على دعواه شهود يصدقان فاذا ابذل في
سبيل الله نفسه وماله وزكى بترك ما سواه الذين صدقوه فيما قاله فيتردد في
جايا المحبين اسمه ويقدس في اقسام المقربين قسمه واليه الاشارة بقوله
احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا يعني اظنوا ان بقبيل منهم دعواهم
بلا شهود وشهود بلا تزكي بل لا بد من ذلك جميعه ليكونوا من المحبين فايدة
ثانية وهي ان ادنى درجات العبد ان يكون مسلما فان ما دونه درجات
الكفر فالاسلام اول درجة تحصل للعبد فاذا حصل له هذه المرتبة كتب اسمه
واثبت قسمه لكن المستخدم بين عند الملوك على اقسام منهم من يكون ناهضا في
شغله ماضيا في فعله فينتقل من خدمة الجندية الى ما هو رتبة ومنهم من
يكون كسلان متخلفا فينتقل من خدمة الجندية الى ما هو دونها ومنهم من يترك على
شغله من غير تغيير ومنهم من يقطع رسمه ويمحى عن الجريدة اسمه فكذلك عباد
الله قد يكون المسلم عابدا لغفلا على العبادة متغلا للسعادة فينتقل من درجة
المؤمنين الى درجة المؤمنين وهي درجة المقربين ومنهم من يكون قليل الطاعة
مستغلا بالخلاعة فينتقل الى مرتبة دونه وهي مرتبة العصاة ومنزلة الغواة
وقد يستضعف العيوب ويستكثر الذنوب فيخرج من الصيام محروما ويلحق باهل الصيام
مرحوما ومنهم من يبقى في اول درجة وهم الجملة فقال الله تعالى بشارة للمطيع
والناهض احسب الناس ان يتركوا بعيني اظنوا انهم يتركوا في اول المقامات
بل ينتقلون الى اعلا الدرجات كما قال تعالى والذين اوتوا العلم درجات تفضل الله
المجاهدين على القاعدين درجة وقال للكسلان احسب الناس ان يتركوا

بقوله اما بعد اذا قال امت وبخلف بالعصيان بتزين وبرجيء منه لابل يتقبل الجهاد
ادبي وهو نقام العاصي والكافر ثم قال تعالى وقد قتلتم الذين من قبلهم ذكر الله
تعالى ما يوجب تسليتهم فقال لكنه قتل الله بمن قتلكم ثم ايتكم بمجرد قولهم امنا
مل فرض عليهم الطاعات واوجب عليهم العبادات وفي قوله فليعلمن الله الذين صدقوا
وجوه الاول قال تعالى قل يرين الله الذي قبل ظهر ان الله الثالث فليميزن
الله والعامل على هذا ان المفسرين ظنوا ان حمل الاية على ظاهرها يوجب
تجدد علم الله والله عالم بالصادق والكاذب قبل الامتحان فكيف يمكن ان يقال
بعلمه عند الامتحان فنقول الاية محمولة على ظاهرها وذلك ان علم الله صفة
نظم فيها كل ما تقع واقع قبل التكليف كان الله يعلم ان زيدا سيطيع و
عمرو اسيعصي ثم وقت التكليف والابتلاء يعلم انه مطيع الاختياره وبعد
الابتلاء يعلم انه اطاع الاختياره لا بتغير علمه في شيء من الاحوال وانما المتغير المعلوم
وبتبين هذا بمثال من الحيوان ولله المثل الاعلى وهو ان المرأة الصافية الصقيلة
لما علقت في موضع وقبل وجهها حمقة ولم يتحرك ثم غير عليها ثوب لا سابور ثوبا
ابيض فظهر فيها زيد في ابيض واذا غير عليها عمرو في لباس اصفر فظهر فيها كذلك
فهل يقع في ذهن احد ان المرأة في كونها حدثت اتغيرت او يقع له انها في تدويرها
تتدلت او يذهب وهمه انها في صفايها اختلفت او يخطر بباله انها عن سكانها
انتقلت لا يقع لاحد شيء من هذه الاشياء لا وتقطع بان المتغير الخارجي قام
علم الله من هذا المثال بل اعلى من هذا المثال قالت المرأة ممكنة التغير وعلم الله
غير ممكن عليه ذلك فقوله فليعلمن الله الذين صدقوا يعني يقع ممن يعلم الله انه
يطيع الطاعة فيعلم انه قطيع بذلك العلم وليعلمن الكاذبين يعني من قال انا مؤمن
وكان صار قاعدا عن فرض العبادات بظهر منه ذلك ويعلم ومن قال ذلك وكان منا
فقد كذلك بين وفي قوله الذين صدقوا بصيغة الفعل وقوله الكاذبين باسم الفاعل
فايدة مع الاختلاف في اللفظ ادل على الصداقة وهي ان اسم الفاعل يدل على كثير
من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه
كما يقال للفلان يشرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان تعذم وفلان ناقد الامر
لا يفهم في صيغة الفعل التكرار والرسوخ ومن اسم الفاعل يفهم ذلك اذا ثبت
هذا فنقول وقت نزول الاية كانت الحكاية عن قوم قرنبي العهد بالاسلام
فما وايل الجاب التكليف وعن قوم مستديمين للكفر مستمرين عليه فقال فليعلمن
في حق المؤمنين الذين صدقوا بصيغة الفعل اي وجد منهم الصدق وقال في حق
الكافرين الكاذبين بصيغة الجملة اسمية تعني الثبات والدوام وهذا قال في يوم ينتفع
الصادقين بصدقهم بلفظ اسم الفاعل وذلك لان في اليوم المذكور يكون الصدق
قد رسخ في قلب المؤمن وهو اليوم الاخر ولا كذلك في اوايل الاسلام ثم قال تعالى
ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون لما بين حسن التكليف

بقوله احسب الناس ان يتركوا ان من كلف بشيء ولم يات به يعذب وان لم يعذب في الحال
سيعذب في الاستقبال لا يفوت الله شيء في الحال ولا في المال وهذا ابطال المذهب من يقول
التكاليف ارشاد ان والامر فيها ترغيب وترهيب ولا يوجب من الله تعالى تعذيب
ولو كان يعذب ما كان عاجزا عن العقاب فقال ام حسب الذين يعملون السيئات ان
يسبقونا ساء ما يحكمون ليس كما قالوا بل يعذب من يعذب ويثيب من يثيب بحكم الوعد والايجاب
والله لا يخلف الميعاد وامر الامهال قليل يبقى في الاهمال والتعجيل في جزاء الاعمال مثل من
خاف لقوته ثم قال تعالى سآء ما يحكمون ويعني حكمهم بما يعصون ويخالفون امر الله
ولا يعاقبون حكم يخالف ان الحكم الحسن لا يكون الا حكم العقل والشرع والعقل لا يحكم على الله
بذلك فان الله له ان يفعل ما يريد والشرع حكم بخلاف ما قالوه فحكمهم في غاية السوء
والرداءة قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت وهو السميع العليم
ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين والذين امنوا
وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون
لما بين بقوله احسب الناس ان العبد لا يترك في الدنيا سدى وبين في قوله ام حسب
الذين يعملون السيئات ان من ترك ما كلف به يعذب عذابا بينا ان يغفر في الاخرة
ويجعل لها ما يضيع عمله ولا يخيب امله وفي الاية مسائل المسئلة الاولى انا
ذكرنا في مواضع الاصول الثلاثة الاول هو الله ووحدانيته والاصل الاخر هو
اليوم الاخر والاصل المتوسط هو النبي المرسل فالاول الموصل الى الاخر لا يكاد
يتفصل في الذكر الا لحق بعضها عن بعض فقوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
اشارة الى الاصل الاول يعني ظنوا انه يكفي الاصل الاول ثم لا يفتنون
ولقد فتنا الذين من قبلهم يعني بارسال الرسل وايضاح السبيل فيه اشارة الى
الاصل الثاني وهو قوله ام حسب الذين يعملون السيئات مع قوله من كان يرجو لقاء
الله فيه اشارة الى الاصل الثالث وهو الاخر المسئلة الثانية ذكر بعض المفسرين
ان لقاء الله الرؤية وهو ضعيف فان اللقاء والملاقاة بمعنى لو صح حتى ان جماعة
اذا توصلا فقد لاقا احدهما الاخر المسئلة الثالثة ذكر بعض المفسرين ان المراد
من الرجاء الخوف والمعنى من قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يخاف الله وهو ايضا
ضعيف فان المشهور من الرجاء ونقيض المحبة لا يعبر لا تا اجمعنا على ان الرجا
ورد بهذا المعنى فقبل الرجوا فضل الله واذا كان وارد اهذا لا يكون دفعا
للاشتراك المسئلة الرابعة يمكن ان يكون المراد باجل الله الموت ويمكن ان يكون غير
الحياة الثانية بالحشر فان كان هو الموت فهذا ينبغي من بقاء النفوس بعد الموت
كما في ورد في الاخبار وذلك لان القابل اذا قال من كان يرجو الخير فان الشيطان
واصل يفهم منه ان منتظرا بوصوله الشيطان ولم يظهر الخير فلو لم يحصل اللقاء
عند الموت لما حسن ذلك كما ذكرنا في المثال واذا تبين هذا فقوله اللقاء لما حصل
المسئلة الخامسة قوله من كان يرجو اشرط وجزاوه فان اجل الله لآت

والمعلق بالشرط عدم عند عدم فمن لا يرجو لقاء الله لا يكون اجل الله اتيا له هذا باطل
فى الجواب عنه فنقول المراد من ذكر اتيان الاجل وعدم الطمع بما بعده من الثواب يعنى
من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت يثوابا لله يثاب عليها عنده عزته ولا شك
ان من لا يرجوه لا يكون اجل الله اتيا على وجه يثاب عليه المسئلة الثانية قال ربنا
السميع العليم ولم يذكر صفة غيرها كالعزيز الحكيم وغيرها وذلك لانه سبق القول
فى قوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا وسبق القول بقوله ولم لا يفتنون وبقوله
فليعلمن الله الذين صدقوا وبقوله ام حسب الذين يعملون السيئات ولا شك ان
القول يدرك بالسمع والعمل مما يدرك بالبصر وسنة ما لا يقصد به كالعقود
والعمل يشملها وهو السميع يسمع ما قالوه العليم يعلم من صدق فيما قال فمن كذب
وايضا علم يعلم ما يعمل فيثيب ويعاقب وههنا لطيفة وهى ان العبد له ثلاثة انواع
فما صاف حسناته احدها عمل قلبه وهو التصديق وهو لا يدرك ولا يسمع وعمل لسانه
وهو يسمع لا محالة وعمل اعضائه وجوارحه وهو يرى فاذا اتى بهذه الاشياء جعل الله تعالى
لمسموعها اذنا سمعت ولمرئيها عينا ترات ولمحل قلبها ما لا خطر على قلب بشر كما وصف
فى الجنة ثم قال تعالى والذين جاهدوا فينا جاهد لنفسه لما بين ان التكليف
حسن نافع وان عليه وعدا وابعاد البرهان دافع بين ان طلبه لله تعالى ليس
لنفع يعود اليه فانه مطلق ليس شيء خير ينوقف كماله عليه ومثل هذا اكثر فى القرآن
كقوله من عمل صالحا فلنفسه وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وفيه الآية مسائل المسئلة
الاولى الآية السابقة مجملة هذه الآية ان اكثار العبد من العمل الصالح وانقانه له وذلك
لان من يفعل فعلا يطلب به ملكا ويعلم ان الملك يراه وبيصره يحسن العمل ويتقنه
واذا علم انه لن يخفى عليه يكثر منه فاذا قال الله انه سميع عليم فالعبد
يتقن ويخلص له واذا قال بان جهاده لنفسه يكثر منه المسئلة الثانية لقائل
ان يقول هذا يدل على ان الجزاء على العمل لان الله تعالى اذا قال فمن جاهد فانما يجاهد
لنفسه فمفهومه ان من جاهد لم يجاهد لنفسه وهو باطل لان المجاهد لا يجاهد الا
لنفسه ثم نقول هذا لا يلزمنا لان جهاده لنفسه بكونه مستحقا للثواب والا لكان
مستكملا بغيره وهو محال فيكون مستكملا بغيره فيكون محتاجا

اليه ويرتفع عن العالمين وايضا افعاله لما بينا المسئلة الثالثة تدل الآية على انه تعالى
ليس بمكان وليس فى العرش على الخصوص فانه من العالم والله غنى والمستغنى عن المكان
ولا يكون داخله فى مكان لان الداخل فى المكان يشار اليه بانه ههنا او هناك يستحيل
ان يوجد لا ههنا ولا هناك ولا يجوز ان لا يدرك ادراك خيم لا فى مكان المسئلة الثالثة
لو قال قائل لم لا يجوز ان يقال انه قادر بقدرة ولا عالم بعلم ولا لكان هو فى قادريته محتاجا
اليه الى قدرته هى غيره وكذا من غيره فهو من العالم فيكون محتاجا وعن هذا نقول العالم
ان قدرته من العالم وهذا لان العالم كل موجود سوى الله بصفاته اى كل موجود
سوى خارج عن مفهوم الاله الحى القادر المريد العالم السميع البصير المتكلم والقدرة ص
ليست خارجة عن مفهوم القادر والعلم ليس خارجا عن مفهوم العالم المسئلة الرابعة
الآية فيها بشارة وفيها انذار اما الانذار فقوله تعالى اذا كان غنيا عن العالمين
فلو اهلك عباده بعذابه فلا يتأثر عليه لعناد عظيم وهذا يوجب الخوف العظيم واما
البشارة فلانه اذا كان غنيا فلو اعطى جميع ما تحتاجه لعدد من عباده لا يتأثر عليه
لاستغنائه عنه وهذا يوجب الرجاء التام والذين امنوا وعملوا الصالحات الآية لما
بين احوال الذين يعملون صالحا لنفسه بين مفصلا بعد التفصيل ان جزاء المطيع الصانع
فقال الذين امنوا وفى الآية مسائل المسئلة الاولى يحتج بها من قال على ان الايمان
مغايرة للاعمال لان العطف يوجب التغاير المسئلة الثانية انها تدل على ان
الاعمال داخلة فيما هو المعقود من الايمان لان المكفر السيئات والجزاء الاحسن معلق
عليهما وثمرة الايمان وهذا هذا شجرة ثمرة لا شك فى ان ثمرتها واعضاءها
والماء الذى يجرى يجعلها والتراب الذى يجرى اليها غير داخل فيها لكن الثمرة لا تحصل
الا بذلك الماء والتراب الخارج فكذلك العمل الصالح مع الايمان وايضا الشجرة لو
لصقت بها الحسابات المفسدة والاشواك للثمرة تنقص ثمرة الشجرة وان غلبتها
افسدت الثمرة بالكلية فسدت فكذلك الذنوب تقابل الايمان المسئلة الثالثة
الايمان هو التصديق بما قاله وسألت عمرو بن بحر الجاحظ عن معنى قولنا ان الايمان
بالقلب بما جاء به الله تعالى وما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم على
سبيل التفصيل ان علم مفصلا انه قول الله او قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
او على سبيل الاجمال فيما لم يعلم والعمل الصالح عندنا كما امر الله تعالى به صالح لما
امر ولو فعل ما كان صالحا فليس لصلاح والفساد من لوازم الفعل فى نفسه
وقالت المعتزلة ذلك حتى صفات العقل ويترتب عليه الامر والنهى فالصدق
عمل صالح فى نفسه ويامر الله به كذلك قلنا الصلاح والفساد والحسن والقبح
يترتب على الامر والنهى يترتب على الحسن والقبح والمسئلة بطولها فى الاصول المسئلة
الرابعة العمل الصالح باق لان الصالح فى مقابلة الفاسد والفاسد من اقسام
التالف تقابل فسدت الزروع اذا هلكت او خرجت عن ذروة الانتفاع ويقال
فى جسد صاحبه اى باقية على ما ينبغى فاذا علم هذا فنقول العمل لا يبقى بنفسه لانه

غرض لا يبقى بالعمل لعامل لانه ابتغاها لله كما قال تعالى بل تبقى له ثوابها لك فتقاوه لابد وان يكون تبقيها قال لكن الباقي هو وجه ربك العزة فنقول له تعالى كل شيء هالك الا وجهه فينبغي ان يكون العمل لوجه الله حتى يبقى ويكون صالحا فالعمل الصالح هو الذي اتى به المكلف خالصا لله تعالى **المسئلة الخامسة** هذا يقتضي انه يكون النية شرطا في الصالحات من الاعمال وهو مقصد الاتباع لله تعالى وتتدرج فيها النية في الصوم خلافا لزفر وفي الوضوء خلافا لابي حنيفة رضي الله عنهما **المسئلة السادسة** العمل الصالح مرفوع لقوله تعالى والعمل الصالح يرفعه لكنه لا يرتفع الا بالكلم الطيب فانه يصعد بنفسه كما قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وهو رفع العمل فالعمل غير الموحد لا يقبل ولهذا قدم الايمان على العمل وههنا لطيفة وهي ان اعمال المكلف ثلاثة عمل قلبه وهو فكره واعتقاده وتصديقه وعمل لسانه وهو ذكره وشهادته وعمل جوارحه وهو طاعته وعبادته فالعبادة البدنية لا ترتفع بنفسها وانما ترتفع بغيرها والقول الصادق يرتفع بنفسه كما تبين في الادلة وعمل الفكر يتزلف اليه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يتزلف الى السماء الدنيا ليتوب على تائب والتائب النادم بقلبه فكذلك قوله انا عند المنكسرة قلوبهم بعبئي بالفكر في عجزه وقدرته وحقارته وعظمتي ومن حيث العقل من تفكر في لا اله الا الله وجد الله وحضر في ذهنه فعلم ان يعمل العقل يتأتى له وعمل اللسان فيذهب الى الله وعمل الاعضاء يوصل الى الله تعالى وهذا تنبيه على فضل عمل القلب **المسئلة الثانية** ذكر الله من اعمال العبد نوعين الايمان والعمل الصالح وذكر في مقابلتهما من الجزاء فعال الخوارج الله اثرين تكفير السيئات والجزاء بالاحسن حيث قال لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي يحكم انه يوفي ايمانه تكفير السيئات في مقابلة الايمان والجزاء بالاحسن في مقابلة العمل الصالح وهذا يقتضي انه لا احد من المؤمن لا يخلد في النار لان ايمانه يكفر سيئاته فلا يخلد في العذاب الثاني وهو الجزاء الاحسن المذكور ههنا غير الجنة وذلك لان المؤمن بايمانه يدخل الجنة اذ يكفر سيئاته ويبقى كفر سيئاته ادخل الجنة فالجزاء الاحسن يكون من الجنة وهو ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يبعد ان يكون هو الرؤية الثالثة وثمرات الايمان يستر قبح الذنوب في الدنيا فيستر الله عيوبه في الاخرة والعمل الصالح حسن حال الصالح في الدنيا يجزيه الله الجزاء الاحسن في الاخرة المعنى ان الايمان اذ لا يطلع المعاصي بل يرغب المعاصي ويسترها ويحل صاحبها على التدهم **المسئلة الثالثة** قوله لنكفرن عنهم سيئاتهم يقتضي وجود السيئات حتى تكفر والذين امنوا وعملوا الصالحات باشرهما سواء ان يكون لهم سيئة فتقول الجواب عنه من وجهين الاول ان وعد الجميع بالاشياء لا يستدعي وجود كل واحد من تلك الاشياء مثاله اذا قال الملك لاهل بلدة اذا اطعمتوني اكرمت ايامكم واتممت عليكم واحسنت اليكم لا يقتضي هذا انه يكرم ايا من توفي ابوه او يحترم ايا من لم يرزقه

له ولد بل معناه ان يكرم ايا من له اب ويحترم ايا من له ابن فكذلك يكفر سيئة من له سيئة الجواب الثاني انا سلمنا ان يحلف الاولة سيئة اما غير الايتام فظاهر واما الايتام فلان تركه الافضل يعتبر كالسيئة من غيرهم ولهذا قال تعالى عفا الله عما سلف لو اذ تتم **المسئلة الثامنة** قوله تعالى ولنجزينهم احسن يحتمل وجهين احدهما التجزينهم بالحسنى اعمالهم وثانيهما التجزينهم احسن من اعمالهم وعلى الوجه الاول معناه تقدير اعمالهم احسن ما يكون ويجزيهم عليها الا انه يختار من احسنها ويجزي عليه ويترك الباقي وعلى الوجه الثاني معناه قريب من معنى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقوله قله خير منها **المسئلة العاشرة** ذكر حال المسيء مجملا بقوله ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اشارة الى التعذيب مجملا وذكر حال المحسن مجملا بقوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا جاهدا قائما بجاهد لنفسه ومفصلا بهذه الاية ليكون ذلك اشارة الى ان رحمته اسبق من غضبه وفضله اعم من عدله **قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين** في الاية مسائل **المسئلة الاولى** ما وجه تعلق الاية بما قبلها فنقول لما بين الله تعالى حسن التكليف ووفر ثمرتها وبين ثواب التكاليف اصولها وفروعها حرضنا للانسان على الطاعة ذكر الموانع ومنعه من ان يجتنب اتباعه فقال الانسان ان انقاد لا حرج ينبغي ان ينقاد ولا يوجه ومع هذا الوامر وه بالمعصية لا يجوز اتباعهم فضلا عن غيرهم فلا يمنعن احدكم شيء من طاعة الله ولا يتبعن احد من يأمر بمعصية الله **المسئلة الثانية** قرئ حسنا واحسانا وحسنا واظهرها ههنا ومن قرأ احسانا والتفسير على قراءة المشهور هو ان الله تعالى وصى الانسان بان يفعل بوالديه حسنا الثاني في الفعل والقول وتكرير حسنا لتأكيد الحكم بانه ان لم يساعدا لا يتركهما **المسئلة الثالثة** قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا دليل على ان متابعتهم في الكفر لا يجوز وذلك لان الاحسان بالوالدين وجب بامر الله فلو ترك العبد عباده الله بقول الوالدين لترك طاعة الله فلا ينقاد لما قضاه به فلا يحسن الى الوالدين فاتباع العبد والديه لاصل الاحسان اليهما يقتضي ان ترك الاحسان اليهما وما يقتضي وجوده الى العدم باطل فاذا امتنع ان لا يترك ما فيه طاعة والاحسان اليهما من اتم الطاعة فيأتي به فترك هذا الاحسان صورة يقتضي الى الاحسان حقيقة **المسئلة الرابعة** الاحسان الى الوالدين مأمور به لانهما سبب لوجود الولد والولد سبب لتأديبه بالتربية المفادة وهما سبب مجاز والله تعالى سبب له في الحقيقة بالارادة وسبب بقاءه بالاعادة للسعادة فتوالى بان يحسن القصد معه حاله ثم قال تعالى وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم يعني التقليد في الايمان ليس بجيد فضلا عن التقليد في الكفر فاذا امتنع الانسان ذوه من التقليد ولا يطيع غير العلم لا يطيعهما اصلا لان العلم بصحة قولهما محال الخ قول فاذا الرئيس تقليدا

وبيتخيل الشرك مع العلم فالشرك لا يحصل بسنة نطقية قال تعالى يلقى مرجعكم فانبئكم بما كنتم
تعملون بعيد عاقبتكم وسالكم اي والحق كان اليوم محالفتكم ومحالستكم مع الاباء والاولاد
والاقارب والعشاير لا شك فان من علم ان صحبة الستة مع احد حالتيه منقطعة وحسرة بين
يدي عيره دايم غير مقطع لا يترك ما فيه من تندم معه صحبته بعرضه من يترك في زمان
اخر قوله فانبئكم فيه لطيفة وهي انه تعالى يقول لا تظنوا اني غايب عنكم وانا ولي حاضرون فتوا فقون الحاضرين في الحال اعتمادا على غيبتي وعدم علمي بحالكم اما اني
قاهر حاضر معكم اعلم ما تقولون ولا انسى لا نبئكم جميعه نزقا تعالى والذين امنوا
وعملوا الصالحات الاية وفيها مسايل المسئلة الاولى ما الفايدة في اعادة الاية
مرة اخرى نقول الله تعالى ذكر من المكلفين قسمين مهتديا وهاديا فقوله تعالى ليجزي
الله الذين صدقوا ولعلمنا الكاذبين وذكر حال الصالحين اجمالا واحالة تفصيله
مفصلا فقوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا يقتضي ان يعيد بحاوقوله وان
جاهداك لتشرك بيان اصلالها وقوله اليّ مرجعكم فانبئكم بطريق الاجمال يعيد
المضل وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات مرة ثانية لبيان حال المهتدي ومرة اخرى
لبيان حال الهادي والذي يدل عليه ثم انا ولا قال لنكفرن عنهم سيئاتهم وقال
ثانيا لندخلنهم في الصالحين والصالحون هم الهداة لانهم مرتبة الانبيا ولهذا قال
اكثرهم والخفي في الصالحين المسئلة الثانية قد ذكرنا ان الصالح باق والصالحون
باقون وبقاؤهم ليس بابقاء هم اياهم الباقية وابقاء هم الباقية والمجعول له وجه
الله والعاملون باقون بابقاء الله هم هذا على خلاف الامور الدنيوية فان في الدنيا
بقاء الفعل بالفاعل وفي الاخرة بقاء الفاعل بالفعل المسئلة الثالثة قيل في معنى
قوله لندخلنهم في الصالحين لندخلنهم في مقام الصالحين او في دار الصالحين وهو
والاول اجود لان بقاء الحاجة الى الاسم بل يدخلنهم في الصالحين اي يجعلهم منهم وندخلهم
في اعدادهم كما يقال الغنيمة داخل في الغنما المسئلة الرابعة قالت الحكما عالم
العناصر عالم الكون والفساد وما فيه يطرقا اليه الفساد فان ما يخرج عن كونه ما
ويفسد وينكون متصورا وعالم السموات لا كون فيه ولا فساد بل يوجد من عدم
ويعدم ولا يصير الملك ترابا بخلاف الانسان فانه يصير ترابا او شيا اخر وعلى هذا
قالعالم العلوي ليس بفاسد ومن صالح وقوله لندخلنهم في الصالحين يا يحيى المجرد وبين
الذين لا فساد لهم والله اعلم قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا
اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن
انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين
امنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون اعلم ان اقسام
المطيعين قليلة فانه موس ظاهر يحسن اعتقاده وكان في مجاهد بكفره وفساده ومتدين

بينهما يظهر الايمان بلسانه ويضمر الكفر في فواده والله تعالى لما بين القسمين بقوله فليعلمن
الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وبين احوالهما بقوله احسب الذين يعملون السيات
الى قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات بين القسم الثالث وقال ومن الناس من يقول امنا
بالله وفيها مسايل المسئلة الاولى قال ومن الناس من يقول امنا بالله ولم يقل امنت
مع انه وحد الافعال التي بعده كقوله تعالى قاذا اوذي في الله وقوله جعل فتنة
الناس كعذاب الله وذلك لان المنافق كان يشبه نفسه بالمومن ويقول ايماني كايمانك
فقال امنا بلساننا والمومن حقا اما اشعارا بان ايمانه كايمانه وهذا كان الحيا
المتعين فاخرج مخرج الابطال وجاهد الابطال في المقال وهزمهم بخصومهم يقول
الجبان خرجنا فاتلناهم وهزمناهم فصح في السامع علامة ان يقول وما اتيناك
حتى يقول خرجنا وقاتلنا وهذا الرد بجبانة يتم من كلامه ان خرجه وقتاله
كخروجهم وقتالهم لانه لا يصلح الانكار عليهم في دعوى نفس الخروج والقتال وكذلك يدل
القايل انا والله لنقتلنك قتلا واستقبلناه بتكرار المقسوم به للمساواة فهو اذا
اراد واظهار كون ايمانهم كايمان المحقين كان الواجب ان يقول امنا اي نار المحق
المسئلة الثانية قوله فاذا اوذي في الله في تعريف قوله واخرجوا من ديارهم
واوذوا في سبيلي عرفنا ان المراد بتلك الاية الصابرون في اذية الكافرين فالمراد
ههنا الذين لم يصبروا عليها فقال هناك اوذوا في سبيلي وقال ههنا اوذي في الله
ولم يقل اوذوا في سبيل الله والطيفة فيه ان الله تعالى اراد بيان شرف المومن
الصابر وخسة المنافق الكافر فقال هناك اوذيا المومن في سبيل الله ليترك سبيله
ويتركه واوذي المنافق في الله نفسه وكان يمكنه ان يظهر لهم انهم ان بلغ
الايذا الى حد الاكراه ويكون قلبه مطمينا بالايمان قلا يترك الله ومع هذا لم يقبله
بل ترك الله بالكلية والمومن اوذي ولم يترك سبيل الله بل اظهر بعض مراتب الشهادة
وصبر على الطاعة والعبادة المسئلة الثالثة قوله جعل فتنة الناس كعذاب
الله قال الزجاج جعل فتنة الناك صارفة عن الايمان كما ان عذاب الله صارف
عن الكفر وقيل جزعوا من عذاب الله وياكله معناه انهم جعلوا فتنة الناس مع
ضعفها وانقطاعها كعذاب الله الاليم الدايم حتى ردوا في الامر وقالوا ان امنا
نتعرض لتاذي من الناس وان تركنا الايمان ننجو من عذاب الله وعند ذلك يحمد واختار
الاهون وهو ترك تاذي العاجل ولا يكون التردد الا عند التساوي وبين ان ايمانهم
تعذيب الناس لا يكون شديدا ولا يكون مديد الكالحيس والعصر لا يكون شديدا
وعذاب الله شديد ومداته مديد وايضا عذاب الناس له دافع وعذاب الله
ماله من دافع وايضا عذاب الناس عليه ثواب عظيم وعذاب الله بعد عذاب اليم
والمشقة اذا كانت مستتبعة للراحة العظيمة تطيب ولا تعد عذابا كما ينقطع السلعة
المودية ولا تعد عذابا المسئلة الرابعة قال فتنة الناس وكم يقل عذاب الناس
لان قتل العبد ابتلاء من الله تعالى وفتنة تسلط بعض الناس على بعض كلمة الايمان

لتؤدبه فتبين منزلته كما حبل التكاليف ابتلاء وامتحانا وهذا اشارة الى ان الصبر على الفتنة الصادرة من الانسان كالصبر على العبادات **المسئلة الخامسة** لو قال قائل بهذا ينتقض منع المؤمن من اظهار كلمة الكفر بالاكراه لانه من اعظم كلمة الكفر بالاكراه احتراز عن التعذيب العاجل يكون قد جعل فتنة الناس كعذاب الله فنقول ليس كذلك لان من اكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان لم يجعل فتنة الناس كعذاب الله بوجب ترك ما يعذب عليه ظاهرا وباطنا وهذا المؤمن المكره لم يجعل فتنة الناس كعذاب الله بحيث يترك ما يعذب عليه ظاهرا وباطنا بل في باطنه الايمان تمسكا بقوله تعالى ولبئن جاء نصر من ربك الاية يفيد ان المنافق انما ان رأى اليد للكافر اظهر مما اضمر من الكفر وان كان المضمر للمؤمن اضعاف ما اظهر واظهر المحبة وادعى التبعية في فوائد ذكرها **المسئلة الاولى** قال ولئن جاء نصر من ربك ولم يقل من الله مع ان ما تقدم كان كله بذكر الله كقوله اوذي في الله وقوله كعذاب الله وذلك لان الرب اسم محمد لوله الهيبة والعظمة فعند المضرة ذكر اللفظ الدال على الرحمة والعظمة وعند العذاب ذكر اللفظ الدال على العظمة **المسئلة الثانية** لم يقل ولئن جاءكم او جاك نصر قال ولئن جاء نصر من ربك المضمر لوجاءهما كما تراهم يقولون انا معكم وهذا يقتضي ان يكونوا قائلين بانا معكم اذا جاء المضمر لكن المضمر لا يجيء للموحدين كما قال تعالى وكانا خفا عليا نظم الوسيتين على النسق البديع بضمير واحد لئلا يكون عاقبة سليمة بدليل ان احد الحبيبين اذا اهتم في الحال تذكر المهتم به كقوله احزنني وهزموا الغالبين لانه يطلق اسم المضمر الاعلى من كان له العاقبة فكذلك المسلم وان كسر في الحال فالعاقبة للمتقين فالنصر لهم في الحقيقة **المسئلة الثالثة** في ليقولن قرأ ابن كثير احدهما الفتح حملا على قول من يقول اما اذا اوذي بترك ذلك القول واذا جاء المضمر يقول انا معكم والثانية الضم على الجميع استدلالا بقوله الى الجمع الذين دل عليهم الرسول فان المنافقين كانوا جماعة ثم بين الله تعالى انهم اراد والتلبيس ولا يصح ذلك لهم لان التلبيس انما يكون عند ما يخالف القول الفعل فالسامع يبني القول على قوله ولا يدري ما في قلبه فيلتبس الامر عليه واما الله تعالى فهو عليم بذات الصدور وهو اعلم بما في صدور الانسان من الانسان فلا يلتبس عليه الامر وهذا اشارة الى ان الاعتبار في المذبقا المنافق الذي يظهر الايمان ويضمر الكفر كافر والمؤمن المكره الذي يظهر الكفر ويضمر الايمان مؤمن والله اعلم بما في صدور العالمين وبما بين الله اعلم بما في صدور العالمين بين الله يعلم المحق وان لم يتكلم والمنافق وان تكلم فقال وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين وتدبر بين تفسيره لكن فيه مسئلة واحدة وهي ان الله تعالى قال هناك فليعلمن الله الذين صدقوا وقال هنا وليعلمن الله الذين امنوا فنقول لما كان الذكر هناك للمؤمن والكافر في قوله كاذب فانه يقول الله اكثر من واحد المؤمن في قوله صادق وكاذب وكان هنا المنافق صادقا في قوله فانه كان يقول الله واحد فاعتبر اثر القلب في المنافق فقال وليعلمن المنافقين واعتبر اثر العلم في المؤمن وهو التصديق فقال وليعلمن الله الذين امنوا ثم قال تعالى وقال

الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم الآية اعلم ان الله تعالى لما بين احوال الفرق الثلاثة واحوالهم وذكر ان الكافر يدعوا من يقول امنت الى الكفر بالفتنة وبين ان عذاب الله فوقها فكان الكافر يقول للمؤمن تغير فان الذل عاجلا لا يدانيه شيء ولم لا ترتفع عن نفسك الذل والعذاب بمن فتنك فكان جواب المؤمن ان يقول لحرقتي من عذاب الله على خطيئتي منعكم فقالوا لا خطيئة فيه وان كان فيه خطيئة فعلينا وفي الآية مسائل **المسئلة الاولى** لنحمل صيغة امر الغائب عن الامر فكيف يصح امر النفس من التكلم فنقول الصيغة امر المعنى شرط وجزاء ان اتبعونا حملنا خطاياكم قال صاحب الكشاف هو في معنى قولك من يريد اجتماع امرين في الوجود فليكن منك العطاء وليكن مني الدعاء فقوله ولنحمل خطاياكم ليكن منا الحمل وليس بامر في الحقيقة امر طلب وايجاب **المسئلة الثانية** قال وما هم بحاملين من خطاياهم وقال بعدها وليحملن اثقالهم وانقالا مع انقالهم فهناك نفى الحمل وهنا اثبت الحمل فكيف الجمع بينهما فنقول قول القائل حمل فلان من فلان بن فلان يحف وان لم يحف وان لم يكن فكيف حمله فلا يكون فذ حمل منه شيئا فكذلك ههنا ما هم بحاملين من خطاياهم يعني لا يرتفعون عنهم خطيئتهم ولم يحملون اوزارا بسبب ضلالتهم ثم قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزر من عمل بها من غير ان ينقص من وزرهم شيء **المسئلة الثالثة** الصيغة امر والامر لا بد له من مأمور به فكيف التصديق والتكذيب فكيف يفهم قولهم انا نحمل خطاياكم ولم كذبوا في هذا فنقول لهم شرط وجزاء فكانهم قالوا ان تتبعونا نحمل خطاياكم ولم كذبوا في هذا فانهم لا يحملون شيئا ثم قال تعالى في قوله الذين كانوا يفترون وذلك ثلاثة اوجه الاول كان قولهم ولنحمل خطاياكم صادرا لاعتقادهم ان لا خطيئة في الكفر يوم القيامة يظهر لهم خلاف ذلك فيسألون عن ذلك الافتراء الثاني ان قوله ولنحمل خطاياكم كان منا عتقادهم ان لا حشر فاذا جاء يوم القيامة ظهر خلاف ذلك فيسألون وبقال لهم اما قلتم ان لا حشر الثالث انهم لما قالوا ان تتبعونا نحمل خطاياكم يوم القيامة بقال لهم فاحملوا خطاياهم فلا يحملون وبقال لهم افتريتم والله اعلم قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قوله فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وجه تعلق هذه الآية بما قبلها هو ان الله تعالى لما بين التكليف وذكر اقسام الخلق ووعد المؤمن الصادق الثواب العظيم ووعد المنافق العذاب الاليم وكان قد ذكر ان هذا التكليف ليس مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واتته حتى صعب عليهم ذلك قبل ذلك كان كذلك لمن تقدم من نوح وابراهيم عليهما السلام وغيرهما ثم قال تعالى قلت في نبأ الفسنة الاحسن عاما وفيه مسائل **المسئلة الاولى** القائلة في ذكر سورة ليته تقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره بسبب عدم دخول الكفار في الاسلام واصرارهم على الكفر فقال ان نوحا لبث الف سنة تقريبا في الدعاء ولم يؤمن من قومه الا قليل وصبر وما ضجر فانت اولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد امتك وايضا كان الكفار يعتزون بنتاج هذا العذاب عظم الكرة مع ذلك ما نجوا فهذا

تعدد القدر حتى انتهى لا ينبغي ان يعبر فوا ان العذاب باعتبارهم للمسئلة الثانية فانه يحتمل
العدد الاستثنائي لعدد تكلم بالباقي قاذا قال القائل لفلان علي عشرة الا ثلاثة فانه
قال سبعة اذا علم هذا فنقول الخمسة الاجنبية عاما كقوله تعالى وحسر وا سنة
فالغائبة في العدد وفي هذه العبارة الي عبرها نقول قال الزمخشري فيه فايدتان
احداهما ان الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب قاذا قال عاش
فلان الف سنة يمكن ان يتوهم انه لقول الفاسنة تقريبا لا تحقيقا فاذا قال الا خمسين
او الا سنة يزول ذلك التوهم وتفهم منه التحقيق الثانية هي ان ذكر ليبث نوح في قومه
كان لبيان انه صبر كثيرا فالنبي صلى الله عليه وسلم اوتي بالصبر مع فضيلة دعاء
اذا كان كذلك فذكر العدد الذي في اعلى مراتب الاعداد التي لها اسم مفرد موضوع
اوقع فان مراتب الاعداد هي الاحاد الى العشرة والعشرات الى المئات والمئات
الى الالوف بعد ذلك يكون التكثير بالتكرير فيقال عشرة الاف ومائة الف والف
الف المسئلة الثالثة قال بعض الاطباء العمر الانساني لا يزيد على مائة وعشرين سنة والا
تدل هي على ذلك تولم والعقل يوافقها فان البقاء على التركيب الذي في الانسان ممكن لذاته
والا لما بقي وما دام ذاته الموثر فيه ممكن لان الموثر فيه اما واجب الوجود فظاهر
الدوام وان كان غيره فلم يوثر وينتهي الي الواجب وهو دائم فتاثيره يجوز ان يكون
دايما قاذا البقاء ممكن لذاته فان لم يكن فلعارض لكن العارض ممكن العدم والا لما
بقي هذا المقدار لوجوب وجود المانع فظهر ان الامر على خلاف العقل والنقل
ثم نقول لا نزاع بيننا وبينهم لانهم يقولون العمر الطبيعي لا يكون اكثر من مائة وعشرين
سنة ونحن نقول هذا العمر ليس طبيعيا بل هو عطائي الهي واما العمر الطبيعي فلا بد وان
عندنا ولا نحظه فضلا عن مائة سنة او اكثر قوله تعالى فاخذهم الطوفان وهم ظالمون فيه اشارة
الى لطيفة وهي ان الله تعالى لا يعذب على مجرد وجود الظلم
والا لعذب من ظلم وتاب فان الظلم وجد منه وانما يعذب على الاصرار على الظلم فقوله
وهم ظالمون يعني هلكهم وهم على ظلمهم ولو كانوا تركوه لما اهلكهم قوله فاحييناه
واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين في الصبر فجعلناها وجهان احدهما
انها راجعة الى السفينة المذكورة وعلى هذا ففي كونها اية وجوه احدها انها اتخذت
قبل ظهور الماء قولا لاعلام الله تعالى نوحا واياه اياه مما اشتغل بها فلا تحصل
لهم النجاة الثاني ان نوحا عليه السلام امر باخذ قوم معه ورفع قرار من القوت والبر
العظيم لا يتوقع احد قصوره ثم ان الماء نضب قبل انقاد الزاد ولولا ذلك لما
حصلت النجاة فهو بفضل الله لا بمجرد السفينة الثالث ان الله تعالى كتب سلامة
السفينة عن الرياح المنخرقة والحيوانات المؤذية ولولا ذلك لما حصلت النجاة
الثاني انها راجعة الى الواقعة او الى النجاة انجعلناها الواقعة او النجاة اية
للعالمين والله اعلم قوله تعالى وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين

تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا
له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ
المبين اعلم ان الله تعالى لما فرغ من الاشارة المجملة نوح عليه السلام ذكر قصة
ابراهيم عليه السلام وفي ابراهيم وجهان من القراءة احدهما النصب وهو المشهور
والثاني الرفع على تحقيق ومن المرسلين ابراهيم والاولى به وجهان احدهما انه منصوب
بفعل غير مذكور ومعنى اذكر اي ابراهيم والثاني انه منصوب بمذكور في قوله
ولقد ارسلنا فيكون كانه قال وارسلنا ابراهيم وعلى هذا ففي الاية مسئلة المسئلة
الاولى قوله اذ قال لقومه ظرف ارسلنا ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله تقوى والا
يكون قبل الدعوة فكيف يفهم قوله وارسلنا ابراهيم حين قال لهم انه كان يكون مرسلا
قبله فيكون الجواب عنه من وجهين احدهما ان الارسال اذا ريد به قد يحال قوله لقومه اعبدوا
الله كان مرسلا وهذا كما يقول القائل وقتنا الامر اذا خرج من الدار وقد يكون الوقوف
قبل الخروج لكن لما كان الوقوف ممتدا الى ذلك الوقت صح ذلك الوجه الثاني هو
ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بمجرد هداية الله اياه كان يعلم فساد قول المشركين
وكان يجد بهم الى الرشاد قبل الارسال لما كان مشتغلا بالدعاء الى الاسلام ارسله الله
تعالى بقوله اعبدوا الله واتقوه اشارة الى التوحيد لان التوحيد اثبات الاله
ونفي غيره فقوله اعبدوا الله اشارة الى الاثبات وقوله واتقوه تنبيه اشارة الى
نفي الغير لان من يشرك مع الملك غيره في ملكه قد اتى باعظم الجرائم ويمكن ان يقال
اعبدوا الله اشارة الى الاثبات بالواجبات وقوله واتقوه اشارة الى الاجتناب عن
المحرمات ثم يدخل في الاول الاعتراف بالله وفي الثاني الاجتناب عن الشرك ثم قال ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون يعني عبادة الله وتقواه خير لا مركذلك لان خلاف عبادة
الله تعطيل وخلاف تقواه تشريك وكلاهما شر عقلا واعتبارا اما عقلا فلان الممكن
لا بد له من موثر لا يكون ممكنا قطعا للتسلسل وهو واجب الوجود فلا تعطيل اذ لنا
اله واما التشريك فتعطيله عقلا وكونه خلاف خيرا بوان شريك الواجب ان لم
يكن واجبا فكيف يكون شريكا وان كان واجبا لزم وجوب واجبين فيشتركان في الوجوب
ويتباينان في الالهية وما به الاشتراك غير ما به الامتياز فيلزم التركيب فيهما فلا
يكونان واجبين لكونهما مركبين فيلزم التعطيل واما اعتبارا فلان الشرك
لم يكن علكا او قريبا علك لكن الانسان لا يكون ملكا للسموات والارضين فاعلا
درجاته ان يكون قريبا الملك لكن القرب بالعبادة كما قال تعالى واسجد واقترب
وقال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل لا يزال العبد يتقرب الي بالعبادة
الى ان اجعله المعطل لاملاك ولا قريب لعدم اعتقاده بملك فلا مرتبة له اصلا واما التشريك
فلان من يكون سيده لا نظير له لا مرتبة له كمن يكون سيده له شركاء متشاكسون فاذا
من يقول ان ربي لا يبالي بشيء اعلا مرتبة ممن يقول لسيدي صنم معبود تاجر مرتاد تدبر
ان عبادة الله خير وتقواه خير وهو خير لكم اي خير للناس ان كانوا يعلمون ما ذكرنا

من الدلايل والاعتبارات ثم قال تعالى انما تعبدون من دون الله اوثانا اذكر بطلان تعظيمهم
بايلغ الوجوه وذلك لان المعبود انما يعبد لاحد امور اما لكونه مستحقا للعبادة لذاته
كالعبد يخدم سيده الذي اشتراه صونا لطعمه من الجوع او منعه من الهجوع واما لكونه نافعا
في الحال كمن يخدم غيره ليوصله اليه كالمسجد باجرة واما لكونه نافعا في المستقبل لكن
يجلهم غيره منتظرا منه امرا في المستقبل واما لكونه حائلا بقياسه تعالى ابراهيم عليه
الصلاة والسلام انما تعبدون اوثانا اشارة الى انها لا تستحق العبادة لذاتها
لكونها اوثانا منحوتة لا نشرفها وقوله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا اشارة الى عدم المنفعة في الحال وفي المآل وهذا لان النفع اما في الوجود
او في البقا لكن ليس لهم في الوجود نفع لان وجودها منكم حيث تخلقونها وتنحتونها
ولا نفع في البقا لان ذلك بالرزق وليس لهم ذلك فان ذلك كله حاصل من الله فابتغوا
عند الله الرزق فقوله الله اشارة الى استحقاقه لعبوديته لذاته وقوله الرزق اشارة الى حصول النفع منه عاجلا وفي الآية مسايل المسئلة
الاولى قال لا يملكون لكم رزقا نكرة وقال ابتغوا عند الله الرزق معرفا فما الفايدة
فنقول قال الزمخشري قال لا يملكون لكم رزقا لكم نكرة في معرض النفي اي لا رزق
عندهم اصلا وقال معرفة عند الله اي كل الرزق عنده فاطلبوه منه
وفيه وجه اخر وهو ان الرزق من الله معروف بقوله وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها والرزق من الاوثان غير معلوم فقال لا يملكون لكم رزقا لعدم حصول
العلم به وقال ابتغوا عند الله الرزق الموعود به ثم قال واعبدوه اي واعبدوه
لكونه مستحقا للعبادة لذاته واشكروا له اي لكونه سابغ النعم بالخلق واصلها بالرد ق
اليه ترجعون اي فاعبدوه لكونه مرجعا منه ينتفع الخير لا غير ثم قال تعالى وان
تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين فما فرغ من بيان
التوحيد اتى بعبده بالتهديد فقال وان تكذبوا في المخاطب في هذه الآية وجهان
احدهما انهم قوم ابراهيم والآية حكاية عن قومه كان عليه الصلاة والسلام قال
لقومه ان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم واتانا بآية عما على من التبليغ قال الرسول
ليس عليه الا البلاغ والبيان الثاني انه حكاية مع قوم محمد صلى الله عليه وسلم ووجهه
ان الحكايات انما تكون لمقاصد لكونها انشا طيبا لحكاية ولهذا كثيرا ما يقول
لاجل هذه الحكاية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان مقصوده تذكير جمال
من يضحى حتى يخشعوا من التكذيب ويبتدروا حوقا من التعذيب فقال في اثناء حكايتهم
يا قوم ان تكذبوا فقد كذب قبلكم اقوام واهلكوا فان كذبتم احاق عليكم ما جرا
على غيركم وعلى الوجه الاول في الآية مسايل المسئلة الاولى ان قوله فقد كذب
امم كيف يليق مع ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يبلغ الا قومه بل الاقوم بترجح وتمام امة
واحدة والجواب عنه من وجهين احدهما ان تقابل بوجه عليه السلام كان اقوام هم
قوم ادريس وقوم شيث وادم والثاني ان نرجع عليه السلام عاش الفا واكثر فكان

القرن يموت وتجيء اولاده والاباء يوصون الابناء بالاستماع من الاتباع فكان في كل قوم نوح انما
المسئلة الثانية ما البلاغ وما المبين فنقول البلاغ هو ذكر المسايل والابانة هي
اقامة البرهان عليه المسئلة الثالثة الآية تدل على ان تاخير البيان عن وقت
الحاجة لا يجوز لان الرسول اذا بلغ شيأ ولم يبينه لم يات بالبلاغ المبين فلا يكون
اتيا بما عليه والله تعالى اعلم بالصواب قوله تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق
ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق
ثم الله ينشئ النشاة الاخرة ان الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء ويرحم
من يشاء واليه تقلبون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بايات الله ولقايه اولئك يئسوا من
رحمتي واولئك لهم عذاب اليم اعلم انه تعالى لما بين الاصل الاول وهو التوحيد
واشار الى الاصل الثاني وهو الرسالة بقوله وما على الرسول شرع في بيان الاصل
الثالث وهو الحشر وقد ذكرنا ان الاصول الثلاثة لا ينفصل بعضها عن بعض
في الذكر الا ههنا وفي الآية مسايل المسئلة الاولى الاستفهام اما راي بدا الخلق حق
تقال اولم يروا كيف يبدي والله الخلق فنقول المراد العلم الواضح الذي كان كالرؤية
والعاقل يعلم ان البدء من الله تعالى لان الخلق الاول لا يكون من مخلوق والا لكان
الخالق الاول خلقا او لهو هو الله تعالى هذا ان قلنا ان المراد اثبات نفس الخلق
وان قلنا ان المراد باليد خلق الادمي اولا والاعادة خلقة ثانيا فنقول العاقل
لا يخفى عليه ان خالق نفسه ليس الا قادرا حكيما يصور الاولاد في الارحام ويخلقهم من
نطفة في غاية الاتقان والاحكام فذلك الذي خلق اولا معلوم ظاهر فاطلق
عليه ذلك العلم لقط الرؤية وقال اولم يروا اي اولم يعلموا علما ظاهرا واضحا كيف
كيف يبدي الله الخلق خلقه من تراب يجيبه فكذلك يجمع اجزاءه من التراب وينفخ
فيه روحه يلين واسهل بالنشاة الثانية فان من تحت حجارات ووضع بناء تحت بنى
فوقه اخرى قاتبه بقول ومتعه بناء تحت بنى فوقه هذه النوبة اسهل على ان الحجارات
معونة ومعلوم ان ابنية واحدة تفتقر ان تكون تحت الاخرى وعلى هذا المخرج خرج
كلام الله في قوله وهو اهون عليه والبه الاشارة بقوله تعالى ان ذلك على الله
يسير المسئلة الثانية قال اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق خلق الروية بالكيفية
لانا بالخلق ما قال اولم يروا ان الله خلق او بدا الخلق والكيفية غير معلومة فنقول
هذا القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يكن شيأ مذكورا وانه خلقه من نطفة
هي بعد اهين من ماء وتراب وهذا القدر كاف في حصول العلم بامكان الاعادة مثله
المسئلة الثالثة قال في بعيده ان ذلك على الله يسير امر اسمعه مرة اخرى ولم
يقل ان ذلك عليه يسير ثم قال ثم يعيده من غير انه ذكر قبل مع اقامة البرهان
على انه يسير اكده بانه ظهر اسمه فانه يوجب المعرفة ايضا مكون ذلك يسيرا فان
الانسان اذا سمع لفظ الله وفهم معناه انه الحي القادر بذاته كامله لا يعجزه شيء

العالم يعلم محيط بذات كل جسم فاذن الارادة لم يتعلق بجواز الاعادة ثم قال تعالى بعد قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة الاية المتقدمة كانت اشارة الى العلم الحدسي وهو الحاصل من تجريد طلب فقال او لم يروا على سبيل الاستفهام بمعنى استبعاد عدمه وقال في هذه الاية ان لم يحصل لكم هذا العلم فتفكروا في افطار الارض لتعلموا بالعلم الفكري وهذا لان الانسان له مراتب في الادراك بعضهم يدرك شيأ من غير تعليم وآفاقه برهان له وبعضهم لا يفهمه الا بايانة وبعضهم لا يفهمه اصلا فقال ان كنتم امتم من القبيل الاول فسيروا في الارض اي سيروا افكاركم في الارض واجلوا ذهنكم في الحوادث الخارجة عنكم لتعلموا ايدا الخلق وفي الاية مسايل المسئلة الاولى قال في الاية الاولى بلفظ الرؤية وفي هذه الاية بلفظ النظر فما الحكمة فيه نقول الحكم الحسي اتم من العلم الفكري والرؤية اتم من التفكر لان التفكر يفضي الى الرؤية يقال انظر فترايت والمفضي الى الشيء دون ذلك الشيء فقال في الاولى ما حصل لكم الرؤية فانظروا في الارض لتحصل لكم الرؤية المسئلة الثانية ذكر هذه بصيغة الامر وفي الاية الاولى بصيغة الاستفهام لان العلم الحدسي حصل فالامر به تحصيل الحاصل وان لم يحصل فلا يحصل بالطلب لانوبا الطلب يصير الحاصل نكريا فيكون الامر به تكليف ما لا يطاق واما العلم الفكري فهو موقوف وروود الامر به المسئلة الثالثة اثبت اسم الله في الاية الاولى بعد البدء حيث قال كيف بدء الله واضمر عنه الاعادة وفي هذه الاية اضمر عند البدء واثبت عند الاعادة حيث قال الله ينشئ النشأة لان في الاية الاولى لم يتبين ذكر الله بفعل حتى يستند اليه البدء فقال ليبدي الله ثم قال ثم قال ثم يعيده كما يقال ضرب زايد عمرا ثم ضرب بكرا ولا يحتاج الى اظهار اسم زيد لكفاية الاول وفي الاية الثانية كان ذكر البدء مسندا الى الله تعالى فاكتفى به ولم يبرزه كقول القايل اما علمت كيف خرج زيد اسمع مني كيف خرج ولا يظهر اسم زيد واما اظهار عند الانشاء ثانيا حيث قال ثم الله ينشئ النشأة مع انه كان يكتفي ان يقول ثم ينشئ النشأة الاخرة فلحكمة بالغة وهي ما ذكرنا ان مع اقامة البرهان يجب ان كان الاعادة فقال الله فظهر اثره البتة في ذهن السامع من اسمه كما قدرته وشموله علمه وتفاذ ارادته فيعترف بوقوع بدئه وجواز اعادته فان قيل فلم لم يقل ثم الله يعيده بعيني ما ذكرت من الحكمة والفايدة فنقول لوجهين احدهما ان الله تعالى يظهر اثر القرب منه وسيرى قوله كيف بدء الله الخلق ليكن بينهما الا لفظ الخلق واما ههنا فلم يكن مذكورا عند البدء فاظهره وثانيهما ان الدليل ههنا تم على جواز الاعادة لان الدليل منحصر في الاتفاق وفي الانفس كما قال تعالى سنريهم ايانتا في الاتفاق وفي انفسهم وفي الاية الاولى اشار الى الدليل المنتشر الحاصل الذي الانسان من نفسه وفي الاية الثانية اشار الى الدليل الحاصل من الاتفاق وتقوله قل سيروا في الارض وعند تمام الدليلان فاكده باظهار اسمه ولما الدليل الاول فاكده بالدليل الاتفاقي فلم يقل ثم الله يعيده المسئلة الرابعة في الاية

الاولى ذكر بلفظ المستقبل فقال ولم يروا كيف يبدي الله وههنا قال بلفظ الماضي فالفاظروا كيف بدأ فنقول الدليل الاول من الدليلين المنفسي الموجب للعلم الحدسي وهو في كل حال يوجب العلم بدء الخلق فقال ان كان ليس لكم علم بان الله في كل حال يبدي خلقا فانظروا الى الاشياء المخلوقة ليحصل لكم علم بان الله بدا خلقا وبحصل المطلوب من هذا القدر فانه ينشئ كما يبدأ ذلك المسئلة الخامسة قال في هذه الاية ان الله على كل شيء قدير وقال في الاية الاولى انه ذلك على الله يسير وفيه فايدتان احديهما ان الدليل الاول من الدليل المنفسي وان كان موجبه العلم الحدسي التام ولكن عند انضمام دليل الاتفاق اليه يحصل العلم العالم لانه يا النظر في نفسه علم نفسه وحاجته الى الله تعالى في وجوده منه وبالنظر الى الاتفاق علم حاجة غيره اليه ووجوده منه فتم علمه بان كل شيء من الله تعالى فقال عند تمام ذكر الدليلين ان الله على كل شيء قدير وقال عند الدليل الواحد ان ذلك سواء نسبة على الله يسير الثانية اثبتنا ان العلم الاول اتم وان كان الثاني اعم وكون الامر يسيرا على الفاعل اتم من كونه مقدورا له بدليل ان القايل ليقول في حق من يجل بالفعل من عادته ان يقدر عليه ولا يقول انه سهل عليه يسير قادر على ان يفعله عشرة اما ليقول ان ذلك عليه سهل يسير فنقول قال الله تعالى اولم يحصل لكم العلم التام بان هذا الامر عند الله سهل يسير وسيروا في الارض لتعلموا انه مقدور وتقرر كونه مقدورا كان في امكان الاعادة ثم قال تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون لما ذكر النشأة الاخرة ذكر ما يكون فيه وهو تعذيب اهل التكذيب عدلا وحكمة واثابة اهل الايمان تفضلا ورحمة وفي الاية مسايل المسئلة الاولى قدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع ان رحمته سابقة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه سبقت رحمتي غضبي فنقول ذلك لوجهين احدهما ان السابق ذكر الكفار فذكر العذاب استوفى شقيه بحكم الايعاد وعقبه بالرحمة كما ذكر بعد اثبات الاصل الاول واثر التوحيد والتعذيب يقوله وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم فذكر التكذيب كذلك ذكر بعد ذكر الاصل الاخر التعذيب بيذكر التعذيب وذكر الرحمة وقع تبعا ليلا يكون العذاب بعد ذكرا وحده وهذا تحقق قوله سبقت رحمتي غضبي وذلك لان الله حيث كان المقصود ذكر العذاب لم يخصه في الذكر بل ذكر الرحمة معه المسئلة الثانية ان كان ذكر ههنا التعذيب العاصي وتفريح المومن فلو قال يعذب الكافر ويرحم المومن لكان ادخل في تحصيل المقصود وقوله يعذب من يشاء والكافر لجواز ان يقول لعلي لا اكون ممن يشاء الله عذابي فتقول هذا ابلغ في التخويف وهذا لان الله تعالى اثبت هذا القانون بسبب شخص ولا بمبتة منه ما تم كان من المعلوم للعباد بحكم الوعد والايعاد انه شاء تعذيب اهل العناد فلزم منه الخوف التام بخلاف ما لو قال يعذب العاصي فانه لا يدل على كمال مشيئته لانه لا يفيد انه لو شاء عذاب المومن لعذبه واذا لو يفيد من هذا تقول الكافر اذا لم يحصل مراده في هذه الصورة يمكن ان لا يحصل في صورة اخرى فلنضرب له مثلا فنقول اذا قبل ان الملك يقدر على ضرب كل من في بلاده وقال ان كل من خالفني

اضربه بحصل الخوف التام لمن يجانفه واذا قيل انه قادر على ضرب المخالفين ولا يقدر على
ضرب المطيعين فاذا قال لمن خالفني اضربه يقع في وهم المخالف انه لا يقدر على ضرب فلان
المطيع فلا يقدر على ايضا لكوني سلطانه وفي هذا فائدة الترهيب والتوقف العام والرجا الخا
ان الامر الكلي من الله تعالى يوجب الجزاء فيقتضي الى صبر وزة المطيع عاصيا المسئلة الثالثة
قال والبية تقتضيون مع ان هذه المسئلة قد سبق اثباتها وتقريرها فلم اعاد فنقول
لما ذكر الله تعالى التعذيب والرحمة حكما فيما قد يكونان عاملين فقال الله تعالى فان
تاخر عنكم ذلك فلا تظنوا انه فات فان اليه اياكم وعليه حسابكم وعنده يدخر ثوابكم وعقابكم
ولهذا قال لقد هداها وما انتم بمعجزين يعني لا تفوتوا الله بل الانقلاب اليه فلا يكون الا
تقلابه وفي تفسير هذه الاية لطايف الاولى هي ان المجاز المعذب عن التعذيب
اما بالهرب منه او بالثبات له والمقاومة له بالدفع وذكر الله تعالى القسمين فقال وما
انتم بمعجزين في الارض ولا في السما يعني بالهرب لو صعدتم الى محل السماء او هبطتم الى
محل السموك في الماء لا تخرجوا من قبضة قدرة الله تعالى فلا مطمع في الاعجاز بالهرب
واما بالثبات فكذلك لان الاعجاز انما يكون بالاستتار او الركون الى شديد يمنع والمكنة
للمعذب مخالفة فيقوته المعذب ويعجز عنه او بالانتصار بقريب يقوم معه بالدفع وقلا هما
محال فانكم ما لكم من دون الله ولي ينفع ولا نصير يدفع فلا اعجاز لا بالهرب ولا بالثبات
الثانية قال وما انتم بمعجزين ولم يقل لا تعجزون بصيغة الفعل وذلك لان نفي الفعل
لا بد له على ما يدل عليه قوله ليس بحياط الثالثة قدم الارض على السما والوجب
عليه الصبر لان هاربهم المكنى في الارض فان كان يقع منهم هرب يكون في الارض ثم ان
فرضنا لهم قوة تميزهم لذلك فيكون لهم صعود في السما فان العاقل ما امكنه الدفع
باحد الطرفين لا يرتقي الى غيره والشفاعة اجمل ولان ما من احد في الشهداء الا ويكون
له شفيع يتكلم في خفقة عن ملك ولا يكون لاحد له ناصر يعادي الملك لاجله
ثم قال تعالى والذين كفروا بايات الله ولقايه يئسوا من رحمتي وهذا يبين تعالى الاصلين التوحيد والا
عادة وقررها بالبرهان وهدد من خالفه على سبيل التفصيل قال والذين كفروا
بايات الله ولقايه اشارة الى الكافر بالله قال الله تعالى في كل شيء اية دالة عليه
وحدانيته فان اشرك كفر بايات الله واشارة الى المنكر للحشر فان من انكره كفر بلقا
الله تعالى ولهذا يئسوا من رحمتي اذكروا اخرجوا القسمين عن محل الرحمة لان من
يكون له مجمقة واحدة يدفع حاجته لا غير يرجم واذا كان له جهات متعددة لا ينفي
محلا للرحمة فاذا جعل لهم الجهة لم يعترفوا بالحاجة الى طريق معين فيئسوا من رحمة
الله ولما انكروا الحشر قالوا للعذاب نائب ناسب بعدهم تحقيق الامر عليهم وهذا كما ان
الملك اذا اراد ان يعذب من يخافني فانكره بعيد عنه وقال هو لا يصل الي فاذا احضر
بين يديه يحسن منه ان يعذبه ويقول لهلا فقدرتي وهاهنا لم لا فاذا تبين ان عدم
الرحمة بناسب الاشراك والعذاب لا يليق بناسب انكار الحشر ان في الاية فوايد
احدها قوله تعالى اولئك لا يئسوا حتى لا يكون حبيبنا حتى حضر الناس فيهم وقال ايضا

واولئك لهم عذاب اليم ما كان يحصل هذه القايدة فان قال قايل لو اكتفى بقوله اولئك
مرة واحدة كان يكفي في افادة ما ذكرتم قلنا لانه لو قال اولئك يئسوا من رحمتي
ولهم عذاب اليم كان يذهب وهم كل احد الى ان هذا الجزء منحصر فيهم فلا يوجد لجميع الامم
ولكن واحد منهم او حيه يمكن ان يوجد في غيرهم فاذا قال اولئك يئسوا من رحمتي واولئك
لهم عذاب اليم افاد ان كل واحد لا يوجد الا فيهم الثانية عند ذكر الرحمة اضافها الى
نفسه فقال رحمتي وعند العذاب لم يضفه لسبق رحمته واعلم ان عباده يعمهم الهم
ولزمهما له الثالثة اضاف الياس اليهم بقوله اولئك يئسوا من رحمتي لخبرها ولواطا
لاحلها لهم فلو قال فاولئك يئسوا من رحمتي بمقابلة الامرين وهما الياس والعذاب بامرين
وهما الكفر بايات الله والكفر بالقا بمقتضى انه لا يكون العذاب الاليم لمن كفر بالله واعترف
بالحشر ان يكون الياس لمن كفر بالحشر وامن بالله فنقول معنى الاية انهم يئسوا ولهم
عذاب اليم زايد بسبب كفرهم بالحشر ولا شك ان التعذيب بسبب الكفر بالحشر لا يكون
الا للكافر بالحشر واما الاخر فالكافر بالحشر لا يكون مؤمنا بالله لان الايمان به لا يصح الا
اذا قصد صدقه فيما قاله والحشر من جملته قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا
اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون وقال
انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين فالاتي
ابراهيم عليه السلام ببيان الاصول الثلاثة واقام البرهان عليه تبقى الامرين من
جانبهم اما الاجابة والاتيان بما يصلح ان يكون جوابه فلم يأتوا الا بقولهم اقتلوه او
حرقوه وفي الاية مسايل المسئلة الاولى كيف سمي قولهم اقتلوه جوابا فنقول الجواب
عنه من وجهين احدهما انه خرج مخرج كلام المتكلم كما يقول الملك لرسوله حصله جوابكم
السيف فح ان السيف ليس بجواب وان صحا لا قايل بالجواب وانما قايل بالسيف فكذلك
قالوا لا تجيبوا عن براهينه واقتلوه او حرقوه الثاني هو ان الله تعالى لما بين متلا
لهم هو انهم لان من لا يجيب بعبره ويسكت لا يعلم انه لا يقدر على الجواب خوان يكون
سكوته لعدم الالتفات اما اذا اجاب بجواب فاسد علم انه قصد الجواب وما قدر عليه
المسئلة الثانية لقايلون الذين قالوا اقتلوه هم قوم والماموريون بقوله اقتلوه
ايضا هم فيكون الامر متقسما على الماموريين فنقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان كل واحد
منهم قال لمن بعداه اقتلوه فحصل الامر من كل واحد وصار الماموريون كل واحد ولا اتحاد
لان كل احد امر غيره وثانيهما ان الجواب لا يكون الا من الاكابر والرؤساء فاذا قال
اكابرهم اقتلوه فقد قال الكل لان اتفاق اهل البلدة على هذا ولا يلتفت الى عدم قول العبيد والاذل
لاذل فكان جواب قومه وهم الرؤساء ان قالوا لاتباعهم واعوانهم اقتلوه او حرقوه
لان الجواب لا يبايشاه الا الاكابر والقتل لا يباشره الا الاتباع المسئلة الثالثة اذا
تذكر بين امرين الثاني منهما يقطعه عن الاول كما اذا قال لزوجه او قرد ونقا لهذا انت
او حيوان يعني ان لم يكن انسانا فهو حيوان ولا يصح ان يقال لهذا حيوان او انسان

اذ يفهم منه ان يقول هو حيوان فان لم يكن حيوانا فهو انسان وهو محال لكن التحريق يشتمل على القتل فقوله اقتلوه او حرقوه كقوله اقتلوا هذا الحيوان او انسان الحيوان عندي وجهين احدهما ان الاشتقاق على خلاف ما ذكرتم يابى يكون اسما لا يعيش بل كان يقول القايل اعطيته دينارا او دينارين وكما يقول القايل اعطيته دينارا لا دينارين فقال الله تعالى فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فانتقصه او انتقص منه قليلا او زد عليه فكذلك ههنا قالوا اقتلوه او زيدوا على القتل وحرقوه الجواب الثاني هو ان نسلم ما ذكرتم والامر هاهنا كذلك لان التحريق فصل بفصيلة القتل وقد تختلف عدة القتل فان من القي غيره في النار حتى احترق جلده باشره واخرج سهما حيا يصح انه يقال احترق فلان وانحرق فلان وما مات فكذلك ههنا قالوا اقتلوه ولا تفعلوا اقتلوه وعذبوه بالنار اذ ترك تعالى له فجعلوا سبيله فان اصر فجعلوه في النار تعذيبا له ثم قال الله تعالى فانجاه الله من النار اختلف في كيفية الانجاء بعضهم قال برد النار وهو الاصح الموافق لقوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما وبعضهم قال خلق الله تعالى في ابراهيم كيفية استبرد معه وقال بعضهم نزل ابراهيم عليه السلام محلي ما ولد والنار على ما كانت عليه ومنع اذية النار عنه والكل ممكن والله تعالى قادر عليه وانكر بعض الاطباء الكل اما سلب الحرارة عن النار قالوا الحرارة في النار ذاتية كالزوجية في الاربعة لا يمكن ان يفارقها ولما خلق كيفية تستبرد النار قلنا المزاج الانساني له طرفا تفريط فاذا ان خرج عنهما لا يبقى انسانا ولا يعيش مثلا المزاج ان كان البارد فيه عشرة اجزاء يكون انسانا فان صار احد عشر لا يكون انسانا وان صارت الاجزاء البادرة خمسة يبقى بيقين انسانا فان صارت اربعة لا يبقى انسانا لكن الحكم البرودة التي تستبرد بها النار مزاج المسمد بل لو حصل في الانسان لمات او لكان ذلك فان النفس تابعة للمزاج واما الثالث فمحال ان تكون القطنة في النار والنار كما هي والقطنة كما هي ولا تحترق تنقول الاية رد عليهم والعقل يوافق النقل اما الاول فلوجهين احدهما ان الحرارة في النار تقبل الاشتداد والضعف فان النار في الفحم اذا انفخ فيه تقوى بشدة حتى يذيب الحديد وان لم ينفخ لا تشتد لكن الضعف مع عدم بعض الحرارة كانت في النار فان امكن عدم البعض حتى ان بذلك وجبها الجانب اليمين اكيد لا يوذي الانسان ولا كذلك الزوجية فانها لا تشتد ولا تضعف والثاني ان في سوال في اصول الطب ذكر ان النار لها كيفية حرارة كما ان اماله كيفية بادرة لكن رايتنا الزاما تزول عنه البرودة وبرهانه كذلك النار تزول عنها الحرارة وتبقى نارا وبرهانه تحرق واما الثاني فايضا ممكن وقولهم مدفوع من وجهين احدهما منع اصلهم من كون النفس تابعة للمزاج بل الله قادر على ان يخلق النفس لانسانية في المزاج الذي مثل مزاج الجمرة وثانيهما ان نقول على اصلكم لا يلزم المحال لان الكيفية التي ذكرناها تكون في ظاهر الجلد كالاجزاء الرديئة عليه ولا تتادى الى القلب والاعضاء الرئيسة الاترى ان الانسان اذا امس الجمر زمانا ثم من حيرة نار لا تنزل له النار في احراق يده

مثل ما تو تر في احراق يد بني اخرج يده من جيبه ولهذا احترق يده قبل يد هذا فاذا جاز ذلك كيفية في ظاهر جلد الانسان يمنع تاثير النار فيه بالاحتراق زمانا فيجوز ان يخلق الله الكيفية لحظة فلحظة حتى لا يحترق واما الثالث فلمجرد استبعاد بيان عدم الاعتبار فمن تسلم ان ذلك غير معتاد لانه مجرد الجواز يكفي ان يكون خارقا للعادة ثم قال تعالى ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون في انجائه من النار وههنا مسايل **المسئلة الاولى** قال في انجاء نوح واصحاب السفينة جعلناها اية وقال ههنا لايات نابجمع لان الاشياء الكثيرة تشمع له العقول فلم يكن فيه من لاية الا سبب اعلام الله تعالى اياه بالاتخاذ لوقت الحاجة فانه لولاه لما اتخذه لعدم حصول علمه بما في الغيب وبسبب ان الله تعالى يمكن السفينة من الهملكات كالرياح العاصفة واما الانجاء من النار فعجيب فقال فيه ايات **المسئلة الثانية** قال ههنا ايات للعالمين وقال ههنا لايات لقوم يومنون خص الاول بالمومنين لان السفينة بقيت اعواما حتى مر عليها الناس ورأوها فحصل العلم بها لكل احد واما تبريد النار لعربق فلم يظهر لمن بعده الا بطريق الايمان والتقدير فيه لطيفة وهي ان الله تعالى لما برد النار على ابراهيم عليه السلام بسبب اهنة اية في نفسه وهذا بينة لابناء جنسه وقد قال الله للمومنين يا ايها الذين امنوا في ابراهيم عليه السلام حصل للمومنين بشارة بان الله تعالى يبرد عليهم النار يوم القيامة فقال ان في ذلك التبريد لايات للمومنين **المسئلة الثالثة** قال ههنا جعلناها وهناك تركناها ههنا جعلناه لان السفينة ما صارت اية في نفسها ولو لا خلق الله الطوفان ليبقى فعل نوح سفينا لله تعالى جعل السفينة بعد وجودها اية واما تبريد النار فصار في نفسه اية اذا وجدت لا يحتاج الجبار الى خلق الطوفان حتى تصير اية ثم قال تعالى وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا الما خرج ابراهيم عليه الصلاة والسلام من النار عاد الى عمله الكفار وبيان فساد ما هم عليه وقال اذا بينت لكم فساد ما هيكم وما كان لكم جواب ولا تر جعرتم عنه فلبس هذا الا تقليد انا تبين بعضكم وبعض مودة فلا يبرى احدكم بفارق صاحبه في السيرة والطريقة او بينكم وبين اباكم مودة وودد تموهم فاخذتم منها تم ولذتم ضلالتم وجهالتم فقوله انما اتخذتم مودة بعني ليس بدليل اصلا وفيه وجه اخر وهو تخويف وهو ان يقال لقوله انما اتخذتم مودة بينكم اي مودة بين الاوثان وعبدتها وتلك المودة هي ان الانسان مشتمل على جسم وعقل وحسه لذات حسمانية وعقله لذات عقلية ثم ان من غلبت عليه الجسمانية لا يلتفت الى لذات العقلية ومن غلب عليه العقل لا يلتفت الى لذات الجسمانية مثلا المحتون اذا احتاج الى قضاء حاجة من اكل او شرب او ازالة ما او غيرها هو لا يلتفت الى صورة ومن بين قوم من لا يرى في مجمع يحصل ما فيه لذة جسمية من الاكل او اراقة الما او غيرهما ولا يلتفت الى لذة العقلية حتى لو غلب لذته الواقعة قوته الدافعة تركه الماسكة وخرج منه ريح او قطرة ما يكاد يموت من الخجالة فالعقل اذا ثبت هذا فنقول لهم كانوا قليلي العقل عديمي الجسمية فلهم

قلم يسع عقلهم فيعبدوه لا يكون فوقهم ولا بينهم ولا بين ايديهم ولا قدامهم ولا وراءهم ولا يكون جسما
من الاجسام ولا شيئا يتخيل في الاوهام وراء الاجسام المناسبة للقالب فيهم مرتبة توروها
وتحاذيهم الاوثان كان مودة بينهم وبين الاوثان ثم قال تعالى ثم يوم القيامة يكفر
بعضكم ببعض يعني يوم يتبرأ بعضهم من بعض والمعنى ان الاثر للسبب والعقل يكفر بعضكم ببعض
ويعلم فساد ما كان عليه فيقول العاقل ما هذا معبود بعد ويقول المعبود ما كنا عابدين
ويكفر بعضكم بعضا بقول هذا كذلك انت اوقعتني في العذاب حيث اوقعتني
عبدتني ويقول كذلك انت اوقعتني فيه حيث اضللتني بعبادتك ويريد
كل واحد ان يبعد صاحبه باللعن ولا يتبرأ عدو من وليه محتقرون في النار كما كانوا
مجتمعين في هذه الدار كما قال تعالى ومأواكم النار ثم قال تعالى وما لكم من ناصرين
يعني ليس لكم ناصر ينجيكم من النار مثل ناصركم الذي انجاه الله تعالى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ونصره
وانتم في النار ولا ناصر لكم وههنا مسائل المسئلة الاولى قال الفقيل ههنا وما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير على لفظ الواحد وقال ههنا على لفظ الجمع وما لكم من
ناصرين والحكمة فيه انهم لما اراد وا احراق ابراهيم عليه الصلاة والسلام قالوا
حتى ننصر الهتنا كما قال تعالى عنهم حرقوه وانصروا الهتكم فقالوا انتم ادعيتم ان لهؤلاء
ناصرين فما لكم كلكم ايها الاوثان وعبدتها من ناصرين واما هتان ما سيق من دعوى
الناصرين فنفى الجنس لقوله ولا نصير المسئلة الثانية قال لهتان ما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير وما ذكر الولي ههنا فنقول تدبيبنا ان المراد بالولي
الشفيع يعني ليس لكل شافع ولا نصير دافع وههنا لما كان الخطاب دخل الاوثان
فيه اي عبدتكم لكم ايقل شفيع لانكم كنتم عترفين وان كلهم ليس بهم شافع كما يتهم
كانوا يدعون ان الهتهم شفعا والشفيع لا يكون له شفيع فما بقي تحتهم الشفيع
لحرص الحاجة الى نفسه لاعترافهم به واما هتان كان الكلام معهم وهم كانوا يدعون
لانفسهم شفعا فنفى المسئلة الثالثة قال لهتان وما لكم من دون الله فذكر على
معنى الاستثناء فيفهم ان يكون لهم ناصر وولي هو الله تعالى وليس لهم غيره ولي وناصر
وقال ههنا ما لكم من ناصرين من غير استثناء فنقول كان ذلك واردا على تهم
في الدنيا فقال لهم في الدنيا انكم لا تظنون انكم تعجزون الله فما لكم احد ينصركم بل
الله تعالى ينصركم ان تتبعوا فتوبوا ناصر معدني اردتم استنصرتموه بالتوبة وهنا يوم
القيامة تحاقال تعالى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويعد الناصرين عام لان
التوبة في ذلك اليوم لا تقبل فسواء تابوا اولم يتوبوا لا ينصرهم الله ولا ناصر لهم غيره
فلا ناصر لهم مطلقا والله الموفق ثم النصير قوله تعالى فآمن له لوط وقال اني
مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين قوله فآمن
له لوط يعني لما راى لوط عليه السلام معجزته امن وقال ابراهيم اني مهاجر الى ربي
اي الى حيث امرني ربي بالتوجه اليه انه هو العزيز الحكيم عزيز يمنع اعدائه عن ايذائي

بعزته وحكيم لا يأمرني الا بما يوافق لكمال حكمته وفي الاية مسائل المسئلة الاولى
قوله فآمن له لوط اي بعد ما رأى منه المعجز القاهر ورجحه لوط عليه السلام كانت
عالمة وتفاوته الى هذا الوقت ما يقتضي تلك الرجحة الا ترى ان ابا بكر الصديق رضي
الله تعالى عنه ما قبل دين محمد صلى الله عليه وسلم وكان يبصر القلب قبل النقل
من غير سماع كلام الله ولا رؤية انشقاق القمر فنقول لوط عليه السلام كان يرى
معجزة ابن بر سالته واما بالوحدانية فقد جيء سمع حسن تعالى الله وايه اشار
بقوله فآمن له لوط المسئلة الثانية ما تعلق قوله وقال اني مهاجر الى ربي بما تقدم
فنقول لما بالغ ابراهيم عليه السلام في الارشاد ولم يهتد قومه وحصل التباين
الكلي حيث راى القوم الاية الكبرى ولم يرشدوا وجبت المهاجرة لان الهادي اذا
هدي قومه ولم ينتفعوا اقتداه فيهم مقصورة لانه اذا قام على الارشاد كان
اشتغالا لا عما لا ينتفع في عمله بتصير كمن يقول للحجر صدق وبر حبت او يسكت دليل الرد
فيقال انه صار متاورضي بما قلنا واذا لم يبق للاقامة وجه وجبت المهاجرة
الى الرب يوم الجمعة فنقول قوله مهاجر الى حيث امرني ربي في الاخلاص كقوله الى
ربي لان الملك اذا هدد رجلا من امر برواح الاجنا الى الموضع القلاني ثم ان واحدا منهم
سار اليه لغرض نفسه تقول هاجر الى حيث امر الملك لكن لا تخلص الوجه فقال مهاجر
الى ربي يعني يوجهني الى الجهة التي امرني بالهجرة اليها لس طلبا للجهة انما مرطالب ربه
تعالى ثم قال تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتا
وقد ذكرنا في تفسير قوله تعالى لتكفرن عنكم سياتكم ولنجزينهم ان الرحمة الله
تعالى ليرجى امرين في الامان عن سوء العذاب والاستحقاق بحسن الثواب وهذا واصل اليه
المومن في الدار الاخرة فطاعيكم وعد الله تعالى بنفي العذاب عنه لتقبيه الشرك والباطل
الثواب لاشائبة الشر واحد ولكن هذا ليس بواجب الحصول في الدنيا فان كثيرا ما يكون
الكافر في رغد والمومن جايع في بؤسه ومتكدر في امر فلذلك ما مطلوبان في الدنيا واما
دفع العذاب العاجل فلانه ورد في دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقنا عذاب
النار وعذاب القبر اشارة الى دفع العذاب العاجل في قوله ربنا اتنا في
الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة اذا علم هذا فنقول لما ان ابراهيم عليه السلام لما
اتى ببيان التوحيد ولا دفع عنه عذاب الدنيا وعذاب النار لما اتى به مرة بعد مرة
بعد مرة مع اصرار القوم على التكذيب واضرارهم به بالتعذيب اعطي الحزا الاخرة
وبر الثواب العاجل وعده عليه بقوله ووهبنا له اسحاق ويعقوب وفي الاية
لطيفة وهي ان الله تعالى بدل جميع احوال ابراهيم في الدنيا باضدادها لما اراد القوم
تعذيبه بالنار كان وحيدا فرزقه الله ولدا وحدته بالكثرة حتى ملا الدنيا من ذريته
ولما كان اولا فقيرا وقاربه الفقر بتية ضالين من ضلالهم ان رزقهم الله تعالى
يا قارب مهتدين هادين ومن ذريته الذين جعل النبوة والكتاب فيهم وكان اولا
لا حياه له ولا مال وها عانية اللذة الدنيوية اتاه الله تعالى من المال والجاه فكثر

ماله حتى كان له من المواشي ما علم الله عدده حتى قيل انه كان له اثنا عشر الف حارس باطواق
من ذهب ولما الجاه وصار رحيبا يفتر ان الصلاة تجليه بالصلاة وعلى سائر الانبيا الى يوم
القيامة وصار معروفا بشيخ المرسلين بعد ان كان خاملا حتى قال لقابلهم سمعنا فيما نذكره
بقال له ابراهيم وهذا الكلام لا يقال الا في مجهول بين الناس ثم ان الله تعالى قال وآتيناه
في الاخرة من الصالحين يعني ليس هذا في الدنيا فحسب بل يكون لمن تقدم له ثواب حسناته او
اجل له استدراجا ليكثر من سيآته فيأخذه بغتة وله في الاخرة ثواب الرسالة
وكونه من الصالحين فان كون العبد صالحا على مراتبه كما بينا ان الصالح هو الباقي
على ما ينبغي فيقال الطعام بعد صالح اي مرتفق على ما ينبغي ومن بقي على ما ينبغي لا يكون
في عذاب ويكون له محل ما يرتبه من حسن ثواب وفي الاية مسئلتان **المسئلة الاولى**
ان اسماعيل عليه الصلاة والسلام كان من اولاد الصالحين وكان قد استسلم لامر
الله بالذبح وانقاد لحكم الله فلم يذكر بقيتاله ولم يذكر في قوله وجعلنا في ذريته
النبوة ولكن لم يصرح باسمه لانه كان مراده تبيين فضله عليه بهبة الاولاد والاحفاد
فذكر من الاولاد واحدا ومن الاكبر من الاحفاد واحدا ومن الاظهر كما يقول القائل
ان السلطان في حديقته الملوك والامراء القلاني والامير القلاني ولا يعد داخل
لان ذكر الواحد لبيان الجنس لا يخصوصه ولو ذكر غيره لم يعد عنه التعديد ولا
ستيعاب الكل بالذكر فيظن انه ليس معه غيره **المسئلة الثانية** الله
تعالى جعل في ذرية النبوة احاينة لرعايه والذي يستحب منه ان يسوي بين ولديه
فكيف صارت النبوة في ولد اسحاق اكثر منها في اولاد اسماعيل فنقول الله تعالى
قسم الزمان من وقت ابراهيم الى القيامة نصفين والناس جمعين والقسم الاول الى الزمان
بعث الله تعالى فيهم انبياء فيهم لقنا بل حجة وجاء وانتزى واحد بعد واحد ومجتمعين في عصر
واحد لهم من ذرية اسحاق عليه الصلاة والسلام والقسم الثاني من الزمان اخرج من
ذريته ولده الاخر من اسماعيل عليه الصلاة والسلام واحدا جمع ما كان فيهم وا
رسله الى كافة الخلق وبشر مولانا وسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وجعله
خاتم النبيين وقدر ام الحق تعالى دين اولاد اسحاق اكثر من اربعة الاف سنة ولا
يبعد ان يبقي الحق تعالى دين ذرية اسماعيل مثل ذلك القدر والله تعالى اعلم
قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد
من العالمين اينكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم
المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من
الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين الاعراب في لوط والتقدير
كما ذكرنا في قولهم ابراهيم اذ قال لقومه وههنا مسائل **المسئلة الاولى** قال
ابراهيم لقومه اعبدوا الله وقال عن لوط ههنا انه قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة
فنقول لما ذكر الله تعالى لوطا عند ذكر ابراهيم كان لوط في زمان ابراهيم عليه السلام
لم يؤمر لوط انه امر قومه بالتوحيد مع ان الرسول لا ينزله من ان يقول ذلك فنقول

حكاية لوط وغيرها هاهنا ذكر الله تعالى على سبيل الاختصار ما قد ذكر على ما اخترعه لوط
عليه السلام وسوء المتبع من الفاحشة ولم يذكر عند الامر بالتوحيد انه كان في بوصع لزعيمة قال
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره لان ذلك قد اتى به ابراهيم عليه الصلاة والسلام وسبقه
فصار كالمختص به ولوط عليه الصلاة والسلام بلغ قد من ابراهيم عليه السلام وانما المنع من
عمل قوم لوط كان مختصا بلوط فان ابراهيم عليه السلام لم يظهر ذلك في زمانه ولم يتقدم
منه فذكر كل واحد بما اختص به وتبع غيره **المسئلة الثانية** لم سمي ذلك الفعل فاحشة
نقول الفاحشة هو القبيح الظاهر قبحه ثم ان الشهوة والعقب صفتا قبح لولا المصلحة
ما كان يخلقهما الله في الانسان ومصلحة الشهوة الترجيحية هي بقاء النوع بتوليد الشخص وهذه
المصلحة لا تحصل الا بوجود الولد وبقائه بعد الاب فانه لو وجد ولم يفقد قبل الاب كان
يفنى النوع بنسبة القرن الاول لكن الزنا قضا شهوة لا تقتضي الى بقاء النوع لانا بينا ان
البقا بالوجود وبقا الولد بعد الاب لكن الزنا انما يقتضي الى وجود الولد لكن لا يقتضي
الى بقائه لان المياه اذا اشتبهت لا يقرب الوالد ولده فلا يقوم بتربيته والانفاق عليه
فيضيع ويهلك فلا تحصل مصلحة البقا فاذا الزنا شهوة نتيجة خالية من المصلحة
التي لاجلها حسن فهو قبيح ظاهر قبحه حيث لا تستره المصلحة فهو فاحشة واذا كان الزنا
فاحشة مع انه يقتضي الى وجود الولد ولكن لا يقتضي الى بقائه فاللواطة التي لا تقتضي
الى وجوده اولى ان تكون فاحشة **المسئلة الثالثة** الاية دالة على الحد في اللواطة
لانها مع الزنا اشتركتا في كونهما فاحشة حيث قال الله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة واشتراكهما في الفاحشة يتبع الزجر عنه كما شرع زاجرا عنهما وهذا وان كان
قياسا الا ان جامعه مستفاد من الاية ووجه اخر وهو ان الله تعالى في حمل عذاب من اتى
بهما امطار الحجارة حيث امطر عليهم حجارة عاجلا فوجب ان يعذب من اتى بامطار حجارة
عاجلا وهو الرجم فقوله تعالى ما سبقكم بها من احد من العالمين يحتمل وجهين احدهما ان نعلم
لم يأت بعينا الفتح احد وهذا ظاهر والثاني انا قد علم اتى به واحد في البرية لكنهم
بالغوا فيه فقال لهم ما سبقكم بها من احد كما يقال ان فلانا سبق البخلا في البخل وسبق اللئام
في اللؤم اراد زاد عليهم ثم قال تعالى انكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل بيان
لما ذكرنا بعينه تقترن الشهوة بالرجال مع قطع السبيل للفتا مع التاثم على الصنعة
التي هو بقا النوع حتى يظهر انها قد قبح لم يستر قبحه مصلحة وحينئذ يصير هذا كقوله تعالى
انا تأتون الرجال شهوة من دون النسا بعينا بيان انا شهوة قبيحة شهر بالصنعة
فلكم دافع قبحها لكم المتكرر بعين ما كفاكم قبح فعلكم حتى تتمرنوا اليه الاظهار وقوله فما
كان جواب قومه فيه تقديم وتأخير كقوله في قصة ابراهيم وما كان جواب قومه وفي الاية سايل
المسئلة الاولى انا نقول قوم ابراهيم اقتلوه او حرقوه وقال قوم لوط ايتنا بعذاب الله وما
هددوه مع ان ابراهيم عليه كان اعظم سره من لفظه عليه السلام لانه من قوم ابراهيم
فنقول ابراهيم عليه السلام كان يقدح في دينهم ويشتم الهتهم بتقدير صفات تنقصهم
بقوله لا يبصر ولا يسمع ولا يغني والقدح في الدين صعب عظيم تواطأ العقلا والشرايع

ولوط عليه الصلاة والسلام كان ينكر عليهم ويتهيم الى ارتكاب المحرم وهم ما كانوا يقولون ان
هذا واجب عن الدين قل بصعب تعليم مثل صعب على قوم ابراهيم قوله فقالوا ائتنا بعذاب
هذا حرام والله يعذب عليه ونحن نقول لا يعذب فان كنت صادقا فاتينا بالعذاب فان
قيل ان الله تعالى قال في موضع اخر فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا الوط
من قريتكم وقال ههنا فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا فكيف الجواب فنقول انه
صلى الله عليه وسلم كان قانعا على الاربعة فعكس عليهم التغيير والتهيم والوعيد فقالوا
اولا ائتنا فلما اكثر ذلك منه ولم يسكت عنهم قالوا اخرجوا انتم اذ لوط عليه السلام
لما يئس منهم طلب النصرة وذكرهم بما لا يجب الله فقال رب انصرني على القوم المفسدين
فان الله لا يجب المفسدين حتى ينتصر واعلم انا بينا ان من لا يتبايا من طلب هلاك
قومه الا اذا علم ان عدمهم خير من وجودهم قال نوح عليه السلام انك ان تذرهم
يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا يعني للمصلحة اما انتم حالا او تشتهم مالا اولادا
مصلحة فيهم في الحال فانهم يضلون ولا في المال فانهم يوصون الاولاد من صغرهم بالاتباع
من الاتباع فكذلك لوط عليه السلام لما رايا نهم يفسدون في الحال والاشتغال عا
لا يرجى لهم ولا صلاح يعيد الله يطلب المصلحة حالا وما لا فقد هم صار حتما فطلب
العذاب فقوله تعالى ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه
القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه
واهله الا امرأته كانت من الغابرين ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم
ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين
انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد
تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون لما دعا لوط عليه الصلاة والسلام على قومه
نزل له ربه المنتقم فاستجاب الله دعاءه وامر ملائكة العذاب باهلاكهم وارسلهم مبشرين ومنذرين
فجاءوا ابراهيم عليه السلام وبشروه بذرية طيبة وقالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية
يعنون اهل سدوم وفي الاية لطيفتان احديهما ان الله تعالى جعلهم مبشرين ومنذرين لكن
البشارة اثر الرحمة والانذار بالهلاك اثر الغضب ورحمته سبقت غضبه فقدم
البشارة على الانذار وقالوا انا مهلكوا
اهل هذه القرية الثانية حين ذكروا البشرى بما هلكوه وما قالوا انا نهلك اهلك
رسلا ولنك مومن ولانك عادل وحين ذكروا الاهلاك علموا وقالوا ان اهلها
كانوا ظالمين لان ذا الفضل لا يكون فضله بعوض والعادل لا يكون عذابه الا على
جرم وفيها مسئلتان احديهما لو قال قايل اي تعلق لهذه البشرى بهذا الانذار
فنقول لما اراد الله تعالى اهلاك قوم وكان بينه احد الارض عن العباد قدم على
ذلك اعلام ابراهيم عليه الصلاة والسلام باية بملا الارض من العباد الصالحين
حتى لا يتاسف على اهلاك قوم من اباء جنسه الثانية قال في قوم نوح فاخذهم
الطوفان وقد علمت ان ذلك اشارة الى انهم كانوا على ظلمهم لم تحن احتهم فلم يقبل

فاحتهم وهم كانوا ظالمين وههنا قالوا ان اهلها كانوا ظالمين ولم يقبلوا وانتم ظالمون لو اهلكوه
فنقول فرق في الموصفين بين كونهم مهلكين وهم مصرون على الظلم لكن هنا ان الاخبار
من الله تعالى الماضي حيث قال فاحتهم وهم فقال فاحتهم وهم عند الوقوع في العذاب
ظالمون وههنا الاحيا وعن الملايكة عن المستقبل حيث قالوا انا مهلكوا فالملايكة
ذكروا ما يحتاجون اليه في اية حسن الامر من الله تعالى على الاهلاك فقالوا انا مهلكوا
لان الله تعالى امرنا وحاكما امرتا به كانوا ظالمين فحسن امر الله عند كل احد واما نحن
فلا خبر لنا الا حاجة لنا اليه فان الكلام عن الملك بغير اذنه سوء ادب فنحن ما احتجنا
الا الى هذا القدر وهو انهم كانوا ظالمين حيث امرنا الله تعالى باهلاكهم بيانا لحسن الامر
واما انتم ظالمون في وقتنا هذا وبيقون كذلك فلا حاجة لنا اليه ثم ان ابراهيم عليه
السلام بعلم ان الله تعالى لا يهلك قوما وفيهم رسولهم فقال تعجبا ان فيها لوطا
فكيف يهلكون فقالت الملايكة نحن اعلم بمن فيها بيانا ان لوطا نجيه وانجيه واهله
الا وهذا لبيان قانين وههنا طريقة وهي ان الجماعة كانوا اهل الخير اعتبا براهيم
والملايكة وكل واحد كان يزيد على صاحبه وفي كونه خيرا اما ابراهيم فلما سمع قول
الملايكة انها مهلكوا اظهر الاشفاق على لوط وتبي نفسه وما بشروه ولم يظهر رضا
فرحا وقالوا ان فيها لوطا ثم ان الملايكة لما راوا ذلك منه زادوا عليه وقالوا انه
ذكرت لوطا وحده ونحن ننجيه وننجي معه اهله واستثنوا من اهله امرأته وقالوا انها كانت
من الغابرين اي من المهلكين وفي استعمال الغابرين في المهلكين وجهان وذلك لان الغابر
لفظ مشترك في الماضي وفي الباقي يقال فيما غبر من الزمان اي فيما مضى ويقال للعقل
ماض وغابر اي باق على الوجه الاول نقول ان ذكر الطاهرين سبق في قولهم انا مهلكوا
اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين ثم جري ذكر لوط بتذكير ابراهيم عليه السلام
وجواب الملايكة فقالت الملايكة انها من الغابرين اي من الماضين ذكرهم لاسى الذين
بخاهم ان تقول المهلك لا يبقى ويمضي زمانه والتانيث على الباقي فقالوا انها من الغابرين
اي من الراجعين الماضين لان الماضين المستمرين واما على الوجه الثاني نقول لما
قضى الله على القوم الهلاك كان الكل في الهلاك الا من يجي منه فقالوا انا ننجي لوطا
واهله واما امرأته فهي من الباقين في الهلاك ثم قال الله تعالى ولما ان جاءت رسلنا
لوطا ثم اتهم من عند ابراهيم جاءوا الى لوط على صورة البشر فظنهم بشرا فخاف عليهم من قومه
لانهم كانوا يرون على احسن صورة خلق الله تعالى والقوم كما عرف حالهم فسيء بهم اي جاءه ما ساءه
فخاف لم تجز فيه تدبيرهم فحزن وضاق بهم ذرعا كناية عن العجز يقال ضاق ذرعه بكذا
فلان اطال ذرعه وذراعه قادر وضاق ذرعه عاجز وذلك لان من طال ذراعه يصل
الى ما لا يصل اليه قصير الذراع والاستعارة تحتمل وجوها متغولا عن ذلك ومعنى الهوف
والحزن بوجبان انقباض الروح وتبعيه اشتمال القلب عليه فيقبض من رضا
والقلب سو التعبير من الاستانة وكان الاستانة انقباض والجمع وما يكون كذلك
يقال ذرعه وساحته فيضيق ويقال في الحزن ضاق ذرعه والغم يوضان

انبساط الروح فينبسط مكانه ويرحب ويتسع فيقال انشرح ذرعه ثم ان الملايكة تمادوا في
في قولهم لا تخف ولا تحزن بسبب تقريرهم في ثباتي الامر قالوا لا تخف علينا ولا تحزن بسبب الكفر
الفكر في امرنا ثم ذكروا ما يوجب زوال الخوف والحزن فان تجرد قول القائل لا تخف لا يوجب
زوال الخوف فقالوا لو امرضنا بين يديك انا مبعوث واهلك وانا منزلون على اهل هذه القرية العذاب حينئذ
لهذا تم الملايكة ينبطون لذرعه ويزول رعبه وفي الاية مسايل المسئلة الاولى انه تعالى
قال بعد قبل ولما جاءت رسلنا ابراهيم وقال ههنا ولما ان جاءت رسلنا لما الحكمة فيه فنقول
حكمة بالغة وهي ان الواقع وقت المجيء هناك قول الملايكة انا مهلكو اهل هذه القرية
بمجيئهم لانهم بشروا اولا وليتوا ثم قالوا انا مهلكو اوبطلا قالثاني والثالث بعد المجيء ثم
بعد الاخبار عن الاهلاك حسن فان من جاء وقعه خبرها يجيئ منه ان لا يفاجئ به
والواقع ههنا موجوف لوط عليهم والمؤمن حين يتبع عجزة تفضل بريا من الجناية ينبغي
ان يحزن ويخاف عليه من غير تاخير اذا علم هذا فقوله ههنا ولما ان جاءت رسلنا
يفيد الاتصال بعيني حاف حين المجيء قالت ان هنا باطلا يا ان هذه الحكاية
جاءت في هود وقالت ولما جاءت رسلنا لوطا من غير ان يقول هناك جاءت حكاية ابراهيم
بصيغة اخرى حيث قال هناك ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى فقوله عليه الصلاة
والسلام هناك فذكر حاصل ما ذكرنا من المقصود بقوله في حكاية ابراهيم بالبشرى ثم
جرى امورين الكلام وتقديم الطعام ثم قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم فحصل
تاخيرا لانذار وقوله في حكاية لوط ولما جاءت رسلنا حصل بيان تعجيل الحزن واما
ههنا لما قال في قصة ابراهيم ولما جاءت قال في حكاية لوط ولما ان جاءت لما ذكرنا
من القاعدة المسئلة الثانية قال ههنا انا منجوك واهلك وقال لابراهيم لننجينه
بصيغة الفعل فهل بينه فايدة قلنا ما من حرف ولا حركة في القرآن الا وبينه فايدة
ثم ان العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل الى اكثرها وما اوتوا البشر من العلم الا قليلا
والذي يظهر لحقير المضعيف ان هناك لما قال لهم ابراهيم ان فيها لوطا وعدوه بالتنجية
ووعد الكريم حتم فيها هناك لما قالوا للوط وكان ذلك بعد سنين لوعدة مرة اخرى
قالوا انا منجوك اي ذلك واقع متاكد لقوله تعالى ذلك تنبيه لضرورة وتنوعه المسئلة
الثالثة قولهم لا تخف ولا تحزن لا يتاسبه انا منجوك لان خوفه ما كان على نفسه
تقول لقيتهما متاسنة في غاية الحسن وهي ان لوطا عليه السلام لما خاف على قومه وحزن
لاجلهم قالوا له لا تخف علينا ولا تحزن لاجلنا فانا ملايكة ثم قالوا له يا لوط نحن
علينا وحزنت لاجلنا فقي مقابلة حزنك الحزن تنزيل حزنه وتجيله دفي
مقابلة خوفك لا تتركك تشفع في اهلك فقالوا انا منجوك واهلك المسئلة الرابعة
القوم معذبون بسبب ما صدر منهم من الفاحشة وامراته لم يصدر منها فكيف كانت من
الغابرين فلم تنقذ الدال على التذكير تصيب كفاعل المذكر كما ان الدال على التانيث كفاعلة
وهي كانت تدل القوم على ضيوف لوط حتى جاءوا بقصدهم وتمم فيها الدلالة صارت واحدة
منهم ثم انهم بعد بشارة لوط بالتنجية ذكروا انهم منزلون على اهل هذه القرية رجزا

من السماء واختلفوا في ذلك فقال بعضهم حجارة وقيل نار وقيل خسف وعلى هذا لا يكون تعذيبه
من السماء وانما يكون الامر بالخسف من السماء والعصابة من السماء ثم اعلم ان كلام الملايكة مع لوط
جرى على نحط كلامهم مع ابراهيم عليه الصلاة والسلام قدموا البشارة على الانذار
حيث قالوا انا منجوك لانك نبي اولا كيد ثم قالوا انا منزلون على اهل هذه القرية ولم
يعللوا التنجية فيما قالوا انا منجوك لانه نبي اولا عاد وعللوا الاهلاك بقولهم بما كانوا
يفسقون وقالوا انا كنا كما قالوا هناك ان اهلها كانوا ظالمين ثم قال تعالى ولقد
تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون اي من القرية فان القرية معلومة وبينها المسافة
وهي بين القدس والكرك وبينها مسايل المسئلة الاولى جعل الله الاية في نوح وابراهيم
عليهما الصلاة والسلام بالنجاة حيث قال فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها
اية وقال فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات وجعلها هنا الهلاك اية فحمل
عند ذلك فيه بيني فنقول ثم اما ابراهيم فلان الاية كانت في النجاة لان في ذلك الوقت
لم يكن اهلاك واما في نوح فلان الانجا من الطوفان الذي على الجبال باسرها امر
عجيب الهي وتابه النجاة وهو السفينة كانت باقية والرزق لم يبق بعده اثره فحمل الباقي
اية واما ههنا فانجاء لوط لم تكن لامر يبقى اثره للمحسوس الهلاك اثره محسوس في البلاد
فحمل الاية الامر الباقي فيها هنا البلاد وهنا السفينة وهاهنا طيفة وهي ان الله
تعالى اية تذرئه موجودة في الانجا والاهلاك قد ذكر في كل باب اية وقدم اية
الانجا لانها اثر الغضب ورحمته سابقة المسئلة الثانية قال في السفينة جعلناها
اية ولم نقل بينة وقال ههنا اية بينة فنقول لان الانجا بالسفينة لا يفتقر الى
اخر واما الاية هاهنا الخسف وجعل ديار معمورة عاليها سافلها وتوابيتي
بحتا دوائما ذلك بارادة قادر مخصصة بمكان دون مكان وفي زمان دون زمان فهي
بينة لا يمكن لجاهل ان يقول ههنا امر يكون كذلك الجبال يقال من اين علمه انه يحتاج
اليها ولو دام الماحي تقدر ادمي كيف كان يحصل لهم النجاة ولو سلط الله عليهم
الريح العاصف كيف كانت احوالهم المسئلة الثالثة قال هناك ايد للعالمين وقال
هاهنا لقوم يعقلون قلنا لان الشفينة موجودة في جميع اقطار العالم فعند
كل قوم مثال السفينة نوح يتذكرون بها حاله واذا ركبوها يطلبون من الله
تعالى ولا يبقى احد بعد السفينة لم يكون دايما مرتجف القلب منتظرا الى الله تعالى
طلب النجاة واما اثر الهلاك في بلاد لوط ففي موضع مخصوص لا يطلع عليها الا من
يمر بها ويصل اليها ويكون له عقل يعلم ان ذلك من الله المريد بسبب اختصاصه بمكان
دون مكان ووجوده في زمان دون زمان والله تعالى اعلم قوله تعالى والى مدين
اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا في
الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين
اعلم انه تعالى لما تم القصة الثانية على وجه الاختصار لغاية الاعتبار شرع
في الثالثة لزيادة الاذكار وقال والى مدين اخاهم فاختلف المفسرون في مدين

فقال بعضهم انه اسم رجل في الاصل فصار له ذرية فاشتهر في القبيلة كتميم وقيس وعنزها وقال
بعضهم اسم ما الب الى القوم اليه فاشتهر في القوم والاول اكثر واصح وذلك لان الله تعالى
اضاف الماء اليهما بين حيث قال فلما ورد ماء مدين ولو كان اسما للماء كانت الاضافة غير صحيحة
او غير حقيقة وقال الخاص لان شعيبا كان منهم نسبا وفي الاية مسائل المسئلة الاولى قال
الله تعالى في نوح ولقد ارسلنا نوحا الى قومه في الذكر وعرف القوم بالاضافة اليه وكذلك
في ابراهيم ولوط وهاهنا ذكر القوم اولا واضاف اليهم اخاهم شعيبا فنقول الاصل في جميع
هذا ان يذكر القوم ثم يذكر الرسول لان الله تعالى لا يبعث رسولا الى غير معين واما
حصل قوم او شخص يحتاجون الى بيان التسل فيرسل اليهم من يختارهم عيان قوم نوح وابراهيم
ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة محصورة معروفة بها فعرفوا اما بالنبي فقيل قوم
نوح وقوم لوط واما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند
الناس فجرى الكلام على اصله وقال في الجد بن اخاهم شعيبا والى عاد اخاهم هودا المسئلة
الثانية لم يذكر عن لفظ انه امر قومه بالعبادة والتوحيد وذكر عن شعيب ذلك
قلنا قد ذكرنا ان لوطا كان له قوم وهو كان في قوم ابراهيم في زمانه وابراهيم بسنة
بثلاث واجتمعا فيه حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند الخلق من ابراهيم فلم يذكره عن لوط
وانما ذكر عنه ما اختص به من المنع من الفاحشة وغيرها وان كان مرادا بالامر بالتوحيد
اذ ما من رسول الا ويكون اكثر كلامه في التوحيد واما شعيب فكان بعيدا نشأ من
اول بلد القوم فكان مراصلا ايضا في التوحيد فنبه له وقال اعبدوا الله المسئلة
الثالثة الايمان لا يتم الا بالتوحيد والامر بالعبادة لا يفيد الا من يعبد الله ويعبد
غيره ومن يشرك فكيف اقتصر في قوله اعبدوا الله فنقول هذا الامر يفيد التوحيد
وذلك لان من رأى غيره يخدم زيدا وعمرا وهناك وهو اكبر منهما ويخدم زيدا فاذا قال
اخدم عمرا وابتهم منه انه يأمره بصرف الخدمة اليه وكذا اذا كان الواحد بتار
ومرة بيدان يعطيه زيدا فاذا قيل له اعطه عمرا وافهم منه انه لا يعطه زيدا فنقول
هم كانوا مشتغلين بعبادة غير الله والله ما لك ذلك فقال لهم شعيب عليه
السلام اعبدوا الله فافهم منه ترك عبادة غيره او نقول لكل نفس واحدة واراد
وصفها في عبادة غير الله فقال لهم شعيب صفوها في ضمنها وهو عبادة الله
فافهم منه التوحيد ثم قالوا رجوا اليوم الاخر قال الزمخشري افعلوا فعلا من يكون
عاقلا لان لا يكون الفاعل لغيره كمن عاقلا او يكون معناه افعل فعلا من يكون عاقلا
وفيه مسئلتان المسئلة الاولى هذا يدل على صحة مذهبنا فان عندنا من عبد
الله تعالى طول عمره يثيبه الله تعالى تفضلا ولا يجب عليه ذلك لان العابد قد
وصل اليه من النعم ما لو زاد على ما اتى به لما خرج عن عهدة الشكر ومن شكر المنعم على
ما انعم لا يلزم المنعم ان يزيده وان زاده يكون احسانا منه اليه وانعاما منه
عليه فنقول قوله وارجوا اليوم الاخر بعد قوله اعبدوا الله يدل على ان تفضل
الاعلى لا وجوب فان التفضل يرجى والواجب من العاد يقطع به المسئلة الثانية

قالوا ارجوا اليوم الاخر ولم يقل وخافوه مع ان ذلك اليوم يخوف عند الكافرين وغيرهم رجوا
عند كثير من الناس لعفوه وفوزه ومحبته في الدنيا ولا يرجوه الا قليل من عباده فتقول
لما ذكر التوحيد بطريق الاثبات وقال اعبدوا الله ولم يذكر بطريق النفي وما قال لا
تعبدوا غيره قال بلفظ الرجاء لان عبادة الله يرجى منها الخير في الدارين وبنبه وجه
اخر وهو ان الله تعالى حكى في قصة ابراهيم انه قال انكم اتخذتم اوثانا مودة بينكم في
الحياة الدنيا واما في الاخرة فتكفرون بها قال ههنا لا تكونوا كالذين يتخذون منهم يرجوا
اليوم الاخر فانتظروا عاقبة مودة الحياة الدنيا وارجوا اليوم الاخر واعملوا له ثم قال
ولا تعثوا في الارض مفسدين يمكن ان يقال نصب مفسدين على المصدر كما يقال لقيته
تاما وتباما ويمكن قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين كقوله القاتل الحابس تعود
لان العتو والفساد بمعنى واحد وجميع الاوامر الواجبة قوله اعبدوا الله وقوله
ولا تعثوا اثر ان قومه كذبوه بعد ما بلغ وبين لهم الله تعالى بعتهم ذلك بقوله ه
فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في ديارهم جاثمين وفي الاية مسائل المسئلة
الاولى ما حكي عن شعيب عليه السلام امر ونهي والامر لا يكذب ولا يصدق فان
من قال لغيره قم لا يصح ان يقول له كذبت فنقول كان شعيب يقول الله واحد قاهر
والخشكابين فارجوه والفساد محرم فلا تفسدوه وهذه الانبياء فيها اخبار فكذبوه بنا
اخبره المسئلة الثانية قال ههنا وفي الاعراف فاخذتهم الرجفة وقال في هود
فاخذتهم الصيحة والحكاية واحدة نقول لا تعارض بينهما فان الصيحة كانت سبب
للرجفة اما رجفة الارض فقيل ان جبريل عليه السلام صاح فتزلزلت الارض من
صيحته واما رجفة الايكة فانه قال فلو يوم اربحت سمها والاضافة اليه السبب
لانها في الاضافة الى سبب السبب اذ يصح ان يقال لدوي فقوب وان يقال شرب
فتوبي في صورة واحدة المسئلة الثالثة حيث قال فاخذتهم الصيحة قال
في ديارهم وحيث قال اخذتهم الرجفة قال في ديارهم فيتنزل المراد من الديار هي للديار
والاضافة اليه الجمع يجوز ان تكون بلفظ الجمع وان تكون بلفظ الواحد اذا امن الالتباس
وانما اختلف اللفظ للطيفة وهي ان الرجفة هائلة في نفسها هائلة فلم يحتج ان تقول انها
الصيحة تغيرها هائلة في نفسها لكن تلك الصيحة لما كانت عظيمة حتى احدثت الزلزلة
في الارض ذكر الديار بلفظ الجمع حتى يعلم هيئتها والرجفة بعين الزلزلة عظيمة
عند كل احد فلم يحتج الى بعض لامرها وقيل ان الصيحة كانت اعم حيث عمت الارض
والهوا والزلزلة لم تكن الا في الارض فذكر الديار هناك عيان هذا ضعيف لان الدار
والديار موضع المجثوم لا موضع الصيحة والرجفة فنقول ما اصبحوا جاثمين الا في ديارهم
قوله تعالى وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم
فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد
جاءهم بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من

خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
قوله وعادا وثمود اي واهلكنا عادا وثمود الاية قوله تعالى فاخذتهم الرجفة وفي
الاعراف اي تدبيرين لكم في مساكنكم الامر وما تغيروا منه ثم بين سبب ما جرى عليهم فقال
وزين لهم الشيطان اعمالهم وقدم من السبيل فقوله زين لهم الشيطان اعمالهم يعني عبادة
غير الله وقدم من السبيل يعني عن عبادة الله وكانوا مستبصرين يعني بواسطة
الرسل يعني لم يكن لهم في ذلك عذر فان الرسل اوضحوا السبيل ثم قال تعالى وقارون
وفرعون وهامان عطفا عليهم اي واهلكنا قارون وفرعون وهامان ثم قال ولقد
جاءهم موسى بالبينات كما قال في عاد وثمود وكانوا مستبصرين اي بما ارسل اليهم ثم
قال فاستكبروا عن عبادة الله وقوله في الارض اشارة الى ما هو ضخم قلة عقلهم
في استكبارهم وذلك لان من في الارض اصعب فسادا من المكلفين ومن في السماء افزاهم
ثم ان من في السماء لا يستكبر عن الله تعالى بالعبادة فكيف من في الارض ثم قال وما
كانوا سابقين اي ما كانوا ليفوتوا الله تعالى ثم بين ما في قوله تعالى
وما انتم بمعجزين في الارض اذ المراد اقطار الارض في قبضته قدرته تعالى ثم
قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ذكر الله تعالى اربعة
اشياء العذاب بالحاصب وبقيل انه كان بحجارة تحمله تقع على كل واحد منهم وتنفذ
من الجانب الاخر وفيه اشارة الى النار والعذاب بالصيحة وهو اسرع فان
الصوت يقتل بسببه قبل خروج الهواء ووصوله الى الصماخ الذي على متقد الاذن وهو
الصماخ فيقرعه فيحسن العذاب بالخسف وهو العمر في التراب والعذاب بالاغراق
وهو بالماء لتحصل العذاب بالعناصر الاربعة والانسان مركب منها فيها قوامه
وبسببها بقاؤه ودوامه فاذا اراد الله هلاك الانسان حمل ما منه وجوده
سببا لعدمه وما به بقاؤه سببا لفنائه ثم قال تعالى وما كان الله ليظلمهم يعني
بظلمهم بالاهلاك وانما ظلموا انفسهم بالاشراك ربنا وجه اخر في اللطف وهو ان الله
تعالى لما كان يظلمهم اي يعاقبهم في غير موضعهم فان موضعهم الكرامة كما قال تعالى
ولقد كرمنا بني ادم لكن ظلمهم انفسهم حيث وضعوها مع شرفهم في عبادة الوثن مع
حسنته قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله
يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس
وما يعقلها الا العالمون لما بين الله تعالى انه اهلك من اشرك عاجلا وعذب من كذب
اجلا ولم يقعه في الدارين معبوده ولم يدفعه عنه ذلك ركوعه وسجوده مثل
اتخاذه معبودا باتخاذ العنكبوت بيتا لا يجيرا ويا ولا يدفع ثلا ويا وفي الاية نكتا
نذكرها في مسائل المسئلة الاولى الحكمة في اختيار هذا المثل من بين سائر الامثال
فنقول فيه وجوه الاول ان البيت ينبغي ان يكون له حايط حايل وسقف مظل وباب
مغلق وانور ينتفع بها ويرتفق فان لم يكن كذلك فلا يدعى مرء بين اما حايط حايل

يمنع من الشروق ومظل يمنع من الحر فان لم يكن حاصل واحد منها فهو كالبيت ليس ببيت
لكن بيت العنكبوت لا يجيرها ولا يكنها كذلك المعبود بباطل اذ يكون منه الخلق والرزق
ودفع المضار فان لم يجتمع هذه الامور قلا اقل من دفع ضرار يدفع فان
من لا يكون كذلك وهو والمعدوم بالنسبة اليه سواء فاذا المحصل للعنكبوت باتخاذ
ذلك البيت من معاني الاولياء بيتي كذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الاوثان اوليا
من دون الله معاني الاولياء بيتي الثاني هو ان اقل درجات البيت ان يكون للظل
فان البيت من الحجر يفيد الاستظلال ويدفع ايضا الهواء والحر والتراب والبيت
من الخشب يفيد الاستظلال ويدفع ايضا الحر والبرد ولا يدفع الهواء القوي ولا الحر
ولا النار والحوائج التي هي للبيت من الستر والحجبة التي من ثوب ان كانت لا تدفع ظل تدفع
حر الشمس لكن بيت العنكبوت لا ظل فان الشمس يشعاعها تنفذ فيه فكذلك المعبود
اعلى درجاته بان يكون نافذ الامر في المعترف ان لم يكن كذلك فيكون نافذ الامر
في العابد فان لم يكن قلا اقل من ان لا يتفذ امر العابد به لكن يعرض عنه تحت تسخيره
ان اراد واصلوه وان اراد واذلوه الثالث ادنى مراتب البيت انه ان لم يكن سببا
ثبات وارتفاق لا يصير سببا شتات وافتراق لكن بيت العنكبوت يصير سببا لتزعجه
فان العنكبوت لو دام في اوتة مدة لا يقصد ولا يخرج منها فاذا نسج على نفسه واتخذ
بيتا ينتفع به صاحب المنزل ينتظف البيت منه والمسح فمسوح المؤذية جسم العنكبوت
فكذلك العابد بسبب العبادة ينبغي ان يرتفق الثواب فان لم يتحقق قلا اقل من ان
لا يستحق بسببها العذاب والكافر يستحق بالعبادة العقاب المسئلة الثانية مثل الله
اتخاذهم الاوثان اولياء باتخاذ العنكبوت نسجه بيتا ولم يمثله بنسجه وذلك لوجهين
احدهما ان نسجه فيه فايدة لولاه لما حصل وهو اصطياد الذباب به من غير ان يقوته
ما هو اعظم منه واتخاذهم الاوثان وان كان يفيدهم ما هو افضل من الذباب بالنسبة
الدنيا لكن يفوتهم ما هو اعظم منها وهو الدار الاخرة التي هي خير وابقى فليس اتخاذهم
كنسج العنكبوت الوجه الثاني هو ان نسجه تفيد اتخاذه ذلك بيتا امر باطل فكذلك
هم لو اتخذوا الاوثان دلا يدل على وجود الصانع وصفاته كما له وبراهين على قدرته كراهة
واوصافه كحياته لكن لما كان حكمة لكن اتخذوهم اولياء يجعل العنكبوت النسج بيتا وكلاهما
باطل المسئلة الثالثة كما ان هذا المثل صحيح في الاول فهو صحيح في الاخر فان بيت
العنكبوت اذا هبت ريح لا يبري منه عين ولا اثر بل يصير هباء منثورا فكذلك اعمال
الاوثان كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا المسئلة الرابعة
قال مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء ولم يقل الهة اشارة الى ابطال الشرك الحقي
ايضا فان من عبد الله رياء لغيره فقد اتخذ وليا غيره فمثله مثل العنكبوت يتخذ نسجه
بيتا ثم قال تعالى وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون اشارة الى ما
بينا ان كل وقيه اما فايدة الاستظلال او غير ذلك وبينه بضعف من افادة ذلك ولانه
يجيء باد ين شيء ولا يبقى منه عين ولا اثر فكذلك اصنامهم لو كانوا يعلمون ثم قال تعالى ان الله

يعلم ما يدعون من دونه من شئ بعبدونه كما يعبدون الله تعالى قال الزمخشري هذا زيادة
تأكيد على التهكم حيث لم يقل ما يدعون من دونه من شئ يعني ما يدعون لبس بشئ البتة وهو عزيز حكيم
كيف يجوز للعاقل ان يترك القادر الحكيم ويشتغل بعبادة ما ليس بشئ اصلا وهذا يفهم
منه اذ جعل ما نافية او موصوفة والعلم متعلق بالحكمة كما يقول لقائل اني اعلم الله واحد
حينئذ يتبين اعلم هذه الحكمة وان كنا نجعل ما جنسية فيكون معناه ما يدعون من شئ فالله
يعلمه ومن العزيز الحكيم قادر على انتقامه واهلاكه لكنه حليم يمهلهم ليكونوا اهلا لانواع
عزيزة والحياة عزيزة ومن ههنا يكون الخطاب مع قوم محمد صلوات الله وسلامه
عليه وعلى هذا الوجه تتعلق هذه الآية بالتمثيل السابق فتقول لهم فاذ
ان مثلهم كمثل العنكبوت فكان الكافر كان يقول انا لا اعتبر هذه الاوثان التي اتخذتها
وهي تحت تسخيري وانما هي صورة كواكب اتخذت تسخيره ومنه تنفعي ومضري وخيري
وشري ووجودي ردي وابي فله سجودي واعتقادي تقول الله تعالى بيان ان الله يعلم كما تعبدونه
من دونه الله هو مثل العنكبوت لان الكواكب والملك وكل ما عدا الله تعالى لا تنفع
ولا تضر الا باذن الله بعبادتكم الغائب كعبادتكم الحاضر ولا تعبدوا الا الله ولا الله
سواه ثم قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس قال الكافرون بضرب خالق الارض
والسموات مثلا بالهوام والحشرات والبعوض والذباب والعنكبوت فقال لا امثال
نضرب بها للناس ان لم يكونوا كالانعام يحصل لكم منه ادراك ما يوجب تعظيمكم اياه انتم فيه
وذلك لان التشبيه يؤثر في النفس تاثيرا مثل تاثير الدليل قال الحكيم لمن
يتهاب الله يا بنية كالملك تالله تهابه لانه وقعت في هذا الرجل وهو غائب لانهم
ما يقرؤه ولا يسمع حتى يجيب لكن يقع في نفسه ويمنعه من ان يعلم ما يفعله ولا يتجرأ عليه
دفعة ان كان بعلمه فيتحرطيقه منه كما ينفر اذا قال له انه يؤثر العقاب ويؤثر
العقاب ثم الله تعالى قال وما يعقلها الا العالمون يعني حقيقتها وكون الامثال
كذلك لا يعلمه الا من حصل له العلم ببطلان ما سوى الله وتسادعبادة ما سواه وبنيه
متى يكون هذا ان العلم الحسي يعلمه العقلاء العلم الفكري الدقيق يعقله العلماء وذلك
لان العاقل اذا اعرض عليه امر ظاهر ادركه كما هو بكنهه لكون المدرك ظاهرا وكون
المدرك عاقلا ولا يحتاج الى كونه عالما بشئ قبله واما الدقيق فيحتاج الى علم سابق
فلا بد من عالم ثم انه قد يكون دقيقا في غاية الدقة فيدركه ولا يدركه بتمامه فينعلم
اذا كان عالما اذا علم هذا فقوله وما يعقلها الا العالمون يعني مضرب للناس مثلا
وحقيقتها وما ينبغي من القرايا شرها لا يدركها الا العلماء قوله تعالى خلق الله
السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمومنين اتل ما اوحي اليك من الكتاب
واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم
ما تصنعون اعلم انه تعالى لما امر المحق بالايمان واظهر الحق بالبرهان ولبيان الكفا
عما امر به ونص عليهم بنصها بنيها عبرة وانذارا لهم بما هلك من عبر وبين ضعف
دليلهم بالتمثيل ولم يهتدوا بذلك الى سوء السبيل وحصل يأس الناس عنهم بقي المومن

بقي له حقق الله السموات والارض الاية يعني انكم انه ان لم يوفقوا لا يؤثر كفرهم شكا في حقه
دينهم ولا يؤثر شكهم في يقينكم فان الله خلق السموات والارض بالحق للمومنين بيانا ظاهرا
وبرهانا باهرا وان لم يؤمن به على وجه الارض كافر وفي الارض تنبيه بها تنبيه
الاية وهذا ان الله تعالى كيف حصر الاية في خلق السموات والارض بالمومنين مع ان
في خلقهما اية لكل عاقل قال تعالى ويقولن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
فقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب
لقوم يعقلون فتقول خلق السموات والارض انه لكل عاقل وخلقهما بالحق اية للمومنين
حسب وبيانه من حيث التقل والعقل اما النقل فقوله تعالى ما خلقناها الا بالحق ولكن
اكثرهم لا يعلمون اخرج اكثر الناس عن العلم بكون خلقهما بالحق مع انه تبت علم الكل باية خلقهما
حيث قال ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واما العقل فهو ان العاقل
اول ما ينظر الى خلق السموات والارض ويعلم انهما حادثتان ومن الله تعالى ثم ان من يجوز الله
تعالى لا يقطع النظر عنهما مجرد ذلك بل يقول انه خلقهما لشئ محكما ومن المراد بقوله بالحق
لان ما لا يكون على وجه الاحكام يفسد ويبطل فيكون باطلا واذا علم الله تعالى خلقهما
متقنا يقول الله تعالى قادر كامل حيث خلق وعالم عليه شامل من حيث اتقن فنقول
لا يعزب عن علمه اجزاء الموجودات في الارض ولا في السماء ولا يعجز عن جمعها كما جمع اجزاء الكاينات
والمبعثات ينجوز بعث من في القبور وبعث الرسول ويعلم وحدانية الله لانه لو كان
الكثرة واجد لفسدتا وبطلتا وهما بالحق موجودان فيحصل له الايمان بتمامه من
خلقها خلقه على احسن نظامه ثم انه تعالى لما سلى المومنين بهذه الاية سلى رسوله صلى
الله عليه وسلم بقوله اتل ما اوحي اليك من الكتاب يعني ان كنت تاسف على كفرهم فاتل
ما اوحي اليك يعلم ان توحادلوطا وغيرهما كانوا اتاهم عليه بالمعجزة الرسالة وبالعجزات
في قامة الدلالة فلم يتعظوا فقومهم من الضلالة والضلال فهذا قال اتل وما قال
عليهم لان التلاوة ما كانت تعبدا بالنسبة الى نبيه صلى الله عليه وسلم
وفي الاية مسايل المسئلة الاولى ان الرسول اذا كان معه كتاب وقرا كتابه مرة ولم
يسمع لا يبقى له فايدة في قراءته في نفسه فنقول الكتاب المنزل مع النبي المرسل كذلك
فان الكتب المنزلة على الرسل على نبيين فتم يكون دينه سلام وكلام على واحد يحصل
بقراءته مرة تمام المرام وتتم يكون فيه قانون كلي يحتاج اليه الرعية في جميع الاوقات
كما اذا كتب الملك كتابا فيه اتاوة فتناول الرسول هذا الكتاب لا يقرا ويقرا بالعلق
من كان عالما وكثيرا ما يكتب شحنته على لوح وتثبت فوق المحاريب ويكون نصب الاعين
فكذلك كتاب الله مع رسوله صلى الله عليه وسلم قانون كلي فيه شفاء الناس فوجب تلا
وتمرة بعد مرة ليبلغ الحجة الناس ويبقى له قرن الى قرن وواحته قوم من قوم ويثبت
في الصدور على شهود الوجه الثاني هو ان الكتب على ثلاثة اقسام كتاب
لا تتكرر قراءته الا للفقير كالتصوف فان من قرا حكاية مرة لا يقراها مرة اخرى الا بعيد
ثم اذا سمعه ذلك لا يقراها الا اخر بسمعه ولو قراه عليه استفهم وسل وكتاب لا يكرر

عليه الا للنفس كالنحو والفقه وغيرهما وكتاب يتلى مرة بعد مرة للنفس وللغير كالمواعظ الحسنة
فانها تكرر للغير وكل من يسمعها يلتذ بها ويرق قلبه ويستفيدها وكلما تدخل السمع تخرج
الوساوس مع الدمع ويكرر ايضا لنفس المتكلم فان كثيرا ما يلتذ المتكلم بكلمة طيبة وكلما
يعيدها تكون اطيب والذ واثبت في القلب وانفذ حتى يكاد يبكي من رقته دما ولو اورثه
البكاء عمي اذا علم هذا فالقران منها القبيل الثالث مع ان فيه القصص والفقه والنحو فكان
في تلاوته في كل زمان فايدة المسئلة الثانية خصص بالامر هذين الشيئين تلاوة
الكتاب واقام الصلاة فنقول لوجهين احدهما ان الله تعالى لما اراد تسلية قلب نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم قال له الرسول واسطة بين طريقين من الله تعالى الى الخلق
فاذا لم يتصل به الطرف الواحد ولم يقبلوه فالطرف الاخر متصل الا ترى ان الرسول
اذا لم تقبل رسالته يتوجه نحو مرسله فاذا تلوت كتابك فتوجه الى اقم الصلاة
لوجهي الوجه الثاني هو ان العبادات المختصة بالعبد ثلاثة قلبية وهو الاعتقاد
الحق ولسانية وهي الذكر الحسن وبدنية خارجية وهو العمل الصالح لكن الاعتقاد
لا يتكرر فان من اعتقد شيئا لا يمكنه ان يعتقده مرة اخرى بل ذلك يدوم مستمرا
والنبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حاصلا له من عيان اكمل مما يحصل عن بيان فلم
يومر به لعدم امكان تكراره لكن الذكر ممكن التكرار والعبادة البدنية كذلك فامره
بهما فقال اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة المسئلة الثالثة كيف تنهى
الصلاة عن الفحشاء والمنكر نقول قال بعض المفسرين المراد من الصلاة القران وهي
تنهى اي فيها النهي عنهما وهو بعيد لان ارادة القران من الصلاة في هذا الموضع
الذي قال قبله اقم الصلاة بعيد عن الفهم وقال بعضهم اراد به نفس الصلاة
وهي تنهى عنهما ما دام العبد فيها لانه لا يمكنه الاشتغال بشيء منهما فنقول هذا
كذلك بعيد لكن المراد ليس هذا والا لا يكون مدخلا كاملا للصلاة لان غيرها
من الاشتغال كثيرا ما يكون كذلك كالنوم في وقته وغيره فنقول المراد ان الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر مطلقا ولهذا قال المفسرون هي التي تكون مع الحضور وهي
تنهى حتى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن المعاصي لم
تزده الا بعدا ونحن نقول الصلاة الصحيحة شرعا تنهى عن الامرين مطلقا وهي التي
اتى بها المكلف لله تعالى حتى لو قصد بها الريا لا تصح صلاته شرعا ويجب عليه الا
عادة وهذا ظاهر فان من نوى بوضوئه للصلاة التبرد قيل لا يصح فكيف من نوى
بصلاته لله وغيره اذا ثبت هذا فنقول هذه الصلاة تنهى من وجوه الاول هو ان
من كان يخدم ملكا عظيم الشان كثير الاحسان ويكون عنده بمنزلة ويرى عبدا من عبيده
قد طرده طردا لا يتصور قبوله فاته الخير حيث لا يرجى حصوله يستحيل من ذلك
المقرب عرفا ان يترك خدمة الملك ويدخل في طاعة المطرود فكذلك العبد اذا صلى
لله تعالى صار عبدا له وحصل له منزلة المصلي يناجي ربه فيستحيل منه ان يترك
عبادة الله ويدخل تحت طاعة الشيطان المطرود ولكن مرتكب الفحشاء والمنكر في طاعة

الشيطان فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الثاني هو ان من يباشر القاذورات كالزبال
والكناس يكون له لباس نظيف اذا لبسه لا يباشر معه القاذورات وكل ما كان ثوبه رافع
يكون امتناعه وهو لابسه من القاذورات اكثر فاذا لبس واحد منهم واحد ثوب ديباج
مذهب يستحيل منه مباشرة تلك الاشياء عرفا فكذلك العبد اذا صلى لبس لباس التقوى
لانه واقف بين يدي الله واضعا يمينه على شماله على هيئة من يقف بمراى ملك ذي
هيبة ولباس التقوى خير لباس تكون نسبته الى القلب اعلى من نسبة الديباج المذهب الى
الجسم فاذا من لبس هذا اللباس يستحيل منه مباشرة قاذورات الفحشاء والمنكر ثم ان الصلاة
متكررة واحدة بعد واحدة فيدوم هذا اللبس فيدوم الامتناع الثالث من يكون امير
نفسه يجلس بحيث يريد فاذا دخل في خدمة ملك واعطاه منصبا له مقام خاص لا يجلس
صاحب ذلك المنصب الا في ذلك الموضع فلو اراد ان يجلس في صف النعال لا يترك فكذلك
العبد اذا صلى دخل في طاعة الله ولم يبق بحكم نفسه وصار له مقام معين صار من
اصحاب اليمين فلو اراد ان يقف في غير موضعه وهو موقف اصحاب الشمال لم يترك لكن
مرتكب الفحشاء والمنكر من اصحاب الشمال وفي هذا الوجه اشارة الى عصمة الله يعني من
صلى عصمه الله تعالى عن الفحشاء والمنكر الرابع وهو الموافق لما وردت به الاخبار وهو
ان من يكون بعيدا عن الملك كالسوقي والمنادي والمتعيش لا يبالي بما يفعل من الافعال
ياكل في دكان الهراس والرواس ويجلس مع اخباء الناس فاذا صار له قربة يسيرة من الملك
كما اذا صار واحدا من الجندارية والقواد والسياس عند الملك لا تمنعه تلك القربة من
تعاطي ما كان عليه بفعله فاذا زادت قربته وارتفعت منزلته حتى صار اميرا حينئذ
تمنعه هذه المنزلة من الاكل في ذلك المكان والجلوس مع اولئك الخلان كذلك العبد
اذا صلى وسجد اولا صار له قربة ما كقوله تعالى واسجد واقترب فاذا كان ذلك
العدل يمنعه من المعاصي والمناهي فبتكرر الصلاة والسجود تزداد منزلته حتى يرى
على نفسه من اثار الكرامة ما يستقذر معه من نفسه الصغاير فضلا عن الكباير
وفي الاية وجه اخر معقول يؤكده المنقول وهو ان المراد من قوله ان الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر هو انها تنهى عن التعطيل والاشراك والتعطيل هو انكار وجود الله والاشراك
اثبات الهة غير الله فنقول التعطيل عقيدة فحشاء لان الفاحش هو القبيح الظاهر القبح
لكن وجود الله اظهر وما من شيء الا وفيه ايات الله ظاهرة وانكار الظاهر ظاهر الانكار
فالقول انه لا له قبيح والاشراك منكر وذلك لان الله تعالى لما اطلق اسم المنكر على
من نسب نفسا الى غير الوالد مع جواز ان يكون له ولد وحيث قال ان مهاتهم الا ايدي
ولدتهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا فالمشرك الذي يقول الملائكة بنات
الله وينسب الى من لم يلد ولا يجوز ان يكون له ولد كيف لا يكون قوله منكرا والصلاة
تنهى عن الفحشاء وهذا المنكر وذلك لان العبد اول ما يشرع في الصلاة يقول الله اكبر
فبقوله الله اكبر ينفي التشريك لا يكون اكبر الاخر فيما فيه الاشتراك فاذا قال بسم الله نفى
التعطيل فاذا قال الرحمن الرحيم نفى الاشراك لان الرحمن من يعطي الوجود بالخلق

بالرحمة والرحيم من يعطي البقا بالرزق بالرحمة فاذا قال الحمد لله رب العالمين اثبت بقوله
الحمد لله خلاف التعطيل وبقوله رب العالمين خلاف الشرك فاذا قال اياك نعبد بتقديم
اياك نفي التعطيل والاشراك وكذا بقوله واياك نستعين فاذا قال اهدنا الصراط
نفي الاشراك التعطيل لان طالب الصراط له مقصد والمعطل لا مقصد له وبقوله
المستقيم نفي الاشراك لان المستقيم هو الاقرب والمشرك يعبد الاصنام حتى يعبد صورة
صورها اله العالمين ويشفعون لهم وعبادة الله من غير واسطة اقرب وعلى هذا الى
اخر الصلاة يقول فيها اشهد ان لا اله الا الله فينفي الاشراك والتعطيل وها هنا
لطيفة وهي ان الصلاة اولها واخرها لفظة الله في قوله اشهد ان لا اله الا الله
ليعلم المصلي انه من اول الصلاة الى اخرها مع الله فان قال قايل فقد نفي من الصلاة
قوله واشهد ان محمدا رسول الله والصلاة على الرسول والتسليم فنقول هذه الا
شيا في اخر ما دخلت بمعنى خارج عن ذات الصلاة وذلك لان الصلاة ذكر الله
لا غير لكن العبد اذا وصل بالصلاة الى الله تعالى وحصل مع الله لا يبقى في قلبه
انه استقل واستبد واستغنى عن الرسول صلى الله عليه وسلم كمن تقرب من السلطان
فيغتر بذلك ولا يلتفت الى النواب والحجاب فقال انت في هذه المنزلة الرفيعة
بهداية محمد وغير مستغن عنه فقل مع ذكري محمد رسول الله ثم اذا علمت ان هذا كله
ببركة هدايته فاذكر احسانه بالصلاة عليهم ثم اذا رجعت من معراجك وانتهيت
الى اخوانك فتسلم عليهم وبلغهم سلامي كما هو ترتيب المسافرين واعلم ان هيئة
الصلاة وهيئة فيها هيئة فان اولها وقوف بين يدي الله كوقوف الملوك بين
يدي السلطان ثم ان اخرها جثوا بين يدي الله كما يجثوا بين يدي السلطان من
اكرامه بالاجلاس كان العبد لما وقف واثنى اكرمه الله تعالى واجلسه فجثا وفي
هذه الجثوة لطيفة وهي من جثا في الدنيا بين يدي ربه هذا الجثو لا يكون له جثو
في الاخرة ولا يكون من الذين قال الله تعالى فيهم ونذر الظالمين فيها جثيا
ثم قال تعالى ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون لما ذكر امرين وهما تلاوة الكتاب
واقام الصلاة بين ما يوجب ان يكون الاتيان بهما على ابلغ وجوه التعظيم فقال
ولذكر الله اكبر فينبغي ان يكون على ابلغ وجوه التعظيم واما الصلاة فكذلك
لان الله يعلم ما تصنعون وهذا احسن صنعكم فينبغي ان يكون على وجه التعظيم وفي
قوله الله اكبر مع حذف بيان ما هو اكبر منه لطيفة وهي ان الله تعالى لم يقل اكبر من ذكر
فلان لان ما نسب الى غيره بالكبر فله اليه نسبة اذ لا يقال ان الجبل اكبر من خردلة
وانما يقال هذا الجبل اكبر من ذلك الجبل فاسقط المنسوب كانه قال ولذكر الله له الكبر
لا لغيره وهذا كما تقول في الصلاة الله اكبر اي له الكبر لا لغيره قوله تعالى ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي انزل
الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك انزلنا اليك
الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد

باياتنا الا الكافرون لما بين الله تعالى طريقة ارشاد المشركين ونفع من انتفع وحصول
الياس ممن امتنع بين طريقة ارشاد اهل الكتاب وقال ولا تجادلوهم الا بالتي هي احسن فان
بعض المفسرين قال المراد منهم لا تجادلوهم بالسيف وان لم يؤمنوا الا اذا ظلموا زايدا
على كفرهم وفيه معنى لطف وهو ان المشرك جا بالمنكر على ما بيناه فكان اللايق ان
ان يجادل بالاحسن ويبالغ في تهجين مذهبه وتوهين سببه ولهذا قال تعالى صم بكم
وقال لهم اعين لا يبصرون بها الى غير ذلك واما اهل الكتاب فجاوا بكل حسن الا الاعتراف
بالنبي صلى الله عليه وسلم فوحدوا وامنوا بانزال الكتب وارسال الرسل والحشر فلمقابلته
يجادلوا الا بالاحسن ولا تستحق ارواهم ولا تنسب الى الضلال اباهم بخلاف الشرك ثم على
هذا فقوله الا الذين ظلموا معنى حسن اخر وهو ان المراد ان يكون الا الذين اشركوا منهم باثبات
الولد لله تعالى والقول بثالث ثلاثة فانهم ضاهوهم في القول المنكر فهم الظالمون فان
الشرك ظلم عظيم فيجادلون بالاحسن من تهجين مقالتهم وتبيين جهالتهم ثم انه تعالى بين
ذلك الاحسن فقدم محاسنهم بقوله وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا
والهكم واحد ونحن له مسلمون فيلزمنا اتباع ما قاله لكنه بين رسالتي في كتبكم فهو
دليل مضى ثم بعد ذلك ذكر دليلا قياسا فقال وكذلك انزلنا اليك الكتاب يعني
كما انزلنا على من تقدمك انزلنا عليك وهذا قياس ثم قال تعالى فالذين اتيناهم
الكتاب يؤمنون به لوجود النص ومن هؤلاء كذلك واختلف المفسرون فقال بعضهم
المراد بالذين اتيناهم الكتاب من امن بنبينا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
وغيره وبقوله ومن هؤلاء من اهل مكة وقال بعضهم المراد بالذين اتيناهم الكتاب
هم الذين سبقوا محمدا صلى الله عليه وسلم زمانا من اهل الكتاب ومن هؤلاء من اهل
الكتاب وهو الاقرب لان الذين اتاهم الكتاب في الحقيقة هم الانبيا فان الله ما اتى
الكتاب الا الانبيا كما قال تعالى اولئك الذين اتيناهم الكتاب واتينا داود زبورا
وقال اتاني الكتاب واذا حملنا الكلام على هذا لا يدخله التخصيص لان كل الانبيا
امنوا بكل الانبيا واذا قالوا به يكون المراد من الذين اتيناهم الكتاب عبد الله بن
سلام واستثنى ثلاثة معه او عدد قليلون او يكون المراد بقوله ومن هؤلاء غير
المذكورين وعلى ما ذكرنا يكون مخرج الكلام كانه قسم القوم قسمين احدهما المشركون
وتكلم فيهم وفرغ منهم والثاني اهل الكتاب وهو تعدى بيان امرهم والوقت وقت
جريان ذكرهم فاذا قال هؤلاء يكون منصرفا الى المشركين الذين سبق ذكرهم وتحقيق
امرهم وعلى هذا التفسير يكون الجدال على احسن الوجوه وذلك لان الخلاف في الانبيا
والاية قريبة من الخلاف في فضيلة الروسا والملوك فاذا اختلف جريان في فضيلة
ملكين او رتبتين وادى الخلاف الى الاقتتال يكون اقوى كلام يصلح بينهم ان يقال لهم
هذان الملكان متوافقان متصادقان فلا معنى لنزاعكم فكذا ها هنا قال النبي صلى الله
عليه وسلم نحن امنا بالانبيا وهم امنوا بي فلا معنى لبغضكم لهم وكذلك اكابركم علماهم
قوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون

الكتاب ٥٥

بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون
وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير
مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم
يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين
امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون هذه درجة اخرى بعد ما تقدم
في الترتيب وذلك لان الجاحد اذا ذكر مسئلة مختلقة فيها كفى في القاء الركاكة
نجيب في ابطال الصغير فاذا قيل له لم يقبل له حاجة الى اقامة دليل له ولا يذكر ولا الجامع
بينهما فان قنع المطالب بمجرد التشهي ويدرك من نفسه انجامع فذاك وان لم يدرك
ولم يقنع بدعوى الجامع يتبرع له ما لم يقبل عن الحاجة فيجيب فكذلك ههنا ذكر
اولا التمثيل بقوله وكذلك انزلنا اليك ثم ذكر الجامع وهو المعجزة فقال يا عالما كون
تلك الكتب منزلة الا بالمعجزة وهذا الكتاب مما يكتبنا ولم يقرأ عن المعجزة ينعرف
كونه منزلا وقوله اذا الارتياب انما يطلون فيه معنى لطيف وهو ان النبي صلى الله
عليه وسلم ان كان قادرا على اتيانه ما كان يرجع كون هذا الكلام معجزا فان جميع كتبه الاولين
وتلامذته قرائها لا يقدرون عليه لكن على ذلك التقدير يكون المبطل وجه ارتياب
وعلى ما هو عليه لا وجه لارتيابه فهو داخل في الابطال وهذا كقوله وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله اي من مثل محمد صلوات الله وسلامه عليه
وكقوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله ثم قال تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين
اوتوا العلم وهذا اشارة الى انه ليس من مخترعات الادميين لان من يكون له كلام
مخترع يقول هذا من قلبي وخاطري واذا اعتقد من غيره يقول انه في قلبي فاذا
قال في صدور الذين لا يكون من صدر واحد منهم والجاهل يتخيل انه ذلك قلا
ظهور له من الصدور فتظهر به لي الله تعالى ثم قال وما يجحد بآياتنا الا الظالمون
قال ههنا الظالمون ومن قبل قال الكافرون مع ان الكافر ظالم ولا ناقي بين
الكلامين وفيه فائدة وهو انهم قبل بيان المعجزة قيل لهم انكم المرايا فلا تبطلوها
بانكار مجرد فتكونوا كافرين فلقط الكافر هناك كان يليق بحالهم من ذلك لانهم
من الكفر ثم بعد بيان المعجزة قال لهم ان جحدتم هذه الآية لزمكم انكار الرسالة
الرسل فتخرجون في هذا الامر بالشركين حكما وتتحققون عند هذه الآية بالمشركين
حقيقة فتكونوا ظالمين اي مشركين كما بينا ان الشرك لظلم عظيم فهذا اللفظ ههنا
ابلغ ثم قال تعالى وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه فرتب من ذكر الدليل على جواب
النبي صلى الله عليه وسلم اذ كرشبهتهم وهي بذكر الفرق بين المقيس عليه والمقيس
فقالوا انك تقول انه انزل اليك كتاب كما انزل الى موسى وعيسى وليس كذلك لان
موسى اوتي تسع آيات علم بها كون الكتاب من عند الله وانت ما اوتيت شيئا منها
ثم قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم الجواب عن هذه الشبهة سهما قوله
تعالى انما الآيات عند الله ووجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم ادعى الرسالة وليس

من شرط الرسالة المعجزة لان الرسول يرسل ولا يدعوا الى الله تعالى ثم ان توقف الخلق في قبوله
او طلبوا منه دليلا فان الله تعالى ان رحمهم بين رسالته وان لم يرحمهم لا يبين فقال انما
الساعة رسولها الآية فالله تعالى ان اراد ان يترکها فان لم يرد لا يترکها وهذا لان
ما من ضرورة ان الانسان فلا يخلق الله انسانا الا ويكون قد خلق معه
لكن الرسالة والمعجزة ليستا كذلك فانه تعالى اذا خلق رسولا وجعله رسولا ليس
من ضرورته ان يعلم له معجزة فلهذا اعلم وجود رسل كثيرة وادرس ولم نعلم لهم معجزة
فان قيل علم رسالتهم نعلم من ثبوت رسالته بالمعجزة فنقول نبينا صلوات
الله وسلامه عليه كذلك لا حاجة له الى معجزة لان رسالته علمت بقول موسى وعيسى
عليهما الصلاة والسلام فتبين بطلان قولهم لم لم ينزل عليهم آية وهذا لانهم طلبوا
منهم لا بد بعد شرط حتى يسعها بل ان كان لهم سؤال فطريقه ان يقولوا يا ايها المدعي تحن
لا نكذبك ولا نصدقك لكنا نريد ان تبين لنا آية تخلصنا من تصديق المبتدي وتكذيب
المبتدي نعلم كونك نبيا ونؤمن بك فبعد ذلك ما كان يبعد من رحمة الله ان ينزل آية ثم قوله
وانما انا نذير مبين معناه ان الآية عند الله ينزلها او لا ينزلها لا تتعلق بي انا
الا انذر وبين لكم حكم كما عليه بعد بيان فساد شبهتهم من وجه بين فسادها
من وجه آخر وقال بعد ان انزال الآية شرط لكنه وجد وهو في نفس الكتاب فقال
او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم يعني ان كان انزال الآية شرطا فلا
يشترط الى انزال الآية وقد انزل وهو القرآن فانه معجزة ظاهرة باقية وقوله
تعالى ولم يكفهم عبارة تنبئ عن كون القرآن آية فوق الكفاية وذلك لان
القائل اذا قال ما يكفي المبتدي ان لا يضرب حتى يتوقع الاكرام تنبئ عن ان ترك
الضرب في حقه كالضرر فكذلك قوله اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب وهذا لان
القرآن معجزة اتم من كل معجزة تقدمها لوجوه الاول ان تلك المعجزة وجدت وما
دامت فان قلب العصا حية واحيا الميت لم يبق لشيء منه اثر قليل ولم يكن واحد
يومن يكتب الله ويكذب بوجود هذه الاشياء لا يمكن اثباتها معه بدون القرآن
واما القرآن فهو باق لو انكره واحد فتقول له فان آية من مثله الثاني ان
قلب العصا حية تعبا انما كان في مكان واحد ولم يره من لم يكن في ذلك المكان
واما القرآن فقد وصل الى المشرق والمغرب وسمعه كل احد وههنا لطيفة وهي ان
آيات النبي صلى الله عليه وسلم كانت اشياء لا تختص بمكان دون مكان لان من
جملتها انشقاق القمر ونبع الارض لان الخسوف اذا وقع عم ذلك لان نبوته
كانت عامة مما يختص بقطر دون قطر وغاص بحساوة في قطر وسقط ايوان كسرى
في قطر والهدنة الكنيسة بالروم في قطر اعلاما بانه يكون امرها كذا
غير هذه المعجزة الكافر المعاند يقول انه سحر عمد ويقول القرآن لا يكون هذا القول
فيه ثم انه تعالى قال ان في ذلك لرحمة اشارة الى انا جعلناه معجزة رحمة على
العباد ليعلموا نبينا الصادق وهذا لان بنبينا اظهار المعجزة على يد الصادق رحمة

من الله تعالى وكان له ان لا يظهر نبيه بتبيين الحق في وسطة تكذيب الصادق وتصديق الكاذب
لان النبي لا يتميز عن المتنبي لولا المعجزة لكن الله تعالى له ذلك ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
وقوله وذكر بي الشارة الى الجماعة معجزة ثانية تبين كونها كما من يكون ما نبي من الزمان
ثم قال القوم يرمون بعينهم هذه الاشارة مختصة بالموجودين لان المعجزة كانت
غضبا على الكافرين لانها قطعت اعذارهم وغلظت تكاليفهم ثم قال تعالى قل كفى بالله
بيني وبينكم شهيدا لما ظهرت رسالته وبعرف دلالته ولم يرتبن به المعاندون من اهل
الكتاب قال كما يقول الصادق اذا كذب وانى بكل ما يدل على صدقه ولو بصدق الله
يعلم صدقي فتكذيبك ايها المعاند وعلى ما اقول شهيد بحكم بيني وبينك كل ذلك
انذار وتهديد بقيده تقدير او تاكيدا ثم بين كونه كافيا بكونه عالما بجميع الاشياء
فقال يعلم ما في السموات والارض وهما مستحيلان ويجاب ان الله تعالى قال في اخر الرعد
قالوا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب فاخر شهادة
اهل الكتاب وفي هذه السورة قدم حيث قال قل الذين اتيتهم الكتاب يعرفونه به
ومن هم لان يرتبن به اي من اهل الكتاب فتقول الكلام ههنا مع المشركين فاستدل
عليهم بشهادة غيرهم ثم ان شهادة الله اقوى في الزامهم من شهادة غيره وهاهنا
الكلام مع اهل الكتاب وشهادة المرء على نفسه مرة اقراره وانى يحتج عليه فقدم
ما هو الزم عليهم ثم انه تعالى لما بين الطريقين في ارشاد الفريقين المشركين واهل الكتاب
عاد الى الكلام الشامل لهم والا نذار العام فقال والذين امنوا بالباطل اي الذين امنوا
بما سوى الله لان ما سوى الله باطل لانه هالك لقوله كل شيء هالك الا وجهه وكل ما هو لك
الا وجهه تقديره فكل هالك باطل وكل ما سوى الله باطل فمن امن بما سواه فقد
امن بالباطل وبنيه مسئلتان المسئلة الاولى قوله اولئك هم الخاسرون يقتضي الحصر
اي من اتى بايمان الباطل والكفر بالله فهو خاسر فمن ما ياتي باحدهما دون الاخر ينبغي
ان لا يكون خاسرا فنقول يستحيل ان يكون الاتي باحدهما لا يكون اتيا بالاخر
اما الاتي بالايمان بما سوى الله لانه اشرك بالله فجعل غير الله وجعل مثل غيره لكن
غير جاعل ممكن باطل فيكون كذلك فيكون انكارا لله وكفرا به واما من كفر به وانكره
فيكون قائلا بان العالم ليس له الها موجد فوجد العالم من نفسه فيكون قائلا بان
العالم واجب والواجب اله فتكون قائلا بان غير الله اله فيكون اتيا بالاشراك
والايمان به فاذا كان الايمان بما سواه كفرا به فيكون كل من اتى بالباطل فقد كفر بالله فجعل لهذا العطف تاثيرا تاكيد الذي في قول القائل قم
ولا تقعد واقترب مني ولا تبعد تقول لتم فيه قائلة غير هاوتوانة ذكر
الثاني ببيان فتح الاول كقول القائل انا اقول بالباطل فتردد الحق ببيان ان القول
بالباطل قبيح المسئلة الثالثة هل يتناول هذا اهل الكتاب اي هل هم امنوا
بالباطل وكفروا بالله نقول لا ثم لما صح عندهم ان معجزة النبي صلى الله عليه
وسلم من عند الله وقطعوا بها وقالوا انها من عند غير الله يكون من راى شخصا

يبري العجاذة فقال ان راي العجاذة زيد حتى يوسيل من غير ذلك وقيل له من هذا الرجل
يقول زيد فكذلك هم لما قطعوا بان مظهر المعجزة محمد الله فيكون ايمانا بالباطل واذا قالوا
ان من اظهر المعجزة ليس بالله مع انهم قطعوا بخصوص مظهر المعجزة يكونون قائلين بان
ذلك المخصوص الذي هو الله ليس بالله فيكون كفرا به وهذا لا يرد علينا بتين يقول علينا
فعل العبد مخلوق الله او مخلوقا للعبد فانه ايضا شبهة تعتل الله الي الغير كما ان المعجزة
فعل الله ثم نسبوها الى غيره لان هذا انما يحمل الشبهة كمن راى العجاذة ربيت
ولم يرى عين زيد بها زيد فيقول زيد بري بهذه العجاذة ثم اذا راى راكبها عينه
يكون عين زيد لا يقطع بانه يقول بري زيد واما اذا راى عينه وربيه بالعجاذة وقا ل
راكبي العجاذة زيد يقطع بانه يقول هذا الرجل زيد فظهر الفرق من حيث انهم كانوا
معاندين بينا لهم بان الله تعالى يظهر ذلك المعجزة وتقولون بانها من عند غير الله
ثم قال هم الخاسرون كذلك بالتم وجوه الخسران وهذا لان من خسر راس المال ذهب
ذلك الدينور فانهم عاندوا وافنوا العمر ولم يحصل لهم في مقابلته شيء ما
اصلا من المنافع واجتمع عليهم دينور ترك الواجبات بطالبون بها حيث لا طاقة
لهم بها والله سبحانه وتعالى اعلم قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل
مسمى لجاءهم العذاب وليا تينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب
وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت
ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون لما ذم الله تعالى بالخسران وانواعه وجوه
الانذار لان من خسر لا يحصل له في مقابلة ذلك الخسران ذلك القدر بل دونه مثاله اذا
خسر واحد من العشرة درهما لا ينبغي ان يكون حصل له في مقابلة ذلك الدرهم بايسر يصف
درهم والا لا يكون الخسران درهما بل نصف درهم فاذا ثم ما خسروا اعلم لا يحصل لهم منفعة
تخفيف عذاب والا يكون ذلك القدر له منفعة فيكون لهم خاسر عذاب اليم فقوله واولئك
هم الخاسرون تهديد بليغ ثم قالوا ان كان علينا عذاب فاتنا به اظهارا لقطعهم بعدم
العذاب ثم انه اجاب بان العذاب لا يا تيكم بسوالكم ولا يعجل باستعجالكم لانه اعلم
لحكمة ورحمة فلكونه حكيما لا يكون متغيرا منقلبا تبا سر باستعجالكم وبتغيير من سوالكم
فيعجل ولبس كذلك فلا يا تيكم العذاب وانتم تسالونه ولا يدفع عنكم العذاب حيث تشتهونه
به سنة كما قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها ثم قال وليا تينهم بغتة
اختلف المفسرون فيه فقال بعضهم ليا تينهم العذاب بغتة لان العذاب اقرب الموكو
رين لان مشركي مكة كانوا يقولون انه ليا تينهم وقال بعضهم ليا تينهم بغتة اي الاجل
لان الاتي بغتة هو الاجل واما العذاب بعد الاجل يكون معاينة وقد ذكرنا ان في كون
الاجل اتيا بغتة حكمة وهي انه لو كان وقته معلوما لكان كل احد يتكل على ما بعده
ويتمكن من التقيش ويفجر بغتة اعلى الوجوه وقوله وهم لا يشعرون يحتمل وجهين احدهما
تاكيد لقوله بغتة كما تقول القائل اتيته على حين غفلة منه بحيث لم يرد يقوله
لم يدر اك وعين الغفلة والثاني هو كلام مبتدا مستقل ويعني ان العذاب ياتيهم

بقتة وهم لا يشعرون فهذا الامر يقتضون ان العذاب لا يأتيهم اصلا ثم قال تعالى وبشر الذين
بالعذاب واتى جهنم محيطة بالكافرين ذكر هذا التبشير وهذا لان من توعد بامر مؤلم
صار يسيرا بطة او لكمة فيبري بنفسه الجلد ويقول بسم الله هان فاما من توعد بالتراف
الاحراق وبقطع بان الموعد قادر لا يخاف المبعاد لا يخطر بالعاقل ان يقول له هان
ما توعدني به فقالها هنا يستهجاونك بالعذاب والعذاب يتارجهنم المحيطة بهم
فقوله سيستهجاونك اولا اخبار عنهم وثانيا تعجيب منهم فتوة كر كيفية احاطة جهنم فقال
يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وفيه مسئلتان احداهما لم خص الجانبين
بالذكر ولم يذكر اليمين والشمال وخلف وقدام فنقول لان الموقر دذكر ما يتميز به نار
جهنم من نار الدنيا ونار الدنيا تحيط بالجوانب الاربعة فان من دخلها تكون الشعلة
خلفه وقدامه ويمينه وشماله واما النار من فوق فلا تنزل وانما تقصد من استفل
بحار العادة العاجلة وتحت الاقدام لا تبقى الشعلة بل يتطفى الشعلة اين تحت القدم
وتار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفى بالدوس موضع القدم الثانية قال من فوقهم ومن
تحت ارجلهم ولم يقل من فوق رؤسهم ولا قال من فوقهم ومن تحتهم وذكر المضاف اليه
عند ذكر تحت ولم يذكره عند ذكر فوق لان تنزل النار من فوق شيء اكان من
سمت الرؤس او من موضع اخر عجيب فذكرها هنا لم يجعله بالرأس وامانيا النار
تحت القدم فحسب عجيب والاقل جواب العدم بكون شغل وهي تحت وذكر العجيب
وما تحت الارجل حيث لم ينطق فما فوق تعالى الاطلاق ثم قال تعالى وتقول ذوقوا ما
تعملون لما بين عذاب اجسامهم بين عذاب ارواحهم وان تعالى لهم على سبيل التنكيل
والاهانة ذوقوا وجعل ذلك عين ما كانوا يعملون لطيفة بطريق الاطلاق اتم المسبب
على السبب ان عملهم كان سببا يجعل الله اياهم سببا لعذابهم وهذا كثير النظم الاستعمال
قوله تعالى يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس
ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم
من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين
صبروا وعلى ربهم يتوكلون وجه التعلق ان الله تعالى لما ذكر حال المشركين
على جهة وحال اهل الكتاب على جهة وجمعهما في الانذار وجعلهما من اهل النار اشتد
عنادهم وزاد فسادهم وسعوا في بين المؤمنين ومنعهم من العبادة فقال مخاطبا للمؤمنين
يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة اي ان تعذرت عليكم العبادة في بعضها فهاجروا
ولا تتركوا عبادتي بحال وبعد اعلم ان الخلاص بدار الحرب حرام والخروج منها
واجب حتى لو حلف بالطلاق لزمه الخروج ردع حتى يقع الطلاق وفي الاية مسايل
المسئلة الاولى يا عبادي لم يرد الا مخاطبة مع المؤمنين مع ان الكافر داخل في قوله
يا عبادي تعويل ليس داخلا فيه لوجوه الاول ان من قال في خطبة يا عبادي ليس للسلطان
عليه سلطان بدليل قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والكافر تحت
سلطنة الشيطان فلا يكون داخلا في قوله يا عبادي الثاني ان الخطاب بعبادي

اشرف منازل المكلف وذلك لان الله تعالى لما خلق ادم عليه السلام اتاه اسما عظيما وهو
اسم الخلافة كما قال تعالى اني جاعل في الارض خليفة والخليفة هو اعظم الناس موقدا وانهم
ذوي الباس اقرار اقرار ابليس لم يرهب من هذا الاسم ولم يتعظم بل ادم عليه بتبيته
وعاداه وغلبه كما قال تعالى قال لها الشيطان تؤمن اولاده الصالحين من سمي عبادي
فاحبس عنهم الشيطان وقال كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وهو
وقال هو بلسانه لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم فعلم ان المكلف اذا كان عبد الله تعالى
يكون اعلى درجة مما كان خليفة لوجه الارض ولعل ادم عليه السلام كذا وعد عليه
السلام الذي قال الله تعالى في حقه انا جعلناك خليفة لم تتخلص من يد الشيطان
الا وقتا قال الله في حق عبدي محمد ما اداه بقوله ربنا ظلمنا انفسنا واجتباه
بعد الذنب كما قال في حق داود وذكر عبدنا داود ذا الايدي انه علم هذا
قال كافر لا يصلح للخلافة فكيف يصلح لما هو اعظم من الخلافة فلا بد ان يدخل في قوله يا عبادي
الا المؤمنين الثالث هو ان الخطاب حصل للمؤمنين بسعيه بتوفيق الله وذلك لان
الله تعالى قال ادعوني استجب لكم فالمؤمن دعا ربه بقوله ربنا انا سمعنا مناديا
ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا فاجابه الله تعالى بقوله يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فالاضافة بيننا الله وبين العبد تنزل
العبد الجهي وقول الله عبدي ذاكرتك بدعا العبد لكن الكافر لم يدع فلم يجب فلم
يناد ويا عبادي غير موجبين المسئلة الثانية اذا كان عبادي لا بينا ولا الا
المؤمنين فما الفايدة في قوله الذين امنوا مع ان الوصف انما يذكر لتمييز الموصوف
عما يقابله يا ايها المؤمنون المخلصون ويا ايها الرجال العقلاء تمييزا عن الكافرين والجاهلين
فنقول الوصف يذكر لا للتمييز بل لمجرد بيان ان فيه الوصف كما يقال للانبياء المكرمون
والملايكة المطهرون مع ان كل نبي مكرم وكل ملك مطهر وانما يقال هذا لبيان ان فيهم
الاكرام والطهارة وشرح هذا قولنا الله العظيم وزيد الطويل فجعلنا ذكر لبيان انهم
موصوفون المسئلة الثالثة اذا قال يا عبادي قم يكونون عابدين فما الفايدة في
الامر بالعبادة بقوله فاعبدون فنقول فيه فايدتان احديهما المداومة اي يا من
عبدوني في الماضي اعبدوني في المستقبل الثانية الاخلاص اي يا من عبدوني اخلص
العمل ولا تقصد غيري المسئلة الرابعة الفا في قوله فاياي يدل على انه جواب الشرط
فاذلك فنقول ان ارضي واسعة اشارة الى عذر من عباده فكانه تعالى قال
اذا كان لا مانع من عبادتي فاعبدون واما الفا في قوله فاعبدون فهو ترتيب
المقتضى على المقتضي كما قال هذا اعالم فاكرموه فكذلك ههنا لما اعلم بقدرته
بقوله فاياي فاعبدون المسئلة الخامسة قال العبد مثل هذا في قوله اياك
نعبد واياك نستعين واقتبه واياك نستعين والله تعالى واقتبه بقوله فاياي فاعبدون
ولم يذكر الاعانة نقول بل هي مذكورة في قوله يا عبادي لان المذكور بعبادتي
لما كان الشيطان مردودا السبيل عليه مصروفا القبلة منه فانه غاية الاعانة

المسئلة السادسة قدم الله تعالى الاعانة واخر العبد الاستعانة قلنا لان العبد
فعله لعرض وكل فعل لعرض فان العرض سابق تعالى الفعل في الادراك وذلك لان من
يبني بيتا السكنى يحصل في ذهنه اولا فادرة السكنى فيحصل على اليد لكن العرض لا
يكون الا بعد الفعل للواسطة وتقول الاستعانة من العبد لعرض الاعانة تحصيلا
في ادراكه واما الله تعالى فليس فعله لعرض فراعى ترتيب الوجود فان الاعانة
قبل العبادة ثم قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون لما امر الله تعالى
المومنين بالهجرة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان فقال لهم اعلموا
لابد من وقوعه فان كل نفس ذائقة الموت والموت يفرق الاحباب فالاولى ان يكون ذلك
في سبيل الله فيجازيكم عليه فان الي الله مرجعكم وفيه وحيد قد وارق وهو ان الله
تعالى قال كل نفس اذا كانت غير متعلقة بغيرها فمن الموت ثم الي الله ترجع فالموت
كما فان تعالى لابد وقوعه منها الموت اذا ثبت هذا فمن يريد ان لا يذوق الموت
لا يبقى مع نفسه فان النفس ذائقة فلا يتعلق بغيره وذلك العيران كان غير الله
فهو ذائق الموت وموارد الهلاك لقوله كل نفس ذائقة الموت وكل شيء هالك الا
وجهه فاذا التعلق بالله تعالى يرجى من الموت فقال تعالى فاياي فاعبدون اي
تعلقوا بي ولا تشتغلوا النفس فانها ذائقة الموت ثم الينا ترجعون اي اذا تعلقتم
بي لم تكن رجوعي الي وانتم كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومنون لا يموتون بل ينقلون من دار
الى دار فعلى هذا الوجه ايضا يتبين وجه التعلق ثم قال تعالى والذين امنوا وعملوا
الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين
للكافرين بقوله ان جهنم لمحيطة بالكافرين وبين ان للمومنين الجنان في مقابلة
ان للكافرين النيران وبين ان فيها غرفا تجري تحتها الانهار في مقابلة ان تحت الكافرين
النار وبين ان ذلك اجرهم بقوله نعم اجر العاملين في مقابلة ما بين ان ما تقدم
جزاء العمل الكفار بقوله ذوقوا ما كنتم تعملون لما شيئين اختلافا فان فيها لطيفة منها
انه تعالى ذكر في العذاب ان فوقهم عذابا اي نارا ولم يذكرها هنا فوقهم شيئا وانما
ذكرها فوقهم من غير اضافة وسر الفرق ذلك لان المذكور في الموضعين العذاب والنو
الحسي بيان لكن الكافرين في الدرك الاسفل من النار فيكون فوقهم طبقات من
النار واما المومنون فيكونون في اعلا علليين فلم يذكر فوقهم شيئا اشارة الى علو
مرتبتهم وارتفاع منزلتهم واما قوله لهم غرف من فوقها غرف لا ينافي لان الغرف فوق
الغرف والنار فوق النار وهي فوقهم ومنها انه هناك ذكر من تحتهم انهارا وهنا
ذكر من تحتهم غرفهم الماء وذلك لان النار لا تولد اذا كانت تحتهم مطلقا حالة
مشاهدة الاقدام وتشتعل بها اذا كانت الشعلة مائلة عن سمت القدم وان
كانت تحتها وتكون مشاهدة لكن تكون عن بعد لا صقة بل تكون اسفل منهم وكره لا
تولد واما الماء اذا كان تحت الغرفة في اي جهة كان وعلى اي بعد كان يكون ملتذا

به فقال فيها نزل تحتها انهارا لتحصل الاشراب وقال ههنا من تحتها الغرف لحصول الاثنين
بها كيف كانت ومنها اي هناك قال ذوقوا بالام فلويم بلفظ الامر وههنا قال نعم
اجر العاملين لتفريح فلويم لا بصيغة الامر وذلك لان لفظ الامر يدل على انقطاع
التعلق بعده فان من قال لاجيره خذ اجرتك يفهم منه ان بذلك يقطع تعلقه عنه
واما اذا قال ما انا اجرته عندي انتم ما لكم من الاجر يفهم منه ان ذلك عنده
فلم يقل ههنا خذوا اجركم ايها العاملون وقال هناك ذوقوا ما كنتم تعملون فان
قائل قابل فذوقوا اذا كان يفهم منه الانقطاع فعذاب الكافر ينقطع قلنا
ليس كذلك لان الله تعالى اذا قال ذوقوا دل على انه اعطاهم جزاءهم وانقطع ما بينه
وبينهم لكن يبقى عليهم ذلك دائما ولا ينقص ولا يزداد واما المومن اذا اعطاه شيئا فلا
يتركه مع ما اعطاه بل يزيد له كل يوم في النعم واليه الاشارة بقوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة اي الذي يصل الى الكافر يوم من غير زيادة والذي يصل الى
المومن يزداد على الدوام واما الحانوذ وان لم يذكره في حق الكافر لكن ذلك معلوم
بغيره من النصوص ثم قال تعالى الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ذكر امرين
الصبر والتوكل لان الزمان حاضر وحال ومستقبل لكن الماضي لا تدارك له ولا بد
العبد فيه بشيء يبقى الحاضر واللائق به الصبر والمستقبل واللائق به التوكل ويصبر
على ما يصيبه من الاذى في الحال ويتوكل فيما يحتاج اليه في الاستقبال فاعلم ان
الصبر والتوكل صفتان لا يحصلان الا مع العلم بالله تعالى وما سوى الله فمن علم انه
لا يليق بمومن عليه الصبر اذا الصبر على الزايل غير لائق واذا علم الله انه باق فانه
شيء يتوكل على حي باق وذكر الصبر والتوكل ههنا مناسب فان قوله يا عبادي كان
بيان ان لا مانع من العبادة ومن يوذيه في بقعة فليخرج منها فحصل للناس على
قسمين قادر على الخروج ومتوكل على ربه يترك الاوطان ومفارقة الاخوان
وعاجز وصابر على تحمل الاذى مواظب على عبادة الله تعالى فقوله تعالى
وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى
يوفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء
عليم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن
الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب
وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ذكر ما يبين على التوكل وبيان
حال الدواب التي لا تدخر شيئا وباتيها كل يوم رزق غد وفي الاية مسايل المسئلة
الاولى في كاين لغات اربع عشرة كاي على وزن داع وكي على وزن رام وكيء
على وزن ريع وكي على وزن دع ولم يقرا الا كاي وكاين قراة ابن كثير المسئلة
الثانية كاي كلمة مركبة من كاف التشبيه واي التي تستعمل استفهاما تقول مررت
برجل كاي كم فتجعل المركب بمعنى كم ثم لم تثبت الا بالنون لفصل بين المركب وغير المركب لان كاين

يستغل بجر مركب كما يقول القائل رأيت رجلا كما بي يكون وجيئذ لا يكون كاي مركبا كتبيت
بالنون لكتمتيز كما يكتب معدي كرب ليعلم انه لا الفرق وكما يكتب ثمة بالها تمييزا بينهما
وبين ثم المسئلة الثالثة كاف بعيني كم وكم تستعمل الا في جمع من الاذرع راد لم يستعمل
كثيرا من غير من فيقال كم رجلا وكم من رجل وكذلك ما بينا من الفرق من كاي بمعنى كم وكاي
التي لبست مركبة وذلك لان كاي اذا لم تركب لا يجوز ادخال من بعدها اذ لا
يقال رأيت رأيت رجلا لاكاي من رجل والمركبة بمعنى كم يجوز ذلك فيه فالتزم الفرق
قوله لا تحمل رزقها لا تحمل لضعفها وبجهلها تنقل الى البر فوق والدود وغيرها وتنال
لا تدخر الله يرزقها وايا كم بطريق القياس اي لا شك في ان رزقها ليس لا بالله فكذ لك
رزقكم فتوكلوا فان قال قايل من قال ان الله يرزق الدواب بل الشاة في الصحراء
سبب والحيوان يسعى ويرعى فنقول الدليل عليه من ثلاثة اوجه نظرا الى الرزق
والى المرتزق الى مجموع الرزق والمرتزق اما بالنظر الى الرزق فلان الله تعالى لما
خلق الشاة لم يكن للحيوان رزق واما بالنظر الى المرتزق فان الاعتدا بس
بمجرد الابتلاع بل لا بد من سنة العذا با لاعضا حتى يصير الحشيش عظما ولحما وشحما
وما ذلك الا بحكمة الله حيث خلق فيها حاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة
وغير ماشئ للغوي وبمحض قدرة الله وارادته فهو الذي يرزقها واما بالنظر الى
المرتزق والرازق فلان الله تعالى لو لم يهيئ الحيوان الى العذا البعرفي ما لتشم
ما كان له اقتدا الانزي ان من الحيوان ما لا يعرف نوعا من انواع العذا جنبي يوضع
في فمه بالسكرة ليذوق فيا كله بعد ذلك فان كثيرا ما يكون البعير لا يعرف
الخبز ولا الشعير حتى يلقم مرتين ثلاثة فيعرفه فيا كله بعد ذلك فان قال
قايل كيف يصح قياس الانسان على الحيوان فيما يوجب التوكل والحيوان رزقه لا تعرض
اليه اذا ترك الادنه شيا وترك فيه بجيها عند اما مد الايه يد او الانسان
اذا لم يا خذ اليوم لا يبقى له عذا ئي وايضا حاجات الانسان كثيرة فانه يحتا
الى اجناس الاطعمة وانواع الاطعمة ولا كذلك الحيوان وايضا قوت الحيوان سهل
وقوت الانسان يحتاج الى كلف كالزرع والحصاد والطحن والخبز فلو لم يجعله تيسر
الحاجة ما كان يجده وقت الحاجة فنقول لا نحن لا نقول ان الجمع يقدح في التوكل
بل قد يكون الزراع الحاصد متوكلا والراكع الساجد غير متوكل لان المتوكل
اعتماده على الله واعتقاده في الله انه ان كان يريد ان يرزقه من غير زرع وان
كان لا يريد الا يرزقه من ذلك الزرع فيعمل وقلبه من الله مرصد متوكل حتى التوكل
ومن يصل وقلبه مع زيد وعمرو وبكر متوكل واما قوله حاجات الانسان كثيرة
فنقول كاسبه كثيرة ايضا فانه يكتسب بيده كالخياط والنساج وحمله كالدبا
وغيره وبجيئه كالتاجر وبلسانه كالقاري والمنادي وبفهمه كالمهندس والناظر
وبعلمه كالطبيب والفقيه وبقوة جسمه كالعتال والحمال والحيوان لا مكاسب
له فالرغيف الذي يحتاج اليه الانسان غدا وبعد غد وبعد عد يعيدان لا يزرقه

الله تعالى مع هذه المكاسب من اين يحصل وايضا قال الله تعالى في خلق الانسان يجيئ باتيه
الرزق واسبابه فان الله تعالى جعل هذه الاشياء من عمار الدنيا وجعلها بحيث تتحلل تحتاج
في سلكه شام اي حتى ان نتاج الانعام وثمار الاشجار تدخل في الملك وبا تبرده ما لله
الدفع والتجرد فاذا ما تت قرن بنتقل ذلك الى قرن آخر فقرا شاتم ابي وامم ابواه
فليس كذلك حال الحيوان اصلا فان الحيوان اذا لم يا تيه الرزق لا يا تيه رزقه فاذا
الانسان لو توكل كان اقرب الى العطى من توكل الحيوان ثم قال وهو السميع العليم
يسمع انطلبتم الرزق يسمع ويجيب عليم ان سكتم لا يخفى عليه حاجتكم ومقدار
حاجتكم والله اعلم ثم قال تعالى وليس سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الاية لما بين الله تعالى لا مر المشرك بحا طبا معه ولم ينتفع به اعرض عنه وخاطب
المومن بقوله يا عبادي واتم الكلام لمعه ما يكون ارشاد المشرك بحيث يسمعه
وهذا طريق في غاية الحسن فان السيد اذا كان له عبدا والد اذا كان له ولد
ان احدهما رشيد والاخر مفسد يتصح اولا المفسد فان لم يسمع يقول معرضا
عنه ملتفتا الى الرشيد ان هذا لا يستحق الخطاب فاسمع انت ولا تكن مثل
هذا المفسد فيتفهم هذا الكلام بقبيحة المصلح وزجر المفسد فان قوله هذا
لا يستحق الخطاب يوجب تكانه في قلبه ثم اذا ذكر مع الصلح فيا تيه الكلام والمفسد
يسمعه ان هذا حال العجيب منه انه يعلم قبح فعله ويعرف افساده
من الصلاح وسبيل الرشاد والفلاح ويشتغل بضده يكون هذا الكلام ايضا داعيا
الى سبيل الرشاد مانعا له من ذلك الفساد فكذلك الله تعالى في قال لمع المومن
العجيب منهم ان سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم لا يومنون وفي
الاية لطايف الاولى ذكر في السموات والارض الخلق وفي الشمس والقمر التسخير
وذلك لان تجرد خلق الشمس والقمر ليس بحكمة فان الشمس لو كانت مخلوقة
بحيث تكون في مواضع واحد لا تتحرك ما حصل الليل والنهار ولا الصيف والشتا
فانا الحكمة في تحريكها وتسخيرها حيث تكون في موضع واحد لا تتحرك ما حصل
الليل والنهار لا الصيف والشتا فان الحكمة في تحريكها وتسخيرها الثانية في
لفظ التسخير وذلك لان التحريك قد يكون بجرد الحركة وليس بجرد الحركة كافيا لانها
لو كانت تتحرك على حركتنا لما كانت تقطع الفلك الا في السنة فالحكمة في تسخيرها
تحريكها في قدر ما يتنفس الانسان الانفاس الفراسخ ثم لم يخيل لنا حركة
واحدة بل حركات احديها من المشرق الى المغرب في كل يوم وليلة مرة الاخرى حركتها
من المغرب الى المشرق لنا والدليل عليها ان الهلال يرى من جانب المغرب على
بعد محصور من الشمس ثم يبعد منها الى جانب المشرق حتى يرى القمر
في نصف الشهر في مقابلة الشمس والشمس على نحو المغرب والقمر على افق
المشرق وحركة اخرى حركة الادراج وحركة المايل وحركة التدوير في القمر ولولا
الحركة التي من المغرب الى المشرق لما حصلت الفصول ثم اعلم ان اصحاب الهيئة قالوا

التشريح الفلك مكورة والفلك يدبرها بدورانه وانكره المعتزلة الظاهريون ونحن نقول
لا بعد في ذلك ان لو يقولوا بالطبيعة قال الله تعالى فاعلان اراد ان يجركها في الفلك
والفلك ساكن يجوز وان اراد ان يحركها بحركة الفلك وهما ساكنان يجوز ان ثم يرد فيه
نص قاطع او ظاهر وستذكر تمام البحث في قوله تعالى في فلك يسبحون الثالثة
ذكر امرين احدهما خلق الله السموات والارض والاخر تسخير الشمس والقمر لان الايجاد
قد يكون للذوات وقد يكون للصفات خلق السموات والارض اشارة الى ايجاد الذوات
وتسخير الشمس والقمر اشارة الى ايجاد الصفات وهي الحركة وغيرها فقوله ذكر من
القبيلين مثالين ثم قال تعالى يجيء فكون بعضهم يعتقدون هذا فكيف يصيرون
عن عبادة الله حين علم عظمته وحيث حقه ولا عظمة فوق عظمة خالق السموات
والارض ولا احقارة فوق حقارة الجماد دون الحيوان والحيوان الانسان والانسان
دون سكان السموات فكيف تتركون عبادة اعظم الموجودات وتشتغلون بعبادة اخر
الموجودات ثم قال تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده مناسبا لخلق ذكر الرزق
لان كمال الخلق بتقايه وبقاء الانسان بالرزق فقال المعنى اما ان يعبد لاستحقاقه
العبادة وهذه استام لبيت كذلك فالله مستحقها ولما كونه على الانسان على البر
فله العبادة واما لكونه ولي الاحسان والله يرزق الخلق فله الطول والاحسان ف
الفضل والامتنان فله العبادة من هذا الوجه ايضا وقوله لمن يشاء اشارة الى كمال
الاحسان وذلك لان الملك اذا امر الخازن باعطاء شخص شيئا فان اعطاه يكون له
منة تيسيرة حقيرة لان الاخذ يقول هذا بيسير ارادته وانما مويا مر الملك واما
ان كان مختارا بان قال له الملك ان شئت فاعطه وان شئت فلا تعطه فان اعطاه
يكون له منة جليلة لاقليلة فقال الله تعالى الرزق منه ويمشيئته فهو احسان تام
يوجب شكرا تاما وقوله تقدير له اي ان اراد ثم قال ان الله بكل شيء عليم اي
يعلم تقادير الحاجات والارزاق وفي اثبات العلم ههنا لطايف ان الرازق الذي
هو كامل المشيئة اذا راى عبده محتاجا وعلم جوعه لا يوخر عنه الرزق ولا يوخر
الرازق الرزق الا لنقصان في تقوى مشيئته كالملك اذا اراد الاطعام والطعام
لكيون بعده قد اشترى او لعدم علمه بجوع العبيد الثانية وهي ان الله تعالى
باثبات العلم استوجب ذكر الصفات التي هي صفات الاله ومن انكرها كفر وهي
الحياة والقدرة والارادة والعلم فاما السمع والبصر والكلام الفاتح به من
ينكرها يكون مبتدعا لا كافرا وقد استوفى في الاربع لان قوله خلق السموات
والارض اشارة الى كمال القدرة وقوله يبسط الرزق لمن يشاء اشارة الى تقوة
مشيئته وارادته وقوله ان الله بكل شيء عليم من السماء فاجابه الارض من
بعدهم ثم يقولون الله هذا سبب الرازق وموجد السبب موجد المسبب فالرزق
من الله تعالى ثم قال تعالى قل الحمد لله يحتمل وجوها احدها ان يكون كلاما
منقطعا في اثناء كلام كانه قال فاجابه الارض من بعدهم فقيل اكثرهم لا يعقلون

فذكر في اثناء هذا الكلام الحمد لذكر التعجب كما قال القايل

ان التماثيل وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان

الثاني ان يكون المراد منه كلا ملة نضلا وعوامهم يعرفون بان ذلك من الله تعالى كما يقرون
ولا يجهلون قالت تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل اكثرهم لا يعقلون ان الحمد
كله لله تعالى فيحمدون غير الله على نعمة هي من الله تعالى الثالث ان يكون المراد انهم يقرون ان
الله من الله تعالى الحمد يقولون ما لهذه الجزيرة الله فيظهر بتناقض قولهم تناقض كلامهم وتعالى متزهيهم
فتقول الحمد لله على تناقضهم واكثرهم لا يعقلون هذا التناقض وفساده ثم قال تعالى
وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب الاية تاليين انهم يعترفون بكون الله هو الخالق
وكونه هو الرازق ثم يتركون عبادته ولا يتركونها الا لتربية الحياة الدنيا بين ان
ما يميلون اليه ليس شيئا بقوله وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وفي الاية
مسايل المسيلة الاولى ما الفرق بين اللعب واللهو حتى يصح عطف احدهما على الاخر
فنقول الفرق من وجهين احدهما ان كل شغل يفرض فان المكلف اذا اقبل عليه
لزمه الاعراض عن غيره ومن لا يشغله شان عن شان هو الله تعالى الذي يقبل على
الباطل اللذة يسيرة زايلة فيه يلزمه الاعراض عن الحق والاقبال على الباطل لعب
والاعراض عن الحق لهو فالدنيا لعب اي اقبال على الباطل واعراض عن الحق الثاني
هو ان المشتغل بشيء يرجح ذلك الشيء على غيره لا محالة ثم يشتغل به فاما ان يكون ذلك
الترجيح عاجلا وجه التقديم بان يقول اقدم هذا وذلك الاخر اتي به بعده او يكون
على وجه الاستغراق فيه والاعراض عن غيره بالكلية فالاول لعب والثاني هو الذي يدل
عليه هو ان الشطرنج والحمام وغيرهما مما يقرب منهما لا تسمى لذات الملاهي في العرف والعود
وغيره من الامارات تسمى لذات الملاهي لانها تلهي الانسان عن غيرها مما فيها من اللذة
الحاضرة فالدنيا للبعض لعب ويشتغل به ويقول بعد هذا اشتغل بالعبادة والاخرة
وللبعض لهو يشتغل به ويسمي الاخرة بالكلية المسيلة الثانية قال الله تعالى
في سورة الانعام وما الحياة الدنيا ولم يقل وما هذه الحياة الدنيا وقال ههنا
وما هذه فنقول لان المذكور هناك الاخرة حيث قال ياحسرتنا على ما فرطنا
فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت
في خاطرهم فقال وما الحياة الدنيا المسيلة الثالثة قال هناك الا لعب ولهو
فنقول لما كان المذكور هناك من قبل الاخرة واظهارهم للحسرة بتي ذلك الوقت
ببعيد الاستغراق في الدنيا بل نفس الاشتغال بها فاخر الابعد وها هنا لما كان المذكور
من قبل الدنيا وهي حينئذ تدعو النفوس الى الاقبال عليها والاستغراق فيها اللهم
الا مانع بعيد من الاستغراق يشتغل بها من غير استغراق فيها ولعاصم تعصمه
ولا يشتغل بها اصلا فكان ههنا الاستغراق اقرب من عدمه فقدم اللهو عليه
المسيلة الرابعة قال هناك وللدار الاخرة وقال ههنا وان الدار الاخرة
لما كان الحال ههنا الاشتغال بالدنيا احتاج الى قيد فقال لهي الحيوان فوجب

الاخرة وهذا كما العاقل اذا عرض عليه شيئان تفاوتا في احدهما هذا خير من ذلك يكون ذلك ترجيحا لخير وقوله هذا جيد وهذا ليس بشيء يكون ترجيحا مع المبالغة فتأمل هاهنا بالغ لكون المكلف متوغلا فيها **المسئلة الخامسة** قالوا هذا لا يحسن الا بان يتبين ولم يتبين لها هاهنا انها هي الحيوان لقوله لان الاخرة خير للمتقين فحسب بل المتبين فيه الشركة واما الكافر فالدنيا جنته فهي خير له من الاخرة واما كون الاخرة باقية فيها الحياة الدائمة لا تحقق يلزم دوران تقوم **المسئلة السادسة** كيف اطلق الحيوان على الدار الاخرة مع ان الحيوان تام مدرك فنقول الحيوان مصدر حي كالحياة تكن فيها مبالغة ليست في الحياة والمراد بالدار الاخرة هي الحياة الثانية فكانه قال الحياة الثانية هي الحياة المتميزة او نقول لما كانت الاخرة فيها الزيادة والنمو كما قال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فكانت في محل الادراك التام الحق كما قال تعالى يوم يتبعون السرابر اطلق عليها اسم المستعمل في اتم المدرك **المسئلة السابعة** قال في سورة الانعام لو انها لا يعقلون وقال ههنا لو كانوا يعلمون وذلك لان للشبهة هناك كون الاخرة خيرا وانه ظاهر لا يتوقف الا على العقل والشبهة هنا ان لا حسوة الا الاخرة وهذا دقيق لا يعرف الا بعلم نافع **قوله تعالى** فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون او لم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يومنون وبنعمت الله يكفرون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله اشارة الى ان المانع من التوحيد هو لحياة الدنيا وبيان ذلك انهم اذا انقطع رجاؤهم عن الدنيا رجعوا الى الفطرة الشاهدة بالتوحيد ووحدوا واخلصوا فاذا الجام الجماكان غالبا عليه من حب الدنيا واشركوا ثم قال ليكفروا بما اتيناهم وفيه وجهان احدهما ان اللام لام كي اي يشركون ليكون الشرك سببا لكفرانهم بنعمة النجاة وليتمتعوا بسبب الشرك فسوف يعلمون وقال للعلم وزوال امرهم والثاني ان تكون لام الامر ويكون المعنى ليكفروا على التهديد كما قال تعالى اعملوا ما شئتم وكما قال اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون فتأمل فاسدا فاتلو ثم قال تعالى ولم يروا انا جعلنا حرما امنا والتفسير ظاهر وانما الدقيق وجه تعلق الاية بما قبلها فنقول الانسان في البحر يكون على اخوف ما يكون وفي بيته سبكون على ابن ما يكون لا سيما اذا كان نبيه في محل خصيب فاذا كر الله تعالى حالهم بعد الخوف الشديد وراوا النعم في تلك الحالة زائدة الى الله ذكر حالهم عند الامن العظيم وهي كونهم في مكة فانها مدرتهم ومكدم وفيها مكاسبهم وتوليدهم وهي حصين بحصن الله حيث من حولها يتمتع من قتال من حصل فيها والحصول فيها يدفع الشر وعن التفسير ويكفيها بعيني انكم في اخوف ما كنتم تكونون

الله وفي من ما حصلتم عليه كفرتم بالله ثم بالله هذا متناقض لان دعاءكم في ذلك الوقت على سبيل الاخلاص ما كان الا لعظمكم بان النعمة من الله لا غير فهذه النعمة العظيمة التي حصلت وقد اعترفتم انها من الله كيف تكفرون بها والاصنام التي قطعتم فيها ان لا امن منها كيف استهنتم بها في حال الامن **قال تعالى** ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا لما بين الله تعالى الامر على الوجه المذكور لم يبق بعده احد يبين اعظم من يكون لان الظلم على ما بين وضع الشيء في غير محله موضعه فاذا وضع واحد شيئا في موضع ليس موضعه يكون ظالما فاذا وضعه في موضع لا يمكن ان يكون ذلك موضعه يكون اظلم لان عدم الامكان اقوى من عدم الحصول لان ذلك لا يمكن لا يحصل وليس كل ما لا يحصل لا يمكن فالله تعالى لا يمكن ان يكون له شريك وجعلوا له شريكا فلو كان في ملك مشتغل في ملكه لكان ظلما يستحق من الملك العقاب الاليم فكيف اذا حصل الشريك لمن لا يمكن ان يكون له شريك وايضا من كذب صادقا يجوز عليه الكذب كيف يكون حاله فاذا ليس باظلم ممن يكذب على الله بالشرك ويكذب على الله في تقرير توحيده والنبي في رسالة ربه والقرآن المنزل من الله تعالى الى الرسول والعجب من المشركين انهم قبلوا المتحدث من حشفة عفوت لا يا لهبة ولم يقبلوا اذا حشيا سحوتا سعوتا بالرسالة والاية تحتمل وجهان احدهما ان الله تعالى لما بين التوحيد والرسالة والحشر قرره ووعظ وزجر قال لنبيه ليقول للناس ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي اني جئت بالرسالة وقلت انها من عند الله وهذا كلام الله وانتم كذبتموني فالحال دايرة بيني وبين امرين اما ان افتريت عليه ان كان هذا من عند غير الله وانتم مكذبون بالحق ان كان من عنده لكني مفتر يستحق العذاب الاليم عارف به فلا افتري عليه على الاقل لان جهنم مثوى للكافرين والمتيقن انكم كذبتموني فجهنم مثواكم اي هي مثوى لمثلكم الكافرين وهذا حينئذ يكون كقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين **ثم قال** تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وفيه مباحث الاول في المناسبة لما فرغ من التقرير والتفريع ولم يبق من الكفار سوى قوم مرددين نقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا اي من جاهد بالطاعة هذه سبيل الجنة وان الله لمع المحسنين اشارة الى المعية والقربة التي تكون للمحسنين وزيادة على حسنتهم وفيه وجه اخر حكمي وهو ان يكون المعنى والذين جاهدوا فينا اي الذين نظروا في دلائلنا لنهدينهم سبلنا اي لنجعل فهم العلم لنا ولنبين هذا فضل ربهان فنقول اصحابنا المتكلمون قالوا ان النظر شرط للعلم الاستدلالي والله تعالى يخلق في الناظر العلم عقيب نظره ووافقهم الفلاسفة على ذلك في الجملة وقالوا النظر يعد النفس لقبول الصورة المعقولة وانا استعدت النفس حصل لها العلم من يفيض واهب الصور الجسمانية والعقلية وعلى هذا يكون الترتيب حسنا ايضا وذلك لان الله تعالى لما ذكر الدلايل ولم يوجد العلم الا الايمان قال انتم لم تنظروا فلم تهتدوا وانما يهدي المتيقن الذين يستفرغون الفطنة والذكاء فينظرون فيهديهم وقوله تعالى وان الله لمع المحسنين اشارة الى درجة اعلى من الاستدلال

عامة تعالى فمنهم من يكون بعيدا لا ينتقرب ومنهم الكفار ومنهم من ينتقر بما النظر والسكوت
بتعديدهم وتقريعهم ومنهم من يكون الله معه ويكون قريبا منه يعلم الانبياء ولا يعلمه
من الاشياء ومن يكون مع النبي كيف يخاطبه فقوله وبين اظلم اشارة الى الاول وقوله
والذين جاهدوا فينا اشارة الى الثاني وقوله وان الله لمع المحسنين اشارة الى
الثالث والله تعالى اعلم بما شاركت به سورة الروم بحمد الله سبحانه وتعالى ومنه

سورة الروم مكية بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر
من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم
وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وجه تعلق هذه السورة بما قبلها بتبيين
سبب النزول فنقول لما قال الله تعالى في السورة المتقدمة ولا يحادل في الله
الكتاب الا الذين هي احسن وكان يجادل المشركين يتهمهم الى قدم العقل كما في قوله ضلكم
عمهم لا يعقلون وكانوا هل الكتاب يوافقون النبي صلى الله عليه وسلم في الاله
كما قال تعالى والهكم واحد وكانوا يؤمنون ببعض ما يقوله بل الذين هم ما كانوا
يؤمنون به كما قال والذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به ابعض المشركون اهل الكتاب
وتركوا مراجعتهم وكانوا من قبل يراجعونهم في الامور فلما وقعت الكسرة عليهم حتى قال لهم
الفرس المجوس ترجح المشركون بذلك فانزل الله هذه الايات لبيان ان الغلبة لا تدل
على الحق لان الله تعالى قد يريد ان يزيد في ثواب المحب فيبتليه ويسلط عليه الاعادي وقد يختار تعجيل العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وقيل يوم المعاد للعابدين
وفي الاية مسايل المسئلة الاولى ما الحكمة في افتتاح هذه السورة بحروف
التهجي فنقول قد سبق مرارا ان كل سورة افتتحت بحروف التهجي فان في اوايلها ذكر
الكتاب او التنزيل او القرآن الا هذه السورة وسورتين اخريين ذكرتا كلاهما
في العنكبوت وقد ذكرنا الحكمة فيهما في موضعهما فنقول اما ما يتعلق بهذه
السورة وسورتان السورة التي في اوايلها التنزيل والكتاب والقرآن في اوايلها
ذكر ما هو معجزة وهو اخبار عن الغيب فقد تقدم الحروف التي لا يعلم معناها كالتنبيه
السابع فيسمع فيقبل بقلبه على الاستماع ثم نزد عليه المعجزة وتتزايد الاستماع
المسئلة الثانية في قوله في ادنى الارض اي ارض العرب لان الالف واللام
للتعريف والمعهود عندهم ارضهم وقوله من بعد غلبهم اية ثابتة في ذكرها مع ان قوله
سيغلبون بعد قوله غلبت الروم لا يكون الا من بعد الغلبة فنقول الفائدة
فيه اظهار القدرة وبيان ان ذلك من امر الله لان غلب لو غلبه لا يكون الا هكذا
ضعيفا فذكر ان غلبتهم بشوكتهم لكان الواجب ان يغلبوا فقل غلبهم فانا غلبناهم
ما غلبوا دل على ان ذلك بامر الله فذكر من بعد غلبهم ليتفكروا في ضعفهم يتذكروا

ان ذلك ليس بقوتهم وانما كان بامر الله وقوله في ادنى الارض لبيان شدة ضعفهم اي انتهى
ضعفهم الى ان وصل عددهم الى طريق الحجاز وكثروهم في بلادهم غلبوا حتى وصلوا الى المدائن
وبنواهناك القرى وبيان ان هذه الغلبة العظيمة تعد دليلا على الضعف العظيم باذن
الله المسئلة الثالثة قال في بضع سنين قيل ما بين الثلاث الى العشر وهم الوقت
انما تعرف السنة والشهر واليوم والساعة لها معلومة عند الله تعالى وبينها تنبيه
وما اذن له في اظهاره لان الكفار كانوا مفسدين والامور التي تقع في البلاد الثابتة
تكون معلومة الوقوع بحيث لا يمكن انكارها لكن وقتها يمكن الاختلاف فيه فالمعاند
كان يتمكن من ان يرجف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليجعل الخلف في كلامه وما وردت
الاية ذكر ابو بكر الصديق رضي الله عنه ان الروم ستغلب في بضع سنين وانكره ابي
ابن خلف واحتشوا ابا بكر رضي الله عنه ابي خاطروه على عشر قلا بن ابي عصر ثلاث
سنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده
في الابل وماده في الاجل فجعل الغلبة بضع سنة والاجل سبعا وهذا يدل على علم النبي
صلى الله عليه وسلم بوقت الغلبة ثم قال تعالى لله الامر من قبل ومن بعد اي من قبل
الغلبة ومن بعدها او من قبل هذه المدة ومن بعدها بيان ان اراد ان يغلبهم قبل
قبل بضع سنين وان اراد غلبهم بعدها وما قدر هذه المدة للعجز وانما من ارادة قادرة
وبنيا على الضم لما قطعنا عن الاضافة لان عين الضم من الفتحة والكسرة بينهما
بما يدخل عليهما ومن النصب والجر اما النصب فقولك جيت قبله او بعده واما
الجر فقولك من قبله ومن بعده فبنيا على الضمة لعدم دخول ما شملها عليه في الاخر
وسوى الرفع وقوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء قيل يفرحون
بغلبة الروم على الفرس كما فرح المشركون بغلبة الفرس على الروم والاصح انهم يفرحون
غلبتهم المشركون وذلك لان غلبة الروم كانت يوم غلبة للمسلمين المشركين ببدر
ولو كان المراد ما ذكروه لما صح لان في ذلك اليوم بعيد لم يصل اليهم حد الكثر
فلا يكون في جهتهم يومئذ بل الفرح يحصل بعده ثم قال ينصر الله بنصر من يشاء
نزع المصدر في قوله وابرك بصره وذلك لان المقصود هاهنا بيان ان النصر
بيد الله ان اراد نصر وان لم يرد لم ينصر وليس المقصود التقرير وقوتها والمقصود
اظهار القدرة عليهم بانه نصره فالمقصود هناك الفعل وقوته فقدم هناك الفعل
ثم بين ان ذلك الفعل مصدره عند الله والمقصود هاهنا كون المصدر عند الله ان
اراد فعل فقدم المصدر ثم قال تعالى وهو العزيز الحكيم ذكر من اسمايه هذين الاسمين
لانه ان لم ينصر المحب بل يسلط عليه العدو وذلك لعزته وعدم افتقاره وان
نصر المحب فذلك لرحمته عليه او نقول ان نصر الله تعالى المحب فلعزته واستغنائه
عن العدو ورحمته على المحب وان لم ينصر المحب فلعزته واستغنائه عن المحب ورحمته
في الاخرة واصلة اليه ثم قال تعالى وعد الله لا يخلف الله وعده بعني سيغلبون
وعد الله وعدا وعد الله لا اختلاف فيه وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون الله

ليعلموا وعده وانه لا خلف في وعده ثم قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعني علومهم
منحصرة في الدنيا وايضا لا يعلمون الدنيا كما هي وانما يعلمون ظاهرها وهي ملاذها
وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهي مضارها ومتاعبها ويعلمون وجودها الظاهر ولا
يعلمون فناءها وهم عن الاخرة هم غافلون وهم المعتوهون عن الاخرة غافلون وذكر
هم الثانية للتقرير لان الغفلة منهم والاغفال الذكر حاصلة وهذا كما يقول
القايل لغيره غفلت عن امري فاذا قال هو شغلني فلان يقول شغلك ولكن انت
اشتغلت فقوله تعالى اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد
منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات
فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين
اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون الله يبدؤ
الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون فالمقصد من الكفار الانكار بالله عند انكار وحدة
الله الخلق بينه كما قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون قال الانكار بالحشر كما قال تعالى
وهم عن الاخرة هم غافلون بين ان الغفلة وعدم العلم منهم بتفكرهم بالله والاغفال
الذكر حاصلة وهي انفسهم لو تفكروا فيها علموا وحدانية الله وصدقوا به
بالحشر اما الوحدانية فلان الله تعالى خلقهم على احسن تقويم ولذكر من حسن
خلقهم جزاني الفالف جزء وسوان الله تعالى خلق للانسان معدة فيها ينهضم
غذاؤه لتسوي به اعضاؤه وفيها مسقتان احدهما لدخول الطعام فيه والاخر لخروجه
عنه فاذا دخل الطعام فيها انطبق المسقة الاخر بعضه على بعض بحيث لا يخرج
منه ذرة ولا بالرشح وهذه تمسكه اما مسكة الجاذبة فتجتذب صالح ما هو
من المعدة الاخر وحلق تحت المعدة عروقا دقاقا صلابا كالصافات التي يضيق
منها الشعير لدنها الصافي الى الكبد وبيضيق التقبل الى ما هو مخلوقة تحت
المعدة مستقيما من فوها الى الخروج وما يبقى في الكبد في العروق المذكورة ويسمى
الدم رقيقا بالعربية والصفراء عربية مستورة في الاكثر ولو بيس يبس ولا له
ايد الجغر فلك فالدم شاربقا فالمحتبى تعتاها مشاريق الشحم قابلة الكبد وينضجه
نضجا جيدا ويكون مع العتا المنزجه مع المعدة الجا الكبد فضل ما مشروب ليبدق
ويبدق في العروق الرقاق المذكورة وفي الكبد يستقيمن ذلك لما يبضب
من جانبه جذبه الكبد الى الكلية ومعه دم يسير تتغذى به الكلية وغيرها
ويخرج الدم الخالص عن الكبد في مجرى كبير كبني ثم يتشعب ذلك النبي الى جداول
والجداول الحسوانية والسوانية الى الرياضح ويصل منها الى جميع البدن فهذه حكمة
واحدة في خلق الانسان وهي بانية في معرفة كون الله قاعدا مختارا قادرا
كاملا عالما لما علمه ومن بكن كذلك يكون واحدا والا كان عاجزا عما اراده

شركيه صنعها اراده واما دلالة الانسان على الحشر فذلك لانه اذا تفكر في نفسه يرى
قواه صايرة الى الزوال واجزاءه مايلة الى الاضمحلال فلا بد من صانع يدبره
لحياة اخرى لكان خلقه على هذا الوجه عبثا والبه الاشارة بقوله افحسبتم انما
خلقناكم عبثا وهذا ظاهر لان من يفعل شيئا للعب قلوبالغ في احكامه وانقانه يضحك
منه فان خلقه كذلك للبقاء لا للفناء والاخرة لا بد منها ثم قال تعالى ذكر
بعد دليل الانفس دليل الافاق وقال ما خلق الله السموات والارض وما بينهما
الا بالحق واجل مسمى يقتضي لا بالحق اشارة الى وجه دلالتها على الوحدانية وقد
بينا ذلك في قوله تعالى خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية
للمؤمنين وتقييده فان التكرير على ايد هن تفيدا لتقرير الذي الذهن فتقول
اذا كان بالحق لا يكون فيها باطلا لان ما لا يكون فيها فساد لان كل فاسد
باطل واذا لم يكن فيها فساد لا يكون فيها اله غيره والا لكان فيها فساد كما
قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله واجل مسمى يذكر بالاصل الاخر
الذي انكره ثم قال وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون يعني لا يعلمون انه لا بد
بعد هذه الحياة من لقاء وبقاء اما في ارتقاء او في شقاء وفي الاية مسايل المسئلة
الاولى قدم ها هنا دليل الافاق على دليل الانفس وذلك لان المعتاد اذا افاد
فايدة يذكرها على وجه جيد يختاره فان فهمه السامع المستفيد فذاك والا يذكرها
على ابين منه وينزل درجة فدرجة واما المستفيد فانه يفهم اولا الابين ثم يرتقي
الى فهم ذلك الاخفى الذي لو يكن فهمه فيفهمه الابين المذكور اخرا فاذا المذكور
من المعتاد اخرا مفهوم عند السامع اولا اذا علم هذا فنقول ها هنا العقلاء كانوا
مستويا الى السامع حيث قال اولم يتفكروا فقال اولم يتفكروا في انفسهم بعينها فيها
فهموا نيا واما في قوله سنريهم اياتنا في الافاق الامر مستوي الى المعتاد المستمع
تذكروا له الافاق فان لم يعتبروا فالانفس لان دلايل الانفس لا ذهول الناس
فيها ولا يمكن الذهول عنها لا يدل الافاق فيمكن الذهول عنها وها هنا الترتيب
مراعى في قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يعلمون
الله بدلايل الانفس في سايراحوالهم ويتفكرون في خلق السموات والارض بدلايل
الافاق المسئلة الثانية وجه دلالة الخلق بالحق على الوحدانية ظاهر واما
وجه دلالته على الحشر كيف هو فنقول وقوع تخريب السموات وعدمها لا يعلم بالعقل
الا امكانه واما وقوعه فلا يعلم الا بالسمع لان الله تعالى قادر على ابقاء الحادث
ابدا كما انه يبقي الجنة والنار بعد احداثهما ابدا والخلق دليل امكان العدم لان
المخلوق لم يجب له القدم فجاز عليه العدم فاذا اخبر الصادق عن امر له امكان
وجب على العاقل التصديق والا ذعان ولان العالم لما كان مخلوقا بالحق ينبغي
ان لا تكون بعد هذه الحياة حياة اخرى باقية لان هذه الحياة ليست لعبا ولهوا
كما بين بقوله تعالى وما هذه الحياة الدنيا الا لعب ولهو وخلق السموات والارض للعب

والله عبث واللعب ليس بحق وخلق السموات والارض بالحق لابد من حياة بعد هذه
المسئلة الثالثة فانها هاهنا كثيرا من الناس وقالوا لن تبعث ولكن اكثر الناس وذلك
لمن مثل لم يذكر عليه الا عابي الاصليين وههنا كان قد ذكر الدليل للواضحة والبرهين
الدلالة ولا شك في ان الايمان بعد الدليل اكثر من الايمان قبل الدليل فبعد
الدليل السابق من ذلك الاكثر حج فلا يبقى الا كثر حاجة فقال لبعد اقامة الدليل
واذكر يا محمد لقومك بعد الدليل الذي لا يمكن الذهول عنه والدليل الذي
لا يقع الذهول عنه وان امكن وهو السموات والارض لان من البعيد ان يذهل
الانسان عن السما التي فوقه والارض التي تحته ذكر ما يقع الذهول عنه وتوام
امثالهم وحكاية اشكالهم فقال ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم وقال في الدليلين المتقدمين اولم يروا ولم يقبل اولم يسيروا
اذ لا حاجة هناك الى التسيير لحضور النفس والسما والارض وقال ههنا اولم يسيروا
فينظروا ذكرهم حال امثالهم ودبا اشكالهم ثم ذكر انهم اولي بالهلاك لان من تقدم
من عاد وثمود كانوا اشد منهم قوة ولم تنفعهم قوتهم وكانوا اكثر مالا وعمارة ولم
يمنع عنهم الهلاك اموالهم وحصولهم واعلم ان اعتماد الانسان على ثلاثة اشيا قوة
جثمية بنيه او في اعوانه او بها المباشرة وقوة حالية او بها التاهب للمباشرة
وقوة ظهرية يستند اليها عند الضعف والفتور وهي بالحصون والعمائر فقال
كانوا اشد منكم قوة في الجسم واكثر منكم مالا لانهم اثاروا الارض اي حرثوها وبنه
وسقته البقرة تثير الارض وقيل بسقيه سميت ثورا وانتم لاحراثة لكم فانهم كان اكثر
وعمارتهم كانت اكبر لان ابنيتهم كانت رفيعة وحصونهم منيعة وعمارة اهل مكة
كانت يسيرة ثم هو لا جاءتهم رسلهم بالبينات وامروهم ونهوهم فلما كذبوهم اهلكوا
فكيف انتم وقوله فما كان الله ليظلمهم يعني لم يظلمهم بالتكليف فان التكليف
تشريف لا يوجد له الا محل شريف ولكن هم ظلموا انفسهم بوضعها في موضع خسيس
وهو عبادة الاصنام فاتباع ابليس وكان الله تعالى بالتكليف وضعهم فيما هو
خلق له وهو الربح لانه تعالى قال خلقتكم لتربحوا علي لا لازيح علتكم والوضع
في موضع كان لهم لا ليس بظلم وانهم وضعوا انفسهم في موضع الخسران ولم يكونوا
خلقوا الا للربح فهم كانوا ظالمين وهذا الكلام بنا وان كان في الظاهر يشبه كلام
المعتزلة لكن العاقل يعلم كيف يقول اهل السنة وهو ان هذا الموضع منهم كان
بمشيئة الله وارادته لكنه كان منهم وقضا فالبهم ثم قال تعالى ثم كان عاقبة
الذين اساؤا السوا ان كذبوا قال للذين احسنوا الحسنى وقوله ان كذبوا اي كان عاقبتهم
هذا بسبب انهم كذبوا وقيل معناه ان كذبوا اي اساوا ان كذبوا فكذبوا ليكون
تفسيرا لاساوا وفي هذه الاية لطايف الاولى قال في حق الذين احسنوا هو
للذين احسنوا الحسنى وقال في حق من يسيء كان عاقبة الذين اساوا السوا اشارة
الى ان الجنة لهم من ابتدا الامر فان الحسنى اسم الجنة والسوا اسم النار فاذا كانت

الجنة لهم لا بتدا او ولهم شيئا فشيئا ترداد ويتم بنعمه فهو له لان حال الاصل يوجب مثله والثمرة
فالجنة لهم حيث خلقت لهم ولهذا قال تربصوا فتتم لكم الحسنى واما الذين اساوا فالنار جهنم هي لعاقبتهم
مصيرهم اليها الثانية ذكر الزيادة في حق المحسن ولم يذكر في حق المسيء لان جزاء السيئة
مثلها الثالثة لم يذكر في المحسن انه له لكن بين بانه صدق وذكر في المسيء بانه له السوء
بانه كذب لان المحسن لكونه فاضلا للمحسن فضل المتفضل ولو لم يكن تفضله لسبب
يكون ابلغ واما السوء للمسيء عدل والعدل اذا لم يكن تعذيبه لسبب لا يكون تعذيبا فذكر
السبب في التعذيب وترك الاصرار على التكذيب ولم يذكر السبب في الثواب والله اعلم
باسرار كلامه ولطايف كتابه قوله تعالى الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون
ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركايهم شفعا وكانوا بشركايهم
كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا بايتنا ولقا الاخرة فاولئك
في العذاب محضرون لما ذكر تعالى ان عاقبتهم الى الجحيم وكان في ذلك اشارة الى
الاعادة والحشر لم يترك دعوى بالبينة فقال الله يبدؤا الخلق يعني من خلق بالبدية
والارادة ولا يعجز عن الرجعة والاعادة واليه ترجعون ثم بين ما يكون وقت الرجوع
اليه فقال ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون في ذلك اليوم بينين قال الاسم ويحقق
الابلاس والابلاس مع حيرة يعني يوم تقوم الساعة يكون المجرم يائس محير لا يائس دهر
لصر الراجين وهذا لان الطمع اذا انقطع باليأس فان كان المرجو امرا غير ضروري
يستريح الطامع بالانتظار وان كان ضروريا لا يقاله يدوقه بنقطع فواده اشد
انتظار ومثل هذا اليأس والابلاس وتبين حال المجرم وابلاسه بمثال وهو ان تنزل
منزلة من يكون في بستان وحواليه الملاهي والملاهو ولديه ما يفتخر به ويباهي فيخبره
صادق بمجيء عدو لا يرده سراد ولا يصيره صاد اذا الجاه لا يبلغه ريقا ولا يترك له
الخلاص طريقا فيختم عليه الاشتغال ببعض طريق الخلاص فيقول له طفل او مجنون
ان هذه الشجرة التي انت تحتها لها من الخواص دفع الاعادي عمن يكون تحتها فيقبل
ذلك العاقل على استيفاء مادة معتمدا على الشجرة لقول ذلك الصبي فيجيء العدو
ويحيط به واول ما يريد من الاهوال يقلع تلك الشجرة ويبقى متحيرا ايسا شقيرا
يائسا فكذلك المجرم في دار الدنيا اقبل على استيفا اللذات واحتمره النبي الصادق
بان الله يخزيه ويعذبه عذابا يخزيه فقال له الشيطان او النفس الامارة بالسوء
الا هذه الاحشاب التي هي الاوثان اذا قعة عنكم كل يأس وشافعة لكم عند جموده
الحواس فاشتغل بها موقنا واستمر على عبادتها حتى اذا جاءته الطامة الكبرى واول
ما ادنته القيامة الاصنام فما البتار فلا يجد الى الخلاص من طريق ويحق عليه عذاب الحريق
فيبأس حينئذ اشد يأس وبيلس اشد ابلاس واليه الاشارة بقوله تعالى ولم يكن لهم
من شركايهم شفعا وكانوا بشركايهم كافرين ويعضد بكفرون بهم ذلك اليوم ثم قال تعالى
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ثم بين امرا اخر يكون في ذلك اليوم وهو

425

الاعتراف في ذلك اليوم فتخلد كافة في جانبة احزي واستأنفوا اليوم ايها المجرمون وكانت
هذه الحالة ترتيبة على الابلاس فكانه قال ولا يبلس مجرمين مجعل قرينة في الجنة وقرينة في السعير
واعاد قوله ويوم تقوم الساعة لان قيام الساعة ام هايل فكرره تاكيدا للخوف ومنه
اعتاد الخطباء تكرير يوم القيامة في الخطب لتذكيرها ثم بين كيفية التفرق فقال
فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون اي في جنة يسرون بكل مسرة
واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون بعين
لا غيبة لهم عنه ولا فتور له عنهم كما قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها
وقال لا يفتر عنهم العذاب وفي الايتين مسايل المسيلة الاولى بداية كرحال
الذين امنوا مع ان الموضع موضع ذكر المجرمين وذلك لان المومن يوصل اليه الثواب
قبل ان يوصل الى الكافر العقاب حتى يرى ويتحقق ان المومن وصل الى الثواب فيكون
اليقين لولا دخل الكافر النار اولا لكان يظن ان الكل في العذاب مشتركون فقدم
ذلك زيادة في ايلامهم المسيلة الثانية ذكر في المومن العمل الصالح ولم يذكر
في الكافر العمل السيء لان العمل الصالح معتبر مع الايمان المجرد معتد للنجاة دون
رفع الدرجات ولا يبلغ المومن الدرجة العالية الا بايمانه وعمله الصالح واما الكافر
فهو في الدرك الاسفل بمجرد كفره فلو قال لكفروا وعملوا السيئات في العذاب محضرون لكانت
العذاب لم يبعد عن الجمع فان قيل هلا وصل قلت يومئذ وبعمل السيئات غير مذكور في
الفريق فتقول له مترلة بين المترلتين لا علي ما يقوله المعتزلة بل هو في الاول
في العذاب لكن ليس من المحضرين دوام الحضور وفي الاخرة هو في رياض ولكنه ليس
من المحبورين بغاية الحبور كما ان لكل حكم الوعد المسيلة الثالثة قال في الاول
في روضة على التنكير وقال في الاخر في العذاب على التعريف لتعظيم الروضة بالتنكير
كما قيل للملك ادخل الدار اي كبيرة وتعظيم المسيلة الرابعة قال في الاول يحبرون
بصيغة الفعل ولم يقل محبورون فقال في الاخر محضرون بصيغة الاسم ولم يقل
يحضرون لان الفعل ينبي عن التجدد والاسم لا يدل عليه فقوله يحبرون يعني
كل ساعة يانيهم امر يسرون به واما الكفار فهم اذا حلوا العذاب يبقون فيه محضرين
قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات
والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي
الارض بعد موتها وكذلك تخرجون وبآياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم
بشر تنتشرون لما بين الله تعالى عظمته في الابتدا بقوله ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما الا بالحق وعظمته في الانتها وهو حين تقوم الساعة ويفترق
الناس مترقبين ويحكم على البعض بان لا ولي في الجنة ولا اباي في النار ولا ايابي
امر نبه عن كل سوء وحده على كل بقعة فقال فسبحان الله اي فسبحوا الله تسبيحا
وفي الاية مسايل المسيلة الاولى في معنى قوله سبحان الله ولفظه اما اللفظة
فهذا اسم المصدر الذي هو التسبيح سمي التسبيح وجعل له علما وقلما التجئ قال

426

بعضهم اشار الى الصلوات الخمس وقال بعضهم اراد به التنزيه تزهوا عن صفات النقص وصفوه
بصفات الكمال وهذا اقوى والمصير اليه اولى لانه يتضمن الاول وقد بان ان التنزيه الحاصل
به بيانا والتنزيه بالعلم وهو الاعتقاد الجازم باللسان مع ذلك وهو الذكر بالحسن
ولما كان تمام اجرها وهو العمل الصالح والاول هو الاصل والثاني ثمرة الاول والثالث ثمرة
الثاني وذلك لان الانسان اذا اعتقد شيا ظهر من قلبه على لسانه واذا قال ظهر صدقه
فيفعله من احوال اعضائه فاللسان ترجمان الجنان والاركان برهان اللسان لكن الصلاة
افضل اعمال الاركان ومشتملة على الذكر باللسان والصدق بالجنان لهذا نبه بالتنزيه في التحقيق
فاذا قال تنزهوا بهذا نوع من انواع التنزيه والامر المطلق لا يختص بنوع دون نوع
فيجب حمله على كل ما هو تنزيه فيكون هذا امرا بالصلاة ثم ان قولنا هذا يناسب
ما تقدم وذلك لان الله تعالى لما بين ان المقام الاعلى والحظ الاوفى لمن امن وعمل صالحا
حيث قال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون قال اذا علمتم ان
ذلك المقام لمن امن وعمل صالحا والايمان تنزيه بالجنان وتوحيد باللسان والعمل الصالح
استدلال بالاركان فالكل تنزيهات وتحميدات فقوله تسبحان الله اي فانزلوا الذي
هو الموصل الى الحبور تنزيه الرياض والروض على الحياض المسيلة الثانية خص بعض الاوقات
بالامر بالتسبيح وذلك لان افضل الاقوال ادومها لكن العمل لا بد له مدا ومون للتسبيح
على الدوام كما قال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون والانسان ما دام في الدنيا
لا بد له ان يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لكونه محتاجا الى الاكل والشرب وتحصيل ما كول
ومشروب وملبوس ومركوب قال الله تعالى الى اقوله اذا الى العبد بتسبيح الله
تعالى بنهار يكون كانه تعريف هو الاول والاخر والوسط قال النهار واخر وسطه
بالظهر واول الليل ووسطه ولم يامر بالتسبيح في اخر الليل لان النوم فيه غالب والله
تعالى هو المعلي عباده بالاستراحة بالنوم كما قال تعالى ومن ايانه منامكم بالليل قال اذا
صليتم اول النهار تسبيحتين وهما ركعتان حسب له صرف ساعتين الى التسبيح ثم اذا
صلى اربع ركعات وقت الظهر حسب له صرف اربع ساعات اخر قصار ستة ساعات فاذا
صلى اربعا اواخر النهار وهو العصر حسب له اربع ساعات اخر قصار عشر ساعات فاذا اخط
المغرب والعشا سبع ركعات اخرجت له سبع ساعات اخر حصل له صرف سبع عشرة ساعة
الى التسبيح وبقي من الليل والنهار سبع ساعات وهي ما بين نصف الليل وثلثيه ثمان
ساعات ونصفه ست ساعات وما بينهما التيمم وهذا القدر هو الذي لو نام الانسان
فيه لكان كثيرا واليه اشار تعالى بقوله قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او
زد عليه وزيادة القليل على النصف هي ساعة فتصير سبع ساعات مصروفة الى النوم
والتيمم مرفوع عنه العلم فنقول لله تعالى عبدي صرفت جميع اوقاتك تكليفه في تسبيحي
لربيتي لكم ايها الملائكة عليهم المزينة الذي اردتم بقولكم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك
على سبيل الاختصار ركبتم مشكلكم فقالهم مثل تقالكم في اعلى عليين واعلم ان في موضع من
الصلاة في اوقاتها وعدد ركعاتها واختلافها حكمة بالغة اما في عدد الركعات

تما تقدم فى كون الانسان يقظان فى تسع عشرة ساعة تفترض عليه سبع عشرة ركعة واما على
مذهب ابى حنيفة رحمه الله تعالى فيجب الوتر ثلاث ركعات فمن اذنب للتقوى
تتقول بوما خوذ من ان الانسان ينبغى ان يقتل يومه فلا يتم الا الثلث الليل ماخوذ
من قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه ويفهم من هذا ان
القيام بثلثى الليل مستحسن مستحب موكدا لاستحباب فلهذا قال بعضهم علم ان لن تحصوه
فتاب عليكم وكرر تيقظا لتوبة واذا كان كذلك يكون الانسان يقظان فى ثلثى ساعة
فاربعة عشر ركعة واما البيتوتة صلى الله عليه وسلم فلما كان من شانه ان الايتام اصلا كما
قال عليه السلام تنام عيناى ولا ينام قلبى جعل له كل الليل كالنهار فقد يباح له النوم
وامر به والى هذا اشار تعالى فى قوله ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا اى كل
الليل لك التسبيح فصار فى اربع وعشرين ساعة تسبيحا فصار من الذين لا يفترون
طرفة عين واما فى اوقاتها فقد تقدم ايضا ان الاول والاخر والوسط هو المعتبر به
فشرع التسبيح فى اول النهار واخره واما الليل فاعتبر اوله ووسطه كما اعتبر
اول النهار ووسطه وذلك لان الظهر وقته نصف النهار والعشاء وقته نصف
الليل لانا بينا ان الليل المعتبر هو المقدار الذى يامن الانسان فيه يقظان وهو
مقدار خمس ساعات لحصول وقته فى نصف هذا القدر وهو الثالث من الليل واما ابو
حنيفة رضى الله عنه فلما راى وجوب الوتر كان زمان التهجد عنده اربع ساعات
وزمان اليقظة بالليل كان ساعتان فاخر وقت العشاء الاخرة الى الرابعة
والخامسة ليكون فى وسط الليل المعتبر كما ان الظهر فى وسط النهار واما
النبى صلى الله عليه وسلم لما كان ليله نهارا ونومه فيها انتباها قال لولا
ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك وتاخير العشا الى نصف الليل لتكون الاربعة
نصف الليل لان الاربع فى نصف النهار ولما التفاضيل قال الذى ينبغى ان النهار
اثنا عشرة ركعة سامة رباعية والصلاة المودى بها فيها عشر ركعات فينبغى على
المكلف ركعتان يودى بهما فى اول الليل ويودى ركعة من صلاة الليل ليكون ابتدا
الليل بالتسبيح كما ان ابتدا النهار به ولما كان المودى من تسبيح النهار فى اوله ركعتين
كان المودى من تسبيح الليل فى اوله ركعة لان تسبيح النهار طويل بمثل ضعف تسبيح الليل
لان المودى فى النهار عشرة والمودى فى الليل من تسبيح الليل خمس

المسئلة الثالثة

فى فضيلة التسبحة والحمدلة فى المساء والصباح ولنذكرها على حسب النقل والعقل اما
النقل فاخبرنا شيخ الورع الحافظ الاستاد عبد الرحمن بن على الوان بحلوان بسنده
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لبعض اصحابه ايعجز احدكم ان ياتى وقت النوم
بالف حسنة فسئل كيف يعمل فقال النبى صلى الله عليه وسلم قل سبحان الله والحمد لله والله
اكبر مائة مرة يكتب لك بها الف حسنة وسمعته يقول رحمه الله مستدا من قال
خلف صلاة فكتوبة عشر مرات سبحان الله وعشر مرات الحمد لله وعشر مرات الله اكبر
ادخل الجنة واما العقل فبان الله تعالى له صفات لا نهاية لاثر فعله وصفات ثابتة

له من فعله اما الاولى فهى صفات كمال وجلال لحلاتها نقص فاذا ادراه المخلوق بانه
لا يجوز ان يخفى عليه شىء لكونه عالما بكل شىء فقد نزهه عن الجهل ووصفه بضده وجلاله
واذا عرفه بانه لا يعجز عن شىء لكونه قادرا على كل شىء فقد نزهه عن العجز واذا علم انه
لا يجوز على ملكه الا ما يريد لكونه مريدا للكائنات وصفه وتنزهه عن الغفلة واذا ظهر
له انه لا يجوز عليه الفناء لكونه واجب البقاء نزهه لكن صفاته السلبية والاضافية
لا يعدها عاد ولا يشتغل بها واحد لانه فى عمره ولا يدرك كنهها فاذا قال قايل مستخرا
بعلمه سبحان الله مستنبها لما يقوله من كونه منزها له عن كل نقص فانه بانيانه بالتسبيح
على هذا الوجه من الاجمال يقوم مقام اتيانه به على سبيل التفصيل لكن لا ريب فى ان
من اتى بالتسبيح عن كل واحد واحد مما لا يجوز على الله تعالى مما لا تفى بها به الاعمار
فيقال هذا العبد انى بتسبيحى طول عمره ومدة بقايه فاجازه بان اطهره عن كل ذنب
وادنبه لمحل الكرامة فانزله بدار المقامة حتى لا تنتهى لها وكما ان العبد نزه الله
فى اول النهار واخره ووسطه الله تعالى يطهره فى اوله وبعد بتباه وفى اخره وبعد
عقباه وفى وسطه وبوجاز كونه فى عشره الذى الجاز واذا حشره هو معناه واما الثانية
وهى صفات الفعل فالانسان اذا نظر فى حق السموات يعلم انها نعمة وكرامة فيقول
الحمد لله وكذلك القمر وكل كوكب والارض وكل نبات وكل حيوان يقول الحمد لله لكن
الانسان اذا حمد الله على كل شىء على حدة لا يفى عمره به فاذا استحضر فى ذهنه النعم
التى لا تعد كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وتنبه الله عليه على ذلك فقد
الحمد لله على وجه الاجمال يتنبه منه مقام الحمد على سبيل التفصيل ويقال عبدى استغرق
عمره فى حمدى وانا وعدت الشاكرين بالزيادة كلما حمدتنى حمدة التسبيح الحسبى وله
على حمدة الزيادة ثم ان الانسان اذا استغرق فى صفات الله تعالى قد يعجزه عقله
الى التفكر فى الله بعد التفكر فى الا الله فكل ما يقع فى عقله من تحميده ينبغى ان يقول
الله اكبر مما ادركه لكن المدركات وجهات الادراك لا نهاية لها فكان اراد ان يقول
على سبيل التفصيل الله اكبر من هذا الذى ادركته من هذا الوجه واكبر مما ادركه
من الوجه الاخر فيفنى عمره ولا يفى بادراك جميع الوجوه التى يظن الظان انه مدرك
الله تعالى بتلك الوجه فاذا قال تنبه نفسه الله اكبر اى من كل ما اتصله بفكره فعقلى
وطاقة ادراكى يكون مستغرقا فى العرفان والبه الاشارة بقوله العجز عن الادراك
ادراك فقول القايل المستيقظ سبحان الله والحمد لله والله اكبر يفيد بهذه القواعد
لكن شرطه ان يكون ذلك كلاما معتبرا وهو الذى يكون من صميم القلب الذى يكون
من طرق اللسان

المسئلة الرابعة

قوله وعشيا حتى حين تمسون وحين تصبحون
وعشيا والحمد لله فى السموات والارض كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وبنيه
لطيفة وهى ان الله تعالى لما امر العباد بالتسبيح كانه بين لهم ان تسبيحهم الله تعالى
لنفعهم لا لنفع يعود الى الله تعالى فعليهم ان يجيدوا الله تعالى ما سموه وهذا كما فى قوله
تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان

الخامسة قدم الاسماء على الاصباغ هاهنا واخره في قوله وسعوه بكرة واصيلا وذلك لان
ههنا اول الكلام وذكر الحشر والاعادة من قوله الله يبدو الخلق ثم يعيده الى قوله فاولئك
في العذاب محضرون واخر هذه الاية ايضا ذكر الحشر والاعادة بقوله وكذلك تخرجون
والاسماء اخر فذكر الاخر لتذكر الاخرة المسئلة السادسة في تعلق اخراج الحي من
الميت والميت من الحي بما تقدم عليه وان عدة الاصباغ يخرج الانسان من نشأة الموت
وهو النوم الى نشأة الحياة وهو اليقظة وعدة المسابح يخرج الانسان من اليقظة الى النوم
واختلف المفسرون في قوله يخرج الحي من الميت فقال بعضهم يخرج الدجاجة من البيضة
والبيضة من الدجاجة وكذلك الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان وقال
بعضهم المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ويمكن ان يقال المراد يخرج الحي من الميت اي
اليقظان من النائم والنائم من اليقظان وهذا يكون قد ذكره للتمثيل اي احيا البدن
عنده واماته للحي كتنبيه النائم وتنويم المنتبه ثم قال تعالى ويحيي الارض بعد موتها
وفي هذا معنى لطيف وهو ان الانسان يأتي الموت تتعطل حيوانيته واما نفسه الناطقة
فتفارقه وتبقى بعده كما قال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا لكن الحيوان
تام يتحرك حساسا لكن النائم لا يتحرك ولا يحس والارض الميتة لا يكون فيها نائم النائم
بالانتباه يتحرك ويحس والارض الميتة تعدم تهيأتها فكما ان تحريك ذلك
الساكن واتمامه الواقف سهل على الله تعالى كذلك احياء الميت سهل عليه وفي هذا
اشارة لقوله وكذلك تخرجون ثم قال تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب الاية
لما امر الله تعالى بالتسبيح على الاسوار وذكر ان الحمد له على خلق جميع الاشياء
بين قدرته على الاماتة والاحياء بقوله فسبحان الله الى قوله تخرجون ذكر ما هو
حجة ظاهرة وآية باهرة على ذلك ومن جملتها خلق الانسان من تراب وتقديره هو
ان التراب ابعد الاشياء عن درجة الاحياء وذلك من حيث كيفيته فانه يابس
والحياة الحرارة والرطوبة ومن حيث كونه فانه كدر والروح بسر ومن حيث ثقله فانه
ثقيل والارواح التي بها الحياة خفيفة ومن حيث السكون فانه بعيد عن الحركة فانه
والحيوان بخلافه بعينه ويسره والى خلف والى قدام والى فوق فالى اسفل وبالجملة فان
التراب ابعد عن قبول الحياة من سائر الاجسام لان العناصر ابعد من المركبات
لان المركب بالتركيب اقرب درجة من الحيوان والعناصر ابعدها التراب لان الماء
فيه الصفا والرطوبة والحركة وميلها على طبع الارواح والنار اقرب لانها كالحرارة
العزيزية منضجة حامية تقربه ثم المركبات واقربها المعدن فانه ممتزج
والمعدنيات اعلاها الذهب وهو قريب من ادنى مراتب النبات وهي مرتبة النبات
التي تنبت في الارض ولا يمرض ولا يرتفع ثم النبات واعلى مراتبها هي مرتبة الاشجار
التي تعمل التعظيم وتكون لثمرها بابا وحدة مثل ان الشجرة كالبيضة من الدجاجة
فالبيضة قريبة من ادنى مراتب الحيوانات التي ليس لها دم سائل ولا هي في المناقع
الحليله وسائل النباتات ثم الحيوان واعلى مراتبها الانسان فان الانعام ولا سيما

الفرس يشبه العقل والجمال والساعي ثم الانسان واعلى مراتبه قريبة من الملائكة للسجين
له الحامدين له فالله الذي خلق منا بعد الانبياء عن مرتبة الاحياء حيا من اعلى المراتب
لا يكون الا منزها عن العجز والجهل ويكون له الحمد على انعم الحياة ويكون له كمال القدرة
وتنفذ الارادة فيجوز منه الابداء والاعادة وفي الاية تطبيقان احدهما قوله ثم اذا
وهي لهما جاءة فيا ترجمت فاذا اسد يا لباب وهو اشارة الى ان الله تعالى خلقه
من تراب ثم قال له كن فكان لا انه صار معدنا ثم نباتا ثم حيوانا ثم انسانا وهذا
اشارة الى مسئلة حكمية وهي ان الله تعالى يخلق ولا قبيعة انه حيوانا وثابتا وغير
ذلك لا انه يخلق اولا حيوانا ثم يجعله انسانا فخلق الانواع ثم المراد الاول
ثم تكون الانواع هاهنا الاجناس بتلك الارادة الاولى قاله تعالى يجعل المراتب الا
حيرة في البتي البعيدة عنها غاية من غير انتقال من رتبة الى مرتبة من مراتب التي
ذكرناها التطبيقة الثانية قوله بشرا اشارة الى القوة المدركة لان البشر يشر
لا يحركه فان غيره من الحيوانات ايضا كذلك وقوله تنتشرون اشارة الى القوة المحركة
فظاهر ان التراب مجيب اما الادراك فلكثافته وجموده واما الحركة فلثقله وجموده
وقوله تنتشرون اشارة الى ان العجينة غير محتضنة خلق الانسان من التراب
بل خلق الحيوان المنتشر من التراب الساكن عجيب فضلا من خلق البشر في الاية
مسايل المسئلة الاولى وهي ان الله تعالى خلق ادم من تراب وخلقتاسة تكيف
قال لخلقكم من تراب تقول الحيوان عنه من وجهين الاول ما قيل ان المراد من قوله خلقكم
الله خلق اصلكم والثاني ان تقول لكل بشر مخلوق من التراب اما ادم فظاهر واما نحن
فلانا خلقنا من نطفة والنطفة من صالح الغذا والذي هو بالقوة بعض من الاعضا
والغذا اما من لحوم الحيوانات والنبات واسمائها او من النبات فالحيوان ايضا له
غذا هو النبات لكن النبات من التراب قال الحبة من الحنطة والنواة من التمرة لا
تنبت شجرة الا بالتراب وبتمام البها اجزا ترابية ليصير ذلك النبات بجيث يتغذى
المسئلة الثانية قال تعالى في موضع اخر وهو الذي خلق من الماء بشرا وقال من ما
مهين وهاهنا من تراب تكيف الجمع بينهما قلنا اما على الجواب الاول فالتراب ايضا
قال المراد منه ادم عليه السلام واما على الثاني فنقول هاهنا اما من اصل او
في خلقه الموضع قال ما من اصل قلنا لان ذلك التراب الذي صار غذا يصير ماء
ما يعا وهو اعني لم يتعقد ويكون منه انسان او نقول الانسان له اصلان
ظاهران اما ان التراب قال ان التراب لا يثبت الا بالماء ففي النبات الذي هو اصل غذا
الانسان تراب وماء قال نجعل التراب اصلا والماء جميع اجزايه المنفعلة فالامر كذلك
وان جعل الاصل هو الماء والتراب ليثبت اجزاءه المرطبة عن السيلان قال المركب له
قال قائل الله تعالى يجعل كل شيء ويعلم ان الاصل ماذا هو منهما واما هو
لامر عندنا مستتبه يجوز هذا وذلك قال ان كان الاصل هو التراب فكيف قال من
ما مهين وان كان الماء فكيف قال خلقكم من تراب قلنا كانا هما اصلين ثم لم يقل خلقكم

منها فتنزل فيه لطيفة وبيان كون التراب اصلا والماء اصلا ليس لذاتيهما واتما هو بجعل الله فان الله تعالى نظر الى قدرته كان له ان يخلق ولا يخلق الانسان ثم يفنيه ويعيد منه التراب ويذريه ويحصل منه الماء لكن الحكمة اقتضت الحكمة ان يكونا لتمام قدرته وسيلة الى الكامل لان الكامل يكون وسيلة الى الناقص فخلق الماء والتراب اولا وجعلهما اصلين لما سواهما ليتمايل الذي هو اكمل من كل واحد من الماء والتراب وسواء الانسان فاذا كان كونهما اصلين ليس امرا ذاتيا لهما بل بجعل جاعل فتارة جعل لاصل التراب وتارة الماء ليعلم انه تعالى بارادته واختياره ان شاء جعل هذا اصلا وان شاء جعل ذلك اصلا وان شاء جعلهما اصلين

المسئلة الثالثة قالت الحكماء ان الانسان مركب من العناصر الاربعة وهي التراب والماء والهواء والنار وقالوا التراب لتكلثمانه وانما الاستمساك فان التراب ينفتت بسرعة والهواء لاستقلاله كالزق المنتفوخ يوم الهواء ولولاه لما كان فيه استقلال وانتصاب والنار للنضج والانتباه بين هذه الاشياء لعل هذا صحيح ام لا وان كان صحيحا فكيف اعتبر الامر فيه ولم يقل في موضع اخر انه خلقه من نار ولا من ريح فنقول اما قولهم فلا مشورة فيه من حيث الشرع فلا نزاع عندنا فيه الا اذا قالوا انه بالطبيعة كذلك واما ان قالوا ان الله تعالى بحكمته خلق الانسان من هذه الاشياء فلا نزاع عندنا فيه واما الايات التي تذكرتم لا يخالف هذا لان الهواء جعل تموجه للاستقلال والنار للنضج فلما يكونا ان يقدحا في التراب فالاصل الموجود اولا هو التراب لا غير وكذلك خلقهما ولان المحسوس من العناصر يكون في الغالب هو التراب واتما ولا سبا كونها في الانسان ولكن احد محض الظاهر المحسوس يدل الذكر والله تعالى اعلم بالصواب قوله تعالى ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ومن اياته ان تقوم السماء والارض باسره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وله من في السموات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم لما بين الله خلق الانسان بين انه لما خلق الانسان ولم يكن من الاشياء التي تبقى وتدوم سنين متطاولة تفنى نوعه بالاشخاص وجعله بحيث يتوالد ويتناسل الى يوم القيامة ليلا يوجب فقد الواحد ثلمة في العادة لئلا يفسد وفي الجملة مسائل

المسئلة الاولى قوله خلق لكم دليل على ان النساء خلقن من خلق الدواب والنبات وغير ذلك من المنافع كما قال تعالى خلق لكم ما في الارض وهذا يقتضي ان لا تكون محظورة للعبادة والتكليف فنقول خلق النساء من النعم علينا وخلقن لنا وتكليفهن لاتمام النعمة لا توجيه التكليف نحو من

مثل توجيهه البناء وذلك من حيث ان العقل والحكم والمعنى اما العقل فهذا وغيره واما الحكم فلان المرأة لم تكلف تكاليف كثيرة كلف الرجال بها واما المعنى فلان المرأة ضعيفة الخلق خفيفة العقل فشابهت الصبي فكما ان الصبي لم يكلف فكذا تناسب ان تؤهل المرأة له للتكليف لكن النعمة علينا ما كانت تتم الا بتكليفهن لتعاقب لكل واحدة منهن العذاب فسقا ولزوجها ونسج من الحرير ولولاه لظهر الفساد

المسئلة الثانية قوله من انفسكم قال المراد منه انه خلقهن من جنس ادم والصحيح ان المراد من جنسكم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ويدل عليه قوله لتسكنوا اليها فانه يفيد ان الجنسين المختلفين لا يسكن احدهما الى الاخر بل تنبت نفسه معه ولا يميل قلبه اليه

المسئلة الثالثة بقال سكن اليه لسكون القلب لان كلمة عند ترجمان لظرف المكان وذلك للاجسام والى للغاية وهي تقابل

المسئلة الرابعة قوله وجعل بينكم مودة ورحمة بينه اقوال قال بعضهم مودة بالمجامعة ورحمة بالولد تمسكا بقوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا لعلمه حالة حاجة نفسه ورحمة حال حاجة صاحبه اليه وهذا لان الانسان يجب ثلاثا ولده فاذا رأى عدوه في شدة من جوع او الم قد يأخذ من ولده ويصلح به حاله لذلك بسبب المحبة واتما هو بسبب الرحمة ويمكن ان يقال لذكر من قبل امرين احدهما كون الزوج من جنسه والثاني ما نقض اليه الجنسية وهو ان يكون اليه بالجنسية توجب السكون وذكرها هنا امرين احدهما بقضي الى الامر فالمودة يكون اولا ثم انها تفضي الى الرحمة ولهذا قال ان الزوج قد يخرج من محل الشهوة بكبر او مرض ويبقى قيام الزوج بها وبالعكس قوله ان في ذلك يحتمل ان يقال المراد في خلق الازواج ويحتمل ان يقال في جعل المودة بينهم اياتا اما الاول فلا بد له من تفكر لان خلق الانسان من الوالدين بيد الله على كمال القدرة ونفوذ الارادة وشمول العلم لمن يتفكر ولو في خروج الولد من بطن الام فان دون ذلك لو كان من غير الله لانتفى الى هلاك الام وهلاك الولد ايضا لان الولد لو سد من موضع منفذ بغير اعانة الله تعالى لمات واما الثاني فكذلك لان الانسان يجد بين القريبين من ارحام ما لا يجده بين ذوي الارحام وليس ذلك لمحرم الشهوة فانها قد تنتفي وتبقى الرحمة فهو من الله تعالى لو كان بينهما مجرد الشهوة والعضة كثير الوقوع وهو يبطل الشهوة والشهوة عتيدة دائمة في نفسها لكان كل ساعة فراق وطلاق فالرحمة التي بها يدفع الانسان المكاره عن غيره حرمه هي من الله تعالى وليعلم ذلك الا ينكر ثم قال تعالى ومن اياته خلق السموات والارض فان بعض الكفار يقول في خلق البشر وغيره من تركيبا انه بسبب ما في العناصر من الكيفيات وما في السموات من الحركات والانضمامات فاذا قيل لهم فالسماء والارض لم تكن لانتزاع العناصر وانضمامات الكواكب فلم يجد بدا من ان تقول ذلك بقدرة الله وارادته ثم لما اشار الى دليل الانفس والافاق ذكر ما هو من صفات الانفس بالاختلاف الذي هو بين الوان الانسان فان ولدا منهم مع كثرة عددهم وصغر حجم حزورهم وقد ودهم لا يشبه بعيره والسموات مع كبرها

وقلة عددها مشتبهات في الصور والتباين اختلاف كلامكم فانه عربيان هما حروف اذا
تكلما بلغة واحدة يعرف قصد هما بالاخر حتى ان من يكون محجوبا عنهما لا يبصرهما يقول
هذا صوت فلان وهذا الاخر صوت فلان الاخر وفيه حكمة بالغة وذلك لان الانسان
يحتاج الى التمييز بين الاشخاص ليعرف قصد صاحبه من غيره والعدو من الصديق يختار بقتل
وصول العدو اليه ويقبل على الصديق قبل ان يقوى الاقبال عليه وذلك قد
يكون بالبصر فخلق اختلاف الصور وقد يكون بالسمع فخلق اختلاف الاصوات
واما الشم والذوق فلا يفيد فائدة في معرفة العدو والصديق فلا يقع
بها التمييز ومن الناس من قال المراد اختلاف اللغات كالعربية والفارسية والرومية
وغيرها فالاول اصح ثم قال تعالى لايات للعالمين لما كان خلق السماء والارض لم
يحتمل الاحتمال لان البعيدة التي يقولها اصحاب الطبايع واختلاف الالوان كذلك
واختلاف الاصوات كذلك قال للعالمين للعلم يدل على ان تحرفا لتعالى ومن ايانه
منامكم بالليل والنهار لما ذكر بعض العرضيات اللازمة ومن الاختلاف ذكر
الاعراض المفارقة ومن جملتها النوم بالليل والحركة طلبا للرزق بالنهار فذكر
من اللوازم امرين ومن المفارقة امرين وفي الاية مسايل المسئلة الاولى
قوله منامكم بالليل والنهار قيل اراد به النوم بالليل والنوم بالنهار فيقول
ثم قال وابتغاؤكم اي فيهما فان كثيرا ما يكتسبا لانسان وبالليل وابتغاؤكم
بالنهار قلب البعض بالبعض ويدل عليه اية اخرى منها قوله تعالى وجعلنا
اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا والنهار
معاشا ويكون النوم بالليل والابتغاء بالنهار كذا ومن ايانه منامكم بالليل والنهار
من فضله فاعلم ان الابتغاء وقرنه في اللفظ بالفضل اشارة الى ان العبد ينبغي
ان لا يرى الرزق من كسبه لحذقه بل يرى كل ذلك من فضل ربه ولهذا قرن الا
ينبغي ان يتفضل في كثير من المواضع منها قوله فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الا رض
وابتغوا من فضل الله وقوله ولتبتغوا من فضله المسئلة الثانية قدم المنام با
لليل على الابتغاء بالنهار في الذكر لان الاستراحة مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون
الا لحاجة فلا ينبغي ان يحتاج في الحال وخاف من المال المسئلة الثالثة قال
لايات لقوم يسمعون وقال في قبل لايات لقوم تتفكرون وقال للعالمين فنقول
المنام بالليل والابتغاء بطن الحيا فضل والعاقل انما ينتفع به طبع الحيوان فلا
يظهر لكل احد كونهما من نعم الله فلم يقل ايات للعالمين لان الامرين الاولين وهما
اختلاف الالسنة والالوان فانهما يدوام ان يدوام الانسانة لجعلهما ايات
عامة واما قوله لقوم يتفكرون فاعلم ان من الاشياء ما يعلم من غير تفكر ومنها
ما يكفي فيه مجرد الفكرة ومنها ما لا يخرج بالفكرة بل يحتاج الى توقيف يوقف
عليه ورشد يرشد اليه ينفهمه اذا سمعه من ذلك المرشد ومنها ما يحتاج
بعض الناس في تفهمه الى امثلة حسية كالاشكال المعتبة بنى خلق الارواح

لا يتفق لاحد انه يا لطبع الا اذا كان جامدا لتكر جامد التكر فاذا تفكر علم كون تلك
الخلق اية واما المنام والابتغاء فقد يقع للكبير والصغير ومن اقبال العباد وقد يحتاج الى
مرشد بغير ذكره فقال لقوم يسمعون ويحملون بالمنامن كلام المرشد ثم قال في الباقي
ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء وفي الاية مسايل المسئلة
الاولى لما قدم دلايل الافاق ثم ذكر دلالة العرضيات التي للانفس واخر الارض
التي للافاق كما اخذ دلايل الافاق بقوله ومن اياته خلق السموات والارض المسئلة
الثانية قدم لوازم الانفس على العوارض المفارقة حيث ذكر اختلاف الالسنة
والالوان ثم المنام والابتغاء وقدم في الافاق العوارض المفارقة على اللوازم حيث
قال يريكم البرق خوفا وطمعا وذلك لان الانسان متغير الحال والعوارض له غير
بعيدة واما اللوازم فيه بقرينة واما السموات والارض فقليلة التغير فالعوارض
فيها اقرب من اللوازم فقدم ما هو اعجب لكونه محل في كونه اية واز بيانا فقول
الانسان يتغير حاله بالكبر والصغر والصحة والسقم وله صوت يعرف به لا يتغير
وله لون به يتميز عن غيره وهو يتغير في الاحوال وكذلك لا يتغير وهو اية عجيبة
والسماء والارض ثابتتان لا تتغيران ثم يرى في بعض الاحوال امطارها ظلمة ويرد
هايلة والسماء كما كانت والارض كذلك وهو اية دالة على قادر مختار يدبر امر العالم
تغير المحل ويزيل امر العالم فاتيان المحل المسئلة الثالثة كما تقدم السماء على الارض
فقدم ما هو من السماء وهو البرق والمطر على ما هو من الارض وهو الانبات والاحياء
المسئلة الرابعة كما في انزال المطر وانبات الشجر هما قع كثيرة في تقدم البرق
والرعد على المطر منفقد وذلك لان البرق ذا لاح قال الذي لا يكون تحت كبر يجاف
الانزال فيستعد له والذي له صيب يرجو او مصنع يحتاج الى الماء اذا رأى بيسر
مجاري الماء وايضا العرب من اهل البوادي لا يتعاونون البلاد المعشبة انما يكن قد و
راوا البروق اللايحة من جانب دون جانب واعلم ان قوة البرق فانم نظم الحقيقة
بالبلاد فهي ظاهرة للبادين فلهذا حصل تقديم البرق على تنزيل الماء بقوله واية واما
كونه اية فظاهر فان في السحاب ليس الا ماء وهواء وخروج النار منها بحيث تخرق
الجبال في غاية البعد فلا بد له من خالق وهو الله تعالى قالت الفلاسفة السحاب
فيه كثافة ولطافة بالنسبة الى الهواء والماء فالهواء الطف منه والماء اكثف فاذا هب
ريح قوية تخرق السحاب بعنف وهذا كما ان النار تخرج من وقع الحجر على الحديد
فان قالقابيل الحجر والحديد جسمان صلبان والسحاب والريح جسمان لطيفان
وطبان فيقولون لكن حركة بيا الانسان ضعيفة وحركة الريح قوية تقلع الاشجار
فنقول لهم الرعد والبرق امران حادثان لا بد لهما من سبب وقد تعلم بالبرهان كون كل
حادث من الله تعالى ثم نقول لهب ان الامر كما تقولون فهبوب تلك الريح القوية من
الامور الحادثة العجيبة لا بد له من سبب وينتهي الى واجب الوجود وهو اية للعاقل
على قدرة الله كيف عارضتم ذلك والله اعلم المسئلة الخامسة قال هاهنا

لقوم يعقلون لما كان حدوث الولد من الوالد امرا عاديا مطردا قليل الاختلاف كان يتطرق
اليه الاوهام العامية ان ذلك بالطبيعة لان المطرد قرب الى الطبيعة من المختلف لكن البرق
ليس امرا مطردا بمعتبر مختلف بل ذلك مختلف ان يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت
وتارة يكون قوية وتارة تكون ضعيفة ظهر انها امر في العقل دلالة على الفاعل المختار
فقال هو اية لمن له عقل ان لم يتفكر اتما ثم قال تعالى ومن اياته ان تقوم السماء والارض
بامره بعد ان ذكر من ادلة ايجادهما بعض وهي قيامهما فان الارض لثقلها بطبعها الانسان
من قدرتها وعدم تزلزلها وكون السماء بخلوها عن ثقلها بطبعها من غير عمد وهذا من
اللوازم فان الارض لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه والسماء كذلك وان قيل انها تتحرك
في مكانها كالرحا ولكن القوى العقلية على انها في مكانها لا تخرج عنه وهذا اية ظاهرة
لان كونها في الموضع الذي هما فيه على اخص الذي هما عليه من الامور الممكنة وكونها
في غير ذلك الموضع جايز فكان يمكن ان يخرجا كما كان ذلك ترجيحا لجانب
على غير وجه وذلك لا يكون الا بفاعل مختار والملاسفة حذفهم الله قالوا كون الارض
في المكان الذي هي فيه طبيعي لها لانها اثقل الاشياء والثقيل بطبعه يحرك نحو الخفيف
بطبعه المحيط والسماء كونها في مكانها ان كانت ذات مكان وكذا كونها فيما بينهما
بطبعها قد تقدم مرارا ان القول بالطبيعة باطل والذي نزيده هاهنا وافقونا
بانما حاز فعل احد المثلين جاز على المثل الاخر لان مقدور القادر بخلاف محدوده في الطبع
فيجوز حصول مقدوره في موضع محدوده وفيه بالخروج والزوال فانظر اليه فالزوال
من المكان ممكن لاشياء التي السماء الدنيا فانها ليست بحدودة للجهات على ما تقدم ايضا
والارض كانت تخرج عليها الحركة الدورية كما يقولون على السماء بعدها وسكونها
ليس لان فاعل مختار وفي لا بنتسايل المسئلة الاولى ذكر الله تعالى من ايات امرين
اما في الانفس فقوله خلقكم استدل بخلق الزوجين ومن الافاق السماء والارض فقوله
خلق السموات والارض ومن لوازم الانسان اختلاف اللسان والالوان ومن عوارض
المنام والابتغاء ومن عوارض الافاق البروق والاسطار ومن لوازمها قيام السماء
والارض لان الواحد يكفي للاقرار بالحق والدال بخبيئة لا يستقر ارين هذا اعتبر
شهادة شاهدين فان قول احدهما يفيد الظن وقول الاخر يفيد تاكيده فهذا فائدة
امرهم ولكن البيطرين في بني المسئلة الثانية قوله يا مره اي يقوله فورا او يا
رادته نبيا مما وذلك لان الامر عند المعتزلة موافق الارادة وعندنا ليس
كذلك ولكن النزاع في الامر الذي للتكليف لا في الامر الذي للتكوين فانا لا
نفهم في ان قوله كن وتكونوا وبايا ركوبي نردا موافق للارادة المسئلة الثالثة
قال ها هنا ومن اياته ان تقوم وقال بعده ومن اياته يريكم ولم يقل ان يريكم
وان قال بعض المفسرين ان ان مضمر هناك معناه من اياته فليصير كالمصدر بان
وذلك لان القيام لما كان غير متغير اخرج الفعل بان عن الفعل المستقبل وجعله
قصدا لان المستقبل ينبئ عن التجدد وفي البرق لما كان في الامور التي تجدد زمانا

دون زمان ذكره بلفظ الفعل المستقبل ولم يذكر معه الحروف المصدرية المسئلة الرابعة
دليل وذكر في ارجحيتها ان في ذلك لايات ولم يذكر في الاول ومن قوله ومن اياته ان
خلقكم من تراب ولا في الاخر ومن قوله ومن اياته ان تقوم السماء والارض اما في الاول
فلان قوله بعده ومن اياته ان خلق لكم ايضا دليل الانفس فخلق الانفس وخلق الارواح
من باب واحد على ما بينا غير انه تعالى ذكر من كل باب امرين للتقرير بالتكثير فقال
قال ان في ذلك لايات كان تعاين لهما واما في قيام السماء والارض فتفكر في الايات
السماوية وذكرها ايات للعالمين ليتفكروا بعقولهم لظهورها فلما كان في اول الامر
ظاهرا فتي احر الامر بعد سرد الدلايل ليكون اظهر فلم يميز احدا عن احد في ذلك وذكر
ما يدل على قدرته وما يوقد رته على الاعادة وقال ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم
تخرجون وفيها مسايل المسئلة الاولى ما وجه العطف بثم وثم تعلق ثم تقول رضاه
والله اعلم انه تعالى ذكر لنا كما قدرته بعد ذلك بخبركم ويعلمكم انه
اذا قال للعظام الرميم احرجوا من الاحداث تخرجون احيا المسئلة الثانية قول
القايل دعا فلان فلانا من الجبل يحتمل ان يكون الدعا من الجبل كما يقول القايل يا فلان
انزل من الجبل فيقال دعاه من الجبل ولا يحتمل على العاقل ان الدعا لا يكون من الارض اذا
كان الداعي يرى الله تعالى والمدعو ايد يحس الارض يعني انكم تكونون في الارض فيدعوكم
منها فتخرجون المسئلة الثالثة قوله تعالى اذا انتم فاجاية تعني
يكون ذلك بكن فيكون المسئلة الرابعة قالها هنا اذا انتم تخرجون وقال في خلق
الانسان اولا ثم اذا انتم بشر تنتشرون فنقول هناك يكون خلق وتقدير وتدريج
حتى يصير التراب قابلا للحياة فينفخ فيه روحه فاذا هو بشر واما في الاعادة لما
يكن تدريج وتراخ بل يكون بدو وخروج فلم يقل ها هنا ثم قال تعالى وله من
في السموات والارض مما ذكر الايات فكان مدلولها القدرة على الحشر الذي هو الامر
الاخر والوحدانية التي هي الاصل الاول اشار اليهما بقوله وله من في السموات
بغير شريك له اصلا لان كل من في السموات ومن في الارض ونفس السموات والارض
له وملكه فكيف له متعادون قانتون والشريك يكون منازعا ما لا ثم ذكر الدليل
الاخر فقال وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اي في نظركم الاعادة
اهون من الابدا لان من يفعل ولا يصعب عليه فاذا فعل ذلك مثله يكون اهون عليه
عليه وقيل المراد وهو اهون عليه كما قيل في قوله الله اكبر اي كبير وقيل المراد وهو اهون
عليه اي الاعادة اهون على الخلق من الابدا لان في البدو يكون علقة ثم مضغة
ثم لحما ثم عظما ثم يخلق بشرا ثم يخرج طفلا ثم يترعرع الى غير ذلك كله واما في الاعادة
فيخرج بشرا سويا بكى فيكون وهو اهون عليه والوجه الاول اصح وعليه ينتظم قوله
وهو اهون يحتمل ان يكون ذلك لان البدو خلق الاحيا وتاليفهما والاعادة تاليف
ولا شك ان المرء قد يرى من غيره الحدو ولا يلزم من هذا ان يكون غيره فيه صعوبة وليس
هذا فتقول الهين هو ما لا يتعب فيه الفاعل والاهون ما لا يتعب فيه الفاعل بطريق

الاولى فاذا قال قايل ان الرجل القوي لا يتعب من ثقل شعيرة من موضع الى موضع سلم السامع
له ذلك فاذا قال فكونه لا يتعب من ثقل خردلة يكون اولى ذلك كلاما معقولا لا يبقى
على حقيقته ثم قال تعالى وله المثل الاعلى في السموات يعني قولنا هو اهون عليه يفهم
منه امران احدهما هو ما يكون في الاخر تعب كما يقال ان ثقل الخفيف هو اهون من ثقل
الثقيل والاخر هو ما ذكرنا من الاولوية من غير لزوم تعب في الاخيرة فقوله وله المثل
الاعلى اشارة الى ان كونه اهون بالمعنى الثاني لا يفهم منه الاول وهاهنا فايدة ذكرها
الزمخشري وهو ان الله تعالى قال في موضع اخر هو علي هين وقال هاهنا وهو اهون عليه
فقدم هناك على واخره هاهنا وذلك لان المعنى الذي قال هناك انه هين هو خلق
الولد من العجوز وانه صعب على غيره وليس بهين الا عليه فقال هو علي هين يعني
لا على غيري واما هاهنا المعنى الذي ذكر هو اهون هو الاعادة والاعادة على كل
مبدي اهون فقال هو اهون عليه لا على سبيل الحصر فالتقديم هناك كان للحصر
وقوله في السموات والارض على الوجه الاول وهو قولنا هو اهون عليه بالنسبة
اليكم له معنى وعلى الوجه الذي ذكرناه له معنى اما على الوجه الاول فلما قال وله
المثل الاعلى من امثلة الناس وهم اهل الارض ولا يفيد ان له المثل الاعلى من امثلة
الملايكة فقال وله المثل الاعلى في السموات والارض يعني هذا مثل مضروب لكم
وله الاعلى من هذا المثل ومن كل مثل يضرب في السموات والارض اما على الوجه
الثاني فمعناه ان له المثل الاعلى اي فعله وان شبهه بفعلكم ومثله به لكن ذاته
ليس كمثله شي فله المثل الاعلى وهو منقول عن ابن عباس وقيل المثل الاعلى اي الصفة
العليا وهي لا اله الا الله وقوله وهو العزيز الحكيم اي كامل القدرة على الممكنات
شامل العلم بجميع الموجودات فيعلم الاجزا في الامكنة ويقدر على جمعها وتاليفها
قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركا فيما رزقناكم
فانتم فيه سوا تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون
بل اتبع الذين ظلموا اهواهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين
فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق
الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه
واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
كل حزب بما لديهم فرحون لما بين الله تعالى الابدا والاعادة والقدرة عليهما بالمثل
بعد الدليل بين الوحدانية ايضا بالمثل ايضا بعد الدليل ومعناه ان من يكون له
مملوك لا يكون شريكا له في ماله ولا يكون له حرمة مثل حرمة سيده فكيف
يجوز ان يكون عباد الله شركا له وكيف يجوز ان لا يكون له عظمة مثل عظمة الله
حتى يعبدوا وفي الاية مسايل المسيلة الاولى ينبغي ان يكون بين المثل والممثل به
مشابهة ما ثم ان كان بينهما مخالفة فقد يكون موكدا لمعنى المثل وقد يكون موهنا
له وهاهنا وجه المشابهة معلوم واما المخالفة فموجودة ايضا وهي موكدة وذلك من

وجوه الاول قوله من انفسكم يعني ضرب لكم مثلا من انفسكم مع حقارتها وقفاصتها وعجزها
وقاس نفسه عليكم مع عظمتها وكمالها وقدرتها الثاني قوله مما ملكت ايمانكم يعني عبيدكم
لكم عليهم ملك اليد وهو طار قابل للنقل والزوال اما النقل بالبيع وغيره والزوال بالعتق
ومملوك الله لا خروج له من ملك الله بوجه من الوجوه فاذا لم يجز ان يكون مملوك
يمينك شريكا لكم مع انه يجوز ان يصير مثلكم من جميع الوجوه بل هو في الحال مثلكم في الادمية
حتى انكم ليس لكم تصرف في روحه وادميته بقتل وقطع وليس لكم منعهم من العبادة وقضا
الحاجة فكيف يجوز ان يكون مملوك الله الذي هو مملوكه من جميع الوجوه شريكا له الثالث
قوله من شركا فيما رزقناكم يعني الذي لكم هو في الحقيقة ليس لكم بل هو لله تعالى ومن
رزقه والذي لله فهو في الحقيقة له فاذا لم يجز ان يكون لكم شريك فيما لكم من حيث
الاسم فكيف يجوز ان يكون له شريك فيما له من حيث الحقيقة وقوله فانتم فيه سوا
اي انتم ومماليككم في شي مما تملكون وانتم سوا ليس كذلك فلا يكون لله شريك في شي
مما يملك لكن كل شي فهو لله تعالى كيف تدعوا الهة لا تملك شيا اصلا ولا مثقال ذرة
من خردل فلا يعبد لعظمته ولا لمنفعة تصل اليكم منه واما قولكم هولا شفعاونا
فليس كذلك لان المملوك هل له عندكم حرمة كحرمة الاحرار واذا لم يكن للمملوك
مع مساواته اياكم في الحقيقة والصفة عندكم حرمة فكيف يكون حال المماليك الذين
لا مساواة بينهم وبين المالك بوجه من الوجوه والى هذا اشار بقوله تخافونهم كخيفتكم
انفسكم المسيلة الثانية هي نفي جميع حسن العبادة عن الغير لان الاعيان اذا لم
يصلحوا للشركة فليس لهم ملك ولا ملك فلا عظمة لهم حتى يعبدوا لعظمتهم ولا يرتجى لهم
منفعة لعدم ملكهم حتى يعبدوا لنفع وليس لهم قوة ولا عدوة لانهم عبيد والعبد
المملوك لا يقدر على شي فلا تخافونهم كما تخافون انفسكم فكيف تخافونهم خوفا اكثر
من خوفكم بعضا من بعض حتى تعبدوهم للخوف ثم قال كذلك نفصل الايات اي نبينها
يعني بالدلايل والبراهين القطعية والامثلة والمحاكمات الاقناعية لقوم يعقلون
يعني لا يخفى الامر بعد ذلك على من يكون له عقل ثم قال تعالى بل اتبع الذين ظلموا
اي لا يجوز ان يشرك بالمالك مملوكه ولكن الذين اشركوا واتبعوا اهواهم من غير
علم واثبتوا شركا من غير دليل ثم بين ان ذلك بارادة الله بقوله فمن يهدي من
اضل الله اي هولا اضلهم الله فلا هادي لهم فينبغي ان لا يحزنك قولهم وهاهنا
لطيفة وهي ان قوله فمن يهدي من اضل الله لما تقدم وذلك لانه لما قال ان الله
لا شريك له بوجه ما ثم قال بل المشركون يشركون بغير علم يقال فيه انت اثبت لهم
تصرفا على خلاف رضاه والملك السيد العزيز هو الذي يقدر عبده على تصرف يخالف
رضاه فقال ان في ذلك لايات ليس باستقلاله بل بارادة الله وما لهم من ناصرين
لما تركوا الله تركهم ومن اخذه لا يغني عنهم شيا فلا ناصر لهم ثم قال تعالى فاقم وجهك
للدين حنيفا فطرت الله اذا تبين الامر وظهرت الوحدانية ولم يهتد المشرك فلا
تلتفت انت اليهم واقم وجهك للدين اي اقبل بكلك على الدين عبر عن الذات بالوجه

كما قال تعالى بل شيء هالك الا وجهه اي ذاته وصفاته وقوله حنيفا اي مائلا عن كل ما عداه
اي اقبل على الدين وعدل عن كل شيء لا يكون في قلبه شيء اخر ويعود اليه وهذا قريب من
معنى قوله ولا تكونوا من المشركين ثم قال فطرت الله اي الزم فطرة الله وهو التوحيد الذي
الله تعالى فطر الناس عليها حيث اخرجهم من ظهر ادم عليه الصلاة والسلام وسالهم
الست بربكم قالوا بلى لا تبديل لخلق الله فيه وجوه قال بعض المحققين هو جواب
للنبي صلى الله عليه وسلم عن الخرز حيث لو يزجر قومه فقال لهم خلقوا للسعادة
ومن لم يخلق شقيا لا يسعد وقيل لا تبديل وجحد ان يقال خلق الله الخلق لعبادته
وهم كلهم عبيده لا تبديل لخلق الله اي ليس كونهم عبيدا مثل كون الملوك عبدا للاسباب
فانه بانتقال ملكه الى غيره ويخرج من ملكه بالعتق بل لا خروج للمخلوق عن العبادة والفقر
وهذا بيان فساد من يقول للعبادة لتحصيل الكمال فلا يبقى بتكليف وقوله المشركين
ان الناقص لا يصلح لعبادة الله وانما الانسان عند الكواكب والكواكب عبيد الله ويقول
النصارى ان عيسى كمل فحل الله سبحانه وتعالى فيه وصار الها فقال لا تبديل لخلق
الله بل كلهم عبيد لا خروج لهم عن ذلك ثم قال ذلك الدين القيم الذي لا عوج فيه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين المستقيم ثم قال تعالى منيبين اليه عائدين اليه
حنيفا اي مائلين عن غيره قال منيبين اليه اي مقبلين عليه والخطاب في قوله فاقم
وجهك هو النبي والمراد جميع المومنين وقوله واتقوه يعني اذا اقبلتم عليه وتركتم
الدنيا فلا تامنوا فتتركوا عبادته بل خافوه وداوموا على العبادة وافيموا
الصلاة اي كونوا عابدين عند حصول التربة كما كنتم قبل ذلك ثم انه قال ولا
تكونوا من المشركين تقال للمشورة بعين ولا تشركوا بعد الايمان اي ولا تعتقدوا ان لله
غير الله وهاهنا وجه اخر وهو ان الله تعالى يقول لنبيين ثبت التوحيد الذي
هو خارج عن الاشراك الظاهر وبقوله ولا تكونوا من المشركين اراد اخراج العبد عن
الشرك الخفي اي لا تقصدوا بعملكم الا وجه الله ولا تطلبوا به الا رضى الله وعلى
هذا فقوله من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يعني لم يجتمعوا على الاسلام ذهب
كل واحد الى مذهب ويحتمل ان يقال انهم كانوا سبعا يعني بعضهم عبدوا الله تعالى للدنيا
وبعضهم للجنة وبعضهم للخلاص من النار وكل واحد بما في نظره فرح واما المخلص
فلا يفرح بما يكون لديه وانما يكون فرحه بفضل الله وتوفيقه بين بديه وذلك
لان كل الدنيا تافهة لقوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فلا مطلوب
لكم فيما لديكم حتى تفرحوا به وانما المطلوب ما لدى الله من فضله جعلنا الله من الذين
يكونون عند ربهم ويكون ما اتوا من فضله الذي لا نفاد له وذلك قال تعالى
ثم يعيدون الله ويرحمه فبذلك فليفرحوا الاية عند هم قال كما عند العبد موناقد
اما الذي في الاخرة فلان ما وصل الى العبد من الله تعالى انما ياكل فالمشروب
فموبد ولكن الله تعالى يجدد له مثله الى الابد من فضله الذي لا نفاد له
ثم من فضله تعالى قوله تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم

اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف
تعلمون ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون واذا اذقنا الناس
رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا ان
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يومنون لما بين
الله تعالى التوحيد بالدليل وبالمثل بين ان لهم حالة يعرفون بها وان كانوا ينكرون
في وقت وهو حال الشدة فان عند انقطاع رجايه من الكل يرجع الى الله تعالى ويجد
نفسه محتاجا الى شيء ليس بيده الاشياء له به يا التجاء ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا
فريق منهم بربهم يشركون يعني اذا خلصناه ببشرك بربه ويقول خلصت بسبب اتصال الكواكب
الفلاني بفلان وبسبب الصنم الفلاني لان ينبغي ان يعتقد انه يخلص بسبب وفلان
ان كان ظاهرا فانه شرك خفي قال رحمه الله وجاز ان يدركه الغرق فيميل الله تعالى له ريحا
يسيرة اليه ريح فتتعلق به ويجو ويقول خلصت بلوح او رجل فيلقى عليه سبع
فيرسل الله تعالى اليه رجلا فيعينه فيقول خلصني يد فهذا ان كان عن اعتقاد فهو
شرك خفي وان كان بمعنى ان الله تعالى خلصني عن يد زيد فيسمى حقيقي وفي الاية
مسايل المسئلة الاولى اذا فيها فيه لطيفة وذلك لان الذوق يقال في القليل
فان الغرق من اكل ما كولا كثيرا لا يقال ذقت ويقول في التفاحة ذقت بفيه طعما
نفيا للتقليل ليلزم نفي الكثير بالاولى ثم ان تلك الرحمة لما كانت خالية عن شقطة
ولم تكن مستمرة في الاخرة عبر فقال اذا فهم ولهذا قال في العذاب ذوقوا مس
سقر وذوقوا ما كنتم تعملون ذق انك انت العزيز الكريم لان عذاب الله تعالى
الواصل الى العبد بالنسبة الى الرحمة الواصلة الى عبيد اخرين في غاية القلة المسئلة
الثانية قوله تعالى لكفاحته اي من الضر في هذا التخصيص ما ذكرنا من القابلية
وهي ان الرحمة غير مطلقة لم انما هي عن ذلك الضر وحده واما الضر المذكور فلا
يذوق فوقه رحمة المسئلة الثالثة قال ههنا اذا فريق منهم وقال في العنكبوت
فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ولم يقل فريق وذلك لان المذكور ههنا كثير
معين وهو ما يكون من هول البحر والمختص به بالنسبة الى الخلق قليل والذي لا يشرك
منهم بعد الخلاص فرقة منهم في غاية القلة فلم يجعل المشركين فريقا القلة من خرج
من الشرك وايا المذكور ههنا الضر مطلقا فتناول ضر البر والبحر والامراض
والاهوال والمختص من انواعه الضر حتى كثير بل جميع الناس يكونوا قد وقعوا في ضر
ما وخلصوا منه والذي لا يبقى بعد الخلاص مشركا من جميع الانواع فهو خلق يحيط
وهم جميع المسلمين فانهم تخلصوا من ضر ولم يبقوا مشركين والمسلمون قليل بالنسبة
من ضر البحر باجمعهم فلما كانا لناجين من الضر من الموحدين جعلا كثيرا لحصول الباقي في
فريقا ثم قال ليكفروا بما اتيناهم وقد تقدم تفسيره في العنكبوت بقي بيان فايدة
الخطاب ههنا في قوله فتمتعوا وعدمه هناك في قوله وليتمتعوا فسوف تعلمون
نقول لما كان الضر المذكور ههنا ضرا واحدا جاز ان لا يكون في ذلك الموضع

من المخلصين من تلك الصخرة حد قلم فجاء طيبا كما ان المذكور هنا صالح للخير ولا يخرج
موضع من المخلصين عن الصخرة الحاضر يصح خطابه بانه سمع فخاطب ثم قال تعالى ام انزلنا
عليهم سلطانا مبينا قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم اى المشركون يقولون
ما لا علم لهم به بل هم عالمون بخلافه فاتهم وقت الضرر يرجعون الى الله تعالى حتى تلك
بالاستفهام بمعنى الانكار اى ما انزلنا عما يقولون سلطانا وفيه مسايل المسئلة
الاولى ام للاستفهام ولا يقع الا متوسطا كما قال تعالى

* ايطيبة الوعساء بين جلاجل * وبين النقا انت ام ام سالم *

فالاستفهام الذي قبله تقرير اذا ظهرت هذه الحجج على عنادهم فماذا نقول لهم
يتنصروا الاهواء من غير علم ام لهم دليل على ما يقولون وليس الثاني نتبين الاول المسئلة
الثانية قوله تعالى بما كانوا به يشركون يدل على ان الله تعالى يعاقب الكافر على كفره
وعلى ان المتكلم من غير دليل كافر لانه لا دليل له لان الكلام من المشروع وما لا دليل
فكانه لم يسمع فكان المتكلم لم يتكلم به وما لا دليل عليه لا يقبل واذا جاز سلب
الكلام عن المتكلم عند عدم الدليل وحسن جاز اثبات الكلم للدليل وحسن ثم قال
تعالى واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها الجاهل بحال المشرك له الذي عبادته وعبوسه
يكون عبادة لله تعالى للدنيا فاذا اتاه رضي واذا منعه سخط وقنط ولا ينبغي
ان يكون العبد كذلك بل ينبغي ان يعبد الله تعالى في السراء كما في الضراء
واذا مس الناس ضر دعوا ربهم وفي الناس من يعبده اذا اتاه نعمة كما قال تعالى
واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها والاول كالذي يحدم مكرها مخافة العذاب
والثاني كالذي يحدم اجيرا لتوقع الاجر وكلاهما لا يكونان من المتقين في الدنيا ان
المرتبين في الجرايد الذين ياخذون رزقهم سواء كان هناك شغل او لم يكن فكذلك
القسمان لا يكونان من المرتبين الذين لهم رزق عند ربهم وفيه مسئلة
قوله تعالى فرحوا اشارة الى الجد في تحصيل مقصودهم وقصور نظرهم فان نرحهم يكون بما وصل
اليهم لا بمن وصل منه اليهم فان قال قايل الفرح بالرحمة حاصل به في قوله تعالى
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهاهنا ذمهم على الفرح في الرحمة فكيف
ذلك فنقول هناك قال فليفرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله تعالى
وهاهنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم
اذا كان من الله تعالى وهو كما ان اكله لوحظ عند الامير رغيفا على السماط
واما الغلمان بان يحطوا عنده زبدية طعام يفرح بذلك الامير به ولو اعطى الملك
فقيرا غير ملتفت اليه رغيفا او زبدية طعام ايضا يفرح لكن فرح الامير يتفوت
ذلك من الملك وفرح الفقير يكون ذلك رغيفا او زبدية وان تفهيم سنة عما
قدمت ايديهم لم يرد لكر عند النعمة بسببها لتفضله بها واذكر عند العذاب بسببها
لان الاول يزيد في الاحسان والثاني في تحقق العدل لقوله اذا هم يقنطون اذا
للمفاجاة اى لا يصبرون على ذلك قليلا لعل الله تعالى يفرح عنهم وانه يذكرهم

به ثم قال تعالى الم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في هذا لايات لقوم يؤمنون
فالمحقق ينبغي ان لا يكون نظره الا بوجد بلى الذي يوجد وهو الله تعالى فلا يكون له بد
حال واما يكون عند الفرج الدايم ولكن ذلك مرتبة المؤمن الموحد المحقق ثم قال
ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون قوله تعالى فاتذا القربى حقه والمسكين وابن
السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون وما اتيتم
من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله وما اتيتم من زكاة تريدون
وجه الله فاولئك هم المضعفون وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان الله تعالى
بين ان العبادة لا ينبغي ان تكون مقصورة على حال الشدة بقوله واذا مس الناس
ضر دعوا ربهم واذا لا تكون مقصورة على احد شيئين الدنيا كما هو عادة الحمقى والفلس
يعبد الله اذا كان في الخوانق والرباطات بالرغيف والزبدية واذا اخلى بنفسه
لا يذكر الله بقوله واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وبين انه ينبغي ان يكون
في حالة بسط الرزق له وقدره عليه نظره على الخالق الرازق حصل الارشاد
الى تعظيم الله والايمان فسماه تعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فقال بعد
ذلك فاتذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل وجه اخر هو ان الله تعالى لما
بين ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لا ينبغي ان يتوقف الانسان في الاحسان
فان الله اذا بسط الرزق لا ينقص بالانفاق واذا قدره لا يزداد بالامساك وفيه
مسايل المسئلة الاولى تخصيص الاقسام الثلاثة بالذكر دون غيرهم مع ان الله
تعالى ذكر الاصناف الثمانية في الصدقات نقول اراد هاهنا بيان من يجب الاحسان
اليه على كل من له مال سواء كان زكويا او لم يكن وسواء كان بعد الحول وقبله لان
المقصود ههنا الشفقة العامة ومن الثلاثة يجب الاحسان اليهم وان لم يكن به
للمحسن مال ابدا اما القريب فتجب نفقته وان كان لم يوجد عنده عقار او مال
لم يحل عليه الحول والمسكين كذلك وان من لا شيء له اذا بقي في ورطة الحاجة
حتى بلغ الشدة يجب على من له مقدرة دفع حاجته وان لم يكن عليه زكاة والفقير
داخل في المسكين لان من اوصاف المسكين بؤسا بصرفا الى الفقر ايضا واذا نظرت الى
الباقين من الاصناف لا يجب صرف المال اليهم الا على الذين وجبت عليهم الزكاة واعتبر
ذلك في العامل والمكاتب والمؤلفة والمديون ثم اعلم ان على مذهب ابي حنيفة رحمه
الله حيث قال المسكين من له شيء ما فنقول وان كان الامر كذلك لكن لا نزاع في ان
المسكين على من لا شيء له جايز بل يكون الاطلاق ههنا يدل الوجه والفقير يكون
كذلك في ذلك بالطريق الاولى المسئلة الثانية في تقديم البعض على البعض
فنقول اذا كان دفع حاجة القريب واجبا سواء كان في شدة ومخمصة او لم يكن كان
مقدما على من لا يجب دفع حاجته من غير مال الزكاة الا اذا كان في شدة واذا كان
المسكين حاجته ليست مخمصة بموضع دون موضع المسئلة الثالثة ذكر الاعادة
في جميع المواضع هذا اللفظ ومرة في القريب ولم يذكر المسكين لفظ ذي المسكنة

زكوات

وذلك لان القرابة لا تتحد في شيء من الذوات وكذا الابناء لا في الثابت فان من صدر منه رأي صائب مرة او حصل له حياة يوما واحدا او وجد منه فضل في وقت لا يقال ذو رأي وذو حياة وذو فضل قياسا دام ذلك او وجد منه ذلك كثيرا فيقال له ذو الرأي وذو الفضل فقال للذي القربى اشارة الى ان هذا حق ما كان ثابتا وانما للمسكنة فقراء وتنزل لهذا المعنى قال المسكينا ذا متربة فان المسكين يدوم له كونه ذا متربة ما دام متمسكنا او يكون كذلك في اكثر الامر المسئلة الرابعة قال ذا القربى حقه ثم عطف المساكين وابن السبيل عليهم لان العبارة الثابتة لان صدور الكلام اولا للتنزيل والاولى لكون التنزيل وارد اعلى الكلام كانه يقول اعط ذي القربى حقه ثم تذكر المساكين وابن السبيل بالتتمة ولهذا المعنى اذا قال الملك خل تلانا يدخل وقلانا ايضا يكون في التعظيم فوق ما اذا قيل خل فلانا وقلانا يدخلان والى هذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله بئس خطيب القوم انت حيث قال لرجل من اطاع الله ورسوله فقد اهتدى ومن عصاهما فقد غوى ولم يقل عصى الله ورسوله المسئلة الخامسة قوله ذلك خير يكون ان بقاء عطاه خيرا من عوده ويكون ان بقاء ذلك خيرا في نفسه وان لم يصر الى غيره لقوله تعالى واقعلوا الخير واستقروا الخير فان الثاني اولى لعدم احتياجه الى اصطناع وتدبير ولكونه اكثر فائدة لان الخير من الغير قد يكون نازلا الدرجة عند نزول درجة ما يفاس اليه كما ان قيام السكوت خير من الكذب وما هو خير من نفسه فهو حسن ينفع وفعل صالح يرفع المسئلة السادسة قوله تعالى الذين يريدون وجه الله اشارة الى ان الاعتبار بالقصد لا بنفس الفعل فان من انفق جميع اموال الدنيا الناس لا يبلغ درجة من يتصدق بتمرة يعبد الله تعالى وقوله وجه الله اي يكون عطاؤه لله لا عوض من اعطى للجنة او ليحمد او ليمدح او ليعظم فقد اراد بعطائه غير وجه الله المسئلة السابعة كيف قالوا ولئك هم المفلحون مع ان الافلاح شرائط اخر وهي المذكورة في قوله تعالى قد افلح المؤمنون فنقول كل وصف مذكور هناك يفيد الافلاح فقوله والذين هم للزكاة فاعلون وقوله والذين هم لامانتهم وعهدهم راعون الى غير ذلك عطف على المفلح اي هذا مفلح وذلك الاخر مفلح لا بيان ان لا يحصل الافلاح من يتصدق ولا يصلي فنقول هذا كقول القائل العالم مكرم اي ينظر الى عمله ثم اذا اختبر في الزنا على سبيل الاتفاق او السكر تطمئن نفسه في النزوة لا يبطل ذلك حتى يقول الفاعل انما كان ذلك لانه اتى بالفسق تكاسلا او تهاونا لوجه الله يفيد الافلاح اللهم الا اذا وجد مانع من ارتكاب محظور او ترك واجب المسئلة الثامنة لم لم يذكر غيره من الافعال كالصلاة وغيرها فنقول الصلاة مذكورة من قبل لان الخطاب بها هناك يوجد قبل مع النبي صلى الله عليه وسلم وغيره تبع وقد قال له من قبل قائم وجهك للدين حنيفا وقال اليه انيبوا اليه واتقوه واقيموا الصلاة المسئلة التاسعة قوله واولئك هم المفلحون يفهم من الحصر وقد قال في اول سورة البقرة واولئك هم المفلحون واشار

الى ان من اقام الصلاة واتى الزكاة وامن بما انزل اليه وما انزل من قبله وبالاخرة قد كان المفلح منحصرا فيه فلم ذكر المذكورين في سورة البقرة فهذا خارج عنهم فكيف يكون مفلحا فنقول هذا مما لا شك فيه لانا بينا ان قوله قائم وجهك منفصل عن هذا الكلام فاذا اتى الصلاة واتى المال لاراد وجه الله فقد ثبت انه مؤمن يقيم الصلاة موت للزكاة معترف بالاخرة فصار مثل المذكورين في سورة البقرة ثم قال تعالى وما اتيتم من ربوا الاية ذكر هذا اخيرا بعيني انكم اذا طلبتم منكم واحدا شيئا تتوقعون او ترغبون فيه وذلك لا يربو عند الله والزكاة تنمي عند الله كما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تقع في يد الرحمن فتربو حتى تصير مثل الجبل فينبغي ان يكون اذا سلم على الزكاة اكثر وقوله تعالى وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون اي اولئك ذوو الاضعاف كالموسر اذا يسار اقل ذلك عشر اضعاف لكل مثل لها التي في كونه حسنة لانه في مقدار ولا يعلم ان من اعطى رغيفا يعطيه الله عشرة ارغفة بل عطاه ان ما يقتضيه فضل من الثواب على وجه الرحمة يضاعفه الله تعالى عشرا ان على وجه التفضل فالرغيف الواحد يكون نظرا في الجنة فيه من كل شيء ثوابا نظرا الى جنة وعشرة قصور مثله نظرا الى الفضل مقابله في الشاهد له عظيم فبذل من عشرة دراهم فيهما دراهم لو عرضة بعشرة دراهم لا يكون كرجل اجر نفسه او دابته ان يعطي على مثال ذلك الف فاذا اعطى له عشرة الاف تفضلا عفله الثواب قوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد في البر والبحر بكسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يتفرقون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين قوله الله الذي خلقكم ثم رزقكم اي اتقاكم فان الرزق مخلوق وليس بمخلوق ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل شيئا من ذلك في هذه الاية تبيين اثبات الاصلين الحشر والتوحيد اما الحشر فقوله ثم يميتكم ثم يحييكم والدليل قدرته على الخلق ابتداء واما التوحيد فبقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اما قوله سبحانه اي سبحوه تنزيها ايمتر هوه ولا تضفوه بالاشتراك وقوله تعالى اي لا يجوز عليه ذلك وهذا الان من لا يتصف بشيء فتجوز عليه فاذا قال سبحوه اي لا تضفوه واذا قال تعالى فكانه قال ولا يجوز عليه ذلك ثم قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر تعلق الاية بما قبلها من ان الشرك سبب الفساد كما قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا واذا كان الشرك سببه جعل الله تعالى اظهارهم الشرك شيئا يظهر الفساد ولو فعل بهم ما يقتضيه قولهم لفسدت السموات والارض كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا اظهار بقوله ليذيقهم بعض الذي عملوا واختلف الاقوال في قوله في البر

والبحر وقال بعض المفسرين المراد بحر فارس وقال بعضهم عدم اثبات بعض
الانهار وملوحة ماء البحار وقال الفراء المراد من البحر المدن قال العرب تسمي المدائن بحورا لكون
بنيانها على الماء ويمكن ان يقال ان ظهور الفساد في البر فقده ما العيون فانها من البحار
واعلم ان كل فساد يكون فهو بسبب الشرك لكن الشرك قد يكون في العمل وقد يكون في القول
والاعتقاد فيسمى فسقا لعصيانا وذلك لان المعصية فعل لا يكون لله تعالى بل يكون
للشيطان فلما تاسق شرك لله تعالى بفعله غاية ما في الباب ان الشرك بالفعل لا يوجب
الخلود لان اصل المرء قلبه ولسانه فاذا لم يوجد منهما بقول الشرك لم يدخل به في سبب ما
قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا وقد ذكرنا ان ذلك ليس تمام جزائهم وكمال ما يوجب
افترابهم وقوله لعلهم يرجعون يبقى كما يفعله المتوقع رجوعهم مع ان الله تعالى يعلم من
اصلهم لا يرجع لكن الناس يظنون انه لو فعل بهم شيئا من ذلك لكان يوجد منهم كما ان السيد
اذا علم عبده انه لا يرتدع بالكلام فيقول لا فائدة لتاديبه بالكلام فاذا قال
لا يقع ربما يقع في وهمانه لا يبعد ان يقع فاذا زجره ولم يرتدع يظهر له صدق كلام
السيد ويظهر في قلبه ثم قال تعالى قل سيروا في الارض فانظروا بين حالهم بظهور الفساد
في اموالهم بسبب تشاؤمهم بين لهم هلاك اشكالهم الذين كانت افعالهم
كافعالهم فقال قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل اي قوم
عاد وثمود وهذا ترتيب في غاية من الحسن وذلك لانه تعالى لما ذكر دقائق الاحسان
والاحسان قال الذي خلقكم ثم رزقكم اي انا كم الوجود ثم الابقاء وقتا لحد لانه
بالطبيعة فاظهر الفساد في البر والبحر اي فلل رزقكم ثم قال سيروا في الارض اي
وجدكم كما العدم من قبلكم فكانه قال اعطاكم الوجود والبقاء وسلب منكم البقاء والوجود
اما سلب البقاء فبظهار الفساد وسلب الوجود بالاهلاك وعند الاعطاء قدم الوجود
على البقاء لان البقاء لا ينتفي وهو استمرار الوجود وقوله تعالى كان اكثرهم مشركين
يحتمل وجوها ثلاثة الاول ان الهلاك في الاكثر كان بسبب الشرك الظاهر وان كان
بغيره ايضا كالهلاك بالتشتت والخائفة فانما كان على اصحاب السبت الثاني ان كل كافر
اهلكهم يكن مشركا بل بعضهم فعطلا نافيلكهم قليلون واكثر الكفار مشركون الثالث ان
العذاب العاجل لم يختص بالمشركين حين اتى كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة بل كان على الصغار والمجانين ولكن اكثرهم كانوا مشركين ثم قال تعالى فاقم
وجهك للدين القيم لما تمم الكافر تمما هو عليه امر المومن بما هو عليه وخاطبه لنبيه صلى
الله عليه وسلم ليعلم المومن من فضيلة ما هو مكلف به فانه امر به اشرف الانبياء وللمو
منين في التكليف تقام الانبياء كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله امر عباده
المومنين بما امر به المرسلين قد ذكرنا معناه اما قوله تعالى من قبل ان
ياتي يوم لا مرد له من الله بينه وجهان الاول ٣ والثاني ان يكون
المراد لا مرد له من الله اي الله لا يرده وغيره عاجز عن رده فلا بد من الوفاء بوعده بوعيده
يصدعون اي يتفرقون ثم اشار الى التفرق بقوله من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا

فلنفسه مسائل المسئلة الاولى قال من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلنفسهم ان ذلك
لان العمل الصالح به يكمل الايمان فذكر محترزا للمكلف عليه اما الكفر اذا جاء فلا فائدة للعمل
الصالح معه ووجه اخر في ان الكفر يتمان احدهما فعل من الاشرار الذي تولد به والثاني
ترك الوجه من عدم النظر والايمان فالعاقل البالغ اذا كان في مدينة الرسول ولم يات بالايمان
فهو كافر سواء اتى بالشهادتين او لم يقبل لكن الايمان لا بد له من العمل الصالح فان الاعتقاد
الحق عمل القلب وقول لا اله الا الله عمل اللسان وشيء منه لا بد منه المسئلة الثانية
قال فعليه فوحد الكناية وقال فلانفسهم ثم جمعها اشارة الى ان الرحمة اعم من العقبة
ويشملهم باهله وذريته واما العقوبة فتسري بالرحمة لازم لمن نشا المسئلة
الثالثة قال فعليه كفره ولم يبين وقال في المومن فلانفسهم يمهدون تحقيقا لكمال
الرحمة فانه عند الحرث ومن فضل بشارة غير عينه اشارا اليه اشارة ثم قال ليجزي
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات ذكر زيادة تفضيل لما يمهده المومن من عمله
الخير وعمله الصالح وهو الجزاء الذي يجازيهم الله تعالى في عمله اذا كان كبيرا كريما
ووعد عبدا من عبيده ما يحاجازيك يصل اليه منه اكثر مما يتوقعه ثم اكده بقوله
من فضله يعني ان الجازي يكون بكون الجزاء ثم اني لا اجازيك من العدل وانما اجا
من الفضل ينزداد الرجاء ثم قال انه لا يحب الكافرين او عدم يرحمهم ولم يفصله عما
بينا وان كان عند التحقيق من الاحوال فيه مل تفصيل قال عدم المحبة من الله تعالى
غاية العذاب وافهم ذلك من يكون له تعشق فاذا احب انقاسق تابه او عده بالدراهم
والدنانير كيف يكون مسرته فاذا قيل له انه قال اني احب فلانا يكون سروره وبيه
لطيفة وهي ان الله تعالى عمم هنا استدا الكفر والايمان الى العبد قدم الكافر فقال من
كفر فعليه كفره وعند ما استد الجزاء الى نفسه قدم المومن فقال ليجزي الذين امنوا
ثم قال تعالى لانه لا يحب الكافرين لان تولده من كفر في الحقيقة فلم يقع الكافر عن الكفر
بالوعيد والنهي عن نحله بالتهديد وقوله من عمل صالحا فلنفسه يرغب المومن والمتقي
كالانقاذ والتحريض التقدير والانقاذ يقدم عند الحكيم الرحيم واما عند ذكر الجزاء
ابرازا بالاحسان اظهارا للكرم والرحمة قال قائل هذا انما يصح ان لو كان الذكر
في كل موضع كذلك وليس كذلك قال الله تعالى في كثير من المواضع قدم ايمان المومن
على كفر الكافر وقدم التعذيب على الاثابة فنقول اذا كان الله تعالى لو اتقنا البيان
ذلك تبين ما اقتضى تقديمه وعند نقول بان كل كلمة وردت في القرآن ولنبين من
جملة مثالا ومن قوله تعالى يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون قدم المومن على الكافر وهنا ذكر مثل ذلك المعنى في قوله
تعالى يومئذ يصدعون اي يتفرقون وقدم الكافر على المومن فنقول ايضا الله
قدم الكافر في الذكر لانه قال من قبل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون وقوله
في حق المومن في روضة يحبرون لكن الله تعالى انما ذكر المجرمين مرة اخرى للتفصيل
فقال واما الذين كفروا فقوله تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم

من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد
ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان
حقا علينا نصر المومنين ثم ذكر ظهور الفساد لاجل الضلال وبسبب الضلالة وذكر ظهور
الصلاح ولم يذكر اذاقة بسبب العمل الصالح ذكرنا مرة ان الكريم لا يذكر احسانه عوضا
ويذكر لاضراره سبب البلاء يتوهم به الظلم فقال تعالى يرسل الرياح مبشرات قيل هي المطر كما قال تعالى
لنشر به بلدة ميتا يعني بسبب رحمته اي قبل المطر وبكون ان يقال مبشرات بصلاح الاهوية فالاحوال
فان الرياح لو لم تهب لظهر الوباء والفساد ثم قال وليذيقكم من رحمته عطف على محذوف
ما ذكرنا اي ليبشركم بصلاح الهواء وصحة الابدان وليذيقكم من رحمته بالمطر وقد ذكرنا
ان الاذاقة تقال في القليل ولما كان امر الدنيا قليلا وراحتها قليلة قال ليذيقكم
من رحمته واما في الاخرة فيزيدهم ويوسع عليهم ويديم لهم ولتجري الفلك هذا استدلال
اخر الفلك عقبه بقوله بامره اي الفعل ظاهر عليه ولكنه بامر الله وكذلك قال
ولتبتغوا مسندا الى العباد ذكر بعده من يضله اي لا استقلال لليسر لنعمه وفي الاية
مسايل المسئلة الاولى تقول في الرياح قوابريستها اصلاح الهواء ومنها اثارة السحاب
ومنها جريان الفلك بها فقال مبشرات باصلاح الهواء فان صلاح الهواء يرجع في نفس
الهبوب ثم الامطار بعده ثم جريان الفلك بها فقال ليبشرات باصلاح الهواء فان اصلاح ح
فانه مرتقب فعلى اختيار من الادمي باصلاح السفن وغايتها في البحر ثم ابتغاء الفضل
يركبها المسئلة الثانية قال في قوله ظهر الفساد ليذيقهم بعض الذي عملوا وقال
ههنا وليذيقكم من رحمته فاضاف ما اصابهم الى نفسهم واضاف ما اصاب المومن الى رحمته
وفيه معنيان احدهما ما ذكرنا ان الكريم لا يذكر رحمته واحسانه عوضا وان وجد
فلا يقول اعطيتك فانه قطعت كذا بل يقول هذا لك مني واما ما قلنا من الحسنة
مجازاة بعد حدي وثانيهما اما ان يكون سبب قتل العدو قليلا فلو قال ارسلت
الرياح بسبب فعلكم لا يكون بشارة عظيمة واما اذا قال من رحمته كان في غاية البشارة
وفي ثالثها رواية لو قال لدعا فعلتم لكان فلان توهما النقصان لزايم في الاخرة
واما في حق الكفار فاذا قتل بما فعلتم تبين عن نقصان نعمائهم وبوكذلك المسئلة
الثالثة قال ههنا لعلهم يرجعون وقال هناك ولعلكم تشكرون قالوا واشارة ابي
تونيقهم للشكر من النعم فقط على النعم المسئلة الرابعة انما اختار هذه الاية لان
الايات قد سبق ذكرها وقلنا انه ذكر من كل باب اية بين قد ذكر بين المتقدمات ان يريكم
البرق والحادث في الجو في اكثر الامر امر ريح قد ذكر الرياح ههنا تذكيرا وتقريرا
للدلايل ولما كانت الريح ينبها قابلة غير امطر وليس في البرق قابلية ان لم يكن مطر
ذكر هناك خوفا وطمعا اي قد يكون وقد لا يكون وذكرها ههنا مبشرات لان تقتبل
الهواء وتصفيته بالريح امر لازم والحكم به حكم جازم ثم قال تعالى ولقد ارسلنا

من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المومنين
ارسلنا من قبلك رسلا اي ارسالهم دليل رسالتك فاتم لو يكن لهم شغل غير شغل ارسالهم
ينظر اليهم غير ما نظر عليك ومن كذبهم اصابهم البوار ومن اتبعهم كان لهم الانتصار وله
وجه الحر من تعلق الاية بما قبلها وبيان الله تعالى بما بين ابراهيم ولم ينتفع بها الكفار
سلى قلب رسوله صلى الله عليه وسلم وقال احالين تقدم له كان لذلك وجاء ايضا
بالبينات وكان في قومهم كما قد رمرس كما في قومه وانتقمنا من الكافرين ونصرنا
المومنين وفي قوله تعالى وكان حقا واستانف وقال علينا نصر المومنين وعلى هذا
يكون بشارة للمومنين الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اي علينا نصرا يها
المومنون وكان حقا علينا وعلى الاول لطيفة وعلى الاخر اخرى ما على الاول فانه
لما قال انتقمنا بين انه لم يكن ظلما وان كان عدلا وانما كان عدلا حقا وذلك لان
الانتقام لم يكن الا بعد كون نقايهم عن تقدير بالارادة واولادة الفاجر الكافر وكان
عدمهم خيرا من وجودهم لخبثية وعلى الثاني تاكيد البشارة لان كانه على تغيير حين
اللزوم نقيا لعلى قلا ذكر انه بيم عن اللزوم قال اقال قايلا حقا اكد ذلك والمعنى
وقد ذكرا ان المقدرين لغلبة التي لا يكون نعا نبتها وخيبة فان احد الطايفتين
اذا اهزمتا ولا تم عادت اخرا لا يكون النصر الا للمحترم وكذلك موسى وقومه
على فرعون وقومه ثم ادركه الغرق لم يكن الهزايم الا نقرة فالكافر يهزم
المسلم في بعض الاوقات لا يكون ذلك نصرة اذ لا عاقبة لهم الله الذي يرسل
الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السما كيف يشا ويجعله كسفا فترى الودق يخرج
من خلاله فاذا اصاب به من يشا من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل
ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحي الارض بعد
موتها ان ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير ولقد ارسلنا رياحا فراوه مصفرا
لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعا اذا ولوا
مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يومن بايتنا فهم
مسلمون من دلايل الرياح على التفضيل الاول وفي ارسالها قدرة وحكمة اما القدرة
فظاهرة لان الهوا اللطيف الذي يشقه النسيم بصير بحيث يقلع الشجرة ويدبس
بدابة ويقهر فاعل مختار واما الحكمة فهي تقسم الهبوب فيما يقضي اليه من اثارة
السحاب ثم ذكر انواع السحب فمنه ما يكون متصلا ومنه ما يكون متقطعا ثم المطر
يخرج والما في الهوا عجيب علامة القدرة وما يقضي اليه من انبات الزرع وادراك
الزرع حكمة بالغة ثم انه لا يتم بل يختص به قوم دون قوم وهو علامة المشيئة ثم
قال تعالى وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله اختلف المفسرون فيه فقال
بعضهم هو تاكيد كما في قوله تعالى وكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وقال
بعضهم من قبل التنزيل من قبل المطر والاولى ان يقال ان من قبل ان ينزل عليهم لم
يقبل انهم كانوا مبلسين لان من قبله قد يكون واجبا غالبا على ظنه المطر وتنة ٢٢

السحب وهبوب الرياح فقال من قبله اي من قبل ما ذكرناه من ارسال الريح وبسط السحاب
فلم نجد فاصلة الفا نظر الي ترجمة الاستاذ كرالدليل قال المحلي لام الموكدة وباسم الفاعل
قال الاستاذ اذا قال ان الملك يعطيك لا يفيد ما يفيد قوله لان معطيك قال الخفاجي
يفيد انه اعطاك وكان ومعطٍ تصحيف بالاعطاء الاول ويفيد انه سيتصف به وبتين
هذا لقوله الله مبتدا قال الكرخي قوله الله مبتدا وموصول كل يجتذبون خبر ثانٍ كبيرنا
يفيد الاعتراف ثم قال وبين ارسلنا ريحا تراوه مصفرا ثابتين انهم عند تلوقف
الخبر بين مبتدين ايسبين وعند ظهوره يكبرون مستبشرين بين ان تلك الحالة
ايضا الايد ومن عليها لواصاب زرعهم ريح نشسة للكفر وانهم متقلبين بحيرتا بين
نظرهم الي المال لا الي المآل وفي الاية مسايل المسئلة الاولى قال هناك برسل
الرياح على طريقة الاخبار وقال هاهنا وبين ارسلنا على طريقة الاخبار عن الاول
لان الرياح من رحمته وهي مؤنثة والريح من عذابه ونقمته مذكر وفي بعض نسخ
وكذلك تاتي الرياح نافعة تهب في الصباح والايام والبراري والاكام وريح السموم
لا تهب الا في بعض الاوقات وبعض الامكنة المسئلة الثانية سمى النافعة
رياحا والضارة ريحا لوجوه احدها ان النافعة كثيرة الانواع كثيرة الافراد
فجمعها فان كل يوم وليلة تهب نفحات من الرياح النافعة ولا تهب الريح الضارة
الا في اعوام ودهور الثاني هو ان النافعة لا تكون الا رياحا فان هي ما هبت مرة
واحدة لا تصلح الهوا ولا تنشئ السحاب الثالث هو ان الريح للمضرة اما ان تصر
بكيفيته او بكيفيته اما الكيفية فلقلة كانت حارة او شكيفة بكيفية سم وهذا
لا يكون الريح في هبوبها وانما يكون بسبب ان الهوا الساكن في بقعة تتبخر حار
رديئة او في موضع غابر وهو حار جديدا وتكون متكونة في اول تكوينها كذلك
وكيفما كان فتكون واحدة لان ذلك الهوا الساكن اذا انسخن ثم ورد عليه ريح
تحركه تخرجه من ذلك المكان تذهب على مواضع كالهبب ثم ما يخرج من تلك المكان
لا يكون حارا ولا متكيفا لان المكث الطويل شرط التكيف الاترى انك لو ادخلت
اصبعك في نار واخرجتها سريعة لا تتاثر والحديد اذا مكث فيها يذوب فاذا اخرجت
ذلك الشاكن وتفرق لا يوجد في ذلك القدر غيره من جنسه واما المسمومة كذلك
فنادرة وموضع ندرتها واحد واما الكيفية فالرياح اذا اجتمعت وصارت واحدة
صارت كالخلجان ومياه البحيرات اذا اجتمعت تصير بحرا عظيما لا يبيده السيول
ولا يبرده الجلود ولا شك في ان ذلك يكون واحدة مجتمعة من كثير فلهذا قال النكرة
ريح وفي النافعة رياح لوجوه احدها ان الله تعالى لما علم رسوله صلى الله عليه وسلم انواع ادلته واصنا
الاسئلة وعددها وعدد ولم يرد بهذه الاقرار والنياحة الاكفر قال انك لا تسمع
الموتى ولا تسمع الصم الدعا الا اذا ولوا مدبرين وفيه مسايل المسئلة الاولى في الترتيب
فنقول ارشاد الميت محال والمحال البعيد من الممكن ثم اراد الاصم صعب لا يسمع الكلام
وانما يفهم بالاشارة لا يعتبر والافهام بالارشاد صعب ثم اراد ارشاد الاعمى صعب فانك

اذا قلت له الطريق على يمينك يدور الى يمينه لكنه لا يبقى عليه بل يجيء عن قريب والاستاذ
الاصم اصعب ولهذا تكون المعاشرة على الاعمى سهلا من المعاشرة مع الاصم الذي لا يسمع شيا
لان غاية الافهام بالكلام فان يا بالاشارة يفهمها الكلام وليس على ما يفهمها الكلام بفهمها بالاشارة
فان المعدوم والغايب لا اشارة اليهما فقال اولا انك لا تسمع الموتى ثم قال ولا الاصم
ولا هذي الاعمى الذي دون الاصم المسئلة الثانية قال في الصم اذا ولوا مدبرين
ليكون ادخل في الاستماع وذلك ان الاصم اذا كان يفهمها عما يفهمها بالاشارة لكن اذا
ولى ولا يكون نظره الى المشير فلا يسمعه ولا يفهمه المسئلة الثالثة قال في الاصم
ولا تسمع الصم الدعاء ولم يقل في الموتى ذلك لان الاصم قد يسمع الصوت العالي كصوت
الرعد القوي ولكن صوت الداعي لا يبلغ ذلك الحد فقال انك داعٍ ليست بمجلي اي الا
بيان والداعي لا يسمع الاصم دعاءه المسئلة الرابعة ثم قال وما انت بهادي العمي
اي ليس شغله هداية العميان كما يقول القايل فلان ليس بشاعر وانما ينظم بيتا
وبيتين اي ليس شغله ذلك وما ارسلت له ثم قال ان تسمع الا من يؤمن بايانتا
عابتي اسماع الميت والاصم واثبت اسماع المؤمن بايانه لزم ان يكون الموتى احياء
وهو كقوله لان الموتى يردعلى قلبه اسطار البراهين فتلين في قبول العقايد
الحقة ويسمع زواجر الموعظة فتظهر منه الافعال الحسنة وهذا بدل على خلاف مذهب
المعتزلة فانهم قالوا الكافر يؤتى من الايمان غير انا بعضهم يخالف ارادة الله
وقوله ان تسمع الا من يؤمن دليل على انه يؤمن فيسمعه النبي صلى الله عليه وسلم
ما يجب ان يفعل فهم مسلمون فيطيعون كما قال تعالى عنهم وقالوا سمعنا واطعنا
الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة
ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا
العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث
ولكنكم كنتم لا تعلمون يوم يرى لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون
ثم اعاد من الدلايل التي تضمنت دليلا من دلايل الافاق وهو قوله الله الذي يرسل
الرياح فتثير سحابا ذكر احوال الريح من اولها الى اخرها اعاد دليلا من دلايل
الانفس وهي خلق الادمي وذكر احواله فقال خلقكم من ضعف اي ستاكم على الضعف
كما قال تعالى في خلق الانسان من عجل وسنها هاهنا كما تقول في قول القايل ريب
ثلاث ثلاثا من قفزه وجعله شيبا اي من حالة قفزه ثم جعل من بعد ضعف قوة
اشارة الى حالة كان بينها جنينا وطفلا ويؤلودا ورضيعا ومترعرعا فهذه احوال
غاية الضعف وقوله جعل من بعد ضعف قوة اشارة الى حال بلوغه واشتداده وشبابه
واكتهاله وجعل من بعد قوة ضعفا اشارة الى ما يكون بعد الكهولة من ظهور النقصان
والشيبة هي تمام الضعف ثم بين بقوله يخلق ما يشا انه هذا ليس طعلا موجبا له
الله كما قال تعالى في بيد الايات فبسطه في السما كيف يشا وهو العليم القدير

قدم العلم على القدرة والحكمة على العلم فقدم القدرة هناك وتقدم العلم على القدرة هاهنا
فنقول هناك المذكور الاعادة فيقوله وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض
وهو العزيز الحكيم لان الاعادة تكون بكن فيكون فالقدرة هناك اظهر وهاهنا المذكور
الابداء وهو اطوار واحوال والعلم يكمل احوالها فالعلم هاهنا اظهر ثم اقول قوله وهو
العليم القدير تبشير وانذار لانه اذا كان عالما قادرا علم الجزيات واذا علم الشر
عاقب وانما كانت العلم بالاحوال قبل الاثابة والعقاب هما يا لقدرة قدم العلم واما
في الاخرة فبتلك الاحوال مع العقاب فقال وهو العزيز الحكيم قال شارح هذا اشارة
في قوله فتبارك الله احسن الخالقين عقيب خلق الانسان فنقول احسن اشارة الى
العلم لان حسن الخلق بالعلم والخلق المفهوم من قوله الخالقين اشارة الى القدرة ثم لما
بين ذكر الابداء والاعادة كما لابد اذكره ذكر احوالها ووقتها فقال تعالى ويوم
تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة قيل ما لبثوا في القبور وقيل ما لبثوا
من وقت فناء الدنيا الى وقت النشور كذلك كانوا يؤفكون يصرفون من الحق الى الباطل
ومن الصدق الى الكذب وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة
وغيرهم لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث وحتى بين ما هو المعنى اللطيف في هاتين
الايتين فنقول المرعود يرى عذابا اضرب له اجلا يستقل المدة ويرى بنا حيرها لكن
المجرم اذا حشر علم ان مصيره الى النار فيستقل مدة اللبث ويختار تاخير الحشر
والالتقاء والمؤمن اذا حشر علم ان مصيره الى الجنة فيستكثر المدة ولا يريد التاخير
فتختلف العبارتان ويقول احدهما انما مدة لبثنا قليل والية الاشارة بقوله يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة ويقول الاخر لبثنا يوما او بعض يوم والية الاشارة بقوله لقد لبثتم
في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون يعني ان ظنكم
التاخير لانكم كنتم لا تعلمون البعث ولا تعترفون به فصار تصيركم الى النار تظنون
التاخير وقوله تعالى ولا هم يستعتبون اي لا يطلب منهم الاعتاب ومعنى انه العتبى
يعني التوبة تنزيل لنار الحرية لا تطلب منهم لانها لا تقبل منهم والله اعلم قوله تعالى
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم باية ليقولن الذين
كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر
ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون اشار بهذه الاية الى ان الة
الاعتذار والاتيان بما فرق الكفاية الى الاتذار والى انه لم يبق من جانب الرسول
صلى الله عليه وسلم تقصير فان طلبوا شيئا اخر فذلك عناد ومنهم عليه تكذيب
دليل لا صعوبة عليه تكذيب الدليل بل لا يجوز للمستدل ان يشرع في دليل اخر بعد
ما ذكر دليلا جيدا مستقيما ظاهرا الا عتيازا عليه وعادته الخصم لانه اما يعترف
بورود سوال الخصم او لا يعترف فان اعترف فيكون انقطاعا وهو يقدح في الدليل
والمستدل جاهل بوجوه الدلالة والاستدلال ولا هما لا يجوز الاعتراف به من العالم
فكيف من النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يعترف فيكون الشرع في غيره هو هما ان الخصم

لم يسمعه او لم يفهمه او سمعه وفهمه لكن لم يجد ما يقوله في الحال لانه يقول العناد فاذا في الواحد حيث
التزم قدح دليل احترقا ثم قيل قاتل لا بنيا عليهم الصلاة والسلام ذكروا انواعا من الدلائل
سردوها سردا فمن يقول الدليل عليه من وجوه الاول كذا الثاني كذا وفي مثل
هذا الواجب عدم الالتفات الى عناد المعاند لانه يريد بعناده حتى يضيع الوقت فلا يتمكن
المستدل من الاتيان بجميع ما وعد من الدلايل لتتحطد رحبته فاذا لم يكن تقاول الى
عناد وقعت الاشارة بقوله وبين جيئتهم والجمع في ان استم لطبيعة وهو ان الله تعالى
قال لئن جيئتهم باية جاء بها الرسل ويمكن ان يجاب بقال انتم كلكم ايها المدعون
للرسالة مبطلون تحريبين الله تعالى انما قلده يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون
فان قيل من لا يعلم يلزم ايجاد فائدة في الاخبار عن الطبع على قلبه نقول المعنى
من ان من لا يعلم الان فقد طبع الله على قلبه من قبل ثم ان الله تعالى سلى قلب النبي
صلى الله عليه وسلم فقوله فاصبر ان وعد الله حق اي ان صدقك بين قوله تعالى
ولا يستخفنك الذين لا يوقنون اشارة الى وجوب صدوره النبي صلى الله عليه وسلم
على الدعاء الى الايمان فلو سكت لقال الكافر وقد انه مستعجل فليل الرأي لاثبات له
تمت السورة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والله اعلم

سورة لقمان مكية الا ثلاث آيات

نزلت بالمدينة وهي ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الى آخر ثلاث آيات نزلت بالمدينة
وهي الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة نزلت بالجحفة وهي ثلاث وقيل اربع
وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب
الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وهم بالاخرة
هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ومن الناس من
يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم
عذاب مهين واذا تتلى عليه ايانا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه
وقرا فبشره بعذاب اليم وجه ارتباط السورة بما قبلها ما روي ان الله تعالى لما
قال ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اشار الى كونه معجزة وقال ولئن
جيئتهم باية اشار الى انهم يكفرون بالايات بين ذلك بقوله الم تلك ايات الكتاب
الحكيم اي هذه ايات ولم يوتوا بها واني هذا اشار بقوله واذا تتلى عليه ايانا ولى
مستكبرا قوله هدى اي بيانا وفرقانا واما التفسير مثل قوله تعالى الم ذلك
الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين وكما قيل هناك ان تلك اشارة الى الغايب بعضها
ايات القرآن ايات الكتاب الحكيم وبعضها نزل هذه الايات التي نزلت مع الم تلك ايات
الكتاب لم يكن جميع الايات نزلت فقال تلك الاشارة الى الكل اي ايات القرآن
وفيه مسايل المسئلة الاولى قال في سورة البقرة تلك الكتاب ولم يقل الحكيم
وقال هاهنا الحكيم فما زاد وصف في الكتاب واذكر اسرار في احواله فقال هدى

ورحمة وقال هناك هدى للمتقين فقوله هدى في مقابلة قوله الكتاب وقوله رحمة في مقابلة
قوله الحكيم ووصف الكتاب بالحكيم على معنى ذو الرحمة كقوله تعالى في عيشة راضية اي
ذات رضى **المسئلة الثانية** قال هناك للمتقين وقال ههنا للمحسنين لما ذكر انه هدى
ولم يذكر شيأ آخر قال للمتقين اي يهدي به من يتقي الشرك والعناد الا يتبين بحكمة الاحسان
فالمحسن هو الاتي بالايمان والمتقي هو التارك للكفر كما قال تعالى ان الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون ومن جانب الكفر كان متقيا وله الجنة ومن اتى بحقيقة الايمان
كان محسنا له الزيادة لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولانه لما ذكر انه رحمة
قال للمحسنين لان رحمة الله قريب من المحسنين **المسئلة الثالثة** قال هناك
الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وقال ههنا الذين يقيمون الصلاة ولم
يقل يؤمنون تنبيها ان المتقي هو التارك للكفر ويلزم ان يكون مؤمنا والمحسن هو
الاتي بحق الايمان ويلزمه الا يكون كافرا فلما كان المتقي دالا على المؤمن في الاول
صرح بالايمان هناك تنبيها وهاهنا كان المحسن دالا على الايمان بالتخصيص لم يصرح
بالايمان قوله الذين يقيمون الصلاة قد ذكرنا في الصلاة وافاتها سرارا وما
في الزكاة والقيام بها وذكرنا في تفسير الانفال في اواخرها ان الصلاة تترك التشبيه
بالسيد فانها عبادة بصورة وحقيقة والله تعالى يحب له العبادة ولا يحزن عليه
العبادة وترك التشبه لازم على العبد في امور فلا يجلس عند جلوسه ولا ينكي عند
انحنايه والزكاة تشبه بالسيد فانها دفع حاجة الفقير والله دافع الحاجات
والتشبه لازم على العبد ايضا في امور كان العبد لا يتلبس بلباس الاجتهاد وعبده
المجتهد لا يتلبس بلباس الزهاد وبما تتم العبودية ثم قال تعالى هدى للناس من يشتري
لهو الحديث لما بين ان القرآن كتاب حكيم يشتمل على ايات حكيمة بين حال الكفار انهم
يتركون ذلك ويشتغلون بغيره ثم ان فيه ما يبين سوء صنيعهم من وجوه الاول
ان ترك الحكمة والاشتغال بحديث آخر قبيح الثاني ان الحديث اذا كان لهوا فلا
فايدة فيه كان اقبح الثالث ان اللهو قد يقصد به الاضاعة كما ينقل عن ابن عباس
انه قال احصنوا وثقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركوا ساعة فساعة
والعوام يفهمون منه الامر بما يجوز في المطايبة والخواص يقولون من امر بالنظر الى جارية
الغير فان التزوج به لا يتيقنا لم يكن قصدهم الاسلام بقوله ليضل عن سبيل الله
كان فعله ادخل في القبح ثم قوله بغير علم عائد الى المشتري اي يشتري حديثا بغير علم ويعتقد
اي يتخذ السبيل هزوا او ليضل هم عذاب مهين قوله مهين اشارة الى ما يفهم منه
الدوام وقد بين ان الملك اذا امر بتعذيب عبد من عبيده فالحلاد ان علم انه من
بعود الى خدمة الملك ولا يتركه الملك في الحبس يتركه يكرمه ويخفف من تعذيبه
وان علم ان لا يعود الى ما كان عليه وامره فانه لا يكرمه فقوله عذاب
مهين اشارة الى هذا وبه يفترق بين عذاب المؤمن وعذاب الكافر فان عذاب
المؤمن ليطهره وهو غير مهين ثم قال واذا تتلى عليه اياتنا اي يشتري الحديث الباطل

ولكن الصراح يابيه محاباة بعرض عنه واذا نظرت فيه فهمت حسن هذا الكلام من وجهين ان
المشتري يعيب طلب المشتري وصحابته بطلبه يدل الثمن ومن يابيه البيتي لا يطلبه فلا
يشاوره ثم ان الواجب ان يطلب العاقل الحكمة كما يشتريه ويشتريها وما لا فلا يطلبه
واذا اصابه محابا لما لا تواسمعوها ثم ان فيه اشارة الى ان الاولى التولية عن الحكمة وبين
قبيح الثانية الاستكبار ومن يشتري حكاية بهرام ويحتاج اليه كيف يكون مستغنيا
عن الحكمة يستكبر عنها وانما يستكبر الشخص عن الكلام اذا كان يقول انا افول مثله
فمن لا يقدر يصنع مثل ذلك الحكايات الباطلة كيف يستكبر عن الحكمة البالغة
البيتي من عند الله الثالثة كان لم يسمعها شغل المستكبر الذي لا يلتفت الى الكلام
وجعل نفسه كانها عاقدة الرابعة كان في اذنيه وقرا اشارة الى الاعراض ثم قال
فبشره بعذاب اليم اي له عذاب مهين فبشره انت به واوعده وبقال اذا كان
حاله هذا فبشره بعذاب اليم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم
خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها
والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء
فانبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من
دونه بل الظالمون في ضلال مبين لما بين الله تعالى بحال من اذا تتلى عليه الايات
ويتليها وكان ذلك له مراتب من التولية والاستكبار هذا له مراتب من الاقبال
والقبول لما به فان من سمع شيأ وقبله قد لا يعمل به فلا يكون درجته مثل درجة
من يسمع ويطيع ثم ان هذا له جنات النعيم ولذلك عذاب مهين وبينه لطائف
الاولى توحيد العذاب وجمع الجنات اشارة الى الرحمة واسعة الكثرين العقب الثانية
تنكير العذاب وتعريف الجنة تا لاصاقة الى المعرف اشارة الى ان الرحيم يبين الفتة
ويعرفها انفا لا للدراجة الى القلب ولا تبين الفتة وانما ينبه عليها نبيها الثالثة قال
عذاب ولم يصرح بانهم فيه خالدون وانما اشار الى الخلود بتنزله مهين وصرح في الثواب
بالخلود بقوله خالدين فيها الرابعة الكرذلك بقوله وعد الله حقا ولم يذكره هناك
الخامسة قال ههنا فبشره بعذاب اليم بقال لها هنا بنفسه وعد الله ثم لم
يقل ابشركم به لان البشارة لا تكون الا باعظم مما يكون لكن الجنة دون ما يكون للصالحين
بشارة من الله تعالى وانما تكون بشارتهم برحمته ورضوانه كما قال يبشرهم ربهم برحمة
منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ولو لا قوله منه لما عظمت البشارة ولو
كانت منه مقرونة بامر الجنة لكان ذلك فوق الجنة من غير اضافة فان قيل
قد بشر بنفس الجنة بقوله وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نقول البشارة هناك لم تكن
بالجنة وحدها بل وبما ذكر بعدها الى قوله تعالى تنزيلا من غفور رحيم والتنزيل
ما يجيء عند النزول والاكرام العظيم بعده وهو العزيز الحكيم فاعل القدرة بعيد
المعرض ويهيب المقبل عامل العلم بفعل الافعال كما ينبغي ولا يعذب من يؤمن ولا يثيب
من يكفر ثم قال تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها بين عزته وحكمته بقوله خلق

خلق السموات بغير عمد اختلف قول العلماء في السموات فمنهم من قال انها سبع طرائق لصحة سبع
وهو قول اكثر المفسرين ومنهم من قال انها ستة بيوت وهو قول جميع المحدثين والشيخ الغزالي
رحمه الله قال لكن توافقهم في ذلك قال ولم يدل عليها دليل لا في المحسوس ولا في المعقول
وان كان في الباب خبر يزيله بما يحتمله فضلا عن ان ليس في القرآن والخبر ما يدل على ذلك
صريحا بل وفيه ما يدل على الاستدارة كما قال تعالى كل في فلك والفلك لا يطلق الا على مستدير بل ان
الواجب ان يقال بان السماء سواء كانت مستديرة او مصفحة وهي مخلوقة بقدرة لا وجود
بايجاب وطبع واذا علم هذا فقول السماء في كان وهو نضاء القضاء لا نهاية له وكون
السماء بعمد ترونها بغير عمد ليس الا بقدرة تختار اليه الاشارة لقوله بغير عمد يلتبس
على نبي بمنعها السقوط من موضعها وهي لا ترى لها بقدرة الله وقال بعضهم اعني ان السموات
واسرها محبوسها لامكان لها لان المكان لا يعتمد عليه ما فيه فيكون ممكنا والحق ما
يشير اليه الخبر انها بسببه بقاؤها هنا وهناك وعلى هذا قالوا بان من يقع من شاهق
جبل نهر في الهواء في حين ان بقاءه وهرها هنا وهناك وليس في مكان تعتمد عليه قلت قد
لها وقوله ترونها بغير عمد ترونها احدهما انه راجع الى السموات اذ لبست بحيث يعمد وانتم
ترونها كذلك بغير عمد والثاني راجع الى العمد اي بغير عمد مرئية مرئية وان كانت هناك
عمد غير مرئية فهي بقدرة الله تعالى جدارا ذلك تم قال والتي في الارض رواسي اي جبالا
راسية ثابتة ان تميد بكم اي كراهية ان تميد وقيل المعنى ان لا تميد واعلم ان الارض
ثبتها بسبب المياه والرياح والزلازل ولو خلقها الرملها كانت تتثنى للزراعة كما ترى الاراضي
الرملة يتنقل الرمل الذي فيها من موضع الى موضع ثم قال وبث فيها من كل دابة
اي سكون الارض فيه مصلحة حركة الدواب فاسكنا الارض وحركنا الدواب ولو كانت
الارض متزلزلة وبعض الاراضي بتا بسبب بعض الحيوانات لكانت الدابة التي لا تفتش
في موضع تقع في ذلك الموضع فيكون فيه هلاك الدواب اما اذا كانت الارض ساكنة
والحيوانات تتحرك تتحرك في المواضع التي تناسبها وترعى فيها وتعيش فيها ثم قال
وانزلنا من السماء ماء وهذه نعمة احترى انعمها الله تعالى على عباده وقيامها لتكون
الارض لان البذر اذا لم يثبت الى ان ينبت لم يكن يحصل الزرع ولو كانت اجزاء الارض
متحركة كالرمل لما حصل النبات ولما كمل النبات والعدول من المغايبة الى التفسير فيه
فصاحة وحكمة اما الفصاحة فقد ذكرنا في باب الالتفات من ان السامع اذا سمع كلاما
طويلا من نمط واحد ثم ورد عليه نمط اخر بسبطيه الا تترى التذاذا قلت فالزيد
كذا وفي العمر وكذا وقال الكذا اثم انه كذا قال قولا حسنا بسبطا به لما قد تكرر الكلام
مرارا واما الحكمة من وجهين احدهما ان خلق الارض ثقيل والسماء في غير مكان فتتبع
المجاهد انه بالطبع وثبت الدواب يقع لبعضهم انه باختيار الدابة لان لها اختيارا فيقول
الاول لطبيعي والاخر اختياري للحيوان ولكن لا يشك احد في ان الماء في الهواء مع جمعه
فوق ليس طبعا فان الماء لا يكون طبعه فوق والاختياري ان الماء لا اختيار له فهو اراده
الله تعالى فقال وانزلنا من السماء والثاني ان الغاية ظاهرة مشكورة في كل زمان

تتكرر في كل زمان فاسنده الى نفسه ضربا لمثل الانسان لتشكر نعمة وتزيد له من رحمته و
وقوله فانبتنا فيها من كل زوج اي من كل جنس وكل جنس نعمة زوجان لان النبات اما ان
يكون شجرا او غير شجر والذي هو شجرا اما ان يكون ثمرا او غير ثمر والثمر كذلك ينقسم قسمين
وقوله كريم ايمنح به كرم لانه يأتي كثيرا من غير حساب او يكرم مثل بغيض لا يبغض
ثم قال تعالى هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه يعني الله خالق وغيره
ليس بخالق فكيف تتركون عبادة الخالق وتشتغلون بعبادة المخلوق ثم قال بل الظالمون
في ضلال مبين اي بين اوبين للعاقل انه ضلال وهذا الان ترك الطريق والبعد عنه
ضلال ثم ان كان البعد يسيرا او يسيرة فهو لا يبعد عن الطريق المستقيم مثل ما يكون القصد
البعد رافانه يكون نهاية الضلال فالقصد والله تعالى من يطلبه ويلتفت الى غيره وهو
من الدنيا او غيرها فهو ضلال لكن وجهه الى الله قد يصل الى المقصود لكن بعد تعب وطول
مدة ومن يطلبه ولا يلتفت الى ما سواه يكون كالذي على الطريق المستقيم يصل من قريب
من غير تعب واما الذي تراه لا يصل الى المقصود اصلا واذا دام بالسفر والمراد بالظالمين
المشركون الواضعون لعبادتهم في غير موضعها او الواضعون القسم في عبادة غير الله
قوله تعالى ولقد اتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه
ومن كفر فان الله غني حميد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله
ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن
وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك على ان تشرك
بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي
ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل
في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يا بني اقم الصلاة
وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور
ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور
واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير الم تروا ان الله
سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير
ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور
ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور
نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني
الحميد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت
كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير
الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري
الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه
الباطل وان الله هو العلي الكبير الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من
آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين
له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور
يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الله عنده علم
الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري
نفس بأي ارض تموت ان الله عليم خبير الم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا
وبال امرهم ولهم عذاب اليم ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر
يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا
قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله
والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار
خالدين فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه
والله بكل شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ
المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم
انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا
واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله
قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز
الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم
ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايدي المؤمنين وايدي المؤمنين فاعتبروا
يا اولي الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب
ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين
وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط
رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين
الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله
شديد العقاب للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من
الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان
من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والذين جاؤوا
من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا
غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين
كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم
لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك
بانهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر بأسهم
بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون كمثل الذين من
قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر
فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار
خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت
لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم
اولئك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون
لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو
الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له
الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من
الحق يخرجون الرسول وايا كم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي
وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم
فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم
بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم
والله بما تعملون بصير قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم
انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله
من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا
واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو
الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد عسى الله ان يجعل بينكم وبين
الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم لا ينهاكم الله عن الذين لم
يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب
المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا
على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين آمنوا اذا
جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات
فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح
عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما
انفقتم وليسألوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم
شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا
واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان
لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان
يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله
ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من
الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور سبح لله ما في السموات وما في الارض
وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص
واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا
ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي
اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله
الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفؤا نور الله
بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم
وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها
نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال
عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت
طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين
يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من
فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين

موافق للعلم ان الانسان اذا علم امرين احدهما اهم من الاخر فان اشتغل بالاهم كان علمه موافقا لعمله
وكان حكمة فان اهمل الاهم كان مخالفا للعلم ولم يكن من الحكمة في شيء لكن شكر الله اهم الاشياء
فالحكمة اولى بما يقتضي ذلك ثم ان الله تعالى بين ان بالشكر لا ينتفع الا الشاكر من شكر
فانما يشكر لنفسه وبين ان بالكفر لا يتضرر الا الكافر بقوله ومن كفر فان الله غني حميد
اي الله غير محتاج الى الشكر حتى يتضرر بكفران الكافر وهو في نفسه محمود سواء حمد شكره
الناس او لم يشكروه وفي الاية مسايل ولطايف المسيلة الاولى فسر الله تعالى ايتاء
الحكمة بالامر بالشكر لكن الكافر والجاهل مامور بالشكر فينبغي ان يكون قد اوتي
الحكمة والجواب ان قوله تعالى ان اشكر لله امر تكوين معناه اتيناه الحكمة بان جعلناه
من الشاكرين وفي الكافر الامر بالشكر امر تكليف المسيلة الثانية قال في الشكر
ومن يشكر بصيغة المستقبل وقال في الكفران ومن كفر فان الله غني حميد وان كان
الشرط يجعل الماضي والمستقبل في معنى واحد كقول القايل من دخل داري فهو حر
ومن يدخل داري حر يقول فيه اشارة الى معنى وارشاد الى الامر وهو ان الشكر ينبغي
ان يتكرر في كل وقت لتكرر النعمة فمن يشكر ينبغي ان يشكر والكفران ينبغي ان ينقطع
فمن كفر ينبغي ان يترك الكفران ولان الشكر من الشاكر لا يقطع بكماله بل ابدا يكون
منه شيء في العدم يريد الشاكر ادخاله في الوجود كما قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك
وكما قال تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها فاشار اليه بصيغة المستقبل تنبيها
على ان الشكر بكماله لم يوجد واما الكفران فكل جزء منه يقع منه تام فقال بصيغة
الماضي المسيلة الثالثة قال تعالى ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر بتقديم
الشكر على الكفر وقال في الروم من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
فنقول هناك كان الذكر للترهيب لقوله تعالى من قبل فاقم وجهك للدين القيم من
قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون وهاهنا الذكر للترغيب لان
وعظ الابن بطريق اللطف والوعد وقوله ومن صالحا تحقق بما ذكرنا اولا لان المذ
كور في الروم لما كان بعد اليوم الذي لا مرد له فيكون الاعمال قد سبقت فقال
بلفظ الماضي من عمل وهاهنا لما كان المذكور في الابتدا قال ومن يشكر بلفظ
المستقبل وقوله ومن كفر فان الله غني حميد اي غني عن حمد الحامدين حميد في ذاته
من غير حمدهم وانما الحامد ترتفع مرتبته بكونه حامدا لله ثم قال تعالى واذ قال
لقمان لابنه وهو يعظه عطف على معنى ما سبق وتقديره اتينا لقمان الحكمة حين جعلناه
شاكرا في نفسه وحين جعلناه واعظا لغيره وهذا لان اعلى مرتبة الانسان
بان يكون كاملا في نفسه ومكملا لغيره فقوله ان اشكر اشارة الى الكمال وقوله
واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى التكميل وفي هذا لطيفة وهي ان الله
تعالى ذكر لقمان وذكر سعيه حيث ارشد ابنه ليعلم منه فضيلة النبي الذي
ارشد للاجانب والاقارب فان ارشاد الولد امر معتاد وانما تحمل المشقة في تعليم
الابا فلانه في الوعظ بدا بالاهم وهو المنع من الاشراك وقال ان الشرك لظلم

عظيم اما انه ظلم فلانه وضع النفس الشريف الكريم في قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم في عبادة
الخسيس او لانه وضع العبادة في غير موضعها وهي غير وجه الله وسبيله واما الاشراك
انه وضع عظيم فلا وضع الى موضع ولا يجوز ان يكون موضعه وهذا لان من ياخذ مال زيد
ويعطي عمروا يكون ظلما من حيث انه وضع مال زيد في يد عمرو ولكن جايز ان يكون
ذلك ملك عمروا ويصير ملكه ببيع شايع او بتمليك لاحق واما الاشراك فوضع المعبودية
في غير الله ولا يجوز ان يكون غيره معبودا اصلا ثم قال ووصينا الانسان بوالديه
لما منعه من العبادة لغير الله والخدمة قرينة منها في الصورة بين انها غير ممتنعة
بل هي واجبة لغير الله في بعض الصور مثل خدمة الابوين ثم بين السبب فقال حملته
امه يعني لله على ماله صورة العباد نعمة الايجاد ابتدا بالخلق ونعمة الابقا بالرزق
وجعله بفضله ذلك ماله صورة ذلك وان لم يكن لها حقيقة فان الحمد به يظهر الوجود
وبالرضاع يحصل التربية والبقا فقال حملته امه اي صارت بقدرة الله سبب وجوده
وفصاله في عامين اي صارت بقدرته ايضا سبب بقايه فاذا كان ماله سبب الوجود
والبقا وجب عليه ماله شبه العبادة من الخدمة فان الخدمة لها صورة العبادة
فان قال قايل وعنى الله بالوالدين فان الاب حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه
سنين فهو ابلغ وقوله ان اشكر لي ولوالديك لما كان الله تعالى جعل من الوالدين
صورة ما من الله فان الوجود في الحقيقة من الله وفي الصورة نظر من الوالدين جعل
الشكر بينهما فقال اشكر لي ولوالديك ثم بين الفرق فقال الي المصير يعني نعمتهما
مختصة بالدنيا ونعمتي في الدنيا والى المصير وتقول لما امر بالشكر لنفسه وللوالدين قال
الجزا على وقت المصير الي ثم قال تعالى وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم
يعني ان خدمتهما واجبة وطاعتهما لازمة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله اما اذا
افضى اليه فلا تطعهما وقد ذكرنا تفسير الاية في العنكبوت وقوله هاهنا واتبع
سبيل من اناب الي يعني صاحبهما بجسمك فان خفتهما على جسمك واتبع سبيل النبي
بعقلك فانه مربي عقلك كما ان الوالدين مربي ثم قال تعالى يا بني انها ان تك مثقال
حبة من خردل لما قال فانبيكم بما كنتم تعملون وقع لابنه ان ما يفعل في خفية يخفى
فقال يا بني انها اي الحسنة والسيئة ان كانت في الصغر مثل حبة خردل ويكون
مع ذلك الصغر في موضع جزيرة كالصخرة لا يخفى على الله وفيه مسايل المسيلة
الاولى فتكن بالفا لافادة الاجتماع يعني ان كانت صغيرة ومع صغرها تكون
خفية في موضع جزيرة كالصخرة لا تخفى على الله لان الفا للاتصال بالتعقيب
المسيلة الثانية لو قال قايل الصخرة لا بد من ان تكون في السموات او في الارض فما
الفايدة في ذكرها ولان القايل لو قال هذا رجل او امراة وابن عم لا يصح هذا
الكلام لكون ابن عم داخلا في احد القسمين فكيف يفهم هذا فنقول الجواب عنه
من اوجه احدها ما قاله بعض المفسرين وهو ان المراد بالصخرة صخرة عليها الثور
والتقدير فتكون في صخرة او في موضع في السموات او في الارض والثاني ان نقول

تقديم الخاص وتاخير العام في مثل هذا التقسيم جايز وتقديم العام وتاخير الخاص غير جايز
اما الفا في فلما سم ان من قال في هذا في دار زيد او في غيرها او في دار عمرو لا يصح لكون
عمرو داخلا في قوله او في غيرها واما الاول فلان قول القايل هذا في دار زيد او في
دار عمرو او في غيرها صحيح غير قبيح فكذلك ههنا قدم الاخر او تقول خفا الشي يكون
بطريق منها او يكون كثيرا مرتبا في صف من غير حجاب فلا يخفى في العادة فاثبت الله
الرؤية والعلم مع انتفا الشرايط فقوله ان تك مثقال حبة اشارة الى الصغر وقوله
فتكن في صخرة الى الحجاب وقوله في السموات اشارة الى البعد فانها ابعد الابعاد وقوله
او في الارض اشارة الى الظلمات فان جوف الارض اظلم الاماكن وقوله يات بها الله
ابلغ من قول القايل يعلمه الله لان من يظهر له الشي ولا يقدر على اظهاره لغيره يكون
في العلم دون حال من يظهر له الشي ويقدر على ان يظهره لغيره وقوله يات بها الله
اي يظهرها الله للاشهاد وقوله ان الله لطيف خبير اي نافذ القدرة خبير اي عالم
ببواطن الامور ثم قال يا بني اقم الصلاة لما منعه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته
امره بما يلزم من التوحيد وهو الصلاة وهي العبادة لوجه الله مخلصا وبهذا يعلم
ان الصلاة كانت في ساير الملل وغير ان هياتها اختلفت ثم قال وامر بالمعروف وانه
عن المنكر اي اذا كملت انت في نفسك بعبادة الله تعالى فكمل غيرك فان مثل
الانبيا وورثتهم من العلما هو ان يكملوا في انفسهم ويكملوا غيرهم فان قال قايل
كيف قدم في وصيته لابنه الامر بالمعروف على النهي عن المنكر وهو قدم النهي عن
المنكر على الامر بالمعروف فانه اول ما قال يا بني لا تشرك ثم قال يا بني لا تشرك
ثم قال يا بني اقم الصلاة فنقول هو كان يعلم من ابنه الاقرار بوجود الله فما امره
بهذا المعروف ونهاه عن المنكر الذي على هذا المعروف فان الشرك بالله
لا يكون نافيا لله في الاعتقاد وان كان يلزم نفيه بالدليل فكان كل معروف
في مقابلته منكر والمعروف في معرفة الله اعتقاد وجوده والمنكر اعتقاد وجود
غيره معه فلم يامره بذلك المعروف لحصوله ونهاه عن المنكر لانه ورد في التفسير
ان ابنه كان مشركا فوعظه ولم يزل يعظه حتى اسلم واما ابنه فامره امرا مطلقا
والمعروف مقدم على المنكر ثم قال واصبر على ما اصابك يعني من امر بالمعروف
ونهى عن المنكر يوذى فامره بالصبر عليه وقوله ان ذلك من عزم الامور اي من
الامور الواجبة ومداي المقطوعة ويكون المصدر بمعنى المفعول كما تقول اكلي
في النهار رغيف خبز اي ماكولي ثم قال ولا تصاعر خدك للناس لما امره بان يكون
كاملا في نفسه مكملا لغيره وكان يخشى بعدهما من امرين احدهما التكبر على الغير
بسبب كونه مكملا له والثاني التجبر في النفس بسبب كونه كاملا في نفسه فقال
ولا تصاعر خدك للناس تكبر ولا تمش في الارض مرحا اي تتبختر فان الله لا يحب
كل مختال فخور بمعنى من يكون به خيلا وهو الذي يرى عظمة نفسه في عينه وفي الاية
لطيفة وهي ان الله تعالى قدم الكمال على التكميل حيث قال اقم الصلاة ثم قال وامر

بالمعروف وفي النهي قدمنا بورثة التكميل على ما يرثه الكمال حيث قال لا تصاعر خدك ثم قال
ولا تمش في الارض مرحا لان في طرف الاثبات من لا يكون كاملا يمكن ان يصير مكملا فقدم
الكمال وفي طرف النفي من يكون متكبرا على غيره يكون متجبرا لانه لا يتكبر على الغير الا
عند الاعتقاد انه اكبر منه من وجوه واما من يكون متجبرا في نفسه فلا يتكبر ولا يتوهم
انه يتواضع للناس فقدم نفي التكبر ثم التبختر لانه لو قدم نفي التبختر للزم منه نفي
التكبر فلا يحتاج الى النهي عنه ومثاله انه لا يجوز ان يقال لا يفطر ولا ياكل لان من
لا يفطر لا ياكل ويجوز ان يقال لا يفطر ولا ياكل لان من لا ياكل قد يفطر بغير الاكل
فان قال القايل كلاما مثل هذا الكلام يكون للفقير فيقول لا يفطر ولا ياكل اي لا
يفطر بان ياكل شيئين بل واحد ثم قال واقصد في مشيك واغضض من صوتك
لما قال ولا تمش في الارض مرحا وعدم ذلك قد يكون بضده وهو الذي يخالف غاية
الاختلاف وهو مشي المتماوت الذي يرى من نفسه الضعف تزهدا فقال واقصد
في مشيك واغضض اي كن وسطا بين الطرفين المذمومين في الاية مسايل
المسيلة الاولى هل للامر بالغض من الصوت مناسبة مع الامر بالقصد في المشي
يقول نعم سوا علمنا نحن او لم نعلم وفي كلام الله من الفوايد ما لا يحصره حد ولا يحصيه
عد ولا يعلمه احد والذي يظهر وجوه الاول ان الانسان لما كان شريفا يكون مطالبه
شريفة فتكون فواتها خطرا فاقدر الله الانسان على تحصيلها بالمشي فان
عجز عن ادراك مقصوده لما راى مطلوبه ضعف له او ياتيه مشيا اليه فان
عجز عن ابلاغ كلامه اليه يكتب اليه وبعض الحيوانات يشارك الانسان في تحصيل
المطلوب بالصوت كما ان الغنم تطلب السخلة والبقرة العجل والناقة الفصيل
بالثغا والخوار والرعا ولكن لا يتعدى غيرها والانسان غير المبغض عن البغض
فان كان المشي والصوت مفضيين الى مقصود واحد لما ارشده الى احدهما ارشده
الى الاخر الثاني ان الانسان له ثلاثة اشيا عمل بالجوارح يشاركه فيه الحيوانات
فانه حركة وسكون وقوله باللسان ولا يشاركه فيه غيره وعزم القلب وهو
لا يطلع عليه الا الله وقد اشار اليه بقوله انها ان تك مثقال حبة من خردل
اي اصلح ضميرك فان الله خبير بنفي الامر ان يقال واقصد في مشيك اشارة الى
التوحيد في الاقوال الانسانية والاوصاف التي هي للمالك اعلا مرتبة منه والاوصاف
التي للحيوان الذي هو ادنى مرتبة منه وقوله وامر بالمعروف وانه عن المنكر اشارة
الى المكارم المختصة بالانسان فان الملك لا يامره ملك اخر بشي وينهاه عن شي وقوله
ولا تصاعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا الذي هو اشارة الى عدم التكبر
والتبختر من صفتهم وقوله واقصد في مشيك واغضض من صوتك اشارة الى
المكارم التي هي صفة الحيوان ثم قال تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير وفيه
مسايل المسيلة الاولى لما ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة
المشي يقول اما على قولنا ان المشي والصوت كلاهما يوصلان الى شخص مطلوب ان

ادركه المشي اليه فذاك والا يتوقف بالمد افتقول ارتفع الصوت يوذي السامع ويرفع
الصماخ نقوة وربما يخرق الغشاء الذي داخل الاذن واما السرعة الي المشي فلا توذي
وان كانت توذي فلا توذي غير من طريقه والقوة يبلغ من تعلي اليمين والشمال قلا
المشي يوذي الة اللمس والصوت يوذي الة السمع والة السمع تحتاج الة العقل قالت
الكلام انتقاله الي القلب ولا كذلك اللمس واما علي قولنا الاشارة بالمشي والصوت
الي الافتقار والاحوج الي قلان القول قبيحه اقبح من قبح الفعل وسيئة احسن لان
اللسان ترجمان القلب والاعتبار يصحح الدعوي المسئلة الثانية كيف يتكر كونه
انكر من الاسن المنشار بالمبرد وحد الفاس بالجديد اشد تقول الجواب عنه من
وجهين احدهما ان يراد انكر اصوات الحيوانات صوت الحمير فلا يرد اكثر ما ذكرتم
في اكثر الامر لمصلحة نفارة فلا ينكر خلاف صوت الحمير وهذا هو الجواب الثاني
المسئلة الثالثة انكر هو افعل التفضيل تحتاي باب هو هول يحمل ان يكون
باب اطرع ولا في باب العيوب الا بالشذوذ كقولهم اطرع من كذا التفضيل علي المطبوع
واشغل من ذات النحيين علي المشغول واحمق من فلان من باب العيوب الضعال
والخوط وعلي هذا فهم في باب افعل كاشغل باب مفعول فيكون التفضيل علي المنكر
او نقول هو من باب افعل ماخوذ من انكر الشيء فهو منكور وهذا انكر منه وعلي هذا
فصله بعيد لطيف وبيان كل حيوان قد يفهم من صوته انه يصيح من ثقل او تعب
كالبعير والمتردد والحمار لو مال تحت الحمل ولو ثقل لا يصيح وفي بعض اوقات
الحاجة يصيح وفيه وصفوته منكر ويمكن ان يقال لا من تكبر كالحدر من حديد بتنزيل
المرتزقة ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
لما استدل بقوله خلق السموات بغير عمد ترونها علي الوحدانية وبين بحكاية قولهم
ان معرفة ذلك غير مختصة بالنبوة بل ذلك موافق للحكمة ما جاء به النبي صلي
الله عليه وسلم من التوحيد والصلاة ومكارم الاخلاق كلها حكمة بالغة ولو
كان بعيدا لحصا للذم فقوله وقد لا من الله عليهم وفق الحكمة استدل علي الوحدانية
بالنعمة الا نا بينا مرارا ان الملك يحتدم لعظمته ايضا فلما بين ان المعبود لعظمته خلقه
السموات بلا عمد والقاياه في الارض الرواسي وذكر بعض النعم بقوله وانزلنا من
السماء ذكر بعده جملة النعم فقال سخر لكم ما في السموات اي سخر لاجلكم ما في السموات
فان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامر الله وسقها فوايد لعباده ومسخرة في الارض
لاجل عباده وقوله واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وهي ما في الاعضاء من السلامة وباطنة
وبما في القوي فان العقل ظاهر وفيه قوة باطنة الا تري ان العين والاذن
شم وعرق ظاهر واللسان والانف لهم وعظم ظاهر وفي كل واحد بعني باطن من
الابصار والسمع والذوق والشم وكذلك كل عضو فقد تبطل القوة ويبقي العضو
قايما وهذا احسن مما قيل علي هذا الوجه يكون الاستدلال للنعمة الاتاق ونعمة الا
نفس وقوله ما في السموات وما في الارض اشارة الي النعم الافاقية وقوله واسبغ ه

467

عليكم نعمه ظاهرة وباطنة يكون اشارة الي النعم النفسية وفيها اقوال كثيرة مذكورة
في جميع كتب التفاسير ولا يبعد ان يكون ما ذكرناه متقولا وان لم يكن فلا يمكن ان
يخرج من ان يكون سابقا معقولا ثم قال ومن الناس من يجادل في الله يعني لما ثبت
الوحدانية بالخلقة والانعام فمن الناس من يجادل في الله ويثبت غيره اما الها او صفا
بغير علم ولا هدي ولا كتاب بين هذه امور ثلاثة مرتبة العلم والهدي والكتاب فالعلم
اعلا من الكل الهدي والهدي اعلي من الكتاب وبيانه هو ان العلم يدخل فيه الاسما الواضحة
اللايحة التي يعلم من غير هداية هادي ثم الهدي يدخل فيه الذي يكون في كتاب والذي
يكون بالهام ووحي فقال تعالي يجادل في ذلك المجادل لا من علم واضح ولا من هدي
اتاه من هاد ولا من كتاب وقال الاول اشارة الي من اوتي لديه علما كما قال تعالي وعلمك
ما لم تكن تعلم والثاني اشارة الي من هدي صراط مستقيم كما قال تعالي علمه شديد القوي
والثالث اشارة الي من اهتدي بواسطتين وهذا قال تعالي انزل الكتاب بالحق
فيه هدي للمتقين وقال في هذه السورة هدي ورحمة للمحسنين وقال في السجدة
ولقد اتينا موسي الكتاب وجعلناه هدي لبني اسرايل فالكتاب هدي للقوم النبي
والنبي هداه من الله من غير واسطة او بواسطة الروح والامين فقال تعالي يجادل
من جادل لا بعلم من الله ولا هدي ارسله اليه ولا بكتاب بتلي عليه ثم فيه
لطيفة اخري وهي انه تعالي قال في كتاب ولا في كتاب منير لان المجادل منه من كان
يجادل عن كتاب ولكن حرف مثل التوراة بعد التحريف فلو قال ولا كتاب لكان لقايل
ان يقول لا يجادل من غير كتاب فان بعض ما يقولون فهو في كتاب ولان المحرفين انما
يقولون بالبينة والتالث عن كتابهم تقالوا ولا في كتاب منير فان ذلك الكتاب
مظلم وعالم يحتمل في المرتبة الاولي والثانية التحريف والتبديل لم يقل ولا علم ولا هدي
منير او حق او يعتبر ذلك ثم قال تعالي واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع
ما وجدنا عليه اباءنا بين ان مجادلتهم مع كونها من غير علم فهي في غاية القبح فان
النبي صلي الله عليه وسلم لم يدعوهم الي كلام الله وهم ياخذون من كلام اباءهم وبين كلام
الله وكلام العلما بون عظيم فكيف ما بين كلام الله وبين كلام الجهال ثم انها هنا
شيا اخر وهو انهم قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا بعني ننزل العقل النازل من
الله ونتبع العقل والعقل دليل من العقل لكن العقل يحتمل ان يكون جايزا ويحتمل ان
يكون حراما وهم تقاطعوه ويحتمل ان يكون واجبا في اعتقادهم والعقل يدل الا لة
قلو سمعنا قول قابل افعل وابنا فعله يدل علي خلاف قوله لكان الواجب الاخذ
بالقول فكيف والقول من الله والعقل من الجهال ثم قال تعالي ولو كان الشيطان
يدعوهم الي عذاب السعير استفهاما علي التعجب في الانكار يعني الشيطان يدعوهم
الي العذاب والله يدعوهم الي الثواب وهم علي هذا يتبعون الشيطان ثم قال تعالي
ومن يسلم وجهه الي الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقي بين حال المشرك والمجادل بين حال
المسلم المستسلم لامر الله وقوله ومن يسلم وجهه الي الله اشارة الي العمل الصالح لتذكير

ري

الاية في معنى قوله من امن وعمل صالحا وقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى اي تمسك بحبل
لا انقطاع له وبرتقى بسببه الى اعلى المقامات وفي الاية مسايل المسئلة الاولى
قال تعالى ومن يسلم هاهنا وقال في البقرة بلى من اسلم وجهه لله نعدي هاهنا باللام
وهناك بالى قال الزمخشري اسلم لله اي جعل نفسه لله سالما اي خالصا والوجه
بمعنى النفس والذات ومعنى قوله بسلم وجهه الى الله يسلم نفسه الى الله كما يسلم واحد متاعا
الى غيره ولم يرد تعالى هذا وبمكن ان يزاد عليه وتقارن من اسلم لله اعلا درجة ممن يسلم
الى الله لان الغاية والام للاختصاص يقول القائل اسلمت وجهي اليك اي توجهت نحوك
وبني هذا على عدم الوصول لان التوجه الى الشيء قبل الوصول وقوله اسلمت وجهي لله
يفيد الاختصاص ولا يبقى على الغاية التي للمسافة وقطعها للوصول اذا علم هذا فنقول
قال في البقرة قالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقال
الله تعالى ردا عليهم تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ثم بين قسما وقولهم
بقوله بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن اي مع انكم تتركون الله للدنيا وتعولون على الباطل
وتفتخرون بالباطل فلنا فليلا تدخلون الجنة ومن يكون بخلافه لله لا يدخلها هذا كلام باطل
فاورد عليهم من اسلم لله ولا شك ان التقرب بالصورة التي هي الزم اولى فاورد عليهم المحقق
الذي ليس له امر الا الله وقال انهم يدخلون الجنة وهذا لا يدخلها ثم بين كذبهم وقال الي
وبين ان له قوق الجنة درجة وهي العدنية واما هاهنا اراد وعد المحسن الثواب والوصول
الى العالية فوعد من سبق منه ليدخل عوضه من سبق منه بالطريق الاولى وتم الوعد
وهذا من الفوايد الجليلة ثم قال بالعروة الوثقى امري عاقبة الامور الى الله لان كل باعد ٥٠
هالك سنقطع ويبقى لانه لا انقطاع له ثم قال والى الله عاقبة الامور يعني استمسك
بعروة توصله الى الله وعمل يتبعها عاقبته اليه فاذا حصل في الحال ما اليه عاقبته في المال
يكون عاقبته في نهاية الحسن وذلك لان من يعلم ان عاقبة الامور الى واحد يتقدم
اليه الهدايا قبل الوصول اليه بحيث اقدمه عند تقدمهم عليه والى هذا وقعنا الاشارة
بقوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه ثم قال ومن كفر فلا يحزنك كفره اي لا تحزن
اذا كفروا فربان يكذب ومن قاطع بان صدقه بين عن قريب لا يحزن بل قد يرتب الكذب
على الزيادة في التكذيب اذا المرء يكرم من العداة ويكون المكذب من العداة ليخجله غاية
التخجيل واما اذا كان لا يرجو اظهر صدقه بتا لم من التكذيب فقال لا يحزنك كفرهم
ثم قال المرجع الي فانبيهم بما عملوا فيخجلون وقوله ان الله عليم بذات الصدور
اي لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم فيخجلون بما اضمرته صدورهم وذات الصدور من
الملة فان الله تعالى قال ذكرهم قليلا اي يقاسم مدة قليلة ثم بين لهم
وبال تكذيبهم وكفرهم بقوله ثم نضطرهم الى عذاب غليظ اي نسلط عليهم اغلظ عذاب
حتى يبحثوا انفسهم عذابا غليظا فيضطرون الى عذاب النار وقرا من الملايكة
الغلاظ الشداد الذين يعذبونهم بمقاريع من النار وبينه وجه اخر لطيف وهو انهم
لما كذبوا الرسل لم يبين لهم الامر وقع عليهم من الجهالة فما يدخلون النار ولا يخالدون

الوقوف بين يدي من هو محض الانبياء ومن يخص بقوله تعالى فلا يحزنك كفره اليتامر جعهم
فنبيهم بما عملوا ثم قال تعالى وبين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون الاية متعلقة بما قبلها من وجهين احدهما ان تعالى لما
استدل بخلق السموات بغير عمد وبنوه الظاهرة ثم ثم ممتزفون ذلك غير منكرين له
وهذا يقتضي ان يكون الحمد كله لله لان خالق السموات والارض يحتاج اليه كل من في
السموات والارض فلله الحمد كله يقتضي ان لا يعبد غيره لكنهم لا يعلمون هذا والثاني ان
الله تعالى لما سلا قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فلا يحزنك كفره اليتامر جعهم فـ
فنبيهم اي لا تحزن بتكذيبهم فان صدقك وكذبهم بين عن قريب عند رجوعهم
اليناثم قال وليس بين الاذلك اليوم بل هو بين قيل يوم القيامة لانهم معترفون بان
خالق السموات والارض من الله وهذا تصديق لك في دعوي الوحدانية وتبكيت لهم
في الاشراك فقل الحمد لله على ظهور صدقك وكذب مكذبيك بل اكثرهم لا يعلمون اي ليس
فهم علم يمنعهم من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب تصديقك وعلى هذا يكون لا يعلمون
استعمال الفعل مع القطع عن المفعول بالكلية كما يقول القايل فلان يعطي ويمنع ولا
يكون في ضميره ما يعطي بل يريد ان له عطاء ومنعا فكذلك ههنا قال لا يعلمون
اي ليس فيهم علم ويكون لا يعلمون له مفعول ومفهوم وهو انهم لا يعلمون ان الحمد لله والثاني بالغ
لان قول القايل فلان لا علم له وكذا فلا يبقع ذنبا ولا يبصره ذكره بما يلزم منه وهو
ان يكون له ما فيهما والاركذلك عقلا ونقلا اما ان ما في السموات المحاوية لحلوق
واضافة خلقه اليهن صنف خلق السموات لازم عقلا لامتناع مكنة والممكن لا يقع ولا يوجد
الا بواجب من غير واسطة عامر مذهب اهل السنة او بواسطة كما يقول غيرهم
وكيف ما فرض فالكاين الله لا سبب السبب بسبب واما شرعا فلان من يملك ارضا
وحصل بتملكه يكون ذلك تمام الارض فكذلك كل ما في السموات والارض فاذا كان
الامر كذلك تحقق ان الحمد لله ثم قوله ان الله هو الغني الحميد وفيه معنيان لطيفان
احدهما ان الكل لله وهو غني يحتاج اليه ينتفع به وبنبهامتا نفع فهو الكم خلقها هو
غني لعدم حاجته حميد يشكر لدقه حواجكم بها والثاني بعد ذكر الدلايل
على ان الحمد كله لله ولا يصلح العبادة الا لله افترق المكلفون طريقين مومن وكافر
فالكافر يجعد الله والمومن يحمده فقال ان الله غني عن حمد الحامدين فلا يلحقه
نقص من كفر الكافرين وحميد في نفسه فتبين باضافة المومنين اليه ويكمل بحمد الحامدين
من اهل السموات وما فيها والارض وما فيها اذا كانت لله وبحمونه فله الحمد كله
فلا تعبدوا الا الله فهو الغني المطلق وكل حامد فهو حامد لاحتياجه الى من يرفع حاجته
فلا يكون الحميد المطلق الا الغني المطلق فهو المعتمد وهو على هذا الحبيب يعني المحمود وانه
ان قيل له الحامد لا يكون معناه الا الواصف نفسه او عباده بالاوصاف الحميدة فـ
والعبد اذا قيل له حامد يجعل ذلك للمعبود وحيث كونه شاكرا عابدا له ثم قال تعالى
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما قال تعالى الله ما في

في السموات والارض فيما وحكم العقل الصريح بثبوتهما وان في علمه وقدرته عجايب
لا نهاية لها وقال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام يكتب بها والبحر يمده لا نفدت
عجايب صنع الله ويحتمل هذا ان تكون مفسرة بالعجيبة ورجحها اذ العجايب يقوله
كن وكن كلمة اطلاق التشبيه على المشبه جايز يقول الشجاع لمن يبارزه انا ابن وقت
وقال للذوا في حق المربقة هذا شفاؤه ودليل صحة هذا ان الله تعالى سمى المسيح
كلمة لانه كان امرا عجيبا وصنعا غريبا لوجوده من غير اب قال تعالى لابنة دارة في
اليمن وحبشة قالوا الله تعالى قد ذكر كل شيء في التوراة والقرآن شيئا لم يذكره فقال الذي
في التوراة بالنسبة الى كلام الله ليس الا قطرة من بحار وانزل هذه الاية وقيل ايضا
نزلت في واحد قال للنبي صلى الله عليه وسلم الله تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا
وتقول من يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فانزلت هذه الاية دالة على انه
غير كثير بالنسبة الى الله وعلومه قليل وقيل ايضا بانها نزلت ردا على الكفار حيث
قالوا بانا نأتي بمثل ما يأتي به محمد صلى الله عليه وسلم سنعارضه فقال له كلام الله وهو لا نهاية
وما ذكرتم من اسباب النزول لا يناسب ما ذكرتم من اصناف الاقوال فيه من التفسير
لا نها تدل على ان المراد من الكلام في قوله وما اوتيتم الا قليلا الخ
بدل على ما ذكرنا لانه اذا صح جوابا لهذه الاشياء التي ذكرتموها وهي متباينة
علما ونهاية وما ذكرنا لا تباين في هذا لان كلام الله تعجيب معجز لا يقدر احد على الاتيان
بمثله فاذا قلنا بان عجايب الله لا نهاية لها دخل فيها كلام الله بقيد انه جملة
الكلام محقوقا لانك تقول المحقوق من الحرف والترتيب وهو عجيب واما الكلمات
في صفات الله تعالى فاعلم ان الاية وان كانت نازلة بحق ترتيب غير الذي هو
مكتوب ولكن الترتيب المكتوب عليه القرآن بامر الله فانه يامر الرسول الكتب
كذلك وامر الله الرسول من امر الله وذلك تحقق سعي من يبتغي الترتيب الذي نبه
ثم ان الاية نبهت لطايف الاولى قال لو ان ما في الارض من شجرة اقلام والاقال لو ان
ما في الارض من الاشجار اقلام والاقال لو ان ما في الارض من شجرة فلم اشار الى
التكثير يعني لو ان تعدد كل شجرة اقلاما الثانية قوله والبحر يمده تعريف البحر
بالالف واللام لاستغراق الجنس وتكثير شجرة مدادا ثم قوله يمده من بعده سبعة ابحر اخر
وقوله سبعة ليس لاحتصارها اشارة الى بحار غير موجودة يعني لو مدت البحار الموجودة
بسبعة ابحر اخر وقوله سبعة ليس لاحتصارها في سبعة وانما الاشارة الى العدد
والكثرة ومن لفظ السبعة خصصت من بين الاعداد لانها عدد كثير يحصر
المعدودات في العادات والذي يدل عليه وجوه الاول ان ما هو معلوم عند كل
احد بالحاجة اليه هو الزمان والمكان لان المكان فيه للاحتساب والزمان فيه
للاقوال لكن المكان منحصر في سبعة اقاليم والزمان في سبعة ايام ولان الكواكب
السيارة سبعة وكان المنجمون ينسبون اليها امورا فصارت السبعة كالعدد
المحاصل في الكثرة بالعادة فاستعملت في كل كثير الثاني هو ان الاحاد الى العشرة

والمكثرة الاولى واما بعدها فابتدا من الاحاد مرة اخرى فيقال احد عشر واثنى عشر الى
من العشرات والالوف من المئات اذا علم هذا فنقول ما يلتئم منه اكثر من العدد وهو الثلا
ثة لانه يحتاج الى طرفين هما مبدا ومنتهى ووسط وهذا ايضا لما كان الاسم والفعل
منه هو الثلاثة احرف فاذا كانت الثلاثة هي القسم الاول من العشرة هو العدد الاصلي
تبقى السبعة الاكثر فاذا اريد بيان الكثرة ذكرت السبعة ولهذا قال المعدودات
في العبادات من التشريعات في الاستنجاء في الصلاة الثلاثة والمراد في الوضوء
ثلاث بتيسير الامر على المكلف اكتفى بالقسم الاول اذا ثبت هذا فنقول قوله صلى الله
عليه وسلم المؤمن يأكل في معا والكافر يأكل في سبعة امعاء اشارة الى قلة الاول وكثرة
من غير ارادة السبعة بخصوصها وقيل ان لجهنم سبعة ابواب بهذا التفسير
نزعم هذا فنقول لجهنم ثمانية ابواب اشارة الى زيادة شقاء من فيها الحسي والمعنوي
يدل عليها ابواب كثيرة زايدة على كثرة غيرها والذي يدل على ما ذكرنا في السبعة
ان العرب عند التاني يزيدون واو التقول الفرها والثمانية ويتركون ذلك الا
للاستثناء لان العدد بالسبعة في العرف ثم الثامن استيناف تحديد الطبيعة الثالثة
لم نقل في اقلام العدد لوجهين احدهما ان قوله ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام يبين ان المراد منه هو ان يكون بعدد كل شجرة موجودة اقلام فتكون الاقلام
اكثر من الاشجار الموجود قوله في البحر والبحر يمده من بعده سبعة ابحر اشارة الى ان
البحر لو كان اكثر من الموجود قاستعير له القلم والبحر له معين والثاني هو ان النقصان
بالكتابة يلحق المداد اكثر فانه من النافذ والقلم الواحد يمكن ان يكتب به كتبا كثيرة
اليها تحقق ذلك فقال انه عزيز اي كامل القدرة فيكون له مدد وان لا نهاية لها
والا لانتفت القدرة الجيب لا تصلح للايجاد وبوجهكم كامل العلم فيعلم ما لا نهاية
له فتحقق ان القرآن كان مدادا لما نفد ما في علمه وقدرته ثم قال تعالى ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة تعليل لقدرته على ذكر ما بيطل اسبقية دهر الحس
والشر فقال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ومن الاتقاد لعلمه انه لا يعزل
المرئي كونوا امر تعالى ان الله سميع بصير يعلم ما يعلمون فاذا كان قادرا على البعث
ومحيطا بالاقوال والافعال يوجب ذلك الاجتناب التام والاحتراز الكامل ثم قال
تعالى الم تر ان الله يولج الليل في النهار الخ في الليل في النهار وبيان ذلك

النفوس التي تولى الارض اكثر من التي هي تحتها لان الارض تكون البلد اقصر والنهار اطول وتارة تكون بالعكس وتكون بالعكس وتارة تستويان وبان تعالى بحد سير الشمس والقمر بين ان كنتم لا تعرفون ان هذه الاشياء كلها في ايلاجه الله فلا بد من الاعتراف بانها عايدة الى الله والاحالة ان كانت تالمدد دون المدد ويسير الكواكب فسير الكواكب لبسته لا بالله وتقديره وفي الاية مسئلتان احدهما ايلاج الليل في زمن النهار اي جعل في الزمان الذي يخصه النهار البيلوذلك لان الليل اذا كانت مثلا اثنتي عشرة ساعة تقريبا يطول بعضر الليل بوجود في زمان كان يخص النهار وبالعكس ان يقال المراد ايلاج زمان الليل في النهار اي جعل زمان الليل في النهار وذلك ان الليل اذا كان كما ذكرنا اثنتي عشرة ساعة فاذا فرضنا زمان الليل بوجود في النهار ولا يمكن غير هذا لان ايلاج الليل في النهار يحال الوجود وقد ذكرنا ان لا بد منه لكن الاول اولى لان الليل والنهار افعال والافعال في الازمنة لوان الزمان ظرف فقولنا الليل في زمان النهار اقرب من قولنا زمان الليل في النهار لان الثاني يجعل الظرف مظروفا اذ الشاهد اقتضى قوله تعالى يولج النهار في الليل اي يوجد وقتا كان فيه النهار والله تعالى قدم ايجاد الليل على ايجاد النهار وكثير من المواضع كما قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار اليتين وجعل الظلمات والنور وقوله واختلاف الليل والنهار وسخر جنسه قوله تعالى خلق الموت والحياة ليبلوكم وهذه اشارة الى المسئلة حكيمة وان الظلمة قديطلق وبها ويراد عدم النور والليل عدم النهار والحياة عدم الموت والموت بحدم الحياة وليس كذلك ان في الازل نهار ولا نور ولا حياة ولا مكان ولا يمكن ان يقال كان فيه نور او ظلمة او ليل فهذه الامور كالعمى والصمم ليس بمجرد عدم البصر وعدم السمع اذ الحجر والشجر لا بصر لهما ولا سمع ولا يقال لشيء منهما انه اصم واعمى اذ اعلم هذا فنقول ما يتحقق فيه العمى والصمم لابد ان يكون قبله افتضا بحلافهما والا لما كان يقال له اعمى واصم وما يكون قبله اقتضا شيء ويترتب عليه مقتضاه لا تظليد التفسير الا ان من راى المتفسير في البيوت لا يقال لم دخل السوق وما ثبت على خلاف المقتضى يطلب التفسير له لو يرى ملكا في السوق يقول لم دخل السوق فاذا قد ثبت العمى والصمم يطلب كل واحد فنقول لم صار فلان اعمى واصم ولا يقال لم صار فلان بصيرا واذا كان كذلك قدم الله تعالى ما تطلب التفسير سببه وهو الليل الذي على فرد ان العمى والظلمة والموت لكون كل واحد طالبا سببه ثم ذكر بعده الامر الاخر المسئلة الثانية قال يولج بصيغة المستقبل وقال في الشمس والقمر وسخر بصيغة الماضي لان ايلاج الليل والنهار ليس بمجدد كل فصل ليل كل يوم وتسخير الشمس والقمر امر مستمر كما قال تعالى حتى عاد كالعرجون القديم المسئلة الثالثة قدم الشمس على القمر مع تقديم الليل الذي فيه سلطان القمر على النهار الذي فيه سلطان الشمس لما بين ان تقديم الليل كان لان الافتقار يطلب سببه اكثر مما تطلب سبب النهار وها هنا كذلك لان الشمس كانت اكبر واعظم كان اتحمل والتفتر يطلب سبب الامر

العجيب اكثر مما تطلب سبب الامر الذي لا يكون عجيبا المسئلة الرابعة ما تعلق قوله تعالى يولج الليل في النهار الى قوله بما تعملون حتى بما تقدم من كلمات الليل والنهار محل الاعتبار يتأتى ما يقع فيها ذهن الزمانيين الذين بما يتضرر الله لا يخفى على الله المسئلة الخامسة قوله تعالى لم ترتجعل وجهين احدهما ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثرون وكان ترك الخطاب مع غيره لان من سوى النبي من الكفار لا قابلية له للخطاب معهم لاصرارهم ومن سوى غيره من المؤمنين لا قابلية للخطاب معهم فهو تؤمرون بامر النبي صلى الله عليه وسلم تأمرون اليه والوجه الثاني ان يقال الخطاب مع الواعظ بحاطب ولا يبعد احد فنقول الخطاب عظيم بامسكين الى اسمه صبر لمن تضرر وما ذا تقصير له فقوله تعالى الم تر ان يكون خطابا من ذلك القبيل اي ايها العاقل الم تر بهذا الامر الواضح تعرف ذلك بان الله هو الحق وما تدعون من دونه هو الباطل وما ذكر الله تعالى باوصاف الكمال كقوله انه هو الغني الحميد وقوله ان الله عزيز حكيم وقوله تعالى ان الله سميع بصير قاشار الى الارادة والكلام بقوله ما تقدت كلمات الله وبقوله يولج الليل في النهار وعلى الجملة بقوله هو العلي اشارة الى كل صفة سلبية فانه اذا كان عليا لا يكون عرضا محتاجا الى الجوهر به القوام ولا جسما محتاجا الى حيز في الدوام ولا شيئا من الممكنات المحتاجة للوجود وذكر بعده جميع الاوصاف الثبوتية صريحا وتضمنا فان الحياة في الضمن العلم والقدرة قال دل على بان الله هو الحق ذلك الا تضاف بانه هو الحق والحق هو الثبوت والثابت والله هو الثابت المطلق الذي لا زوال له وهو الثبوت والوجود تنظر اليه فهو الحق وما عداه الباطل لان الباطل هو الزايل تعالى الباطل ظله اذا زال وله ذا كان له الثبوت من كل وجه يكون تاما لا نقص فيه ثم اعلم ان الحكما قالوا الله تعالى صار فوق التمام وجعلوا الانبيا على اربعة اقسام ناقص وكامل وتام وفوق التمام فالناقص ما ينبغي ان يكون له كالصبي والمريض والاعمى والمكتفي هو الذي اعطي ما يتدفع به حاجته في وقته كالانسان والحيوان الذي له من الالات ما تندفع به حاجته في وقته لكنها في التحلل والزوال والتمام ما حصل له كل ما يجوز له وحصل له ما عداه ما يجوز له واحتاج اليه لكن الله حصل له كل ما يجوز له من صفات الكمال ويقوت الجلال فهو تام وحصل له من كل ما يجوز له من صفات الكمال ويقوت الجلال فهو فوق تام كل ما يجوز له واحتاج اليه فهو فوق التمام وقوله وهو العلي اشارة الى صفاته وقوله الكبير اي في ذاته وقوله وكذلك يتأتى في ذي كون حسبانيا فكان لا تكون في مكان جيبية تسعة اذرع ويمكن فرض ما هو اكبر منه فيكون صغيرا بالنسبة الى المفروض لكنه كبير مطلقا من كل ما يتصور ثم قال تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله لما ذكر اية سماوية بقوله الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر اشار الى المسبب والمسبب ذكر اية ارضية اشار الى السبب والمسبب فقوله تجري اشارة الى المسبب وقوله بنعمة الله اي الريح التي هي امر الله ليربكم من اياته يعني ما جرا بها بنعمة من اياته اي بعض

اياته ثم قال ان في ذلك لايات لكل صبار في الشدة الشكور في الرخا وذلك لان متذكر عند
الشدة والبلا وعند النعم والالا فيشكر اذا اصابته نعمة ويشكر اذا اتته نعمة وورد
في كلام النبي صلى الله عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر اشارة الى ان
التكليف افعال وتروك والتروك صبر والافعال على المالوف كما قال صلى الله عليه
وسلم الصوم صبر والافعال شكر على المعروف ثم قال تعالى واذا غشيهم موج كالظلل
لما ذكر الله ان في ذلك لايات ذكر ان الكل معترفون به غير ان البصير يدركه اولا
ومن بصيرته ضعف لا يدركه اولا فاذا غشيه موج ووقع في شدة اعترف بان الكل
من الله ودعاه مخلصا اي يترك كل ما عداه وينسى جميع من سواه فاذا نجاه من تلك
الشدة قد يبقى على تلك الحالة وهو المراد بقوله فمنهم مقتصد وقد يعود الى الشرك
وهو المراد بقوله وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور وفي الاية مسايل المسئلة الاولى
قوله موج كالظلل وحد الموج وجمع الظلل وقيل في معناه كالجبال وقيل كالسحاب
اشارة الى عظمة الموج ويمكن ان يقال الموج الواحد العظيم يبين ذلك فيكون ذلك
كالجبال المتلاصقة المسئلة الثانية قال في سورة العنكبوت فاذا ركبوا في الفلك
دعوا الله ثم قال فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقال هاهنا فلما نجاهم الى البر
فمنهم مقتصد اي في الكفر وهو الذي انزجر بعض الانزجار او مقتصد في الكفر وهو
الذي اخلص بعض الاخلاص فبقي معه شي فيه ولم يبق على ما كان عليه من الاخلاص
وهاهنا لم يذكر مع ركوب البحر معاتبة مثل ذلك الامر فذكر استنزالهم حيث لم يبق عنده
اثر المسئلة الثالثة وما يجحد باياتنا في مقابلة قوله تعالى ان في ذلك لايات
يعني يعترف بها الصبار الشكور ويجحد الختار الكفور والصبار في موازنة الختار لفظا
ومعنى والكفور في موازنة الشكور اما لفظا فظاهر واما معنى فلان الختار هو الغدار
الكثير الغدر او شديد الغدر والغدر لا يكون الا من قلة الصبر لان الصبور ان لم
يعهد مع احد لا يعهد منه الاصرار فانه يصبر ويفوض الامر الى الله واما الغدار فيعهد
ولا يصبر على العهد فينقضه واما ان الكفور في مقابلة الشكور معنى فظاهر ثم قال
تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لما ذكر الدلايل من اول
السورة الى اخرها وعظنا بالتقوى ان الامر بيد اثنين لا يخاف احدهما مثل ما يخاف لو
كان الامر بيد احدهما لا غير ثم اكد الخوف بذكر اليوم الذي يحكم الله فيه بين العباد وذلك
لان الملك اذا كان واحدا ويعهد منه ان لا يعلم شيا ولا يستعرض عبادته لا يخاف منه
مثل ما يخاف اذا علم ان له يوم استعراض واستكشاف ثم اكده بقوله لا يجزي والد عن ولده
وذلك لان المجرم اذا علم له عند الملك من يتكلم في حقه وما يخرج عليه يريه من كسبه
لا يخاف مثل ما يخاف اذا علم انه ليس له ما يقضي عنه ما يخرج عليه ثم ذكر شخصين
في غاية الشفقة والمحبة وهو الوالد والولد جميعا فيه لطيفة وهي من الامور ما يبادر
الوالد الى تحمله من الولد ومنها ما يبادر الولد الى تحمله من الوالد مثل ما يبادر الولد
كالاهانة فان من يريد احضار والد عند الوالي والقاضي يهون على الابن ان يدفع

الاعانة عن والده ويحضر هو بدله فاذا انتهى الامر الى الايلام يهون على الاب ان يدفع الالم
عن ولده ويتحمله هو بنفسه فقوله لا يجزي والد عن ولده في دفع الالام ولا مولود هو
جاز عن والده شيا في دفع الالام هانة وفي قوله لا يجزي ولا هو جاز لطيفة اخرى وهي
انا ذكرنا ان الفعل يقال وان كان مما لا ينبغي ولا يكون من شانه لان الملك اذا كان
يحيط شيا يقال انه يحيط ولا يقال انه حياط وكذلك من يحيك شيا ولا يكون ذلك يقال
هو يحيك ولا يقال هو حايك اذا علمت هذا فنقول الابن من شانه ان يكون جازيا عن
والده لما له عليه من الحقوق والوالد يجزي لما فيه من الشفقة وليس بواجب عليه
ذلك فنقول في الوالد لا يجزي قال في الولد ولا هو جاز عن والده ثم قال ان وعد الله
حق وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون تحقيقا لليوم والثاني ان يكون تحقيقا لعدم
الجزا يعني والد عن ولده لان الله وعده بان لا تزر وازرة وزر اخرى ووعد الله حق
فلا يجزي والاول احسن واظهر ثم قال فلا تغرنكم الحياة الدنيا اذا كان الامر كذلك
فلا تغتروا بالحياة الدنيا فانها زايلة لوقوع اليوم المذكور بالوعد الحق ثم قال
ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الدنيا ينبغي ان تغرنكم بنفسها ولا ينبغي ان تغتروا فان
حملكم على محبتها عار من نفس امارة او شيطان فكان الناس على اقسام منهم من
تدعوه الدنيا الى نفسها فيميل اليها ومنهم من يوسوس في صدره الشيطان ويزين
في عينه الدنيا ويومله ويقول انك تحصل بها الاخرة وتلتذ بها ثم تتوب فتجتمع لك
الدنيا والاخرة فنهاهم عن الامرين وقال كونوا قسما ثالثا وهم لا يلتفتون الى الدنيا
ولا الى من يحسن الدنيا في الاعين ثم قال تعالى ان الله عنده علم الساعة يقول بعض
المفسرين ان الله تعالى علم امورا خمسة بهذه الاية عن غيره وهو كذلك لكن المقصود
ليس كذلك لان الله تعالى يعلم الجوهر الفرد الذي كان قلب الرجل في زمان طوفان
ونقله الريح من المشرق الى المغرب كم ويعلم انه اين هو ولا يعلمه غيره فلا وجه لا
ختصاص هذه الاشارة بالذكر وانما الحق فيه ان نقول لما قال اخشوا يوما لا يجزي
والد عن ولده وذكر انه كاين بقوله ان وعد الله حق كان قايلا قال فمتى يكون
هذا اليوم فاجيب فان هذا العلم مما لا يحصل لغير الله ولكن هو كاين ثم ذكر الدليلين
اللذين ذكرناهما مرارا على البعث احدهما احيا الارض بعد موتها كما قال تعالى وان
كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيي الارض
بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى فقال تعالى ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون فقال
هاهنا يا ايها السايل انك لا تعلم وقتها ولكنها كاينة والله تعالى قادر عليها كما هو
قادر على احيا الارض حيث قال هو الذي ينزل الغيث ويحيي الارض وثانيهما الخلق ابتدا
كما قال تعالى هو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وقال تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف
بدا الخلق ثم الله ينشي النشاة الاخرة الى غير ذلك وقال هاهنا ويعلم ما في الارحام
اشارة الى ان الساعة وان كنت لا تعلمها ولكنها كاينة والله قادر عليها كما هو
قادر على الخلق في الارحام كذلك يقدر على الخلق من الارحام ثم قال كذلك الطالب

علمه يا ايها السايل انك تسال عن الساعة ايان مرساها ولكن اشيا اهم لا تعلمها فانك
لا تعلم معاشك ومعادك فلا تعلم ماذا تكسب غدا مع انه فعلك وزمانك ولا تعلم اين تموت
مع انه شغلك ومكانك فكيف تعلم قيام الساعة متى تكون فالله تعالى ما علمك كسب
غدك مع ان لك فيه فوايد يبنى عليه الامور من يومك ولا اعلمك اين تموت مع ان
لك فيه اغراضا تهيا امور بسبب ذلك العلم وانما لم يعلمك لكي يكون في كل وقت بسبب
الرزق راجعا الى الله متوكلا على الله ولا اعلمك بالارض التي تموت فيها كيلا تامن الموت
وانت في غيرها فاذا لم يعلمك ما تحتاج اليه كيف يعلمك ما لا حاجة اليه وهو الوقت
وانما الحاجة الى العلم بانها تكون فقد اعلمك الله على لسان انبيايه ثم قال ان الله
عليم خبير لما خصص اولا علمه بالاشيا المذكورة بقوله ان الله عنده علم الساعة
ذكر ان علمه غير مختص به بل هو عليم مطلقا بكل شي وليس علمه علما بظاهر الاشيا فحسب
بل هو خبير علمه واصل الى بواطن الاشيا والله اعلم بغيبه وهو الملهم للصواب

سورة السجدة بسم الله الرحمن الرحيم

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين لما ذكر الله في السورة المتقدمة
دلايل الوحدانية ذكر الاصل الاخر وهو الحشر وختم السورة تنبيها ببيان الرسالة
في هذه السورة قال الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وقد علم ما في قوله الم وفي قوله لا ريب
فيه من سورة البقرة وغيرها غير ان هاهنا من رب العالمين وقال من قبل هدى
ورحمة للمحسنين وقال في البقرة هدى للمتقين وذلك لان من يرى كتابا عند غيره فاول
ما تصير النفس طالبة لطلب ما في الكتاب فتقول ما هذا الكتاب فاذا قيل هذا نفسه
او تفسير فتقول بعد ذلك مصنف من هو ولا تقول اولا هذا الكتاب مصنف من ثم من
يقول مماذا هو اذا علم هذا فقال اولا هذا الكتاب هدى ورحمة ثم قال هاهنا هو
كتاب الله وذلك للفظ رب العالمين لان كتاب من يكون رب العالمين يكون فيه
عجايب العالمين فيدعوا النفس الى مطالعته ثم قال ام يقولون افتراه يعني يعترفون
به ام يقولون افتراه هو مفتري ثم اجاب وبين ان الحق انه حق من ربه ثم بين فايدة
التنزيل وهو الانذار وفيه مسايل المسيلة الاولى كيف قال لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير مع ان النذر سبقوه الجواب من وجهين احدهما منقول والاخر معقول اما المنقول
فهو ان قريشا كانت امة لم ياتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وهو بعيد فانهم
كانوا من اولاد ابراهيم وجميع انبيا بني اسرايل من اولاد اعمامهم وكيف كان يترك قوما
من اولاد ادم الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم بلا دين ولا شرع وان كنت تقول
بانهم ما جاهم رسول بخصوصهم يعني ذلك القران فلم يكن ذلك مختصا بالعرب بل
اهل الكتاب لم يكن ذلك القران قد اتاهم رسول وانما اتى الرسل اباهم وكذلك
العرب اتى الرسول اباهم كيف والذي عليه الاكثرون ان ابا محمد صلى الله عليه وسلم
كانوا كفارا لان النبي اوعدهم واوعد اباهم بالعذاب وقال تعالى وما كنا معذبين

حتى نبعث رسولا واما المعقول فهو ان الله تعالى اجرى عادته على ان اهل عصر اذا ضلوا بالكلية
ولم يبق فيهم من يهديهم يلطف بعباده ويرسل اليهم رسولا ثم انه اذا اراد ظهورهم بازالة
الشرك والكفر من قلوبهم وان اراد ظهور وجه الارض باهلاكهم ثم اهل العصر ضلوا بعد
الرسل حتى لم يبق على وجه الارض عالم هاد ينتفع بهدايته قوم وبقوا على ذلك سنين
متطاولة فلم ياتهم رسول قبل محمد صلى الله عليه وسلم فقال لتنذر قوما ما اتاهم اي بعد
الضلال الذي كان بعد الهدى لم ياتهم نذير المسيلة الثانية لو قال قايل التخصيص بالذكر
يدل على نفي ما عداه فقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير فوجب ان يكون انذاره مخصصا
بمن لا ياتيه نذير لكن اهل الكتاب قد اتاهم نذير فلا يكون الكتاب منزلا الى الرسول
لينذر اهل الكتاب فلا يكون رسولا اليهم نقول هذا فاسد من وجوه احدها ان
التخصيص لا يوجب نفي ما عداه وهاهنا وجد ذلك لان انذارهم كان اولى الا ترى
انه تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ولم يفهم منه ان لم ينذر غيرهم او لا يومر بانذار
وانذار المشركين كان اولى لان انذارهم كان بالتوحيد والحشر واهل الكتاب لم ينذروا
الا بسبب انكار الرسالة فكانوا اولى بالذكر التخصيص لاجل ذلك الثاني هو ان
ما ذكرنا لا يرد ما ذكره اصلا لان اهل الكتاب كانوا قد ضلوا ولم ياتهم نذير من قبل محمد
صلى الله عليه وسلم بعد ضلالتهم فلزم ان يكون مرسلا الى الكل على وجه سوا وبهذا
يتبين حسن ما ذكرناه واخبرناه لعلهم يهتدون يعني تنذرهم راجيا انت اهتدايهم
ثم قال تعالى الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام لما ذكر
الرسالة بين ما على الرسول من الدعا من التوحيد واقامة الدليل فقال خلق السموات
والارض ولم يخلقهما الا واحد فلا اله الا واحد وقد ذكرنا ان قوله في ستة
ايام اشارة الى ستة احوال في نظر الناظرين وذلك ان السما والارض وما بينهما
ثلاثة اشيا ولكل واحد منها ذات وصفة فنظر الى خلقة ذات السما حالة ونظر
الى خلقة صفاتها اخرى ونظر الى ذات الارض والى صفاتها ونظر الى ذوات ما
بينهما والى صفاتها اخرى فهي ستة اشيا في ستة احوال وانما ذكر الايام لان
الانسان اذا نظر الى الخلق راه فعلا والفعل ظرفه الزمان والايام استمرار الازمنة
والا فقبل السموات لم يكن ليل ولا نهار وهذا مثل ما يقول القايل لغيره ان يوما
ولدت فيه كان يوما مباركا وقد يجوز ان يكون ذلك قد ولد ليلا ولا يخرج عن مراده
لان المراد الزمان الذي هو ظرف ولادته ثم قال ثم استوى على العرش اعلم
ان مذهب العلما في هذه الاية وامثالها على وجهين احدهما ترك التعرض الى بيان
المراد وثانيهما التعرض اليه والاول اسلم والى الحكمة اقرب اما انه اسلم وذلك لان
من قال انا لا اتعرض الى بيان هذا اولا اعرف المراد من هذا حاله الا حال من لا يتكلم الا عند
عدم وجوب الكلام او لا يعلم شيا لم يجب عليه ان يعلمه وذلك لان الاصول ثلاثة
التوحيد والقول بالحشر والاعتراف بالرسل لكن الحشر اجمعنا واتفقنا ان العلم
به واجب والعلم بتفصيله انه متى يكون غير واجب ولهذا قال تعالى في اخر السورة

المقدمة ان الله عز وجل علم الشاعة لكذلك الله يحب معرفة وجوده ووحدانيته وانفراده
بصفات الجلال وبنعوت الكمال على سبيل الاجمال وتعاليه عن جهات الامكان وصفات
النقصان ويجب ان يعلم جميع صفاته كما في وسعه الاستواء لا يجب العلم بها فمن ترك
التعرض اليه لم يترك واجبا واما من تعرض اليه فقد يخطئ فيعتقد خلاف ما هو عليه
فالاول غاية ما يلزمه انه لا يعلم والثاني يكاد ان يقع في ان يكون جاهلا وعدم
العلم والجهل المركب كالسكوت والكذب ولا شك احد في ان السكوت خير من الكذب
واما انه اقرب الى الحكمة وذلك لان من طالع كتابا ناصفة انسان وكتب له شرحا
والشارح دون ذلك المصنف فالظاهر انه لا يأتي على جميع ما اتى عليه المصنف
ولهذا كثيرا ما يريان الانسان يورد الاشكالات على المصنف المتقدم ثم يجيب من
بعض كلامه ويقول لم يرد المصنف ذلك وانما اراد كذا وكذا وان كان حال الكتب
الحادثة التي تكتب عن قلم قاصر كذلك فما ظنك بالكتاب العزيز الذي تبه
كل حكمة يجوز ان يدعي جاهل انه علمت كل سر في هذا الكتاب وكيف لو ادعى عالم انه
علمت كل سر وكل قابلية يشتمل عليه الكتاب الفلاني بينما يتابع مثل ذلك فكيف من
يدعي انه علم كل ما في كتاب الله تعالى ثم لقائل ان يقول لم لا يجوز ان الله بين كل ما انزله
لان كل ما احتيج البيان الى وقت الحاجة جايز ولعلي في القرآن ما لا يحتاج اليه احد
غير فقيه فنبين له لا لغيره اذا ثبت هذا علم ان في القرآن ما لا يعلم وهذا اقرب
الى ذلك الذي لا يعلم للتشابه البالغ الذي فيه لكن هذا المذهب له شرط وهو ان
يبقى بعض ما يعلمه قطعا انه ليس مرادا وهذا لان قايلا اذا قال لهذه الايام ايام
قره فلانة يعلم انه لا يريد ان هذه الايام ايام موت فلانة ولا يريد ان هذه الايام
ايام سفر فلانة وانما المراد منحصر في الطهر والحيض فكذلك ههنا يعلم ان المراد
ليس ما يوجب تقصا في ذاته لاستحالة ذلك والجلوس والاستقرار المكاني في ذلك
الباب فيجيء العظم بتقي ذلك والتوقف فيما يجوز بعده والمذهب الثاني حظر ومن
ينهب اليه فريقان احدهما من يقول المراد ظاهره وهو القيام والانتصاب والاستقرار
المكاني وثانيهما من يقول المراد الاستيلاء الاول جهل محض والثاني يجوز ان يكون
جهلا والاول مع كونه جهلا مع بدعة وكاد يكون كفرا والثاني ان كان جهلا فليس
بجهل يورث بدعة وهذا كما ان واحدا اذا اعتقد ان الله يرحم الكفار ولا يعاقب
احدا منهم يكون جهلا وبدعة وكفرا واذا اعتقد انه يرحم ربما الذي هو مستور
الحال لا يكون بدعة غاية ما يكون اعتقادا غير مطابق وما قيل فيه ان المراد منه
استوى على ملكه والعرش يعبر به عن الملك يقال الملك وقعد على سرير المملكة بالبلدة
الفلانية وان لم يجلس فهذا مثل قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة
علت ايديهم اشارة الى البخل ايتم لم يقولوا بان على يد الله على طريق الحقيقة
ولو كان مراد الله ذلك لكان كذبا جل كلام الله تعالى عنه ثم لهذا افضل تقرير
وهو ان الملوك على ترجمان تحكم يملك مدينة صغيرة او بلاد كثيرة ما جرت

العادة بان يجلس على سرير ويكون سلطان الملك في البلاد الشاسعة والديار الواسعة
ويكون الملوك في حضرته يكون له سرير يجلس عليه وقدامه كرسي يجلس عليه وزيره
فالعرش والكرسي في العادة لا يكونان الا عند معظم الملوك المملكة فلما كان
ملك السموات والارض في غاية العظمة عبر عما في العرف ينبئ عن العظمة وتمام يتبعك
لهذا قوله تعالى انا خلقنا وحن نترك او حن اقرب ايطن اديشلد سلم في ان هذا
المراد ظاهره من السرير له وهل يحد له محلا عبر ان العظم في العرف لا يكون واحدا
وانما يكون معه غيره فكذلك الملك العظيم في العرف لا يكون الا اذا سرير مشتوفا
ستمثل ذلك سريرا للعظمة ومما يويد هذا ان المعهود المغلوب المهزوم يقال له
صافقت به الارض حتى لم يبق له مكان ايطن ثم يريدون به انه صار لا مكان
له وكيف يتصور الجسم بلا مكان ولا سيما بان من يقول بان الهنة في مكان كيف
يخرج الانسان من المكان فكما يقال للمعتبر الهادي لم يبق له مكان مع ان المكان واجب
له فقال للقادر القاهر ممتنع وله عرش وان كان النقرة في المكان واجبا وعلى
هذا كله ثم معناها خلق السموات والارض ثم العقد انه استوى على العلاء وهذا
كما يقول القايل قلان اكرمني وانعم علي مرارا ويحكي عنه بناء وقال لم ايتش هو مما كان
يعرفني وما كنت نقلت معه ما يجاريني بهذا فنقول ثم المحاباة لا لاجلها الوجه
الاخر قيل المراد استولى على العرش واستولى جاء بمعنى استوى تعالى واستعلا اما
النقل فكثير مذكور في كتب اللغة شهد بوان الادب وغيره مما يعتبر النقل عنه وا
الاستعمال كقول القايل قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق وعلى
هذا فعلة ثم ها هنا ما ذكرنا بانه قال خلق السموات والارض ثم قال ها هنا ما هو
اعظم منه استوى على العرش فانه اعظم من الكرسي وسع السموات والارض الوجه الثالث
قيل ان المراد الاستقرار وهذا القول ظاهر ولا يفيد انه في مكان وذلك لان الانسان
يقول استقر قلان على الخروج ولا يشك احد انه لا يريد ان الراي في مكان هو الخروج
لما ان الراي لا يجوز فيه ان يقال انه يتمكن او سمي ما يحل في مكان اذا علم هذا فنقول
فهم التمكن عند استعمال كلمة الاستقرار مشروط بجواز التمكن بحيث ان قال القايل
استقر زيد على الفلك او على الفلك فهم منه التمكن وكونه في مكان واذا قال
قايل استقر الملك على قلان لا يفهم ان الملك في قلان فقول القايل الله استقر على
العرش لا ينبغي ان يفهم كونه في مكان مما يجب عليه ان يكون في مكان
ولا يجوز فاذا فهم كونه في مكان من هذه اللفظة مشروط بجواز ان يكون في مكان بحمل
وكونه في مكان اذا استفيد من هذه اللفظة يلزم لعدم التسوي على نفسه وهو محال
ثم الذي يدل على انه لا يجوز ان على العرش بمعنى كون العرش مكانا له وجوه من القرآن
احدها قوله تعالى وان الله لهو الغني الحميد وهذا يقتضي ان يكون غنيا على الاطلاق
فكل ما كان في مكان فهو محتاج اليه مكان لان بديهة العقل حاكمة بان الحاوي
لم يكن لا يكون للمتحيز بانه متحيز ينبغي عند الفقا الحيز وكل ما ينبغي عند الفقا

غيره فهو محتاج اليه في استقراره فالقول باستقراره فوجب احتياجه في استقراره وترجيحه
الثاني قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فالعرش يجب ان يكون هالكا فلا يبقى ويبقى
فانه لا يكون في هذه الوقت في مكان فجاز عليه ان لا يكون في مكان وما جاز له من
الصفات وجب له فوجب ان لا يكون في مكان الثالث قوله تعالى ومن معكم وحيه التسلسل
به من حيث اذ استقل في المكان يفهم كونه عليه بالذات كقولنا فلان على السطح فكلمة
مع اذا استعملت في ممكنين يفهم منهما اقترانهما بالذات كقولنا زيد مع عمرو واذا استعمل
هذا فان كان الله في مكان ونحن ممكنون يقوله ان الله معنا وقوله ومن معكم ان يكون
للانسان وليس كذلك فان قيل كلمة مع مستعملة لكون مثله اليه وعلمه معه ايضا
تقول الملك الفلاني مع الملك الفلاني اي بالاعانة والنصرة فتقول كلمة على مستعملة
لكون حكمه على الغير كقول القائل لولا فلان لاشرف على الهلاك وكذلك تقول لولا
فلان على ملك فلان او على ارضه لما حصل له شيء منها ولا كل حاصلها معنى الاشراف
والنظر فكيف لا يقول في المستوي على العرش انه استوى عليه بحكمه كما يقول ومعنى
بعلمه الرابع قوله تعالى لا تدركه الابصار ولو كان في مكان لاحاطه به المكان وحينئذ
فاما ان يرى واما ان لا يرى ويرى في مكان احاطه به فتدركه الابصار واما ان لا يرى لكن
في مكان فسواء يرى او لا يرى ولا بد من تدركه الابصار اما اذا لم ير فظاهر واما اذا
رأى فلان البصر لا يحيط به فلا تدركه وانما قلنا ان البصر لا يحيط به لان كل ما احاط
به البصر فله مكان يكون فيه وقد فرضنا عدم المكان ولو تدبر الانسان القرآن لوجد
مملوا من عدم جواز كونه في مكان وذلك لان كلمة ثم للتراخي فلو كان عليه بمعنى
المكان لكان قد حصل عليه بعد ما لم يكن عليه فقبله فما ان يكون في مكان او لا يكون
فان كان يلزم محالان احدهما كون المكان ازليا ثم ان هذا القائل يدعي قدامة
الفلسفي في تبصيره فلسفيا يقول بقدم سماء السماء والثاني يجوز الحركة والانتقال على
الله ويوقفنا في حدوث الباري او يبطل دليل حدوث الاجسام وان لم يكن مكان
وما حصل في مكان يحيله العقل وجوده بلا مكان ولو جاز لما امكن ان نقيم البرهان
لو كان ازليا فاما ان يكون في الازل ساكنا او متحركا لانهما فرعا الحصول في الحصول في
مكان فاذا كان كذلك ويلزم القول بحدوث الباري تعالى وان لم يسلم فيجوز ان يكون
الجسم في الازل لم يكن في مكان ثم حصل في مكان تلا يتم دليله في حدوث العالم فيلزمه
ان القول بحدوث ثم ان هذا القائل يقول لك ثبت الله في المعدوم فيا له لبس مكان
ولا يعلم انه جعله معدوما حيث اخرجه الى مكان وكل محتاج نظر الى عدم ما يحتاج اليه
معدوم ولو كتبنا ما فيه لطال الكلام ثم قال تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
افلا تذكرون لما ذكر ان الله خالق السموات والارض قال بعضهم مخلوق ومعترفون بان
خالق السموات والارض واحد سخر له السموات والارض وهذه الاصنام صوروا كواكب
منها فعبدتها وقوتها وقالوا اخروا هذه صورة ملائكة عند الله فهم شفعاؤنا فقال
الله تعالى لا اله غير الله ولا نصرة من غير الله ولا شفاعة الا باذن الله فعبادتكم

باطلة ضائعة لانهم خالقكم ولا ناصر لكم ولا شفعاء لكم ثم اذا قلا تتذكرون ما علمتموه من
الله خالق السموات والارض وخالق هذه الاصنام لا بينة عليه مشاهدة الاصنام حتى يعتبركم
ولا يكون عندهذا الملك العظيم هذه الانتباه الحقيرة احترام وعظمة حتى يكون لها شفاعة
ثم قال تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض لما بين الله تعالى الخلق بين الامر كما قال تعالى
الا له الخلق والامر والعظمة تبين بهما ان من ملك ما لبيك كثير من عظما يكون له عظمة
ثم اذا كان امره نافذا فيهم يزيد ذلك في اعين الخلق وان لم يكن له نفاذ امر ينقص من
عظمته وقوله ثم يعرج اليه معناه والله اعلم ان امره ينزل من السماء على عباده
وترجع اليه اعمالهم الصالحة الصادرة على يوافقه ذلك الامر بان العمل اثر الامر
وقوله في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وهو في يوم قدر بين السماء والارض
مسيرة خمسمائة سنة وبينهما مران ذلك اشارة الى امتداد نفاذ الامر وذلك ان
من نفذ امره غاية النفاذ في يوم او يومين وانقطع لا يكون مثل من ينفذ امره في
ستين سنة وانتقل من يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وهو في يوم الامر في زمان
يوم سنة ولم يكن سنة سنة ولم يكن دهرا سنة وهذا لا فرق بين هذا وبين
قوله مقداره خمسين الف سنة لان ذلك اذا كان اشارة الى امتداد الامر سواء عبر
بالالف او بالخمسين ايضا لا تفاوت الا ان المبالغة تكون في الخمسين اكثر وبينهما
قابلية تهما في نوعهما انشأ الله تعالى وفي هذه لطيفة وبيان الله تعالى ذكر في الآية
المتقدمة عالم الاجسام والخلق واشار الى عظمة الملك وذكر في هذه الآية عالم
الارواح والامر بقوله يدبر الامر والروح من عالم الامر كما قال تعالى يسئلونك عن
الروح قل الروح من امر ربي واشار الى دوامه بلفظ يوم الزمان والمراد دوام
النفاذ كما قال تعالى في العرف طال زمان فلان والزمان لا يطول وانما الواقع في
الزمان النعمة فتوجد في ازمنة كثيرة فيطول ذلك بتوجد سنة كثيرة فاشار
هناك الى عظمة الملك بالمكان واشار الى دوامه هاهنا بالزمان والمكان من
ملكه وخلقه والزمان بحكمه وامره واعلم ان ظاهر قوله تعالى يدبر الامر في يوم
يقتضيان يكون امره في يوم واليوم له ابتدا وانتها فيكون امره في زمان حادث
فيكون حادثا وبعض من يقول بان الله تعالى لم يزل مستو يقول ان امره قديم
وحكمه كن فيكون فمنهم من حكمه على كونه في مكان ولم يفهم من حكمه في كون امره في زمان
ثم بين ان هذا الملك العظيم النافذ الامر عنه عاقل لان الملك اذا كان له امر انما قطعا
يطاع في امره ونهيه ولكن يكون عاقلا لا يكون مهيبا عظيما كما يكون مع ذلك خبيرا فطنا
لا يخفى عليه امور الملك والملك له فقال ذلك عالم الغيب والشهادة ولما ذكر من
قبل عالم الاشباح بقوله خلق السموات وعالم الارواح بقوله يدبر الامر من السما
الى الارض قال عالم بعينها في الارواح والشهادة يعلم ما في الاجسام او نقول قال عالم
الغيب اشارة الى ما لم يكن بعد والشهادة اشارة الى ما وجد وكان قدم العالم بالغيب
لانه اقوى واشد انيا عن كمال العلم ثم قال العزيز الرحيم لما بين ان عالم ذكر انه

عزيز قادر على الانتقام من الكفر رحيم واسع الرحمة على البر ثم قال تعالى الذي احسن
كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان ثم بين لما بين الدليل الدال على احدانيته من الافاق
بقوله خلق السموات والارض وما بينهما وارد فيه بقوله وكملا نقه ذكر الدليل الدال
عليهما من الانفس بقوله الذي احسن كل شيء خلقه فما ذكره بين ان الذي من السموات
والارض خلقه وهو كذلك لانه اذا نظرت الى الاشياء رايتها على ما ينبغي صلابة الارض
للبناء والبناء وسلامة الهواء للاستنشاق وتيسر السهولة للاستطراق
وسيلان الماء النقد رعليه في كل موضع وحركة الثمار الى فوق لانها لو كانت مثل المايعات
ثقيلة وبسرة لاحترق العالم فخلقت طالبة لجهة فوق خفيفة لا تميل هناك بقبيل الاحتراق
وقوله وبدا خلق الانسان من طين قيل المراد ادم فانه خلق من طين ويمكن ان يقال
بان الطين ما دون التراب مجتمعات والادبما صاله من دم المجامصله عذرة او الاعذية اما حيوانية
او نباتية والحيوانية بالاخرة ترجع الى النباتية والنباتية وجوده بالماء والتراب
الذي هو الطين وقوله ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين اي من النطفة وعلى التفسير
بان اصله من الطين ثم يوجد من ذلك الاصل سلالة من ماء مهين فان قال
قايل التفسير الثاني غير صحيح لان قوله وبدا خلق الانسان ثم جعل نسله دليلا
على ان جعل النسل بعد خلق الانسان نقول لا بد للتفسير الثاني اقرب الى الترتيب
بحسب اللفظ لانه تعالى بدا بذكر الامر بالابتداء خلق الانسان فقال بدا من طين
ثم جعل نسله ثم جعل النسل بحسب سلالة وذلك سواه ونفخ فيه من روحه عايدا
الى ادم ايضا لكن كلمة ثم للتراخي فتكون التسوية بعد جعل النسل من سلالة وذلك
بعد خلق ادم واعلم ان دلايل الافاق ارجح على كمال القدرة كما قال تعالى لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس ولا بد الانفس دل على نفاذ الامر بان التغيرات فيها كثيرة
واليه الاشارة بقوله ثم جعل نسله ثم سواه اي كان طينا فجعله منيا ثم جعله بشرا
سويا وقوله ونفخ فيه من روحه اضافة الروح اليه نفسه كاضافة البيت اليه للتشريف
واعلم ان النصارى يفترون على الله الكذب ويقولون بان عيسى كان روح الله
فمتراين ولا يعلمون ان كل احد بان روحه روح الله بقوله ونفخ فيه من روحه
ابد الروح التي هي ملكه كما يقول القايل لداري وعبدي ولم يقل اعطاه من جسمه
لان التشريف بالروح فاضافة الروح دون الجسم على ما يترتب على نفخ الروح من
السمع والبصر والعلم وقال وجعل لكم مخاطبا ولم يخاطب من قبل وذلك لان
الخطاب يكون مع الحضور فلما قال ونفخ فيه من روحه خاطبه من بعده وقال وجعل
لكم فان قيل الخطاب واقع قبل ذلك كما في قوله تعالى ومن اياته ان خلقكم
من تراب فنقول هناك اريد ذكر الامور المترتبة وانما اشار الى تمام الخلق وها هنا
ذكر الامور المترتبة وهي كون الانسان طينا ثم مهينا ثم خلقا سويا
باوائع القوى فخاطب بعض الحرائب دون البعض لمسئلة الثانية الترتيب
في السمع والابصار والافيدة على ما يقتضيه الحكمة وذلك ان الانسان يسمع اولا من

الابوين والناس امورا تبقى بها ثم يحصل له بسبب ذلك البصيرة فيبصر الامور ويجربها ثم
يحصل له بسبب ذلك ادراك تام وذهن قابل فيستخرج الاشياء من قلبه وتسأله بلخص
سمع من اساتيذ كما كذلك الانسان يسمع تعريفا لما صحايف الموجودات ثم يبصر الامور
الخفية المسئلة الثالثة ذكر في السمع المصدر وفي البصر والفؤاد الاسم ولهذا يجمع
الابصار والافيدة ولم يجمع السمع لان للمصدر لا يجمع وذلك لحكمة وهي ان السمع قوة واحدة
لها فعل واحد فان الانسان لا يضبط في زمان واحد الا دين محله ولا اختيار له فيه
فان الصوت من اي جانب كان يصل اليه ولا قدرة لها على تخصيص القوة بادراك البعض
دون البعض ولا الابصار محله العين ولها فيه سعة اختيار فانها تتحرك الى جانب
دون جانب وكذلك الفؤاد محل الادراك وله نوع اختيار تلتفت الى ما يريد ويدع
غيره اذا كان كذلك فلم يكن المحل في السمع تاثير والقوة مستندة فذكر القوة
وفي العين والفؤاد للمحل بوجه اختيار لان العقل يسند الى المحل ألا ترى انك تقول
سمع زيدا ورأي عمرا ولا تقول سمع اذن زيد ولا راي عين عمرو والايراد ان المحل
هو الاصل وغيره اليه فالسمع اصل وهو محله لعدم الاختيار له والعين كالاصل وقوة
الابصار اليها والفؤاد كذلك وقوة الفهم اليه فذكر في السمع المصدر الذي هو
القوة وفي الابصار والافيدة الاسم الذي محل القوة لان السمع قوة واحدة لها فعل
واحد ولهذا لا يسمع الانسان في زمان واحد كلامين على وجه يضبطهما ويدرك في زمان
واحد منظورين واكثر وتسميتنا المسئلة الرابعة قدم السمع ها هنا والعقل في قوله
تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة فنقول قد حققنا ما ذكرنا
وذلك لان عمدة الاعطاء ذكر الادبي وارتقى الى الاعلى فقال اعطاكم السمع ثم
اعطاكم ما هو اشرف منه وهو القلب وعمدة السبب قال ليس لهم قلب يدركون به ولا
يعلمون به وهو السمع الذي يسمعون به من له قلب يفهم الحقايق ويستخرج حقايقه
ذكرنا هناك ما هو البيان في تاخير الابصار مع انها في الوسط وها هنا ذكرنا
من الترتيب وهو ان القلب والسمع سبب قربها بالطبع فجمع بينهما وسلب قوة البصر
بجعل الغشاوة عليه فذكرها ناجية ثم قال تعالى وقالوا ايذا ضللنا في الارض
ما قال قليلا ما تشكرون بين عدم تشكرهم بايتاء تم بصره وهو الكفر وان كان
قدرته على احياء الموتى وقد ذكرنا ان الله تعالى في كلامه القديم كما ذكر اصلين
من الاصول الثلاثة لم يترك الاصل الثالث وها هنا كذلك لما ذكر الرسالة بقوله
تنزيل الكتاب الى قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وذكر الوحدانية
بقوله الله الذي خلق الى قوله وجعل لكم السمع والابصار والافيدة ذكر الاصل
الثالث وهو الحشر بقوله ايذا ضللنا في الارض وقيه مسايل المسئلة الاولى
الواو للعطف على ما يستبعدونه انكروا الحشر ليس بمستبعد فانهم قالوا محمد ليس برسول والله ليس بواحد وقالوا
الحشر ليس بممكن المسئلة الثانية ان الله تعالى ذكر تكذيبهم الرسول في الرسالة
ثم يقولون بلفظ المستقبل وقال في تكذيبهم ايانا في الحشر قالوا بلفظ الماضي

وذلك لان تكذيبهم اياه في الرسالة لم يكن قبل وجوده وانما كان ذلك حالة وجوده ه
يقولون يعنون هم فيه وانما كانوا منهم في الحشر كان سائغا صادرا منهم ومن ابائهم فقالوا وقالوا
المسئلة الثالثة انه تعالى يصرح بذكر قولهم في الرسالة حيث قالوا ائم يقولون وفي
الحشر حيث قالوا ائذا ولو يصرح بذكر قولهم بالوحدانية و ذلك لانهم كانوا
مصرين في جميع الاحوال على انكار الحشر والرسول واما الوحدانية فكانوا يعترفون
بها في الجملة الا ترى ان الله تعالى قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله فلم يقل قالوا ان الله ليس بواحد الرسالة ذكر من قبل دليلها وهو التنزيل
الذي لا ريب فيه وما ذكر الوحدانية ذكر دليلها وهو خلق السموات والارض
وخلق الانسان من طين وما ذكر انكارهم للحشر لم يذكر الدليل لتقول في الجواب
ذكر دليله ايضا وذلك لان خلق الانسان ابتداء دليل على قدرته على اعادته فلهذا
استدل الله تعالى على امكان الحشر بالخلق الاول كما قال ائتم يعيده وتتوا بون عليه
وقوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة وكذلك خلق السموات والارض كما قال
تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وقوله
ابتدا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون فيه بلوغ بليغ لهم كانوا مقرين بالاول
يبقى ليس انكارهم مجرد الخلق ثانيا بل وكفرهم بجميع احوال الاخرة حتى لو صدقوا بالخلق
الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب او نقول معناه لم تتفكروا البعث بنفسه
بل لكونه دليلا على امر اخر وهو قدرة الله تعالى على اعادة الخلق بعد الموت
الى العذاب فقال قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون
وتشاهدون استحالة ان يقال ان المحبوبة تاكسوار وسمعندريم لو تري حالهم
عند الملائكة سئل الشخص عن اهله اما سيبين له والخبيث الفاجر يبقى عندهم كالاسير
بين قوم لا يعرفهم ولا يعرف لسانهم الا ولا يسمعوا او يزيد ويزداد صفاوه وقوته
والاخر يذل ويضعف ويزداد شقاوه وكدورته والحكماء يقولون بان الارواح
الطاهرة تتعلق بجسم سماوي خيري يدبرها ويكمل به والارواح الفاجرة لاكمال
لها بعد التعلق الثاني فان اردنا ما ذكرنا فقد اتفقوا والا فتنتظر النظر
في ذلك بحسب ارادتهم وقد يكون حقا قولهم وقد يكون غير حق فان قبل لم انكروا
الاحياء والله ذكر الموت وبينما سيانيه تقول فيه وجهان احدهما ان ذلك دليل
الاحياء ودفع الاستبعاد ذلك قائم اما عدم بالكلية كيف يكون الموجود غير ذلك
فقال الملك يقبض الروح والاجزاء تتفرق فجمع الاجزاء لا بعد فيه وامر الملك يرد
ما قبضه لا صعوبة فيه فقوله قل يتوفاكم ملك الموت اي الارواح معاونة تتردد
الى اجسادها ثم قال تعالى ولو تري اذ المجرمون تاكسوار وسمعندريم لو تري حالهم
وتشاهد استحالهم لتري عجبا وقوله تري يحتمل ان يكون خطابا مع الرسول صلى
الله عليه وسلم لسعة الصدر فانهم كانوا يؤذونه بالتكذيب ويحتمل ان يكون عاما
مع كل احد كما يقول لغيره ان فلانا كريم اذا احسن اليه ولو لحظه لحظا قليلا طول عمرك

ولا يريد به خاصا وقوله عند ربهم لبيان شدة الخجالة لان الرب اذا اضيف الى المربوب اشعر
وقف بين يديه يكون في غاية الخجالة ثم قال تعالى ربنا ابصرنا وسمعنا يعني يقولون يا
قادرا بين يديه ابصرنا وحذف يقولون اشارة الى غاية خجلتهم لان الخجل العظيم يمنع
الانسان وقوله ابصرنا وسمعنا قول الرسل فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا وقولهم انا
موقنون بمعناه اما في الحال امنا ولكن لا ينفع الايمان والعمل الصالح لا يكون الا عند
التكليف ومن في الدنيا فارجعنا نعمل وهذا باطل بهم لان الايمان لا يبقى في الاخرة
كالعمل الصالح او نقول اهل دينهم انهم سيكونون كما قالوا وما كانوا مستاهلين فقالوا
اذا هذا الراي جري عليها ما جري الا بترك العمل الصالح واما الايمان فانا موقنون بها
اشركنا ثم قال تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها جوابا عن قولهم ربنا ابصرنا وسمعنا
فارجعنا دنيا به انه تعالى قال لو رجعتم الى الايمان هديتكم في الدنيا ولما اهدكم
تبين انكم ما اردتم وما شئتم اي انكم فلا اردتم وقوله ولو شئنا لاتينا صريح في ان مذهبنا
صحيح حيث تقول ان الله ما اراد الا الكفر وما شاء منه الا الكفر ثم قال تعالى ولكن
حق القول مني برفع القول ومن قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك ومن تبعك
هذا من حيث التعلق وجهه في العقل ومن ان الله تعالى لم يفعل فعلا خاليا عن
حكمة وهذا متفق عليه ومن الخلاف في انه هل فقد الفعل الحكمة او فعل الفعل
ولم تشأ الحكمة لا يجب بحكمه ذلك العقل واذا علم انه فعله لا يخلو عن الحكمة تعالى
الحكماء علة افعاله باسرها الا تذرك على سبيل التفصيل لكن تذرك على سبيل الاجمال
وكل ضرب وقع في العالم وفساد فحكمة خرج من تقديم عليه ومن ان الفعل اما ان
يكون خيرا محضا او شرا محضا او خيرا تستتر به شر هذا القسم على ثلاثة اقسام قسم
خيره غالب وقسم شره غالب وقسم خيره وشره مثلان اذا علم هذا فالخلق عالمان فيه
الخير المحض وهو عالم الملائكة وهو العالم العلوي وخلق عالما فيه خير وشر
وهو عالمنا وهو العالم السفلي ولم يخلق عالما فيه شر محض لان العالم السفلي
الذي هو عالمنا وان كان الخير والشر موجودين فيه لكنه من القسم الاول الذي
خيره غالب فانه اذا قابلت الشر بالخير الكثير يكيف لا والمومن يقابله ولكن المومن
قد يكون وجوده بحيث لم يكن فيه خير اصلا غاية ما في الباب ان الكفر يحيط
بجملة خيره ولا ينفعه الا تحمل نظرا الى العادة ان بوجيد كافر لا يبقى للعطشان ثمرة
ما ولا يطعم الجيعان لقمة خبز ولا يذكر به في عمره وكيف لا وهو في زمان صياه كان
مخلوقا على الفطرة المنقضة للمراة اذا ثبت هذا قالوا لولا الشر في هذا العالم
لكان مخلوقا ان الله تعالى محضرا في الخير المحض ولا يكون قد خلق القسم الذي فيه
الخير الغالب والشر القليل الا ترى ان ترك خلق هذا القسم ان كان لما فيه من الشر يفوت
الخير الكثير لاجل الشر القليل لا يناسب الحكمة الا ترى ان التاخير اذا طال صعب ذريعا
فاوا مشتع وتقول في هذا شر وهو ان الدرهم على ملكي فقال له لكن في مقابله
خير كثير وهو حصول الدينار في ملك الانسان لو ترك الحركة الكثيرة لما فيه من المشقة

مع علمه بانها تحصل له راحة ٣ فنسب الى مخالفة الحكمة فاذا نظر الى الحكمة كان وقوع الخير
الكثير المشوب بالشر القليل من اللطف فحاق العالم الذي يقع في الشر ليلجهذا اشار بقوله
اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك قال الله تعالى في جوابهم اني اعلم ما لا تعلمون اي اعلم ان هذا قسم
يناسب الحكمة لان الخير فيه كثير وتعيين لهم حيرة التعلم كما قال وعلم ادم الاسما كلها يعني
ايها الملائكة حاق الشر المحض والشر الغالب والشر المساوي لا يناسب الحكمة واما
حاق الخير الكثير المشوب بالشر القليل يناسب قوله اتجعل فيها من يفسد فيها اشارة
الى الشر واجابهم الله بما فيه من الخير بقوله وعلم ادم الاسما كلها فان قال قايل قد
قدر على تخليص هذا القسم من الشر بحيث لا يوجد فيه شر فيقال له ما قال الله تعالى
ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها يعني لو شئنا لخلصنا الخير من الشر لكن حينيذ لا يكون
الله خالق الخير الكثير المشوب بالشر القليل وهو قسم معقول فعلم كان قوله للشر
القليل وهو لا يناسب الحكمة لاف ترك الخير الكثير للشر القليل غير مناسب للحكمة واذا
كان كذلك فلا مانع من خلقه فيخلقه مع ما فيه من الخير الكثير وهذا الكلام يعرض من
يقول رعاية المصالح ان الخير الكثير وهذا الكلام يعبر عنه من يقول رعاية المصالح ان
الخير في القضا والشر في القدر فالله قضى بالخير ووقع الشر في القدر ويفعله المرة
عن القبيح والجهل وقوله من الجنة والناس اجمعين لانه تعالى قال لابليس لاملان
جهنم منك وممن تبعك هذا اشارة الى النار لمن في العالم السفلي والذين في العالم
العلوي سيراون عن عقول النار وهم الملائكة وهذا يقتضي ان لا يكون ابليس
من الملائكة وهو الصحيح وقوله اجمعين يحتمل وجهين احدهما ان يكون تاكيدا وهو
الظاهر والثاني ان يكون حالا اي مجموعين فان قيل كيف جعل جميع الانس والجن
مما يملاهم النار نقول هذا البيان الجنس يملا من الجن والانس لا عيزا ما للملائكة
فلا يقتضي ذلك دخول الكل كما يقول القايل ملات الكيس من الدراهم لا يلزم ان لا يبقى
درهم خارج الكيس فان قيل هذا يقتضي ان تكون جهنم ضيقة تميل ببعض الجن
نقول هو كذلك واما الواسع الجنة التي هي دار الرحمة الواسعة لما بين الله تعالى
ولو شئنا لاتينا كم لارجوع لهم قال لهم اذا علمتم انكم لا رجوع لكم فذوقوا بما نسيتم ولقيتم
تفسير الاية بمسايل المسيلة الاولى قوله فذوقوا بما نسيتم لقايومكم يحتمل ان يكون
معطوفا بالذي اي ذوقوا لقايومكم بما كسبتم وعلى هذا يحتمل ان يكون المنسي هو
الميثاق الذي اخذ منهم بقوله الست بربكم قالوا بلى وما في الفكر من الوحدانية بنسيان
بالاقبال على الدنيا والاشتغال بها ويحتمل ان يكون معطوفا بقوله بما نسيتم اي
بما نسيتم لقايومكم هذا اليوم فذوقوا وعلى هذا لو قال قايل النسيان لا يكون الا في
المعلوم اولا اذا اصل اخر نقول لما ظهرت براهينه لكافة ظهور وعلم وما تركوه بعد
الظهور ذكر بلفظ النسيان اشارة الى كونهم متكرين لامر ظاهر بان ينكر امرا كان قد
علمه المسيلة الثانية قوله تعالى هذا يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون اشارة

الى لقا اليوم اي قد وقوا بما نسيتم لقا هذا اليوم وثانيها ان يكون اشارة الى لقا اليوم
اي قد وقوا بما نسيتم هذا اللقا وثالثها ان يكون اشارة الى العذاب اي قد وقوا هذا
العذاب بما نسيتم لقا يومكم ثم انا نسيناكم اعتركتكم بالكلية غير ملتفت اليكم كما يفعله
الناسي فطما لرجايكم تذكر ما يلزم من تركه اياهم كما يترك الناسي ويخلود العذاب
لان من لا يخلصه الله فلا خلاص له فعاد ذاقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم قال
تعالى انما يومن بايتنا الذين اذا ذكروا بها اشارة الى الايمان الحاصل وانما يتساه
البعض فاذا ذكر بها حزما حاضرا له يعني العارف له وسجد سجوده يعني وحرك لسانه
بتنزيهه من الشرك وهم لا يستكبرون يعني وكان قلبه خاشعا لا يتكبر ولا يستكبر عن
عبادته فتوالوا من حتا ثم قال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يعني بالليل قليلا انما يعبدون
وقوله يدعون ربهم اي يصلون فان الصلاة والدعا من باب واحد في المعنى ويطلبونه
وهذا لا ينافي الاول لان الطلب قد يكون بالصلاة والحمل على الاول اولى لانه قال بعده
ومما رزقناهم ينفقون وقوله خوفا وطمعا يحتمل ان يكون حالا اي خايفين طامعين
كقولك جاوني ركضا اي راكبين فكانه في الاول اشار الى مرتبة العبادة وفي العبادة
لوجه الله مع الذهول عن الخوف والطمع بدليل قوله اذا ذكروا بها خروا فانه ينبغي على
المتعبد مجردا لذكر بوجه منهم السجود وان لم يكن خوف ولا طمع وفي الاية الثانية
اشار الى المرتبتين الاخيرتين وهي العبادة خوفا لعدم تحديد الملك الجبار مخافة سطوته
او بحدم الملك الجواد طمعا في خيره ثم بين لهم جزا فعلهم وقال تعالى نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين بعين مما تقر العين غيره ولا تلتفت الى غيره فقال ان هذا لا يدخل
في عين شي مطلع الجنة فاذا لم تتبع مطلع العين الى شي حذر ان يتبع القلب شرح الى
غيره فيفوز حواكم الوعد وهذا فيه لطيفة وهي ان من وعد شيا وعمل الصالح وعد
الله اشيا سانية من الخلق والرزق وغيرها واشيا لا حقة من الثواب والاكرام
فلله تعالى ان يقول جزا الاحسان احسان وانا احسنت اولا والعبد احسن في مقابلته
فالثواب تفضل وسنة من غير عوض وله ان يقول جعلت الاول تفضلا لا اطلب
عليه جزا فاذا اتى العبد بالعمل الصالح وليس عليه شي من الله وكان هو اتيا بحسنة
في اثنا وجزا الاحسان احسان فاجعل الثواب جزا لا لها لكن غاية الكرم ان
يجعل الاول وهبة ويجعل الثاني مبايلا وعوضا لان العبد ضعيف لو قيل له ان فعلك
جزا فلا تستحق جزا فانا الله بتفضل منا ولكن لا يظهر عليه فاذا قيل له الاول
غير محسوب عليك والذي اتيت به فادي ذلك عليه استحقاق ثواب منا ويظهر
ثم اذا اهل عرفت هذا ان تفضل الله واجب من جانب العبد فعل جزا نعم الله السابقة
فلا استحق به جزا فاذا اتاه الله تعالى يقول الذي اتيت به كان جزا وهذا ابتدا الحسنة
من الله يستحق جزا وشكرا فيا تي بحسنة فيقول الله اني احسنت اليه جزا فعله الاول
وما فعلت اولا طلب فيجازيه ثالثا فيشكر العبد ثالثا فيجازيه رابعا وعلى هذا
لا ينقطع المعاملة بين العبد والرب وسئله في الفاهرة ثنا با فاهدي احدهما

الى الاخر هدية ونسيها والمهدى اليه يتذكرها فاهدى الى المهدى عوضا فراه المهدى
الاول ابتدا لنسيانه ما اهداه اليه فجازاه بهدية فقال المحب الاخر ما اهديته كان جزا
لهديته السابقة وهذه هدية ما عوضتها بعوض ويعوض عنه المحب الاخر وتسلسل
الاثر بينهما ولا ينقطع التهادي والتحاب بخلاف من ارسل الى واحد هدية وهو يتذكرها
فاذا بعث اليه المهدى له عوضا فيقول هذا عوض ما اهديت اليه فيسكت ويترك
الاهدا فينقطع واعلم ان التكاليف يوم القيامة وان ارتفعت لكن الذكر والشكر
والعبادة لا ترتفع بل العبد يعبد ربه في الجنة اكثر مما يعبده في الدنيا وكيف
لا وصار حاله مثل حال الملايكة الذي قال في حقهم يسبحون الليل والنهار
لا يفترون غاية ما في الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي مثل مقتضى
الطبع ومن جملة الاسباب الوصية لدوام نعيم الجنة هذا وكيف لا وخدمة الملوك
لذة وشرف فلا تترك فان قرب العبد منه بل تزداد لذاتها ثم قال تعالى افمن
كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون بين حال المجرم والمومن قال للعاقل هل
يستوي الفريقان ثم بين انهما لا يستويان ثم بين عدم الاستوا على سبيل التفصيل
وقال اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اشارة الى ما ذكرنا ان الله احسن
ابتدا لا لغرض ولا عوض فلما امن العبد وعمل صالحا قبله منه كانه ابتداه فجازاه
بان اعطاه الجنة ثم قال نزلا اشارة الى ان بعدها اشيا لان النزل ما يعطى الملك
النازل وقت نزوله قبل ان يجعل له راسا ويكتب له خيرا وقوله بما كانوا يعملون
يحقق ما ذكرنا وقوله واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اشارة الى حال الكافر وقد ذكرنا مرارا ان العمل الصالح له مع الايمان تاثيرا
اما الكفر اذا جا فلا التفات الى الاعمال فلم يقل واما الذين فسقوا وعملوا السيات
لان المراد من فسقوا كفروا ولو جعل العقاب في مقابلة الكفر والعمل لظن ان مجرد
الكفر لا عقاب عليه وقوله في حق المومنين لهم بلام التمليك زيادة اكرام لان
من قال لغيره اشكر هذه الدار يكون ذلك محمولا على نسبة الملايكة اليه وليس
له استرداده بحكم قوله فكذلك في قوله لهم جنات الا ترى انه تعالى لما اسكن
ادم الجنة وكان في علمه انه يخرجه منها قال اسكن انت وزوجك الجنة وكلا
منها رغدا حيث شيتما ولا تقربا هذه الشجرة ولم يقل لكما الجنة وفي الاخرة لما لم
يكن للمومنين خروج منها قال لكم الجنة ولهم جنات وقوله تعالى كلما ارادوا ان
يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا اشارة الى معنى حكمي وهو ان المولم
اذا تمكن والالم اذا امتد لم يبق به شعور بالم ولهذا قال الاطبا ان حرارة
حمى الدق بالنسبة الى حرارة حمى الثانية يشبه النار الى الما المسخرة ثم ان المدقوق
لا يحس من الحرارة ما يحس من به حمى البلغمية ولذلك الانسان اذا وضع يده في ما
بارد تالم من البرد فان ابطى طويلا سلم به ويبطل عنه ذلك الالم الشديد مع
فساد مزاجه اذا علمت هذا فقوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها

اشارة الى ان الالم يسكن عنهم بل يرد عنهم في كل حال امر مولم يتجدد وقوله وقيل لهم ذوقوا
عذاب النار الذي كنتم به تكذبون فلما ذاقوه كان اشد ايلاما يعود ما ذكرنا ومعنا
انهم في الدنيا كانوا يكذبون بعذاب النار الذي به يكذبون فلما ذاقوه كان اشد
ايلاما لان من لا يتوقع شيا فيصيبه يكون اشد تاثيرا ثم انهم في الاخرة كما هم في الدنيا
محرومون ان لا عذاب الا وقد وصل اليهم ولا يتوقعون شيا اخر من العذاب فيرد
عليهم عذابا اشد من الاول او كان يكذبون به بقولهم عذاب فوق ما نحن فيه بان
معنى قوله ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ليس مقتصرا على تكذيبهم
الذي كان في الدنيا بل كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا
عذاب النار كذبكم به من قبل اما في الدنيا بقولكم لا عذاب في الاخرة واما في الاخرة
فبقولكم لا عذاب فوق ما نحن فيه ثم لما هددهم قال ولنذيقنهم من العذاب
الادنى دون العذاب الاكبر يعني قبل عذاب الاخرة يذيقهم عذاب الدنيا فان
عذاب الدنيا لا يشبه له الى عذاب الاخرة لان عذاب الدنيا لا يكون شديدا
ولا يكون مديدا فان العذاب الشديد في الدنيا يهلك فيموت المعذب ويستريح
منه فلا يمتد وان اراد المعذب ان يمتد عذاب المعذب لا يعذبه بعذاب في غاية
الشدة واما عذاب الاخرة فشديد ومديد وفيه مسئلتان احديهما قوله
ولنذيقنهم من العذاب الادنى في مقابلة العذاب الاقصى والعذاب الاكبر في مقا
بلة العذاب الاصغر فما الحكمة في مقابلة الادنى بالاكبر فنقول حصل في عذاب
الدنيا امران احدهما انه قريب والاخر انه قليل صغير وحصل في عذاب الاخرة
ايضا امران احدهما انه بعيد والاخر انه عظيم كبير لكن القريب في عذاب الدنيا هو
الذي يصلح للتخويف به فان العذاب العاجل وان كان قليلا قد يحترز منه بعض
الناس اكثر مما يحترز من العذاب الشديد اذا كان اجلا وكذا الثواب العاجل قد
يرغب فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم واما في عذاب الاخرة فالذي
يصلح للتخويف به هو العظيم والكبير لا البعيد لما بينا فقال في عذاب الدنيا العذاب
الادنى ليحترز العاقل عنه ولو قال لنذيقنهم من العذاب الاصغر لما كان يحترز
منه لصغره وعدم فهم كونه عاجلا وقال في عذاب الاخرة الاكبر لذلك المعنى
ولو قال من العذاب الابعد الاقصى لما حصل التخويف به مثل ما يحصل بوصفه
بالكبير وبالجملة فقد اختار الله في العذابين الوصف الذي هو اصل للتخويف من الوصفين
اللذين فيهما حكمة بالغة المسئلة الثانية قوله تعالى لعلهم يرجعون لعل للترجي
وذلك على الله محال فما الحكمة فيه فنقول فيه وجهان احدهما معناه ليذيقهم اذاقة
الراجين كقوله انا نسيناكم يعني تركناكم كما يترك الناسي حيث لا يلتفت اليه اصلا
كذلك هاهنا نذيقهم على الوجه الذي يفعل الراجي من التدريج وثانيهما معناه يطلعهم
العذاب اذاقة يقول القايل لعلهم يرجعون بسببه ونريد وجها اخر من عندنا وهو ان
كل فعل يتلوه امر مطلوب من ذلك الفعل يصح تعليل ذلك الفعل بذلك الامر كما

تعالى قلا ان ارجح الخبر نظرهذا التعليل ان كان في يوضع لا يحصل الجزم بحصول الامر من العقل
نظر الى نقل العقل وان حصل الجزم بالترجح لا يفتح ذلك في صحة قولنا يرجحوا المال ان
الجزم غير حاصل نظرا الى الغفلة وان كان الجزم حاصلا نظرا الى العقل لا يصح ان
يقال يرجحوا ان كان كذلك الجزم يحتمل خلافه كقولنا القاتل قلا ان حر فيه عدو
رجا ان يموت لا يصح حصول الجزم بالموت عقيب الحر نظرا اليه وان امكن انه لا يموت
نظرا الى قدرة الله تعالى والصحيح قولنا قوله تعالى في حق ابراهيم والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين مع انه كان عالما بالمغفرة لكن لما لم يكن الجزم حاصلا
من نفس العقل اطلق عليه الطمع وكذلك قوله وارجوا اليوم الاخر مع ان الجزم لازم
به اذا علم ما ذكرنا فنقول في كل صورة قال الله تعالى لعلهم فان نظر الى الفعل لا يلزم
الجزم فان من التعذيب لا يلزم الوقوع وجوابنا بانا نصحح قولنا يرجوا وانتفاءه
حاصلا مما يكون غاية ما في الباب ان الرجاء في اكثر الامر استعمال فيما لا يكون الامر
معلوما فاوهم ان لا يجوز الاطلاق في حق الله تعالى وليس كذلك بل الترجي يكون
في حق الله ولا يلزم منه عدم العلم وانما يلزم عدم الجزم بناء على ذلك العقل
وعلم الله ليس بمستفاد من الفعل فيصح حقيقة الترجي في حقه على ما ذكرنا ثم قال
تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه يعني ليتفهم ولا يرجعون فيكونون قد ذكروا
بايات الله من التعام اولا والتعام ثانيا ولم يروا شيئا فلا اظلم منهم احد لان من يكون
بالله ظالم فالله لذو بعد البصير ظاهر لا يحتاج عسيس الناظر الى شاهد يشهد عليه
بل هو شهيد على كل شيء كما قال تعالى ولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد اي
ذلك الله لا يحتاج تاثير الباطن الى دليل على انه وكذا قال بعض العارفين
رايت الله قبل كل شيء فمن لم يكفه الله فسائر الموجودات سواء كان فيها نفع او
ضر كان في معرفته الله كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم فان لم يكفهم
ذلك فتبع الحجة عليهم ظاهرة وبالحقة قالا ول الذي لا يحتاج الى غيره الدليه يهتدي
عدل والثاني الذي يحتاج الى دليل فهو متوسط والثالث الذي لم يكفه الافاق
ظالم والرابع الذي لم يستفد التعام اظلم من ذلك الظالم وقد يكون اظلم منه احز
وهو الذي اذا اذيق العذاب لا يرجع عن ضلاله لان الاكثر كانوا من صفتهم انهم
اذا سمعوا صوت عواريهم منبئين اليه فهذا عاكف ولم يرجع قلا اظلم منه اصلا
فقال ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها ثم قال تعالى انا من المجرمين
منتقمون اي لما كان يتعمم العذاب الادنى فانا ننتقم منهم بالعذاب الاكبر ثم قال
تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب لما قرر الاصول الثلاثة على ما بيناه عاد الى
الاصل الذي بدا به وهو الرسالة المذكورة في قوله لتنذر قوما ما اتاهم من
نذير وقال استشهد عاش الرسل واختار من بينهم موسى لقربه من النبي صلى الله
عليه وسلم ووجوده من كان على دينه اكثر اما بهم وانما لم يختر عيسى عليه السلام لان
الاسند لا لان اليهود كانوا يواظبون على بينونة واما النصارى كانوا

يعترفون بنبوة موسى عليه السلام فتمسك بالجمع عليه وقوله فلا تكن في مرية من لقائه قيل
معناه ولا تكن في شك من لقاء الكتاب قاله لقاءه كما لقي موسى الكتاب ويحتمل ان تكون الاية
واردة لا للتقرير بل لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم فانه لما اتى بهذه الاية وذكرها
واعرض عنها قومه حزن عليهم فقيل له تذكر حال موسى ولا تحزن فانه لقي كما لقيت
واوذي كما اوذيت وعلى هذا فلختار موسى عليه السلام لحكمة وهي ان احدا من الانبياء
لم يرزقه قومه الا الذين لم يروا به واما الذين امنوا به فلم يجاهدوه غير قوم موسى
فانهم كانوا يؤمنون اذا قتل قارون وغيره ومن امن به من بني اسرائيل ايضا اذا به
لمخالفته وطلب اليه منه رؤية الله جهرة ومثل قولهم اذهب انت وربك فقاتلا ثم
بين له هدايته غير جالبة على المنفعة كما انه لم يجل هداية موسى حيث جعل الله
كتابه موسى هدى وجعل منهم ائمة يهدون كذلك جعل كتابه هدى وجعل من امة
محمد ائمة يهدون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
ثم بين ان ذلك يحصل بالصبر وقال لما صبروا وكانوا بايات ربهم يوقنون فكذلك اصبروا
وامنوا بان وعد الله حق ثم قال تعالى ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا
فيه يختلفون هذا يصلح جوابا للسؤال الذي ذكرناه قال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون
بامرنا لما كان لقائل ان يقول كيف كانوا يهتدون ومم اختلفوا وصاروا فرقا وقبل
الحق واحد فقال انهم هداهم الله وبين المبتدع من المتبع كما بين الموحن من الكافر يوم
القيامة وفيه وجه اخر وهو ان الله تعالى بين انه يفصل بين المختلفين من امة
واحدة كما يفصل بين المختلفين من الامم فينبغي ان لا يامن من امره ولم يجتهد فان
المبتدع مستعد كالكافر غاية ما في الباب ان عذاب الكافر اشد وانكى وامر وادوم
ثم قال تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم قد ذكرنا
ان قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب تقرير الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم
فاعاده لبيان ما سبق في قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير وقد اعاد ذكر الرسالة
اعاد ذكر التوحيد وقال اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم وقوله يمشون في مساكنهم
ويبصرونها وقوله ان في ذلك لايات افلا يسمعون اعتبر فيه السمع لانهم ما كان
لهم قوة الادراك بالفهم والاستنباط بعقولهم فقال افلا يسمعون يعني ليس لهم
درجة ليعلم الذي يسمع التنبيه بفهمه ثم قال تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى
الارض الجرز فانبي الاهلاك وهو الامانة بين الاحياء ليكون اشارة الى ان الضر
والنفع بيد الله والجرز اليابسة التي لا نبات فيها والجرز هو القطع وكانها المقطوع
عنها الماء والنبات ثم قال تعالى فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم فذكر
الانعام على الانفس في الاكل لوجوه احدها ان الزرع اول ما ينبت يصلح للدواب
ولا يصلح للانسان والثاني ان الزرع لهذا الدواب لا يدخر واما عند الانسان
فقد يحصل من الحيوان وكان الحيوان ياكل الزرع ثم الحيوان ياكل من الحيوان والثالث
اشارة الى ان الاكل من نوعي الدواب والانسان ياكل بعوانيته واما ما يبذر من

القوة العقلية فكما له بالعبادة ثم قال افلا تبصرون لان الامر مرئي بخلاف حال الماضين فانها
كانت مسموعة ثم لما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر بقوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح
ان كنتم صادقين الى اخر السورة فصار ترتيب اخر السورة كترتيب اولها حيث ذكر
الرسالة في اولها بقوله لتنذر قوما وفي اخرها بقوله ولقد اتينا موسى الكتاب وذكر
التوحيد بقوله الله الذي خلق السموات والارض وقوله الذي احسن كل شيء خلقه
وبدا خلق الانسان من طين وفي اخر السورة ذكره بقوله اولم يهد لهم وقوله تعالى قل يوم
الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون اي لا يمهلون بالاعادة الى الدنيا ليؤمنوا
فيقبل ايمانهم ثم لما بين المسائل وانفس الدلائل ولم ينفعهم قال تعالى فاعرض عنهم
اي لا تناظرهم بعد ذلك وانما الطريق بعد هذا القتال وانتظر انهم منتظرون يحتمل
وجوها احدها وانتظر هلاكهم انهم منتظرون هلاكك وعلى هذا فرق بين الانتظارين
لان انتظار النبي صلى الله عليه وسلم لامر الله بعد وعده وانتظارهم لتسويل انفسهم
والتعويل على الشيطان وثانيها وانتظر من الله فانهم ينتظرون النصر من الهتهم
وفرق ما بين الانتظارين وثالثها وانتظر عذابهم بنفسك فانهم ينتظرون بلفظهم
اشهر كما قالوا فاتنا بما تعدنا وقالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين الى غير ذلك

سورة الاحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله وفي تفسير الاية مسائل المسئلة الاولى
في الفرق بين النداء والمنادى بقوله يا رجل ويا ايها الرجل وقد قيل فيه ما قيل ونحن
نقول قول القائل يا رجل يدل على النداء وقوله يا ايها الرجل يدل على ذلك ايضا
وسمي على حظر المنادى له او غفلة المنادى اما الثاني فمذكور واما الاول فلان
قوله يا اي جعل المنادى غير معلوم اولا فيكون كل سامع منطلقا الى المنادى فاذا
حضر واحد كان في ذلك اتيا الكل ليطلعهم اليه فاذا قال يا زيد او رجل لا يلتفت
الى جانب المنادى الا المذكور اذا علم هذا فنقول يا ايها لا يجوز حمله على غفلة
النبي لان قوله النبي ينافي الفقه لان خير فلا يكون غافلا فيجب حمله على حظر
الخطب المسئلة الثانية الامر بالتقوى لا يكون الا عند استعمال المامور بالمامور
به اذ لا يصح ان يقال للجالس اجلس وللساكت اسكت والنبي كان متقيا فما الوجه
فيه فنقول فيه وجهان احدهما منقول وهو انه امر بالمداومة فانه يصح ان يقول
القائل للجالس اجلس هاهنا الى ان اجيبك ويقول القائل للساكت اسكت قد
اصبت فاسكت تسلم اي دم على ما انت عليه والثاني وهو موقوف لطيف وهو ان
الملك يبقى منه عبادة على ثلاثة اوجه بعضهم يخاف من قطع ثوابه واخر يخاف من
اغوائه والنبي لم يؤمر بالتقوى بالاول ولا بالثاني واما الثالثة فالمخلص لا يامنه
ما دام في الدنيا وكيف والامور الدنيوية مائلة والادنى في الدنيا تارة مع
الله والاخرى مسلة على ما لا بد منه وان كان منعه الله والى هذا اشار بقوله

انما انا بشر مثلكم يوحى الي يعني يرفع الحجاب عني وقت ثم اعود اليكم كاين منكم فامر
سوى يوجب استدامة الحضور الوجه الثاني هو ان النبي صلى الله عليه وسلم كل
لحظة كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله فيما مضى بالنسبة الى ما هو فيه تركا
للافضل وكان له في كل ساعة تقوى تتجدد فقوله اتق الله على هذا امر ما ليس فيه
والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله من استوى يوما فهو مغبون وانه طلب من ربه
بامر الله اياه زيادة العلم حيث قال قل رب زدني علما والى هذا ايضا وقعت الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة
يعني يتجدد له مقام يقول الذي اتيت به من الشكر والعبادة لم يكن شيئا اذا
علم هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم بحكم انما انا بشر مثلكم كان قد وقع خوف
ما يشير من جهة السن الكفار والمنافقين ومن ايديهم بدليل قوله تعالى وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه فامر الله بتقوى اخر فوق ما يبغيه بحيث ينسيه الخلق ولا
يريد الا الحق وزاد الله به درجته وكان ذلك بشارة له اي ايها النبي انت ما
بقيت في الدرجة التي يقنع منك بتقوى منك تقوى الاحاد وتقوى الاوباديل
لا يقنع منك الا بتقوى تنسيك نفسك الا ترى ان الانسان اذا كان يخاف
فوت مال ان يهجم عليه هاجم بقصد قتله يذهب عن المال يهرب ويترك فكذلك
النبي صلى الله عليه وسلم امر بمثل هذا التقوى ومع هذا التقوى لانتفاء الخوف
من احد غير الله وخرج هذا مخرج قول القائل فمن يخاف زيدا او عمرا حق عمرا
فان زيدا لا يقدر عليك اذا كان عمرو معك فلا يكون ذلك امرا بالخوف من عمرو
بانه يخافه ولذا يكون ذلك نهيا عن الخوف من زيد ضمن الامر بزيادة الخوف
من عمرو حتى ينسيه زيد ثم قال تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين يقرر قولنا
اي اتق الله تقوى تمنعك من طاعتهم المسئلة الثانية لم خص الكافر والمنافق بالذكر
مع ان النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي ان لا يطيع احدا غير الله نقول لوجهين
احدهما ان ذكر الغير لا حاجة اليه لان غيرهما لا يطلب من الاتباع ولا يتوقع
ان يصير النبي مطيعا له بل يقصد اتباعه ولا يكون عنده الا مطاعا والثاني
هو انه تعالى قال ولا تطع الكافرين والمنافقين منعه من طاعة الكل لان كل
من طلب من النبي صلى الله عليه وسلم طاعته فهو كافر او منافق لان من امر النبي
امر ايجاب معتقدا على انه لو لم يفعله يعاقبه بحق يكون كافرا ثم قال تعالى
ان الله كان عليما حكيما اشارة الى ان التقوى ينبغي ان تكون عن صميم قلبك
لا تخفى في نفسك تقوى غير الله كما يفعله الذي يرى من نفسه الشجاعة حيث
يخاف من نفسه ويحلل فان التقوى من الله وهو عليم وقوله حكيما اشارة
الى دفع وهم متوهم وهو ان متوهما لو قال اذا قال الله شيئا وقال جميع الكافرين
والمنافقين يقع انهم اقارب النبي صلى الله عليه وسلم شيئا اخر وراوا المصلحة
فيه وراوا وجها منقولا فاتباعهم لا يكون الا مصلحة فقال الله تعالى ولا تكون

المصلحة الا في قول الحكيم فاذا امر الله بشيء فاتبعه ولو سمعك اهل العالم عنه وقوله
تعالى واتبع سبيل من اناب اليك من ربك يقرر ما ذكرناه ان الله حكيم فاتباعه هو الواجب ثم قال
تعالى ان الله كان عليما خبيرا اما قال انه عليم بما في قلوب العباد بين ان الله عالم خبير
عالم بسرائركم فلو بكم واصلحوا اعمالكم ثم قال وتوكل على الله يعني انك ان توكلت على الله وان توهمت
من آخر شيئا توكل على الله فانه كفى به دافعا ينفع ولا تضر معه شيء وان اضر لا ينفع
منه شيء ثم قال ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقال الزمخشري قوله وما جعل
ازواجكم اللائي تظهرون منهن امهاتكم اي ما جعل الرجل قلبين كما لم يجعل الرجل قلبين
والابن ابوين وكلاهما اضعف بل الحق ان يقال ان الله تعالى لما امر النبي صلى الله عليه
وسلم بالاتقاء قرر له بانها ايها النبي اتق الله فكان ذلك امرا له بتقوى لا يكون قوته
تقوى ومن نبش ويخاف شيئا حوفا شديدا لا يدخل في قلبه شيء آخر الا تراي
ان الخائف الشديد الخوف للشيء بها بحالة للخوف فكان الله تعالى قال يا ايها النبي
اتق الله حق تقاته وبين حتما ان لا يكون في قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس
له قلبان يخشى بيتقي باحدهما الله وبالآخر غيره فاما ان تفنى غيره فلا يكون ذلك
الا بصرف القلب عن محبة الله الى غيره وذلك لا يبقى بالتقي الذي يدعي انه يتقي
الله حق تقاته ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم انه لا ينبغي ان يتقي احدا ولا يخشى
الا الله تعالى بحكاية زينب زوجة زيد حيث قال الله تعالى وتخشى الناس والله احق
ان تخشاه يعني مثل ذلك التقوى لا ينبغي ان يدخل في قلبه ثم لما ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك الحالة ذكر ما يدفع عنه السوء وقال ما جعل الله وهي المرتبة ه
ثم تدل عليه ما هو دليل قوي على ان قاع الفتح وهو قوله وما جعل ازواجكم
اللائي تظهرون منهن امهاتكم اي انكم اذا قلتم لزوجاتكم انت علي كظهر امي لا تصير
هي اما باجماع الكل اما في الاسلام فلانه ظاهر لا يحرم الوطي واما في الجاهلية فلانه
كان طلاقا حتى كان الرجل يتزوج بها من جديد واذا كان قول القائل لزوجته
انت علي كظهر امي لا يوجب حرمة الزوجة اما كذلك قول القائل للدعي انت
ابني لا يوجب كونه ابنا فلا تصير زوجة الابن فلم يكن لاحد ان يقول في ذلك
شيئا فلم يكن خوفه من الناس له وجه وكيف ولو كان امر محمولا على ما كان يجوز ان يخاف
غير الله او ليس ان قلبان وقلبك مشغول بتقوى الله فما كان ينبغي ان تخاف احدا
ثم قوله تعالى يا افواهكم فيه لطيفة وهو ان الكلام المعتبر على قسمين احدهما كلام يكون
عن شيء كان يتقال والثاني كلام يتقال فيكون كما قيل والاول كلام الصادقين
والثاني يقولون ما يكون والآخر كلام الصديقين الذين قالوا ربنا خلقت هذا باطلا
قالوا وكلاهما صادر عن قلب واع الكلام الذي يكون بالفم فخرجه مثل يمين الحمار
او ناب الكلب لان الكلام المعتبر هو الذي يعتمد عليه فالذي لا يكون عن قلب
وروية الاعتماد عليه والله تعالى لما كرم بني آدم وفضله على سائر الحيوانات بتبيني
التمييز عن التخالق يا خلاقهم فيقول القائل هذا ابن فلان مع انه ليس كذلك فان

الكلام في الفؤاد وهذا في القلادة والطبيعة هي ان الله تعالى قال هيهنا ذلكم قولكم
بافواهكم وقال في قوله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم على
سبيل الشخص الى غير الاب قولا حقيقة له ولا يخرج من قلب ولا يدخل ايضا في
قلب فهو قول بالفم مثل اصوات البهائم ثم قال تعالى والله يقول الحق اشارة الى
معنى لطيف وهو ان العاقل ينبغي ان يكون قوله اما عن قول او عن شرع يا ان يكون ابتداء
شرعا وان لم يعلم الحقيقة كمن تزوج بامراة فولدت لستة اشهر ولدا وكانت
الزوجة ممن قيل زوجة شخص آخر يحتمل ان يكون الولد منه فان الحقه بالزوج
الثاني لفراش او بقوله انه ابنه وفي الدعي لم يوجد الحقيقة ولا ورد في الشرع ٤
به لانه لا يقبل الا الحق وهذا خلاف الحق لانه اتاه مشهور ظاهر وجه آخر فيه
وهو انهم قالوا هذه زوجة الابن فحرم وقال الله هي الحلال وقولهم لا عبرة
فيه فانه يا فواههم كاصوات البهائم وقول الله حق يجب اتباعه وهو يهدي السبيل
يؤكد قوله وقول الله حق يعني يجب اتباعه لكونه حقا ولكونه هاديا وقوله تعالى
ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق فيه لطيفة وهو ان الكلام الذي بالفم
يكون حقا وقد يكون باطلا لان الذي يقول شيئا عن اعتقاد قد يكون مطابقا
فيكون حقا وقد لا يكون فيكون باطلا فالقول الذي بالقلب هو المعتبر فان قولكم
قد يكون حقا وقد يكون باطلا لانه يتبع الوجود وقول الله حق لانه يتبع الوجود
فانه يقول عما كان او يقول فيكون فاذا قول الله معتبر فان قولكم الذي في قلوبكم
فكيف يكون نسبته الى افواهكم فان الا يجوز ان تاخذوا بقولكم انكم ذب
وتتركوا قول الله الحق ثم ان قوله ما انزل الله حجة على من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم بزينب لم يكن حسنا
يكون قد ترك قول الله الحق واخذ بقول خرج عن الفم ثم قال تعالى وهو يهدي السبيل
اشارة الى ان اتباع ما انزل الله حجة على الآخذ بقول الغير ثم بين الهداية وقال ادعوهم
لآبائهم ارشادا وقالوا اقسط عند الله اي اعدل لقائه وضع الشيء في موضعه
وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون ترك الاضافة للعموم اي اعدل كل كلام كقول
القائل الله اكبر والثاني فيه ان يكون ما تقدم مسببا كانه قال فلان اقسط من قولكم
هو ابن فلان ان لم ادعوهم وقال فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين يعني تولوا
لهم اخوانا فان كانوا محررين تولوا بولي فقال ثم قال وليس عليكم جناح فيما
اخطأتم به يعني قول القائل لغيره يا ابي يطريق الشفقة وقوله لغيره يا ابي
بطريق التعظيم فانه مثل الخطأ الاتري ان الله سوى في اليمين بين مثل الخطأ وبين العمد
فكذلك صوب اللسان في قول القائل ابني وقوله ابني من غير قصد الى اثبات النسب
سرا وقوله ولكن ما تعمدت قلوبكم مستدرك احترزه محذوف وقبل عليه ما سبق وهو الجناح
يعني ما تعمدت قلوبكم فيه جناح وكان الله غفورا رحيما يغفر الذنوب وقد ذكرنا
كلاما سابقا في المغفرة والرحمة في مواضع ويقبل بعضها وتقول للمغفرة هو ان
يستر العاجل القبيح الصادر من تحته ثم ذكر انه حبب ان العبد اذا استرجب سيده

محاقة عقابه لا يقال الله عز وجل له والرحمة ان يميل اليه بالاحسان بعجز المرحوم اليه لا يعرض
فان من مال الى انسان قادر كالسلطان لا يقال لرحمه وكذلك من احسن الى عبيره رجاء في غيره
او عوضا عما صدر منه انقاص من الاحسان لا يقال لرحمه واذا علم هذا فالمغفرة اذا ذكرت
قبل الرحمة يكون معناها انه يستر عيبه ثم راه مفلسا عاجزا فرحمه واعطاه ما كفاه
واذا ذكرت المغفرة بعد الرحمة وبعد قليل يكون معناه انه مال اليه لعجزه فبيز لفقا
ولم يقتصر عليه بل ستر ذنوبه ثم قال تعالى النبي اولى بالمومنين الخ تقرير الصحة ما صدر
منه صلى الله عليه وسلم من التزوج بزينب وكان هذا جوابا عمن سوال او ظن قائلا
لو قال لهب ان الادعاء السابق باطل قلت لكن من سماه عيره ابنا اذا كان لزيد شيء
حسن لا يليق بمروءته ان يأخذه ويطمس فيه عرفا فقال الله تعالى النبي اولى بالمومنين
جوابا عن ذلك السوال وتقرير هو ان دفع الحاجات على مراتب دفع حاجة الاقارب
الذين يلي حوائجهم اكسب تم دفع حاجة الاصول والفروع ثم دفع حاجة النفس
والاولاد قرابون الثاني دون الثالث ايضا من ظاهر دليل النفقة والثالث دون
الرابع فان النفس يقدم على الغير واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم ابدا بنفسك
ثم بمن تعول اذا علمت هذا فالانسان اذا كان معه ما يفضل به احد الرجلين ويدفع
به حاجة من احدهما دون الاخر فاعطاه احدهما واعطى به الاخر يجب لا يكون
لاحد ان يقول لم فعلت فضلا من ان يقول بئس ما فعلت اللهم ان تكون احد العضوين
اشرف من الاخر مثل ما اذا وفى الانسان عينه بيده ويدفع البرد عن راسه الذي
هو معدن حواسه ويترك رجله يبرد فان الواجب عقلا فمن يعلن الامر بقاله له لم
فعلت اذا ثبت هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم اولى بالمومنين من نفسه فلو دفع المومن
حاجة بيتية يكون مثل من يدفع شعره ويكشف راسه في برد مفرط فاصدر به تربية
شعره ولا يعلم انه يوذي به راسه الذي لاجلها شعره الامة فكذلك دفع حاجة
النفس لغرامها الى عبادة الله ولا علم بكيفية العبادة الا من الرسل فدفع الانسان
حاجته لا للعبادة مع لبس دفعا للحاجة فاذا دفع الحاجة ما هو فوق تحصيل
المصلحة وهذا ليس بينه مصلحة فضلا من ان يكون حاصة فان كان للعبادة فتزك
الشيء الذي منه يتعلم كيفية العبادة في الحاجة ودفع حاجة النفس مثل تربية
الشريعة اهمال امر الراس فتبين ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد شيا حرم
على الامة التعرض اليه في الحكمة ثم قال وازواجه امهاتهم تقرير اولذلك لان
زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما جعلها الله في حكم الام الا لقطع نظر الامة عما
يتعلق به عرض النبي صلى الله عليه وسلم فانا نقطع خاطره يا مراة شاركت الزوجات
في التعلق فرتبة مثل ما رتبت ازواجه على غيره فلو قال قايل كيف قال وازواجه
امهاتهم وقايل قبل وما جعل ازواجكم اللاي تظهرون منهن امهاتكم اشارة الى غير
من ولدت لا تصير اما بوجه ولذلك قال الله تعالى في موضع اخر اذا امهاتهم الا اللاي

ولدنهم فنقول قوله تعالى في اية المتقدمة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل جواب عن
هذا معناه ان الشرع مثل الحقيقة ولهذا يرجع العاقل عن تقدير اعتبار الحقيقة الى
الشريعة كما ان المراتين اذا ادعت كل واحدة ولدا بعينه ولم يكن لهما بينة وحلفت
احداهما دون الاخرى يحكم لها بالولد وان تبين ان التي حلفت دون الباوع الله وبكر
لا يحكم لها بالولد فتعلم ان عند عدم الوصول الى الحقيقة يرجع الى الشرع لا بل في بعض
المواضع على التدوير يقبت الشريعة الحقيقة فان للمراتين لا يجعل بالولد الزنا اذا
ثبت هذا فالشارع له الحكم فنقول القابل يقول هذه ايه قولهم الاعن حقيقة ولا يترتب
عليه حقيقة واما قول الشارع حق والذي يريده هو ان الشارع له الحقايق فكله
ان يقترن فيها الا ترى ان الامهات صارت امهات لا لانجاب الله الولد في رحمها ولخلقه
في حوف غيرها لكانت الام غيرها فاذا كان هو الذي يجعل الام لحقيقتي امها فله ان يسمي
امراة اما ويعطيها حكم الامومة والمعقول ايضا جعل ازواجه امهاتنا هو ان الله تعالى
جعل زوجة الاب محرمة على الولد لان الزوجة محل العيرة والشارع فيها فان تزوج
الابن ممن كانت تحت الاب يفضي ذلك الى قطع الرحم والعقوق لكن النبي صلى الله عليه
وسلم اشرف واعلا درجة من الاب واولى بنا ارضا فان الاب اذي في الدنيا فحسب
والنبي صلى الله عليه وسلم اولى في الدنيا والاخرة فوجب ان تكون زوجاته مثل زوجات
الاباء قال قايل قلم لم يقل ان النبي اب لكم حيصل هذا المعنى اولم يقل بان ازواجه
ازواج ابنيكم فنقول الحكمة وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بينا انه اذا اراد زوجة
واحد من الامة وجب عليه ترتيبها لينتر وجها النبي صلى الله عليه وسلم فلو قال انت
ابو هم حرم عليه زوجات المومنين على التابيد ولانه لما جعله اولى بهم من انفسهم
والنفس يقدم على الاب لقوله ابدا بنفسك ثم عن تعول فلذلك فان المحتاج الى القوت
لا يجب عليه صرفه الى الاب ويجب عليه صرفه الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان
ازواجه لهم حكم زوجات الاب حتى لا يحرم اولاد هن على المومنين ولا اخواتهن ولا
ايامين وان كان الكل حرمن في الام الحقيقية والرضاعية ثم قال تعالى واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض اشارة الى الميراث وقوله الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا اشارة
الى الوصية يعني اذا اوصيتم غير الوارثين اولى واذا لم يوصوا فقالوا ورثوت
اولى بميراثكم وبما تركتم فان قيل بقي هنا اي تعلق للميراث والوصية عاد كرت
فنقول تعلق قوي حتى لا يبين الامر هداه الله للاسلام ويراد غير النبي بحال
حياته لا يصير له مال الغير وبعد وفاته لا يصير ماله لغيره وريثه بعد
وفاته كان الله تعالى عوض النبي من قطع ميراثه بقدرته على تملك مال الغير
وعوض المومنين فان ما يتركه يرجع اليهم حتى لا يكون حرج على المومنين في ان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد شيا يصير اليه ثم يورث ويبقى لورثته فيقول
عليهم ولا يرجع اليهم فقالوا واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض بعض بينكم التوارث
فيصير مال احدكم لغيره بالارث والذمة لا تتوارث بينه وبين اقاربه يتبين ان

يكون له بدل هذا انه اولى في حياته بما في ايديهم الثاني بيان ان الله تعالى ذكر دليلا على ان
النبي صلى الله عليه وسلم اولى بالمؤمنين وبيان اولى الارحام بعضهم اولى ببعض ثم
ان اراد احد برا مع صديق فيوصي له بشيء فيصير اولى من قريبه وكانت الوصية قطع
الارث وقال هذا ما يجلا ينقطع الا الى من اريد فكذلك الله تعالى جعل الصدقة من
الدنيا ما اراده ثم ما انفصل عنه يكون لغيره وقوله كان ذلك في الكتاب مسطورا
وبينه وجهان احدهما في القرآن وهو اية المواريث والوصية والثاني في اللوح المحفوظ
ثم قال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان الله
تعالى لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالا تطع قوله يا ايها النبي اتق الله واكده
بالحكاية التي خشي فيها الناس الذي لا يجتمع فيها احد غيره وبين انه لم يرتكب امرا
يوجب الخشية نقوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اكده بوجه اخر وقالوا اذا اخذنا
كانه قال اتق الله ولا تخف احدا واذكر ان الله اخذ ميثاق النبيين في انهم يبلغون
رسالات الله ولا يمنعهم من ذلك خوف فلا تطع وفيهما مسايل المسئلة الاولى المراد
من ميثاق المأخوذ من النبيين ارسالهم وامرهم بالتبليغ المسئلة الثانية خص
بالذكر اربعة من الانبياء وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام في زمان نيف
قوم وامة تذكرها احتجاجا الى قومهما وابراهيم كان العرب يقرون بفضله وكان
ينتهون اليه الشعاير بعضها وتوحالانه كان اصلا ثانيا للناس حيث وجد الخلق
ستة بعد الطوفان وعلى هذا الوقال قايل ادم كان اولى بالذكر من نوح فنقول
خلق ادم كان للعمارة ونبوته كانت مثل الارشاد للاولاد ولهذا الوركبي في زمانه
اهلاك قوم ولا تعذيب واما نوح فكان محاربا للنبوة وارسل للانذار فلهذا
اهلك قومه واغرقوا المسئلة الثالثة في كيفية من اخوا صح بقول الله تعالى يعيسى
ابن مريم والمسيح ابن مريم اشارة الى انه لا اب له اذ لو كان لوقع التعريف به وقوله
واخذنا منهم ميثاقا غليظا الميثاق موثوقهم عما فعلوا في الارسال كما قال تعالى
وليسئل المرسلين فلهذا ان الملك اذا ارسل رسولا وامره ببيع وقبله فهو ميثاق
فاذا اعلمه بانه يسئل عن حاله في افعاله واقواله يكون ذلك تغليظا للميثاق
ولا ينقض بالرسالة وعلى هذا يمكن ان يقال المراد من قوله تعالى وكيف تاخذونه
وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا مر الانصار بانهم مسئولون
عنها كما قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وكما ان الله جعل
الرجال قوامين على النساء جعل الانبياء قوامين بامورهم وارشادهم الى سبيل الرشد
ثم قال تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين يعني ارسل الرسل وقال
المكلفين اما حساب واما عذاب فالصادق يحاسب والكافر يعذب وهذا كما قال
صلى الله عليه وسلم الدنيا حلال لمحاسب وحرام عذاب وهذا انما يوجب الخوف
العام فبين تاكيد قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمت الله عليكم تحقيقا لما سبق من الامر بتقوى الله حيث لا يبقى معه خوف من احد

وذلك في قصة اجتماع الاحزاب واشتداد الامر على الاصحاب حيث اجتمع المشركون باسرهم
واليهود باجمعهم ونزلوا على المدينة وعلى النبي صلى الله عليه وسلم الخندق كان الامر في
غاية الشدة والخوف بالغا البالغ والله تعالى دفع القوم عنهم من غير قتال وامنهم
من الخوف فينبغي ان لا يخاف العبد غير ربه فان كان بامره ولا يامن من مكره وطوفاه
على كل ممكن فكان قادرا على ان يقهر المسلمين بالكفار مع انهم كانوا اضعافا كما قهر الكافرين
بالمؤمنين مع قوتهم وسكونهم وقوله فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها اشارة الى
ما فعل الله بهم من ارسال الريح باردة عليهم في ليلة شاتية وارسال الملائكة وقذف
الرعب في قلوبهم حتى كان البعض يلتزق بالبعض من خوف الخيل في جوف الليل والحكاية
مشهورة وقوله وكان الله بما يعملون بصيرا اشارة الى ان الله عالم التحاكم اليه وحاكم
من فضله فنصركم على الاعداء عند الاستمداد وهذا تقرير لوجوب الخوف وعدم جواز
الخوف من غير الله فان قوله فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها اي الله يقضي
حاجتكم فانتم لا تزدرون فان كان لا يظهر لكم وجه الامر فلا تتهموا الجد في امر تامرون
بكم لا تزدرون الانبياء فلا تخافون غير الله والله بصير بما تعملون فلا تقولوا ايانا
نفعل شيئا وهو لا يبصره فانه يكل شيء بصير ثم قال تعالى اذ جاءوكم من فوقكم ومن
اسفل منكم من جانب الغرب وهم اهل مكة واذ زاغت الابصار اي مالت عن سمتها
ولم تلتفت الا على العدو والكثرة وبلغت القلوب الحناجر كناية عن غاية الشدة
وذلك لان القلب عند الغضب يرتفع وعند الخوف يجتمع فينتفخ بالحمرة وقد
يقضي الى ان يسد مخرج النفس ولا يجد الحر بنتفس ويموت من الخوف وشبه قوله
تعالى حتى اذا بلغت الحلقوم وقوله وتظنون بالله الظنونا الالف واللام يمكن
ان تكون بدلا عن الاستغراق مبالغة يعني تظنون كل ظن لان عند الامر العظيم كل احد
يظن شيئا ويمكن ان يكون المراد ظنوا تهم المعهودة لان للمعهود من المؤمن ظن الخير بالله
كما قال صلى الله عليه وسلم ظنوا بالله خيرا ومن الكافر الظن السوء كما قال تعالى
ذلك ظن الذين كفروا وقوله ان تتبعون الا الظن فان قال قايل المصدر
لا يجمع فالقايلة في جمع الظنون انا نقول الاسم فيه في انه منصوب على المصدر ولكن
الاسم قد يجعل مصدرا كما يقال ضربته سياطا فاديته مرارا فكانه قال ظننتم
ظنا بعد ظن اي ما تم على ظن والقايلة هي ان الله تعالى قال تظنون ظنا
فاذا قال تظنون تبين ان فيهم من كان ظنه كذبا لان الظنون قد يكذب بعضها اذ انه
كان في امر واحد مثاله اذا راى جمع من بعيد جسما وظنه بعضهم انه زيد واخرون
انه عمرو وقوم ثالث انه بكر ثم ظهر الحق فقد يكون الكل مخطيين والمرئي شيئا اوحجرا
وقد يكون احدهم مصيبا ولا يمكن ان يكون الكل مصيبين فقوله الظنونا اقادنا
ان فيهم من اخطا الظن ولو قال تظنون بالله ظنا ما كان يعيدها ثم قال تعالى
هنالك ابتلي المؤمنون اي عند ذلك امتحن الله قلوب المؤمنين ثم ظهر الصادق
من المنافق والامتحان من الله ليس لان الامر له بل الحكمة اجرى وهي ان الله

تعالى عالم بما هم عليه لكنه اراد اظهار الامر لغيره من الملائكة والانبياء كما ان السيد
اذا علم من عبده المخالفة وعزم على معاقبته على مخالفته وعند غيره من العبيد او غيرهم
فيامره بامر عالما بانه مخالف فيبين الامر على يد الغير فتقع المعاقبة على احسن الوجوه
حيث لا يقع لاحد انه يظلم او من قلة حكم وقوله وزلزلوا اي ازعجوا وحركوا فمن
ثبت منهم كان من الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ويذكر الله تطمئن مرة اخرى وهم
المؤمنون حقا ثم قال تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ان ما قال
الله ورسوله كان زورا ووعدهما كان غرورا حيث قطعوا بان العلة قاطعة ثم قال
تعالى واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم اي لا وجه لاقامتكم مع محمد كما
يقال لا اقامة مع الدال والحواري لا وجه لها ويثرب اسم للبقعة التي فيها المدينة
فارجعوا عن محمد واتفقوا مع الاحزاب فخرجوا مع الاحزاب ثم السامعون عزموا على الرجوع
واستاذنوا وتعللوا بان بيوتنا عورة اي فيها خلل لا يامن صاحبها السارق على متاعه
والعدو على اتباعه ثم كذبهم الله تعالى بقوله وما هي بعورة وبين قصدهم وما تكن
صدورهم وهو الفرار وزوال الفرار بسبب الخوف ثم قال تعالى ولو دخلت عليهم من
اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا اشارة الى الفرار والرجوع
ليس بحفظة البيوت لان من يفعل فعلا لغرض فاذا فاته الغرض لا يفعله كمن يبذل
المال لكيلا يؤخذ منه بينة فاذا اخذ منه البينة لا يبذله فقال الله تعالى هم قالوا
بان رجوعنا عنك لحفظ بيوتنا ولو دخلها الاحزاب واخذوها منهم لرجعوا ايضا
وليس رجوعهم عنك الا بسبب كفرهم وخشيتهم الفتنة وقوله ولو دخلت عليهم احتمل ان
يكون المراد المدينة او البيوت اي ما تلبثوا بالمدينة الا يسيرا فان المؤمنين يخرجونهم
ثم قال تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل بان الفساد من جهتهم لنقضهم العهود
فانهم قبل ذلك تخلفوا واظهروا عذرا وندما وذكروا ان القتال لا يترك لهم
ندما ثم هددهم بقوله وكان عهد الله مسؤولا قل لن ينفعكم الفرار فما وقع عليه
الفرار وما قدره الله كائن فمن امر بشيء اذا خالفه يبقى في ورطة العقاب اجلا ولا
ينتفع بالمخالفة عاجلا ثم قال واذا لا تمتعون الا قليلا فانه يقول ولو فررتم
منه في يومكم مع انه غير ممكن لما دمتم بل لا تمتعون الا قليلا فالعامل لا يرغب في شيء
قليل مع انه يترك عليه شيئا كثيرا فلا فرار لكم فلو كان لما منعتم بهذا الفرار الا
قليلا ثم قال تعالى قل من ذا الذي يعصمكم من الله بيانا لما تقدم من قوله يعصمكم
اي ليس لكم ولي يشفع لمحبته اياكم ولا نصير ينصركم ويدفع عنكم السوء ينتظرون المسلمين
ويقولون تعالوا الينا ولا تقاتلوا مع محمد صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان احدهما
ان المنافقين الذين كانوا يقولون للانصار لا تقاتلوا وسلموا محمدا الى قريش وثانيهما
اليهود الذين كانوا يقولون لاهل المدينة تعالوا الينا وكونوا معنا وهلم بمعنى
تعال واحضر ولا يجمع في امة الحجاز ويجمع في غيرها ويقال للجماعة هلموا وللنساء
هلمن وقوله ولا ياتون الباس الا قليلا يريد الوجه الاول وهو ان المراد منهم

فسر الظنون وبينها يظن المنافقين صح

عه

المنافقون وهو يحتمل وجهين احدهما لا ياتون الباس بمعنى يتخلفون عنكم لا يخرجون معكم وحينئذ
قوله تعالى اشحة عليكم اي بخلا حيث لا ينفقون في سبيل الله شيئا وثانيهما ولا ياتون الباس
بمعنى لا يقاتلون معكم ويعللون عن الاشتغال بالقتال وقت الحضور معكم وقوله اشحة
عليكم اي بانفسهم وابدانهم ثم قال تعالى فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور
اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت اشارة الى غاية خستهم واعلم ان البخل شبيه
الجبن قلنا ذكر البخل بين سببه وهو الجبن والذي يدل عليه هو ان الجبان يبخل بماله
ولا ينفقه في سبيل الله لانه لا يتوقع الظفر فلا يرجو الغنيمة فنقول هذا انفاق
لا بدل له فيتوقف فيه واما الشجاع فيتيقن الظفر والغنيمة فيهون عليه اخراج المال
والعيال طمعا فيما هو اضعاف ذلك واما في النفس والبدن فكذلك لان الجبان يخاف
قرنه ويتصور القتل فيجبن ويترك الاقدام واما الشجاع فيحكم بالغلبة والنصر
فيقدم وقوله فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اي غلبوكم بالسنتهم
واذوكم بكلامهم يقولون نحن الذين قاتلنا وبنا نصرتم وكسرتم العدو وقهرتم
ويطالبونكم بالقسم الاوفى من الغنيمة وكانوا من قبل راضين من النعمة بالاباق
وقوله اشحة على الخير قيل الخير المال ويمكن ان يقال معناه انهم قابلوا الخير في
الحالين كثيرا والسن في الوقتين في الاول ويبخلون وفي الاخرة كذلك ثم قال
تعالى اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا مع ان كل
شيء على الله يسير اشارة الى ما يكون في نظر الناظر كما في قوله تعالى وهو اهون
عليه وذلك لان الاحباط اعدام واهدار واعدام الاجسام اذا نظر الناظر
يقول الجسم اعدامه بتفريق اجزائه فان احرق شيئا يبقى منه رماد وذلك لان الرماد
ان فرقته الريح يبقى منه ذوات وهذا مذهب بعض الناس والحق هو ان يعدم الاجسام
ويعيد ما شاء منها واما العمل فهو في العين معدوم وان كان يبقى بحكمه واثاره فاذا
لم يكن له فائدة واعتبار فهو معدوم حقيقة وحكما والعمل اذا لم يعتبر فهو معدوم
في الحقيقة بخلاف الجسم ثم قال تعالى يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي من غاية الجبن
عند ذهابهم كانوا يخافونهم وعند مجيئهم كانوا يودون لو كانوا في البوادي لا يكونون
بين المقاتلين مع انهم عند حضورهم كانهم غائبون حيث لا يقاتلون كما قال تعالى ولو
كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا ثم قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا ولما راى المؤمنون الاحزاب لما بين
حال المنافقين ذكر حال المؤمنين وهو انهم قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله من
الابتلاء ثم قال وصدق الله ورسوله مقابلة قوله ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
وقولهم وصدق الله ورسوله ليس اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق الله
قبل الوقوع وانما هو اشارة الى مشارة وهو انهم قالوا هذا ما وعدنا الله وقد وقع
وصدق الله في جميع ما وعده فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقوله
وما زادهم الا ايمانا بوقوعه وتسليما عن وجوده ثم قال تعالى من المؤمنين رجال

صدقوا ما عاهدوا الله عليه اشارة الى فريق الذين عاهدوا الله انهم لئن اتانا من فضله الآية ثم قوله تعالى فمنهم من قضى نحبه اى فمنهم من قتل في بدر او في غيرها من بعد في القتال ينتظر الشهادة وما بدلوا تبديلا بخلاف المنافقين فانهم قالوا لا نوفي الادبار وبدلوا قولهم وولوا ادبارهم ثم قال تعالى ليجزي الله الصادقين بصدقهم اى بصدقهم فيما وعدهم في الدنيا والآخرة كما صدقوا مواعيدهم ويعذب المنافقين الذين كذبوا واخلفوا وقوله ان شاء ذلك فيمنهم من الايمان او يتوب عليهم ان اراد هما قال ذلك ورحيما حيث كان غفورا رحيما للكبيرة ذنبهم وتوبة جرمهم ولو كان دون ذلك لعقابهم ثم بين بعض ما من جزاهم على صدقهم فقال وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا اى مع غيظهم لم يشفوا صدورا ولم يحققوا امرا وكفى الله المؤمنين القتال اى لم يحوجهم الى قتال وكان الله قويا عزيزا مختلا الى قتالهم عزيزا قادرا على استيصال الكفار واذ لالهم ثم قال تعالى وانزل الذين ظاهروهم اى عاونوهم من اهل الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم من قلاعهم وقذف في قلوبهم الرعب حتى سلموا انفسهم للقتل واولادهم ونسايهم للسبي فريقا تقتلون وهم الرجال وتاسرون فريقا النسوان والصبيان فان قيل هلا في تقديم المفعول حيث قال فريقا تقتلون وتاخيره حيث قال وتاسرون فريقا قلت قدمنا انما في شيء من القرآن الا وله فوايد منها ما يظهر ومنها ما لا يظهر فالذي يظهر من هذا والله اعلم ان القتال يبدا بالاهم فالاهم والاقرب فالاقرب والرجال كانوا مشهورين والتسبي والاسار هو من القتل لانه يبقي فيظهر لكل احد انه اسير قدم من المحلين ما هو اشهر عليه الفعل القايم به وبين الفعلين ما هو اشهر قدمه على المحل الاحق وان شاء قيل بعبارة المسايل النحوية فنقول قوله فريقا تقتلون فعل ومفعول والاصل في الجمل الفعلية تقديم الفعل على المفعول والفاعل اما انها جملة فعلية لانها لو كانت اسمية لكان الواجب في فريق الرفع كانه يقول فريق منهم تقتلونهم فلما نصب كان ذلك بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره فريقا تقتلون والحامل على مثل هذا الكلام نكتة الاهتمام بشان المفعول وها هنا كذلك لانه تعالى لما ذكر حال الذين ظاهروهم وانه قذف في قلوبهم الرعب فكر حال الذين يسمح السامع مفعولا يكون زمان وقد يمنعه مانع فيقول قد علمنا انهم المقتولون فاما اذا قال فريقا سبق الى قلوبهم الرعب الى سمعهم بسيح الى تمام الكلام واذا كان الاول فعلا ومفعولا قدم المفعول الفايدة عطف الجملة الثانية عليها على الاصل تقديم الفعل لزوال الموجب للتقديم اذ عرف حالهم وما يجري بعدهم يكون مصروفا اليهم ولو قال ذلك وفريقا تاسرون الى من سمع فريقا ربما يظن انه بقي فيهم يطلقون او لا يقدرون فكان تقديم الفعل ها هنا اولى فكذلك الكلام في قوله انزل الذين وقوله وقذف فان قذف الرعب قبل الانزال لان الرعب صار سببا للانزال ولكن لما كان الفرح في اثر الهم اكثر قدم

الانزال على قذف الرعب والله اعلم ثم قال تعالى واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم فيه ترتيب على ما كان فان المؤمنين اولا ملكوا ارضهم بالترك لسقيها والاستيلاء عليها ثم لهم تملكوا ديارهم بالدخول عليهم واخذ قلاعهم ثم اموالهم التي كانت في بيوتهم وقوله واورثكم لم تطوها قيل المراد القلاع وقيل المراد الروم وارض فارس قيل ذلك ما يوجد الى يوم القيامة وكان الله على كل شيء قديرا هذا يوكد قول من قال ان المراد من قوله وارضا لم تطوها ما سيوجد بعد بني قريظة ووجهه ما ان الله تعالى ملكهم تلك البلاد وعدم تغيرها دفع استبعاد من لا يكون قوي الايمان على الله وقال ليس الله ملكهم غيرها ثم قال تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا الآية اعلم ان مكارم الاخلاق معتبرة في تبيين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله والى هذا اشار بقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ذكر ما يتعلق بجانب الشفقة فيما يالزوجات فامتثل وبالناس بالشفقة ولهذا قدم نهي في النفقة وفي الايذاء مسايل فمنها ان التخيير هل كان واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فنقول التخيير قوله لو كان واجبا من غير ذلك لانه ابلاغ الرسالة لان الله تعالى قال لهم صارين الرسالة واما التخيير بمعنى تبيين ان الامر للوجوب ومنها ان واحدة منهن لو اختارت الفراق هل يصير اختيارها فراقا فالظاهر انه لا يصير فراقا وانما تسمى المختارة نفسها بانائة من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ومنها ان واحدة منهن ان اختارت نفسها وقلنا بانها لا تبين بانائة من جهة النبي صلى الله عليه وسلم فهل كان يجب على النبي صلى الله عليه وسلم الطلاق ام لا الظاهر نظرا الى منصب النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يجب لان الخلف في الوعد من النبي غير جايز بخلاف واحدة منا فانه لا يلزمه شرعا الوفا بما يعد ومنها ان المختارة بعد البينونة هل كانت تحرم على غيره ام لا والظاهر انها لا تحرم لا يكون بحكومة له ويجب طاعته وصار زوجة الغير بالشبهة الى زوج النبي صلى الله عليه وسلم كالامة يالشبهة الى الحرة ومنها ان من اختارت الله ورسوله كان يجب على النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها الظاهر لحرمة نظرا الى منصب النبي صلى الله عليه وسلم على معنى ان النبي لا يباشره اصلا بمعنى انه لو اتى به لعوقب ومنها لطايف تقديم اختيار الدنيا اشارة الى ان النبي صلى الله عليه وسلم غير ملتفت الى ما يتمنى غاية الالتفات وكيف وهو مشغول بعبادة ربه ومنها قوله واسرحكن سراحا جميلا اشارة الى ما ذكرنا ان السراح الجميل مع الباري القوي لا يجمع في العادة فعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يتاخر من اختيارهن فرافقه بدليل ان التسريح الجميل منه ومنها قوله وان كنتن تردن الله ورسوله اعلا لهن لان في اختيار النبي صلى الله عليه وسلم اختيار الله تعالى ورسوله والدار الآخرة وهذه الثلاثة شيء واحد لدين وقوله اعد للمحسنات منكن اي لمن عمل صالحا منكن وقوله تردن الله ورسوله والدار الآخرة فيه معنى الايمان وقوله للمحسنات لبيان الاحسان حتى تكون الآية في المعنى كقوله تعالى لمن يسلم وجهه الى الله وهو محسن وقوله تعالى

سى امن وعمل صالحا وقوله الذين امنوا وعملوا الصالحات والامر العظيم الكبير في الذات
الحسن في الصفات الباقي في الاوقات وذلك لان التعظيم في الاجسام لا يتفاوت الى
الزايد في الطول بقال له طويل ولو كان زايدا في الارض بقال له عريض وكذلك العمق
فاذا وجدت الامور الثلاثة قيل عظيم فيقال جبل عظيم اذا كان عاليا ضخما في
الجهات واذا كان مرتفعا حسن بقال جبل عال اذا عرفت هذا فاعلم ان الدنيا في ذاتها
قليل وفي صفاتها غير خالص جمعها فتح ما في يديك من الحرص والتعلق وكذلك سرورها
وغيرها في الذات وغيره في تالم واحزان الاخرة كثير خالص عن جهات القبح دايم ثم عظيم
ثم قال تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة لما حذرهن النبي صلى الله
عليه وسلم واختبرهن الله ورسوله اوعدهن الله وحذرهن للتوفي عما يسوء النبي صلى الله
عليه وسلم ويقبح بهن من الفاحشة التي هي اصعب على الزوج من كل ما ياتي من
زوجته واوعدهن بتضعيف العذاب وفيه حكمتان احدهما ان زوجة الغير تتعذر
على الزنا بسبب ما في الزنا من افساد زوجة النبي صلى الله عليه وسلم
كذلك ولان امراة لو كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم واتت بفاحشة تكون
قد اختارت غير النبي على النبي وتكون ذلك الغير خيرا عندها من النبي واولى
والنبي اولى بها من النفس التي هي اولى بها من الغير فقد نزلت منصب النبي صلى الله عليه
وسلم مرتبتين فتعذب على العذاب ضعفين وثانيهما ان هذه الفاحشة اذي اشد
لان الحرة عند اباحة ضعف عذاب الامة اظهار البشر فيها وشبهة النبي الجمهرة من الرجال
كشبهة السادات الى العبيد لكونه اولى بهن انفسهم فكذلك زوجاته وقرئ
اللاتي بهمزتين وام الشخص امراة حاكمة داعية الطاعة وزوجه ما ترى
له واعلم ان قول القايل من يقصد الى في قوله لئن اشركت ليحبطن عملك
من حيث ان ذلك ممكن الوقوع في اول النظر ولا يقع في بعض الصور جزما وفي بعض
يقع جزما فمن مات فجاة شراح في البعض يتردد الناس في الامر فعلق الجزاء بما بين
يات منكن بفاحشة عند نا من التبيل الاول فان الانبياء عليهم السلام صان الله
ازواجهم عن الفاحشة وقوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا اي ليس كونهن
تحت النبي صلى الله عليه وسلم ولو كن شريفات جليلات مما يدفع العذاب عنكم وليس
امر الله كامر الخلق حيث يتعذر عليهم تعذيب الاعزة بكثيفة كثرة اولياءهم واعوانهم
وشفعاءهم واحزابهم ثم قال تعالى ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا يوتها
اجرها مرتين زيادة عقابين على ترتيب اجرها مرتين في مقابلة قوله تعالى
يضاعف لها العذاب ضعفين مع لطيفة وهي عند اتيانا الاجر ذكر المولى وعند
العذاب لم يصرح بالعذاب فقال يضاعف اشارة الى كمال الرحمة والكرم كما
ان الكريم الحي يظهر بنفسه وعند الستر لا يذكر نفسه وقوله تعالى واعتدنا
لها رزقا كريما وصف رزق الاخرة بكونه كريما مع ان الكريم لا يكون وصفا الا
للرازق اشارة الى بعض لطيف وهو ان الرزق في الدنيا قد يزيد على الناس الفاجر

يرتزق من السرقة والصناع من المستعملين والملوك من الرعية والرعية منهم والرزق
في الدنيا لا ياتي بتقسه وانما هو مسخر لغير عبيكه وبرسله الى الاشرار واما في الاخرة
فلا يكون له مرسل ومملك في الظاهر هو الذي ياتي بتقسه فلا جل هذا لا يوصف
في الدنيا بالكريم الا الرزاق وفي الاخرة يوصف بالكريم لتقس الرزق ثم قال تعالى
يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اذا كان عذابهن ضعف عذاب غيرهن في الاخرة
اجر عبادتهن كصبرن كاجر عبادة الف نبي الا ما قال لستن كاحد ومعنى قول القايل ليس
فلان كاحد الناس يعني ليس فيه مجرد كونه انسانا بل وصف اخص وهو جودته
وهو كونه عالما او عاملا او حسيبا او نسيبا فان الوصف الاخص اذا وجد لا يبقى
التعريف بالاعم فانه من عرف رجلا ولم يعرف منه كونه غير كونه رجلا يقول ابت
رجلا فان عرف علمه يقول رايت زاهدا او عمرو افكذلك قوله تعالى لستن كاحد
من النساء يعني فيكن غيرة لكن امرا لا يوجد في غيركن وهو اسمهان جميع المومنين
وزوجات جميع المرسلين وكما ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس كاحد من الرجال كما قال
صلى الله عليه وسلم لستن كاحد كم كذلك قرابته تشرق به وبين الزوجين فرق
من الكفاءة ثم قال تعالى ان اتقيتن فان الاكرم عند الله هو الاتقى وثانيهما ان
يكون شعلقا بما بعده على معنى ان اتقيتن فلا تخضعن والله تعالى لما منعهن من
الفاحشة وهي الفعل القبيح منعهن من مقدماتها وهي الجمانة مع الرجال والانقياد
في الكلام للفاسق فيطمع الذي في قلبه مرض او فسق وقوله تعالى وقلن قولا معروفا
اي ذكر الله وما يحق ان يبه من الكلام والله تعالى اعلم قال فلا تخضعن بالقول كرر
بعده وقلن اشارة الى ان ذلك ليس امرا ابتدا والتنكير بالقول المعروف عند
الحاجة غير المامور به لا يعتد به ثم قال تعالى وقرن في بيوتكن من القرار واشتاط احد
حرفي التضعيف كما قال تعالى وظلتم تفكهون وقيل انه من الوقار يقال يقر
وعد يعد عدة وقوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية قيل معناه لا تتكبرن واسكنن
ويحتمل ان يكون المراد ولا يظهرن زينتهن وقوله الجاهلية الاولى فيه وجهان
احدهما ان المراد من كان في زمن نوح والجاهلية الاخرى من كان بعده وثانيهما ان
هذه لبيتة او لتنتضي اخرى بل معناه يترج الجاهلية القديمة كقول القايل
يا سر الاكاسرة الجبابرة الاولى ثم قال واقمن الصلاة يعني بعين التكليف في التاي
حتى يحصل بقوله تعالى فلا تخضعن لتترجن بالنية وفي الاوامر فاقمن الصلاة
التي هي تزكية النفس بالجبار المتكبر واتين الزكاة التي هي التنبه بالكريم الرحيم
واطعن الله اي بعين التكليف منحصرا في المذكور بل كل ما انزل الله به فاتين به
وكل ما عيا الله عنه فانتهين عنه ثم قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت اي يزيل عنكم الذنوب ويطهركم يلبسكم خلع الكرامة مع ان الله تعالى
ترك خطاب المومنات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله ليذهب عنكم الترجس
يدخل فيه نساء اهل بيته ورجالهم واختلفوا الاولى في اهل البيت والاولى ان

بقالهم ازواجه واولاده والحسن والحسين منهم وعلي منهم لانه كان من اهل بيته بسبب
معاشرته بيت النبي صلى الله عليه وسلم وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله اي القرآن والحكمة اي كلام النبي صلى الله
عليه وسلم اشارة الى ما ذكرنا من ان التكاليف غير منحصرة في الصلاة والزكاة ولما
واما ذكر الله في هذه الايات فقال واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله ليعلمن
الزواجات كلما يتأتين بها والحربات باسرها ينتهين عنها ان الله كان لطيفا خبيرا اه
اشارة الى انه خبير بالسرائر لطيف يعلمه يصل الى كل شيء وسمة اللطيف الذي يدخل
في المسام اللطيفة ويخرج من المسالك المسدودة ثم قال تعالى ان المسلمين والمسلمات
ازواجا من بين ما يكون لمن عشر مراتب الاولى الاسلام والانقياد لامر الله والثانية
الايمان لا يوذيه امر الله فان المخلف الاول يقول كل ما يقول له قبله فهذا اسلام فاذا
قال له شيء وقبله صدق فيما قاله وصحح اعتقاده فهو ايمان ثم اعتقاده يدعوه
الى فعل الخير والعمل الصالح فيعتقد ويعيد وفي المرتبة الثالثة المذكورة بقوله
والقانتين والقانتات ثم اذا اتى فعل صالحا كمل فيحمل غيره ويامر بالمعروف
وينهى اخاه فيصدق في كلامه عند الضيفة وهو المراد بقوله والصابرين
والصابرات ثم انه اذا اكمل وكمل قد يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فمرتبة تنه
بقوله والخاشعين والخاشعات او نقول لما ذكر هذه اشار الى ما يمنع منها وهو اما
حب المال او حب الجاه من الامور الخارجية والشهوة من الامور الداخلة في العقب
مما يكون لانه يكون بسبب بغض جاه او فوت مال واعني من المشتهيات فقوله
والخاشعين والخاشعات اي المتواضعين الذين لا يلهيهم الجاه عن العبادة ثم
قال والمتصدقين والمتصدقات اي المباذلين الاموال الذين لا يكنزونه لشهوة
محبتهم اياه ثم قال والصائمين والصائمات اشارة الى الذين لا يمنعهم الشهوة
البطنية من عبادة الله ثم قال والحافظين فروجهم والحافظات اعم الذين
لا يمنعهم الشهوة الفرجية ثم قال والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يعني
هم في جميع هذه الاحوال يذكرون الله ويكون اسلامهم وايمانهم وقنوتهم وصدقهم
وصومهم بنية صادقة لله واعلم ان الله تعالى في اكثر المواضع حيث ذكر الذكر
قرنه بالكثرة ها هنا وفي قوله بعد هذا يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا
كثيرا وقال لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا لان الاذكار
من الافعال غير ممكن او عسر فان الانسان لا اكله وشربه وحصل ما كوله ومشروبه
لمنعه من ان يشتغل دايما بالصلاة ولكن لا مانع له من ان يذكر الله تعالى وهو اكل
ويذكره وهو شارب او جالس وسايرا لي هذا اشار بقوله تعالى الذين يذكرون
الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولان جميع الاعمال صفتها تذكر الله وهي النية
ثم قال تعالى اعد الله لهم مغفرة تمحو اذنوبهم واجرا عظيما ذكرناه فيما تقدم
ثم قال تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا فيل ان الاية

نزلت في زينب حيث اراد النبي صلى الله عليه وسلم تزويجها من زيد بن حارثة فكرهت
هي والنبي صلى الله عليه وسلم ولذلك اخرها استنع فنزلت الاية فرضيا به والوجه ان
يقال ان الله تعالى لما امر نبيه بان يقول اذ جاءك يحيرات فهم منه ان النبي صلى
الله عليه وسلم لا يريد مضرة لغيره فان كان مثله الذي يمكنه النبي صلى الله عليه
النبي حق نفسه لحق غيره فقال في هذه الاية لا ينبغي ان يظن ظان ان هوى نفسه
كما في الزوجات بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة ان يكون له اختيار عند
حكم الله ورسوله فيما امر الله به المتبع وما اراد النبي صلى الله عليه وسلم من الحق
ومن هذا القبيل ما في سيد قد ضل ضلالا بعيدا لان الله هو المقصد والنبي هو الهادي
فمن ترك المقصد ولم يسمع قول الهادي فقد ضل ضلالا بعيدا ثم قال تعالى واذ تقول
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه
الاية انعم الله عليه بالاسلام وانعمت عليه بالتحرير والاعتاق امسك عليك زوجك هم زيد بطلاق زينب
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم امسك لا تطلقها واتق الله قبل الطلاق وقيل في
الشكوى من زينب قال زيد قال لي انها تتكبر علي بسبب النسب وعدم الكفاءة
وتخفي في نفسك ما الله مبديه من انك تريد التزويج بزينب وتخشى الناس من
ان يقولوا اخذ زوجة العبد وانت الله احق ان تخشاه بيس اشارة الى ان النبي صلى
الله عليه وسلم خشي الناس ولم يخشى الله بل المعنى ان الله احق ان تخشاه وحده
ولا تخشى احدا معه وتخشونه ولا تخشون احدا الا الله ثم قال تعالى فلما قضى زيد منها
وطرا زوجناكها ايجلتها زيد انقضت عدتها وذلك لان الزوجة ما دامت في نكاح
الزوج فهي تهيئ قضاء حاجته ومن يحتاج اليها فلم يقض منها وطره واما اذا طلقها وانقضت
عدتها استغنى عنها ولم يبق له معها تعلق فيقضي منها الوطر فهذا هو الموافق لما في الدرج
لان التزوج بزوجة الغير بعقد ته لا يجوز فهذا قال فلما قضى زيد منها وطرا
زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا
اذا طلقوهن وانقضت عدتهن وفيه اشارة الى ان التزوج من النبي صلى الله عليه وسلم
لم يكن لقضاء شهوة بل لبيان الشريعة من فعله فان الشرع يستفاد من فعل النبي صلى
الله عليه وسلم قوله وكان امر الله مفعولا اي تقضيا ماضيا اما قضاه كما بين
بين تزويجه بهذه المرأة كان سببا لشرع مشتملا على فايدة كان خاليا عن المفاسد
فقال ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل
يعني كان شرع من تقدمه كذلك كان يتزوج الانبيا بنسوة كثيرة انكار الاطلاق
الغير وكان امر الله قدرا مقدورا اي كل شيء بقضا وقدر والقدر التقدير بين
المعقول والمقدور فرق معقول بين القضا والقدر والقضا ما كان مقدورا في الازل
صل والقدر ربما يكون بما قاله سئل عن كان يقصد مدينة فنزل من طريق ثالث
المدينة يخان الكرنبة يصح سئل في العرف ان يقول يجوز ان يقول لهم جيت الى
هذه القرية وانما قصدت المدينة الفلانية وهذه وقعت في طريقي وان كان

بياض يا حلد

فرجاها ودخلها اذا عرفت هذا بان الخير كله بقضاء وما في العالم من الضرر بقدر فان
الله خالق الخلق ما قضى ذلك في البعض الجاني زنا وقتل قاتله لم يخلقهما فيه مقصودا
منه القتل والزنا وان كان قد قدر الله اذا علمت هذا فاعلم قوله تعالى فلما
وكان امر الله مفعولا وقوله تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا سر لطيفة وهي ان الله تعالى
لما قال زوجناكها قال وكان امر الله مفعولا اي بتزويجنا زينب اياك كان مقصودا له
مستوعبا مرضيا مرادي ولما قال سنة الله في الذين خلوا من قبل اشارة الى قصة داود
حيث اوى بامراة اوريا قال وكان امر الله قدرا مقدورا اي كان ذلك حكما سبق بها
قلو قال قائل هذا قول المعتزلة بالتولد او الفلاسفة بوجوب الاشياء على وجوه
مثل كون النار محرقة حيثما قالوا الله تعالى اراد ان يخلق ما ينقضي الاشياء وهو
لا يكون الا محرقا بالطبع فخلق النار والشمع نقول بان الله غير مختار في افعاله
او يقع شيء الا باختياره ولكن اهل السنة يقولون اجرى الله تعالى عادته بكذا اي
له ان يخلق النار بحيث عند حاجة انضاج ينضج وعند سائر الثوب لا تحرق
الا تريا ايها المعتزلي ان الله تعالى حرق ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع قوتها وكثرتها لكن خلقها
على غير ذلك الوجه لمحض ارادته او حكمة خفية لا يسئل عما يفعل فنقول
ما كان في مجرى عادته تعالى على وجه تدركه العقول البشرية تقول بقضاء وما
يكون على وجه تقع لعقل فاما ان يقول لم كان ذا لو لم يكن على خلافه فتقول
بعد ثم بين الذين خلوا بقوله الذين يبلغون رسالات الله يعني كانوا اصلك
رسلا ثم ذكره بحالهم ثم جرد الخمسة وحدها بقوله ولا يخشون احدا الا الله
فصار كقوله تعمدا مع اقتدره وقوله وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخش غيره او
محسوبا فلا تلتفت الى غيره ولا تجعله في حسابك ثم قال تعالى ما كان محمد ابا
احد من رجالكم كما بين الله تعالى ما في تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب
من الفوايد انه كان خاليا بان وجوه التفاسد وذلك لان ما كان يتوهم من المفسدة
كان يتحصل في التزوج بزوجة الابن فانه غير جايز فقال الله تعالى ان زيدا لم
يكن ابنا لاحد من رجال لم يكن ابن محمد وان قال قايل لما كان محمد ابا احد
من الرجال لان الرجل اسم الذكر من اولاد ادم فلا تعالى وقال كن تسانوت اشتبين
وان كانوا اخوة رجالا ونساء والصبي داخل تبعا فنقول الجواب عنه من وجهين
احدهما ان الرجل في الاستقبال يدخل في عمومه الكبر والبلوغ ولم يكن لنبينا صلى
الله عليه وسلم ابن كبير يقال انه رجل والثاني سوا الله تعالى قال لنا رجالكم دون
الخطاب لم يكن له ولد ذكر ثم انه تعالى عاتبني كونه ابا عصبة عما يدل على ثبوت
ما هو في حكم الابوة من بعض الوجوه فقال ولكن رسول الله فان الرسول كالاب
للامة في الشفقة من حيث به والتعظيم من حيثهم نقوله رحاتم النبيين وذلك
لان النبي الذي يكون بعده ينبغي ان تترك شيئا من التصفية والبيان بسبب كونه من
يأتي بعده واما من لا نبي بعده يكون اشفق على امته واهدى لهم واحرى اذ هو

فتح اتا فاسلب احب احترازا دار
زينب واحاذر فتنة ولا تقول ما ذا لدار

كوالد الولد اذ ليس له غير من احد وقوله وكان الله بكل شيء عليما بعين علمه في كل شيء
دخل فيه اذ لا شيء يعزب عنه فعلم ان من الحكمة ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم تزوجه
بزوجة دعيه تكميلا للشرع وذلك من حيثيات ان قول النبي صلى الله عليه وسلم يفيد
شرعا لكن اذا اشتهر وعرفه تبنى في بعض النفوس بقرة الا ترى انه ذكر قوله ما تهم
منه حل اكل العنب ثم لما حرم بالخمر بقي في النفوس شيء ولما احكم الحلال طاب اكله
مع انه في بعض المحال لا يؤكل لكونه الا رب ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان السورة لما صدرها وبناها
على تاديب النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجنا ذكرنا ان الله تعالى بدا بذكر ما ينبغي
ان يكون صلى الله عليه وسلم مع الله وهو التقوى وذكر ما ينبغي ان يكون عليه النبي
مع اهله وقاربه بقوله يا ايها النبي قل لازواجك والله تعالى يامر عباده الموشين
عما يامر به انبياءه المرسلين فارشد عباده كما ادب نبيه صلى الله عليه وسلم
وبدا بما يتعلق بجانبه من التعظيم فقال يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا
كما قال للنبي يا ايها النبي اتق الله ثم قال لها هنا لطيفة وهي ان المومن قد ينسى
ذكر الله فامر بدوام الذكر اما النبي صلى الله عليه وسلم لكونه من المقربين لا ينسى
ولكن قد المقرب من اهله يقربه منه بيقال حوقله تعالى اتق
الله فان المخلص على خطر عظيم وحسنة الابرار سيئة المقربين وقوله ذكرا كثيرا
فذكر بان الله تعالى في كثير من المواضع لما ذكر الذكر وصفه بالكثرة او لاما نع
من الذكر على ما بينا ثم قال تعالى وسبحوه بكرة واصيلا اي اذا ذكرتموه فينبغي
ان يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء وهو المراد بالتسبيح
وقيل المراد منه الصلاة وقيل بصلوا تسبيحه بكرة واصيلا اشارة الى ابتداء
وذلك لان مربد العموم قد يذكر الطرفين ويعني بهما الوسط كقوله صلى الله
عليه وسلم ولوان اولكم واخركم ولم يريدوا سطكم وفهم منه المبالغة في العموم
ثم قال تعالى هو الذي يصلي عليكم يعني هو يصلي عليكم ويرحكم وانتم لا تذكرونه
قد ذكر صلاته تحريضا للمومنين على الذكر والتسبيح ليخرجكم من الظلمات الى النور
يعني كما يصلي عليكم برحمته والصلاة من الله رحمة ومن الملايكة استغفار فقيل بان
اللفظ المشترك يجوز استعماله في معنيه معا وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز
في لفظ جايز ويشبه هذا القول الى البناء في رضي الله عنه وهو غير بعيد وان
اراد بقوله يحيث يصير في عنايته تتولاه رحمة والاستغفار بيشتر كان في العناية
حال الرجوع والمستغفر له والمراد من القدر المشترك فتكون الدلالة تضمنية لكون
الرحمة خيرا منها وكان بالمومنين رحيما بشارة بجميع الموسنين واشارة الى قوله
يصلي عليكم غير مختص بالسابقين وقت الرجي ثم قال تعالى يحيتهم يوم يلقونه
سلام دليل عناية الله في الاولى بين عنايته في الاخرى وذكر السلام لانه
هو الدليل على الخيرات فانه لن يلقى غيره وسلم دليل على الصفاء بينهما وانه يسلم دل

على المناقاة وقوله يوم يلقونه سلام اي يوم القيامة وذلك لان الانسان في
دنياه غير مقبل بكليته على الله وكيف وهو حال نومه غافل عنه وفي اكثر اوقاته
مشغول بتحصيل رزقه واما في الاخرة فلا شغل لاحد يلهيه عن ذكر الله فهو حقيقة
اللقاء ثم قال تعالى واعدلهم اجرا كريما اي قال قابيل الاعداد انما يكون لمن لا يقدر
عند الحاجة الى الشيء عليه واما الله تعالى لا يعجزه شيء فيهيئ له ما يريده
وزيادة فما معنى الاعداد من قبل فنقول الاعداد للاكرام لا لحاجة تعذر كما
ان الملك اذا قيل له فلان واصل قد اراد اكرامه يهيئ له بيتا واثاثا يليق
الاكرام ولا يقول له انه اذا وصل يفتح له باب الخزانة ويوتيه ما يرضى به
فكذلك الله اعد لمن اكرا جر اكريما والكريم قد ذكرناه في الرزق انه من اعد
له اجرا يأتيه من غير طلبه بخلاف الدنيا فانه يطلب الرزق الكثير فلا يأتيه
الا بقدر ثم قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام شاسب لحالهم لانهم اذكروا الله تعالى
في دنياهم حصل لهم معرفة حسنة عرفوه كما ينبغي بصفات الجلال ونعوت الكمال
وآمنوا به يعلم حالهم في الدنيا فاحسن اليهم بالرحمة كما قال تعالى وما ارسلناك
وقال وكان بالمؤمنين رحيما والاستقبال فان اذا التقيا وكان احدهما شفيعا
والاخر والاخر معظما له غاية التعظيم لا يتحقق بينهما الا السلام وانواع الاكرام
ثم قال تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا قد ذكرنا
ان السورة فيها تأديب للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه فقوله في ابتدائها
يا ايها النبي اتق الله اشارة الى ما ينبغي ان يكون عليه مع عامة الخلق وقوله يا ايها النبي
قل لازواجك اشارة الى ما ينبغي ان يكون عليه مع عامة الخلق وقوله تعالى
شاهدا يحتمل وجوها احدها انه شاهد على الخلق يوم القيامة كما قال تعالى
ويكون الرسول عليكم شهيدا وعلى هذا فالنبي بعث شاهدا اي محملا للشهادة
ويكون في الاخرة شهيدا اي مؤديا لما يحمله من الشهادة وثانيها انه شاهد
على الوحدانية والشاهد لا يكون مرجيا والله تعالى لا يجعل النبي في مرتبة
الوحدانية اظهر من الشمس والنبي صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة فجعل الله
نفسه شاهدا له في مجازاة كونه شاهدا لله فقال تعالى والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون انه شاهد في الدنيا باحوال الاخرة من الجنة والنار والميزان وقوله
تعالى ومبشرا ونذيرا وداعيا فيه ترتيب حسن وذلك من حيث ان النبي صلى الله
عليه وسلم ارسل شاهدا يقول لا اله الا الله ويرغب في ذلك بالبشارة فلم يكن
بكف ذلك يرهب بالانذار ثم لا يكتفي بقولهم لا اله الا الله بل يدعوهم الى سبيل
الله كما قال تعالى ادع الى سبيل ربك وقوله وسراجا منيرا اي منيرها على ما نقوله
مظهر اله باوضح الحجج وهو المراد بقوله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة وفيه لطائف
احدها قوله تعالى وداعيا الى الله باذنه وذلك لان من يقول عن ملك انه
ملك الدنيا لا يملك غيره لا يحتاج فيه الى اذنه فانه وصفه بما فيه ولذلك

اذا قال زيد بايعه بسعد وبتيعه بيشتري يكون مشتريا وتقول بزاد لا يحتاج الى اذن من
الملك في ذلك واما اذا قال تعالوا الى ساحته واحضروا الى حوابه يحتاج فيه الى اذنه
فقال تعالى وداعيا الى الله باذنه وجه اخر وهو ان المتبني يقول اني ادعوا الى
الله والمحبي لا اذن له من احد والثاني ما ذكرنا من حمله النبي صلى الله عليه وسلم
كما قال تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وقال صلى
الله عليه وسلم رحم الله عبدا سمع مقالتي فوعاها كما سمعها والنبي صلى الله عليه
وسلم مراده ان من الله في الدعاء اليه من غير واسطة والطفيلة قال في حق النبي
صلى الله عليه وسلم سراجا ولم يقل انه شمس مع انه اشد اضاءة من السراج لوجوه
منها ان الشمس نورها لا يوخذ منه شيء والسراج يوخذ منه انوار كثيرة اذا انطفى
الاول يبقى الذي اخذ منه وكذلك ان غاب النبي صلى الله عليه وسلم كان كل
من صحابي كان سراجا اخذ منه نور الهداية كما قال صلى الله عليه وسلم اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وفي الخبر لطيفة وان كانت ليست من التفسير
ولكن الكلا يجر الكلام وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل اصحابه كالسراج
وجعلهم كالنجوم لان النجم لا يوخذ منه نور يزيد له في نفسه نورا اذ اعرف هو لا ينبغي
نور مستفاد منه وكذلك الصحابي اذا اخذ قال تابعي بستنير بنور النبي صلى الله
عليه وسلم ولا باخذ منه الا قليل النبي صلى الله عليه وسلم ايضا سراجا ان
للمجتهد ان يستنير بما اراد منهم وباخذ النور ممن اختار وليس كذلك فان مع نص
النبي صلى الله عليه وسلم لا يعمل بقول الصحابي ويوخذ من النبي النور ولا يوخذ من
الصحابي فلم يجعله سراجا وهذا يوجب ضعفا في حديث سراج الامة والمجتهدون
ذكروه وفي تفسير السراج وجه اخر وهو ان المراد منه القران وتقديره انا
ارسلناك وسراجا منيرا عطفا على محل الكاف اي وارسلنا سراجا منيرا وعلى قولنا
انه عطف على مبشرا ونذيرا يكون معناه وذا سراج لان الحال لا يكون وصفا
الا للفاعل او للمفعول والسراج ليس وصفا فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن
سراجا حقيقة او يكون كقول العرب رايته اسدا اي شجاعا فقوله سراجا اي هاديا
مبينا كالسراج يري الطريق ويبين الامر وقوله تعالى وبشر المومنين عطف على
مقدر تقديره انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا فاشهد وبشر ولم يذكر
فاشهد للاستغناء عنه واما الاشارات اذكرت اقامة للكرم ولا بقاء غير واجبة
لولا الامر وقوله تعالى بانهم من الله فضلا كبيرا مثل قوله واعدلهم اجرا عظيما
والعظيم والكبير متقاربان وكونه من الله كبير فكيف اذا كان مع ذلك كفارة
احزي وقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين اشارة الى الانذار يعني
خالفهم وبرئ عليهم وعلى هذا عطف الله تعالى ودع اذاهم اي دعه الى الله فانه
يجزيهم بايديكم بالنار وبين هذا وقوله تعالى وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا
الله كاف غيره قال بعض المعتزلة لا يجوز تثنية الله بالوكيل لان الوكيل دون

من الموكل وقوله تعالى وكفى بالله وكيلا حجة عليهم وشبهة واهية من حيث ان الوكيل قد
يوكل للترفع وقد يوكل للعجز والله وكيل عباده لعجزهم عن التصرف وقوله تعالى وكفى
بالله وكيلا يبين اذا نظرت في الامور التي لاجلها لا يلقى الوكيل الواحد منها الا ان
يكون قويا قادرا على العمل كالملك الكثير الاشتغال يحتاج الى وكلا لعجز الواحد
عن القيام بجميع اشغاله والله تعالى ومنها ان لا يكون عالما بما فيه التوكيل ومنها
ان لا يكون امينا والله عالم قادر غير محتاج فيكفي وكيلا ثم قال تعالى يا ايها
الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان
الله تعالى في السورة ذكر مكارم الاخلاق وادب نبيه على ما ذكرناه لكن الله
تعالى امر عباده المومنين بما امر به نبيه المرسل فكلما ذكر للنبي مكرمة وعلمه ادبا
ذكر للمومنين ما يناسبه فكما بدا الله تعالى في تاديب النبي صلى الله عليه وسلم
بذكر ما يتعلق بجانب الله تعالى بقوله يا ايها النبي اتق الله وثنى بما يتعلق بجانب
من تحت يده من ازواجه بقوله بعده يا ايها النبي قل لازواجك وثلث بما يتعلق
بجانب العامة بقوله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا كذلك بدا في ارشاد المومنين
بما يتعلق بجانب الله تعالى فقال يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم كما
ثلث في تاديب النبي صلى الله عليه وسلم بجانب الامة ثلث في حق المومنين بما يتعلق
بجانب نبيهم فقال بعد هذا يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي وبقوله
الذين امنوا صلوا عليه وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** اذا كان الامر على
ما ذكرناه من ان هذا ارشاد الى ما يتعلق بجانب من هو خواص المرء فلم خص المطلقات
اللاتي طلقن قبل المسيس بالذكر فنقول هذا ارشاد الى اعلا درجات المكرمات
ليعلم منها ما دونها وبيانه ان المراة اذا طلقت قبل المسيس بالذكر لم يحصل
بينهما تاكد العهدة ولهذا قال الله تعالى في حق الممسوسة وكيف تاخذونه وقد
افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا واراد امر الله تعالى بالتمتع والا
حسان مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بمن حصلت بالمودة بالنسبة اليها بالا
فضا او حصل تاكدها بحصول الولد منها والقران في الحجم صغير ولكن لو استنبط معانيه
لا تفي بها الاقلام ولا يلقى لها الاوراق وهذا مثل قوله تعالى ولا تقل لهما اف
لو قال لا تضربهما او لا تشتمهما ظن انه حرام بمعنى مختص بالضرب او الشتم اما اذا قال
لا تقل لهما اف علم منه معان كثيرة وكذلك هاهنا لما امر بالاحسان مع من لا مودة
معها علم منه الاحسان مع الممسوسة ولمن يطلق بعد ومن ولدت عنده منه وقوله
اذا نكحتم المومنات التخصيص بالذكر اشارة الى ان المومن ينبغي ان ينكح المومنة
فانها اشد تحصينا لدينه وقوله ثم طلقتموهن يمكن التمسك به في ان تعليق
الطلاق بالنكاح لا يصح لان التطليق حينئذ لا يكون بعد النكاح والله تعالى ذكره
بكلمة ثم وهي للتراخي وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها اي تستوفون انتم
عددها فمتعوهن قيل انه مختص بالمفوضة التي لا شيء لها اذا طلقت قبل المسيس

وجبت لها المتعة وقيل بانه عام وعلى هذا فهو امر وجوب او امر ندب اختلف العلما
فيه فمنهم من قال للوجوب فيجب مع نصف المهر المتعة ايضا ومنهم من قال
للاستحباب فيستحب ان يمتعها مع الصداق بشيء وقوله وسرحوهن سراحا جميلا الجمال
في التسريح ان لا يطالبها بما اتاها ثم قال تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افا الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك
وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم
ما هو الاولى فان الزوجة التي اوتيت مهرها اطيب قلبا من التي لم تؤت والمملوكة
التي سباها الرجل بنفسه اطهر من التي اشتراها الرجل لانها لا يدرى كيف حالها
ومن هاجرن معك من اقارب النبي صلى الله عليه وسلم معه اشرف ممن لم يهاجر
ومن الناس من قال بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب عليه المهر اولا وذلك
لان المراة لها الامتناع الى ان تاخذ مهرها والنبي صلى الله عليه وسلم ما كان يستوفي
ما لا يجب عليه والوطي قبل اتيان الصداق غير مستحق وان كان حلالا لنا وكيف
والنبي صلى الله عليه وسلم اذا طلب شيئا حرم الامتناع على المطلوب والظاهر
ان الطالب في المراة الواحدة الاولى انما يكون هو الرجل
فلو طلب النبي صلى الله عليه وسلم من المراة التمكن قبل المهر للزم ان يجب وان
لا يجب وهو محال ولا كذلك احدنا ولا يقال قال يوكد هذا قوله تعالى وامراة
مومنة ان وهبت نفسها للنبي يعني حينئذ لا يبقى لها صداق فتصير كالمستوفية
مهرها وقوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها اشارة الى هبتها نفسها لا بد معها
من قبول وقوله تعالى خالصة لك من دون المومنين قال الشافعي رضي الله عنه
معناه اباحة الوطي بالهبة وحصول التزوج بلفظها من خواصك وقال ابو حنيفة
رضي الله عنه لك المراة صارت خالصة لك زوجة من امهات المومنين لا تحل لغيرك
ابدا والترجيح يمكن ان يقال بان على هذا فالتخصيص بالواهبة لا فايدة فان
ازواجه كلهن خالصات له على ما ذكرنا يتبين للتخصيص فايدة وقوله قد علمنا
ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم معناه ان ما فرضنا ذكرنا فرضك
وحدك على نسايك واما حكمك على امتك فعندنا علمه ونبينه لهم وانما ذكر
هذا لئلا يحمل واحد من المومنين نفسه على ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم فان
له في النكاح خصايص ليست لغيره وكذلك في السراري وقوله تعالى لكيلا يكون
عليك حرج اي يكون في نسخة من الامر فلا يبقى لك شغل قلب فينزل الروح
الامين بالايات على قلبك الفارغ وتبلغ رسالات ربك بجدك واجتهادك
وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما يغفر الذنوب جميعا ويرحم العبيد ثم قال
تعالى ترجي من تشاء منهن وتووي اليك من تشاء لما بين انه احل له ما ذكر من الازواج
بين انه احل له وجوه المعاشرة بهن حتى يجمع كيف يشا ولا يجب القسم وذلك
لان النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه فاذا هن كالمملوكات له ولا يجب القسم

بين المملوكات والارجا المتاخير والايوي الضم ومن ابتغيت ممن عزلت تبغي اذ اطلبت من
تركها فلا جناح عليك في شيء من ذلك ومن قال بان القسم كان واجبا جعل الخصيف بالسنة
الي المفهوم من الاية قال المراد ترجي من تشا اي تؤخره من ان تشا وتاويب القسم في الاولاد
والمزوج لان الايتام عن احد ممن ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك فايتنا لمن
شيئة سمتي وتم الدور والاول اقرب واولي ذلك ادني ان لا تقر اعينهن
لتشريفك بيمين ولا يحزن بخلاف ما لو وجب عليك فقبله يكون عند احدا من يقول
ساحايني بهوي قلبه والاحلا امر الله والحايه عليه وبرضين بما اتيتهن كلهن من الارجا
والايوا ليس لن عليك شيء حين يرضين ثم قال تعالى والله يعلم ما في قلوبكم وكان
الله عليما حليما اي ان اضمرت خلاف ما اظهرت فالله يعلم ضماير القلوب فانه عليم
وان لم يعاجل في الحال فلا يغتر دن فانه حليم لا يعجل ثم قال تعالى لا يحل لك النسا
من بعد اما يوجب الله علي نبيه القسم قام بجيزلك ما اخترت الله ورسوله ذكرين ما
جزاوه من وتحريم غيره من علي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه من طلاقهن بقوله ولا
ان تبدل بهن من ازواج وفيه مسايل المسيلة الاولى قوله لا يحل لك النسا
من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتينهن من الوصل والهجران وتقص
والحرمان المسيلة الثانية قوله ولا ان تبدل بهن بغير حرمة طلاقهن لو كان جايزا
الزيطلق الكل وبعده عن ما يتزوج بغيرهن ولا يتزوج فان لم يتزوج يدخل في جملة
العذاب والنكاح فضيلة لا يتركها النبي صلى الله عليه وسلم وكيف وهو يقول النكاح
سنتي وان تزوج بغيرهن يكون قد تبدل بهن وهو ممنوع من التبدل المسيلة الثالثة
من المفسرين من قال ان الاية ليس فيها تحريم غيرهن ولا المنع من طلاقهن بل المعنى
لا يحل لك النسا غير اللاتي ذكرنا لك من الموصنات المهاجرات من بنات عمك وبنات
عماته وبنات خالك وبنات خالاتك واما غيرهن من الكتابيات فلا يحل لك التزو ج
بهن وقوله ولا ان تبدل بهن من ازواج منع من شغل بحي اهليته فانهم كانوا يبادلون
زوجة بزوجة فيترك احدهم عن زوجته ويا خذ زوجة صديقه ويعطيه زوجته
وعلى التفسيرين وقع خلاف في مسئلتين احدهما حرمة طلاق زوجاته والثانية حرمة
تزوجه بالكتابيات فمن منع على الاول يحرم التزوج بالكتابيات المسئلة الرابعة
قوله ولو اعجبك حسنهن ابو حسن الشنا قال الزمخشري قوله ولو اعجبك في معنى
ولا يجوز ان يكون في الحال قوله من ازواج لفايدة التكثير فيه ويكره ذو الحال ان
ان يكون نكرة قال امر النبي صلى الله عليه وسلم يعني لا تحل لك النسا ولا ان تبدل
بهن من ازواج وانت تعجب بحسنهن المسيلة الخامسة ظاهر هذا ناسخ لما كان قد اذن
له صلى الله عليه وسلم من انه اذا رابه واحدة فوقعت في قلبه موقعا كان تحرم
على الزوج ويحرم عليه طلاقها وهذه المسيلة حكيمة فتبين النبي صلى الله عليه
وسلم وسايرا الانبيا في اول النبوة تبيينة عليهم الوحي ثم يشا سترون به يترك عليهم
وهم يجتهدون مع اصحابهم لا يجتهم من ذلك ما تقي اول الامر احل الله من وقع

في قلبه تفريقا للقلب وتوسعا لصدره لئلا يكون مشغول القلب بغير الله ثم لما انقض
بالوحي وجرى على لسانه الوحي نسخ ذلك اما نقوله صلى الله عليه وسلم للجميع بين الامرين
واما لانه بدوام الامر لم يبق له ما لوقوعه امور الدنيا فلم يبق له التفات الى غير الله
فلم يبق لمحاجة ابي الاحلال لمن تزوج من وقع بصره عليها المسيلة السادسة اختلف
العلما في تخيير المتساعليه هل يشمع ام لا فقال الشافعي نعم يشمع وقد قالت عايشة رضي
الله عنها ما مات النبي صلى الله عليه وسلم الا واحل له النسا وعلى هذا قالت سمع قوله
يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الي ان قال وبنات عمك وبنات عماتك وقال امراة
موبسة على قولين بقول لا يجوز نسخ الكتاب بخبر الواحد اذ النسخ غير متواتر
ان كان خبرا ثم قال تعالى الا ما ملكت يمينك لم يحرم عليه اما ملكت يمينه لان الاباحة
لا تحصل بالملوكة وهذا لم يجز للرجل ان يجمع بين صغيرتين في بيت لحصول التسوية
بينهما او امكان المخاصمة ويجوز ان يجمع بين الزوجة وجمع من المملوكات لعدم التسوية
بينهن ومن لا قسم لهن على احد ثم قال تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا اي حافظا عالما
بكل شيء قادرا عليه لان الحفظ لا يحصل الا بهما ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا
تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولما ذكر الله تعالى في الاذ
الثالث يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الخ الاذ مع امته قال المومنين في هذا
الاذ لا تدخلوا ارشادا لهم وتاديبا لهم مع النبي صلى الله عليه وسلم من الاحترام ثم
ان الامة حالة مع النبي صلى الله عليه وسلم بين وجهين احدهما في حال الحياة والثاني
هناك عدم ازعاجه وبين ذلك بقوله لا تدخلوا بيوت النبي وتاديبهما في المحل
الواجب هناك اظهار التعظيم كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما وقوله تعالى الى طعام غير ناظرين اناه اي لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن
لكم ثم قال تعالى ولكن اذا دعيتم فادخلوا كما بين في حال النبي صلى الله عليه وسلم
انه داع الى الله تعالى بقوله وداعيا الى الله باذنه قال ها هنا لا تدخلوا بيوت النبي
الا اذا دعيتم يعني كما انكم ما هجتم الدين الا بدعايه فكذلك لا تدخلوا عليه الا
بعد دعايه وقوله غير ناظرين منصوب على الحال والعامل فيه على ما قاله الزمخشري
لا تدخلوا بيوت النبي الا باذن غير ناظرين وفي الاية مسايل المسيلة الاولى
قوله الا ان يوذن لكم فلا يكون منهيا عن الدخول في غير وقت الطعام يعني الاذن
واما ان لا يكون فيه النهي عن التقدم والتاخير فيكون منهيا عنه ولا تدخلوا الا ان يوذن
لكم الى طعام فيكون الاذن مشروطا بكونه الى الطعام فان لم يوذن الى طعام فلا يجوز
الدخول فلو اذن في الدخول لاستماع كلام لا لاكل طعام لا يجوز تنزل المراد من الثاني
ليعلم النهي عن الدخول واما قوله فلا يجوز الا بالاذن الذي الى طعام بقوله قال
الزمخشري الخطاب مع قوم كانوا ٢ الطعام ويتحلون من غير ان يعنوا من
الدخول في وقتهم بغير اذن والاولى ان يقال المراد من الثاني لا ان التقدم والتاخير
خلاف الاصل وقوله الى طعام من باب التخصيص بالذكر فلا يدل على ما عداه

لاسيما اذا علم ان غيره مثله فان جاز دخول بيته باذنه الى طعامه جاز دخوله الى غير طعامه
فان غير الطعام يمكن وجوده مع الطعام وان من الجايز ان يتألم معه وتتأبى عوده الى طعام هـ
ليس منصوصة في خواصه ويعلم ما عداه من العلوم مع زيادة الاطعام فاذا رضي بالكل
ترضاه بالبعض اقرب الى العقل فيصير من باب لا تقل لهما اف وقوله غير ناظرين اناه
بعيدا ثم اذا دعيتم فادخلوا فيه لطيفة وهي ان في العادة اذا قيل لمن يتعاطى دخول دار من
غير اذن لا تدخلها الا باذن تتأذى وينقطع بحيث لا يدخلها اصلا او لا بالدعا فقال
لا تفعلوا شيئا يفعله المستكفون بل كونوا اطايبين اذا قيل لكم لا تدخلوا فلا
تدخلوا واذا قيل لكم ادخلوا فادخلوا اناه قبل وقته وقبل استوائه وقوله
الا ان يوذن لكم بقيد الجواز وقوله ولكن اذا دعيتم فادخلوا يفيد الوجوب ولكن
اذا دعيتم ليس بأكيد اذ لم يرد فاذن خذ بدة المسئلة الثالثة لا يشترط في
الاذن التصريح به بل اذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول ولهذا قالوا ان الاذن
لكم من غير بيان تأمل فالاذن اذا كان اذن الله او النبي او العقل الموجب بالدليل جاز
والعقل دال عليه حيث قال تعالى ارصد نفسكم وحد الصراف فاذا ذكرنا ان لوحا ابو بكر
رضي الله عنه وعلم ان لا مانع في بيته عايشة من بيوت النبي صلى الله عليه وسلم من
تكشف ارحضور غير محرم محرزها اعلم حذف الدار من الاهل وهي محتاجة الى اطفا
حريق فيها او غيره ذلك جاز الدخول المسئلة الرابعة قوله قاذ اطعمتم فانتشروا
كان بعض الصحابة اطال المكث يوم وليمة النبي صلى الله عليه وسلم في عرس زينب
والنبي لم يقل له شيا فورد الآية جامعة منعا المتبع من اطالة المكث في بيوت الناس
وفي بعض البيوت وضع مباح اختاره شخص لعبادته او لاستعماله فيشغل صاحبه
احمد ويطيل المكث عنده وقوله ولا مستانسين لحديث قال الزمخشري هو معطوف على
غير ناظرين بحرور ويحتمل ان يكون منصوبا عطفا على المعنى فان معنى قوله تعالى
لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم لا تدخلوها حين فتنظروا عليه ولا
مستانسين لحديثي ثم ان الله بين كون ذلك ادبا وكون النبي صلى الله عليه وسلم
حليما بقوله ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق اشارة
الى ان ذلك حق وادب وقوله كان يوذي النبي اشارة الى تحمل النبي صلى الله عليه
وسلم ثم ذكر الله ادبا اخر وهو قوله واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء
حجاب لما منع الله الناس من دخول بيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك تعذر
الوصول الى ما عون من ان ذلك غير ممنوع منه فليسأل وليطلب من وراء حجاب وقوله
ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن يعني العين دينة القلب قاذ النوز العين لا يشتهي
القلب واما ان زنا العين فقد يشتهي بعض القلب وقد لا يشتهي والقلب عند عدم الميل
اطهر وعدم الفتنة تحتمل ظهر ثم ان الله تعالى لما علم المومنين الادب اكده بما
يعلمهم على محافظته فقال وما كان لكم ان توذوا رسول الله وكل ما منعتم عنه

توذوا فاستعار عنه وقوله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فيل سبب نزوله ان
بعض الناس قال لئن مات عمر تزوجت عايشة وتذكرنا ان اللفظ العام لا يتعين
معناه بسبب النزول فالمراد ان ايذا الرسول صلى الله عليه وسلم حرام والتعريض
لشايه في حياته ابدا فلا يجوز ثم لا يزول ذلك تحريما بزيهم اكده بقوله ان ذلكم كان
عند الله عظيما ايجاب ايذا الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ان تبدوا شيا او
تخفوه بعبارة ان كنتم لا توذونه في الحال وتعزمون على ايذايه او نكاح ازواجه
بعده فان الله كان بكل شيء عليما ثم انه تعالى لما استثنى المحارم بقوله
لا جناح عليهن في اباييهن ولا ابنايهن ولا اخوانهن ولا ابنا اخوانهن
وفي الاية مسايل المسئلة الاولى في الحجاب اوجب السؤال من وراء الحجاب على الرجال
ثم بين ان الرجال عن الحجاب لم يقبل لا جناح عليهم بقول قوله تعالى فاسئلوهن
من وراء حجاب امر بترك الستر عليهن وذلك لا يكون الا بكونهن مستورات محجوبات
فكان الحجاب واجبا عليهن ثم امر الرجال بترهن لذلك وبترهن عنهن استارهن
فاستثنى عند الاباء والابناء وبينه بطيفة وهي ان عند الحجاب امر الله الرجال بالسؤال
من وراء حجاب وبفهم كون المراة محجوبة عن الرجل بطريق الاولى وعند الاستثناء قال
تعالى لا جناح عليهن برفع الحجاب عنهن والرجال فيجب لذلك المسئلة الثانية
قدم الاباء لان اطلاعهم عليهن اتم الكن وكيف وهم قد را واجمع بدن النبات في حال
صغرهن ثم الابناء ثم الاخوة وذلك ظاهر الا الكلام في بني الاخوة حيث قدم
الله عليهم بني الاخوات لان بني الاخوات اباهم ليسوا بمحارم حالا وابناءهم وبنات
الاخوة اباؤهم محارم ابضا في بني الاخوات مفسدة ما وهو ان الابن ربما يحكي حالة
عند ابيه وليس بمحرم ولا كذلك في بني الاخوة المسئلة الثالثة لم يذكر الله
في المحارم الاعمام والاخوال بقول ولا اعمامهن ولا اخوالهن لوجهين احدهما ان ذلك
علم من بني الاخوة وبني الاخوات لان من علم ان بني الاخ لعمات محارم علم ان
بنات الاخ للاعمام محارم وكذلك الحال في امر الخال ثانيهما ان الاعمام ربما يذكرون
بنات الاخ عند بنايهم وهم غير محارم وكذلك الحال في بني الخال المسئلة الرابعة
ولا شاهد بن صفاقد اي الموسنات حتى لا يجوز الكشف للكافرات وجه المسئلة
الخامسة ولما ملكت ايمانهن من هذا بعد الكل قال قوم المستدة في الكشف لهن ظاهرة
ومن الاية من قال المراد من كان دون البلوغ ثم قوله واتقين الله عند الليله
دليل على ان التكشف لهم مشروط لهم بشرط السلامة بعدم الحذر وقوله
ان الله كان على كل شيء شهيدا في غاية الحسن في هذا الموضع وذلك لان ما سبق
اشارة الى جواز الكلوة بهم والتكشف لهم فقال ان الله كان على كل شيء شهيدا
عند اختلاط بعضهم ببعض فحلوتكم مثل سلامكم بشهادة الله فانتهوا ثم قال عز من قايل
ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
الجوهري شابه احترام كمال بيان حرمته وذلك لان حالة متحضر في اشتبث

حلا حكومة وذكر ما يدل على احترامه في تلك الحالة بقوله لا تدخلوا بيوت النبي وحالة تلي
في الملأ الاعلى واما الملأ الاعلى فاما في الملأ الاعلى في محشر فان الله وملائكته
يصلون عليه واما في الملأ الادنى فدل وجب الاحترام بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما وفي الاية مسايل المسئلة الاولى الصلاة والدعا تقال في
اللغة صلى على ابي دعا له وهذا المعنى غير معقول في حق الله تعالى فانه لا يدعو اله
فان الدعا للغير طلب نفعه من قال قال الشافعي استعمال اللفظ في معان وقد
تقدم في تفسير قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته جمع الصلاة كله وعطف
الملائكة على الله وهاهنا جمع نفسه وملائكته واسند الصلاة اليهم فقال يصلون
وفيه تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لان افراد الواحد بالذكر وعطف الغير
عليه يوجب تفضيلا للمذكور على المعطوف عليه كما ان الملك اذا اراد ان يدخل فلانا
وفلانا ايضا يقدم منه تقديم الامر لهم لو قال فلان وفلان يدخلان اذا علمت هذا
فقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم انهم يصلون اشارة الى ان في الصلاة على النبي
كالاصل وفي الصلاة على الموتى الله يرحمهم والملائكة يدعون لهم ثم في الصلاة
على النبي يصلون بالامتانة كانهما واجبة عليهم ومنه قوا صلى الله عليه وسلم
اولم يصل في الموتى بسكوته لهذه المسئلة الثانية هذا دليل على ما ذهب اليه الشافعي
لان الامر للوجوب فتجب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تجب في غير التشهد
فتجب في التشهد المسئلة الثالثة نسئل النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليه
يا رسول الله فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين
انك حميد مجيد المسئلة الرابعة اذا صلى الله وملائكته عليه فما حاجة الى صلاتنا
نقول الصلاة عليه ليس لحاجة اليها والا فكل حاجة الى صلاة الملائكة مع صلاة الله
عليه وانما هو لاظهار تعظيمه كما ان الله تعالى اوجب علينا ذكر نفسه ولا حاجة
له اليه وانما هو لاظهار تعظيمه من شفقته علينا ليثيبنا عليه ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرة المسئلة الخامسة لم يترك الله
النبي صلى الله عليه وسلم تحت مشية امته بالصلاة حتى نهوضهم منه بامره بالصلاة
على الامة حيث قال وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم وقوله وسلموا
تسليما امر يجب ولم يجب في غير الصلاة فيجب فيها وهو قولنا السلام عليك ايها
النبي في التشهد وهو محمد علي من قال بعدم وجوبه وذكر المصدر للتاكيد ليكمل
السلام عليه ولم يؤكد الصلاة بهذا التاكيد لانها كانت بقوله ان الله وملائكته
يصلون للتعلي النبي ثم قال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
فضل الانبياء ببعض اصنافها فبين خالق يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم ليبين
فضيلة المسلم عليه واللعن اشد الحذور ان لان البعد من الله تعالى لا يرجى منه
خير بخلاف التعذيب في النار وعبره الاتي اذا تعين على يملك ان كان بيديه

غير قوي يزجره ولا يطرده ولو حين الحرم انو يضرب او يطرد عند ما يكون الملك في غاية الفخامة
والكرم بخلاف القرب على الطرد لا سيما اذا لم يكن في الدنيا ملك غير سيده وتوله في الدنيا
والاخرة الثالثة البعد لا رجا للقرب معه لان البعد في الدنيا يرجو القرب في الاخرة
فاذا خاب في الاخرة فقد خاب وخسر ثم ان الله تعالى لم يحصر جزاه في الابعاد بل اردفه
ما بالعذاب بقوله واعد لهم عذابا مهينا وفي الاية تنبيه مسايل المسئلة الاولى
ذكر ايذا الله وايذا الرسول وذكر عقيبه امرين الاصل والتعقيب فالاصل جزا
ايذا الله لان من اذى احدا لملك بيعده من بابه ان كان لا يامر بعذابه والتعقيب جزا
ايذا الرسول لان الملك اذا اذى بعض عبيده كثيرا يسترني منه فقصاصه لانقا
تعالى هذا من يوذي الله ولا يوذي الرسول لا يعذب لانا نقول لو كان الاحدهما على
هذا الوجه عن الاخر محال لان من اذى الله فقد اذى الرسول واما على الوجه
الاخر وهو ان يوذي النبي صلى الله عليه وسلم ولا يوذي الله كمن عصى من غير اشراك
كمن فسق او فجر من غير ان ارتد او كفر فقد اذى النبي لا ان الله تعالى يصير مغلوبا
فيجزيه بالعذاب ولا يسلمه ولا يبعده عن الباب المسئلة الثانية اكد العذاب
بكونه مهينا لان من اذى من عنده وامر بحبسه وضربه فان امر بحبسه وضربه
في موضع بينا وامر ان يضربه رجل كبير دليل على ان الامر هين وان امر بضربه على
ملا وحبسه بين العشيرتي بيني عن شدة الامر فان اذى الله ورسوله ملعونون في الخلدين
في النار فيعذب عذابا مهينا وقوله اعدهم للتاكيد لان السيد اذا اعد عبده
حالة الغضب من غير اعداد يكون ما اعد له قيدا وغلا فان الاولى ان يقال
هذا اثر الغضب واذا سكن الغضب يزول ولا كذلك الثاني ثم قال تعالى
والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا الما قال الله حصلنا على ايذاء النبي
لم يفصل ايذاء الله تعالى عن ايذاء فقال من اذى الله فقد اذى الرسول فبين الله للمو
انكم ان اتيتم بما امرتم وصليتم على النبي كما صلينا عليه لا ينفك ايذاوكم عن ايذاء الرسو
فيا ثم من يوذيكم لان ايذاكم ايذاء الرسول كما ان ايذاي ايذاه وبالجملة ما حصلته
الصلاة من الله والملائكة والرسول المومنين صار بحيث لا يكاد لا ينفك ايذا احدهم
عن ايذاء الاخر كما يكون حال الاصدقاء الصادقين في الصداقة وقوله بغير ما اكتسبوا
احتراز عن الامر بالحق وقيل من غير عرف زايد فان من جلد مائة على سرب الخمر او حد
اربعين على لعب الزد اري بغير ما اكتسب ايضا ومن جلد على الزنا او حد على
شرب الخمر لم يوذ بغير ما اكتسب ويمكن ان يقال لم يوذ اصلا لان ذلك من اصلاح
حال المضروب وتوله فقد احتملوا بهتانا البهتان هو الزور ولا يكون الا في القول
والايذا قد يكون بغير القول لكن اذى مرتبا بالضرب واحتمال لا يكون الله
تعالى اراد اظهار شرف للوبي فاما ذكر بين اذى الله ورسوله لعن وابعده الله
ان يذكر وجود الله بعد معرفة دلايل وجوده او يشرك به من لا يبصر ولا يسمع او
من لا يقدر ولا يعلم او من هو محتاج في وجوده الى موجد وهو قول ذكر ايذا اللوبي

بالقول وعلى هذا خص الايذاء القولي بالذكر لانه اعم وانتشر وذلك لان الانسان لا يتقيد
بوذي الله مما ورد فيه من ضرب واحد مما يحتاج اليه ويوذيه بالقول ولان القتل لما
لا يمكن ايذاؤه بالفعل ويمكن ايذاؤه بالقول بان يقول فيه ما يصل اليه فيتاذى
والوجه الثاني في الجواب هو ان نقول قوله بعد ذلك واما مشيئتا كيف ما كان الايذاء
وكيف ما كان فان الله خص الايذاء القولي بالذكر لما بينا انه اعم ولانه اتم لانه يصل
الى القلب فان الكلام يجرح من القلب واللسان دليله ويدخل في القلب والا كان
سليما ثم قال عز وجل يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين
عليهن من جلابيبهن ذلك لما ذكر ان من يوذي المومنين يستحق بهتانا واثما وكان
فيه منع المكلف عن ايذاء المومن امر المومن باجتناب المواضع التي فيها التهم للمو
حيث للتمادي لئلا يحصل الايذاء الممنوع منه ولما كان الايذاء القولي يختصا بالذكر
اختصها بالذكر مما هو سبب الايذاء القولي هو الشاقة اذ ذكر من يأتي بالشر يوذي الرجال
والنساء خلافا وذكر الرجال قالوا من ذكر امراة يأتي بالشر وتاذى وتاذى اقاربها اكثر
من تاذيها ومن ذكر رجلا يأتي بالشر وتاذى وقد لا تاذى اقاربه وكان في الجاهلية
تخرج المرة والامة مكشوفات فتتعرض الزناة وتقع التهم فامر الله الحرائر بالتجليب
وقوله ذلك ادنى ان يعرفن فلا يوذين قيل يعرفن انهن حرائر فلا يتعرض ويمكن ان
نقال المراد بالمعرفة انهن لا يزنين لان من تستتر وجهها مع انها لبسة بعورة ولا
يطمع بها انها تكشف عورتها فتعرف انها مستترة ان لا يمكن طلب الزنا منهن
وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما يغفر لكم ما قد سلف برحمته ويتيسكم على ما تاتون
به واجبا عليكم ثم قال تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمر
جفون في المدينة لنغرينك بهم لما ذكر حال المشرك الذي يوذي الله ورسوله
والمهاجر الذي يوذي المومنين ذكر حال المستتر يظهر الحق ويضمر الباطل وهو الثاني
ولما كان المذكورون قبل اقواما ثلاثة نظر الى اعتبار امور ثلاثة وهي الموذون
لله والموذون للرسول والموذون للمومنين ذكر من الموذين ثلاثة نظر الى اعتبار
امور ثلاثة احدها المنافق الذي يوذي الله سرا والثاني الذي في قلبه مرض
الذي يوذي المومن باتباع نسائه والثالث المرجف الذي يوذي النبي صلى الله
عليه وسلم بالارجاف بقوله على محمد وبسيخرج من المدينة وسيوجد وهو لا
وان كانوا اقواما واحدا الان لهم ثلاث اعتبارات وهذا في مقابلة قوله تعالى
ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات حيث ذكر اصنافا عشرة وكلها ان توجد
في شخص واحد كثيرا لاعتبار وقوله لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم لنخرجنهم
من المدينة ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين حال من الضمير المستتر في يجاورونك
المراد لنغرينك بهم اذا اعترتيك لا يجاورونك فيها والاول اقول لقائل يخرج
فكان ويدخل السوق وفي الاول تقول ان لم يخرج وفي الثاني لا يدخل الا اذا خرج
والاستثناء فيه لطيفة وهي ان الله وعد النبي صلى الله عليه وسلم ان يخرج اعداءه

وينتقم منهم على يديه اظهارا لشوكته ولو انتفى لنفوذ ارادة الله من غير واسطة النبي لاخلا المدينة
عنهم في لحظة ان يكونوا فيها ولكن لما اراد الله تعالى ان يكون تعالى بيد النبي صلى الله عليه
وسلم لا يقع ذلك الا بين هاتين اللطف ثم قال تعالى ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا اي بعد اخراجهم
وتباهيرهم المخروج قال ملعونين حالا مما تقفوا اخذوا اي ذلك القدر الذي يجاورونك
ملعونين مطرودين من باب الله وبابك واذا رجوا لا يخلوف عن الذلة ولا يجدون
ملجا بل اينما يكونوا ملعونين مطرودين ويوخذون ويقتلون ثم قال
تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل يعني هذا ليس ببدعا يك بل هو سنة جارية وقاعدة
مستمرة بقتل المكذبين ولن تجد لسنة الله تبديلا اي لتبيت هذه السنة
مثل الحكم الذي يتبدل ويتسخ قال التسخ يكون في الاحكام اما الاخبار والاحتبار
لا تنسخ ثم قال تعالى يسئلك الناس عن الساعة اي عن وقت القيامة قل انما علمها
عند الله لا يتبين لكم قال الله اخفاها الحكمة وهي استئثار المكلف عن الاحتراز حوفهم
منها في كل وقت ثم قال تعالى وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا اشارة الى التخويف
وذلك لان قول القائل الله يعلم متى يكون الامر القلاني يبني عن بطال الخير الاتري
ان من يطالب مدينونا يجفه فان استمهله شهرا او شهرين ما يصبر ذلك وان قال
له اصبر الي ان يقدم فلان من سفره يقول الله يعلم متى يجي فلان ويمكن ان يكون
يجي قبل ان تنقضي تلك المدة فقالها هنا وما يدريك لعل الساعة تكون
قريبا يعني هي في علم الله ولا يستطيعه فزعا يقع عن قريب والقريب قصير يستوي
فيه المذكر والمونث قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين فلهذا المر يقبل وما
يدريك لعل الساعة تكون قريبة ثم قال تعالى ان الله لعن الكافرين يعني كما انهم
ملعونون في الدنيا عندكم فكذلك هم ملعونون عند الله واعد لهم سعيرا كما قال
تعالى لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا خالدين فيها ابدا لا يظفرون
المكث فيها مستمرين لا امد لخروجهم وقوله لا يجدون وليا ولا نصيرا لما ذكر خلودهم
بين تخويفه وذلك لان المعذب لا يخلصه من العذاب الا صديق يشفع له او ناصر
يدفع عنه ولا يلحقهم شفيع ولا نصير يدفع ثم قال تعالى يوم تقلب وجوههم في النار
لما بين انه لا شفيع لهم يدفع عنهم العذاب بين ان بعض اعضائهم ايضا لا تدفع العذاب
عن بعض بخلاف عذاب الدنيا فان الانسان يدفع عن وجهه الضربة اتفانيده
فان من يصيبه راسه ووجهه يجعل يده حتة او بطاطا راسه الا يصيب وجهه وفي
الاخرة تقلب وجوههم في النار فما ظنك بسائر اعضائهم التي تجعل جنة للوجه ووقاية
له يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول يتحسرون ويندمون حيث لا ينفعهم
الندامة والحسرة لحصول علمهم بان الخلاص لا يطمع ثم يقولون انا اطعنا سادتنا
وكبرانا يعني بترك طاعة الله اطعنا السادة وبترك طاعة الرسول اطعنا
الكبرا وتركنا طاعة سيد السادات واكبر الاكابر فوذلنا الخير بالشر لا جرم
فاتنا خير الجنان واوتينا شر النيران ثم انهم يطلبون بعض التشفي بتعذيب

المصلين ويقولون ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا معنى لطيف وهو ان الدعا
لا يكون الا عند عدم حصول الامر المدعو به والعذاب كان حاصلا لهم فالمعنى كذلك
وطلبوا ما ليس بحاصل وهو زيادة العذاب بقولهم ضعفين وزيادة اللعن بقولهم لعنا
كثيرا ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى لما بين الله تعالى
ان من يؤذي الله ورسوله يعذب وكان ذلك اشارة الى ايذاء اليهم ثم ارشد المؤمنين الى
الامتناع من ايذاء من يرد دته وهو لا يوجب الكفر وذلك مثل من لم يرض بقسم النبي
صلى الله عليه وسلم وحكمه بالسوية بين سعيد وغيره ذلك فقال بعضهم هو ايذاء م
اياه بنسبته الى العيب في دينه وقال بعضهم قارون قد رفع امراة حتى تقول عند
بني اسرائيل ان موسى زنا بي فلما جمع قارون القوم والمراة حاضرة اتى الله في
قلبها انها صدقت ولم تقل ما قلت وفي الجملة الايذا المذكور في القران كاف
وهو اعم قالوا له اذهب انت وربك فقاتلا وقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
وقولهم لن نصبر على طعام واحد اي غيره لك فقال للمؤمنين لا تكونوا مثالهم
اذ اطلبكم الرسول لمهم لا تقولوا اذهب انت وربك فقاتلا ولا تسالوا ما لم
يبد لكم فيه واذا امركم الرسول ببيعة فاتوا به ما استطعتم وقوله فبراه الله
مما قالوا على الاول ظاهر لانه ابرز جسمه لقومه فراوه وعلموا انتفاءه ثم تكلمت
المراة بالحق وامر ملايكته حتى عبروا بها رؤس على قلوبهم فراوه غير مجروح فعلموا براءة
موسى عليه السلام عن قتله الذي برءوه به وعلى ما ذكرنا فبراه الله مما قالوا
اي اجرجه عن عهدة ما طلبوا باعطاء البعض باسمهم واظهاره لعدم جواز البعض بالجملة
فطع الله حجتهم ثم ضرب عليهم الذلة والمسكنة وغضب عليهم وقوله وكان عند الله
وجيها اي ذا وجاهة ومعرفة والوجيه هو الرجل الذي يكون له وجه اي يكون
معروفا بالخير وهو واحد وان كان عند الله معروفا لكن المعرفة المجردة لا تكفي
في الوجاهة فان من عرف غيره لكونه خادما له او اجيرا عنده لا يقال له وجيه
عند قوم لان داعي الوجيه ان يكون فيه خصال حميدة يجعل بها شانه ان يعرف
ولا ينكر وكان كذلك ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي ارشدهم الى ما
ينبغي ان يصدر منهم من الافعال والاقوال والخير فالحق من اتى بالخير وترك الشر
فقد اتقى الله ثم قال لمن قال لعبد قال قولوا قولا لا سديدا اي عدلا على الامرين يامرين
على الخير ان باصلاح الاعمال فان بتقوى الله يصلح العمل والعمل الصالح يرفع ويبقى
فيبقى فاعله فالدائم في الجنة وعلى القول السديد يغفر الذنوب ثم قال تعالى
ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما فطاعة الله هي طاعة الرسول ولكن جمع
بينهما لبيان شرف المطيع فانه يفعله لواحد اتخذ عند الله عهدا وعند الرسول
يراد قوله فقد فاز فوزا عظيما حصله عظيما من وجهين احدهما النجاة من عذاب عظيم
والنجاة من العذاب حين ما اراد ان يضرب غيره سوطا ثم نجا منه لا يقال لفوات
فوزا عظيما لان العذاب الذي نجا منه لو وقع ما كان يتفاوت الامر فيه نقول نا

كثيرا والثاني انه وصل الى ثواب كثير وهو الثواب الدايم الابدي ثم قال تعالى انا
عرضنا الامانة على السموات والارض لما ارشد الله المؤمنين الى مكارم الاخلاق وادب
النبي صلى الله عليه وسلم باحسن الادب بين ان التكليف الذي وجهه الله الى الانسان امر
عظيم فقال انا عرضنا الامانة اي التكليف وهو الامر بخلاف ما في الطبيعة واعلم ان
هذا النوع من التكليف ليس في السموات ولا في الارض لان الارض والجبل والسماء لها اطاعت
على ما خلقت عليه لا يطلب منها الصعود ولا من السما الهبوط
ولا في الملايكة لان الملايكة اذا كانوا مامورين منتهين عن شيا لكن ذلك لهم كالاكل
والشرب لنا فيستحبون الميل والتمام لا يتركون كما يستعمل الانسان يامر ولا تطيعه
وفي الاية مسايل المسئلة الاولى في الامانة وجوه كثيرة منهم من قال هو التكليف وسمي
امانة لان من تقوى به تغلبه الكرامة ومن وفر قلبه الكرامة ومنهم من قال هو قول
لا اله الا الله وحده لا شريك له لا اله الا هو وهو بعيد قال السموات والارض والجبال
بالستهما ناطقة بان الله واحد لا اله غيره ومنهم من قال هو الاعضا فالعين امانة
ينبغي ان يحفظها والاذن كذلك واليد كذلك والرجل كذلك واللسان ومنهم من قال
معرفة الله عما يليها والله اعلم المسئلة الثانية في العرض وجوه منهم من قال المراد
العرض ومنهم من قال التخيير ومنهم من قال المقابلة وهي الدين اي قابلنا الامانة مع
السموات عرضت الامانة وهي الدين المسئلة الثالثة في السموات اعتبار تقديره انا
عرضنا الامانة على اهل السموات والارض المسئلة الرابعة قوله فابين ان يحملنها
لكن اباهن كما ابليس بقوله تعالى فابى ان يكون مع الساجدين من وجهين احدهما
ان هناك السجود كان فرضا وهاهنا الامانة كانت عرضا وثانيهما ان الاباء هناك
كان استكبارا وكان هاهنا استصغارا استصغرن انفسهن بدليل قوله واشفقن
منها المسئلة الخامسة مناسب الاشفاق بقوله الامانة لا تقبل لوجوه احدها
ان يكون عزيزا صعب الحفظ كالاواني من الجواهر التي تكون عزيزة سريعة الانكسار
فان العاقل يمتنع عن قبولها ولو كانت من الذهب والفضة لقبلها ولو كانت من
الزجاج لقبلها في الاول لاسباب ذكرناها وفي الثاني لكونها عزيزة الوجود
والتكليف كذلك والثاني ان يكون الوقت زمان هيب وغارة فلا يقبل العاقل في
ذلك الوقت الرواتب والاسرى كذلك لان الشيطان وجنوده كانوا في قصة
المكلفين اذ العرض كان بعد خروج ادم من الجنة الثالث مراعاة الامانة والاتيان
بما يجب كاصلاح الحيوانات التي تحتاج الى العلف والسقي وموضع محترص يكون
من سيمها فان العاقل يمتنع من قبولها لخلاف ضياع بوضع في صندوق او في زاوية
والتكليف كذلك فانه يحتاج الى مونة وهذه المسئلة السادسة كيف حملها
الانسان ولم يحملها هذه الاشيا فيه جوابان احدهما بسبب جهله بما فيها وعلمن
وليتنا قال تعالى بانه كان ظلوما جهولا الثاني ان الاشيا نظرت الى انفسهن فرا
منتفعن عن هذه الامانة والانسان نظر الى جانب المكلف وقال الموضع قابل نعرض

الامانة الالهي اهلها واذا اودع لايتركها بل يحفظها بقوته وعينه تفتلها وقال اياك تعبد واياك نستعين المسئلة السابعة قوله تعالى انه كان ظلوما جهولا فيه وجوه احدها المراد منه ادم ظلم نفسه بالمخالفة ولم يعلم ما يعاقب عليه من الاخراج من الجنة وثانيها المراد الانسان يظلم بالمعصيات ويجهل ما عليه من العقاب وثالثها انه كان ظلوما جهولا اي كان شانه الظلم والجهل يقال فرس شموص وناقة جموح والمراد ما ذكرنا ان شانه ذلك ثم ذلك الانسان تارة من شانه الظلم والجهل كما قال تعالى في حق آدم وعلم آدم الاسماء كلها وقال في حق الموسنين عامة والراسخون في العلم يقولون امنا به وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ورابعها انه كان ظلوما جهولا في ظن الملائكة حيث قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وبين علمه عند هم حيث قال تعالى انبيوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وفي تفسير الآية ان المخلوق على نسبتين مدرك وغير مدرك والمدرك منه ما يدرك الكلي والجزئي مثل الادمي ومنه من يدرك الجزئي كالبهايم تدرك الشعير الذي تاكله ولا تتفكر في عواقب الامور ولا تنتظر في الدليل والبرهين ومنهم من يدرك الكليات ولا يدرك الجزئي كالملك يدرك الكليات ولا يدرك لذة الجماع والاكل قالوا والى هذا اشار الله تعالى بقوله ثم عرضهم على الملائكة فقال انبيوني باسماء هؤلاء عرفوا بعدم علمهم بتلك الجزئيات والتكليف لم يكن الا على مدرك الامرين وله لذات فامر حرثة فتح منها التحصيل لذات حقيقية هي مثل لذة الملائكة بعبادة الله ومعرفته واما غيره فان كان مكلفا لا بمعنى الامر بما يفيد عليهم كلفة ومشقة بل بمعنى الخطاب فان الخاطب يسمى مكلفا لما ان المكلف مخاطب فيسمى المخاطب مكلفا وفي الآية لطايف الاولى الامانة كانت عرضها على آدم فقبلها كان امينا عليها فان القول قول الامين فيما يرجع الى ايصاله والاحتراز عن الامين ليس بمعتمد لذا وارث المودع لا يكون القول قوله فلم يكن لديه من تجديد عهد ولا ايمان فالمومن اتخذ عند الله عهدا فصار اميتا من الله القول قوله فكان له مكان لادم من الغفران والتوبة الله على المومنين والموبات اي كما تاب على آدم في قوله فتاب عليه والكافر صار اخذ الامانة من المومن ينبغي ان ضمانه ثم ان المومن اذا اصاب الامانة في يده شيء بقضاء الله وقدره وقدر من غير تقصير منه والامين لا يضمن فاذا تاب الكافر لكن بتقصير الطيفة الثانية حمل الاشياء الثلاثة ما ذكرناها اشد الامور واحملها للانسان اما السموات فلقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ثم ان هذه الاشياء لما كانت هذه صلابته عرض الله الامانة عليها واكيف على بشدتهن وقوتهن فاستفهمن وان كن اقوى الا ان امانة الله فوق قوتهن وحملها الانسان مع ضعفه الذي بمقالة تعالى فيه وخلق الانسان ضعيفا ولكن وعده بالاعانة على حفظ الامانة بقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه فان قيل قال الذي بعنده الله كيف يعذب الكافر بقوله قال الله انا اغني من يستفين ويتوكل والكافر لم

يرجع الى الله فتركه مع نفسه فنقول في عهدة الامانة اللطيفة الثالثة قوله فابين ان يحملنها وقوله وحملها الانسان اشارة الى ان فيه مشقة بخلاف ما لو ابين ان يقبلنها وقبلها الانسان ومن قال للغير افعل هذا الفعل فان لم يكن في الفعل تعب يقابل باجرة فان فعله لا يستحق اجرة فقال تعالى بحمد وحملها اشارة الى انه لا يستحق الاجر عليها اي على مجرد حمل الامانة واما على حفظها حق الرعاية فيستحق الزيادة فان قيل فالكل حملوها غاية ما في الباب ان الكافر لم يأت بشيء اجيب بان على الحمل فينبغي ان يستحق الاجر على الحمل فنقول العقل اذا كان على وفق الاذن من المالك الامر يستحق الفاعل الاجرة الا ترى انه لو قال احمل هذه الصيغة التي على الشمال فحملها فنقلها الى الصنعة التي على الجنوب لا يستحق الاجرة ويلزمه رد ها الى الموضع الذي كانت فيه كذلك الكافر حملها على غير الاذن فغرم وزالت حسناته التي حملها اليها ثم قال تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات اي حملها الانسان ليقع تعذيب المنافق والمشرك فان قال المقابل لم قدم التعذيب على التوبة نقول لما سمى التكليف امانة والامانة من حكمها اللازم ان الخائن يضمن وليس من حكمها اللازم ان الامين الباذل نفسه ليستفيد اجره فكان التعذيب على الخيانة قالا لازم والاجر لحفظ احسان والعدل قبل الاحسان وفيه مسئلتان المسئلة الاولى عطف المشرك على المنافق ولم يجز اسمه تعالى فلم يقل ويعذب الله المنافقين والمشركين وعند التوبة اعاد اسمه وقال ويتوب الله ويحقق هذا قراءة من قرا ويتوب الله بالرفع المسئلة الثانية ذكر الله في الانسان وصفين الظلوم والجهول وذكر من اوصافه وصفين فقال وكان الله غفورا رحيما على الجهول وذلك لان الله تعالى وعد عباده بان يغفر الظلم جميعا الا الظلم العظيم الذي هو الشرك كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم واما الوعد فقوله تعالى جلت الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واما الرحمة على الجهل فلان الجهل محل الرحمة ولذلك يعتذر المسيء بقوله ما علمت وها هنا لطيفة وهي ان الله تعالى اعلم عبده بانه غفور رحيم وبصره بنفسه فراه ظلوما جهولا ثم عرض عليه الامانة فتلقاها بحلمه وجهله لعلمه فيما يجري بينهما من الغفران والرحمة

ايي كان شانه الظلم والجهل

سورة سبا مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المفتتحة بالحمد من سور سورتان سبا في الفضل الاول وهما الانعام والكهف وسورتان في الاخير وهما هذه السورة وسورة الملائكة والخامسة هي فاتحة الكتاب تقارع النصف الاول ومع النصف الاخير والحكمة فيها ان نعم الله مع كثرتها وعدم قدرتنا على احصايها محصورة في تسعين نعمة الايجاد ونعمة الابقاء فان الله خلقنا اولا برحمته وخلق لنا ما نقوم به وبذره النعمة نرجو مرة اخرى ويخلق لنا ما يدوم لنا حالتان الابداء والاعادة وفي كل حالة له تعالى نعمة اي نعمة الابقاء فلذلك في النصف الاول الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل

الظلمات والنور اشارة الى التذكير بنعمة الايجاد ويدل عليه قوله تعالى فيه هو الذي خلقكم فطريق اشارة الى الايجاد الاول وقال في السورة الثانية وهي الكهف الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا فيها لبيذر رياسا شديدا صاحبها اشارة الى التذكير بنعمة الابقاء فان الشرايع هي البقاء ولولا الشرايع التي تبقى لها الحياة لا تتبع كل احد هواه ولو تبعت الشارعات في المشاهات وادت الى التقاتل والتغالي ثم قال في هذه السورة الحمد لله الذي له اشارة الى نعمة الابقاء ويدل عليه قوله جاعل الملايكة رسلا اولي اجنحة فجعلهم لا يكونون رسلا الا بريسلهم الله يوم القيامة مسلمين على المسلمين كما قال تعالى وتسلم عليهم الملايكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال تعالى خاتمة الكتاب لما اشتملت على ذكر النعيم فقوله تعالى الحمد لله رب العالمين اشارة الى النعمة العاجلة وقوله مالك يوم الدين اشارة الى النعمة الاجلة فرتب في الافتتاح وفي الاختتام وفي التفسير مسايل المسيلة الاولى الحمد لله شكر والشكر على النعمة والله تعالى جعل ما في السموات والارض لنفسه بقوله له ما في السموات وله ما في الارض وبين انه لنا حتى يجب الشكر بقوله وان لكم في بعيني وبيان الحمد اعم بحسن فيه صفات جميلة وان لم ينعم على الحامد اصلا فان الانسان يحسن منه ان يقول في عالم لم يخترع به اصلا انه عالم عامل بارع كامل فيقال له انه بحمد فلانا ولا يقال انه شكره الا اذا ذكر نعمة او ذكره على نعمة والله تعالى محمود في الازل لانه صافه بأوصاف الكمال ونعوت الجلال وشكور لا يزال على ما ابدى من الكرم واسدى من النعم فلا يلزم ذكر النعمة للحمد بل كيفما ذكر العظمة وفي كونه مالك السموات والارض اذا كان لله وكل منتفعون به لامور يوجب ذلك شكرا لا يوجب كون ذلك لنا المسيلة الثانية قد ذكرنا ان الحمد ها هنا اشارة الى النعمة التي في الاخرة فما ذا ذكر الله السموات والارض فنعم الاخرة غير مرئية فذكر الله النعم الغير المرئية وهي التي في السموات وما في الارض ثم قال وله الحمد في الاخرة لتفاوت نعم الاخرة تنعم الدنيا وعلم نفسها بادنى العاجلة فلهذا قال وهو الحكيم الخبير اشارة الى ان خلق هذه الاشياء والحكمة صفة ثابتة لله لا يمكن زوالها فيمكن منه ايجاد امثال هذه مرة اخرى في الاخرة المسيلة الثالثة الحكمة تجلي لعلم الذي يصل به الفعل قادر من يعلم امرا ولا يأتي بما يناسب له علما لا يقال له حكيم فالفاعل الذي نعلمه على وفق علمه هو الحكيم والخبير هو الذي يعلم عواقب الامور وبواطنها يقوله حكيم اي في الابتداء يخلق كما ينبغي وخبير اي بالانتهاء بعلم ما ذا يصير من المخلوق وما لا يصدر والجماد ذا يكون كل احد منهم حكيم في الابتداء خبير في الانتهاء ثم بين الله تعالى كمال خبره بقوله يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ما يلج في الارض من الحبة والانوات ويخرج منها من المسايل والاحيا وينزل من السماء من انواع رحمته منها الطر ومنها الملايكة ومنها القران وما يعرج فيها من الكلام الطيب كقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب ومنها الارواح ومنها الاعمال الصالحة من قوله والعمل الصالح يرفعه وقد مر مسايل المسيلة الاولى فقد ما

ما يلج في الارض على ما ينزل من السماء لان الحبة تبذر اولا ثم تسقى ثانيا المسيلة الثانية قالوا ما يعرج فيها ولم يقل ولم يعرج اليها اشارة الى قبول الاعمال الصالحة وتزينة النفوس الزكية وهذا لان الملة الى الملايمة قلوا قالوا وما يعرج اليها لعلم الرقوق عند السماء فقال وما يعرج فيها ليعلم تقوم ما بينها وصعودها منها فلهذا قال في الكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لان الله هو المنتهى بعد لا مرتبة فوق الوصول اليه واما السماء في دنيا وفوقها المنتهى المسيلة الثالثة قال وهو الرحيم الغفور رحيم بانزال الحيث ينزل الرزق من السماء غفور عند ما يعرج اليه الارواح والاعمال فرحم اولا بانزال وغفر ثانيا عند العروج ثم بين ان هذه النعمة التي بستغفر الله بها الحمد ونعمة الاخرة انكرها قوم وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة ثم رد عليهم وقال قل بلى وربي لتاتينكم عالم الغيب احترز باتيانها واكده باليمين قال الزمخشري رحمه الله لو قال قل بلى كيف يصح التاكيد باليمين مع انهم يقولون لا ربا وان كانوا ينقولون به لكن المسيلة الاصولية لا تثبت باليمين واجاب عنه بانه لم يقتصر على اليمين بل ذكر الدليل وهو قوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات وبيان كونه دليلا هو ان المستحق قد يبقى في الدنيا مسرة مزينة في الدرجات العاجلة ويموت عليها والمحسن قد يدوم في الدنيا في الالام الشديدة مدة ويموت فيها فلو لا دار يكون الاخيرة فيها كان الامر على خلاف الحكمة والذي اقوله انا مر ان الدليل المذكور في قوله عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة اظهر وذلك لانه اذا كان عالما بجميع المسايل يعلم اجزا الاحيا ويقدر على جمعها فالساعة ممكنة القيام وقد اخبر عنه الصادق فتكون واقعة وعلى هذا فقوله تعالى في السموات ولا في الارض فيه لطيفة وهي ان الانسان له جسم وروح والاجسام اجزاؤها في الارض والارواح في السما فقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات اشارة الى علمه بالارواح وقوله ولا في الارض اشارة الى علمه بالاجسام فاذا علم الارواح والاشباح وقدر على جمعها لا يبقى استبعاد في المعاد وقوله ولا اصغر من ذلك اشارة الى ان ذكر مثقال الذرة ليس للتحديد بل الاصغر منه لا يعزب وعلى هذا فلو قال قايل قاية حاجة الى ذكر الاكبر فان من علم الاصغر لا بد من ان يعلم الاكبر قلنا من علم الاصغر من الذرة لا بد من ان يعلم الاكبر فنقول لما كان الله تعالى اراد بيان الامور بهذا الكتاب فلو اقتصر على الاصغر لتوهم انه لتفاوت الصغاير لكونها محل البيان اما الاكبر فلا يبقى فلا حاجة الى اتيانه فقال الاتيان في الكتاب ليس كذلك فان الاكبر ايضا فيه مكتوب ثم ما بين تعالى بالصغاير والكباير وذكر ان جميع ذلك واتيانه لاجزاء فقال ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ذكر فيهم امرين الايمان والعمل الصالح وذكر لهم امرين المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة جزاء الايمان فكل مؤمن تغفر له وبرهانه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقوله صلى الله عليه وسلم فيما اخبر تاج الدين عيسى بن احمد بن الحاكم السري قال والدي عن جدي عن يحيى السمسة

عن عبد الواحد المليجي عن احمد بن عبد الله التيمي عن محمد بن يوسف العروي عن محمد بن اسماعيل
البخاري يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من ايمان والرزق الكريم
على العمل الصالح ومناسب فان من عمل لسيد كريم عملا فعند فراغه من العمل لا بد ان
ينعم عليه انعاما ويطعمه طعاما ووصف الرزق بالكرم قد ذكرنا انه يجيء ذا كرم او كرم
او لانه يأتي من غير طلب بخلاف رزق الدنيا فانه يطلب في الغالب بمشاق مسايل المشقة
الاولى قوله اوليدخلنهم مقعدا ورزقا كريما يجعل احدهما الذي يكون ذلك لهم
والاخر قوله اوليدخلنهم مقعدا ورزقا كريما جملة تامة اسمية وقوله ليجزي جملة فعلية
مستقبلة وهذا ابلغ من البشارة من قول القائل ليجزي الذين امنوا رزقا للمستقبلة
الثانية اللام في ليجزي للتعليل معناه الاخبار فان قائلا قال ما وجه المناسبة
فنقول الله تعالى اراد ان لا ينقطع ثوابه فجعل المحل دارا بانية ليكون ثوابه دائما
واصلا اليه دائما ابدا وجعل فيها دار اينها الاسلام والاستقام وفيها الموت ليعلم المكلف
مقدار ما يكون فيه في الاخرة اذا شبه الجنة بالدنيا واذا نظر اليه في نفسه للمسئلة
الثالثة وصف الرزق بالكرم بقوله كريم ولم يصف المقعد لان المقعد واحد
وهي للمؤمنين والرزق فيه شجرة الزقوم والجحيم وسقاه الغواكه والشراب الطهور
فميز الرزق لحصول الانقسام فيه ولم يميز المقعد لعدم الانقسام فيها ثم قال
تعالى والذين يسعون في اياتنا معجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم لما بين
حال المؤمن في يوم القيامة بين حال الكافرين وقوله والذين يسعون في اياتنا
معجزين اي بالابطال يكون معناه الذين كذبوا اياتنا وجعلوها بحيث يكون فيها
في مقابلة ما تقدم لان قوله تعالى اولئك امعناه صدقوا وهذا معناه كذبوا فان
قيل بين ان عدم كون سعيهم في الابطال مع ان المذكور مطلق السعي في التفريع
او التبليغ لا يكون الساعي معجزا لان القرآن واياته الله معجزة في نفسها لا حاجة
لها الى احد واما الكذب فهو ان تحقق اياته بيانا تحتاج الى السعي العظيم والجد
البليغ ليروج كذبه لعله يعجز المتمسك به وقيل ياتي المراد بقوله معجزين اي
ظانون انهم يعجزون الله وعلى هذا يكون كون الساعي ساعيا في الباطل في غاية
الظهور لهم عذاب في مقابلة لهم رزق وفي الاية لطايف الاولى قال هاهنا لهم
عذاب ولم يقل يجزيهم الله وقد تقدم القول فيه ان قوله تعالى ليجزي الذين
اسوا يحتمل ان يكون الله يجزيهم بشيا اخر او ليبدلهم مقعدة اخبار عن مستحقهم
المعد لهم وعلى الجملة فاحتمال الزيادة هناك قايم نظرا الى قوله ليجزي وههنا
لم يقل ليجازيهم فلم يوجد ذلك الثانية زادهم مقعدة هناك ثم قال ورزقا كريما
ولم يقل له عن التبعيض فلم يقل لهم نصيب من رزق ولا رزق من جنس كريم وقال
هاهنا لهم عذاب من رجز اليم بلفظة صالحة للتبعيض كل ذلك اشارة الى الرحمة
وقلة العقوبة لسبقة البناء فيقل الرجز اسوا العذاب وعلى هذا من اتيان
الجنس كقول القايل حاتم من قصدني الايلم فزاد ان الجود الرفيع قال الرفيع على انه

وصف للرجز والرفيع اقرب نظرا الى المعنى والجود نظرا الى اللفظ فان قيل فلم ينتصر الانشا
في المؤمن الصالح عمله والمكذب الساعي المعجز يجوز ان يكون احدهم ما ليس له عمل صالح
او كافر يتوقف فنقول اذا علم حال الفريقين المذكورين بعلام ان المؤمن قريب الدرجة
ممن تقدم امره والكافر قريب الدركة ممن سبق ذكره والمؤمن مغفرة ورزق كريم
وان لم يكن في الكرامة مثل رتبة الذي عمل صالحا والكافر العذاب عذاب
وان يكون مما شوا الانواع التي للمكذبين المعاندين فرع قال تعالى ويرى الذين اوتوا
العلم الاية بين حالين بسبب التكذيب في الاخرة تبين حاله في الدنيا ومن ان سعيه باطل
فان شيأ في علما لا يغير بتكذيبه ويعلم ان ما انزل على محمد حق وصدق وقوله
هو الحق يفيد الحصر اي ليس الحق الا ذلك واما قول المكذب فباطل بخلاف ما اذا تنازع ٤
خصمان في التراع لقضي فيكون قول كل واحد حقا في الجملة وقوله ويهدي الى صراط
العزيز الحميد يحتمل ان يكون بيانا لكونه هو الحق فانه هاد الى هذا الصراط وقوله
يصد عنه تمويه باطل ويحتمل ان يكون لقايلة اخرى وهي انه مع كونه حقا هاد
والحق واجب القبول فكيف اذا كان فيه فايدة في الاستقبال وهي الوصول الى الله
وقوله العزيز الحميد يصد عنه رهبة فانه اذا كان عزيزا يكون ذا انتقام ينتقم
من الذي يسعى في التكذيب واذا كان حميدا سكن شعي من شعى من يصدق صالحا
فان قيل كيف قدم الصفة التي للمهيبة على الصفة التي للرحمة مع انه ابدا يسعى
في بيان تقديم جانب الرحمة نقول كونه عزيزا تمام المهيبة شديدا الانتقام يقوي
جانب الرهبة لان جانب الخيفة رضي الجبار والعزيز العزو الكرم من دينهن لا يكون
كذلك فالعزة قيما يجاف برجي ايضا وكما يرغب عن التكذيب يرغب في التصديق
لتحصيل القرب من العزيز ثم قال تعالى وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم
اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد الترتيب ظاهر ان الله تعالى بين ما بين اعتم انكروا الساعة ورد عليهم بقوله قل بلى
وربي لتأتينكم وبين ما يكون بعد اتيانها من جزا المؤمن على عمله الصالح وجزا الساعي
في التكذيب الاتيان بالتكذيب على الاتيان بين حال المؤمن والكافر بعد قوله
صلى الله عليه وسلم بلى وربي لتأتينكم فقال المؤمن الذي انزل البلاغ الحق وهو
يهدي وقال الكافر الذي تقول باطل ومن اعتقاده عادة اعتقادهم في ابطال ذلك
قالوا على سبيل التعجب هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق
جديد هذا كقول القايل في الاستبعاد حيا رجل يقول ان الشمس تطلع من المغرب
والى غير ذلك من المحالات ثم قال تعالى بعد هذا افترى على الله كذبا هذا يحتمل وجهين
احدهما ان يكون تمام قول الذين كفروا ولا اعتبار بمن تكلام من قال هل ندلكم ويحتمل
ان يكون من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم كان السامع لما سمع قول القايل
هل ندلكم على رجل قال له هو يفتري على الله كذبا ان كان لقصد خلابة او به جنون
مجنون ان كان لا يعتقد خلابة وفي هذه الطبقة وهي ان الكافر لا يرضى بان يظهر كذبه
وهذا اقسم ولم يجزم بانه مفتر بل قال مفتر على او مجنون احترازا عن ان يقول قايل

كيف تقول بانه مفتر مع انه جاز ان يظن ان الحق ذلك وذلك الصدق يمنع تسمية القايل
مفتريا وكاذبا في بعض المواضع الا ترى ان من يقول جا زيد فان تبين انه لم يجي وقيل
له لم كذبت يقول ما كذبت وانما سمعت من فلان انه جا فظننت انه صادق فيدفع
الكذب عن نفسه بالظن فهم احترزوا عن تبين كذبهم فكل عاقل ينبغي ان يحترز عن
ظهور كذبه عند الناس ولا يكون العاقل ادنى درجة من الكافر ثم انه تعالى اجابهم
مرة اخرى وقال بل الذين لا يومنون بالاخرة في العذاب في مقابلة قولهم افترى
على الله كذبا وقوله والضلال البعيد في مقابلة قولهم به جنة وكلاهما مناسب
اما العذاب نسبة الكذب الى الصادق مود لانه شهادة عليه بانه يستحق العذاب
فجعل العذاب عليهم حتى سوا العذاب وسببه اما الافترا واما الجنون فلان نسبة
الجنون الى العاقل دونه في الايذا لانه لا يشهد عليه بانه يعذب وليس بنسبة الى
عدم الهداية فبين انهم الضالون ثم وصف ضلالهم بالتعذيب لان من سمي المهتدي
ضالا لا يكون اضل والنبي صلى الله عليه وسلم هاد كل مهتد ثم قال تعالى افلم يروا
الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السما والارض لما ذكر الدليل بكونه عالم الغيب
وكونه على السيات والحسنات ذكر دليلا اخر وذكر تهديدا اما الدليل فقوله
السما والارض فانهما يدلان على الوحدانية كما بينا مرارا كما قال تعالى ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله ويدلان على الحشر لانهما يدلان على كمال
قدرته والاعادة وقد ذكرناه مرارا وقال تعالى اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم واما التهديد فبقوله ان نشا نخسف بهم الارض
نجعل عين ما معهم ضارهم بالخسف والكسف ثم قال تعالى ان في ذلك لاية لكل عبد
منيب الى كل ما يرجع الى الله بترك الغضب ثم ان الله لما ذكر من ينيب من عباده
ذكر منهم من اناب واصاب ومن جملتهم داود كما قال تعالى عنه فاستغفر ربه وخر
راكعا واناب فبين ما اتاه الله على انابته فقال ولقد اتينا داود منا فضلا
يا جبال وفي الاية مسايل المسيلة الاولى قوله تعالى منا اشارة الى بيان فضيلة
داود عليه السلام وتقريره هو ان قوله ولقد اتينا داود منا فضلا مستقل
بالفهم وتام كما يقول القايل الى الملك زيدا خلعة فاذا قال القايل اتاه منه
خلعة يفيد انه كان من خاص ما يكون له فلذلك اتاه الله الفضل عام لكن النبوة
من عنده خاص بالبعض ومثل هذا قوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
فان رحمة الله واسعة تصل الى كل احد في الدنيا لكن رحمته في الاخرة على المومنين
رحمة من عنده لخواصه فقال يبشرهم ربهم برحمة منه المسيلة الثانية في قوله
يا جبال اوبي معه قال الزمخشري يا جبال بدل من قوله فضلا معناه اتينا فضلا
قولنا يا جبال او من اتيناه معناه اتينا قلنا يا جبال المسيلة الثالثة قرى
اوبي بتشديد الواو من التاويب ومن بسكونها وضم الهمزة اولى من الاوب
وهو الرجوع والاول الترجيع وقيل ان معناه سيري معه وفي قوله يسبحن

قيل هي من السباحة وهي الحركة المخصوصة المسيلة الرابعة قرى والطير حملا على محل المنادى
والطير بالرفع حملا على لفظه المسيلة الخامسة لم يكن الموافقين له في التاويب منحصرا
في الجبال والطير ولكن ذكر الجبال للجمود والطيور للنفور يستبعد منها الموافقة فاذا
وافقته هذه الاشيا فغيرها اولى ثم ان من الناس من لم يوافقهم وهم القاسية قلوبهم
التي هي اشد قسوة المسيلة السادسة قوله والنا له الحديد معطوف والمعطوف عليه
يحتمل ان يكون قلنا المقدر في قوله يا جبال تقديره قلنا يا جبال اوبي والنا ويحتمل
ان يكون عطفا على اتينا تقديره فضلا والنا له المسيلة السابعة الان الله له
الحديد حتى كان في يده كالشمع وهو في قدرة الله يسير فكانه يلين النار ويحل
حتى يصير كالمداد الذي يكتب به فاي عاقل يستبعد ذلك من قدرة الله قيل
بانه طلب من الله ان يغنيه عن اكل مال بيت المال فالان له الحديد وعلمه صنعة
اللبوس وهو الدرع وانما اختار الله ذلك لانه وقاية للروح التي هي من امره وينبغي
في حفظ الادمي المكرم عند الله تعالى من القتل فالزاد خير من القواس والسياف
وغيرهما ثم قال تعالى ان اعمل سابغات ويمكن ان يقال الهمناه ان اعمل وان مع
الفعل المستقبل للمصدر فيكون معناه النا له الحديد والهمناه عمل سابغات وهي
الدروع الواسعة ذكر الصفة ويعلم منه الموصوف وقدر في السرد قال المفسرون
اي لا تغلظ المسامير فتعور الثقب ولا توسع الثقب فتقلقل المسامير فيها ويحتمل ان
يقال السرد هو عمل الزرد وقوله وقدر في السرد اشارة الى انه غير مامور به امر ايجاب
انما هو للكسب يكون بقدر الحاجة واما في الايام والليالي للعبادة فقدر في ذلك العمل
ولا تشغل جميع اوقاتك بالكسب بل حصل به القوت فحسب يدل عليه قوله تعالى واعملوا
صالحا اي لستم مخلوقين الا للعمل الصالح فاعملوا ذلك واكثروا منه والكسب فقدروا
فيه ثم اكد طلب العمل الصالح بقوله اني بما تعملون بصير وقد ذكرنا مرارا ان من يعمل
لملك شغلا ويعلم انه بمراى من الملك يحسن العمل ويفيه ويجتهد فيه ثم لما ذكر المنيب
الواحد ذكر منيبا اخر وهو سليمان كما قال تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب
وذكر ما استفاد هو بالانابة فقال ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر
وفيه مسايل المسيلة الاولى قرى ولسليمان الريح بالرفع والنصب وجه الرفع ولسليمان
مسخرة او سخرت لسليمان الريح ووجه اخر وهو ان يقال معناه ولسليمان الريح كما يقال
لزيد الدار وذلك لان الريح كان له كالمملوك المختص به يامرها بما يريد حيث يريد
المسيلة الثانية الواو للعطف فعلى قراة الرفع يصير عطفا لجملة اسمية على جملة
فعلية وهو لا يجوز او لا يحسن فكيف هذا فنقول لما بين حال داود فكانه قال تعالى
ما ذكرنا لداود ولسليمان الريح واما على النصب فعلى قولنا والنا له الحديد فكانه
قال والنا لداود الحديد وسخرنا لسليمان الريح المسيلة الثالثة المسخر لسليمان
كانت ريحا مخصوصة لا هذه الرياح لانها لمنافع عامة في اوقات الحاجات ويدل عليه انه
لم يقرا الا على التوحيد فاقرا احد الرياح المسيلة الرابعة قال بعض الناس المراد بالتسخير

الجبال وتسبيرها مع داود انها كانت تسبح كما تسبح وكان هو عليه الصلاة والسلام يفقه تسبيحها فيسبح ومن تسخير الريح انه راض الجبل وهو كالريح وقوله عتوها شهر تلاثون فرسخا لان من يخرج للتفرج في اكثر الامر لا يسير اكثر من فرسخ ويرجع كذلك وقوله وانا له الحديد وفي حق سليمان واسلنا له عين القطر ثم استخرجوا تذييب الحديد والنحاس بالنار واستعدادا لالات منها والشياطين اي ناسا اتوحي بها وهذا كله فاسد وحمله على هذا ضعيف اعتقاده وعدم اعتقاده على قدرة الله تعالى والله تعالى قادر وهذه انتهى المسئلة الخامسة قال الامام فخر الدين الرازي في تفسير قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال وقوله تعالى لسليمان الريح عاصفة لو قال قائل ما الحكمة في ان الله تعالى قال في الجبال مع داود وفي الانبياء وفي هذه السورة حببنا قال يا جبال اوبي معه وقال في الريح هناك وهاهنا لسليمان نقول الجبال لما سبحت رتبة تذكر الله تعالى فلم يضفها الى داود بل اضافها معه كما يضاف الصاحب والريح لم يتذكر فيها انها سبحت فجعلها كالمملوكة وهذا حسن وفيه اسرار اخر يعقول يظهر لي وهو ان على قولنا اوبي معه سيري فالجبل في التسيير ليس اصلا بل هو يتحرك معه تبعا والريح لا تتحرك مع سليمان بل تحرك سليمان مع نفسها فلم يقبل الريح مع سليمان بل سليمان لما كان مع الريح واسلنا له عين القطر اي النحاس ومن الشياطين اي سخرنا له من الشياطين وهذا بينه عز ان جبهم ما اتخذ امره قد ظهر واعلم ان الله تعالى ذكر ثلاثة اشياء في حق داود عليه السلام وثلاثة في حق سليمان عليه السلام فالجبال المسخرة لداود من جنس الريح لسليمان وذلك لان التقتيل مع ما تواحقر منه اذا خرجا بسبب التخفيف التقتيل ويبقى مع التخفيف الجبال مع داود تبعا لوكنا اوبي معه سبري وسليمان وحيوده مع الريح التقتيل مع التخفيف وايضا الطير من جنس تسخير الجن لانهما لا يجتمعان مع الانسان الطير لتفوره من الانس والانس لتفوره من الجن فان الانسان يتقي مواضع الجن والجن يطلب ابدا اصطياد الانسان والانسان يطلب اصطياد الطير فقدر الله ان صار الطير لا يتقرد من داود بل يستأنس به ويطلبه وسليمان لا تنفر منه الجن بل مسخرة ويستخدمه وامتا النفر والحديد فلما سمعا غير خفي وهاهنا لطيفة وهي ان الادمي ينبغي ان يتقي الجن بجنته والاجتماع به يفضي الى المفسدة ولهذا قال تعالى اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فكيف طلب سليمان الاجتماع بهم فنقول قوله تعالى بعد هذا بين يديها ذكر به اشارة الى ان ذلك المحضور لم يكن فيه مفسدة ولطيفة اخرى وهي ان الله تعالى قال هاهنا باذن ربه بلفظ الرب وقال ومن يزغ منهم عن امرنا ولم يقل عن امر ربه وذلك لان الرب لفظ ينبئ عن الرحمة فبعد ما كانت الاشارة الى حفظ سليمان عليه السلام قال ربه وعند ما كانت الاشارة الى تعذيبهم قال امرنا بلفظ التعظيم الموجب لزيادة الخوف وقوله تعالى نذقه من عذاب السعير فيه وجهان احدهما ان الملائكة كانوا موكلين بهم تقامع من تأخر فالاشارة اليه وثانيهما ان السعير هي ما يكون في الاخرة فاوعدهم بما في الاخرة

من العذاب ثم قال تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب المحاريب اشارة الى الابنية الرفيعة ولهذا قال تعالى اذ تسوروا المحراب وقال ايا ما يكون فيها من القوس ثم ما ذكر البيان الذي هو المسكن بين ما يكون في المسكن من ما عون الاكل فقال وجفان كالجواب جمع جابية وهو الحوض الكبير الذي يجبى اما اي يجمع فيه والجبل كان يجتمع على جفنة واحدة الى قدور راسيات ثابتات لا تنقل لكبرها وما يعرض فيها في تلك الجفان وفيه مسائل المسئلة الاولى قدم المحاريب على التماثيل لان القوت يكون في الابنية وقدم الجفان في الذكر على القدور مع ان القدور آلة الطبخ والجفان آلة الاكل فنقول لما بين الابنية اراد بيان عظمة السماط الذي يمد فيها واشار الى الجفان لانها تكون فيه واما القدور فلا تكون فيه ولا تحضر هناك ولهذا قال راسيات اي عتيدات مقولات ثم لما بين حال الجفان العظيمة كان يقع في النفس ان الطعام الذي يكون فيها في اي شيء يطبخ فاشار الى القدور المناسبة للجفان المسئلة الثانية ذكر في حق داود واستعمالها له بآلة الحرب وذكر سليمان عليه السلام هي المساكن والمعامل وذلك لان سليمان كان ولد داود فتلقوا الملوك الجبابرة واستولى المملكة على داود فكان سليمان كالولد الملك يكون ابوه قد سوى على ولده الملك ورجع له فتوجه قلبه على جنوده ولان سليمان لم يقدر احد عليه على ظنه فتركوا المحراب معه وان حاربا خر كان زمان الحرب يسيرا لا دراكه اياه بالريح وكان في زمانه العظمة بالاطعام والانعام المسئلة الثالثة قال الفقيه قوله ان اعملوا ساير ما تعملوا صالحا قال الفقيه ما يعمله الجن على ما اراد داود شكرا اشارة الى ما ذكرنا ان هذه الاشياء حالة لا ينبغي ان يجعل الانسان نفسه مستغرقة فيها قائما الواجب الذي ينبغي ان يكثر منه هو العمل الصالح الذي يكون شكرا وفيه اشارة الى عدم الالتفات الى هذه الاشياء وقلة الاشتغال بها كما في قوله تعالى وقدر في السرى اي اجعله بقدر الحاجة المسئلة الرابعة انتصاب شكرا بجعل ثلاثة اوجه احدها ان يكون مفعولا له كقول القائل جئتك طمعا وعبدت الله رجاء عقابه ثانيها ان يكون مصدرا كقول القائل شكرت الله شكرا ويكون الله تعالى المصدر من غير لفظ الفعل كقول القائل جلست تقعودا وذلك لان العمل شكر فيقوله اعملوا يقوم مقام قوله اشكروا وثالثها ان يكون مفعولا به كقولنا ضربت زيدا كما قال تعالى واعملوا صالحا لان الشكر صالح المسئلة الخامسة قوله وقليل من عبادي الشكور اشارة الى ان الله خفف الامر على عباده وذلك لانه تعالى قال اعملوا آل داود شكرا فهم سئلوا الشكر واجب لكن الشكر نعمة كما لا ينبغي ان يمكن لان الشكر بالتوفيق والتوفيق نعمة تحتاج الى شكر اخر وهو توفيق اخر فتذكر ربما يكون نعمة الله بعد الشكر حائلا بينا عن الشكر فقال تعالى ان كنتم لا تقدرون على الشكر التام فليس ذلك بحرج فان عبادي قليل منهم الشكور وبين قولنا الله تعالى ادخل الكل في قوله عبادي من الاضافة الى نفسه وعباده بلفظ المضاف الى الكل لم يرد في القرآن الا في حق التاصر لقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وقوله

ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فان قيل على ما ذكرتم شكر الله بتمامه لا يمكن وقوله قليل يدل
على ان في عباده من هو شاكر لانعمه نقول الشكر بقدر الطاقة البشرية هو الواقع وقليل
فاعله والشكر الذي يناسب نعم الله فلا قدرة عليه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها
او نقول الشاكر التام ليس الا من رضي الله عنه وقال له يا عبدي ما اتيت به من الشكر
القليل قبلته منك وكتبت لك انك شاكر لا نعمى باسرها وهذا القبول نعمة عظيمة
لا اكلفك شكرها ثم قال تعالى فلما قضينا عليه الموت لما بين عظمة سليمان وتسخير
الريح والروح بين انه لم ينج من الموت وانه قضى عليه الموت تنبيها للخلق من ان الموت
لا بد منه ولو نجا احد منه فكان سليمان اولى بالنجاة منه وفيه مسائل المسئلة
الاولى كان سليمان يقف في عبادة الله ليلة كاملة ويوما كاملا تاما وفي بعض الاوقات
يزيد عليه وكان له عصى يتكي عليها واقفا على عادته في عبادته اذ توفي وظن جنوده
انه في العبادة وبقي كذلك اياما وتمادى شهورا ثم اراد الله اظهار الامر لهم فقدر ان
اكلت دابة الارض عصاه فوقع وعلم حاله قوله فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب المهين كانت الجن تعلم ما لا يعلمه الانسان فظن ان ذلك
القدر علم الغيب وليس كذلك بل الانسان لم يؤت من العلم الا القليل فهو اكثر
الاشياء الحاضرة لا يعلمه والجن لا يعلم الا الاشياء الظاهرة وان كانت خفية بالنسبة
الى الانسان وتبين لهم الامر بانهم لا يعلمون الغيب اذ لو كانوا يعلمون لما بقوا في الا
عمال الشاقة الظانين ان سليمان حي وقوله ما لبثوا في العذاب المهين دليل على
ان المؤمنين من الجن لم يكونوا في التسخير لان المؤمن لا يكون في زمان النبي صلى
الله عليه وسلم في العذاب المهين قوله لقد كان لسبا في مساكنهم اية جنتان عن
يمين وشمال لما بين حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان بين حال الكافرين
بانعمه بحكاية اهل سبا وفي سبا قراءتان بالفتح على انه اسم بقعة وبالجر على التنوين
على انه اسم قبيلة وهو الاظهر لان الله جعل الاية لسبا والفاهم هو العاقل لان
المكان لا يحتاج الى اضمار الاهل وقوله اية اي من فضل ربهم ثم بينها بذكر بدله بقوله
جنتان عن يمين وشمال قال الزمخشري اية في جنتين مع بعض بلاد العراق فيه الان
من الجنان واجاب بان المراد لكل واحد جنتين او عن يمين بلدهم وشمالهم جماعتان
من الجنة ولاتصال بعضها ببعض جعلها جنة واحدة قوله تعالى كلوا من رزق ربكم
واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم
بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا
وهل نجازي الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة
وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما امنين فقالوا ربنا بعد بين اسفارنا
وظلموا انفسهم فجعلنا احاديث ومزقناهم كل ممزق اشارة الى تكميل النعم عليهم
حيث لم يمنعهم من اكل ثمارها خوف من اكل ثمارها ولا مرض وقوله واشكروا له بيان
ايضا لكمال النعمة فان الشكر لا يطلب الا عند النعمة المعتبرة لما بين حالهم في مساكنهم

ومشاربهم وما كلهم بين كمال النعمة بين انه لا غاية عليه ولا تبعة في المال في الدنيا فقال بلدة
طيبة اي عن المؤذيات طاهرة لا حية فيها ولا عقرب ولا وخم ولا وباء وقال ورب
غفور اي لا عقاب عليه ولا عذاب في الاخرة فعند هذا بين كمال النعمة حيث كانت
لذة خالية عن المفاسد المالية ثم انه تعالى لما بين ما كان من جانبه ذكر ما كان
من جانبهم فقال فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم بين كمال ظلمهم بالاعراض بعد اياته
الاية كما قال تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها ثم بين كيفية الانتقام
منهم فقال انا من المجرمين منتقمون وكيفية انه تعالى ارسل عليهم سيلا غرق اموالهم
وخرب دورهم وفي العرم وجوه احدها انه الجرذ الذي كان سبب خراب الشكر
وذلك من حيث ان بلقيس كانت قد عمدت الى سائر سبها فسدت الشعب حتى كانت
مياه الامطار تجمع فيها وتصير كالبحر وجعل لها ابوابا ثلاثا مرتبة بعضها فوق بعض
فبقيت الحر الشكر وانقلب البحر عليهم وثانيها ان العرم اسم للشكر وهي جمع العرمة
وهي الحجارة وثالثها اسم للوادي الذي خرج فيه الماء وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين
ذواتي اكل خمط بين دوام الخراب وذلك لان البساتين التي فيها الناس يكون
فيها الفواكه الطيبة بسبب العمارة فاذا تركت سنين تصير كالعفصة والاجمة
تلتفت الاشجار والخمط كل شجرة لها شوك او كل شجرة ثمرتها مرة او شجرة ثمرتها لا تؤكل
والاثل نوع من الطرفاء ولا يكون عليه ثمرة الا في بعض الاوقات يكون عليه شيء كالعفص
اصغر منه في طعمه وطبعه والسدر معروف وقال فيه قليل لانه كان احسن اشجاره
فقلله الله ثم بين الله ان ذلك كان مجازاة لهم على كفرانهم فقال ذلك جزيناهم
بما كفروا وهل نجازي الا الكفور يدل على ان يجزى يستعمل في النعمة ولعل من قال ذلك
اخذه من المجازاة مفاعلة وهي في اكثر الامور تكون بين اثنين يؤخذ من كل واحد
جزءا في حق الاخر وفي النعمة لا تكون مجازاة لان الله يبتدئ بالنعم قال تعالى وجعلنا بينهم
وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة اي بينهم وبين الشام فانها هي البقعة
المباركة وقرى ظاهرة اي يظهر بعضها لبعضها يرى سواد القرية من القرية الا
خرى فان قال قائل هذا من النعم والله تعالى قد شرع في بيان تبديل نعمهم بقوله
وبدلناهم بجنتيهم جنتين فكيف عاد مرة اخرى الى بيان النعمة بعد النعمة فنقول
ذكر حال نفس بلدهم وبين تبديله ذلك بالاثل والخمط ثم ذكر حال خارج بلدهم
وذكر عمارتها بكثرة القرى ثم ذكر تبديله ذلك بالمفاوز والبراري والبوادي
بقوله ربنا باعد بين اسفارنا وقد فعل ذلك ويدل عليه قراءة من قرا ربنا بعد
على المبتدا والخبر وقوله فيها السير الاماكن المعمورة تكون منازلها معلومة يقدر
لا تتجاوز فلما كان بين كل قرية مسيرة نصف نهار فكانوا يغتدون الى قرية ويرجعون
الى اخرى وما كان في العرف يجاوزها فهو المراد بالتقدير والمفاوز ولا يتقدر
السير فيها بل يسير السائر فيها بقدر الطاقة جادا متى يقطعها وقوله سيروا
فيها ليالي واياما اي كان بينهم ليالي واياما معلومة وقوله امنين اشارة الى كثرة

العمارة فان خوف قطاع الطريق والانقطاع عن الرفيق لا يكون الا في مثل هذه الاماكن ه
وقيل بان معنى قوله لبابي قابابا سيرون نيته ان تشتهم فان تشتهم اياها لعدم الخوف بخلاف
المواضع المخوفة فان بعضها سبلك ليلا لليلا يعلم بسيرهم وبعضها بسلاه نهارا ليلا يقصدهم
العدو غير محاهر بالعقد والعداوة قوله فقال بابي قالوا ربنا بعد بين اسفارنا قيل اباعتم
ظلموا انفسهم بسرعة تحمل وجهين احدهما ان بيسا بوا بطرا كما طلبت اليهود الترم والبصل
ويحتمل ان يكون لتشاد افتقادهم وشدة اعتمادهم على ان ذلك لا يعدم كما يقول القادر
لعبده اصبر لي اشارة الى انه لا بد له عليه ويمكن ان يقال قالوا ربنا بلسان الحال
لما كفروا فقد ظلموا ان يبعد بين اسفارهم ويخرب العمود من ديارهم وقوله وظلموا
انفسهم يكون بيانا لذلك فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور اي يتعاد كرنا من حال الشاكرين ومال الكافرين ثم قال تعالى
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه اي ظنه انه يغويهم كما قال لاغوينهم
فاتبعوه بيانا لذلك اي اغواهم فاتبعوه الا فريقا من المومنين وهم الذين قال فيهم
الله تعالى في حقهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ويمكن ان يقال صدق عليهم
ظنه في انه خبر مند كما قال انا خير منه وتحقيق ذلك في قوله فاتبعوه لان المتبوع
خير من التابع ولا يتبعه العاقل والذي يدل على ان ابليس خير من الكافر وان ابليس
استثنى من عبادة غير الله لكن كما كان استثناءه ترك عباده الله عنادا كفر والشرك
بعبد غير الله يذكر نيا مر اقرب الى التوحيد وهم كفروا بما يزيد الاشراك ويوبيه هذا الذي
اشتثناه الاستثناء وبيانه ما روي انه لما بيط الله بعزيل ابليس انه تعالى قال عنه
العباد هم المخلصين فما يظن انه يغوي المومنين فما ظنه صدقة ولا حاجة الى الا
استثناء واما في قوله انا خير منه اعتقد الخبرية بالنسبة الى جميع الناس بدليل تعليله
بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين وقد كذب في ظنه في حق المومنين ويمكن الجواب
عن هذا في الوجه الاول وهو انه وان لم يظن اغواء الكل وعلم البعض لكن ظن في كل
واحد انه ليس من ذلك البعض الذي ان سئل له ظن انه يغويه فكذب في ظنه في حق البعض
وصدق في البعض ثم قال تعالى وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يومن بالاخرة
ممن هو منها في شك قد ذكرنا في تفسير قوله فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاذبين ان العلم الازلي من الازل الى الابد محيط بكل معلوم وعالم لا يتغير وفي كونه
عالم لا يتغير ولكن يتغير تعلق تعلقه فان العلم صفة كاشفة يظهر بها كما بابي نفس
الامر فعلم الله في الازل انه العالم سيوجد فاذا وجد علمه بوجود ذلك العالم واذا
علم تعلقه بعد وجوده بذلك مثاله المراة المصقولة فيها هو الصفة ويظهر فيها صور
والمراة لم تتغير في ذاتها ولا تستعمل في صفاتها الا التغير في الخارجات فكذلك
هاهنا قوله الا لنعلم اي ليقع في العلم ضد وهو الكون الكافر والايمان من المرين وكان
قبله فيه انه سيكفر زيد ويومن عمرو وقوله وما كان له عليهم من سلطان اشارة
الجاذ ليس باجبار واغا هو ابتلاء وعلامة خلقها الله ليميز بها هو في علمه السابق وقوله وربك

على كل شيء حفيظ يحتمل ذلك اي الله تعالى قادر على منع ابليس منهم عالم بما يقع فاحفظ
يدخل في جملة العلم والقدرة اذ الجاهل بالشيء لا يكون حفظه ولا العاجز ثم قال
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لما بين الله تعالى حال الشاكرين وحال الكافرين
وذكر هم بما يصير عاد ابي حطامهم وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل للمشركين
ادعوا الذين زعمتم من دون الله لما بين الله تعالى ليكشف عنكم الضر على سبيل التهكم
بين انهم لا يملكون شيئا بقوله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض اعلم
ان المذاهب المصنفة الى الشرك اربعة احدها قول من يقول الله تعالى خالق السموات
وجاعل الارض والارضيات في حكمهم وتحت تحكمهم الارضيات في تعبيد الملائكة والكواكب
التي هي في السماء وهم الهتهم والله تعالى في ابطال قولهم لا يملكون في السموات
شيئا كما اعترفتم ثم قال ولا شي في الارض على خلاف ما زعمتم وثانيها قول من يقول
السموات من الله على سبيل الاستمداد والارضيات صنعه ولكن بواسطة الكواكب فان
طوالع العناصر والمركبات التي فيها ما تصالات وحركات وطوالع فجعلوا المعبود مع
الله شركة في الارض والاولون جعلوا الارض لغيره والسماء له فقال في ابطال قولهم
وماله منهم من ظهير اي شريك اي الارض كما السماء له لا تعبده فيها نصيبا ما فقول من قال
المركبات كلها من الله تعالى لكن فوض ذلك الى الكواكب وفعل الماذون بسبب
اي الاذن ويسلب عن الماذون بتة مثاله اذا ملك قال للملوكه اضرب فلانا فضرب
ويقال ذهب العرف الملك ضربه ويجمع عرفا قول القائل قاضرب فلان فلانا انما الملك
امر بضربه فضرب فهو لاجعلوا السموات منسوبا الله فقال الله تعالى في ابطال قولهم
وماله منهم من ظهير ما فوض الى غيري شيئا يعني كل شيء حفيظ ربيبه لذا بعبها
قول من يقول قالوا انا نعتقد الاصنام التي هي صور الملائكة لتشفعوا لنا فقال تعالى
في ابطال قولهم ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فلا قابلية لعبادتكم غير الله فان
الله لا ياذن في الشفاعة بني بعبد غيره فبطلبكم الشفاعة تقولون على انفسكم
الشفاعة حتى اذا افزع عن قلوبهم اي ازيل الفزع عنهم يقال فزع البعير اي اخذ
منه القراد ويقال للهدة الشديد السلب وفي قوله تعالى حتى اذا افزع عن قلوبهم
وجوه احدها الفزع الذي عند الوحي فان الله عند بانوحي يفزع من في السموات
ثم يزيل عنهم الفزع ويقولون لجبريل هذا قال الله فيقول قال الحق اي الوحي
وفائدتها الفزع الذي من الساعة وذلك لان الله تعالى لما اوحى الى محمد صلى الله
عليه وسلم فزع من في السموات من القيامة لانه ارسال محمد من اشراط الساعة
فلما زال عنهم ذلك الفزع قالوا ماذا قال الله قال جبريل الحق اي الوحي والثالث
هو ان الله تعالى يزيل الفزع وذلك الموت عن القلوب فينعزف كل احد بما قال الله
تعالى هو الحق فينتفع ذلك القول من سبق ذلك منه ثم يقتضر وجه على الايمان
المتحقق عليه بينه وبين الله تعالى اذا علمت هذا فنقول على القولين الاولين
قوله حتى غاية منتفية تقوله تعالى قل لا تسئلون عما اجرمنا بالوحي لان قول القائل قل

لفلان لابد ان يسمع المخاطب ما يقوله ثم يقول بعد هذا الكلام ما يجب قوله فلما قال قل فزع
من في السموات ثم ازيل عنهم الفزع وعلى الثالث متعلقة بقوله تعالى زعمتم اي زعمتم الكفر
الى غاية التفزيع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق وعلى القولين الاولين فاعل قوله
قالوا ماذا هو الملائكة السائلون من جبريل وعلى الثالث الملائكة السائلون الكفار
والفاعل في قوله الحق على القولين هم الملائكة وفي الثالث هم المشركون واعلم ان الحق
هو الموجود ثم ان الله تعالى لما كان وجوده لا يرد عليه عدم كان حقا مطلقا لا يرتفع
بالباطل الذي هو العدم والكلام الذي يكون صدقا يسمى حقا لان الكلام له متعلق
في الخارج فاذا قال القائل جاء زيد يكون هذا اللفظ تعلقه بما في ذهن الخارج القائل
وذهن القائل تعلقه بما في الخارج لكن الصدق متعلقه في الخارج وحينئذ اما ان لا يكون
له متعلق في الذهن فيكون كالمعدوم من الاول وهو الالفاظ التي تكون صادرة
عن معاند كاذب واما ان يكون له تعلق في الذهن على خلاف ما في الخارج فيكون اعتقاد
باطنا جهلا او ظنا لكن لما لم يكن لمتعلقه متعلق يزول ذلك فيزول ذلك الكلام
ويبطله وكلام الله لا بطلان له في اول الامر كما يكون بكلام الكاذب المعاند ولا يأتيه
الباطل كما يكون كلام الظان وقوله تعالى وهو العلي الكبير قد ذكرنا في تفسير قوله
تعالى ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي
الكبير ان الحق اشارة الى انه فوق الكاملين في ذاته وصفاته وهذا يبطل القول بكونه
جسما وفي حيز يكون من كان في حيز فان العقل يحكم بانه مشار اليه وهو مقطع الاشارة
لكن الاشارة عنده وفي كل موضع تقع الاشارة بقدر العقل على ان تعرض البعد اكثر
من ذلك فنقول لو كان بين ما اخف الاشارة والمشار اليه اكثر من هذا البعد لكان
هذا المشار اليه اعلى فيصير عليا بالاضافة لا مطلقا وهو علي مطلقا وهو كبير مطلق
ثم قال تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض قد ذكرنا مرارا ان العامة يعبدون
الله لا لكونه الها وانما يطلبون به شيئا اما دفع ضرر او جر نفع فنبه الله العامة بقوله
قل الذين زعمتم انه لا يدفع الضر احد الا هو كما قال تعالى وان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو قال بعد اتمام ذلك قل من يرزقكم من السموات والارض
اشارة الى ان جر النفع ليس الا به ومنه فاذا ان كنتم من الخواص فاعبدوه لعلوه
وكبريائه سواء دفع عنكم ضررا او لم يدفع وسواء نفعكم بخير او لم ينفع فان لم تكونوا كذ
لك فاعبدوه لجر النفع ودفع الضر ثم قال قل الله يعني ان لم يقولوا هم فقل انت
الله يرزقكم من يشاء تعالى وهاهنا لطيفة وهي ان الله تعالى عند الضر ذكر انهم
يقولون الله ويعترفون بالحق حيث قال قالوا الحق وعند النفع يقل انهم يقولون
ذلك وذلك لان لهم حالة يعترفون بان كاشف الضر كما هو الله كما قال تعالى واذا
مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه واما عند الراحة فلا تنبه لهم كذلك فلذلك
قال قل الله اي هم حالة الراحة غافلون عن الله ثم قال وانا او اياكم لعلى هدى او في
ضلال مبين وفيه مسائل المسئلة الاولى هذا ارشاد من الله ورسوله الى المناظرات

الجادية في العلوم وغيرها وذلك لان احد المناظرين اذا قال للاخر هذا الذي تقوله خطا
وانت فيه مخطئ يغضبه وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر وعند اختلاله لا يطمع في الفهم
فيفوت الغرض واما اذا قال له بان احدنا لا يشك بانه مخطئ والتمادي في الباطل قبيح
والرجوع الى الحق احسن الاخلاق فيجتهد ويبصر ابنا على الخطا ليحترز ويجتهد في ذلك
الخصم في النظر وترك التعصب وذلك لا يوجب نقصا في المنزلة او وهم بانه في قوله شاك
ويدل عليه قول الله تعالى لنبيه قل انا او اياكم مع انه لا يشك في انه هو الهادي وهو
المهتدي وهم الضالون ومضلون المسئلة الثانية في قوله لعلى هدى او في ضلال
مبين ذكر في الهدى كلمة على وفي الضلال كلمة في لان المهتدي كانه مرتفع مطلع فذكر كلمة
المتعالي والضال مغمس في الظلمة غريق فيها فذكره بكلمة في المسئلة الثالثة وصف
الضلال بالمبين ولم يصف الهدى لان الهدى هو الصراط المستقيم الموصل الى الحق
والضلال خلافه لكن المستقيم واحد وما هو غيره كله ضلال وبعضها انحس من بعض
فبين البعض عن البعض بالوصف المسئلة الرابعة قدم الهدى على الضلال لانه
كان وصف المؤمنين المذكورين بقوله انا وهو مقدم في الذكر ثم قال تعالى قل لا تسا
لون عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون اضاف الاجرام الى النفس وقال في حقهم ولا نسال
عما تعملون ذكر بلفظ العمل لئلا يحصل الاغضاب للمانع من الفهم وقوله لا تسئلون
ولا نسئل عما تعملون زيادة حث على النظر وذلك لان كل احد اذا كان مواخذا بجرمه
فاذا احترز نجا ولو كان البري يواخذ بالجرم لما بقي النظر ثم قال تعالى قل اروني
الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم وقد ذكرنا ان المعبود يعبده قوم
لدفع الضر وجمع لتوقع المنفعة وقليل من الاشراف الاعزة يعبدونه لانه مستحق
العبادة لذاته فلما بين الله لا يعبد غير الله لدفع الضر اذ لا دافع للضر غيره
بقوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله وبين انه لا يعبد غير الله لتوقع المنفعة
بقوله قل من يرزقكم من السموات والارض بين هاهنا انه لا يعبد احد لاستحقاقه
العبادة غير الله فقال قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم
اي هو المعبود لذاته واتصافه بالعزة وهي القدرة الكاملة وهي العلم التام الذي
عمله موافق له ثم قال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا لما
بين مسئلة التوحيد شرع في الرسالة وقال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا وفيها وجهان احدهما كافة اي عامة لجميع الناس ويمنعهم من الخروج
عن الانقياد لها والثاني كافة اي ارسلناك كافة تكف الناس انت من الكفر والها
للمبالغة على هذا الوجه بشيرا اي نحثهم بالوعد نذيرا تزجرهم بالوعيد ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ذلك لاخفائه ولكن لغفلتهم ثم قال تعالى ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين لما ذكر الرسالة بين الحشر وقال قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون قد ذكرنا في سورة الاعراف ان قوله لا تستاخرون
يوجب الانذار لان معناه عدم المهلة عن الاجل ولكن الاستقدام ما وجهه وذكر

هناك وجهه ونذكر ههنا انهم لما طلبوا الاستعجال بين انه لا استعجال فيه كما لا امهال وهذا يفيد
عظم الامور وخطر الخطب وذلك لان الامر الحقير اذا طلبه طالب من غيره لا يؤخره ولا يو
قعه على وقت بخلاف الامر الخطر وفي قوله قل لكم ميعاد يوم قراءات احداها رفعهما مع
التنوين ميعاد يوم وعلى هذا يوم بدل وثانيها نصب يوم مع رفع ميعاد يوما قال الز
مخشري ووجهه انه منصوب بفعل محذوف كانه قال ميعاد يعني يوما وذلك يفيد
التعظيم والتهويل ويحتمل ان يقال نصب على الظرف تقديره لكم ميعاد يوما كما يقول القائل
اتاحامك يوما وعلى هذا يكون فيه العلم كانه يقول لكم ميعاد يوم كما في قول القائل
سحق ثوب للتلبس واسناد الفعل اليهم بقوله لا تستأخرون عنه بدا من قوله لا يؤخر عنكم
زيادة تاكيد لوقوع اليوم ثم قال تعالى وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن
اعني الامور الثلاثة من التوحيد والرسالة والحشر وكانوا بالكل كافرين بين كفرهم
العام بقوله وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن وذلك لان القرآن مشتمل على
الكل وقوله ولا بالذي بين يديه المشهور انه التوراة والانجيل وعلى هذا فالذين
كفروا المراد منهم المشركون المنكرون للنبوات والحشر ويحتمل ان يقال ان المعنى هو ان لا
نؤمن بالقرآن انه من الله ولا بالذي بين يديه اي ولا عاقبة من الاخبارات والمسائل
والايات والدلائل وعلى هذا فالذين كفروا يكون المراد العموم لان اهل الكتاب
لم يؤمنوا بالقرآن انه من الله ولا بالذي بين يديه من الرسالة وتفاصيل الحشر
فان قيل ليس هم مؤمنون بالوحدانية والحشر فنقول اذا لم يصدق واحد ما في الكتاب
من الامور المختصة به يقال فيه انه لم يؤمن بشيء منه وان امن ببعض ما فيه لكونه في
غيره فيكون ايمانه بما فيه مثاله ان من يكذب رجلا فيما يقول فاذا اخبر بان النار
حارة لا يكذبه فيه ولكن لا يقال بانه صدقه لانه انما صدق نفسه فانه كان عالما
به من قبل وعلى هذا فقوله بين يديه اي الذي هو مشتمل من حيث انه وارد ثم
قال ولو ترى اذ الظالمون موقوفون لما دفع الناس من ايمانهم في هذه الدار بقولهم
لن نؤمن فانه لتابيد النفي وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بانه يراهم على اذل حال
موقوفين للسؤال يرجع بعضهم الى بعض القول كما يكون عليه حال جماعة اخطاوا في امر
يقول بعضهم لبعض كان ذلك بسبيل ويرد عليه الاخر مثل ذلك وجواب لو محذوف
تقديره لترى عجبا ثم بدا بالاتباع لان المضل اولى بالتوبيخ فقال يقول الذين استضعفوا
للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين اشارة الى ان كفرهم كان لمانع لا لعدم المقتضي
لانه لا يمكنهم ان يقولوا ما جاءنا رسول ولا ان يقولوا فقر الرسول وهذا اشارة الى
اتيان الرسول صلى الله عليه وسلم لان الرسول لو اهمل شيئا لما كانوا يؤمنون ولولا
المستكبرون ثم قال تعالى قال الذين استكبروا للذين استضعفوا ردا لما قالوا ان
كفرنا كان لمانع انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم يعني المانع ينبغي ان يكون راجحا
على المقتضي حتى يعمل عمله والذي جاء به هو الهدى والذي صدر من المستكبرين لم يكن
شيئا يوجب الامتناع من قبول ما جاء به فلم يصح تعليلكم بالمانع ثم بين ان كفرهم كان اجراما

من حيث ان المعذور لا يكون معذورا الا بعدم المقتضي او لقيام المانع ولم يوجد شيء منها
ثم قال تعالى وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا
ان نكفر بالله لما ذكر المستكبرين انا ما صددناكم وما صدر منا ما يصلح مانعا وصارفا
اعترف المستضعفون به وقالوا بان مكر الليل والنهار منعنا ثم قالوا لهم انكم وان كنتم
ما اتيتم بالصارف القطعي والمانع القوي ولكن انضم امركم اياما بالكفر الى طول الامد
وامتداد المدد فكفرنا وكان قولكم جزاء السبب ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون المراد
بل مكر الليل والنهار محذوف المضاف اليه وقوله اذ تامروننا ان نكفر بالله اي ننكره
ونجعل له اندادا بهذا تبين ان الشرك بالله مع انه في الصورة مثبت لكنه في الحقيقة
منكر لوجود الله لا من يساويه المخلوق المنحوت ولا يكون الها وقوله في الاول يرجع بعضهم
الى بعض القول بقول الذين استضعفوا ولو قال قال الذين استضعفوا بصيغة
الماضي مع ان السؤال والراجع في القول لم يقع اشارة الى ان ذلك لا بد ان يقع فان
ذلك الامر الواجب الوقوع يوجد كانه وقع الا ترى الى قوله تعالى انك ميت وانهم
ميتون ثم قال تعالى واسروا الندامة لما راوا العذاب معناه انهم يتراجعون القول
في الاول ثم اذا جاءهم العذاب الشاغل يسرون ذلك التراجع الدال على الندامة و
قيل معنى الاسرار الاظهار اي اظهروا الندامة ويحتمل ان يقال انهم لما تراجعوا في
القول يرجعوا الى الله بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا ثم خيبوا واخبروا
لا مرد لكم فاسروا ذلك القول وقوله وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اشارة الى
كيفية العذاب قطعوا بانهم واقعون فيه فتركوا التندم ووقعوا فيه فجعل الاغلال
في اعناقهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اشارة الى ان ذلك حقهم عدلا ثم قال
تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لقلب النبي صلى الله عليه
وسلم وبيان لان ايلاء الكفار الاحبار ليس بدعا بل ذلك عادة جرت من قبل وانما نسب
القول الى المترفين مع ان غيرهم ايضا قالوا انا بما ارسلتم به كافرون لان الاغنياء المتر
فين هم الاصل في ذلك القول الا ترى ان الله تعالى قال عن الذين استضعفوا انهم
قالوا للمستكبرين لولا انتم لكنا مؤمنين ثم استدلوا على كونهم مثبتين بكثرة الاموال
والاولاد فقالوا نحن اكثر اموالا واولادا بسبب لزومنا لديننا وقوله وما نحن بمعذبين
اي في الاخرة كانهم قالوا حالنا عاجلا خير من اجله فلا نعذب اما انكارا منهم للعذاب
راسا او اعتقادا لحسن حالهم في الاخرة ايضا قياسا ثم ان الله تعالى بين خطاهم بقوله
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر بمعنى ان الرزق في الدنيا لا يدل لان سعته
وضيقه على حال المحق والمبطل فكم من موسر شقي ومعسر تقي ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان قلة الرزق وضنك العيش وكثرة المال وخصب العيش بالنسبة من غير اختصاص بالفا
سق والصالح ثم من فساد استدلالهم بقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى يعني قولكم نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اكثر عند الله حالا ليس استدلالا
صحيحا فان المال بالقرب الى الله والاعتبار بالقربة وانما المفيد العمل الصالح بعد

الايمان والذي يدل عليه ان المال والولد يشغل عن الله فيتفتن عنه فكيف يقرب منه والعمل
الصالح اقبال على الله واشتغال بالله ومن توجه الى الله وصل ومن طلبه انه يجاهد
وقوله فلا وليك لم جزا الضعف اي الحسنة فان الضعف لا يكون الا في الحسنة وفي السيئة
لا يكون الا المثل ثم زاد وقال وهم في الغرفات امنون اشارة الى دوام النعيم وتاييده
فان من تقطع عنه النعمة لا يكون امنا ثم بين حال المسيء بقوله والذين يسعون في اياتنا
معجزين وقد ذكرنا تفسيره وليرد في العذاب محضرون اشارة الى الدوام ايضا
كما قال تعالى مرة اخرى قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له اشارة
الى نعيم الاخرة لانبيائه في نعيم الدنيا بل الصالحون قد يحصل لهم في الدنيا النعيم مع القطع
بحصول النعيم لهم في العقبى بناء على الوعد فطما كقول من يقول اذا اكاتبه العاجلة
لنا والاجلة لهم والنقد اولى فقال هذا النعيم غير مختص بهم فان كثيرا من الاشقيا
يرزقون وكثير من الانبياء يعوزهم وفيه مسايل المسئلة الاولى ذكر هذا النعيم
مرتين مرة لبيان ان كثرة اموالهم واولادهم غير دالة على حسن احوالهم واعتقاد
ومرة لبيان انه غير مختص بهم كما قال وجود الترزق لا يدل على المنزلة ثم ان
سلمنا انه كذلك لكن للموسنين سيحصل لهم ذلك فان الله تعالى يملكهم ديارهم واموالهم
والذي يدل عليه ان الله تعالى لم يذكر او لا من يشاء من عباده ثم قال لمن يشاء
وثانيا قال لمن يشاء من عباده والعبادة اخص فانه يراد بها المومن ثم وعد المومن
بخلاف ما للكافر فان الكافر دابره مقطوع وماله الى الزوال فما يتعقبه تخلفه
الله فتخلف الله خير فان ما في يد الانسان من عرض العطاء والتلف وهما لا ينظر فيه
الجميع عند الله من الخلف ثم اكد ذلك بقوله وهو خير الرازقين وخير الرازقين
في امور احدها ان لا يوخر من وقت الحاجة والثاني ان لا يلتفت من تحت الحاجة و
الثالث ان لا يكثر التفاوت والرابع ان لا يكون بطلب الثواب والله تعالى كذلك له
اما الاول فلانه عالم وقادر والثاني فلانه غني واسع والثالث لانه كريم
وتزد كر ذلك بقوله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب وما ذكرنا من المراد اجب
برزقه حلا لا يجب سببه عليه والرابع فلانه يكون على كبير والثواب يطلبه
الادنى لا على الاعلى لا نزيه ان هيئة الاعلى بين الادنى لا تقتضي منوا بالمسئلة الثالثة
قوله تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين يحتمل معنى قوله
صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد الا وملكان ينزلان يقول احدهما
اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وذلك لان الله تعالى
ملك على عبده ومعنى يلخذ اذا قال انفق وعلى يد ملكه بحكم الوعد يلزمه كما اذا قال
تعالى لك متاعك في البر وعلي صمانه فمن انفق فقد اتى بما هو شرط حصول البدل
يحصل البدل ومن لم ينفق فالزوال لازم للمال وعلم بان ما يستحق عليه من البدل
فتقول من غير خلف وهو انك تعلم ان من العجب ان التاجر اذا علم ان ما لا من اولاده
في معرض الهلاك يمنعه لشيمته وان كان من الفقر او يقول ان ذلك اوجب الاهمال

الى الهلاك قال الربيع حتى يهلك بسبب الخطا ثم ان حصر به كفيل باي فلا يتبع ه
بسبب الجهلة العقل قال حصل بمرهون كتب به ومنعه ولا يمنعه بسبب باي الجنون
ثم ان كل احد يعقل هذا ولا يعلم ان ذلك قريب من الجنون قال اموالنا كلها باي تعرض
الزوال المحقق والانفاق على الاهل والولد اكثر اعراض وقد حصل لبعضنا من اعمالهم
العلية قال وما انفقتم من شيء فهو يخلفه ثم رهن عمر كل احد اما ارضا او بستانا او طا
حونة او حماما او متعة فان الانسان لا بد من ان يكون له صنعة او حرفة يحصل له
منها ماله وكل ذلك ملك الله وفي يد الانسان بحكم العارية فكانه مرهون لانفاق
الله من رزقه ليحصل له الوثوق التام ومع هذا لا ينفق ويترك ماله ليتلف لاما
جورا ولا شكورا المسئلة الثالثة قوله وهو خير الرازقين ينبئ عن كثرة في الرازقين
قلت لا نراوق الا الله فما الجواب عنه فنقول عنه جوابان احدهما ان يكون بناء
الله خير الرازقين الذين يظنونهم رازقين وكذلك في قوله تعالى ومواعش الخالقين
وثانيهما انواع الصفات منها ما حصل لله والغير حقيقة ومنها ما يقال على الله
بطريق الحقيقة ولا يقال للعبد لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز لعدم حصوله للعبد
حقيقة وصورة مثال الاول العلم فان الله يعلم الله واحد بطريق الحقيقة ولذلك
العلم كما يكون الباري يراه نهاية ما في الباب ان علمه قديم وعلمنا حادث مثال الثاني
الخالق الرازق فان العبد اذا اعطى غيره شيئا قالوا هو للمعطي لكن لا حل صورة
العطاء سمي معطيا كما يقال للصورة المنقوشة على الحايط فرس وانسان مثال الثا
الاولى لله وغيرها وقد يقال في الاشياء بالاطلاق على العبد حقيقة وعلى الله مجاز
كالاستواء والنزول والمعية وبالله وجنبالله ثم قال تعالى ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للملايكة اهولاء اياكم كانوا يعبدون اما بين ان حال النبي صلى الله عليه
وسلم كحال من تقدمه من الانبياء وحال قومه كحال من تقدم من الكفار وبين بطلان
استدلالهم بكثرة اموالهم واولادهم بين ما يكون عاقبة حالهم فقال ويوم نحشرهم
جميعا بعيني المكذبين بل ومن تقدم ثم نقول لمن يدعون ثم يعبدونهم ومن الملايكة
قل فانا بريء منكم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مومنون اي بالجن
الملايكة اعم كانوا يعبدونكم اهانة لهم فيقولون بهم سبحانك تنزهك عن ان يكون
غيرك معبودا انت معبودنا ومعبود كل المخلوق وقولهم انت ولينا من دونهم اشارة
الى معنى لطيف وهو ان مذاهب الناس مختلفة بعضهم لا يريد البلاد الصغيرة نعمة
اجتماعه بنبيها بالناس وقلته وصوله بنبيها الى الاكياس ثم ان الفريقين جميعا عرض
عليهم خدمة السلطان واستخدام الادراك الذين لا انقاذ لهم اصلا يجاد العاقل
خدمة السلطان على استخدام من لا يوبه به ولو ان رجلا سكن جبلا ووضع بين يديه
تبنا من اتقاذ وراث واجتمع عليه الذباب والدبدان وهو يقول من لا اسمي وباشاني
ولا ادخل الجنة بخانة ان احتاج الى خدمة الملك والعظم والتردد اليه يتسرب
الجميع ان قلت من رضي بان يترك خدمة الله وعبادته ورضي باستتباع الجمع الذين

اصل من اليهما اعلم ان العوام يكون بحيث اذا قالوا انت وليتنا بين دوننا يجب ان يكونوا وليتنا بالعبودية اولى واحب الينا من كونهم اولياء بالعبادة لنا فاذا قالوا بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون لو قال قائل جميعهم كانوا يعبدون الشيطان فاذا وجه قوله اكثرهم بهم قائله بنى ان بعضهم لم يعبدوا ولم يطلع لهم على عبادة من وجهين احدهما ان الملائكة احترزوا عن دعوى الاحاطة بهم فقالوا اكثرهم لان الذين ادعوا عليهم اطلعوا عليهم على احوالهم كانوا الجن يؤمن بهم ولعل في الوجود من لم يطلع الله الملائكة عليه من الكفار الثاني ان يقال ان العبادة تحمل على ظاهر الايمان تحمل على باطن فاذا قالوا كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على احوالهم وقالوا اكثرهم بهم مؤمنون عند عمل القلب لم يكونوا مدعين اطلاعهم على ما في القلوب لان القلب لم يمكنه الاطلاع كما قال العالم علم بذات الصدور ثم بين ان ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم فقال فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا وفيه مسائل المسئلة الاولى الخطاب مع من يقوله بعضكم فقد يحتمل ان يكون مع الملائكة لسبق قوله تعالى اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وعلى هذا يكون في ذلك تنكيلا للكافرين حيث بين لهم ان معبوديهم لا ينفع ولا يضر ويصح هذا قوله تعالى ولا يملكون الشفاعة الا من ارتضى ولانه قال لبعده وتقول للذين ظلموا ذوقوا فانتم خاطبهم ولو كان المخاطب هم الكفار لقال ذوقوا على هذا يكون الكفار احيزوا في الخطاب حتى يصح معنى قوله بعضكم لبعض ايها الملائكة للكفار والحاضر الواحد يجوز ان يجعل شريكا له في كلام اتم فتلتم على انت فلت وهم قالوا ويحتمل ان يكون معنى الجن اي لا يملك بعضكم لبعض ايها الملائكة والجن اذا ذكرتموهما لا نفسكم فلا تملكوهما لغيركم ويحتمل ان يكون المخاطب هم الكفار لان ذكر اليوم يدل على حضورهم وعلى هذا فقوله وتقول للذين ظلموا اما ذكرناه تأكيدا لبيان حالهم في الظلم وتسبب نكالهم من الاثم ولو قال ذوقوا عذاب النار لكان كافيا لكنه لا يحصل ما ذكرناه من الفائدة فانهم كانوا يتبعون ما كانوا عليه من الظلم والعناد والاثم والفساد بتجرون وينبذون المسئلة الثانية قوله تعالى عيد للحسرة اما الصرف فالفائدة فيه مع انهم لو كانوا يملكون الصرف لما نفع الكافرين ذلك فنقول لما كانت العبادة تنفع لدفع ضرر المعبود كما يعبد الحيا ويجتنب مخافة شره بين انهم ليس فيهم ذلك الوجه الذي يحسن لاجله عباد تهم المسئلة الثالثة قالها هنا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون وقال في السجدة عذاب النار التي كنتم به تكذبون جعل الكذب هناك العذاب وجعل الكذب هاهنا النار وهم يكذبون بالكل والفائدة فيها ان هناك لم يكن اولئك ارادوا النار بل كانوا يؤدبهم زمان بدليل قوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اي هذا العذاب المؤبد الذي انكرتموه بقولكم لن تمسنا النار الا اياما معدودة اي قلتم ان العذاب ان وقع فلا يدوم وذوقوا الدائم وهاهنا اولئك ارادوا النار لانه مذكور عقيب الحشر فيقال لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون ثم قال تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا

الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين اشارة الى القرآن وعلى الثاني يكون اشارة الى ما اتوا به من المعجزات وعلى الوجهين في قوله تعالى وقال الذين كفروا يقول قالوا للحق مرادا انكارا للتوحيد بيان ما هو

لفسادا عتقادهم واشتدادعنادهم حيث تبين ان اعلى من يعبدونه وهم الملائكة لا يرضاهل للعبادة ولا لذواتهم كما قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم اي لا اهلية لنا ان تكون معبودين لهم ولا للنفع وضر كما قال تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ثم مع هذا كله اذا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم كلاما من التوحيد وتلا عليهم اياتا من القرآن الدالة عليه قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين اشارة الى القرآن وعلى الثاني يكون اشارة الى ما اتوا به من المعجزات وعلى الوجهين في قوله تعالى وقال الذين كفروا يقول قالوا للحق مرادا انكارا للتوحيد بيان ما هو عليه من الكفر والعناد وانكار القرآن والمعجزة كان سببا لان يقول المشركين واهل الكتاب فقال تعالى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم على وجه العموم ثم قال تعالى وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقد اكد البيان تعديدهم يعني يقول لو نزعت ما بتلى عليهم الايات البينات هذا رحيق ساحب وقوله افك مفترى من غير برهان والكتاب انزل عليه ولا رسول ارسل اليه قال الايات البينات لا تعارض من الآيات الظاهرة العقلية فلم يأتوا بها ولا بالتقليدات وما عندهم كتاب ولا رسول بخبر لان والنقل المعتبر اما ان كتاب الله او من خبر رسول الله بين انهم كالذين من قبلهم كذبوا مثل عاد وثمود وقوله وما بلغوا معشار ما آتيناهم من القوة والنعمة وطول العمر ثم ان الله تعالى احترزهم وما نفعتهم قوتهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء وعندي يحتمل ذلك وجها آخر وهو ان يقال لو كذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم قوم محمد صلى الله عليه وسلم الحمل من سائر الكتب وارفع ومحمد صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الرسل واقمع وبرهانه اوفى وبيانه اشفى ثم ان المتقدمين لما كذبوا بما جاءهم من الكتب ومن اتاهم من الرسل واوضح السبل وبوكد ما ذكرنا من المعنى قوله وما آتيناهم من كتب يدرسونها يعني ممتاز القرآن ما آتيناهم كتابا وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير فلما كان الموتى في الآية الاولى من الكتاب محل الاولى بنا في الآية الثانية على نبينا الباب اولى ثم قال تعالى قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ذكر الاصول الثلاثة في هذه الآية بعد ما بين من قبل تقريرها بالدلايل فقوله ان تقوموا لله اشارة الى المسئلة الاولى وهي التوحيد وقوله ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة اشارة الى الرسالة وقوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى اليوم الآخر وفي الآية مسائل

بياض في الاصل

يشرح الله صدره ويرتفع في الآخرة قدره فالنبي صلى الله عليه وسلم امرهم بما يفتح عليهم
ابواب العبادات ويهيئ لهم ابواب السعادات وجواب آخر وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم
ما قال اني لا آمركم في جميع عمري الا بشيء واحد وانما قال اعظكم اولا بالتوحيد ولا آمركم في
اول الامر بغيره لانه سابق على الكل ويدل عليه قوله تعالى ثم تتفكروا فان التفكر ايضا
صار مأمورا به وموصا الثانية قوله بواحدة قال المفسرون على انها صفة خصلة اي
اعظكم بخصلة واحدة ويحتمل ان يقال المراد حسنة واحدة لان التوحيد حسنة واحسان
وقد ذكر في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان العدل نفي الالهية عن غير الله
والاحسان اثبات الالهية له وقيل في تفسير قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان
المراد هل جزاء الايمان الا الجنان وكذلك يدل عليه قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله المسئلة الثالثة قوله مثنى وفرادى اشارة الى جميع الاحوال فان الا
نسان اما ان يكون مع غيره او يكون وحده فان كان مع غيره دخل في قوله مثنى واذا
كان وحده دخل في قوله فرادى فكانه قال فتقوموا مجتمعين منفردين لا يمنعكم
الجمعية من ذكر الله ولا يحوجكم الانفراد الى معين يعينكم على ذكر الله المسئلة الرابعة
قوله ثم تتفكروا يعني اعترفوا بما هو الاصل والتوحيد فلا حاجة فيه الى تفكر
ونظر بغير ما ثان ثم تتفكروا فيما اقول بعده من رسالتي والحشر فانه محتاج الى تفكر
وكلمة ثم تفيد ما ذكرنا فانه قال ان تقوموا لله ثم تتفكروا ثم بين ما يتفكرون فيه
وهو امر النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما بصاحبكم قوله تعالى ما بصاحبكم من جنة
يفيد كونه رسولا وان كان لا يلزم في كل ما يكون به جنة ان يكون رسولا وذلك لان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يظهر منه اشياء لا يكون مقدورا للبشر وغير البشر من
يظهر منه العجائب اما الجن او الملك فاذا لم يكن الصادر من النبي صلى الله عليه وسلم
بواسطة الجن يكون بواسطة الملك او بقدرة الله من غير واسطة وعلى التقديرين
فهو رسول وهذا من احسن الطرق وهي انه استثنا الصفة التي هي من اشرف الصفات
في النشر يبقى احسن الصفات فانه لو قال ان هو الا رسول كان يقولون فيه الفراغ فاذا قال
ما هو مجنون لم يسعهم انكار ذلك لعله يعلو شانه وحاله من قوة لسانه وباله واذا
ساعدوا على ذلك لزمتهم المسئلة ولهذا قال بعد ان هو الا نذير يعني اما هو به
جنة او هو رسول لكن بين انه ليس به جنة فهو نذير بين يدي عذاب شديد اشارة
الى قرب العذاب كانه قال ينذركم اي حاضر يمسكم عن قريب بين يدي العذاب
بعده ثم قال تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم لما ذكر ان ما به من جنة ليلزم
منه كونه نبيا ذكر وجها آخر يلزم منه اذا لم يكن مجنونا لان من يرتب الغنا الشديد
لا يعرض عاجلا اذا لم يكن ذلك فيه ثواب اخروي يكون مجنونا فالنبي صلى الله عليه
وسلم يدعي النبوة فجعل نفسه عرضة للهلاك عاجلا فان كل احد مقصده ويعاد
ولا يطلب اجرا في الدنيا فهو للآخرة والكاذب في الآخرة معذب لاسباب فلو كان كاذبا
لكان مجنونا لكنه ليس بمجنون فليس بكاذب فهو نبي صادق وقوله وهو على كل شيء

شهيد يعني بزاجر الرسالة وذلك لان الرسالة لا تثبت الا بالدعوى والبينة فدعى
شخص النبوة ويظهر الله المعجزة فهو بينة شاهدة والتصديق بالفعل يقوم مقام
التصديق بالقول في افادة العلم بدليل ناظر ثم قال للملك ايها الملك ان كنت انا رسولك
اليهم قل لهم انا رسولك فاذا قال انه رسولي اليكم لا يبقى فيه شك كذلك اذا قال يا ايها
الملك ان كنت انا رسولك اليهم فالبسني قال فلو لبسه حلة في عقب كلامه يجزم الناس
بانه رسوله كذلك حال الرسل قال الانبياء هذا الميت بفعله يحصل الجزم بانه صدقه
ثم قال تعالى قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وفيه وجهان احدهما يقذف الحق
في قلوب المحقين وعلى هذا الوجه الآية بما قبلها تعلق ذلك من حيث ان الله تعالى
لما بين رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان هو الا نذير لكم واكده بقوله قل ما سألتكم
من اجر فهو لكم وكان من عادة المشركين استبعاد تخصيص واحد من بينهم بانزال الذكر
ذكر ما يصلح جوابا لهم فقال قل ان ربي يقذف بالحق في القلوب اشارة الى ان الامر بفعل
ما يريد ويعطي ما يشاء لمن يشاء كما يريد من غير اختصاص محل الفعل بشيء لا يوجد في غيره لا
يكون عالما وانما فعل ذلك اتفاقا كما اذا اصاب السهم موضعا دون غيره مع تسوية
المواضع في المحاذاة فقال يقذف بالحق كيف يشاء وهو عالم بعواقب ما يفعله فهو يفعل
ما يريد لا كما يفعل الهاجم الغافل عن العواقب اذ هو علام الغيوب الوجه الثاني هو ان
المراد منه انه يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وعلى هذا تعلق الآية بما قبلها ايضا
ظاهر وذلك من حيث ان براهين التوحيد لما ظهرت وشبههم دحضت قال قل ان ربي
يقذف بالحق اي على باطلكم وقوله علام الغيوب على هذا الوجه معنى لطيف وهو ان البرهان
الباهر المعقول الظاهر لم يقم الا على التوحيد والرسالة واما الحشر فعلى وقوعه لا برهان
غير اخبار الله تعالى عنه وعن احواله واقواله ولولا بيان الله بالقول لما با
بخلاف التوحيد والنبوة قال علام الغيوب اي ما يخبر عن الغيب وهو قيام الساعة
واحوالها فهو لا خلاف فيه فان الله علام الغيوب والآية تحتمل تفسيرا آخر وهو ان يقال
ربي يقذف بالحق اي ما يقذفه بالحق لا يقذف على الوجهين الاولين وعلى هذا
الباء فيه كالباء في قوله تعالى وقضي بينهم بالحق وفي قوله فاحكم بين الناس بالحق والمعنى
على هذا الوجه هو ان الله تعالى قذف ما قذف في قلب الرسل بالحق وهو علام الغيوب
يعلم ما في قلوبهم وما في قلوبكم ثم قال تعالى قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد
لما ذكر الله تعالى انه يقذف بالحق فكان ذلك بصيغة الاستقبال ذكر ان ذلك الحق
قد جاء وفيه وجوه احدها انه القرآن الثاني انه بيان التوحيد والحشر وكل ما ظهر
على لسان النبي صلى الله عليه وسلم الثالث المعجزات الدالة على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم ويحتمل ان يكون المراد منه جاء الحق ظهر الحق لان كل ما جاء فقد ظهر والبا
طل خلاف الحق وقد بينا ان الحق هو الموجود ولما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
لم يكن انتفاؤه كالتوحيد والرسالة والحشر كان حقا لا ينتفي ولما كان ما يأتون به من
الاشراك والتكذيب لا يمكن وجوده كان باطلا لا يثبت وهذا المعنى يفهم من قوله تعالى

ومايبدي الباطل لايفيد شيئا في الاول ولا في الاخر فلا امكان لوجوده اصلا والحق الثاني يبدء لانه
له اصلا وقيل المراد لايبدي الشيطان ولا يعيد شيئا معتبرا لطيف وهو ان قوله تعالى يقذف
بالحق على الباطل فيدمغه كان يقع للمتوهم ان الباطل كان قد وقع عليه الحق فابطله ودفعه
فعا لهما ليس للباطل تحقق اولا واخرا واما المراد من قوله فيدمغه اي فيظهر بطلانه
الذي لم يزل كذلك واليه الاشارة بقوله تعالى في موضع اخر زهق الباطل ان الباطل
كان زهوقا بعين ليس امرا ٣ زهوق الباطل فقوله ومايبدي الباطل ايلا يثبت
في الاول شيئا خلاف الحق ولا يعيد اي لا يعيد في الاخر شيئا خلاف الحق ثم قال
تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه تقرير
للرسالة ايضا لان الله تعالى قال على سبيل العموم من اهتدى فلنفسه وقال في حق
النبي صلى الله عليه وسلم وان اهتديت فبما يوحي بعيني فدلا لي على نفسي اصلا لكم
واما اهتدى اي فليس له النظر والاستدلال انما هو بكم وانما هو بالوحي اليه وقوله
انه سميع اي يسمع اذا ناديته ٣ به عليكم قريبا بانبيكم من غير تاخير ليس كمن
سمع عن بعيد ولا بالعقل اي ثم قال تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت فسمع قريب
قال ابن قريب قال لم يعذب عاجلا ولا يعين صاحب الحق في الحال يوم الفزع ات
لا فوت وانما يستعجل من يخاف الفوت وقوله نزعوا جوابهم محذوف اي نزعوا فجيا واخذوا
من مكان لا يبعدون وانما الاخذ قبل تكبيتهم من القرب ثم قال تعالى وقالوا امنا
به بعد ظهور الايمان حيث لا ينفع ايمانا الا في الدنيا والدنيا في الاخرة بعيدة فان قيل
كيف قال في كثير من المواضع ان الاخرة في الدنيا قريبة وهذا سماه الله وقال لعل الساعة
قريب تقول الماضي كالاسير الدار يعد ما يكون اذ لا صل اليه والمستقبل وانما كان بينه
وبين الخاص ستين فهو ان يقوم القيامة قريب لانيانه والتناوش تناول من قريب
وبين عن بعيد والمعنى ان الله العقل باخوذ كالجسم حيث ظرف العقل هو الزمان كظرف
الجسم وغير المكان تقول من مكان بعيد والمراد ما مضى من الدنيا ثم بين الله تعالى انا
تهم لا ينفع فيه بسبب امم كذبوا به من قبل والاشارة في قوله اشابه وقوله كفروا به
الى محمد احدا ما محمد صلى الله عليه وسلم واما القرآن واما الحق الذي اتى به محمد صلى
الله عليه وسلم وهو اقوى بعيد واقرب وقوله ويقذفون بالغيب من قريب يومنون بالغيب
لان الغيب نزل من الله على لسان الرسول فيعتقده الله في القلوب ويقبله المومن
واما الكافر فيقذف بالغيب اي يقول فيه لا يعلمه وقوله من مكان بعيد يحتمل ان يكون
المراد منه ان ما حرم بعيد احد والشر له من انهم لا يقدرون على اعادة كثيرة الا
اذا كانوا اشخاصا كثيرة قال ذلك المحمولة فان الكثيرة واحدة واعيد الاعادة في حالهم
ومحزم عن الاحياء فان المريض يداوي فاذا مات لا يمكنهم اعادة الروح وبناء الله
على الخلق بعيد اما حد ويحتمل ان يكون ضد بقاء اتم كانوا يقولون ربما بان الساعة
اذا كانت قائمة فالثواب والنعيم لنا بقول فقابلهم ويبين حجة الجزء بيان في عنده
للمحسنين فكانوا يقولون ذلك لان قول الرسول وما كان ذلك عندهم في قولون

باض باصله

بياض باصله

من احساس فان من لا يجيء عقلا لا يعلم الا بالاحساس ويقول الصادق فهم كانوا يقولون من
الغيب من مكان بعيد فان قيل ذكرنا ان الاخرة قريبة فكيف قال من مكان بعيد
نقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان ذلك قريبه اذا اتى محمد صلى الله عليه وسلم
ومن لا يومن لا يكون معتقدا لمجيء فيكون بعيدا عنه الثاني ان الحكاية يوم القيامة فكانه
قال كانوا يقذفون من مكان بعيد ومن الدنيا يحتمل وجهان احدهما انهم في الاخرة كانوا
يقولون ربنا ارجعنا نعمل صالحا ومن قذفا في الغيب من مكان بعيد ومن الدنيا ثم قال
تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون من العود الى الدنيا او بين لذات الدنيا فان قيل
كيف يصح قوله ما يشتهون من العود مع انه تعالى قال لكما فعل باشياعهم من قبل وما
حيل بينهم وبين العود قلنا لم نعلم انه ما حيل بينهم كل من جاء العمل وطلب التاخير ولم
يعط واراد وان يرد واعند ظهور الياس ولم يقبل وقوله مريب يحتمل وجهين
احدهما ذي ريب والثاني موقع في الريب وسنذكر في موضع اخر ان شاء الله تعالى

سورة فاطر مكية

قالوا بالاجماع وهي خمس واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله فاطر السموات والارض تقدم ذكرنا فيما قبل ان الحمد كون على النعمة في اكثر
الامر ونعم الله قسمان عاجلة واجلة وجود وبقاء والاجلة ثلاثة ايجاد مرة اخرى
وابقاء وقوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور
اشارة الى النعمة العاجلة التي هي الايجاد واستدل الناعليه بقوله تعالى الحمد لله الذي
انزل على عبده الكتاب اشارة الى النعمة الاجلة التي هي الابقاء ان البقاء والصلاح
بالشرع والكتاب ولولا الوقعة المنازعة والمخاصمة بين الناس ولا بيقصر بينهم فكان
يفضي ذلك الى التقاتل والتفاني فانزل الكتاب بغية يتعلق بها البقاء العاجل
وفي قوله في سورة سبا الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة
اشارة الى الايجاد الثاني بالحشر واستدل الناعليه بقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض
من الاجسام وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها من الارواح منتهاه قوله
منها عن الكافرين وقالوا الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي لتاتينكم اشارة
الى نعمة البقاء في الاخرة ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة اي يجعلهم
رسلا ينقلون عباد الله كما قال تعالى وتتلقاهم الملائكة وعلى هذا فقوله تعالى
فاطر السموات والارض يحتمل وجهين الاول يعتاد مدحهم كما نقل عن ابن عباس
رضي الله عنهما والثاني فاطر السموات والارض اي شاقهما للنزول الارواح من السما
وخروج الاجساد من الارض ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا وعلى هذا
قال هذه السورة مفصل بالحرمها مصنى لان قوله كما نقل يا شياعهم بيان فلا تنقطع
وحيل كان في شك مريب بقيد بان لا قبول لتوبته ولا فائدة لقوله استثنى كما قال
تعالى بعضهم وقالوا امنا به وانى لهم التناوش فلما ذكر حالهم بين حال الموتى وبشره

الحا

بارسال الملايكة مبشرين وبين انه يفتح لهم ابواب الرحمة وقوله اولي اجنحة فاقل ما يكون
من الجناح ان يكون لها جناحان وما بعدهما زيادة وقال قوم فيه ان الجناح اشارة الى
الجهة وبيانه هو ان الله تعالى ليس فوقه شي وكل شي تحت قدرته ونعمته والملايكة لهم
وجه الى الله ياخذون منه نعمة ويقطعون من دونهم فما اخذوا باذن الله كما قال تعالى
نزل به الروح الامين على قلبك وقوله علمه شديد القوى وقال الله في حقهم فالمدبرات
امرا منها جناحان وفيهم من يفعل من الخير بواسطة وفيهم من يفعله لا بواسطة فالفاعل
بواسطة فيه ثلاث جهات وفيهم من له اربع جهات واكثر والظاهر ما ذكرناه اولا وهو
الذي عليه اطلاق المفسرين وقوله يزيد في الخلق ما يشا من المفسرين من خصصه
وقال المراد الوجه الحسن ومنهم من قال الصوت الحسن ومنهم من قال كل وصف محمود
والاولى ان يعم ويقال الله تعالى قادر كامل يفعل ما يشا ويزيد ما يشا وينقص ما يشا
وقوله ان الله على كل شي قدير تقرر قوله يزيد في الخلق ما يشا ثم قال تعالى
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده لما بين
كمال القدرة ذكر بيان نفوذ المشية ونفاذ الامر وقال ما يفتح الله يعني ان رحم
فلا مانع له وان لم يرحم فلا باعث له عليها وفي الاية دليل على سبق رحمته
غضبه من وجوه احدها التقديم حيث قدم بيان فتح ابواب الرحمة في الدار
وهو وان كان ضعيفا لكنه وجه من وجوه التفضل وثانيها هو ان الكفاية
الاولى فقال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وجاز من حيث العربية
ان يقال عايد الى ما ولكن قال تعالى ليعلم ان المفتوح ابواب الرحمة فلا ممسك لرحمته
فهي واصلة الى من رحمته وقال عند الامساك وما يمسك فلا مرسل له بالتذكير ولم يقل
لها فما صرح بانه لا مرسل للرحمة بل ذكره بلفظ يحتمل ان يكون الذي لا يرسل هو غير
الرحمة فان قوله تعالى وما يمسك عام من غير بيان وتخصيص بخلاف قوله تعالى ما يفتح
الله للناس من رحمة فانه مخصص مبين وثالثها قوله من بعده اي من بعد الله فا
ستثنى هاهنا وقال لا مرسل له الا الله فنزل له مرسلا وعند الامساك قال لا ممسك
له ولم يقل غير الله لان الرحمة اذا جاءت لا ترتفع فان من رحمه الله في الاخرة لا يعذبه
بعدها هو ولا غيره ومن يعذبه قد يرحمه الله بعد العذاب كالعشاق من اهل
الايمان ثم قال تعالى وهو العزيز الحكيم الكامل القدرة الحكيم الكامل العلم ثم قال
تعالى يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم لما بين ان الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة
التي تستوجب الحمد على سبيل التفصيل بين نعمه على سبيل الاجمال فقال اذكروا نعمة
الله وهي مع كثرتها ثم ان لا اله الا هو نظرا الى عظمته حيث هو عزيز حكيم قادر على كل
شي نافذ الارادة في كل شي ولا مثل لهذا فلا معبود لذاته غير هذا ونظرا الى نعمه حيث
لا خالق غيره ولا رازق الا هو ثم قال فانى تؤفكون اي كيف تصرفون عن هذا
الظاهر فكيف تشركون المنعوت بمن له الملكوت ثم لما بين الاصل الاول وهو التوحيد
ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة فقال وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك

489

والى الله ترجع الامور ثم بين من حيث الاجمال ان المكذب في العذاب والمصدق له الثواب
بقوله والى الله ترجع الامور ثم بين الاصل الثالث وهو الحشر فقال يا ايها الناس ان وعد
الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان وقد ذكرنا ما فيه
من المعنى اللطيف في تفسير سورة لقمان ونعيده هاهنا فنقول المكلف قد يكون ضعيف
الذهن قليل العقل سخيف الراي فيغتر بادنى شي وقد يكون فوق ذلك فلا يغتر به
ولكن اذا جاءه غار وزين له ذلك الشي وهون عليه فعاهده وبين له منافع تغير لما
فيه من اللذة مع ما ينضم اليه من دعا ذلك الغار اليه وقد يكون قوي الحاسر عزيز
العقل فلا يغتر فقال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اشارة
الى الثانية ليكون واقعا في الدرجة الثالثة وهي العليا فلا يغتر ولا يغر ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا الاية وتفسيرها مفقودة فانظرها في نسخة اخرى ثم
قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا يعني ليس من عمل سيئا كالذي عمل صالحا
كما قال بعد هذه الايات وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وله تعلق بما
قبله وذلك من حيث انه تعالى لما بين حال المسي الكافر والمحسن المومن وما من احد يعترف
بانه يعمل شيا الا قليل فكان الكافر يقول الذي له العذاب الشديد هو الذي يتبع الشيطان
وهو محمد وقوله الذين استهوتهم الجن فاتبعوها والذي له الاجر العظيم نحن الذي دمنا
على ما كان عليه اباونا فقال تعالى لستم انتم فان المحسن غير ومن زين له العمل السيئ
فراه حسنا غير بل الذين زين لهم السيئ دون من اسا وعلم انه مسي فان الجاهل الذي
يعلم جهله والمسي الذي يعلم سوء عمله يرجع ويتوب والذي لا يعلم يصر على الذنوب
والمسي العالم له صفة ذم بالاشارة وصفة مدح بالعلم والمسي الذي يرى الاساة
احسانا له صفات ذم الاساة والجهل ثم بين ان الكل بمشية الله وقال فان الله
يضل من يشا ويهدي من يشا وذلك لان الناس اشخاصهم متساوية في الحقيقة والا
ساة والاحسان والسيئة والحسنة يمتاز بعضها عن بعض فاذا عرفها البعض
دون البعض لا يكون ذلك باستقلال منهم فلا بد من الاسناد الى ارادة الله ثم
سلى رسوله صلى الله عليه وسلم حين حزن من اصدادهم بعد اتيانه بكل اية ظاهرة
وحجة قاهرة قال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك
على اثارهم ثم بين ان حزنه ان كان لما بهم من الضلال فالله عالم بهم وبما يصنعون لو
اراد ايمانهم واحسانهم لصدهم من الضلال وان كان لما به منهم من الايذا فالله عالم
بفعلهم يجازيهم بما يصنعون ثم عاد الى البيان فقال والله الذي ارسل الرياح هبوب
الرياح دليل ظاهر على الفاعل المختار وذلك لان الهوا قد يسكن وقد يتحرك وعند
حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى اليسار وفي حركاته المختلفة قد ينشي
السحاب وقد لا ينشي فهذه الاختلافات دليل على مسخر مدبر وفي الاية مسايل
المسيلة الاولى قال الله تعالى الذي ارسل بلفظ الماضي وقال فتثير سحابا بصيغة
المستقبل وذلك لانه لما اسند فعل الارسال الى الله وما فعل الله يكون بقوله كن

انظر الى هذا المحل بالاصل

فلا يبقى في العدم لا زمان ولا جزء من الزمان فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة
كانه كان ولانه فرغ من كل شيء فهو قدر الاسال في الاوقات المعلومة والى المواضع المعينة
الى الريح وهو في زمان فقال تثير اي على هيئتها المسئلة الثانية قال ارسل باسناد الفعل
الى الغائب وقال سقناه باسناد الفعل الى المتكلم وكذلك في قوله فاحيينا وذلك لانه
في الاول عرف نفسه بفعل من الافعال وهو الارسال ثم لما عرف قال انا الذي عرفتني سقت
السحاب واحييت الارض ففي الاول كان تعريفا بافعل العجيب وفي الثاني كان تذكيرا
لنعمه فان كمال نعمة الرياح والسحب بالسوق والاحياء وقوله سقناه واحيينا بصيغة
الماضي يريد ما ذكرناه من الفرق بين قوله ارسل وبين قوله تثير المسئلة الثالثة
ما وجه التشبيه بقوله كذلك النشور تقول فيه وجوه احدها ان الارض الميتة لما
قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الاعضاء تقبل ثانيها كما ان الريح تجمع القطع السحابية
كذلك تجمع اجزاء الاعضاء وابعاض الاشياء وثالثها كما انا نسوق الريح والسحاب الى البلد
الميت نسوق الروح والحياة الى البدن الميت المسئلة الرابعة ما الحكمة في اختيار
هذه الاية من بين الايات مع ان الله تعالى له في كل شيء اية تدل على انه واحد
فنقول لما ذكر الله انه فاطر السموات والارض وذكر من الامور السماوية الارواح
وارسالها بقوله والله الذي ارسل الرياح وقال تعالى من كان يريد العزة فلله
العزة جميعا لما بين برهان الايمان اشار الى ما كان يمنع الكافر منه وهو العزة الظاهرة
التي كانوا يتوهمونها من حيث انهم ما كانوا يقولون ان هذه الهتنا ثم انهم كانوا يتلقونها
مع انفسهم وانه عزة فوق المنعة مع المعبود فهم كانوا يطلبون العزة وهي التذلل
للرسول وترك الاتباع له فقال ان كنتم تطلبون بهذا الكفر العزة فهي كلها لله ومن
يتذلل له فهو العزيز ومن يتعزز عليه فهو الذليل وفي الاية مسائل المسئلة الاولى
قال في هذه الاية فلله العزة جميعا وقال في اية اخرى فلله العزة ولرسوله وللمؤ
منين وقوله جميعا يدل على انه لا عزة لغيره فنقول قوله فلله العزة اي في الحقيقة
وبالذات وقوله ولرسوله اي بواسطة القرب من العزيز وهو الله وللمؤمنين
بواسطة قربهم من العزيز الا ترى ان قوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله المسئلة الثانية قوله اليه يصعد الكلم الطيب تقرير لبيان العز
هو ذلك لان الكفار كانوا يقولون نحن لا نعبد من لا نراه ولا نحضر عنده لان البعد
من الملك ذلة فقال تعالى ان كنتم لا تصلون اليه فهو يسمع كلامكم ويقبل الطيب فمن قبل
كلامه وصعد اليه فهو عزيز ومن يرد كلامه في وجهه فهو ذليل واما هذه الاصنام
فلا تعلم شيئا فلا عزيز عندها ولا ذليل فلا عزة بها بل كلها ذلة ولذلك لان ذلة
السيد ذلة العبد ومن كان معبوده وربه والهه حجارة او خشبة ماذا يكون هو
المسئلة الثالثة في قوله اليه يصعد الكلم الطيب وجوه احدها لا اله الا الله هي
الطيب ثانيها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر طيب ثالثها هذه الكلمات
الاربع وخامسها وهي تبارك الله والمختار ان كل كلام هو ذكر الله او هو لله كالنصيحة

والعلم فهو اليه يصعد المسئلة الرابعة قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه في الهاء وجهان
احدهما عائدة الى الكلم الطيب اي العمل الصالح الذي يرفع الكلم الطيب وورد في الخبر لا يقبل
الله قولا بلا عمل وثانيهما هي عائدة الى العمل الصالح وعلى هذا في الفاعل الرافع وجهان
احدهما هو الكلم الطيب اي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح وهذا يؤيده قوله تعالى من عمل
صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن وثانيهما الرافع هو الله تعالى المسئلة الخامسة ما
وجه ترجيح الذكر على العمل على الوجه الثاني حيث يصعد الكلم بنفسه ويرفع العمل بغيره
فنقول الكلام تشريف فان امتياز الانسان عن كل حيوان بالنطق لهذه قال تعالى
ولقد كرمنا بني ادم بالنفس الناطقة والعمل حركة وسكون يشترك فيه الانسان
وغيره والشريف اذا وصل الى باب الملك لا يمنع ومن دونه لا يجد الطريق الا عند الطلب
ويدل على هذا ان الكافر اذا تكلم بكلمة الشهادة ان كان عن صدق امن عذاب الدنيا
والاخرة وان كان ظاهرا امن في نفسه ودمه واهله وحرمه في الدنيا ولا كذلك العمل
بالجوارح وقد ذكرنا ذلك في تفسير قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات وجه
اخر القلب هو الاصل وقد تقدم ما يدل عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم الا وان
في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب
وما في القلب لا يظهر الا باللسان وما في اللسان لا يبين صدقه الا بالفعل فالقول اقرب
الى القلب من الفعل الا ترى ان الانسان لا يتكلم بكلمة الا عن القلب واما الفعل فقد يكون
لا عن قلب كالعبث باللحية ولان النائم لا يخلو عن فعل من حركة وتقلب ولا كذلك العمل
المسئلة السادسة قال الزمخشري المكر لا يتعدى فيه انتصاب السيئات وقال بان معنا
الذين يمكرون المكرات السيئات فهو وصف مصدر محذوف ويحتمل ان يقال استعمل المكر
استعمال العمل فهذا تعديته كما قال الذين يعملون السيئات وفي قوله يعملون السيئات يحتمل
ما ذكره ان يكون السيئات وصف المصدر تقديره الذين يعملون العملات السيئات
وعلى هذا فيكون هذا في مقابلة قوله والعمل الصالح يرفعه اشارة الى بقائه وارتقائه
ومكروا للملك اي العمل السيء وهو يبور اشارة الى فنائه ثم قال تعالى والله خلقكم
من تراب قد ذكرنا مرارا ان الدلائل مع كثرتها وعدم دخولها في عدد محصور منحصر
في تفسير دلائل الافاق ودلائل الانفس كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي
انفسهم فلما ذكر دلائل الافاق من السموات وما يرسل منها من الملائكة والارض وما
يرسل منها من الرياح شرع في دلائل الانفس وقد ذكر تفسيره مرارا وذكر ما قيل ان
قوله من تراب اشارة الى خلق ادم ثم من نطفة اشارة الى خلق اولاده وبينا ان
الكلام غير محتاج الى هذا التاويل بل خلقكم خطاب مع الناس وهم اولاد ادم وكلهم
من تراب ومن نطفة لان كلهم من نطفة والنطفة من غذاء والغذاء بالاخرة شيء الى
الماء والتراب فهو من تراب صار نطفة وقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اشارة
الى كمال العلم فان ما في الارحام قبل الانخلاق بل بعده ما دام في البطن لا يعلم احد
حاله احد كيف والام الحاملة لا تعلم منه شيئا فلما ذكر بقوله خلقكم من تراب كمال قدرته

بين بقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه كما علمه تارة بين بقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فبين انه هو القادر العالم المريد والا صنام لا قدرة لها ولا علم ولا ارادة تكيف بيستحق بها شيء من العبادة وقوله تعالى ان ذلك على الله يسير اي الخلق من التراب ويحتمل ان يكون المراد بما تحاله لا ينبغي بيسير والكل على الله يسير والاول اشبه فان اليسير استعماله في الفعل اليسير ثم قال تعالى وما يستوي البحران قال المفسرون اكثرهم ان المراد من الآية ضرب المثل في حق الكفر والايمان والكافر والمؤمن فالايمان لا يشتبه بالكفر في الحسن كما لا يشتبه البحران والفرات والملح الاجاج ثم على هذا تقوله ومن كل تاكلون لحما طريا لبيان ان احد الكافر والمؤمن والكفر والايمان دون حال البحرين لان الاجاج لا يشارك الفرات في شيء ونقع اذ اللحم الطري يوجد فيهما والحلية توجد منهما والفلك تجري فيهما ولا تقع في الكفر والكافر وهذا تستوي قوله تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار والاظهر ان المراد منه دليلا اخر على قدرة الله وتدل من حيث ان البحرين سيتوبان في الصورة ويختلفان في الماء فان احدهما عذب فرات والاخر ملح اجاج ولو كان ذلك بايجاب الما اختلف المتشابهان وبان ثم انهما بعد اختلافهما يوجد فيهما امور متشابهة فان اللحم الطري يوجد فيهما والحلية توجد منهما ومن يوجد في المتشابهين اختلافا من المختلفين اشتباهما لا يكون الا قادرا مختارا وقوله وما يستوي البحران اشارة الى قدم استوا يهما دليل على كما استدرته وتقوا ان الله وفي الاية مسائل المسئلة الاولى قال اهل اللغة لا يقال في البحر انه ملوحة ملح ولا يقال له ملح وقد ذكر في بعض كتب اللغة نضرته ما البحر ملح اجاج ولو احد قال له هو ملح لا يصح مما يذهب اليه القوم وذلك لان لما العذب اذا الذي فيه ملح حتى ملح لا يقال الا ملح وما ملح يقال للما الذي صار من اصل خلقته كذلك لان لملح شيء فيه ملح ظاهر في الذوق واما للملح بخلافه ليس فيه ملح وملح بخلاف الطعام المالح قالما العذب المختلف فيه الملح وما فيه ملح ظاهر في الذوق واما الملح بخلافه اذ هو من اصل خلقته كذلك قلما قال الفقيه الملح اجزاء ارضية سبخة يبين بها ما البحر ما كان في فيه الاصل فانه جعله ملحا وره ملح واهل اللغة حيث قالوا في البحر هو ملح جاهلوه كذلك من اصل الخلقة والاجاج المر وقوله ومن كل تاكلون لحما طريا من الطير والسمك وتستخرجون حلية تلبسونها من اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه مواخر اي ماخرات تمخر البحر بالجريان اي سبق قوله لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يدل على ما ذكرنا من ان المراد من الحر من الاية الاستدلال بالاخير وما فيها على وجود الله وعلى بينته وعلى قدرته ثم قال تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل استدلالا اخر باختلاف الازمنة وقد ذكرناه مرارا وذكرنا انه قوله تعالى في نوره وتسخير الشمس والقمر جواب لسوال تذكره المشركون وزعموا قالوا اختلاف الليل والنهار بسبب اختلاف الشمس الواقعة فوق الارض وتحتها فان في الصيف تمر الشمس على سمت

الرؤس في بعض البلاد المايلة الافاق وحركة الشمس هناك حمالة فتقع تحت الارض اقل من نصف دايرة فيقل زمان تحت الارض فيقصر الليل وفي الشتا بالضد فيقصر النهار فقال الله تعالى وسخر الشمس والقمر بعينه سبب اختلاف واذكانا ما ذكرتم لكن سير الشمس والقمر بارادة الله وقدرته فهو الذي تعمل ذلك ثم قال تعالى ذلكم الله ربكم اي ذلك الذي تفعل هذه الاشياء من فطر السموات والارض وارسل الارياح وارسل الرياح وخلق الانسان من التراب وغيره ذلك له الملك كله فلا معبود الا هو لانه الخالق والكونه ملكا والملك يحرم بقدر ملكه فانما كان له الملك كله فله العبادة كلها ثم بين ما ذكر بين في الالهية وهو قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير وهاهنا لطيفة وهي ان الله تعالى ذكر لنفسه توعين من الاوصاف احدهما الخالق بالقدرة والارادة والقابل بالملك واستدل بهما على انه المعبود كما قال تعالى قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس ذكر الرب والملك ورتب عليهما كونه الها اي معبودا ذكر ثمن اشركوا به سلب الوصف الاخر لوجهين احدهما ان كلهم كانوا معترفين بان الخالق لهم وانما كانوا يقولون بان الله تعالى فوض امر الارض والارضيات الى الكواكب التي الاصنام على صورتها وطوعا قال لا ملك لهم ولا لكم الله سبحانه وتعالى فيهما اذ يلزم من عدم الملك عدم الخلق لانه لو خلق شيئا لملكه فاذ لم يملك قطميرا ما خلق قليلا ولا كثيرا ثم قال تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم ايطا لما كانوا يقولون ان في عبادة الاصنام عزة من حيث التقرب منها فالنظر اليها وعرض الحوايج عليها والله لا يرى ولا يصل اليه احد فقال ولو لا يسمعون دعاكم والله بفرض انه العالم الطيب فيقبل ويسمع ثم تنزل من تلك الدرجة وقال رهبانهم يسمعون كما يقولون قانهم كانوا يقولون بان الاصنام تسمع وتقضي ولكن قالوا نوعكم ان تقولوا انهم يسمعون لان ذلك انكار المحسن به وعدم سماعهم انكار المعقول والنزاع قال كما يقع في القول فلا يكذل وقوعه في المحسن به ثم انه تعالى قال ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي باشراكم بالله شيئا كما قال تعالى انا لنشرك لظلم عظيم اسم الاشراك وقوله ولا ينبيك مثل خبير يحتمل وجهين احدهما ان يكون ذلك خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجحه بوان الله تعالى لما اخبر بان الحسب والمخبر يوم القيامة يتبرؤ ويكذب عابده وذلك امر لا يعلم بالعقل المجرد لو لا اخبار الله تعالى عنه قال الله تعالى انهم يكفرون بهم يوم القيامة وهذا القول مع كون المخبر عنه امرا عجيبا امر كما قال لان المخبر عنه خبير فانهما ان يكون ذلك خطابا لغير معين ياحد هذا الذي ذكر بركما ذكرو لا ينبيك ايها السامع كابيان كما تعلم خبير ثم قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله والله هو الغني الحميد لما ذكر الدعا من النبي صلى الله عليه وسلم والاصرار من الكفار قالوا ان الله لعله يحتاج الى عبادة ساعتي فقال الله تعالى انتم الفقرا الى الله والله هو الغني الحميد فكل ما امركم بالعبادة لا حاجة اليكم وانما هو لاشفاقه عليكم وفي الاية مسايل المسئلة الاولى التعريف في الخبر

والاثر الا ان يكون الخبر نكرة والمبتدا معرفة وبعض الوقت لان الخبر لا
يجيز في الاكثر الا يا ما لا يكون عند المخبر منه علم اذ في ظن المتكلم ان السامع لا علم له به ثم لقيد ١
لا بد من ان يكون معلوما عند السامع حتى يقول له ايها السامع الامر الذي تعرفه انت
فيه المعنى الفلاني كقول القايل زيد قايم او قام اي زيد الذي تعرفه ثبت له قيام
لا علم عندك به فان كان الخبر معلوما عند السامع والمتكلم ذلك ينقع الخبر ٢ بيا من
لحسن تعريف الخبر في غاية الحسن كقول القايل الله ربنا ومحمد نبينا حيث عرف كون
الله ربا وكون محمد نبيا وهما عالمان كون الانسان فقيرا امرا ظاهرا لا يخفى على
احد قال انتم الفقرا المسيلة الثانية قوله الى الله اعلام بانه لا افتقار الا اليه ولا
انتقال الا عليه وهذا يوجب عبادته لكونه مفتقرا اليه وعدم عبادة غيره لعدم
الافتقار الى غيره ثم قال والله هو الغني اي مع استغنايه بيعوكم كل النعا وانتم
مع اغنياكم لا تجيبونه ولا تعبونه فيجيبكم المسيلة الثالثة في قوله الحميد لما زاد
في الخبر الاول وهو قوله انتم الفقرا زيادة فاذا الواجب وجوب حصر العبادة في
عبادته زاد في وصفه بالمعين زيادة وهو كونه حميدا اشارة الى كونكم فقرا وفي
مقابلة الله غنيا وفقركم اليه في مقابلة نعمه عليكم لكونه حميدا واجب الشكر
فلستم انتم فقرا والله غني في مثلكم في التقرير بل هو غني على الاطلاق ولستم انتم لما افتقرتم
اليه تركتم غير مقتضى الحاجات بل قضى في الدنيا حوايجكم وان امتنع بعضكم في الاخر ٥
حوايجكم فهو حميد ثم قال تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد بيانا لعباده ٥
وتنبيها على كماله وبيانه انه تعالى قال ان يشا يذهبكم اي ليس اذهابكم موقوفا
الا على مشيته بخلاف النبي المحتاج اليه فان المحتاج لا يقول قابل قد شيا
فلان هدم داره واعدم عقاره وانما يقول لولا حاجة السكنى لهدم الدار لبيعها ولولا
الافتقار الى العقار لترك تهاتم انه تعالى جيز ادبيان الاستغنا بقوله ويات بخلق جديد
يعني انه كان يتوهم ان هذا العالم لكماله وعظمته لو اذهبه لزال بكله وعظمته فهو
قادر بان يخلق خلقا جديدا احسن من هذا واجمل واتم واكمل ثم قال وما ذلك
على الله بعزيز اي الاذهاب والاتيان وهاهنا مسيلة وهي ان لفظ العزيز استعمله
الله تعالى تارة في القيام بنفسه حيث قال في حق نفسه وكان الله قويا عزيزا
وقال في هذه السورة ان الله عزيز غفور واستعمله في القيام بغيره حيث قال
وما ذلك على الله بعزيز وقال عزيز عليه ما عنتم فمن فيهما يمين فاحد المعنيين
فتقول العزيز اي لا يغلب في اللغة من عز اي غلب فالله عزيز اي غالب والفعل اذا
كان لا بطبيعة تخصص بقيال متعلوب بالنسبة الجيد لذي العقل فقوله وما ذلك على
الله بعزيز اي لا يغلبه احد لان العقل يبرهن على الله وقوله عزيز عليه ما عنتم
اي يحزنه ويوذيه كما العقل الغايب ثم قال ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس ذنب

نفس قال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان كاذبا في دعايه لكان مذنبا وهو منتف بالاية ذنبه
لا تحملونه انتم فهو يتوفى ويجتزى والده بقايي غير فقير الى عبادتكم فتكفرون واعلموا انكم ان
ضللتم فلا يجل احد عنكم وزركم ويسر كما يقول لكم بركم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وفي
الاية مسايل المسيلة الاولى قوله وازرة اي نفس وازرة لا يجمع بين الموصوف والصفة
فلم يقل ولا تزر نفس واخرة وزر اخرى ولا يجمع بين الموصوف للغايبة اما الاول فلانه لو
قال ولا تزر نفس وزر اخرى لعلم ان كل نفس وازرة بل موصوفة بهم وزرها مجهزة في
امرها وجبا اخرى وان تقول القايل ولا تزر نفس وزر اخرى فترجيح معهما اذ لا تزر وزر
اصلا كما معصوم لا يزر وزر غيره ومع ذلك لا يزر وزر اساسا فقوله ولا تزر وازرة
بين انها تزر وزرا ولا تزر وزر الغير واما ترك ذكر الموصوف لعلم مرر الصفة ولزومها
للموصوف ثم قال تعالى وان تدع مثقلة الى حملها الاشارة الى ان احدا لا يحمل عن احد
شيا سيتدبا ولا بعد السوال فان المحتاج قد يصبر ويقضي حاجته من غير سواله فاذا
انتفى الافتقار الى حد الكمال بوجه السوال المسيلة الثانية في قوله مثقلة زيادة
بيان لما تقدم من حيث انه قال ولا تزر وازرة وزر اخرى فيظن اذ احد الاحمال
عن احد لكون ذلك الواحد قادرا على حمله كما ان الغريم اذا اخذ بيده ربانه او سفر
جلة لا يحمل عنه قاما ان كان الحمل ثقيلا فزجر الحامل ينجد عنه فقال مثقلة ليس
عدم الوزر لعدم كونه محلا لوجوه بل لثقل بل تكون النفس مثقلة ولا يحمل عنها يثبت
المسيلة الثالثة زاد في ذلك بقوله ولو كان ذا قربى اي يجمل جميع المعاني الداعية الى
الحمل من كون النفس وازرة قوية تحمل وكون الاخرى مثقلة لا يقا لها قوية قاد
ليس عليها حمل وكونها سايلة داعية قاد السوال منطبة الدرجة ولو كان المسول قريبا
قاد لا يكون التحلف الا لمانع وهو كون كل نفس تحت حمل ثقيل ثم قال تعالى انما
تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب اشارة الى ان الاشارة قوى ما ايتبه به ولم يعدهم
فلا تنذر انذارا معتدا الا الذين على قلوبهم خشية وتتلي ظواهرهم بالعبادة فقوله
الذين اسند الاشارة الى عمل القلب وعلوا الصالحات اشارة الى عمل الظواهر بقوله
الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة في ذلك المعنى ثم كما بين ان لا تزر وازرة
وزر اخرى بين ان الحسنة تنفع المحسنين ومن تزكى تزكى لنفسه ثم قال تعالى
والى الله المصير اي التزكيم تظهر قابلية عاجلا فالمصير الى الله يظهر عنده في يوم
التلاقي في دار البقا والزلزات لا يظهر وتره في الدنيا التي تظهر في الاخرة اذ المصير
الى الله نبه بما بين الهدى والضلالة فلم يهد الكافر وهدى الله اعمى صعب يلم شلاله
بالبصير الاعمى يقال لمن يبصر حيث ابصر الطريق الواضح والكافر اعمى في تقسير
الاية مسايل المسيلة الاولى ما الفايدة في تكثيره لاشاته هاهنا حيث ذكر الاعمى
والبصير والظلمات والنور والظل والحرور والاحيا والاموات تقول الاول مثل

زة

المؤمن والكافر فالمؤمن بصير والكافر اعمى ثم ان البصير وان كان حديد البصر لكن لا يبصر شيئا ان لم يكن في منور فتذكر الايمان والكفر مثلا وقال الايمان نور والمؤمن بصير والبصير لا يتحقق عليه النور والكفر ظلمة والكافر اعمى قلبه صادف فوق صادف ثم ذكر المثل لهما ومن جعلهما مثلا بين الظل والحرور فالمؤمن بايمانه في ظل وراحة والكافر بكفره في حر وتعب ثم قال تعالى وما يستوي الاحياء ولا الاموات مثلا اخر في حق المؤمن والكافر كأنه قال تعالى المؤمن والكافر فوق حال الاعمى والبصير فان الاعمى يشارك في ادراك الصلاح والكافر غير مدرك ادراكا قاصرا فوق الكافر بكونه ادراكا تاما ذكر العقل حيث قال وما يستوي الاعمى والبصير وعطف الظلمات والنور والظل والحرور ثم اعاد الفعل وقال وما يستوي الاحياء ولا الاموات كأن هذا اعيد تمام ذلك المسئلة الثانية كرة التي بين الظلمة والنور والظل والحرور مضادة في الظاهر تنافي النور والضياء ذة والعمى والبصر كذلك اما الاعمى والبصير ليس كذلك بل الشخص الواحد قد يكون بصيرا فهو والظل والحرور المتناقة بينهما ذاتية لا المراد من الظل عدم الحر والبرد فلما كانت المناقاة هناك ذاتية بين الاحياء والاموات وان كانوا لا اعمى والبصير من حيث الجنس الواحد يكون حيا محلا للحياة بصير محلا للنور ولكن المناقاة بين الحي والميت اتم من المناقاة بين الاعمى والبصير كما بينا ان الاعمى والبصير يشتركان في ادراك الاشياء ولا كذلك الحي والميت بخلاف الحي في الحقيقة لا في الوصف على ما بين في الحكمة الالهية المسئلة الثالثة تقدم الانذار في مثلين وهو الظل والحي واخره في مثلين وهو البصير والنور فيما يظهر هذا القول المشهور انه راعى واخر الاي راجع الى السمع و معجزة القرآن في المعنى لا في مجرد اللفظ فالشاعر يقدم ويؤخر للسجع فيكون اللفظ حاصلا له بتغيير المعنى واما القرآن فحكمه بالعكس فيه صحيح واللفظ فيصح قبلا يقدم ويؤخر اللفظ لا لمعنى فنقول الكفار قبل النبي صلى الله عليه وسلم كانوا في ضلالة فكانوا كالاعمى وطريقهم كالظلمة ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم وبين الحق وأهتدى به قوم فصاروا بصيرين وطريقهم كالنور فقال وما يستوي بين من كان من قبل البعثة على الكفر واهتدى بعده على الايمان فلما كان الكفر قبل الايمان في زمان ن محمد صلى الله عليه وسلم والكافر قبل المؤمن قدم المتقدم ثم لما ذكر اعمالهم والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لقوله سبقت رحمتي غضبي ثم ان الكافر المصر بعد البعثة صار امثل من الاعمى وشبهه الاموات في عدم ادراك الحق من جميع الوجوه فقال وما يستوي الاحياء ولا الموتى الذين امنوا بما انزل الله والاموات الذين بلغت عليهم الايات البينات ولم ينتفعوا بها وهم لما كانوا بعد ايمان من ابن فاخرجهم عن الموتين لوجود حياة الموتين قبل مجيء الكافرين المعاندين وقدم الاعمى على البصير لوجود الكفار الضالين قبل البعثة على الموتين المهتدين بعدها المسئلة الرابعة قابل الاعمى بالبصير بلفظ الجمع وقابل الظلمات بلفظ الجمع في احدها والواحد في الاخر لتعرف فيه حكمة قلت ثم بفضل الله وهدايته اما بي

الاعمى والبصير والظل والحرور فانه قابل الجنس ولم يذكر الافراد لان في العميان رأيك الابصار قد يوجد فرد من احد الجنسين بصاري فرد من الجنس الاخر كالبصير الغريب في بر موضح والاعمى الذي هو قريب ذلك المكان قد يقدر الاعمى على الوصول الى مقصد ولا يقدر البصير عليه او يكون الاعمى قد رزق من الذكاء ما ليس ويجربه البليد البصير و التفاوت بينهما في الجنسين متوقع به فان جنس البصير خير من جنس الاعمى واما الاحياء والاموات فالتفاوت الكثير وما بين بيت بصاري في الادراك حيا من الاحياء فذكرات الاحياء لا بصاروا ون الاموات سواقا بلة الجنس بالجنس وقابلت الفرد بالفرد واما الظلمات والنور فالحق واحد وهو التوحيد والباطل كثير وهو طرق الاشراك على ما بينا ان بعضهم يعبدون الكواكب وبعضهم النار وبعضهم الاصنام التي هي على صور شتى بكثة والجمع تدل على التفاوت بين كل فرد من الافراد وبين هذا الواحد مرة فقال الظلمات كلها اعتبارها لا تجد بينها ما بصاري النور وقد ذكرنا في تفسير قوله تعالى وجعل الظلمات والنور السبب في توحيد النور وجمع الظلمات ومن جملة ذلك ان النور لا يكون الا بوجود منور ومحل قابل للاستنارة والذي يمثله الشعاع فانه البيت الذي بنيه كوة يدخل منها الشعاع اذا كان في مقابلة الكوة شمس تخرج منه الشعاع ويدخل بيتا اخر ويبسط الشعاع على ارضه بري البيت الثاني مضيا و الاول مظلما ولم يكن هناك حائل كالبيت الذي لا كوة له فانه لا يضيء فاذا حصلت الامور الثلاثة يستنير البيت والا فلا تحقق الظلمة لفقد اي امر كان من الامور الثلاثة ثم قال ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور وفيه احتمالان بعنيين الاول ان يكون المراد بيان كون الكفار بالنسبة الى سماعهم كلام البشير والوحي النازل عليه دون حال الموتى فان الله يسمع الموتى البني لا يسمع من مات وافتر فالموتى سامعين من الله والكفار كالموتى لا يسمعون من البني والثاني ان يكون المراد تسلية النبي صلى الله عليه وسلم فانه مما بين له انه لا يفهم ولا يسمعهم فقال له مثلا لا يسمعهم الا الله فانه يسمع من يشاء ولو كان صخرة صما واما انت فلا تسمع من في القبور مما علمك من حسابهم من بني ثم قال ان انت الا نذير بيانا للتسلية ثم قال انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا مما قال انا انت الا نذير بين انه ليس نذيرا من تلقاء نفسه انما هو باذن الله وارساله ثم قال بالحق بشيرا ونذيرا مما قال انا انت الا نذير بين انه نذير من الله وان من امة الا خلا فيها نذير تقرير الامرين احدهما تسلية قلبه فانه ليس ببدع من الرسل حيث يعلم ان غيره كان مثله معتملا لما ذي الغرم والتزام القوم فتوله فانه ليس ببدع من الرسل وانما هو مرسل غيره يدعي ما ادعاه الرسل وتقرير قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات يعني انت جيتهم بالبينة والكتاب فكذبوك وادوه وغيرك ايضا اتاهم بمثل ذلك وقتلوا فقد كذب الذين من قبلهم بهم ما فعلوا بالرسل صبر واعلى ما كذبوا وكذلك يلزمهم ما بعدهم من الرسل لانهم كونهم رسلا الا بالمعجزات

البينات وقد اتيناهم محمد صلى الله عليه وسلم وبالزبر وبالكتاب المنير والمعنى اتيناهم محمدا صلى الله
فكذبوه مثل الرسل يلزمكم تكذيبه كما يلزم تكذيب موسى وعيسى عليهما السلام وهذا يكون تعزيزا
مع اهل الكتاب واعلم انه تعالى ذكر اوصافا ثلاثة اولها البينات وذلك لان كل رسول فلا
بد له من معجزة وهو الذي الدرجات ثم قد يبين عليه كتاب يكون فيه مواعظ وتنبيهات وان لم يكن
فيه نسخ واحكام شرعية وشرائع سمحة ومن يفوز عليه مثله اعلى مرتبة ممن لم ينزل عليه
ذلك وقد ينسخ شريعة الشرائع وينزل عليه الرسل بينات رسالتهم بالبينات وانكاثوا
اعلى مرتبة فبالزبر وان كانوا اعلى منها بالكتاب والبينات اتيناه الكل فلو رسول اشرف من الكل
لكون كتابه اتم واكمل من كل كتاب ثم قال تعالى ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير
اي من كذب بالكتاب المنزل من قبل وبالرسول المرسل اخذته الله تعالى فكذلك من يكذب
بالنبي فقوله فكيف كان نكير سؤال للتقرير فانهم عملوا اشد انكار الله عليهم وايتانهم بالاخبار
المنكرين لاستيصالهم ثم قال تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات
الى اخر الاية وهذا الاستدلال يدل على وجود الله وقدرته وفي تفسيرها
مسايل المسئلة الاولى ذكر هذا الدليل على طريقة الاستخبار وقال الم تر واكيف ذكر
الدليل المتقدم على طريقة الاخبار وقال والله الذي ارسل الرياح وفيه وجهان الاول
ان المنزل الماء اقرب الى النفع والمنفعة فيه اظهر فانه لا يحتاج عليه على احد في الرؤية
والرؤية ان الحاسة حياة الارض فعظم دلالته بالاستفهام لان الاستفهام الذي
للتقرير لا يبقى الا في الشيء الظاهر جدا كما ان من نصر لهلال ومر حتى جدا فقال له
عمير ابن وهب انك لتقول لي في الموضع الثلاثي فان لم يره تقول له اخش بطنك انه
وانت تعذر واذا كان بارزا تقول له اما تراه هذا شرطها هروا الثاني وتوابعه ذكره
بعد ما قرر المسئلة بدلايل اخر وظهر بما تقدم للمدعو ايصاره يفحوه الدلالات يقال
له انك صرت بصيرا بما ذكرناه ولم يبق لك عذر الا تزعجه الاية المسئلة الثانية
المخاطب من يحتمل وجهين احدهما النبي صلى الله عليه وسلم وفيه حكمة وهي ان الله
تعالى لما ذكر الدلايل وما تفهم قطع الكلام معهم والتفت الى غيرهم كما ان المبتدا
تصح بعض العبيد وتفهم من الفساد ولا يتفهم الارشاد يقوله لغيره اسمع ولا تكن
مثل هذا وتكرر معه ما ذكره مع الاول ويكون فيه اشعار بان الاول فيه بعضه لا ينبغي
للخطاب ينبغي له ويدفع عن نفسه تلك النقيصة والاحزان لا يخرج الى الكلام اجنبي
عن الاول بل يأتي بما يقارنه ليلا يسمع الاول كلاما اخر فيترك التفكر لما كان فيه من
النقيصة المسئلة الثالثة هذا استدلال على قدرة الله تعالى فاختياره حيث
اخرج من الماء الواحد ثمرات مختلفة وفيه لطايف الاولى قال انزل وقال اخرجنا وقد
ذكرنا فايدته وغيرها نقول قال الله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاصبحت
كان حيا هلا يقول نزولا مما الى الطبع لتفعله فقيل له فالاخراج لا يمكن ان يقول فيه
انه بالطبع فهو بارادة الله وكل ما كان اظهر استنده الى المتكلم وجه اخر ان الله تعالى
لما قال ان الله انزل علم الله بدليل وقرب المتكلم فيه الى الله تعالى من الحاضرين

فقال له اخرجنا وجه بصيغة المتكلم وما ناسب الاخراج انزله من الانزال الفايدة
الاخراج واستناده الاتم الى نفسه بصيغة المتكلم وما وحده بصيغة المتكلم الغالب للطيفة اخرى
تنبيه قال الفراء في جبال الجبل واحد وبيض كان قايلا قال اختلاف الصيران لاختلاف البقاع لا
تزيد ان بعض البقاع لا تنبت بعض البلاد كالزعفران وغيره فقال تعالى اختلاف البقاع
ليس الا بارادة الله والا فقد صار بعض الجبال بنيه مواضع حمر ومواضع بيض والجدد جمع
جدة وهي الخطة التي لطريق قال ابن قتيبة الواو في ومن الجبال ما تقديرها تقول اخضر وجعلين
احدهما ان تكون للاستيناف كانه قال تعالى اخرجنا بالماء ثمرات مختلفة الالوان وفي الكلام
من الجبال جدد بيض دالة على القدرة تحذيرا من ان يتكرر الارادة في اختلاف الالوان الحاصلة بينهما
ان تكون للعطف تقديرها وخلق من الجبال ولم يذكر الاية في الارض كما قال في الارض قطع
متجاورات مع ان هذا الدليل مشترك بينهما وذلك لان الله تعالى ما ذكر في الاول اخرجنا به
ثمرات كان نشر اخراج الثمار دليلا على القدرة ثم زاد عليه بيانا وقال مختلفا كذلك
في الجبال في نفسها دليل القدرة الارادة لان كون الجبل في بعض نواحيها ارفع الارض وبعضها
والاختلاف الذي في هيئة الجبل فان بعضها يكون لقضف وبعضها ارفع دليل القدرة
والارادة والاختيار ثم زاده بيانا وقال جدد بيض ايي مع دلالتها بنفسها هو دلالة
باختلاف الوانها كما ان اخراج الثمرات في نفسها دلايل وباختلاف الوانها دلايل اخر
المسئلة الرابعة تختلف الوانها الظاهر ان الاختلاف راجع الى كل لون اي ببيض
تختلف الوانها وحمر تختلف الوانها لان البيض قد تكون على لون التراب الا بيض دون
بياض الحجر وكذلك الاحمر ولو كان المراد ان البيض والحمر تختلف الالوان لكان محرد
التاكيد والاول اولى ويدل على هذا انه تعالى لم يذكر تختلف الوانها بعد البيض والحمر والسود
بل ذكره بعد البيض والحمر واخر السواد والغرابيب لان الاسود لما ذكره مع المؤكد وهو الغربيب
بالقاعدة المشهورة فلا يكون فيه اختلاف المسئلة الخامسة قيل بيان الغرابيب مؤكد للاسود
سود غربيب الاسود غربيب والمؤكد لا يجيء الا متاخرا فكيف جاء غرابيب سود نقول قال الزمخشري
غرابيب مؤكد لذي لون معدد في الكلام كانه تعالى قال سود غرابيب ثم اكد السود مرة
اخرى وفيه فايدة وهي زيادة التاكيد لانه تعالى ذكره مضمرا ومظهرا وتقدم من قال
على التقديم والتاخير ثم قال تعالى ومن الناس والدواب والانعام استدلال اخر على قدرة
واراده الله وكان الله تعالى قسمهم لان الخلق في العالم الذي نحن فيه وهو عالم المركبات
قسمين حيوان وغير حيوان اما نبات واما معدن والنبات اشرف باستناده اليه بقوله
فاخرجنا به ثمرات ثم ذكر المعدن بقوله ومن الجبال ثم ذكر الحيوان ديبا لا شرف منهما
وهو الانسان فقال ومن الناس ثم ذكر الدواب لاشتراكهما في حياتهما والانعام من غيره
وقوله مختلف الوانه القول فيه كما ذكرناه في نظيره دلايل كذلك باختلاف بلد واما قوله
مختلف الوانه ذكر لكون الانسان من جملة المذكورين وكون التذكير اعلى واولى ثم قال تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء الخشية تقتضي معرفة المخشي والعالم بصفات الله يخافه ويرجوه
وهذا دليل على ان العالم اعلى درجة من العابد لان الله تعالى قال ان اكرمكم عند الله

بيب
هر

اتقاكم فبين ان الكرامة بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم فالكرامة بقدر العلم لا بقدر العمل
نعم العالم اذا ترك العمل قدح ذلك في علمه فان من يراه يقول لو علم لعمل ثم قال تعالى
ان الله عزيز غفور ذكر ما يوجب الخوف والرجا فكونه عزيزا ذا انتقام يوجب الخوف
التام وكونه غفورا لما دون ذلك يوجب الرجا البالغ وقراة من قرا بنصب العلما
ورفع الله معناه انما يعظم ويبجل ثم قال تعالى ان الذين يتلون كتاب الله لما بين العلما
بالله وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم ذكر العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه وقوله
يتلون كتاب الله اشارة الى الذكر وقوله واقاموا الصلاة اشارة الى العمل البدني
وقوله وانفقوا مما رزقناهم اشارة الى العمل المالي وفي الايتين حكمة بالغة فقوله
انما يخشى الله اشارة الى عمل القلب وقوله ان الذين يتلون اشارة الى عمل اللسان وقوله
واقاموا الصلاة اشارة الى عمل الجوارح ثم ان هذه الاشيا الثلاثة متعلقة بجانب
علم الله هي الشفقة على خلقه لان من يعظم ملكا اذا راى عبدا من عبيده في حاجة
يلزمه قضا حاجته وان تهاون فيه لخل بالتعظيم والى هذا اشار بقوله عبدي مرضت
فما عدتني فيقول العبد كيف مرض وانت رب العالمين فيقول الله مرض عبدي فلان
وما زرته ولو زرته لوجدتني عنده يعني التعظيم متعلق بالشفقة فحيث لا شفقة
على خلق الله لا تعظيم لجانب الله وقوله سرا وعلانية حث على الانفاق كيف ما تهيا
فان تهيا سرا فعال ونعم والا فعلانية ولا يمنعه ظنه انه كان ريا فان ترك الخير مخافة
ان يقال فيه انه مرائي عين الريا ويمكن ان يكون المراد بقوله سرا اي صدقة وعلانية
اي زكاة فالاعلان في الفرض وهو مستحب وقوله يرجون تجارة لن تبور اشارة الى
الاخلاص اي ينفق لا يقال انه كريم ولا لشي من الاشيا غير وجه الله ليوفيهم اجورهم
اي ما يتوقعه ولو كان امرا بالغ الغاية ويزيدهم من فضله اي يعطيهم ما لم ينالهم
عند العمل ويحتمل ان يكون يزيدهم النظر اليه كما جا في تفسير الزيادة انه غفور شكور
عند اعطا الاجور شكور عند اعطا الزيادة ثم قال تعالى والذي اوحينا اليك من
الكتاب هو الحق لما بين الاصل الاول وهو وجود الله الواحد بانواع الدلايل من قوله
الله الذي ارسل الرياح وقوله والله خلقكم وقوله الم تر ان الله انزل من السما ذكر
الاصل الثاني وهو الرسالة فقال والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق تقريرا لما
بين من الاجر والثواب في تلاوة كتاب الله فانه حق ويتصدق ما له بحق ومحقق
وفي تفسيرها مسايل المسيلة الاولى قوله من الكتاب يحتمل ان يكون لابتدا الغاية
كما يقال ارسل الي كتاب من الامير الفلاني وعلى هذا فالكتاب يمكن ان يكون المراد
منه اللوح المحفوظ يعني الذي اوحينا من اللوح المحفوظ اليك حق ويمكن ان يكون
المراد هو القران يعني الارشاد والتبيين الذي اوحينا اليك من القران ويحتمل ان
يكون للبيان كما يقال ارسل الي من الثياب والقماش جملة المسيلة الثانية قوله هو
الحق اكد من قوله القايل الذي اوحينا حق من وجهين احدهما ان تعريف الخبر يدل على
ان الامر في غاية الظهور لان الخبر في الاكثر يكون نكرة لان الاخبار في الغالب تكون اعلاما

سوق امر لا معرفة للسامع به لا من يعرفه السامع كقولنا زيد العالم في هذه المدينة اذا كان علمه
مشهورا المسيلة الثالثة قوله مصدقا حال موكدة لكونه حقا لان الحق اذا كان لا خلاف
بينه وبين كتب الله يكون خاليا عن احتمال البطلان وفي قوله مصدق تقرير لكونه وحيا
لان النبي صلى الله عليه وسلم لما لم يكن قاريا كاتبا والى بيان ما في كتب الله لا يكون
ذلك الا من الله تعالى وجواب عن سوال الكفار وهو انهم كانوا يقولون بان التوراة
ورد فيها كذا والانجيل ذكر فيه كذا وكانوا يقرون من التثليث وغيره وكانوا يقولون
بان القران ما ورد فيه خلاف ذلك فقال التوراة والانجيل لم يبق بهما
بسبب تغيركم فهذا القران ما ورد فيه ان كان في التوراة فهو حق وباق على ما انزل
وان لم يكن فيه ويكون فيه خلافه فهو ليس من التوراة فالقران مصدق للتوراة وفيه
وجه اخر وهو ان يقال ان هذا الوحي مصدق لما تقدم لان الوحي لو لم يكن وجوده
لكذب موسى وعيسى عليهما السلام في انزال التوراة والانجيل فاذا انزل الوحي ونزل
محمد صلى الله عليه وسلم على جوازه وصدق به ما تقدم وعلى هذا ففيه لطيفة وهي
انه تعالى جعل القران مصدقا لما مضى ايضا يتصدق له لان الوحي اذا نزل على واحد جاز
ان ينزل على غيره وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجعل ما تقدم مصدقا للقران كونه
معجزة يكفي في تصديقه بانه وحي واما ما تقدم فلا بد معه من معجزة تصدقه المسيلة
الرابعة قوله ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالظواهر فلا يكون باطل في وجه
لا في الباطن ولا في الظاهر وثانيهما ان يكون جوابا لما كانوا يقولونه انه لو لم ينزل على
رجل عظيم فقال ان الله بعباده لخبير يعلم بواطنهم وبصير يرى ظواهرهم فاختار محمدا صلى
الله عليه وسلم ولم يختر غيره فهو اصلح من الكل ثم قال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا اتفق اكثر المفسرين على ان المراد من الكتاب القران وعلى هذا فالذين
اصطفينا هم الذين اخذوا بالكتاب وهم المومنون والظالم والمقتصد والسابق كلهم منهم
ويدل عليه قوله تعالى جنات عدن يدخلونها اخبر بدخولهم الجنة وكلمة
ايضا تدل عليه لان الايراث اذا كان بعد الاتحاد لا كتاب بعد القران فهو المورث
والايراث المراد منه الاعطا بعد ذهاب من كان بيده المعطي ويحتمل ان يقال المراد من
الكتاب هو جنس الكتاب كما في قوله تعالى جاتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير
والمعنى على هذا انا اعطينا الكتاب الذين اصطفينا وهم الانبيا ويدل عليه ان لفظ
المصطفى على الانبيا اطلاقه كثير ولا كذلك على غيرهم ولان قوله من عبادنا دل على
العباد المكرمين بالاضافة اليه ثم المصطفين منهم اشرف منهم لا يليق بمن يكون اشرف
من الشرفا ان يكون ظالما مع ان لفظ الظالم اطلقه الله في كثير من المواضع على الكافر وسمى
الشرك ظلما وعلى الوجه الاول التفسير ظاهر معناه اتينا القران لمن امن بمحمد صلى الله عليه
وسلم واخذوه منه وافترقوا فمنهم ظالم وهو المسمى ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا
واخر سيا وسابق بالخيرات وهو الذي اخلص العمل لله واحترز عن السيات فان قال
قايل كيف قال في حق من ذكر في حقه انه من عباده وانه مصطفى انه ظالم مع ان الظلم

496

مطلق تحاربي العاصي في كثير من المواضع فتقول المؤمن عند المعصية يضع نفسه في غير موضعها
فهو ظالم لنفسه حال المعصية واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني
حين يزني وهو مؤمن ويصح هذا قول عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لما
مغفور له وقالا دام مع كونه مصطفى ربنا ظالمنا انفسنا واما الكافر فيضع قلبه الذي
به اعتبار الجسد في غير موضعه فهو ظالم على الاطلاق واما قلب المؤمن فيظهر الايمان
لا يضعه في غير التفكر في الله ولا يضع فيه غير محبة الله وفي المراتب الثلاثة اقوال
كثيرة احدها الظالم هو الراجح السيئات والمقتصد هو الذي تساوت سيئاته وحسناته والسابق
هو الذي ترجحت حسناته ثانيها الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه والمقتصد من
تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير ثالثها الظالم هو الموحد بلسانه الذي
يخالفه جوارحه والمقتصد هو الموحد الذي يمنع جوارحه من المخالفة بالتكليف والسابق
هو الموحد الذي لتنبيه التوحيد غير الموحد رابعها الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد صاحب
الصغيرة والسابق المعصوم خامسها الظالم التالي للقرآن غير العالم به والعامل بموجبه
والمقتصد التالي العالم والعامل والسابق العالم العامل سادسها الظالم الجاهل والمقتصد
المتعلم والسابق العالم سابعها الظالم اصحاب المشأمة والمقتصد اصحاب الميمنة والسابق
السابقون المقربون ثامنها الظالم الذي يحاسب فيدخل النار والمقتصد الذي يحاسب
فيدخل الجنة والسابق يدخل الجنة من غير حساب تاسعها الظالم المصر على المعصية و
المقتصد هو النادم والتائب والسابق هو المعتزل التوبة عاشرها الظالم الذي أخذ القرآن
ولم يعمل به والمقتصد الذي عمل به والسابق الذي اخذه وبين للناس العمل به فعلموا بقوله
فهو كامل ومكمل والمقتصد كامل والظالم ناقص والحق ان الظالم من خالف فترك
اوامر الله وارتكب مناهيه فانه واضع للشيء في غير موضعه والمقتصد هو المجتهد في ترك
المخالفة وان لم يوفق كذلك وتدرسه ذنب وعد رعنه ثم فانه اقتصد واجتهد وقصد
الحق والسابق هو الذي لم يجن نفسه شيئا يوفيق الله ويدل عليه قوله تعالى باذن الله اي باجتهاد
ووفق لما اجتهد فهو سابق بالخيرات يقع في قلبه قبيح فيسوغ له قبل تسويل النفس والمقتصد
يقع في قلبه فتزده النفس والظالم تغلبه النفس وتقود بغواية اخرى من غلبة النفس
الامارة وامرته فاطاعها فالظالم من جاهد نفسه فغلبته تارة وغلبها اخرى فهو المقتصد ومن
قهر نفسه فهو السابق وقوله تعالى ذلك هو الفضل الكبير يحتمل وجوها احدها التوفيق المدلول
عليه بقوله تعالى باذن الله هو الفضل الكبير ثانيها السبق بالخيرات هو الفضل الكبير
لما فيها من الامران فضل يسير على هذا الوجه الذي مر من التفسير اما الوجه الاخر وهو ان يقال
لما اورثنا الكتاب اي جعلنا لكتاب كما قال جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير
يرد عليه اسئلة احدها ثم للتراخي فبين ايتا الكتاب بعد الايتاء الى محمد صلى الله عليه وسلم
لم يكن كذلك المراد بكلمة ثم تقول تعناه انه خبير بصير حيث رتبهم ثانيا واورثهم الكتاب
كانه قال تعالى انا علمنا السرائر والظواهر فاصطفينا عبادا ثم اورثناهم الكتاب
ثانيها كيف يكون من الانبياء ظالم لنفسه تقول يتم عن مراجع الى الانبياء المصطفين من اهل العين

الذي اوحينا اليك هو الحق وانت المصطفى كما اصطفينا رسلنا واتيناهم كتبنا وتمام اي
قوله ظالم اي ظالم كقربه وبما انزل اليك ومقتصد امن به فلم يات بجميع ما امر به وسابق
امن وعمل صالحا وقالوا تفاديا قوله تعالى جنات عدن يدخلونها الذين احتوتهم الموصوفون
وعليه ما ذكرتم لا يكون الظالم داخلا تقول الداخلون هم الموالهما السابقون واما المقتصد
فامره موقوف او هو يدخل النار ولا يدخل الجنة والبيان لاول الامر لما بعده ويدل عليه
قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب وقوله اذهب عنا الحزن ثم قال جنات عدن
يدخلونها في الداخلين وجوه احدها الاقسام الثلاثة وهو على قولنا ان الظالم والمقتصد
والسابق اقسام المؤمنين والثاني الذين يتلون كتاب الله والثالث هم السابقون
وهو اقوى لقربه ذكرهم ولانه ذكر اكرامهم بقوله يحلون والمكرم هو السابق وعلى هذا
فيه احالات الاول تقدم الفاعل على الفعل وتاخير المفعول عنه موافق لترتيب المعنى
اذا كان المفعول حقيقيا كقولنا الله خلق السموات وقول القائل لزيد بني الحداد لمن الله
وجود وقيل كل شيء فعله هو الخلق ثم حصل به المفعول حقيقيا كقولنا زيد دخل
الدار وضرب عمرا وان الدار في الحقيقة لتيست مفعولا للدار وانما فعل من افعاله تحول
بالنسبة الى الدار وكذلك عمرو وفعل من افعال زيد تعلق به فصيره مفعولا لا يحصل هذا
الترتيب ولكن الاصل تقديم الفعل على المفعول ولهذا اذا عاد المفعول المقدم بالضمير يقال
عمرا ضربه زيد فيوقعه بعد الفعل بالها الغايبة اليه وحينيذ يطول الكلام فلاختياره
الحكيم الا تغايبة فما الغايبة في تقديم المجتان على الفعل الذي هو الدخول واعادة ذكر
بالها في يدخلونها وما الفرق بين هذا وبين قول القائل يدخلون جنات عدن تقول
السامع اذا علم ان له مدخلا من الداخل وله دخول ولم يعلم غير الدخل فاذا قيل له ان
تدخل قال ان سمع الدار والشروع فيه يبقى منتظرا لتنبيانه في اي محل احق يكون فاذا
قيل له الدار تدخلها بذكر الدار يعلم بدخله وبما عنده من العلم السابق بان له دخولا يعلم
الدخول فلا يبقى له توقف ولا سيما الجنة والنار فان بين احد خلين بونا بعيدا الثاني
قوله تعالى يحلون فيها اشارة الى سرعة الدخول فان التحلية لو وقعت خارجها كان
فيها تاخير الدخول فقد يدخلونها ويتهايا يقع تحليتهم الثالث قوله من اساور جمع الجمع
فانه جمع اسورة وهي جمع سوار فقوله ولباسهم يسر كذلك لان الاكثار من اللباس يدخل
على حاجة من دفع برد وغيره والاكثار من الزينة لا يكون الا على معنى الرابع ذكر
الاساور من بين سائر الحلي في كثير من المواضع منها قوله تعالى وحلوا اساور من فضة
وذلك لان للتحلي معنيين احدهما اظهار كون المتحلي غير مستذل بي الاشغال لان التحلي
لا يكون حالة البطش والعمل وثانيهما اظهار الاستغناء عن الاشياء واظهار القدرة على الاشياء
وذلك لان التحلي اما بالذهب والجواهر واما بالذهب والفضة والتحلي بالجواهر والذهب
يدل على ان المتحلي لا يعجز عن الوصول الى الاشياء الكثيرة عند الحاجة حيث لم يعجز عن الوصول
الى الاشياء الغالية الوجود للحاجة والتحلي بالذهب والفضة يدل على انه غير محتاج
حاجة اصلية والفرق الذهب والفضة الى دفع الحاجة اذا عرفت هذا فنقول

الاساور ونحلها الايدي واكثر الاعمال بالايدي فانها للبطش فاذا حليت بالاساورة علم الفراح
والذهب والفولاذ اشارة الى التوعين الذين منهما الحلي ثم قال تعالى وقالوا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن في الحزن انواع كثيرة والاولى ان يقال المراد ذهاب كل ما حزننا والالف
واللام للجنس واستغراقه واذهاب الحزن حصول ما يبقى فيه ذهابه دايما فان بقاء لم
يحصل لكان الحزن موجودا بسببه وان حصل ولم يدم لكان الحزن قد ذهب بعد بسبب زواله
وحزن قراءته وقوله تعالى ان ربنا لغفور شكور قد تقدم امثاله منها تفسير الكرامة بما يدوم
الاولى الحمد قال الحامد شاب الثاني قل لهم ربنا قال الله لم يتابد بعد اللفظ الا استحقاقا
اللهم الا ان يكون المتابد قد منع الوقت او طلبه مما لا يجوز كالرد من الدنيا الى الاخرة
الثالث قولهم غفور شكور والغفور اشارة الى ما غفر لهم في الاخرة بما وجدهم من الحمد في الدنيا
والشكور اشارة الى ما بسطهم ويزيدهم بسببه ما وجدوا في الاخرة ثم الحمد ثم قال تعالى
الذي احلنا دار المقامة من فضله اي دار الاقامة ثم اذكر الله سرورهم وكرامتهم بتحليهم
وادخلهم الجنات بين سرورهم ببقايهم بنعمها واعلمهم بدوامها حببت قالوا الذي احلنا دار
المقامة ايجاد الاقامة والمعقول ربما يجيء للمصدر من كل باب بقاء له لمعقول اي عقل وقار
تعالى يحب صدق وقال تعالى ونرقتاهم كل ممزق وكذلك المستخرج للاخراج وذلك
لان المصدر رقم للمفعول في الحقيقة فانه هو الذي فعل فجاز اقامة المفعول بقامة قوله
دار المقامة اشارة الى ان الدنيا منزلة المحل وسترحل منها الى منزلة القبور ومنها
الى منزلة العرصة التي فيها الجمع ومنها التفريق وقد تكون النار لبعضهم منزلة اخرى
والجنة دار البقاء وكذا النار لا هلها وقولهم من فضله اي بحكم وعده لا بجاب من قدره

وقوله تعالى لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب النصب الاعياء والتعب من السبب
للاعياء قال قائل قد بان ان انه لا يمسهم نصب علم ان لا يمسهم لغوب ولا يبقى المستلزم
الحكم شيء يبقى مسببه جرى العطف فلا يقول القايل لا اكلت ولا شبعت ولا بعت ولا
نبيت والعكس كثير قاله تعالى لا اشعة ولا اكلة علم ان نفي الشبع لا يلزم منه نفي الاكل
وشيء وما يقرر ان يقال لا يمسنا فيها اعياء ولا شعة وبقول لما قاله الله في تحايتهم الجلالة
وكلام اجل قيل تحاتهم اجل وسواه تعالى ثم الجنة لدار الدنيا فان الدنيا اما كنها
على تشعب احدها موضع يعيش فيه المسافر كالبراري والصحاري والطرقات والاراضي
والاخر موضع يظهر منه الاعيان كالبيوت والعمائر التي في الاسقار من الحمامات فان من
يكون في مباشرة شغل لا يظهر عليه الاعياء الا بعد ما يستريح فقال تعالى لا يمسنا فيها
نصب اي ليست الجنة كالمواضع التي في الدنيا فان المتاعب المتاعب بل هي افضل من المواضع التي
هي مواضع مرجع المعين ولا يمسنا فيها لغوب اي ولا تخرج منها الى مواضع تتعب راجع
اليها يحصل لنا فيها الاعياء وقرئ لغوب بفتح اللام والترتيب على هذه القراءة
ظاهر كانه قال لا نتعب ولا يمسنا ما يصلح لان يكون هذا الان القرئ السوي اذا قال ما تعبت
اليوم لا يفهم من كلامه انه اتعب نفسه بشيء الجواز انه عمل عملا لم يكن بالنسبة اليه متعبا لقوته
فاذا قال ما مسني ما يصلح ان يكون متعبا يفهم منه انه لم يعمل شيئا لان نفس العمل يصلح

ان يكون متعبا لضعف او متعبا لسبب كثرته والغلوب هو ما يلحقه تعب وقيل النصب التعب
المرض وعلى هذا الحزن اثر تعب ظاهر لانه قال لا يمسنا مرض ولا ما دون ذلك وهو الذي
يصيبه سببا نزه **ثم قال** تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم عطف على قوله ان الذين يتلون
كتاب الله تعالى يا ايها وقوله جنات عدن يدخلونها قد ذكرانه على بعض الاقوال راجع الى
الذين يتلون كتاب الله **ثم قال** تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا اي لا يستريحون بالموت من العذاب
دايم ولا يخفف عنهم من عذابها اي النار وفيه لطايف الاولى ان العذاب في الدنيا ان دام
يتناقص ان لم يتناه بعياده البدن ويصير مزاجا قاسرا ممكنا لا يحس معه العذاب فقال عذاب
نار الاخرة ليس كعذاب الدنيا اما ان يفنى واما ان يبقى البدن بلا مزاج مؤلم فقال عذابها
والعذاب فيه دايم الثانية رعاية الترتيب على حسن وجه وذلك لان الترتيب لا ينقطع العذاب
ولا يفتر فقال لا ينقطع ولا يقوى الاسباب وهو الموت ولا يخافون كما قال تعالى وتادوا يا مالك
ليقض علينا ربك اي بالموت الثالثة في العذابين المبتدى فانه لا ينقص عذابهم وليتل تبديلهم
عذابا وفي المتابين ذكر الزيادة بقوله ويزيدهم من فضله ثم تابين ان عذابهم لا يخفف
فقالوا هم لا يضطرون بنها اي لا يخفف وان اضطروا واضطربوا لا يخفف الله من عذابه
العاشرة الا ان يطيروا ومن يطيرون لا يجدون والاصطراخ من الصراخ والصراخ صوت
المعذب وقوله ربنا اخرجنا اي صراخهم بهذا انهم يقولوا ربنا اخرجنا لان صراخهم كلام
وبيه اشارة الى ان ايلامهم تعذيب لا تاديب قالوا ترتيبه حسن وذلك لانه تابين
انه لا يخفف عنهم بالكلية ولا يغفل عنهم بين انه لا يتبدل بهم وعدا وهذا الان الحرس
يصير لعله يخرج من تعبير سوال قال اطال لبثه يطلب الاخراج من تعبير قطعية عن نفسه قالوا
قال لم يقنه يقطع على نفسه ويقول اخرجني افعل كذا وكذا واعلم ان الله تعالى
قد بين ان من يكون في الدنيا ضالا لا يهتدي في الاخرة ضال كما قال تعالى ومن كان في هذه
اعمى فهو في الاخرة اعمى ثم انهم لم يعلموا ان العود الى الدنيا يغير حكم الاخبار
ومع هذا قالوا لنعمل صالحا غير الذي كنا نعمل استغاثة بالله والاستغاثة تستدعي ان يقولوا
ان الامر بيد الله فقالوا لهم ان كان اعتمادكم على انفسكم فقد عمرناكم قدرا يمكن التذكر
فيه والايتان بالايمان والاقبال على الاعمال وقولهم غير الذي كنا نعمل اشارة
الى ظهور فساد عملهم وكان الله تعالى كما علم بهديهم في الدنيا علم بهديهم في الاخرة لما
قالوا ربنا زدنا للحسنين حسنات بفضلك لا بعملهم وحين خرج الى تخفيف العذاب
عنهم والى تضعيف الثواب قابل بنا ما انت اهله نظرا الى فضله ولا تقابل بنا ما نحن
اهله نظرا الى عدله وانظر الى بعثرتك الهاطلة ولا تنظر الى معذرتنا الباطلة وهما
هدى الله المؤمن في الدنيا هداه في العقبى حتى دعاه باقرب دعا الى الاجابة والتمس
عليه بالطيب ثناء عند الاثابة فقالوا الحمد لله وقالوا ربنا غفورا فترا فابتغضبهم
شكورا قرارا بوصول ما لم يخطر ببالهم اليهم وقالوا احلنا دار المقامة من فضله اي لا عمال
لنا بالنسبة الى نعم الله وهم قالوا اخرجنا نعمل صالحا في حق تعظيمه واثراعنا عن الاعتراف
بعجزهم عن الاتيان بما يتاسب عظمته ثم انه تعالى بين انه اتاهم ما يتعلق بقبول المحال

من العمر الطويل وما يتعلق بالقاعل فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم كفاعل الخيرات فيهم ومتظهر السعادات فقال وحاكم التذير قرات المسانع اما ان يكون منهم حيث لا يمكنوا من التقرب فيها الترك واما ان يكون مرشدهم حيث لم ينل عليهم ما يرشدهم ثم قال تعالى تذوقوا فما للظالمين من نصير وقوله فذوقوا للظالمين على اشارة الى الدوام وعوام اهانة قالظالمين الذين وصفوا اعمالهم وافعالهم في غير موضعها فانوا بما لمعذرة في تعبيرهم من نصير في وقت الحاجة يبصرهم قال بعض الحكما قوله فما للظالمين من نصير تتمة قوله وما للظالمين من انصار يحتمل ان يكون المراد من الظالم الجاهل جهلا مركبا وهو الذي يعتقد الباطل حقا في الدنيا وما له من نصير اي من يعلم في الاخرة ينفعه والذي يدل عليه هو ان الله تعالى سمى البرهان سلطان كما قال تعالى فانوا بسلطان والسلطان الذي ناصرا وهو القوة او الولاية وكلاهما يضر والحق التعميم لان الله لا ينصرهم وليس وغيره نصير فالهم من نصير اصلا ويحكى انا يقال ان الله تعالى قال في الاخرة وما للظالمين من انصار فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقال هاهنا فما للظالمين من نصير اي هذا وقت الكونهم واقعين في النار فقد ايس كل منهم من كفير ممن كانوا ينتوقعون منهم النصرة ولم يبق الا التوقع من الله فقال ما لكم من نصير اصلا

كان الامر محكما في الدنيا او في ابل ... فتقي بما كانوا يتقعون منهم

النصرة وتم الفهم ثم قال تعالى ان الله عالم غيب السموات والارض تقرير الدوام في العذاب وتاكيد من جهات ان الله تعالى لما قال ان جزا السيئة سيئة مثلها ولا يزاد عليها قال قبل القابل الكافر ولكن بالله الا ايام معدودة فكان ينبغي ان لا يعذب الا مثل تلك الايام فقال تعالى بان الله لا يخفى عليه غيب السموات فلا يخفى عليه ما في الصدور فكان يعلم من الكافر ان في قلبه تمكن الكفر بحيث لو دام الى الابد لما اطاع الله ولا عبده وفي قوله تعالى ذات الصدور مسئلة قد ذكرناها سرا وغيرها اخرى وهو ان القابل ان يقول الصدور ذات الاعتقاد ان وظنون فكيف سمي الله تعالى الاعتقاد ان ذات الصدور ونقول السوال قولهم امر من ذات الشجار وذوات حيض اذا كان فيها ذلك فكذلك الصدر فيه اعتقاد تهور واعتقاد فيقال له لما كان اعتقاد الصدر بما يدينه كالشاكي لما له الدار دار زيد فهو ا دار وعمار وان كان مرويها ثم قال تعالى هو الذي جعلكم خلايف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا لان الكافر السابق كان مقوتا كالعبد الذي لا يحترم سيده والملاحق الذي يحذره الرسول وهم بينة افقته كالعبد الذي ينصحه الناصح ويحذره سيده ويعده ويوعده ولا ينتفعه النصح ولا يعبده والثاني هو الذي ابعد قدام من تقدم ولم يحتفل بحذا به افقته الكل ثم قال تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اي الكفر لا ينفع عند الله حيث لا يزيد الا مقتا ولا ينفعهم في انفسهم حيث لا يفيدهم الا الخسار ثم قال تعالى قل ارايتم شركاكم الذين تدعون من دون الله تقرير التوحيد وابطال الاشراك وقوله ارايتم اخبروني لان الاستفهام يستدعي بقول القايل ارايتها فلان زيد فيقول السامع باع او اشتري ولو لا تضمنه معنى اخبروني والا لما كان الجواب الا قوله لا او نعم وقوله شركاكم انما اضاف اليهم من حيث ان الاصنام في الحقيقة لم تكن شركا لله وانما سموها شركا فقال شركاكم اي الشركا بجعلكم ويحتمل ان يقال شركاكم اي شركاكم في النار لقوله افكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهو قريب ويحتمل ان يقال هو بعيد لانا قد ذكرنا في قوله ارونيه الذين الحقتم به شركاء كلاهما بعيد ضعيف اخبروني ويحتمل ان يقال قوله ارايتم استفهام حقيقي وفي امر تعجيز للنبيين فلما قال ارايتم بعين اعلمتم هذه الذين تدعونها كما هي وتعالى ما هي عليهم من العجزة او يتوهمون فيها قدرة فان كنتم تعلمون انها عاجزة فكيف تعبدونها وان كان وقع لكم ان لها قدرة فاروني بم تقدر تها في اي شيء هي في الارض كما ما يخصهم ان الله اله السماء ولا الهة الارض وهم الذين قالوا امور الارض الى الكواكب والاصنام صورها ام لهم في السموات كما قال بعضهم ان السماء خلقت باستعانة الملايكة والملايكة شركا في خلق السموات وهذه الاصنام صورها ام تدر تها في الشفاعة لكم كما قالوا انها خلقوا شيا ولكنهم تقربون عند الله فتعبدهم ليشفعوا لنا فهل يعم كتابا من الله بينه اذ نه لهم وقوله ام اتيناهم كتابا فهي لعابدي الصنم وجهان احدهما ان عابدي اي اتينا الشركا كتابا وثانيهما انه عابد الي المشركين اي هل اتينا للمشركين كتابا وعلى الاول نحناه ما ذكرنا اي هل على ما يجعل شركا كتاب من الله بيد ان لهم شفاعة عند الله فان احدا لا يشفع عنده الا باذنه وعلى الثاني معناه ان عبادة غير الله اما بالعقل ولا عقل لمن يعبد من لم يخلق من الارض جزوا من الاجزا ولا في السما شيا من الاشيا واما بالنقل ونحن ما اتينا المشركين كتابا فيه امرنا بالسجود لهو لا ونوامرنا كما امرنا بالسجود لادم والى جهة الكعبة فهذه العبادة لا عقلية ولا نقلية فوعد بعضهم بعضا ليس الا غرورا زين لهم الشيطان وزينهم عبادة الاصنام ثم تما بين انه لا حق للاصنام ولا قدرة لها ولا على جزء من الاجزا بين ان الله قدر بقوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ويحتمل ان يقال لما بين شركهم قال يفتضي شركهم زوال السموات والارض كما قال تعالى تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ويدل على هذا قوله تعالى في اخر الاية انه كان حليما ما تزد تعذيبهم الا حلما منه والا كان يستحقون اسقاط السموات

الارض عليهم واما احراز الله السموات لقيام الساعة حالما ويجتمع وجهان لنا وسوان يكون
ذلك من باب التسليم وبيان المطلوب على تقدير التسليم ايضا فانه قال تعالى ثم لم يكن لهم
ما خلقوا من الارض شيئا ومن السماء جزء الو لا قدرة على التشفاعة فلا عبادة لهم وعجب
انهم تعالوا شيئا من الاشياء فلم يقدروا على امساك الارض ولا يمكنهم القول بانهم يقدرون
لانهم ما كانوا يقولون به كما قال تعالى عنهم وليس سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله ويؤيد هذا قوله وليس ذلك ان امسكهما من احد من بعده فاذا تبين الامر هذا
الا الله من حيث ان غيره لم يخلق شيئا من الاشياء ان قال كافر بان غيره خلق فما خلق
منا ما خلق فلا نشهد له انه كان حليما غفورا حليما حيث لم يعجل في اهلاكهم بل اصر
على اشراكهم وكفورا يقبل من تاب ويرحمه وانما استحق العقاب ثم قال تعالى واقسموا
بالله جهد ايمانهم خايبين انكارهم للتوحيد ذكر بكذبهم للرسول وسالتهم فيه حيث
كانوا يقسمون على انهم لا يكذبون الرسول اذ انتين لم كونهم رسلا وقالوا انما يكذبوا
بحمد صلى الله عليه وسلم لكونه كاذبا ولو تبين لنا كونه رسولا لاتبعناه قال تعالى
عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاءتهم اية ليومنن بها وهذا سالة منهم في النكاة
كما ان من ينكر دين انسان قد يقول والله لو علمت له شيئا على فضيحته وردت له
اظهارا لكونه مطلبا بالباطل فكذلك هاهنا عاندوا وقالوا لو جانا رسول لكنا
اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير اي محمد صلى الله عليه وسلم جاءهم اي صح مجيئه لهم بالبينة
ما زادهم الا نفورا اي صار واصل ما كانوا يقولون نكون اهدى وثانيهما
ان المراد لتكونن اهدى من احدى الامم كما يقول انا قاتل زيدا ايس من عمرو وفي الامم
وجهان احدهما ان يكون المراد العموم اي اهدى من احدى الامم تعرض وثانيهما
ان يكون المراد تعريف الجنس اي امة محمد وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم
وما كانوا في ترفعهم تعرفا لله تعالى استكبارا في الارض بدل من نفورا
له اي الاستكبار وثانيها ان يكون بدلا عن نفورا وقوله ومكر السيي اضافة الجنس

الى نوعه كما قال علم الفقه وحرفة النجارة وتحقيقه ان يقال استكباره ومكرا
سيا ثم عرفوا الظرف مكرهم ثم ترك التعريف باللام واضيف الى الضمير فكون
ابين الامور ويحتمل ان يقال ان المكر يستعمل استعمال العمل كما ذكرنا في قوله والذين
يمكرون السيئات ومكرهم السيي هو جميع ما كان يصدهم من العقد الى الايذاء ومنع
الناس من الدخول في الايمان واظهار الانكار ثم قال تعالى ولا يحيق المكر السيي الا
باهله اي لا يحيط الا بقائله وفي قوله ولا يحيق وقوله الا باهله فوائد اما في قوله
يحيق فهي انها تنبي عن الاحاطة التي هي فوق اللحوق وفيه من التحذير ما ليس في قوله
ولا يجيق او لا يصل واما في قوله باهله فنقيه ما ليس في قول القايل ولا يجيق المكر
السيي الا ماكر كيلا يان المسيء قد يكون سببا في عذاب يلحقه حزاء على سيئة
واما اذا لم يكن سببا فلا يكون اهلا بان من المكر السيي واما في البقود الاشيا ثابتة
الحصر بحلات ما يقول القايل المكر السيي يحيق باهله فلا ينبي عن عدم المجيق بغير
اهله فان قال قايل كثيرا ما نرى الماكر يمكر ويعيد المكر ويخيل الحكم بالمكر والا
نه تدل على عدم ذلك نقول الجواب عنه من وجوه احدها ان المكر المذكور في الاية
هو المكر الذي مكروه مع النبي صلى الله عليه وسلم من العزم على القتل والاخراج ولم
يحق الامر حيث قتلوا يوم بدر وغيره وثانيها وهو ان نقول المكر السيي عام وهو الاصح
فان النبي صلى الله عليه وسلم تمم في المكر واخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لا تمكروا ولا تغدروا ماكرا فان الله يقول ولا يحيق المكر السيي الا باهله وعلى
هذا فتدرء الرجل المكور به يكون اهلا فلا يرد نقصا وثالثها ان الامور بعواقبها
ومن مكر غيره ويعد فيه للمكر عاجلا في الظاهر فهي الحقيقة نور القابز والماكر هو الهالك
وذلك راحة الكافر ومشقة المسلم في الدنيا ويتبين هذا المعنى قوله تعالى فهل ينظرون
الا سنة الاولين يعني ان كان لمكرهم في الحال رواج فالعاقبة للتقوى والامور
بخواتيمها فهلكوا كما اهلك الاولون وقوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين
اي ليس لهم غير هذا الانتظار الامثل ومعاملة الاولين وبينه مسايل المسبب الاولي
الاهلاك بمثل سنة الاولين انما سنة الله بالاولين فنقول الجواب عنه من وجهين احدهما
ان المصدر الذي هو المفعول المطلق يجيء تارة الى الفاعل والمفعول المتعلقة بهما من وجه
دون وجه فيقال ضربا زيد عمرا اذا ضرب زيد عمرا وعجبت من ضرب عمرو كيف ضرب بعضا
من العلوم كالفقه وعجبت من ضرب عمرو مع ما له من العلم والحكمة فكذلك سنة
الله بهم اضافها اليهم لانها سنة بهم واضافها الى نفسه بعدها بقوله فلن تجد
لسنة الله لانها سنة بامر الله اذ اعلمت من فعل هذا تقول اضافها في الاول اليهم
حيث قال سنة الاولين لا سنة الله اهلاك بالاشراك والاكرام على الاسلام فلما لم
اعلم ينتظرون ايتهما قال فاضاف سنة الاولين تميزت وفي الثاني اضافها الى الله لانها
لما علمت فلا اضافة الى الله تعظيما وبين انها امر واقع ليس لها من دافع وثانيهما
ان المراد من سنة الاولين استمرارهم على الانكار واستكبارهم عن الاقرار وسنة

الله استيصالهم باضرارهم وكانه قال انتم يريدون الانتيان بسنة الاولين والله ياتي ببنية
لاتبديل لها ولاتحويل عن مستحقها **المسئلة الثانية** التبديل التحويل فما الحكمة في الكلام
نقول نقوله قلن تجد لسنة الله تبديلا لاحصل العلم بان العذاب يخ تة لاتبدل باثواب
لاتحويل عن مستحقه لغيره وتيم تقدير المسئلة **المسئلة الثالثة** المخاطب بقوله فلن
تجد يحتمل وجهين احدهما ان يكون عاما كانه قال لن تجد بها السامع لسنة الله تبديلا
والثاني ان يكون محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فكانه قال لسنة الله انه لايجعلك مايبقى
في القرن من كتبة الله ايمانه قال انس من يجي علم الله انه يوتن بجعله الياتين كما قال نوح
عليه الصلاة والسلام انك ان تذرهم يضلوا عبادك اي كل الامر وحارقت سنته
ثم قال تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا والمذكران للاولين بين سنتهم
شبههم بتذكير حال الاولين فانهم كانوا امارين بحلي ديارهم رايين لاثارهم واصلهم كانت
فوق اصلهم وعلمهم كان دون علمهم اما الاول فتطولهم اعمارهم وشدة اقتدارهم وعلمهم
تلاتهم ماكذبوا محمدا انتم اهل مكة كفرتم محمدا ومن تقدمه وقوله تعالى وكانوا اشد
منهم قوة تذكره في سورة الروم بقي فيه الحيات الاول قالهتان كانوا اشد من
عمروا وقفا لها هنا وكانوا اولوا قوة تقول قول القائل بخيل اماراية زيد
كيف اكرمني وهو اعظم منك يفيد ان القائل بخيريان زيدا اعظم واذا قال اما رايت
كيف اكرمني وهو اعظم منك يفيد ان تقرر المعنيين حاصل عند السامع كانه راه اكرمه
وراه اكرم منه ولاشك ان في هذه العبارة الاخيرة يفيد كون الامر الثاني في الظهور
مثل الاول بحيث لايحتاج الى اعلام من المتكلم ولا اختيار اذا علمت هذا فتقول المذكور
ههنا كونهم اشد منهم قوة لاعبرة ولعل ذلك كان ظاهرا عندهم فقال يالوا ف
اي نظركم كما يتبع على امرهم قوتهم واما هتان المذكورا نبيا كثيرة فانه قال كانوا اشد
منهم قوة واثاروا الارض وعمروها وفي موضع اخر قال اقلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم قوة واشد قوة واثارا في الارض
اولئك رسلهم ولكن نقش القوم ورجحانهم فيما عليهم كان معلوما عندهم فان كل طائفة
تعتقد فيمن تقدمها انها اقوى منها ولا تتباع فيه وقوله تعالى وما كان الله ليعجزه
من شيء يحتمل وجهين احدهما ان يكون تبيانا لهم ان الاولين مع شدة قوتهم ما عجزوا
الله وما فاتوه فنحن اولى بان لا يعجزوه والثاني ان يكون قطعا لاطماع الجهال فان
قايلا لو قال لهب ان الاولين كانوا اشد قوة واطول اعمارا لكنا نستخرج مرة بيانا
ما يبقى لهم قولهم وتستبقي من بايور ارضية لها حواصل وكواكب سماوية لها اثار فقال
تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما بافعالهم واقوالهم
تدبيرا على هلاكهم **ثم قال تعالى** ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها
من دابة لما خوف الله تعالى المكذبين بما مضى وكانوا من شدة عنادهم وتشاد تفعا
دهم يستعجلون بالعذاب ويقولون عجل لنا عذابك قال الله تعالى لو يواخذ الناس بنفس الظلم فان الانسان ظلوم جهول ولو اخذ بالاصرار

وحصول نا ثير الناس عن ايمانهم وجود الايمان من كتبة الله ايمانه قال الزجاج من دابة من بني ادم
المكذبين ولو اخذهم بنفس الظلم لكان هلاك بني ادم اهلاك دوابه **مسايل المسئلة الاولى** اذا قال
الله ولو اخذ الناس بما كسبوا لما ترك والدواب لاجلكم ان تقول الجواب عنه من وجوه احدها
ان خلق الدواب نعمة فان كفر الناس بنعمة الله لم تهلك الدواب لان الفرد اذا
تم التركيب والمركب اما ان يكون معتبرا واما ان يكون تافها والتافه اما ان يكون حيوانا واما
ان يكون نباتا والحيوان اما انسان واما غير انسان فالدواب اعلى درجات المخلوقات
في عالم العناصر للانسان الثاني ان ذلك بيان لشدة العذاب وعمومه فان بقا
الانسان كما ان بقا الانسان بالاشارة وذلك لان الانسان بر بيد الايليا ويصلح بالتبني
الابناء ثم ينتفع بها فبيقى الانسان فاذا كان الهلاك عاما لايبقى من بني الانسان
احد اما عن التلف والهلاك من بعد ولاتبقى الابنية والزروع فلا تبقى الحيوانات الاهلية
لان بقاها لحفظ الانسان اياها عن التلف والهلاك بالسعي والعلف الثالث ان
انزال المطر بالغمام من الله في حق العباد فاذ الحركيتحققوا الانعام قطعت الامطار
عنهم بنظم الجفاف على وجه الارض فتموت جميع الحيوانات وقوله تعالى ما ترك على
ظهرها شي دابة يوجه الوجه الثالث لان بسبب انقطاع الامطار تموت حيوانات
البر اما حيوان البحر فيبقى بما البحار **المسئلة الثانية** قوله على ظهرها كناية عن
الارض وبني غير مذكورة فكيف علم تقول مما تقدم ومما تاخر اما مما تقدم فقوله وما
كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض فهو اقرب المذكورات الصالحة لعود
الها اليها واما مما تاخر فقوله من دابة لان الدواب على ظهر الارض فان قيل
كيف يقال لما عليه الخلق ومن الارض وجه الارض وظهر الارض مع ان الوجه
بل الظهر للمتاد نقول من حيث ان الارض كالدابة الحاملة للاثقال والحمل يكون
على الظهر فبقابلة البطن والظهر الظاهر من باب والباطن من باب والمواجه
لهم وجها على ان الظهر في مقابلة البطن والظهر الظاهر من باب والباطن من باب
فوجه الارض ظهر لانه سوا الظاهر وغيره منها باطن وبطن **المسئلة الثالثة** في قوله
يوخرهم الى اجل مسمى وجوه احدها الى يوم القيامة وهو مسمى مذكور في كثير
من المواضع ثانيها يوم لايوجد في الخلق من يو ٣ علي ما تقدم ثالثها لكل امة
اجل معلوم امة كتاب واجل قوم محمد صلى الله عليه وسلم ايام القتل والاسر
كيوم بدر وغيره **المسئلة الرابعة** قوله تعالى فاذا جا اجلهم قال الله كان ببيانه
بصيرا تسلية للمرسل وذلك لانه تعالى لما ترك على ظهرها من دابة وقال
لانضيعن الذين ظلموا منكم خاصة فقال فاذا جا الهلاك قاله بالعباد بصيرا
اما بمجيئهم او يكون توبيخهم تقريبا من الله لاتعذيبا لانباك قد ذكرنا ان الله
لايواخذ بمجرد الظلم وانما يواخذ حين يجتمع على الضلال ويقود اية تعالى بعد
الاهلاك بقوله اولم يروا كيف هذا تقول قد ذكرنا ان الامانة والاتقان كانا
للتعذيب فهو مواخذة بالذنب والاهلاك وان كان لابيصال الثواب فليس باهلاك

501

ولا بمواخذة والله لا يواخذ الناس الا عند عموم الكفر
وقوله بصير لفظ ثم في التسلية في العلم وغيره من
العلم وغيره لان البصير بالشيء الناظر اليه
اولى بالانجاس العالم بحاله دون
ان يراه والله سبحانه
وتعالى اعلم بالصواب
واليه المرجع والمآب
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى
آله اولي
الالباب
تم

SOLEYM... E. O. KOTOPOLIN
Edd. f.
148/IV